

جوائز ١٢٠٠٠ دينار سنويا

العدد ٢٢٠ - ربيـــع الأول ١٣٩٧ - مارس (آذار) ١٩٧٧

عمير
بنان

●

مرة على فلسطين
هرتزل ب ٥٠ عاما

●

ORIENT EKISHO QUARTZ

اورينت ... ثمرة تطور مثير في تكنولوجيا الكوارتز

إقرأ الوقت، حتى في الظلام الحالك

خلال الليل، اضئ وجه ساعتك بكبسة زر. انها الساعة الرقمية المثلى. اختر، من مجموعة ساعات اورينت الأخاذة، الساعة التي تعكس شخصيتك ورجولتك.



ORIENT اورينت

عزيزي القارئ

لو اننا اجرينا عملية حسابية تقريبية ، استهدفت حصر ما ضاع من عمر العرب ، وما فاتهم من فرص التقدم ، وما توقف من خطط ومشروعات ، وما تبدد من طاقاتهم وامكانياتهم ، باختصار ، لو اننا حاولنا ان نحصي الاضرار والاثارالتي اصابت العرب بسبب خلافاتهم ومعاركهم الجانبية ، ماذا سنجد ؟

ستصدمنا الحقيقة بكل تاكيد • ذلك انه منذ ان صارت خلافات العرب قاعدة وليست استثناء ، القت السياسة بظلها على كل ما عداها من مجالات • وصرنا نشهد حالات يجرجر فيها الخلاف انسياسي ذيولا عديدة ، تكاد تصيب كل شرايين الحياة التي تربط بين اطراف الخلاف بالجمود والشلل • حتى يتحول خلاف القادة الى عقاب للشعوب ، يمتد اثره الى الاجيال المقبلة •

ان الخلاف بين الاشقاء وارد ولا غرابة فيه ، بل ربما كان الخلاف حول القضايا السياسية مفيدا ، من حيث انه قد يشكل عنصر ضغط لتحقيق اكبر قدر من المكاسب لصالح قضايانا القومية • ولكن ان يتحول الخلاف الى تقطيع للاوصال وهدم للجسور وسد للمنافذ بين العرب وبعضهم البعض ، فهذه هي المحنة الحقيقية •

لماذا لا نحاول ان نتجنب بعض نتائج هذه المحنة ، ونعزل السياسة عن الاقتصاد والتعاون الثقافي والفني ؟ لقد صارت السياسة تدخل في كل عناصر الحياة من حولنا ، هذا صحيح ، ولكننا امام حالات يكون التهديد فيها موجها الى مستقبل شعوب باكملها ، ينبغي ان نقيم هذا العازل بين السياسة وغيرها ، ولو بقدر من التعسف والافتعال • ولا نبالغ اذا قلنا ان هذه هي الصيغة الحضارية والايجابية لتحقيق التعاون بين الدول الكبرى •

نقول ذلك بينما الساحة العربية تشهد صورا من الخلافات والتصدعات التي تتفاقم يوما بعد يوم ، واصوات المهللين تبارك هذه التصدعات وتزيد النار اشتعالا ، ولا احد يسال : الى اين نحن ذاهبون ؟؟ !!

■■

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

اقتصاد وسياسة :

طب وعلوم :

استطلاعات :

اجتماع :

أدب وتراث :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

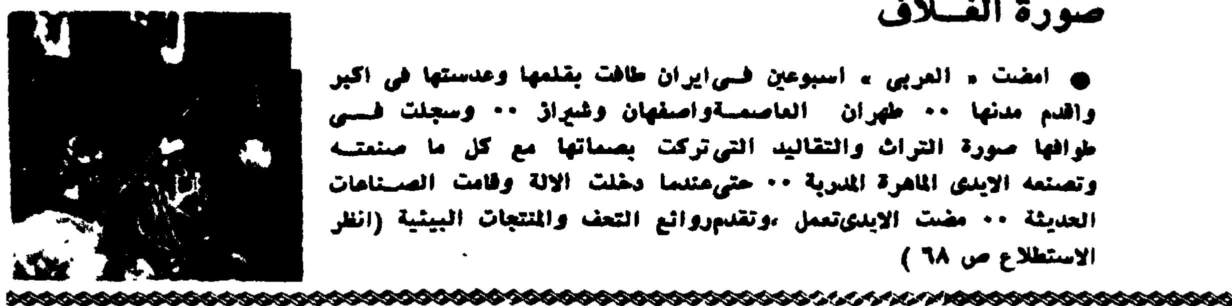
ALARABI — No. 224 JULY 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـــلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغــلاف

● امضت « العربي » اسبوعين فـي ايران طافت بقلمها وعدستها فى اكبر واقدم مدنها ·· طهران العاصمـةواصفهان وشيراز ·· وسجلت فـي طوافها صورة التراث والتقاليد التيتركت بصماتها مع كل ما صنعتـه وتصنعه الايدى الماهرة المدربة ·· حتىعندما دخلت الالة وقامت الصـناعات الحديثة ·· مضت الايدىتعمل ،وتقدمروائع التحف والمنتجات البيئية (انظر الاستطلاع ص ٦٨)

تربية وعلم نفس :

شخصيات :

شعر :

كتب :

قصص :

فنون :

ركن الاسرة والمرأة :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا · سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش · الاردن ١٠٠ فلس · السعودية ريالان سعوديان · السودان ١٠ قروش · ج·م·ع ١٠ قروش · تونس ٢٥٠ مليما · الجزائر ٥ر٢ دينار · المغرب ٥ر٢ درهم · اليمن ٥ر٢ ريال · ليبيا ١٥٠ درهما · جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس ·

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص · ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان ·

٢ ـ مؤسسة توزيع الاخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر ·

« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »

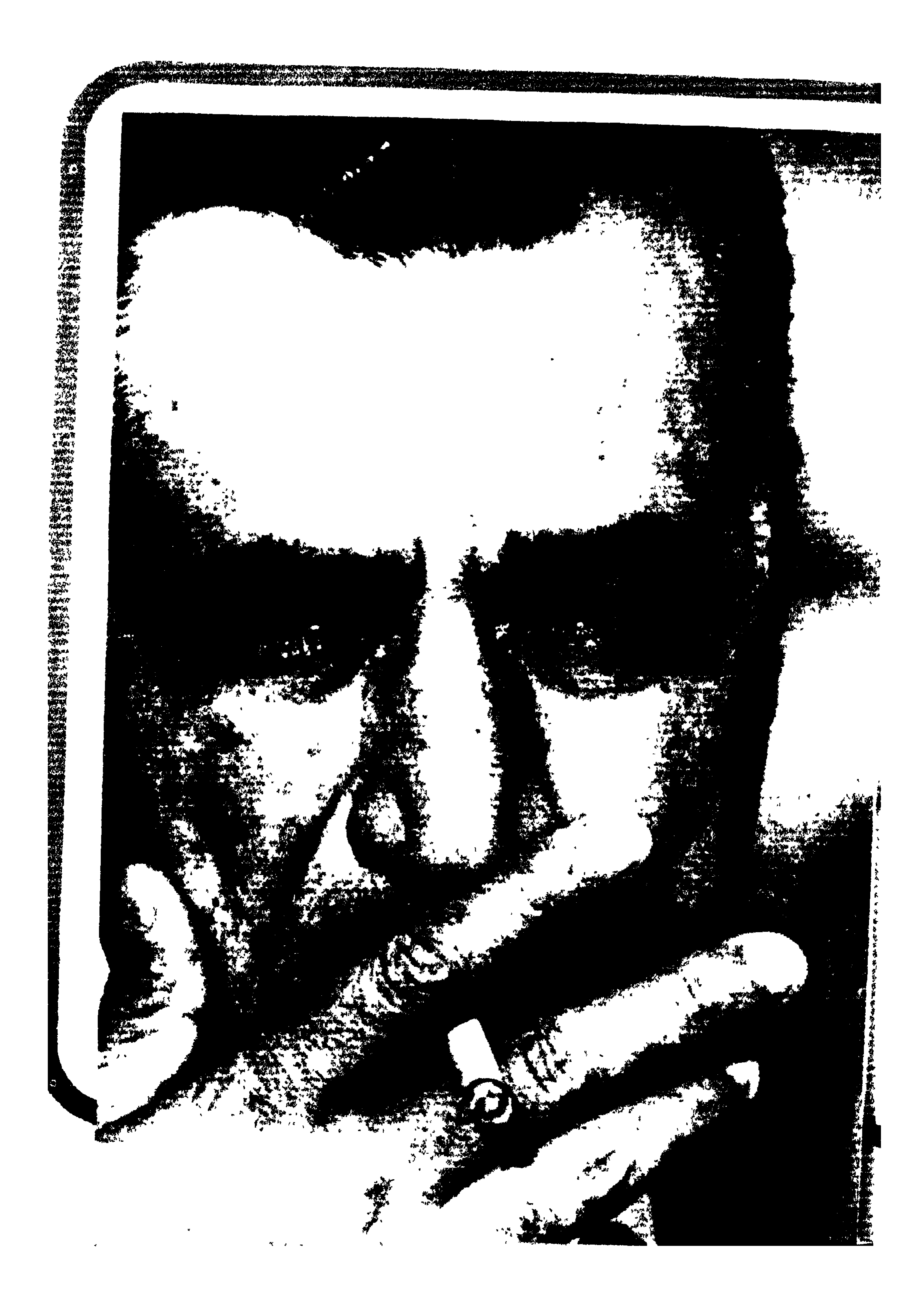
أعطى الأمة العربية فكرة عن امكانياتها!

بقلم : أحمد بهاء الدين

● يمر هذا الشهر ، ربع قرن كامل ، على ثورة ٢٣ يوليو في مصر ، بزعامة جمال عبد الناصر • نذكرها ونقف هنا عند هذا التاريخ ، لانها بدات ثورة مصرية ، ثم لم تلبث ان تحولت الى ثورة للعرب جميعا • اثرت في حياتهم آثارا شتى ، ولكنها كلها آثار عميقة • بل ليس من المبالغة ان احداث الثورة ، التي اختارتها ، او التي فرضت نفسها عليها ، كانت نقطة تحول في علاقات دولية كثيرة ، وفي العالم الثالث كله بوجه خاص •••

● ومنذ قامت ثورة ٢٣ يوليو وهي تثير من حولها المشاكل ، وتهاجمها المشاكل •

● ومنذ مات جمال عبد الناصر ، انفتحت أبواب الجدل على مصاريعها حوله ، وحول الثورة ذاتها • ذلك انه طبع احداث المرحلة التي عاشها بطابعه ، وجسد الثورة في شخصه • فلا تكاد نجد زعيما معاصرا الفت عنه الكتب بشتى اللغات ، وكتبت عنه المقالات والدراسات ، وقامت جامعات العالم ومؤسساته بعقد حلقات بحث عنه ، كما حدث لجمال عبد الناصر • ولم ترو عن زعيم مجموعة من الحقائق والاكاذيب كما رويت عنه • وهذا أيضا



طبيعي • فهو أكثر عربي أقام الدنيا وأقعدها منذ قرون • ولا نريد هنا أن ندخل في هذا الجدال • فلهذا مجالاته الاخرى •

ولكن يكفي هنا ، أن نعرض للنقطة الاولى ، وهي انه « منذ قامت ثورة ٢٣ يوليو في سنة ١٩٥٢ ، وهي تثير من حولها المشاكل وتهاجمها المشاكل » ••

والواقع اننا حين ننظر الى حياة ثورة ٢٣ يوليو ، نجد انها هوجمت أكثر مما هاجمت ، طبعا سنجد جذور هذه الهجمات في سياسة الثورة ذاتها ••• ولكن هذا لا ينفي ان الآخرين تعرضوا لها باكثر مما تعرضت لهم • وذلك لاسباب كثيرة •• ربما كان ممكنا الاشارة الى أهمها :

● هناك سبب خاص بمصر ذاتها، التي قامت فيها الثورة • فمصر دائما بلد « مستهدف » و « مطلوب » من اي قوى خارجية دولية •

ذلك أن مصر كانت معظم الوقت مفتاح المنطقة ، قبل أن تكون عربية وخصوصا بعد أن صارت عربية • فقيام مصر قوية مستقلة ، أمر لا تقبل به قوى عالمية كثيرة • فمنذ تاريخ الفراعنة والى الان نجد انه كان هناك اما مصر قوية ، فهي مؤثرة على ماحولها ، متصدية لمن يجوس في حمى المنطقة كلها ، واما مصر ضعيفة ، فهي عاجزة ، اما محتلة احتلالا صريحا ، واما مكبلة بقيود أشبه بالاحتلال •

لذلك نجد أن الحرب التي قامت ضد محمد علي الكبير ، مؤسس مصر الحديثة ، انضمت فيها كل دول اوروبا البارزة في ذلك الوقت ، لاخضاع محمد على الكبير • أى كان تحالفا أوروبيا شاملا •

وحين تم شق قناة السويس ، وزادت اهمية مصر بصورة حاسمة • اذ كان شق القناة ــ وقتها ــ حدثا في التجارة الدولية اشبه بحدث اكتشاف البترول في العصر الحديث ، جرت سلسلة التآمر الدولي ضد مصر ، حتى اذا ظهر احمد عرابي ، وتبدت الشخصية الوطنية المصرية ، ووافق الخديوى اسماعيل على اعطاء الشعب دستورا وبرلمانا •• خلعت دول اوروبا اسماعيل ، ثم جاءت انجلترا ، وفازت بغنيمة احتلال مصر ، وكان وزير خارجيتها يعلن ان انجلترا تحتل مصر لحساب اوروبا كلها • وظلت انجلترا توهم دول اوروبا الكبرى انها شريكة لها ، حتى تمكنت من الانفراد بمصر •

وسهل بعدها ان تنطلق انجلترا من مصر الى قلب افريقيا ، وان تنطلق فرنسا من المغرب العربي الى قلب افريقيا ،وتصادمت الاثنتان في «فاشودة» • واما الحرب واما التقسيم • تماما كما تتصارع الدول الكبرى الان في أنجولا وزائير وغيرهما • ولكن أنجلترا وفرنسا آثرتا عدم الاشتباك في فاشودة ••• وتم تقسيم افريقيا كلها بينهما •

ومنذ محمد على الكبير ، لم تقم لمصر قائمة، الا مع ٢٣ يوليو وعبد الناصر وجلاء الانجليز ·

وكان اول من تنبه للخطر ، الثعلب العجوز « دافيد بن جوريون » ·

ففي بعض مذكراته يروى بن جوريون أنه كان يسأل نفسه ورفاقه دائما: « ماذا لو قام فى العرب بطل كما قام كمال اتاتورك فى تركيا ، فأخرجهم من الهزيمة ، ووحدهم حوله ؟ ان اسرائيل ساعتها لن تعيش يوما واحدا ·

ثم يروى انه حين ظهر جمال عبد الناصر وخرج الانجليز من مصر ،خاف ان يكون هذا الكولونيل الشاب هو أتاتورك العرب · فقرر اسقاطه · وقام بهجومه الشهير على غزة والصبحة لاهانة الجيش المصرى غير المسلح ، متوقعا ان يؤدى هذا الى انقلاب الجيش على عبد الناصر · وكان هذا ما جعل عبد الناصر يطالب امريكا بالسلاح ، فلما رفضت ، عقد صفقة الاسلحة السوفيتية الشهيرة ، ونحن نعرف الباقى ·

● والسبب الثانى فى تعرض القوى العالمية لمصر ٢٣ يوليو خاص بالعالم العربى ·

فقد ولدت ثورة ٢٣ يوليو بفكر مصرى بحت · بل وأكاد اقول انها ولدت فى قضية العروبة ، كرد فعل لأحداث ١٩٤٨ · ولكن بن جوريون من حيث اراد اسقاط عبد الناصر ، كان اقوى عامل فى حسم القضية فى ذهن عبد الناصر ، بالنسبة لعروبة مصر · فمصر مرتبطة قدرا ومصيرا بالمنطقة من ناحية الجغرافية السياسية Geopolitically ، ثم انها منذ المد الاسلامى ارتبطت لحما ودما وتراثا وثقافة وروحا ونفسا بالعروبة وصارت جزءا منها ·

من هنا اتجهت الثورة اتجاها عربيا حاسما وحادا · وكان هذا سببا آخر لتعرضها للمشاكل والمخاطر وتصديها للمسئوليات الجسام · فما يخافه العالم من « مصر قوية » مرة ، يخافه من « عالم عربى قوى » ألف مرة ·

ثم ان هذا حدث فى مرحلة كانت فيها معظم الدول العربية ـ بما فيها مصر ذاتها ـ محتلة او شبه محتلة ، وكانت بالتالى مرحلة التحرر من هذا الاحتلال · وحين تحررت مصر وصارت طليقة اليد بان أثر ذلك فورا فى اندفاع حركة التحرر باشكال شتى الى سائر انحاء الامة العربية، طبقا للظروف التى كانت تواجه كلا منها ·

وكان معنى هذا ، مرة أخرى ، الاصطدام بالقوى الخارجية التى اعتادت اقتسام المنطقة وانعدام الارادة العربية طيلة قرون ·

وما حدث فى العدوان الثلاثي وحرب السويس سنة ١٩٥٦ يغنى فى اهدافه ونتائجه عن كل بيان ويتجاوز كل بلاغة ···

فقد حاربت اسرائيل ، مرة اخرى ، لكى تحطم امكانية قيام جار قوى ٠٠

وحاربت فرنسا ، كما اعترف ساستها بعد ذلك ، لعقاب مصر على مساعدتها لثورة الجزائر ٠

وحاربت انجلترا ، حتى لا ترى سابقة امتلاك شعب عربي لثرواته تنجح في شركة قناة السويس ، وعينها على البترول ٠ وقد احبطت قبل ذلك محاولة مصدق ٠

وكانت النتيجة ــ كالدوافع ــ بالغة الدلالة ٠٠٠

فمن جهة ، توحدت مشاعر الامة العربية ازاء العدوان ، توحدا لم يسبق له مثيل ، وكانت هذه النقلة النفسية الحادةالتي لمست اقصى الاطراف ، بمثابة الاساس لكل ما جرى بعد ذلك من تجمعات وتصديات عربية مشتركة للاخطار ٠٠٠

ومن جهة ، هزمت الامبراطوريتان القديمتان ، انجلترا وفرنسا ، هزيمة دولية اعلنت نهاية عصر وبداية عصر جديد ٠

● وعلى المستوى العالمي ٠٠كان لهذه الاحداث قوة تاثير خارقة ٠فخدمة تقسيم العالم بعد الحرب العالمية الاولى كان يراد لها ان تتكرر بعد الحرب العالمية الثانية ٠ اضاء الامل قلب افريقيا كلها ٠ وهز اطراف آسيا وامريكا اللاتينية ٠ وتقدمت حركة دول عدم الانحياز تعطى لهذه الحركات التحررية فى العالم شرعيتها وهويتها ٠

ومرة اخرى ، كان لا بد ان تصطدم مصر بالعالم القديم ، طالما انها اخذت على عاتقها القيام بدور قيادى فى ولادة عالم جديد ٠

●

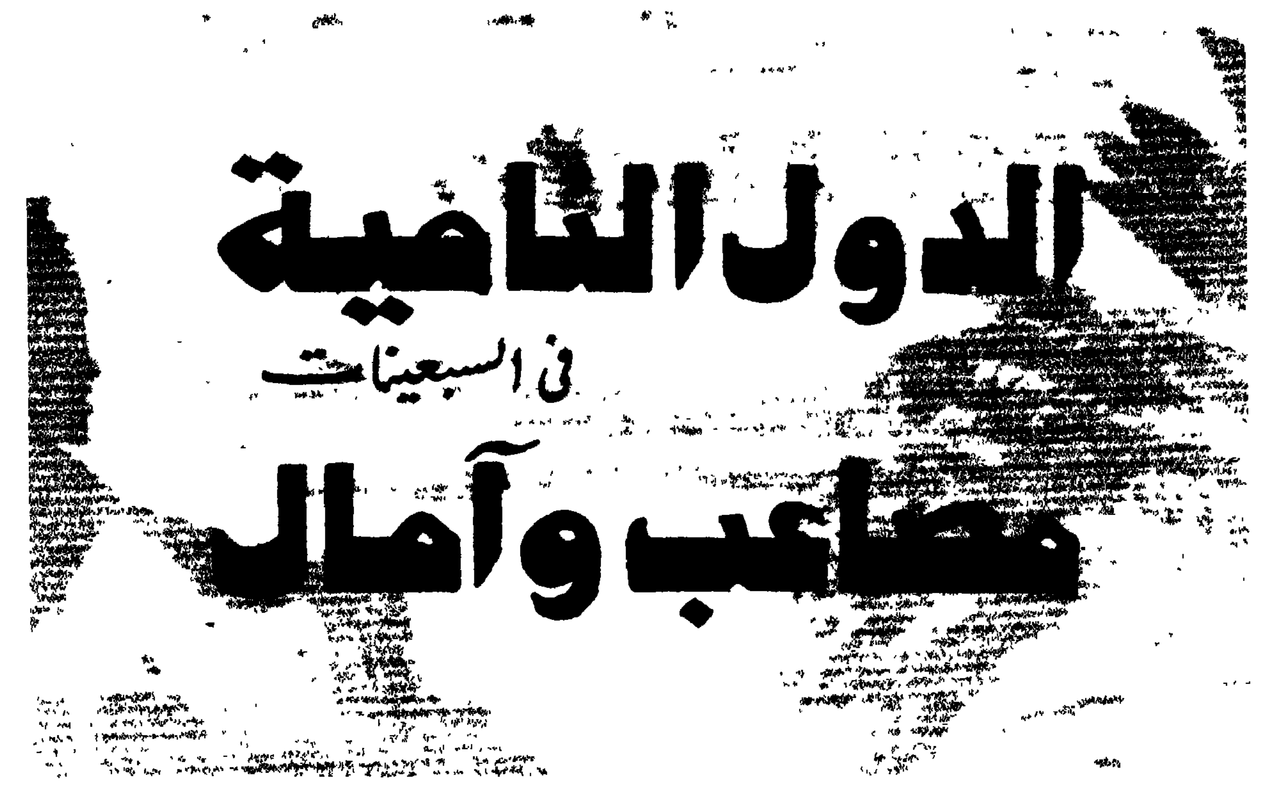
وقد ولد في هذا الربع قرن ، عالم جديد ٠ له قواه الجديدة ، ومشاكله الجديدة ، وتحدياته الجديدة ٠ ولكن تلك هى سنة الحياة والتاريخ ٠

●

اما عبد الناصر ومصر ، اما عبد الناصر والامة العربية ، فانه يكفى ان اسجل كلمة بليغة جدا ، وهادئة جدا ، قالها زعيم عربى كبير معاصر ، كان من سوء حظ الامة العربية ان الخصومة وقعت بينه وبين عبد الناصر ، ولكنه قالها عندما مات ، قالها بما لا يكابر فيه صديق او عدو : « يكفيه٠٠انه اعطى الأمة العربية فكرة عن امكانياتها ! »

وهى امكانيـــات بلا حـــدود ٠

احمد بهاء الدين



بقلم : الدكتور حازم الببلاوى

■ الميل الى التعميم هو احد مزايا العقل البشرى ونقائصه فى نفس الوقت ٠فهو من ناحية احد الوسائل الفعالةللسيطرة علىالخضم الضخم من الخصائص عن طريق عدد محدود من الافكار والتقسيمات الاساسية ٠ ولكنه من ناحية اخرى خطر داهم باهمال الفروق والاختلافات الفردية والتفصيلية والتى قد تكون كبيرة الاهمية ٠

وعلى حساب نوع من التعميم ، نقول بان العالم مر ، منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الان ، بعدة مراحل تميز كل عقد فيها باتجاهات عامة ، وانه فى السبعينات تواجه الدول النامية بصفة خاصة مازقا حقيقيا ٠ فهل تنجح فى الخروج منه ؟

تميزت الخمسيناب باعادة تعمير اوروبا واليابان بعد ويلات الحرب العالمية الثانية ، وظهرتفيها ، المطالبات بالتحرر السياسى من الاستعمارالانجليزى والفرنسى ٠ وبعبارة اخرى ،فقد كانتعقد تصفية آثار الحرب ٠

اما الستيناتفقد كانتعقد الاستقرار والنظام٠ نالت معظم الدول النامية فيه استقلالها السياسى٠ وعرفت الدول المتقدمة نموا اقتصاديا كبيرا ومستمرا ٠ كذلك فان الدول النامية حققت هى الاخرى معدلات مرتفعة للنمو ٠ وساد العالم استقرار اقتصادى ، واصبح الحديث عن « النمو المستمر » هو النغمة الغالبة (١) ٠

وجاءت السبعينات ، فاخرجت الناس من احلام الستينات ، وتوالت الازمات،حتى كادتتصبح عقد الازمات ، ازمة الغذاء ، ازمة الطاقة ، ازمة نظام النقد الدولى ، ازمة التنمية ٠ حتى الطبيعة لم تخف تواطؤها لهذا الجو العام المضطرب ، الجفاف ومشكلة الساحل الافريقى ، الزلازل فى الصين ، الجفاففىاوروبا ، زحفالجليد والبرد القارسعلى الولايات المتحدة الامريكية ٠ ولم يكن غريبا ان تتخلى نغمة النمو والتفاؤل السائدة فى العقد السابق ، لنزعة اخرى ماساوية ربما تعبر عنها موجة كبت « حدود النمو » لنادى روما وما شابهه (٢) ٠

---

1) "Sustained Growth", W. Rostow, Stages of Economic Growth.
2) Meadows et al. Limits to Growth, Club of Rome, 1972.

١٩٧٦ اى ما يزيد على ١٤٠٪ من احتياجاتها خلال السنوات الخمس السابقة (٥) •

وتزداد الامور سوءا بالنسبة للدول النامية اذا عرفنا هيكل تمويل هذه المديونية وتوزيعها • فلم يقتصر الامر على زيادة حجم مديونية هذه الدول وانما زادت نسبة مديونيتها من المصادر الخاصة• تشير نفس الدراسة السابقة للبنك الدولي الى ان زيادة مديونية الدول النامية في ١٩٧٤ بمعدل ٢٣٪ ، صاحبتها زيادة في نسبة القروض من الهيئات الخاصة بنسبة ٣٣٪ مقابل زيادة بنسبة ١٧٪ من الهيئات العامة الرسمية • وهو ما يعكس الاتجاه نحو التشدد فى شروط واعباء هذه القروض•

ومن مظاهر التشدد التى تواجهها الدول النامية ، اضطرارها الى الالتجاء الى السوق الدولية لراس المال للحصول على التمويل اللازم لدعم موازين مدفوعاتها • فمن الظواهر الحديثة دخول دول العالم الثالث الى سوق العملات الدولية (Euro market) • ففى خلال الفترة ٧١ ـ ١٩٧٣ مولت البنوك التجارية الدولية حوالى ٢٠٪ من احتياجات الدول النامية ، مقابل ٤٢٪ خلال الفترة ٧٤ ـ ١٩٧٦ ، وانخفض بالتالى حجم التمويل من المؤسسات الرسمية من ٦٦٪ الى ٥٠٪ خلال نفس الفترة •

والالتجاء الى السوق الدولية لراس المال يعنى زيادة اعباء القروض على الدول النامية والتشدد فى شروطها ، سواء من حيث مدة القرض او من حيث اسعار الفائدة • وهو ما يلقى قيودا شديدة على امكانيات النمو المستقبلة لهذه الدول • فاسعار الفائدة فى الاسواق الدولية تزيد على اسعار الفائدة من الحكومات والمنظمات الدولية • ولذلك فقد ارتفعت اعباء خدمة الدين من حوالى ٣ر٩ بليون دولار فى ١٩٧٤ الى حوالى ثلاثة اضعاف فى ١٩٧٦ (حوالى ٥ر٩ بليون دولار) • وبالاضافة الى ذلك ، فان السوق الدولية كثيرا ما تفرض على المدينين اسعار فائدة مستقبلة (عائمة) (وهى ترتبط عادة باسعار الفائدة بين البنوك فى سوق لندن Libor) • وهذا ما يضيف عبئا جديدا على الدول النامية ، من حيث زيادة عنصر عدم التقيد وصعوبة التخطيط ومعرفة حجم الالتزامات ، وخاصة فى هذه السوق شديدة التقلبات (تراوحت اسعار الفائدة بين ٥ ـ ١٤٪ خلال عدة شهور) •

ومن ناحية ثانية ، فان الالتجاء الى السوق الدولية لراس المال انما يعنى تميزا وتحيزا لمصلحة الدول النامية الاكثر تقدما على حساب الدول الاقل نموا (وهى الاكثر حاجة) •

ولذلك لم يكن غريبا ان تتركز معاملات الدول النامية فى سوق العملات الدولية على عدد محدود منها ففى ١٩٧٤ حصلت ١١ دولة على ٧٢٪ من مجموع الاقراض (الارجنتين ، البرازيل ، المكسيك ، بيرو ، اليونان ، اسرائيل ، اسبانيا ، الجزائر ، زائير ، كوريا ، ماليزيا) ، وفى ١٩٧٥ بلغت معاملات ٨ دول منها ٨٠٪ من الحجم الكلى للاقراض (الارجنتين ، البرازيل ، كولومبيا المكسيك، بيرو، الفلبين ، تايوان ، كوريا الجنوبية) ومن الواضح ان هذه الدول لا تمثل اكثر الدول النامية احتياجا الى التمويل •

واذا كنا ركزنا فيما سبق على بيانات العجز فى موازين المدفوعات ووسائل تمويله فى الدول النامية ، فذلك لان هذه الموازين تعكس معظم مشاكلها الاقتصادية •

على انه لا باس ايضا من الاشارة بسرعة الى ما عانته هذه الدول فى مجال ارتفاع الاسعار الداخلية ومعدلات النمو • اما فيما يتعلق بمعدلات النمو الداخلية فقد سبق أن نوهنا الى ان هذه المعدلات قد هبطت عن مستواها فى الستينات (٥ ـ ٦ ٪) الى ١ ـ ٢٪ سنويا •واذا اخذنا فى الاعتبار معدل نمو السكان لادركنا ان مستوى الدخل الفردى قد ظل ثابتا فى احسن الاحوال ، وتراجع فى حالات كثيرة ، والدول القليلة التى استطاعت المحافظة على معدلات معقولة للنمو ، هى نفسها التى اعتمدت بشكل متزايد على القروض الخارجية •

وفيما يتعلق بمعدلات ارتفاع الاسعار الداخلية، فقد ظل هذا المعدل يتراوح فى حدود ١١٪ حتى ١٩٧٢ ليرتفع الى ٢٢٪ فى ١٩٧٣ ، والى ٣٣٪ فى ١٩٧٤ والى ٣٠٪ فى ١٩٧٥ (التقرير السنوى الاخير لصندوق النقد الدولى) •

---

5) Morgan Guaranty; World Financial Markets.

ورغم ان اسعار الصادرات والواردات قد زادت جميعا فى السبعينات فان نفس التقرير يبين انها تطورت فى غير صالح الدول النامية ، وبحيث تدهورت معدلات التبادل لغير صالح هذه الدول ، فاصبحت ٨٨٪ للدول متوسطة الدخل و ٧٤٪ للدول منخفضة الدخل عما كانت عليه فى فترة ٦٢ ـ ١٩٦٩ • (بمعنى ان نفس الحجم من الصادرات لهذه الدول لم يعد كافيا الا لاستيراد ٨٨٪ او ٧٤٪ من الواردات التى كان يمكن شراؤها فى ٦٧ ـ ١٩٦٩) •

محاولة للتفسير ، اهتزاز النظام العالمى

• بعد هذا الاستعراض الطويل للارقام والبيانات، فاننا فى حاجة الى نوع من التفسير •

نعتقد ان العالم يمر حاليا بمرحلة اهتزاز ، ونكاد نعاصر مرحلة افول نظام ، وان لم يتضح بعد شكل النظام الجديد القادم • فنحن الان اقرب ما نكون الى مرحلة اللانظام •

ومرحلة اللانظام بطبيعتها مرحلة اضطراب وفوضى ، تزداد فيها المشاكل والالام • ولكنها قد تكون مرحلة المخاض الذى يسبق ميلادا جديدا،ومن ثم تبرر كافة هذه الالام • ذلك اذا لم تصرفنا هذه الالام عن الاصرار على التحول لنظام افضل • فاى نظام مهما كان سيئا يتمتع بميزة فى مواجهة اللانظام • وهو ما يرجع فكرة النظام ذاتها ، ووضوح الرؤية ومعرفة قواعد اللعبة • اما مرحلة الانتقال ، وقبل استقرار القواعد الجديدة ، فهى دائما صعبة وقاسية • وتحمل هذه القسوة للانتقال الى نظام جديد افضل ، امريحتاج الى اصرار والى خيال والى طموح •

واما النظام القديم الآخذ فى الزوال ، فهو ما يمكن ان نطلق عليه اسم عصر السيادة الامريكية Pax Americana ، واما النظام الجديد القادم، فلا احد يعرف كنهه ، بل ان فرص تحققه لا تزال محفوفة بالمخاطر • ولعل امكانيات بزوغ نظامجديد تكاد تتعادل مع فرص عودة النظام القديم ، بل اننا نلمح مظاهر استعادة النظام القديم لسطوته• فماذا حدث ؟

انهيار نظام النقد الدولى وافول السيادة الامريكية

يمكن ان نقول بانه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية الستينات عاش العالم ما يمكن ان يطلق عليه اسم عصر السيادة الامريكية ،كما عاش فى القرن الماضى عصر السيادة البريطانية Pax Britanic (٦) •

ويمكن القول ، بنوع من التبسيط ، ان نظام النقد الدولى كما وضع فى بريتون وودز ١٩٤٤ كان تقنينا لهذه السيادة الامريكية ، وان انهيار هذا النظام فى اغسطس ١٩٧١ كان ايذانا بمنازعة هذه السيادة وافولها ،وان اتفاق جامايكا فىنهاية ١٩٧٥ يعد تعبيرا عن وضع اللانظام الذى نعيشه الان ، مع توافر امكانيات العودة من جديد للسيادة الامريكية •

فماذا حدث بالضبط من خلال هذه التطورات ؟

قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية ، بدأ التفكير فى وضع نظام اقتصادى لما بعد الحرب • وقدم اللورد كينز (الانجليزى) اقتراحات لانشاء « اتحاد مقاصة دولى » ، يكون بمثابة بنك مركزى عالمى يخلق نقودا دولية ويدار على اساس دولى• ورفضت اقتراحات كينز ، واخذ بمشروع اقل خيالا وضعه اقتصادى امريكى (وايت)، ثم اتضح انه اكثر فاعلية فى تاكيد السيادة الامريكيه • وقد تمت الموافقة عليه فى بريتون وودز سنة١٩٤٤ فيما ادى الى قيام صندوق النقد الدولى •

ويقوم النظام بتقرير ثبات اسعار الصرف بين العملات علىاساس الذهب،مع امكان تقديم قروض قصيرة الاجل لمواجهة الاختلالات فى موازين المدفوعات •

وقد تحول النظام سريعا فى العمل الى الاخذ بقاعدة الدولار • فمعظم احتياطى العالم من الذهب كان موجودا آنذاك فى الولايات المتحدة الامريكية ، وكانت السلطات النقدية الامريكية تقبل تحويل الدولار الى ذهب لغير المقيمين بسعر ثابت (٣٥ دولار للاوقية) •

ومع حاجة كافة الدول بعد الحرب للاستيراد من الولايات المتحدة الامريكية لاعادة التعمير وشراء

---

6) James Crotty and Leonard Rapping, The 1975 Report of the President's Council of Economic Adviser: A Radical Critique, The American Economic Review, December 1975.

الاغذية ، أصبح الدولار مطلوبا في العالم كله • ولم يعد مطلوبا سوى خطوة واحدة حتى يصبح الدولار عملة دولية مقبولة في المعاملات الدولية ، ثم عملة الاحتياطي • ومعنى ذلك ان الدولار ـ لم يعد مطلوبا فقط للحصول على بضائع من الولايات المتحدة الامريكية ، وانما ايضا للشراء من اية دولة اخرى او حتى لمجرد الاحتفاظ به كاحتياطي • وهذا ما يجعل الدولار هو اساس المدفوعات الدولية • وبذلك تحولت الولايات المتحدة الامريكية لتصبح البنك المركزي للعالم • فما تصدره من دولارات لا يستخدم فقط للحصول على البضائع الامريكية ، وانما ايضا للحصول على اية سلعة في العالم بالنظر الى القبول الدولي للدولار •

وقد ادى قيام الدولار بهذه الوظيفة الى تحقيق مزايا ضخمة للاقتصاد الامريكي ، فامكن عن هذا الطريق تمويل جزء كبير من الاستثمارات الامريكية في الخارج دون تحمل اعباء حقيقية على الاقتصاد الامريكي ، وكان يكفي لذلك اصدار دولارات تستخدمها الدول الاخرى للتعامل فيما بينها او للاحتفاظ بها في الاحتياطي ،وهذا هو ما يسمى احيانا بالحقوق الاقطاعية المصدر والنقود Seigneurage Rights ، (لانها تشبه حقوق الاقطاعي في الاحتفاظ بجزء من قيمة النقد نظير سك النقود) •

ومن ناحية اخرى فقد لوحظ ان تحديد سعر الدولار بالنسبة للعملات الاخرى قد بالغ بعض الشيء في قيمة الدولار • وقد ساعد ذلك على تمكين الولايات المتحدة من الحصول على موارد من الخارج بقيمة منخفضة •

وقد استمرت هذه الاوضاع طوال الخمسينات وفي منتصف الستينات ، حيث بدات السيادة الامريكية تتزعزع لاسباب راجعة لتطور الاقتصاد العالمي من ناحية ولمشاكل نظام النقد الدولي الخاصة من ناحية ثانية وسياسات خاطئة امريكية من ناحية ثالثة •

فاما من ناحية تطور الاقتصاد العالمي • فان اعادة تعمير اوروبا واليابان لم تتوقف عند مجرد زيادة الطلب العالمي وخلق اسواق للانتاج الامريكي• بل بدات هذه الدول تنافس الولايات المتحدة الامريكية • وعلى اى الاحوال فان النظام كما وضع في بريتون وودز على اساس وجود قوة اقتصادية وحيدة في العالم لم يعد معبرا عن حقيقة الاوضاع . حيث بدأ تعدد مراكز الانتاج • وادى هذا التعدد والتنافس الى ادخال عنصر من عناصر عدم الاستقرار • فالملاحظ أن استقرار النظام الدولي كان يتطلب وجود قيادة واحدة غير متنازعة ومع ظهور التعدد بدات بعض مظاهر عدم الاستقرار تتضح • (٧)

كذلك فان تقويم الدولار باعلى من قيمته الحقيقية ، والذى ساعد الولايات المتحدة الامريكية في اول الامر ، لم يلبث أن تحول عبئا عليها حيث ساعد على زيادة منافسة الدول الاوروبية واليابان لها • وكما كانت المبالغة في تحديد قيمة الاسترليني ١٩٢٥ بعد الحرب العالمية الاولى بقصر نظام الذهب وسيطرة انجلترا ، احد اسباب انهيار النظام النقدى آنذاك ، فان المبالغة في تحديد قيمة الدولار اضرت بوضع الولايات المتحدة الامريكية ضررا بالغا •

اما نظام النقد الدولي ذاته فقد اظهر في العمل عددا من المشاكل التى لم تجد حلا والتى ادت في النهاية الى زعزعة السيادة الامريكية • فاذا كان النظام المقترح في بريتون وودز قد اعتمد ثبات اسعار الصرف كمبدأ اساسي، فان القائمين على صندوق النقد الدولي والسياسةالنقديةالعالمية قد بالغوا في تجميد اسعار الصرف باكثر مما ورد في اذهان واضعي اتفاقية الصندوق الذين كانوا يعينون نوعا من المرونة • ومع ذلك فانه لاينبغي اتهام هؤلاء المسئولين بالتشدد والجمود ، ذلك ان حركات رؤوس الاموال بين الدول زادت باحجام لم تكن متوقعة من واضعي اتفاقية الصندوق ، وكان من الضرورى التشدد في تثبيت أسعار الصرف خوفا من عمليات المضاربة •

وايا ما كان وجه الصواب ، فقد ادى جمود اسعار الصرف الى خلق عدد من المشاكل اهمها :

ـ عدم وجود جهاز اقتصادى لاعادة التوازن في موازين المدفوعات • فمع جمود اسعار الصرف من ناحية ورفض الدول اتخاذ سياسات داخلية تؤثر على البطالة من ناحية اخرى • استمرت اختلالات موازين المدفوعات دون حلول جذرية •

7) Charles P. Kindleberger, The World Depression: 1929-1939; Berkely, 1973.

ـ عدم كفاية وسائل المدفوعات الدولية (مع محدودية حجم الذهب) • ثم ظهور الدولار كعملة دولية •

ـ نتيجة لقيام الدولار بدور العملة الدولية ، وزيادة احتفاظ الدول الاخرى بالدولار في احتياطياتها زادت نسبة المطلوبات بالدولار بالنسبة لاحتياطي الذهب المتوافر لدى الولايات المتحدة • وهكذا بدات الثقة تتزعزع في امكانية تحويل الدولار دائما الى ذهب • وكان الاقتصادى الامريكي Triff n قد اشار الى خطورة هذا الوضع منذ اوائل الستينات (٨) فالاقتصاد الامريكي باعتباره يقوم بدور بنك العالم ، فانه ، ككل بنك ، لابد أن تزداد مديونيته • ولكن مع زيادة هذه المديونية لا بد وان تتزعزع الثقة •

وهذا ما بدا يحدث حين ظهرت بوادر العجز في ميزان المدفوعات الامريكي منذ نهاية الخمسينات وتاكدت منذ اواسط الستينات ، رغم ان وجود هذا العجز امر لازم للقيام بدور بنك العالم •

وبالاضافة الى هذه التطورات الديناميكية للاقتصاد العالمي من ناحية ولمشاكل نظام النقد الدولي من ناحية اخرى ، فقد ادى فشل السياسة الامريكية لمزيد من المضاعفات • وبوجه خاص فان استمرار حرب فيتنام الى نهايتها البائسة عسكريا من الخارج واقتصاديا في الداخل ادى الى تقويض السيادة الامريكية •

وكان اعلان حكومة نيكسون ايقاف تحويل الدولار الى ذهب في اغسطس ١٩٧١ اعلانا بنهاية نظام بريتون وودز وايذانا بافول السيادة الامريكية • ومنذ ذلك الوقت بدات الدول في تعويم عملاتها • وضاع الامل في العودة الى تثبيت اسعار الصرف (رغم محاولة اتفاقية سمبثونيان في مايو ٧٢) •

واذا كان ثبات أسعار الصرف مظهر وجود نظام قائم على سيادة أحد الاطراف (وهذا ما حدث طوال القرن الماضي مع سيادة انجلترا • وفي نهاية الستينات مع سيادة الولايات المتحدة) ، فان تقلبات اسعار الصرف او التعويم هو مظهر اختفاء هذه السيطرة والسيادة •

وجاءت اتفاقية جامايكا وقننت الوضع الجديد • فاتفاقية جامايكا (والتى وافق عليها محافظو صندوق النقد في باريس ١٩٧٦) تترك للدول الاعضاء حرية اختيار نظام الصرف • وبذلك فان الاتفاقية رفضت تبنى اتجاه العودة الى نظام ثبات أسعار الصرف ، كما رفضت الاخذ بشكل قاطع بنظام التعويم وتقلبات اسعار الصرف • وبذلك كانت تعبيرا صادقا عن وضع اللانظام الذى نعيش فيه •

المطالبة بنظام اقتصادى دولى جديد

ليس من قبيل المصادفة ان تنتشر الدعوة للمطالبة بانشاء « نظام اقتصادى دولى جديد » في السبعينات مع افول النظام السائد وظهور نوع من الفراغ • وليس من قبيل المصادفة ان تنجح دول الاوبك في رفع أسعار البترول في نهاية ١٩٧٣ ، وان يفشل مصدق في تاميم البترول في ١٩٥١ •

ان نجاح دول الاوبك في السبعينات انما يرجع بالدرجة الاولى الى تراجع السيادة الامريكية ، وتزعزع النظام الدولى ، كما كان فشل مصدق في الخمسينات بسبب السيطرة الامريكية وقوة النظام الدولى •

ومشاكل الدول النامية الحالية ترجع الى الاوضاع غير المستقرة للانظام السائد •

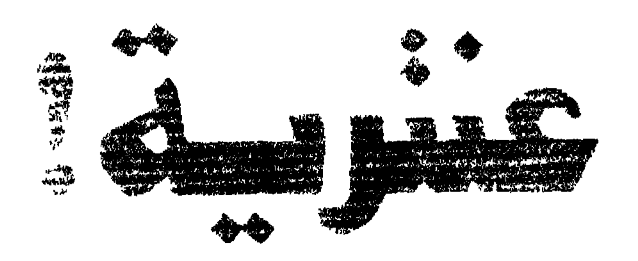
ونحن الان في مفترق الطرق • ان حيوية النظام الامريكي لا يمكن التهوين من شانها ، وعودة السيطرة الامريكية غير مستحيلة • فالدولار يستعيد مكانته ، والنفوذ الامريكي يكتسب مناطق جديدة • ومع ذلك فان التطورات التى لحقت العالم لا يمكن تجاهلها ، وعالم السبعينات يختلف عن عالم ما بعد الحرب • ولكن لا بد من مشروع بديل ونظام جديد ، فالفراغ وحده ليس حلا • ومع استقرار النظام ـ اى نظام ـ فان الكثير من مشاكل الدول النامية سوف يخف • ونامل ان يكون لدول العالم الثالث وخاصة الدول النفطية من الخيال اكثر من مجرد اقتناص فرصة فراغ او ثغرة او الاكتفاء من الغنيمة بما كسبت •

نامل بان تطمح الى عالم جديد ، يبرىء آلام الدول النامية في عقد السبعينات ! ■■

الكويت ـ حازم الببلاوى

---

8) Triffin, The Dollar Crisis, Yale, 1961



للشاعر : احمد اللغمانى



(١)

لبيض الوجوه : صناديد عبس ..
مفاخر عبس !
وللساحبين برود الدمقس ..
على البسط الفارسية امجاد عبس .
صناديد عبس :
جباه من العز تشرق فى كل رأس
لهم تسرج الصهوات الكريمة ...
بأسرجة ذهبية ،
وتكسى السيوف ...
بأغمدة لؤلؤية ،
لتنضى على نقرات الدفوف ،
وزغردة الحنجرات الرخيمة ...
اذا حل موسم نحر وكانت وليمة ،
او انطلقت رقصة السيف بين الصفوف ...
بليلة عرس .
أولئك أبطال عبس !
وهذا أنا ...
انا عنتر العبد ...
كنت نتيجة سهوة
رمت بأبى الحر فى ليلة مظلمة
بأعمق اعماق هوة ...
تردى لها مخدع لأمه ،



وهذا أنا ٠٠ !
أنا عنتر العبد ٠٠ احمل قيدى
نصيبى سواد بحظى وجلدى
واصبر صبرا جميلا ،
واكتم همى ،
وارثى لقومى ،
واحمل فى قلبى الطيب ٠٠٠
حماقات اهل أبى ،
وأسياد امى

(٢)

صناديد عبس :
يهبون حين تهب النسائم فى البادية
الى منتدى الحى فى طل رابية عالية
وفى كل شدق لفافة « قات » واكذوبة عارية
تفيض الحديث عن القوة الضاربة
تلاحق خلف مغازات عبس ٠٠٠
كتائب « ذبيان » مدبرة هاربة
كذلك كانت احاديث عبس
أكاذيب تنسج من لحمة واهية
اذا التأمت حلقة«القات» فى منتدى الرابية
لدى كل مغرب شمس ،
وابقى انا ٠٠٠

انا عنتر العبد •• اجثو على ركبتي
وقيدى يصلصل فى معصمى
اظل اشاهد سخف صناديد عبس ••
فيصّاعد الغثيان الى ناظرى
واصبر صبرا جميلا ،
واكتم همى ،
وارثى لقومى ،
واحمل فى قلبى الطيب •••
حماقات اهل ابى
وأسياد امى

(٣)

صناديد عبس :
ينامون ملء الجفون على الفرش اللينة
ينامون ، والشمس رأد الضحى
ويستيقظون ، واعينهم ماتزال تناغى
طيوف الكرى
فيقظتهم غفوة من سنه ،
اولئك ابطال عبس !
مخادعهم بؤر للخطايا
وغيران فسق ورجس ،
وحوش : يمصون نسغ الصبى من شفاه الصبايا
كواسر : يعتصرون الهوى من نهود السبايا•
اولئك أبطال عبس !
حرائرهم ينتظرن على عتبات الخيام •••
– واعينهن لهيب اشتياق – •••
ظهور خيول عتاق
سنابكها شرر من ضرام
تشق غبار الزحام ،
تقل شياطين لايسحبون برود الحرير •••
على البسط الفارسية
ولايحملون السيوف المرصعة اللؤلؤية
كما تحمل الغيد فوق الصدور •••
قلائدها الجوهرية •
وتحلم غادات عبس •••
بفرسان « ذبيان » ينتفضون انتفاض الرياح
يحلون بالحى قبل حلول الصباح •
وتسبى حرائر عبس
ويردفن خلف الغزاة على صهوات الجياد
وتخمد نار الحمية فى حى عبس ،
وتغدو رماد •
واذا ذاك يدرك ابطال عبس
بان الرجولة •••
ليست سيوفا مرصعة وبرود دمقس ،
وان الفحولة •••
ليست فروسية للتبرج فى يوم عرس •
وابقى انا •••
انا عنتر العبد ••احمل وحدى معرة عبس
وينفد صبرى ،
ويحتد غيظى ، ويملأ صدرى
وترتعد البيد من صرختى ،
وينتفض السيف من قبضتى ،
ويغبر يوم ، وتكسف شمس ،
ويشتد بأس ،
وتهوى رؤوس ، وترفع رأس •
واذ ذاك يزجع ابطال عبس
يجرون فى خيلاء برود الدمقس
على البسط الفارسية ،
ويمتشقون السيوف المرصعة اللؤلؤية
وابقى انا •••
انا عنتر العبد •• اكتم همى
وارثى لقومى
واحمل فى قلبى الطيب •••
حماقات اهل ابى ،
واسياد امى •

تونس : **احمد اللغمانى**

● حل مسابقة العدد ٢٢١ ●

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	س	ا	ن	ت	ج	و	ن	▼	ا	ل	ش	ا	ف	ع	ى
٢	ن	ج	م	ا	ل	ش	م	ا	ل	■	ب	ل	ا	ط	ه
٣	ح	ر	ى	ر	■	ى	ت	ب	ا	ه	ى	■	ج	ا	■
٤	ا	■	م	ك	و	ك	■	و	ص	م	ه	■	ن	ر	ى
٥	ر	■	ه	و	د	■	ب	ع	ى	د	■	ا	ر	د	ب
٦	ى	ب	■	ى	ع	ق	و	ب	ص	ن	و	ع	■	■	ا
٧	ب	ط	ى	ن	■	ط	ر	ى	■	■	ه	ا	س	ى	ر
٨	◄	ا	ب	و	س	ع	ى	د	ا	ل	ا	ص	م	ع	ى
٩	ا	ل	ح	س	و	ن	■	ا	ل	ا	ب	ى	ا	ت	■
١٠	ه	ه	ث	■	س	ا	ف	ل	■	ج	ى	ر	و	ن	د
١١	م	■	ن	ف	■	ق	ى	ث	ا	ر	ه	■	ى	ق	و
١٢	ل	ع	■	ا	ل	ص	د	ق	■	ا	■	س	ه	و	ل
١٣	ا	ل	ك	ر	م	■	ى	خ	ت	ن	ه	ا	■	ن	ف
١٤	ى	ن	ى	س	ح	ل	ا	ى	د	ج	م	■	ب	ه	ى
١٥	و	ا	د	ى	■	م	س	■	ل	■	س	ن	د	ا	ن

أبو سعيد الأصمعي

●

أبو عبيد الثقفي

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : أبو سعيد الاصمعي • تعلم في البصرة ، وحفظ لغة البدو • عهد اليه هارون الرشيد بتعليم ابنه الامين • من اشهر كتبه « كتاب خلق الانسان » ، و « كتاب الخيل » ، و « كتاب الابل » ، و « كتاب الاضداد » ، وله مجموعة شعرية تسمى بالاصمعيات •

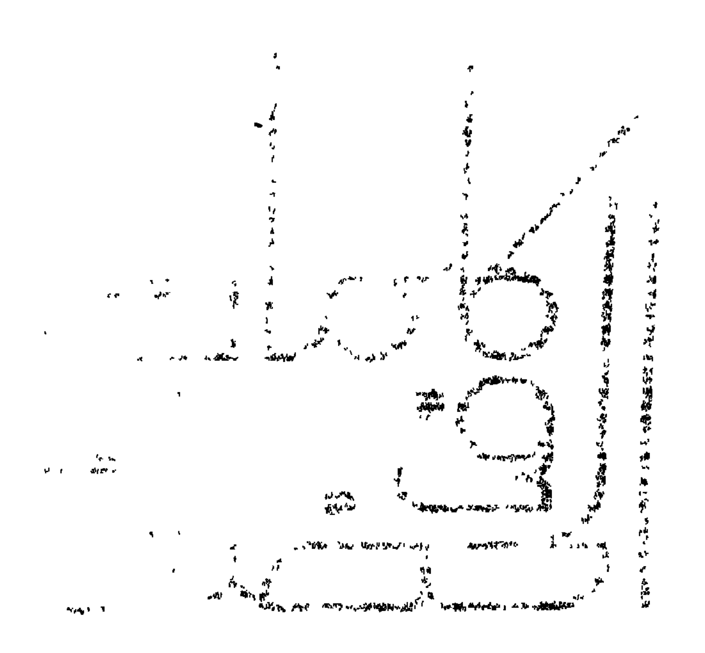
(٨) راسيا : أبو عبيد الثقفي • قائد من ابطال الفتوحات الاسلامية ، اوكل اليه عمر ابن الخطاب قيادة الجيش الزاحف الى العراق لقتال الفرس ، قتل في واقعة الجسر عام ١٣ هجرية •

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فازبها : احمد محمد احمد ابراهيم /شندى / السودان
- الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : احمد اسعد طريفي/بيروت/لبنان
- الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : سلطان محمد حربان/البحرين

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ احمد سليمان همام/المنصورة/مصر
٢ ـ محمد رافت الحصني/دمشق/سوريا
٣ ـ وسام بشير الدباغ/عمان/الاردن
٤ ـ عصام السيد احمد عاصم/الكويت
٥ ـ يونس عبد المحسن عامر/مصراتة/ليبيا
٦ ـ علي فضل علي/المعلا/اليمن الديمقراطي
٧ ـ مهدي برهان رفيق/الدوحة/قطر
٨ ـ احمد صالح الفرج/القطيف/السعودية



بقلم : الدكتور احسان هندى

هذه محاولة لالقاء مزيد من الضوء علـى قضية الحضارة ، التي أثارها رئيس التحرير في مقالات سابقة ، والتي تشغل في الوقت ذاته فكر الكثير من الباحثين والمهتمين بالمستقبل العربـى .

والجهد المبذول في هذا المقال يستهدف « التعريف » بالدرجـة الاولى ، حتى يكون الجميع على بينة مما يقولون او يتابعون .

■ ان افضل تعريف علمي للحضارة هو انها « جملة الانجازات الملموسة التى يقدمها مجتمـع من المجتمعات خلال عهد معين ، فى شتى مظاهـر الحياة من سياسية واجتماعية وعمرانية ودينية ، نتيجة لتفاعل ابناء هذا المجتمع مع البيئة التـى يعيشون فيها بشكل جيد » .

اى ان عناصر الحضارة الرئيسية هي : «البيئة الملائمة ، والانسان ، والحياة الاجتماعية .

وكلمة « حضارة » مشتقة فى اللغة العربية من « الحضر » ــ وهم سكان المدن والقصبات بعكس البداة الذين هم سكان الصحراء (١) . ونجد الكلمة فى اللغة اللاتينية مشتقة من نفس المفهوم تقريبا ، حيـث ان كلمـة « Civilisation » الفرنسية وكلمة Civilization الانجليزية مشتقتان من كلمة Civitas اللاتينية ومعناهـــا « مدينة » .

ومن هنا نستنتج ان مفهوم الحضارة مرتبـط بظهور مجتمعات المدن الاولى ، صغرت المدينة او كبرت ، دخلت فى نطاق دولة متحدة ام لم تدخل . ولذلك لا نرى باسا من قبول كلمة « تمدن » او « مدنية » كمرادف لكلمة حضارة خاصة وان بعض مؤرخينا القدامى قد استخدموها بهذا المعنـــى

---

(١) ينبغى فى هذا المجال تصحيح الخطأ الشائع حول ان اغلبية العرب قبل الاسلام كانوا مـــن البداة ، اذ ان القسم الاكبر منهم كان يسكن مدنا وحاضرات على شواطىء الجزيرة العربية فى مكة ويثرب ونجران واليمن وحضرموت والشواطىء الخليجية الشرقية .

(جرجي زيدان في « تاريخ التمدن الاسلامي » مثلا) ٠

هذا مع العلم ان بعض مؤرخي الحضارة وفلاسفة التاريخ يرون ـ على العكس ـ انه هناك فارق بين كلمة « حضارة » وكلمة « مدنية » حيث ان المدنية ـ في رأيهم ـ هي « الحضارة بعد ان تجف وتتحجر وتتوقف عن العطاء والابداع»٠(٢)

ونحن من جهتنا اذا كنا لا نفرق بين كلمتي « الحضارة » و « المدنية » فيجب ان نفرق بين « الحضارة » و « الثقافة » حيث ان الثقافة هي الجانب المعنوي ـ الروحي والعلمي ـ النظري من الحضارة التي تشمل الجانبين المادي والمعنوي معا ٠ وعلى هذا فالعلاقة بين الكلمتين ليست علاقة ترادف وانما علاقة شامل ومشمول بحيث نجد كلمة « حضارة » تشمل كلمة « ثقافة » والعكس غير صحيح ٠

اول الخلايا

واول خلايا المجتمعات الانسانية كانت هي « الاسرة » او « العائلة » بلا ريب ٠ وفي عصور التاريخ الاولى كانت الاسره مستقلة بذاتها تماما، حيث كان الاخ يتزوج باخته ، ثم اصبح يتزوج باخته غير الشقيقة ، ثم لما اكتشفت الاسرة وجود اسر اخرى مجاورة لها دفع هذا الاسر للتزاوج بين بعضها ، ومن هنا نشات العشيرة ٠

فالعشيرة هي ـ والحالة هذه ـ جملة اسر تترابط فيما بينها برباط الدم عن طريق المصاهرة والزواج ٠

ثم حدث ان بدات بعض العشائر تتجمع الى بعضها وتتحد في سبيل مصلحة مشتركه معينة (صد هجوم ، استثمار ينبوع ، تنظيم الصيد المشترك ، دفع خطر الفيضان ٠٠٠٠٠٠٠) فتشكلت « القبيلة » ٠

ومن هذا يمكن تعريف القبيلة بانها جملةعشائر ترتبط فيما بينها بمصلحة مشتركة معينة ، وهذا لا يمنع من ان تكون بعض العشائر التي تشكل القبيلة مرتبطة ايضا برباط المصاهرة فيما بينها بالاضافة الى المصلحة المشتركة ٠

ولما تم اكتشاف الزراعة بدأ الانسان بممارستها، مما جعله يرتبط بالارض بعد ان كان متنقلا ، وارتباطه هذا يجعله يفكر بالاستقرار والاقامة تحت سقف وفي احضان بيت ٠ وبما انه يعيش ضمن مجموعة (عشيرة او قبيلة) فقد ظهرت كتل من البيوت في مختلف المناطق التي تمارس فيها الزراعة ، وهذا ما ساهم في تكوين القرية ٠ ثم ساعدت الظروف قرية معينة على ان تبرز وتتسع وتقوى على حساب قرى اخرى (كان تتمتع هذه القرية بخصوبة زائدة في الارض ، او كونها مركزا لسوق تجاري ، او وقوعها على طريق مواصلات رئيسية ٠٠) فظهرت المدينة ، وكان المجتمع الحضاري الاول هو مجتمع مدن ، فالحضارة وجدت مع نشوء المدن ٠

وقد انضوت هذه المدن تحت لواء دولة واحدة (كما هو الحال في مصر الفرعونية) ، او بقيت مستقلة عن بعضها بحيث كانت كل مدينة تشكل دولة بنفس الوقت (مجتمع الدولة ـ المدينة) كما هو الحال في الحضارات السورية القديمة ، او الامرين معا كما هو الحال في حضارات بلاد مابين النهرين القديمة (الحضارة السومرية ، الاكادية، البابلية ٠٠٠٠٠٠) ٠

وعلى هذا يمكن القول بان الخلايا البشرية التي مرت فيها الحضارات كانت حسبما يلي : الاسرة ـ العشيرة ـ القبيلة ـ القرية ـ المدينة ـ الدولة ٠

متى نشات الحضارة الاولى ؟

يصعب اعطاء جواب دقيق على هذا السؤال ، ولكن يبدو لنا مع هذا انه يمكن اتخاذ احد التواريخ التقريبية التالية كنقاط علام اساسية لنتعرف على تاريخ نشاة الحضارة وهي :

٨٠٠٠ ق٠م : وهو تاريخ اكتشاف الزراعة

٣٥٠٠ ق٠م : وهو تاريخ اختراع الكتابة

٣٢٠٠ ق٠م : بدء التاريخ المكتوب ٠

ومن اصل هذه التواريخ الثلاثة نعتقد ان الاصحهو ربط بدء الحضاراتبالتاريخالاول ، اي عام ٨٠٠٠ ق٠م ، وهو تاريخ اكتشاف الزراعة والدليل على هذا هو ارتباط كلمة « ثقافة » Culture الفرنسية بكلمة «الزراعة» Agriculture ونجدالامر نفسه في اغلب اللغات الاوروبية الاخرى ٠

(٢) انظر مثلا كتاب الفيلسوف الالماني اوسفالداشبنجلر : « انحلال الغرب » في ترجمته العربية ـ ص ١٠٦ ـ ١٠٧ ٠

ويؤكد هذا الارتباط بين « الثقافة » و«الزراعة» الفيلسوف المعاصر « ويل ديورانت » في كتابه قصة الحضارة حيث يقول :

« واول صورة تبدت فيها الثقافة هي الزراعة، اذ ان الانسان لا يجد لتمدنه فراغا ومبررا الا اذا استقر في مكان يفلح تربته ويخزن فيه الزاد ليوم قد لا يجد فيه موردا لطعامه . في هذه الدائرة الضيقة من الطمانينة ـ اعني بها موردا محققا من ماء وطعام ـ نرى الانسان يبني لنفسه الدور والمعابد والمدارس (٣) .

المهد : الشرق الادنى

وبعد ان حددنا الاطار الزماني للحضارة سنحاول تحديد اطارها المكاني ، واول سؤال يتبادر الى ذهننا في هذا المجال هو : اين نشات الحضارة او الحضارات الاولى ؟

يتفق اغلب المؤرخين على ان الحضارات الاولى تمتد ضمن مثلث راسه في اليمن ، وقاعدته تمتد بين الصحراء اللوبية (ليبيا) في الغرب وجبال زاغروس التي تفصل بين بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس في الشرق ، اى ان موطن الحضارات الاولى هو جزيرة العرب ومصر وبلاد الشام وبلاد مابين النهرين .

وعلى هذا تكون الحضارات الاولى قد قامت في الشرق الادنى قبل ظهورها في اثينا بوقت طويل. ويعترف المؤرخ الشهير ويل ديورانت بهذه الحقيقة فيقول : « ان قصتنا ـ قصة الحضارة ـ تبدأ في الشرق لا لان آسية كانت مسرحا لاقدم مدنية معروفة فحسب ، بل كذلك لان تلك المدنيات كونت البطانة التاريخية والاساس للثقافة اليونانية والرومانية،وفي هذه اللحظة حيث تسرع السيادة الاوروبية نحو الانهيار ، وحيث تنتعش آسية بما يبعث فيها الحياة ، وحيث الاتجاه كله في القرن العشرين يبدو كانه صراع شامل بين الشرق والغرب ، في هذه اللحظة نرى ان التعصب الاقليمي الذى ساد كتابتنا التقليدية للتاريخ ـ التي تبدأ رواية التاريخ من اليونان وتلخص آسية كلها في سطر واحد ـ لم يعد مجرد غلطة فحسب بل ربما اخفاقا ذريعا في تصور الواقع ونقصانا فاضحا في ذكائنا » .

من فيكو الى ابن خلدون

وقد تعددت المذاهب التي تحاول ان تفسر خط نشوء الحضارات والاطوار التي تمر بها كل حضارة ، ولكن بوسعنا ان نعطي فيما يلي اهم الآراء حولها وهي اربعة :

● نظرية فيكو : حاول العالم الايطالي فيكو ان يحدد الصفات المشتركة العامة لنمو جميع الحضارات وتطورها اى قوانين التاريخ المستقلة عن كل تدخل خارق للطبيعة،وقد استخلص منذلك ان كل حضارة تمر في تطورها التاريخي بثلاثة عصور: عصر الالهة ـ عصر البطولة ـ عصر الناس .

وفي هذا العصر الاخير (عصر الناس) تضمر الحضارة ثم تضمحل وتنتهي .

● نظرية اشبنجلر : يرى الفيلسوف الالماني اشبنجلر في كتابه « انحلال الغرب » ان الحضارة تشبه اى كائن بيولوجي من حيث حياتها ، فهي تمر بثلاث مراحل هي : المولد ـ النمو ـ الانحطاط .

ويقول في ذلك بالعرف الواحد « تولد الحضارة في اللحظة التي فيها تستيقظ روح كبيرة وتنفصل عن الحالة الروحية الاولية للطفولة الانسانية الابدية ، كما تنفصل الصورة عما ليس له صورة، وكما ينبثق الحد والفناء من اللامحدود والبقاء ، وهي تنمو فيتربة بيئة يمكنتحديدها تمام التحديد، وتظل مرتبطة بها ارتباط النبتة بالارض التي تنمو فيها وان جميع الحضارات تمر بالادوار نفسها التي يمر بها الكائن الحي : فلكل طفولتها وشبابها ونضجها وشيخوختها » (٤) .

● نظرية توينبي : اما الفيلسوف الانجليزي ارنولد توينبيفيرىفي كتابه « دراسة التاريخ » ان نشوء الحضارة مرتبط بالنظرية التي سماها « بالتحدى والاستجابة » ، فهو يرى ان البيئة الطبيعية تتحدى الانسان ، فاذا استجاب الانسان لهذا التحدى بشكلجيد وموفق نشاتالحضارة والا على العكس .

ويضرب على ذلك مثلا بسكان المنطقة الافراسية (وهي المنطقة الكائنة في شمالي افريقية وجنوبي غربي آسية) حيث تعرضوا لحملة تحد منالطبيعة على صورة جفاف كامل وطويل الامد ، فاستجاب قسم منهم للتحدى بشكل ملائم حيث هاجروا الى

---

(٣) ويل ديورانت «قصة الحضارة » ج ١ ـ ص٥

(٤) اوسفالد اشبنجلر « انحلال الغرب » ج ١ ـ ص ١٠٦/١٠٧ .

حوض وادى النيل ومنطقة ما بين النهرين وانشاوا الحضارات التى غمرت هذه البلاد ورضخ القسم الاخر للجفاف فكانت استجابته للتحدى غير ملائمة، ولذا بقى من البداة بلا اية حضارة •

وعلى هذا اذا لم يكن هناك تحد من الطبيعة لا تظهر بالمقابل اية حضارة ، وفى هذا المجال يقول توينبى : « الرخـاء المفرط هو عـدو الحضارات اللدود ولذلك ظلتالشرائم البشرية فىنياسالاند وغيرها من المناطق الاستوائية الدافقة بالخيرات الطبيعية بدائية فى حياتها (٥) •

● نظرية ابن خلدون : ويرى علامتنا ابـن خلدون نظرية تشبه الىحد مانظرية فيكو واشبنجلر معا ،حيث يرى ان كل امة تكون اصلا بحالة بداوة ثم تدفعها الروح العصبية ـ التى تلازم البداوة عادة ـ الى التوسع فتنشىء ملكا (دولة) ،والملك ينتهى الى عمران (حضارة) بما يرافقه من علوم ومعاش • ثم يدور الزمن دورته فيذهب العمران لصالح امة اخرى تمر بحالة البداوة والعصبية •

ـ ونحن لا نريد هنا ان نتبنى اى راى من هذه الآراء الاربعة بحذافيره ، ولكن يهمنا ان نؤكد هنا انه مهمـا كان واقـع الحـال فـان الحضـارات الانسانية يمكن ان تتعايش مع بعضها بنفس الوقت، بمعنى انه ليس من الضرورى زوال الحضـارة القائمة لكى تقوم حضارة جديدة محلها فى مكانها او فى مكان آخر من العالم •

واسباب الانحلال ؟

كما تعددت الاراء فـى كيفية نشوء الحضـارة تعددت كذلك فى زوالها وانحلالها واسباب ذلك • وقد اخترنا رأيين من هذه الاراء لاننا وجدناهما اكثر عقلانية من غيرهما وهما راى توينبى وراى اشبنجلر •

● راى توينبى : تزول الحضارة ، حسب راى توينبى ، بتاثير احد العوامل التاليه :

اولا : الانشقاق فى كيان المجتمع : حين ينشق كيان المجتمع على ذاته بتاثير عـدم التوافق بين السلطة الحاكمة وبين الشعب المحكوم ، او نتيجة لصراع اهلى داخلى •

ثانيا : بتاثير البروليتاريا الداخلية : اى حين تحوى الحضارة جسما غريبا فـى داخلها يسبب باستمرار ضغطا عليها من الداخل ، فمثلا طبقة العبيد فـى روما لعبت دورا كبيرا فـى الاطاحـة بالدولة الرومانية والحضارة الرومانية معا (ثورة سبارتاكوس) •

ثالثا : بتاثير البروليتاريا الخارجية : حين تعمل شعوب مجاورة على الضغط على الحضاره مـن الخارج وسحقها (العثمانيون بالنسبة لبيزنطة مثلا)•

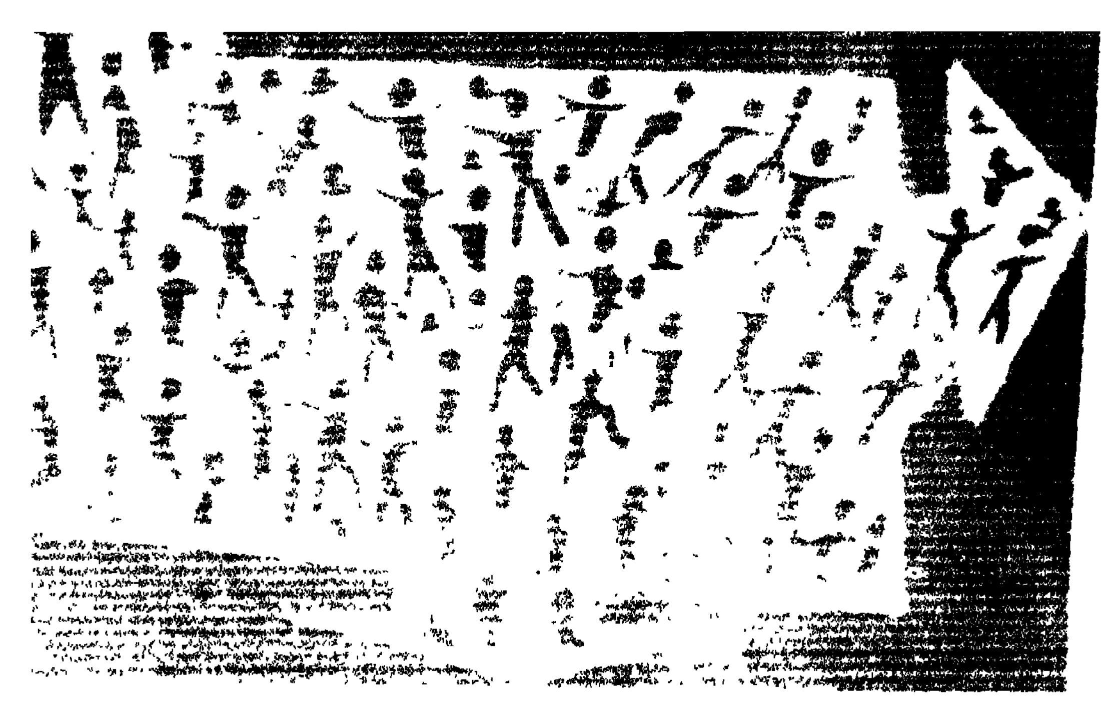
● راى اشبنجلر : تموت الحضارة حسب راى اشبنجلر ـ حين تكون الروح قد حققت جميع مابها من امكانيات على هيئة شعوب ولغـات ومذاهب دينية وفنون ودول وعلوم ، ومن ثم تعود الىالعالة الروحية الاولى • وعندمـا تنحل الحضارة امـا لاختناقها تحت تاثير روح اخرى اقوى منها ،او لانها حققت صورتها النهائية ، يجف دمهـا ويتحجـر كيانها فتصبح مدنية بعد ان كانت حضارة • وقد تظل ازمنة طويلة فى هذا الدور الى ان يدركها الموت » (٦) •

وعلى هذا يكون هناك عاملان لزوال الحضارة حسب راى اشبنجلر : بتاثير روح اقوى من روحها، اى قيام حضارة اقوى منهـا ـ او لانهـا حققت صورتها النهائية •

ونحن نميل الى تبنى الراى الثانى وذلك لانه حين ننظر متاملين للعوامل التى ادت الى سقوط حضارة مصر وبابل الانحلالى ، نجد انه عندمـا ضعفت روح المغامرة فى هاتين الحضارتين اسلمتا الصولجان لمن يغامر عنهما ويبنى فوق ما وصلتا اليه • اى عندما حققت الحضارة نزعة الامة ذاتها خلال المطلق والرمز وتنظيم الكـون والمجتمـع ، وحصلت على الثراء والرفاه الاجتماعى ، وصلت الى شعور الفتور العدمى امام انجازاتها ،وتحللت الرغبة فى الكشف والفتح واستمـرار الحماس للمثل الاجتماعية » (٧) • ■■

دمشق ـ احسان هندى

(٥) منح خورى « التاريخ عند توينبى » ـ دارالعلم للملايين ـ بيروت ١٩٦٠ ص ٢٩ •
(٦) اوسفالد اشبنجلر ـ مذكور قبلا ـ ص ١٠٦/١٠٧ •
(٧) عن يوسف الحورانى : « الانسان والحضارة »مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ص ٦٩ •



الزاحفون إلى

مشكلة عالمية

« لم يكن بالامكان اعادة عقارب الساعة الى الوراء • ولم تكن للعمال قدرة على وقف الزحف الصناعي وآثاره • وكان لا بد من الرحيل بحثا عن فرص جديدة في المدن » •

■ يقولون ان الهجرة ظاهرة لازمت الثورة الصناعية واستفحلت آثارها واخطارها مع التطور التكنولوجى للانسان • واقول انها ظاهرة قديمة منذ عرف الانسان وجوده فى البرارى والادغال، مطارِدا ومطارَدا ، ينتقل من منطقة لاخرى ، باحثا عن بيئة جديدة ، تعطيه المزيد من المأكل والمشرب وتمنحه الدفء والملاذ الآمن • وعندما يربط بعض الباحثين الهجرة بالثورة الصناعية، فانهم يقصدون الهجرة على نطاق واسع شامل • فهؤلاء الباحثون لايشيرون الى الهجرات بكل انواعها • وانما يركزون على نوع واحد بالذات ، بدأ تاثيره يشتد وعقاله يفلت • تلك هى الهجرة من الارياف الى المدن •

لقد ادت المكننة الزراعية واستخدام الالات على نطاق واسع فى الزراعة الى الاستغناء عن آلاف العمال فى الريف فتفشت البطالة بين تلك الايدى ، فساءت احوالها الاقتصادية ، وعندما يتدهور الوضع الاقتصادى يهتز التركيب الاجتماعى• وتشتد وطأة الحوافز والدوافع اما لتغيير ذلك الوضع او تركه • ولم يكن بالامكان اعادة عقارب الساعة الى الوراء • ولم تكن للعمال قدرة على وقف الزحف الصناعى وآثاره



ه ابو عياش

المدن

التكنولوجية ، فلم يقاوموا الالات الزراعية وانما رضوا بحقائقها • ولكنهم فى المقابل لم يكونوا بقادرين على تحمل المزيد من مشقة الحياة وشظفها فى الريف • فكان لا بد من الرحيل بحثا عن فرص جديدة •

ومدت المدن ايديها تتلقف الطرائد من بنى البشر ، مقدمة لهم مغرياتها بمصانعها وتجارتها وخدماتها • ومنحتهم حياة مثيرة لم يتعودوا عليها• فالمتاحف ودور السينما والنوادى وبريق المدينة واضواؤها جذبت ملايين البشر كالفراش يعشق مصادر النور • وانتقلت العدوى من المدن الى الارياف ، فهاجر الكثيرون بوعى وبلا وعى • واصبحت حياة المدن من المسلمات التى لا بد ان يوافق عليها كل انسان باحث عن الجديد والتجديد •

وعندما انتهت الاثارة وخفتت الاضواء ، واخذ البريق المضلل يخبو شيئا فشيئا ، عاد انسان المدينة الى ذاته ، ينظر بسخف الى ذاته التى ضللها سراب المدينة • ولم ينتبه الانسان الى خطورة ما قام به الا عندما اخذ يصحو على ضجيج الشوارع وازدحام الحركة ، وارهاق الحياة اليومية فى شوارع المدينة • فاصابه صداع من بعد صداع • واستنشق هواء ممزوجا بغليط من الغازات • وبدا يدب فى عروقه الحنين الى ايام الدفء والشمس فى مروج الارياف الوادعة الهادئة • وراح يمنى النفس بالعودة الى تلك الايام ، فهل يستطيع ؟ •

ومشكلة المدينة هى مشكلة ادمان • فساكنو المدن مدمنون متطبعون بحياتها • فهم كالمدخنين يكتسبون عادات تبدأ بسيطة ثم تتعقد • وهم اذا حاولوا التخلص منها وجدوا انفسهم عاجزين • وحياةالمدينة حياة ادمان، يدرك الكثيرون مضارها، وهم مقتنعون بان حياة الارياف افضل واجمل واهدا ، لكنهممغرمون بالمدينة عاجزون عن تركها• فقد تكيفوا بها واكتسبوا طباعها • فلم يعودوا قادرين على كسر الحلقة التى يعيشون بداخلها• واذا استطاع ذلك بعضهم فهم قلة قليلة •

وقد سبقتنا الدول المتقدمة الى مواجهة مشاكل الهجرة • ففى هذه الدول ، برزت المشكلة اولا بحجمها الكبير ومردودها الخطير ، مع اكتساح الآلة للمناطق الزراعية، وسيطرتها على الانتاج• ففى الولايات المتحدة ، واجه الجزء الجنوبى منها اخطر حركة لهجرة الايدى الزنجية من المناطق الزراعية الى المدن ، وخاصة من الجنوب ، حيث ساد الفقر ، وعانى ذوو البشرة الداكنة اصناف العذاب والاضطهاد• وكانت الهجرة باتجاه الشمال حيث سادت الليبرالية والتفهم ورفض التمييز العنصرى • ولم تكن هجرة الزنوج سوى ظاهرة ارتبطتبها عواملمنفرةادتالى الهجرة ،فالاضطهاد السياسى الذى تعرض له الزنوج فى مستنقعات الكره العنصرى فى الجنوب ، وما نتج عنه من تمييز اجتماعى ورفض للجنس الاسود ، كان دافع الهجرة الرئيسى • وقد عومل هؤلاء الذين بنوا الولايات المتحدة بعرقهم وكدهم واجسادهم معاملة اسوا من الحيوانات • فكانوا يجلدون بالسياط، ويحظر عليهم ارتياد اماكن البيض ، ويمنعون من رفع رؤوسهم امام البيض « الاسياد » •

واوضاعهم الاقتصادية كانت مزرية • فلم يحصلوا مقابل عرقهم وجهودهم ودموعهم سوى فتات « الاسياد » بل فتات كلاب اولئك الاسياد •

دوافع الهجرة فى الدول العربية

فالهجرة نتاج ظروف قهرية قاسية تفرض على الانسان مغادرة بيئته • ويميز الباحثون بين

نوعين رئيسيين من الهجرة : هجرة اضطرارية واخرى تلقائية • كما يصنف هؤلاء الباحثون عوامل الهجرة الى قوى دافعة Push Forces وقوى جاذبة Pull Forces والظروف المسببة للهجرة كما ذكرنا تتراوح بين مؤثرات سياسية واجتماعية واقتصادية • فهجرة عرب فلسطين كانت بسبب اضطهاد سياسي وتمييز اجتماعي • وهجرة اهل الصعيد والدلتا الى القاهرة كانت بحثا وراء فرص اقتصادية افضل • وكانت هجرة اللبنانيين من الجنوب نحو بيروت بسبب انهيار زراعة التبغ وتدهور اسعار الحرير الطبيعي • وتتعدى الهجرة احيانا النطاقات الاقليمية لتشمل دولا وقارات • فالهجرة الى الكويت ودول الخليج من مصر وسوريا والاردن والهند وغيرها ليست سوى نتيجة للجذب الاقتصادي الذي دعمه اكتشاف النفط •

حياة الريف وخدمات المدن

والذي يهمنا هنا بالدرجة الاولى الهجرة الداخلية من الارياف الى المدن • فهذا النوع من الهجرة ارتبط بشكل رئيسي بعامل اقتصادي • فحياة الريف تعتمد على الزراعة ، وعندما تسقط الامطار بكثرة يتحسن الموسم ويزداد الانتاج ، ويرتفع دخل المزارع ، اما عندما تقل الامطار ، ينخفض ناتج الارض ويسوء الموسم فيتدنى الدخل ويتدهور وضع المزارعين الاقتصادي •

وفي الجانب الاخر تقدم المدن اجورا اسبوعية او شهرية ثابتة ومضمونة • فهي خالية من القلق الاقتصادي الذي يعيشه ابن الريف ، خاصة في المناطق التي يكون المطر عماد حياتها • كذلك تقدم المدينة مغريات وخدمات ليست موجودة في الريف • وهذه المغريات هي القوى الجاذبة لسكان الريف • فالمدارس والمعاهد العليا والجامعات ، وفرص العمل المتنوعة ، ومراكز الادب والثقافة والفنون ، والمبتكرات الحديثة ، والصناعات والخدمات والمنتجات الاستهلاكية، ووسائل الترفيه الاخرى تتوفر في المدينة ، بينما يحرم الريف من معظمها •

فاذا اخذنا بغداد لوجدنا ان ٧٠٪ من السكان العاملين في الصناعة في العراق موجودون فيها • ويوجد في بيروت ٧٠٪ من مجموع الصناعات في لبنان (٧٠٥٤ مصنع من أصل ٩٣٨١ مصنع) • ويوجد في القاهرة حوالي ٤٠٪ من مجموع الصناعات المصرية ، كما يوجد فيها ٥٠٪ من التليفونات وحوالي ٦٥٪ من أجهزة التليفزيون في مصر • وتحتوي بغداد على ٦٠٪ من مجموع اطباء العراق ، ويوجد في الخرطوم حوالي ٦٠٪ من مهنيي السودان من الاطباء والمهندسين والمحامين وغيرهم •

التخلخل الاقليمي

ان هذا التركز الشديد لمعظم الخدمات في المدن يؤدي الى خلل في ما يسمى بالتوازن الاقليمي Regional Balance وعندما يستفحل هذا الخلل تزداد الهوة الاقتصادية والاجتماعية بين المناطق والاقاليم • وتبدأ عملية الهجرة من الارياف نحو هذه المدن لتعديل التوازن بين حاجات السكان وتركز الخدمات • لكن هذه الحركة ، على الرغم من محاولتها تعديل الاختلال ، تؤدي من ناحية اخرى الى تخلخل في توزيع السكان • فيحدث تعمير لمناطق على حساب مناطق اخرى • ويؤدي هذا الى تدهور الاوضاع الاقتصادية مرة اخرى ، لان الايدي المنتجة تتحول في النهاية الى أيد مستهلكة • وتصل الى الدرجة الحرجة عندما تتفشى البطالة،ويأخذ البنيان الاجتماعي بالانهيار•

الحل

لم يجد الباحثون حلا معقولا لحركة الهجرة من الارياف الى المدن سوى القضاء على تخلخل التوازن الاقليمي Regional Imbalance فقد تركزت معظم جهود المخططين الاقليميين والاقتصاديين وعلماء الاجتماع على ضرورة التخطيط لتطوير شامل لا يقتصر على المدن الرئيسية ، وانما يتعداها الى الريف : حتى المناطق التي لا تتوفر فيها امكانات تنمية ، يعمل المخططون على ايجاد الامكانات لها • وهدفهم في هذا ايقاف الهجرة • فهم يعرفون انهم لا يستطيعون حل ازمة المدن قبل حل ازمة الهجرة • فنحن لا نستطيع تنظيم مجرى مياه النهر قبل التحكم بجريانه وراء حاجز او سد •

فالجهد الرئيسي لهؤلاء المخططين ينصب على اعادة التوازن الاقليمي • وهذا ما طبق في

الولايات المتحدة • فبدات الحكومة الفيدرالية بالتخطيط التوازني لتنمية جميع الولايات بحيث تضيق الفجوات الاقتصادية بين مناطقها • ولهذا تجد فيالولايات المتحدة مناطق متخصصة بالمصائف والمشاتي • ومناطق خاصة بالصناعة ، واخرى بالزراعة • بينما يكون عماد الحياة لمناطق اخرى تجارة المفرق والجملة • وتقوم مدن لخدمة المناطق الزراعية • وتصبح المناطق الزراعية مرتبطة بمدن ومراكز تتبادل معها الخدمات • ويطلقون على هذه المناطق الريفية المناطق التكميلية Coplementary Regions

والعالم العربي

والعالم العربي لا بد ان يبدأ من هذا المنطلق• فعالمنا العربي اليوم يعاني من خلل خطير في التوازن الاقليمي • بل ان الخطر يزداد يوما بعد يوم • وهذا ما نراه في النمو المستمر للمدن الرئيسية من النواحي السكانية والتجارية والصناعية على حساب الارياف • ولقد اشرنا في مقال سابق الى انه يتركز في مدن كبغداد وعمان وبيروت اكثر من ٢٥٪ من سكان كل دولة من دول هذه المدن(١) ، فالعل لمشكلة الهجرة من الارياف الى المدن يمكن ان يتم باعادة التوازن الاقليمي فيتوزيع الخدمات والنشاطاتالاقتصادية بكل انواعها ، لكي تحتفظ كل منطقة ببواعث قوة تطويرها الاقتصادي والاجتماعي •

العودة الى الريف

وربما يسال سائل : فلنفترض اننا اوقفنا الهجرة من الريف • فماذا عن الذين هاجروا واستقروا في المدن ؟ كيف نرجعهم ؟ وكيف نعالج ادمانهم ؟

في الواقع ان الاجابة على هذه الاسئلة معقدة• فليس من المعقول ان تلجا دولة الى اخراج سكان المدن بالقوة وارسالهم الى الريف قسرا • لكن المخططين الاقليميين يأملون ، واملهم قائم على منطق ، وهو ان اعادة التوازن الاقليمي سيعطي للارياف فرصا اقتصادية جديدة • فتنجذب اليها الايدي العاملة ويتحرك نحوها جزء من سكان المدن •

وهناك حل آخر يعتمد على ما يسمى بآلية المدينة Mechanism • والمقصود بهذا التعبير تلك العملية الذاتية الطبيعية التيتعيد التوازن نتيجة تدخل عوامل جديدة • ومنطق العلماء في هذه الناحية انحياة المدينة اليوم لمتعد جذابة ومغرية كالامس • فالضجيج والتلوث والاختناق والازدحام اخذت تعمل كقوىمضادة تدفعسكان المدن لتركها• ولقد بدات هذه الآلية تعمل في بعض العواصم العربية • فالهجرة من مراكز المدن الى ضواحيها ليست الا مظهرا من مظاهر تاثير هذه القوى •

ومثل هذه الهجرة اخذت تبرز في الولايات المتحدة واوروبا • ففي لندن يعيش اكثر من ٦٠٪ من عمالها في الضواحي • وهناك حوالي ٥٠٪ من موظفي وعمال المدن الامريكية يعيشون في الضواحي والارياف القريبة من المدن والتي تبعد اكثر من نصف ساعة عن المدينة • ولقد كانت السيارة الخصوصية عاملا مهما في الهجرة المضادة من المدن الى الارياف • لكن هذا وحده لا يكفي ، ولا بد من اعادة التوازن الاقليمي ليشمل كل المناطق ومن فيها من الناس •

وماذا عن المستقبل

والدول العربية لا بد انتخطط لاقامة صناعات معينة في الريف ، كصناعة تعليب الفواكه والخضار • كذلك لا بد من تنمية المناطق المعزولة لاغراض الترويح السياحي • فالتخطيط لخلق توازن اقليمي ضرورة وطنية وقومية • فهو يؤدي الى القضاء على الفجوات الاقتصادية • وعندما تضيق هذهالفجوات تتلاشى بواعث التذمر والتوتر بين الافراد والجماعات طبقيا وجغرافيا • ويشتد الترابط في البنيان الاجتماعي ، حيث تأخذ الفوارق في الذوبان • فتسود المساواة وتنتشر روح المنافسة الشريفة ، ويصبح المركز المناسب للانسان الافضل •

وهكذا ياخذ المجتمع باسباب التنمية الشاملة والتقدم المتكامل ليصنع لنفسه وللآخرين صرحا حضاريا يكون عطاؤه لكل بني الانسان • ■■

عبد الاله ابو عياش
جامعة الكويت

---

(١) العربي ، مايو ١٩٧٦ ، ص ٧٢ ـ ٧٥ •

من يسبح ضد التيّار ؟

بمنتهى الزهو والاعتداد نتحدث دائما « عندما كنا » • نغالط ونعمم التعبير حتى نعطى انطباعا ان الذى نزهو به هو جهدنا جميعا ، وليس جهد غيرنا الذين رحلوا عنا منذ قرون • تختلف لهجة الحديث اذا وصلنا الى نقطة « كيف صرنا » ، وينقطع حبله تماما اذا اقتربنا من المستقبل ، وتورطنا فى السؤال : كيف سنكون ؟؟

باختصار ، فان لدينا الف اجابة لالف سؤال عن الماضى • وليست لدينا اجابة واحدة على سؤال يتيم حول المستقبل • منذ عصور الافلاس والتحلل هذا هو موقفنا ، الذى لم يتغير فى جوهره الى اليوم •

« لنر ما يقوله السلف » • هذا هو الرد التقليدى عند علمائنا • واذا سالت واحدا منهم ، وما رايك انت ؟ فان الاجابة السريعة التى تتوقعها وانت مغمض العينين هى : انا من راى شيخنا فلان رحمه الله !

كانما اريد لعقولنا ان تظل مشدودة للابد الى عالم القبور !

كانما سقط عنا التكليف ، وصار دورنا مقصورا على الحفظ والترديد والتقليد !

لقد عرف قاموس الفكر العربى عبر مراحله المختلفة اوصافا مثل اهل الحل والعقد ، واهل النظر ، لكن هذا القاموس اذا توقف امام عصرنا فلا اظنه يجد وصفا ادق ولا اجدر من اعتباره عصر « اهل الاحالة » •

نعم نحن اهل الاحالة بغير منازع !

مشكلاتنا محالة الى غيرنا • ثمة احالة فى السياسة ، فالحل بايدى غيرنا كما يقولون• وثمة احالة فى الاقتصاد ، فالانتاج لغيرنا والاستهلاك لنا ، وثمة احالة فى الفكر والفقه ، ذلك ان القدماء جزاهم الله خيرا ورثونا افكارا جاهزة فاحتفظنا بها وقمنا بتعليبها ، وهذه ثمار جهدهم نجنيها ، وفضل علمهم ننهل منه ونغترف بغير ملل •

فى النهاية ، اصبح الحال كما لا يخفى على أحد • صارت عقولنا تعمل فى اتجاه واحد : الاستقبال دون الارسال •

وكانت النتيجة اننا عرفنا وحفظنا كيف كنا ، لكننا نصاب بالوجل والحيرة عندما نسال : كيف سنكون ؟؟

ورحم الله فيلسوف التاريخ الاسلامى ابن خلدون ، الذى اطلق جرس الانذار فى وقت مبكر ، وحذر من داء « المحاكاة » ، ليس فى التفكير فقط ، ولكن فى السلوك ايضا ، واعتبره من تمام التسليم بالغلبة والهزيمة ، بل اول عوارض الفناء والتسليم على غير امل فى الخلاص •

•

ان تصبح اسيرا لفكر غيرك وسلوكه ، هذا ما حذر منه ابن خلدون •

وان تستخدم عقلك انت ، وحواسك انت ، فهما ما الح عليه العديد من العلماء والفقهاء المجددين • ذلك ان « شيوخنا رجال ونحن رجال » • وقد كان هذا هو رد اثنين من العلماء على الخليفة المستعصم عندما طلب من علماء الفقه فى المدرسة المستنصرية ان يوقفوا تدريس اى فكر بخلاف اقوال الائمة الاربعة • وهو ما سمى فيما بعد باغلاق باب الاجتهاد فى الفقه الاسلامى •



منذ ذلك الوقت (القرن السابع الهجرى) تمت عملية الحفظ والتعليب ، وتحول اغلب العلماء الى مجرد مستقبلين وملقنين ومقلدين ، وبدا العقل العربى اجازته الطويلة، ولولا تلك الومضات الباهرة التى مزق بها بعض فقهائنا حجب الظلام التى فرضت على العقل العربى ، لكان الحال الان اسوأ بكثير •

لقد كان هؤلاء الاعلام الكبار ائمة عصرهم ، ولكن البعض يظلمهم ويحملهم فوق طاقتهم ، ويريد لهم ان يصبحوا ائمة عصرنا ايضا •

فهذا ابو داود يروى عن الامام احمد بن حنبل قوله : « لا تقلدنى ولا مالكا ولا الشافعى ولا الثورى ، وخذ من حيث اخذوا » • ثم قوله : « من قلة فقه الرجل ان يقلد دينه الرجال » •

ويرى ابن القيم انه لهذا السبب لم يؤلف ابن حنبل كتابا فى الفقه ، وانما دوّن اصحابه وتلاميذه مذهبه من اقواله وافعاله واجوبته على اسئلة الاخرين •

وهذا الامام مالك يعرض عليه الخليفة الرشيد ان يلزم الناس بمذهبه فى الفقه ، ولكن الرجل ينهاه عن ذلك ، ادراكا منه لمخاطر الترديد والتقليد •

وهذا الامام الشافعى يقول اذا صح خبر يخالف مذهبى فاتبعوه ، واعلموا انه مذهبى • ويقول ايضا لتلاميذه اذا ذكرت لكم ما لم تقبله عقولكم فلا تقبلوه ، فان العقل مضطر الى قبول الحق •

وعندما قيل لابى حنيفة ، اذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه ؟ ••• فانه ذهب الى ابعد وقال : اتركوا قولى بخبر رسول الله • فقيل له : واذا كان قول الصحابة يخالفه ؟ •• عندئذ كان رده : اتركوا قولى لقول الصحابى •

وقد قالها الامام مالك بوضوح : انما انا بشر اخطىء واصيب ، فانظروا فى رايى ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه •

والامام محمد بن على الشوكانى يطرح القضية على الوجه التالى : فى القرن الثالث (الهجرى) ، وفيه ابو حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل ، لم يكن فى عصرهم مذهب رجل معين يتدارسونه • وان حدوث التمذهب بمذاهب الائمة الاربعة انما كان بعد انقراض هؤلاء الائمة • وقد كانوا (يقصد الائمة) على نمط من تقدمهم من السلف فى هجر التقليد وعدم الاعتداد به • وان هذه المذاهب انما احدثها عوام المقلدة لانفسهم ، من دون ان ياذن بها امام من الائمة المجتهدين •

والامام الشوكانى هو نفسه الذى قال : التقليد بدعة محدثة ، لاننا نعلم بالقطع ان الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن فى زمانهم وعصرهم مذهب لرجل معين يدرك ويقلد • انما كانوا يرجعون فى النوازل الى الكتاب والسنة •

والامام ابن القيم هو القائل : فى التقليد ابطال منفعة العقل •

ومن اقوال ابن حزم انه : « لا يحل لاحد ان يقلد احدا ، لا حيا ولا ميتا ، وعلى كل واحد من الاجتهاد بحسب طاقته » • وهو القائل ايضا : « التقليد كله حرام فى جميع الشرائع اولها عن آخرها » •

والامام ابو شامة الشافعى يعيب على المسلمين ان « اشتهرت المذاهب الاربعة ، وهجر غيرها ، فقصرت همم اتباعهم الا قليلا منهم • فقلدوا بعد ما كان التقليد لغير

الرسل حراما . بل صارت اقوال ائمتهم بمنزلة الاصلية ، وذلك معنى قوله تعالى : « اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله » .

ونستطيع ان نملأ صفحات وصفحات ، بحجج وأسانيد تستنكر تعاطى الآراء المحفوظة والمعلبة، اكتفاء بموقع الاستقبال ، وتحرض المسلمين والعلماء في مقدمتهم على ان يستخدموا عقولهم ، ويروا وافهم ، ولا يقفوا عند اقوال الاقدمين واجتهاداتهم .

فالامام جلال الدين السيوطى ـ مثلا ـ خصص مؤلفا لتاكيد هذه العقيقة عنوانه : « الرد على من اخلد الى الارض ، وجهل ان الاجتهاد في كل عصر فرض » وللامام الشوكانى كتابمفحم طرح فيه كل عناصر القضية عنوانه « القول المفيد في ادلة الاجتهاد والتقليد ». وكتب ابن القيم وابن حزم وابن تيمية ـ شيخ المجتهدين ، لا تستنكر فقط الوقوف عند آراء القدامى ، ولكنها حافلة بالممارسات الشجاعة التى بلغت قمة عالية فى الحرية العقلية التى نفتقدها الان .

●

هل رايتم احدا يؤجر على الغطا ؟

نفهم ان يثاب المرء اذا اجاد ، وان غاية ما يتوقعه اذا اخطا ان يغفر له . والا يعاقب ، ولكن المجتهد في الاسلام هو وحده الذى يؤجر اذا اخطا . والحديث الشريف الذى يعد المجتهد بانه « اذا اصاب فله اجران ، واذا اخطا فله اجر » .

هل رايتم تحريضا ودعوة ملحة الى ممارسة الحرية العقلية اكثر من هذه ؟

ان اغلب سور القرآن الكريم تبث هذه الدعوة في كل مناسبة ، تحاول ان تهز النفوس الخامدة والعقول الجامدة ، وتتساءل : افلا تتفكرون ؟ افلا تعقلون ؟ ..

ثمة كلام لا بد ان يقال ايضا فى الضوابط التى ينبغى ان تحكم العملية كلها ، بحيث لا يترك الباب مفتوحا لكل من هب ودب لكى يفسر ويؤول حسب هواه . وكتب الفقه والاصول مليئة بالشروح والايضاحات التى ترسم هذا الطريق بغير ليس . وهى تحدد من هو المجتهد ، واين يكون الاجتهاد . وتفرق بين حالتى توفر النص وغيابه ، وبين كلام الله وكلام البشر .

هذه حدود واضحة كما قلت ، لكن السؤال الذى نلح عليه هو كيف تكون هناك ممارسة حقيقية ضمن ذلك الاطار الموضوع ؟ كيف ينتقل العقل العربى من دور الاستقبال العاجز ، الى دور الارسال الايجابى والفعال ؟

يحتاج الامر الى رواد ، وربما شهداء . لان هؤلاء الذين يخوضون تلك المعركة سوف يسبحون ضد التيار . وهنا نذكر قصة الامام ابن دقيق العيد الذى طلب وهو فى فراش الموت ورقة من احد تلاميذه ، ثم طواها ووضعها تحت فراشه . وبعد وفاته فتحت الورقة فاذا بالشيخ الجليل يقول رأيا خشى ان يعلنه وهو حى ، يحرم فيه التقليد على علماء المسلمين !

اننا لا نريد ان نطفىء تلك المشاعل التى اوقدها الائمة والفقهاء عبر مسيرتنا الطويلة.

لكننا لا نريد ان تبهر اعيننا تلك المشاعل بحيث تحجب ما دونها ، بما فى ذلك مواقع اقدامنا . نريد فقط ان نستضىء بها ونتقدم الى الامام .

هل هذا مطلب صعب ؟؟

■■

فهمى هويـــدى

رحلة التدوين في الاسلام

■ ابو بكر اول من دعا الى تدوين القرآن وعمر بن عبد العزيز اول دعاة تدوين الاحاديث ●

■ موطأ مالك أول مؤلف في الفقه والرسالة للامام الشافعي اول ما كتب في علم الاصول ●



بقلم : الدكتور محمد فاروق النبهان

مدير دار الحديث الحسنية ـ الرباط

■ ليس من السهل على الباحث ان يحدد تاريخا دقيقا لبدء حركة التدوين في العلوم الاسلامية ، اذ من المؤكد ان هذه الحركة قد بدات بمحاولات فردية لتدوين بعض ما يود الانسان حفظه ويخشى نسيانه مما يحرص على الاحتفاظ به ، ولما كان القرآن الكريم قد كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جمع بشكله النهائي في عهدى ابي بكر الصديق وعثمان بن عفان فان البداية الاولى للتدوين الفردى قد اتجهت الى تدوين الروايات المنقولة عن الرسول الكريم ، ثم تدوين الاراء المأثورة المروية عن صحابته ، فيما يتعلق بتفسير القرآن وبيان الاحكام ، وهذه البداية هي نقطة الانطلاق لرحلة التدوين التي نشطت خلال القرن الثاني والثالث الهجرى بشكل كبير ...

فكرة التدوين :

لم تكن فكرة التدوين في العصر النبوى شائعة لانتشار الامية اولا ، ولضعف وسائل الكتابة ثانيا، ولورود نص واضح عن الرسول صلى الله عليه وسلم ينهى عن تدوين غير القرآن خشية ان يختلط ذلك بالقرآن ، ولهذا فقد كان جمهور الصحابة يرفض التدوين ما عدا نفر قليل سمح لهم الرسول بذلك ، واشتهروا بتدوين السنة فيما بعد ..

وكانت الغاية من ذلك النهى توجيه الاهتمام كله الى القرآن ، ومتابعة اياته حفظا في الصدور وتطبيقا عمليا لها ، وقد ادى ذلك الى الاحتفاظ بالايات القرآنية بعيدة عن اية شبهة فيما يتعلق بثبوتها ، مما دفع الخليفة ابا بكر

الى ان يامر زيد بن ثابت ـ بعد مقتل عدد من حفاظ القرآن في موقعة اليمامة ـ بجمع القرآن، نظرا لانه كان من كتاب الوحي ، ومن الصحابة المشهورين بالدقة والضبط في النقل والجمع، ويبدو ان زيد بن ثابت تردد قليلا في ان يفعل ما لم يفعله الرسول الكريم الا ان ابا بكر استطاع ان يراجعه حتى شرح الله صدره ، وعندئذ شرع في جمع القرآن ٠(١)

ولما كان الصحابة ليسوا في درجة واحدة من حيث القدرة على الفهم والحفظ والاحاطة بكل ما يتعلق بتفسير الآيات القرآنية من حيث معرفتهم بالمفردات اللغوية ومدلولاتها على الاحكام فقد رويت عنهم روايات مختلفة تتعلق بمعاني القرآن وبيان مفرداته واحكامه وحكمه ، وقد اشتهر عدد من الصحابة بتفسير القرآن ، من امثال عبدالله بن عباس ، وعلي بن ابي طالب ، وزيد ابن ثابت ، وابي بن كعب ، وعمر بن الخطاب ، وعبدالله بن مسعود ٠٠٠

وكان علماء الصحابة والتابعين يعتمدون في البداية على الحفظ والرواية ، الا أن الاعتماد على هذا المنهج ، اذا كان ممكنا في المرحلة الاولى ، فانه من الصعب الاعتماد عليه فيما بعد ، وبخاصة بعد ان تفرق الصحابة في الامصار الاسلامية ، وازدهرت الحركة العلمية ، وتعددت المدارس في كل من المدينة ومكة والكوفة، واصبح التدوين ضرورة ملحة لضبط الروايات المأثورة ، حفظا لها ، وضبطا لمدلولاتها ،وبخاصة بعد ظهور حركة الوضع في الحديث التي استهدفت نسبة روايات مكذوبة الى الرسول وصحابته ، بهدف تضليل المسلمين ، وتعميق جذور الفتنة في المجتمع الاسلامي الوليد ٠٠٠

أولا : تدوين السنة :

لم تدون السنة النبوية في عصر مبكر ، وكان الاتجاه العام بين الصحابة يميل الى كراهية تدوين السنة ، بالرغم من شعورهم بضرورة التدوين وخشيتهم على السنة من الضياع(٢)، وكان السبب الوحيد الذي يحول دون تدوينهم للسنة ما رواه ابو سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه (٣) ٠

وهذا النص العام يفيد منع التدوين بشكل قاطع ، الا أن هناك نصا اخر يفيد أن التدوين بعد ذاته ليس ممنوعا ، وان المنع لا يفيد العموم، فقد سمح الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة بالتدوين ، ومن ذلك ما رواه عبدالله ابن عمرو بن العاص اذ قال : كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم اريد حفظه ، فنهتني قريش ، وقالوا : تكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فامسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاوما باصبعه الى فيه وقال : « اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه الا حق » وهناك احاديث اخرى تفيد جواز التدوين (٤) ٠٠

ويمكننا من خلال الجمع بين النصوص الواردة في النهي والاباحة ان نستنتج ان النهي لم يكن مقصودا لذاته،وانه انما كان خاصا حيث يخشى منه على القران ، فلما اصبحت الخشية غير واردة لامكان الفصل بين القرآن والسنة ، واشتهار الصحابة بكتابة القرآن او كتابة السنة لم يعد حكم النهي قائما ، ولهذا فقد اتجهت الانظار نحو التدوين ، الا ان ذلك الاتجاه لم يخل من قليل من التردد عند بعض الصحابة ٠٠٠

ونلاحظ عند كبار التابعين انهم كانوا يكرهون فكرة التدوين اصلا ، وربما كانوا يخشون أن تنقل آراؤهم فتختلط بالسنة النبوية ، وربما كانوا يخشون احتمال الخطا فيها ، وكثيرا ما كانوا يامرون

---

(١) انظر صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن٠٠٠

(٢) تشير الروايات الى ان عمر بن الخطاب اراد أن يكتب السنن فاستفتى اصحاب الرسول في ذلك فاشاروا بان يكتبها ثم مضى يستخير الله شهرا ثم اصبح يوما وقد عزم الله له فقال . اني اريد أن أكتب السنن ، واني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا . فانكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، واني والله لا أشوب كتاب الله بشيء ابدا ٠ (٣) رواه مسلم ٠٠٠

(٤) سنن الدارمي جـ ١ ص ١٢٥ ٠

تلاميذهم بعدم كتابة آرائهم ، الا أنهم ، بدأوا فيما بعد يتقبلون بالتدريج فكرة التدوين.

وتشير المصادر التاريخية أن العلماء الذين كانوا يعيشون على رأس القرن الهجري الاول ابتدءوا يشعرون باهمية التدوين ، ويحضون تلاميذهم على تدوين ما يحفظونه من روايات ، فالحسن البصري يقول : « ان لنا كتبا كنا نتعاهدها ، عمر بن عبد العزيز يكتب الحديث وعطاء بن ابي رباح يكتب لنفسه ويامر ابنه ان يكتب له ، وكان يقول لتلاميذه : تعالوا اكتبوا ، فمن كان منكم لا يحسن الكتابة كتبنا له ، ومن لم يكن معه قرطاس اعطيناه من عندنا (٥) »

بداية التدوين العام للسنة :

يبدو أن حركة الوضع في الحديث لم تترك الخيار للعلماء في قبول او رفض فكرة التدوين ، واصبح الاتجاه العام يميل الى قبول التدوين والتشجيع عليه والمساهمة فيه ، ويروى عن ابن شهاب الزهري انه قال : « لولا أحاديث تاتينا ننكرها ولا نعرفها ما كتبت حديثا ولا اذنت في كتابة » ، وعند ذلك قام الخليفة الاموي الورع عمر ابن عبد العزيز باول دعوة رسمية عامة الى جمع الحديث وتدوينه ، وكتب الى واليه على المدينة « ابى بكر محمد بن عمرو بن حزم » كتابا يامره فيه بكتابة الحديث وجمعه ، وقال له فيه : اكتب اليّ بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحديث عمرة ، فاني خشيت دروس العلم وذهابه ، ولم يكتف الخليفة بهذا ، وانما اوسل كتبا اخرى الى الامصار الاسلامية يامرهم فيها ان يتوزع العلماء في المساجد لاحياء السنة ، وكان من اوائل من استجاب لنداء الخليفة ابن شهاب الزهري » ، ويقول عن نفسه : لم يدون هذا العلم أحد قبل تدويني (٦) » الا ان رحلة تدوين السنة اذا كانت قد بدات بشكل رسمي في عهد عمر بن عبدالعزيز على رأس القرن الاول الهجري فان من المؤكد ان هذه الرحلة لم تنته بسهولة ويسر ، وانما اصطدمت بعقبات كثيرة ، وكان لابد من ظهور علم جديد سمي بعلم مصطلح الحديث ، غايته تمكين رجال الحديث من تدوين السنة بطريقة صحيحة بحيث يتمكن المحدث من تمييز الحديث الصحيح من غيره عن طريق اعتماده على منهج استقرائي في منتهى الدقة يستهدف البحث عن الرواة ، وتصنيف ما يروى عنهم من أحاديث بحسب درجة عدالتهم ..

تدوين الفقه :

من المؤكد أن حركة التدوين الفقهي بدات بعد التدوين الرسمي للسنة ، اذ لم يكن من الممكن ان يزدهر التدوين الفقهي قبل تدوين السنة ، لان السنة هي الاصل في التدوين ، وهي الاساس الذي انبنى عليها الفقه ، وقد انطلق التدوين الفقهي في صورته الاولى كنوع من التدوين المنظم للسنة ، من حيث تقسيمها موضوعيا الى أبواب وفصول ، وبيان معانيها المستفادة منها ، وربط ذلك بالنصوص القرآنية ...

ومن الصعب التمييز في القرن الاول الهجري بين رجال الحديث ورجال الفقه ، ولم يكن ذلك الفصل قائما بين العلوم الشرعية بالصورة التي بدات فيما بعد ، واننا لنلحظ ترابطا وثيقا بين التفسير والحديث والفقه ، فالتفسير المأثور الذي يمثل الصورة الاولى الاكثر أهمية في علم التفسير لا ينفصل عن الحديث والرواية ، لاعتماده الكلي على الروايات المأثورة ، والفقه هو النتاج العلمي الذي يمثل الاحكام المستفادة من القرآن الكريم والسنة ، ولهذا فان تدوين السنة يمثل الخطوة الضرورية الاولى للتدوين الفقهي ، بل ان التدوين الفقهي في صورته الاولى لم يكن سوى السنة ..

ولو تتبعنا الروايات التاريخية المتعلقة بنشاة التدوين الفقهي لوجدنا أن التدوين الاول للفقه كان قاصرا على تدوين مسائل فقهية في العبادات والاموال والارث والاسرة ، وكانت تلك المسائل والاحكام معروفة ومحفوظة منذ عصر الرسول والصحابة ، فلما ابتدات ظاهرة التدوين ابتدأ العلماء بتدوين تلك المسائل لتثبيتها وتعميم الاستفادة منها ، ومن اهم تلك الكتب الاولى في الفقه ، كتاب المسائل في الفقه لمكحول الشامي

---

(٥) انظر اصول الحديث للدكتور محمد عجاج الخطيب ص ١٧٠ ــ ١٧١ طبعة دار الفكر الحديث بيروت .

(٦) نفس المصدر السابق .

المتوفى سنة ١٥٠/هـ ، وكتاب المسائل فى الفقه للاوزاعى المتوفى سنة ١٥٩/هـ ، وربما تكون هناك كتب أخرى فى المسائل الفقهية منسوبة الى قائلها . وهذه الكتب قد تكون اقرب الى كتب الحديث من كتب الفقه ،لان الفقيه يعرض فيها ما يحفظ من الاحاديث وفق ترتيب موضوعى يراعى فيه أن تكون احكاما لمسائل فقهية ...

أول تدوين فى الفقه :

تميل معظم المصادر التاريخية الى اعتبار كتاب « الموطأ » للامام مالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ هـ ، أول تدوين فى الفقه ، فهو كتاب يجمع بين الحديث والفقه ، فيعرض مؤلفه الاحاديث الواردة فى المسالة الفقهية الواحدة ، ثم يذكر عمل أهل المدينة وآراء الصحابة والتابعين ،ثم يرجح بين تلك الاراء مبينا الحكم الشرعى الذى يستنبطه من مجموع تلك الادلة ، ولعل الجديد فى كتاب « الموطا » انه يختلف عن الكتب المدونة فى السنة التى سبقته ، فى تدوينه للحديث بقصد الاستدلال به على الحكم الشرعي ، ولهذا اعتبر هذا الكتاب كتاب فقه ، وليس كتاب حديث ، وهذا المنهج الجديد فى التدوين الفقهى قد مكن لهذا الكتاب أن يشتهر فى الأوساط العلمية فى عصره ، مما دفع الخليفة الرشيد لان يعرض على مؤلفه أن يجعل كتاب « الموطا » قانونا رسميا يلزم القضاة بالعمل بمقتضاه ، الا أن الامام مالك رفض ذلك خشية التضييق على الناس (٧) ...

واذا كان المؤرخون يميلون الى اعتبار كتاب « الموطا » اول تدوين للفقه ، فان هذا الاعتبار لا ينفي وجود محاولات للتدوين الفقهى محدودة ، ظهرت قبل تدوين « الموطا » كالتدوين للمسائل الفقهية ، وكتدوين بعض آراء الصحابة والتابعين ، الا أن تلك المحاولات كانت محدودة الأثر ، وربما كانت اقرب للتدوين فى السنة من التدوين الفقهى ، ولهذا لم تشتهر فى الاوساط العلمية كاشتهار كتاب « الموطا » وربما لان واضعيها لم يستطيعوا ان ينشروها فى الأوساط العلمية ، فظلت خافية ، ثم اندثرت مع كثير من الآثار العلمية التى لم يكتب لها الظهور ...

شبهات حول كتاب المجموع للامام زيد :

يرى علماء الشيعة أنهم كانوا أسبق فى التدوين الفقهى من علماء السنة ، ويعلل بعض المؤرخين المعاصرين ذلك بأن اعتقادهم بعصمة الأئمة او ما يشبه العصمة سوف يجعلهم اكثر حرصا على تدوين كل ما يصدر عن ائمتهم من فتاوى وأقضية (٨) ...

ومن أقدم الكتب المدونة فى الفقه فى نظر علماء الشيعة « كتاب مجموع الفقه » المنسوب للامام زيد بن علي بن الحسين المتوفى سنة ١٢١/هـ ، وهناك كتاب اخر منسوب الى الامام زيد هو « مجموع الحديث » ، ومن المؤكد ان الامام زيد قد توفى قبل اكثر من خمسين عاما من وفاة الامام مالك ، ولو صحت نسبة كتاب « المجموع » اليه لكان اول تدوين فقهي على وجه التاكيد .

ونقطة الخلاف فى كتاب « المجموع » تنطلق لا من الكتاب ذاته ، ولكن من الاختلاف فى عدالة الراوى الوحيد لهذا الكتاب وهو « عمرو بن خالد الواسطى»، فقد تفرد هذا الراوى بنقل هذا الكتاب عن الامام زيد فمن العلماء من اعتبره ثقة وقبل روايته كعلماء الزيدية ، وابن ماجة والدارقطنى، ومنهم من جرحه واعتبره غير ثقة ، ورفض روايته ، كعلماء الامامية واحمد بن حنبل ...

ويبدو ان هناك عوامل خارجية قد اثرت على الحكم على « الواسطى » فمنعت من الحكم عليه موضوعيا وفقا لمعايير الجرح والتعديل ، فمن شكك فى نسبة « المجموع » الى الامام زيد وجد دليله فى تفرد « الواسطى » فى نقل الكتاب عنه دون بقية تلاميذ الامام زيد ، ومن المفروض أن ينقل هذا الكتاب بشكل متواتر لمكانة الامام زيد أولا ، ولاهمية الكتاب كاول تدوين فقهي منظم ، الا ان أنصار المذهب الزيدى يدافعون عن هذه الشبهة بان مقتل الامام « زيد بن على » على يد الامويين بعد خروجه عليهم قد دفع الامويين للاساءة

(٧) انظر ضحى الاسلام لاحمد أمين جـ ٢ ص ٣١٢ .

(٨) انظر تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية للاستاذ مصطفى عبد الرازق ص ٢٠٢ .

ذلك من انتسب الى الامام الشهيد فضلا عن ان اراءه قد ضاعت بعد تشتت اتباعه وملاحقتهم والاساءةاليهم ، ولو كان « الواسطى » مطعونافيه فان علماء الزيدية هم أولي الناس بنقده ورفض ما ينسبه الى امام منهبهم (٩) ...

والى جانب النقد الموجه الىسند ورواية كتاب « المجموع » ، فهناك نقد آخر موجه الى متن كتاب المجموع ، فمن الملاحظان كتاب المجموعالذى جاء قبل كتاب الموطا باكثر من نصف قرن يعتبر على درجة كبيرة من الدقة والترتيب والتصنيف الفقهى مما يؤكد تاثره بمنهج فقهاء المذهب الحنفى ، وهذا دليلعلى انه قد دون فى وقتمتاخر عن الوقت الذى عاش فيه الامام زيد (١٠)

ويذهب الدكتور محمد يوسف الى عدم الاطمئنان الى صحة كتاب المجموع ونسبته الى الامام زيد وعدم اعتباره أول تدوين فى الفقه ، ويعتمد فىهذا على دليلين‌احدهما يتعلقبالراوىمن حيث عدم الثقة بروايته ، وثانيهما يتعلق بالمتن، ويؤكد هذه الشبهة المتعلقة بالمتن بما رواه المستشرق « برجشترا سر » حول كتاب المجموع بقوله : ان المجموع يصور لنا مجموعة لفقيه شيعى عراقى لم يتدرب الدربة الكافية ، وقد استقاه من مصادر سيئة محيطة به ، كما ان تعاليمه الخاصة تظهر فيها المواد الغريبة غير الاصيلة المضافة اليه ، فهو يضع امامه الفقه السنى الموجود فى هذا الوقت فى ازدهاره الكامل ، وان لم يقدم لنا الا نبذا قليلة جدا منه (١١) .

ويخالف الاستاذ محمد ابو زهرة هذا الاتجاه ، ويميل الى ترجيح نسبة كتاب المجموع الى الامام زيد ، ويشك فى الطعن الموجه الى « الواسطى » بان مبعثه الاول هو الاختلافات المذهبية بين فقهاء الزيدية وفقهاء الامامية ، اما فيما يتعلق بالمتن فانمنالمؤكد ان « الواسطى » قد توفى قبلتدوين الفقه العراقى بالطريقة المنظمة مما ينفى احتمال التاثر (١٢) ...

ومهما يكن من امر ، فان من المؤكد ان كتاب المجموع ـ سواء صحتنسبته الىالامام زيد او لم تصح ـ يعتبر من الكتب الفقهية الاولى التى يعتز بها الفقه الاسلامى بشكلعام والفقه الزيدى بشكل خاص ، وسيبقى « ابو خالد الواسطى » الراوى الوحيد لهذا الكتاب العظيم ، واذا كان هذا الراوى قد ادخل عليه بعض التعديلات فى شكله وتقسيمه فان هذا لا ينفى صحة نسبة آرائه الى الامام الشهيد الذى يمثل بحق الشخصية العلمية الفريدة فى عصره ...

ثالثا : تدوين علم أصول الفقه :

لم يكن علم اصول الفقه معروفا كعلم متميز قبل عصر الشافعى ، فمن المؤكد أن الامام محمد ابن ادريس الشافعى ١٥٠ ـ٢٠٤ هـ ، هو أول من دوّن فى علم الاصول ، وقد دوّن كتابه المشهور « الرسالة » ليعبر به عن منهجه الاصولى فى استنباط الاحكام ...

وهذا لا يعنى أن الفقهاء الذين جاءوا قبل عصر الشافعى لم تكن لهم قواعد اصولية يلتزمون بها فى استنباطهم للاحكام ، فمن المؤكد ان لكل فقيه قواعده وأصوله التى تعبر عن منهجه الاجتهادى وتلك الاصول هى التى تميز المناهج الاجتهادية وتجعلها مختلفة ومتباينة . وان من يتابع بدقة مناهج علماء الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من الفقهاء فانه سوف يجد التزام كل منهم بمنهجمتميز عن غيره، ومن السهل علينا أن نحدد معالم تلك المناهج وأصولها وقواعدها ، الا أن تلك الاصول لم تكن مدونة ولم تكن معروفة كعلم مستقل متكامل كما حدث فيما بعد ...

ومن أهم الاسباب التى ساعدت الامام الشافعى علىتدوين قواعده الاصولية وضوح رؤيته بالنسبة لاستنباط الاحكام ، وقد مكنته تلك الميزة من أن ينطلق فى تدوينه للقواعد الاصولية ليكون بذلك

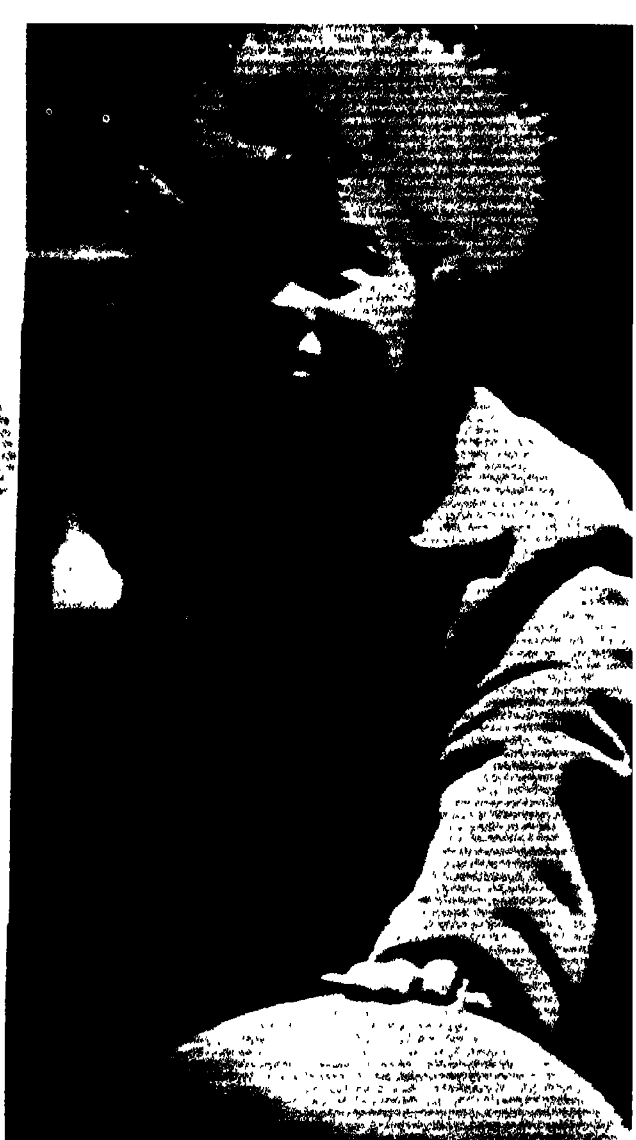
« البقية ص ١٤٣ »

(٩) انظر الامام زيد للاستاذ محمد ابو زهرة ص٢٣٢ ـ ٢٥٨ .

(١٠) (١١) انظر تاريخ الفقه الاسلامى للدكتور محمد يوسف موسى ص ١٩٧ .

(١٢) انظر الامام زيد ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .

سر هالات النور التي تظهر فجأة فوق الرؤوس



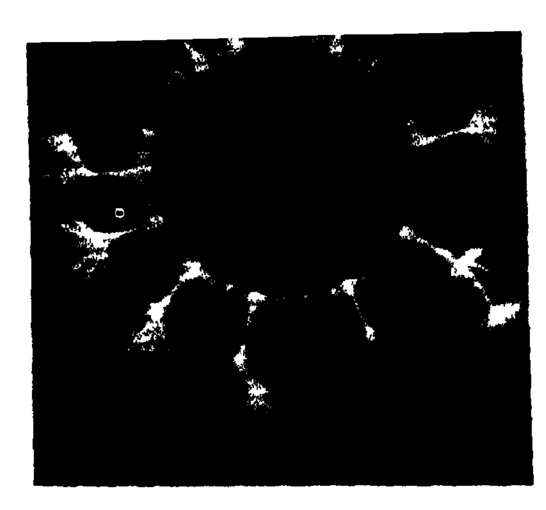
وقف الشعر عن آخره وانتفش واكتسب شكلا مضيئا بسبب شحن الفتاة نفسها بكهربية ساكنة من مولد تضع عليه يدها ، وتقف بمعزل عن الارض ٠

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

قد تقول : انني لم أرها ، وعليه فلا أستطيع لها تعليلا ، ثم قد تردف وتقول : ان ظهور هالة من نور حول رأس انسان ، انما هي دليل على صلاح وتقوى ، ولا بد أن تكون من الكرامات والمعجزات التي اختص بها الله بعض عباده المخلصين !

ونضيف نحن ايضا الى هذا التعليل ان هالات النور التي رسمها الرسامون حول رؤوس القديسين منذ أمد طويل ليست من وحي الخيال ، فلقد ظهرت هذه الهالة بالفعل على رؤوس بعض الناس تحت

■ لنفرض أنك كنت تتجول في الخلاء ليلا ، ومن بعيد شاهدت هالة من نور تحيط برأس انسان يجلس على ربوة ، فاذا قام وتحرك ، تحركت معه هالة النور ، وأصبحت ملازمة له كظله ، لكن هذه الهالة النورانية العجيبة قد تظهر أيضا حول يديه ، وقد تختفى ثم تظهر ، ولنسالك بدورنا سؤالا محددا : لو أنك شاهدت تلك الظاهرة العجيبة .. ظاهرة النور الذى يشع من انسان ، كلما جلس أو سار ، فماذا سيكون تعليلك لها؟ .. ثم ماذا ستظن فى الانسان الذى حملها ، وبها قد أضاء ؟!





حتى الغازات يمكن ان تتوهج بالكهرباء الاستاتيكية وترسم لنفسها هالات مضيئة كالتى نراها هنا . الصورة اليمنى لغاز الفيريون واليسرى لغاز النيتروجين مع رابع كلوريد الكربون .

حالات خاصة ، ولما رآها الآخرون ، قالوا : معجزة وكرامة ، ولهذا وضعوها حول كل رأس ظنوا صاحبها من القديسين او المقربين الى الله !

لكن هذه الظاهرة المحيرة لا شأن لها بقديسين ، ولا ولايات او كرامات او معجزات ، لانها قد تظهر أيضا فوق رؤوس الحيوان ، وهامات النباتات ، او صوارى السفن ، او القباب المرتفعة ... الخ ، ولقد استطاع العلم تعليلها ، بعد ان عرف الاسباب الكامنة من ورائها ، ولهذا انتفت معجزتها .. فسبب كثرة المعجزات فى العصور القديمة ، ان الظواهر الطبيعية قد تجلت للانسان فى صور محيرة ، وعندما عجز عن تفسيرها ، أسماها معجزة او خارقة للقوانين الطبيعية ، والقانون الطبيعى لا يخرقه شىء ، انما الخرق كان فى تفكير الانسان ، وعدم تقصيه الأسباب الكامنة وراء ظواهر الكون المثيرة .

اذن ... ما هى طبيعة هذه الهالات النورانية ؟ .. وكيف تظهر ؟ .. ومتى تتجلى ؟

دعنا نبدأ القصة من أولها ، فلكل شىء سبب ، ولكل امر اصل .

احترس من النار

يقص علينا ن. كولويكوف فى كتابه « محيطنا الفضائى » ان مجموعة من متسلقى الجبال الروس كانوا فى طريقهم الى احدى قمم جبال تين شان ، ثم بدأ الجو يكفهر ، والغيوم تتراكم ، وضوء الشمس يحجب ، والبرق يبرق ، والرعد يزمجر ، وعندئذ



صاح احدهم محذرا رفيقه « احترس ٠٠ النار تمسك برأسك » !

وكان في ذلك على حق ، لكنها لم تكن نارا لتحرق ، بقدر ما كانت ومضات من ضوء تقفز من ثنايا شعره٠٠وفي اللحظة ذاتها بدأت الرؤوس الأخرى تحاط بنفس الظاهرة ، وكأنما كل رأس قد لبست هالة متوهجة والأغرب من ذلك أن الشرر كان يقفز من أصابعهم ،وكأنما هي تضيء ولو لم تمسسها نار !

وفي يوم ٦ يوليو عام ١٩٥٠،وبينما جماعة أخرى من متسلقي الجبال كانوا على ارتفاع ٣٨٠٠ متر من سطح البحر ، لاحظوا أن قمم الصخور كانت كأنما تلبس هالات من نور ، وعندما وصلت الجماعة بقيادة ف ٠ راتسيك الى نقطة معينة ، لاحظوا قائدهم ـ الذى كان يتقدمهم ـ وقد ظهرت حول رأسه هالة نورانية مثيرة ، ثم تبين فيما بعد أن تلك الظاهرة قد أحاطت بهم جميعا ، فوقفت شعورهم وتنافرت ، وبدأت فروة رؤوسهم تضايقهم ، وكأنما هناك شيء يشد الشعر من جذوره ، وعادوا من قمة الجبل بسلام ، ولكن بعد أن اطلقوا عليها قمة « اليكترو » ـ اى قمة الكهرب !

طبيعي أن متسلقي الجبال يعرفون سبب هذه الظاهرة ، ويطلقون عليها اسما قديما ، والاسم القديم تراه في كل المراجع العلمية ، ومعروف بظاهرة نار « القديس ايلمو » ، أو « نوره » ٠٠ فما هي قصة هذا القديس أيضا ؟

« لقد ظهر لنا جسم القديس ايلمو مرات عديدة، فذات ليلة حالكة الظلام ، ظهر القديس على هيئة نار موقدة في أعلى الصارى الأساسي للسفينة ، فطمأننا ذلك كثيرا ، بعد ان كنا نبكي بحرقة في انتظار النهاية المحتومة ، فعندما يظهر هذا النور على اية سفينة فانها لن تغرق ابدا » !

كانت هذه الفقرة من يوميات بحار ايطالي يدعى انطونيو بيجافيتا التي دونها في عام ١٥٢٠ عندما كان واحدا من بعثة ماجيلان الشهيرة في المحيط الهادي ، وللقديس ايلمو كنيسة شهيرة باسمه في ايطاليا (وقد عاش هناك حوالى ٣٠٠م) وعلى قمة قبة الكنيسة كانت هذه الهالة تظهر كلما تهيأت الظروف الجوية لذلك ، ولما رآها البحارة على صوارى سفنهم منذ مئات السنين ، كانوا يتباركون بها ويستبشرون ، فهي دليل على أن القديس قد حضر، وان الرحلة ستكون مباركة ميمونة ، ولهذا اعتبره القدامي « حارس كل بحارة البحر الابيض،ومنجيهم من الإخطار » !

لكن الظاهرة كانت اقدم من ذلك بكثير ، فالرهبان والمتصوفون الذين كانوا يعتزلون الناس ، ويلجأون الى صوامعهم فوق الجبال والتلال ، كانوا عرضة لهذه الظاهرة المثيرة ، ولما رأى الناس هذه الهالات المضيئة ، ولم يستطيعوا تعليلها ، بدأوا في اختلاق المعجزات والاساطير الدالة على أن القديسين فوق مستوى البشر ، وأحيانا ماكانت هذه الهالة تظهر في شجرة ، فتتوهج وكأنما هي تشتعل نارا ، وما تلك بنار ولا حريق ، انما هي ظاهرة جوية تعبر عن نفسها كلما تهيأت الظروف لذلك ، لكن تعليل الناس كان يحمل معنى القداسة ، ولو كانت في شجرة او صخرة أو صارى سفينة ٠

وظاهرة نار او نور القديس ايلمو لازالت موجودة ، وكثيرا ما خدعت بعض الطيارين ، فابلغوا عن حرائق وهمية تجتاح الغابات في أمريكا الجنوبية أو غيرها ، ثم تبين فيما بعد أن ما ظنه الطيارون حريقا أو نارا ، لم يكن ـ في الحقيقة ـ الا نار القديس المذكور ، رغم انه برىء مما يدعون !

السبب : الكهرباء الجوية

والان ٠٠ ما هو تفسير تلك الظاهرة ؟

ان الهالة التي تتجلى على أى شيء قائم او بارز أو مرتفع ، انما ترجع الى الكهرباء الجوية ، فكما ان هذه الكهرباء تتخذ صورة البرق بعد عملية تفريغ مفاجئة بين الشحنات المختلفة في السحب ، فان هذه الكهرباء قد تتخذ صورة اخرى ـ على هيئة استاتيكية أو مستقرة او ساكنة ، اى انها لا تسرى كما يسرى التيار الكهربي المعروف لنا جميعا ، وهذا النوع من الكهرباء المستقر ليس بضار في اغلب الأحيان ، وأنت تستطيع ان تكتشف هذه الكهربية في قميص من النيلون بعد خلعه من على الجسد ، فاذا حركة نسيجه ، سمعت « طقطقة » خفيفة ، وهذه تعني تفريغ الشحنات الكهربية التي اكتسبتها الياف النسيج من الجسم الحي ،واحيانا ما ينجذب القميص الى الجسم العارى اذا ما كانت المسافة بينهما بضعة سنتيمترات ، ويقال انك تستطيع ان تشهد شررا دقيقا ينطلق من القميص

في الظلام الحالك . هذا فيما لو ثنيت النسيج فجاة لتتلاحم الشحنات، وتفرغ كهربيتها المستقرة.

ومثل هذه الهالات التي ظهرت على رؤوس القديسين ، أو تجلت في الاشجار ، أو توهجت فوق المآذن والكنائس . واعتبرها الناس احدى المعجزات ، مثل هذه الهالات يمكن تكوينها في المعامل، فالفتاة الموجودة ضمن هذا المقال ، والتي تظهر بسعرها الذي انتفش ووقف وكانما هو قد اضاء، انما كان بفعل كهرباء ساكنة ، كل ما هنالك انها تقف بمعزل عن الارض ، ثم تضع يدها على غطاء مولد قوى للكهرباء الاستاتيكية ،فاذ بجسمها يشحن بما يزيد على مليون فولت ، ومع ذلك فلا تشعر الا بوخز خفيف (أو تنميلة بسيطة ـ كما يقول العامة) . وما دامت الشحنة الكهربية واحدة ، فان كل شعرة تكتسب نفس الشحنة ، ولهذا تتنافر الشعرة مع الشعرة (لان الشحنات المتشابهة تتنافر) . وتبتعد كل عن الأخرى ، فتبدو الفتاة بمثل هذا الشعر الغريب !

ويمكن توضيح ذلك أيضا بلعبة معملية طريفة ، فهناك جهاز صغير لتوليد شحنة كهربية ، ثم توصيلها الى كرة معدنية معزولة ، ثم اذا أتيت بعدد من كور « البنج بونج » الخفيفة ، وعلقتها ـ كل في خيط مستقل ، ثم قربتها من الكرة المشحونة لتلمسها ، فانها تكتسب منها نفس الشحنة ، وتحتفظ بها على هيئة كهربية ساكنة ، لكن لابد من حدوث تنافر بين الكرة المعدنية وبين الكور ، ثم حدوث تنافر آخر بين كل كرة وكرة اخرى لها نفس الشحنة ـ كما هو موضح بالصورة المنشورة هنا .

لكن البحوث دائما تنتقل الى حيز التطبيق ، فالطائرة التي تراها في الصورة وكانما النار قد اشتعلت في محركاتها وجناحيها وذيلها ومقدمتها ، ليست نارا حقيقية ، بل هي في الواقع ظاهرة القديس ايلمو ، او بمعنى ادق : ظاهرة من ظواهر الكهربية الساكنة او الاستاتيكية .. صحيح ان هذه الطائرة ليست محلقة في الجو ولا هي بطائرة حقيقية ، انما هي نموذج مصغر لطائرة مشحونة بكهرباء مستقرة ، فظهر عليها هذا الوهج الغريب . والعلماء هنا لا يتسلون ، ولا يريدون اثبات ان ظاهرة القديس ايلمو ليست الا نوعا من الكهربية ، انما لان بعض الطيارين قد قرروا انهم في ظروف جوية خاصة شاهدوا هذه الهالات العجيبة وهي تحيط بطائراتهم ، وان هذه الكهربية كانت تحدث ضوضاء في أجهزة الاتصال ، كما انها قد تكون هدفا مباشرا لعملية تفريغ كهربية من شحنة مضادة ، وقد يؤدي ذلك الى احتراق الطائرة ، ومن هنا كانت بحوث العلماء لتجنب مثل هذا المصير .

فهناك حادثة مشهورة قد وقعت للمنطاد « هندنبيرج » الذى عبر المحيط الاطلنطي بنجاح في مايو عام ١٩٣٧ ، وعندما توقف بسلام في مطار ليكهيرست بامريكا ، اشتعلت فيه النيران بسبب تسرب الايدروجين واختلاطه بالاوكسجين، ثم حدوث شرارة من الكهرباء الساكنة ، فادى ذلك الى اشتعاله وتدميره عن آخره. ولا تزال حاملات البترول الضخمة تفرغ هذه الكهرباء المتجمعة على خزانات الوقود، حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه .

والواقع ان هذه الظواهر نادرة الحدوث ، وهي تتطلب ظروفا جوية خاصة تساعد على توليد الكهرباء ، وتشحن بها جزيئات الهواء ، وقد تتلامس جزيئات الهواء مع انسان معزول عن الارض ـ كان يكون جالسا او واقفا على لوح خشبي ، او مرتديا لحذاء عازل ، فتتجمع الشحنات فيه ، ولا يزال يشحن بها ، حتى يصل الى درجة يظهر وكانما النار تشتعل فيه ، او كانما يشع منه النور كهالة تجذب اهتمام الانسان ، وتثير خياله .

والواقع ان غلافنا الهوائي بمثابة مولد كهربي جبار، وبحيث لا يتوقف فيه الشحن او التفريغ ليل نهار ، لكن توليد الكهرباء الجوية ، والتخلص منها موضوع متشعب وطويل ، ولهذا نرانا في حل من التعرض له هنا ، انما يكفي ان نذكر ان الكهرباء الجوية قد تتخذ صورا شتى ، فاحيانا ما تظهر لنا على هيئة برق ، وهذا هو الامر الشائع والمالوف ، واحيانا ما تنطلق على هيئة كور مضيئة ، ذات احجام والوان غريبة ، واحيانا اخرى تظهر على هيئة نار القديس ايلمو .

محاولات الشعوذة والتضليل

تذكر المراجع العلمية أن الكور المضيئة قد تبقى معلقة في الهواء لعدة دقائق ، واحيانا ما تتحرك ، ويقال انها قد تدخل المنازل من خلال فتحات المداخن ، أو ربما من ثقب مفتاح الباب ، واغرب هذه الحالات على الاطلاق هي حالة كرة مضيئة دخلت حجرة تجلس فيها فتاة على المائدة ، ودارت حولها

في حركة لولبية ، ثم خرجت من فتحة المدخنة ، حتى اذا وصلت الى اعلاها ، انفجرت بصوت مسموع ، وغالبا ما تترك وراءها غازات لها رائحة خانقة ، الا أن ظهور هذه الكور المضيئة أقل ندرة من ظاهرة نار القديس .

ويذكر البروفسور توبيلر استاذ الظواهر الجوية ان هذه الكور النارية غير ضارة على الاطلاق ، حيث ان قوة تيارها اقل من واحد أمبير ، وانها اذا انفجرت ، فلا تحدث صوتا ، لكن الانفجارات التي تظهر من بعضها انما تاتي نتيجة لتفريغها في توصيلة كهربية ، ولهذا ، فمن الممكن ان تقف هذه الكور على رؤوس الناس دون أن تحرقها ، فهي ظاهرة خاصة من ظواهر نار القديس ايلمو .

ولقد تشكك بعض العلماء في وجود هذه الكور النارية أصلا ، وقالوا عنها انها خدعة بصرية،لكن واحدا من العلماء استطاع توليد كور نارية باحجام مختلفة من خلال تجارب مثيرة ، واصطاد بعضها تحت ناقوس زجاجي ، وعندما انفجرت تركت وراءها غازات من اكاسيد النيتروجين ، ولهذا يعتقد العلماء ان هذه الكور ليست الا هواء مكهربا يحتوي على غازات قابلة للانفجار ، لكنها معذلك لا زالت تحتفظ بكثير من الاسرار التي لم يستطع العلم أن يتوصل فيها حتى الآن الى قرار .

على ان هذه الهالات المضيئة التي تظهر على كل شيء مشحون بكهربية ساكنة قد أمكن تعليلها، الا أن بعض أدعياء العلم قد امسكوا بهذا الخيط المثير ، واستغلوه فيما اسموه بالظاهرة الروحية التي يمكن تصويرها على فيلم حساس ، فتظهر وكأنما تحيط بها هالات مضيئة ذات الوان مختلفة، وهذا ما قدمناه في موضوع سابق .

لكن .. ما ارتباط ظاهرة نار القديس ايلمو بالظاهرة الروحية ؟

لأن الذي يجمع بينهما نوع من الكهرباء الساكنة أو الاستاتيكية ، فهذه قد تتوهج على رؤوس الناس ، وصواري السفن ، والمآذن والقباب والطائرات والاشجار وما شابه ذلك ، وتلك ـ اي التي يقولون عنها انها ظاهرة روحية ـ ليست الا تفريغا لشحنة كهربية ساكنة على فيلم حساس تحت ظروف خاصة أيضا ، والتفريغ يعطي صورا مثيرة ، فيظنها الناس أرواحا ذات طاقات خاصة .

يعني هذا ان لكل عصر خرافاته وأساطيره ، حتى ولو لبس العصر ثوب العلم وأفاد من أدواته .. فنار القديس « ايلمو » قد انقضى عصرها ، وراحت بركاتها ، بعد أن عرف العلم أسرارها ، لكن هناك « نارا » اخرى حديثة لتناسب العصر الذي نعيش فيه ، والنار ، أو بمعنى أدق ،الهالة النورانية التي نراها فيما أسموه بتصوير الارواح ليس الا تحويرا في الفكرة القديمة لتناسب افكار الناس « العصريين » الذين لا يزالون يعتقدون في الخوارق والمعجزات ، وعودة الارواح ، وظهور البركات وما شابه ذلك .

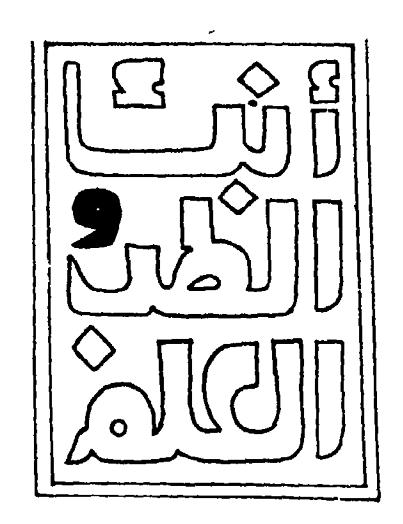
ولا يزال العلم يحارب في كل الجبهات ، حتى يخلص الناس من بعض ارثهم القديم القائم اساسا على الخيال والاساطير التي كانت تناسب مستوى التفكير في بشر عاشوا منذ مئات وآلاف السنين !

■■

الاسكندرية ـ د. عبد المحسن صالح

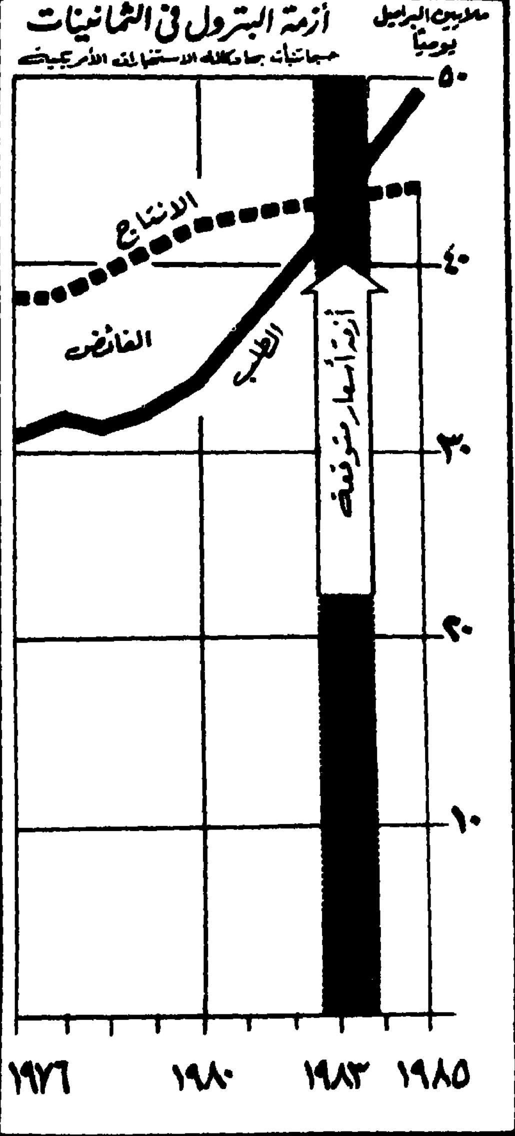
■ لا تطلب الحب بين الناس تسآله
بل ، فاطلب الحب تعطى منه ما تجد
اشقى البرية من لم يَعنِه احد
وليس من كان لا يعنى به احد

(عباس محمود العقاد)



اعداد : يوسف زعبلاوى

الطاقة ومصادرها البديلة

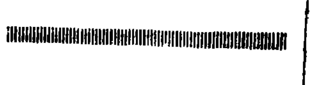


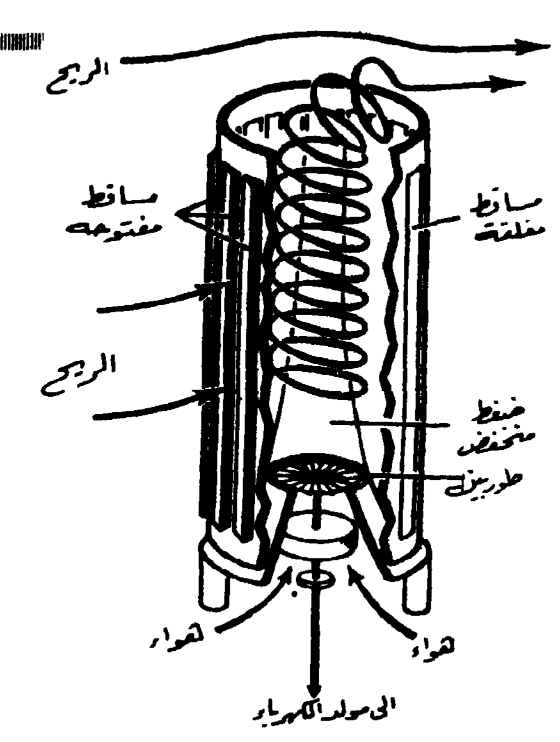
● مصادر الطاقة عديدة .. منها القديمة التى درج العالم على استغلالها ، وهى : البترول ، والغاز الطبيعى ، والفحم الحجرى ، والطاقة الذرية ... ولا يخفى ان مقادير الطاقة التى تتيحها هذه المصادر محدودة .. وقد بات المصدران الاولان منها مهددين بالنضوب .. ومع ان العالم كان على علم بهذه الحقيقة منذ زمن ، الا انه لم يتنبه لخطورتها الا فى اعقاب الحرب البترولية التى اعلنها العرب سنة ١٩٧٣. وهكذا اندفع العلماء فى اوروبا وامريكا واليابان ، وراحوا يضاعفون الجهود فى سبيل اكتشاف مصادر للطاقة بديلة ، ومن اجل تطوير الاساليب الخاصة باستغلال ما سبق لهم ان اكتشفوه من تلك المصادر .

واهم هذه المصادر البديلة خمسة : الطاقة الشمسية ، والريح ، والبحر ، والنبات ، والفحم الحجرى المسيل . وقد ارتأينا تكريس صفحات باب انباء الطب والعلم والاختراع من هذا العدد للحديث عن هذه المصادر البديلة ، باستثناء الطاقة الشمسية ، التى نتناولها بتفصيل فى الاستطلاع المصور الذى تجده فى مكان آخر من هذا العدد .

وغنى عن البيان ان ازمة الطاقة اصبحت حديث الساعة فى الغرب ، لا سيما بعد صدور التقرير الذى اعدته وكالة الاستخبارات الامريكية ، والذى حذرت العالم الغربى فيه من كارثة الطاقة ، وقد باتت قاب

مروحة متطورة
من تصميم مؤسسة جرومان





قوسين او ادنى ... وكالة الاستخبارات تؤكد ان هذه الكارثة التى كانت متوقعة فى مطلع القرن الحادى والعشرين .. ستقع لا محالة فى سنة ١٩٨٥ ،حين يتزايد الطلب على الطاقة ، ويتناقص العرض ، تبعا لنضوب البترول والغاز او اقترابهما من النضوب ...

وتجدر الاشارة الى ان وكالة الاستخبارات قد وضعت تقريرها الخطر هذا تلبية لطلب الرئيس الامريكى الجديد، وان المستر جيمي كارتر اتخذ من ذلك التقرير اساسا لبرامج الطاقة الواسعة المتكاملة التى اعلنها فى مطلع شهر مايو الماضى .

الريح .. ومراوح الهواء

● الريح مصدر للطاقة قديم .. وقد اعتمد عليه الانسان منذ اقدم الازمنة ، حين راح يمخر عباب البحر بقواربه الشراعية .. الا ان المروحة لا الاشرعة هى الاسلوب الذى يمضى العلماء حاليا فى تطويره بقصد استغلال طاقة الريح الى ابعد حد ممكن . وقد قطعوا شوطا كبيرا فى هذا الاتجاه ، بدليل ان ثمة مشاريع صناعية كبيرة ، تعتمد الريح مصدر طاقة لها ،وقد أقيمت او ستقام فى اليابان وكندا والمانيا الغربية والولايات المتحدة الامريكية وكذلك فى اسرائيل .

وعلى كثرة النماذج التى انتهت اليها جهود تطوير مروحة الهواء فان طرازين اثنين يسترعيان الانتباه بصفة خاصة .. الطراز الذى طورته دائرة ابحاث الطاقة وتطويرها الامريكية ERDA (الصورة رقم ١) والطراز الذى طورته مؤسسة جرومان ايرو سبيس Grumman Aerospace فى الولايات المتحدة والذى اطلقت عليه اسم Tornado (الرسم رقم ٢) .
والطراز الاول لا يختلف من حيث المبدأ عن مروحة الهواء العادية ، ولا يضمن بالتالى توليد الكهرباء بمقدار ذى بال . اما الطراز الثانى فقد صمم بحيث يحدث فراغا فى اوسطه حتى اذا تدفق الهواء من اسفل تولدت الطاقة بقدر كاف لادارة الطوربينات .



● هذا مصدر بديل آخر للطاقة ، يرى فيه الكثيرون ضربا من ضروب الخيال ٠٠ بينما يؤكد آخرون انه سيصبح مصدر الطاقة الاول في مستقبل غير بعيد ٠٠

ذلك ان الخامات المعتمدة في هذا الصدد متوفرة او يمكن توفيرها بكثرة وبتكاليف زهيدة ٠ نذكر من تلك الخامات على سبيل المثال فضلات الخنازير وهي موضع تجارب يقوم بها علماء فرنسيون وتمولها الحكومة الفرنسية ٠

ومن تلك الخامات ايضا اعشاب بحرية كانت وما زالت موضع تجارب في الجامعة العبرية ، في القدس ، فضلا عن مراكز علمية اخرى ٠

ويؤكد البعض ان العلماء اليهود نجحوا في اختيار العشبة البحرية الاكثر قابلية للتحويل الى بترول ، وانهم راحوا يستزرعونها في احواض خاصة ٠ ومما يذكر عن هذه العشبة انها تنمو بمعدل نصف متر يوميا وانها لا تحتاج لنموها سوى ضوء الشمس وثاني اكسيد الكربون ، وكلاهما موفور وبلا ثمن ٠ ويزعم العلماء اليهود انهم انتهوا من دراسة الجدوى التكنية والاقتصادية وانهم منشغلون حاليا في البحث عن حل لمشكلة الحصاد ٠٠ وهي مشكلة عويصة ولا ريب اذا اخذنا بعين الاعتبار نمو العشبة الهائل ٠

ولا يعرف الكثير عن هذه الخامات النباتية Biomass والحيوانية Biogas ولا عن الطريقة التي يشتقون منها الميثان Methane

استخراج البترول من الفحم

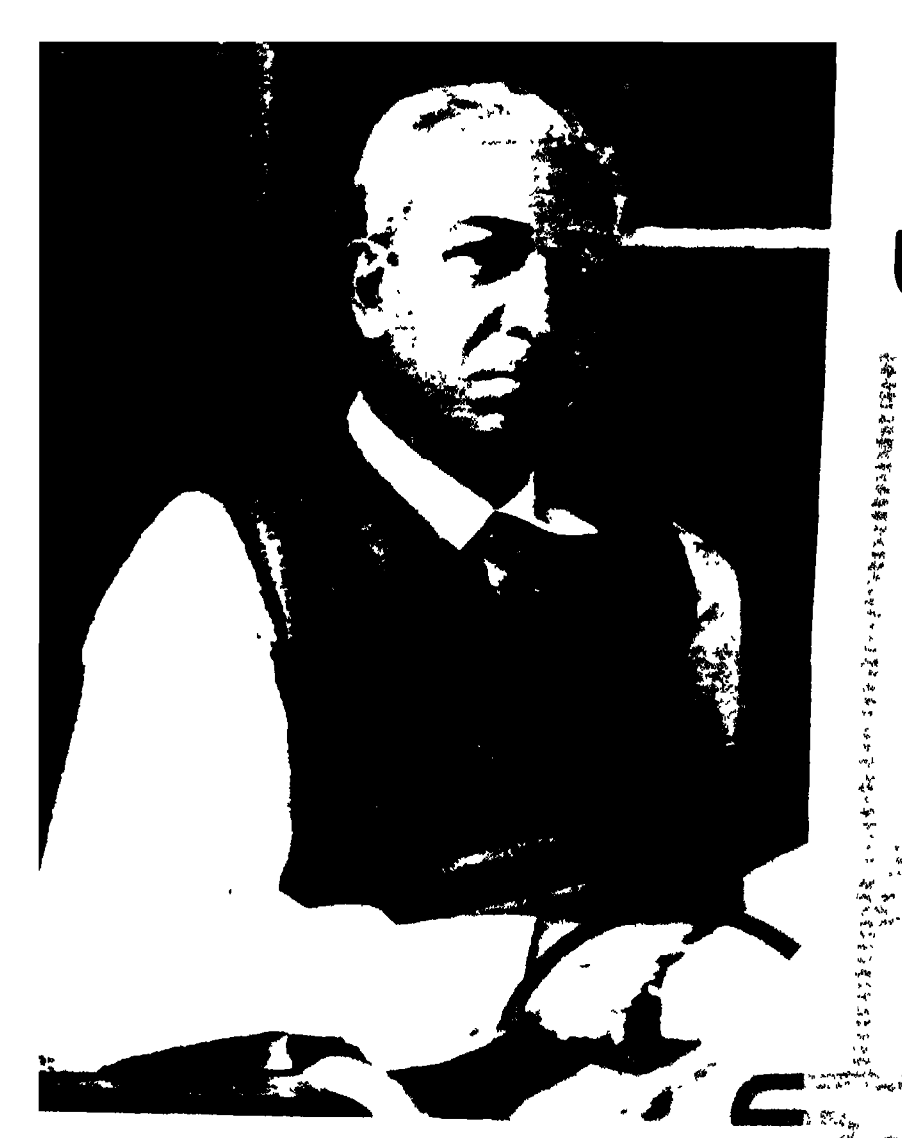
● لم يكن صعبا على العلماء ورجال الصناعة في الغرب تحويل الفحم الحجري الى سائل يشبه البترول . وقد درجوا على ذلك منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ٠٠ ولم يكن صعبا عليهم ايضا ان يحولوا ذلك السائل الى بترول ٠٠٠ الا ان تكاليف هذا التحويل كانت وما زالت باهظة ٠

والسائل المذكور هو الميثانول Methanol . وهو مادة كحولية يمكن استخراجها من الغاز الطبيعي فضلا عن الفحم الحجري٠ وقد سعى العلماء الامريكيون الى اتخاذ هذه المادة وقودا ٠٠٠ وذلك اما بمزجها بالبترول بنسبة ما ، او بتطويرها بحيث تصبح وقودا مستقلا قائما بذاته ٠٠ ولما كان الميثانول قابلا للذوبان في الماء كان لا بد من اجراء بعض التعديلات الاساسية في تصميم السيارات وصنعها قبل ان تصبح صالحة للسير بالميثانول ٠٠ وتشمل هذه التعديلات فيما تشمل مبخر السيارة (الكاربوراتير) Carburetter وخزان الوقود٠

الا ان شركة البترول العالمية موبيل اويل Mobil Oil فاجأت العالم مؤخرا بخبر نجاحها في تحويل مادة الميثانول التي ذكرناها الى بترول . وذلك بطريقة بسيطة للغاية وبتكاليف زهيدة ٠ ولا نعرف تفاصيل هذه الطريقة التي ستظل طي الكتمان الى حين ٠٠٠ والتي ستحتاج الى نحو عشر سنوات لاستكمال تطويرها ٠٠ وقد اشار رجال شركة موبيل الى اسلوب مساعد Catalytic Process يتم بواسطته التحويل المطلوب ٠

وتجدر الاشارة الى ان المانيا النازية نجحت ابان الحرب العالمية الثانية في تحويل الفحم الحجري الى بترول جيد بتكاليف زهيدة ٠ وقد بلغ من جودة ذلك البترول ورخصه ان الالمان استمروا في استخراجه من الفحم حتى بعد ان احتلت جيوشهم رومانيا واستولت على آبار البترول الخام الروماني ٠ ويبحث بعض علماء الغرب حاليا بأمل العثور على تلك الطريقة التي طبقتها المانيا الهتلرية والتي ذهبت بذهابها٠

(البقية في العدد القادم)



خير الدين الزركلي

علم الأعلام

بقلم : الدكتور عمر الدقاق

عميد كلية الآداب ـ جامعة حلب

مات الشاعر السورى الكبير فى القاهرة اواخر العام الماضى عن ٨٣ عاما ، ولم يذكره أحد خارج سوريا ، وهو الذى عاش حياته كلها شاعرا ومقاتلا ومؤرخا لأمته ٠

ما كان يقدر احد أن القرن الرابععشر للهجرة او القرن العشرين للميلاد يمكن أن ينجلي عن علامة جليل يدعىخير الدين الزركلي وعن كتاب شامل في التراجمالعامة يعرف بكتابالأعلام.

■ وراء كل نتاج في العلوم والآداب والفنون اناس مبدعون واعلام نابهون كانوا مصدر المعرفة الانسانية في آفاقها التي لا تحد . وان التاريخ لهؤلاء الاعـــلام فن قائم بذاته يعرف باســم (التراجم) أو باسم (الطبقات) كما كان يحلو للقدماء ان يسموه .

وقد اهتم العرب اهتماما بالغا بالتراجم ،ولعل هذا الاهتمام ناشيء عن حرص الاوائل علىمعرفة مدى صدق رواة الحديث وحفاظـه ومنزلتهم في العلم والتقوى ،وفي الدقة والامانة باعتبار هؤلاء ائمةالحركة العلمية الشاملةورواد حركة التدوين الحافلة . وبوسعنا القول انه ما من أمة ــ فيما نعلم ــ جعلت لكتب التراجــم والطبقات حيزا كبيرا في مكتبتها كأمة العرب .

وان نظرة سريعة على تراثنا الحافل تجعلنـا نعجب لغزارة ما خلفه لنا الاجداد من مصـنفات في تراجم الصحابة ورجـال الحديث والاطبــاء والحكماء والادباء والشعراء والنحاة واللغويين..

ثمة قافلة مباركة رائدها ابو بكر بن اســحق الذي كتب سيرة النبي (ص) ثم ابن هشام الذي ألف في السيرة نفسها معتمدا على ابن اسحق ، وكان من أعلام هذه القافلة ابن سعد وابن حجـر وابن سلام وابن قتيبة والامــدي والمـرزباني والثعالبي وابن أبيأصيبعة وابن بسام والزبيدي وياقوت والقفطي والسيوطي ... وكان اليجانب هذه القافلة قافلة مباركة أخرى تعنى بالتراجم العامة كابن النديم وابن خير الأندلسي والخطيب البغدادي والحميدي وابن خلكان وحاج خليفة ...

وعلى جلال كتب السلف في هذا المجــال فان كتاب الاعلام ــ بلا منازع ــ يقف على رأسها . انه معجم شامل « لتراجم اشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين » كما اراده مؤلفه الزركلي ، وقد توافر فيه من المزايا ما لم يتوافر لأي كتاب سبقه في موضوعه . اذ أتيحفي هذا العصر للمــؤلف من وسائل الاتصـــال بالشخصيات والاطلاع على المكتبـات وتصـــوير المخطوطات ما لم يكن متاحا في سالف العصور .

ولقد كان عمل الزركلي في السلكالديبلوماسي خيرا وبركة على شغله الدائب في كتاب الاعلام، فضلا عن انه ندب لمؤتمرات دولية كثيرة فيحواضر بلاد العالم . حتى لقد أمضى شطرا كبيرا منحياته مقيما في دمشق وبيروت وعمان والقدس وحيفـا ومكة والرباط والقاهرة ... كما تنقل بين حلب واستامبول وتونس والمغرب ، ورحل الى انكترا وفرنسا وايطاليا واليونان والولايات المتحدة... ووقف خلال ذلك على الكثير مما احتوته مكتبات العالم من مصـــادر التراث العـــربي ونفائس مخطوطاته ، كما اتصـــل بالعديد من العلمــاء والباحثين عربا ومستشرقين الى ان استطاع في نهاية المطاف أن يبني هذا الصرح العلمي النفيس الذي يعدبحق مفخرة التـاليف في حـياة العرب الحديثة . ويكفي للتدليل على ذلك أن نشير الى أن عمل الزركلي في الاعلام استغرق ستين عاما من حياته المـــديدة الدائبة ، وان ثبت مراجعـه استغرق وحده مئة صفحة أو تزيد .

ابرز معالم الكتاب

وليس من شأننا هنا المبالغة ولا المجاملة لاننا بصدد بحث موضوعي يتصدى لعمل علمي .فالمزايا الجمة التي انطوى عليها كتاب الاعلام يدركها كل باحث يشمر عن ساعد الجد ليخوض عالم التاليف في تراث العرب الحافل . ولعل أبرز ما يتسم به كتاب الاعلام بالاجمال :

١ ــ انه كتاب شامل في التراجم العامة ينطوي على طابع موسوعي ، انه يترجم للبارزين فيكل علم وفن من شـعراء وأدباء ومؤرخين وعلمـــاء وفقهاء ، ومن زعماء وسياسيين وقواد وملـــوك ومجاهدين ...

٢ ــ انه يترجم فضلا عن ذلك لاهم المستعربين وسائر المستشرقين ولا سيما من كانت لهم مشاركة في علوم العربية وآدابها ، أو عرفوا باهتمامهم بالتراث العربي والحضارة الاسلامية. وهذا فضل لا يتوفر بطبيعة الحال في كتاب سواء في القديم وفي الحديث .

٣ ــ انه حوى تراجم المعاصرين والمتاخرين من الاعلام مما لا نقع عليه في كتاب آخر . على ان المؤلف ــ تبعا للخطة التي وضعها والتزم بها ــ لم يدخل في كتابه من المعاصرين الا من أدركته



الوفاة واستقرت بالتالي ترجمته . ومثل هذا المطلب شاق لان مادته لا تتوفر في الكتب والمصنفات ـ كما هو شان سائر التراجم . ومن هنا كان على المؤلف ان يستقي مادته هذه من حصيلة صلاته الذاتية باعلامه الاحياء او بمكاتبة ذويهم أو معارفهم . ولا شك انه لقي في سبيل ذلك عنتا وارهاقا بل جفاء وعقوقا مما اورثه المرارة . ولولا عزم لا يلين على بلوغ الغاية وهوى لا يقهر في سبيل ادراك الهدف لزهدته المثبطات وعدل عن كثير مما كان يسعى اليه ويطمح الى تحقيقه .

٤ ـ حرص الزركلي ـ رحمه الله ـ على ان يتوج تراجمه بالكثير من صور الاعلام الذين تعرض لهم ، وبخاصة من المعاصرين . كما حرص على رفد ذلك واغنائه باثبات نماذج من خطوط المؤلفين أو مسودات كتاباتهم واشعارهم ، وبتصوير توقيعاتهم التي كانوا يدونونها بايديهم من خلال رسائلهم ومكاتباتهم وصكوكهم ... كلما وجد الى ذلك سبيلا . حتى لقد بلغ عدد هذه النماذج (الكليشهات) في الطبعة الثانية من كتابه البالغة عشرة أجزاء (١٩٣٦) نموذج مصور .

٥ ـ انه دأب في تاريخ أعلامه على ايراد سنتي المولد والوفاة لكل علم يترجم له ، وعلى اعتماد التقويمين الهجري والميلادي ، مما ييسر على الباحث عناء كبيرا في مقابلة السنين المطلوبة من خلال هذين التقويمين .

٦ ـ توخى الزركلي في تراجمه الايجاز والتركيز ، ولم يفسح المجال خلالها لفضول القول ونافل الاخبار ونحو ذلك مما هو معهود لدى القدماء في كثير من مصنفاتهم . انه ينفي عن تراجمه كل ما يتصل باصحابها من أخبار واشعار وما الى ذلك . والترجمة لديه تعريف مقتضب لا يتجاوز اسطرا قليلة تتضمن في العادة تاريخ مولد صاحب الترجمة ووفاته بالسنوات الهجرية والميلادية معا ، ثم اسمه الكامل ، وابرز ما اشتهر به ، وأهم مصنفاته ،مع بيان ما كان منها مطبوعا أو ما كان مخطوطا او مفقودا ...

وهذا المبدأ الذي توخاه المؤلف في التزام التركيز ونفي فضول القول عاد بالخير على كتابه ومكنه من استيعاب اكبر عدد ممكن من التراجم خلال هذه العهود المتطاولة من حياة العرب وامتداد تراثهم .

٧ ـ امتاز الاعلام بالحواشي القيمة التي ذيل بها الزركلي تراجمه ، انها ـ على ايجازها ـ بمثابة مفاتيح للباحث الذي ينشد المزيد من التوسع في المراجع المسهبة ونحوها . وهذه الحواشي المكثفة والتعليقات الموجزة كثيرا ما تضارع في قيمتها الترجمة نفسها المثبتة في المتن او تفوقها .

كلام في المنهج

لقد رتب خير الدين الزركلي مادته الغزيرة ـ التي امتدت على مدى يقارب أربعة عشر قرنا ـ على حروف المعجم ، مما جعل الافادة منه يسيرة المنال . كما جعل الاسم الاول في المترجم له هو العمدة . فالمتنبي مثلا يستخرج في احمد بن الحسين . الا أن الزركلي توخى المزيد من التيسير على الباحث ولو كان ناشئا قد لا يعرف الاسم الاول للعلم ، لكونه مشتهرا بكنيته مثل أبي العلاء او بلقبه مثل الجاحظ ، فهو حين ينظر في مادة (ابي العلاء) يعطيه المؤلف اسمه (احمد) وبذلك يرشده الى موضع ترجمته من الكتاب . وكذلك بوسع الباحث أن يطلب (الجاحظ) في حرف الجيم وعندئذ يحيله المؤلف على موضعه الاصلي ،وهو حرف العين بعد أن يزوده باسمه وهو (عمرو بن بحر) .

وقد ارتأى صاحب الأعلام بحق ان يغفل صدور الاعلام المبدوءة بـ (ابن ، أخو ، أبو) لكثرتها البالغة وبالتالي لصعوبة فرزها وتمايزها . فابو فراس يستخرج في باب الفاء ، وابن النديم في باب النون وهكذا ...

وما فعله صاحب الاعلام ـ جزاه الله كل خير ـ انه ختم أعلامه بان ترجم لنفسه في الجزء العاشر او الاخير من كتابه ، وبذلك أغنى الباحثين في حاضر الايام وفي قابلها عن الرجم بالغيب حول حياة المؤلف وما يتصل بمولده ووفاته وصفاته واسرته وجنبهم الكثير من العناء الذي يكابده من يؤرخون للادب والادباء حين يجنحون مضطرين الى الافتراض والتخمين دون أن يصلوا في كثير من الاحيان الى نتائج يقينية أو حاسمة .

جزى الله خير الدين الزركلي صاحب الاعلام خيرا ، جزاء وفاقا على ما قدم لامته وتراثه من فضل عميم ، سواء في شعره وفي كتبه الاخرى واخيرا في موسوعته العظيمة « الاعلام » وبمثل هذا فليعمل العاملون .

حلب ـ د. عمر الدقاق

العقل والحظ في العاب هذا الموسم

٤ نماذج لأحدث وسائل التسلية في أوروبا

بقلم ـ فريد كامل

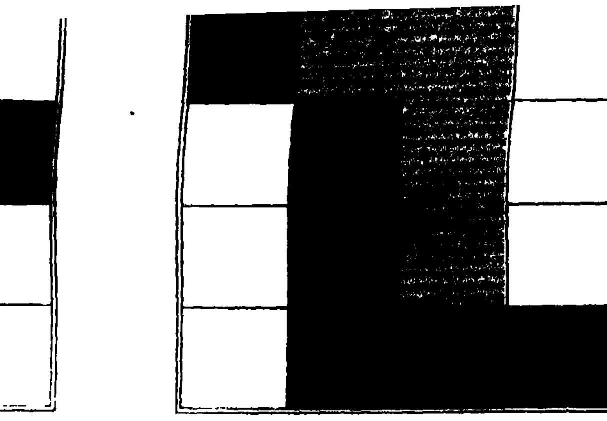
■ الالعاب ايضا لها موضة ـ وموضة هذا الصيف تعتمد على الفكر اكثر من اعتمادها على الحظ ..

فالناس نوعان : اولئك الذين يعتبرون اننا نعيش في عالم مجهول تسيطر عليهوتحركه قوانين لا نعرفها وقوى لا يمكننا التحكم فيها ، وهؤلاء يفضلون الالعاب التي يتخذ فيها اللاعب دورا سلبيا ، حيث الربح نتيجة لعوامل خارجية عن اللاعب (القاء النرد او توزيع اوراق اللعب .. الخ) اى العاب الحظ والصدفة .. واولئك الذين يعتبرون اننا نخلق ظروفنا ونحرك عالمنا ونستطيع ان نكتشف مجهولاته او على الاقل ان نؤثر عليها ، ويفضلون الالعاب التي يتخذ اللاعب فيها دورا ايجابيا ، حيث الربح نتيجة عوامل شخصية (تكتيك وتخطيط عقلى وقرارات يتخذها اللاعب ..) كالشطرنج مثلا ..

وغالبية العاب هذا الصيف من النوع العقلى حيث المتغير فكرى اكثر مما هو عشوائى .. وقد اخترنا منها لعبتين فكريتين تماما «٧٧»و «عطيل» ولعبة تمزج الفكر بالحظ ، ولكن للاولى الدور الاساسى بها « القانون » ولعبة تعتمد على الحظ تماما « المزار » ـ معمراعاتنا انها كلها لا تحتاج الى لوحات او قطع لعب خاصة ، فيمكن عمل قطعها بسهولة فى المنزل ، او لا تحتاج الا الى اوراق اللعب المعتادة ..

لعبة ٧٧

يقول العالم الامريكي ادوارد دى بونو ـ وهو استاذ للرياضيات وعلم النفس « اهوى لعب الشطرنج ولكن يضايقنى فيها ان بها قطعا كثيرة تتحرك وفقا لقواعد متعددة . لذا فقد اخترعت لعبة جديدة قليلة القطع والقواعد ، لكنها تحتاج لنفس المهارةالفكريةوالتكتيكية كالشطرنج. اللعبة اسمها « ٧٧ » ـ حسب شكل القطعتينالاساسيتين بها (ويمكننا ان نسميها بالعربية « ٦٦ ») ـ وهى ـ كالشطرنج ـ للاعبين ـ وتحتاج الى لوحة واربع قطع : اللوحة مربعة ومقسمة الى ١٦ خانة (٤ × ٤) ـ وقطع اللعب : قطعتا اللاعبين ، وهما على شكل رقم ٦ العربى ، كل



وضع بدء اللعب

اثناء اللعب

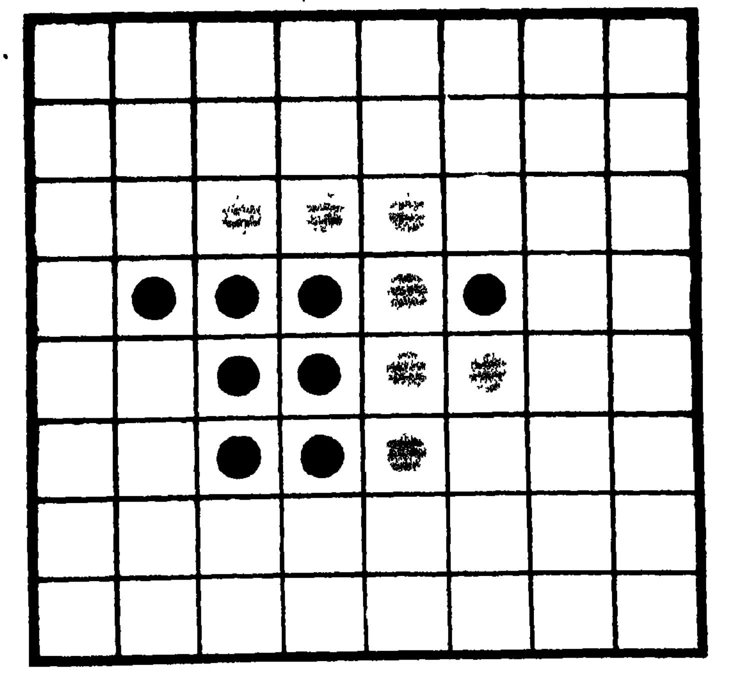
منها بحجم كاف لتغطية اربع من خانات اللوحة ولكل منها (وجه وظهر) لون مميز ، وقطعتا الغاء الخانات وهما مربعتان كل منها لتغطية خانة واحدة في اللوحة ، ويمكن لاى من اللاعبين استعمال اى منها ..

يبدأ اللعب فى وضع البدء (انظر الرسم) ويقوم كل من اللاعبين فى دوره (اجباريا) بتحريك القطعة الخاصة به برفعها تماما عن اللوحة ووضعها فى موقع آخر يتسع لها (ويمكنه ان يقلبها من احد جانبيها الى الاخر) وبعد ان يتم لعبته هذه (ولكن ليس قبلها) يستطيع اذا أراد ذلك (اى اختياريا) ان يرفع احدى قطعتى الالغاء من خانتها ليلغى بها خانة اخرى وتستمر اللعبة الى ان يصبح من غير الممكن لاحد اللاعبين ان يحرك قطعته ، فيخسر الدور ..

ملحوظة قد تبدو هذه اللعبة بالغة السهولة ، ولكنها ليست فى الواقع كذلك .

لعبة عطيل

للاعبين ـ تحتاج الى لوحة لعب مربعة ومقسمة الى ٦٤ خانة(٨ × ٨) ـ ويمكن استعمال لوحة شطرنج او « دامة » معتادة ٠٠و٦٤ قطعة لعب مستديرة (او باى شكل آخر) كلها لها لون واحد من جانب



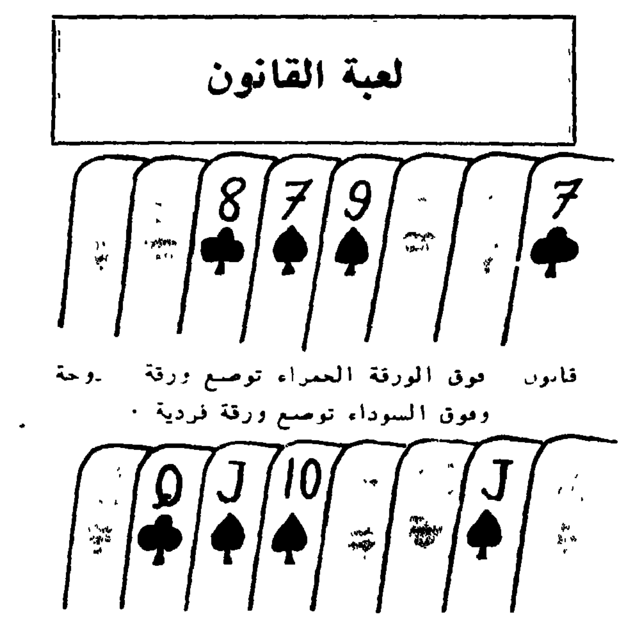




لوحة اللعب
والى اليمين شكل
قطع اللعب .

ولون آخر من جانبها الاخر ـ احمر وازرق مثلا ـ اى ان كل قطعـة ذات وجهين وجه احمر ووجـه ازرق ...

تقسم قطع اللعب بين اللاعبين (٣٢ لكل منهما) ويختار كل من اللاعبين احد اللونين ، فيستعمل قطع اللعب الخاصة به بلونه لاعلى بينما يستعمل الاخر قطعـة باللون الاخـر لاعلى (اى احدهما بالجانب الازرق والاخر بالجانب الاحمر لاعلى).. يبدأ اللعب بان يضع كل من اللاعبين قطعتى لعب فى وسط اللوحة متجاورتين ـ اى علىخط واحد رأسى او افقى او مائل(وهى المحاور الثلاثة للوحة هذه اللعبة) ، ويقوم كـل من اللاعبين فى دوره باضافة قطعة لعب من يده (او تحريك احدى قطعه خطوة واحدة فى اى اتجاه ـ اذا شاء ذلك) بهدف محاصرة قطع اللاعب الاخر ، ويقوم « ياكل » اى قطعـة يحصرها بين قطعتين له على اى من محاور اللعبة الثلاثة ، وحينما ياكلها لا « تموت » (اى تخرج من اللعب ،كما يحدث فى الشطرنج والدامة مثلا) بل يقلبها الى جانبها الاخر (الى لونهو) اى يضمها الى قطع لعبه .. ويستمر اللعب حتى ينتهى الـدور بان يستعمـل احـد اللاعبين ـ او كلاهما ـ كل قطع اللعب الخاصة به ـ او الخاصة بهما (وفى هذه الحالة الثانية تصبح جميع خانات اللوحة مغطاة) ، ويحسب رصيد كل من اللاعبين بعدد قطع اللعب بلونه على اللوحة .



قانون فوق الورقة الحمراء توضع ورقة زوجة
وفوق السوداء توضع ورقة فردية .

قانون على الورقة الحمراء توضع ورقة أعلى فى القيمة بدرجة
وعلى الورقة السوداء توضع ورقة أقل فى القيمة بدرجة .

لثلاثة لاعبين على الاقل ، يستعملون ورقاللعب المعتاد ـ ويتولى احد اللاعبين (بالتناوب) مهمة توزيع الورق وصياغة القانون ومراقبة تنفيذه ـ وهى مهمة بالغة الاهمية فى هذه اللعبة ..

يقوم الموزع اولا « بسن قانون اللعبة » ،يكتبه على ورقة ، يطويها ويضعها على المائدة (ارض اللعب) ويبقى هـذا القانون سريا حتى نهايـة الدور .. ثم يضع الموزع ورقة الارض ويوزع باقى اوراق اللعب على اللاعبين بالتساوى (اذا لم يقبل عدد الورق القسمـة على عـدد اللاعبين وتبقت ورقة او اكثر فى يد الموزع ، يضعها جانبا وهى مغطاة) .. ثم يبدأ كـل من اللاعبين ، فى دوره ، فى كشف احدى اوراق لعبه لاضافتها الى الارض ، فيسمح له الموزع اذا تمشت الورقة مع القانون الذى صاغه ، او يرفضه اذا تعارضت مع

القانون ـ وتوضع الاوراق المقبولة بجانب ورقة الارض (ليمكن للاعبين ان يروا تسلسل الورق واضحا) بينما يضع كل لاعب امامه مكشوفة اوراقه المرفوضة ، ويستمر اللعب هكذا حتى تنتهي الاوراق التي في ايدي اللاعبين فتنتهي المرحلة الاولى من الدور ويعمل الحساب الاولي : يطرح عدد الاوراق المرفوضة امام كل لاعب من الرقم عشرة وتصير النتيجة هي رصيد اللاعب (موجبا او سالبا) اما رصيد الموزع فهو اقل عدد من الاوراق المرفوضة عند اللاعبين مضروبا في الرقم ثلاثة ٠

في المرحلة الثانية من اللعبة ، يستانف اللعب بنفس الطريقة السابقة باستعمال الاوراق المرفوضة (التي تبقى مكشوفة امام اللاعبين) بدون الالتزام باستعمالها بترتيب معين ، اي يمكن للاعب ان يختار ايا من الاوراق المكشوفة امامه ليلعب بها في دوره ، ويستمر اللعب الى ان ينهي احد اللاعبين اوراقه او يعلن الموزع انه لم تعد توجد اوراق تتمشى مع القانون ـ اي يقفل الدور ٠٠٠ ويعاد الحساب بالطريقة السابقة بالنسبة للاعبين فقط (لا يضاف شيء الى رصيد الموزع) ويعطى اللاعب الذي انهى اوراقه جائزة من ست نقط ، ويلغى اي حساب بالسالب ليصبح رصيده صفرا ٠٠

بعد هذا الحساب النهائي للدور ـ تنتقل مهمة الموزع الى لاعب آخر ، يسن قانونا جديدا للدور التالي ٠٠ وهكذا ٠٠٠

المهم في هذه اللعبة بالطبع هو القانون الذي يصوغه الموزع ٠ والذي يجب ان يسمح باستعمال نصف اوراق اللعب على الاقل (اي لا يجوز مثلا قانون يحتم على ان « يضع كل لاعب ورقة تزيد قيمتها درجة عن الورقة السابقة ») ويحاول كل من اللاعبين اكتشاف قانون اللعب قبل الاخرين لينهي ورقه قبلهم ٠ ويمكن للقانون ان يكون بسيطا او معقدا حسب اللاعبين ، كما يمكن ان يعتمد على استعمال لون الاوراق (الاسود والاحمر) او اشكالها (الديناري والبستوني والكوبي ـ والسباتي) او على قيمتها (مع اعتبار الاس = ١ والفارس = ١١ والملكة = ١٢ والملك = ١٣)، وفيما يلي بعض امثلة القوانين تختلف في درجة صعوبتها ٠

ـ يضع كل لاعب على الورقة الفردية ورقة زوجية وبالعكس ٠

ـ يضع كل لاعب ورقة مشابهة لورقة الارض في الشكل او في القيمة ٠

ـ اذا كانت الورقتان الاخيرتان من نفس الشكل، يضع اللاعب ورقة قيمتها بين ١ و ٦ ـ واذا كانتا مختلفتين في الشكل ، يضع ورقة قيمتها بين ٧ و ١٣ ٠

ـ يقسم اللاعب قيمة ورقة الارض على اربعة ـ اذا قبلت قيمتها القسمة ، يضع ورقة شكلها سباتي ، واذا تبقى فائض للقسمة واحد ، يضع ورقة بستوني ، واذا تبقى اثنان يضع ورقة كوبي (قلب) واذا تبقى ثلاثة يضع ورقة ديناري ٠٠٠

كذلك يمكن للموزع ان يبني قانونه على عنصر خارج اللعب مثلا ، يضع اللاعب الذي يلبس منظارا ورقة حمراء والذي لا يلبس منظارا ورقة سوداء اللون ٠٠

لعبة المزاد

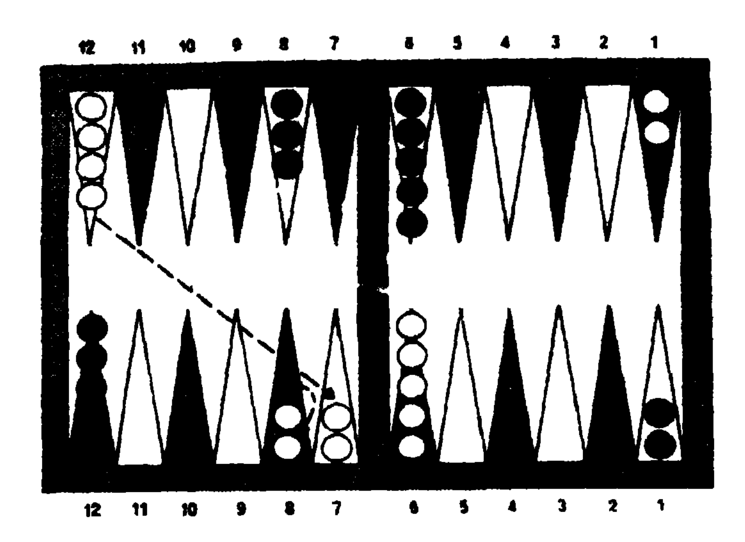
لعبة حظ فقط لمجموعة كبيرة من اللاعبين (اربعة على الاقل) تستعمل فيها مجموعتان من اوراق اللعب المعتادة يختلف لون او رسم ظهرهما ليسهل تمييزهما وفصلهما ـ كما تستعمل « نقود » او اي شيء يمثل النقود (قطع من البلاستيك او حبات بقول ٠٠ الخ) يوزع بالتساوي على اللاعبين ٠ ويكون اللعب هكذا ٠

(١) من مجموعة الاوراق الاولى ، يسحب اللاعبون اربع ورقات تبقى مغطاة على المائدة لا يراها احد ، وتوضع باقي اوراق المجموعة الاولى (٥٢ ـ ٤ = ٤٨) جانبا مؤقتا ٠

(٢) يتناول الموزع مجموعة اوراق اللعب الثانية ـ يعطي ورقة منها هدية لكل من اللاعبين، ثم يمسك بباقي المجموعة في يده اليسرى تحت المائدة ، ويخرج يده اليمنى وبها ورقة او اكثر من اوراق المجموعة (واحدة الى خمس) يضعها

انطاولة

هكذا يشرحونها
للاعب الايطالي
(لعبة السعادة)



على المائدة ويغطيها بكفه لكي لا يرى احد عددها ويعرضها للبيع في مزاد . حتى يرسو المزاد على احد اللاعبين الذى يشتريها ويضع ثمنها على المائدة ... يكرر الموزع العملية مع باقي اوراق المجموعة الثانية حتى يبيعها كلها (٥٢ ورقة) ويصبح مع كل لاعب ورقة واحدة على الاقل (الورقة الهدية اذا لم يكن قد اشترى اوراق اخرى في المزاد) او اكثر من ورقة (اذا كان قد اضاف في المزاد الى الورقه الاولى ــ الهدية)..

(٣) تحصى كمية « النقود » الناتجة من بيع اوراق المجموعة الثانية وتقسم الى اربع كميا (جوائز)تصاعدية توضع فوق الاربع ورقات الاولى المغطاة .

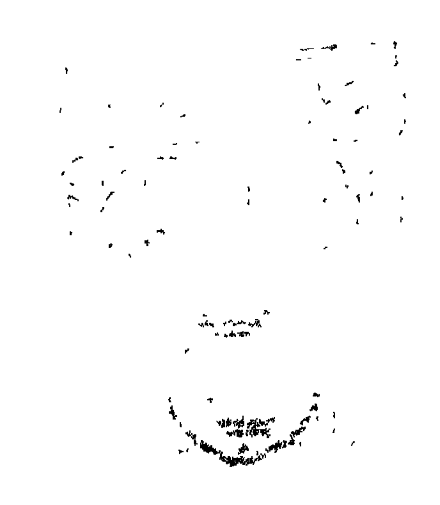
(٤) يتناول الموزع باقي اوراق المجموعة الاولى (٤٧ ورقة) ويبدأ في كشفها واحدة بواحدة ، وكلما كشف ورقة ، يظهر اللاعب الذى يمسك بورقة مشابهة ورقته ويضعها بجوارها على المائدة . وهكذا حتى تنتهى الاوراق التى بيد الموزع وتبقى بايدى اللاعبين اربع اوراق (مماثلة للاربع المغطاة على الارض) .

(٥) تكشف الاوراق المغطاة الاربع ويربح كل لاعب معه ورقة مماثلة جائزة « النقود » الخاصة بالورقة المغطاة .

ملحوظة من موضة العاب هذا الصيف ايضا الطاولة المعروفة (اسمها في اوروبا وامريكا «باكجامون») وخاصة لعبة « العادة » ، كذلك ظهرت اخيرا مجموعة من الالعاب التى تعمل بالالات الحاسبة الصغيرة (وهكذا يتخذ اللعب بعدا تكنولوجيا) .. وقد نفرد لها موضوعا لاحقا ..

روما ــ فريد كامل

■ لا تطلب الحب بين الناس تأخذه
لديباجتيه ، فاغترب تتجدد
فاني رايت الشمس زيدت محبة
الى الناس ان ليست عليهم بسرمد
(ابو تمام)



تولستوى مع وجبة لذيذة !

● تولستوى ،الفيلسوف الكاتب المعلم الروسى الكبير (١٨٢٨ ـ ١٩١٠) لم يقتصر فى كتاباته عن الحرب التيعاشها وكرهها ، وعن السلام الذى احبه وراح ينادى به ، وانما كتب كثيرا عن مشاكل الحياة ، وعن العدالة الاجتماعية ٠٠وكان يلذ له ان يتحدث دائما عن العطاء ، وهو الذى قضى عمره كله يعطى ويعطى ، الى ان تنازل عن ثروته كلها للفلاحين المعدمين فى قريته ياسنايابوليانا ٠٠ ثم استقل القطار فى رحلة اللا عودة بعد ان تقدمبه العمر ، ورحل ، تاركا وراءه ثروة اكبر ما تزال تعيش معنا فى كتبه ومؤلفاته حتى اليوم ٠

كتب تولستوى يحدثنا عن العطاء والاخذ ، قال : « بالرغم من ان العطاء اعظم ، الا ان الاخذ ايضا فن من فنون الحياة ٠٠ فنحن عندما نقبل شيئا يقدمه لنا الاخرون ،انما نجعلهم يشعرون بقدرهم وقيمتهم فى الحياة ، اننا نرفعهم بايدينا لنضعهم فى صفوفنا مهما كانوا صغارا ٠٠ ان فن الاخذ يغير من ابشع صورة فى الدنيا ٠٠ صورة السادة الذين يعطون ويعطون ، لانهم تعودوا على الاحسان على الفقير ، ويحولها الى اجمل واغنى صورة ٠٠ يحولها الى الصداقة التى تقوم على التكافؤ ! » ٠

« لقد كانت اجمل هدية تلقيتها فى حياتى هى تلك « الدجاجة » السمينة التى قدمها لى صديقى الفلاح الصغير الذى كان يعمل فى ارض أبى ٠٠ فى تلك الليلة جلسنا معا نأكلها على مائدة العشاء ٠٠ وكانت الذ وجبة تناولتها فى حياتى ! » ٠

افكار !

■ عندما ابدا رحلة صيد وراء فكرة جديدة، يهرب النوم من عينى ولا يعود اليهما، الا بعد ان اجدها قد وقعت فى شباكى !

« ابراهام لنكولن »

■ هناك شبه كبير بين الاطفال والافكار ٠٠ طفلك دائما هو اجمل الاطفال فى الدنيا وكذلك فكرتك !

« تولستوى »

■ لا تدع الافكار الدافئة تموت من البرد!

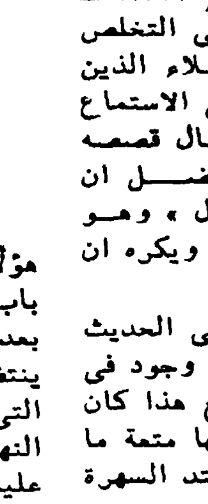
« كارليل »

■ فلندع تعاليمنا زاخرة بالافكار الجديدة ، انها لم تخرج حتى الآن عن دائرة الحقائق والارقام ٠

« اناتول فرانس »



تولستوى



مذكرات فولكنر !

● كان وليام فولكنر المؤلف الامريكى الحائز على جائزة نوبل للادب (١٨٩٧ ـ ١٩٦٢) يجد صعوبة كبيرة فى التخلص من الضيوف والاصدقاء الثقلاء الذين يترددون على بيته ويصرون على الاستماع اليه وهو يحدثهم عن ابطال قصصه الجديدة ! فقد كان فولكنر يفضل ان يعيش وحده مع هؤلاء « الابطال » وهو يرسم ملامح شخصياتهم بقلمه ، ويكره ان يكشف عنهم امام الناس !

وكثيرا ما كان الكاتب يلجأ الى الحديث عن شخصيات وهمية . ليس لها وجود فى قصصه ومؤلفاته الجديدة ، ومع هذا كان اصدقاؤه يجدون فى حديثه عنها متعة ما بعدها متعة! ويمضى الوقت وتمتد السهرة الى ما بعد منتصف الليل ..

وفجأة انقطع الضيوف والاصدقاء عن التردد على بيت المؤلف الكبير؟ ماذا حدث؟

كتب فولكنر فى مذكراته التى ستنشر قريبا يقول : « كان آخر عهدى بهم فى تلك الليلة التى جلست وسطهم اروى لهم فصلا من « قصتى » الجديدة ، وكانت بطلتها امرأة ثرية عجوز ،كانت كلما تقدم بها العمر ازداد شعورها بالكراهية لكل هؤلاء الاقارب الذين لم يكفوا عن طرق باب بيتها كل مساء ، ولا يفارقونها الا بعد ان ينتصف الليل .. فقد كانوا كلهم ينتظرون ساعة رحيلها ،وينتظرون الثروة التى ستؤول اليهم بعد ذهابها .. وفى النهاية خطر لها خاطر ،ما لبثت ان اقدمت عليه بلا تردد ..لقد دعتهم جميعا لتناول العشاء فى بيتها ، وجاءوا ليأكلوا ويملأوا بطونهم .. حتى اذا فرغوا منه ، راحوا يتساقطون على الارض واحدا بعد الآخر .. فقد دست لهم السم فى الطعام ! وفى هدوء جلست هى بعد ذلك تأكل بقايا الطعام المسموم وتكتب وصيتها الاخيرة.. لقد قدمت كل ثروتها للفقراء من جيرانها واصدقائها الذين احبوها دون ان ينتظروا شيئا منها ! » .

الشاعر الصغير مات جائعا !

● النوم والصحة والمال ، اشياء ثلاثة لا نحس بقيمتها ونحن ننعم بها ، فاذا افتقدنا احدها ، بدأت سلسلة آلامنا .. كان أوليفر جولد سميث (١٧٢٨ ـ ١٧٧٤) الشاعر والكاتب المسرحى الايرلندى صديقا للدكتور صموئيل جونسون صاحب اول قاموس فى اللغة الانجليزية ..ذهب اليه يوما يشكو الارق، فقال له الكاتب العملاق : « لا تأكل كثيرا قبل النوم ! »

واعتلت صحة الشاعر الرقيق الصغير، فعاد الى صديقه الكبير يقول : « لم اعد اتناول من الطعام الا ما تستطيع معدتى المسكينة ان تهضمه ، ومع ذلك فما زال النوم هاربا من عينى ! » .

ومات جولد سميث قبل ان يحتفل بعيد ميلاده السادس والاربعين ، وانقضت شهور طويلة قبل ان يكتشف جونسون ان صديقه لم يكن ينام الا لانه كان فقيرا جائعا مريضا !



آخر ما كتبه محمود حسن اسماعيل :

● قبل وفاته بايام قليلة ـ في آخر ابريل الماضي ـ بعث الشاعر الكبير محمود حسن اسماعيل الى « العربي » بهذه القصيدة ، التي اختار لها عنوان «الفردوس العزين» ٠٠وهو هنا يحلق في عالم مليء بالاحزان والهموم ، كأنما كان يستعد للرحيل ٠

الفردوس الحزين

من بستان القلب

■ .. لي جَنَّةٌ أتْرعتُ فِردوسَها
من زَمَني الدَّامي ، وأيَّامي
تكادُ .. والرِّيحُ على صَدْرِها
تَنْساب ، أنْ تَعْزِفَ أنغامي .
واللَّيلُ إذْ يُلْقِي على قَلْبِها
رؤياهُ .. تَخْضرُّ بأحْلامي ..
فَرْعٌ يُغَنِّي ، وأخٌ مِثْلُهُ
يُصْغِي مَعَ الطَّيْرِ لإلْهامي ! .
أوقِظُ فيها العِطْرَ ، مَهْما غَفَتْ
أشواقُه ، في البُرْعُمِ النَّامي
وأعْصِرُ الضَّوْءَ على جَفْنِها ..
لِتَشْربَ الصَّحْوَةَ .. مِن جامِي !

***

.. لَحْني بها صَمْتٌ ، ورُوحي على
أزْهارِها ، شَدْوٌ بآلامي
عَزَفْتُ نايَ الرِّيح في لَيْلِها
وطُفْتُ مسْحُوراً بأوْهامي ،
بَذَرْتُ فيها نَغَمي ، واهِباً
أسْرارَهُ لِلشَّفَقِ الدَّامي



ورُحتُ أسقيه بمذروفه
من دمعي المحترق الهامي ..
عمري عليها طائر .. أوشكت
الحانه تنسل قدامي
وفرحتي لاشيء !! .. إلا أسى
يضحك .. في تابوت أحلام !!

★★★

.. دخلتها ، والليل مستعمر
كأشيب في زي إحرام
على بقايا قمر فانٍ
مصمّد النظرة همهام
يكاد يروي قصتي للربى
ويسكب العطر بأنسامي ..
.. فلم أجد .. حتى بقايا الهوى
حتى خطا التيه لأقدامي !
حتى بقايا الدمع ! .. حتى الرؤى !
حول الزوال المورق النامي !
حتى صدى الذكرى ، وإيماضها
في الروح .. لم ينصت لإظلامي !!

★★★

.. تهادلت فيها غصون البلى
وفتحت حيرة أكمامي ،
والتفت الناي لإلهامه ..
فلم يجد غير الصدى الظامي ،
وحسرة ملهوفة .. ، لقنت
كل حزانى الطير .. أنغامي ! ■■

محمود حسن اسماعيل

مسيرة الحياة ..
هل تبدأ بغير كفاح ؟

بقلم : منير نصيف

هل يمكن ان نبدأ مسيرتنا في طريق الحياة بغير كفاح ؟ انها قصة فتاة ارادت ان تبدأ من القمة ! فهل وصلت ؟؟

★ ★ ★

■ كانت تتحدث في ثقة ، وهي تعلن رأيها في الشاب الذى اختاره لها والداها للزواج منه: « لا يا أمي .. ارجو ان تصفح عني يا أبي .. فليس هذا هو الرجل الذى اتمناه شريكا لحياتي!»

ولكنه يحبك ، ثم هو ابن صديقي ، وهو شاب ممتاز تخرج من الجامعة ويشغل منصبا لا باس به ، ويتوقع له رؤساؤه مستقبلا طيبا !

وسكت الاب ، عندما قامت الفتاة عائدة الى غرفتها وانتهى الحديث !

التفت الاب الى زوجته وام اولاده ، وقال :

« انت امها ، وربما تكونين اقدر مني على معرفة اسباب رفضها لهذا الشاب الذى تقدم يطلب يدها . هناك كلام تقوله البنت لامها ولكنها تجد حرجا في ان تبوح به لابيها .. ربما كان هناك رجل آخر في حياتها !

وفي تلك الليلة لم تنم الام.. لقد بقيت في غرفتها ساهرة تنتظر انتهاء ابنتها من استذكار دروسها ..انها طالبة في الجامعة في السنة النهائية بكلية الآداب ،وبعد أيام قليلة ستؤدى الامتحان، وتحصل على الليسانس ،وهي لا تريد ان تشغلها عن دراستها .. ولكنها ايضا تريد ان تعرف منها ما لم يعرفه الاب .. لقد كلفها بهذه المهمة ، وهي تريد ان تعرف هي الاخرى .. ثم هي بعد ذلك ، وهذا هو المهم ، قد بدأت تشعر بشيء من القلق على مستقبل ابنتهما الجميلة .. انها اكبر اخوتها ، وقد اصبحت امرأة جميلة ، وتزايد عدد المعجبين بها .

ذكريات الطفولة

وفجأة رأت الام غرفة ابنتها غارقة في الظلام.. لقد انطفأ النور .. اذن فقد تركت كتبها ، وآوت الى فراشها واستعدت للنوم !

وقامت الام من جلستها وطرقت الباب في هدوء .. وسمعت صوتها من الداخل يناديها ، ويدعوها الى الدخول ، واضاءت الابنة النور من جديد ، وفتحت الام الباب لتجدها جالسة وسط فراشها ، وقد مدت اليها ذراعيها « تعالي يا

امي .. احك لي .. دعيني أستمع الى حديثك الحلو الذى عودتني عليه .. هل تذكرين قصصك المسلية التي كنت ترويها لي قبل النوم كل مساء عندما كنت طفلة ابحث عن الحب داخل قلبك الحنون .. لقد كنت دائما قريبة مني ! ما اسرع ما يمر الزمن !

وضمتها امها الى صدرها وراحت تقبل وجنتيها بشفتين ترتجفان وقالت وهي تحاول بكل ما تبقى لديها من قوة ان تسيطر على عواطفها : « انت فتاة جميلة يا ابنتي ، وانا فخورة بك .. وسوف ابقى قريبة منك بقلبي مهما بعدت عني ! انت ابنتي .. انت قطعة مني .. انت شبابي وحياتي وكل ما أملك ! هل استطيع بعد هذا ان اسالك سؤالا صغيرا .. لا أريد ان اشغلك بالتفكير في شيء آخر الان .. انا اعلم ان الامتحانات تستحوذ على كل وقتك وفكرك .. ولكنني اريد ان استريح .. لقد كنت دائما صديقة لك ..وكنت تحكين لي كل اسرارك ومتاعبك .. لماذا لا تصارحينني الان ؟ .. لماذا رفضت هذا الشاب الذى اختاره لك والدك يا ابنتي ؟ هل هناك رجل آخر ؟ »

وضحكت الفتاة في هدوء .. واحتضنت يد امها بكلتا يديها وقالت : « ليس هناك شيء من هذا كله .. كنت اتصور ان تكوني انت يا امي أكثر الناس فهما لابنتك .. تستطيعين ان تهدئي وتستريحي ،فليس هناك رجل آخر.. والامر ابسط مما تتصورين .. انني لا اريد ان اتزوج هذا الشاب لانه ليس الرجل الذى استطيع ان ابدأ معه حياة جديدة !.. فقط ليس الرجل الذى اتمناه زوجا لي .. انا اعرف انني لا استطيع ان اقف عند هذا الحد من حديثي معك وحتى لو شئت فلن تتركيني !

قصة امرأة عظيمة

واذن فلا بد ان امضي معك ، واروى لك قصة طويلة من تلك التي يرويها الابناء لآبائهم بعد النوم .. منذ سنوات بعيدة ، عندما بدأت اعي وأدرك بعض حقائق الحياة وكنت ما زلت طفلة ، عرفت سيدة رقيقة جميلة طيبة القلب تزوجت رجلا في مثل سنها او أكبر قليلا وانجبت منه اربعة اطفال .. كان هو الاخر رجلا طيبا ، وكان يحب زوجته ، ويحب بيته واطفاله وكان يعطيهم من حبه وعطفه ورعايته كل ما كان يملك واكثر مما يملك .. اما هي فقد اعطتهم حياتها.. اعطتهم نفسها اعطتهم كل شيء يمكن ان تقدمه لهذه الاسرة الصغيرة التي اصبحت كل دنياها !

« كنت اراها عن قرب وهي تعمل وتتعب وتكافح من اجل اسعاد هؤلاء الصغار .. ومن اجل ان توفر لهم كل ما كانوا يحتاجون اليه ، كانت اول من يصحو في الصباح .. مع خيوط الفجر كانت تقف في المطبخ تعد لهم طعام الافطار ، وتعدهم للذهاب الى مدارسهم في ملابسهم النظيفة دائما .. كانت لا تكاد تنتهي من عمل ، حتى تبدأ في عمل جديد .. غسيل الملابس ، واعداد وجبات الطعام ، وتنظيف البيت ، وكل عمل صغير وكبير .. لم تكن تهدأ ابدا لم تعرف الراحة يوما ..كانت حياتها كلها عملا متصلا من اجل هؤلاء الذين تحبهم وترعاهم .. فقد كانت تعلم ان دخل زوجها من وظيفته لن يسمح لها بحال ان تدفع منه اجرا لاحد يمكن ان يساعدها في انجاز هذه المهام الشاقة في البيت الصغير الذى يحتويها مع اسرتها.

« وكان زوجها يشعر بالتضحيات التي تقدمها زوجته وأم اطفاله عن طيب خاطر .. وكان حريصا على ان يساعدها .. فكان يبحث ، كلما اتيحت له الفرصة عن عمل اضافي يضاعف به دخله من وظيفته .. وكلما كسب مبلغا جديدا دسه في يدها .. ولكنها لم تكن تسعد بهذا الكسب كثيرا فقد كانت تشفق عليه من التعب والارهاق ، وهي تراه يخرج من البيت في الصباح ولا يعود اليه الا بعد ان تغيب الشمس وربما امتد به السهر في عمله الى ما قبل منتصف الليل ، وهو يعمل ويكافح من اجل توفير نفقات الحياة ومواجهة اعبائها التي كانت تتزايد كلما كبر الابناء وتضاعفت التزاماته ازاءهم !

« كان الاب المسكين بدوره يشقى ويتعب ويكدح ! »

دموع الام !

وسكتت الفتاة .. ورفعت عينيها الى هذا الوجه الحنون الذى طالما احبته ، فوجدته غارقا في الدموع .. كانت الام تبكي ، ولم تكن تملك في تلك اللحظة وهي تستمع الى القصة التي ترويها عليها ابنتها ، الا ان تبكي .. فقد

كانت الام تعرف هى ايضا هذه السيدة ، وتعرف قصتها .. كانت الفتاة تحكى قصة امها .. تحكى تجربتها هى مع الاسرة التى تنتمى اليها .. مع الام التى بقيت صورة كفاحها مع الحياة عالقة فى ذهنها طوال هذه الاعوام ، منذ ان بدات الفتاة تدرك معنى الحياة وحقائقها فى طفولتها المبكرة..

وفهمت الام اشياء كثيرة .. ادركت على الفور السر وراء رفض ابنتها الزواج من هذا الشاب الصغير الذى رشحه والدها للزواج بها ، ان الفتاة الصغيرة الجميلة لا تريد ان تتكرر قصة امها معها .. انها لا تريد ان تشقى مثلها .. انها تشفق على نفسها من حياة العمل والكفاح التى عاشتها اعز انسانة الى قلبها .. لماذا لا تتزوج رجلا يستطيع ان يوفر لها كل اسباب الحياة السهلة الرغدة .. لماذا لا تعيش فى بيت كبير فيه خدم وحشم .. لماذا لا يكون عندها سيارة ، وعندها مال كثير تستطيع ان توفر به لاطفالها كل ما حرمت هى منه !

والقت الفتاة براسها الصغير على صدر امها وبكت طويلا ..

وعثرت عليه

وتخرجت الفتاة ، وانقضت بضعة اشهر على هذا الحديث الذى دار بين الام وابنتها، والتحقت الفتاة بعمل فى احدى الشركات ، واسعدها كثيرا ان تجد نفسها اخيرا وقد اصبحت قادرة على ان تساهم بقسط فى نفقات البيت ، وتوفر على والدها الذى بدا السن يتقدم به ، مشقة البحث عن عمل اضافى .. وبدات احوال الاسرة تنتظم وتستقر بعض الشىء !

الى ان كان احد الايام عندما سمع الاب طرقا خفيفا على باب البيت .. واتجه ليفتحه ، فاذا به يفاجا برجل انيق وخط الشيب شعر راسه ، ولكنه كان حريصا على ان يخفى حقيقة سنه بقدر الامكان .. وقدم الرجل نفسه .. انه مدير الشركة التى تعمل فيها ابنته .. ودعاه الاب الى الدخول .. ودخل ولم يحاول ان يخفى السبب الذى جاء من اجله .. لقد تطرق الى الموضوع من اقصر طريق : « اننى معجب بابنتك وقد جئت اليوم طالبا يدها ! » ..

وسمعت الفتاة من وراء باب حجرتها ما دار بين الاب ومديرها فى الشركة .. ورقص قلبها طربا .. لقد تحقق حلمها او كاد .. ها هو رجل ناجح يتقاضى مرتبا ضخما يطرق باب بيتها يطلب الزواج منها !

ومضت تسترق السمع من وراء الباب ، وقال الاب : هذا شرف كبير .. ولكن ارجو ان تمهلنى حتى استطلع راى ابنتى ! »

وارتاح الرجل لهذا الرد ، فقد كان واثقا من ان مركزه الادبى والمالى لن يعطى لاحد فرصة للتوقف والتفكير فى الفارق الكبير فى السن بينه وبين الفتاة التى يريدها زوجة له ! كان هو قد جاوز الخامسة والاربعين ولم تكن هى قد بلغت ربيعها الخامس والعشرين بعد !

ولم يكن الاب فى حاجة لان ينقل لابنته ما حدث ، فقد سمعت باذنيها تفاصيل ما جرى من حديث بين مديرها ووالدها ، وما كاد الرجل ينصرف حتى فتحت الفتاة باب حجرتها ، واتجهت الى والدها وارتمت بين ذراعيه وابتسامة رقيقة ترتسم على شفتيها : «ارجوك يا ابى ان توافق!»

وتبدد الحلم الكبير

ووافق الاب بعد ان اكدت له ابنته انها تحب هذا الرجل .. وانها تتمنى ان تصبح زوجة له ، تشاركه حياته !

كل ما كان لديه من تحفظات ان تسمح له ابنته بان يسال عنه ، ويحاول ان يعرف شيئا عن حياته الخاصة .. كيف يعيش ،فقد كان السؤال الذى يؤرقه هو « لماذا بقى هذا الرجل بدون زواج حتى بلغ هذه السن ؟ »

وراح الاب يسال ويستفسر ! ولم تطل رحلته.. فقد عرف كل شىء عن هذا الطارق الغريب الذى تقدم للزواج من ابنته .. ان له صديقة تعيش معه تحت سقف واحد منذ سنوات ، حتى ان الكثيرين من جيرانه ومعارفه تصوروا فى وقت من الاوقات انها زوجته ، الى ان اكتشفوا الحقيقة اخيرا !

وصدمت الفتاة عندما نقل لها والدها هذه الحقيقة المؤلمة عن الرجل الذى يريدها زوجة

له .. وانهارت وهي ترى كل آمالها واحلامها تحملها الرياح امامها وتلقى بها في بئر عميق بلا قاع .. وحملوها الى المستشفى للعلاج من الصدمة العصبية التي اصيبت بها ..

باقة الزهور

وكان هناك رجلان يقفان على باب المستشفى كل يوم يسالان عن الفتاة التي كانت تبكي وحدها حظها العاثر..الثرى الذى احبته وارتضته زوجا لها قبل ان تكتشف هذه المراة الاخرى التي تشاركه حياته .. والشاب الصغير الذى اختاره لها والدها ليكون زوجا لها . ورفضته لانها لا تريد ان تبدأ حياتها من أول السلم . وتمضى في رحلة الكفاح الطويل كما يفعل كل زوجين في مستهل حياتهما وهما يصعدان تل الحياة !

اما الاول الذى تسبب لها في كل هذه الالام ، فقد كان يخرج دفتر الشيكات من جيبه كل اسبوع ليدفع نفقات العلاج .. واما الثاني، فقد حرص على ان يبعث لها في كل صباح مع رسول باقة من الزهور الجميلة لا تحمل اى شيء يوحي بشخصية صاحبها .

وكانت الفتاة تتساءل كلما طالت مدة اقامتها في المستشفى عن نفقات العلاج . وكم بلغت ، ومتى يجب ان تسدد ! وكانوا يجيبونها : ان رجلا كريما يا سيدتي يقوم بسداد جميع النفقات فلا تقلقي ! »

ولم تهتم كثيرا بالسؤال عن اسمه ومن يكون !

اما الزهور ، فقد كانت تنتظرها بلهفة .. ولا تكاد ترى الرسول يحملها اليها حتى تعتدل في فراشها وتتلقفها منه بكلتا يديها وتضمها الى صدرها وتملأ انفها الصغير برائحتها الجميلة .. ثم تتحول اليه بسرعة وهي تقول : انا لا اعرف من هو صاحب هذه الزهور الجميله .. فقط ارجوك ان تبلغه انها اجمل هدية استقبل بها يومي كل صباح ! »

.. وعاد اليها !

وانقضت بضعة اسابيع ، قبل ان يسمح الاطباء للفتاة بالنزول الى حديقة المستشفى وقضاء فترة من الصباح بين اشجارها وزهورها .. لقد بدات الفتاة المسكينة تتماثل للشفاء وتستعد لاستقبال الحياة الطبيعية من جديد ..

وفي حديقة المستشفى ، وامام الباب الخارجي رأته قادما .. وكان يسرع الخطا ، وكانه على موعد .. وخفق قلبها بشدة ، انه هو .. الشاب الوسيم الصغير الذى اختاره لها والدها ، ورفضته لانه غير قادر على ان يوفر لها الحياة التي كانت تحلم بها !

ونادته ، ولم يصدق اذنيه .. ودار حول نفسه، واحس بقلبه يكاد يقفز من بين ضلوعه واتجه اليها مسرعا ، وباقة الزهور في يده !

ولكنه نسى الزهور ونسى كل شيء في الدنيا في هذه اللحظة التي وقف فيها وجها لوجه امام الفتاة التي لم تغب صورتها عن مخيلته لحظة واحدة !

قالت وهي تمد اليه يدها مصافحة : انت .. انت صاحب هذه الزهور الجميلة اذن ؟ »

ـ نعم انا ! قالها في خجل واستحياء ! »

وعادت تمسك بيده وسارا معا في الحديقة الى ان وصلا الى سفح تل صغير مرتفع تكسوه الحشائش الخضراء ..

وقال :« لا ..لا تصعدى هذا التل وحدك . فقد يصيبك الارهاق والتعب ! » .

قالت :« سوف نصعده معا وساعتمد على ذراعك القوية .. ارجوك الا تتركني ! »

وعندما بلغا القمة ، وقفت تبتسم وتبسط ذراعيها في الهواء وكانها تحتضن بهما الدنيا كلها .. ثم دارت حول نفسها والهواء يداعب خصلات شعرها الناعم الجميل وفجاة راتها هناك.. رأت امها اسفل التل ، الذى بدات عنده رحلة الصعود الى القمة .. ولم تكن وحدها كان معها والدها .. وكانت هي الاخرى تستند الى ذراعه وتلوح لها بيدها .. ودعتهما الى الصعود .. ولكنهما وقفا حيث هما بلا حراك .. ان الشباب وحدهم هم الذين يستطيعون ان يصعدوا سلم الحياة .. فالطريق الى القمة مليء بالصعاب التي لا يقدر عليها الا من هم في ربيع العمر..

■■

منير نصيف

بقلم : مجيد طوبيا

■ مع اقتراب النهار من نهايته ، سارع الاله رع الذي خلق نفسه بنفسه الى اداء مهمته اليومية، بان اغمض عينه المشمسة ، ليعم الظلام فوق انحاء الارض ٠٠ حيث كان شاب نحيل يتباطأ في الدخول الى داره ، اذ كان يعرف ان سحارة الخبز خالية من الطعام ، وكان جائعا ولم يكن معه ما يحضر به اكلا ٠٠ ولم يكن في سراجه زيت ليضيء المكان، فتحسس طريقه الى فراشه واستلقى عليه منهكا محاولا النوم ، لكن معدته الخاوية منعته ٠٠وحاول ان يشغل نفسه بالتفكير في مواضيع شتى علّه ينسى جوعه فلم يقدر على التركيز ٠٠ واخذ يبتهل الى الاله قائلا :

ـ اي رع يامن خلقت نار الحياة وانهار المياه ، معدتي الخاوية تملأ رأسي بآلام الصداع فاشملني بعطفك ٠٠ انت يامن انشأ الايام والساعات وجعلت التناسل ، صراخ معدتي يطن في اذني فاشملني بعطفك وارسل برحمة النعاس الى عيني ٠٠

وظل يتقلب في رقدته متأملا حاله وحال الناس، وخطرت على باله اسئلة محيرة لم يحسمها باجوبة مقنعة ٠٠ وطال الظلام وظن ان الليل الطويل لن ينجلي، فخشي ان يكون رع قد اسرف في احتساء جعته الالهية وغفا وغفل عن فتح عينه المشمسة٠٠

لكن هواجسه تبددت عندما فتح الاله عينه فتسلل ضوء النهار ،وصاح ديك الفجر ليوقظ الدواب والزواحف ، ورحل سلطان النوم عن اعين الناس فراحوا يغادرون ديارهم ٠٠وعند ذاك هجر الشاب فراشه ، وتوجه الى عمه الكهل ، فوجده جالسا امام داره نحيفا شديد الشحوب والسمرة والتجاعيد، جلس الى جواره ، وبعد ان حياه وابدى احترامه ساله :

ـ ياعمي الطيب ، لماذا خلق الاله الانسان ؟؟

تامله الشيخ برهة ثم رد في ابتسار :

ـ لانه حدث ان بكى الاله رع فخلق البشر من دموعه ٠

طفحت مرارة الشاب :

ـ ولماذا لم يخلقنا دون الحاجة الى الطعام؟!

أدرك الشيخ ان ابن اخيه لم يوفق بعد في العثور على عمل جديد ، ولاحظ عليه هزال الجوع ، وحز في قلبه انه لا يملك ما يطعمه به ٠٠وهتف الشاب:

ـ ان كان لا بد للاله ان يبكي وان يخلق البشر من دموعه فلماذا جعلهم فقراء واغنياء ؟ !

تلفت الشيخ حوله في حذر ، وكان يخاف ان



يكون هناك من ينقل الكلام الى مسامع الفرعون الفارش جناحيه على الوجهين القبلى والبحرى ، أو الى أسماع كهنة المعبد المبجلين الفارقين فى خيرات الاله الفانية ، فلم يشأ ان يتكلم ٠٠ بينما كان الحزن قد غلب الشاب فسالت دموعه على وجنتيه ، ولما تساقطت فوق ظهر كفه نظر اليها وقال متحسرا :

ـ اما دموعنا نحن فهى لا تخلق شيئا !!

بعد حين خرج الشيخ عن صمته مخفضا من صوته:

ـ منفردين لاتخلق دموع البشر شيئا ،أمامجتمعين فيمكنها ان تفعل وان تغير ٠٠

وظن الشاب ان العم قد عاد يتكلم بالاحاجى كعادته كلما شاء انهاء الحديث ، فنهض وسار على شاطىء النيل دون هدف ، وعند حدود المدينة وجد نفسه قريبا من قصر الفرعون المرهوب ،وتلصص بنظراته الانسية الى حديقته فرأى الاميرات والوصيفات تحت ظلال ريش النعام ، والشبع باد عليهن ، فحدث نفسه : « لكن الفرعون ليس مثل البشر فهو منحدر من نسل رع وليس من دموعه»٠٠ ثم اضطر الى الابتعاد متعثرا تطارده نظرات الحراس المستريبة ٠

وبينما أشعة الاله الحارقة تلهب نافوخه ،وخواء المعدة يعصر ماء الرؤية من عينيه ، اذا به يشاهد الاشياء تغرق فى نصوع شديد ، والسماء تنفرج عن اصناف من الطعام لذيذة برائحة شهية ـ وكان النهر زاخرا بالتماسيح من مختلف الاحجام وتابع المسير طويلا حتى خارت ساقاه فتوقف وانهار فى مكانه وبدنه يرتجف برعشة عجيبة ٠٠

وعندما كان زورق الشمس فى السماء يسبح بالاله صوب الغرب ، خرج من النهر تمساح كبير نفض الماء عن جسده الضخم ، ثم استرخى على الشاطىء متثائبا وهو يرمق الشاب بنظرات كسول، وقد تجمعت حول عينيه عدة قطرات حسبها الشاب دموعا ٠٠ وخرجت كذلك من قصر الفرعون محفة ملكية ، يحملها اربعة من العبيد وبداخلها اجمل اميرات القصر ، وكانت تهوى مشاهدة مياه النهر وقد اصطبغت بذهب الغروب ، وقد الفت ان تجد المكان خاليا الا من التماسيح٠٠لكنها هذه المرة وجدت انسانا يجلس فى مواجهة تمساح ، والاثنان يرمقان بعضهما ، ولاحظت ان التمساح يتثاءب وانه فى تثاؤبه يقترب من الانسان ، وان رفصة هذا الانسان تعكس حزنا مريرا ويأسا كبيرا ٠٠

وقد رآها الشاب وهى ترنو اليه فى عطف ، وهى توقف المحفة وتنساب نحوه كالطيف الرقيق، وتداعب شعره الخشن فى حنان ، فابتسم لها وهو يظن ان ما به حلم لان جسده كان ما زال يرتجف وكأنها رعشة الحمى ٠٠ لكنها أخذته الى المحفة التى حملها العبيد الاربعة الى القصر ، وهناك شاهد عن قرب الوصيفات باجسادهن الجميلة والشبع باد عليهن ، ودخل مخبز القصر وراقته رائحة الخبز ، وزار المطبخ الملكى فوجد من الطعام ما ملأ معدته باشهى المذاق ، وتمنى لو أرسل بعضا منه الى عمه النحيف ٠٠ ثم دخل معصر الجعة ، ورشف قدرا منها وخمن ان لذة مذاقها لا تفوقها لذة اية جعة اخرى ما عدا جعة الاله رع بالطبع٠٠ وبعد ذلك جعلته الاميرة يستحم ويتعطر ، ثم اخذته الى غرفتها الرائعة ، ولاحظ انها جميلة وقوية وفى صحة جيدة ، وان شذى عطرها الملكى بديع٠٠ وعند الفجر نام وهى فى حضنه ، وبعد ظهر اليوم التالى استيقظا على مهل ، وسارع هو بزيارة المطبخ مرة ثانية حيث ملأ معدته متذوقا من كل وعاء ، ثم هرول الى معصر الجعة وشرب ٠٠ وقبل الغروب لاحظ ان الاميرة تتجمل وتتزين استعدادا للخروج،وفهم انها خارجة فى نزهتها المغيبية، وتوقع ان تجد عند ضفة النهر شابا حزينا يائسا فتعطف عليه وتحضره الى قصر ابيها الفرعون الموقر فيفقد هو مكانه ، لذلك تجرأ وطلب منها عدم الخروج ، واستهولت سموها جرأته ، وعندما اصر امرت عبيدها بضربه ، فتكالبوا عليه منفذين ارادتها التى لا ترد ،ثم حملوه الى الشاطىء حيث القوه٠٠

فعادت الرجفة تنتاب جسده المترضض ، وملأت الدموع عينيه ، بينما التمساح المتثائب يزحف بطيئا ناحيته ، وعندما دنا منه انقض عليه بفمه الواسع ٠٠ وبعد ان ابتلع جميع بدنه شعر بالعطش ، فنزل الى النهر حيث ارتوى ، ثم عاد يسترخى فوق الشاطىء وقد تجمعت حول عينيه بضع قطرات ، بدت تحت اشعة المغيب كالدموع الذهبية ٠٠ بينما عند اقصى غروب الافق كان الاله رع الذى لم يولد ولا يموت يسارع باغماض عينه ليعم الظلام فوق ارجاء المعمورة ...

القاهرة ـ مجيد طوبيا

أدب الظل

مـارون عبود

مارون عبود من ابرز كتاب العرب ونقادهم المحدثين ، تدل دراسة آثاره علـى أنه أحسـن دراسة الادب العربي القديم ، وتاثر بغير مـا فيه مـن عمـق وجزالة ، كما اطلع على أدبنـا الحديث : لا سيما أدب مصـر وأدب المهجر ، وكان له اطـلاع واسع على آثار كتاب فرنسـا وشعرائها ونقادها ، والتاثر بهم في كتاباته ، وكان صريحا مـع حدة أحيانا في نقده للقدمـاء والمحدثين ، ونزعة الى التهكم والدعابة ، وله علة كتب ، وقد نقلنا هذه المقالة من كتابـه «جدد وقدماء» ٠ توفي سنة ١٩٧٢

كان اقصى اماني الاديب ان يشـارك قصر ملك او امير ، والسعيد من ينفتح له الباب ويدنو من السدة والسرير ، حيث ينعـم بعيش اخضر فيوهب ويهب حتى الغلمان والجواري والضياع ان صـار وزيرا ٠ فحسن التحـرير والتحبير كان سلما للوزارة كما قال المامون لاحدهم حين جوّد كتابا عرضه عليه ٠

وكذلك قل في الشعراء من زهير بن ابي سلمى حتى شوقي ، فالادب وخصوصا الشـعر منه ، ما نبت وجن (١) الا في ظلال القصور ، وعنه نشا هذا الادب الذي نقرأ (ادب الظل) ٠ فما اشبهه الا بتلك النباتات التي تغرس في الاصص زينة للدار ، تصعر خدها اذا هش لها نور النافـذة الحليم ، وتسـتقيم اخادعها (٢) اذا ضربتـها الشمس ضربة فرزدقية ، فتعـود الى البـوق كالحلزون ٠

فلا يلومن ادباء اليوم زملاءهم ادباء الامس فلا يكون القماش الا على هوى العصر ٠ فضلّ

(١) جن النبات : هاج وانتشر

(٢) الاخادع ـ مفردها : اخـدع ، وهو جانب العنق

اسلافنا نسيج الكلام وفقا للطراز المرغوب فيه ، فكان منهم الخياط الماهر ، وكان منهم كالذى خاط قباء لبشار فوقع فى لسانه (٣) . فلا تظنن انهم كانوا اقل عقلا منا يقلدون ولا يطمعون الى التجديد ، فكم تبرم زعماؤهم بشهوة امرائهم للمدح ، فغرفوا لهم الثناء من بحور الشعر حتى صار المديح كالعبث والسخرية .

انك تلمح الجديد فى آثار هؤلاء الادباء بين العتيق المعفن ، فكانك فى دكان (سمانة) فيه كل ما يحتاج اليه البيت ، ولا غرابة فيما اقول فالشاعر ايضا كان من حوائج القصر ، كالهراج والنديم والسمير ، فالناس الهية الناس .

فلو قرات عمر بن ابى ربيعة ، وبشارا ، وابا نواس ، وابن الرومى ، والبحترى ، والمتنبى ، لرايت ان كلا منهم قال شعرين : شعرا ارضى به نفسه ، وشعرا ارضى عنه كيسه . انفق ما اجداه شعر الكيس على انماء شعر النفس ، والمضى فى الطريق الحديث الذى هداه اليه وجدانه الحكيم .

مساكين الشعراء ، فلا يغرك ما تقرأ فى كتب الادب عن الحفاوة بهم واعظامهم ، فقد كان يقف الشاعر بباب الامير الشهر والشهرين ، والعام والعامين ، ولا تطأ رجله البساط ليقبل الارض بين يدى سيد السرير ، وينشده قصيدة سداها الكذب ولحمتها التمليق ، وكم كان هؤلاء الاسياد يعبثون بالشعراء ، بل كم كانوا يئدون بناتهم . فهذا صراخ ابن الرومى يجرح القلب على بعد العهد به ، فيقول :

رددت الى مدحى بعد مطل
وقد دنست ملبسه الجديدا
وقلت « امدح به من شئت غيرى »
ومن ذا يقبل المدح الرديدا
ولا سيما وقد اعقبت فيه
مخازيك اللواتى لن تبيدا
وما للحى فى اكفان ميت
لبوس بعد ما امتلأت صديدا

ارايت ماذا تعقب خيبة الشاعر ؟ ! وان تسمع بالاخطل المدلل فهذا واحد لا غير ، وقد مات ذلك الدلال بموت ممدوحه عبد الملك ، وعفى عليه عمر بن عبد العزيز فطرد الشاعر فانزوى فى صحرائه القاحلة حتى مات ، وهو يذكر بطن الغوطة (والغبر) الذى اتى ...

مساكين الشعراء ، مات المتنبى وفى قلبه جرح اليم من ضربة الدواة التى خلد مدادها سيف الدولة ، وان قال : فما لجرح اذا ارضاكم الم ، فلا تصدقه فقد رافقه ذلك الالم الى القبر ... وخيبة ابى نواس بالخصيب والمتنبى بكافور تنبئك كم كان يكدح قوالو الشعر فى ادراك الرغيف فتركض ويركضون ويعلم الله من يسبق . وان شبعوا حمدوا الله على تلك النعمة وقالوا فى الامير ما يزهى به كالغراب ، والجسور منهم كان يهجو اذا استبطأ العطاء فطورا ياتيه وتارة يقضى عليه .

وما كانت حال الشعراء فى غير امتنا الا كحالهم عندنا ، فهذا كورنيل يسترحم القصر ليجرى على « بوالو » قليلا من المال يتقوت به ، كما اوصى قبله ابو تمام امراء المعرة بابن عمه البحترى ، فاكرموه على بذاذته ، واخيرا نهض الغرب فابى ادبه ان يكون كالدجاج يزرب فى الحوش وينثر له الحب ويشرب الماء الآسن من الجرن ، فطار فى الافق الفسيح يفتش عن هواء طليق وشمس حرة وماء طهور . والف الجنان فالهمته غناء اطرب القصور والاكواخ ، وزار ـ والشعراء اسد وطير ـ فارعد فرائص العروش . وشعر انه ملك دولة ـ الراى العام ـ فبسط عليها سلطانه ، واوغل فى طلب حريته وذاقت الامم حلاوتها ، فتهافتت على ما يطبخ وينضج ، فكان للنابغ الثروة والسعادة والمجد ، الم يتوجوا « فولتير » قبل موته باشهر ، الم تمش فرنسا فى مناحة « هيغو » الخ ...

اما المتطفل على موائد الادب فى كل جيل وامة فظل قلبه يتعصر مشتهيا عضة كسرة كاليعازار ولا يجدها ، وان يئس على نفسه بالجلوس فى حضن ابراهيم ، ولكن ليس فى الادب لهؤلاء المعاتيه جنة يخلدون بها .

اما عندنا فظل الادب يتسكع فى الظلال حتى كانت الحرب الكبرى التى نفخت فى العالمين

---

(٣) كان الخياط اعور ، واسمه عمرو ، فقال بشار
خاط لى عمرو قباء   ليت عينيه سواء

روحا جديدة ، وخلقت ادبا جديدا ، فادرك ادباؤنا انهم خلقوا لغير التسول والشحاذة ، فابت عليهم انفسهم ان يظلوا راسفين في تلك القيود ـ الا الذين ما برحوا مداحين نواحين ـ فنحوا منحى جديدا في كل الوان الادب ، وان لم يعرفوا بعد بصنف خاص ، فانهم سيظفرون بالطابع ان فكروا بعقولهم لا بعقول جيرانهم كاكثر الناس ، وان عبروا بلغة جيلهم وزمانهم تعبيرا صحيحا ، ولم يروا مثلهم الاعلى في تلك الرواسم (٤) التي يجدحون من سويقها ولا يتسايون ، ولم يخالوا الادب كله في عبارة مقفعية ، وجملة جاحظية وسجعة همذانية • فالجاحظ الاديب الساحر لم تقر له الاجيال بالامامة الا لانه فكر بعقله ،ونطق بلسان جيله ، وابى ان يتكلم كالمتقدمين فقال للناس : انا ابو عثمان ، انا الجاحظ ، ولست قسا ولا سحبان ، ولا اكثم بن صيفي •

لسنا نبحث الان تطور الادب ونهضته الحديثة ـ هذا بحث طويل كشهر الصوم ، وانا صائم دائما ولا ارتجي اجرا ـ ولكنها كلمة عرضت ، ساقنا اليها فرحنا (ببنك مصر) الواهب الالف الجنيه ، ولمن ياخذونها المنة والشكر • فلا عذر بعد اليوم ولا شكوى لادباء القطر الشقيق •فالى الميدان ايها الجياد ، وارونا فتحا لا غزوا ، ارونا تاليفا لا ترجمة ونقلا •

قلنا فيما مضى للاستاذين الرافعي والعقاد ان المستقبل للقصة ، فليتركا الشباب وشانهم فيها ، فجادلا وماحكا لان ليس لهما قصة • فما يقولان اليوم وقد رددت اجواء مصر صدى النفير العام • عفوا بل النفير الخاص ، ينفخ فيه بنك مصر داعيا الكتاب الى الجهاد القلمي ، وما علينا نحن الا ان نردد : نصر من الله وفتح قريب •

اية كلمة تفي بالثناء الواجب لبنك مصر، فتشت فما وجدت الا كلاما مبتذلا ، فلو كلنا المدح بالمد لمن حقق آمالنا لقصرنا ، فغير من المدح تمنيات قلبية لهذه المؤسسة ، وحث كل عربي ليجعلها بيت ماله فيستثمره ويفيد امته ، فهي رافعة راس العرب ان شاء الله •

كنا نحس الما حين نقرا في صحف الغرب عن الجوائز الادبية التي جلت صدا العقول وفتحت للانتاج الفكري ابوابا ، فعقد القوم لكل لون من الادب جوائز ، اما نحن فكنا نلهو بالتافه ، كان الادب سباق اطيفال يجريهم فكه في المضمار وللمجلي (٥) كرة او ليمونة •••

فكرنا منذ اشهر بخلق جائزة ولو زهيدة ، وطرقنا باب كثيرين فعدنا من عندهم نردد قول الحطيئة :

لقد مريتكم لو ان درّتكم
يوما يجيء بها مسحي وابساسي

لم يخطر على بالنا ان نقرع باب (بنك) لعلمنا ان صناديقها حديدية ، وليقيننا انها لا تعنى الا (يمن والي) حتى طلع علينا بنك مصر بهذه الاريحية • وياتيك بالاخبار من لم تزود •

نعم ان الجائزة للكتاب المصريين ، كما يدل ما قرات ،والموضوعات ايضا قصص مصرية محضة، فنحن لا يعنينا من ياخذ المال ، فسواء عندنا امصريا كان ام عراقيا ام مراكشيا ما دام اللسان عربيا • فكل ما نحلم به ونصبو اليه ان تربو ثروة الادب العربي ويرزق مولودا جديدا ولو انثى •••

وان كان لي ما اقول في هذا الصدد فرجاء الى طلعت حرب باشا (٦) ان لا تكون لغة (الحوار) عامية لان القصص تفقد طرافتها متى عرضت في الاقطار العربية التي لا تفهم اللسان المصري العامي ، على ظرافته وحسن جرسه • فكم كنت اتالم ـ لا لشيء الا لاني لم افهم ـ حين اسمع حديثا تنطق به اشباح السينماء المصرية •

اما الذين هزئناهم للجائزة الصغيرة وظلوا جامدين كالصنم فليعذرونا ، ظننا بهم خيرا فازعجناهم ، وما علمنا انهم لا ينفقون مالهم الا على جاه باطل ، وصيت زيف ، على موائد خضر ، ودفاتر غير دفاترنا السوداء •••

نحن لم نكلفهم اريحية بنك مصر ، فليتهم ارونا عذرهم ولم يرونا بخلهم ، ما طلبنا منهم الا فلس الارملة لادبنا اليتيم ، فكنا من المفلسين، والسادة معذورون لانهم لم يتعودوا الانفاق على الادب •••

■■

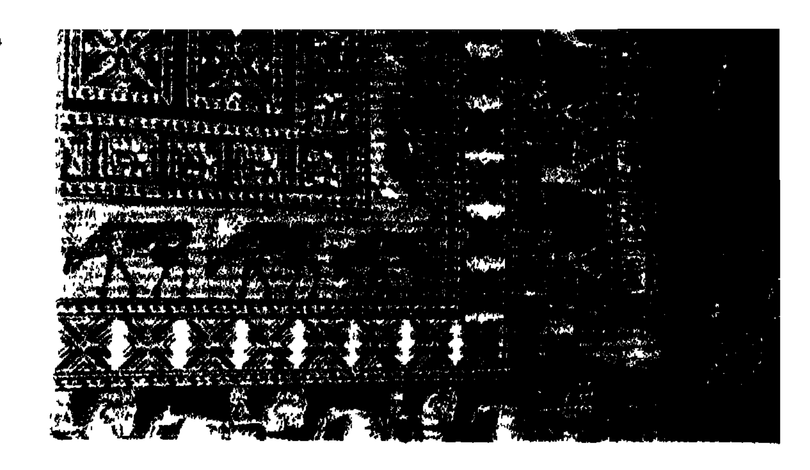
---

(٤) المراد بها « العبارات التقليدية المحفوظة » ، وهي ترجمة جيدة لكلمة « الكليشهات » •

(٥) المجلي : اول السابقين •

(٦) هو ابو الاقتصاد المصري الحديث ، وهو مؤسس « بنك مصر » وكان يومئذ رئيسه •

حكاية سجادة



السجاد الايراني .. من اشهر مـاينتجه ابناء هذه البلاد .. ولـه سوق رائجة فى العالم .. وهـى صناعة قديمة ، والصورة لاقـدم سجادة عثروا عليها مدفونة تحت ثلوج جبال سيبيريا .



مع .. التراث والتقاليد فى ايران!

استطلاع بقلم : منير نصيف

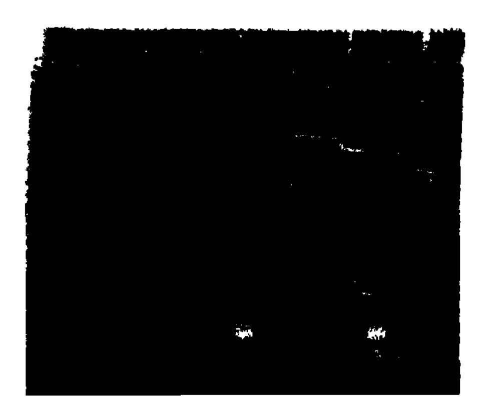
تصـوير : عبد الناصر شقره

■ رحلتنا هذا الشهر الى ايران .. وقد جاءت رحلتنا لها فى الشتاء .

ولم يكن هدفنا من الزيارة هو تقديم صورة لايران الدولة وشعبها وحضارتها القديمة والحديثة ، لاننا حتى لو شئنا ، لكنا اشبه بمن اراد ان يجمع ماء المحيط فى وعاء ..

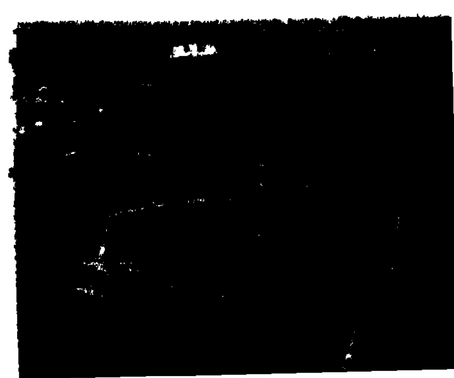
ولكن هل يمكن ان نمضى فى الحديث عن ايران بغير وقفة قصيرة نقدم فيها هذا البلد القريب الصديق ، والمدن او المناطق التى زرناها وجلنا فيها بصفة خاصة ؟

القاعدة تقول لا .. واذن فلا بد لنا من هذه الوقفة معا .



لايرانية .. متى بدأت وكيف عاشت

القديم والحديث .. والقديم هو مسجد سلطاني بقبته الشهيرة في اصفهان ، شيد في القرن السابع عشر ، وقد اصبح اليوم مدرسة لتحفيظ وتجويد القرآن الكريم .. والحديث مصنع كبير لانتاج السيارات في طهران .. الاول يشد السائحين والزائرين .. والثاني خطوة في الطريق نحو مستقبل البلاد ..



وايران بلاد واسعة مترامية الاطراف تبلغ مساحتها ، كما جاء في الكتب مليون و٦٤٥ الف كيلو متر مربع او هي تساوي مساحة ثماني دول اوروبية مجتمعة ، وهي بريطانيا وفرنسا والمانيا وسويسرا وبلجيكا والدانيمرك وايطاليا وهولندا .. ارض هائلة شاسعة ممتدة ، ومعذلك لا يزيد تعداد سكانها اليوم عن ٣٥ مليون نسمة، يعيش معظمهم في مدنها الكبرى ، وفي منطقة بحر قزوين ، حيث تكثر الزراعة التي يعمل فيها قطاع كبير من ابناء هذا البلد .. وتبقى بعد ذلك مناطق جبلية وعرة لم تطاها قدم انسانحتى اليوم ! وترتفع الاراضي الايرانية كلها او معظمها بحوالي ٣٣٠٠ قدم عن سطح البحر !

ولا نريد ان نخوض في تاريخ هذه البلاد وحضارتها فالحديث عنهما طويل مليء ..

من هنا بدأنا

بدأ خط سير رحلتنا من طهران العاصمة ،ومنها الى اصفهان واخيرا زرنا مدينة شيراز ، وكنا نعتزم قبل بدء جولتنا من الكويت ان نذهب الى « نيسابور » موطن عمر الخيام ، عالم الرياضيات وشاعر ايران الكبير لتنقل صورة لهذه الارضالتي انجبت هذا الرجل الذي خلدت اعماله من بعده ، وخيم اسمه على الكثير من معالم الحضارة القديمة والحديثة ، وما زالت سيرته واعماله تدرس في الجامعات العربية والاجنبية حتى اليوم . ولكنهم حذرونا من الذهاب .. قالوا لنا : « سوف تتجمدون من البرد وسط الثلوج والرياح العاتية التي تجتاح المدينة في هذا الوقت من الشتاء !»

ولم يكن ممكنا الا ان ننسى نيسابور ونسقطها من حسابنا آسفين فاي حديث عن البرد والثلوج والرياح يجعلنا نتراجع خوفا من البرد الذي لم يعتده اهل المناطق الاستوائية !

ومضينا الى طهران اذن ، عاصمة هذه البلاد الشاسعة المترامية الاطراف .. ومنذ اللحظة الاولى التي واجهنا فيها صورة الحياة في هذه المدينة ، احسسنا باننا نقف وجها لوجه امام مزيج من الحضارتين الشرقية والغربية !

القديم والجديد

لقد بقيت هذه العاصمة في الظل فلم تكن اكثر من مجرد ضاحية لمدينة اكبر واعظم هي مدينة الري الاسلامية الى ان اصبحت عاصمة في القرن الثامن عشر الميلادي . وتسير في شوارعها فترى القديم والحديث جنبا الى جنب .. اسواقها ، بيوتها ، مصانعها الحديثة ومصانعها التقليدية القديمة ، كلها تتعايش وتتجاور وتسد بعض مبانيها القديمة الطريق امامك ، وكانها تطلب اليك ان تقف وتتامل وتتذكر ان هذه المدينة ، وان كانت قد اصبحت عاصمة لايران منذ قرنين فقط ، الا ان تاريخها يرجع الى ابعد من هذا بكثير .. الى القرن التاسع الميلادي .. وقد نمت العاصمة بسرعة ، وازدهرت وازدحمت بالنازحين اليها بحثا عن العمل والرزق ، واصبحت اليوم تضم اربعة ملايين ونصف مليون نسمة .. وكما يحدث في كل عاصمة في الدول النامية والمتقدمة على السواء ، ازدحمت شوارع ايران حتى ضاقت بالناس والسيارات ، وهي ظاهرة تلازم التقدم الحضاري ، وهي مشكلة تحاول الدولة ان تجد لها الحلول المناسبة ، قبل ان تستفحل ، فبداوا ينزلون تحت الارض ويشقون اول طريق يسير فيه قطار بالكهرباء يربط بين وسط العاصمة وضواحيها !

. ترى ماذا صنعت ايران وتصنع في ظل هذا التطور السريع ، طابع هذا القرن ، او هذا العصر الذي انتقل بنا من العيشفي مجتمع زراعي فحسب ، الى مجتمع زراعي صناعي .. انها تجربة مرت بها كل الدول المتقدمة التي سبقتنا في مجال التصنيع،في اوروبا وامريكا وآسيا ، عندما ظهرت الآلة ، واصبحت هذهالمعدات والاجهزة هي البديل للايدي التي طالما عملت وكدحت في مختلف مجالات الانتاج لقرون طويلة امتدت على مدى التاريخ منذ ان كانت هناك حياة على هذه الارض ..

يد الانسان .. والآلة !

ترى هلنجحت الآلة حقا في ان تلغي يد الانسان العاملة ؟ في ايران وفي غير ايران من الدول النامية وحتى المتقدمة !

وقبل ان نجيب على هذا السؤال ، ننقل تعليقا



الخراف ثروة فى ايران ياكلون لحمها الشهى ومن صوفها يسبجون الخيوط التى يصنعون بها اجود انواع السجاد .. وهى اقدم صناعة يدوية لايعرف على وجه التحديد متى عرفها الانسان .

للكاتب الامريكى الساخر « آرت بوكوالد » . الذى كتب يقول : « اننى احب باريس لاننى اعشق الحى اللاتينى .. وازور هولندا لأرى الطاحونة التى تديرها الرياح والبس الحذاء المحفور باليد من الخشب .. واركب نهر التايمز لاصل الى برج لندن ، واسافر الى مصر لاقف امام اهراماتها ، والى الصين لامشى فوق سورها الهائل .. واضرب فى الاسواق القديمة فى كل بلد احط فيه ، باحثا عن تلك الاشياء الصغيرة التى تصنعها الايدى ، وتروى لنا حكاية شعب مع التاريخ .

« ان بعض هذه التحف التى جمعتها فى اسفارى اجمل عندى من احدث ما تنتجه مصانع السيارات .. فالعيون لا تقف عند سيارتى الجديدة ،ولكنها تتعلق بكل لوحة وبكل تحفة صنعتها اصابع هؤلاء الفنانين اننى احمل ساعة صنعتها يد ماهرة منذ اكثر من نصف قرن.. لقد ورثتها عن والدى، وهى ما زالت تعمل واسمع دقاتها تماما كما كانت وهى فى جيب ابى ! » .

وفى خلال الحرب العالمية الثانية ، وما بعدها، انصرفت الشعوب عن هذه الحرف اليدوية او الصناعات التقليدية ، فقد كانت مشغولة عنها بالبحث السريع عن قوتها ورزقها.ثم بدات الحياة تعود من جديد الى قلوب الناس التى ادمتها المأساة والى المدن والقرى التى احرقتها النيران والقنابل .. فقامت من رقادها ونفضت احزانها وبدات تعيش من جديد ..

عودة الى التراث

ومع الحياة الجديدة التى قامت فوق انقاض ما هدمته الحرب ، عادت الشعوب الى تراثها وحضاراتها القديمة ، وكانت هناك عدة عوامل ساهمت بصورة مباشرة فى العودة الىكل ما يتصل بالماضى ، واول هذه العوامل ، الزيادة السريعة فى تعداد سكان دول العالم الثالث ، والاعداد الهائلة من الرجال والنساء الذين يصطفون فى الطوابير الطويلة لطالبى العمل علىالالات الحديثة فى المصانع الجديدة الناشئة .. ماذا حدث ؟

لقد عجزت الالة عن استيعاب هذهالقوى العاملة المتزايدة ، ولم يكن امامهم الا ان يعودوا الى بيوتهم فى قراهم الصغيرة،والى خاماتهم وادواتهم البدائية البسيطة يصنعون منها تحفا رائعة ، هى اغلى ماعندهم لانهموضعوا فيها كل ما وهبوا منفن ومهارة توارثوها ، ولانهم قضوا الشهور والسنين فى تصنيعها وتجميلها ..





ثلاث صور تحكى قصة السجاد فى ايران ٠٠ الايدى المدربة التى توارثت هذه الحرفة على مر الاجيال البعيدة . وعشقتها واجادتها ٠٠ وفتاتان فى المدرسة العشائرية لتعليم الفتيات الريفيات صناعة السجاد فى شيراز حيث تنفرد المدينة بطريقة خاصة فى نسجه القيا ٠ ثم عناق بين بنت الريف وعنزة ٠٠ ومن الخراف والماعز ياخذون الصوف والشعر ويصنعون به سجاجيدهم الفاخرة ٠



الصناعات الحديثة لم تستطع ان تستوعب الاعداد الهائلة من الايدى العاملة ·· وعادوا الى قراهم والى خاماتهم وادواتهم البدائية يصنعون منها تحفا رائعة ··وحتى المنتجات العصرية بقيت تحمل الطابع القديم ، فالسجادة تزين الثلاجة الكهربائية (الى اليمين) حتى اجهزة الهاتف التى ينتجها هذا المصنع الجديد تلبس غطاء منسوجا باليد ! (الى اليسار) ·

اسواق جديدة

وفى كلمات آرت بوكوالد ما يؤكد اهتمام الدول النامية بالعودة الى هذه الصناعات والحرف التقليدية القديمة ، فهى لم تسهم فقط فى ايجاد عمل للذين لم تستوعبهم الالة ، وانما هى فتحت اسواقا جديدة لهذه الصناعات اليدوية التى تعمل وجه هذا البلد وتاريخه وطابعه ومزاج ابنائه وفنهم ومهارتهم··ثم هى بعد ذلك قبلة الزائرين والسائحين ·

من اين جاءت هذه الاسواق وكيف ؟

لقد ارتفع دخل الفرد فى الدول المتقدمة التى سبقتنا الى عصر الآلة والتكنولوجيا على نطاق اوسع واشمل ، بحيث امكن ان يستوعب الملايين من الايدى العاملة ·

ومع هذا الارتفاع فى الدخول ، استطاع الفرد العادى فى الدول الاوروبية المتقدمة وفى الولايات المتحدة الامريكية بصفة خاصة ، هذا العالم الجديد الجديد ، ان يدفع ثمن المنتجات اليدوية القديمة التى عرفها الانسان قبل ان تدخل الآلة حياته ··

لقد حملتنا جولتنا فى ايران الصديقة - كما ذكرنا - الى ثلاث مدن ، العاصمة طهران ، ثم مدينة اصفهان، واخيرا مدينة شيراز ··وهى المدن الرئيسية التى اشتهرت بصناعاتها التقليدية منذ قرون طويلة مضت ··

وقفة مع التاريخ

ونقف مرة اخرى عند اصفهان كما وقفنا امام طهران العاصمة ، واصفهان هى درة ايران فى تاريخها العريق ، وتقول الاساطير التى تتناقلها الشفاه ان تاريخ اصفهان يرجع الى عهد الاخمانيين ·· وفى العصر الاسلامى يحدثنا الفيلسوف الشاعر ناصر خسرو العلوى عن هذه المدينة القديمة فيقول انها كانت عامرة ببساتينها ومروجها وحقولها ومياهها الحلوة عندما زارها منذ تسعة قرون ·· وقد كانت اصفهان عاصمة لايران أيام السلاجقة فى القرنين الخامس والسادس الهجريين ، وبلغ الفن المعمارى فيها ذروته وغدت المدينة لؤلؤة بزخرفها وهندسة ابنيتها البديعة التى تزخر بالقاشانى الزاهى والتصميم الفريد الذى لاتزال آثاره تضفى على المدينة جلالا وورونقا وجمالا ·· وبقيت اصفهان فى العهد الصفوى فى القرنين العاشر والحادى عشر عاصمة للمملكة ، كما اصبحت مركزا للتجارة والسياسة ، ويقول الرحالة الفرنسى شاردان الذى زار اصفهان فى ذلك الوقت أن عدد سكان المدينة لم يكن يقل بحال عن ستمائة الف نسمة ، وربما قارب المليون ·



وتجول اليوم فى شوارع اصفهان وطرقاتها ،فترى فى كل ركن فيها اثرا فنيا من آثارها الباقية حتى لتخالها متحفا حافلا بروعة الماضى وحضارته ينقلك الى مختلف العصور التى مرت بها المدينة التاريخية ..

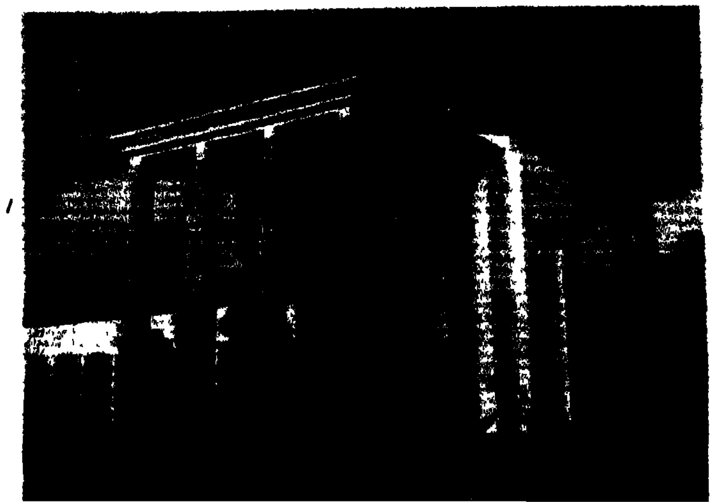
فن المنمنمات !

وفى اصفهان كان لقاؤنا بمساجدها القديمة وقصورها التى تحولت اليوم الى فنادق للشعب، اشهرها فندق شاه عباس • وكان لقاؤنا بعد ذلك لاول مرة بفن « المنياتور » Miniature ، او فن المنمنمات ، او الصور والزخارف المصغرة التى لا تكاد تراها العين المجردة ! وهو فن يعتمد على الخيال اكثر مما يعتمد على الواقع ، ويرجع تاريخه الى ماقبل الاسلام ..

وفى بيت ريفى فيه جمال القدم، التقينا بسيد هذا الفن ، انه الحاج مصور الملكى ، رجل جاوز التسعين من عمره ، ظل يعمل ويمارس فنه الذى عشقه ووهبه حياته لاكثر من سبعين عاما الى ان شلت يده اليمنى فراح يتطلع الى ابنه حسن الذى سيمسك الريشة من بعده ، ويرث فنه ، تماما كما ورثه هو عن والده وجده • وجلسنا اليه يحدثنا، ورأينا ما صنعه الزمن بهذا الفنان العظيم الذى تزين جدران بيته من الداخل شهادات التقدير والاعجاب بفنه من ملوك ورؤساء العالم فى الشرق والغرب ، ستالين وروزفلت وتشرشل وشاه ايران الراحل وغيرهم كثيرون .. انه يعيش معها ومع الذكريات ، والصفحات التى اختارها من التاريخ وسجلها بريشته وقلمه .. لقد ذبلت اليد وانحنت الريشة وتحطم القلم ، ولكن قلب الفنان الكبير بقى يخفق للذكريات الحلوة التى ملأت حياته .. سبعون عاما من العمل المستمر سجل فيها باسلوبه صورا عاشها ، وصورا عاشت فى بطون الكتب، حتى هذه الاخيرة التى لم يرها ، راح يتخيلها ، ثم نقل خيالاته الى ريشته الصغيرة التى سقطت من يده وستحملها يد ابنه من بعده ! •

حياة فنان كبير

كيف يقضى وقته اليوم بعد ان تقدم به العمر وتوقفت يده عن العمل ؟ « اجمل لحظات حياتى فى شيخوختى ، هى تلك التى اقضيها مع لوحاتى وصورى، ومع «شوكت» زوجتى ورفيقة عمرى .. عندما كنت فى باريس قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، كنت ارسم لاعيش .. وعندما عدت الى طهران بعد الحرب ، كنت اعيش لارسم واشبع هوايتى !» هكذا قال لنا وهو يستقبلنا فى بيته .. وعندما

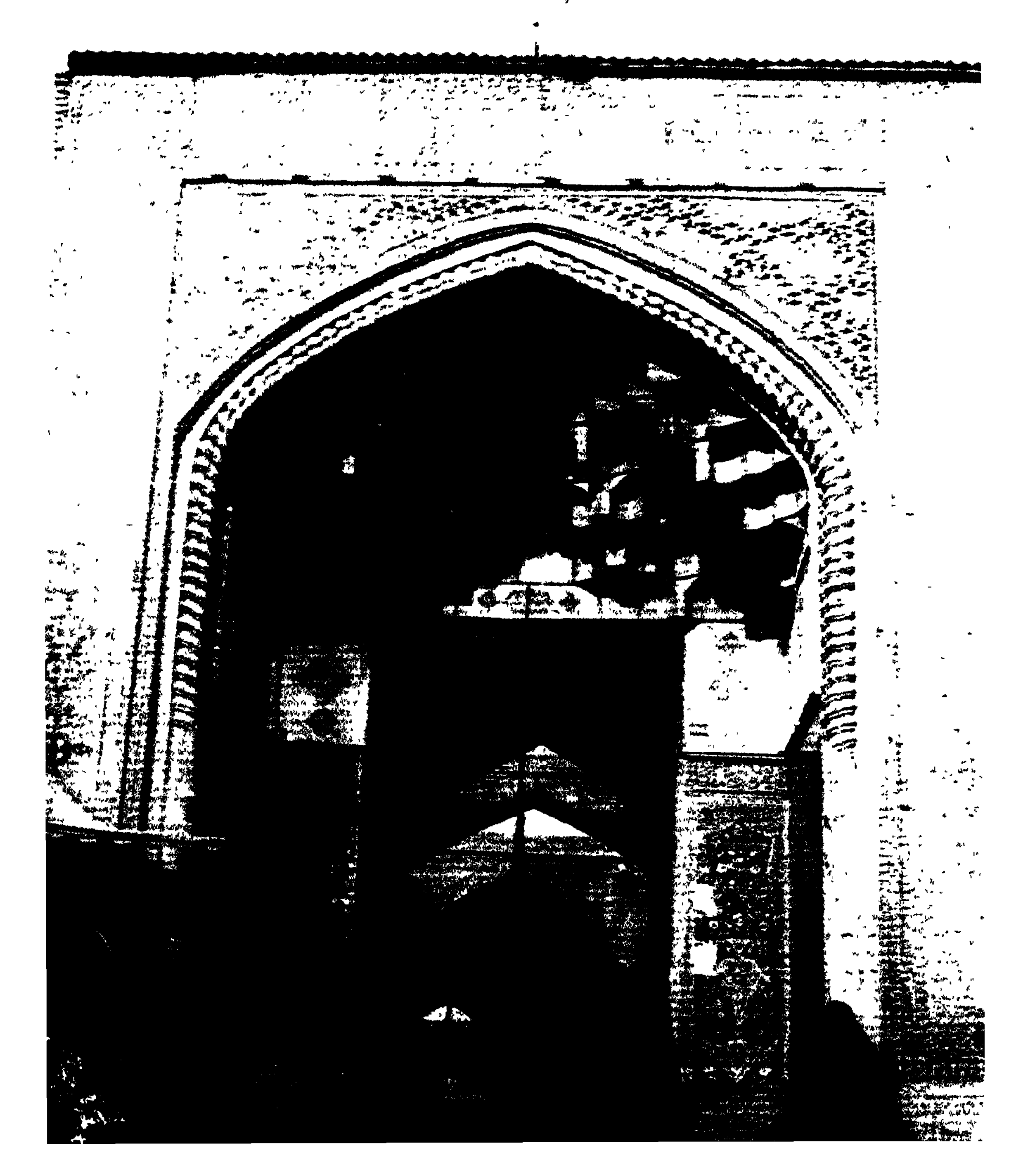


ضريح شاعر ايران الانسان الشيخ مصلح الدين سعدى الشيرازى .. ابن شيراز البار وشاعرها العبقرى تتلمذ فى اوائل عهده فى بغداد وعاد الى بلاده يحمل باقة من الزهور فى كتابه الخالد «جلستان» .



صناعة الموازييك على الخشب من الصناعات التقليدية في ايران وفي الشرق كله ·· ولكنها تختلف من بلد الى بلد باختلاف مزاج اهله وتأثرهم بحضارتهم ·

مسجد الجمعة في اصفهان ·· وهو اربع مساجد تحيط بصحن كبير اقدمها عمره الف سنة واحدثها شيد منذ خمسمائة سنة ·· وحول المسجد تنتشر الاسواق القديمة كما في الازهر الشريف في مصر ·· والقيروان في تونس ··



مد الينا يده مصافحا ونحن نودعه ، قال : « انتم لم تروا الدنيا عندما كانت بغير .. وهكذا ابني حسن انه لن يعمل مثلما عمل والده ، لان الحياة نفسها تغيرت ..لم تعد الحياة بسيطة هادئة سهلة، لقد امتلات اليوم بالصخب والضجيج والقلق .. ومع القلق لا يمكن للفن ان ينمو ويزدهر .. مساكين ابناء هذا الجيل وكل الاجيال القادمة ! » .

مساجدها القديمة

وفي اصفهان التي تبعد ٤٢٠ كيلو متر عن العاصمة طهران ، تقطعها الطائرة في نصف ساعة، ويصل عدد سكانها الى نصف مليون نسمة ،وتعتبر ثاني اهم مدن ايران ، زرنا اجمل واقدم مساجد ايران ، وفي مقدمتها المسجد الجامع ، الذي يعتبر من اكبر وافخم مساجد اصفهان ، وقد بدىء في بنائه في العصر التيموري فيالقرن الرابع الهجري ولكنه لم يتم ، ثم جاء السلجوقيون فاتموا جزءا كبيرا منه ، واكمله المغول وآل المظفر والصفويون .. وهكذا جاء هذا المسجد جامعا للفن المعماري على مدى ثمانية قرون ، من القرن الرابع حتى القرن الحادي عشر الهجري .

ثم مسجد شاه عباس الكبير ، الذي اشرف على بنائه علي الاصفهاني ويعد من اضخم وافخم المساجد التي شيدت في العصر الصفوي ، يضم الان مدرسة لتحفيظ القرآن ، ويقع على مقربة من قصر شاه عباس ، الذي تحول الى فندق سياحي يحرص السائحون على النزول فيه ليروا ما تحويه جدرانه من رسوم ونقوش غاية في الروعة .

وهناك صناعة الذهب والنقش على النحاس وصناعة السجاد ، وغيرها من الصناعات التقليدية الاخرى .. والسجاد ينسجونه في المصانع التي تملكها الدولة ، وفي بيوت الاهالي في الريف ، وفي المدن ، وفي كل مكان ..صناعة السجاد عندهم عمل وهواية واهم مصدر من مصادر رزقهم .

لا تقدر بمال

ومن اقدم المشتغلين بصناعة السجاد في اصفهان، يد الله مهدي صافدار حقيقي .. وقد ورث مهدي هذه الصناعة عن والده ، وورث معها مدرسة ومصنعا ، انه يتولى تعليم الفتيات الصغار هذه الصناعة ويدفع لهن اجرا ويقدم لهن وجبة الغداء بالمجان .. وهو يعيش بعد ذلك في بيت كبير ملحق



بالمصنع ، قادنا اليه وقدم لنا الحلوى الايرانية ، ثم دعانا لرؤية افخم والمن عمل قدمه مصنعه ·· انها سجادة صنعت خصيصا لتوضع فـى النافذة التى تعلو رأس الامامعلى كرمالله وجهه فى قبره فى النجف الاشرف بالعراق «تحفة لا تقدر بمال» هكذا قال لنا وهو يقدمنا لها ·· اربعة او خمسة او ستة ملايين دولار لا يدرى ·· ولكن الذى يعرفه ان اتمام هذه السجادة استغرق عشر سنوات كاملة!

اين كان مولدها ؟

مـن اين نبعت هـذه الصنـاعات العرفيـة او التقليدية فى ايران ؟

من المناطق الريفية ومنالاحياء التاريخية القديمة فى قلب المـدن نفسها ·· وبعض هـذه المنتجات اليدوية معروفة ومشهورة،فانت لا تجدها فى ايران وحدها وانما هى تنتشر فى كل او معظم البلاد العربية ، وفى الشرق الواسع بصفة عامة ·· مثل المنتجـات الفضية والنحاسية والاوانى الفخـارية المزخرفة والاقمشة المـلونة المزركشة والسجـاد والسيراميك والمنتجات المصنوعة من جلود الاغنام ، وغيرها كثير ··

وبعض هذه المنتجات ايضا تصنعها الايدى لسد حاجات اصحابها وبيع الفائض منها فى الاسواق المحلية ·· ولكن القسم الاكبر ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه اسم « الصناعة » اليدوية ، للتصدير للخارج ·· وهذه الصناعة هى فى واقع الحال « وظيفة » دائمة تشغل كل او الجزء الاكبر من وقت العاملين فيها وتدر عليهم ربحا يوفر لهـم حياة كريمة ·· وهذه « الصناعة » تختلف فىالبلد الواحد من مكان الى مكان ومن منطقة لاخرى ،وهو نفس الاختلاف الذى تجده فى نقوشها وزخرفتها من بلد لاخر ·· ولكنها تتفق كلها فى شىء واحد ·· انها تتركز وتتجمع فى الاسواق القديمة وبين ايدى هؤلاء الرجال والنساء المهرة الذين توارثوا هذه الحرف عن الاباء والاجداد واشتهروا بهـا وعرفوا بقدرتهم على تطويرها وتجميلها !

هـكذا عاشت !

وهكذا بقيت هذه الصناعات حية ولم تمت بفضل الجهود التى بذلت ، وما زالت تبذل على مستوى الدولة وعلى مستوى الافراد لحفظ هذا التراث من الضياع ، وتشجيـع العاملين فيـه ،

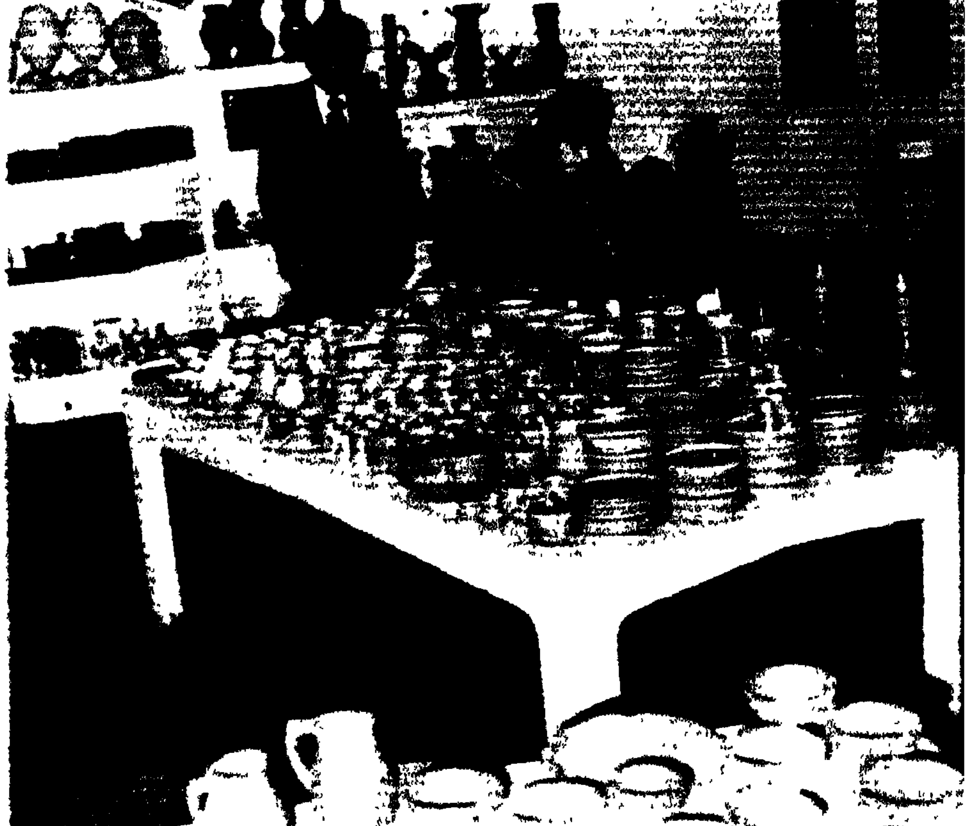


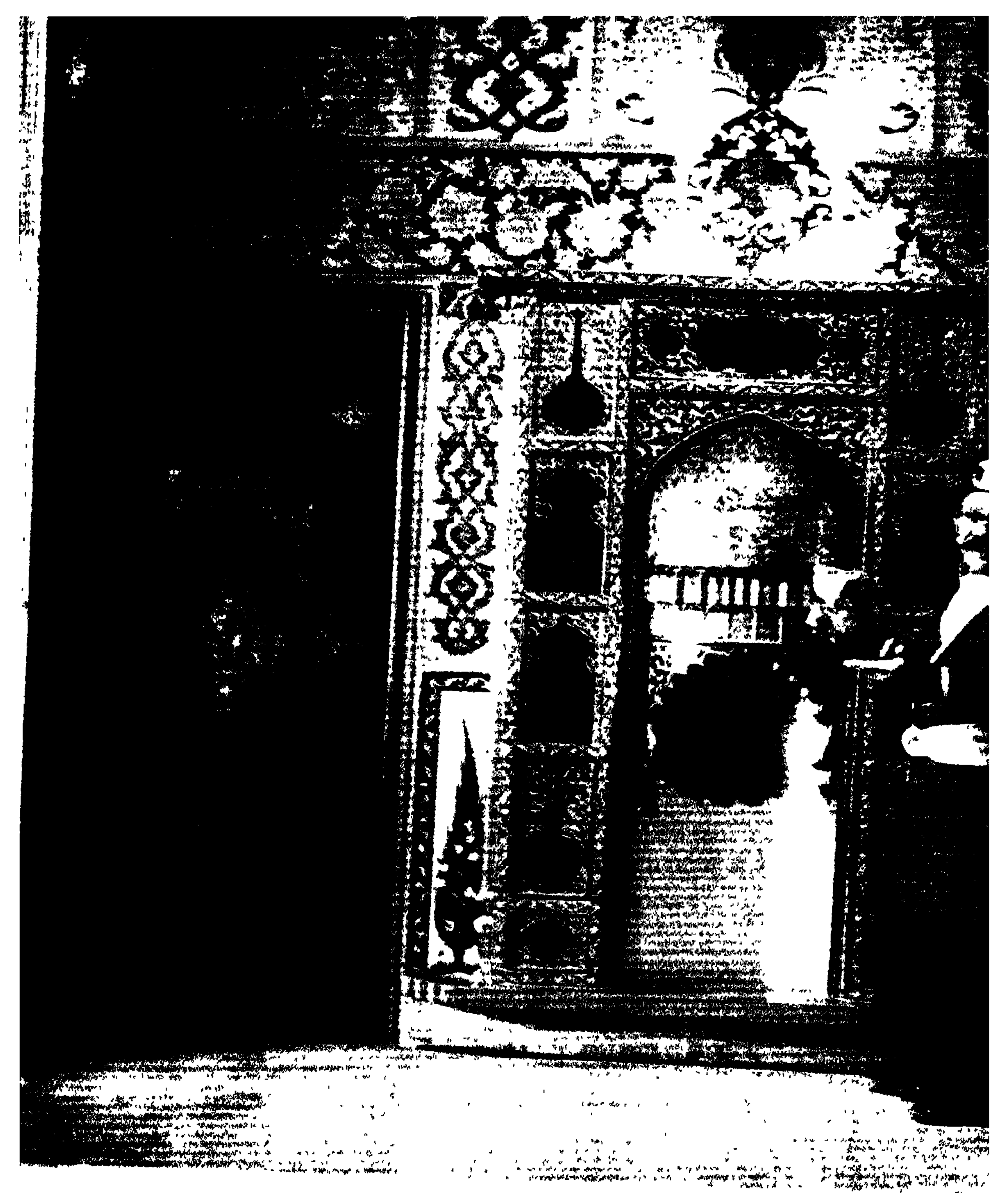
صناعة الـذهب ·· وصناعة الاوانى الفضية والنحاسـية المزخرفة من الصناعات التى اشتهرت بها ايران وعرفهـا الشرق كله ·· ولكن النقوش التى تحملها تختلف من بلـد لاخر ·· وتمتلىء الاسـواق القديمة بهـذه المنتجات التى صـنعتها الايـدى ويتهـافت السـائحون على اقتنائها ·· الكثير منها اسـتوحوا زخرفته من شعر عمر الخيام ·





تهتم الدولة بتسويق الصناعات التقليدية وقد اقامت معرضا لها في قلب طهران العاصمة وهو يتبع لوزارة الصناعة والمعادن ، وهي تشترى منتجات العاملين في هذه الحرف وتقدم لهم القروض كما تحرص على اقامة مركز للتدريب الحرفي تستهدف تجويد هذه الصناعات وتطويرها .. وفي المعرض يجد السائحون السجاجيد والاواني الفضية والنحاسية المنقوشة والتحف الخشبية والاواني الفخارية والزجاجية وغيرها .





داخل قصر « شاه عباس » فى مدينة اصفهان وهو
الان فندق سياحى بعد ان كان قصرا خاصا بشاه
ايران الحالى ثم تنازل عنه للشعب ‥ ويتميـز
بنقوشه وزخارفه الهندسية الرائعة ‥ تلك التى
دخلت ايران بعد الاسلام ٠

وتحريك هذه الايدي الماهرة ودفعها الى العمل والانتاج ، واعادة الثقة لهؤلاء العمال بانفسهم وبفنهم الذي كان قد اوشك على الضياع ٠٠ وعندما تدخلت الدولة في عام ١٩٦٥ ، اي منذ اثني عشر عاما على وجه التحديد ، وبدات في انشاء مراكز لتدريب ابناء العاملين في مختلف الحرف اليدوية مثل صناعة الزجاج بطريقة النفخ القديمة وصناعة الاواني والتحف الخشبية ،والسجاد والحصير والذهب والفضة وانتاج الحرير الطبيعي من دودة القز ثم تصنيعه ونسجه وزخرفته وصناعة الجلود الخ ٠٠ لم يقتصر تدخل الدولة على بناء وتنمية القطاع العام وحده ، بل شمل القطاع الخاص ، وكان تشجيعها للعاملين فيه عن طريق شراء ما تنتجه ايدي هؤلاء العمال المهرة وتقديم المساعدات المالية لهم على شكل قروض تسدد على آجال طويلة ، وتشرف على هذه المراكز وزارة الاقتصاد الايرانية ٠

١٥٠ مليون دولار سنويا

وفي الوقت نفسه قامت وزارة الصناعة والمعادن باقامة معرض في العاصمة طهران ، لعرض وتسويق المنتجات التقليدية او البيئية ، التي تذهب كلها او معظمها الى الدول الاوروبية وامريكا ، ما عدا السجاد الايراني الشهير الذي تستورد منه ايضا الدول العربية ، والكويت والسعودية ودول الخليج بصفة خاصة كميات كبيرة ، ويصل دخل ايران من تصدير السجاد اليدوي وحده ، اكثر من ١٥٠ مليون دولار سنويا ، فلا تزال السجادة الايرانية تحتفظ بمكانتها ، رغم المنافسة الشديدة التي تواجهها اليوم من جانب الصين بصفة خاصة ٠٠ ربما كانت نقوشها والوانها هي السبب في هذا التفوق ، فهي اجمل واروع ، واقرب الى النقوش العربية القديمة التي لها سحرها الخاص عند اهل الغرب والشرق على السواء ٠٠ واكثر من هذا فانت تجد في السجادة الفاخرة الثمينة ، ما تجده في اللوحة التي رسمتها ريشة فنان مبدع وربما كانت اجمل من اللوحات الزيتية القديمة واغلى منها ثمنا في بعض الاحيان !



السيد محمد تقي مصطفوي الذي اشرف على متحف الاثار القديمة وقضى عمره كله بينها٠٠ قال : « الذين يريدون منا ان ننسى صناعاتنا التقليدية التي عايشتنا طوال هذه القرون ٠٠ لا يدركون قيمة هذه الثروة القومية ٠٠ انا لا انادي بوقف مسيرتنا مع الحضارة ٠٠ ولكنني فقط ادعو الى المحافظة على تراثنا » ٠

متى بدات صناعة السجاد ، وما هي هذه الصناعة وما هو دورها في حياة الشعوب وصلتها بحضارتهم بصورة عامة ؟

حكاية السجادة !

هذه الصناعة ، كما تقول كتب التاريخ هي من اقدم الصناعات اليدوية التي عرفها الانسان٠٠ ولقد كانت جزءا من تطور حضارات الشعوب ، حتى قيل ان فن صناعة السجادة اليدوية هو مقياس التقدم الثقافي لاي شعب نريد ان نعرف مدى ما حققه في هذا المجال ، ابتداء من السجادة المصنوعة من جلود الحيوانات بايدي افراد القبائل البدائية الاولى ، الى السجادة الفاخرة المعقدة التي تستخدم فيها الخيوط الحريرية والصوفية ، ويتفنن في زخرفتها الفنانون ٠٠ وقد

كانت ايطاليا وفرنسا فى مقدمة الدول التى برعت فى فن صناعة السجاد منذ قرون عديدة مضت .. الا ان الثقافات الشرقية قد تركت بصماتها واضحة ولفترات طويلة من الزمن ، امتدت حتى يومنا هذا ، على صناعة السجاد وكل ما يتصل بها .

أما موطن هذا الفن الشرقى ، فقد كان محصورا فى ايران ومصر والهند وتركيا ومنطقة جبال القوقاز .. ولكن متى بدات هذه الصناعة ومتى ازدهرت ؟

لقد حار الباحثون فى العثور على معلومات صحيحة ودقيقة يمكن أن تقودنا الى تاريخ هذه الصناعة ، وموطنها ومتى وكيف بدات ، حتى انه يمكن القول بان السؤال بقى بلا جواب حتى اليوم.

ويقول البعض ان صناعة السجاد عرفت فى مصر القديمة ايام الفراعنة ، وقد ثبت هذا من خلال النقوش والرسومات التى عثروا عليها فى المقابر والمعابد . غير ان بعض المؤرخين يذهبون الى ابعد من هذا التاريخ بكثير ، ويقولون انهم عثروا اخيرا على بعض النماذج من السجاد البدائى المصنوع من الحصير ، وانهم يرجحون انها ترجع الى عصر « ميدل باليولوتيك » ، او العصر الحجرى الوسيط اى ان هذه الصناعة بدات فى شكلها البدائى منذ فترة تتراوح بين ٢٥ و ٣٠ الف سنة !

تحت ثلوج سيبريا !

وكان احدث اكتشاف هو الذى توصل اليه البروفسور السوفيتى رودنكو فى عام ١٩٤٩ ، اى بعد مضى اربع سنوات على انتهاء الحرب العالمية الثانية ، فقد عثر على سجادة مدفونة تحت ثلوج جبال سيبريا ، يرجع تاريخها الى اكثر من ٢٥٠٠ سنة .. وقد حفظتها البرودة واكوام الثلوج التى تراكمت فوقها فانقذتها من الفساد والسرقة .. وهى معروضة اليوم فى متحف هرمتياج بمدينة ليننجراد ، ويقال ان اقواما آرية هى التى حاكتها ونسجتها .

ومن الثابت ايضا ، استنادا الى بحوث علماء الاثار ، ان صناعة السجاد كانت شائعة فى ايران فى عهد قورش الكبير بانى مدينة برسبوليس القديمة وقد توفى عام ٥٢٩ قبل الميلاد، وهى نفس الفترة التى يرجع اليها تاريخ صناعة السجادة التى عثروا عليها مدفونة تحت الثلوج التى تغطى جبال سيبريا .. فلا يستبعد اذن ان تكون السجادة قد صنعت فى ايران .

ومضى الايرانيون يصنعون السجاد ويعلمون ابناءهم صناعة السجاد ويتوارثونها جيلا بعد جيل حتى وصلت الى ما وصلت اليه اليوم ..



صناعة الالات الموسيقية القديمة .. صناعة متوارثة ، وهم يعزفون موسيقاهم على السانتور ، والكمانشة ، وهى تشبه الربابة المصرية والسيتار وهى نوعان ، احداهما بتجويف وهى تشبه العود والاخرى بدون تجويف، والدنبك او الطبلة.



الحاج مصور ملكى الفنان الايرانى الكبير الـذىورث فن المنمنمات عن ابيه وجده ·· مع زوجته ورفيقة عمره « شوكت » ·· لقد شلت يده بعدحياة حافلة ·· وهو اليوم يعيش فى بيته الريفى الجميل مع الذكريات ·· لقد عاش بعض الاحداثالتى نقلها الى لوحاته ، وتخيل احداثا اخرى لم يعشها وانما قرأ عنها فى كتب التاريخ ·· واشهرلوحاته تلك التى استوحاها من الحرب العالمية الثانية (**الصورة الى اسفل اليسار**)· وهى تمثل الحلماء ستالين وتشرشل وروزفلت يمتطون صهوة جيادهم ، وامامهم قادة « المحور » يتساقطون عنجيادهم بعد هريمتهم ·· انه اليوم فى السابعة والثمانين ، وهو يعد ابنه « حسن » ليحمل الريشةمن بعده !

سجادة ثمينة ، امضى العاملون فيها اكثر من عشرسنوات قبل ان تكتمل ·· صاحبها هو يد اللـــه مهدى حقيقى صاحب مدرسة ومصنع لتعليم وصناعةالسجاد فى اصفهان ، وهى تحمل صورة الكعبة المشرفة وقد اهداها صاحبها لقبر الامام علـــــىرضى الله عنه لتوضع فى نافذة المقام الذى شيد فوق قبره ، فى النجف الاشرف بالعراق · قالـتعنها الشهبانو « انها عمل فنى رائع لا يقدر بمال!»
(فوق الى اليسار) ·

لون جديد في شيراز

وفي شيراز آخر المدن الثلاث التي شملتها جولتنا ، شاهدنا نموذجا آخر لصناعة السجاد في المدرسة العشائرية التي اقامتها الدولة لتعليم الفتيات الريفيات هذه الصناعة ٠٠ وهم في شيراز لا ينسجون السجاد وهي قائمة في وضع راسي ، ولكنهم يضعونها على الارض وينسجون خيوطها بايديهم في هذا الوضع الافقي ٠٠ كذلك النول نفسه فهو مصنوع من الحديد وليس من الخشب مثل بقية الانوال التي الفناها ورايناهم يعملون عليها في طهران واصفهان •

وفي هذه المدرسة التي جمعوا فيها العشرات من بنات العشائر ، تتعلم الفتاة ، وعندما يحين موعد تخرجها ، تصرف لها الدولة مبلغا من المال تبدأ به حياة مستقلة مع النول الجديد الذي ستشتريه وتعمل عليه في بيتها ولحسابها ٠٠ تنام في المدرسة وتتناول وجباتها في المدرسة كل هذا بالمجان ، وتبقى في ظل رعايتهم الصحية والاجتماعية الى ان تتخرج •

وشيراز اكتسبت شهرة خاصة بين المدن الايرانية بمزارعها وحدائقها الجميلة واشجار السرو التي تنتشر في كل مكان فيها ، ومنها جاء اسم «سروناز» وهو اسم شائع يطلق على النساء ، وعلى كل امراة هيفاء جميلة ٠٠ فشجرة السرو رفيعة طويلة ، وقف عندها الشعراء طويلا يتغزلون في جمالها ، وجمال كل امراة لها قوامها !

بين الاسطورة والحقيقة

وشيراز مدينة قديمة ، ولعل اقدم ما فيها مدينة برسبوليس Persepolis التي شيدت في القرن الخامس قبل الميلاد ٠٠ وقد بقي تاريخ هذه المدينة مدفونا مع آثارها الباقية مع الاساطير التي انتشرت وتناقلتها الشفاه جيلا بعد جيل ، ومن بين هذه الاساطير ان العبيد هم الذين سخروا لبنائها ٠٠ الى ان جاء فريق من علماء الآثار من امريكا عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة وبداوا في اعمال الحفريات في قلب آثار برسبوليس وما حولها ، واكتشفوا مجموعة هائلة من المخطوطات (حوالي ثلاثين الف لوحة من الطين) لا يزيد حجم اكبرها على علبة الكبريت ، وحملوها معهم الى بلادهم ، وبداوا في فك رموزها وترجمة ما سجلوه عليها ، فاذا بها قد كتبت باللغة المسمارية ، وهي تذكر ان العمال الذين قاموا ببناء برسبوليس كانوا يتقاضون اجورا ، وان لا علاقة لاسطورة الرق في بنائها ، كما اكتشفوا ايضا ان بعض المهندسين الذين اشرفوا على عملية البناء ينتمون الى شيراز ويحملون اسمها ، فلابد اذن ان شيراز كانت قائمة وموجودة منذ ذلك التاريخ ٠٠ وتشتهر شيراز بين ما تشتهر به ايضا هذا الضريح القائم في قلب المدينة ٠٠ انه ضريح شاعر ايران الانسان الشيخ مصلح الدين سعدى الشيرازى ، ابن شيراز البار ، وشاعرها العبقرى الذى تخرج في المدرسة النظامية وتتلمذ في بغداد ٠٠ لقد قال عنه شوقي امير الشعراء :

« لم يات الزمان بمثل سعدى بعد عمر الغيام ولن ياتي بمثله طالما كنت حيا على الامل »٠ لقد ولد سعدى وعاش في القرن الثالث عشر الميلادى ومات بعد حياة طويلة مليئة جاوزت المائة •

والصناعات التقليدية في شيراز ايضا تختلف لا من حيث النوع ولكن من حيث التصميم والتشكيل والزخرفة ، وهي تملأ اسواقها القديمة والحديثة ، وكل مكان تتوقف عنده حتى في المطار ، وانت تستعد للسفر قبل اقلاع الطائرة •

انشهبانو والتراث

تحدثنا عن الجهود التي بذلت ومازالت تبذل لاحياء هذا التراث التقليدى الذى يتمثل في المنتجات اليدوية القديمة ٠٠ ترى من الذى يقف وراء هذا الجهد ؟ توجهنا بهذا السؤال الى السيد بهادرى وزير الاعلام الايرانى ، فقال : « انها الشهبانو ، امبراطورة ايران ٠٠ انها السيدة التى تجدها دائما وراء كل مشروع ووراء كل عمل يهدف الى احياء هذا التراث وتقاليد هذا البلد

العريق .. حتى مظهرها وملابسها هى تعرض الشهبانو دائما على ان تحمل معها حكاية هذا الشعب الذى يستخدم يديه فى صناعة وزخرفة معظم المنسوجات الشعبية التى تتميز بطابع هذا البلد.. اما الشاه فهو الذى يبحث عن كل جديد وحديث من شانه ان يوفر لشعب بلاده كل ما يحتاج اليه من مصانع لانتاج السلع التى كانت ايران تدفع ملايين الجنيهات ثمنا لاستيرادها من الخارج .. السيارة والثلاجة الكهربائية والغسالة والتليفزيون الى آخره ! »

الجديد والقديم !

والنتيجة .. ان الجديد لم يستطع ان يلغى القديم !

لقد اكدها لنا مرة اخرى السيد محمد تقى مصطفوى الذى كان مشرفا على متحف الآثار القديمة لاكثر من ثلاثين عاما .. قد يقول البعض ، ربما كان متاثرا بالتحف القديمة التى حرص على صيانتها ، وهو يصل الى النتيجة التى نقلها الينا فى حديثه !

ولكن السيد مصطفوى يسارع بنفى هذه التهمة عن نفسه ، ويقول : « ومن منا لا يريد أن يرى بلاده تسير فى ركب الحضارة .. ولكن ان نهمل تراثنا ، ان ننسى صناعاتنا التقليدية التى عايشتنا طوال هذه القرون ، وحملت طابع بلادنا .. اقول لا .. فالذين ينادون باهمال الصناعات اليدوية القديمة يرتكبون خطا كبيرا .. انها طابع بلادنا الذى يميزها عن بقية بلاد العالم ، وهو ثروة قومية لا بد لنا من ان نحافظ عليها وننميها ونطورها..

« لهم ان يفعلوا بايران ما شاءوا ، وان يساعدوا شعبها على المضى فى طريق التقدم .. ولكن يجب الا يحولوه عن تراثه وتقاليده وصناعاته البيئية التى يستخدم فيها يديه ، فهى اغلى والثمن شىء عنده لانه صانعها ، ولانه قضى عمره كله يعمل فيها ، ثم هى الثروة القومية الباقية حتى فى عصر الالة .. فما الالة ؟ اليست هى ايضا من صنعه هو ؟ واليس هو الذى يسيرها ويحركها ؟ »

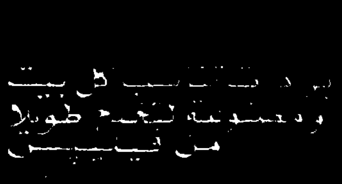


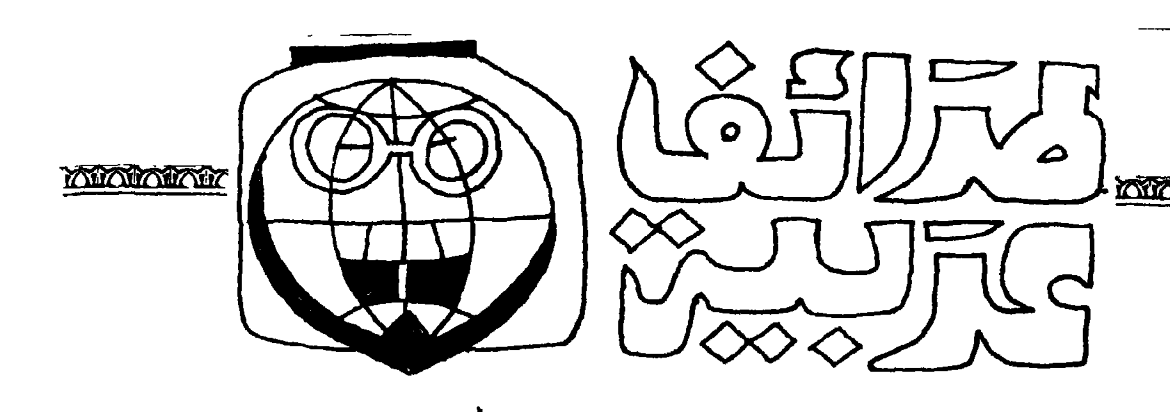
الشيخ جاء من العراق .. والمسجد فى طهران العاصمة .. وهو من المساجد القديمة التى بقيت تتحدى الزمن منذ قرون طويلة .

ان الساعة التى يحملها آرت بوكوالد ما زالت تدق ، ومازال يسمع دقاتها ، رغم مرور اكثر من نصف قرن على وجودها معه .. انها اقوى من ساعتى وساعتك ، لان اليد هى التى صنعتها .. وليست الالة .. وكل شىء تدخل اليد فى صناعته اغلى واثمن .. وكل شىء تقضى فى صنعه بعض وقتك اعز على نفسك ، لانه جزء منك ومن عمرك ! ■■

منير نصيف







الحب عن ابن حزم

● المعروف عن ابن حزم انه فقيه وسياسى اندلسى عاش فى النصف الاول من القرن الخامس الهجرى . ومن اطرف تعريفاته للحب ما ذكره هو في كتابه « طوق الحمامة » اذ قال : « ان الحب اوله هزل وآخره جد ، وهو لا يوصف ، بل لا بد لك من معاناته حتى تعرفه ، والدين لا ينكره ، والشريعة لا تمنعه ، اذ القلوب بيد الله عز وجل ، وقد احب من الخلفاء المهديين والائمة الراشدين كثير .

والمحبة أنواع : أفضلها محبة المتحابين في الله ، وأنواعها الاخرى محبة القرابة ، ومحبة الالفة ، ومحبة التصاحب والمعرفة ، ومحبة البر يضعه المرء عند اخيه ، ومحبة الطمع فى جاه المحبوب ، ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه ، يلزمهما ستره ، ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبة العشق التي لا علة لها الا اتصال النفوس المشوقة ، وكل هذه الانواع تتغير اسبابها الا محبة العشق الصحيح فهى التى لا فناء لها الا بالموت » .

صفة الدجال

● كان المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قد اصيبت عينه عام غزوة مسلمة بن عبد الملك الاموى للقسطنطينية ، وكان جوادا كريما ، يطعم الطعام حيث نزل ، وحدث ان جاء احد الاعراب ، فجعل يديم النظر الى المغيرة ولا ياكل ، فقال له المغيرة : « مالك يااعرابى لا تاكل كما ياكل الناس ؟ » فقال : « والله انه ليعجبني كثرة طعامك ، ولكنني مرتاب من عينك فقال : وما يريبك منها ؟ فقال : « اراك اعور ، تطعم الطعام ، وقد سمعت من احد خطباء المساجد أنها صفة الدجال » ، فضحك المغيرة ، وقال : « كل يااعرابى فان الدجال لا تصاب عينه فى سبيل الله » .

لا تفرقة بين الاخوين

● كان لاحد تجار بغداد ولدان فتنا بغداد بحسنهما وأدبهما ، فلما بلغ الاكبر اراد والده أن يحصنه كما كان يفعل التجار الورعون المحافظون على دينهم ، فاشترى له جارية بالف دينار ، واخبره ان لا يعلم اخاه بذلك ، ولكن حدث ان وصل الخبر الى ابنه الاصغر عن طريق أحد معارفه ، وقال له : « ان اباك خص اخاك بشيء دونك » فقال له : « بم خصه ؟ » قال : « بجارية اشتراها له » فقال الأصغر : « هو اليها احوج ، وانا عنها اغنى ، غير انى اشفق ان يتسع الخرق ، وما علمت ان

القدر تحتاج الى لحم

● كان ابو الحارث حمير من الظرفاء المعروفين ايام الدولة العباسية ، قيل: انه خرج يوما مع بعض رفاقه الى خارج بغداد للصيد والقنص ، فلما جاء وقت الغداء نصب مع رفاقه قدرا ، وجعل فيها لحما ، فلما تلهوجت قطع اللحم « اى لم تنضج او لم ينعم طبخها » نشل احد اصدقائه قطعة منها وقال : « تحتاج الى ملح » ثم نشل آخر قطعة وقال : « تحتاج الى شيء من التوابل » ثم نشل ثالث قطعة وقال : « تحتاج الى بصل وثوم » ، فرفع ابو الحارث حمير القدر من النار وقال : « اتدرون ما تحتاج هذه ؟ انها تحتاج الى لحم !»

اصناف النساء

● سأل المغيرة بن شعبة وهو والي الكوفة اعرابيا رآه في الطريق فقال له : « ماذا تعرف عن النساء ؟ » قال : « النساء اربع : ربيع مربع ، وجميع يجمع ، وشيطان سمعمع ، وغل لا يخلع » قال المغيرة « فسرها لي » : قال « قال اما الربيع المربع فالتي اذا نظرت اليك سرتك واذا اقسمت عليك برتك واما التي هي جميع يجمع فالمرأة تتزوجها ولا نسب لك فتجمع نسبك الى نسبها ، واما الشيطان السمعمع فالنائحة في وجهك اذا دخلت ، والمولولة في اثرك اذا خرجت ، واما الغل الذي لا يخلع فالزوجة الخرقاء الذميمة التي قد نثرت لك بطنها (ولدت لك) ان طلقتها ضاع ولدك ، وان امسكتها فعلى جدع انفك » فقال له المغيرة : « بل انفك انت » .

لم لا تغشانا ؟

● قيل ان الخليفة العباسي المنصور ارسل الى الامام جعفر الصادق ــ رضي الله عنه ــ رسالة قال فيها : « لماذا لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس ؟ » فأرسل اليه الصادق قائلا : « ما عندنا من الدنيا ما نخافك عليه ، ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له ، ولا انت في نعمة فنهنيك عليها ، ولا في نقمة فنعزيك بها ، فلم نغشاك ؟ » فارسل اليه المنصور قائلا : « تصحبنا لتنصحنا » فارسل اليه الصادق قائلا : « من اراد الدنيا فلا ينصحك ، ومن اراد الآخرة فلا يصحبك » .

والدى فضل احد أبنائه على الآخر منذ نشأتنا ، وانا اجله عن المشافهة ولكن هات دواة وبياضا ، فكتب اليه :

ليس لي بعد الهي
مشتكى الا اليكا

واخي في الفضل مثلي
وكلانا في يديكا

انما ابناك كميني
ك فداو مقلتيكا

ان أذقت العين كحلا
هاجت الاخرى عليكا »

فابتاع الاب جارية اخرى لابنه الاصغر، وانفذها اليه .

الطاقة الشمسية

مصدر الطاقة الأولى في القرن ٢١

معهد الكويت للأبحاث العلمية

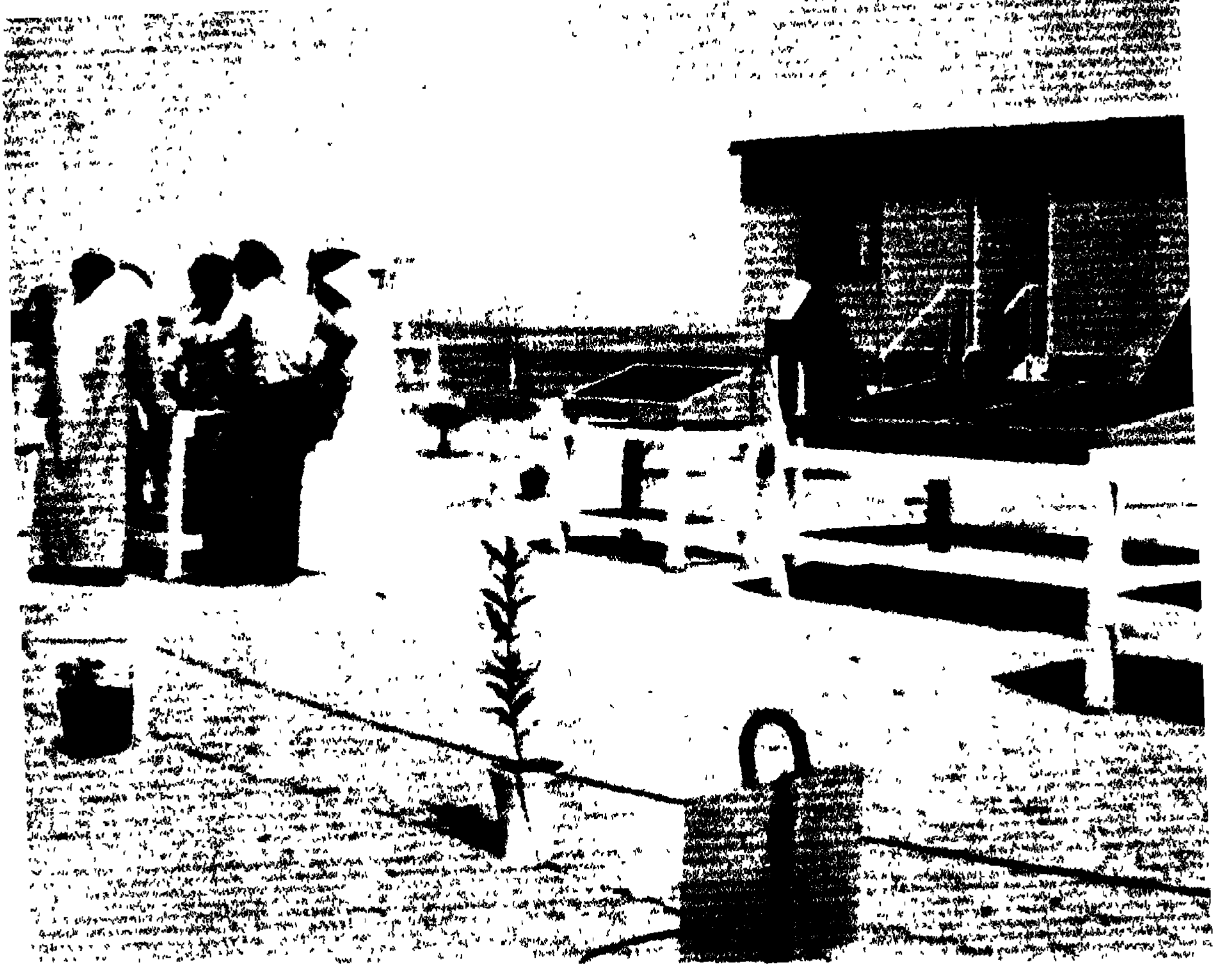
يقيم المنازل ومقطرات الماء والمستنبتات الشمسية وتبشر تجاربه بتحويل الصحراء الى واحة خضراء

استطلاع بقلم :
يوسف زعبلاوى

تصوير :
صلاح الدم



ماء عذب صالح للشرب يصب في الاناء .. لقد كان هذا الماء مالحا قبل حين .. لا تقل ملوحته عن ٤٠٠٠ جزء في المليون ولا يصلح لشرب الانسان او الحيوان ولا يستحسن لري النبات .. ولكن المقطر الشمسي الصغير الذي تراه ما لبث ان قضى على ملوحته فجعله ماء شريبا .. وذلك بالتبخير بحرارة الشمس وبأبسط الاساليب ... ولو انت قارنت هذه المقطرات الشمسية بمصانع تقطير المياه الضخمة ذات الالات والاجهزة المعقدة ، لعجبت لقدرتها على القيام بنفس المهمة ، رغم بساطتها وقلة تكاليفها .



هذا هو البيت الشمسي المتنقل .. انه صغير ،كما ترى ، وقد صمم لاغراض التجربة .. جلسنا فيه قليلا واذا بجوه الداخلي مكيف مبرد ولا تزيد درجة حرارته على ١٨ درجة مئوية .. انه مبرد بحرارة الشمس .. ولدى الضغط على زر تحل التدفئة فيه محل التبريد .. والبيت مزود بماء ساخن فضلا عن البارد ... والفضل في ذلك كله انما يعود الى الطاقة الشمسية ..

■ دفعنا حب الاستطلاع الى زيارة معهد الطاقة الشمسية الذي اقامه معهد الكويت للابحاث العلمية في ساحة رحبة مكشوفة في مقره ، في الربيع الماضي .. فالطاقة الشمسية واحتمالات استغلالها واساليب تطبيقها .. هذه كلها ابحاث جديدة ما زالت في مراحلها الاولى في بلاد الغرب نفسها ... ولطالما تتبعنا اخبارها في المجلات الاوروبية والامريكية فشعرنا بالحسرة حينا وبالنشوة احيانا .. اما النشوة فلطابع الخيال العلمي الذي بدا لنا فيما قرأنا ..

واما الحسرة فلشعورنا ونحن نقرأ المجلات بالهوة السحيقة التي تفصل بيننا وبين الغرب في ميدان العلم .... ولطالما تساءلنا الى متى يقف اهتمامنا بمخترعات الغرب وابحاثه العلمية عند شراء ما تتمخض عنها تلك المخترعات والابحاث من اجهزة وسلع .. والى متى تقف معرفتنا بتلك المخترعات عند الاعلانات التجارية .. وما كان ليخطر لنا ببال ان في امكان العرب ان يشقوا طريقهم في الابحاث العلمية ويجاروا الغرب في تجاربه ومساعيه الرامية الى استغلال الطاقة الشمسية .. حتى زرنا معرض الطاقة الشمسية وطفنا بمعروضاته .

فهذا معرض علمي يجسد التجارب والابحاث التي يقوم بها المعهد في ميدان الطاقة الشمسية .. فهو اذن بعيد كل البعد عن المجالس الادبية والامسيات الشعرية ويتطلب بعض الجهد في تفهم

الاساليب والنماذج المعروضة ·· والغريب ان الاقبال على هذا المعرض كان كبيرا فقد زاره الكثيرون ، كبارا وصغارا رجالا ونساء ، وبدا عليهم الاهتمام وهم يصغون الى الايضاحات والشروح العلمية للنماذج والاساليب العلمية·· ترى هل يشير هذا الى ان ثمة وعيا علميا قد بدا فينا نحن العرب ·· نرجو ذلك ·

المعهد بين الماضي والحاضر

وما اسرع ما علمنا ان معهد الكويت للابحاث العلمية جهاز فتي ، وقد صدر المرسوم الاميري بانشائه قبل اربع سنوات فقط ··· في ٧يوليو سنة ١٩٧٣ ·· وعرفنا ايضا أن له نواة اسستها شركةالزيت العربية (اليابانية) سنة ١٩٦٧ وذلك وفق شروط الاتفاقية المعقوده مع تلكالشركه··· الا ان تلك النواة كانت محدودة ·· من حيثعدد العاملين فيها · الذي لم يتجاوز اصابعاليدين·· ومن حيث نشاطها ونطاق عملها ·· وقد اقتصر على مجالات ثلاثه : البترول والنباتاتالصحراوية والاسماك ··

ولو ذكرنا ان عدد العاملين في معهد الكويت للابحاث يبلغ حاليا ٣٢٠ موظف ·· وان ابحاثه وبرامج تجاربه تكاد تكون شاملة ·· وانه مجهز احسن تجهيز بالمختبرات وما اليها ·· لادركنا اننا امام جهاز علمي ضخم يختلف كثيرا عن النواة التي استبقته ··

واول ما يذكر عن هذا الجهاز أنه حكومي ·· ويحظى باهتمام كبار رجال الحكومة ·· وحسبك ارتباطه بمجلس الوزراء ، وقد عهد الى وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء السيد عبدالعزيز حسين برئاسة مجلس امناء المعهد ·· الذي نص المرسوم السالف الذكر على تشكيله وتكليفه بالاشراف على المعهد · ويضم مجلس الامناء هذا من الاعضاء مدير عام مجلس التخطيط وامين عام جامعة الكويت ·· ويضم ايضا ممثلين عن وزارات المالية والاشغال العامة والكهرباء والماء ·· على ان يكون هؤلاء منتدبين من قبل الوزراء المعنيين انفسهم ·· ويضم مجلس الامناء كذلك مدير عام معهد الكويت للابحاث العلمية ، الدكتور عدنان شهاب الدين وقد اسند اليه المرسوم ايضا مهمة القيام باعمال مقرر مجلس الامناء ·

ويتجلى اهتمام المسئولين بالمعهد اكثر ما يتجلى في المخصصات التي رصدوها له ولاعماله ·· فقد جاوزت تلك المخصصات ٣ر٥ مليون دينار في السنة الماضية وستقارب ٥ر٥ مليون في السنة القادمة ·· والمعهد مازال في مقتبل العمر ··

البحث التطبيقي ·· والاهداف

وطلبنا المزيد من المعلومات عن المعهد ·· عن جوهر اعماله والهدف من ابحاثه ·· فكان من الطبيعي ان نجتمع بالدكتور عدنان شهاب الدين· ·· وذلك لا لانه مديره العام فحسب ، ولكن لان الدكتور عدنان قام بدور رائد في تحديد نوعية البحث الذي يمارسه المعهد ايضا ··

وقد اوضح لنا تلك النوعية وبين لنا ان الابحاث التي يقوم بها معهد الكويت ابحاث تطبيقيةعملية لا نظرية··وهي ابحاث موجهةلاهداف معينة ، وتنشد خدمة المجتمع في نواح مختلفه·· اما الابحاث النظرية التي تستهدف الكشف عن الحقيقة دون الالتزام باغراض محدودة فهيليست تطبيقية ·· ولا تهم معهد الكويت على نحو مباشر ·· انها ابحاث علمية ولا ريب ·· ولكنها مجردة ومن اختصاص الجامعات ··

ولكنلم هذا البحثالتطبيقي ، وما هيالبواعث عليه ·· ؟



الدكتور عدنان شهاب الدين ·· المدير العام لمعهد الكويت للابحاث العلمية ·· ومساعد مدير جامعة الكويت للشئون العلمية ·· والدكتور عدنان كويتي الجنسية ويبلغ من العمر ٣٤ عاما ·· وقد حصل على الدكتوراه من جامعة كاليفورنيا في شهر سبتمبر ١٩٧٠ · اما تخصصه فالهندسة النووية ·



وهذا حهار التحليل التلقائى ٠٠ وهو جهاز حديث يحلل ما بين ٤٠ ـ ٦٠ عينة فى الساعة الواحدة ودلك اوتوماتيكيا ودون أن تلمس تلك العيّنات يد انسان٠٠ويتم دلك بمزج عينات الماء بمواد كيماوية خاصة تتفاعل معها فتعطى الوانا تختلف فى حدتها ٠٠ وذلك تبعا للاختلاف فى تركيز المواد الموجودة فى الماء ٠٠ ويعطى الجهاز الكاشف اشارته فيلتقط جهاز التسجيل تلك الاشارة ويسجلها ٠

اما البواعث فثلاثة ٠٠ :لتنمية باوسع معانيها ٠٠ وهى تتطلب ، كما لا يخفى ، الكشف عن الثروات الطبيعية فى الكويت ودراسة امكانياتها والعمل على استغلالها ٠٠ والباعث الثانى هو التصنيع ٠٠ والاسهام فى تقدم الصناعة الوطنية وذلك بالقيام بما تتطلبه الصناعات القائمة والمرجوة من دراسات وبحوث ٠٠ وثالث تلك البواعث العنايه بالمواهب العلمية والعمل على تنمية روح البحث لدى الشباب الكويتى ٠٠٠

هجرة معاكسة للادمغة العربية

واجتمعنا بعد ذلك بالدكتور على العمر ٠٠مدير قسم الابحاث فى معهد الكويت ٠٠ وتناولت احاديثنا فيما تناولت شئون المعهد الادارية نظرا لغياب مدير قسم الادارة السيد منصور بندر خارج البلاد ٠

وفهمنا من الدكتور العمر ان عدد الباحثين المؤهلين فى المعهد يبلغ ثلاثين ٠٠ اى ثلث مجموع الموظفين٠واكثر هؤلاء الباحثين من الشباب العرب٠٠ ومن حملة الدكتوراه فى ميادين تخصصهم ٠٠

● الطاقة الشمسية

على ان هؤلاء الباحثين يتمتعون بمؤهل آخر اهم واخطر من شهادة الدكتوراه ٠٠ ذلك هو الخبرة الطويلة فى الابحاث العلمية التى حصلوا عليها فى الولايات المتحدة الامريكية وفى غيرها من بلاد الغرب ٠٠ اى ان الكثيرين من باحثى معهد الكويت كانوا فى عداد الادمغة العربية المهاجرة ٠٠ التى اغتربت ثم ما لبثت ان عادت ٠

وحدثنا الدكتور على العمر عن اقسام المعهد وفروعه بعد ان حدثنا عن باحثيه والعاملين فيه٠وفهمنا ان اقسام المعهد اربعة : قسم المواد والعلوم الهندسية وقسم البيئة والعلوم الارضية ٠٠ فقسم الزراعة والموارد البحرية وقسم السياسة العلمية والتكنولوجية ٠٠٠ وتتفرع هذه الاقسام بدورها الى فروع ٠٠وتتفرع هذه الفروع الى شعب٠٠ ولا يهمنا هنا امر هذه الفروع والشعب بالذات بقدر ما تهمنا الابحاث والتجارب التى تقوم بها٠٠

ونذكر من هذه الابحاث على سبيل المثال :

● الابحاث الخاصة بالاسفلت والرامية الى مضاعفة متانته والحيلولة دون تشققه بتاثير الحرارة٠ وقد تبين ان الكبريت وهو موجود فى بترول الكويت هو الكفيل بتحقيق ذلك ٠

● الابحاث الخاصة بحماية التربة الزراعية من التعرية Erosion بسبب التبخر ٠٠ وتتجه هذه الابحاث الى تغطيه التربة بغشاء يحفظ رطوبتها ويمنع انهيارها ٠٠ وقد وجد الباحثون فى بعض البتروكيماويات لا سيما الملش Mulcn المادة المناسبة لذلك الغشاء ٠

● الابحاث الخاصة بصنع البروتين الاحادى الخلية من البترول ولا يخفى ان هذا البتروبروتين علف مغذ للحيوان ٠٠ وقد بدات صناعته فى اوروبا فى المدة الاخيرة ٠

● الابحاث والتجارب الخاصة باستزراع الفقع (الكماة) وهو نبات برى يرتبط نموه فى الكويت بعوامل الطقس وبخاصة المطر ٠ هذا الى جانب ابحاث الطاقة الشمسية ،موضوع هذا الاستطلاع٠

تبريد المنازل بالحرارة الشمسية

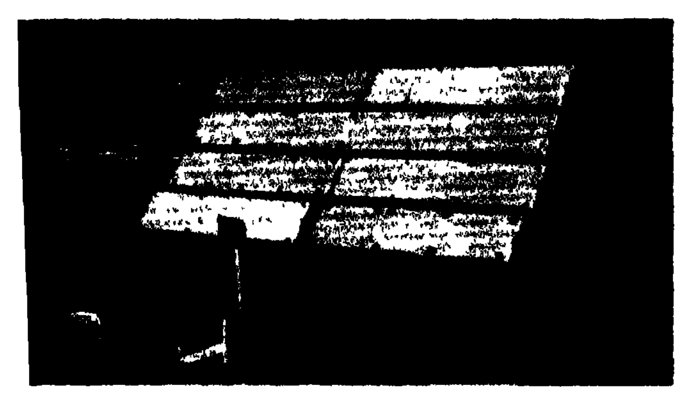
وهكذا عدنا الى معرض الطاقة الشمسية مستطلعين محققين ٠٠٠ لا مجرد زائرين ٠٠وتوجهنا لتونا الى البيت الشمسى المتنقل٠٠ابرز معروضات المعرض واكثرها جاذبية ٠٠ودخلناه عند الظهيرة





الطباخات الشمسية ·· تستمد حرارتها من هذه الالواح المجمّعه المائلة ·· وقد ظهر احدهم وهو يكشف غطاء احدى هذه الطباخات ·· على ان هذه الطباخات ليست معدة لطهي الخروف المحشى ·· او لقلى الكبة او الفلافل ·· فعملها اقرب الى التسخين منه الى الطبخ ·

استغلال الطاقة الشمسية في اى مجال من المجالات ، ولاى غرض من الاغراض ، يشترط اول ما يشترط ، تجميع تلك الطاقة ·· وهى مبعثرة مشتتة كما لا يخفى ·· ويتم هذا التجميع بواسطة الصفائح والالواح السوداء المجمّعه ·· وهذه صنفان ·· صنف يعتمد الماء ناقلا لحرارة الشمس ·· وصنف يعتمد الهواء ·· والصنف الثانى هو الذى ترى في الصورة وقد ظهر جهاز نفخ الهواء فيه عند القاعدة ·



مقطّر شمسى آخر ، اكبر حجما من الذى رايناه فى صورة سابقة ·· فهذا الحجم يفى باغراض مجموعة من العائلات ، بينما الحجم الاصغر معد لاستعمال العائلة الواحدة · ويقوم معهد الكويت للابحاث العلمية بدراسة الجدوى التكنية والاقتصادية للمقطرات الشمسية باحجامها المختلفة· اذ لا بد من التأكد من صلاح هذه المقطرات مائة بالمائة قبل التوصية بصنعها واستعمالها على نطاق واسع ·· ولا سبيل الى مثل ذلك اليقين الا بالتجارب المتواصلة لمدة من الزمن كافية ·

هذا هو المستنبت الذى يقى الخضروات حرارة الشمس القاتلة دون ان يحرمها الهواء أو ضوء الشمس الذى لا غنى عنهما لنموها ·· وميزة هذا المستنبت ليست فى استعجال نضج النبات فقط ولا فى ضمان جودته فحسب وانما فى تمكينه من البقاء على قيد الحياة فى اقاليم حارة كالكويت قد تبلغ درجة حرارة الظل فى صيفها احيانا ٤٨ درجة مئوية ، ومن يدرى ، فقد يكفل هذا المستنبت للكويت فى مستقبل قريب الاكتفاء الذاتى والاستغناء عن الخضروات المستوردة ·

*

*

*

واذا بدرجة الحرارة داخله لا تكاد تبلغ عشرين درجة مئوية ••• اى اقل من درجة حرارة الجو خارجه بنحو ٤٥ درجة مئوية •• وطاب لنا المقام فى ذلك الجو اللطيف •• ورغبنا فى الوقوف على سره • ولم تمض دقائق حتى كان السيد فاروق احمد معنا •• وهو المكلف بمرافقتنا والرد على اسئلتنا فى جولاتنا بمعرض الطاقة الشمسية ••

والاخ السيد فاروق من الباحثين الاكفاء العاملين فى معهد الكويت للابحاث العلمية •• يبلغ من العمر ثلاثين عاما ويقوم بدراسات وابحاث وتجارب فى مجال اختصاصه : المنازل الشمسية عامة ، ومنازل « الملك » MEC بخاصة •• لا عجب اذن ان وجدنا فى الاخ السيد فاروق ضالتنا المنشودة •• فرحنا نمطره بالاسئلة وراح يجيب ويقول :

ـ هذا بيت شمسى •• الحرارة الشمسية هى عماده ، وقد استعاض بها عن الكهرباء والغاز•• فمنها يستمد هذه البرودة اللطيفة ومنها يستمد ايضا التدفئة التى يحتاجها ايام البرد •• فضلا عن الماء الساخن الجارى دوما فى انابيبه •••

ويواصل السيد فاروق حديثه ويقول :

ولو انتم نظرتم الى سطح هذا المنزل لرايتم الواحا وصفائح سوداء تغطى السطح بكامله •• وما هذه سوى المجمّعات Collectors التى اعدوها لامتصاص حرارة الشمس • وقد صبغوها باللون الاسود ووضعوها على نحو منحرف بقصد الحيلولة دون ارتداد الاشعة عنها ولامتصاص اكبر قدر ممكن من تلك الاشعة •• ووجهوها نحو الجنوب لضمان استمرار سقوط الاشعة عليها ، من شروق الشمس حتى الغروب •

فهذه المجمعات تمتص حرارة الشمس، كما ذكرنا، وهذه الحرارة الشمسية المجمعة تسخن الماء الذى يجرى فى الانابيب الدقيقة الموجودة فى المجمعات•• ولا يلبث هذا الماء الساخن ان يصب ويتجمع فى خزان خاص داخل المنزل ••

فاذا رغبنا فى تدفئة المنزل ضغطنا على هذا الزر ••• فيندفع الماء الساخن من الخزان الى ملف التسخين Heating Coil وهو انبوب دقيق ملفوف يمتلىء بالماء الساخن حتى اذا جاءه الهواء الذى يدفعه اليه جهاز النفخ ، سخن هذا الهواء ثم انتشر فى المنزل وانتشر معه الدفء •

وقل مثل ذلك فى تبريد المنزل ••• مع الفارق



المستنبت الزراعى الشمسى ،كما يبدو من الداخل• انه صغير الحجم وتجريبى ، كما ترى •• وهو معد بحيث يسمح بدخول ضوء الشمس بالقدر المطلوب، والى المكان المرغوب •• وهو معد ايضا للتبريد باحدى الطرق البدائية التى تعتمد على تبخير الماء•

بان الماء الساخن يمر فى هذه الحالة بجهاز تبريد خارجى يعمل كالثلاجة على اساس الامتصاص وبطاقة ٣ اطنان ••• ولا يلبث الماء الذى ياتيه ساخنا ويخرج منه باردا ان يصل الى ملف التبريد Cooling Coil فيبرد الهواء ••وينتشر هذا الهواء البارد فى جو المنزل •

مقطّرات الماء، والطباخات ومجففات الفواكه

وانتقلنا من البيت الشمسى الى مقطرات الماء الشمسية •• تلك الاجهزة البسيطة التى انتشرت فى المعرض هنا وهناك والتى تستغل الحرارة الشمسية وتزيل بها ملوحة الماء المالح ، ماء البحر وخلافه ، وكانها معدات التقطير الكبيرة المعقدة •

ذلك ان جهاز التقطير الشمسى لا يعدو كونه خزانا ـ مجرد خزان ـ •• قاعه اسود وغطاؤه من زجاج ••فهو خزان الماء المالح، الماء المراد تقطيره ••• اذ لا يلبث هذا الماء ان يتبخر بفعل حرارة الشمس التى يمتصها القاع الاسود ••• وبخار الماء لا يحمل معه شوائب الماء ولا ملوحته كما هو معروف •• انه بخار ماء عذب لا يحتاج الا الى السطح المناسب يرتطم به فيتكثف عليه ماء صالحا للشرب •• وما غطاء الخزان الزجاجى الا ذلك السطح •••

وقد رأينا باعيننا كيف يتكثف بخار الماء ويتجمع على ذلك الغطاء ـ بل على سطحه الداخلى• يتجمع

على شكل قطرات ماء تعلق بذلك السطح ولا تلبث ان تتكاثر لتاخذ سبيلها الى قناة صغيرة ومنها الى خزان الماء العذب ..

واسترعى انتباهنا اختلاف احجام المقطرات التي شاهدناها في معرض الطاقة الشمسية . وفهمنا ان الصغير منها معد لاغراض العائلة الواحدة ..وان الاحجام الكبيرة معدة لاستعمال مجموعة من العائلات .. او قريه صغيره ..

بقى ان نتحدث ولو بايجاز عن معروضات اخرى شاهدناها في معرض الطاقه الشمسية ، ونخص بالذكر منها الطباخات ومجففات الفواكه الشمسية .. وقوام هذه وتلك المجمعات .. الا ان المجمعات المستعملة هنا مجمعات هوائية لا مائية .. اى ان الهواء لا الماء هو الذى سيسرق الحرارة بعد ان تمتصها صفائح التجميع السوداء . والمجمعات الهوائية مزودة بجهاز نفخ يدفع الهواء في الاقنية التي تتخلل صفائح التجميع .

المستنبت الشمسي

تجدر الاشارة اولا الى ان هذا المستنبت الشمسي يختلف اختلافا جذريا عن المستنبتات والبيوت الزجاجية التقليديـة .. فهـذه تضاعف حـرارة الشمس بينما المستنبت يضعفها ويحد منها .

ومعنى هذا أن المستنبت الشمسي ليس شمسيا بالمعنى الدقيق . فالبيـوت الشمسيه ، وكذلـك مقطرات الماء الشمسية ، كلها تعمل على اساس تجميع الحرارة الشمسية ، في حين يعمل المستنبت على تحاشي هذه الحرارة .. لذلك كان اجدر بان يسمى المستنبت اللا شمسي !! .



الدكتور علي العمر ، من مواليد عام ١٩٣٢، هو مدير الابحاث في معهد الكويت للابحاث العلمية .. والفيزياء هي موضوع تخصصه.. وقد حصـل فيها على الدكتوراه مـن جامعـة كولورادو في امريكا.. ودرّسها في جامعات مختلفة في الولايات المتحدة ، طيلة ١٤ سنة . والدكتور العمر استاذ (بروفسور) في قسم الفيزياء في جامعة الكويت .

وقوام هذا المستنبت نوافذ عديدة ومربعات عازلة ومتحركة تغلق بها تلك النوافذ .. أو تفتح، وفق الحاجة . وقد جعلت العوازل متحركة لنستطيع فتح النافذة التي نشاء في الوقت الذى نشاء .. فتدخل اشعة الشمس الى المزروعات التي نشاء .

وصمم المستنبت بحيث لا تسقط تلك الاشعة على النبات على نحو مباشر .. فهي تنعكس مرة او مرتين على جدران المستنبت قبل الوصول الى النبات .. ومن شأن هذا الانعكاس ان يفقد اشعة الشمس حرارتها دون ان يفقدها ضوءها .. فالمستنبت الشمسي اذن يسمح بدخول ضوء الشمس بالقدر الذى يحتاجه النبات في عملية البناء الضوئي دون ان يسمح بدخول حرارتها وهي كما هو معروف شديدة لا يطيقها النبات ايام الصيف .

على ان المستنبت الشمسي مجهز بنوافذ اخرى غير التي ذكرنا ، هي تلك التي تراها عند القاعدة (انظر الصورة الملونة) . فهذه نوافذ التهوية التي تضمن دخول الهواء الى المستنبت ..والهواء ضروري وحيوي للنبات ..اى نبات، كما لا يخفى.

بقي ان نذكر ان المستنبت الشمسي معد للتبريد والتكييف ..فالنبات الذى في داخله يجود بمحصول اجود اذا تسنى تكييف المستنبت ..

برامج وتجارب اخرى

كان لا بد لنا من الاجتماع بالمدير المسئول لفرع الطاقة الشمسية في المعهد وطرح اسئلتنا عليه.. واجتمعنا بالدكتور محمد انور مالك ، البحاثـة المختص في هندسة الطاقه الشمسية والزراعة . والمتوفر على خبرة طويلة في الولايات المتحدة في علوم الطاقه الشمسية واساليب استغلالها ... فحصلنا على الردود الشافيه الوافية التي نوجزها فيما يلي :

المنزل الشمسي : يجرى العمل على قدم وساق في بناء منزل شمسي في احدى ساحات المعهد . وسيمتاز هذا المنزل على البيت المتنقل الذى شاهدناه في المعرض وتحدثنا عنه فيما سبق . بالرحابة والسعة ..

المدرسة الشمسية : والمعهد ماض في العمل من اجل تدفئة احـدى المدارس وتكييفها بالطـاقة الشمسية .. والمرجح ان هذه المدرسة ستفتح ابوابها للطلاب في شهر ايلول سبتمبر القادم .

المجمع الريفي : يستهدف هذا المشروع استغلال الطاقة الشمسية في مجمع متكامل يوفر المـاء



المختبر التحليلى هو المختبر الذى تعتمد عليه شتى اقسام المعهد فيما تقتضيه اعمالهامن تحاليل كيميائية وفيزيائية وغير ذلك . وهو مختبر كبير حسن التجهيز وكثيرا ما تلجأ اليه مختلف الوزارات والهيئات . والجهاز الذى تراه فى الصورة فوق هذا الكلام هو أحد أجهزة هذا المختبر . انه جهاز التحليل الطيفى الذى يعمل بالاشعةدون الحمراء..اذ تسلط هذه الاشعة على العينةالمراد تحليلها ... وتمر الاشعة بالعينة وتتأثر بتركيبها الكيماوى حتى اذا تجاوزتهذه الاشعة العينة أعطت اشارة خاصة يلتقطها جهاز خاص هو الذى يكشف عماتنطوى عليه من تحليل .

والغذاء والكهرباء ويجرى الاعداد لهذا المشروع بالتعاون مع محطة التجارب الزراعية فى الكويت. ويشمل المشروع وحدة تقطير لازالة ملوحة المياه ومستنبتا زراعيا ـ وكلاهما يعتمد على الطاقة الشمسية .. ولكنه يشمل ايضا محرك ديزل لتوليد الكهرباء .

وكرر الدكتور مالك القول بان ما يقوم به المعهد من أعمال لا يتعدى حدود التجربة والاختبار، وهو يستهدف فى ذلك غرضين .. تحرى اللياقة التكنية وتحرى الجدوى الاقتصادية ..ويستهدف احيانا غرضا ثالثا هو تعديل الاجهزة والاساليب الموضوعة قيد التجربة بما يكفل لها مزيدا من اللياقة والجدوى .

نهاية المطاف

واجتمعنا بالدكتور عدنان شهاب الدين لشكره وتحيته،وتجاذبنا اطراف الحديث فى الطاقة الشمسية والبترول والخيارات المتاحة للدول العربية .. ويطيب لنا ان ننقل الى القارىء الرأى الذى ابداه الدكتور عدنان وبكلماته ، اذ قال :

ـ لا يخفى ان البترول فى طريقه الى نضوب ... والطاقة الشمسية فى طريقها الى انتشار وشيوع .. فدول الغرب المتقدمة ماضية فى سباق من اجل استغلال الطاقة الشمسية ..

الا ان ابحاث تلك الدول وجهودها ما زالت فى مراحلها الاولى ..فهى لم تبدأ جديا الا عقب الحرب البترولية التى اعلنها العرب سنة ١٩٧٣ .. اى ان العرب يستطيعون مجاراة الغرب فى تلك التجارب والابحاث لو ارادوا ذلك .. اضف الى ذلك ان اساليب استغلال الطاقة الشمسيةمن البساطة بما يسمح للعرب وسائر الدول الناميه بالاسهام الفعال فى تطويرها وفى صنعها محليا..

لذا كانت الفرصةالتى تتيحها لنا هذه الاوضاع فرصة ذهبية .. ترى هل نختار المضى بقيامنا بدور المتفرج اللامبالى الذى لا يهمه من امر مخترعات الغرب الا ما تتمخض عنه من سلع ومنتجات نستطيع شراءها من الاسواق .. ام نختار المبادرة الى اغتنام الفرصة قبل فوات الاوان .. فرصة السير مع الغرب جنبا الى جنب، والاسهام للمرة الاولى ، فيما يقوم به من نشاط علمى تكنولوجى كان دائما السبب فى الهوة السحيقة التى تفصل بيننا وبينه .. انها فرصة تاريخيه ولا ريب (وارجو الا يفوت العرب اغتنامها) .. ■■

يوسف زعبلاوى



الدكتورمحمد أنورمالك المتخصص فى هندسة الطاقة الشمسية . وقد حصل على الدكتوراه فيها من جامعة مشيجان الحكومية سنة ١٩٦٧ . ويتولى ادارة فرع الطاقة الشمسية التابع لقسم الطاقة فى معهد الكويت للابحاث العلمية . وقد ساهم بنصيب وافر فى اقامة معرض الطاقة الشمسية ..

رد على مقال :

السرطان مرض وراثى

بقلم : الدكتور مختار محمد الظواهرى

مدرس الوراثة بجامعة اسيوط

اثار مقال « السرطان عدو البشرية رقم واحد » الذى نشر فى عدد ٢٢١ للدكتور ابراهيم فهيم ، عدة تعليقات، ننشر منها هذا الرد الذى كتبه الدكتور مختار محمد الظواهرى مدرس وراثة الانسان بجامعة اسيوط (جمهورية مصر) • وكان المقال يشير الى انه بعد بحث اثر الوراثة المرضى ، « ثبت بطريقة قاطعة انه ليس للوراثة اثر يذكر فى السرطان » • غير ان الدكتور الظواهرى ـ وتخصصه فى الوراثة السيتولوجية الطبية السرطانية ـ يرى رأيا مخالفا سجله فى مقاله ، وننشره كما هو •

اغلب الظن ان كاتب مقال « السرطان عدو البشرية » قد خلط كما هو مفهوم عند الكثيرين بين الوراثة والتوارث • ولكن رغم ذلك أيضا اجد ان المقال قد اغفل الجانب الوراثى عند تفنيده لاحتمالات سبب نشأة السرطان ، وذلك لان فرع الوراثة السرطانية من احدث فروع علم الوراثة وابحاثها حديثة جدا وكذلك فهى بعيدة عن كثير من زملائنا الاطبـاء •

وقبل أن استطرد فى الحديث عن الوراثة والسرطان اريد فقط وضع النقط على الحروف بالنسبة لمفهوم كلمة « وراثة » فهى تعنى كل ما يتعلق بالتركيب الوراثى للفرد ـ والذى حصل عليه من الحيوان المنوى من أبيه والبويضة من امه ـ سواء من حيث تركيبها الكيماوى ، طريقة تكاثرها ، كيفية قيامها بوظيفتها ، وكيفية انتقالها من خلية الى اخرى ، او ميكانيكية انتقالها من جيل الى جيل وهو ما يعرف « بالتوارث » •

وعلى عكس ما ذكر الدكتور ابراهيم فهيم فان السبب المباشر لتحول الخلية العادية الى خلية سرطانية هو سبب وراثى • فمن المعروف ان الخلية

تنقسم في الوقـت المناسب وفي المكان المناسب حسب احتياجات النسيج او العضو الموجودة فيه ، فخلية الزيجوت تنقسم بسرعة وباستمرار لتكوين الجنين ثم يستمر انقسام الخلايا ليكتمل نمو الفرد ثم يتوقف الانقسام وتقتصر على تعويض ما يفقد من خلايا او لتجديد خلايا بعض الاجهزة مثل خلايا الدم الحمراء التي يتجدد منها ١٪ يوميا او خلايا الجهاز الهضمي التي تتجدد كل ٣ ايام أو في حالات العمليات الجراحية أو الجروح العادية لالتئامها •

كل هذا يحدث تحت التحكم الوراثي للخلية • وهو مجموعة كبيرة من الجينات الموزعة على عدد كبير من الكروموسومات • واذا حدث تغيير في هذا التركيب الوراثي او ما يسمى بالطفرة الوراثية تشمل احد او بعض هذه الكروموسومات المحتوية على هذه الجينات فان الخلية بالتالي تفقد تحكمها في عملية الانقسام السابقة الذكر وتسلك احد طريقين : (١) اما انها تفقد القدرة كلية على الانقسام وهو ما يحدث في الشيخوخة فلا تستطيع تجديد نفسها • او (٢) أن تنقسم بدون توقـف مكونة كتلة أو مستعمرة لا تتوقف من الورم السرطاني وهو ما يحدث في السرطان •

وهذه الطفرة نظرا لانها تحدث في اى خلية من اى نسيج فـي اى مكان من الجسم لذلك يطلـق عليها طفرة وراثية جسمية • وقد ثبت فعـلا وبالدليل القاطع ان جميع الخلايا السرطانية الخبيثة بها طفرات كروموسومية كبيرة في عدد الكروموسومات او في تركيب الكروموسومات وهو ما يمكن رؤيته وتحليله وتصويره بالميكروسكوب •

وقد كان لي شرف المساهمة في هذه الابحاث والتي قمت بها خلال الثماني سنوات الماضية والتي تاكد منها ما يلي : (١) السبب المبـاشر لتحول الخليـة العادية الى خليـة سرطانية هو طفرة كروموسومية في الخليـة الاصليـة التي تنقسم مكونة الورم الخبيث الذي يعتبر مستعمرة تحتوي خلاياها على نفس الطفرة مما يدل على أنها نشات جميعا من خلية واحدة هي التي حدث بها هـذه الطفرة الوراثية •

(٢) امكن استخدام هذه التغيرات الوراثية في تشخيص الاورام السرطانية وذلك في وقت مبكر جدا وكان لي هذا الشرف في تسجيل براءة اختراع هذه الطريقة تحت عنـوان « استخدام التحليل الكروموسومي في تشخيص الاورام السرطانية في وقت مبكر » • بل واكثر مـن ذلك فقـد امكن استخدام التشخيص الـوراثي الكروموسومي في اكتشاف حالات الورم العميدة التي يمكـن ان تتحول مستقبلا الى ورم خبيث •

(٣) بناء على كل ما تقدم كان لابد من اعادة تقييم المعاملة في علاج هذه الاورام سواء بالادوية الكيماوية او بالاشعاع ومعرفة مدى استجابة الخلايا السرطانية للعلاج طالما ان السبب هو طفرة وراثية او بمعنى آخر هل هذه المعاملات تستطيع ان تعيد الخلية السرطانية الى خلية عادية مرة أخرى ؟؟

وللاجابة على هذا السؤال قمت بالاشتراك مع زملائي اساتذة الطـب بجامعة اسيوط بدراسة تاثير هذه المعاملات ودلت النتائج على ان هذه المعاملات تحدث ما يسميه الاطباء Remission ثم ما يلبث ان يعاود الانقسام الخلوى في الظهور بنفس الطفـرة الوراثية • واكثر من ذلك ففي التجارب الخاصة بدراسة تاثير العلاج بالاشعة فان طفرة جديدة قد تحدث في الخلية السرطانية او في خلية سليمة معطية نوعا جديدا آخر مـن السرطان وهذا خطر في حالة استعمالها بعـد استئصال الورم بالجراحة ، فبينما يزال الورم الأصلي فان ورما جديدا قد يصل نتيجة حدوث طفرة جديدة بالاشعاع •

بالاستئصال الجراحي

وبنـاء على ذلك ننصح الزملاء الاطبـاء بان الطريقة الوحيدة التي تعطي نتائج ايجابية بنسبة اكبر هي الاستئصال الجراحي بشرط ان يكـون الورم في مراحله المبكرة ويتوقف ذلك علـى نجاح التشخيص فـي وقت مبكـر ، ومـن هنا تاتي اهميـة التشخيص الكروموسومي لانها مؤكدة ودقيقة حيث أن التغير في التركيب الوراثي نادر الحدوث وتحت ظروف خاصة • وجميع هذه الابحاث قد قمت بالقائها في عديد من المؤتمرات العالمية بموسـكو والمكسيك وباريس وامـريكا والخرطوم والقاهـرة والاسكندرية ومنشورة في المجلات العلميـة العالميـة سواء الطبية منها او الوراثيـة •

ويتبقى فى النهاية سؤال يتطلب منى الاجابة عليه حتى تكون الصورة مكتملة امام زملائنا الاطباء وهى ماهية العلاقة بين بعض الفيروسات او المعاملات التى ينتج عنها السرطان وبين الوراثة ٠ او بمعنى آخر ما هى علاقة العوامل التى لوحظ انه بتعريض الانسان لها مدة من الوقت قد تصيبه بالسرطان كالاشعاع او الاحتكاك المستمر ٠٠٠ الخ والتغيرات الوراثية التى هى السبب المباشر لنشأة الخلية السرطانية ؟؟

وفى الحقيقة فان هذه الطفرة الوراثية الكروموسومية قد تحدث ذاتيا ولكن بنسبة ضئيلة جدا ولكن تعرض الانسان لعوامل خارجية مثل بعض الفيروسات او الاشعاعات المؤينة او بعض الكيماويات قد يزيد من هذه الطفرات بنسبة كبيرة ٠ وعلى ذلك فالسبب المباشر هو السبب للاسف غير الظاهر هو الطفرة الوراثية ، اما سبب حدوث الطفرة الوراثية فلها سبب آخر مباشر على الطفرة ولكنه غير مباشر على السرطان ٠ وقد ثبت بالدليل القاطع ان مثل هذه العوامل المطفرة تستطيع ان تحدث السرطان ٠ وبدراسة الخلايا السرطانية المستحدثة وجد بها التغيرات الوراثية المشابهة تماما لما هو موجود فى الخلايا السرطانية التى تحدث فى الانسان ٠ فمثلا وجد ان بعض الفيروسات مثل فيراس الحصبة يحدث طفرات كروموسومية شديدة فى الخلية المصابة وكذلك الفيراس المسمى SV40 والفيراس المسمى RS٧ امكن بواسطتها استحداث طفرات فى الكروموسومات ٠ ووجد ان هذه الطفرات تحول الخلية الى خلية سرطانية ٠ كذلك وجد ان الاشعة المؤينة تحدث طفرات كروموسومية فى الخلية وتحولها الى خلية سرطانية وكذلك بعض المواد الكيماوية مثل Polycyclic Hydrocarbons وجد انها مطفرة ومحدثة للسرطان ٠ ومن نتائج الابحاث التى قمت بها مع زملائى وجدنا ان بعض السموم الفطرية Mycotoxins مثل Aflatoxin B1 مطفرة وفى نفس الوقت محدثة للسرطان ٠ Carcinogenic

وكل العوامل سواء الميكانيكية او الكيماوية او الناتجة من تلوث البيئة كلها عوامل ثبت انها مطفرة اولا ثم تحول الخلية العادية بعد ذلك الى خلية سرطانية ٠ واكثر من ذلك فقد ثبت ان جميع العوامل المحدثة للسرطان اصلا محدثة للطفرة الوراثية وليس العكس مما يتفق مع كل ما سبق ٠ ■■

دكتور مختار محمد الظواهرى
جامعة اسيوط ـ جمهورية مصر العربية

■ وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وانتم لا تعلمون ٠

(قرآن كريم)

■ دع ما يريبك الى ما لا يريبك ٠

(حديث نبوى)

■ الفقير غريب فى بلده ٠

(الامام على)

■ الناس آلف منهم كواحد ... وواحد كالألف ان أمر عدا

(ابن دريد)

■ من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت ايلام

(المتنبى)

"العربي" داخل بيت الرجل الذي عبد البطولة

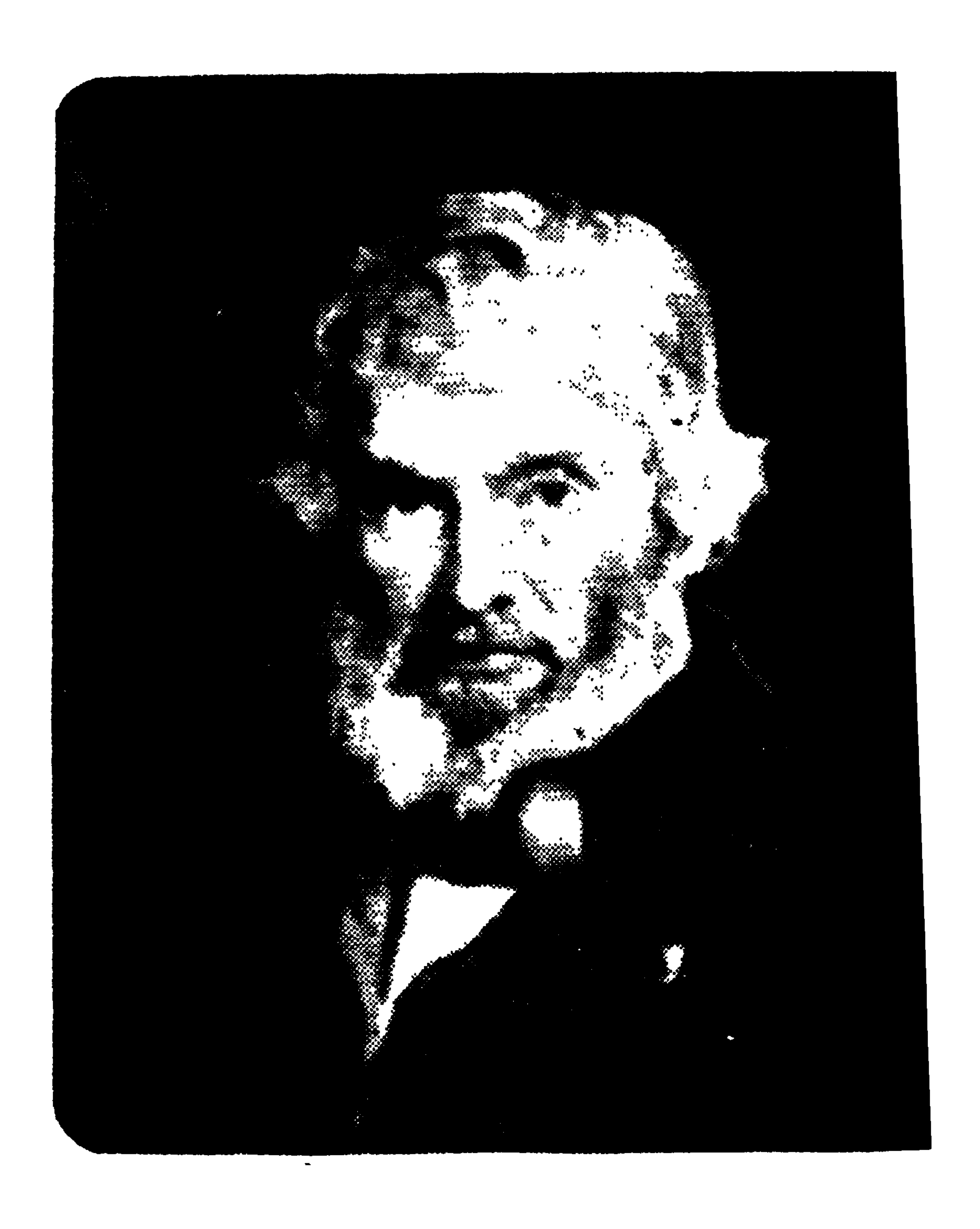
في صومعة توماس كارلايل

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

اسمها صومعة ولا أدعوها منزلا أو سكنا لانها كانت أقرب الى معتكف راهب علم منها الى سكن اعتيادي٠٠فهذا البيت الذي يحمل الرقم ٢٤ في تشيني رو ، Cheyne Row بلندن والذي بني منذ اكثر من قرنين ونصف ، كان مصدر وحي والهام للمؤرخ والكاتب والباحث العظيم توماس كارلايل ٠

■ ولد كارلايل في الرابع من كانون الاول(ديسمبر) ١٧٩٥ من آب فقير بعث بابنه الى احدى المدارس المعروفة عند الانكليز بمدارس النحو ، وعندما ادرك الخامسة عشرة انخرط في جامعة ادنبرة فلما تخرج عمل مدرسا للرياضيات ، وفي هذه الفترة تعرف على ايدوارد ارفنج ، الذي اصبح صديقه الحميم لسنوات طويلة فيما بعد ٠

وشهده عام ١٨١٩ عائدا الى ادنبرة لدراسة القانون ثم شرع بدراسة الفكر الالماني فكان ذلك ايذانا ببدء حياته الادبية الحافلة التي استهلها بكتابة سلسلة من المقالات عن الشاعر الالماني شلر، في « مجلة لندن »، عام ١٨٢٣. وفي السنة التالية مضى يكتب سيرة نيلسون ، ومونتين ، ومونتسكيو



لاحدى الموسوعات الكبيرة وترجم كتاب « فلهلم مايستر » ، لصديقه ومعاصره العظيم « غوته » وتعرف في هذه الفترة بالذات على الناقد الكبير وليم هازلت. والشاعر كولبرج ، وفي تلك الفترة عام ٢٦ ، تزوج من فتاة خارقة الذكاء والجمال هي جين ويلش ، وخلال السنوات الست التالية اغرق كارلايل في الفلسفة الاخلاقية ، وجمع شتات افكاره في كتابه « سارتر ريسارتس » ، وهو اقرب مايكون الى السيرة الذاتية ، ثم مضى يدون في مقالات متتابعة سيرة الشاعر برنز ، والمعجمي جونسون ، الى ان انتهى به المطاف الى فولتير وديدرو ونوفاليس .

وفي سنة ١٨٣٤ انتقل هو وزوجته الحسناء الى حي تشيلسي ، حي الفنانين والروعة الشعرية الساحرة بلندن حيث يقع « شيني رو » الذي يحتضن الصومعة « الكارلايلية » اذا صح التعبير وكانت النسبة مستساغة :

هنا امضى البقية الباقية من عمره المديد الذي جاوز الثمانين بستة اعوام ، في هذا المكان الذي اصبح اليوم متحفا للكاتب وتراثه الخالد ..

السجل الخالد

والحق انني تهيبت أن ادخله ناعلا فتركت حذائي عند عتبة الباب . ذلك لان كارلايل انماكتب كتابه « الابطال وعبادة البطولة » ، ومجد فيه محمدا نبيا وبطلا .. هنا ، في هذه الصومعة .بل وفيها بالذات الف كتابه الخالد عن تاريخ الثورة الفرنسية ، الكتاب الذي اعاره لصديقه العالم الاقتصادي الشهير جون ستيوارت مل ليضع له بعض الهوامش والحواشي فراح ضحية جهل خادمة تبالغ في تنظيف مناضد العظماء فتقذف بمسودات مؤلفاتهم في الافران ! .

ولم يبق من النسخة القديمة للكتاب سوى جذاذة معروضة في صندوق زجاجي .. اما الكتاب الذي بين ايدينا اليوم فهو اعادة تدوين من الذاكرة للكتاب الاول ، وعندما نشر سنة ١٨٣٧ اصبح اسم كارلايل علما من اعلام التاريخ وان كان الكتاب اقرب الى قصة رومانتيكية منه الى تاليف موضوعي. ولم يكد ينتهي من هذا الاثر الخالد حتى شرع بالقاء محاضرات عامة بين عامي ١٨٣٧ ، ١٨٤١ وكان اهمها تلك التي جمعت بين دفتي كتاب عرف فيما بعد « بالبطولة وعبادة الابطال » والذي نشر عام ١٨٤١ والمجموعة التي اطلق عليها اسم « الادب الالماني » ، ثم عالج موضوع اثارة الشغب بين الجماهير للمطالبة بالحقوق العامة . وفي عام ١٨٤٣ ظهر كتابه « الماضي والحاضر ». عالج فيه مشكلات سياسية اخرى ودعا الى ضرورة ايجاد طبقة حاكمة قوية وحكيمة وهو موضوع عاد اليه مجددا بعد سبع سنوات في « الكراريس العصرية »ومن اشهر افتتاحاته الادبية الناجحة « رسائل اوليفر كرومويل وخطبه » .

وقد ظهر عام ١٨٤٥ فغير بذلك نظرة الجمهور الى شخصية كرومويل واخلاقه ، وبعد ان فرغ من « حياة جون ستيرلنج » ، سنة ١٨٥١ انصرف الى كتابه الضخم « فردريك العظيم » ، الذي استغرق تاليفه اثني عشر عاما وطبعت مجلداته بين عامي ١٨٥٨و١٨٦٥ . وفي هذه السنة الاخيرة منح لقب « رئيس » لجامعة ادنبره ، ولم يعد يكتب شيئا ذا بال بعد وفاة زوجته عام ١٨٦٦ . وبلغ من المجد والشهرة عام ١٨٧٤ ان منحته الملكة فكتوريا عن طريق رئيس وزرائها دزرائيلي لقب لورد مدة حياته ، لانه كان كدزرائيلي بلا عقب . غير ان كارلايل اعتذر بأدب عن قبول هذا اللقب . ولكنه عاد فقبل وسام الاستحقاق ، الذي كان قد انشاه فردريك الكبير ملك بروسيا .

اتراه رفض تقدير الملكة فكتوريا لانها لم تكن عظيمة ولا من مرتبة « الابطال » في نظره ، ولكنه تقبل مثل هذا الشرف من حكومة فردريك لانه كان من الابطال ، ولانه الف كتابا ضخما عنه فكان هذا بمثابة المكافأة لجهوده ؟ قد يكون هذا هو السبب على ارجح احتمال وقد لا يكون ، لانه من الصعب معرفة نزوات العباقرة وطرق معاجتهم .

ذكرياته أثارت أزمة

اما « ذكرياته » ، فقد نشرت عقب وفاته من قبل جي . اى فراود ، الذي وضع كتابا عن سيرته اثارت بصراحتها قدرا غير يسير من الاشمئزاز والامتعاض من لدن الجمهور .

ومع انه كان في بدء حياته يريد الانخراط في سلك القسس والرهبان فقد عدل عن ذلك ولكنه بقي طوال حياته اشبه بواعظ ديني متبع بتعاليم العهد القديم أكثر من العديد ، وانقسمت حياته بين فكرتين احداهما تقول : « ان العمل اعظم علاج للعلل والشقاء الذي نصب بني الانسان دوما » والاخرى تنادي : « بعبادة الابطال وبان

تاريخ العالم انما هو سيرة عظمائه »....وقد وجد هذا الرأى الاخير اشياعا وانصارا ردحا من الدهر. الا أن الحربين العالميتين فى النصف الاول من هذا القرن خيبتا كل امل فى جدواه . ولم يعد كرومويل الذى مجده كارلايل ولا أى ممن سبح على منواله موضع تقدير واعجاب ، فالدكتاتورون اصبحوا مصدر ويل وبلاء .

لقد كان كارلايل مورخا ذا حيوية هائلة ، وكان اسلوبه يشع اشراقا وقوة وكانت تعابيره تصويرية نابضة بالحياة .

واكثر كتبه اثارة لاعجابى شخصيا هو كتابه « الابطال وعبادة البطولة » وقد تأثر فيه بآراء الفيلسوف الالمانى نيتشه فى « عبادة القوة »والحق ان الفكر والاسلوب الالمانيين تركا فى كارلايل اعظم الاثر .. بل بوسعى أن اقول أن تراكيب جمله فى الانكليزية تكاد تكون المانية . فهل تراه كان يفكر بالالمانية ويكتب بالانكليزية ؟ انى اكاد اميل الى هذا التعليل حتى وان خالفه الكثيرون . وهو يبحث فى هذا الكتاب عن البطل الها فى شخص « اودن » الاله الاسكنديناوى الاسطورى الذى خلد اسمه على رأى كارلايل فى يوم من ايام الاسبوع بالانكليزية هو يوم الاربعاء .

ويبحث كذلك عن البطل نبيا فى شخص نبينا الكريم محمد « ص » وعن البطل شاعرا فى شخص دانتى وشكسبير وعن البطل راهبا فى شخص مارتن لوثر زعيم الاصلاح الدينى ونوكس،زعيم المطهرين، وعن البطل كاتبا وادبيا فى شخص جونسون وروسو وبرنز ، وعن البطل ملكا وحاكما فى شخص كرومويل ونابليون (وكان معاصرا لكارلايل) .

ويبدو أن كارلايل لم يستطع ان يختار بطلا واحدا فى جميع الاصناف فقسم البطولة بين شخصين او اكثر باستثناء البطل الها اسطوريا والبطل نبيا. واذا ما علمنا أن الاله الاسطورى شخصية موهومة ادركنا ان الشخص الوحيد الذى انفرد بالبطولة فى فصل كامل هو محمد (ص) ولهذه القضية خطورتها لانها جاءت من قلم رجل كان قد نذر نفسه ليكون راهبا وقسيسا .

بطـل الابطال

والى ذلك فانه لا يكاد يذكرخصيصةمن خصائص سائر ابطاله الا ويتذكر محمدا (ص) مما يدلعلى ان « بطل ابطاله ، الذى استأثر بكل تفكيره فى الكتاب انما هو محمد (ص) . ويبدو انه تلقى اشد اللوم على هذا الفصل ،فى فترة كان التعصب الاوروبى ضد المسلمين ولا سيما الاتراك العثمانيين قد بلغ ذروته .فحاول ان يخفف من غلوائه بعض الشيء فى الفصول الاخرى . ولكن ينبغى أن نعترف بان كارلايل كان شجاعا فى دفاعه عن نبى المسلمين فى اكثر من موقف ولا سيما حين صرخ باعلى عقيرته قائلا : « اكداس الاكاذيب التى لفت حول الرجل لا تعود الا بالخزى والعار علينا ! »

لابد اذن أن ازور البيت متبركا به وان اخلع نعلى عند عتبته خلافا لما فعلت مع بيوت سائر العظماء ، ذلك لان لهذا المنزل الذى سكنه كارلايل حرمته وقدسيته ، فهو فى نظرى صومعة ذات جلال.

لقد طفت بالمنزل غرفة غرفة ، بل وبقعة بقعة اتلمس الجدران والارائك والمناضد والكتب لعل يدى تلمس ما لمست فتتبرك بشيء من عبقرية تلك اليد البارعة الصناع التى خطت اروع آيات البيان.

يا له فلتة « من فلتات القدر واعجوبة » من اعاجيب الزمان ، عبد الابطال فى شتى عصورهم وامصارهم . ولم يعترف ببطولته هو ، اوليس من البطولة بمكان أن يتحدى الانسان ملاذ الحياة ومباهجها ويستهين بالرتب والالقاب والاوسمة حين يحلو له الاستهانة بها والازدراء منها !

فلقد رأيت بأم عينى الرسالة الموجهه الى كارلايل من دزرائيلى ، احتفظ بها القيمون على منزله وعرضوها فى العلية المطلة على الشارع . قرأتها بنفسى بتؤدة وتمعن ، فاذا بدزرائيلى يرشحه لحمل لقب « لورد » ويرشح معه شاعرا « وان لم يك عظيما ـ على حد قوله ـ فهو شاعر على كل حال ، ويعرف بالفريد تينيسون ! »

وقد اعجبنى رد كارلايل اذ اوضح لدزرائيلى ان اللقب وما وعد به من مرتب لن يرفع من قدره شيئا ، ثم ان ما لديه من مال يكفيه لما تبقى من ايامه المعدودات ، وقد علت به السن فوق الثمانين فلم يعد يطيق حمل لقب « اللورد » الثقيل .

وما أسهل طريق الشهرة ونيل الالقاب ياكارلايل، ولكن ما أصعب الخلود،خلودك أنت ومن كان على شاكلتك من عظماء الرجال . لقد أطلت الحديث اليك والى روحك الحائمة فى ارجاء المنزل وانت

على مبعدة نيف وتسعين عاما عني . ياسوء حظ الانسان عندما يولد بعيدا عمن يحب عصرا وزمانا! دخلت غرفة الاستقبال فاذا بوجهك ووجه جين كارلايل يبتسمان بوجهي واذا بها تذكرني بالاستمى ومجالسها الادبية . ما اشبه هذه بتلك ، وكل ما هناك ان وجوه طه حسين والعقاد واسماعيل صبري والرافعي وجبران قد تغيرت بملامح لا تقل عبقرية وشهرة . اذ ترى القاص العظيم شارلس دكنز والشاعرين تينيسون وبراوننغ والكاتبين تاكيري ورسكن والعالم الطبيعي دارون وزعماء الثورة الايطالية ماتزيني وكافينياك وبيبولي وعظماء آخرين من امثال جون ستيوارت مل ودوسي !

ويتداخل في مخيلتي المجلسان .. فيطوف بي هذان البيتان لاسماعيل صبري :

روحي على دور بعض الحي حائمة
كظامىء الطير تواقا الى الماء
ان لم امتع بمي ناظري غدا
انكرت صبحك يايوم الثلاثاء .

ثم يختلف المجلس فارى « لي هنت » ، وقد انحنى ليقبل يد جين كارلايل فتقبله قبلة اعجاب ... فيقول :

بهصت (حين) وحيتـــ
نـــا بترحـــاب وقبـــه
ـــك شـــع جمـــالا
مـــا رات عينـــاى مثلـــه

وتسمع ايدوارد ارفنغ في ركن من الصالة يخاطبها بابتسام قائلا :

أنت (حواء) تخلقين جنانا
في ديار ليست بها من جنان !

هنا كتب كارلايل كتابه « الثورة الفرنسية »عام ١٨٣٧ وهنا قضى نحبه تحت مقصلة العمر في الخامس من شباط / فبراير ١٨٨١ وفي الساعة الثامنة والنصف صباحا على وجه الضبط . بعد أن القى عنه عبء ستة وثمانين عاما .

غرفة الزلازل العائلية !

تاملت مليا فغلتني أرى الكاتب الاقتصادي الشهير جون ستيوارتمل يدخل الصالة فعاقشاحب الوجه ممتقع اللونوقد اتسعت حدقتاه رعبا ليعلن لكارلايل ان مخطوطة الجزء الاول من كتابه « تاريخ الثورة الفرنسية » قد التهمته النيران !فكأنالثورة الفرنسية امتدت فاحرقت « تاريخها » !

ياللعمل جبار ذهب بددا نتيجة أهمال خادملا تميز بين القراطيس الخوالد والاوراق التوافه .. لن نطلع على ذلك الكتاب واأسفاه . فقد ذهب الى غير رجعة !

جلس كارلايل ذو الارادة الجبارة التي لا تلين فبدأ العمل من جديد واختلفت الاراء فمن قائل أن المجلد الجديد نسخةافضلمن اولاها فقد نقحها ذهن الكاتب العبقرى ، ومن قائل ان النسخة التي احترقت كانت افضل فقد كتبت في بدء فورة الاندفاع لتاليفالكتاب ، ففقد الكاتب حماسهعندما عاد ليكتبه من جديد ، فجاء باهتا بالمقارنة مع النسخة التالفة .

وايا كان الامر ، فكتاب « تاريخ الثورة الفرنسية » من خوالد الاثار العالمية في التاريخ والادب على حد سواء .

لقد قيل عن كارلايل انه كان مفكرا عظيما ، متين الديباجة رصين التعبير فكان له تاثير هائل فسارت افكاره عبر العالم المتحضر ، ولكنه على راى بعض الباحثين كان متحيزا فلم يكن بوسعهأن يصبح مؤرخا موضوعيا بالمعنى الكامل ، فقد كان يعنى عناية خاصة بالتفاصيل مشفوعة بقوة فخمة من التعبير ، مما جعل بعض اوصافه ، ولا سيما في كتاب « تاريخ الثورة الفرنسية » بليغا خالدا .. الا انه مشوب بالعواطف والمشاعر الذاتية .

لم يكن كارلايل مجرد كاتب وفيلسوف ومؤرخ عظيم بل كان خلال اقامته في لندن ظاهرة اجتماعية تلفت الانظار . وذلك لما تحلى به من مظهر وقور وروح استقلالية واستهانة بالحياة وسخافتها ، وسيطرة مطلقة على اللغة وخلق المفردات بحيث ان هناك الفاظا في المعاجم الانكليزية تنسب اليه ولم يستعملها سواه . وكانت له قدرة على الكلام لساعات طوال ، وكلها تلاوين للنبوغ ومظاهر للعصريه التي الهبت مخيلة الناس في العصر الفكتورى .. فضلا عن جبروت القلم الذى جلب الى هذا البيت المتواضع في (تشيني رو) والذى غدا متحفا تزدان به منطقة تشيلسي . العديد من المشاهير المعاصرين ، وهو اليوم لا يبعد عن قلب لندن الا قليلا !

والحق انه بيت متواضع بكل معاني الكلمة ،بغرفه واثاثه ، وحديقته الخلفية ، وقد وصفه كارلايل نفسه اصدق وصف اذ قال : « انه غير انيق اطلاقا، ولكنه نافع ومريح الى اقصى حد ! »

وكان ظريفا كل الظرف حين تحدث عن غرفة الاستقبال قائلا : « انها اكثر غرف المنزل تعرضا للزلازل العائلية»ويقصد بذلك تعرضها للتغييرات والتعديلات والتحويرات وفقا لذوق زوجته الذى لا يعرف الاستقرار والثبات .

جولة مع الصور

ويزدان البيت بالصور والتماثيل والتحف ولعل اكثرها استرعاء للانتباه صورة « فردريك الكبير » الزيتية فى غرفة الطعام الخلفية ، وكانت زوجته « جين » قد ابتاعتها له فى اليوم الذى سبق وفاتها سنة ١٨٦٦ وقد كتب عنها كارلايل ملاحظة على النحو التالي : « فردريك العظيم بريشة فرانك (على ما يخيل لى) من اهالى بوتسدام ، واقتنيت (وساذكر ذلك ما حييت !) فى نيسان / ابريل ١٨٦٦ واتركها هدية للسيدة النبيلة مارى بيرنغ ، (الانسة الوحيدة للفقيد اللورد آشبرتون ، اذا كانت على قيد الحياة) بعد موتى » . وقد ذيلها بتوقيعه . ت . كارلايل فى ١٩ آيار/مايو ١٨٦٨ .

ولقد صور الرسام الشهير روبرت تيت ، غرفة الاستقبال واكثر الاختلاف الى المنزل مما ازعج جين كارلايل فعلقت عليه قائلة بتهكم ذات يوم وقد جاء ذكره : « اوه . ذلك الفنان المزعج الذى تالقت فى ذهنه خلال الربيع الماضى فكرة رسم صورة لغرفة استقبالنا ليجعلها ممتعة بشكل يثير دهشة الاجيال القادمة بعد مائة عام ! » معذرة ياسيدتى جين ياذات الالمعية والذكاء المفرط ، لقد خانك التوفيق فى ادراك بعد نظره فالصورة اليوم تثير دهشتنا حقا نحن ابناء الجيل الذى اعقبك بمائة عام !

ويبدو أن السيدة جين كانت تمقت الرسام تيت وتستهين بصوره فمن تعليقاتها الساخرة ـ وكانت بارعة لاذعة فى سخريتها ـ قولها والكلام عن الصورة ذاتها: « الكلب هو العضو الوحيد من اعضاء اسرتنا الذى بوسعه أن يسر بصورته .. لانها جاءت طبق الاصل ! »

وهناك بعض الصور المحفورة وقد لفتت نظرى اثنتان منها لفولتير والاخرى لدانتي ويبدو ان كارلايل حاول ان يحصل على صور الذين ذكرهم فى كتاب (الابطال) وتماثيلهم فحصل على ما أراد او كاد ، باستثناء الرسول البطل محمد بن عبد الله .

وقد كان فى البيت غرفة ذات رفوف عديدة للاوانى الخزفية ، تكفى ـ على ما ذكر كارلايل فى رسالة له ـ لاستيعاب خزفيات العارة باسرها، ولكن الرفوف اقتلعت فيما بعد وادمجت الغرفة بغرفة الطعام الخلفية .. ويجد الزائر فيها اليوم كفين برونزيين هما كفا كارلايل صيا اثناء حياته والى جنبهما وعلى منضدة مستقلة بعض الادوات الخاصة بزوجته .

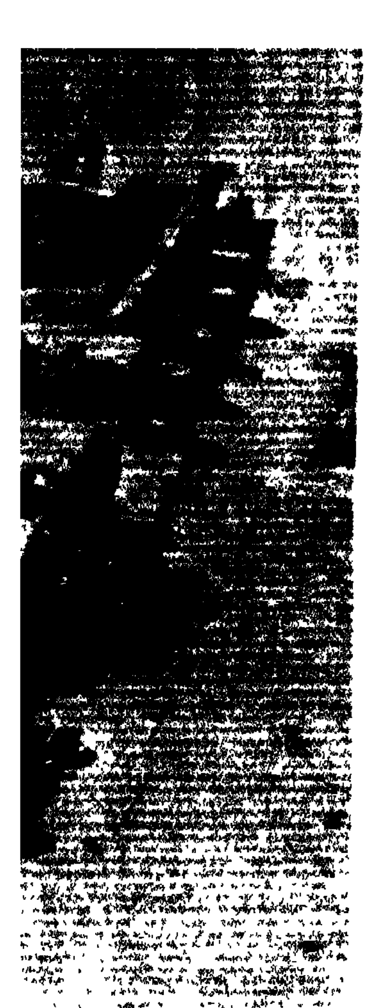
وفى الغرفة صورة بقلم الرصاص لقلعة وسط غابة يصعب معرفة موقعها الجغرافى ، وقد تكون فى ايطاليا اذ رسمها الكونت بيبولى الشاعر الايطالى الثائر الذى التجأ الى بريطانيا ، وكان خلال سنة ١٨٣٥ يزور السيدة كارلايل كل يوم اربعاء ولا يتحدث الا بالايطالية « فيجعل افكارها شجية لما يتبقى من ساعات النهار ! »

وفى المكتبة صندوق انيق لا بد ان السيدة كارلايلقد حبتها بالتزويقوالتزيين وكانتفىالاصل تحوى هدايا الشاعر غوته لكارلايل بمناسبة زواجه وكانبينها نسخة منأشعار غوته بخمسة مجلدات.. وفى المكتبة ايضا رأس كارلايل بالجبس من صنع النحات توبد (١٨٦٩ ـ ١٩٣٣)

وكان كارلايل شديد الحساسية للضوضاء فلا يستطيع العمل الا فى السكون المطبق فابتنى لنفسه علية فى اعلى طابق صرف عليها مبلغا من المال ليجعلها معزولة عن الصخب ، غير أن الذى حدث كان العكس تماما ، اذ اخذت الغرفة تضخم الاصوات المنبعثة من النهر واحيانا من الطيور والدواجن، ورغم ذلك فقد اعتكف فيها كارلايل اثنتى عشرة سنة الى ان فرغ من تاليف كتابه : فردريك العظيم ، ليعود بعدها الى غرفته فى الطابق الارضى . ■■

صفاء خلوصى

اكسفورد ـ انجلترا



حصن الأخيضر

تحفة العمارة الاسلامية وعروس البادية

بقلم :
عيد ضيف العبادى

■ من بعيد ووسط الصحراء الغربية العراقية تلوح اسوار حصن الاخيضر كما لو كان راهبا منزويا بعيدا عن الحياة المثيرة ، منذ ان فارقته الحياة منذ قرون . عالم يرقد الحزن فى منعطفاته .. ويسرى الصمت الموحش وسط اقبيته المظلمة .

يعد هذا الحصن واحدا من ابرز المعالم الحضارية الشاخصة اليوم فى العراق ، لما يمتاز به من دقة البناء وانفراده فى الزخرفة المعمارية ويعتبر بحق تحفة العمارة الاسلامية وعروس البادية .

يقع الاخيضر على بعد (٥٠ كم) عن مدينة كربلاء فى العراق وحوالى (١٥٢ كم) عن بغداد . ولموقع الاخيضر اهمية استراتيجية اذ انه نقطة ارتباط

النقود الاسلامية المكتشفة







منظر عام لحصن الاخيضر

العراق بالعالم الخارجي فهذا الطريق يصل بين حلب والبصرة من جهة كما يصل البحر الابيض المتوسط عن طريق الشام بالخليج العربي عن طريق ميناء البصرة من جهة اخرى •

اقدم الاشارات

اقدم الاشارات التي تدل على الاخيضر ترجع الى القرن السابع عشر الميلادي • وتلك الاشارات سجلها بعض المستشرقين الذين زاروا المنطقة وكتبوا مقالات عديدة حول مشاهداتهم وآرائهم في هذا القصر الذي اختلفت الاراء في تحديد زمنه • غير ان مديرية الاثار العامة العراقية بعد تنفيذها لمشاريع واسعة في مجالات الصيانة الاثرية توصلت الى حقائق تثبت التاريخ الواقعي لهذا البناء ، فحددته بفترة ضيقة من الزمن تبدأ من نهاية القرن الاول وتنتهي عند بداية القرن الثاني للهجرة •• استنادا الى الادلة الاثرية التالية :

اولا : ان القصر يشتمل على مجموعة من البيوت ذات الاواوين من الطراز الحيرى وهو نمط عماري عريق •

ثانيا : وجود جامع اثبتت الدراسات انه من اصل قديم وفيه محراب من النوع المقعر وهذا الطراز ادخل في زمن الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك عام (٧٠٩ م) عندما عمر جامع المدينة •

ثالثا : طراز العقادة المتصالبة الموجودة في ثمانية مواضع من الرواق الكبير وطراز الزخرفة الهندسية الموجودة في الجزء الجنوبي من الرحبة الكبرى • وهذان الطرازان ظهرا لاول مرة في باب بغداد بمدينة الرقة وذلك في حدود (٧٧٢ م) في عهد الخليفة ابي جعفر المنصور •

رابعا : في اثناء الابحاث التي قامت بها مديرية



أحد اروقة قصر الاخيضر

الاثار العامة العراقية وجدت مجموعات كبيرة من الفخار والغزف وكلها من الغزف الاسلامى •

كما كشفت التحريات عن وجود بعض النقود الاسلامية التى تعود الى العصر العباسى فى عهد ابى جعفر المنصور والمهدى •

والحصن بناء مستطيل الشكل يتوسط كل واجهة فيه باب كبير ويحتوى الباب الرئيسى فقط على عناصر معمارية مختلفة ••• وفى السور اربعة ابراج ضخمة وثمانية واربعون برجا صغيرا •

وقد شيد داخله قصر يلاصقه من الجهة الشمالية ويحتوى كذلك على الابراج المستديرة التى تحيط بسوره وفى داخل القصر الديوان الرسمى ودوائر الرعية والمسجد والمضيف وغرف الضيوف وقاعة العرش وساحة الشرف ومجموعة من الممرات ودهات للاستقبال وبيت الامير والحمام وبيوت الخدم مع مجموعة من الاروقة التى تحيط بالبيوت الاربع المتناظرة فيه من الداخل •

وأضخم حصن دفاعى

ان حصن الاخيضر فى منتهى المناعة بالنسبة الى الوسائل الحربية القديمة،فالسور فى حد ذاته يكسب الموقع قوة مقاومة كبيرة نظرا لسمكه البالغ اربعة امتار ونصف المتر وارتفاعه البالغ ٢١ مترا غير أن ترتيباته العامة كانت تضيف الى هذه القوة قوة دفاعيةضخمة حيث انمجاز الحرس الذى يحيط بالقصر على طول (٦٨٠ م) مع الابراج الثمانية والاربعين المتصلة به وغرف الحراس التى تحمى الابواب تساعد على مجابهة المحاصرين بعدد كبير من المحاربين فى وقت واحد ، كما ان كيفية توزيع المزاغل الكثيرة كانت تساعد على رشق المهاجمين بالسهام والقذائف من جميع الجهات دون ان تبقى حول الحصن زاوية خالية واحدة •

وقد قامت الهيئة الفنية التابعة لمديرية الاثار العراقية العاملة فى قصر الاخيضر بالكشف لاول مرة عن مسالك قنوات المياه العذبة مع حفظ لهذه المياه التى كانت تسقى القصر ،وهى تستمد مياهها من نهر الفرات • وبهذا الكشف استطاع خبراء الاثار العراقيون ان يحلوا اللغز الذى كان يشغل بالهم عن كيفية توفير المياه لسكان الحصن ، وخاصة اذا ما عرفنا ان نهر الفرات يبعد عنه بضعة كيلو مترات وان الارض التى شيد عليها لا تخبىء فى باطنها اية مياه عذبة ولا غير عذبة ، كما انها ارض رملية ومن الصعوبة بمكان حفر آبار فيها •

■■

عيد ضيف العبادى

مديرية الآثار ـ بغداد (العراق)



لماذا فشلت التربية فى بناء الانسان العربى؟

كل من يرغب فى جعل هذا العالم مكانا افضل للانسان حاضرا ومستقبلا عليه أن يبدأ باصلاح التربية وتحسينها وان يعتبر التربية الرأسمال الحقيقى للمجتمع لأن الانسان هو أغلى رأسمال فى المجتمع .

بقلم : الدكتور كمال دوانى

■ من خلال التربية والتعليم نحفظ التراث القومي والانساني ونعززه وننقيه ونطوره . ومن خلال التربية والتعليم نعد جيل المستقبل . نكسبه تراث وطنه وقوميته ونغرس فى نفسه روح المحبة والانتماء الى وطنه ، وبالتربيـة نمكن الجيل الجديد من تنمية المهارات والخبرات التى يحتاجها الفرد للنمو والتى يحتاجـها المجتمع للتقدم . فالتربية تمكن الفرد من النجاح والمجتمع من التقدم. التربية من جهة ، عالم بنفسـه ، ومن جهة اخرى ، انعكاس للعـالم الكبير . انها خاضعة

للمجتمع وتساهم في تحقيق اهدافه ، وتمكنه من استخدام طاقاته الانتاجية عن طريق تطوير المصادر البشرية ٠

ومن الناحية التاريخية ، فالتربية موجودة منذ ان وجد الانسان ٠ ففي المجتمعات البدائية كانت التربية عبارة عن تفاعل حقيقي بين الفرد والبيئة ٠ اد ان الطفل كان يتعلم من خلال اللعب او العمل مع والده ومن خلال ممارسة الطقوس الدينية والذهاب الى الصيد ومشاهدة الحيوانات والطبيعة والاصغاء الى قصص الكبار ٠ وعندما تعقدت الحياة وتطورت اللغة احتاج المجتمع الى المدرسة لتعليم اللغة ونقل خبرات الكبار الى الصغار عن طريق برنامج منظم ٠ ومع تطور الحياة والمجتمعات وازدياد الخبرات ازداد حجم المناهج الدراسية ٠ حتى ان طالب القرون الوسطى وفي العهد الكلاسيكي بالذات كان عليه ان يدرس التراث الضخم للفلسفة اليونانية والرومانية من لغة وخطابة وفلك وهندسة وموسيقى ومنطق ارسطو وحوار افلاطون ٠٠٠ الخ ٠ وهكذا لم تعد التربية عملية تفاعل بين الفرد والبيئة ، فانعزلت عن واقع الحياة الذى نشأت منه وبدأت فيه ، وصارت وظيفة المدرسة حشو عقول التلاميذ بالمعلومات لتفريغها في ورقة الامتحان ٠

والسؤال الذى يطرح نفسه : هل تغيرت وظيفة التربية في المدرسة المعاصرة ؟ ان التربية العربية بشكل خاص ما زالت تقليدية تؤدى الوظيفة التى كانت تؤديها منذ مئات السنين ٠ وانها بقيت في جوهرها غير متغيرة في عالم سريع التغير ٠ ولا يعنى ذلك ان بعض التغيرات لم تطرأ ، الا أن هذه التغيرات بقيت شكلية وليست جوهرية ٠ فبالرغم من اعادة تنظيم الاجهزة والوحدات الادارية التربوية ، وبالرغم من بناء مدارس جديدة وتاليف كتب مدرسية تعكس في محتواها بعض التطورات العلمية ، ظلت التربية تركز على هدف رئيسي واحد وهو تمكين المتعلم من النجاح في الامتحانات المدرسية والعامة ٠ وهذه الامتحانات بقيت ، بصورة عامة ، محور النشاط التربوى بعيدة عن جوهر الحياة خارج المدرسة ٠ ورغم تعاظم الانتاج العلمي في جميع حقول التربية وفي علم النفس التربوى وعلم نفس النمو ، ورغم الاهتمام الكبير في اعداد المعلمين وتاهيلهم بمهنة التعليم قبل الخدمة واثناءها ما زالت نظرة المعلم الى المتعلم (التلميذ) كما كانت عليه قبل عشرات السنين ٠ التلميذ المثالي بنظره هو التلميذ الخاضع المطيع الذى يحضر دروسه بانتظام ويبقى دائما متقبلا لسلطة المعلم وسلطة المدير ٠ وسبب فشل هذه النظرة انها ترفض الروح الحية الخلاقة عند التلميذ وتعرقل نموه وتعيق تطوره في الحصول على الاستقلال الفكرى والعاطفي ٠

ازمة التربية العربية

ورغم التغيير الاجتماعي الملحوظ في المجتمعات العربية ورغم كثافة السكان وظهور مشاكل جديدة تتحدى الفرد والمجتمع نلاحظ ان التربية العربية ما زالت تتجاهل الكثير من علوم الثلث الاخير من القرن العشرين كعلم الكمبيوتر وعلم البيئة وعلم الفضاء وعلم البحار وعلم السكان وغيرها ٠

ومع أن التربية العربية نجحت نجاحا ملحوظا في اعداد الاخصائيين من اطباء ومهندسين ومحامين واساتذة وغيرهم الا ان نجاحها في صقل الانسان بخلقه وتطوير مفاهيمه الاجتماعيه والوطنية والانسانية وتمكينه من التعامل مع عالم معقد متغير ما زال محدودا جدا ٠ ويبدو فشل النتاج التربوى من خلال الممارسات الاجتماعية السائدة في المجتمع ٠ حيث اصبح الطابع العام لسلوكنا يزداد في سلبيته، كعدم الاكتراث بحقوق الآخرين وراحتهم ، واللا مبالاة تجاه المسئولية العامة والانانية وغيرها ٠

وعلى الرغم من التوسع الكمي السريع الذى حدث في البلدان العربيه من زيادة في الخدمات التربوية والابنية المدرسية والانفاق ، لا تزال المجتمعات العربية عاجزة عن تعميم التعليم على جميع الاطفال ٠ وهذا الامر ان دل على شيء انما يدل على عجز النظم التربوية القديمة والتقليدية عن مسايرة التفجر السكاني السريع في العالم بشكل عام وفي البلدان النامية بشكل خاص ٠ وتشير احصاءات المكتب الدولي للتربية التابع لمنظمة اليونسكو الى الزيادة السريعة والمتعاظمة في عدد الطلبة في العالم ٠

: Faure 1972, P P. 38-54 .

ان عدد الافراد الذين يتلقون تعليما رسميا

متعلما في المدارس والجامعات يتجاوز (٧٠٠) مليون . ويزداد هذا العدد في كل عام بـ (٣٥) مليون تقريبا • اما الذين لم يتمكنوا من دخول المدارس من فئة العمر (٥ ـ ١٤) سنة فيقدر بـ (١٧) مليون ويتوقع ان يصل هذا العدد عام ١٩٨٠ الى ٢٣٠ مليون اذا بقيت النظم التربوية على ما هي اليوم • واما عدد التلاميذ في الدول النامية فيزيد عن عدد التلاميذ في اوروبا واميركا السمالية بـ (٦٥) مليون . مع ان الرقممتساوى تقريبا في عدد المعلمين اذ تبين الاحصائية اننسبة المعلمين الى التلاميذ فيمختلف الدولهي كالتالي:

اوروبا والاتحاد السوفيتي ١ ـ ٢٥ ـ الولايات المتحدة الاميركية ١ ـ ٢٦ ـ اميركا اللاتينية ١ ـ ٣٢ ـ الدول العربية ١ـ٣٨ ـ افريقيا ١ـ ٤٠ •

أما عدد الاميين في العالم عام ١٩٧٠ فقد بلغ ٧٨٣ مليون وتشير الدراسات التنبؤية الى انهذا العدد سيصبح ٨٢٠ مليون عام ١٩٨٠ • وبلغت نسبة الامية في البلدان العربية في مطلع السبعينات ٧٣٪ • والجدير بالذكر أن درجةالامية بين الاناثفي البلدان العربية في مطلعالسبعينات كانت اعلى مما هي عليه في اية مجموعة اخرى من بلدان العالم بما فيها البلدان الافريقية • اذ بلغت نسبة الامية بين الاناث في البلدان العربية ٨٦٪ بينما في البلدان الافريقية ٨٤٪ •

مسئولية جيل الشباب

والمشكلة لا تقف عند هذا الحد• ان عجز النظم التقليدية عن الاستيعاب الكمي لعدد الطلبة المتزايد يعتبر واحدا منمتغيرات المشكلةالرئيسية، معانه ربما يكون سببا لعدة مشاكل اخرى تربوية•

ان التعليم اليوم في اطاره التقليدي لا يكسب الفرد الاتجاهات والمعارف والمهارات التي تجعل منه اداة صالحة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في مجتمعه • وبعبارة اخرى ان حصيلة التعليم لا تتلاءم مع متطلبات المجتمع وحاجاته• ان آلاف الطلبة من خريجي الثانوي الاكاديمي والذين لم تتوفر لهم فرص الدراسة الجامعية ضائعون تائهون غير نافعين لا لانفسهم ولا للمجتمع ، يعيشون في حالة قلق شديد ، فاقدي الثقة بانفسهم ، في الوقت الذي يجب ان يكونوا بهأمل المستقبل •

ويقول الدكتور عبد الدائم في كتابه « الثورة التكنولوجية » بما معناه : ان جيل الشباب قادر بطاقته وحيويته ومواهبه ان يبني المجتمعات . وكذلك قادر على أن يعصف بها اذا لم تفهم مشاكله وتدرك متاعبه وتعبأ طاقاتهتعبئة سليمة• وان معالجة هذه الازمة لا يكون بسعي جيل الشباب وحده ولا بجهد جيل الكبار والمسئولين وحدهم• والحل الصحيح ينبثق من اللقاء والحوار الخصيب بين الجيلين •

ولا يتم هذا الا عن طريق تربية مشتركةيتمخض عنها اشكال تربوية جديدة تهدف الى تعليم يوفر للتلاميذ فرص التفكير بحريه والاعتماد والنقاش الديمقراطي كبديل للتعليم القائم على التلقين والتبعية في التفكير ••• تعليم يمكن التلاميذ من اظهار قدرتهم على التحليل والخلق والابداع والاصالة كبديل للتعليم الذى يشجع على الحفظ والتقليد والاقتباس • تعليم يدرب التلاميذ على أن يفكروا « كيف يعرفون » بدلا من يفكروا «ماذا يعرفون » • تعليم يكشف المواهب وينميها بدلا من تعليم يطمس المواهب ويقتلها • ومع انالازمة التربوية التي تعاني منها الدول العربية هي امتداد للازمة العالمية الا انها تختلف عنها لا بالدرجة فحسب انما في النوع • فاذا كانتطبيعة الازمة في مجتمعنا العربي والمجتمعات النامية الاخرى ناجمة عن عدمالتوافق بين التربية وحاجات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية ،فان طبيعة الازمة في الدول المتقدمة ناجمة عن عدم التوازن بين التقدم التكنولوجي السريعوقيم المجتمع •ان القيم الاجتماعية في هذه المجتمعات اخذت تتداعى امام التقدم التقني المذهل ، الامر الذى ادى الى انفصال الجيل الجديد عن قيم مجتمعه • واخذت التربية تلهث وتجمع انفاسها للحاق بهذا التطور التقني السريع ولمواجهة المشاكل الانسانيةوالقيمية التي رافقت هذا التطور• وهذا ما جعل المجتمعات المتقدمة تعيد النظر في اطار التعليم التقليدي والتفكير بانظمة ووسائل اقدر على اللحاقبالتقدم السريع للعلوم التقنية ، وذلك عن طريق تجاوز جدران المدرسة والجامعات واستخدام التكنولوجيا القادرة فعلا على تعليم جميع قطاعات المجتمع .

اضرار في هذا المجال انه اهمل الاطفال الذين يبتعدون بقدراتهم عن الوسط كالطفل الموهوب والطفل المتخلف • اى ان النشاط المدرسي الموجه نحو الامتحانات لا يستطيع ان يهتم بمثل هذه الفئات من الاطفال ، فيهمل الطفل الموهوب وتطمس مواهبه ويهمل الطفل البطيء او المتخلف تعليميا فيزداد تخلفا • والحل الجذرى لهذه المشكلة لا يتم الا عن طريق تغيير اهداف النشاط المدرسي بحيث يصبح الطفل محورها ، وتغيير اسلوب التعليم بحيث يصبح تعليما ديمقراطيا يراعي التفاوت في قدرات الاطفال ويوفر الفرص للطفل الموهوب كي ينمي مواهبه وللطفل المتخلف كي ينمي اقصى ما عنده من قدرات • ■■

د • كمال دواني
كلية التربية ـ الجامعة الاردنية

المراجع

١ ـ برايمر ، • أ ، وباولي ،ل • ، ترجمة صادق ابراهيم عوده ، الاهدار التربوى ـ مشكلة عالمية ، اليونسكو ، المكتب الدولي للتربية ،باريس ، ١٩٧١ •

٢ ـ بروك ، انتوني ، « مشروع لمجتمع يتعلم » ، رسالة اليونسكو ، العدد ١٣٨ ، ديسمبر ١٩٧٢ ، اليونسكو •

٣ ـ فور ، ادجار ، « التعليم ومصير الانسان »، رسالة اليونسكو ، العدد ١٣٨ ، ديسمبر ١٩٧٢ ، اليونسكو •

٤ ـ اليونسكو ، « تحليل لأزمة عالمية » ، رسالة اليونسكو ، العدد ١٣٨ ، ديسمبر ١٩٧٢ ، اليونسكو •

٥ ـ عبد الدايم ،عبد الله ، الثورة التكنولوجية في التربية العربية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٤ •

6 – Faure, Edgar, et al. Learning to be, Unesco, Paris, 1972.

■ شر البلاد بلاد لا أمير بها •

(اكثم بن صيفي)

■ اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت ، وأى الناس تصفو مشاربه

(بشار بن برد)

■ احسن الله بنا ان الخطايا لا تفوح
فاذا المستور منا بين ثوبيه فضوح

(ابو العتاهية)

■ من علمني يوما فهو أبي مدى الحياة

(مثل صيني)

■ الزوجة لفضيلتها ، ولكن الخليلة لجمالها

(مثل صيني)

مقالات في كلمات

■ لا تكمل' اخلاق المرء الا اذا استوى عنده مدح الناس وذمهم اياه ·

(قاسم امين)

■ اذا الفتى ذم عيشا في شبيبته فما يقول اذا عصر الشباب مضى؟

(المعرى)

■ يقول المثل . « من قدر على الكثير قدر على القليل » وليس هذا صحيحا على الدوام ، فذو العقل الكبير ينجح في العظائم اكثر مما ينجح في الصغائر ·

(جستاف لوبون)

■ لو أن كل الناس كانوا سواء في معتقداتهم عن الشرف والحكمة ــ لما كانت هناك خصومة تثير بينهم الجدل والمهاترات·

(يوريبيدس)

■ المال عندك مخزون لوارثه ما المال مالك الا يوم تنفقه

(يحيى بن الفضل الاندلسى)

■ من امتلأ بروح الله شعر بالحضرة الالهية فيه ، غير انه يكتم هذا السر الجليل في نفسه كما يكتم العاشق عن الناس أسرار عشقه ·

(مكس مولر)

■ لو برئنا من العيوب لما وجدنا سرورا في عيون الآخرين ·

(لارشفوكو)

■ متى يبلغ البنيان' يوما تمامه اذا كنت تبنيه ، وغيرك يهدم

(صالح بن عبد القدوس)

■ ما معنى الصرخة الاولى التي يطلقها الطفل الوليد ؟ انه ــ حين يولد ــ ليسمع صرخات الارض والماء والسماء المحيطة به ، وكلها تهتف :«اننا نوجد»، فيجيبها قلبه الصغير الضئيل من جانبه : « وانا ايضا موجود » ·

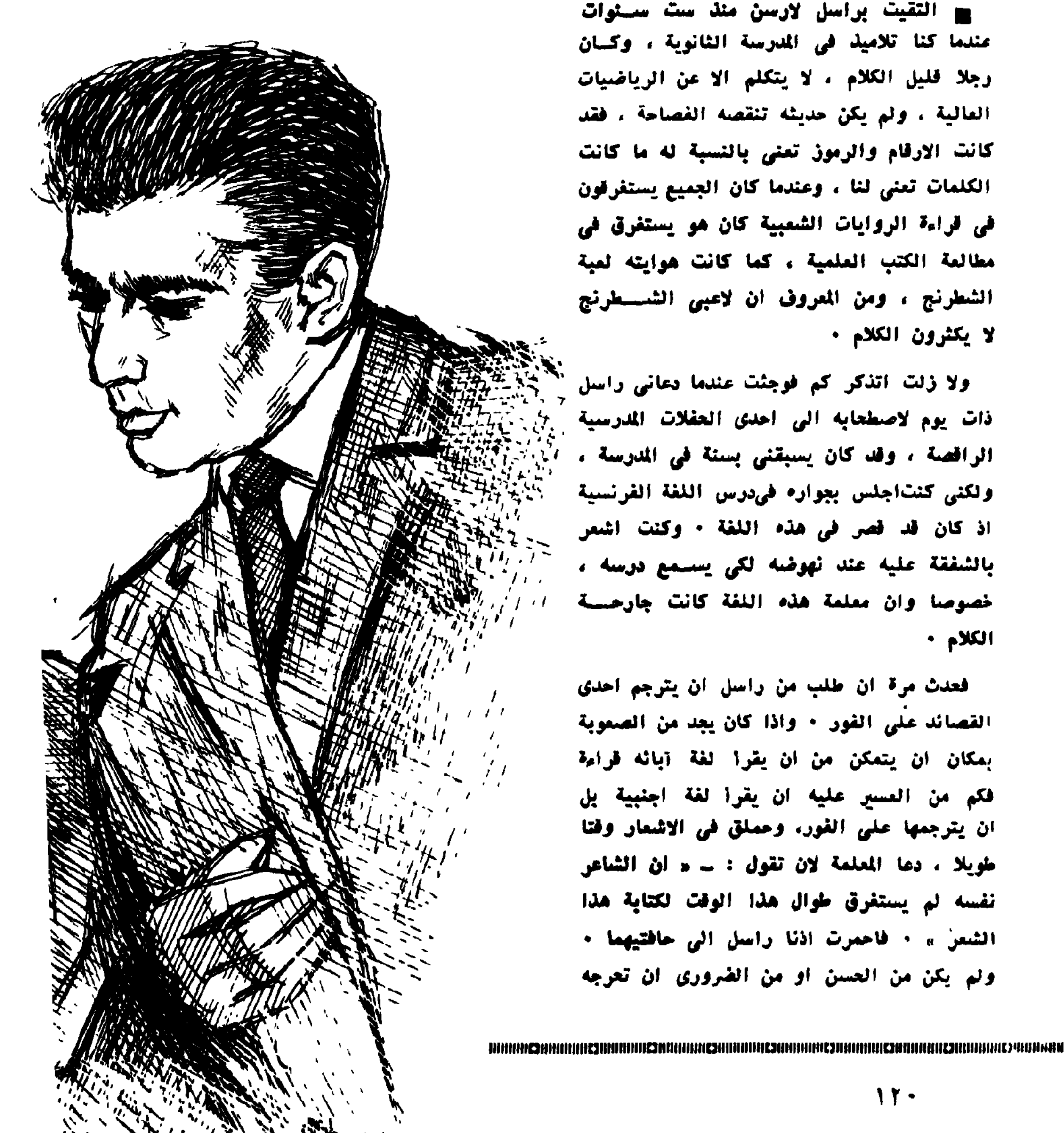
(تاجور)

■ لما تؤذن' الدنيا به من صروفها
يكون بكاء' الطفل ساعة يولد !
والا فما يبكيه منها ، وانها
لأوسع مما كان فيه ، وأرغد ؟

(ابن الرومى)

• قصة مترجمة •

رجل قليل الكلام



■ التقيت براسل لارسن منذ ست سنوات عندما كنا تلاميذ فى المدرسة الثانوية ، وكان رجلا قليل الكلام ، لا يتكلم الا عن الرياضيات العالية ، ولم يكن حديثه تنقصه الفصاحة ، فقد كانت الارقام والرموز تعنى بالنسبة له ما كانت الكلمات تعنى لنا ، وعندما كان الجميع يستغرقون فى قراءة الروايات الشعبية كان هو يستغرق فى مطالعة الكتب العلمية ، كما كانت هوايته لعبة الشطرنج ، ومن المعروف ان لاعبى الشطرنج لا يكثرون الكلام •

ولا زلت اتذكر كم فوجئت عندما دعانى راسل ذات يوم لاصطحابه الى احدى الحفلات المدرسية الراقصة ، وقد كان يسبقنى بسنة فى المدرسة ، ولكنى كنت اجلس بجواره فىدرس اللغة الفرنسية اذ كان قد قصر فى هذه اللغة • وكنت اشعر بالشفقة عليه عند نهوضه لكى يسمع درسه ، خصوصا وان معلمة هذه اللغة كانت جارحة الكلام •

فحدث مرة ان طلب من راسل ان يترجم احدى القصائد على الفور • واذا كان يجد من الصعوبة بمكان ان يتمكن من ان يقرأ لغة آبائه قراءة فكم من العسير عليه ان يقرأ لغة اجنبية بل ان يترجمها على الفور، وحملق فى الاشعار وقتا طويلا ، دعا المعلمة لان تقول : ــ « ان الشاعر نفسه لم يستغرق طوال هذا الوقت لكتابة هذا الشعر » • فاحمرت اذنا راسل الى حافتيهما • ولم يكن من الحسن او من الضرورى ان تحرجه

بقلم : Gwen Davenport

على هذا الشكل ، فلا بد انها تدرك انه عبقرى جهبذ فى الرياضيات وانها ادنى منه ذكاء .ولكنها ما لبثت ان قالت :ـ « انني لا اتـوقع منك ان تحول الشـــعر الفرنسي الى شـــعر في اللغة الانجليزية ، اذا كان هذا هو الذى يحول بينك وبين الكلام .

وبعد مدةطويلة تفوهراسلبترجمته لاولى الكلمات وهي :ـ ياعزيزتي دعينا نذهب . وفى نفس اللحظة نهضت المعلمة وهي تقول :ـ اعتقـد انـه مـن المستحسن عليناجميعا يا راسل ان ناخذبنصيحتك. وتوجهت نحو الباب ، وحينئذ رن الجرس مؤذنا بانتهاء الدرس ، فلقد كانت المعلمة قد استطاعت ان ترى الساعة على الجدار الخلفى وضج الصف بالضحك ولكن راسل لم ينطق ببنت شفه .

وبعد ذلك اليوماخذت فى مساعدتهفى الفرنسية، نظرا لكراهيتي للمعلمة من جهـة ، ونظرا لان اللغات تطاوعنى بسهولة من جهة اخرى . واحسب ان مساعدتى هذه هى التى حدت به لان يدعونى لاصطحابه الى الحفلة المدرسية الراقصة ،وكانت دعوته مقتضبة دون ما لف او دوران ، فانهتحدث معي تليفونيا وقال :ـ اسمعى يا مولى انا راسل لارسن ، هلا ذهبت معى الى الحفلة ؟ وكان فى الطلب من المفاجاة ما جعلني اوافق على الفور ، وما كان منه الا ان اجاب : « حســنا » واغلق الخط .

واتيح لى فى ذلك الصيف ان اراه مرارا ،كما حاول تعليمى الشطرنج ،ولكنني كنت يائسة منها، وعلمته الرقص ،كم كانت دهشتى عندما اجاده ، فقد كان عنده حس ايقاع طبيعى ، كما انه كان يفهم الموسيقى ، وبالاضافة الى هذا فانالتذوق الموسيقى لا يتطلب كلاما .

وبعد التحاق راسل بالجامعة اخذ يراسلنى ،



وجاءت رسائله متساوية مع طبعه، مقتضبة وملأى بالحقائق ولم يكن بليغا الا مرة واحدة فقط وكان ذلك في حاشية اضافها الى احدى رسائله قال فيها :ـ ان ابتسامتك عذبة جدا وشعرك جميل. وقد كان يشير احيانا الى زميله في الغرفة الان فيسك ، ولكني لم التق بصاحبه هذا الا في السنة الثانية . كان راسل قد دعاني الى حفلة الجامعة ، وربما لانه لم يدعني احد غيره في ذلك المساء فقد لبيت طلبه ، لا لانني لم اكن اميل الى راسل ، ولكن لانه لم يكن مثيرا ، وكنت ارتدي فستانا جميلا وقد صففت شعري تصفيفا جديدا، ولكن عدم اشارة راسل الى مظهري الثارحفيظتي فسالته :ـ كيف تراني وترى ملابسي ؟

وبعد التفكير لحظة اجاب : ـ انها اجمل ملابس رايتها تلبسها اية فتاة .

ـ ولكن لم لم تقل ذلك اذن ؟

ـ لقد قلت ذلك . انك سمعتني اقوله هذه اللحظة .

كانت هذه طريقته ، ولم يكن من فائدة في التمني ان يكون كاحد نجوم السينما ، ولكن مسلكه كان يعلل اسباب استنكافي عن حبه وسرعة وقوعي في حب زميله الان فيسك .

كنت التقيت به في الحفلة عندما فاجانا ، وقدمه راسل الي . فقلت : ـ آه اني اعرفك ، انك زميل راسل في الغرفة .

قال : ـ كنت اعتقد انني اعرفك ، ولكني كنت مخطئا ـ وظل مبتعدا قليلا حتى يتمكن من ان يراقبني ،ولكنه ظل طوال الوقت يضرب بقدمه محافظا على النغمة الموسيقية ، ومن ثم رقص معي برشاقة اثارت اعجابي ، وكانت تقاطيع وجهه جذابة .

سالته : ـ ماذا كنت تعني عندما قلت انك كنت على خطأ ؟

فابتسم ابتسامة عذبة امتدت عبر وجهه واجاب: ـ لدى راسل صورة فوتوغرافية لك كنت اعيش معها ، وهكذا ظننت انني اعرفك ، ولكنك اجمل بكثير من الصورة التي لن انظر اليها من الان فصاعدا ، فانني سانظر اليك في صورتي انا .

ـ صورتك انت ؟

ـ ان عيني ترسمان صورا عندما اغمضهما .

وتوقفت الموسيقى ووقفنا ننظر بعضنا الى بعض ، ووجدتني انجذب بهذا الغزل اكثر من مجرد الرقص بصمت . فانا لم اكن جادة بخصوص الان ، واجبته مبتسمة ان كلامه شاعري النزعة.

وابتسم وهو يقول : ـ صحيح ؟ ان ذلك جميل منك ، فبالفعل قد نشرت قصيدة في مجلةالجامعة.

ـ حقا ؟ ما عنوانها ؟

ـ « بطلان المجد الدنيوي »

وفي اثناء نزهة طويلة حول البحيرة اخبرني الان انه يدرس الانكليزية وانه ينوي بعد تحصيله الجامعي ان يعمل في احدى المجلات وان يؤلف الكتب في اوقات الفراغ . وكان جادا جدا فيما يهدف القيام به ، وكان حديثه يتخلله الكثير من المزاح ، كما كان لا تنقصه المتعة . واتهمته بانه لم يكن اصيلا في اختياره لعنوان قصيدته ، وان قراءتها لن تستهويني ، فحفزه هذا على ان يريني القصيدة ، فادركت عندئذ انه العنوان الوحيد الذي كان باستطاعته ان يعطيه ، فكانت القصيدة آية في الجمال جاء فيها : ـ ان انياب الفيل التي طالما تصادمت في عراك جبار اضحت كرات للبلياردو ، وما سيف شارلمان العادل سوى اكسيد الحديد المعروف بالصدأ ، وما الدب الابيض الذي كان يخشى احتضانه الجميع الا بساطا ، وتمثال يوليوس قيصر الكبير يزين الرف ، وانا نفسي لا اشعر انني في صحة حسنة ـ واردف انه لم يكن الا مازحا فانه لم يكن ينوي ان يتخذ من قرض الشعر مهنة .

وكانت الساعة قد شارفت على السادسة مساء عندما وافق على ان يرجعني في سيارته الى البيت ، وما كان ليفعل ذلك لولا ان امتحان التاريخ يواجهه في اليوم التالي . وعندما تركني

عند الباب امسك بيدي زمنـــا طويلا وقال : ـ مولي ، مولي ، اني لا املك ان اقول وداعا ، ولهذا فاني سابتعد واتركك فترة قصيرة قد تبدو طويلة • انه لن يجدي الانسان نفعا ان اطال الوداع الذي لا يطيل بقاءنا معا بقدر مـــا يطيل فراقنا •

وبعد انصرافه استهواني التفكير فيه ، ولم يكن اي شيء من هذا القبيل قد الم بي من قبل ، فحتى لو لـــم اكن قد رايته من قبـــل لكنت قد وقعت في حب التفكير فيه • • وجاء في نهاية الاسبوع التالي ليراني ، وفي هذه المرة عندما تركني قبلني مودعـــا ، فاهتززت حتى اخمص قدمي •

قال : ـ كنت اتوق لتقبيلك منذ ان اراني راسل صورتك • ونظرا لكوني غير معتاد علـــى اختلاس قبلات فتيات الاخرين ارجو ان تخبريني ماذا تريدينني ان افعل •

ـ لست فتاة راسل ، فاننا اشبه بشـــقيق وشقيقته ، مجرد زملاء دراسة في الحقيقة • لئن كنت اميل اليه كثيرا ، الا ان شعوري نحوه ليس شعورا كهذا •

قال بجد : ـ لم اكن احسب ان شعورك نحوه سيكون قويا•فانت وانا نشكل ائتلافا لا مثيل له•

وبعد ذلك كنت اراه في كل نهاية اسبوع تقريبا ، وكنا نقضي اوقاتا ممتعة ، كما كنـــا نشترك في احاديث جدية ايضا • وفي خلال ذلك كان قد ضـــاع علـــى الان ثلاثة اسـابيع مـــن الدراسة توجب عليه ان يعوضها ، واذا كان قد تعذر عليه ان يصطحبني الى الخارج الا انه لم تفته الكتابة الي بانتظام تلك الرسائل المقتضبة التي لم تكن تحوي اية تعليقات على الاخبـــار القليلة الواردة فيها ، من انه يعمل باجتهاد ، وانـــه قـــد عرضت عليـــه احدى الوظائف بعـــد تخرجه •

وذات يوم وردتني رسالة من الان عليها خاتم بريد بلدته يقول فيها انه قد ترك الجامعة بلا رجعة ، الا انه لا يطيق صبرا عن ممارسة وظيفته الصحفية التي عرضت عليه ولا تاجيل كتابة كتابه الاول • وكانت رســـالة حب جميلة جاءت فيها مثل هذه التعابير : ـ لا غنى عندي الا افكاري وهي بعد بما انها افكار تخصك فهي افكار غنية بالنسبة لي • واضاف بانه ينوي في المسالة ان تتزوجني وانه يريد ان ألبس خاتم الخطوبة وانه استطاع ان يشتري لي واحدا •

ولم اخطب رسميا اذ ان الان كان ينتظر ان يستقر . واذ انهمك في التفتيش عن وظيفة في ذلك الصيف مع احدى الصحف ، فلم اشـــاهده الا لماما • ولدى سؤالي راسل عن سبب مغادرة الان المفاجئة للكلية ، اجـاب باقتضابه المعهـود انه يعتقد ان الان قد قام بعمل ما هو صواب • وبما ان راسل قد عاد لبيته في العطلة الصيفية فقد كنت استطيع رؤيته مرارا • وفي نهايـــة الصيف حدث شيء مدهش حقا •فقد نشرت صورة راسل على الصفحات الاولى في جميع الصحف الكبرى ، نتيجة تطويره لاحدى النظريات التي قد تؤدي الى حل احدى المشكلات التي طالما حيرت العلماء منذ قرون •

ولقد اتفقنا فيمساء اليوم الذينشرت الصحف صورته ان يصطحبني الى منزل احد الاصدقاء للاحتفال بعيد ميلاده ، وكان منزله على شاطىء النهر • وبينما كنت اقرا مقالات الصحف وصل ساعي البريد حاملا رسالة من الان وكانت اروع رســـالة كتبها ، وحوت من التـــاثير ما جعلني اجلس متجمدة ذاهلة مدة طويلة بعد قراءتهـــا المرة تلو الاخرى ممسكة بها وانا ارتجف ، فلم يسبق ان تاثرت بشيء قبـــل ذلك تاثري بهـــذه الرسالة . فتاملي من تحبين يكتب اليك وانت في العشرين من العمر هذه الكلمات . « انني احبك يا مولي كما يحب الندى الزهور . والطيـــور الشجر . والامواج الانسام ، وكما تحب الامهـات اولى ثمرات بطونهن ، وكما تحب الذكرى الوجوه القديمة ، وكما يحب المد والجزر القمر ، وحب الملائكة لطاهري النفوس • انني احبك بحيث اذا

اخذت مني فان حبي سيتبعك تاركا قلبي مكانا يبابا مقفرا دائما وابدا » .

ولم اجب على هذه الرسالة لعجزي عن ايجاد الكلمات المناسبة وشعرت كمن اكتشف شيئا مدهشا للغاية عن الحب والحياة لم يعرفه احد من قبل .

وكان من المرتب ان ياتيني راسل في الثامنة ولكنه قدم مبكرا في السابعة والنصف ، فقد كان ربما يشتهي ان يشركني في مجده ، فلم اله . فقد كانت فكرة الاصالة الابداعية في الارقام والرموز غريبة علي ، ولكني احسب ان بعض الناس استطاعوا ان يفتحوا فتحا جديدا في هذا الاتجاه بين الفينة والاخرى ، مثل اقليدس على سبيل المثال . وقد اطرته الاسرة باكملها وابدت له اعجابها به . ولم يكن منه الا ان ابتسم وشكرهم بكلمة ثم سالني ان كنت متاهبة . ولدى احتجاجي بان الوقت ما زال مبكرا اجاب بان عنده شيئا يحب ان يريني اياه . فارتديت معطفي ودخلت سيارته بخضوع مدهشة متسائلة عما في الامر . وبدل الاتجاه نحو طريق النهر ، استدار الى مدرستنا القديمة وتوقف تحت الاشجار وراء البناية في بقعة طالما ساعدته فيها في اللغة الفرنسية . فسالته : — انحن عازمون على القيام بترجمة الدرس الفرنسي ؟

فاطفا راسل آلة السيارة وبدا في التحدث بتقطع دون النظر الي ، محملقا في جدار غرفة صف معلمة اللغة الفرنسية وقال : — مولي ، انك تعرفين انني لم اكن يوما ماهرا في القاء الخطب .

قلت : — لا حاجة بك الى ذلك ، فان عندك طريقتك الخاصة للتعبير عن الاشياء .

— ولا استطيع الكتابة ايضا ، اعني انه من الصعوبة علي بمكان كبير ان اسجل ما أشعر به في كلمات .

— لا باس عليك يا راسل ، فانت تستطيع ان تسجل اشياء مدهشة عن طريق الارقام .

وبعد بعض التردد قال : — ولكني احيانا احتاج الى كلمات — وأدخل يده في جيب معطفه واخرج ظرفا واستطرد : — كنت اريد ان اخبرك بشيء ، ولكني لم اعرف كيف اخبرك به بالطريقة التي اريدها ، وهكذا فقد طلبت من احد الاشخاص ان يقوم بذلك نيابة عني . وناولني ظرفا وقال : — اقرئي هذا بينما اقوم بالتمشي حول الدار . وخرج من السيارة وتوارى عن الانظار عند احد اركان البناية .

وفتحت الظرف الذي كان عليه اسمي ببطء وسحبت الورقة التي تضمنته والتي جاء فيها : — حبيبتي مولي ، احبك كما يحب الندى الزهور ، والطيور الشمس ، والامواج الانسام ...

صعقت . وفي بادىء الامر لم أستطع التصور كيف استطاع راسل ان يتوصل الى رسالة آلان . ثم ادركت ان ذلك في غير متناول يده ، وانه لابد ان آلان ارسل له نسخة عنها ، ولكنه لم يفعل ذلك ؟ — وعندما رجع راسل سالته : — هل لك ان تفسر لي معنى كل هذا ، فاني لا افهمه ابدا .

قال : — ان الامر واضح بكل تاكيد ، انه .. انه ما أحب أن أقوله لك لو أستطعت ، ولكن ذلك ليس في وسعي ، ولهذا نسخته نسخا .

— وكيف استطعت نسخه ، فانني لم استلم الرسالة الا اليوم .

وبدت عليه امارات الحيرة وقال : — الآن انا لا أفهمك انت . وعندما سالته اذا كان قد كتب الى الان وطلب الرسالة منه اجاب سلبا بالطبع ، فلم يكن هذا من شان آلان .. كان قد ذهب الى المكتبة وتناول كتابا من احسن رسائل الحب العالمية ، وكان قد نسخ هذه الرسالة من هناك .

صحت : — راسل لارسن ، هل تصدقني القول ؟ ان آلان فيسك قد كتب هذا لي .

اجاب راسل : — ان الكاتب الشهير مارك توين هو الذي كتب هذا الى خطيبته .

— ولكن يا راسل ان آلان كتب لي نفس الرسالة ونفس الكلمات ، وتسلمتها اليوم .

واخذ راسل الظرف من يدى ومزقه وهو يقول : ـ ان هذا يفسد الاشياء ، اليس كذلك ؟ هيا بنا نذهب الى الحفلة الان ٠

ـ ارجوك مساعدتى ، اننى لا استطيع الذهاب الى الحفلة حتى اعرف اين موقفى ، فقد كنت اعتقد ان الان قد كتب الرسالة لى ٠ وسرنا بسرعة وئيدة بينما اخبرنى راسل بتردد ان الان ترك الجامعة فجاة لانه اكتشف يسرق سرقة ادبية ، فان تلك القصيدة التى نشرت فى مجلة الجامعة لم تكن سوى انتحالا ٠ قلت : ـ اتعنى قصيدة « بطلان المجد الدنيوى » تلك التى تبدأ بـ « ان انياب الفيل التى طالما تصادمت فى عراك جبار ...

قال راسل : ـ ان الذى كتبها هو آرثر جويترمان ، وسبق وان نشرت فى احدى المجلات الامريكية ٠

ـ وهل كان ذلك منذ زمن طويل ؟

ـ طويل لدرجة تكفى لان يعتقد الان انه فى مامن ، ولكن شخصا ما فى الدائرة الانكليزية خيل اليه ان القصيدة مالوفة لديه ، فان الان لم يغير شيئا سوى العنوان الذى ورد أصلا : ـ بطلان العظمة الارضية ٠

وفجاة اجهشت فى البكاء وقال راسل يتخبط : ـ انى واثق ان الان كان يقصد ما كان مارك توين يعنيه ، مثلى تماما ٠

ولم يكن هذا ليطاق ، ومضت فترة طويلة قبل ان أتمكن من الكلام ، ثم طلبت منه ان يوقف السيارة لحظة واحدة فانى لا استطيع الذهاب الى اى مكان وانا فى مثل هذه الحالة ، فيجب ان اعتنى بنفسى فقال : ـ سنتاخر بينما كنت تخالين اننا سنبكر ٠

وطاف فى خاطرى هاجس مؤداه كم يتاخر الانسان فى اكتشاف حقيقة الاخرين ، وكم من كلمات الان الفصحية كانت قد انتحلت على هذا النحو ٠ وهناك وبينما كنت جالسة بجانب راسل احاول اصلاح ما افسده الدمع ، اخبرته عن الرسائل المنحلة والملاحظات الدالة على الذكاء ، والتعليقات اللاذعة التى طالما استمعت اليها منه٠

فاجاب راسل : ـ اجل ان الان كان ذا عشرة طيبة ، فكانما الانسان فى صحبته انما يعيش مع الشعراء والكتاب من امثال شلي وشو وملر ٠

قلت : ـ وكيف اوتى كل هذا الخداع ؟

اجاب : ـ كنت احسده ، فانه كان طليق اللسان ، فانا لم اكن استطيع ان اقول شيئا ، حتى ولا تلك الاشياء التى سبق وان قالها شخص ما من قبل ـ ونظرت الى راسل نظرة جانبية ، ولاول وهلة خيل الى ان عجزه عن الافصاح كان سرا مغلقا ٠ وسالته لم لم تخبرنى من قبل ان الان قد طرد ٠

ـ كنت اريد ان اعرفك بذلك ولكنى خشيت ان يسقط كلانا فى نظرك ٠

ولدى تفكيرى فى الامر تبين لى ان الامر صحيح ، فقد كان راسل فى الواقع انسانا رائعا ، ولاول مرة فى حياته لا بد وان سكوته كان عسيرا عليه ٠

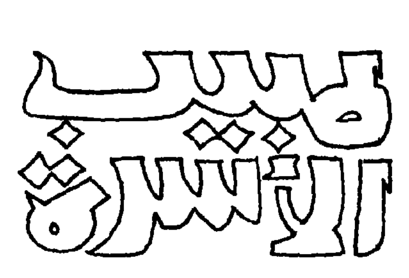
قال : ـ ان تفكيرى فى الان هو الذى اوحى لى بفكرة التفتيش عن رسالة فى المكتبة ٠

وكنت قد نسيت رسالة راسل ، وقد كدت انفجر باكية من جديد ، ليته على الاقل وضع الكلمات بين القواس كمن يستشهد بها مثلما فعلت انت ٠ ماذا افعل يا راسل وكيف اجيبه ؟

وحملق راسل فى منذعرا وقال : ـ هل تساليننى انا ؟ واردف بعد هنيهة ان عليك ان تجيبى على الرسالة نفسها مرتين ٠

وفى الواقع لم اجب على رسالة آلان ٠ ولكننى وضعت كلماتها بين القواس ووقعت عليها باسم مارك توين وارجعتها اليه فى البريد ٠ وانقطعت اخباره عنى بعد ذلك ، وما ان مضى بعض الوقت حتى كنت قد نسيته ، ولم اتذكره الا صبيحة يوم زفافى من راسل منذ اسبوعين عندما ارانى راسل برقية جاء فيها : ـ ان جميع الروايات الهزلية تنتهى بالزواج ، وقد وقع عليها الان باسم بايرون الشاعر ٠ ■■

ترجمة : الدكتور عيسى المصو
الولايات المتحدة





يجيب علـى هذه الاسئلة

نخبة من الاطباء

اسباب عدم الحمـــل

● اناسيدة عمرى ٢٧ سنة ، متزوجة منذ سبع سنوات ، ولم احمل حتى الان ٠٠ وقد راجعت العديد من الاطباء ٠٠ ولكن دون جدوى ٠٠ فما هو سبب عدم الحمل ، علما بان تحليل زوجي ايجابي؟

ـ لكى يحدث الحمل والانجاب لا بد ان يكون الزوجان سليمين ٠٠ وطالما ان تحليل الزوج سليم لذلك وجب عمل فحوصات دقيقة للزوجة للتأكد من خلوها من اى مانع للحمل ، علما بأنه احيانا يكون الطرفان سليمين ومع ذلك يتأخر الانجاب ٠٠.

ومن اهم العوامل التى تؤدى الى عدم الانجاب او تأخر الحمل فى الزوجة مايلي:

١ ـ التهابات المهبل ، حيث انها تعوق حركة وتقدم الحيوانات المنوية ، كما ان بعض الميكروبات تزيد من حموضة المهبل، وتفرز سموما تؤدى الى قتل المنويات ٠

٢ ـ انقباض عضلات الحوض مما يؤدى الى دفع السائل المنوى للخارج خاصة فى المرأة العصبية ٠

٣ ـ اضطراب افرازات عنق الرحم وضيق فتحته يؤدى الى ازمان الالتهابات، وكذلك فان اختلاف وضع عنق الرحم يبعده عن موضع نزول السائل المنوى ٠

٤ ـ اختلاف وضع الرحم او عدم نموه او وجود اورام او التهابات او تشوهات مثل الرحم القرني او الحاجزى ٠٠ كما ان اى اضطراب فى افرازات الرحم سواء نتيجة التهاب او اضطراب الهرمونات يؤثر فى قابلية الحمل ، كذلك فان انقباضات الرحم الغير طبيعية كثيرا ماتؤدى الى طرد البويضة بمجرد نزولها الى الرحم ٠

٥ ـ ضيق الانابيب او انسدادها ،سواء أكان هذا الضيق نتيجة عامل وراثي او اورام او مضاعفات لبعض الالتهابات مثل السيلان والسل وغيرهما ٠٠ بالاضافة الى اضطراب فى انقباضات الانابيب ٠٠ لان هذه العوامل تمنع وصول البويضة من المبيض الى الرحم ٠

٦ ـ اضطراب المبايض سواء نتيجة اختلاف الهرمونات او اورام بالمبيض ،مما يؤدى الى عدم حدوث التبويض ٠

٧ ـ امراض عامة اخرى كثيرة مثل ادمان الخمر الذى يؤدى الى ضمور الغدد ،وكثرة التدخين حيث يؤدى الى انقباض الانابيب والسكرى، والسمنة ،وسوء التغذية المزمن، وامراض الغدد ٠٠

٨ ـ ولا ننسى اثر العوامل النفسية٠٠ حيث انها تؤدى الى انقباض الانابيب ، واحيانا الى عدم حدوث التبويض ٠

واخيرا ، فهناك حالات تسببها المناعة الموجودة لدى الزوجة لمنويات الزوج ،بحيث تفرز مضادات تقتل الحيوانات المنوية ، وبذلك لا يحدث الحمل ٠

مما تقدم يتضح انه لا بد من عمل فحوصات وتحاليل دقيقة ٠٠ وطبيعى ان العلاج يعتمد على العوامل المسببة لعدم الحمل ٠

حرقة البول

● منذ مدة وانا اشكو من حرقة عندالتبول ، ولم اعط الامر اهمية ، ولكن استمرار الحال جعلنى اتوجه اليكم بالسؤال عن اسباب هذه الحرقة ؟

ـ حرقة البول ٠٠ والالم الذى يصحب عملية التبول ليس مرضا ولكنه عرض لامراض عدة تصيب الجهاز التناسلى والجهاز البولى ٠٠ ومن اهم الاسباب التى تؤدى الى حرقة البول وجود التهاب فى المثانة او البروستاتا وقناة مجرى البول ، وفى معظم الحالات يكون هذا الالتهاب ناتجا عن وجود ميكروبات ، وهذه يمكن الكشف عنها بواسطة تحليل البول وزرعه ٠

ولعل من اكثر الامراض شيوعا فى الرجال التى تؤدى الى حرقة فى البول هو الالتهاب المزمن فى البروستاتا ، والذى يكون سببه ميكروبا او تليفا فى البروستاتا ٠ وفى هذه الحالة يحتاج المريض الى تدليك البروستاتا او لعلاج خاص كالجلسات الكهربائية للتغلب على مثل هذه الحالة ٠٠وفى حالة الاناث، تلتهب الغدد حول المجرى الخارجى للبول ، وتسبب كذلك حرقة فى البول ٠

ومن الاسباب ايضا وجود حصى فى مجرى البول ، او مرور ترسبات مثل املاح حامض اليوريك او الاكسلات مع البول مما يسبب جروحا فى مجرى البول اثناء مرورها ، ويصحب ذلك حرقة فى البول ايضا ٠

وحرقة البول تنتج كذلك من ضيق فى فتحة التبول الخارجية عند الرجال والاطفال والنساء ٠ لذا كان من الواجب فحص هذه الفتحة جيدا ٠ ومعرفة سبب الضيق اذا كان خلقيا او ناتجا عن التهاب ، والتدخل الجراحى اذا لزم الامر ٠

مما تقدم يتضح انه من الواجب فحص المريض جيدا لمعرفة سبب الحرقة ٠٠ ويتم ذلك بفحص البول وزراعته لمعرفة الميكروب المسبب للمرض ، ومعرفة المضادات الحيوية التى تقضى على هذا الميكروب ٠٠

حجم الخصية هل يؤثر فى الانجاب

● عمرى ٢٤ سنة ، واتمتع بصحة جيدة ، واشكو من صغر حجم الخصيتين ٠٠ فهل هذا يؤثر عند الزواج على الانجاب ٠٠ وهل من عملية او دواء لتكبير حجم الخصيتين ؟

ـ اود ان اطمئن السائل بأن حجم الخصيتين لا يؤثر فى الانجاب ٠٠ فان حجم الخصية يختلف من شخص الى اخر ٠٠ الا انه فى المتوسط تكون الخصية فى الشخص الطبيعى بيضاوية الشكل وحجمها ٥را × ١ × ١/٤ بوصة وتزن من ٢٠ ـ ٣٠ جراما ٠٠ ووظيفتها هى افراز السائل المنوى ، وكذلك افراز هرمون الذكورة اوالرجولة٠



وقد تكون الخصية صغيرة نسبيا، الا ان افراز السائل المنوي يكون طبيعيا او مقاربا للمعدل ، ولا يمنع هذا من الانجاب ابدا. ولكي تطمئن على قدرتك على الانجاب ، انصحك بعمل تحليل للسائل المنوى فى مختبر مضمون ، ولعلك تعلم ان الذى يسبب الحمل هو حيوان منوى واحد فقط ، الا ان الكثرة المطلوبة فى التحليل سببها هو تهيئة اكبر فرصة لوصول الحيوانات المنوية الى البويضة داخل الرحم ، لان بعض هذه الحيوانات تموت فى المهبل . او تنزل خارجه او تتعثر فى الطريق نتيجة التهاب او ضعف الحيوان نفسه .

اما تكبير حجم الخصية فلا انصح به ابدا، حيث لا فائدة ترجى من كبرها او صغرها طالما انها تقوم بوظيفتها .. وحتى الرجال الذين ليس لهم الا خصية واحدة سليمة يستطيعون الزواج والانجاب .

ازدياد حالات الامراض الخبيثة

● نسمع ونقرأ عن اصابة الكثيرين بالامراض الخبيثة (السرطان) ، فما اسباب ازدياد عدد حالات الاصابة بهذه الامراض الخبيثة مؤخرا ؟

ــ الواقع ان الاصابة بالامراض الخبيثة (السرطان) قد ازدادت فى الاعوام الاخيرة .. ولكن يجب الا ننسى ان الجزء الاكبر من هذه الزيادة هى فى حقيقة الامر زيادة ظاهرية .. وذلك لازدياد الوعى عند الناس .. اذ اصبح من يشعر بأى عرض يذهب فورا الى الطبيب ، وكذا لازدياد الخدمات الطبية فى البلاد المختلفة .. بالاضافة الى تطور وانتشار الاجهزة المساعدة، مثل اجهزة الاشعة واجهزة الفحص فوق الصوتى وفحص العينات مجهريا .. وكانت النتيجة ان ازدادت الحالات التى تشخص .. وكان الكثير من هذه الحالات فى الماضى لا يمكن تشخيصه .. وبالتالى فان المريض يموت بدون ان يعرف سبب الوفاة .

ولكننا ــ فى نفس الوقت ــ لا نستطيع ان ننكر ان الاصابة بمرض السرطان قد زادت ، ويرجع هذا اساسا الى ازدياد استعمال المواد الكيميائية فى سبل الحياة المختلفة .. مثل انتشار عادة التدخين التى ادت الى ازدياد حالات سرطان الرئة .. بعد ان ثبت بالبحث وجود علاقة وثيقة بين التدخين وسرطان الرئة . وكذلك استعمال بعض المواد الكيميائية فى الطعام مما يؤدى الى الاصابة بسرطان الكبد .. ولذا فان الابحاث تجرى الان على اى مادة تستعمل فى اكل او شراب الانسان لفحصها ومعرفة مدى تأثيرها فى احداث السرطان .. ومن هذه المواد الخطرة ، نفايات المصانع التى قد تتسرب الى مياه الشرب ، وخصوصا نفايات المصانع التى يجرى فيها استعمال مواد مشعة . ومما يذكر ان المواد المشعة قد تحدث انواعا معينة من السرطان ، وقد وجد ان عددا كبيرا من الناجين من القنابل الذرية التى القيت على هيروشيما ونجازاكى فى اليابان ،قد اصيبوا فيما بعد بسرطان الدم .

■■

● صفحة في اللغة ●

اسم المصدر

باب ينبغي حذفه من كتب القواعد لنستريح ونريح

بقلم : محمد خليفة التونسي

■ في الصفحتين اللغويتين السابقتين بهذه المجلة ، وضحنا تعريف المصدر وانواعه الثلاثة (الاصلي ، والميمي ، والصناعي) ، ومتى يلزم افراده (وتذكيره غالبا) ومتى يثنى ويجمع ، وكيفية تثنيته وجمعه ، وذكرنا امثلة كثيرة لكل انواعه، في شتى حالاته •

وسنحاول هنا دراسة نوع من الكلمات يسلكه علماؤنا في كتب القواعد ملحقا ببحث « المصدر » لانه يوافقه من جانب ، ويخالفه من جانب ،ولذلك يسمونه « اسم المصدر » ، وهذا الباب في كتب القواعد من اشد ابوابها غموضا وتعقيدا ونقصا، ومن أضعفها حجة ، سواء درسناه في الكتب المختصرة او المطولة . وكلام علمائنا فيه وفي التفرقة بينه وبين المصدر غير واف ولا شاف ،وهو يقوم على لبس في التصور ، يحسن كشفه ، لبيان أن ما يسمونه « اسم مصدر » ليس الا مصدرا في حالة خاصة او وضع خاص ، فاذا ثبت ذلك ـ كما سنبين هنا ـ فمن الخير حذفه من كتب القواعد لنستريح ونريح •

وعلينا هنا اولا أننوضح القضية مبسطة موجزة كما يقتضي المقام ، ثم نبين رأينا في دواعي حذف هذا الباب •

اذا قلنا « فهم محمد » او« يفهم » او « لم يفهم » او « لن يفهم » او « ليفهم » او « افهم» ـ فان كل فعل من هذه الافعال يدل على « حدث في زمن » • اما الحدث فهو « الفهم » واما الزمن فهو ماض او حاضر او مستقبل ، وسياق الجملة يحدده • وكلمة « الفهم » تدل على الحدث وحده، وهو معنى ذهني محض ، ولكنها لا تدل على زمن حدوثه ولا مكانه ، ولا عدده ولا نوعهولا من احدثه ولا من وقع عليه الحدثفهو «مجرد» من كل علاقة، ولهذا يكون شاملا مطلقا • فنسميه « مصدرا »لان هذا هو تعريف المصدر ، فالمصدر لا يدل الا على شيء واحد هو الحدث، والفعل يدل على شيئين: الحدث وزمن حدوثه •

ويأتي المصدر مع فعله فيعرب « مفعولا مطلقا » لفعله ، ومن امثلة ذلك على اوزان مختلفة قولنا: « فتح فتحا ، وعلم علما ، وكرم كرما ، وتحمس تحمسا » ونلاحظ هنا ان كل مصدر يجانس فعله في حروفه ويشملها جميعا • اى ان حروفه من جنس حروف الفعل ، وعددها فيهما سواء •

ومن امثلة ذلك ايضا ـ على اوزان مختلفة ـ قولنا « كتب كتابة ، وزار زئيرا ، وصرخ صراخا، واحسن احسانا ، واخضر اخضرارا ، وانتصر انتصارا ، واستحسن استحسانا » ونلاحظ ان كل مصدر هنا يجانسفعله في حروفهويشملها جميعا ، ثم يزيد عليها •

وعلى هذا النحو أوغل علماؤنا ـ كعادتهم في البحث ـ فاستقرءوا الافعال ومصادرها ، وبذلوا جهودا جبارة مضنية تستحق منا عظيم الشكر والتقدير ، وانتهوا الى وضع اوزان للمصادر ، وفاقا للافعال ودلالاتها ، حتى صار سهلا علينا في الغالب ـ اذا عرفنا فعلا ـ ان نحدد مصدره مستأنسين بهذه الاوزان وان لم يسبق لنا سماعه: وكذلك اذا عرفنا مصدرا عرفنا فعله (ان وجد او كان مستعملا) •

بل انهم تتبعوا الالفاظ التي لا تطابق قواعدهم، وسموها سماعية ٠

ولا يغض من فضلهم ان فاتهم منها شيء او اشياء ، أو انهم شددوا حيث ينبغي التسامح ٠

ولغتنا اشتقاقية ثلاثية الجذور ، وهي كأعظم اللغات مرونة واستعدادا للتصرف في كلماتها كما يريد المتكلم ، مستأنسا بسليقته او بسليقتها ان قد اشربها ذوقه ، ومرن عليها فكره ولسانه ، وهي ايضا كأعظم اللغات لقبول كل جديد من غيرها، لتصبغه بصبغتها ، وتضمه الى اسرتها او كما قال ابو عثمان المازني « ما جاء على كلام العرب فهو من كلام العرب » ٠

والمفروض في كل «جذر » عربي لاسم او فعل ان يتفرع منه ـ مجانسا لحروفه ـ فعله بانواعه (ماضيا ومضارعا وامرا) ومصدره ، واسمي المرة والهيئة منه ، واسمي الفاعل والمفعول ، واسمي الزمان والمكان ،واسم التفضيل ، على وفق الحاجة اليها ، ومعروف ان هذه كلها فروع في تصريف جذور الكلمات ، ولها ابوابها في كتب القواعد الصرفية ، ولكننا عند تتبع تصريف الجذور ـ لا نجد كل جذر قابلا لان تخرج منه كل هذه الفروع ، ولهذا نجد عدد الفروع لجذر مختلفا عن عدد الفروع لجذر غيره ٠

وعلى نور من هذا ندرس ما سماه علماؤنا « اسم المصدر » وتفرقتهم بينه وبين المصدر ، لنعرف من أين دخل عليهم اللبس ، فعجب عنهم التصور الاسهل قبولا في هذه القضية البسيطة التي عقدوها ، او بانت لهم معقدة ٠

اذا قلنا « عِلم » و « تعلّم » و «تعليم » اعتبر علماؤنا هذه الكلمات الثلاث « مصادر » واذا ادخلناها في جمل ومع كل مصدر فعله هكذا :علمت علما ، ، علمت تعليما ، تعلمت تعلما ـ اعتبرها علماؤنا « مصادر » ايضا ، واعربوا كل مصدر منها مفعولا مطلقا لفعله ٠

اما اذا خالفنا بين فعل ومصدره ، فقلنا مثلا : « تعلمت الدرس تعليما » بدلا من قولنا « تعلمت الدرس تعلما » فان علماءنا يعتبرون « تعليما » هنا « اسم مصدر » ، ويعربونه نائبا عن المفعول المطلق ، ولا بأس باعرابه هكذا ، ولكن تسميتهم اياه « اسم مصدر » لا مسوغ لها ، فدلالته على حدث ـ كسائر المصادر ـ باقية لم تتغير ، وكل ما تغير هو وضع مصدر مكان آخر من جنسه ، فكلمة « تعليم » مصدر للفعل الرباعي « علّم » وكلمة « تعلّم » مصدر للفعل الخماسي « تعلّم » ، والمصدران متساويان في عدد الحروف ، بينهما معنى مشترك هو « العلم » ٠

وهناك نوع آخر من الكلمات التي يعتبرها علماؤنا « اسماء مصادر » ، وهي مصادر ،واليك أمثلة لها (على اوزان مختلفة) :

احتسب حسبه ، عذب عذابا ، اعطى عطاء ، نكل نكالا ، اجاب جوابا ، صلى صلاة ، زكى زكاة ، اعان عونا (او معونه ، او معونة ، او معنه) ٠ اظلم ظلاما ، عنى عنا ٠ استغنى غنى (او غناء) ، اثاب ثوابا ، اعقب عقبى ، تذكر ذكرى ، وصى وصية ، اصلح صلحا ، احدث حدثا ، حدث حديثا ، سلم سلاما ، افترق فرقه ، احترم حرمه ، اقتدى قدوة (او قدوى) ، انبت نباتا ،انتكث نكثا ، تكلم كلاما ٠

في هذه الجمل نجد مع كل فعل اسما يدل على « حدث » (هو حدث الفعل نفسه) وهذا كاف لاعتباره مصدرا ، وان كان قد حل محل المصدر القياسي للفعل ، فلم نقل ، احتسب احتسابا ، او عذب تعذيبا ، ٠٠٠ ثم ان هذا الاسم المشارك للفعل في حدثه يجانسه في حروفه الاصلية ، وان كان لا يستوعب كل حروفه ، وعدم استيعابه كل حروف فعله لا يخرجه عن مصدريته ٠

وهذا النوع الثاني من المصادر قسمان : قسم له فعله الماضي ، ومعنى الحدث فيهما واحد ،وقسم قد نجد له فعلا ماضيا ولكن معنى الحدث فيهما مختلف ٠ مثال القسم الاول كلمة « نكث » في قولنا « انتكث نكثا » بمعنى « النقض » او «الحل» فاذا رجعنا الى فعله الماضي الثلاثي « نكث » وجدنا ان الحدث فيه بمعنى النقض او الحل ايضا ٠

اما القسم الثاني فمعنى الحدث فيه يختلف عن معنى الحدث في فعله الماضي (ان كان هناك فعل مستعمل) مثل « عطاء » في قولنا « اعطى عطاء » او « استعطى عطاء » فانه هنا بمعنى «التسليم»، ولكن اذا رجعنا الى الفعل الماضي الثلاثي « عطا » وجدنا هذا الفعل يدل على حدث بمعنى « الميل » ولهذا نفترض ان المصدر « عطاء » كان له فعل ماض ثلاثي هو « عطا » والحدث فيهما بمعنى واحد، وهو « التسليم » ولكن هذا الفعل قد ترك او اندثر ، واستغنى عنه بالفعل الرباعي أعطى ،

ونستأنس لاثبات هذا الفرض بامرين : احدهما

ان الفعل الماضي « عطا » في لغتنا الدارجة اليوم بمعنى التسليم • فنحن نقول « عطاني صديقي الكتاب » بمعنى « سلمني اياه » وبعض الناس يسمون « عبد العاطي » كما يسمون « عبد المعطي» بمعنى واحد • والفعل الماضي المنقرض هنا هو « عطا » بمعنى « سلم » .(١) •

اما الامر الثاني الذى نستانس به فهو المصدر « حَب » بمعنى « الود » او « العشق » . فنحن نقول «أحب حبا» فنستعمل الفعل الرباعي «احب» مع مصدر الفعل الثلاثي «حَب» بمعنى الود . ولكننا لا نستعمل الفعل الرباعي مع مصدره ، لاننا لا نقول: أحب احبابا كما نقول في نظيره « اقر اقرارا » فالفعل الرباعي مستعمل ، ولكن مصدره « الاحباب» مهمل أو ميت ، واما المصدر «حب» فهو مستعمل كاروج كلمة على شفاهنا يوميا ، ولكن فعله الثلاثي « حَب »نادر الاستعمال في الفصيحة ، كقول المتنبي :

« حبَبتك قلبي قبل حُبك من ناى
وقد كانغدارا ، فكن انت وافيا »

ولكنه كثير الاستعمال في لغتنا الدارجة ،فيقال حب فلان صديقه بمعنى « الود » وقد يقال « حب صديقه » بمعنىالتقبيل ، والتقبيل علامة « الود »•

كما نلاحظ هنا ان الفعل الرباعي يستعمل منه اسم الفاعل « مُحب » كثيرا ولا يستعمل منه اسم المفعول « مُحَب » الا على ندرة ، كقول عنترة في خطاب صاحبته « عبلة » :

« ولقد علمت ، ، فلا تظني غيره
مني بمنزلة المُحَب المكـــرم »

فاذا جئنا الى الفعل الثلاثي «حَب » وجدنا العكس ، فان اسم الفاعل منه متروك ، فنحن لا نقول « حـَـب » فهو « حاب » كما نقول « جر ، فهو جار » ولكن اسم المفعول « محبوب » غزيـر الاستعمال •

وهذا يوضح ما قلناه في اول كلامنا هنا من انه ليس كل جذر اقـوى قابلا لان يخـرج كـل الفروع ، ولهذا تختلف عدد فروع جذر عن عدد فروع جذر آخر ، وربما تخرج بعض الفروع ثـم تموت في الفصيحة ، ثم قد تبقى او تترك في الدارجة •

ومن هنا يتضح رأينا في ان النوع الثاني من الكلمات التي يزعمها علماؤنا « اسماء مصادر » - لانها اقل حروفا من افعالها الماضية - ليست الا « مصادر » لم تات معها افعالها الماضية المتحدة معها في معنى الحدث ، وان استعملت مع افعال اخرى ، وحلت محل مصادرها ، مثل « انتكث نكثا ، فان « نكثا » هنا مصدر لفعل ثلاثي حل محلالمصدر « انتكاث » الذى هـو مصدر الفعل الخماسـي « انتكث » •

وقسم تركت افعاله المتحدة معه في معنى الحدث حتى اندثرت وحل محل مصادر لافعال اخرى ، مثل « كلام » في قولنا « كلمه كلاما » فان « كلاما » هنا مصدر لفعلثلاثي بمعناه (وهو «القول»)ولكن هذا الفعل انقرض ، وقد حل هذا المصدر « كلام » محل « تكليم » الذى هو مصدر الفعـل الرباعي « كلم » ولو جاء الرباعي مع فعله لقلنا كما في الآية الكريمة « وكلم الله موسى تكليما » •

وكذلك «كلام» في قولنا « تكلم كلاما » فانه حل محل « تكلم » الذى هو مصدر الفعل الخماسـي « تكلم » والحدث المشترك بـين هـذه الكلمـات المتجانسة معناه « القول » ، وليس هنا فعل ثلاثي للمصدر « كلام » يستعمل بمعنى « القول » وان كان هناك فعل ثلاثي يماثله وهو « كلم » ايضا ولكن بمعنى « جرح » تقول « كلمته » أى جرحته، ومن هنا نفهم ان الجذر «كلم» يتفرع عنه فعـل بمعنى « جرح » وفعل مثله بمعنى « قال » • ولغتنا كسائر اللغات تشمل كثيرا من الكلمـــات المشتركة ، والكلمة المشتركة هي التي يكون لهـا معنيان او اكثر •

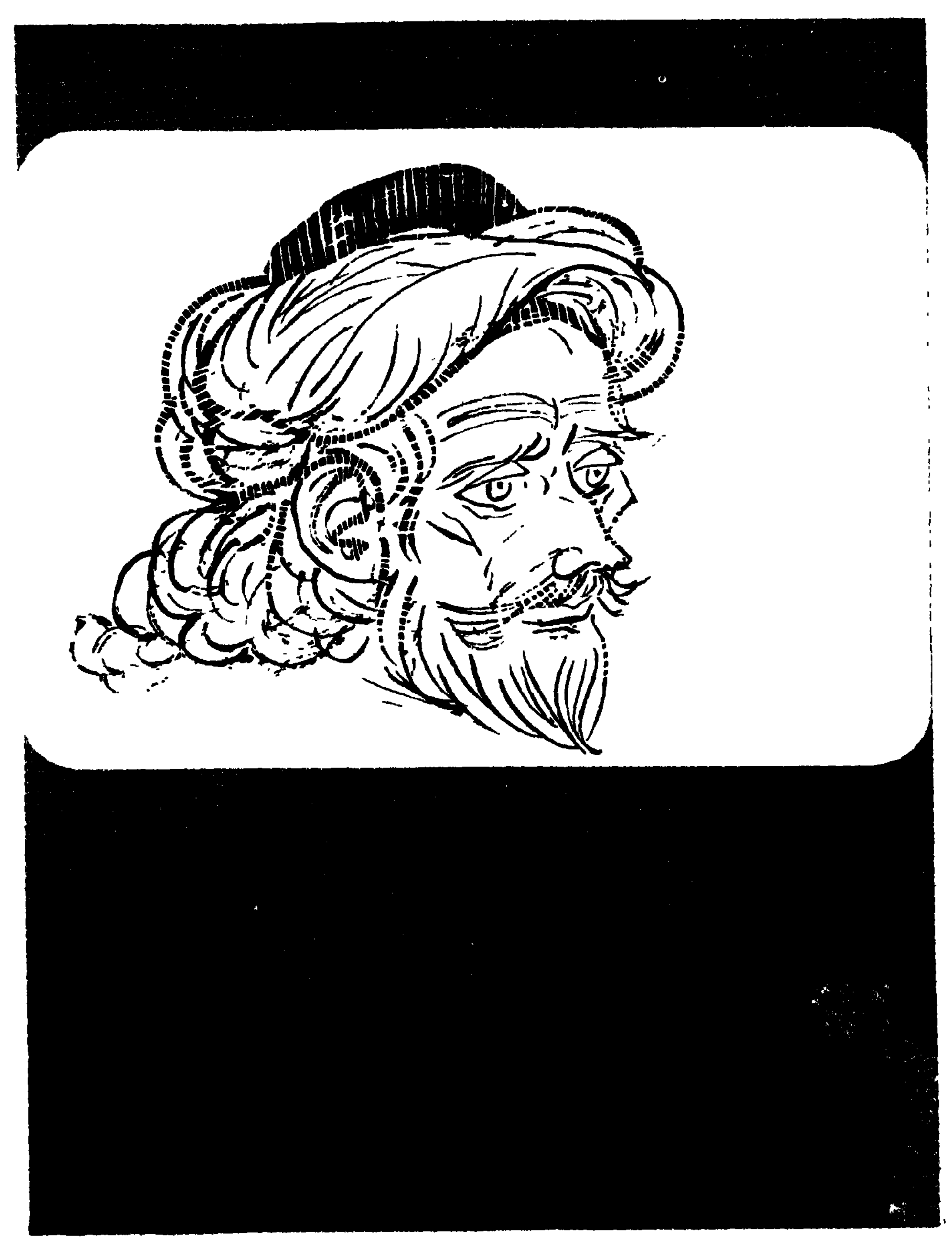
من هنا يتبين لنا ان الكلمات التى يسميهـــا علماؤنا « اسماء مصادر » ليست الا مصادر ، ولكن من نوع خاص ، لان كلا منها يدل علـــى « حدث » فحسب ، وهذا كاف لاعتباره مصدرا ، ولا عبرة بان يشمل كل حروف فعله او يقل عنها، كما انه لا عبرة بان يكون فعله الذى يتحد معـه في الدلالة على حدثه - مستعملا او متروكا •

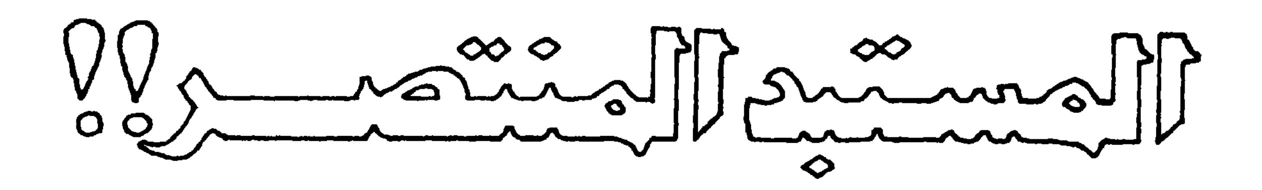
■■

محمد خليفة التونسي

(١) ومن هنا نفهم فائدة دراسة اللهجاتالدارجة•

المنصور بن أبى عامر





المستبد المنتصر!!

بقلم : الدكتور محمود على مكى

من عدل بالأمـــر والنهى لـذة   فقد انتـــفى من الذكـــورة

المنصور بن أبى عامر

■ ليس فى نيتنـا هنا الترجمة للمنصـــور العامرى ، فقد كفانا مؤونة ذلك كثير من المؤرخين القدماء والمحدثين ، كان من بينهم من افردوا له كتبا كاملة ، مثل أبى مروان ابن حيـــان الذى اختصه بكتابه « أخبـار الدولة العامرية » وكان يقع فى أكثر من مائة سـفر ، وحسين بن عاصم فى كتابه « المآثر العامرية » • أما المحدثون فلا يخلو كتـــاب لهم عن الأندلس من صفحات كثيرة تفرد لابراز شخصية المنصور وأعماله •

غير أننا اليوم ــ وقد مضى على عهد المنصـور ما يقرب من عشرة قرون ــ ندعو الى اعادة النظر فى ذلك التاريخ والى تقويم هذه الحقبـة التى تسمى بالدولة العامرية على نحو موضوعى بعيد عن الاستثارات العاطفية ، ونحاول أن ندرس عن قرب هذه الشخصية الفذة ، ونحدد ما لها ومـا عليها •

لم يكن ابو عامر محمد بن عبد اللــه بن ابى عامر من بيت الخلافة الامـوية بالاندلس ، وانما كان ينحدر من أسرةعربية من قبيلة معافر اليمنية، كانت تسكن بعض اعمال الجزيرة الخضراء المطلة على مضيق جبل طارق • وكان جـده الأعلى من جنود الفتح الذى تم على يد طـــارق بن زياد ، واصبحت لذريته مكانة فى الاقليم الذى درجوا فيه ، الا أنها كانت متوسطة الحال والثروة ،وقد اشتغل كثير من افرادها بالعلم ،فكان منهم قضاة ومحدثون • وبدأ محمد نفسه حياته بطلب العلم، ثم اشتغل فى شبابه كاتبا لقاضى الجماعةبقرطبة محمد بن اسحاق بن السليم• ولم يلبث أن اختاره الحاجب جعفـــر بن عثمان المصـــحفى وكيـلا لعبد الرحمن بن الخليفة الحكم المسـتنصر ، ثم لاخيه هشام الذى ولى الخلافة بعد ذلك • وعين أيضا امينا لدار السكة ، واضيفت اليه الخزانة وخطة المواريث ، واستقضى على كورة اشـبيلية ولبلة وأعمالهما ، ثم قدمه الحكم المستنصر على الشرطة ، وبعث به بعد ذلك الى المغرب الاقصى مرافقا للقائد غالب الذى ندب لاخضـــاع ثـوار الادارسة هناك • وكانت مهمة محمد بن أبى عامر هى الاشراف على نفقات الحملة ، فاضطلع بها على خير وجه ، واغتنـم هذه الفرصة ، فوثق علاقته بالقائد غالب وغـيره من قواد الجيـــوش الاندلسية وغيرهم من رؤساء البربر الذين كان الخليفة قد استخدمهم مرتزقةفى قواته العسكرية•

وربما تولى المتامل بعض العجب لسرعة تدرج ابن أبى عامر فى مناصب الدولة ولكثرة الوظائف التى كان يتولاها فى وقت واحد ، وهى وظائف تبدو متغايرة بعيدة الصلة بين بعضـها والبعض الآخر، اذ منها ما هو متعلق بالقضاء ، وما يتصل بسياسة المال والادارة ، وما هو داخل فىاختصاص العسكريين وقواد الجيوش • وقـــد حاول بعض الباحثين ــ ولا سيما الغربيون منهم ــ أن يتلمسوا لذلك تفسيرا وجدوه بزعمهم فى النهاية فى أنه كانت لابن أبى عامر صلة مريبة بزوجة الحـكم المستنصر وام ولده هشام • وقد اعتمدوا فىذلك على تعريضات خبيثةكانت تصدر منذ أيام المنصور العامرى من جانب بعض معارضيه أو النافســين عليه ما بلغه من سلطة ومجد • على أننا نظن أن

كل تلك العبارات لا تقوم على أساس من الحقيقة ولا تصلح لتفسير تاريخي مقبول ، وان الذى لا شك فيه ان محمد بن أبى عامر كان حقا رجلا اجتمعت له كفاءات متعددة وقدرات لا تتوفر الا فى قليل من الرجال .

أزمات ومؤامرات

وحينما توفى الحكم المستنصر فى سنة ٣٦٦ (٩٧٦) بعد أن عهد بالخلافة لابنه هشام وكان فى الثالثة عشرة من عمره بدأت فى الظهور أزمة سياسية عنيفة ، اذ كان تنصيب غلام لم يبلغ الحلم على عرش الخلافة سابقة خطيرة لم يحدث مثلها من قبل ، ومخالفة خطيرة للاصول الشرعية. الا ان ذلك كان يوافق هوى معظم القوى السياسية المتنازعة ، فقد كان كل منها يطمع فى فرض وصايته على الخليفة الصغير والتصرف فى الحكم باسمه .وكانت هذهالقوى تتمثل فى ثلاثة احزاب: حزب الصقالبة من خدم القصر القائمين باموره ، وحزب غالب صاحب الثغر والمهيمن على قيادة الجيش ، وحزب جعفر بن عثمان المصحفى الحاجب (والحجابة كانت بمثابة رياسةمجلس الوزراء). أما محمد بن أبى عامر فلم يكن آنذاك الا واحدا من جملة الوزراء الحاطبين فى حبل الحاجب جعفر .

وكان الصقالبة عازمين على المبايعة للمغيرة بن عبد الرحمن عم هشام وكان شابا فى السابعة والعشرين من عمره ، وتظاهر جعفر المصحفى بموافقتهم علىذلك ،الا انه كان يبيت لهم الغدر، فقد كان يخشى ان يفقد ما تهيأ له من سلطة اذا ولى الخلافة رجل قادر على تصريف الامور بنفسه، ولعل محمد بن أبى عامر كان من وراء تمسك جعفر بتولية هشام . ورأى المصحفى ان قطع الطريق على الصقالبة لا يكون الا بازالة المغيرة من طريق الخلافة ، فاستقر عزمه على قتله . وكان ان أسند الى ابن أبى عامر هذه المهمة الدامية ، فبعث به مع فرقة من الجنود ، وتم قتله خنقا . واسقط فى أيدى الصقالبة ، فلم يسعهم الا التسليم لجعفر والخضوع لرأيه . وفى صبيحة اليوم التالى (٤ صفر ٢/٣٦٦ اكتوبر ٩٧٦) تمت البيعة لهشام المؤيد ، وقبلت ذلك كل الطوائف السياسية كارهة أو راضية .

وبدأ ابن أبى عامر منذ ذلك الوقت بالتضريب بين رجال الدولة ، فعمل جعفر المصحفى على فل حد الصقالبة والتنكيل بهم واخراجهم من القصر ونفى زعمائهم . فلما تم له ذلك مضى يدبر للايقاع بالحاجب جعفر نفسه ، وواتته الفرصة حينما جاءت الأنباء باضطراب الثغور وتحركملوك النصرانية فى الشمال ، فاشار ابن أبى عامر بتجهيز الجيش للجهاد ، الا ان جعفرا نكل عن الخروج ، فعرض عليه العامرى ان ينتدب لذلك بنفسه ، وخرج على رأس الجيش فغزا جليقية وعاد منها مظفرا ، واستمال فى اثناء الغزوة جنوده بكرمه وحسن معاملته ، فالتفوا به واحبوه. ثم خرج فى غزوة أخرى الى الثغر اجتمع خلالها بالقائد غالب فى مجريط (مدريد) واحكم معه خيوط المؤامرة على جعفر المصحفى ، فلم يكد يعود الى قرطبة حتى حمل الخليفة على تجريد جعفر من مناصبه واحدا واحدا . وخطب الى غالب ابنته أسماء وتزوج منها . ولم تمض على ذلك شهور حتىصدر أمر الخليفةبعزل جعفر عنالحجابة واسنادها اليه فى ١٣ شعبان ٣٦٧ (٢٦ مارس ٩٧٨) ، ثم قبض على جعفر وأفراد أسرته وصودرت أموالهم .

غير أن الجو لم يصف تماما لابن أبى عامر ، فقد كان يعرف أنه لن يتمكن من الانفراد بالسلطة مع وجود غالب قائد الجيش ، واذا كان غالب قد أعان ابن أبى عامر على ازالة خصومه فانه لم يكن مستعدا للتسليم له بالسلطة المطلقة . ولم تمض سنوات حتى انقلب تحالف العامرى وغالب الى عداوة مريرة ثم الى مواجهة عسكرية صريحة فى الثانى من المحرم ٣٧١ (١٠ يوليو ٩٨١) . وأعان الحظ محمد بن أبى عامر ،فاذا بغالب يوجد فى خلال المعترك ميتا بغير جرح ظاهر . وبموت غالب لم تعد فى طريق الحاجب العامرى نحو الانفراد بالحكم أى عقبة ، أما المتآمرون الصغار الذين استعان بهم فى تحقيق مآربه فقد تخلص منهم واحدا بعد الآخر . ولما استتب له الأمر رأى أن لقب « الحاجب » لم يعد لائقا به فاضاف اليه « المنصور بالله » .

رفع لواء الجهاد

ورأى المنصور أن خير ما يؤكد به سلطته ويكسب

به تاييد رعيته الاندلسية هو رفع لواء الجهاد فى سبيل الاسلام · وان المتامل ليعجب حقا من امر هذا الرجل الذى بدأ حياته موظفا صغيرا فى الدولة والذى أسندت اليه مناصب قضائية وادارية ومالية، ثم اذا به يتكشف عن قائد عسكرى يخرج بنفسه لقيادة الجيوش ويظهر فى خلال المعارك من المقدرة والكفاءة ما لا يتوفر لكثيرين من العسكريين المحترفين · ويكفى أن نذكر أن غزواته بلغت اثنتين وخمسين غزوة خلال السنوات الخمس والعشرين التى حكم فيها الاندلس وانه لم تهزم له راية قط فى جميع هذه الغزوات ، وانه بلغ فيها من تدويخ الممالك النصرانية مالم يبلغه أحد من أمراء الاندلس وخلفائها حتى أيامه ·

ولم تشغل المنصور أعماله السياسية والعسكرية عن العناية بالمنشآت العمرانية العسكريه منها والمدنية على السواء · فكان من اجلّ أعماله انشاؤه لمدينة الزاهرة ذات القصور الفخمة والمتنزهات البديعة، وقد نقل اليها ادارات الحكومة بعد أن حجر على الخليفة ، وكان يريد أن يضاهى بها مدينة الزهراء التى بناها عبدالرحمن الناصر قبل ذلك بنحو نصف قرن ، وكذلك زيادته فى المسجد الجامع بقرطبة ، وبنيان عدد من القناطر بنهرى قرطبة واستجة ·

أما اهتمامه بالثقافة فما أكثر ما تشير كتب الأدب الى مجالس المنصور الأدبية التى كان يعقدها كل خميس ويجمع فيها الادباء والعلماء للمناظرة والى البلاط الشعرى الذى كان يحيط به · ويقدر ابن الخطيب عدد الشعراء الذين وافقوا المنصور فى غزوته لبرشلونه سنة ٣٧٤ (٩٨٤) باربعين شاعرا · وقد عرف المنصور كيف يقيم من هؤلاء جهازا للدعاية له ، وكان من أبرزهم شاعره الأثير عنده ابن دراج القسطلى الذى كان له بمثابة المتنبى لسيف الدولة والاديب اللغوى الوافد عليه من العراق صاعد البغدادى·

وعلى الرغم من كثرة النفقات التى تكلفتها حملات المنصور العسكرية ومن هذه المنشآت الكثيرة فان المؤرخين يسجلون أنه ترك خزائن الدولة عامرة عند موته ، ويقدر بعضهم مانهب من مدينة الزاهرة فى ثلاثة أيام فقط عند وقوع الفتنة بنحو سبعة ملايين من الدنانير من الذهب ، فضلا عن خوابى وجدت مملوءة من الفضة مدفونة فى الارض · وقد جاء فى وصيته هو لابنه عبد الملك المظفر : « وقد وطأت لك مهاد الدولة ··· وغايرت لك بين دخل المملكة وخرجها ، واستكثرت لك من أطعمتها وعددها وخلفت لك جباية تزيد على ما يقويك بجيشك ونفقتك » ·

الوجه الثانى للعملة

كل ما سقناه حقيقة تسجلها كتب التاريخ ، وهو يتشهد بمدى الازدهار والعظمة الذى بلغته الاندلس فى عهد العاجب العامرى ، غير أنه ليس الا جزءا من الحقيقة ، والجزء الآخر ـ أو الوجه الثانى للعملة كما يقال ـ هو الذى سكت عنه الكثيرون ، أذ يغطى عليه دوى الانتصارات وقصائد المديح التى جعلت من المنصور المثل الأعلى للحاكم الصالح فى الأندلس ·

الحقيقة الأخرى هى أن المنصور بن أبى عامر كان مثالا للحاكم المستبد··للدكتاتور ذى السلطة المطلقة الذى تستتر عيوب حكمه وراء ظاهر براق خادع من المجد والقوة ·

ولو أننا تاملنا مسيرة حياته منذ أن ظهر على مسرح التاريخ كاتبا متواضعا لأحد القضاة حتى أصبح صاحب الكلمة الأولى فى الأندلس لرأينا أن أول ما يتسم به سلوكه السياسى هو الانتهازية والاستهانة بكل القيم الخلقية فى سبيل تحقيق مطامعه · وما أكثر ما كانت تبدر منه عبارات تكتنف عن شهوة الحكم التى كانت تسير كل أعماله منها قوله : « ··· من عدل بالأمر والنهى لذة فقد انتفى من الذكورة » · والواقع أن هذا التعارض بين السياسة والأخلاق مسالة قديمة طال فيها الجدل ولم يتحدد فيها موقف الفكر بصفة قاطعة · وقد رأيناها فى التاريخ الاسلامى منذ قديم حينما نشبت أزمة الصراع على الخلافة بين على ومعاوية · أما فى الفكر السياسى الاوروبى فقد كان خير من صور تلك الازمة الكاتب السياسى نقولا مكيافيللى (ت ١٥٢٧) فى كتابه « الأمير » حيث رسم صورة للحاكم المستبد الذى لا يجد باسا فى استخدام كل الوسائل الممكنة من اجل الوصول الى الحكم ، ولو أن مكيافيللى عرف سيرة المنصور بن أبى عامر لما عدل احدا فى تقديم نموذج لمثل هذا الحاكم · ولكن هل كان فى تحقيق المنصور العامرى لمطامعه

فى الحكم والسلطان خدمة لأمته الاندلسية حقا ؟ هذا ما سنعرض للاجابة عليه فى السطور التالية.

لقد ظل الشعب الأندلسى منذ أن جدد عبد الرحمن الداخل دولة بنى امية فى هذه البلاد يرى فى أمراء هذا البيت وخلفائه ممثلين للسلطة الشرعية ، ولهذا فانه كان يشعر نحوهم بولاء عميق ، لاسيما وانهم استطاعوا السير بسفينة الاسلام فى الاندلس سيرا موفقا على الرغم من كل العواصف التى هددتها فى فترات كثيرة من تاريخ المسيرة . وكان اولئك الامراء والخلفاء ينهجون فى الحكم نهجا أسلم بكثير مما كان عليه العباسيون فى المشرق ، فعلى الرغم من مظهر السلطة الذى كانوا يحرصون عليه فقد اعتمدوا فى تسيير امور بلادهم على عدد من كفاة الرجال لا يقطعون امرا بغير مشورتهم ، وكان هؤلاء الرجال على قدر من الاستقلال بالرأى والنظر الى مصلحة الجماعة مع الولاء للنظام الحاكم فى غير ملق ولا نفاق .

عدوان على الشرعية

واتى المنصور بن ابى عامر ، فكان استبداده بالسلطة عدوانا على « الشرعية » واسقاطا لهذه المكانة التى رسخت فى نفوس الاندلسيين نحو خلفائهم . وينص المؤرخون على أنه « جرى فى ذلك مجرى المتغلبين على سلطان بنى العباس بالمشرق من امراء الديلم » ، وكان هذا امرا جديدا لم يعرفه الأندلسيون من قبل ، وهو بغير شك بداية لاختلال القيم والموازين .

وربما صورت ذلك قصة يذكرها ابن حزم فى رسالته « نقط العروس » ويكشف فيها الستار عن محاولة غريبة للمنصور ـ نعرف انه عدل عنها بعد ذلك ـ وهى المناداة بنفسه خليفة للأندلس ، أى نازعا عن الخليفة الشرعى هشام المؤيد حتى ذلك المظهر الشكلى الباقى له من الخلافة . ويروى ابن حزم القصة عن ابيه وزير المنصور ، فيقول انه جمعه هو ونفرا من خواصه فيهم ابن عياش وابن فطيس ومن الفقهاء ابو عمر بن المكوى والاصيلى وقاضى الجماعة محمد بن يبقى بن زرب :

« ... فاما ابن عياش وابن فطيس فصوبا ذلك له . واما أبى رحمه الله فقال له : انى اخاف من هذا تحريك ساكن ، والامور كلها بيدك ، ومثلك لاينافس فى هذا المعنى . واما محمد بن يبقى بن زرب فانه قال له : وصاحب الامر ما شانه ؟ فقال له : لا يصلح لهذا . فقال له : يرى ويجرب . فقال له : افى مسائل الفقه ؟ ـ يريد ان يساله ـ قال : لا ، ولكن فى مسائل السياسة وتدبير المملكة . قال : فان لم يقم ؟ قال : ينظر فى قريش . فاعرض عنه مغضبا ، ونظر الى الأصيلى والى ابن المكوى . فقال له الاصيلى : يا مولاى ، عربى ضابط خير من قرشى مضيع ! قال : فنظر الى ابن المكوى ، فجعل يضحك له ويقول : يا مولاى ، ومثلك يفكر فى هذا وانت الكل ، وكل شىء بيدك ؟ انما يرغب فى الأسماء من لا يحقق ، والمدار على الحقيقة وهى بيدك . فسكت ابن أبى عامر ، وقاموا واحدا واحدا . فلما قام القاضى وسلم عليه قال : اخرجوا من بين يدى الفقيه ! فعظم ذلك على ابن زرب وقال : لا باس . هذا مالا تقدرون على عزلنا عنه ! ونهض الى منزله فمات بعد ايام يسيرة جدا » .

لقد جمع ابن أبى عامر هؤلاء الرجال من بقية اصحاب الراى فى الدولة فى عملية استطلاع لرد فعل جمهور الشعب ازاء ما كان عازما عليه . وكان فى مشروع المنصور طرح لمسالة فى غاية الخطر بالنسبة للامة الاسلامية فى ذلك الوقت ، اذ كان المبدأ الذى دان به المسلمون هو ان من أول شروط الامامة اى رياسة الدولة ان يكون الامام من قريش . وكان ترشيح المنصور نفسه للخلافة ـ وهو من أسرة عربية الا انه ليس بقرشى ـ خرقا صريحا لهذا المبدأ لم تكن له سابقة فى الشرق ولا فى الغرب . ونحن نرى فى اجابات هؤلاء الرجال صورة لمدى تردى الفكر السياسى الدينى فى ظل الحكم الفردى المستبد .

دور جيش المنافقين

اما ابن عياش وابن فطيس فقد ذهبا الى مجاراة المنصور فى هواه وزينا له المضى فى مشروعه ، ويلحق بهما الفقيه الاصيلى الذى كانت عبارته محاولة لتقديم مبرر شرعى لرغبة المنصور . واما ابن المكوى وابن حزم فقد حاولا ـ بغير ان يجرءا على الاعتراض الصريح ـ ان يحملا الرجل على العدول عن خطته طالما كانت

السلطة الفعلية بيده • ولا يمثل لنا الاعتداد بكرامة الراى ازاء الحاكم المستبد الا قاضي الجماعة ابن زرب ، فقد كان من بقية هؤلاء القضاة الاندلسيين الذين ألفنا فيهم دائما قوة الخلق والقدرة على مجابهة الحاكم بما يكره ، اذ أنه طلب امتحان الخليفة الشرعي ، فاذا ثبت عجزه اختير للخلافة غيره من أفراد البيت المرواني • ولكن جزاء ابن زرب على صراحته في ابداء رأيه كان تعريض المنصور له بعزله عن القضاء : « اخرجوا من بين يدى الفقيه ! » • وكان رد ابن زرب مثلا من امثلة الرجولة ، اذ قال للمنصور ان صفته بالفقه دون القضاء هى ما لا يستطيع الحاكم مهما بلغ استبداده أن يعزله عنها •ويعلم الله كيف كانت وفاة هذا الرجل الابى الشجاع ، اذ أن فى اشارة ابن حزم الى أنه مات بعد أيام يسيرة جدا ما يدل على أن لابن أبى عامر يدا فى موته • وتصور لنا القصة مدى انتهاك المنصور لسلطة القضاء التى ظلت مستقلة جارية على الشرع حتى ذلك الوقت ، اذ لا نلبث أن نرى القضاة فى ظله مستكينين لسلطة الحاكم ، فقد ولى القضاء بعد ابن زرب خال للمنصور نفسه ، ثم رأينا طائفة من القضاة كان سلوكهم بعيدا عن سلوك قضاة الاندلس الاولين من النزاهة والصرامة والتقلل من الدنيا •

أما الأسر التى ارتبطت بالولاء لبنى أمية والتى أخرجت من قبل عددا من اكفاء الرجال فى مجالات السياسة والادارة والقيادة ممن كانوا أوتاد الدولة فقد عمد المنصور الى هدم كيانها وتمزيقها ، فازال بعضها عن طريقه واستمال بعضها الاخر ، ولكنه لم يقنع من هؤلاء الا بان يتحولوا الى جيش يحف به من المنافقين المجارين له على هواه ، شان الحكام المستبدين فى كل زمان ومكان • فالمستبد فى غيرته على سلطانه لا يسمح بان يرتفع الى جوار صوته صوت ، ولا يظهر بجانب تفكيره فكر ! •• وهكذا كان المنصور العامرى : حطم كل الكفاءات القادرة التى كانت تحفل بها الدولة قبل اعتلائه قمة الحكم ، وأسوأ ما فى الامر أن سياسة الدولة قد تمضى موحية بالانتظام طالما بقيت شخصية الحاكم المستبد مهيمنة على الجو السياسى ، ولكن الكارثة تقع بعد ذلك حينما تختفى شخصيته وتتكشف الدولة عن فراغ رهيب لا يستطيع ملئه الامعات من المنافقين الذين حرص الحاكم المستبد على أن يتخذ منهم بطانته• وكانت هذه بالضبط هى محنة الاندلس الكبرى بعد وفاة المنصور بسبع سنوات حينما انهار النظام السياسى كله فى لحظة واحدة ! •••

٤ ملاحظات هامة

أما أعمال المنصور العسكرية وهى التى بهرت أنظار الاندلسيين فى أيامه والمؤرخين فى الماضى والحاضر فانها تستحق أيضا وقفة متاملة •صحيح أن هذه الغزوات التى تقدر باكثر من خمسين غزوة قد حمت ثغور الاندلس ، وصحيح أن المنصور قد أكد بها عزة الاسلام وقوته وانه ملأ الاندلس بها من أسرى النصارى وسباياهم ، وصحيح أنه وطىء عواصم الممالك النصرانية مرة بعد مرة • ولكن ما الذى استفاده الاسلام من كل هذه الجهود ؟ هناك أربع ملاحظات نود أن نجمل فيها تقويمنا لجهاد الحاجب العامرى :

١ ـ كانت غزوات المنصور فى الغالب مجرد حملات تخريبية تنتسف فيها البسائط وتحرق الزروع وتهدم الحصون ، ولكنها لم تزل ممالك النصارى ولم تضف الى مملكة الاسلام أرضا جديدة ، فاذا انحسرت جيوش المنصور عن بلادهم بعد شواتيه وصوائفه عادوا الى ديارهم فعمروا ما هدم من حصونهم وبقى الامر كما كان •فالمنصور لم يكن يهمه من تلك الغزوات الا دوى الانتصارات واناشيد المديح يزفها اليه شعراء بلاطه مصورين اياه بصورة حامل راية الجهاد والبطل الذى لا يقهر • أما النتائج الايجابية الباقية لذلك الجهد الكبير فقد كانت ضئيلة محدودة • ولو أن المنصور رسم لنفسه سياسة طويلة المدى تستهدف اسكان المسلمين فيما يستولى عليه من أرض الامارات النصرانية والاستقرار فيها وتعميرها لربما تغير وجه تاريخ الاسلام فى الاندلس • وربما كان عبد الملك المظفر بن المنصور أبعد نظرا من أبيه حينما تنبه الى ذلك فى غزوته لمقصر Monmagstre من ثغر برشلونة فى سنة ٣٩٣ (١٠٠٣) اذ أنه بعد أن استولى على الحصن أمر الا يحرقوا منزلا ولا يهدموا بناء « لما ذهب اليه من اسكان المسلمين فيه ، فشرع للوقت فى اصلاحه ونادى فى المسلمين : من أراد الاثبات

في الديوان بدينارين في الشهر على أن يستوطن في هذا الحصن فعل . وله مع ذلك المنزل والمحرث، فرغب خلق عظيم واستقروا به في حينهم » . على أن هذه كانت المحاولة الاولى لتطبيق سياسة اعمارية فيما يغنمه المسلمون من بلاد أعدائهم . وهي سياسة لم يقدر لها الاستمرار كما أنها أتت متأخرة كثيرا ، اذ أن دولة العامريين أنفسهم لم تعمر بعد هذه الغزوة الا ست سنوات .

٢ - كلف هذا الجهد العسكري الكبير خزانة الدولة كثيرا من الاعباء ، ولم تظهر النتائج السيئة لذلك في عهد المنصور . اذ كانت الجبايات لا تزال وافرة والسياسة المالية سليمة الى حد ما . ومع ذلك فهناك اشارات كثيرة تدل على أن العبء كان ثقيلا على الطبقات الفقيرة .

٣ - كان أمراء بني أمية وخلفاؤهم ولا سيما الخليفة العظيم عبد الرحمن الناصر يتبعون في صراعهم مع اسبانيا النصرانية سياسة حكيمة : هي أنه طالما لم يتحقق لهم سحق هذه الاماوات وازالتها من الوجود فانهم كانوا يفرضون عليها سيادة الاسلام ولكن بغير تعرض لمقدساتهم أو استفزاز لمشاعرهم الدينية . أما المنصور فانه عمل على اذلال المسيحية ولا سيما في غزوته لشنتياقب Santiago de Compostela مدينتهم المقدسة التي خربها وسواها بالارض (في سنة ٣٨٧/٩٩٧) ، وانتزع نواقيس كنيستها العظمى وأمر بأن يحملها أسرى النصارى على ظهورهم ويسيروا بها مشيا الى قرطبة حيث اتخذها ثريات للمسجد الجامع . وقد ترك ذلك في نفوس نصارى الاندلس جرحا لم يندمل أبدا ، وخلف من العقد المسعور على الاسلام ما طبع الصراع بعد ذلك بطابع صليبي صارخ لم يكن واضحا حتى ذلك الوقت . وربما دلنا على مدى ما أبقاه صنيع المنصور في نفوس المسيحيين من شهوة الانتقام ما يقصه علينا التاريخ بعد ذلك حينما سقطت قرطبة في يد ملك قشتالة فرناندو الثالث Fernando III (في سنة ٦٣٣ / ١٢٣٦) ، اذ أنه بادر بنزع ثريات المسجد الجامع وأمر بتحميلها على ظهور أسرى المسلمين لكي يسيروا بها الى شنتياقب حيث اتخذها نواقيس للكنيسة العظمى من جديد . وهكذا نرى كيف دفع الشعب الاندلسي المسلم ثمن عمل توج به المنصور شعبيته وان لم تكن له فاعلية حقيقية .

٤ - المسألة الرابعة ولعلها أخطر من ذلك كله هو أن الجيوش التي استخدمها بنو أمية من قبل كانت من صميم الشعب الاندلسي . ولم يكونوا يعتمدون من المرتزقة المستجلبين من خارج البلاد الا على نسبة ضئيلة لا تؤثر في ولاء الجنود لبلادهم وحكومتهم . ولم تبدأ هذه السياسة في الاختلال الا في أيام الحكم المستنصر الذي استكثر من المحاربين البربر القادمين من الشمال الافريقي، وكان ذلك بداية الخرق الواسع في سياسة الدولة العسكرية . فلما تسنم المنصور ذروة الحكم رأيناه - شأنه في ذلك كشأن أمثاله من المستبدين - يشك في ولاء جنوده الاندلسيين له . وهكذا يعتمد اعتمادا شبه كامل على العناصر المجلوبة من القبائل البربرية في بلاد العدوة .وكانوا محاربين محترفين بمعنى الكلمة . وبهؤلاء الجنود استطاع المنصور أن يكسب معظم معاركه .

شهادات من التاريخ

ويكشف لنا عبد الله بن بلقين آخر ملوك بني زيري في غرناطة عن هذه الصفحة فيقول :

« وتوقع المنصور من أجناده الاتفاق على بعض ما يخل بدولته ، اذ كانوا صنفا واحدا ، وتالبهم على معصية أمره متى أمر بما أحبوا أو كرهوا . فنظر من ذلك بعين اليقظة ، وسول له رأيه أن تكون أجناده قبائل مختلفة وأشتاتا متفرقة : أن همت احدى الطوائف بخروج عن الطاعة غلبها بسائر الفئات ، مع احتياجه الى تقوية عسكره والزيادة فيه بمن يستطيع على تخلل بلاد العدو وتدويخها متى شاء . فاستجلب من رؤساء البربر وحماتها وانجادها من بلغه فروسيته وشدته ، وتسامع الناس بالجهاد ، فبادر اليه من شرق العدوة من كان لهم من الآثار والمكارم والباس على النصارى ما لا خفاء به ، وبهم كان يصول ابن أبي عامر على العدو ، وهم كانوا العدة في الجيش والموثوق بهم عند اللقاء » .

وقد أحسن ابن دراج القسطلي تصوير هؤلاء المحاربين من زناته وصنهاجة وقدرتهم على الجلاد بقوله يمدح سليمان المستعين أحد خلفاء الفتنة :

وقد لمعت حوليـــك منهم أسنة
تحيل أن الحزن والسـهل نيران

أســـود هياج ما تزال تراهم
تطير بهم نحو الكريهة عقبـان

وأقمار حرب طالعـــات كأنمـا
عمائمهم فى موقف الرعب تيجان

بـــكل زناتى كأن حســـامه
وهامة من لاقاه نار وقـــربان

وأبيض صنهاج كأن ســـنانه
شهاب اذ أهوى لقرن وشيطان

وهذه الحقيقة تقودنا الى مفارقة غريبة حقا : هى أن عصر المنصور الذىحفل بالغزوات والاعمال الحربية هو الذى تضاءلت فيه الروح العسكرية بين الاندلسيين وخمدتفيه جذوة الحماسة الحقيقية للجهاد ، اذ أنهم استناموا الى اولئك المحاربين المرتزقة الذين استجلبهم المنصور ،وادى بهم ذلك الى التواكل والتخاذل كما بدا فى أحداث الحرب الاهلية وفى عصر الطوائف الذى ســادته روح الانهزام واتضعت فيه الهمم ٠

وقد تالفت من هؤلاء المحاربين فى ظل المنصور وابنه عبد الملك طبقـــة مميزة ، وادى ذلك الى كثير من العزازة والحقـــد من جانب الرعيـــة الاندلسية ، غير انه لم يظهر شيء من ذلك ابان الدولة العامرية بفضـــل ما كان للمنصور من شخصية قوية عرفت كيف تحافظ على التوازن بين العناصر المختلفة التى كانت الدولة تعتمد عليها، فلما ذهب المنصور تكشف الوضع عن مدى التنافر بين تلك العناصر ، وكان ذلك مؤديا الى انفجار الفتنة والحـروب الاهلية المدمـــرة التى مزقت الاندلس ٠

ولو أننا نظرنا الى جوانب النشاط الاخرى فى الاندلس من اقتصاد وعمران وثقافة لرايناها كلها مسخرة لغدمة اهداف المنصور وتاكيد مكانته فى نفوس الناس فى أيامه ولدى الاجيال التالية،

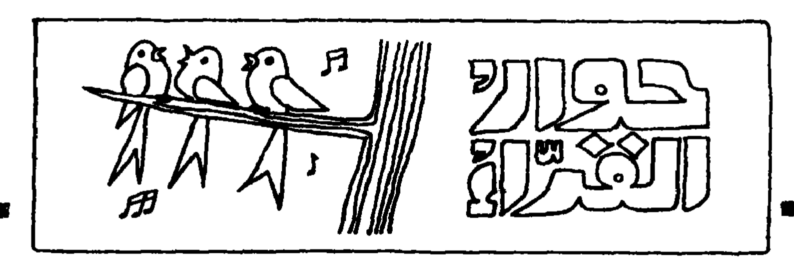
فهو يتصرف فى موارد الدولة مستبدا برايه بغير رقيب ولا حسيب ٠ ومن هذه الموارد انفق الكثير على مدينتيه الزاهرة والعـامرية وقصـــورهما ومتنزهاتهما ٠ ومع ذلك فما كان أسرع خرابهما خلال الفتنة البربرية ، وكان غوغاء أهل قرطبة حينما طمسوا معالمهما وتوزعوا انقاضهما كانوا مدفوعين الى ذلك بما حملته نفوسهم من الحقـد المكبوت للعامريين ودولتهم ، وقد عبر عن هـذا العقد احد الفقهاءالزهاد حينما جاز على الزاهرة قبل خرابها فقال كلمة تركز فيها هذا الشعور : « يا دار ، فيك من كل دار ، فجعـل الله منك فى كل دار ! ٠٠٠ » ٠

أما الفكر فلم يكن هناك مكان فى ظل الدولة العامرية الا لاولئك الادباء الذين جندوا أقلامهم للتغنى بمجد المنصور ، وهكذا تحـول الادب الى كدية تبتذل فيها كرامات الادباء من أجـــل تملق الحاكم حتى ان أديبا مثل صاعد البغدادى أصبح بمثابة مهرج يلهى المنصـــور ويضـحكه بنوادره ومخرقاته ٠

★ ★ ★

وبعد ، فقد كان المنصور بن أبى عامـــر على علاته رجلا فذا وحاكما عظيما ، رجلا عرف كيف يحيط اسمه بهالة من المجد ، الا أنه كان من طراز أولئك الحكام المستبدين الذين عرفهم التاريخ ممن نصبوا تماثيل مجدهم على قواعد مـن تضحيات شعوبهم وآلامها ، فقد مضى المنصور بعد أن خلف فى الناس سيرة كثر المعجبون لاجلها به فى حياته، والباكون عليه بعد مماته ، ولكن الاقلين هم الذين فطنوا الى جناية حكمه الفردى المســـتبد على الاندلس ، حتى ان مؤرخا حصيفا بعيد النظر مثل ابن حيان يقول : « وكان أهل قرطبة على الجملة من قلة الرضا عن املاكهم العامـــريين بحال من الجور عظيمة ، الى أن وثبـــوا عليهم فاهلكوا الدولة ، وبها حان حينهم ، والله يحكم لا معقب لحكمه » ٠ ■■

الكويت ــ **محمود على مكى**



عن سقوط الكلمة

■■ القضية التي اثارها فهمي هويدي تحت عنوان « في عصر سقوط الكلمة » ،تحتاج مناقشتها الى استكمال وايضاح ۰ ذلك أن بعض المفكرين يقولون مثلا ان « التكنولوجيا » العالمية الموحدة قد رفعت التناقض بين « الايديولوجيات » ، او هي بسبيل رفعه ۰ حتى ان الاتحاد السوفيتي سيجد نفسه يدير مؤسساته في الداخل ويتعامل مع الدول في الخارج ،بنفس اسلوب الولايات المتحدة الامريكية، ثم لا يلبث ان يتماثلا في اسلوب الحكم الداخلي ايضا بعد فترة من الزمن ۰ وما زالت هذه «دعوى» لم تقم الدلائل الكافية على وقوعها او احتمال وقوعها ۰

و « الموقف » الذي يدعو المقال الى الاعتماد عليه تعبر عنه كلمة ۰ لان المواقف لا تعبر عن نفسها تعبيرا كافيا له صفة الدوام ۰ وقد ينفعل الناس بموقف في لحظة ، لكن تراهم لا بد ان يترجموا عن انفعالهم بعد لحظة بكلمة ۰ وقد تكون هناك ترجمات متناقضة للموقف الواحد ۰۰ وهكذا عدنا الى الكلمة ايضا ۰

اليس الانسان حيوانا « ناطقا » ، وفي البدء كانت « الكلمة » ، واول ما نزل من القرآن « اقرأ ۰۰ » ؟

اقول ذلك مع تسليمي مع اتجاه المقال ،واشاراته الى متاهات الكلام واحتمالات التأويل المتباينة، بل والمتناقضة احيانا ۰ واسرافنا معشر العرب في الاحتفال بالكلام ، والانفعال به والاستناد اليه ، مما يسميه بعض الباحثين الغربيين ظاهرة : ال Verbalism .

محمد فتحي عثمان

الاستاذ بجامعة الرياض / السعودية

■■ بعد ان فقدت الكلمة مدلولها وبالتالي مفعولها وتاثيرها على الناس ، امام هذا الواقع المؤلم ، اليس من واجبنا ان نتساءل : مافائدة كل هذا الذي نكتبه ونقوله ۰۰ ما فائدة هذا الطوفان من الجرائد والمجلات تصدر في وطننا ۰۰۰ ما نفع هذه البراكين من الاذاعات المسموعة والمرئية ۰۰ ما فائدة خطب الجمعة في المساجد ومواعظ الاحد في الكنائس ۰۰۰ما فائدة مبادىء الاحزاب والمنظمات والجمعيات ۰۰۰ ما فائدة كل هذه القيم المثالية اذا كانت لم تستطع ان تحول دون هذا التدهور المريع في الاخلاق والتعامل ؟ ما جدوى القول اذا كانت الهوة التي تفصل بين القول والعمل تزداد عمقا وتوسعا يوما بعد يوم ۰۰۰

هل نحن بحاجة الى نبي جديد ؟ ربما ۰

جودت زاهي حسن ــ دمشق

سلاح الخلافات العربية

العرب مستعدون للاعتراف باسرائيل ... الان يقال لنا ذلك . وهو ما يعزز الشعار الذى رفعه الصهاينة منذ عام ٤٨ ان اسرائيل وجدت لتبقى .

ولكن كيف تمكنت اسرائيل من فرض هذا الشعار .. وما هو السلاح الرهيب الذى مكنها من ذلك ؟

أهو السلاح الذى تلقته من ترسانات اوروبا وامريكا ؟

لا اظن ذلك .. بدليل ان شعب فيتنام قاوم هذا السلاح .. بل قاوم السلاح الافتك الذى تراجعت امريكا مؤخرا عن اعطائه لاسرائيل ، الا وهو القنبلة الارتجاجية ..

اذن بأى سلاح نجحت اسرائيل فى هزيمة امة تربو على المائة مليون نسمة ؟ !

هذا السلاح من صنعنا .. نحن الذين اخترعناه وزودنا به عدونا ليتغلب علينا .. فكان اشد فتكا من القنابل الارتجاجية والذرية والهيدروجينية . ان الذين اوجدوا اسرائيل فى قلب هذه الامة اوكلوا اليها مهمة تزويدنا بالمواد الخام لانتاج هذا السلاح وتزويدها به. ومن خصائص هذا السلاح انه يقتل صانعه .. والان .. هل عرفتم سر هذا السلاح الرهيب؟ انه الخلافات العربية والتمزق العربى المريع الذى ما زالت مصانعنا - والحمد لله - تنتج منه الكثير منذ نكبتنا فى الاندلس وحتى الان ..

ولهذا ، فان اسرائيل وجدت لتبقى .

محمد الهادى الاخضر
عنابة - الجزائر

هذه الوحدة الغريبة

■■ مقال الاستاذ احمد بهاء الدين « العالم ضد الوحدة العربية » ، اثار شجوننا وايقظ مشاعرنا واحلامنا التى خمدت ، حتى صارت كلمة الوحدة غريبة على اذهاننا .واحب ان اضيف الى ما قاله ان الاصابع الاجنبية لا تزال تكرس عوامل الانقسام بين امتنا ، باثارة النعرات الاقليمية والطائفية والدعوات المشبوهة لاحياء قوميات لا اساس لها مثل الفرعونية والفينيقية .

سلطان مالك التميمى
البصرة - العراق .

طرطوس وليس اللاذقية

■■ فى مسابقة العدد ٢١٨ سالتم عن اسم الجزيرة التى تقابل الميناء السورى : اللاذقية . فوضعتم اسماء ثلاث جزر: كريت - قبرص - ارواد، على ان يختار المتسابق واحدة منها لتكون هى الجزيرة المطلوبة . ولكنكم فى العدد ٢٢١ والذى نشرتم فيه اجوبة هذه المسابقة ، ذكرتم ان جزيرة « ارواد » تقابل مدينة اللاذقية السورية . وهذا خطأ .. لان جزيرة ارواد تقابل مدينة طرطوس وليس اللاذقية .

منذر خير الدين
جدة - السعودية

حلب فى الانتظار

■■ يقولون ان حلب اقدم مدينة فى العالم . لماذا لا تزورها بعثة العربى لتقديمها الى القراء العرب ، نحن فى انتظاركم .

محمد نعمان فحله ـ حلب .

لا لعودة اليهود

■■ اسمحوا لي أن اعترض بشدة على فكرة عودة اليهود الى البلاد العربية التى كانوا فيها . فليس هناك يهودى عراقي وآخر مغربي وثالث سوداني او مصرى .. او حتى يهودى امريكى . هناك يهودى فقط ولاؤه لبلد واحد هو اسرائيل .

ان الحديث عن الاستعانة بالكفاءات اليهودية فى الدول العربية حجة واهية. هل ننتظر ان يشترك اليهودى فى ٤ حروب ضد العرب ـ والخامسة قادمة ـ ثم يعود ليشارك فى بناء بلادنا ، لنواجه التحدى الحضارى الذى تفرضه اسرائيل .

كذلك فان حجة تفريغ المجتمع الاسرائيلى ، واهية ايضا . لقد قتلت حرب اكتوبر ٢٠ الف اسرائيلى ولم يتم التفريغ الذى يتحدث عنه البعض وسوف تتحمس اسرائيل لاعادة هؤلاء الى الوطن العربى ليكونوا عيونا واصابع لها .

هل اذكركم بان اسرائيل استطاعت خلال ٣٠ عاما ان تصبح على بعد ١٥٠ كيلو متر فقط من وادى لنيل و ٤٥٠ كيلو متر من الفرات ؟ وان هدفها المنشود « من النيل الى الفرات » ، لا يزال ماثلا فى الاذهان .

دكتور حامد حسان

القاهرة ـ حدائق لقبه

خطأ فى مقال

■■ حدث خطأ فى مقال « لغتنا العربية وحاجات هذا العصر » للاستاذ عبد الرزاق البصير ، الذى نشر فى عدد مايو الماضى .. اذ تضمن المقال بيتا من الشعر لحسان بن ثابت هو :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى
واسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولكن بيت الشعر نشر ونصفه لحسان ، والنصف الاخر للنابغة الذبياني وصحيح كما يلي :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى
وبداك نعاب الغراب الاسود

ونحن هنا نصحح بيت الشعر ، ونسجل الاعتذار . العربى

اسلاميات ..

■■ لماذا احتجب زاوية « اسلاميات » من المجلة بينما لا نص لنا ولا وزن ولا كلمة الا بالاسلام.

عبد البارى عبد الرحمن

سوريا ـ القامشلى .

العربى : نرجو ، تعيد قراءة « فهرس » المجلة وستكتشف ان الاسلاميات متوفرة رغم أن الزاوية التى تتحدث عنها غير موجودة .

الرياضة مرة اخرى

■■ هل انتم فى « خصام » مع الرياضة ؟ لماذا لا تخصصون لها بابا ثابتا ؟

عماد عبد الواحد

العراق ـ القرنة .

العربى ـ لسنا فى خصام مع اى شىء يمد العقل لعربى . وصفحات المجلة مفتوحة لكل مادة جيدة حتى ولو كانت رياضية .

رحلة التدوين في الاسلام

« بقية صفحة ٣٧ »

أول مدوّن لتلك الاصول ، وليكون كتابه « الرسالة » أول تدوين لعلم اصول الفقه .

وهناك روايات تاريخية تؤكد ان التدوين في علم الاصول قد ظهر قبل الشافعي على يد القاضي ابي يوسف ، يعقوب بن ابراهيم بن حبيب ١١٣ ـ ١٨٢/هـ . وكان ابو يوسف من أشهر أصحاب الامام ابي حنيفة ، ومن اوائل من الف في الفقه الحنفي ، وقد تولى اكبر منصب علمي في عصره، اذ ولاه الخليفة العباسي هارون الرشيد منصب قاضي القضاة .لكي يقوم بتنظيم القضاء والاشراف عليه ، وقد رويت عن أبي يوسف كتب متعددة ، بعضها وصل الينا واشتهر مثل « الخراج » ، وكتب في « الاختلاف بين ابي حنيفة ومعاصريه من الفقهاء » وهناك كتب اندثرت وضاعت ، ومن تلك الكتب المفقودة كتاب في « الاصول » (١٣) ، الا ان هذا الكتاب لم يشتهر في عصره ، ولم يصل الينا ، والارجح أن ذلك الكتاب لم يكن كتاب « أصول » بالمفهوم العلمي ، ولو كان تدوينا اصوليا على غرار كتاب الرسالة للشافعي لانتشر في الاوساط العلمية وبخاصة وان مركز ابي يوسف الرسمي يجعل لمؤلفاته مكانة خاصة .ولهذا فان من المرجح أن يكون هذا الكتاب ـ ان صحت الرواية عن وجوده ـ مجرد تدوين لبعض المسائل الفقهية أو لبعض الخواطر الاصولية .

المراحل المختلفة للتدوين :

مما ذكرناه سابقا تبين لنا أن التدوين قد مرّ بمراحل ثلاث :

المرحلة الاولى :

عصر ما قبل التدوين، ويمتد حتى نهاية القرن الاول الهجري ، وهذا العصر اذا لم تبدأ فيه حركة التدوين بشكل واسع فان من المؤكد انطلاقة التدوين الاولى قد بدأت فيه على شكل فردي ، كما ان علماء هذا العصر اذا كانوا يرفضون فكرة التدوين في بدايته ، فانهم ابتدءوا يتقبلون فكرة التدوين ، ويشعرون باهمية التدوين وبخاصة بعد ان تشعبت المعارف وكثرت الروايات وأصبح أسلوب الرواية والحفظ قاصرا عن الاحاطة باراء السابقين وجهودهم .

المرحلة الثانية :

عصر نشأة التدوين ويمتد هذا العصر من بداية القرن الثاني الى نهايته ، وقد شهد هذا العصر الرواد الاوائل الذين حملوا مشعل التدوين من رجال الفكر الاسلامي ، في التفسير والحديث والفقه والاصول ،من امثال الزهري ، ومالك بن أنس ، وزيد بن علي ، والشافعي ، وابي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني ، ونستطيع أن نعتبر هذه الطبقة من العلماء هم الرواد الاوائل الذين حملوا مشعل التدوين وعبدوا طريقه ، وحددوا منهجه واسلوبه ....

المرحلة الثالثة :

عصر الازدهار التدويني ويمتد هذا العصر من بداية القرن الثالث الى القرن الخامس وقد حفل هذا العصر بحركة تدوين واسعة شملت معظم فروع المعرفة وتعتبر هذه المرحلة من اكثر المراحل التاريخية ازدهارا في مجال التدوين وما يتعلق به من تقسيم وتبويب ..

الا اننا في الوقت الذي لا ننكر فيه أهمية الجهد الذي بذله علماء هذه الفترة التاريخية من حيث حسن عرضهم لآراء العلماء السابقين فاننا نلاحظ أن الخط البياني لحركة الاجتهاد والنماء قد ابتدأ يوجه الينا مؤشرات تؤكد أن التحرك العلمي يأخذ مدارا دائريا حول نفسه . مما ينبه الانظار الى ان حركة التقليد التي ابتدأت كظاهرة وفاء لآراء الائمة انتهت بالاكتفاء بتلك الآراء ، ومحاولة خدمتها عن طريق التدوين والتخريج والتفريع ، واذا كانت هناك من اضافة فلم تكن تتجاوز حدود

---

(١٣) انظر ابو يوسف ، حياته وآثاره وآراؤه الفقهية للاستاذ محمود مطلوب ص ٢٠٢ .

الشروح والتعليقات والحواشي التي لا تمس الاصول ، وانما تكتفي ببيان ما خفي من تلك الآراء ..

واذا لم تكن حركة الركود قد بدت في الفترة الاولى فانها قد سيطرت على فكر المتأخرين من العلماء واصبحت منهجا تقليديا متكاملا يحيط نفسه بقبس من القداسة والرهبة ، لئلا يتجرأ أحد من العلماء على تجاوز ذلك المنهج التكراري الذي يعتمد على الحفظ الامين لآثار السابقين ، والعكوف على اكتشاف اسرارها يشيرون اليه في عباراتهم من غوامض يعجز عنها من لم يكن من أهل العزم في هذا الفن ...

ونحن اليوم أمام مشاكل اقتصادية وسياسية وقضائية واجتماعية ، فجرتها التطورات المعاصرة ، واصبحنا نجد أنفسنا غرقى في وسط بحر متلاطم الامواج ، ومن واجب رجال الفكر الاسلامي أن يتجاوزوا مناهجهم التقليدية التي حالت دون مشاركتهم في احداث أمتهم ، وان يتمردوا على الحواجز الزجاجية التي نصبت حول مؤسساتهم العلمية لعزلها عن دورها الريادي في المجتمع ، وعليهم أن يقدموا لامتهم تصورهم الاسلامي عن كل مشكلة من المشاكل المعاصرة ، من خلال نظرة فكرية تنطلق من منطلق الاسلام ، فتطرح البدائل العلمية الممكنة في المجال القانوني والاقتصادي والاجتماعي لكل ما يتناقض مع روح الاسلام ....

ومن هذا المنطلق ستكون البداية لمسيرة حضارية متميزة الاسس أصيلة المنطلق تحقق التناسق والتلاحم بينها وبين الجماهير . . .

■■

الدكتور محمد فاروق النبهان
الرباط ـ المغرب

عندما تحدث علي بن ابي طالب عن القرآن

● في احدى خطبه الشهيرة ، تحدث امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عن القرآن الكريم قائلا :

« ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه ، وسراجا لا يخبو توقده ، وبحراً لا يدرك قعره ، ومنهاجا لا يضل نهجه ، وشعاعا لا يظلم ضوؤه ، وفرقانا لا يخمد برهانه ، وتبيانا لا تهدم أركانه ، وشفاء لا تخشى أسقامه ، وعزاً لا تهزم أنصاره ، وحقا لا تخذل أعوانه . فهو معدن الايمان وبحبوحته ، وينابيع العلم وبحوره ، ورياض العدل وغدرانه واثافي الاسلام وبنيانه ، وأودية الحق وغيطانه . وبحر لا ينزفه المستنزفون ، وعيون لا ينضبها الماتحون ، ومناهل لا يغيضها الواردون ، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون ، وأعلام لا يعمى عنها السائرون ، وآكام لا يجوز عنها القاصدون . جعله الله ريا لعطش العلماء ، وربيعا لقلوب الفقهاء ، ومحاج لطرق الصلحاء ، ودواء ليس بعده داء ، ونوراً ليس معه ظلمة ، وحبلا وثيقا عروته ، ومعقلا منيعا ذروته ، وعزا لمن تولاه ، وسلما لمن دخله ، وهدى لمن ائتم به ، وعذراً لمن انتحله ، وبرهانا لمن تكلم به ، وشاهداً لمن خاصم به ، وفلجا لمن حاج به ، وحاملا لمن حمله ، ومطية لمن أعمله ، وآية لمن توسم ، وجنة لمن استلأم ، وعلما لمن وعى وحديثا لمن روى ، وحكما لمن قضى »

كتاب الشهر





التمزق الإسرائيلي من الداخل

للكاتب الاسرائيلي : دان بين ـ آموتز

عرض وتقديم : الدكتور حمادة ابراهيم

الجحيم ليس هو العنوان العبرى للكتاب، ولكن العنوان الحقيقى يتضمن عبارة قد يعاقب القانون على نشرها بتهمة خدش الحياء العام ، ولكنه ـ العنوان ـ يعبر عن ازدراء الكاتب دان بين ـ أموتز بالمؤسسة العسكرية الاسرائيلية ورفضه العنيف لافكارها ومخططاتها • ونرجو ان يعذرنا القراء اذا كنا قد تجنبنا ترجمة العنوان الاصلى تأدبا ، لكننا نرجو ايضا ان يكونوا قد فهموا المقصود منه •

■ دان بين ـ آموتز ، مؤلف هذا الكتاب ، له وضع خاص كانسان ثم ككاتب • مع اننا لا نستطيع ان نفصل الانسان عن الكاتب لشدة التأثير المتبادل بينهما • فمعظم أعماله ان لم تكن كلها، تدور حول الصراع العربي الاسرائيلي بوجه عام ، وحول الوجود الاسرائيلي نفسه بوجه خاص • واذا كان بين ـ آموتز لايعارض في اقامة دولة اسرائيل ، الا انه لا يؤيد حكومته في كثير من مواقفها : فهو مثلا ممن يطالبون باعادة الاراضي المحتلة الى اصحابها العرب الامر الذي اثار ضده المتطرفين منجهة وعرضه لضغوط معينة من جانب الدولة ، وبالذات دايان الذي تربطه بالكاتب كراهية سافرة بلغت حدا جعل بين آموتز يرفض الاشتراك في حرب اكتوبر ١٩٧٣ • ولمنع اراقة ماء الوجه ، اصدر دايان قرارا بمنع الكاتب من الاشتراك في الحرب •

وكان من الطبيعي ان تؤثر هذه الظروف التي يعيشها الكاتب على انتاجه وعلى تداول مؤلفاته داخل وخارج اسرائيل ، وكذلك على ترجمتها الى اللغات الاخرى •

وتقول الموسوعة اليهودية في مجلدها الرابع تحت مادة « بين اموتز ، دان » ان الكاتب ولد في بولونيا عام ١٩٢٣ ولكن الذي لا تقوله الموسوعة هو ان بين اموتز لا يصرح باسمه الحقيقي الذي ولد به ، فالاسم الذي يحمله الان اسرائيلي وليس بولونيا ، كذلك تغفل الموسوعة ، وهذا ما عرفناه اخيرا خلال وجودنا في ايطاليا ، ان الكاتب كان في ايطاليا عام ١٩٤٨ . وتم القبض عليه بتهمة تهريب السلاح لحساب الهجاناه في فلسطين ، ثم القى به في السجن ولم يعد الى فلسطين الا بعد انتهاء حرب ١٩٤٨• كما انه عمل مراسلا عسكريا في حربي ٥٦ ، ١٩٦٧ • وبعد ذلك بدأ يكتب القصص القصيرة• ثم عكف على تقديم بعض الندوات العسكرية من الاذاعة الاسرائيلية • ومن خلال هذه الندوات بدات معارضته الشديدة للحكومة على الهواء وفي الصحف •

ومن مواقفه التي اعلنها خلال المحاولة التي كانت تبذل للفصل بين القوات ان أي اتفاق مع العرب خير من لا شيء •

تقع احداث الرواية ، وهي أقرب الى معنى الرواية في اللغة العربية ، بعد حرب ١٩٦٧ وقبل حرب ٧٣ فهي تؤرخ لفترة ما بين الحربين ، حيث كانت اسرائيل تعيش انتصارها الثالث والاخير •

ويقع الكتاب في حوالي ثلاثمائة صفحة في الطبعة العبرية ، ويقسمه المؤلف الى ثلاثة اجزاء ، الا اننا نجد من الاوفق عرضه في جزأين • الاول • يمكن ان نطلق عليه « ما قبل المأساة . والثاني « ما بعد المأساة » واذا كانت المأساة هنا هي مأساة بطل الرواية « رافي » الذي يتقمصه المؤلف ، الا اننا لا نلبث ان ندرك انها مأساة شعب بأسره • والمؤلف لا يحاول اخفاء ذلك ، بل على العكس ، يصرح به حينا ويصرخ به في اغلب الاحيان •

وتدور الاحداث حول شاب يصاب أثناء حرب الاستنزاف في عملية ضد الفدائيين ، اصابة ينتج عنها شلل نصفي ، الامر الذي افسد عليه حياته وحياة ذويه ، حتى انه يفضل الموت •

١ ـ قبل المأساة
اليوم خمر وغدا أمر

في الجزء الاول ، والذى تعارفنا على تسميته « ما قبل المأساة » ، يعرض المؤلف من خلال علاقاته باصدقائه ، للحياة التي يحياها الشبان في اسرائيل ، ومن المفروض انها منتصرة ،غير انها حياة ابعد ما تكون عن حياة شعب منتصر، او بمعنى اصح ، جدير بالانتصار • خمر ،حشيش، افيون ، كوكائين ، نساء ، شذوذ جنسي ••• وكل ما حوى قاموس الفساد والعربدة والفجور• ليس ذلك احتفالا بالانتصار ، وانما ، وكما يقولها البطل « كنا ونحن ما نزال في المدرسة ،ندرك تماما انه لا مفر من ارسالنا الى جبهة القتالفي يوم من الايام ••• » لا مفر من ذلك ••• انه القدر « كل شاب يدرك تماما ان الدائرة ستدور عليه لا محالة » اذن فلينعم بيومه قبل فوات الاوان ؟

ويلخص المؤلف حياته تلك ، وهو في ذلك يعبر عن واقع جيل بأسره ، « ••• اردت ان احتسي الحياة حتى الثمالة ••• قبل ان التحق بالخدمة العسكرية ••• قبل ان تظهر صورتي في باب الوفيات في احدى الصحف ••• وليذهب الجميع الى الجحيم،أرضاهم ذلك أم أسخطهم ••»وقد حملت معي أكداسا من الحشيش ومن جميع أصناف «الكيف»

.. انام متاخرا ، وافيق عندما يحلو لى .. مع كل فتيات المدينة ، الشقراوات والسمراوات الزميلات والغريبات ، المتزوجات والانسات والمطلقات ، الارامل ، والشابات والناضجات... الكاسيات والعاريات .. قبل ان ادرج فى « جمعية الموتى » او « المأسوف عليهم » . وامعانا فى هذه الحياة يفضل صاحبنا ان يعيش بعيدا عن اهله . والديه الشيخين . وهما من جانبهما يحاولان جهدهما استبقاءه ويبديان استعدادهما لتحقيق كل رغباته ، حتى الفتيات . لا مانع من اصطحابهن الى البيت اذا شاء . ولكن دون جدوى . فهو عازم على المضى فى طريقه الذى رسمه ، والذى يتمثل فى هذه الصرخة التى يطلقها لتمزع الشيخين : « اسمعوا انه آخر صيف لى ... واريد ان اعمل كل ما تتوق اليه نفسى ... دعونى »

محراب الشيطان

« يرمى » هو اعز اصدقاء « راقى » بل هو معبوده الذى لا يكف عن الثناء عليه وامتداح خصاله والتعبد فى محرابه . ففى بيت هذا الصديق قابل اغلب الفتيات اللاتى تعرف اليهن فى ذلك الصيف . ولنتركه يقدم لنا هذا البيت: « الواقع انه كان اكثر من بيت للسكنى . كان ناديا . ومطعما ومحطة . منزل لقاء و « غرزة » حشيش ، وسينما ، ومدرسة ، نعم مدرسة على الاقل فى ذلك العصر . كان اهم مدرسة اختلفت اليها ... هناك ، وفى خلال شهرين فقط ،تعلمت من الانجليزية اكثر مما تعلمته طوال فترة الدراسة الثانوية » .

ولكن عند « يرمى » لا يتحدثون الانجليزية وحسب ، بل يتحدثون الفرنسية والهولندية والسويدية « امم متحدة مصغرة » هيبيز من القدس، ومن ايلات ، ومن شتى انحاء البلاد . طلاب وفنانون وصعاليك ، ومانيكانات وموظفات. وفى كل يوم حفلة ، كل يوم شىء جديد . وقد اطلق « يرمى » على حفلاته اسم « الزيجات » . وهو لا يصادف فى طريقه صديقا الا دعاه الى حفلة زواج الليلة . وطلب منه ان يحضر معه فتاة .

واكثر ما يعجبه فى صديقه انه « لا يعيش الا اللحظة الراهنة ، على اكثر تقدير يوما بيوم »..

« واذا ما سالته عما سيعمل بعد يومين مثلا ، نظر اليك مشدوها دون ان يدرك ما تريد . وكانك مجنون . فكيف يمكن ان يعرف ما سيصنعه بعد يومين ، اذا كان لا يدرى ما سيصنعه فى مساء يومه » .

ومما يثير اعجابه فى صديقه الذى يطلق عليه « خير استاذ درست عليه فى حياتى » مناقشاته المثيرة وآراؤه الحديدة . فهو مثلا لا يجد غضاضة فى القتل او السرقة او الانتحار ، او فى قيام علاقة جنسية بين رجلين او فى ممارسة المراة للدعارة « أليس ذلك اكرم لها من ان تقضى نهارها تكد وتشقى نظير قروش معدودات » .

كذلك فما امهره فى شئون النساء . وهو لايفرق بينهن لا فى الدين ولا فى الجنس ولا فى الاصل. ولا حتى فى السن . بل ولا يهمه الجمال . يغازلهن جميعا حيثما صادفهن ، فى الشارع ، فى المقهى ، عند البقال ، فى الباص ، كذلك لا يهمه ان مالت صديقته لشخص آخر ، بل ولا يبالى ان رآهما يتحابان فى حجرة نومه . واكثر من ذلك فهو الذى يدعوهما الى ذلك ويشجعهما عليه . وينتهز الكاتب هذه الفرصة ليستعرض غرامياته. وقائمة الفتيات اللاتى تعرف اليهن ، والمناسبات التى جمعته بكل منهن ، وكيف بدأت علاقته بكل واحدة . وماذا كانت ترتدى ، وماذا بينهما من حديث . وهن كثيرات لا يحصى لهن عدد . ففى بيت صديقه ، اذا ذهبت واحدة جاءت غيرها كثيرات . « كان الناس رجالا ونساء يتوافدون بلا انقطاع ، حتى ان احدهم أطلق على البيت « المشاع الاجتماعى الجنسى » أى ان الجميع يعيش مع الجميع ، والجميع يصنع للجميع كل ما يريده الجميع » .

هو العرف السائد

ولكن اين الشرطة من كل ذلك ؟ لقد اتخذ اهل الوكر كل احتياطاتهم ، خصوصا بسبب الحشيش ربما لانه الممنوع الوحيد . كانوا بالذات يخافون الشرطة . كان الباب حصينا ولا يفتح لاى طارق الا اذا تأكدوا من شخصيته . وكانوا يتوقعون دائما مباغتة المباحث الخاصة بمكافحة المخدرات . ولذلك كانوا يحتاطون للامر . فقبل فتح الباب ينظر الصديق المكلف بالمراقبة من العين السحرية ، فاذا كان الزائر شخصا غير معروف لهم او مشكوكا

فى امره واستمر فى الطرق ، وحتى اذا لم يصح قائلا : افتحوا ، الشرطة ، يصيح الصديق المراقب قائلا « اثنان وعشرون » وفى الحال يتم التخلص من الحشيش واوراق السجائر ، والبايبات واعقاب السجائر ، فيجمع كل ذلك فى دلو يهال عليه الرمل ، ويلقى به من النافذة الى الحديقة خلف المنزل . ويعلق الكاتب على هذا الاسلوب ساخرا « لسنا نحن مخترعى هذه الوسيلة ، وانما هى الطريقة المتبعة فى البلد كله » .

ثم ينبرى مدافعا عن الحشيش ، ممجدا له ، ويبين كيف انه افضل من غيره من المكيفات ،ويحنق على اخيه لانه غير مدمن . ثم ينتقل الى الحديث عن الخيالات والصور التى يهيئها الحشيش لمريديه وذلك فى اعجاب شديد حتى انه يتساءل : « اذا كانت الدولة لم تحرم الانتحار ، فكيف تحرم « الكيف » .

« نيرا » والخصوصيات بعد العموميات :

بعد هذه العموميات التى تصور « الجو » الذى يعيش فيه الشبان داخل اسرائيل ، تاتى علاقة « رافى » بنيرا ، الفتاة التى صادفها على الطريق، تاتى هذه العلاقة لتكمل لنا الصورة بالخصوصيات. ولعل الاستطراد قليلا فى هذه العلاقة من ناحية وعلاقته باهله من ناحية اخرى ، يكمل لنا صورة الحياة داخل اسرائيل ، باضافة جانب العلاقات الاسرية بعد استعراض حياة الشبان خارج نطاق الاسرة .

كانت نظرة ، فعلاقة ، فاقتراح ، بالاقامة معه فى حجرته التى استاجرها بعيدا عن اهله . « فقبلت من فورها فرحة سعيدة.. ولكنها اضافت انها غير واثقة من انها ستستطيع ان تقضى معه كل ليلة ، خشية ان يسبب لها اهلها بعض المضايقات . ولكن الذى تستطيع ان تؤكده هو انها يمكن ان تبيت عنده من آن لآخر » . وقد اتفقت تلك الفترة مع استدعائه فى الجيش ،فكان ينعجل الحصول على تصريح الخروج الاسبوعى حتى يراها . والغريب انه لم يفكر فى زيارة اهله ، بل ولم يحاول ان يكتب اليهم فى حين انه كان يكتب لنيرا ويصارحها بما يدور فى المعسكر وعما يصادف من سخافات الرؤساء . « ومن الطبيعى اننى لم اكن استطيع ان اكتب كل شىء فكنت اتحمل على مضض حتى اخرج » .

وما ان حصل على التصريح ، حتى اسرع الى حجرته فوق السطح متلهفا لرؤية نيرا وحينما لم يجدها يقرر ان يستقل الطائرة ليسافر اليها فى ايلات. «وليكلف ذلك ما يكلف من النفقات» مع انه غير واثق من وجودها عند اهلها. فيهتدى الى فكرة وهى ان يتصل بوالدها فى صيدليته . فيخبره هذا انها ذهبت لقضاء الليل عند صديقة لها لا يعرف اسمها ولا عنوانها . هنا فقط يغير رايه ويذهب لقضاء الليل عند اهله ، ليس شوقا اليهم ،وانما لانه لا يستطيع قضاء الليل فى حجرته من غير نيرا . ويقضى الوقت معهما على مضض . ضيقا بما يبديان نحوه من نبيل العواطف وشديد الحب حتى انه يتندر على امه ساردا بعض مظاهر هذا الحب خصوصا اذا اصطحب فتاة الى البيت بحجة الدراسة معا . وهو ينفر من أبيه لما يقص عليه من آيات البطولة الزائفة خصوصا حينما يدعى له انه اصيب بالصمم من عملية ضد الفدائيين فى حين انه اصيب به وهو فى عقر داره . وهنا يفيض به الكيل من سخافات والده ، يكيل له السباب ، وهو لا يسمع شيئا او يدعى ذلك ، وحينما يتدخل الاخ الاكبر ويصفعه على وجهه ، تنشب معركة بين الشقيقين .

الجيش ، كان معبوده المقدس .. ثم ؟

فى البداية كان « رافى » شديد التعلق « بجيش الدفاع » واستمر ذلك ستة اشهر . « كان بالنسبة لى اشبه بالعمار المخدر ، كان عالمى الصغير المنظم فى ادق دقائق الامور ، وكان مجرد الشعور باننى انتمى الى هذا الجهاز الضخم ، الذى يعمل بمنتهى الدقة وباقصى الفاعلية ، يمنحنى احساسا غريبا بالرضا والسعادة بل لقد فكرت فى الاستمرار فى الجيش ، ولكن ، شيئا فشيئا ، بدات اتساءل ، وبدات الشكوك تدب فى صدرى » لماذا ؟ « شاهدت مرة ابادة احد المنازل فى احدى القرى العربية (فقد وجدوا فى المنزل بعض الاسلحة) كانت تلك اول مرة بالنسبة لى. لم يتحرك لى ساكن . وتقبلت الامر على انه عملية انتقام طبيعية . ولكننى لم استطع ان امحو من خيالى تلك الصورة التى اصبحت تؤرقنى على الدوام : وهى صورة الاسرة المنكوبة وهى تجلو عن القرية ، مع جميع سكانها ، تاركة وراءها المنزل ، ذلك المنزل الذى كان قبل

دقيقة واحدة منزلها ، بشرفته وستائره التى كانت تتماوج من النافذة ، والذى لم يعد الان ، وبعد دقيقة واحدة سوى كومة من الحجارة وسط سحابة من الغبار • وما لبثت صور اخرى ان تتابعت ، لتضاف الى هذه الصورة ، تذكرنى كلها بعمليات العنف التـى تنفذها جيوش اخرى فـى مناطق اخرى » •

ثم يتعجب الكاتب لان مثـل هذه العمليات لا تتعرض لها الصحف بقدر ما تتحدث عنتصريحات رئيس الوزارة ووزير الدفاع عن« رغبتنا الصادقة فى اقامة سلام دائم واجراء مفاوضات مبـاشرة دون شروط سابقة » • « كل ذلك نفرنى شيئا فشيئا من الجيش » •

وتشاركه « نيرا » صديقته فى هذا السخط على الجيش • فحينما « يفرغ امامها ما تراكم على صدره ، تمفز نحوه وتقبله فخورة به » « هنالك فقط ادركت ان الكيل قد فاض بها هى ايضا »وفى موضع آخر يلخص « رافى » موقفه من الجيش فى هذه العبارات : « لقد فاض بى من هذا الجيش ومن كل هؤلاء الرؤساء الذين يدفعون بالجنود كاللعب الى الغام الديناميت التى لا يخرجـون منها ••• لا بد من احد ليغلق الى الابد هـذا الصنبور ، صنبور الحقد والكراهية ، والرعب والدماء » •

ورغم كل ذلك ، فقد كانت تلك الفترةبالنسبة لرافى اجمل ايام حياته، وذلكبسبب علاقته بنيرا• فقـد عاش معها فـى سعادة غامرة ، كل اجازة اسبوعية فى مكان مختلف • ولكن فجاة ينتهىكل شىء •

٢ ـ بعد المأساة

الاصابة ويقظة الضمير :

فى احدى العمليات ضد جماعة من الفدائيين، يصاب رافىبرصاصة تخترق رئتيه وتنفذ منالعمود الفقرى فينتج عنها شلل نصفى للاطرافالسفلى• وتفصيل الحادثة ان الفدائيين كانوا يختبئونفى مغارة ، فباغتتهم وحدة من المظليين الاسرائيليين وحاصرتهم داخل المغارة ، ثم طلب قائدهم من احد الجنود ان يصيح بالعربية طالبا من الفدائيين الخـروج وتسليم انفسهم واعدا اياهم بحسـن المعاملة • ومرت لحظات دون اجابة • ثم فوجىء قائد الوحدة « برافى » ينهض ويقترب منههامسا له بشىء فى اذنه ، وعندئذ انطلقت رصاصة من داخل المغارة اصابته ، فيامر رئيس الوحدةبابادة كل من فى المغارة ، فلم يخرج منها احد •

بعد ذلك نعرف ان سبب نهوض رافى المفاجىء، انه سمع صوت طفل فى المغارة • فهذا زميله « موليك » يروى عنه قائلا : « قال لى انه لم يشا ان يطلق النار جزافا داخل المغارة ، لانه سمع صوت اطفال » ثم يعقب زميله قائلا :« هى حيلتهم المفضلة التى يستعملونها دائما : يتحصنون وراء النساء والاطفال • ثم يتعجب موليك من موقف رافى الذى « لم يكن قبل ذلك متعاطفامع العرب ، ولم يكن لديه اية مشكلات من هذاالقبيل»

وهذا دادى زميل اخر • يتحدث عن هذا التحول فى موقفه من العرب :

« شاهدته على النقالة ، بعد اصابته بنصف ساعة ، فى انتظار اجلائه • وتبادلت معهالحديث• كان فى تمام وعيه وادراكه • قال لى انه لم يكن من الضرورى ان يطلقوا الرصاص على الاطفال• كان منالممكن ان ينتظروا لانهم كانوا سيستسلمون فى النهاية • ولم افهم عما كان يتحدث • لقد حدث له شىء فى تلكالايام الاخيرة • فقدلاحظت عليه بعض التحولات قبل اصابته بعدة اسابيع ، دون ان ادرك كنهها • ولم يكن هو وحده الذى يتساءل « ما نهاية كل ذلك ؟ » • ولم يعد فخورا كما كان•وكان جلوفته كئيبا•وقد سالته عدةمرات عما حدث ، فكان يتجنب الرد على اسئلتى ••• على اية حال لم يعد كما كنا نعرفه • كانيحارب ولكن بلا حماس • وحينما لا يكون الجندىمقتنعا بالقضية التى يحارب من اجلها ، فانـه يكـون كالمجروح ولا بد من سحبه »

الا ان اغرب رواية هىتلك التى نقلها «موليك» واعجب ما فى الامر انه لم يكن هناك اطفال داخل المغارة « لقد خيل اليه فقط انه سمع اصوات اطفال • ولم اقل له ذلك ، حتى لا ازيده هما على هم » •

ولعل اهم تعليق على هذه الاصابة هو ما صدر عن والده : « اننى لا اشكو ولا اتبرم ، فهوالثمن الباهظ الذى ندفعـه ولكن علينا الا ننسى ان الحرب لم تنته فى عام ١٩٦٧ انها مستمروعلينا ان ندرك انها سوف تستمر لسنوات اخرى ،لاننا نحارب من اجل وجودنا• »

ولا يستطيع الوالد ان يقدم لابنه من العزاء والسلوى الا الكلام . ولعل في قوله راحة لكل من هم على شاكلة الابن : « كان من الممكن الا تكون نصف مشلول فقط ، وانما بالاضافة الى ذلك ، تفقد نور عينيك . وتصور حينئذ انك لن ترى الاشجار والازهار والسماء والالوان، ولا وجه نيرا . وكان من الممكن ان تفقد السمع ايضا ، وعندئذ لا « موزار » ولا بيتلز ، ولا شدوالطيور ولا حفيف الاشجار ، ولا الراديو . وكان من الممكن ايضا ان يكون شللك كاملا ، وعندئذ يجب اطعامك كالطفل الرضيع . انت الان على الاقل بنصف ينبض بالحياة ... النصف الذي يضم آلة التفكير . فبخيالك تستطيع ان تجري وتقفز ، وتبلغ الاماكن التي لن تستطيع الانسانية بلوغها ولو بعد آلاف السنين . ولديك يدان بهما تستطيع ان ترسم وتكتب وتصور . ولك اذنان ، اذا فتحتهما تستطيع ان تسمع مالا يستطيع ان يسمعه ذوو السيقان السليمة . ولك فم تستطيع به ان تقول ماتريد ، فتبرىء مريضا بكلمة ، وتقتل سليما بأخرى . أهم من ذلك كله، ان تتصالح مع نفسك ، وتتراضى معها . ذلك خير لك من كل نصائح الوجود » ولكن « رافي » لا يريد الا ان يموت ، ويطلب من والده الانصراف .

محاولات لقهر العجز :

حاول رافي ان يتغلب على المصاب . من ذلك انه قرأ مرة في احدى الصحف ان بعض الحشرات حين تفقد احد اطرافها ، فانها تستولد بدلامنها اطرافا جديدة ، وفي فترة وجيزة . فيقرر ان يجري التجارب ، اولا ليسلي نفسه ، ولكن الامر لا يلبث ان يصبح جادا . فقد بدأ يصطادالفراش والجراد والسعالي وقد ساعده في ذلك زملاؤه من الجرحى ، ثم ينزع اطرافها او ذيولها ، ويضعها في علب قريبا من فراشه ثم يقوم كل يوم بتسجيل ملاحظاته عما يطرأ عليها من تغييرات .

ولكن « رافي » لا يلبث ان ينصرف عن هذه الهواية ، ليعود الى هوايته القديمة في التصوير، فهو مصور ماهر، غير انه يقتصر الان على تجميع صور مشوهي الحرب ، وهو يلتقط لهم الصور المنفرة والتي تظهر الاخرين وهم في حالة تقزز او نفور. وهكذا جعل من هذه العملية شغله الشاغل في المستشفى ، فهو كل يوم يتصفح الجرائد ويقص منها الصور ثم يقوم بتصنيفها في مظاريف : الغام ـ قنابل ـ رصاصات طائشة ـ معارك ، كوارث . ثم راح يطلب من اهله وزملائه ان يزودوه بالجرائد القديمة .

وهو لا يقف عند حد جمع الصور وتصنيفها بل انه يفكر في جمعها في البوم على أمل ان تقوم وزارة الدفاع بطبعه ونشره . وتوضح له زوج اخيه استحالة مثل هذا المشروع ، اولا ،لان الدولة لا تريد ان تضعف الروح المعنوية عند الشعب، ثانيا لان الناس انفسهم لا يحبون رؤية المشوهين عن قرب ، لان ذلك يشعرهم بالذنب .

« هل تتصور ان احدا يمكن ان يشتري البوما هذا ليقدمه هدية لاسرة ابنها في الجيش، او لشاب على وشك الاستدعاء»؟

ولكنه يصر على رأيه ، ويستمر في ممارسة الهواية ، بل انه يتخيل جمهور المتفرجين وهو يدعوهم الى مشاهدة الالبوم : « اقتربوا ايها السيدات والسادة ، اقتربوا اكثر واكثر . هذا ما يعدونا به ـ ولسوف يكثر عددنا حتى نشكل حزبا ونحتل مكانا في البرلمان . ان منظمة المشوهين تبلغ الان عشرة آلاف عضو . اننا لم نمت . وهذا ما يؤسف له . ولكنه في الواقع نحن على قيد الحياة ، وهذا ما أريد أن أقوله في هذا الالبوم. « ثم يرتجل مقدمة للالبوم : » ايها السيدات والسادة ، هكذا سيكون مصير ابنائكم خلال عام او عامين . هذا البوم المستقبل الاسود ، تصوير المرحوم رافي ليفين » .

واذا كان له ان يختار طريقة لتخليد ذكراه غير الالبوم ، فهي ان يقوم ابوه من بعده بفتح بيت للدعارة باسمه للمشوهين في مركز التأهيل بالمستشفى ، وهو يقترح ان يوضع فوق كل سرير صورته بين صورتي جولدا مائير وديان . وهو يرى ان هذا المشروع افيد للمشوهين من كل الادوية والعقاقير . وهو خير من كل عمليات تخليد الشهداء التي تقوم بها الدولة ، « هذه الدولة العاهر ليست سوى تذكار كبير » ... « لا اعتقد ان دولة في العالم يشغلها الخلود كما يشغل اسرائيل . فنحن نخلد الذين سقطوا في ساحات القتال . ونخلد ذكرى الكوارث والانتصارات والمعارك والحروب ، وعصور الرخاء والقحط ، ومولد العظام ووفاتهم .. ان الخلود يشغلنا ٣٦٥ يوم في السنة بل ان

هناك متخصصين لهذه العملية،هؤلاء المتخصصـون يقضون وقتهم في تحرير الرسائل التي يبعثون بها الى المؤسسات اليهودية في الولايات المتحدة يقترحون عليها مشروعات للتخليد •

عجــز مفيـد :

تحت هذا العنوان الساخر يعدد الكاتب المزايا التي تمنحها الدولة للمصابين في الحروب تشجيعا للشبان على الاشتراك فيها ،وهذه المزايا يتضمنها كتيب « تعويض مشوهي الحرب » الصادر عن وزارة الدفاع • ـ سيارة طبية : المصاب بالشلل او مبتور الساقين يحصل على سيارة طبية خاصة مكيفة تبعا لحالته •• وتكون ملكا للدولة ، ويكون المصاب مسئولا عن صيانتها ، ويمنح بدل صيانة لمسافة ١٥٠٠ كم في الشهر •

ـ يحصل المصاب على دروس في القيادة ،اما العاجز الذي لا يستطيع القيادة بنفسه • فيمنح سيارة يعودها له قريب يسكن معه •

ـ للعاجز الحق في كرسيين متحركـين ، وفـي بعض الحالات له الحق في كرسي ثالث •

السكن ـ يوضع تحت تصرف العاجز سكن خاص مناسب ، ويمنح اذا شاء ، قرضا لشرائه ـ بدل تدفئة ـ للعاجز الحق في بدل تدفئة يصل الى ٨٠ ليرة في الشهر •

ادوات منزلية ـ عند تركه المستشفى • يمنح العاجز الادوات المنزلية الاتية :

ـ ثلاجة كهربائية صناعة محلية سعة ٧ر٥ قدم•
ـ غسالة صناعة محلية تستبدل كل ست سنوات•
ـ مكنسة كهرباء صناعة محلية به جهاز للتدفئة •
ـ منحة تبلغ ألف ليرة لشراء الاثاث •
ـ سرير ماركة « ...لر » او سرير اخر بنفس القيمة
ـ منحة لشراء الملاءات والمفروشات تصل الى ٧٠٠ ليرة •
ـ ملابس قيمتها ٢٢٥ ليرة ابتداء من السنة الثانية•

بدل اصطحاب : ـ للعاجز المصاب بشلل نصفي الحق في بدل اصطحاب شهري يبلغ ٢٧٠ ليرة اذا كان اعزب و ١٧٠ ليرة اذا كان متزوجا •

ـ للمصاب بشلل نصفي ، بالاضافة الى ذراع واحدة الحق في بدل اصطحاب شهري يصل الى ٤٥٠ ليرة اذا كان اعـزب و ٣٦٠ ليرة اذا كان متزوجا •

معاش شهري : يحدد على اساس مرتب موظف من الدرجة الثامنة •

منحة خاصة :للمصاب بشلل تصل نسبته الى ١٠٠٪ الحق في منحة شهرية تبلغ ١٥٪ من المعاش الشهري بحد اقصى مرتب جندي احتياط اي ١٥٠٠ ليرة•

هذا بالاضافة الى امتيازات اخرى كالاعفاء من الضرائب على الاثاث والادوات المنزلية وتخفيف الضرائب على الدخول وضرائب البلدية وعوائد العقارات • كذلك يمنح العجزة بطاقات شراء مخفضة من محلات الجيش •

لذلك فالموت أفضل

ورغم ذلك ، فالعاجز حانق على الدولة كل الحنق لانها تريد ان تتخلص منه حتى لاتتحمل كل هذه الاعباء ، ولافساح المكان لغيره في المستشفيات « مت ولا تعد الينـا • ليس لك مكان عندنا • فالمصابون الجدد في انتظار سريرك • والذين لم يصابوا بعد في انتظار الاصابة • لا يمكن ايقاف الالة • ففي وادي الاردن ، وعلى شواطيء القناة، وفي الطرق ، يزحفون بلا اذرع وبلا سيقان نحو المستشفى »

انها تتمنى لهم الموت ، فهم عبء على الميزانية وعلى الضمائر ، وعلى ذويهم ايضا •

« الموت نعم ، اما العجز فلا • لسبب بسيط، وهو ان الموت لا يكلفنا كثيرا • انت عبء على الدولة ، ايها القعيد ـ انت عبء ثقيل علـى ميزانية وزارة الدفاع • انت عبء على الخزانة، عبء على الضمائر • لقد علمناك ان « تموت في سبيل الوطن » ان تموت • ولم نعلمك ان « تصاب في سبيل الوطن » او ان« تعجز في سبيل الوطن » كان عليك ان تدرك المقصود ، المستتر، والا تعود من ساحة القتال بهذه الحالة • اذهب، اغرب عن وجوهنا ، مت • ألم تسمع بهذه العبارة الحلوة ؟ « لم يعد له وجود » ذلك ماكان يجب عليك ان تكونه الان :« واحد لم يعد له وجود •• وبذلك تحفظ لك الدولة هذا الصنيع ، حتـى اسرتك ، يا صاحبي تشكرك ، اذا انت قضيت ولم تعد اليها في هذه الحالة • هل تدرك مـا تسببه لها الان • انك تثقل عليهم ، تنفرهـم وتقززهم ، اكل وشرب وعناية وضرائب بسببك• اسرع عجل بالموت ترح الجميع » •

لعبة الحــرب :

واذا كانت الدولة تثير حنقه ، فالاسباب تدور حول لعبةالحرب واستغلالها من جانب المسئولين. ففي الحرب حياة اسرائيل وهي تدرك جيدا ان « الحرب هدية من الله»«فاذا لم نكن محاطين بكل هؤلاء الاعداء ، لكان علينا ان نخترعهم » ... « الحمد لله الذى قضى علينا بالحرب»... « من حسن حظنا اننا لم يكتب لنا ان نعيش فى سلام مع العرب » واذا كانوا لا يعترفون صراحة بذلك، فذلك هو تفكيرهم جميعا : وزير الدفاع ، ووزير التربية ، ورئيس الوزراء . « بسبب العرب فقط، استطعنا ان نجعل من هذه الاشتات التى وفدت من سائر اركان الدنيا ، شعبا ، شعبا كغيره من الشعوب ، له لغته وله ثقافته وله نشــــيده الوطني ، وله علمه وكل ما خلا ذلك من المظاهر الخارجية للدولة ذات السيادة » .

ثم يعلنها الكاتب صريحة ، ولكن فى مرارة ، « لو كان هؤلاء العرب السذج يتمتعون بشيء من الدهاء لعرضوا علينا السلام دون اهتمام بمشكلات الحدود . ولتغلوا عن كل ما نريد : ســيناء والجولان والضفة الغربية قائلين لنا : خذوا كل ما تريدون ، اختنقوا بكل هذه الاراضي ورمالها وحجارتها . ولنقم السلام ، ولكن السلام الحقيقي: السلام على مدى قرنين او ثلاثة قرون . لــو فعل العرب ذلك لتمكنوا خلال عشرين او ثلاثين عاما فقط من ابتلاعنا وتصفيتنا روحيا وثقافيا وحضاريا ، ولو فعلوا ذلك لما تبقى اثر من شعب اسرائيل ـ لكنهم سذج .

والكاتب لا يبالغ حينما يقول ان فى الحــرب استمرارا لكيان اسرائيل ووجودها . فهو يرى ان فى الحرب محافظة على مناصب القادة اولا ، لانه فى اليوم الذى ينتهي فيه كل شي ويســود السلام ، لا يصبح هناك معنى لوجودهم ، ثانيا « الدعاية » . فحينما يقوم العرب بقصف احدى المستعمرات اليهودية ، فانهم يقدمون لنا اجل خدمة ـ فقتل جندى فى معركة ، لا يهم . امـا صورة قذف منزل فى مستعمرة ، او مقتل بقرة تظهر صورتها فى احدى الصحف ، خير دليل للعالم اجمع عن السبب الذى نحارب من اجله . اولاء نحن نحارب دفاعا عن انفسنا ، ثم ان حربنا شرعية لاننا نريد ان نزرع الارض ، نحن لا نريد الا ان نجنى قوتنا بعرق جباهنا ، لا نريد الا ان نصلح الصحراء . فلماذا يهاجموننا ؟ لماذا يرفضون يدنا الممدودة . ؟

كذلك فهم يرسلون للاقامة على الحدود اسـرا شابة باطفالها ، وذلك « حتى نطالب العرب بهذه الكيلومترات من الارض عندما نجلس معهم حول مائدة المفاوضات«لسبب بسيط«وهو اننا لا يمكن ان نتنازل عن هذه الاراضي لان ابناءنا رووهــــا بدمائهم ، وقاموا باصلاحها وزراعتها » .

ومن ناحية اخرى فالحرب عامل هام فى توحيد الجبهة الداخلية ، الحرب فكرة عربية مفيدة على المستوى القومي ، حافز اقتصادى حيوى « فقتيل او اثنان فى اليوم ،وبعض الجرحى هنا وهناك ، شيء جميل يحفز على زيادة المواليد ، ويعضـد الوحدة الوطنية ، ويوحد الصفوف . ونشر مثل هذه الصور فى الصحف،واقامة الجنازات الوطنية، دليل للجميع على انهم يواجهون خطرا واحدا .»

اقراص الطــيران

ويضيق بنفسه وباهله وبالدولة « تلك العاهر» ولا يجد مفرا ، هو وصديقه فوجيل للهروب من هذا الواقع الاليم ، من تناول الاقراص التـى يبدا مفعولها بعد دقائق .

« وسارا عدة خطوات ، ثم رفع فوجيل بصره نحو رافي مستفسرا ، فابتسم له الاخر ، وربـت على ذراعه فى حنان بالغ . ثم ارتفعا عـــن الارض ، وسبحا فى السماء . «رافي«دون كرسيه، وقد تدلت ساقاه الميتتان وفوجيل بجانبه وقــد انفرجت ذراعاه كجناحين . وما هى الا لحظات . حتى اعتليا المستشفى كالطيور وقد بدا لهمـا المبنى جزيرة صغيرة :

فوجيل : نحن فى السماء !

رافي : انا لا استطيع السير ، لكن استطيع الطيران ، نعم شيء بسيط كالاحلام .

فوجيل : انظر ، انظر الى اسفل ، كل هــذه الخرائب ، وكل هذا الدمار .

رافي : ارى ، ارى ، نحن نبتعد عن كل ذلك.

فوجيل : ربما يكون هذا ممنوعا . وربما يمنع القانون ان نطير هكذا فى السماء .

رافي : اظن ذلك ، ولكن لا تهتم ، انظــر ها هو ذا البحر ....

نابولى ـ الدكتور حمادة ابراهيم



مسابقة العـدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمـات المتقاطعة » ٠٠ والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ٠٠ ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ٠٠ اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري أن يرفق بالاجـابة حتى تفوز بواحدة مـن الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الاتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ـ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ٠

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٢٤ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول سبتمبر (ايلول) ١٩٧٧ ٠

اذا استطعت حـل مسابقـة الكلمـات المتقاطعة ، ستجد في (٨) افقيا اسم عالم عربي شهير ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم قائد روماني شهير ٠

الكلمات الافقية :

(١) دولة افريقية ـ عالم رياضي شهير جمع الزمان والمكان في وحدة واحدة ٠
(٢) مرض من الامراض ـ مج ـ شاق ٠
(٣) حرف نفي ـ محسوس ـ في المشرب ٠
(٤) من الاحجار الكريمة ـ رحالة فارسي شهير من القرن الحادي عشر ٠
(٥) سقط ـ لا يقبلون الحلول الوسط ـ يفي ٠
(٦) ظرف مكان ـ في الطاولة ـ نقطعه ٠
(٧) نسانده ـ نصف كلمة (اجلس) ـ شتم ـ نصف كلمة (مبصر) ٠
(٨) عالم عربي شهير ٠
(٩) وظيفة ـ اسكنه ـ باستمرار ٠
(١٠) فقد توازنه ـ في السيرك ـ الاسم الشائع لثاني اكسيد السيليكون ٠
(١١) ود ـ أسلكها ٠
(١٢) يشرب ـ حرف جر ـ فقر شديد ٠
(١٣) مقام موسيقي ـ الرق ـ ردي ٠
(١٤) من الفاكهة ـ من الشياطين ٠
(١٥) ضعف ـ تغل ـ عقيدة ـ زاد ٠

١٥	١٤	١٣	١٢	١١	١٠	٩	(٨)	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
							■								١
			■				*								٢
				■						■		■			٣
■									■						٤
			■								■				٥
	■					■			■				■		٦
		■			■			■							٧
■														*	(٨)
				■						■					٩
			■								■				١٠
	■								■				■		١١
					■	■				■					١٢
			■									■			١٣
	■						■							■	١٤
			■				■				■				١٥

الكلمات الرأسية :

(١) من وزراء نابليون ـ عاصمة أوروبية ٠

(٢) من الحيوانات ـ قصة من تاليف اميل زولاـ فى الذرة ٠

(٣) وعاء ـ من الاثار الدينية بالقدس ـ حرف نفى ٠

(٤) اتمنى ـ نرافق ـ محاصيل ٠

(٥) نصف كلمة (نبيل) ـ تجرب ـ من الاقارب ـ دارت ٠

(٦) وحدة قياس زمن ـ ظرف مكان ـ ارجع ٠

(٧) من المحيطات ـ من رتب المملكة الحيوانية ٠

(٨) قائد رومانى شهير ٠

(٩) النعت ـ تحاشت ـ استمر ٠

(١٠) يشرحون ـ فى الحلق ـ يشفى ٠

(١١) نصف كلمة (نظنه) ـ حشرة ـ اهمل وجوده ٠

(١٢) حرفان متشابهان ـ من اصحاب المعلقات ـ ضمير ٠

(١٣) تخفيه ـ حيوان ٠

(١٤) من الانبياء ـ حروف متشابهة ـ حرف عطف ٠

(١٥) نبصر ـ شهر هجرى ـ البغل ٠



● النجمة و السهم ●

مخترع مصباح الأمان

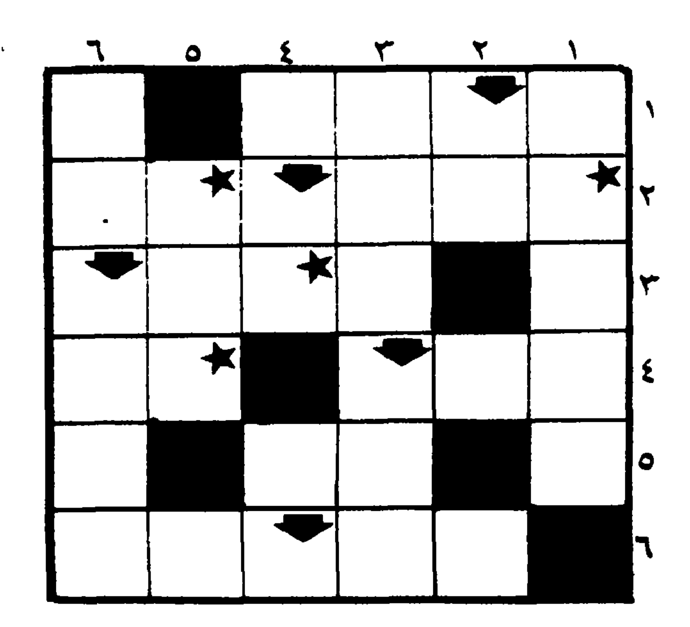
● ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات الموجود فيها السهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لكيميائى مشهور، اخترع مصباح الامان الذى امكن بواسطته انارة المناجم دون حدوث حرائق ، ثم انقل الحروف التى فى المربعات الموجودة فيها النجمة ، ورتبها بحيث تصنع لقب ذلك العالم .

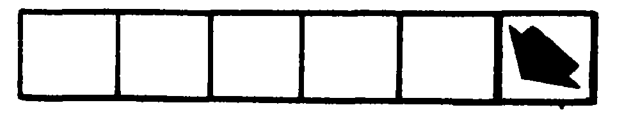
الكلمات الراسية :

(١) وسيلة انتقال برية .
(٢) من المقامات الموسيقية .
(٣) يستعيد .
(٤) من أمراض العيون ـ من المقامات الموسيقية .
(٥) يدور .
(٦) اجهاده .

الكلمات الافقية :

(١) من السلك الدبلوماسى .
(٢) من الزهور العطرية .
(٣) ترشده .
(٤) حروف متشابهة ـ من المقامات الموسيقية .
(٥) كثير .
(٦) يساعده .





• بالعـقل فقط •

استاذ نبيه يسأل

الاستاذ وجدي لا يلعب الطاولة

في شركة التامين ،كانت أسماء المدير العام، ومدير الحسابات ، ومدير المستخدمين ، ومدير السكرتارية •• هي الاساتذة : لطيف، وكامل ، وسامي ، ووجدي (ليس بنفس الترتيب)•

الاستاذ سامي يعتقد انه قد حان الوقت ليحال المدير العام الى المعاش ،ويتمنى الاستاذ وجدي ان يخلف المدير في منصبه •

الاستاذ لطيف ، ومدير السكرتارية يذهبان الى المسرح معا •

يتفوق الاستاذ سامي على مدير الحسابات في الطاولة •

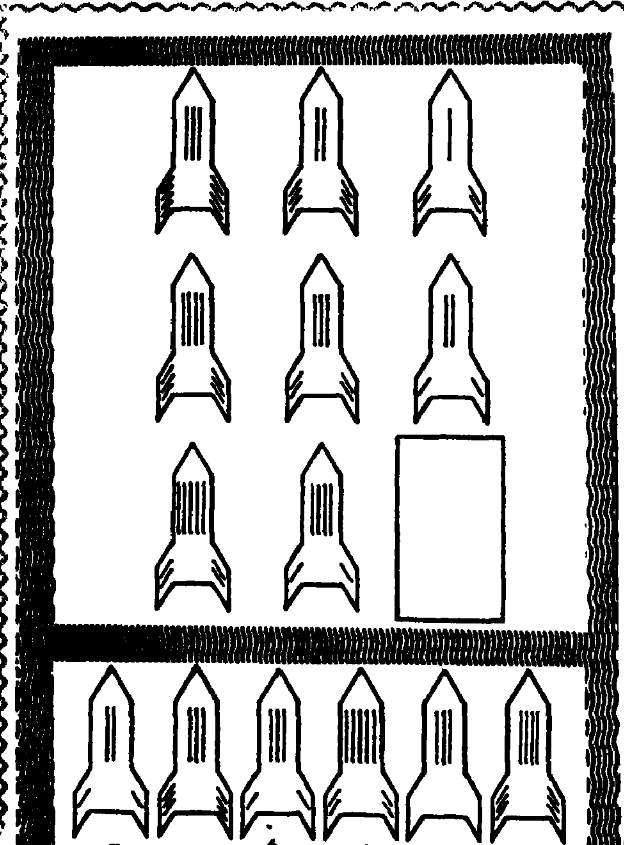
الاستاذ لطفي يحظى باعجاب الجميع رغم صغر سنه •

لا يذهب الاستاذ وجدي الى المسرح، كما لا يلعب الطاولة •

فما أسماء أصحاب الوظائف القيادية في شركة التامين •• ؟

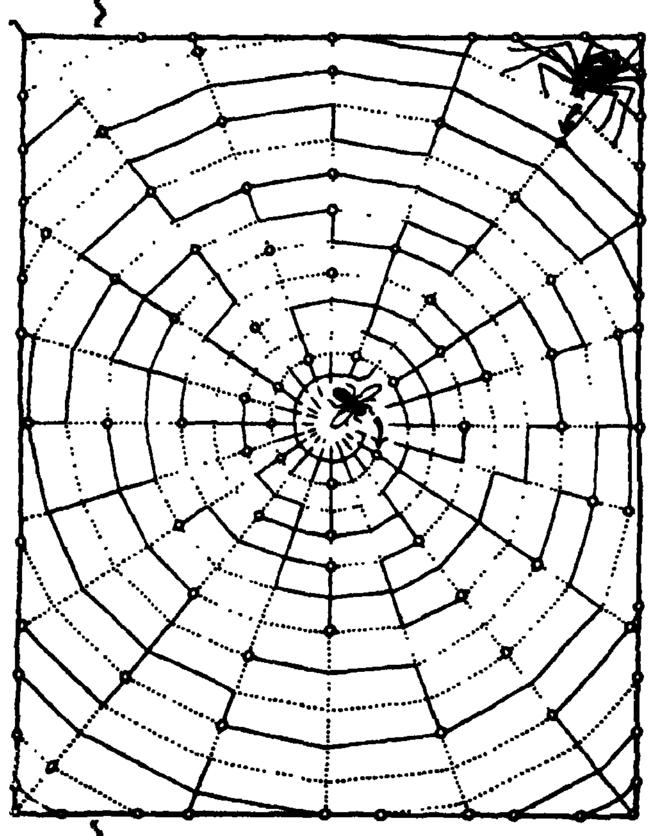
• حاول أن تعرف •

الصاروخ المناسب



• من تامل الصف الاول والثاني ، وبعد دراسة تتابع أشكال الصواريخ الثلاثة في كل منهما • حاول ان تعرف اى الصواريخ ذات الارقام ، يمكن ان يحتل المربع الفارغ في الصف الثالث •

● الذبابـة و العنكبوت ●



● هذه مباراة يمكن أن تجرى بين شخصين .. ودون حساسيات ... سيمثل الاول العنكبوت ، ويمثل الثانى الذبابة . يمسك كل منهما بعود ثقاب في يده ليحدد مسار حركته على الرسم . وهما يتبادلان الحركة كل فى دوره ، ووفقا للشروط التالية :

- الذبابة تتحرك علىالخطوط المنقوطةفقط.
- العنكبوت يتحرك على الخطوط المتصلة فقط .
- كل لاعب يمكنه أن يتحرك لاى عدد من الحركات حتى تعترضه نقطة ندى مستديرة ، لا يستطيع أن يتفاداها فى حركته .
- هدف الذبابة أن تهرب من بيت العنكبوت عند الموقع الذى يتشير اليه السهم الذى أعلى يسار الرسم .
- هدف العنكبوت ان يمسك بها قبل ان تصل الى السهم .
- اذا التقى العنكبوت مع الذبابة عند اى ندى يكون قد كسب الجولة .
- حتى لا تتم المناورة بالتقدم والتقهقر فى مناورة بين نقطتى ندى،لا يجوز لاى من اللاعبين أن يعود الى نفس نقطة الندى التى تحرك منها ، قبل أن يمر على نقطتى ندى اخرتين .



● النجمة والسهم ●

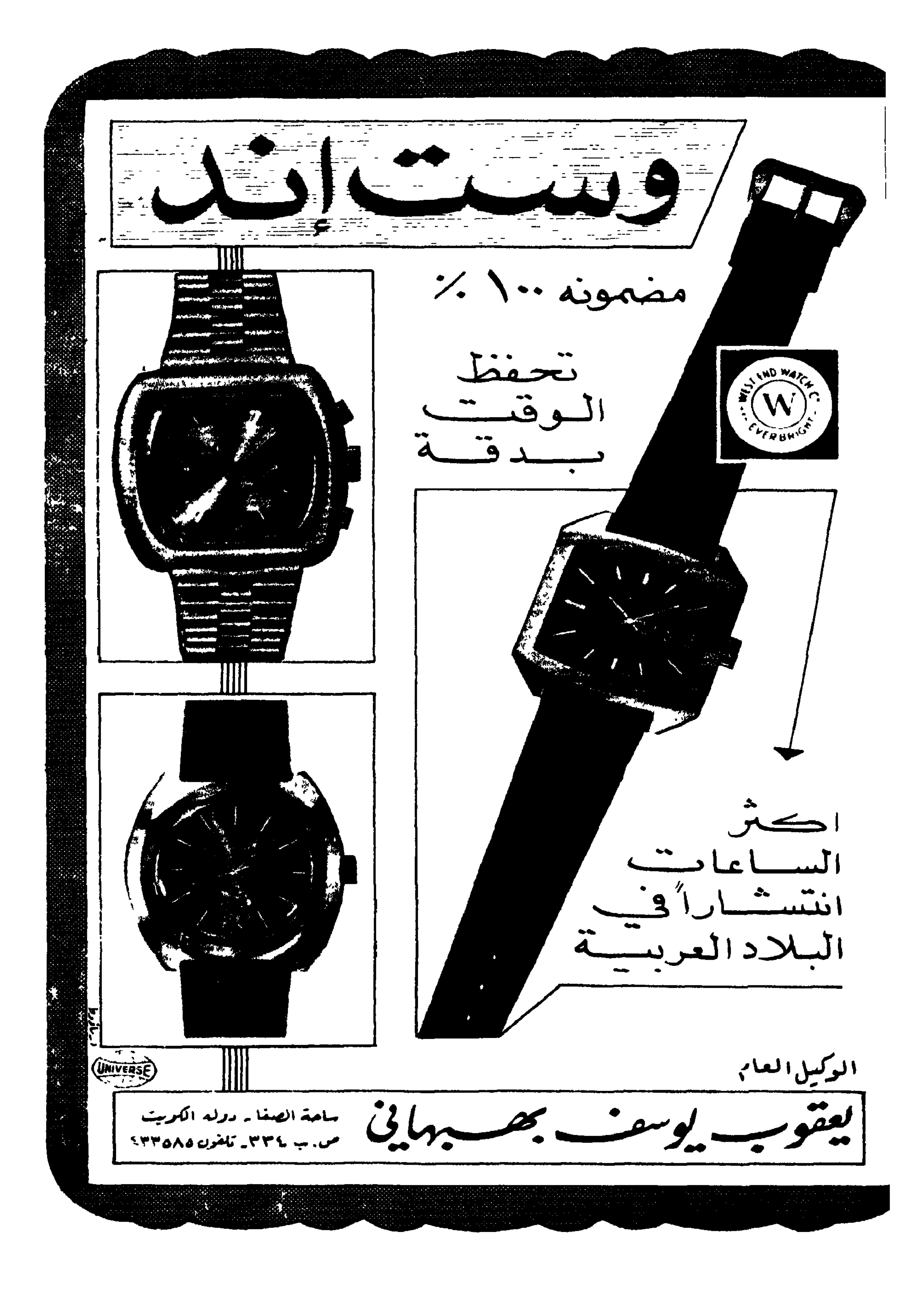
همفرى ديفى

الصاروخ المناسب

الصاروخ المطلوب هو رقم (٢) . ذلك لان الخطوط الرأسية تتصاعد من اليمين الىاليسار وكذلك الخطوط المائلة على ذيل الصاروخ .

استاذ نبيه يسأل

● المدير العام ليس سامى او وجدى (من الحقيقة الاولى) ، وهو ليس لطيف (لان لطيف صغير السن) . اذن : المدير العام هو كامل . وجدى ليس مدير السكرتارية ، ولا هو مدير الحسابات (لا يذهب الى المسرح ولا يلعب الطاولة) . وهو ليس المدير العام . اذن : وجدى هو مدير المستخدمين . لطيف ليس مدير السكرتارية (يذهب معه الى المسرح) فهو مدير الحسابات ، ويصبح سامى مدير السكرتارية .



وست إند
مضمونه ١٠٠ ٪
تحفظ الوقت بدقة
WEST END WATCH Co.
W
EVERBRIGHT
اكثر الساعات انتشاراً في البلاد العربية
UNIVERSE
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة - دولة الكويت
ص. ب ٣٣٤ - تلفون ٣٣٥٨٥


فوزو
الشاحنة رقم ١
في اليابان
هناك العديد من الشاحنات الثقيلة الممتازة في
اليابان، غير أن فوزو تفوقها كلها مبيعاً. تفقدوا
موزعي كرايزلر في منطقتكم وتحققوا بأنفسكم
من أن فوزو لها من القوة والمتانة ما يكفي لكل
مهمة. إن مؤسسة كرايزلر هي التي جاءت
بفوزو إلى الشرق الأوسط. ولذلك يمكنكم
أن تتحققوا من توفر قطع الغيار والخدمة
التي تعقب البيع.
FUSO



عزيزي القارئ

يقبل علينا شهر رمضان بعد ايام قليلة ، حاملا معه ريحا عطرة تهب على امتنا الاسلامية من اقصاها الى اقصاها ، تعبق سماءها بخليط فريد من مشاعر التجرد والتسامي والاحساس العميق بالقرب من الله ·

هذا المشهد الجليل فى رمضان ، حيث يصوم ملايين المسلمين فى ان واحد ، ويفطرون فى ساعة واحدة ـ ساعة الغروب ـ ويتوجهون الى الله بقلب واحد ، هذا المشهد يجسد وحدة نادرة ، تتجاوز الحواجز والحدود والمسافات ، وكل الخلافات والانحيازات ·

هناك فرق لا ينكر بين شهر رمضان الذى عاشه المسلمون الاوائل ، والذى ينبغى ان يكون ، وشهر رمضان الذى هو كائن فعلا · المسافة شاسعة بغير شك · ولكن الشيء الوحيد الذى بقى على مر الزمن هو رمز الوحدة الذى يتجسد فى ذلك الشهر ·

على ان هذا المشهد تكاد تفسده خلافات كل عام حول موعد بدء الصيام ، الذى تختلف فيه بعض الدول الاسلامية ، حتى ان المسلمين بدأوا صيامهم فى العام الماضى على مدى ثلاثة ايام متتالية ، واحتفلوا بعيد الفطر فى ثلاثة مواعيد مختلفة !

والمؤكد ان علماءنا لو استطاعوا ان يعالجوا هذه الثغرة ، ويتفقوا على أية صيغة يحددون بها بداية شهر الصيام ، فان ذلك سيعد اسهاما كبيرا فى الحفاظ على جلال المشهد العظيم ·

لكن هذا أمل طالما تطلع المسلمون الى تحقيقه ، ولم تجد رغباتهم هذه صدى ايجابيا حتى الآن ·

ليتهم يتفقون !

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

عروبة :

طب وعلوم :

استطلاعات :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 225 August 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الاعـــــلانات . يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة أى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغــلاف

● يصحبنا الدكتور حسين مؤنس استاذ التاريخ الاسلامى فى رحلـــة طويلة مع مساجد الكويت علىصفحاتهذا العدد ، وهو فى تقديمه لهـذه المساجد ينهج طريق العالم والخبير الذى يستطيع ان يضع اصابعه علـى كل ما هو اصيل ودخيل فى تصميماتهذه المساجد الكثيرة العدد ،والمختلفة الطرز والتصميمات .

اطر الصفحات (٦٧ ـ ٨٤)

ادب ولغة :

تربية :

شخصيات :

فنون :

قصص :

ركن الاسرة والمرأة :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائـر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمـن ٢٫٥ ريال . ليبيـا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

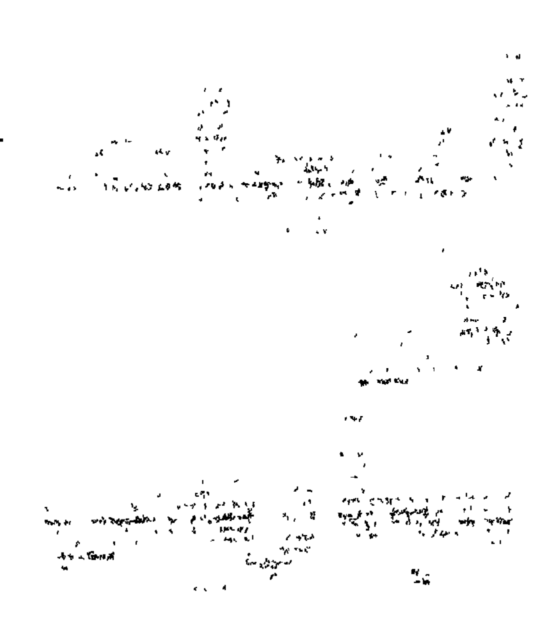
الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »

حديث الشهر





بقلم : أحمد بهاء الدين

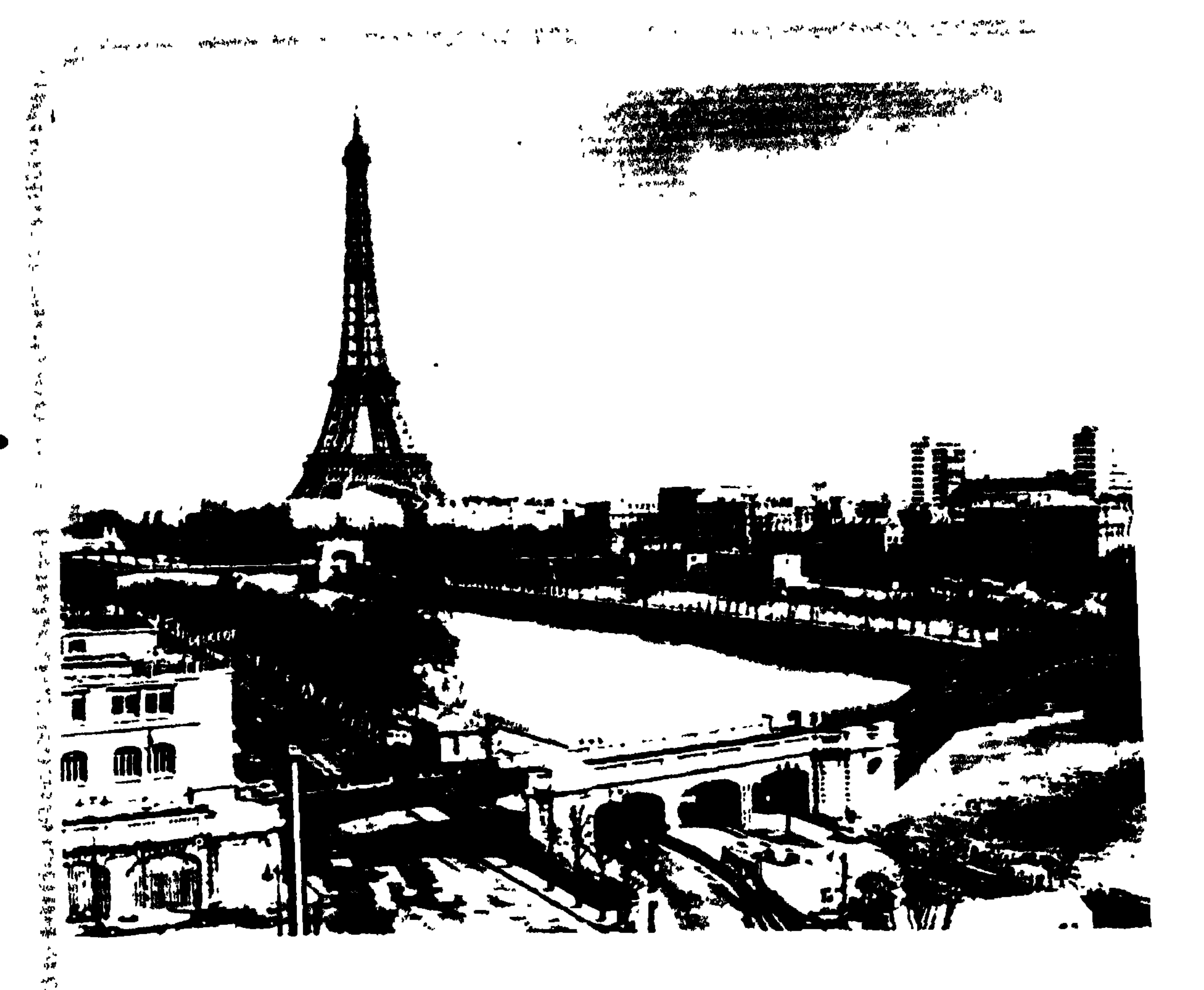
أى باريس ؟

ان باريس ليست مدينة واحدة • ليست لوحة متقاربة الألوان • انهـا نوحة هائلة منسوجة من الف لون ولون •••

النور ؟ الفجور ؟ العلم الوقور ؟ المؤتمرات العالمية ؟ كـل ما فى العالم مـن تيارات فكرية وفنية وأدبية وسياسية ؟

تلك شهرتها التقليدية • ولكن الغريب انها حيث بدات تفقد امام لندن فـى مجال اللهو ، فقد اخذت تكسب من لندن فى عالم السياسة والاقتصـاد والقضايـا الدولية • شاء الفرنسيون أم أبوا ، لا شك ان ديجول ، احد جبابرة التاريخ ، هو الذى أعاد اليها هذا المجد القديم •

وهـم حتى الآن يتناقشون ويتنـاحرون حـول ديجـول ، كأنه حـى • بـل



ان سنوات الهدوء تذهب به الى زوايا النسيان النسبى ، فاذا اقبلت ازمة حادة عادت اليه الحياة ، وصار طرفا ، حاضرا رغم غيابه ...

وتلك سمة الرجال العظام . وسمة الشعوب العظيمة .

أذكر انني عندما ذهبت الى باريس اول مرة ، في اوائل الشباب ، عدت وكتبت عن اهم ما استوقفني في باريس : تصادف وصولي مع ظهور كتاب جديد ضخم ،فيه وجهة نظر جديدة عن يوليوس قيصر ومصرعه الشهير على يد صديقه ثم خصمه العظيم بروتس . وكان الجدل الفكرى قائما قاعدا حول هذا الكتاب وما جاء فيه - لو هبط انسان من القمر مثلا لظن ان مصرع يوليوس قيصر على يد بروتس قد حدث منذ أيام ، وليس منذ عشرات القرون !

تلك حيوية فرنسا الفكرية . وتلك مشكلة حياتها . فهى في انقسام دائم . الحزب لا يلبث أن ينقسم الى حزبين . والحزبين الى اربعة أجنحة .والاربعة اجنحة

الى ثمانية فروع • غرام بالشك الديكارتي والفكـر والنقد • وكما قـال ديجول في صعوبة حكم الفرنسيين ، ان لديهم ثلاثمائة نوع من الجبن وثمانمائة نوع من النبيذ •

أى باريس ذهبت اليها ؟

لقد ذهبت الى باريس عشرات المرات •رأيتها مرات بعيون من قرأت لهم ، ومرات بعيون من سمعت منهم ، ومرات بعيون التخيل الخاص لما يقرأه المرء عـن عصور وقادة وفنانين • مرات كثيرة ، حتى بدأ المرء يرى باريس •• بعيونه الخاصة•

أين باريس الحقيقية من كل هذا ؟ •••

زرتها مرات وما هو مطبوع في نفسي من لوحات «رينوار » بالذات ، ومـن قصص حياة بلزاك واميل زولا ، ومعاناة بودلير ، وصعلكـة ديماس ، ورومانسية لامارتين •• كلها اشباح وأرواح أكادأراها واقتفى آثارها،اكثر مما أرى ما هو قائم وواقع وموجود •••

وزرتها مرات •• واصوات مواكب نابليون تقودني الى ضريحه الفخم المهيب • واقف فيها ساهما بالساعات ، ومدفن البانثيون الحافل بعظام العظماء ، ومقبرة « بيرلا شيز » حديث تقرأ على شواهد القبور في « تل مونمارتر » اسماء الشعراء والفنانين •••

وزرت باريس رفاعة الطهطاوى ، أول صعيدى مصرى ذهب الى بلد العجائب وترك لنا كتابه « كتاب الابريز في وصف باريز » • وزرت باريس طه حسين الذى صور لنا السوربون وما حوله وكأنه في مصـاف المعابـد •• وزرت باريس توفيق الحكيم الذى كان اكثر اتجاها الى الفن منه الى الفكر والسياسة والادب • تابعت قفزات « عصفور من الشرق » ووقفت امام اكثر من « شباك تذاكر » ورأيت خيالات « راقصة المعبد » • بل انني اذكر بالتحديد اني ذهبت مرة خصيصا الى متحف اللوفر •• لأقف امام تمثال افروديت •• وانا استرجع كلامه وخواطره ثـم طلبه منها ان تنقذه •• ولكنها مقطوعة الذراعين !

الا يكفي هذا كله • على المرء ان يتخطاه ، حتى يجد « باريس الخاصة به »• ويراها بعينيه هو وهل هذا في النهاية ممكن ؟

فما بالنا ولم اذكر الا القليلين • وهناك آلاف ممن نقرأ لهم من خلال باريس من شتى انحاء الدنيا • وربما كان أعظمهم هو اعظم كاتب قصة امريكى عشق باريس، ارنست هيمنجواى •ان كتابه عن باريس الذى وصفها فيه بانها A moveable Feast يكفي فيه كله هذا الوصف في كلمتين • لا استطيع ان اترجمه حرفيا • ولكنه يصف كيف انمن يزور باريس يتركها وفي نفسه قطعة منها ، يحملها معه ، اينما ذهب •

وقد انقطع ما بيني وبين باريس زمنا • كان من سوء حظي ان تقع مأساة ٥ يونيو ١٩٦٧ وانا هناك•وحوصرت فيمدينة تسهر كل ليلة حتى الصباح احتفالا بسقوط سيناء • وسقوط الجولان • وسقوط القدس •

وطغت الذكريات المريرة على كل شيء آخر • لم يبق في ذهني الا ذلك الجانب



القاسي من المدينة الضخمة العاتية • كانت باريس يومها ـ ٦٧ ـ في عز اجترارها لأحقاد هزائمها في الهند الصينية ، وفي حرب السويس ، وفى حرب الجزائر •وكان ديجول بمفرده تقريبا يرى مستقبلها فى البحر الأبيض المتوسط مع العرب ، وكل خصوم ديجول يشمتون فى هزيمة من يحاول اعادة الجسور معهم ، حتى المتعاونون القدامى مع النازى ، خرجوا من جحورهم شامتين •

وكان غريبا ان اعود الى باريس بعد عشر سنوات • وقد عاد اليها رشدها على الأقل • وصار الوجود العربى الطاغى [illegible]اريس يمثل دورة من دورات التاريخ غريبة • من المال الكبير جدا • الى الأيد[illegible] رخيصة جدا • وهى فى اشد

الحاجة الى الاثنين معا ، وما بينهما ·ويترك هذا بصماته فى المطاعم ·وعلى الأزياء· والمعارض الفنية · والمجوهرات ·

وسبحان مغير الأحوال !

وكان اهم ما ذهب بى اليها اشياء فى مقدمتها : مؤتمر الحوار بين الشمال والجنوب (اى بين الدول الصناعية والدول النامية) · وصراع اليمين واليسار المحتدم فىفرنسا ذاتها · والازمة البرلمانية في اوروبا عامة · واقتراب اول انتخابات مباشرة لاول برلمان اوروبي موحد · والشقاق الدائر حوله·ومعركة التمهيد لمؤتمر بلغراد بين معسكرى الشرق والغرب ، ومقدماته التى تجلت وقتها حول قضية حقوق الانسان ، وكانت ساحة الصراع الاولى فى هذا كله: باريس !

على ان هناك ملاحظة ، لا بد من الوقوف عندها ، قبل التعرض لجوانب من الاشياء ·

ماهذه الرفاهية ؟ وما هذا الرخاء ؟ ما هذا الترف والاسراف ؟ بل ما هذه الحقوق والامتيازات التى لحقت وشملت حتى أفقر الفئات ؟

ظاهرة ليست باريسية ولا فرنسية فقط · ظاهرة فرنسية وانجليزية وغرب اوروبية بوجه عام ، وان اختلفت الدرجات ، وخلافها قليل على كل حال ·· أمر غريب ! ···

من يقرأ الصحف العالمية ، ويتابع البرقيات او الدراسات ، يفهم ان انجلترا مثلا قد افلست وان فرنسا على وشك · والاضرابات لا تنقطع · والمنازعات حول الاجور لا تنتهى · واذا ارتفع سعر البترول ـ مثلا ـ بضع دولارات انطلقت صيحات مرعبة بان الدول الصناعية تلك ستموت جوعا وبردا وعطشا · بل اذا ارتفع سعر البن ، تصايحت هذه الدول ذاتها باستغلال الدول المنتجة للبن للظروف ، وان اوروبا سترتفع فيها اسعار القهوة ، وستصاب كلها بالصداع !

ويذهب الواحد منا ، ابن البلاد التى تسمى احيانا متخلفة ، واحيانا نامية ، واحيانا توصف بانها بترولية متخمة ، يذهب الواحد منها الى هناك فيعجب لهذا الرخاء الذى لم تعرفه مجتمعات البشر من قبل · بل هذه التخمة من كثرة الطعام والشراب وتوفر كل وسائل المتع الحسية والروحية الى أقصى الحدود ، ويجد ان ما يراق على الارصفة وما يلقى من الفضلات يكفي لاطعام شعوب بأسرها · وما يلقى فى سلال المهملات من ثياب لانه قد « تغيرت موضته » يكسو ملايين العرايا ·

ولقد تمسك بالمجلة الاوروبية الواحدة ، فتجد صفحاتها عامرة بالاعلانات عن اقصى ما يتصوره الخيال من متع ومن اسباب للرفاهية ، وصفحات عن حياة خالية من الهموم او تافهة الشكوى ، ثم تجد فى نفس المجلة صفحات عن احداث في اجزاء اخرى من العالم الواسع · صفحات تصرخ بالمجاعة والفقر والتخلف · ولكنها لا تهز شعرة من رأس الاوروبى او الاوروبية · طالما ان زجاجة النبيذ



ثمنها لم يتغير ٠ وان ملء خزان السيارة بالوقود للذهاب الى المواقع الصيفيـــة لن يكلف اكثر ٠

ان مشكلة الشمال والجنوب مشكلة بسيطة جدا ٠

ان عالم الشمال المتقدم ليس لديه اى مشكلة ، الا مشكلة واحدة : هـــى مشكلة الانانية المفرطة ٠ انه غير مستعد لان يفرط فى ذرة واحدة من سرفـــه وترفه ولذاته « الابيقورية » ، ولو تمرغ بقية العالم فى الوحل ٠

ليس مطلوبا ابدا من دول الشمال ان « تتقشف » فترة قصيرة بعشر معشار معنى التقشف الذى تعرفه شعوبنا على أنه أمر طبيعى ٠ كلا ٠ كل المطلوب ان تتخلى هذه البلاد عن انانيتها المفرطة ولو لسنة واحدة ٠ وان « تعتدل » فحســب فى استهلاكها ٠ وساعتها تحل كل ما تصرخ به من مشاكل ٠

وهم يعتبرون ان تقليل الاستهلاك ـ او بالاحرى مجرد ترشيده ـ مأســاة تهدد العالم الصناعى وبالتالي تهدد العالم كله ! فى حين ان مجاعات شعوب اخرى بأسرها ، امور لا تهم الا اصحابها !

قد يبدو هذا الكلام ، نوعا من التبسيط المبالغ فيه لتلك العناوين الصعبة التي توحي بقضايا معقدة : « الحوار بين دول الشمال ودول الجنوب » ٠٠٠ و « البحث عن نظام اقتصادى عالمي جديد » ٠٠ و « أزمنة الندرة فى العالم بدءا من مصادر الطاقة وانتهاء بالبن اللازم لصنع فنجان القهوة » ٠

ولكنني أؤكد ان هذا التبسيط الشديد ، هو الحقيقة ، كل الحقيقة ، ولا شيء اكثر من ذلك ٠٠٠

لقد كان كل البارزين من ممثلي الدول الصناعية التسع هناك ٠ وكان اندادهم من ممثلي حوالي اربع عشرة دولة نامية هناك ، يمثلون فى الواقع ما يقرب مـن مائة دولة على الاقل ٠

وكان الاسم الرسمى للمؤتمر هو « مؤتمر التعاون الاقتصادى الدولى » وان

كانت الكلمة التى كانت تتردد على أفواه الجميع هى « البحث عن نظام اقتصادى عالمى جديد » ٠

وتعليقا على هذا العنوان « التعاون الاقتصادى العالمى » ، قال كاتب وخبير سنغالى : « ان هناك أشكالا شتى من التعاون ٠ فهناك تعاون وثيق مثلا بين الحصان وراكب الحصان » ٠ ولكن ليس هذا هو التعاون المطلوب بين الدول النامية والدول المتقدمة ٠ وان كان هو الحاصل حتى الان ٠ فكلمة التعاون اذن كلمة مضللة ٠

وقد دار النقاش اياما وليالي طويلة عنيفة ٠ وكانت الاجتماعات لا تنفض احيانا الا فى الساعة الثالثة قبل الفجر ، لتستأنف بعد ساعات فى الصباح التالى ٠ ولكن العثور على نقطة واحدة من نقط اللقاء بين الجانبين كان متعذراً تماما ! ٠٠

لماذا ؟

من متابعتى الخاصة لما دار في المؤتمر ، اعتقد ان الدول الصناعية ، كانت لا تفكر خلال المؤتمر كله الا فى قضية واحدة ، هى : البترول !

نعم ! فالحالة الوحيدة حتى الآن ، التى استطاعت فيهـا دول العالـم الثالث المنتجة لسلعة معينة ، ان تتجمع وتتحدد وتملى ارادتها على السوق العالمى ، هى حالة البترول ، وقد جاء هذا فى سلعة تصادف انها اهم سلعة استراتيجية حتى الآن٠٠

ودول الغرب الصنـاعية المتقدمة تريد اولا ان تفك هـذا الارتباط بالنسبة للبترول او تحتويه بشكل ما ٠٠ وتريد ثانيا ان لا تتكرر هـذا فى سلع وخامـات اخرى ، حتى ولو كانت اقل اهمية ٠٠

ومن مسلكها في المؤتمر كان واضحا انها ليست مستعدة ، في سبيل ذلك ، ان تتنازل من جانبها عن شبر واحد من مركزها الممتاز ٠

انها تعتبر الوضع البترولى الراهن ، « وضعا احتكاريا » ٠ وبالتالى كانت تحوم حول صيغ تحاول طرحها ٠ بحيث تشترك الدول الصناعية ــ المستهلكة الكبرى للبترول ــ فى اتخاذ القرارات الخاصة به ، اى انها كانت تحاول « تمرير » صيغة لوصاية دولية منها على البترول ! واظن انها لم تات انى المؤتمر الا لهذا الغرض ، مغلفا فى قضايا فنية كثيرة ٠

ولكن ٠٠٠

ان بعض الامثلة التى يمكن ضربها هنا يغنى عن كل تفاصيل ، فـى اعطاء الصورة الواقعية للوضع الاقتصادى العالمى ٠

قال احد الخبراء : ان الدخل القومى لايطاليا وحدها يساوى الدخل القومى لقارة افريقيا بأسرها ٠ والدخل القومى لفرنسا وحدها يساوى ضعف الدخل القومى لافريقيـا كلهـا والدخل القومى لالمانيـا الغربية وحدها يسـاوى ثـلاثة امثـال الدخل القومى للقارة الافريقية باكملها ! ٠

وهذا كاف ليعطينا فكرة عن الفرق الرهيب بين دخل دول الصناعة ودول الخامات . بين سعر السلع المصنوعة واسعار الخامات . والاختلال الرهيب فى التوازن الاقتصادى للعالم فى ظل النظام الراهن ...

اما عن الاحتكار ، فان بعض الشركات الغربية ، او الشركات المتعددة الجنسية، تحتكر خامات او مصنوعات بالكامل ...

فهناك ست شركات فقط تحتكر تجارة القمح فى العالم . وعشر شركات تحتكر كل انواع الجلود . وشركة واحدة تحتكر معدن النيكل .

وفى تحقيقات اخيرة للكونجرس الامريكي ، مع شركة « جولف » للبترول الضخمة ، ظهر انها مشتركة فى « كارتل » عالمى سرى يحتكر مادة من اخطر المواد الآن وهى مادة اليورانيوم . حتى ازاء الدول الصناعية . وان هذا الكارتل اختلق ازمات مصطنعة احيانا لرفع اسعار اليورانيوم رفعا مصطنعا .

يضاف الى ذلك امر آخر بالغ الخطورة . وهو جريمة هذا الاستهلاك او الاستنزاف الرهيب لموارد البشرية من الخامات ، ارضاء لشراهة مجتمعات الاستهلاك الغربيه المترفة .

فالارقام البسيطة تقول مرة اخرى ان ١٨٪ من سكان العالم حاليا يستهلكون حوالى ٦٨٪ من موارد العالم من الخامات .

ثم ....

ان هذا المؤتمر سبقه بقليل اجتماع قمة على أعلى درجة من السرية بين الرئيس الامريكي كارتر ورؤساء دول وحكومات البلاد الاوروبية التسع . اجتمعوا في لندن . واجتمعوا خصيصا لمناقشة مشاكل العالم الاقتصادية والنقدية . ولا شك انهم توصلوا الي قرارات . وقراراتهم بحكم قوتهم الغالبة على السوق العالمى تؤثر على اقتصاديات العالم كله . ومع ذلك فلم يسأل احد ، ولم يعرف احد ، ماذا خططوا ودبروا . وهذه قمة السطوة والاحتكار .

من هنا كان مستحيلا ان يلتقى ممثلوا الاغنياء والفقراء حول نقطة واحدة . وفشلت كل الجهود فى اخفاء الفشل التام للمؤتمر بأى نوع من الورق المفضض . وكان المخرج هو اعادة الموضوع كله الى الامم المتحدة فى دورتها الجديدة ، أى فى سبتمبر القادم ، اى بعد شهر ..

وما يرجوه المرء ان تذهب دول العالم الثالث الى هذا الموعد بارادة موحدة ، وافكار مدروسة موحدة ، حتى لا يفرض عليها « نظام اقتصادى عالمى جديد » . ولا تجد نفسها داخلة فى « تعاون دولى » اشبه بتعاون الحصان وراكب الحصان...

وحكايات باريس لا تنتهى .

احمد بهاء الدين

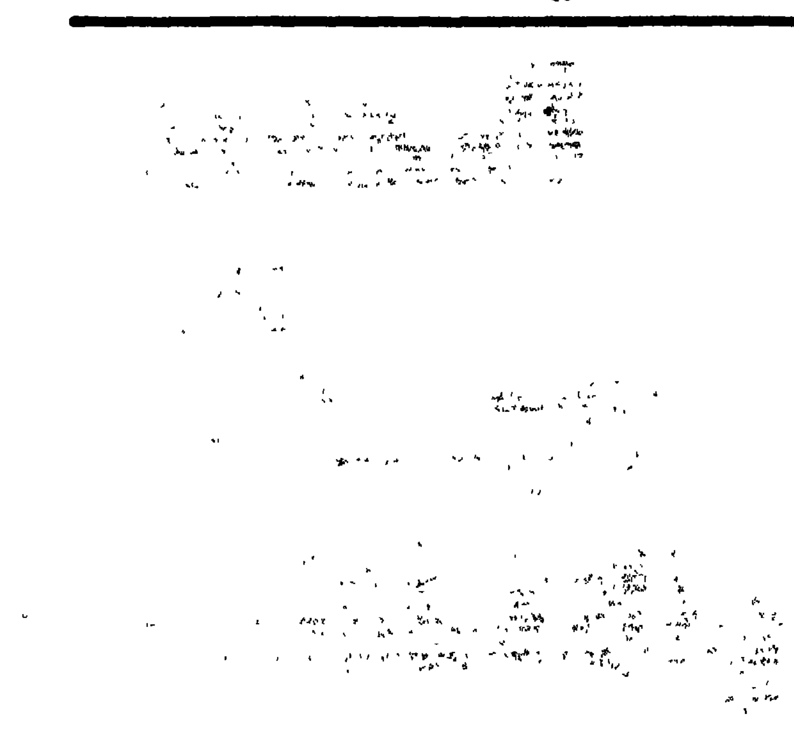
« لن يستطيع المسلمون ان يؤدوا دورهم الذى يطمحون

الى ادائه وهم على ما هم عليه من عزلة وتواكل وجمود،

واشتغال بجزئيات مقطوعة الصلة بواقع الناس ، بعيدة

عن قيم الاسلام العليا وجوهر رسالته الى الناس » .

الخيط الرفيع بين



بقلم : الدكتور احمد كمال ابو المجد

■ لا يكاد صوت يرتفع اليوم مناديا بالتجديد فى الفكر الاسلامى ، شاكيا من الجمود والانغلاق .. مناقشا فى ذلك اقوال العلماء من السلف او من المعاصرين .. او داعيا الى مراعاة ظروف الزمان والمكان .. حتى تتناوشه من كل جانب صيحات المحذرين والمنذرين ، يذكرون بالمزالق والمخاوف والمحاذير .. ويؤكدون ان الدعوة الى التجديد مدخل لاسقاط الالتزام بالشريعة ، وباب شر ينفذ منه الحريصون على « تمييع » حقيقة

الاسلام ، واذابة جوهره فى جوهر حضارات وثقافات مناقضة لاصوله معارضة لمبادئه ..

ويتجاوز بعض هؤلاء حدود هذا التذكير ، مطالبين بالكف عن نقد اوضاع المسلمين فى وقت يحتاج فيه الاسلام الى مدافعين عنه فى وجه موجات الالحاد والشك والمذاهب « الوافدة » اكثر من حاجته الى الناقدين الذين يأخذهم الحماس احيانا فيشتدون فى النقد ويحتدون ، شدة وحدة يستفيد بهما خصوم الاسلام الحريصون

على توهين سلطانه على النفوس ، وصرف الناس عن مبادئه ..

ويمد بعضهم هذه « الحصانة » التي يطالبون بها لتشمل اشخاص العاملين باسم الاسلام ، ولتبسط لواءها على الحركات الاسلامية المختلفة على تباين طريقتها واسلوبها .. وحسبها - فيما يقولون - انها تريد اعلاء شان الاسلام وانها تعمل تحت رايته ..

وحين كتبت في « العربي » منذ شهرين - داعيا الى المواجهة الصريحة مع عناصر الجمود في الفكر الاسلامي المعاصر لم تكن هذه المحاذير غائبة عني وانا ادعو الى ما دعوت اليه من ممارسة الاجتهاد في الفروع والاصول على السواء، والى وضع النقط فوق الاحرف السبعة التي لا ازال ازعم انها تشكل معالم تيار فكرى اسلامي يتخذ طريقه الى التحديد والتشكل والنضج في عقول وقلوب الالاف من الشباب على امتداد العالم الاسلامي . ولكنى قدرت - ولا ازال - ان خطر الجمود والعقم هو الخطر الاكبر الذى ينبغى ان نبدا بالتنبيه اليه ، وان تحريك المسلمين ، عامتهم وعلمائهم - الى خوض معركة التجديد والاجتهاد وتحمل تبعاتها يحتاج من الشجاعة والصبر الى اضعاف ما يحتاج اليه التذكير بهذه المحاذير .. لهذا .. واشفاقا على دعوة التجديد ان تقتلها فيمهدها صيحات التذكير بالمحاذير رايت ان الدعوة الى مواجهة عناصر الجمود في الفكر الاسلامي المعاصر لا تكتمل الا بامرين:

اولهما ان نضع المحاذير التى تذكر كلما ارتفعت دعوة التجديد في اطارها الصحيح وان ننبه اليها مع المنبهين .. حتى يظل التجديد تجديدا في فكر المسلمين وتطويرا له .. لا خروجا على الاسلام ولا تحريفا لاحكامه ومبادئه.

الثانى . ان نضع امام القارىء - بعد ذلك - كفتي الميزان ، مؤكدين مرة اخرى حاجتنا الى ممارسة الاجتهاد ، رغم كل المحاذير ، وحسبنا ان ننتبه جميعا اليها . وان ننطلق بعد ذلك - بلا مخاوف ولا شكوك . ولو تابعنا تلك المخاوف ما حركنا ساكنا ولبقينا حيث نحن ، قانعين بالتبعية والتخلف ، تمر بنا مواكب الامم والشعوب تحمل الوية القيادة .. والسيادة .. ونحن نكتفي باعلان السخط والانكار ..

تجديد لا تغيير

ان الاسلام هو كلمة الله المنزلة في كتبه والموحاة الى رسله تحمل الخير الخالص والحق الكامل ، واليقين المطلق .. ولكن هذا الدين « الالهى » حين يتصل بالانسان - ولا بد ان يتصل به - يتحول الى ظاهرة مركبة ، فيها الجوهر الالهى الكامل ، فيها شيء من خصائص عقل الانسان ونفسه ومزاجه بكل ما في الانسان من نقص وضعف واختلاف وتاثر بعوارض الزمان والمكان ، وكل ما يؤثر في الكيان ولهذا فان حديثنا عن التجديد في الاسلام ليس - بحال من الاحوال - دعوة الى التغيير في الاسلام ، وانما هو حديث موجه الى فكر المسلمين وسلوكهم .. ولعل هذا المعنى الدقيق هو القائم وراء عبارة الحديث النبوى الشريف الذى يقرر ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها امر دينها (1) . فالتجديد - اذن - تجديد لامر الدين ومكانته وسلطانه، وليس تجديدا للدين نفسه.

هذه مقدمة لابد منها لوضع الحوار حول التجديد في الاسلام في اطاره الصحيح .

ان الخيط الرفيع الذى يفصل بين التجديد في الاسلام ، وهو ضرورى ولازم وبين الخروج عن دائرته والانفلات من احكامه له جانبه المتصل بالعقل والاجتهاد وحدودهما .. وله جانبه النفسى المتصل بالموقف العام من الاسلام ،رضا به وانقيادا لاحكامه ، او تمردا عليه ، واستكبارا على الدخول في طاعته : والجانب العقلى والفقهى يكمن في هذه الحدود الدقيقة بين الالهى والبشرى فيما يصل الينا من تراث الاسلام ،ويكمن - تبعا لذلك - في الحدود الفاصلة بين الثابت والمتغير فيما ينقل الينا من ذلك كله ..

وهذه التفرقة ترتد - عند محاولة ضبطها - الى خمس مسائل اساسية :

الاولى : التحقق من قطعية ورود النص او الدليل الذى يراد استمداد الحكم منه .. ومعروف في هذا ان جميع نصوص القرآن الكريم قطعية الورود من الله تعالى اى ان صحة نقلها الينا منذ نزل بها الروح الامين على النبى (ص) الى يومنا هذا ثابتة ثبوتا لا مدخل للشك معه ، وليس هذا مما تكلم وخالف فيه احد من علماء

(1) رواه ابو داود في سننه بسند صحيح .

المسلمين او عامتهم • وما آثاره غيرهم فشديد الضعف بالغ التهافت ، لا يستحق ـ بحق ـ ان يتوقف عنده عاقل اما الاحاديث النبوية فمعروف انها لم تدون في عصر النبي (ص)مخافة ان تختلط بالقرآن وانما بداوا تدوينها في العصر الاموي حين كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز الى ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم والى محمد بن شهاب الزهرى ليبدأ في جمع احاديث النبي (ص) وكان ذلك في العام المائة من الهجرة ،ولم يتم التدوين المكتمل مع ذلك الا في العصر العباسي اى في القرنين الثاني والثالث للهجرة • وقام هذا التدوين على اعتماد رواية الرواة بعضهم عن بعض حتى تتصل الرواية بالنبي (ص) ، ويكون لنا من اتصالها ما يعرف بسند الحديث (اى سلسلة رواته) •• ولقد قسم العلماء الاحاديث المختلفة بحسب تفاوتها في قوة السند اقساما متعددة • ولكن الدقة البالغة والاحتياط الشديد والجهد العلمي الذى لا نظير له في وزن القدرة العقلية والقوة الاخلاقية للرواة ، واتصال بعضهم ببعض ، وتقييم ملكاتهم •• ووزن السند كله ـ تبعا لذلك ـ تعد جزءا فريدا من تراث الاسلام لانعرف له نظيرا في حضارة اخرى من حضارات العالم • ويعنينا من هذا الجهد الهائل انه بفضله توافر لدينا الاطمئنان العقلي الى كثرة من الاحاديث في الاحكام وفي غيرها ، من ناحية ثبوت ورودها عن النبي (ص) •

بشر يوحى اليه

الثانية : تحديد ما يعد تشريعا وما لا يعد تشريعا من اقوال النبي (ص) وافعاله واساس الحاجة الى هذا التحديد ما قررناه ، واجمع عليه المسلمون ، وشهد له القرآن الكريم من ان النبي (ص) بشر يوحى اليه ، وان بشريته حاضرة في حياته حضور نبوته ، وان كثيرا من اقواله وافعاله قد صدرت عنه بحكم تلك البشرية دون ان يكون المقصود منها التشريع وتقرير الاحكام الملزمة للناس من بعده • وقد يصرح النبي (ص) بان فعله للتشريع او انه من خاصة امره البشرى وقد لا يصرح بذلك فيستعين العلماء بطبيعة الموضوع الذى ورد فيه الحديث ، وملابساته ، وما يحيط به من قرائن ••

الثالثة تحديد ما يمكن ان يتغير من الاحكام بتغير الزمان، وهذا ادق ابواب الاجتهاد واصعبها واقربها الى مواطىء الزلل ، والحجة الرئيسية التى يثيرها الرافضون لهذا الباب جملة ، انه لا نسخ في الاحكام بعد انقطاع الوحي بانتقال النبي (ص) الى الرفيق الاعلى ، وان التغيير ـ بعد عهد النبوة ـ لا يمكن الا ان يكون تغييرا في الفتيا او في القضاء ، اى في الاجتهاد ، والواقع ان الفارق بين الامرين لا يظهر الا حيث يكون في الامر نص قرآني او نبوى لا يحتمل التاويل ، ولكن تقوم القرينة على ارتباطه بواقعة معينة هي سبب نزوله وروده ، فينفتح الباب عندئذ لمناقشة مدى الارتباط بين الحكم وسبب نزوله •

ومن هذا الباب ايضا ما نجده احيانا من قول بعض المجتهدين عن حكم معين ان ذلك كان « والناس حديثو عهد بشرك او جاهلية بمعنى انه اذا تباعد الزمن واستقر الايمان وزالت مخاوف الشرك الجلي ، لم يعد للاحتياط الذى جاء به النص ضرورة ولا لزوم » •

ويدرس العلماء المسلمون هذا الامر مع دراستهم للسنة كمصدر للتشريع مفرقين بين مايعد منها « تشريعا عاما » وما لايعد كذلك •

ومن الامثلة على ذلك النوع الاخير قول النبي (ص) « خالفوا المشركين ، وفروا اللحى واحفوا الشوارب » •• ويقول عالم معاصر هو الاستاذ عبد الوهاب خلاف عليه رحمة الله ان « في نفس صيغة النص ما يدل على انه تشريع زمني روعي فيه زى المشركين وقت التشريع والقصد الى مخالفتهم فيه•وازياء الناس لا استقرار لها »(٢)

---

(٢) من بحث له بعنوان « مصادر التشريع الاسلامي مرنة » مجلة القانون والاقتصاد مايو ١٩٤٥ ومن هذا القبيل ايضا الرمل في الحج (وهوالاسراع في المشى عند الطواف) فقد قال فيه عمر ابن الخطاب رضي‌الله عنه : « مالنا وللرمل ؟ كنانتراءى به بين المشركين (اى نريهم قوتنا) وقد اهلكهم الله » ومع ذلك‌فان مما يلفت النظر انعمر عاد فقال : ولكنه امر فعله رسول الله » ورمل •• وهذا الذى فعله عمر يرتبط ـ فيمانرى ـ بالاصل العام وهو متابعة الرسول (ص) في أمور العبادات كلها ، لقوله (ص) : « خذوا عني مناسككم » •

ونستطيع ان نضيف هنا قول الامام الجليل عز الدين بن عبد السلام : كل تصرف تقاعد عن تحصيل مقصوده فهو باطل ٠

« المصلحة » دليلا شرعيا

الرابعة .مدى اعتبار « المصلحة » دليلا شرعيا يتمم النصوص او يعارض بعضها وفى تقديرى ان علماء المسلمين مدعوون الى اطالة النظر فى المصالح التى تحققها الاحكام ٠٠ فهذه المصالح هى غاية التشريع ، وهى اساس العلة التى يرتبط بها كل حتم شرعى ، والتى اذا زال ٠٠ واذ تغيرت تغير معها ٠٠ وهذا هو الفهم الرشيد للتشريع الاسلامى فى جملته وتفصيله ، فقد جاء النبى(ص) يحل للناس الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ٠٠ ولذلك حق ما قاله ابن القيم من ان كل مسالة خرجت من العدل الى الظلم ومن القسط الى الجور ومن الرحمة الى ضدها فليست من الشريعة وان ادخلت فيها بالتاويل ٠

على ان مما يستحق التسجيل هنا ان اكثر المعاصرين الذين كتبوا عن المصلحة قد غلب عليهم الاحتياط الشديد والخوف من المحاذير ، فربطوها بالنصوص ربطا شديدا يكاد يلغى دورها كمصدر مستقل من مصادر الاحكام٠

الخامسة : ضوابط تفسير النصوص ، وذلك ان القاضى او المفتى ، والمجتهد بصفة عامة يملك ــ عن طريق التفسير ــ دورا هائلا فى تحديد مضمون الاحكام الشرعية المستمدة من ادلتها الجزئية ، سواء أعلن ذلك أم لم يعلنه ، وسواء عرف ذلك هو أم لم يعرفه ٠٠ وكثيرا ما يكون هذا الباب اوسع ابواب التجديد لانه يلتزم اساسا بالنص ولا يحاول معارضته بدليل آخر ، ولكنه يحمّله ــ مع ذلك ــ كل ما يريد ، مما قد لا يكون مقصودا به اصلا ، او يختار من معانيه المختلفة اكثرها اتفاقا مع ميله واجتهاده واختياره ٠٠ وما اصدق وادق ما قرره احد رؤساء المحكمة العليا الامريكية فى شرح موقف القاضى من نصوص الدستور حيث يقول : « اننا نخضع للدستور ، ولكن الدستور هو ما نقرر نحن انه كذلك » ٠

ولهذا كان الاهتمام بضبط اصول التفسير وقواعده مدخلا هاما لوضع الحدود الفاصلة بين التفسير الذى تحتمله النصوص،والتاويل الذى يلوى ذراع النصوص ويحملها مالا تحتمل والذى يدخل بذلك فى نطاق « تحريف الكلم عن مواضعه » وهو حكم بالهوى ، وانفلات عن دائرة النصوص ٠

هذا هو الجانب العقلى او الفنى من جوانب الخيط الرفيع الذى يفصل بين التجديد فى الاسلام والخروج منه ٠٠ وغنى عن الذكر ان من اهم ضمانات الاجتهاد توافر شروطه عند من يتصدى له ٠٠٠وفى مقدمتها العلم بالكتاب وتفسيره واسباب نزوله ، وناسخه ومنسوخه ٠٠ والعلم بالسنة واقسامها ورجالها ومنهج وزن الاحاديث متنا وسندا ٠٠والعلم بما وقع فيه الاجماع ٠٠٠ ومعرفة علل الاحكام معرفة تعين على قياس بعضها على بعض ٠٠٠ كما ان الاجتهاد الذى يتم عن طريقه تجديد الفكر الاسلامى لا يمكن ان يظل اجتهادا فرديا ينقض بعضه بعضا ٠ ومن هنا وجب تنظيم الاجتهاد من خلال مؤسسات يمارس العلماء فيها هذا الاجتهاد بطريقة جماعية منظمة ، تيسر اطلاعهم على مصادر معرفة الحق ومعرفة الواقع على السواء ٠

مسلمون ومعاصرون ؟

اما الجانب النفسى فهو اخطر الجانبين جميعا ، واساسه ان المسلم وقد رضى الاسلام دينا ينبغى ان يكون راغبا بقلبه وعقله كله لتقبل احكامه الثابتة والالتزام بها مطمئنا الى ان هذا الالتزام كفيل بان ييسر له السعادة فى اموره كلها ، وأن يوفر له من اسبابها مالا يوفره نظام آخر ولا تضمنه حضارة اخرى مهما انتشرت وارتفعت الويتها واتخذها الناس عنوانا على التقدم والعصرية٠٠ وهنا لابد لنا من وقفة عند قضية الاسلام والتقدم والعصرية ٠٠

ذلك ان اصطدام المسلمين بالحضارة الغربية الاوروبية قد تم فى مرحلة كان الضعف السياسى والعسكرى غالبين فيها على المسلمين ، فكان طبيعيا ان يترك ذلك بصماته واضحة على الموقف النفسى تجاه الحضارة الغازية ٠٠ فاستقر فى وعى اكثر المسلمين ان الحضارة الغربية بمكوناتها العقلية وبنتاجها الفكرى الذى استطاعت به تسخير الكون وتعميره ، مرحلة اكثر تقدما من كل ما عرفته البشرية ، وان الاتجاه اليها ــ بكل مكوناتها ــ تحرك نحو الافضل ، وان متابعة اساليب الحياة

وانماط السلوك السائدة في الغرب هو معيار التقدم وضمانه على السواء .. واستقر هذا الموقف النفسي وانتقل من جيل الى جيل .

وهذا السلوك وان يكن مفهوما من الناحية الحضارية والتاريخية الا انه غير مبرر ولا مقبول .. ولا بد لنا ـ في دفعه وتصحيحه من التأكير بامور ثلاثة :

اولا ان الحداثة والقدم لا يمكن ان يكونا وحدهما معيارا للتقدم والتاخر ..

ان العالم يتغير ، والمجتمعات تتحرك وتتطور . مافي ذلك شك ، ولكن هذه الحركة لا يمكن ان توصف بانها تقدم الا بمقدار اقترابها من غايات محددة واهداف متفق عليها .. ان السخافات والحماقات ليست وقفا على الماضي وحده ولا على المجتمعات البدائية وحدها ..فحماقة الحرب والقتل والعدوان صاحبت التاريخ الانساني كله ، ولم تزدها اسلحة العصر الا خطورة وحدة .. فهل يعد ذلك تقدما ؟

ثانيا ان الحضارة الغربية تمر بازمة ـمافي ذلك شك ايضا ـ فالمؤرخون واهل هذا العصر كلهم يكادون يجمعون على ان التقدم المادي والصناعي الذي هيأ للانسان درجة من السيطرة على ماحوله لم يحلم بمثلها من قبل لم يصاحبه تقدم في نوعية العلاقات الانسانية السائدة ، وان الثمن المدفوع لهذا التقدم قد دفعغاليا من امن الانسان واطمئنانه وتناسق مكوناته النفسية،واستقرار حياته اليومية مع نفسه واسرته والناس جميعا ..

ان حصيلة الكشوف العلمية الهائلة يمكن ان تلخص في كلمتين اثنتين .. ان الانسان قد وجد العالم .. ولكنه فقد نفسه ..

هذه الهزيمة النفسية

ثالثا . ان الهزيمة النفسيه التي حملت كثيرا من مثقفينا على الدعوه الى متابعة الغرب متابعة كاملة تنبع من روية تاريخية خاطئة تفترض دوام السيادة الحضارية للغرب .. مع ان التاريخ شاهد على ان هذا الاستمرار مناقض لقانون من اهم قوانينه . وهو قانونمداولةالايام بين الناس والا فهلكانيخطر ببالاحد منذ ربعقرن انالامبراطورية البريطانية التي لم تكن تغرب عنها الشمس ، ستؤول الى هذا الانكماش العجيب وان المواطن الانجليزي سينكفيء على ذاته مستغرقا بازماته الاقتصادية المتلاحقة ..وان العالم الرأسماليالذي ظل سنوات عديدة يمتسم خيرات الامم وينهب ثروات الشعوب سيواجه ما واجه من تحد قاس املته ظروف منافسته وصراعه مع المعسكر الاشتراكي ؟ وبالمنطق نفسه .. لماذا يفترضالمفكر المسلم او العربي ان بلاده ستظل حيث هي ضعفا وتبعية ؟ ولماذا لا ينقل مشاعره وحياته كلها من موقع التبعية النفسية الى مقام الاعتداد بالذات..

ان النظر الى اللحظة التاريخية القائمة ، والتصرف على فرض ثباتها وابديتها لازمة من لوازم النقص البشري .

فاذا كان الحال كذلك ، وكانت الحضارة الغربية تعيش ازمة من اخطر ازماتها ، افلا يحق للمسلم ان يعيد النظر في موقفه العام من تلك الحضارة . وان يسترد قدرته على النظر الموضوعي اليها والى نفسه ، وان يكون اخذه منها على اساس اختيار واع للمكونات التي يستطيعتوظيفها في تحقيق تقدم انساني شامل .

اناسترداد الموقف النفسيالسوي ازاء الحضارات الاخرى هو الضمان لبقاء حركة التجديد في نطاقها السليم ، ولتجنب الانزلاق بها اليمواطيء التبعية العمياء التي يسقط بها دورنا الحضاري في ترشيد الكون ..

وفي تقديرنا انه قد آن الاوان لينتهي هذا السيل من الكتابة عن حضارة الغرب من منطلق رد الفعل النفسي لهزيمة العرب السياسية والعسكرية في مواجهتها ، فان هذا المنطلق هو الذي يحمل فريقا من المفكرين على ان يستسلم لها استسلاما كاملا فيختار طريق الاخذ عن ثقافة الغرب بخيرها وشرها وحلوها ومرها .. وهو الذي يدفع اخرين الى ان يتقوقعوا على انفسهم احتماء بالقديم ودفاعا عنه فيرفضوها جملة ، وينكروا كل عناصر القوة والخير في تاريخها.. ان الحضارة الغربية لم تعد سرا على احد ومكوناتها الرئيسية قد صارت معلنة ومعروفة.. وعناصر القوة والرشد فيها قد صارت مسجلة وموثوقة وتحمل معها شهادة التاريخ .. وابرز هذه العناصر عنصر الاعتماد على العقلواستخدامه

فى اكتشاف قوانين الكون .. والسعى الى تعمير الكون فى جانبه المادى وتنمية كل القيم الخادمة لهذا الهدف المعلوم.. اما عناصر العوج والانحراف فيها فترجع الى استيلاء هذا الهدف على كل ما عداه .. وترك القيم الخادمة لهدف آخر هو هدف توجيه حركة البناء والتعمير توجيها يخدم القيم الانسانية الاساسية التى تصنع سعادة الانسان ، وفى مقدمتها قيم العدل والاحسان وانشاء السلام .. ويستطيع العرب والمسلمون ـ اليوم ـ ان يودعوا امراض الهزيمة الحضارية ، وان يعاملوا حضارة الغرب معاملة الند للند ، فياخذوا منها بمقدار ويتركوا بمقدار يهديهم فى اختيارهم ما يلتزمون به من قيم حضارتهم ومعالم رؤيتهم الشمولية للكون ، وترتيبهم الخاص لاولويات المصالح الفردية والجماعية .

وهل هذا الجانب من جوانب الخيط الرفيع الفاصل بين التجديد والسقوط فى التبعية هو الذى يميز دعوه كدعوة السيد احمد خان فى الهند حين قام فى نهاية القرن التاسع عشر يدعو المسلمين الى السير فى موكب الحضارة الغربية والى ان يقبلها المسلمون بكاملها .. وبين دعوة كدعوة الشاعر العظيم محمد اقبال الى تجديد الفكر الدينى فى الاسلام مع توكيد الذات الحضارية وتجنب الوقوع فى أسار الحضارة الغربية التى كان يرى ـ من موقع القوة والثقة بالنفس ـ كل سوءاتها ونقائصها ..

والجيل الذى ضاق صدره ؟

وبعد .. فهذه هى المشكلة .. عالم اسلامى سيطر عليه الجمود الفكرى واستولت على مشاعر علمائه المخاوف والمحاذير .. واصبحوا اسارى لانتاج المفكرين من اسلافنا القدامى يبحثون عن كل شىء فى كتب الاقدمين مع انها ليست منزلة من عند الله حتى تكون ارفع من قيود الزمن المتطور .. والى جوارهم ـ وبسبب جمودهم هذا ـ تقف كثرة من جيل جديد ضاق صدره بهذا الجمود، ولم ينشا مع ذلك على معرفة حضارته والاعتزاز بها ..فانطلق يحوم حول حضارة الغرب باحثا لنفسه عن مكان بين ابنائها ، متشبها ـ لذلك ـ بكل ما يفعلون ، ومتاسيا بكل ما يقولون ويكتبون ...

وعلى الجانب الآخر حضارة غربية اكتشفت ـ منذ عصر التنوير ـ قدرة العقل الانسانى على اختراق حجب المجهول وظلماته ، فانطلقت ـ بغير حدود ـ تستعمل هذا العقل ثم تقدسه وتكاد تعبده .. فاطلقت به طاقات كامنة .. لم ترشدها قيم هادية او حافظة ... فكانت الازمة التى تحدثنا عن بعض مظاهرها واعراضها ..

والآن .. وبعد ان وضعنا ايدينا على محاذير التديد فى الفكر الاسلامى،ورفعنا صوتنا مع اصوات المنبهين اليها والمذكرين باخطارها ، وبعد ان حددنا بعض معالم الخيط الرفيع الذى يفصل بين التجديد والانطلاق خارج الحدود .. اينتهى بنا الامر من جديد الى السكون العديم ؟؟

ان الاحساس الجارف بحاجة الدنيا الى هداية الاديان هو الذى يردنا بعد هذا الحديث كله الى ما بدانا به مقالنا الاول .. ذلك ان المسلمين لايستطيعون ابدا ان يؤدوا دورهم الذى يطمحون الى ادائه وهم على ماهم عليه من عزلة وجمود وتواكل واشتغال بجزئيات مقطوعة الصلة بواقع الناس .. بعيدة عن قيم الاسلام العليا وجوهر رسالاته الى الناس ..

ولهذا فان المواجهة مع عناصر الجمود ومظاهره تظل الخطوة الاولى على طريق اخراج المسلمين من عزلتهم وضعفهم .

فالمعركة اذن معركتان ..

والوقفة وقفتان ..

وقفة مع النفس تنطلق بعدها القوى وينزاح فيها عن فكر المسلمين ركام التقليد العاجز وتطلق فيها عقول المجتهدين من سجنها القديم، ويتجاوب فيها شرع الله مع واقع الناس ..

ووقفة = بعد ذلك وليس قبله = مع الدنيا كلها يمارس فيها المؤمنون دورهم الذى تناديهم من اجله ـ على غير معرفة ـ كل الشعوب التى تعب من ثمرات حضارة المادة والوفرة والاستهلاك فلاتزداد الا ظما وجوعا وتعبا وقلقا ..

■■

الكويت ـ د. احمد كمال ابو المجد

● حل مسابقة العدد ٢٢٢ ●

١٥	١٤	١٣	١٢	١١	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
ك	ر	ا	د	ن	ا	ج		ن	ا	و	ج	ن	و	د
ن	ى	ل	ر	ب		ر	ف	ص	ا	ت	و	ق	ا	ى
	ر	ح	ب	ل	ا	س	ر	ف		ى	ق	ا	ل	ن
ب	ج	ر		و	ل		د	ق	ا	ر		ب	د	ا
د		ى	ر		ه	ب	ى	ظ		ه	ف	ا		ص
	ب	ر	ا	ق	ى		ن	ر	م		ى	ت	ق	و
ع	ا		ت	ل	م	ك	ا		أ	ب	ر		ل	ر
ر	ك	ب	ى	ب	ا	ت	ن	ب	ء	ا	م	س	ا	
ف	د	ا	ج		ل	ى	د	ن	م		و	ن	د	ى
ت		ه	ل	د	ا	ب	م		ل	س	ن		ه	ا
ه	ى	ر	ا	ح	ك		ا	ه	ك	ر	ت	ا		ن
ا	ن	ا		م	ا	ر	ح		ى	د		ن	ب	ج
	ا	ل	م	ى		د	ل	ج		ت	ل	ا	و	ت
ق	ى	ا	س		ه	ن	ا	ل	ى	ه	ت	ن	ا	س
د	ر		ن	ى	ل	س	ن	م	ل	ا		ى	ر	ك

أسماء بنت أبي بكر

●

فرديناند ماجلان

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا ، اسماء بنت ابى بكر

هى اخت عائشة بنت ابى بكر الصديق ،وتسمى ذات النطاقين لانها صنعت للنبى صلى الله عليه وسلم طعاما حينما هاجر وابو بكر ،فلم تجد ما تشده به ، فشقت نطاقها ، وشدت به الطعام فسميت (ذات النطاقين) •

(٨) رأسيا ، فرديناند ماجلان

بحار برتغالى ، اكتشف مضيق ماجلان جنوب امريكا الجنوبية •وكانت سفينته اول سفينة اتمت الطواف حول الارض ، ولو انه قتل اثناء الرحلة بايدى الاهالى فى جزر الفلبين •

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها يونس عبدالمحسن عامر ـ مصراته ـ ليبيا
الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :زكى عبدالمجيد رؤوف ـ بغداد ـ العراق
الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها •سمير توفيق حسين ـ الدوحة ـ قطر

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ احمد عارف الفانى بيروت / لبنان
٢ ـ زامل ابراهيم احمد زامل الرصيفة / الاردن
٣ ـ ابراهيم على ابراهيم الشيخ/كفرالشيخ/مصر
٤ ـ مشارى عبدالعزيز الفارس الكويت
٥ ـ سوسن الوفائى حمص ـ سوريا
٦ ـ حمد محمد حمد الخرطوم السودان
٧ كمال احمد زين الدين الخرج / السعودية
٨ ـ عدنان جبريل مانشستر / انجلترا

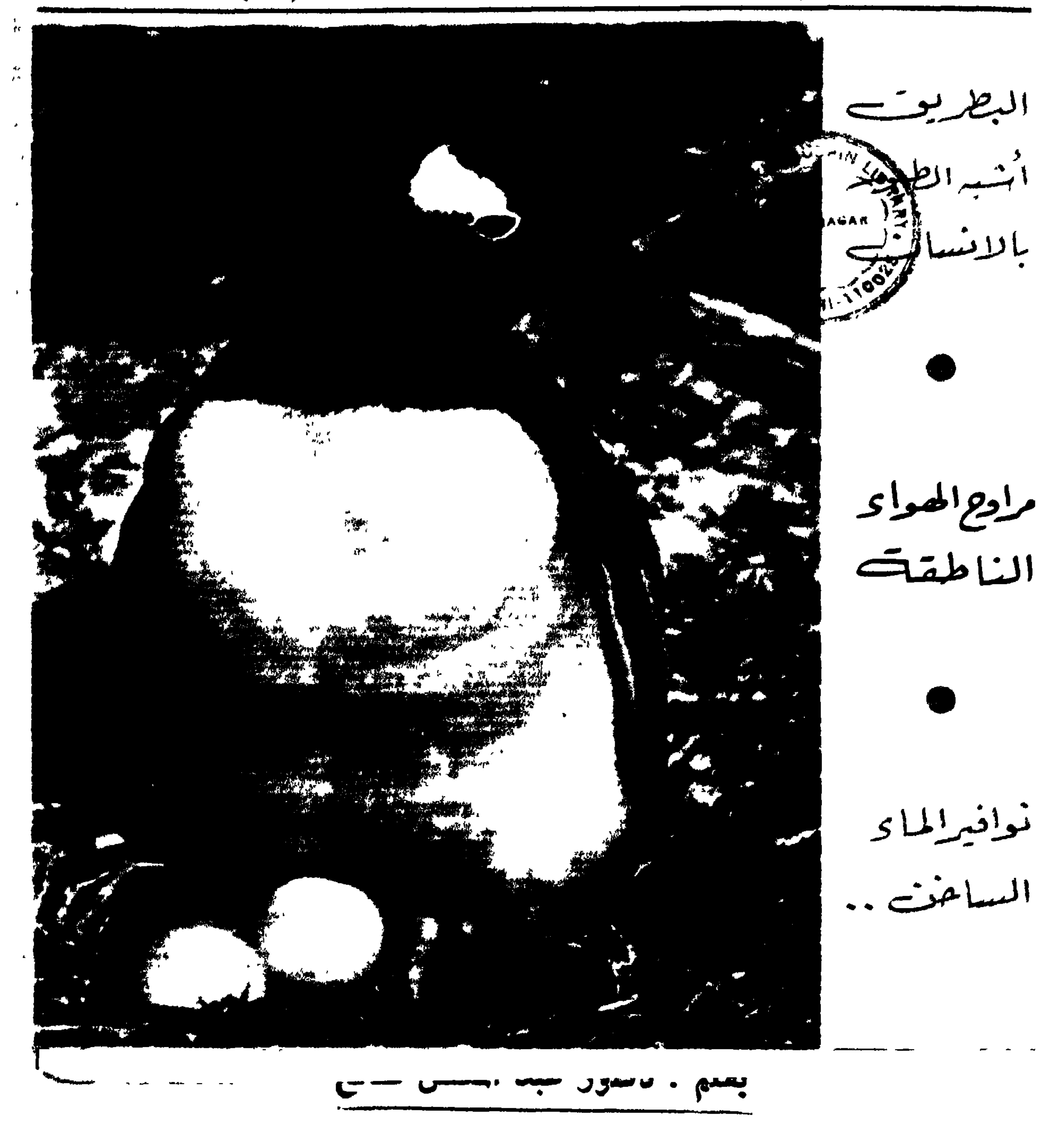
البطريق أشبه الطيور بالانسان

●

مراوح الهواء الناطقة

●

نوافير الماء الساخن ..

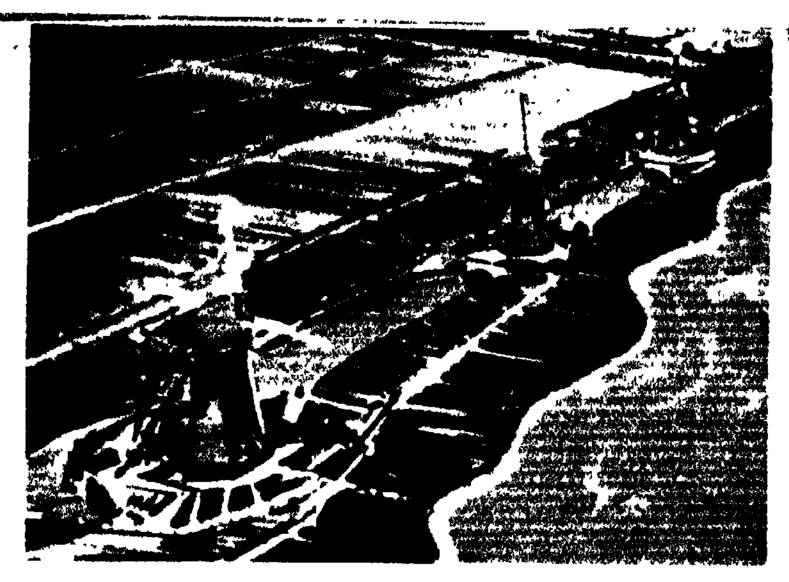


بقلم : الدكتور

■ بينما كان ملك سيام يجلس فى احد أبهاء قصره مع ضيوفه وحاشيته فى بداية القرن الماضى ، اذ باحد الضيوف يهب من مكانه مذعورا، ويمد يده على قفاه ليتحسس طبيعة هذا السيل المنهمر من « الرصاص » اللطيف الذى اصابه ، لكن •• حمدا لله ، فقد سال الماء على جسده بدلا من الدماء !

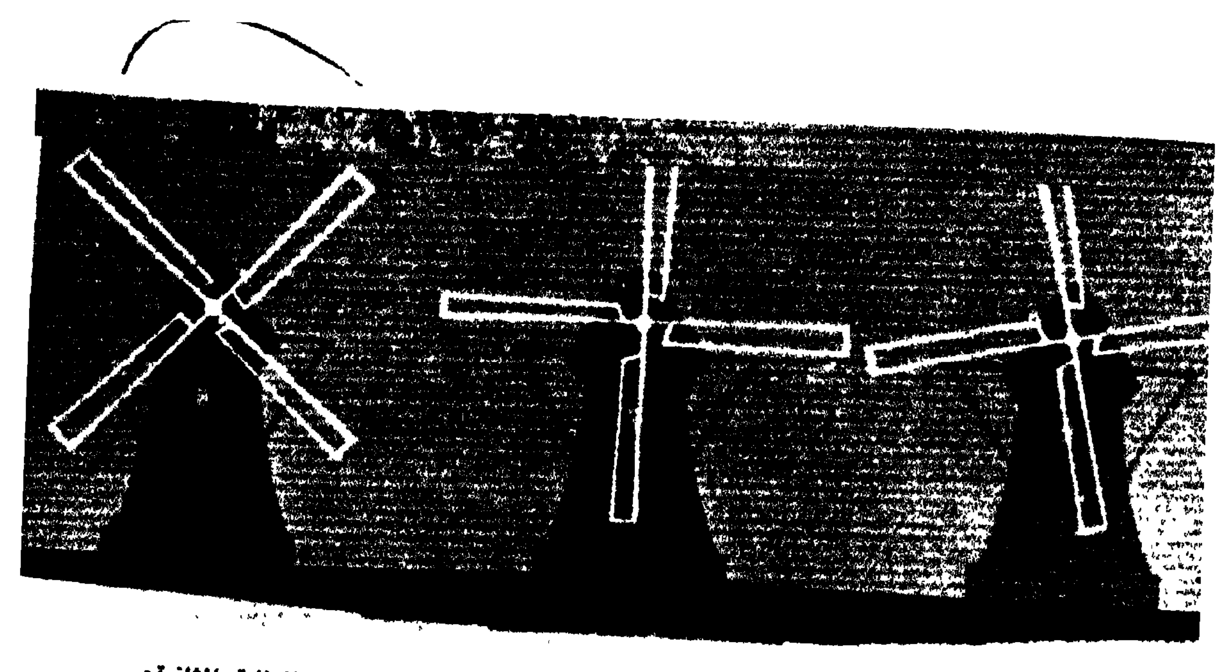
وفطن الملك الظريف لما جرى ، فكان أن ضحك حتى كاد أن يستلقى على قفاه ، وضحك معه من كانوا يعرفون أصول اللعبة ، وتعجب الباقون ، وطلبوا تعليلا لاصل تلك الخدعة ، لكن الأمر ليس ـ فى الواقع ـ لعبة ولا خدعة •• بل أن ما جرى كان اسلوب حياةالسمكة تعيش فى بهو القصر عائمة فى حوض خاص ، وهى المسئولة عن كل ما

مراوح الهواء الناطقة



انتشرت مراوح الهواء في هولنده

مروحة هواء زينوها في احدى مناسبات الافراح .



اوضاع تؤدى معانى مختلفة في شفرة المراوح التىاعتمدها رجال المقاومة ايامالحرب العالمية الثانية.

● اشتهرت هولنده بمراوح الهواء.. حتى باتت هذه بمثابة الرمز الذى يدل على تلك البلاد .. ولسنا هنا بصدد الحديث عن تاريخ هذه المراوح او كيفية عملها .. وانما فقط عن الدور الحيوى الخطير الذى لعبته ايام الحرب العالمية الثانية ..

فقد اسهمت تلك المراوح على نحو فعال فى اعمال المقاومة التى قام بها اهل هولنده ضد الاحتلال النازى الالمانى .. ايام الحرب العالمية الماضية . اذ كان لا بد لرجال المقاومة من الاتصال فيما بينهم باللاسلكى .. ونجحوا فى اخفاء اجهزة الارسال والاستقبال فى تلك المراوح .. ولكن الالمان سرعان ما اكتشفوا امر تلك الاجهزة .. فحطموها وعرقلوا اعمال المقاومة الى حين ..

عندئذ عمد رجال المقاومة الى مراوح الهواء نفسها ، وراحوا يستنطقونها بدلا من اخفاء اجهزة اللاسلكى فيها ...

وتسنى لهم ذلك بتحديد معان ثابتة للاوضاع المختلفة التىتكون عليها المروحة وهى واقفة . اى انهم اتخذوا من هذه الاوضاع رموزا تدل على معان معينة .. كرموز الشفرة .. شفرة مورس مثلا.

وانطلقوا بعد ذلك يتبادلون الاخبار والاسرار ، ويتلقون الاوامر من القادة والضباط بواسطة مراوح الهواء ، دون ان يكتشفامرهم احد من سلطات الاحتلال ..واستمرت مراوح الهواء تخدم اغراض الثورة فى هولنده حتى نهاية الحرب .

وتجدر الاشارة الى ان اهل هولنده عرفوا مراوح الهواء منذ القدم .. منذ ايام الرومان . وكانوا يستعملونها فى البداية لادارة مطاحن الدقيق وما الى ذلك ولكنهم اقبلوا على انشائها بكثرة بعد القرن الخامس عشر حين مضوا فى مشاريع تجفيف مياه البحر واستصلاح قاعه . اذ كانت المراوح تدير المضخات التى استخدموها لطرد مياه البحر من فوق الارض المستصلحة . ولطالما طغت مياه البحر على هذه الارض التى انخفض مستواها عن مستوىالبحر بنحو ١٠ اقدام فى بعض الاحيان .وقد كثرت هذهالمراوح فى هولندة فى وقت من الاوقات حتىبلغ عددها ٩٠٠٠ مروحة .. اما الآن فهى لا تزيد على ١٠٠٠ ، وقد حلت محلها المحركات .



أشبه الطيور بالانسان

● طير البطريق طير عجيب حقا ٠ فهو يشبه الانسان شبها كبيرا ٠٠ وبلغ من شبهه بابن آدم ان اتخذ منه الكاتب الفرنسي الكبير ، اناتول فرانس ، محورا لقصة خيالية الفها ، وزعم فيها ان احد الخطباء راح يخطب فى جمع غفير من طير البطريق دون أن يخطر بباله لحظة واحدة ان جمهور المستمعين كان من صنف الحيوان لا الانسان ٠٠

واوجه الشبه بين هذا الطير وبين الانسان كثيرة ٠٠ فهو يقف على قدميه ، مستقيم القامة كالانسان ٠٠ وهو يمشى باتزان ، وينقل قدما من بعد قدم ، كالانسان ايضا ٠٠ وهو يعيش فى جاليات كبيرة ويتعامل افراده على نحو من التعاون يشبه ما تعرف به المجتمعات الانسانية ٠٠





ومن طريف ما يذكر ان البطريق كثيرا ما يبادر الى العناية بصغار جاره ٠٠ لا سيما اذا اتفق لهذا الجار ان غاب وطالت غيبته ٠ وهو يحتضن احيانا بيضة جاره٠ ولكنه لايفعل ذلك الا اذا كلفه الجار بذلك صراحة ٠٠

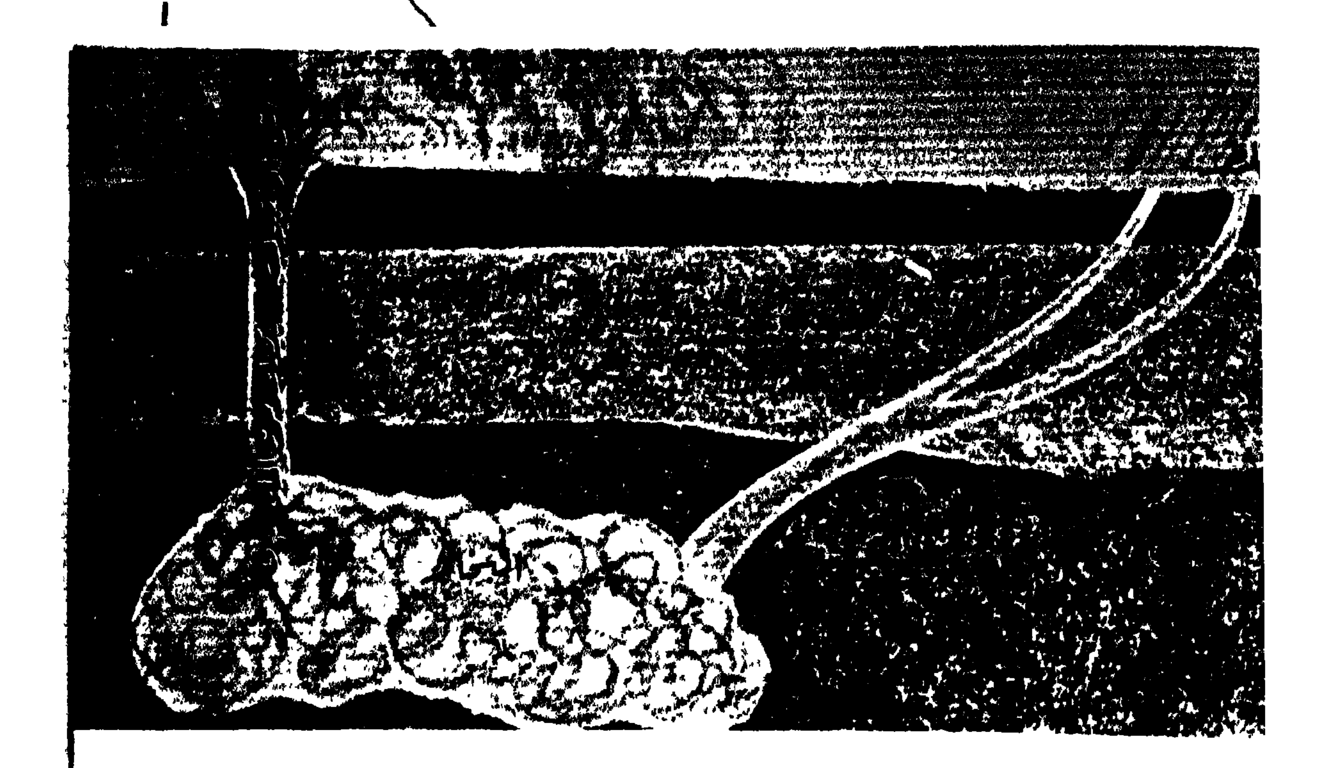
وصغار البطريق بحاجة الى عناية طويلة الامد ٠٠ كصغار الانسان ٠٠ علما بأنه لا يلد صغاره كالانسان فأنثى البطريق تبيض بيضة او بيضتين ،لا تلبث ان تفقس الواحدة عن فرخ واحد ٠٠ وهي غالبا ما تبيض في شهر مايو ٠٠ ويتولى الذكر العناية بالبيض لمدة شهرين حتى اذا فقس حلت الانثى محله ٠

الا ان طير البطريق يعيش بعيدا عن المجتمعات الانسانية ٠٠ في القطب الجنوبي ، حيث تهبط درجة الحرارة الى ٣٠ تحت الصفر ، او دون ذلك ٠ وهو صنوف كثيرة ، اكبرها ما يسمى بالبطريق الامبراطور ٠ ويبلغ هذا من الطول ٣ ـ ٤ اقدام وقد يزداد وزنه حتى يبلغ ٥٠ كيلو غراما ٠٠ ومن صنوف البطريق ما يسمى بالملك وهو اصغر حجما من الامبراطور ٠٠ ويعيش في مناطق اقرب الى الشمال واقرب بالتالي الى مجتمعات الانسان ٠

بقي ان نذكر ان طير البطريق لا يطير٠ فجناحاه غير معدين للطيران ، وهو يستعملهما للسباحة والتجديف٠فهو يجيد السباحة والغطس تحت الماء ٠٠ ولا عجب فهو يعيش على ما يصيده من اسماك وما اليها من احياء البحر ٠

المعتصم وابن الجنيد

كان المعتصم يأنس بعلى بن الجنيد الاسكافى . وكان عجيب الصورة والحديث . فقال المعتصم لابن حماد : اذهب الى ابن الجنيد وقل له يتهيأ ليزاملنى . فأتاه فقال له : تهيأ لمزاملة أمير المؤمنين فان مزاملة الخلفاء كبيرة . فقال : كيف أتهيأ لها . أصيب رأسا غير رأسى . أشترى لحية غير لحيتى . قال ابن حماد : شروطها الامتاع بالحديث والمذاكرة والمنادمة . وأن لا تبصق ولا تسعل ولا تمخط ولا تتنحنح . وأن تتقدم فى الركوب اشفاقا عليه من الميل وأن يتقدمك فى النزول . فمتى لم يفعل هذا المعادل كان ومثقلة الرصاص التى يعدل بها القبة واحدا . فقال لابن حماد :اذهب قل له :لا يزاملك الا من كان دنىء الاصل . فرجع الى المعتصم وأعلمه فضحك وقال : على به . فلما جاء قال : يا على أبعث اليك أن تزاملنى فلا تفعل . فقال له : ان رسولك هذا الارعن جاءنى بشروط حسان السامى وخالويه الحاكمى . فقال : لا تبصق ولا تعطس . وجعل يفرقع بصاداته وهذا لا أقدر عليه . فان رضيت أن أزاملك اذا أتتنى العطسة عطست والا فليس بينى وبينك عمل . فضحك المعتصم حتى فحص برجليه وقال : نعم زاملنى على هذه الشروط (للشريشى) .

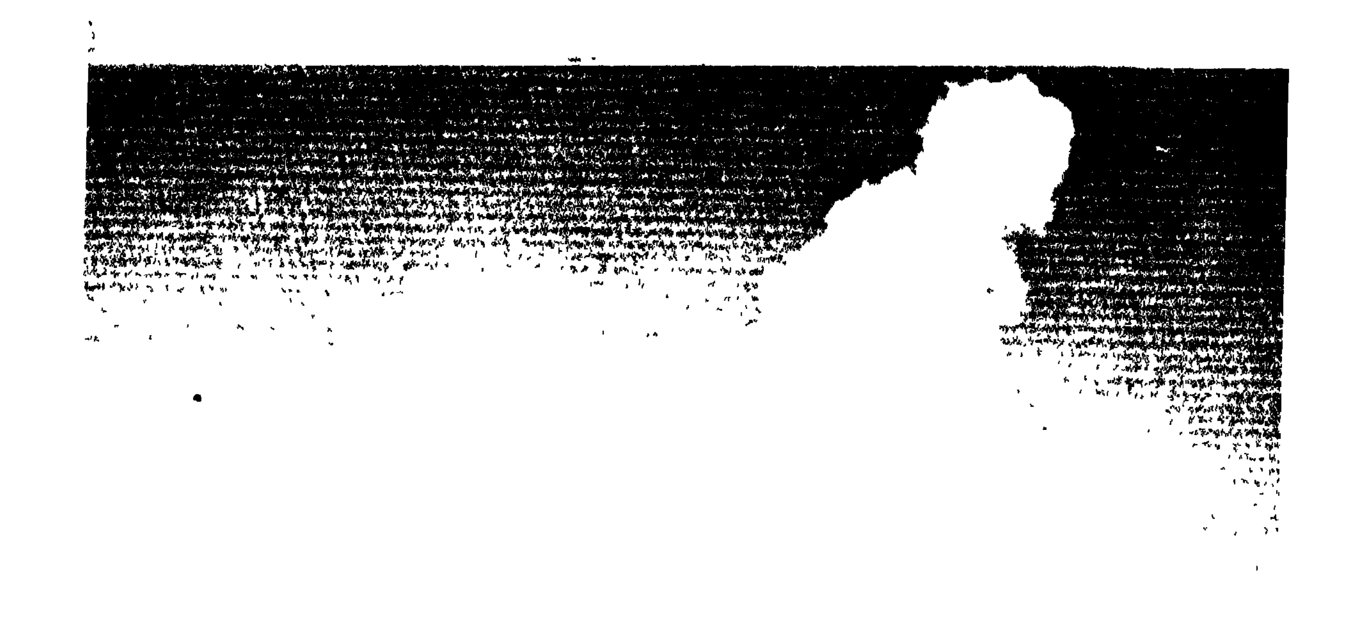


نوافير الماء الساخن ..

● من عجائب الطبيعة التى تروق مشاهدتها للصغار والكبار ·· النوافير الطبيعية التى يتدفق منها البخار او الماء الساخن تلقائيا ويتصاعد حتى يرتفع احيانا الى ١٥٠ قدما ·· ولا توجد هذه النوافير فى كل مكان ، بل انها لا توجد الا فى قلة من الاقطار، نذكر منها ايسلنده ونيوزيلنده ·· ونذكر ايضا ايطاليا ، وولاية كاليفورنيا فى الولايات المتحدة الامريكية ·· وتعتبر هذه النوافير مصدر دخل هام للبلاد التى تكثر فيها ·· فهى من المعالم السياحية التى تجتذب السواح بالجملة ·· وهى مصدر بديل للطاقة ·· نجحوا فى استغلالها والاستعاضة بها عن البترول فى اكثر من مجال ·

وتعمل النوافير فى الغالب بصورة متناوبة لا متواصلة ·· اى ان الماء او البخار الذى يتصاعد منها يعلو حينا وينخفض حينا آخر ·· فقد يرتفع الى علو ١٠٠ قدم ثم لا يلبث ان يهبط ·· ثم يعود الى الارتفاع تدريجيا فيبلغ ارتفاع المائة قدم ثانية فى نحو ساعة من الزمن ·· ولو ذكرنا كيف تعمل النوافير فى باطن الارض لما عجبنا لما يظهر لنا منها على سطحها ·

ويشبهون عملها فى جوف الارض كعمل طناجر البخار ·· فماء المطر يتسرب





نوافير الماء الساخن ..

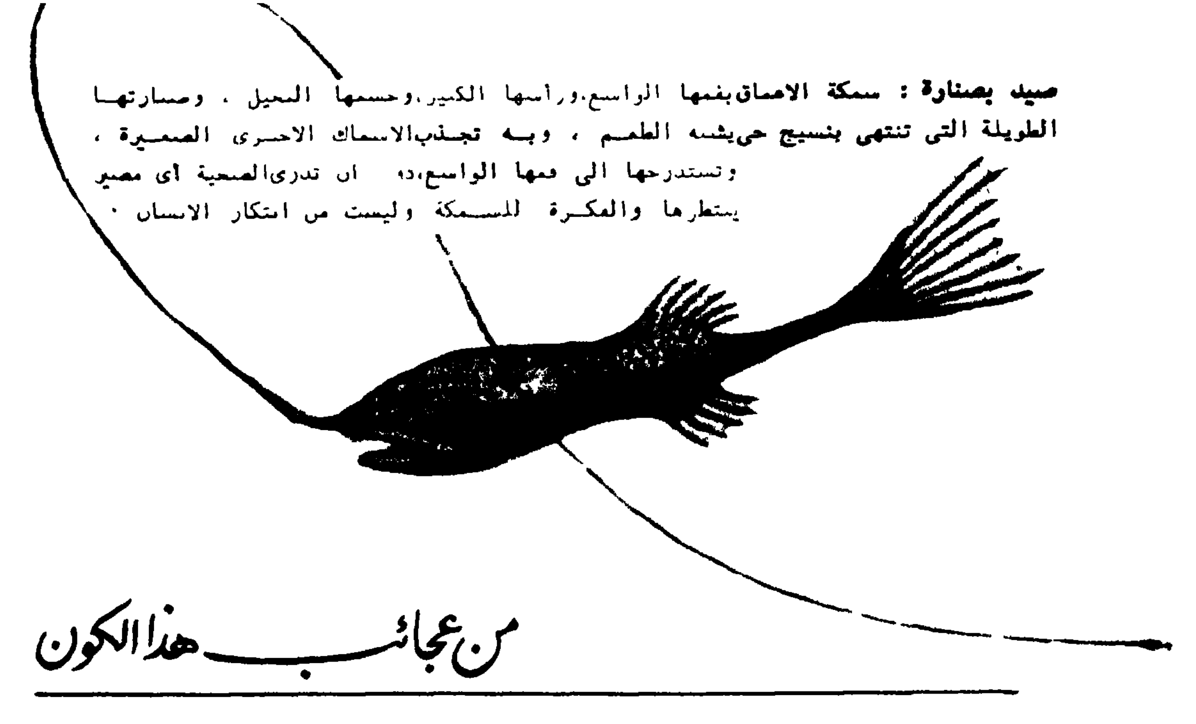
ويتجمع فى باطن الارض .. وقد يتجمع في طبقات الارض العليا حيث التربة باردة فلا يكون نوافير .. ولكنه قد يتجمع فى الاعماق ويكون حوضا حيث الصخور الساخنة ..

وهكذا يسخن ماء الحوض ويرتفع مستواه فيضغط على الماء الموجود فى الثقب الذى يشبه الانبوب ... (انظر الصورة) .. فيخرج هذا الماء الى سطح الارض .. ويبقى القليل منه داخل الانبوب ..

ولا يلبث ماء الحوض ان يتحول الى بخار .. ويضغط البخار على الماء المتخلف فى الانبوب بقوة كبيرة .. ولما كان هذا الماء المتخلف من القلة بحيث لا يستطيع الوقوف فى طريق البخار .. اندفع الى اعلى بقوة نتيجة لضغط البخار .. ثم يعود الانبوب فيمتلىء بماء الرشح ثانية وهكذا ...

وتجدر الاشارة الى ان ايسلنده تستغل هذه النوافير الساخنة فى تدفئة المنازل ، تدفئة مركزية . ويقال ان تدفئة العاصمة ركيافيك تتم كلها بحرارة النوافير الساخنة .. وتجدر الاشارة ايضا الى ان اهالى كاليفورنيا يستغلون هذه الحرارة الجوفية فى توليد الكهرباء على نطاق واسع .

تصدر وتطبع فى الكويت



صيد بصنارة : سمكة الاعماق بفمها الواسع ورأسها الكبير وجسمها النحيل ، وصنارتها الطويلة التى تنتهى بنسيج حى يشبه الطعم ، وبه تجذب الاسماك الاخرى الصغيرة ، وتستدرجها الى فمها الواسع دون ان تدرى الضحية اى مصير ينتظرها والمكرة للسمكة وليست من ابتكار الانسان ·

من عجائب هذا الكون

أيضاً : الأسماك والطيور والنباتات تمارس.. الصيد والقنص!

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

■ بينما كان ملك سيام يجلس فى احد أبهاء قصره مع ضيوفه وحاشيته فى بداية القرن الماضى ، اذ باحد الضيوف يهب من مكانه مذعورا، ويمد يده على قفاه ليتحسس طبيعة هذا السيل المنهمر من « الرصاص » اللطيف الذى اصابه ، لكن ·· حمدا لله ، فقد سال الماء على جسده بدلا من الدماء !

وفطن الملك الظريف لما جرى ، فكان أن ضحك حتى كاد أن يستلقى على قفاه ، وضحك معه من كانوا يعرفون أصول اللعبة ، وتعجب الباقون ، وطلبوا تعليلا لاصل تلك الخدعة ، لكن الأمر ليس ـ فى الواقع ـ لعبة ولا خدعة ·· بل أن ما جرى كان أسلوب حياة لسمكة تعيش فى بهو القصر عائمة فى حوض خاص ، وهى المسئولة عن كل ما

حدث للرجل ، وطبيعي أنه لا يوجد بينها وبينه سابق معرفة ، ولا هي كذلك تريد مضايقته ، رغم انها قد ضربت قفاه بقطرات مائية انطلقت كرصاصات شديدة الاندفاع ، فاصابت الهدف بدقة بالغة !

وماذا في قفا هذا الرجل بالذات من هدف واهداف دون بقية الحاضرين ؟

الواقع ان القفا لم يكن هو المقصود بسهامها المائية ، بل كان الهدف ذبابة تحوم حول القفا حينا ، وتحط عليه حينا آخر ، ومن هنا بدات السمكة ترصد هذا الهدف الطائر ، يساعدها في ذلك عينان تستطيعان الرؤية في الماء وفي الهواء على السواء ، ولها ميكانيكية خاصة في فمها ، فتاخذ الماء ، وتغلق الخياشيم ، ثم تضغط على ما اخذت ، فيندفع الماء بشدة من قناة ضيقة تتكون بين لسانها وبين سقف حلقها ، ويخرج على هيئة قطرات سريعة الاندفاع ، بحيث تضرب الهدف ، حتى ولو كان على مسافة مترين ، فاذ به من الغارقين في « طوفان » قطراتها !

وما هدفها من ضرب الذباب واغراقه ؟ ٠٠ هل لها هوايات في القنص والتصويب كالتي نراها بين البشر في نوادي الصيد وغيرها ؟ ٠٠ أم ان في الامر حكمة تخفى علينا ؟

الواقع أن سمكتنا هذه من عائلة خاصة من الأسماك ، وهي تعرف باسم سمكة « الآرشر » Archer Fish ـ اى رامية السهام (السهام المائية بالطبع ـ اى القطرات) ، وطبيعي انها لم تلتحق بناد ولا معهد للتدريب على الصيد في الهواء وهي قابعة في الماء ، بل تخرج الى الحياة مع اترابها ، وخطة الصيد في دماغها ، وهي لا تستخدمها في اللهو او التسلية ، بل في الحصول على غذائها ، الذى يتوقف على قدرتها ومهارتها ، فان صوبت واصابت ، غنمت ونالت ، وان كان عكس ذلك ، فالى الجحيم ، فالحياة تحافظ على الأكفاء ، وتقضي على من لا يستحق العيش والبقاء ، او ان شئنا الدقة لقلنا : ان المخلوق المتواكل الضعيف الذى لا يحسن حياته ، هو الذى يكتب بنفسه وثيقة فنائه ٠٠ سمكة كان ذلك او ثعبانا او ذئبا او انسانا ٠ فالكل أمام قانون الحياة سواسية ، كاسنان المشط ٠

اذن فرامية السهام المائية تقدم لنا طريقة حياة ذكية ، فكما تصطاد المخلوقات الارضية والهوائية ما يتراءى لها من المخلوقات المائية ، كذلك تستطيع المخلوقات المائية أن ترد الصاع ، وتصطاد شيئا مما يحلق في الهواء ، وطبيعي انها لا تستطيع ان تصطاد نسرا ولا حمامة ولا عصفورا ولا قفا ، بل صيدا يناسب سلاحها ووجبتها ٠٠ فهي قادرة على ان توقع صرصورا او فراشة او نحلة او ذبابة ، ولقد بلغ من دقة «تكتيكها» في التصويب انها تستطيع أن توجه « صواريخها المضادة على الهدف الطائر ، وعليها في هذه الحالة أن تحسب سرعة الانطلاق ، وارتفاع الهدف ، وزاوية الضرب والسقوط ٠٠ خاصة اذا كانت تعيش في حوض مائي معزول !

وبالخامات المحلية ، استطاعت السمكة وافراد عائلتها ان تكون « شبكات صاروخية » (من نوع بحر ـ جو) تناسب الحال ، وبها تسقط الاهداف العابرة ، لتصبح طعاما سهلا لكل من رمى فاجاد الرمية ٠

انها على اية حال فكرة صيد ظهرت قبل ان يظهر الانسان على هذا الكوكب بعشرات الملايين من السنين ، وما اغرب الأفكار ـ افكار الحياة !

وماذا في الجعبة بعد ذلك من افكار ؟

ليس الانسان وحده

يبدو ان كل فكرة بشرية ، قد سبقتها فكرة حيوانية او حشرية ٠٠ اى ان الانسان ليس الوحيد ـ على هذا الكوكب ـ صاحب الأفكار او صانعها ٠

على الشاطىء يجلس انسان ، وفي يده صنارة او شص يتدلى في الماء ، وفي الشص شيء من طعام قليل يخدع به الاسماك ، ويجذبها ، علها تبلع ما القى ، فاذا جازت عليها الخدعة ، خرجت من عالمها الواسع ، الى عالم البطون الجائعة ، وغالبا ما تجوز الخدع على اصحاب العقول الضعيفة ، سمكا كانوا او بشرا !

لكن فكرة الانسان فكرة قديمة ، وبراءة اختراعها تمت في اعماق البحار قبل ان يظهر الانسان بمئات الملايين من السنين ، فهناك في الاعماق صياد ،



.. ووقع الهدف او الصيد « برصاصات » مائية موجهة ، والى فم السمكة يدخل « ليكون لها وجبة مجانية لم تكلفها الا قطرات ماء او القنباط ..

وبشصه يصطاد « وصيده أكثر من صيد أذكى انسان ، مع تساوى الامكانيات بين هذا وذاك !

وصياد الاعماق ليس من اولاد « الجان »، ان كان هناك جان او اولاد على اية حال ، بل هو سمكة جاءت بشص من نفس نسيجها لتصطاد سمكة اخرى ، أو قل انها عائلة كبيرة من الاسماك ، ذات أجناس وانواع واشكال واحجام مختلفة ، ولها أيضا انماط أو « موديلات » من الصنانير المتباينة ، فمنها الطويل جدا ، ومنها القصير جدا ، أو ما بين ذلك تكون أطوال الصنانير ، أضف الى ذلك ان فى نهاية الشص او الصنارة ما يشبه الطعم ، والطعم بدوره يتخذ « موديلات » شتى ، فمنها ما يشبه الدودة الصغيرة ، ومنه ما يجيء على هيئة سمكة دقيقة ، او لسان صغير مشقوق كلسان بعض أنواع الحيات .. الخ ، وأخيرا تبلغ روعة الافكار مداها عندما يصبح الطعم ذاته مضيئا ، ولكل نوع ايضا ضوؤه ، فمنه ذو الضوء الاحمر او الاصفر أو الابيض أو الاخضر .. الخ ، اى كانما هى اضواء اشارات المرور فى عالمنا ، وفكرة الطعم الملون المضيء ليست رفاهية من السمكة ، بل هى لازمة من لوازم نجاح الصيد ، لان السمكة تسكن الاعماق ، وفى الاعماق ظلام شديد ، ولهذا



صيد بشوكه : اهتدى العصفور بذكائه الى احضار شوكة حادة ، واستخدمها كأداة ليخرج بها الديدان والحشرات المختبئة فى الثقوب ، كما نخرج نحن مثلا الشيء من الطلق بشوكة ٠٠ مع الفرق بين شوكة وشوكة !

كان لون الطعم واضاءته من العوامل الهامة التى تجذب الصيد ، فاذا بالذى جاء يصطاد وياكل ما يتماوج امامه فى الاعماق على هيئة وجبة شهية ، اذ به يصبح من الماكولين ٠٠ « وجاء يصيده فصاده » ـ على حسب ما تقول الامثال العامية ٠

ولا زالت اسماك الاعماق ذات الرؤوس الكبيرة ، والافواه الواسعة ، والاجسام الصغيرة تعيش بهذه الفكرة منذ عشرات الملايين من السنين حتى يومنا هذا ، وربما بعد يومنا هذا بملايين الايام والاعوام ، فالفكرة لاشك فعالة وذكية ، وهى قطعا ليست فكرة انسانية ٠٠ فوجب التصحيح لوجه الله الكريم !

لسان الحرباء الطويل

ولنترك من يصطاد برشاشاته المائية ، وصنانيره المضيئة ، ولنقدم مخلوقا معروفا لنا جميعا ، وان كنا لا نعرف انه يحصل على رزقه بلسانه ٠٠ وحتى لا تذهب بنا الظنون كل مذهب ، كان لابد ان نسارع ونقول أن مخلوقنا هذا لا يتكلم بلسان فصيح او غير فصيح ، فكل مؤهلاته الحقيقية ان لسانه طويل ٠٠ طويل جدا ، فاذا خرج من فمه ، وانفرد عن آخره ، كان احيانا اطول من جسمه ٠٠ انه لسان الحرباية او الحرباء التى يضرب بها المثل بين الناس ٠

ولهذا اللسان الطويل ميكانيكية بيولوجية عجيبة تؤهله لاصطياد أكيد وسريع ، فاذا خرج اللسان من الفم خاليا ، عاد فى اغلب الاحيان غانما ٠٠ اما بفراشة أو دودة او اية حشرة تهواها نفسه ، وتشبع بها بطنه !

ولسان الحرباء مجوف كقطعة من الأمعاء ، ولقد كان الظن السائد انه ينطوى على نفسه داخل الفم ، فاذا خرج ليصطاد ، خرج مندفعا كانبوبة منفوخة ، لكن الامر ليس بمثل هذه البساطة ، لان اللسان محكوم بجهازين او مجموعتين من العضلات ، احداهما طولية فى اللسان ، فاذا انكمشت ، انطوى اللسان كما تنطوى ثنيات جهاز « الاوكورديون » وعندئذ يلتصق بعظمة غضروفية تبرز من « زوره » ، وعندما تريد تشغيل لسانها او « بندقيتها » العجيبة ، فانه يتحرك كوحدة متكاملة الى الامام (كانما هو بطارية مدفع مثلا جاهز للانطلاق) ، وتتحرك الحرباء كذلك حركة تسللية شيطانية غاية فى الحرص والانضباط والتوجيه ، ثم تقف وجهازها او لسانها فى بداية الفم ومستعد للانطلاق فى اية لحظة كقذيفة مرتدة ٠٠ اى تضرب الهدف ، وبه تعود ، فاذا بدات الضرب فى لحظة خاطفة ، حدثت حركة تشنجية ضاغطة بواسطة مجموعة من عضلات دائرية تتحكم فى طرف اللسان ، فتدوس على الغضروف المتحكم ، فيسقط كما يسقط الزناد ، وينفرد اللسان بقوة وبسرعة الى الخارج من خلال عضلاته التى تجرى فيه بالطول ، وفى ذات الوقت الذى

يصل فيه الى الضحية ، تكون ميكانيكية عضلية ثانية قد سحبته وطوته ، وبحيث لا تستطيع العين البشرية ن تسجل ما يحدث ، وهكذا تجيء الرياح بما تشتهي السفن • نعني تجيء الألسنة بما تشتهي البطون •

وهذه الفكرة ذاتها ـ فكرة الحرباية ـ قد « لطشها » الانسان ، واستخدمها استخداما بدائيا لكي يصطاد بها كلبا أو حيوانا ‥ وهي فكرة القاء حبل ذي « خية » لتلبس في رأس الحيوان او الضحية ‥ لكن تكتيك الحرباء أرقى ، وفكرتها أعتى ، ونتيجتها لا تجارى ، فكل شيء قد صمم بحكمة بالغة ، لنعرف رؤوسنا من أرجلنا ، حتى لا يصيبنا الغرور كلما فعلنا شيئا حسبناه مبتكرا !

صيد اللسان : انطلق لسان الحرباء كالصاروخ ليصيب الهدف تماما ، وبه يرجع في لمح بالبصر ‥ وهكذا تكسب قوتها بطول لسانها!



درس من العصفور

يقولون ان الانسان صانع الادوات ، حتى ولو كانت هذه الاداة عصا يتوكأ عليها ، أو حجرا مسنونا يقطع به ما لا يستطيعه بيديه واسنانه ، ومع ذلك ، فالطبيعة الحية تقول لنا : مخطئة أفكاركم ‥ راجعوا أنفسكم ، ففي الحياة كنوز مخفية ، لا تكشفها الا عقول ذكية ، توضح لنا ما خفي علينا من أسرار الله في خلقه ‥ وهي كثيرة ومثيرة وبديعة •

والقرود ـ خاصة القردة العليا القريبة الشبه بالانسان ـ تستطيع أن تصنع أدوات جد بدائية ، وتستخدمها في اغراض محددة ، وبدون هذه الأدوات ، لا تصل الى ما تريد •

لكن أن يصبح صانع الاداة عصفورا صغيرا ، فهذا ما لا يمكن أن يطرأ لنا على بال . فبينما كان داروين صاحب نظرية التطور الشهيرة يتجول في جزر الارخبيل ، لاحظ انواعا عديدة ومثيرة من كائنات لم تقع عليها عين فاحصة من قبل ، وكان ما رآه عصفورا مغردا يهوى الديدان والحشرات التي تختبيء تحت قلف الاغصان ، وشقوق الاشجار ‥ لكن منقاره صغير ، ولن يسعفه في الحصول على قليل أو كثير !

لكن ‥ لحظة ‥ فما استحق الحياة من لم يعرف كيف يتغلب على مشاكلها ، حتى ولو كان ذلك عصفورا ليس له مع المفكرين أدنى نصيب ‥ لكن يبدو انه « فكر وتدبر » ونظر وقفز ، وبمنقاره الحاد اخذ يعالج شوكة صلبة على نبات ذي اشواك ، وانتزع واحدة ، وفي منقاره حملها ، ويشدة اسنّها ، وفي الثقوب ، وتحت قلف الأشجار بدأ يغرسها ، ثم يخرجها ، وفيها يخرج ما يهواه من صيد ميسور ـ صيد لم يستلزم الا فكرة ‥ هي غرس شوكة كالابرة ، لكن نفس هذه الفكرة يستخدمها الشمبانزى عندما يريد صيد النمل الأبيض ، ويستخدمها أيضا الرجل الاسترالي

البدائي في البحث عما خفي عليه من حشرات معببة الى نفسه في الثقوب الكثيرة الكائنة في الأشجار ، ونستخدمها ايضا على موائدنا عندما نريد الحصول على شريحة من لحم او اى شيء غارق في الشوربة ٠٠ ولا يلزم لهذا الا شوكة ، لكنها تختلف عن شوكة العصفور ـ الصياد الصغير ، صاحب الدرس المثير ٠

وغول النمر ايضا !

وتزعم بعض الأساطير بان الآبار المهجورة ، والحفر المشقوقة هي مساكن « للغولة »٠٠والغولة حيوان خرافي رهيب ، ولطالما وقع في قبضته بعض الآدميين ، فلم يخرجوا من الآبار ولا الحفر الا عظاما مدقوقة ، هذا ان قدر لهم ان يخرجوا على اية حال ٠

ترى ٠٠هل هناك علاقة بين هذه الحفر وغيلانها الأسطورية التي تاكل البشر ، وبين تلك«الغيلان» التي تعيش معنا ، وتحت اقدامنا في رمال هذا الكوكب ؟

الواقع ان هناك حشرة تعرف باسم « غول » النمل ، واحيانا باسم اسد النمل،ولها في الصيد فكرة مبتكرة وشيطانية ، ففي الرمال تدفن نفسها، بعد ان تكون قد جهزت حفرة صغيرة كقمع ذات جدار املس ناعم ، ولو دققت النظر في قاع القمع او الحفرة الملساء ، لوجدت زائدتين صغيرتين بارزتين ، لكن لا شيء فيهما يثير الانتباه ، ومع ذلك ، ففيهما تكمن الماساة ،اذ هما بمثابة المقصله او الفكوك المفترسة التي تهون بجوارها الفكوك التي نراها في الافلام٠٠اضف الى ذلك ان الفكوك كثيرة ، لان غيلان النمل منتشرة هنا وهناك (كما تراها في الصورة المنشورة) بجوار مستعمرات النمل ، ولهذا فان الصيد مضمون ، وهناك دائما آكل وماكول ٠٠ لكن الماكول لا يعرف يقينا متى سيؤكل ، ولو عرف ، لما وقع المحظور !

النملة الآن تسير متهادية مطمئنة ، وفجأة تجد نفسها على حافة هاوية ، واذ بالرمال الناعمة تنهار تحت ارجلها ، فتحاول ان تتجنب الكارثة ، فتزيد الأمور تعقيدا ، والرمال انهيارا ،والنملة انحدارا،حتى تقع في الهاوية ،وهنا تبدأ الأحداث البشعة ، فاذ بهاتين الزائدتين المسالمتين تظهران كفكين عظيمين قويين يزهقان حياة النملة في لحظة خاطفة ، واذ باجزائها تتطاير كما تتطاير بندقة تحت كسارتها ٠

ويستمر غول النمل في حفرته ، بعد ان يسوى ما تهدم من جدار مصيدته ، ويعيش على«قزقزة» النمل كما يعن لبعض البشر « قزقزة » اللب ، وهكذا تقدم لنا الحياة صورة بشعة لعالم مليء بالافواه المفتوحة،والبطون الجائعة ، ولكل مخلوق فكرته في الايقاع بغيره ، وعندئذ قد لا ينفع الحذر، اذا ما ضحك القدر ٠

وصور أخرى كثيرة وغريبة ، ونحن لا نستطيع ان نقدمها هنا لضيق المجال ، لكن دعنا نقدم صورة واحدة من صور الصيادين في عالم النبات٠٠فكما نصب صيادو الحيوان شباكهم ، كذلك ينصب النبات شباكه ، ليصيد الحيوان لحما ، ويرميه « عظاما » ٠

وفكرة النبات هنا لا تختلف كثيرا عن فكرة الفخ ذى الأسنان التي اذا اطبقت على الضحية لم تتركها ابدا،والنبات اسمه صيادة فينوس للذباب، ولتلك أسطورة،لكنها لا تهمنا كثيرا،لان الصيادة تصطاد بورقتها ، وورقتها قد تحورت واتخذت شكل الفخ الذى يصنعه البشر ، لكن فكرة النبات اقدم بكثير من فكرة الانسان ، ولكي يصطاد النبات ، فلابد ان يجهز مصيدته بطعم ، فيفرز مادة حلوة ، وتاتي ذبابة او فراشة او جرادة،ومع اول قطرة من وليمة الموت ، تطبق الورقة بقوة ، وتظل هكذا ساعات وأياما ، فتعتصر رحيق الحيوان اعتصارا ، ثم تلقيه حطاما ، وتعاود اللعبة الأزلية ٠٠ لعبة الموت والحياة ٠

مات الصيد ٠٠ عاش الصياد !

لكن للصياد يوما ٠٠ حتى ولو طال الزمان٠٠ حكمة بالغة ، « فهل من مذكر » ؟! ■ ■

الاسكندرية ـ الدكتور عبد المحسن صالح



ما رأيكم : نستخدم العقل أو لا نستخدمه ؟

واحد من علمائنا في مركز ديني رفيع ، خصص فصلا كاملا في كتاب أخير صدر له ، يهاجم فيه العقل ويندد به . ويعتبره مفسدة للقلب وجرثومة ضارة يجب أن تعبأ الجهود من أجل القضاء عليها ، قبل أن يستفحل الداء وينتشر الوباء ، وتحل الكارثة على أمة المسلمين ، فتنسيع بينهم ـ والعياذ بالله ـ آفة استخدام العقل !

وتاكيدا لموقفه في تسفيه العقل ، فان الشيخ سامحه الله روى لنا في كتابه الذى قدم فيه سيرة أحد الاولياء ، انه عندما شرع في تاليف الكتاب سافر الى مقام ذلك الولى ، واستاذنه ، فاعطاه الاذن .. كيف ؟ هذا سؤال يطرحه السذج والمرضى بالداء اللعين ، ولا يجول بخاطر الاصفياء اطهار القلب والروح . اذ ما الغرابة بالله عليكم في أن يبعث واحد من الاحياء برسالة استفهام الى واحد من الاولياء ، يرقد في قبره منذ عشرات السنين فتقرأ الرسالة في العالم الآخر ، ثم يجيء الرد عاجلا وموصى عليه !!

وهجوم الشيخ ذو المقام الرفيع على العقل ليس جديدا . فتلك موجة تنشط بين الحين والآخر . تحاول ان تصد ـ اذا حسنت النية ـ تيارات الفكر المادى القادمة من وراء حدودنا . وهى موجة خطرة في الحقيقة لانها تخلط بين استخدام العقل وعبادته . فضلا عن أنها تربط بين الدعوة الى استخدام العقل وفلسفة المذهب العقلى أو التجريبى . التى تنكر كل ما لا يخضع للتجربة الحسية ، الامر الذى يرفض في النهاية الاعتراف بكل ما هو غيبى . ومن هؤلاء مولانا أبو الاعلى المودودى ـ العلامة الهندى الشهير ـ الذى عكست كتاباته هذا الخلط ، اذ قال في كتابه « نحن والحضارة الغربية » : ان الايمان وطلب الحجة العقلية كشرط من شروط الاطاعة والاذعان أمران متناقضان لا يسوغ العقل السليم اجتماعهما أبدا ، فالذى هو مؤمن لا يمكن ان يكون طالبا للحجة بحكم منزلته هذه « وأما الذى هو طالب للحجة العقلية على هذا النحو فلا يمكن أن يكون مؤمنا » . (الطريف أن المستشرقة الالمانية زجريد هونكة قالت في كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » ان أهم ما قدمته الحضارة الاسلامية الى الفكر الغربى هو المنهج التجريبى !

هذا يحدث اذا حسنت النية ، غير اننا لا بد أن نسجل أيضا أن الحملة الضارية على العقل تصدر احيانا بدافع الرغبة في تخدير الجماهير والابقاء عليهم في حالة من الغيبوبة. الامر الذى يتهدده دائما أن يستيقظ العقل ويتحرك الانسان بوعيه كاملا .

●

ونحن لن نناقش اجابة السؤال الذى طرحته في البداية ، ولن نناقش ايضا حجج المهاجمين للعقل والمحذرين من استخدامه على اختلاف نواياهم ومقاصدهم ، ذلك انه من العبث أن ندخل في جدال حول قضية استخدام العقل او الغائه بينما نحن نقف على ابواب القرن الواحد والعشرين . لكننا فقط سنسجل بعض الملاحظات حول الموضوع :

الملاحظة الاولى : هى ان هذا الكلام الذى يقوله المهاجمون للعقل هو نفسه الذى كانت تردده المجامع الكنسية فى العصور الوسطى لمواجهة التأثر بالفكر الاسلامى المستنير ، الذى كان اشعاعه يصل الى أوروبا عبر الاندلس وصقلية وجنوب ايطاليا . ولعلنا نذكر التحذيرات التى كان يطلقها رجال الكنيسة لمنع المتعلمين من تداول افكار الفيلسوف المسلم ابن رشد ، والتى وصلت الى حد اتهام هؤلاء المتعلمين بالمروق والضلال .

فى عصور الانحطاط وفى ظل الحرص على تجهيل الناس كان من الطبيعى ان تنطلق الحملة ضارية لتهاجم العقل وتشهر باثاره المخربة والمدمرة . وهذا موقف منطقى ، اذ ان الظلام لا يتهدده ولا يبدده الا شيء واحد وخطر واحد هو : النور .

الملاحظة الثانية : ان هذا السلوك يتعارض تماما مع موقف الاسلام من العقل . ذلك ان « القرآن الكريم لا يذكر العقل الا فى مقام التعظيم والتنبيه الى وجوب العمل بـه والرجوع اليه ، ولا تأتى الاشارة اليه عارضة او مقتضبة فى سياق الاية ، بل هى تأتى فى كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة ، وتتكرر فى كل معرض من معارض الامر والنهى التى يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله ، او يلام فيها المفكر على اهمال عقله وقبول الحجر عليه » ــ عباس العقاد فى كتابه « التفكير فريضة اسلامية » .

ولا بد ان تسجل هنا الملاحظة الذكية التى طرحها الفيلسوف والشاعر محمد اقبال فى كتاب « تجديد الفكر الدينى » ، والتى قال فيها انه كان من الطبيعى ان يكون محمدا عليه السلام هو آخر الأنبياء ، لانه بعد ان اسلم البشرية الى عقلها ، لم يعد هناك مجال بعد لنبوة جديدة ورسالة جديدة .

الملاحظة الثالثة والمدهشة ، هى ان ما يقوله فريق من علمائنا الان ليس فقط متعارضا مع موقف الاسلام الحقيقى من قضية العقل ، ولكنه متخلف بحوالى ستة قرون عن مسيرة الفكر الاسلامى ذاته . فعندما نقرأ كتابات بعض الفقهاء المسلمين منذ ٦٠٠ سنة نجد انها اكثر استنارة واوفر شجاعة واعمق فهما للدين من بعض فقهاء هذا الزمان .

ولشيخ المجتهدين ابن تيمية كتاب كامل فى « رد تعارض العقل والنقل » . خصصه لمناقشة القضية من زاوية دقيقة تتمثل فى السؤال التالى : ما العمل اذا تعارض الشرع ــ وهو المنقول الينا من غيرنا ــ مع العقل .

فى رده قال ابن تيمية : اذا حدث التعارض بينهما « فاما ان يجمع بينهما وهو محال، لانه جمع بين النقيضين واما ان يردا جميعا (اى يرفضا جميعا) . واما ان يقدم السمع وهو محال .. لان العقل اصل النقل فلو قدمناه عليه ، كان ذلك قدحا فى العقل الذى هو اصل النقل . والقدح فى اصل الشيء قدح فيه . فكان تقديم النقل قدحا فى النقل جميعا ». والحل ؟ .. يرد ابن تيمية « فوجب تقديم العقل » .

ثم يضيف شيخنا الجليل ان هذا الرأى بمثابة « قانون كلى » عند اكثر الائمة المجتهدين، الفخر الرازى واتباعه ، وقبله الامام الغزالى والقاضى ابو بكر العربى والباقلانى .

وهذا صحيح ، فابو بكر الرازى يقول فى كتابه « المطالب العلية» لما كان العقل اصلا للنقل ، كان الطعن فى العقل موجبا للطعن فى العقل والنقل معا ، وهذا محال . (لاحظ ــ مرة ثانية ــ ان هذا الكلام قيل منذ حوالى ٦٠٠ سنة) .

والامام ابو حامد الغزالى يقول فى « رسالة قانون التاويل » فمن بعض وصاياه : ان لا يكذب برهان العقل اصلا ، فان العقل لا يكذب ، ولو كذب فلعله كذب فى اثبات الشرع ، اذ به عرفنا الشرع ، فكيف يعرف صدق الشاهد بتزكية المزكى ؟؟

والامام ابن حزم يقول فى كتاب « الاحكام فى اصول الاحكام » انه يطل ان يعلم صحة الخير بنفسه ، اذ لا فرق بين صورة الحق وصورة الباطل ، فلا دليل يفرق بينهما ،وليس ذلك الا لحجة العقل المفرقة بين الحق والباطل .

وللجاحظ عبارة مشهورة يقول فيها : ان العقل هو وكيل الله عند الانسان .

هو « اكتشاف » قديم اذن ، مسجل ومعمول به منذ نزل القرآن الكريم ، وسال المسلمين فى اكثر من موضع « أفلا تعقلون ؟ » ، ثم اشار فى اكثر من موضع ايضا ان الله سبحانه وتعالى يفصل الآيات لقوم يعقلون ثم اكد ان العقل سبيل الى معرفة الله،عندما خاطب المشركين فى سورة الانبياء قائلا : « اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون»؟.

●

لكن هناك تفرقة منطقية ومفهومة بين امور العقيدة الثابتة دائما ، وامور الدنيا المتغيرة دائما . او على حد تعبير المفكر الاسلامى الدكتور محمد المبارك ، الدائرة الغيبية التى يعد التسليم بها من مستلزمات الايمان ، والدائرة السببية التى يعد استخدام العقل فيها من مستلزمات الحياة التى لا تثبت على حال .

هذا الموقف الاسلامى من العقل سلح المسلمين الاوائل بجسارة بالغة ، مكنتهم من الذهاب الى مدى بعيد فى الاجتهاد ، حتى انهم هم الذين وضعوا الاساس العقيقى لما عرف بقاعدة « تغير الاحكام بتغير الزمان والمكان » . اى ان الحكم ينبغى ان يوضع فى موضعه الصحيح ، بحيث يصبح لا محل لتطبيقه اذا تغيرت ظروف الزمان او المكان .

مثلا ، ينص القرآن على ان توزع الزكاة على سبعة بنود ، بينها بند « المؤلفة قلوبهم » ، وهم ضعفاء الايمان الذين يختى من ردتهم عن الاسلام اذا هم لم يعطوها ، اوالذين يرى انهم يسهمون فى قضاء مصالح المسلمين الهامة . وكان النبى عليه السلام يطبق النص ويعطيهم حصتهم من الزكاة . وعندما تولى ابو بكر جاءه بعض هؤلاء «المؤلفة» يطالبون بحصتهم ، فكتب الى عمر بن الخطاب بذلك . لكنهم عندما توجهوا الى عمر قرأ الرسالة ثم مزقها ، وقال لهم : لا حاجة لنا بكم ، فقد أعز الله الاسلام واغنى عنكم .

لقد استخدم عمر بن الخطاب عقله الفذ ، واقتنع بانه لم يعد هناك مصلحة او مبرر لتطبيق هذا النص ، والتزم بقناعته .

وبمثل هذا المنطق عالج الخليفة عمر مسالة السرقة فى عام المجاعة ، عندما اوقف تنفيذ عقوبة قطع يد السارق،رغم النص عليها فى القرآن ، لان ظروفا متغيرة طرات على الموقف لم يكن ملائما معها ، بل كان من الظلم فى ظل تلك الظروف ، ان يطبق الحد على الجياع.

وكان اجتهاده ايضا فيما هو سنة عن رسول الله (ص) ، عندما منع اراضى سواد العراق واراضى مصر والشام على المجاهدين الفاتحين الذين طالبوا بتقسيمها بينهم ، كما تقسم الغنائم الحربية بعد اخراج خمسها لبيت الله ، محتجين بظواهر نصوص القرآن والسنة . وابقى عمر بن الخطاب على الارض بين ايدى اصحابها ، يؤدون عنها الخراج لينفق على مصالح عامة المسلمين .

والنماذج كثيرة ، وكلها تنطق بحقيقة هامة هى ان المسلمين الاوائل لم يترددوا فى ان يناقشوا الاحكام باهدافها ومبرراتها ، بحرية واسعة وصلت الى حد الاجتهاد فى فهم نصوص القران ذاتها وسنة النبى علية السلام .

اخيرا ، ما رايكم : نستخدم العقل اولا نستخدمه ؟ ؟

فهمى هويدى

هل العرب أثرياء حقا ؟

بقلم : الدكتور محمد سلطان ابو على

■ يتواتر فى المحافل الدولية فى اعقاب ارتفاع أسعار البترول عام ١٩٧٣ ان العرب اصبحوا أثرياء. ويبرز ذلك اكثر ما يبرز فى الاجتهادات التى تتنبأ بمستوى الدخل القومى الذى ستحصل عليه البلدان العربية المنتجة للبترول خلال السنوات القادمة ، ومقدار الانفاق المتوقع ، وما سيتراكم لديها من احتياطات وأرصدة لم تنفق . كما تتسابق الدول الصناعية فى جذب هذه الاموال – او ان شئت نقل الفوائض النقدية – الى مصارفها او اتاحة فرص استثمار متنوعة داخل اراضيها سواء فى صورة عقارات او اسهم بالشركات الصناعية الكبرى . وهكذا اقترن الثراء بالعرب منذ حرب اكتوبر ١٩٧٣ . فهل اصبح العرب حقا اثرياء ؟ وهل هذه الارصدة تجعلهم اقوياء ؟

وقبل ان نجيب على هذا التساؤل لا بد من النظر فى معنى الثراء . فلا شك ان الثراء شىء نسبى يختلف من مكان لآخر ومن زمان لآخر . ولا يمكن ان يعرف الثراء بطريقة مطلقة ، ولكن يتم ذلك بمقابلته بنموذج قائم او مرغوب فيه .

فالمجتمع الذى يعتبر ثريا بالمقارنة بمجتمع ما قد لا يكون كذلك بالنسبة لمجتمع آخر . ولا يوجد مقياس حقيقى للثراء الاقتصادى – فى رأينا – حجم ونوع الهيكل الاساسى (اى الطرق والكبارى والمطارات والموانىء... الخ) وكذلك مقدار السلع والخدمات التى ينتجها المجتمع فى مجالات الزراعة والصناعة والترفيه والتعليم وغير ذلك. ومن ثم فان الثراء الحقيقى للمجتمع هو خلق فرص المعيشة الكريمة لجميع افراده مع اتاحة الفرصة للترقى والابداع ، والاسهام بفعالية فى مجريات الامور الدولية سياسية كانت ام اقتصادية وحضارية . اما المجتمع الذى يعيش على هامش الحياة ، ويعتمد على الاخرين فى مجال العلوم والفنون بل واستيراد الغذاء والكساء ، ولا يقدم رسالة للانسانية ، وتكون تصرفاته ردود افعال وليست افعالا فيها المبادأة والحركية ، فلا يمكن ان يكون الا مجتمعا فقيرا ضعيفا .

في عالم الثراء

لا يختلف اثنان على ان العالم الغربي هو عالم الثراء . بل يستخدم لفظ الدول الغنية كبديل للدلالة على الدول الغربية . وتبرز معالم هذا الثراء في شتى انشطة الحياة . وتقتضي ظروف عمل الكاتب انيمر كثيرا بعدد من المدنالاوروبية مثل باريس وفرانكفورت وبروكسل . وكما هو معروف فاول ما يقابله الانسان في هذه المدن المطارات الرحبة الشاسعة التى تتدفق فيها الحركة في سهولة ويسر . وتتكون معظم هذه المطارات من طوابق متعددة احدها للوصول وآخر للمغادرة وربما طوابق اخرى للطيران الداخلي . واذا لم تك هذه المطارات متعددة الطوابق فانها تمتد على مساحة كبيرة . ومنذ ان يخرج المسافر من باب الطائرة يسير في صالات وممرات لا يخرج الى الطريق العام الا عند الباب الخارجي للمطار .

وعلى سبيل المثال يوجد بباريس ثلاثةمطارات احدها مطارشارل ديجول الذى بنيعلى احدثطراز . وتمتد الممرات بداخله فيما يشبه مركبة الفضاء . والقنوات التى تنقل الركاب بين الطوابق غلفت بالزجاج بحيث يرى المسافر بعض الناس فوقه وآخرين اسفل منه . ومن مكتب انهاء اجراءات الجوازات والتاشيرات الى صالة انتظار ركوب الطائرة تسير احزمة متحركة مسافة تقرب من الكيلومتر،مما يمنع ازدحام المسافرين. ومن اللحظة التى تتسلم فيها شركة الطيران حقائب المسافرين لا يمسها انسان الا اسفل الطائرة حيث يتم تحميلها في وقت قصير جدا . ولهذا يكفى ان يصل المسافر الى المطار قبل اقل من ساعة من موعد اقلاع الطائرة .

وعندما يخرج المرء من المطار يجد أمامه العديد من وسائل المواصلات التى تنقله الى وسط المدينة تتنوع بين قطار وسيارة اجرة واتوبيس. وبالرغم من المسافة التى قد تزيد على ثلاثين كيلو مترا لايستغرق الوقت اللازم لقطعها نصف ساعة . ويرجع الفضل في ذلك اساسا الى الطرق السريعة الجيدة التى لاتعترضها اشارات مرور . كما ترى في بعض المناطق ثلاثةمستويات من الطرق فوق بعضها البعض بالاضافة الى الانفاق .

ولاتوجد في معظم الاوقات صعوبة في العثور على حجرة بالفندق حيث يوجد العديد منها وعلى درجات مختلفة . اما داخل المدينة ، فيعتبر مترو باريس مناشهر وسائل النقلداخل المدن ويتصف بالنظافة ويتشعب لكى يصل جميع انحاء المدينة ببعضها البعض .هذا علاوة على تكاليفه الزهيدة، اما مشكلة الاسكان ـ فبالرغم من الحديث عنها ـ فانك ترى العديد من اللافتات التى تعلن عنوجود شقق للبيع او للايجار . صحيح انها قد تكون بعيدة عن وسط المدينة بعض الشىء ولكنها متاحة . كما قد تكون اسعارها باهظة ولكن مدخول الافراد مرتفع ايضا .

اما خدمات الهاتف فهي متاحة بسهولة ويسر . ويستطيع الانسان ان يتصل مباشرة من اية مدينة اوروبية باخرى دون تدخل عامل الهاتف . بل تستطيع في بعض الاماكن الاتصال من المدن الاوروبية مباشرة بالمدن الامريكية وذلك بواسطة الاقمار الصناعية .

وبالرغم من الخلافات التاريخية التى كانت قائمة بين البلدان الاوروبية ـ وربما كاناشهرها الحروب الفرنسية الالمانية ـ فانه من اليسير التنقل بين العواصم الاوروبية حيث توجد اكثر من وسيلة للانتقال . فالطرق التى تربط الدول الاوروبية المختلفة سريعة ومتشعبة ، والاجراءات الادارية للسفر تكاد تكون غير موجودة . ويستطيع رعايا بلدان السوق الاوروبية المشتركة الاصليين (فرنسا والمانيا وايطاليا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبرج) دخول اى بلد من البلدان الاعضاء دون ان تختم جوازات سفرهم ويكتفى بمجرد التحقق من سريان مفعولها . كما توجد اكثر من رحله جوية بين جميع العواصم الاوروبية . وتربط شبكة السكك الحديدية بين المدن المختلفة ربطا تاما ، وتتم اجراءات الجوازات بداخلها دون عطل او تاخير . وعن طريق هذه السهولة في الانتقال تتم الاعمال بكفاءة عالية .

واذا انتقلنا من مجالالخدمات الىمجال الانتاج

لوجدنا ان هذه البلدان الاوروبية تصنع العديد من السلع الاستهلاكية والمعمرة والانتاجية ٠تنتج انواع كثيرة من السيارات في كل من فرنسا وبريطانيا والمانيا وايطاليا تكفي للاستهلاك المحلي وتصدر اعداد كبيرة منها للخارج ٠ وكذلك الحال بالنسبة للصناعات الاخرى الغذائية والملابس والغزل والهندسية والاساسية وغيرها٠ وفي مجال الزراعة فان الانتاجية الزراعية لهذه البلدان مرتفعة جدا وتنتج نسبة كبيرة من احتياجاتها المحلية٠ فباستثناء انجلترا التي تستورد جانبا ملموسا من حاجاتها الغذائية تكاد تكفي معظم البلدان الاوروبية حاجاتها الغذائية من انتاجها الذاتي٠صحيح ان هذه الدول تقوم باستيراد وتصدير منتجاتها لبعضها البعض، ومع غيرها من الدول ،الا ان هذا نابع من الرغبة في تنويع الاستهلاك والتعاون مع العالم الخارجي ٠ ولكن اذا اضطرتها الظروف ـ لسبب او لاخر ـ الى الاعتماد على نفسها فانها تستطيع ذلك الى حد كبير ٠

ومن ناحية اخرى ، تتسم ظروف العمل التي يعمل فيها المزارع والعامل باليسر ويكتنف حياته النظافة والرخاء ٠فيعيش معظمهم في منازل على درجة عالية من الراحة بها مياه جارية وكهرباء ، ومؤثثة جيدا وبها تلفاز وغير ذلك من وسائل الترفيه ٠ كما يمتلك معظمهم سيارات مما توفر لهم وسائل انتقال مريحة ٠

ويكمن وراء كل ذلك البحوث العلمية في معاهد التعليم ومراكز البحوث في الصناعة وغيرها ،وتضع هذه المؤسسات الاكتشافات العلمية موضع التطبيق كاختراع سلع جديدة او وسائل انتاجية اكثر كفاءة ٠او انتاج ذات البضائع بتكاليف اقل وينتج عن البحوث والتنمية تسجيل عدد هائل من براءات الاختراع سنويا ٠ وبالرغم من هذا الاطناب لعلي لم اتناول جميع جوانب الثراء المادي للغربي ولكن ارجو ان اكون قد صورت ما يعنيه الغنى الاقتصادي ولعله ايضا يجسد ما يتطلع اليه العالم الثالث من وراء التنمية الاقتصادية ٠

حقيقة العالم العربي

واذا انتقلنا الى بلادنا العربية التي يصفونها بالثراء ويبحثون عن كافة الوسائل الممكنة التي يستطيعون بها الاستحواذ على ما لديهم من اموال ـ لوجدنا صورة ينفطر لها القلب حزنا وكمدا٠ ويجب ان نسارع بالقول ان الهدف ليس التقليل من شأننا نحن العرب، او تنمية مركب بالنقص لعدم حوزتنا للاشياء السابق ذكرها٠ ولكن على النقيض من ذلك فاننا نود ان نؤكد على التحدي الذي يواجه الامة العربية حتى نستطيع ان نسلك الطريق الذي يعيد لنا مكانتنا بين الامم ٠ وصحيح ان كثيرا من الدول العربية قد وضع خططا اقتصادية طموحة ويعمل على تنفيذ مشروعات كبيرة الا ان واقعنا يلزمه الكثير من الاجراءات والاعمال ٠

وكما هو معروف تتصف المطارات العربية اجمالا بالازدحام ٠ ونتج هذا عن صغرها من ناحية ومن كثرة المسافرين من ناحية اخرى ٠ كما ان تدفق الحركة في معظمها بطيء يحتاج الى وقت لانهاء الاجراءات اللازمة ٠ ولا توجد تسهيلات ملموسة لنقل امتعة الركاب من الطائرة الى مبنى المطار مما يترتب عليه طول فترة الانتظار ٠ويا للمعاناة التي سيواجهها الراكب لو كان عابرا الى مدينة اخرى مطارها مغلق ٠ فيذكر الكاتب انه امضى ليلة احد ايام الشتاء القارص واقفا في مطار احدى المدن العربية ـ ببلد يدعى ثريا ـ واقفا بالرغم من معرفة شركة الطيران بعدم اقلاع طائراتها الا صباح اليوم التالي نتيجة لاغلاق مطار الوصول٠ علما بان الرحلة لا تستغرق الا ما يزيد على الساعة بقليل ٠ ولكن شركة الطيران تكتمت الخبر حتى لا تصبح ملزمة بتوفير مبيت لركابها بحسب الاجراءات الدولية ٠ وحتى اذا افترضنا حسن النية لدى شركة الطيران واستعدادها لايواء الركاب فانها ستفشل نظرا لعدم وجود فنادق ٠

واذا خرجت من المطار بدأت معاناة الانتقال الى المدينة والعثور على فندق ، وفي حالات كثيرة سيتعذر ذلك ، كما ان الانتقال بين العواصم العربية يواجهه صعوبات كثيرة ٠ فيلزم الحصول على تأشيرة دخول ٠ كما ان قليلا من العواصم العربية ترتبط بوسائل سفر مباشرة ٠ وقد يحتاج المرء لعدة ايام حتى يستطيع الانتقال من مدينة

عربية الى اخرى فى قطر اخر • وقد يضطر فى بعض الاحيان الى الذهاب الى عاصمة اوروبية لكى يصل الى عاصمة عربية اخرى •

اما فى مجال الغذاء فبالرغم من وجود المياه والاراضى فىعدد من البلدان العربية فانها تستورد العديد من السلع الغذائية • فيستورد العالم العربى القمح والارز والسكر وغيرها من السلع الغذائية •وعلى سبيل المثال بلغ صافى ماتستورده البلاد العربية من القمح ودقيقه حوالى ٦ ملايين طن عام ١٩٧٢ ، ونحو مائة الف طن من الارز ، وحوالى مليون وستمائة الفطن من السكر★،ولا تكاد توجد صناعات كبيرة الا باستثناءات بسيطة • ولا يكفى انتاج الموجود منها حاجة الاستهلاك المحلى• فالحديد والصلب الذى يعتبر عماد الصناعات الاخرى بلغ انتاج العالم منه فى عام ١٩٧٥ حوالى ٧١٠ مليون طن كان نصيب العالم العربى فيه حوالى ٥ر٢ مليون طن اى بنسبة حوالى ثلث واحد بالمائة (٣٥ر٪) • اما استهلاك البلاد العربية فقد بلغ حوالى ٦ مليون طن فيكون مقدار الاستيراد حوالى ٥ر٣ مليون طن • ولا يقتصر الامر على انخفاض نصيب العالم العربى من الانتاج العالمى بل يتعداه الى تدنى متوسط استهلاك الفرد من الحديد والصلب ففى عام ١٩٧٠يبلغ ٢ كيلو جرام بالجزائر ، ٧ كيلو جرامات فى مصر ، وحوالى٣٨ كيلو جراما بتونس • فى حين قدر بحوالى ٥٨كيلو جراما بالبرازيل و ٨٩ كيلو جراما فى فنزويلا ، ٤٧٠ كيلو جرام بفرنسا ،٥٠٠ ، ٥٨٠ كيلو جرام لكل من بريطانيا والولايات المتحدة على التوالى• ويعتبر استهلاك الفرد من الحديد والصلب من المؤشرات الرئيسية التى تبين درجة التصنيع • ويظهر هذا جليا مدى اعتماد العالم العربى على الخارج والامكانيات الهائلة لتطوير اقتصادياته •

واذا اتجهنا بانظارنا الى الموانىء العربية لفزعنا من طول فترة انتظار السفن حتى تستطيع تفريغ شحنتها حيث تبلغ اكثر من شهرين فى كافة موانىء الخليج العربى • وهذا الانتظار يرفع من تكاليف الشحن • بل اكثر من ذلك تستغل بعض الشركات هذا الموقف للحصول على اموال بطريقة غير مشروعة •

وعلى المستوى الفردى تعيش النسبة الاكبر من الانسان العربى فى ظروف اقل ما توصف انها غير كريمة • فاكثر من نصف العرب لا يعرفون القراءة والكتابة • وكثير منهم يعانى من سوء التغذية وندرة الخدمات الصحية التى تقدم اليهم • وكثير من القرى العربية لم تدخلها الكهرباء او مياه الشرب النقية •

اما مؤسسات التعليم ومراكز البحوث فينقصها الكثير حتى تستطيع الاضطلاع بدورها• فكثير منها يحتاج الى المال والباحثين • ويكاد يخلو العالم العربى منمراكز البحوث العلمية التى يمكن مقارنة مستواها بنظيرها فى العالم الغربى•وهذا مما يضطر العديد من علماء العرب الى الهجرة الى الدول الغربية حتى يعثر على المناخ الملائم •

استراتيجية المستقبل

ولعلنا لم نات بجديد فى هذا المقال فقد سبق ان عبر العديد من الكتاب والساسة عن مثل هذه الانطباعات • ولكن ما فعلناه الى الان مازال قليلا بالنسبة للمرغوب فيه• ومن هنا تبرز حاجتنا الى الى تذكير مستمر وبيان الطريق الذى نسلكه • لقد نادت المؤسسةالغربية باعادةتدوير Recycling الاموال العربية داخل اوروبا وأمريكا •وما زالت معظم الاموال العربية مودعة فى المؤسسات المالية الغربية •ويتم ذلك بزعم عدم وجود فرص استثمار جيدة فى العالم العربى او لانخفاض عنصر المخاطرة فى الاستثمارات الغربية • ويجب ان نحذر الوقوع

★تمثل هذه الارقام صافى الواردات للبلدانالعربية التالية : الجزائر ، البحرين ، مصر ، العراق ، الاردن ، الكويت ، لبنان ، ليبيا ،موريتانيا ، المغرب ، السعودية ، سوريا ، السودان، تونس ، اليمن الشمالى ، واليمن الجنوبى .

في خطا تصديق هذا الزعم ٠ان الامان لن يتحقق لهذه الاموال ما لم يكن العرب قادرين على حمايتها٠ وهذا يستلزم دعم الاقتصاد العربي وتقويته من كافة الجوانب ٠

وكثيرا ما يقال ان هذه الاموال تبحث عن مشاريع مدروسة في العالم العربي ولكنها لا تعثر عليها ٠ ولا نود ان نقلل من أهمية الدراسة العلمية لجدوى المشروعات واقامتها على اسس سليمة ٠ ولكن يجب الا نبالغ في هذا المطلب ٠ فلا يعتمد ان الولايات المتحدة او بريطانيا قد قامت باجراء دراسات الجدوى لجميع المشروعات الكبيرة التي نفذتها ٠ اضف الى ذلك ان مستوى النشاط الاقتصادي بالعالم العربي على مستوى من الانخفاض بحيث ان كل عمل له آثار ايجابية لا تحتاج لقياس حتى نقيم منافعها ٠

واهم اركان الاستراتيجية العربية التي نشير اليها في عجالة هي :

اولا : مجال الزراعة :يجب تنمية الموارد الزراعية بحيث ننتج ما يكفي حاجتنا ذاتيا ٠ ومواردنا الزراعية قادرة على ذلك بل وعلى تصدير جزء ملموس الى بقية العالم ٠ ولن نفعل ذلك مع التضحية بالكفاءة ..يث الاراضي الناسعة ـ بالسودان والعراق وسوريا والصومال مثلا ـ وكذلك المياه الوفيرة تستطيع انتاج الكثير بوضع الاموال اللازمة لاستغلالها مع تحريك العنصر البشري الملائم لها ٠

ثانيا : الصناعة : تبذر كثير من الموارد العربية كالغاز الذي يحرق في الهواء ٠ وقد بدات فعلا بعض البلاد العربية في استغلاله ٠ ويجب زيادة الطاقة الانتاجية من الصلب لما يكفي احتياجاتنا على الاقل ٠ ومع نمو صناعة الحديد والصلب لا بد ان تنمو الصناعات الاخرى ومن بينها الصناعات العربية حتى نستطيع ان نوفر لنفسنا على الاقل جزءا مما [illegible] عن الامة العربية بدلا من الاعتماد على الخارج اعطانا او منع السلاح عنا ٠

ثالثا :النقل والمواصلات : ولا بد ان تمتد شبكة الطرق بطريقة اكثر فعالية بين العالم العربي وكذلك وسائل المواصلات والاتصال الاخرى ٠ فلا يعقل ان يستلزم الاتصال بالهاتف بين بعض العواصم العربية عدة ايام في حين انه يتم في بضع دقائق بين بعض المدن العربية والمدن الاوروبية٠ وكذلك ان ننسق بين خطوط النقل الجوي حتى نزيد من نسبة اشغال الطائرات ونقوي الاتصال بين المدن العربية ٠

رابعا : المرافق العامة : تحتاج المرافق العامة في بعض البلدان العربية الى تجديد وابدال ويجب ان نقوم بهذا المجهود جماعيا ٠ ولا تخفى الاثار الايجابية لهذا الجانب حيث انه ييسر تدفق الاستثمار بين البلدان العربية ويقارب من مستوى البلدان العربية بما يمكنها من التعامل بكفاءة اكبر ٠

خامسا : مجال البحث والتكنولوجيا : ويحتاج العالم العربي ايضا الى مراكز دراسات وبحوث في مجالات العلوم والفنون المختلفة تستطيع اقتراح السياسات الواجب اتباعها في ظل الظروف المختلفة كما تكون هذه المراكز مصدر الاشعاع لوسائل تكنولوجية تتلاءم مع الظروف والاوضاع العربية٠

واخيرا فمن العجيب حقا ان ينظر العالم الخارجي الى الدول العربية كوحدة واحدة ونحن لا نشاركه ذلك ونتصرف بانعزال عن بعضنا البعض ٠ كل طرف فرح بما لديه ولا يرغب في مشاركة الاخرين مع العلم بانه لن يوجد كيان للعالم العربي الا كوحدة واحدة ٠ ولا يجب ان يغيب عن بالنا ان المال النقدي الذي تراكم الآن ناتج عن تحويل اصل قابل للنفاد الى صورة سائلة ، وليست الاموال السائلة هي القوة والثراء ٠ وان لم تتحول هذه الاموال الى اصول جديدة قادرة على توليد دخل حقيقي متجدد نكون قد اهدرنا ما لدينا من طاقات دون الاستعاضة عنها بشيء جديد ٠

■■

الكويت ـ د ٠ محمد سلطان أبو علي



بقلم : الدكتور عبد المنعم بلبع

هو مشكلة العصر بغير مبالغة • مشكلة العالم المتقدم على وجه التحديد ، الذى اصبح يعانى من خطر التلوث المتزايد ،كانما صار هذا التلوث هو الثمن الذى تدفعه الدول كلما صعدت فى سلم التقدم•

■ ان كلمة التلوث او تلوث البيئة اصبحت تستعمل للدلالة على عدد من الظواهر منها التغيرات التى تحدثها الانشطة الصناعية ووسائل المواصلات فى الهواء الجوى أو الماء بما تقذف به فيهما من أدخنه أو نفايات ، كما يستخدم هذا اللفظ أيضا للتعبير عن الاضرار الجانبية التى تنتج دون قصد نتيجة الانشطة التى يمارسها الانسان بقصد التنمية والتعمير كانشاء السدود وحفر القنوات وادخال نظام الرى واقتلاع الغابات ، وكذا عن الاضرار التى يمكن ان تحدثها بعض المركبات الكيميائية المستخدمة فى الدواء أو الماء أو التربة • كما يحدث فساد البيئة أيضا نتيجة لتكدس السكان وزحامهم خصوصا فى المجتمعات الفقيرة ، والضجيج الذى تحدثه الاصوات العالية سواء كانت صادرة عن الانسان نفسه او وسائل المواصلات من سيارات أو طائرات أو غيرها •

وقد عانى الانسان من أضرار التلوث البيئى منذ زمن غير قصير غير انه يواجه فى هذا العصر مصادر شتى تعاونت مع بعضها على انشاء أحد مكونات النظام البيئى ، الهواء أو الماء أو التربة، أو جميعها ، وفى اشارتنا لبعض مظاهر هذا التلوث ومصادره قصدنا ان ننبه الى أحد الموضوعات الهامة التى تشغل فكر وجهد العالم فى الوقت الحاضر ، والتى تستحق منا فى الوطن العربى مزيدا من الاهتمام •

ان من أبرز مصادر التلوث ما يلى :

التقدم التكنولوجي

ـ استخدام الطاقة النووية عسكريا ومدنيا يؤدى الى اطلاق مقادير من الاشعاعات غير المرغوبة فى الماء أو الهواء قد تسبب أضرارا للانسان •

ـ استخدام مصادر الطاقة التقليدية من النفط

أو الفحم يطلق في الغلاف الجوى من الغـازات ما يضر الانسان والنباتات والحيوانات ، وكثيرا ما بتراكم الهباء في الغلاف الجوى فوق المدن الصناعية مكونا ضبابا دخانيا ، كما يلاحظ ان هواء المدن المكتظة بالسيارات محمـل بـذرات الكربون التى تسود كل ما تقع عليه من سطوح وأجسام . فضلا عن ارتفـاع محتواه من أول أوكسيد الكربـون وثانى اوكسيد الكبريت ومـا ينتج عنهما من أضرار •

ـ تسبب الطائرات الاسرع من الصوت ضجيجا عاليا . وتنتج اكاسيد نتروجينية يرى بعض الخبراء انها تفسد طبقة الاوزون التى تخفف من اضرار أشعة الشمس فوق البنفسجية ، كما ان بعضها ينفث قدرا من بخار الماء مكونا سحابـة تحجب الشمس (مثل طائرة الكونكورد الفرنسية ـ البريطانية) •

ـ تسبب المصانع التى تقام بالمدن او المناطق الزراعية . تلوثا بيئيا يؤدى الى اضرار للسكان وللنباتات النامية في جوار هذه المصانع لتاثرها بالادخنة والغازات الناتجة عنها أو بما يترسب على سطوح أوراق النباتات مـن عناصر قـد تسبب المقادير الضئيلة منها اضرارا شديدة لها •

كما تستخدم في عمليات التبريد فـى محطات توليد الكهرباء كميات كبيرة من الماء يلقى بها في المجارى المائية والمياه الشاطئية بعد ان ترتفع درجة حرارتها مما يؤدى الى رفع درجة حرارة مياه هذه القنوات او البحيرات لدرجة تؤدى الى موت الاسماك بها •

ـ تسبب الزيوت المنسكبة من ناقلات النفط وفى موانىء شحنه وانابيب نقله وكذا فضلات الصناعة التى يلقى بها في مياه الانهار العذبة والمياه الشاطئية تلوث هذه المياه في كثير من انحاء العالم •

وقد تلوثت مياه بعض الانهار في الولايات المتحدة الامريكية لدرجة ان اعتبرت رسميا غير صالحة للاستخدام الادمى لما تحتويه من أعـداد البكتريا الضارة ، وفى سنة ١٩٦٦ بلغ تلوث قناة هوستون الامريكية درجة عالية حتى انه قد شب حريق في الماء نفسه نتيجة شرارة اندلعت اثناء عملية لحام قريبا من ماء القناة لما يصب فيها من متخلفات المصـانع والمجارى من المـدن المجاورة والمنطقة الصناعية على جانبيها • وفساد ماء الانهار والبحيرات والمياه الشاطئية أمر شائع في كثير من جهات العالم خصوصا غربى اوروبا حيث المنطقة الصناعية الضخمة وكذا حول البحيرات العذبة في الولايات المتحدة الامريكية •

والثورة الكيماوية

ـ من أوضح معالم التقدم التكنولوجى فى هذا العصر التوسع في الصناعات الكيميائية ، وقد بدأ ما يمكن ان يسمى « الثورة الكيميائية » فى أوائل الستينات . فقد بدأ انتاج سيل لا حصر له من المركبات الكيميائية التى استخدمت في مختلف الانشطة الصناعية والزراعية والصحية والمنزلية غيرها •

وقد أوضحت الدراسات ان من هذه المركبات الكيميائيـه ما يسبب للانسـان اضرارا أمكن التعرف الى بعضها ولم يعرف أكثرها بعد ، ويمثل بعض الباحثين هذه الكيماويات واثرهـا المدمر بصحة الانسان بانها « قنابل زمنية » ، اذ أنها في رأيهم تسبب للانسان مرض السرطان ولكن أثرها شديد البطء لا يظهر الا بعد سنوات من التعرض لها والتعامل معها ، ويعتقد هؤلاء الباحثون اننا مقبلون على فترة سوف تزداد فيها الوفيات بمرض السرطان الناتج عن هذه الكيماويات منذ أوائل الستينات •

وتقدر بعض الهيئات ان الانسان يستخدم فى الصناعة والزراعة والدواء نحو ٣٠ الف مركبة كيميائيـة لا يعرف على وجـه التحـديد الاثار الجانبيـة لغالبيتها ، ومن بين المركبـات التى تكشفت خطورتها واصبحت عنوانا عما يمكن ان تحدثه الكيماويات من اضرار مركب كلوروناتد بيفنيل Poly chlorinated Biphenyl «PCB»

وقد انتجت شركة مونسانتو الامريكية هـذا المركب منذ نحو ٣٠ ـ ٤٠ سنة ليدخل في صناعات

المحولات الكهربائية والبويات والاحبار والورق والبلاستيك واللاصفات والمسيلات وغيرها ، ويتسرب هذا المركب الى البيئة عندما تبلى الادوات او المواد التى دخل فى صناعتها ويقذف بها فى اكوام المهملات . ولما كان انحلاله بطيئا فانه يتسرب مع الامطار الى باطن الارض او الى المجارى المائية او يتبخر عند حرق المهملات وبهذا ينتقل بالرياح او المياه الى اماكن قد تبعد كثيرا عن موقع اكوام المهملات (اتضح وجود هذا المركب فى احسام الحيوانات البحرية وطائر البنجوين بالمنطقة المتجمدة)

ويقدر بعض الخبراء الامريكيين ان نحو ٣٠٠ الف طن من هذا المركب فى قمامة الولايات المتحدة الامريكية وحدها وان نحو ٦٠ الف طن منه قد قذف بها فى مجارى المياه الامريكية .

واوضحت الدراسات ان هذا المركب يسبب للانسان امراض الكبد والتمثيل الغذائي وامراض الجلد وسقوط الشعر . وانه يسبب للحيوانات المعملية الاصابة بالسرطان والتخلف العقلى .

وقد قررت الشركة المنتجه وقف انتاجه ابتداء من ٣١ اكتوبر سنة ٧٧ كما قرر الكونجرس الامريكى وقف انتاجه واستخدامه ابتداء من ١ يناير ١٩٧٨ . غير ان ذلك لا يزيل اخطار هذا المركب فورا اذ انه قد دخل فى صناعات كثيرة .

وما حدث فى الزراعة

— لم يقتصر استخدام التكنولوجيا الحديثة على النشاط الصناعى ، بل ان التطور الذى حدث للزراعة فى العالم المتقدم عامل هام فى استخدام الطاقة وما ينتج عنها من تلوث ، كما ان النشاط الزراعي الحديث يستهلك من الكيماويات انواعا مختلفة فى تركيبها وفى الغرض المقصود منها ، وبالتالى فيما ينتج عنها من آثار ومن الامثلة التى نوردها فى هذا المقام :

● الاسمدة والعناصر المغذية الدقيقة (التى يحتاج النبات منها كميات غاية فى الضآلة) ومنظمات النمو Hormones وتضاف الى الارض او ترش على النباتات بقصد زيادة الانتاج ، ولكن قد يرشح بعضها الى باطن الارض فتختلط بالماء الجوفى ثم ماء الانهار او الآبار فتقل صلاحية هذه المياه للاستخدام الادمى .

● مبيدات الافات — فطرية او حشرية او حشائش — وكل من هذه المركبات قاتل لمجاميع معينه من الكائنات وبالرغم من انها ذات تاثير نوعى او تخصصى Specific بدرجات متفاوتة الا ان تاثيرها الضار قد يمتد الى الكائنات الدقيقة الارضية والاحياء اللافقرية بالتربة مما ينعكس اخر الامر بضعف القدرة الانتاجية للتربة ، كما قد تتعرض ايضا قنوات الماء للتلوث اذا حدث انجراف لتربة هذه الحقول بواسطة الماء .

● مسقطات الاوراق ، ترش النباتات بهذه المركبات بغرض اسقاط اوراقها لمساعدتها على انضاج محصولها ومن هذه المركبات على سبيل المثال زرنيخيت الصوديوم وهو مركب شائع الاستعمال فى اسقاط اوراق نبات البطاطس ، وهو بالتالى عامل لتلوث المحصول بالزرنيخ ،كما انه يؤثر على التربة فيؤدى الى نقص محصول النباتات التى تتلو البطاطس التى سبق ان عوملت به .

● كيماويات ابطاء النترنة ، تتحول مركبات النتروجين فى الارض بواسطة انواع معينة من الكائنات الدقيقة الى نترات وهى املاح بسيطة قابلة للذوبان وهى لذلك سهلة الفقد بالرشح مع الماء فى الاراضى الرملية ولذلك تضاف بعض المركبات الكيميائية التى تعوق عملية «النترنة»، وقد اوضحت بعض الدراسات ان لهذه المركبات اثرا على التربة يؤدى الى خفض الحاصلات النامية .

● تضاف الى التربة كيماويات ذات تاثير سطحى Surface Action للعمل على تحسين خواص حفظ التربة للماء وتوزيعه فيها ، واتضح ان عددا من هذه الكيماويات له تاثير سلبى على تغذية النباتات النامية بالتربة .

وتجدر الاشارة الى ان الدراسات قد شملت اثار بعض الكيماويات المستخدمة فى الزراعة على

النباتات او التربة ، ولكن تأثيرها على الانسان الذى يستهلك المنتجات لم يدرس دراسة كافية ، وما زلنا لا نعرف على وجه الدقة هذه الاثار .

الانشطة العمرانية

يحذر بعض الباحثين من ازالة السدود النباتية التي تعترض سير الانهار الكبيرة ففي وجودها ما يكبح الارتفاع المفاجيء لمياه هذه الانهار ، وينظم تدفقها ، فالقضاء على هذه النباتات قد يؤدى ـ في رأيهم ـ الى حدوث الفيضانات وما تسببه من كوارث . ويرى بعض الخبراء ان انشاء الخزانات والسدود على الانهار الكبرى قد يصاحبه تغيرات بيئية ضارة مثل فقد الماء محتواه من المواد الصلبة (الطمى) او زيادة نسبة الاملاح بالماء او زيادة تلوثه بالميكروبات او تهيئة بيئة افضل لتكاثر البعوض وبعض الحشرات ،بل يشير بعضهم الى ان البشر مهددون بنفاد احتياطي الاوكسيجين على الارض بسبب الاستهلاك الزائد لهذا الغاز نتيجة الاسراف في استخدام الطاقة النفطية ، كما ان اقتلاع الغابات بحوض الامازون وافريقيا يقلل انتاج الاوكسيجين فضلا عن انه يهدد التربة بالانجراف بواسطة المياه والرياح .

ومن الواضح ان التقدم التكنولوجي والمشروعات الضخمة التي قد تؤدي الى آثار بيئية قرين بالدول المتقدمة ، ويشير بعض الكتاب الى ان « ملوثي البيئة بدرجة خطيرة هم الدول المتقدمة صناعيا مع بعض الاستثناءات ابتداء من اشعاع الجسيمات الذرية ، وبالتدرج الى اسفل القائمة لمعظم الملوثات الرئيسية الاخرى» ويرى « انه اذا امكن التخلص من كل التلوث المتولد في الدول المتقدمة في الكرة الارضية فانه لا يكون هناك تلوث ذو اهمية على المستوى العالمي ، وعلى العكس اذا امكن منع كل تلوث يمكن نسبته الى انشطة الدول النامية مباشرة في العالم المعاصر، فان كل المخاطر المرتبطة بالتلوث ستظل موجودة بكثافتها الحالية تقريبا والاستثناء الممكن هو التلوث الذي ينشا عن تواجد المجموعات البشرية ذات المستوى المنخفض من الدخول » .

ومن ناحية اخرى ، فان الانسان يساهم في افساد ماء الانهار والمياه الشاطئية والبحيرات ، بقذف فضلات المجاري والقمامة والحيوانات النافقة في هذه المجاري المائية غير عابيء بما تسببه من اضرار او معتقدا ان تدفق الماء كفيل بان يزيل اثر ما قذف من القذار ، وتعاني كثير من البلاد المتقدمة والمتخلفة على السواء من هذا المصدر الهام من مصادر التلوث .

في الوطن العربي

واذا كان تلوث البيئة من أهم المشاكل التي يعاني منها العالم المتقدم ، فاننا نوجه النظر في الوطن العربي الى ضرورة اخذ البعد البيئي في الاعتبار عند دراسة كل الانشطة العمرانية والصناعية والزراعية في خطط التنمية التي يجرى تنفيذها او المقبلة ، ولو ان التلوث قد لحق فعلا بيئة بعض المناطق في الوطن العربي والامثلة التي نشير اليها هنا ليست غير بعض مظاهر هذا التلوث مما تهيا للكاتب التعرف عليه:

ـ تكتظ بعض العواصم العربية بالسيارات مما يجعل الهواء فيها واضح التلوث .

ـ تزداد مصانع البتروكيماويات عاما بعد آخر في اكثر الدول النفطية ، وكذا مصانع الاسمدة ، وتقام هذه المصانع بقرب المدن ويتلوث الهواء بما تنفثه هذه المصانع من ادخنة وما تلقى به في المياه الشاطئية او البحرية او في القنوات .

ـ تكونت في بعض الاقطار العربية مناطق صناعية كبيرة تحتوى مصانع الصلب والاسمنت والمصانع الكيماوية ومصانع النسيج وهذه المناطق قرب المناطق السكنية او في مناطق زراعية مما تسبب عنه تلوث الهواء والماء والاضرار بالسكان والنباتات والحيوانات بهذه المناطق .

ـ يزداد استخدام الاسمدة الكيميائية ومبيدات الافات في الزراعة في بعض اقطار الوطن العربي

خصوصا مصر ، وقد حدث بها تسمم مئات من الحيوانات فى حادث واحد نتيجة تلوث غذاء الماشية من رش المبيدات بالطائرات ، كما تسمم آلاف من السكان بالعراق نتيجة استخدام تقاوى القمح المعاملة بالمبيدات للغذاء •

ـ استنزاف مياه الآبار الساحلية يؤدى الى تمليح مائها ، وقد لوحظ ذلك فى آبار الساحل الشمالى الغربى بمصر والابار الساحلية بليبيا•

ـ تشير بعض الدراسات الى زيادة النحر فى قاع نهر النيل بعد انشاء السد العالى •

ـ ادى توسيع قناتى الاسماعيلية ، والنوبارية بمصر الى زيادة رشح الماء منهما الى الاراضى المجاورة وبذا تزداد الاملاح بهذه الاراضى ويقل انتاجها •

ـ تمليح الاراضى نتيجة لنظام الرى واضحفى العراق منذ زمن بعيد وقد انتشر حديثا فىجنوبى منطقة الجزيرة بسورية نتيجة للرى من الابار دون صرف، وقد تحولت مساحات واسعةمن التربة الجيدة فى مصر الى ارض ملحية ضعيفة الانتاج بعد التحول من نظام الرى الحوضى الى نظام الرى المستديم •

ونحن اذ نشير الى هذه الامثلة نوجه النظر الى ان كثيرا من اقطار الوطن العربى مقبلعلى تنفيذ مسروعات ضخمة للتنمية،فاذا لم تتخذ الاحتياطات الواجبة لمنع التلوث منذ البداية فى كل مشروع، فان معالجة المشكلة بعد تنفيذ مشروعات التنمية امر شديد الكلفة ، ورغم ان الدراسة فى الولايات المتحدة الامريكية قد كشفت الاضرار البالغة التى نجمت ـ ولا تزال ـ عن التلوث الناتج عن التقدم الصناعى والزراعى ، فان تلافى هذه الاضرار فى الوقت الحاضر يحتاج الى مئات البلايين من الدولارات وقد قدرتالهيئة المختصة بالمحافظة على البيئة هذه التكاليف بنحو ٢٧١ بليون دولار •

والمحافظة على البيئة دون تلوث احد الموضوعات ذات الاهمية البالغة فى العالم المعاصر والتى تشغل المفكرين والباحثين والكتاب فى العالم المتقدم وقد انشات كثير من الحكومات الادارات التى تخصص نشاطها فى « المحافظة على البيئة » وذلك بتطبيق احكام ولوائح يقصد منها السيطرة على الانشطة المختلفة بحيث تتضمن هذه الانشطة ما يقى النظام البيئى من الفساد حتى لا يؤدى الى مزيد من التلوث ، كما تعالج الموقف الحاضر حتى تخفف من التلوث الذى حدث فعلا •

ويصف بعض الكتاب الفساد الذى حل بالبيئة « ان الهواء والماء والتربة تشكل نظاما او بيئة حية تنتظم العالم كله متماسكة الاجزاء تماما وتقيم دعائم الحياة كلها ، ولكننا قد نلوث كوكبنا تلوثا جماعيا لا بضربة شديدة واحدة ، وانما قطرة قطرة بتراكم السموم والمبيدات الحشرية التى تبقى امدا طويلا والمواد الكيميائية والنفايات العضوية او التربة المفككة تراكما بطيئا انما مستمرا حتى يحل بنا فى غفلة منا كارثة كوكبية اسهم الجميع فى حدوثها وليس فى قدرة امة واحدة ان تتفادى هذا الخطر » •

وكان تلوث البيئة احد العوامل الاساسيةالتى ادخلها « نادى روما » فى حساباته وهى السكان والمحاصيل الزراعية والمصادر الطبيعية والانتاج الصناعى والتلوث وانتهى « النادى » من دراسته التى نشرت فى كتاب « حدود النمو » الى ان « النتائج التى نستطيع ان نتبينها مزعجة للغايه، واذا استمرت الاتجاهات الحالية فى العوامل المشار اليها فانها سوف تؤدى الى موقف لا يحتمل زيادة السكان فى العالم بدرجة مفرطه والىاجداب بيئتنا وتلوث جونا ومواردنا المائية » •

وقد اشار المجلس الاوروبى الى ضخامة المشكلة بقوله « ان البيئة البشرية فى خطر » وفى دعوة الامين العام للامم المتحدة لمؤتمر استوكهولم الذى انعقد سنة ١٩٧٠ للدراسة « الانسان والتغيرات البيئية » يشير الى « ان كوكبنا فى خطر التلوث وعالمنا فى تدهور مستمر بسبب هذا التلوث » •

■■

عبد المنعم بلبع
طرابلس ـ ليبيا

يا أمّتي !!

للشاعر : أحمد السقاف

■ ثوري على العُدوانِ ثوري وتَقَحّمي لَهَبَ السّعيرِ
ثـوري فقدْ كَلَّ النـداءُ وهزَّ سُكّانَ القبـورِ
ثـوري فلستِ من السّـوامِ ولستِ فاقـدةَ الشّعـورِ
لايَخْدعَنَّكِ ما يقالُ عن الحمائـمِ والصّقـورِ
أنـتِ البطولـةُ إنْ أردْتِ وأنتِ مُنْجبَـةُ النّسُورِ
حاشـاكِ تَجْتَرينَ رَغْـمَ النّصـرِ معركةَ العبورِ
مضتِ السنـونَ وأنتِ لاهيـةٌ بمختلـفِ القشـورِ
تشـرينُ مزّقـهُ التّناحـرُ في الصّحائفِ والأثـيرِ
والقدسُ جاريةٌ تُطَأطِئُ تحت أقْـدامِ المغـيرِ
يُصْلـي بنيها الحاقـدونَ عـذابَ منتصرٍ حقـيرِ

★★★

يا أمـتي والنّصـرُ بالإقـدامِ والعمـلِ الكبـيرِ
بالحـبِ بالوعيِ العميقِ وبالتّكاتُـفِ في المسـيرِ
صُدّي غُبارَ العابثـينَ فكم أشـاعَ من النُّفـورِ
واستلهمـي آلام شَعْبٍ بات مجهـولَ المصيرِ
لم يَـلْقَ شعبٌ بعضَ ما يلقى على مَـرِّ العُصـورِ

ظُلْمٌ يُؤرِّقُ مَنْ تَزَيَّنَ بالمروءةِ والضمير

★ ★ ★

يا أمتي هلاَّ أفقتِ على تصدُّعِكِ الخطير
سكر العدوُّ بما اعتراكِ فكفَّ عن شُرْبِ الخمور
وتفنَّنَ الطغيانُ مثلَ تفننِ النازي الشهير
فالذُّلُّ يبطشُ بالإباءِ وتلك قاصمةُ الظهور
لم يَخْشَ تهديداً يُذاع لدى العشيِّ وفي البكور
نامتْ رؤوسُ الغاصبينَ على وسائدَ من حرير

★ ★ ★

يا أمتي سيناءُ تبحثُ في الهواد عن النصير
تُهدى إلى الجولانِ ما يُهدي الأسيرُ إلى الأسير
والشعْرُ ما جدْواهُ إنْ ظلَّ العتابُ على السطور ؟ !
هلاَّ أفقتِ من السُّباتِ وثُرْتِ بالغضب المثير
وهجمتِ كالإعصارِ كالطُّوفانِ كالأسدِ الهصور
وسحقتِ أحلامَ الغزاةِ ذوي التعصبِ والغرور

★ ★ ★

يا أمتي هذا الهوانُ يَعيثُ فتْكاً في الصدور
أخنَى على الأيامِ والتهمَ السنينَ مع الشهور
والصبرُ عُكّازُ الضعيفِ ولستِ وحدكِ بالصبور
أنتِ البطولةُ إنْ أردْتِ وأنت زَوْبعةُ الدهور

■■

الكويت ــ **احمد السقاف**

التربيــة هى أملنــا الوحيــد فى خلق الانســان الــذى نتمنــاه ولكنهــا لا تــزال بعيــدة كـــل البــعــد عــن ان تحــقــق لنــا هـــذا الامـــل

هــذه الأخطاء

بقلم : محمود محمود

● من المسلمات التربويه التى شاعت اخيرا فى اوساط المربين وبين رجال السياسة والحكم ان التعليم لابد ان يساير حركة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد ، فلا يقل عدد المتخرجين فى فروع التخصص المختلفة عن احتياجات المجتمع ، ولا يزيد عددهم بحيث تنشا عن هذه الزيادة بطالة بين المتعلمين ، ويتطلب ذلك بطبيعة الحال حسابا دقيقا لما تتطلبه البلاد من القوى العاملة فى ميادين النشاط المختلفة وفى الخدمات التى ينبغى تقديمها للمواطنين ، ويستتبع ذلك فتح ابواب الكليات الجامعية لكل راغب فى العلم ، اذا كان هذا العلم مما يشكو الناس نقصا فيه ، واغلاق هذه الابواب فى وجه المتقدمين اذا كان بالبلاد فائض من المتخرجين فيها .

وهذه المسلمة التربوية تعنى ان الطالب قد يرغب فى علم من العلوم ولكن نظام التربية لايتيحه له ، وان التعليم يخضع للاقتصاد ويرتبط بسوق العمالة .

ونحن اذن ازاء امرين : اما ان نرسم سياسة تعليمية تؤدى الى تخريج القوة العاملة بقدر المطلوب لا نقص فيها ولا زيادة ، حتى ان كان ذلك على حساب حرمان الطالب من دراسة العلم الذى يرغب فيه واما ان نترك للطالب حرية الاختيار، ونعرض سوق العمل بذلك للشكوى من النقص فى عدد العاملين فى مجال ما او الوفرة التى تؤدى الى البطالة .

ويلاحظ ان الدول الاشتراكية والبلاد النامية تنهج النهج الاول بوجه عام ، وان مايسمونه بالبلاد المتقدمة تنهج النهج الثانى ، واحيانا تقف الدولة بين بين فهى تحاول من ناحيه ان تخطط للعماله . وان تعطى قدرا من حرية الاختيار للطالب من ناحية اخرى وليس من شك فى ان هذه هى الخطة المثلى ان استطاعت الدولة ان تخطط فيها بالتوازن المطلوب .

غير اننا يجب الا نغالى فى ربط التربية بالاقتصاد ، او رسم سياسة التعليم العالى على اساس احتياجات البلاد من المهن ومختلف الاعمال. ذلك ان الحساب الدقيق لمتطلبات البلاد فى المستقبل امر غير ميسور فى كثير من الاحيان ، لان تاريخ المستقبل لا يسير ابدا وفقا لما يتوقعه الانسان ، ومن ثم كان التنبؤ اجتهادا اكثر منه تصويرا صحيحا ، نعم هناك محاولات لوضع علم جديد يسمونه « علم المستقبل » يرشد المخططين الى نوع من الدقة فى الحساب ، غير ان هذا العلم لا يزال فى بدايته ، ولا يمكن ان يلم بكل عوامل التغير فى تاريخ البشر ، ولذلك كان ربط التعليم ـ وبخاصة العالى منه ـ بالمستقبل مجازفة تكتنفها الاخطاء .

الواقع يفرض نفســه

وقد اتيح لى ان اطلع على بحث لكاتب امريكى اسمه هوارد بوين من المشتغلين بالناحية الاقتصادية فى التعليم ، ذكر فيه بعض الاخطاء التى يقع





الشائعة في التربية الحديثة

فيها المخططون التربويون وهم يرسمون سياسة للتعليم العالي على اسس من المبادىء الاقتصادية•

ـ من هذه الاخطاء ان هؤلاء المخططين يعتقدون ان اقتصاد البلاد يتطلب عددا محددا من المهارات المهنية في كل مرحلة من مراحل التطور في حين ان واقع الامر هو ان الاقتصاد يكيف نفسه وفقا للمهارات المتوافرة • فان تبين في احدى المهارات نقص سارع اصحاب الاعمال الى تدريب العدد المطلوب او ظهرت الالات التي تحل محل البشر في هذا الاتجاه • ولنضرب مثالا لذلك الخدمة المنزلية : لم يعد هناك افراد كثيرون راغبون في هذه الخدمة ويسدون الحاجة الماسة اليها ، فماذا حدث ؟ ظهرت الغسالات الكهربائية ، والوجبات المطهوة المجهزة وانتشرت المطاعم التي يخدم فيها الطاعم نفسه ، فكان في مثل هذه الاشياء بديل عن خدم المنازل •

مثال آخر : نفرض ان كليات الطب في بلد ما اخرجت عددا وافرا من الاطباء يزيد عن الحاجة، فان هؤلاء الاطباء الزائدون لا يتعطلون عن العمل انما يتوزع العمل عليهم جميعا فيقل نصيب الطبيب منه وقد ينخفض اجره ، وفي هذا الخفض خدمة للجمهور ، لان معناه ان الخدمات الطبية اصبحت اقل في تكاليفها •

وليس ادل على ان العمالة المطلوبة ليست قيدا من حديد وانما فيها من المرونة الشيء الكثير ، من ان البلاد في حالة حرب تعبىء كفاءات ضخمة تضاعف اعمالها اثناء القتال ثم تعود هذه الكفاءات بعد السلم الى شيء من التراخي في العمل ، والى توزيع آخر للخدمات التي يؤدونها كما ان صاحب حرفة من الحرف لاتقتصر معرفته على هذه الحرفة بعينها ويعجز عن اى عمل آخر انما هو يستطيع ان يتقن حرفته وان يقوم بغيرها بدرجة مقبولة •

ومن الاخطاء كذلك اننا نستطيع ان نتنبأ بالاعداد

المطلوبة في كل مهارة من المهارات على مدى طويل من الزمن يتيح لنا ان نرسم سياسة تعليمية تتمشى مع التوقعات . فنحن ـ مثلا ـ لا نعرف ان كانت الحرب سوف تشتعل او لا تشتعل في السنوات العشر القادمة . كما ان كشف الفضاء، واغوار المحيطات وباطن الارض قد يغير موقف العمالة في السنوات المقبلة ، وقد يتنوع استهلاك السلع وما يتطلبه الفرد من خدمات ، ولا يخفى ان تطور التكنولوجيا له اثر كبير في الحاجة الى مهارات جديدة وانتفاء الطلب على مهارات قديمة. ثم ان اتجاه الافراد قد يسير على غير ما نتوقع ، فيرغبون في مزيد من الفراغ قد ينفقه المرء في مجرد التامل او اقتناء التحف الفنية وقد ينفقه في ضروب مختلفة من اللهو ، ولا مراء في ان الانتاج لا بد ان يساير الحياه الاجتماعية والثقافية الجديدة التي يتعذر علينا معرفتها مسبقا . بل ان الانتاج نفسه قد ينتقل نقله جديدة من مجرد التجميع واجراء عمليات مكررة الى اتاحة الفرصة للعامل لكي يفكر ويبتكر .

ان القوى العاملة المطلوبة تتوقف على ماتريده البلاد ، وما تريده البلاد يتاثر قطعا بما لديها من قوى عاملة ـ بالطريقة التي تعلم بها الافراد ، وبالقيم السائدة ، والمهام التي يرى الناس ضرورة انجازها .

خلق القيم الجديدة

والتربية بطبيعتها تخلق قيما جديدة ولا تكتفي بان تقف موقفا سلبيا من القيم التي توارثها الناس وتتكيف وفقا لها .

ـ ويعتقد مخططو التربية ان انتشار التكنولوجيا يؤدي حتما الى البطالة بحيث لا يعمل عمالة كاملة سوى نفر قليل من القوى المعدة للعمل . وهذه العلاقة الطردية بين التكنولوجيا والبطالة خطأ استولى على عقول المفكرين في القرنين الماضيين. والواقع ان تقدم التكنولوجيا لايسبب البطالة ، لان الافراد الذين كانوا ينتجون طعاما او لباسا او سيارات ـ مثلا ـ وغير ذلك من السلع ، والذين توفرهم التكنولوجيا الحديثة يتجهون الى الخدمات، فيزداد استخدام الاطباء والمهندسين ورجال القانون والفنانين وتصبح خدماتهم مطلوبة لعدد اكبر من الناس . انما البطالة في الواقع مردها الى سياسة مالية خاطئة او سوق للعمل غير مدروسة .

ويعتقد علماء التربية ان اوقات الفراغ سوف تتسع في المستقبل ويزداد استمتاع الناس بها ، ولذلك فان التربيه يجب ان تتجه نحو الفراغ اكثر مما تتجه نحو العمل ، ولا نكران ان المجتمع يستطيع ان يستغنى عن كثير من السلع الكمالية في سبيل توفير اوقات للفراغ اطول ، ولا نكران ايضا ان كثيرا من الناس ـ وبخاصة بين شباب اليوم ـ قد بداوا يشككون في العيم الماديه وفي الزيادة المطردة للانتاج ، وبدات قله من الناس تؤثر الحياة البسيطه التي لا تزعجها الممتلكات المادية ، غير ان هؤلاء القوم انفسهم ـ الذين ينادون بالحد من السلع المادية وامتلاكها والاستمتاع بها ـ يطالبون باعادة تخطيط المدن على اسس هندسية سليمة ، وبنظافة البيئة مما يصيبها من تلوث ، وبنشر الثقافة واثرائها ، وبتحسين الخدمات الصحية ، وببث الروح الانسانية في ظروف العمل ـ وهذه من غير شك اتجاهات غير مادية توجه اقتصاد البلاد نحو اهداف جديدة ، ولكنها لا تؤدي الى الاقلال من حجم العمل المطلوب او الخدمات المهنية اللازمة .

وعلى الرغم من انخفاض ساعات العمل في السنوات الاخيرة ومن الاخذ بنظام الاجازات الطويلة باجر الا ان عدد العاملين قد زاد بسبب دخول النساء سوق العمل ، واصبحنا نجد من بين العمال من يبحث عن عمل اضافي ، ومن يشتغل بعملين في آن واحد ، ومن يرهق نفسه بما لا يستطيع من اعمال ـ وبخاصة اولئك الذين يشغلون المناصب الادارية الرفيعة ـ مما يدل على ان الناس لايرغبون رغبة صادقة في تحديد ساعات العمل . انما هم يرغبون في الواقع ان يعملوا لانفسهم وان يتقاضوا اعلى اجر ممكن اذا هم عملوا لغيرهم . واذا نحن حللنا حياة الرجل في البلاد المتحضرة تبين لنا انه لا يستمتع حقا بوقت طويل يفرغ فيه لنفسه ـ فيسترخي او يتنزه او يتامل ـ حتى في الساعات التي لا يشغل نفسه فيها بعمل ،فوقت الفراغ الذي يتوافر له من عمله ينفقه في وسائل المواصلات بين الاماكن المتباعدة ، وفي البحث عن ممتلكات يقتنيها ، وفي الاشتغال باعمال اخرى ترفع من مستوى معيشته .

بطالة المتعلمين وغيرهم

ويظن المشتغلون بالتربية ان البطالة منتشرة بين المتعلمين ، وقد يكون ذلك صحيحا فى العاضر نظرا لتعثر النمو الاقتصادى ، وليس من شك فى ان معالجة العالة الاقتصادية سوف تفتح مجال العمل لكل شاب متعلم • ولو رجعنا الى الاحصاء فى اكثر الدول تبين لنا ان البطالة بين غير المتعلمين اكثر منها بين المتعلمين •

ولا ينبغى عند الحكم على عمالة المتعلمين او بطالتهم ان ينحصر نطاق التفكير فى كل بلد على حدة ، لان التعاون العالمى أمر مرغوب فيه ، وهو اتجاه اخذت تسير عليه الدول فعلا ، فالفائض من عمالة هنا يسد نقصا فى العمالة هناك • واذا كان تيار الهجرة يتجه فى الوقت الحاضر من البلاد النامية نحو البلاد المتقدمة ، فليس ببعيد ان تنقلب الاية عما قريب ، ويرتد تيار الهجرة عن البلاد المتقدمة الى البلاد النامية حتى يعتدل الميزان

ومن الاخطار الشائعة بين المربين ان الهدف الاساسى من التربية هو اعداد كل طالب لعمل يلائمه ، فاذا اشتغل المتخرج فى غير ما تخصص فيه كان ذلك من عيوب التخطيط التربوى ، ومرجع هذا الخطأ اننا نربط التعليم بالوظائف ، فمن يتعلم الكيمياء ــ مثلا ــ يجب ان يشتغل بالكيمياء، ومن تخصص فى لغة قومه واخذ فيها أعلى الدرجات كان مكانه مقعدا للتدريس فى احدى الجامعات ، فان لم يتيسر ذلك قلنا ان هناك خللا فى النظام التعليمى وان الطالب قد منى بالفشل • وفى هذا الرأى تجاوز لكثير من الحقائق • فالتربية تعد للمهنة وتكسب الفرد صفات اخرى ونظرات الى الحياة يمكن الافادة منها فى اكثر من مجال • فالفتاة التى تعد لمهنة التعليم تستطيع ان تشتغل بالخدمة الاجتماعية او بشئون الافراد أو بالعلاقات العامة فى الاعمال الكبرى ، وهى من غير شك ــ حتى ان لم تدخل سوق العمل ــ أم افضل من غيرها ممن لم يدرسن ما درست • والمختص فى دراسة التاريخ او فى اللغة العربية له فى غير التدريس مجالات كثيرة كالصحافة ، والنشر ، والاذاعة والعمل السياسى ، وغير ذلك • ودارس الكيمياء قد يعمل عملا اداريا ناجحا فى احد المصانع •

ان التعليم الذى يصلح صاحبه لاداء اعمال كثيرة ، والذى يكسب المتعلم مهارات متعددة ، ويجعله على جانب كبير من المرونة فى حياته ، اقرب الى النجاح منه الى الفشل • ويرى بعض المحدثين من رجال الاقتصاد ان التنقل من عمل الى عمل فيه فائدة لتطور الاقتصاد ذاته ، وان التحاق افراد متنوعى الثقافات ، والاهتمامات ، والخلفيات الدراسيه ، فى الاعمال والشئون العامة ، يمكن ان يكون مصدرا غزيرا لافكار ونظريات جديدة •

واخيرا لا بد من التخلى عن فكرة تجديد التعليم العالى وحصره فى نسبة ضئيلة من السكان • ولا خوف من هبوط المستوى مع كثرة العدد ما دمنا نوفر الاساتذة الاكفاء والمعدات والتجهيزات اللازمة • وكم من طفل نابغ ينسد امامه طريق التعليم ، ولو بلغ مرحلة التعليم العالى لكان كسبا لامته • والصيحة الجديدة هى توفير الفرص للجميع وليس تكافؤ الفرص •

العمل العقلى أم اليدوى ؟

هناك من يتساءل قائلا : اذا نحن فتحنا أبواب التعليم العالى على مصاريعها واتحنا التزود من العلم للجميع فهل نحن واجدون لكل هؤلاء عملا فى المجتمع ؟ ومن ذا الذى يرضى بان يقوم بالعمل القذر ، او العمل اليدوى او بالوظيفة الرتيبة ؟

وللاجابة عن السؤال الاول ، هل هناك عمل لهذه الكثرة من المتعلمين تعليما عاليا ؟

لا بد من ان نتصور اولا اثر التغير التكنولوجى فى نوعية الاعمال ، التكنولوجيا الحديثة تحل الى حد كبير محل ما نسميه بالعامل الماهر وتحتاج الى عقل يحركها نحو تادية العمل المطلوب ويوجهها توجيها سديدا ، ولذلك فنحن اليوم فى حاجة الى عدد كبير من كبار الفنيين والاداريين وموظفى

المكاتب الذين يعملون بعقولهم ويعلمهم اكثر ممن يعملون بايديهم ، والاتجاه يسير نحو زيادة الطلب على خريجى الجامعات فى هذا العصر الذى نسميه عصر التكنولوجيا .

وللاجابة عن السؤال الثاني : من ذا الذى يقوم بالعمل الوضيع ؟ اقول ان الاقتصاد يتكيف عادة مع الايدى العاملة المتاحة . فاذا كانت المصانع الكبرى التى يقوم بتجميع الاجزاء فيها عمال يدويون لا تجد من هؤلاء العدد الكافى فان هذه المصانع لا بد بالضرورة ان تجد وسيلة الية تقوم بهذا التجميع بدلا من الايدى البشرية واذا كنا لا نجد من يحنى ظهره ليحرث الارض او يصلح الطريق او يحفر الخنادق وجدنا من بين المتعلمين من يخترع الالات التى تقوم بهذا العمل . واذا قل من يرضى بالخدمة المنزلية اخترعنا تعليب الطعام والات التنظيف والغسل . وقد شاع فى المدن الكبرى فى البلاد المتقدمة استخدام الالات التى تجمع ما يشغل الطريق العام من فضلات او قاذورات ، بقليل جدا من الايدى العاملة .

ان كثيرا من فقراء العالم يهاجرون فى الوقت الحاضر من مواطنهم للعمل فى البلاد المتقدمة ، ولقد بدا التذمر من هذا الاجراء يظهر فى البلاد النامية التى تفقد ابناءها بل وفى البلاد المتقدمة ذاتها التى لم تعد ترغب فى هجرة الشعوب المتخلفة عنها نسبيا الى ارضها . ولا بد ان يترتب على ذلك قيام المتعلمين فى البلاد المتقدمة بجميع الاعمال فى اوطانهم ، رفيعة كانت ام وضيعة ، مع رفع اجور اولئك الذين يقبلون العمل بايديهم وخفض مرتبات موظفى المكاتب . وليس من شك فى ان كثيرا من المتعلمين يؤثر العمل بيديه على العمل بذهنه ان كان يتقاضى من العمل الاول اجرا مجزيا . وليس من الصواب ان نقول : وفيم اذن التعليم الجامعى اذا كان المتخرج سوف يضطلع بعمل يدوى فى مستقبل حياته ؟ ولست ارى باسا من ان يقدم على تنظيم الطريق او اصلاح الالات قوم متعلمون . وسرعان ما يكتسب العامل اليدوى احتراما اجتماعيا ما دام يرفع من مستوى معيشته ، ويحسن التعامل مع الناس .

ان سياسة الاجور يجب ان تتغير فيجزل العطاء لمن يؤدى عملا مضنيا ونوفر له الامن والمكانة الاجتماعية ويكفى صاحب المكتب انه ينعم براحته ويوفر جهده لنفسه . ان الاوضاع الحالية يجب ان تعدل بحيث نستخدم فى الاعمال الدنيا افرادا ذوى ثقافات عالية لكى يحلوا محل الاميين الجهلاء . ولعل اجراء هذا التعديل من اكبر ما يقابله المجتمع من تحديات .

حرية الاختيار للطلاب

مما سبق يتبين انه من الافضل ـ من الناحيتين الاقتصادية والانسانية ـ ان تاخذ الدولة بنظام التعليم الذى يقوم على اساس رغبات الطلاب واختيارهم . بذلك نستوعب فى التعليم كل راغب فيه ممن تتفق سنه مع شروط القبول وكذلك نعطى فرصة ثانية للطالب الذى ربما اخطا فيما قرره لنفسه فى مرحلة سابقة من عمره ، والذى قد يرغب فى مزيد من التعليم وهو فى منتصف حياته العملية ، ويترتب على ذلك تحديد عدد الاماكن فى مختلف الدراسات وفقا لاختيار الطلاب وليس طبقا لاحتياجات سوق العمل التى لا يمكن حسابها او التحكم فيها .

ولست اقصد من ذلك الى القول بان الاقتصاد يسير وفقا للمهارات المهنية المتيسرة بغض النظر عن نسبها الصحيحة . وانما ما رميت اليه هو ان حرية الاختيار ـ وهى امر مرغوب فيه لحد ذاته ـ سوف تؤدى بطبيعة الحال الى نوع من تنوع المهارات يمكن ان يسير الاقتصاد وفقا له . وعلينا ان نضع فى طلابنا ثقة ـ وهم يستجيبون لميولهم ورغباتهم ، كما يقدرون بانفسهم الظروف التى سوف تسود سوق العمل فى مستقبل حياتهم ـ لا تقل عن ثقتنا فى بيروقراطية مخططى القوى العاملة .

لسنا ننكر ان الطلاب يخطئون احيانا فى

اختيارهم ، ويتأثرون بما يشاع عن قيمة المهن المختلفة فى اوساطهم الاجتماعية • ولسنا ننكر ان الكليات والجامعات لا تستطيع فى الحال ان تدخل فى نظمها تعديلا لكى تتواءم مع رغبات الطلاب ، وتغير اتجاهاتهم عاما بعد عام • ولكنا نشير على هذه الكليات والجامعات ان تستجيب بسرعة معقولة لكل مطلب مشروع ، يقوم على اساس مكين ، ويحتمل له قدر من الدوام •

ومن الواضح ان الجامعات يجب أن تتوافر لديها معلومات موثوق بصحتها عن ظروف سوق العمل وعن اتجاهات الشباب فى اختيارهم ما يدرسون •• ولعل برامج الارشاد المهنى فى المدارس الثانوية والكليات ان تكون افضل من نظم الحكومات فى التنبؤ بالقوى العاملة المطلوبة • ولا بد ان يقر فى اذهان المسؤولين ان الطلاب يستطيعون تقدير مستقبلهم بالنسبة للاعمال المتيسرة فى المجتمع ، فان اخطا احدهم فيما يختار استطاع ان يصحح سقطته عن طريق المرونة التى يجب ان تكون قائمة فى العلاقة بين التعليم والوظائف المتاحة • واعطاء الفرصة الثانية للطالب يعين الشباب على تصحيح اخطائهم•

اقدس أنواع الحريات

ومهما يكن من امر فان ما يدفعنا الى الاخذ بنظام تعليمى قائم على اساس حرية الاختيار فكر فلسفى اكثر منه عملى ، فكر يتعلق بالقيم التى تسود المجتمع الذى نعيش فيه • وفى ظنى ان حرية المرء فى اختيار ما يدرس وفى الاشتغال بالمهنة التى يهوى ، وافساح المجال امام كل موهبة ، وكل اهتمام وكل فرصة تسنح فى سوق العمل ربما كانت اقدس انواع الحريات • اذا اراد الطالب ان يعطى وقته وجهده للتعلم ، وان يسقط من حسابه الدخل فى سبيل المزيد من المعرفة ، فعلى المجتمع ان يهيىء له المعاهد اللازمة وان يقدم له كل تيسير ممكن ، واذا كان الطالب رقيق الحال لا يستطيع ان يوفر لنفسه نفقات العيش وهو يدرس ، وجب علينا ان نعاونه بنظام المنح والقروض وفرص العمل ، بشرط ان لايكون ذلك دينا باهظا عليه ان يسدده خلال حياته العملية كلها •

ان النظرية التربوية التى تتعلق بالقوى العاملة تقوم على اساس فكرة خاطئة تسود المجتمع ، هذه النظرية تقسم العالم الى مدخلات تتمثل اساسا فى صورة مجهود يبذل او عمل يؤدى ، ومخرجات تتمثل اساسا فى صورة سلع اقتصادية وخدمات ، ويرى اصحاب هذه النظرية ان تتحكم المخرجات فى المدخلات ، باعتبار ان الاولى هى الهدف الاساسى من الحياة ، وهى بذلك تتجاهل ان المدخلات هى كذلك من صميم الحياة • وهذه المدخلاتتكون اليمة وعبئها ـ من الناحيةالانسانية ـ ثقيل ، ولكنها كذلك قد تكون ممتعة مجزية ومدعاة للسرور • كما ان المخرجات قد تكون مفسدة ومحطمة للروح ، ولكنها قد تكون ايضا بناءة مجزية ، فالحياة لا تتقسم بوضوح الى مدخلات ومخرجات•ومن حق الفردَ ان يختار المهنة واسلوب العمل الذى يرتاح اليه شخصيا ، حتى ان لم يكن منتجا كاى عمل آخر بمقياس ما يضيفه الى الدخل القومى •

ان السياسة التربوية السليمة لا تعد الافراد للاعمال التى تحتمها تكنولوجيا عمياء تتحكم فى البشر ، وانما تهيىء التربية الافراد من ذوى الرؤية والحس المرهف لكى يوجهوا التكنولوجيا وجهة انسانية بناءة • ليس من شك فى اننا نريد ان نتغلب على الفقر ، وان نزيل الفوارق العنصرية وما يترتب عليها من مظالم ، وان نجدد المدن التى نعيش فيها والبيئة التى تحيط بنا ، وان نقر السلام والنظام ، وان نقدم للناس خدمات صحية وتربوية ، وان ننهض بالفنون ، وان نحد من نمو السكان ، وان تبذل الدول الغنية معونتها للدول الفقيرة • وهذه الاهداف تقتضينا ان نتوسع فى تخريج الانسان المتعلم ، الحساس ، بعيد النظر ، والتربية هىأملنا الوحيد فى حل هذه المشكلات ، ولكنها لا تزال بعيدة كل البعد عن ان تحقق للانسان ما يريد •

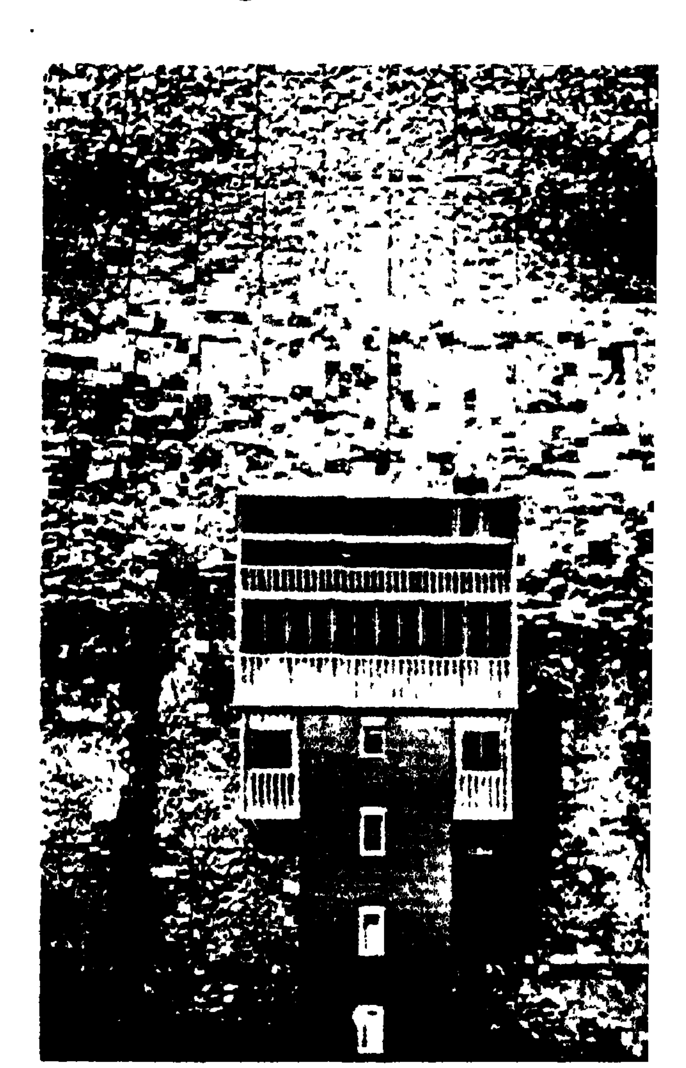
■■

القاهرة ــ محمود محمود



اعداد : يوسف زعبلاوى

عودة الطاقة الشمسية

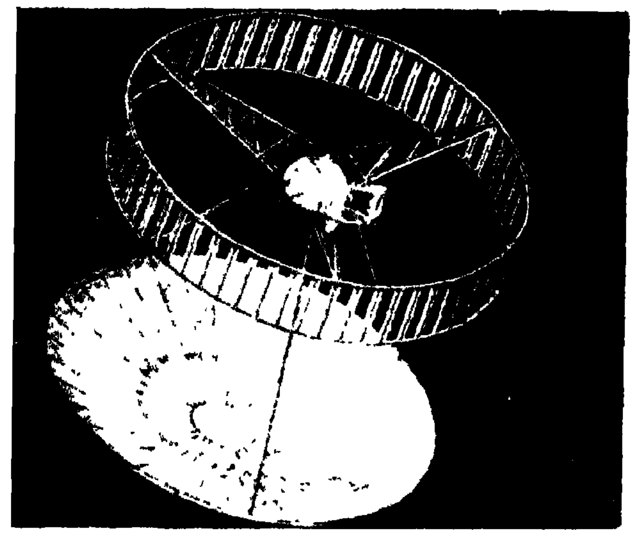


● تناولنا فى استطلاع الطاقة الشمسية (انظر عدد يوليو الماضى) اساليب استغلالها المباشرة .. وقوام هذه الاساليب تجميع الحرارة الشمسية بواسطة المجمعات .. تلك الصفائح أو الالواح المعدنية السوداء التى تراها على سطوح المنازل الشمسية .. وليس من المعقول الا نتعرض للاساليب غير المباشرة التى تستغل بها الطاقة الشمسية والتى تحظى هى الاخرى باهتمام معهد الكويت للابحاث العلمية .. محور الاستطلاع المذكور .

محطات توليد الكهرباء

واول ما يذكر من هذه الاساليب غير المباشرة .. .. المرايا وما اليها من السطوح الناعمة الملساء الكفيلة بتركيز الاشعة الشمسية وانعكاسها .. والتركيز غير التجميع طبعا ، ومن شأنه ان يضاعف الحرارة الشمسية التى تصلنا . فبينما لم تزد درجة الحرارة القصوى التى امكن الحصول عليها بالتجميع على ٩٠ درجة مئوية، بلغت درجة الحرارة التى استطاعوا الحصول عليها بالتركيز ما يزيد على ٥٠٠ درجة مئوية. **لا عجب اذن ان أقامت فرنسا محطة لتوليد الكهرباء من الطاقة الشمسية . اقامتها فى (اودايهو) الواقعة**





البطاريات الشمسية المستعملة في رحلات أبولو الفضائية ٠

المرآة الفضائية

على جبال البرانز على حدودها مع اسبانيا ولقد حققت هذه المحطة من النجاح ما حمل الحكومة الفرنسية على التفكير في انشاء محطة ثانية (انظر الصورة رقم ١) ٠

ولم تغفل الولايات المتحدة عن مولدات الكهرباء الشمسية ، وهي الرائدة في هذا الميدان ، بل انها تخطت ما وقف عنده غيرها ٠٠ وراحت تضع المشاريع لمحطات فضائية لتوليد الكهرباء الشمسية ٠٠ ونذكر من هذه ، سفينة الفضاء ذات الاجنحة العملاقة (٩ر٦ × ١٢ كيلو متر) ذلك ان هذه الاجنحة هي التي ستجمع اشعة الشمس ، بل تركزها ، بحيث يصبح في مقدور المحطة ان تولد حوالي ٥٠٠٠ ميجاواط ٠٠ أي ما يعادل نصف ما تولده مولدات الكهرباء في مدينة نيويورك ٠

ونذكر من تلك المشاريع مرآة الفضاء (انظر الصورة رقم ٢) فمن شأن هذه المرآة الضخمة ان تعكس اشعة الشمس الى سخان ماء كبير على الارض ٠٠ ومن شأن هذا السخان ان يمد مولدا للكهرباء بالقوة التي يحتاجها ٠٠

البطاريات الشمسية :

وهذه صنوف مختلفة تعمل بأساليب مختلفة ٠٠ منها البطاريات التي استعملت في مركبة الفضاء أبولو (انظر الصورة رقم ٣) ٠٠ ومنها البطاريات الشمسية التي استعملت في السكاي لاب وليس هنا مجال الدخول في تفاصيل هذه البطاريات وحسبنا القول بان جدواها التكنية ثابتة لا شك فيها ، وان الابحاث والتجارب التي يقوم بها العلماء انما تستهدف تخفيض تكاليف صنعها ٠ ويصدق هذا لا على البطاريات الشمسية فحسب ٠٠ وانما على كافة الاساليب المستعملة في استغلال الطاقة الشمسية ٠٠ الاساليب المباشرة وغير المباشرة ٠ وتشير الدلائل الى ان نفقات صنع هذه وتلك ــ وبعضها باهظ في الوقت الحاضر ــ ستنخفض بنسبة كبيرة في السنوات القليلة القادمة ٠



التدفئة بالحرارة الجوفية

● تنعم بعض الدول بنوافير طبيعية Gey sers يتدفق منها الماء (او البخار) ساخنا٠٠وتعزى هذه السخونة الى الحرارة الكامنة فى باطن الارض ، وقد امكن استغلالها بطريقة او باخرى لاغراض التدفئة ٠٠٠تدفئة المنازل والمصانع الخ٠٠

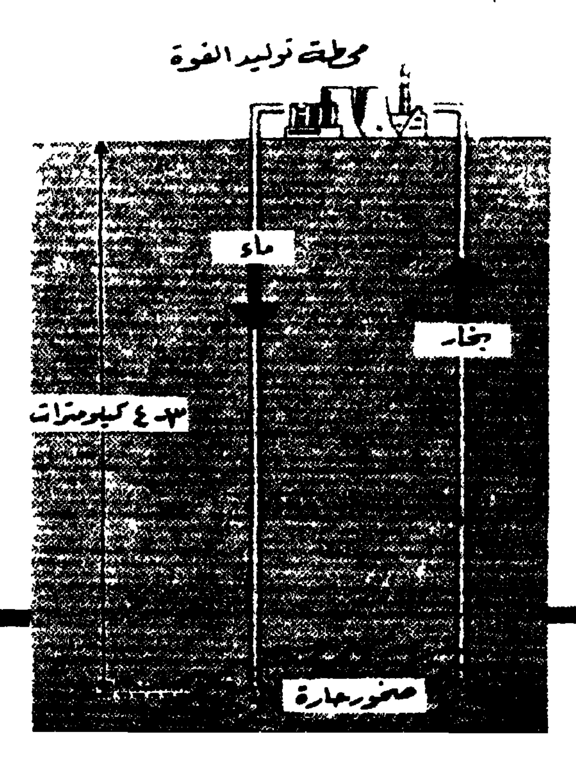
ولعل جزيرة ايسلنده فى طليعة تلك الدول ٠ فقد كثرت نوافير الماء الساخن في اراضيها حتي تمكنت من تغطية ١٥٪ من حاجتها للطاقة ٠ويذكر هنا ان العاصمة ركجايبك تتم تدفئتها بكاملها بالحرارة الجوفية ١٠٠٪ ٠

ولعل ولاية كاليفورنيا الامريكية ذهبت الى ابعد مما وصلت اليه ايسلنده ٠ فقد بلغ من كثرة النوافير الطبيعية فى المنطقة الواقعة شمال سان فرنسيسكو ان اطلقوا عليها اسم منطقة النوافير ٠٠٠

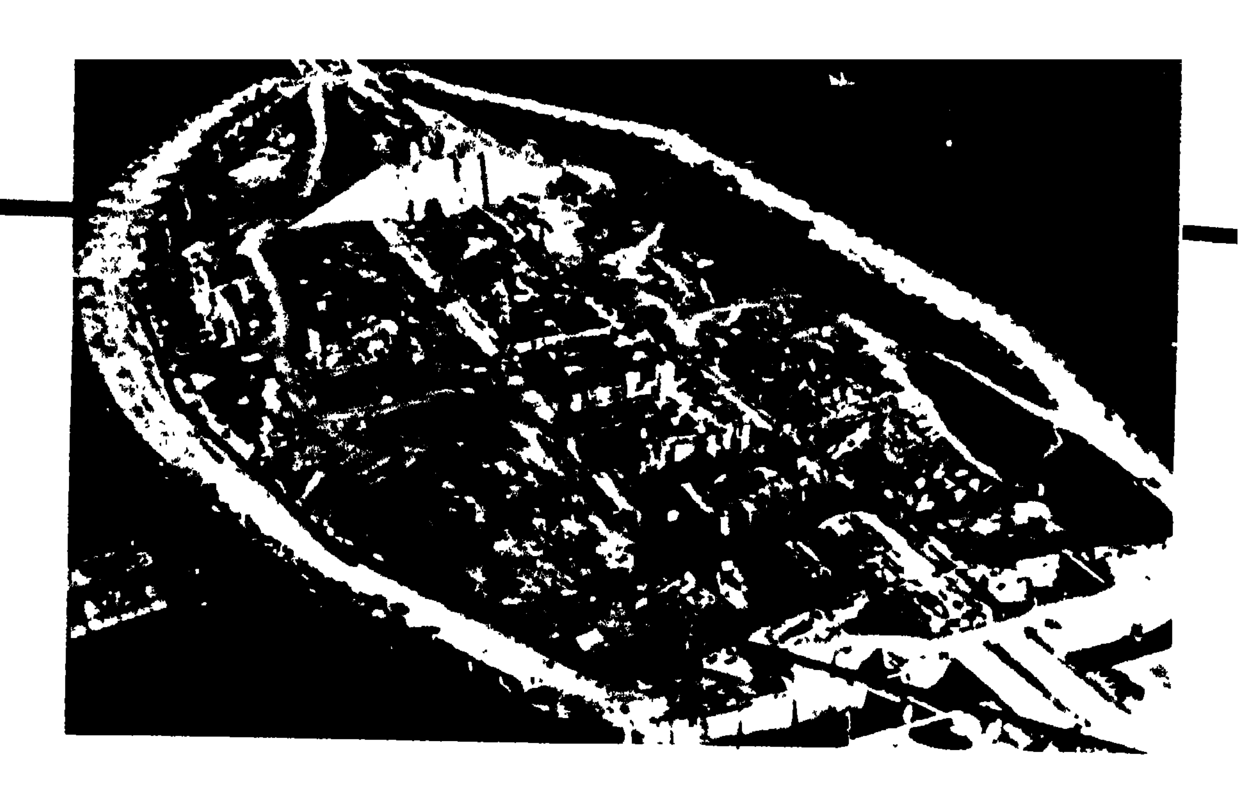
ويجرى استغلال منطقة النوافير هذه استغلالا تجاريا مربحا وعلى نطاق واسع٠ وحسبك ان تسع محطات لتوليد الكهرباء تعمل بالحرارة الجوفية التى تأتيها من تلك المنطقة ، وهى تقدر بخمسماية ميجاواط٠ وتوزع هذه المحطات بدورها ما تولده من طاقة على شبكات واسعة تمتد على طول ساحل المحيط الباسيفيكى ٠٠

وتجدر الاشارة الى ان ايطاليا هى الاخرى غنية بالنوافير الطبيعية ٠٠ ولعل محطة توليد الكهرباء المعروفة باسم Lardafello هى اقدم محطات العالم التى تعتمد على الحرارة الجوفية لتوليد الطاقة الكهربائية ٠

على ان العلماء لم يقفوا عند هذا الحد بل راحوا يبحثون احتمالات الافادة من الحرارة الجوفية ، حيث لا يوجد نوافير طبيعية ٠ وسبيلهم الى دلك هو فى حفر ثقبين عميقين (٢ ــ ٣ اميال) يصبُون الماء في احدهما فيصل الماء الى الصخور المفتتة الساخنة فلايلبث انيتبخر ويتصاعد بخارا ساخنا من الثقب الثانى ، كما يبيّن الرسم ٠







... والطاقة من البحار

● استغل الانسان ماء الشلالات فى توليد الكهرباء منذ امد بعيد · اما الطاقة التى يستطيع الحصول عليها من امواج البحار ومن حركة المد والجزر على شواطئها ، فلم يتنبه لها العلماء الا فى المدة الاخيرة ·

واول مايذكر هنا محطة توليد الكهرباء التىاقامتها فرنسا عند مصبنهر الرانس Rance قبل نحو خمس سنوات وقد حققت هذه المحطة من النجاح اضعاف ما كانوا يتوقعون لها· وهى تولد الكهرباء من الطاقة الكامنة فى المد والجزر وتولدها بمقدار يفوق ما تنتجه اى محطة اخرى تعتمد الماء فى توليد الكهرباء · اضف الى ذلك ان هذه المحطة الفرنسية كانت تعمل على نحو متواصل وبلا انقطاعمنذ انشائها سنة ١٩٧٣ ·

والغريب ان هذه المحطة الرائدة لمتكلف فرنسا اكثر من ٨٠ مليون دولار · وهذا مبلغ ضئيل بل تافه لو قورن بتكاليف المشروع البريطانى المماثل وقد بلغت تقديراته ٣٠٠٠ مليون دولار ·

اما الموقع الذى اختاره الانجليز لمحطتهم فهو عند مصب نهر سفرن Severn فى القنال البريطانى · نقول «اختاروه»نظرا لان مصبات الانهر لا تصلح كلها لانشاء مثل هذه المحطات ·

وقل مثل ذلك فى امواج البحر الدائمة الحركة ·· فقد اثبتت التجارب امكانية استغلال الطاقة التى تتمثل فى هذه الحركة الدائمة فى ادارة طوربينات يقيمونها على محطات لتوليد الكهرباء عائمة ·· وتترك هذه المحطات عائمة فى عرض البحر ، غير بعيد عن الشاطئ ، وتنتقل الكهرباء منها بواسطة الاسلاك الى المنشآت المقامة على الشاطىء ، ومن ثم الى شبكة التوزيع الرئيسية ·

ويقوم العلماء حاليا بتجارب رائدة تستهدف الحصول على الطاقة من تيارات المحيط الكبرى كتيار الخليج وكذلك من الفارق فى درجة الحرارة بين سطح المحيط واعماقه ·

فهمي المدرس

رائد سبق عصره

بقلم : الدكتور يوسف عز الدين

عضو المجمع العلمي العراقي

فهمي المدرس واحد من رواد نهضة الفكر العربي ، الذين انتقلوا به من عصر الانحطاط الى عصر النشاط والتحرر . وهو يقف جانبا الى جنب مع رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك وجمال الدين الافغاني ورشيد رضا وخير الدين البستاني واحمد عزة الاعظمي .

المدرس رائد اسهم في ايقاظ الفكر العربي مساهمة جادة وقد سبق عصره بارائه المتطورة ، وافكاره المتجددة ، وامتاز عن غيره بالفكر الاصيل، والراي الجريء ، وصدق العقيدة . وهي عوامل اكسبته شعبية واسعة سرعان ما نسيت ونسي صاحبها ولفه ضباب معتم غريب من الاهمال ، لان العراق بلد الامم ، وموطن الشعوب ، وموئل الاقوام واللغات والاديان المختلفة . وان سادته اللغة العربية ، وانتشر فيه الدين الاسلامي لكن على تفاوت بعيد الشقة ما بين الانتشار وعمقه .

وقد اثرت فيه تيارات متنوعة وآراء متضاربة ، ونزعات متطاحنة ، توغل بعضها في القديم وتنافس الطريف الجديد . ومثل هذا الاختلاف والتباين دعا الى كثرة المتزعمين والقادة والموجهين . الذين قل بينهم المصلح العميق النظرة ، والمفكر الموجه الصادق العقيدة .

ان سعة اطلاع فهمي المدرس على العلوم القديمة، وعمق فهمه لها ، واتصاله بالحضارة الجديدة والاستفادة من تياراتها وحريته التي تمتع بها ، ساعدته على فهم الامور وبلورة الراي وتطور الحياة المعاصرة بضوء التقدم الحضاري الجديد ولا يتم هذا الا « بايجاد عقول كبيرة ، وادمغة مفكرة ، متشبعة من روح الاسلام والعلم الصحيح ، تسير بالمسلمين نحو الاصلاح الاجتماعي ، من اقرب طرقه ، بمناهج تضمن للمتعلم حقائق الدين ، واظهار مكنوناته ، وحكمه الرائعة التي لا يمكن النفوذ فيها الا بمعرفة الفنون العصرية ، جريا على الخطة التي تسير عليها الامم الناهضة » .

ونلاحظ اثر زيارته في صدر حياته لباريس ولندن وكمبردج واكسفورد والقاهرة واتصاله بالاساتذة والمفكرين ، في وقت كان التطور الفكري في العراق ، بطيء الحركة يهرب من حضارة الغرب ومن الاستفادة من مدنيته وتطوره .



ولم تظهر تيارات التطور الا عندما اعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ وكثرت الجرائد والمجلات التي دعت الى اصلاح حال العرب ومساواتهم بالحاكمين من اعضاء حزب الاتحاد والترقي الذي خشي من دعوة العربرغم كونها في اطار الدين الاسلامي فقد خاف من القومية العربية ومن كثرة العرب ، فوقف شعاره (الحرية والعدالة والمساواة) على الحزب التوراني (١) وانصاره ومنح الوظائف والمنافع لهم فساء ـ ذلك معروف الرصافي فقال من قصيدة طويلة :

« قد استاثروا بالحكم ، وارتزقوا به
وسدوا على من حولهم منبع الرزق
ارضى بان يختص بالحكم معشر
ونصبح للباقين حبرا على ورق »

وقد سخر احد المفكرين من الحرية التي اعلنها الحزب فقال : (اعلنت الحرية التي اتت بكل بلية على الاسلام والحكومة العثمانية ، لان الناس اخذت من الحرية المعنى الاعم اى ان الانسان حر فيما يفعله من خير وشر) •

احلام الشباب

وفي هذه الفترة كان الجهل هو السائد على اغلبية الشعب ولم يكن يتعلم الا الغني او ابن الموظف ، فقد كان الهدف الاول لاى والد ان يعلم ولده حرفته ويورثه صنعته لكي يعيش منها •وكان المجتمع زراعيا هادىء الطبع راكد الفكر فقد طحنته الالام والامراض والفيضانات وامسى مجتمعا يعيش على تقاليد بالية وقيم محدودة ، ومثل اجتماعية تحميه من النكبات المتوالية ، بعد ان انهارت كثير من المثل العربية الاصيلة والقيم العربية الموروثة •

وقد ولد فهمي المدرس في بيئة غنية بالعلم والجاه والنسب •فزاده ذلك ثقةبنفسه ، واعتزازا بشخصيته ، واكد هذه الثقة المركز الحكومي الذي حازه في العصر العثماني وهو في شرخ الشباب وريعان الصبا ، فقد عمل ناظرا لمدرسة الصنائع ومساهما في جريدة الزوراء ، وادارة مطبعة الولاية ، والتدريس في الاعدادية وفي مجلس المعارف ومجلس اصلاح المدارس ، وواحدة منهذه الوظائف كانت تكفي الانسان فخرا ومباهاة في عصره !

وقد استفاد من والده فقد درس عليه ووسع آفاق فكرة فقد كان قاضي محكمة بغداد التجارية التي تقضي بين التجار وتحسم مشكلاتهم،ومجتمع التجار يمتاز بالذكاء ويعمل بكل وسيلة في سبيل نجاح العمل •

ولكن المدرس الطموح لم يرضه مجتمع بغداد المحدود ، وبيئتها الضيقة وزاد في هذا الطموح ما لاقاه من معاصريه من الفقهاء واختلافه معهم في كثير من اساليب التفكير ، فقد كان المدرس عربيا خزرجيا يعتز بالعرب وكان بعض هؤلاء يوغلون في شتم العرب قبل الاسلام ويظهرون معايبهم ويلحقون بهم كل مثلبة ، وقد يكون السبب هو الحقد علىالعرب او الجهلبتاريخهم او الاعتزاز المتطرف بالدين الاسلامي ولكنه ناورهم وحاورهم ووقف منهم موقفا صلبا وابرز تاريخ العرب وحضارتهم ، وهذا الاختلاف مع امور اخرى كانت سببا في نفيه الى رودس ، ثم عودته الى بغداد ، اضافة الى الاختلاف الجذري في وجهات النظر للدين الاسلامي نفسه الذي كان يريده المدرس متطورا سليما من خرافات القرون المتاخرة •

كانت الحياة صعبة رغم كل ذلك ولم يجد امامه غير العاصمة (الآستانة) ميدان طموحه ومهوى احلامه فسافر اليها بتوصية ، ولما حل بالآستانة واجهته ثورة الاتحاد والترقي على السلطان عبد الحميد ، فاندفع شان الشباب في التاييد ، وانبهر بشعاراتها وهزته الفاظها البراقة فقد داعبت احلام الشباب (الحرية والمساواة والعدالة) والدعوة الى محاربة الظلم ، والقضاء على التفرقة بين الشعوب •

كانت هذه الشعارات سببا للاندفاع في القاء الخطب لينفس عن آلام رانت على قلبه ، وليؤكد ذاته ، وسرعان ما اخذتهالدولة اليرحابها واصبح مدرسا في الجامعة •

---

(١) التورانية او الطورانية هي اللغة القديمةلقبائل المغول قبل الاسلام ، وقد اتخذت جمعية (حزب) الاتحاد والترقي كل وسيلة لاحياثهـاواحياء ذكر رجالها وقادتها •

في حرم الجامعة

وفي الأستانة البلد الذي يختلف عن بغداد بكل مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية احتك بثقافات جديدة وامم متباينة واجناس متعددة وشاهد حياة العاصمة المتأثرة بالغرب واتصل باساتذة الجامعة وعلماء الدولة ، وكبار المفكرين الذين تأثروا بثقافة غير ثقافته وطراز حضارة يراها لاول مرة . ولكنه لم يأخذه التيار وتبهره هذه الحياة انما استفاد منها ونجح استاذا ، ولمع مفكرا ، فقد مكنه مركزه وثقافته من الاتصال بكبار الرجال والمسئولين ، فاعجبوا به وعولوا على ذكائه ، واعتمدوا على رأيه في حل المشكلات الثقافية في الوطن العربي فارسل الى الشام ليرى كيف تحل قضايا مؤسساتها العلمية في بيروت ودمشق وليعرف سير المعارف فكتب عنها دراسة . وقد كان في الجامعة من الاساتذة من هو ارسخ الواسع ، واحس بانه يؤدي رسالة لا مجرد عمل منه مكانة واسبق زمنا .

كانت الجامعة مجاله الرحب ، وميدانه أو وظيفة ، وقد ظهرت هذه الرسالة عندما درس الادب العربي واكد في محاضراته مكانة العرب وابرز تاريخهم الزاهي وحضارتهم التي قدمت للانسانية خير الخدمات وطبع كتابا ضخما بقي طلابه يحرصون على الاحتفاظ بنسخه ويعاودون النظر فيه .

وفي الكتاب نظرات عميقة في تاريخ الادب ، يدرس لكتاب حين كانت الدعوة الطورانية في واختيار موفق للنصوص الشعرية (٢) وقد كان عنفها وشدتها ، ولا اعرف ، هل كانت حرية الجامعة مصونة ، فلم تمتد اليه يد السلطة ؟! أم ان مكانته العلمية وثقة رجال الدولة به كانت تحميه ؟! فقد كان الرجل بارعا وذكيا ، فنجح في ان يدرس الادب العربي وتاريخ العرب ومفاخرهم، ويثبت انتصاراتهم ويقف عند ذي قار والحروب الصليبية ويملأ النفوس بالامل وهو يشرح الادب العربي في الجاهلية ويقرأ القصائد المختارة .

وكان فهمي المدرس محط الانظار وكان يحضر محاضراته الاساتذة والطلاب وامتاز باسلوب ساحر جميل . فهو رائد الاساتذة العرب ، وباعث الفكر القومي في فترة كان الناس خلالها يخافون من تمجيد العرب ، فقد حدثني المرحوم محمد ناجي القشطيني عن مكانته فقال : (انه الرائد الاول لبعث العروبة من مرقدها ، باسلوب تدريسه لآدابها) .

ولكن الامور في الامبراطورية العثمانية بدأت تسوء واخذ الحزب الحاكم يلاحق العرب ، وشنق زهرة شبابهم في بيروت ودمشق وانسابت الحسرة الى قلوب العرب والمسلمين ، لان الحزب أساء الى نفسه وللعرب وللاتراك . فكانت الجمعيات السرية وثورة الملك حسين في التاسع من شعبان وانشاء اول حكومة عربية في الشام تهز احلامهم، في بعث التراث القديم ، وتجديد المجد الماضي .

وسافر المدرس الى دمشق ليكون عونا في ارساء الملك الجديد وليساهم في الدولة الفتية وجلب معه كتبه وأثاثه . فلم يجد في رحاب الدولة مكانا له فسافر الى اوروبا . ولا اعرف سبب هذا السفر ولكنه اشار اشارة واحدة ذكر فيها ان الاستاذ ساطع الحصري وقف دونه وآله . (٣)

بقي في اوروبا وتوالت الاحداث على الشام واحتلها « غورو » الفرنسي وذهب الى قبر صلاح الدين وقال له : عدنا يا صلاح الدين (٤) ، وظهرت خيانة الحلفاء للعرب ونفذت معاهدة سايكس ـ بيكو . فتوجه الى بغداد بعد ان تفتحت امامه آفاق الحضارة في الغرب ورأى مجتمعا متطورا وحضارة زاهية وتقدما صناعيا وترفا في الفكر والانتاج .

---

(٢) اسم الكتاب . تاريخ ادبيات عربية وطبع في الاستانة ١٣٣٢ . أعارني النسخة المرحوم الشاعر محمد ناجي القشطيني .

(٣) في تقريره عن الجامعة قال . (من العبث البحث في تشكيل الجامعة ما دام الاستاذ ساطع بك متوليا على المعارف ، لأنا اعلم الناس به في الاستانة . ولأنا أعلم به في الشام ولأنا أعلم به في بغداد) .

(٤) أي عاد الصليبيون الى بلاد الشام ليستعبدوها بعد أن طردهم منها صلاح الدين وغيره .

بداية رحلة المتاعب

وشكلت الحكومة العراقية وجاء فيصل (الاول) الى بغداد واختاره رئيســا للامناء لكن عقله الراجح ، وقوة شخصيته ، وتجاربه الناضجة ، وايمانه بحق وطنه جعلت سلطات الاحتلال تحذره وتخاف منه ومن وجوده بالقرب من الملك فيصل ومشورته له ، لانها تريد شخصا ضعيف الرأى تافه الشخصية قليـل الذكاء لا يؤمن الا بقوتهم وسلطتهم ولن ترضى باستاذ جامعي عريق ،ومفكر عميق النظر ، بصير بالامور ليكون رئيس الامناء لان الاستاذ المفكر الواثق من نفسه لن يجارى ولن يداجى ولن يـكذب ، فقد اعتــاد على الصراحة والحرية ووقار العلم وهذه أكثر أمانا وحمـاية من قوة السلاح ، وأصلب عودا من سلطة الحاكم.

وثقة المدرس بنفسه وقوة شخصيته جرت عليه المصاعب والمتاعب والمصائب . لان الدولة كانت مزدوجة الحكم وجهها عـربي وصنعهـا انكيزى ، وهذه الازدواجيــة لا يصــبر عليهـا انسان صادق اللهجـة واضـح القصد صريـح الرأى ولا بد له أن يصطدم بالمستشارين الذين هم حول الحكام ويسحر من المؤسسات التى اقامها الانكليز ليظهر العراق بمظهر الدولة المستقلةالديمقراطية البرلمانية الحرة .

ولم يمر الحول حتى اســتغل الانتداب أول مظاهرة وطنية جاءت تحيى الملك فيصـل وتندد بالانتداب حتى طلب المندوب السامي أخراج المدرس من عمله ومعاقبة المتظاهرين . وقد أخرج المدرس من عمله وحجز فى داره أو حجز نفسه فيها والالم يقطر من قلبه والحسرة تنبض فى عروقه .

ولما تنادى المثقفون الى ضرورة انشاء جامعة وطنية لدراسة العلوم الحديثة مع علوم الدين ، راقت الفكرة الملك لانـه يتمنى أن يؤلف بـين الاتجاهات المتغايرة في الفكر الديني ويقرب بين المتنافر منها وليخلق شعبا عراقيا متماســكا . فاختار المدرس ليـكون أمين الجامعـة وخصصت المبالغ ووضعت الخرائط لمشروع جامعة ضخمة ، وبالفعل انشــات وزارة الاوقاف شــعبة الدين واعتمـدت على خيرة العلماء واجـل الاســاتذة للتدريس الـذى يجمع بـين الـدين والاسلـوب العصـرى وقد شـرح المدرس هــذا الهـدف من انشاء الجامعة بقوله انها « تقــوم بتكوين ثقافة تلائم روح العصر ، يقومها فى العلوم مواد متماســكة الاجـزاء ويمتزج فيها الدين والفن امتزاجا ، تتلاشى فيه النفسية الناشزة المتـولدة من أهواء القرون الوسطى » .

وقد أراد فكر المدرس الوقاد خلق جيل يمتاز بقيم روحية اصيلة مع ثقافة عصرية متطورة ،تعيد للحليل ثقته بنفسه وبأمته وتاريخه وان يبعده عن حب السطوة والوظيفة .

جامعة آل البيت

وبدأت أولى المشكلات أمام الجامعة الناشئة : هل تربطبمجلس الوزارة . ام بوزارة المعارف ؟ ولكن الاســتاذ العصرى ارادها أن تكون تابعـة لوزارة المعارف وكان هو مديرها العام ولما رفض طلبه من اللجنة بدأت العراقيل توضع فى طريق المشروع ، وتدخل ياسين الهاشمي والملك فيصـل والمسئولون ودفعوا الجامعة لكن كثرة الحاسدين والراغبين في فرض سيطرتهم وبعض الطامعين فى الجامعة والطامعين فى وظائفها تكاثروا وكانت هى رغبة الانكليز ، فاغلقوها وقضىعلى أوللبنةثقافية ممتازةساهمأصحابالنفوذفيها . ولولا هذهالمساهمة لما تجاسر الانتداب على اغلاقها.كما لم يقدر على اغلاق الجامعةالمصرية ، التى شد أزرها المصريون. وقد حدثنى المرحوم القشطيني بان : (اغــلاق الجامعة مؤامرة استعماريه لان الانكليز تحققوا ان هذه النواة ســتنمو وتحقق النظـام الجامعى المستقل) وتحقيق الاســتقلال الجامعي يهـدد مصــالحهم - وقد أكد لى هذه الحقيقة زميلى الاستاذ الكبير رشيد العبيدى بان الانكليز طلبوا من جعفر العسكرى اغلاق الجامعة رغم معارضة الملك فيصل .

وبذلك وقف أكبر تيار اصلاحى كان فيه الخير والتطور للعراق خوفا من استقلال الجامعة وطموح المدرس فى أن تكون على نسق الانظمة الجامعية الحديثة وأن تخرج الطلاب حتى الدكتورية فىزمن لم يسمع العراق بهذه الكلمة او يعرف معناها . والحقيقة انه خطط كل شيء ، ومن يقرأ نظامها اليوم يعجب لسعة أفق الرجل وما قام به منعمل

فقد أصدر مجلة جامعية رائدة وشجع الاساتذة على المساهمة فيها والمنافسة في الكتابة وطالب بانشاء مطبعة خاصة بها .

ولما اغلقت الجامعة كتب المدرس رسالة دون فيها ما طرأ عليها من محن وأسباب هذا الاغلاق ليكون الشعب على بينة من الامر ولم يجد امامه غير ميدان السياسة ملاذا والحزب الوطني ملجا بعد أن ضاعت عليه فرص الاصلاح العلمي والثقافي ، فاختاره الحزب عضوا في الهيئة المركزية وبدأت فترة نشيطة في السياسة المعارضة للدولة التي يديرها الاستعمار - ويظهر أبناء العراق وكانهم يصرفون شئونه .

كانت مقالات المدرس نموذجا رفيعا للادب السياسي ، وكانت صدى مشكلات العراق وما يعانيه من تخلف وفرقة وجهل ومرض وتناحر .

وقد تعلق القارىء العراقي بصورها الرائعة ، وعبارتها الجميلة ، وتعابيرها الصادقة وقد ابتعد عن التقريرية واختيار العبارات وتنميق الالفاظ ، وكثر المعجبون به وتذوق حلاوة الاعجاب والنجاح لانه كان صريحا واضحا فيلور الفكر الشعبي ضد الاستعمار ولانه عرف مركز الضعف ووضع العلاج .

كان زعيما مفكرا أحس بان تطور العراق السياسي لم يسر مع التطور الاقتصادي والثقافي والحضاري ، لان أهل العراق صغيرهم وكبيرهم من اكثر الناس وهتماما بالسياسة لانها أقصر درب للسلطة والجاه وجر المغانم وكان رجال الاحزاب من الطبقة الوسطى الجديدة التي قامت على (الافندية) والضباط الذين عملوا في الدولة العثمانية التي تهتم بالمظهر والسطوة وهما ما يداعب خيال الشباب المراهق والمغامر الطموح ولهذا نقدهم المدرس فقال : « المطامع والغايات الشخصية بعيدة عن مبادىء الاحزاب السياسية في كل زمان وفي كل مكان .... السياسة في البلاد الحرة ليست من البضائع التي يسام عليها ولا من المهن التي يصوغ اصحابها المادة بحسب الرغبات لقاء اجر معلوم . وقد كانت هذه المطامع الشخصية سببا في انتقال الناس من حزب الى حزب آخر يتسلم مقاليد السلطة ليجر العضو (المغانم) فتراه مرة شعبيا ، واخرى تقدميا ، ويوما اخائيا ، وطورا عهديا .. وسخر من أمثال هذا العضو فقال يطوف الرجل بالاحزاب السياسية واضعا قلنسوة الغناس ، وعلى صدره جلد النمر متلفعا مرقعة حوت الف لون ولون بيمينه حربة يهش بها ، وبشماله كشكول يستجدي به منصبا أو معاشا ، يدخل من باب ويخرج من باب ، وأينما سقط لقط » .

الثورة على الاستعمار

ودعا الى محاربة الاستعمار بالقوة والثورة عليه لانه لا يعرف لغة غيرها . وسخر من جميع المؤسسات التي أنشأها الاستعمار لتخدير الشعب العراقي ، مثل مجلس النواب والاعيان والوزارة واختلاق المعارضة وكيف تجرى الانتخابات وتزيف الآراء كما هاجم المعاهدات التي عقدت بين العراق وانكلترا لانها عقدت بين قوى يملك الجيوش والسلاح وبين ضعيف متخاذل لا يملك حتى حق الدفاع عن نفسه بالكلام ، ومتى كان القوى مع الضعيف كريما .

ولم يقف عند معالجة قضايا العراق السياسية والفكرية بل زاد فاهتم بكل قضايا العرب ومشكلاتهم وقضايا استقلالهم وأهتم بامورهم ، فما كان يحدث لقطر من الاقطار شيء الا كانت مقالاته تصور المعاناة والآلام واهتم بقضية فلسطين اهتماما كبيرا وكتب فيها المقالات الضافية وكان داعية الى الوحدة العربية ، ويراها الهدف الاول الذي يحل مشكلات العرب ويمنحهم القوة في وقت كانت درجات الوعي العربي متاخرة ، وضاعت ثقتهم بانفسهم لهذا رجع الى التاريخ العربي يستلهمه ويذكرهم باعمال الاجداد وفتوحاتهم . ويأتي على أسماء القواد ويلوم العرب على اتكالهم على الحكومات والزعماء الذين لم يملكوا مؤهلات الزعامة والقابلية الذهنية لسبر غور ساسة اوروبا الذين ظنوهم أصدقاء العرب . وعلل ذلك بحرص هؤلاء القادة على المراكز التي حصلوا عليها كالوزارة والنيابة والسفارة فاهتموا بالكرسي فشغلهم عن قضايا الوطن العليا .

والطريف أن يرسم صورة بعيدة النظر ، بين فيها كيف سيكون الوطن اليهودي في فلسطين رأس

الرمح لخدمة الاستعمار الذى أحس بان العرب لهم مستقبل كبير فى السياسة العالمية • وقد سبق عصره فى الدعوة الى الاصلاح الاجتماعى فى رفع مستوى العامل والفلاح والعناية بهما والاعتماد على الشعب فى كل اصلاح وبانشـــاء النقابات للتخلص من الفقر والمرض ولم تكن فكرة الاشتراكية قد لاقت القبول أو انتشرت وفهمها الكثير فى هذا العهد •

ومع اشراقة اسلوب المدرس وسهولة تراكيبه نجد فيه أناقة وتناسقا فى الالفاظ واستشهادا بالقرآن الكريم والاحاديث النبـوية والامثـال والاشعار وهو أمر انعدم فى هذا الجيل الذى ابتعد عن تراثه وسادته سطحية فى الفكر واستعجال فى الحكم وسرعة فى الانتاج •

ولم يقف عند قضايا العراق ومشـكلاته ، بل هاجم الفرقة والتاخر فى الوطن العربى كله واهتم فى كتاباته السياسية بالحرية والديمقـــراطية وضرورتهما فى الصحافة ، لان الصحافة الحرّة هى الضمان الوحيد للوقوف أمام الظلم والحكم الفردى • والحكومة العادلة التى تسير وفق مصالح الشعب لن تخاف النقد أو يؤلمها التجريح • ولما اشتدت حربه على الاستعمار والدولة ووزرائها الموالين للاستعمار عطلت الجريدة التى نشر فيها رأيه هذا وقدم رئيس التحرير للمحاكمة فحـكم عليه بالسجن ستة أشهر لكن محكمة التمييز رفضت تصديق الحكم، ولما ضاقت حكومة نورى السعيد به احتالت عليه بحيلة قانونية ونفته هو ورفائيل بطى وفق نظام دعاوى العشائر • ومن الطريف ان يبرز وزير الداخلية ناجى شوكت هذا النفى بتمادى المدرس فى نشر مقالات اســـتهدف فيها أكبـر المقامات •• وانه يثير الرأى العام ضد الحكومة• وقد اعترف نورى السعيد بانه اضطر الى النفى بعد أن أعيته الحيل فى الحد من نشاط المدرس• ولكن هذا النفى أثار مجلس الامة وانتشر الاستياء ضد هذا النفى وطالب المعارضون بضرورة اطلاق حرية المدرس فقد عارض النفى نجيب الـــراوى وجميل المدفعى وصادق البصام وصالح جبر وابراهيم الواعظ ومزاحم الباجة جى وبهجت زينل، وطالب احدهم بنصب تمثال للمدرس تقديرا واعترافا بالفضل ، وعاد المدرس الى نشاطه • ثم استقال من الحزب • وعيّن بعدها مديرا عاما للمعـارف لكنه لم يقدر أن يرى أحلامه حقيقة فاســتقال ونشر مقالات متعددة فى اصلاح المعارف ثم عين مديرا لدار العلوم فى بغداد وبقى فيها فترة من الزمن •

وبقى المدرس ساخطا على الاستعمار ومؤيديه ولزم داره وأصبحت مسـاهمته الفكرية محدودة ، فقد هاجمته الآلام والهموم من جراء الشـيخوخة والزواج المتاخر ، حتى كانت حرب العـراق فى ١٩٤١ ضد الانكليز وكانت فرصة اغتنمها المدرس، فقد حدثنى المرحوم الدكتـور ناجى الاصيل ان المدرس كان يعرف ان الحرب ضد الانكليز خاسرة ولكنه هاجمهم بعنف وشـدة من دار الاذاعة ولما قابلته مستغربا ـ لانه قال انها ايام وينتصر الانكليز ـ اجاب : أنها فرصة عرضت لى لابث مبدئى، وأذود عن عقيدتى وأهاجم أعداء أمتى وقومى فيجب ان أغتنمها وليس النجاح شرطا فى القضايا الوطنية انما المهم التضحية بالقضايا الفردية •••

وبالفعل انتصر الجيش البريطانى ودخل بغداد ظافرا فاتحا ، وشنق خيرة القادة واعتقل المئـات من الاحرار والشعراء والمفكرين ، ومن الغـريب أن يكون احد الشعراء المعـروفين وزيرا فى أول وزارة شكلها الاحتلال البريطانى ، وهاجم ذوى الوطنية لانهم وقفوا ضد الاستعمار ؟

بعد ذلك تحددت اعمال المدرس الفكرية ولـم يعد قادرا على مقابلة النـــاس وخاف اصدقاؤه العيون والارصاد لكنه لم يفقد الامل فى المستقبل وفى وطنه وأمته •

ولم يتح له ان يقول شيئا بعد ١٩٤١ أو يبدى رأيا سياسيا أو فكريا سوى دفاعه عن معـروف الرصافى عندما أثيرت حوله ثائرة نفر من الفقهاء حول (رسائل التعليقات) •

ولما داهمه المرض خشى أن يذهب الى المستشفى ويقتله هناك الاطباء الانكليز ، وفارق الدنيا فى ١٤ آب ١٩٤٤ ودفن فى مقبرة الكيلانى • رحمه الله •

بغداد ـ يوسف عز الدين

أدب المنشقين

تتهافت عليه دور النشر الأوروبية

بقلم : فريد كامل

■ اصبحت مساندة الادباء والفنانين المنشقين في الاتحاد السوفياتي ودول شرق اوروبا والاشادة باعمالهم ظاهرة عامة في الدول الغربية ، خاصة بعد ان اتخذت احزاب الاوروشيوعية موقف التاييد لهم ،والقى الرئيس الامريكي الجديد جيمي كارتر بثقله في كفتهم ...

ولا تشذ ايطاليا بالطبع عن هذه القاعدة .. بل تتسابق دور النشر على اصدار روايات المنشقين وكتاباتهم التي تتداول سرا في الاتحاد السوفياتي - ويطلق عليها اسم « الساميزدات » .. فتظهر رواية « موسكو على نهر الفودكا » لفنديكت ايروفيف عن دار فلترنيللي (التي قدمت للغرب في ١٩٥٨ أول طبعة من رواية « دكتور زيفاجو » لبوريس باسترناك) وتعلن دار ادلفي عن اصدار رواية « فراغ في القمة » لالكسندر زينوفيف في جزئين في الشهر القادم (.. بل تشمل الموجة الصين ايضا،فتنشر الاسبوعية السياسية«بانوراما» على مدى اربعة اعداد متتالية مذكرات شيانج شنج ارسلة ماوتسى تونج « المنشقة » - كما روتها للصحفية الالمانية روكسان ويتك وتعلن دار موندادورى عن قرب اصدار النص الكامل للمذكرات في كتاب بعنوان « انا - امراة ماو ») ...

يطلق اصطلاح « الساميزدات » (اى « النشر الذاتي » تمييزا له عن « البارتيزدات » - اى النشر الحزبي او الرسمي) على كتابات المنشقين السوفيات (وتشمل روايات ودراسات تاريخية واجتماعية ومجموعات شعرية ودوريات) تنسج على الالة الكاتبة من عدة نسخ بالكربون على ورق بالغ الرقة (لان آلات النسخ والطباعة تحتكرها الحكومة والحزب) وتدار باليد وفق نظام محدد في دوائر محددة من القراء ، تترك المنسوخة مع كل قارىء لفترة محددة ، يمررها بعدها الى القارىء التالي وتتراوح هذه الفترات (حسب العرض والطلب) من اربعة ايام الى اثنتي عشرة ساعة (الكتاب « ارخبيل الجولاج » لسولجنتسين) ..

بدايات المنشقين

وكانت حركة الادباء المنشقين قد بدأت في١٩٦٦

باحتجاج مجموعة من المثقفين على محاكمة الكاتبين اندراى سنيافزكى ويولى دانيال وادت الاعتقالات والمحاكمات السياسية لبعض الادباء والفنانين فى ١٩٦٧ الى تقوية الحركة ، وبدأ الساميزدات فى سنة ١٩٦٨ بظهور « مجلة » تصدر كل شهرين اسمها « سجل الاحداث الجارية » لتعطى « انباء الصراع فى سبيل الحقوق الانسانية والوطنية » وظهرت فى العام التالى اول ما نشر من روايات ودراسات المنشقين بطريقة الساميزدات ، وبدات مجلة « سجل الاحداث الجارية » فى نشر قائمة بما صدر منها مع نبذات عنها ..(فيما بعد بدأ النشر الذاتى ايضا لبعض الكتب التى كان يشك فى امكان نشرها رسميا فى نفس الوقت الذى كانت تقدم فيه هذه الكتب للسلطات للحصول على اذن النشر ـ وهى عملية تستغرق احيانا شهوراطويلة ـ وفى حالات متعددة صدرت هذه الكتب رسميا بعد صدورها ذاتيا بشهور ..)

وبهجرة عدد من الادباء المنشقين للخارج بدات عملية طباعة كتب ومجلات المنشقين فى الغرب وتهريبها للاتحاد السوفياتى لتدور فى دوائر قراء « الساميزدات » ، فانقرضت مجلة « سجل الاحداث الجارية » مثلا لتحل محلها مجلة « القارة » (كونتيننت) التى تطبع فى المانيا الفيدرالية...

(ويجدر ان نذكر هنا ان الشعب السوفياتى من اكثر شعوب العالم اهتماما بالادب . وتدل تقارير منظمة « اليونسكو »الدولية على ان واحدا من كل اربعة كتب تصدر فى العالم يطبع فى الاتحاد السوفياتى وان ٧٥٪من السوفياتيمارسون بانتظام قراءة الادب ـ مقابل ٥٪ فقط فى اوروبا الغربية ـ ومن المعروف ان الطبعات الاولى للكتب السوفياتية لاتطرح فى المكتبات لانها تنفد باكملها بالعجز قبل صدورها ، لذا توجد سوق سوداء للكتب الجديدة الرسمية ، وايضا للكتب الغربية الممنوعة وكتب المنشقين المطبوعة بالغرب ..)

ويمكن تقسيم الادباء المنشقين السوفيات الى ثلاث مجموعات متميزة :

● مجموعة غموضية رجعية تحارب الماركسية بعنف لانها « تنتهك الروح والقيم الانسانية » . تتشدق دائما بروسيا الماضى العظمى وتطالب بالعودة الى « التقاليد الروسية القديمة »،ويقود هذه المجموعة سولجنتسين .

● مجموعة من المؤمنين بالديموقراطية الغربية المعادين للماركسية ، ويراسها الرياضى بليوسك.

● مجموعة اليسار الجديد من الماركسيين الذين يتهمون الحزب السوفياتى بخيانة الماركسية والانحراف عنها وبالديكتاتورية . ويراس هذه المجموعة المؤرخ رورى مدفيديف والشاعر الكسندر تفاردوفسكى رئيس التحرير السابق للمجلة الاوروبية(توفى مبر) ويعود اليه الفضل فىرعاية وتشجيع حركة الادباء المنشقين ونشر انتاجهم فى المجلة خلال عمله بها) وتصدر هذه المجموعة (بالساميزدات) مجلة « القرن العشرين »ويتمسك اعضاء هذه المجموعة بالتوقيع باسمائهم الحقيقية على اعمالهم وبرفض الهجرة الى خارج الاتحاد السوفياتى ، مفضلين البقاء بالوطن مهما كان الثمن الذى يدفعونه ..

... والكاتبان اللذان نتناولهما اليوم لاثنين من اعضاء هذه المجموعة الثالثة ...

وسط ضباب الكحول

« موسكو على نهر الفودكا »رواية صغيرة (١٨٠ صفحة) تروى رحلة طالب طرد من الجامعة «لارائه الخاطئة » بالقطار من موسكو الى بتوسكى ،بلدة صديقته .. لكنها ايضا رحلة حياة ورحلة داخل المجتمع السوفياتى وعلى الاخص داخل أسوار الكرملين الهائلة وفى مبانية المذهلة .. القصة مشبعة بالخمر ـ فالطالب نفسه يشرب طول الوقت وحبيبته التى تنتظره بمحطة بتوسكى سكيرة ايضا. وكذلك جميع شخصيات الرواية : العمال واعضاء اللجنة المركزية للحزب وربات البيوت الكهلات والشباب من الجنسين ، كلهم يشربون الخمر كالاسفنج ، يعبون زجاجات الفودكا واكواب البيرة والكوكتيلات ذات الاسماءالرنانة«دموع الكومسمول» (منظمة الشباب التابعة للحزب) و « اينس ارماند » (حبيبة لينين الفرنسية) .. الخ ، يقضون ايامهم فى ضباب السكر بين نوبات المرح المخمور ونوبات الياس السوداوى ، خاصة مساء الجمعة حينما تقترب ساعة منع بيع الخمر لعطلة نهاية الاسبوع ..

اسلوب القصة رقيق قريب الى الشعر المنثور والسرد فيها عن طريق المنولوج الداخلى فى حوار مستمر مع القارىء تتداخل فيه - فى مخيلة الراوى - الصور المضيئة وسط ضباب الكحول .. وقد نشرت الرواية بالفرنسية (فى نفس وقت صدورها فى روما) دار البان ميشيل الباريسية واعلن عن البدء فى تحويلها الى فيلم سينمائى فرنسى - المانى مشترك ، يقوم فيه بالبطولة النجم الالمانى المعروف كلاوزكينسكى ...

كل هذا النجاح غريب بالنسبة لرواية اولى لكاتب شاب غير معروف (ولو ان تمرسه وتمكنه من فنه واضحان) فمن هو فنديكت ايروفيت هذا ؟؟

تقول مقدمة الكتاب عنه انه (كبطل رواية) طالب طرد من الجامعة (كلية آداب جامعة موسكو) فاضطر للعمل اليدوى فى بناء «طريق الكاميونات» موسكو - بكين وفى مطار موسكو . - وانه - وهو فى السابعة والثلاثين - (كبطل رواية ايضا) سكير عنيد ، « شرب الخمر وسيلة احتجاجه السياسى » - وقد فقدت منه آخرا - وهو سكران - النسخة الخطية الوحيدة لرواية جديدة كتبها ..

فراغ فى القمة

... مؤلف الكتاب الاخر - الكسندر زينوفيف - على العكس معروف جدا : هو استاذ المنطق بجامعة موسكو - عضو الحزب الشيوعى السوفياتى - المشهور فى الاوساط العلمية والجامعية العالمية لجدة وبراعة دراساته حول المنطق التى ترجمت الى لغات عديدة .. ثم ظهرت اولى رواياته « فراغ فى القمة » فجاة فى دوائر الساميزدات ثم نشرتها بالروسية (فى ٦٠٠ صفحة) دار النشر السويسرية «لاج دوم » (عصر الانسان) ، فطرد من الجامعة والحزب وباقى مناصبه العلمية والشرفية . وقاطعه زملاؤه ..

والرواية لم تصدر بعد بالايطالية ، ولكن المجلة الاسبوعية « ليسبريسو » نشرت - للاعلان عنها - فصلا من الكتاب وبعض رسومه الكاريكاتيرية.. والقصة لرجل يفقد الامل فى امكان تغيير اى شىء فى مجتمعه ، فيقص قصة مجتمعه هذا « فى صراحة تامة » معطيا اسماء رمزية (لا غموض فيها) لجميع الشخصيات (ستالين اسمه الرئيس وخروشوف الخنزير وبرجنيف المتانق .. الخ) التى تشترك فى عشرات المشاهد القصيرة فى « رقصة سوداء » يحركها فى كثير من الاحيان « اعوان الجهاز » (اى رجال المخابرات) الذين يتدخلون فى كل شىء ويتلاعبون بكل مايحدث ..

مؤلف هذه القصة معروف اذن - اى من المعروف عنه انه ليس اديبا - وربما لهذا السبب نجد ان روايته (حسب ما يبدو من الفصل الوحيد الذى نشر منها بالايطالية) تفتقر الى الكثير من الناحية الادبية والفنية ، فلا يمكننا اعتبارها عملا فنيا جادا - حتى اذا افترضنا نجاحها كعمل سياسى (وهو ليس موضوعنا بالطبع)..فالنجاح السياسى لا يشفع لسقوط العمل الفنى ابدا ... والعكس ايضا صحيح . ■■

روما - فريد كامل

■ لا تلوموا الكبير يركب هولا انما الهول من مطايا الكبير
(العقاد)

■ اذاورث الجهال ابناءهم غنى وجاها ،فما اشقى بنى العلماء!
(حفنى ناصف)

■ طريد ولى مأوى ، مباح ولى حمى
وحيد ولى صحب ، غريب ولى اهل
(الشاب الظريف)



من واقع الحياة

حب .. وايمان .. وأمل ..

بقلم : منير نصيف

■ الكوب مليء بماء الحياة ، حيث كان وما زال في مكانه يعطي ويعطي ٠٠ وتمتد يد القدر فجأة الى الزهرة الصغيرة الجميلة التي كان يحتويها فتنتزعها من مكانها في قلبه الذي يحتضنها ويرعاها ٠٠ وتقع الزهرة بعيدا وتتناثر بعض اجزائها بجوارها ٠٠ وتصحبها في رحلتها قطرات ماء كانت عالقة بالفرع الصغير ٠٠ وتجف القطرات المتناثرة ، وتبقى منها قطرتان ، بقيتا هناك وكأنهما دمعتان تبكيان في صمت حزين على الزهرة الصغيرة الجميلة التي ذبلت فجأة ، وهي التي كانت منذ لحظات مليئة بالحياة والحب والجمال ٠٠

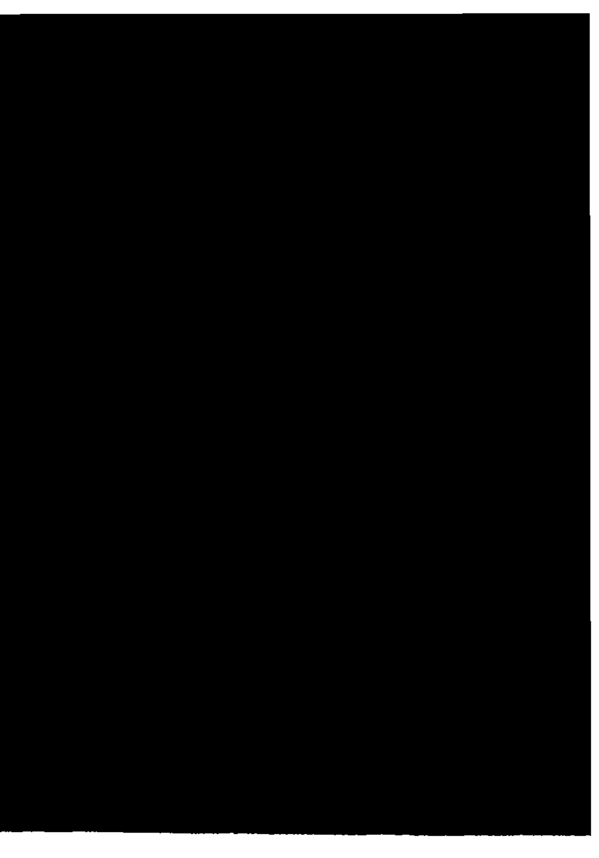
لوحة رائعة رسمها الفنان الروسي المعاصر ترتشيكوف ٠٠ شيء ما اوحى للرسام الكبير بأن يقدم لنا لوحته المعبرة ٠٠ ولكن احدا لا يعرف على وجه التحديد ما هو هذا الشيء ٠٠ وربما لا يكون هناك شيء على الاطلاق ٠٠

ربما تكون مجرد صورة مرت امام عينيه ٠٠ وما اكثر الصور التي تمر بهؤلاء الذين يفلسفون الحياة بقلمهم وريشتهم فيقفون عندها ،ويقدمونها لنا في تلك اللوحات الرائعة التي تمتلىء بها قلوبنا وعقولنا واعيننا ٠٠ وتبقى عالقة بها ابدا ٠٠

كان لقاؤنا بهذه اللوحة في بيت طبيب واستاذ في الجراحة ٠٠ وقد احتلت مكانا هادئا من احد جدران القاعة التي يستقبل فيها ضيوفه ٠٠ وشدتنا اللوحة اليها ٠٠ ولم تكن المرة الاولى التي نحس فيها بعيوننا تتجه نحوها كلما ذهبنا لزيارته وجلسنا ننصت الى حديثه الروحاني الممتع ٠٠ ولكن يبدو انه لم يكن يلحظ منا هذا الاعجاب باللوحة الجميلة التي تسكن في دعة وهدوء على الجدار الفسيح الذي خلا من كل شيء ليفسح لها المكان وحدها ٠٠ او لعله لاحظ اهتمامنا بها ، ولكنه لم يشأ ، لسبب او لآخر ان يحدثنا عنها !

قصة « أمل »

واخيرا سألنا : « اننا نقرأ معاني كثيرة في هذه اللوحة الجميلة » ٠ لماذا هي بالذات ؟ ثم هذا الاهتمام الواضح بها دون غيرها ٠٠ ماذا وراءه ٠٠ انت استاذ في عملك ، وانسان في فكرك وعلمك واديك٠٠ فانت عالم وشاعر واديب ٠٠ وكل شيء في بيتك قد وضع في مكانه بحساب هل هي مجرد لوحة اعجبتك فاقتنيتها وعلقتها ٠٠ أم ان وراءها شيئا ما تعبر عنه وتحكي قصته ؟



وقال الطبيب الاستاذ : « انها صورة الزهرة الصغيرة التى كانت تملأ بيتنا برائحتها الحلوة العطرة .. انها صورة ابنتى التى فقدتها منذ حوالى عشرين عاما .. انها صـــورة « أمل » ثمرة زواجنا الاولى ، وقد شاء القدر ان يحرمنا منها وهى طفلة فى ربيعها الخامس » .

وتصورنا اننا ننبش قبراء واننا نثير ذكريات مؤلمة حزينة ، ما كان يجب ان نعيدها الى الحياة من جديد .. وحاولنا ان نغير بسرعة موضـوع الحديث .. وتطلعنـــا الى وجهه فاذا به هادىء مبتسم ، وقد حوته مسحة واضحة من الرضى والسعادة لا يمكن لاحد ان يخطئها قال لا .. انا اعرف ما يدور فى رؤوسكم .. انتم تشـفقون علىّ ، ومن اجل هذا لا تريدون منى ان استرسل فى الحديث واروى لكم قصة « أمل » اما انا ، فاننى اجد راحة كبرى فى كل حديث يتصـل بها وعنها .. اجد سعادة تحتـوى قلبى ووجدانى ، كلما عدت اليها وعشت مع ذكريات عمرها معنا.. تلك الســنوات الخمس التى ما زالت تملأ كل حياتى ..

« ساحكى لكم قصة « أمل » .

طفولة سعيدة

وبدأ الاب يتكلم : « كنا نقيـم فى مدينـــة ادنبره ـ زوجتى وابنتنا الصغيرة « امــل » وانا ـ وكان هدفنا فى تلك المرحلة المبكرة من حياتنا العملية ، اتمام دراســاتنا العليا .. كانت زوجتى تعد لرسالة الدكتــوراه فى مجال تخصصـــها فى الطب ، فقــد كانت زميلتى فى الدراسة بكلية الطب بالقاهرة قبل التخرج ،وقبل ان نتفق على الزواج .. وتخرجت قبلها بسنوات وانتظرتها حتى تخرجت هى ايضا ، وتزوجنا .. وجاءت « امــل » . ومضت زوجتى فى دراساتها، ومضيت انا بدورى اكمل دراســـاتى العليا فى الجراحة .. ودخلت « امــل » المدرسة ، وكانت فرحتنا بها كبيرة ، ونحن نراها تخطو خطــواتها الاولى بنجاح فى الطريق الطويل الذى يحلو لكل الاباء ان يقفوا عند بدايته يتاملون صغارهم وهم يسيرون فيه حاملين معهم كل آمالهم واحلامهم فى الحياة .. وكانت « امــل » طفلة ذكيــة تعيش طفولة سعيدة مليئة بالحب والامل والرجاء ..

« وفجاة وجدتنى احزم حقائبى فى احد الايام ، واقف لاودع زوجتى وابنتى واستعد للسفر الى الكويت ، فقد تعاقدت على العمل فى مستشفياتها .. ولم تكن زوجتى قد انتهت بعد من اعـــداد رسالتها .. وجئت وحدى ، وكان ذلك فى اوائل عام ١٩٥٨ ، وودعت اسرتى الصـــغيرة بعد ان اتفقنـــا على ان يلحقـــا بى عندما تنتهى مــن رسالتها ..

وجاءت لحظة الفراق !

« وافترقنا على لقـــاء .. وبدات عملى فى المستشفى الاميرى فى الكويت .. وانقضت بضعة اسابيع على وجودى فى مقر عملى الجديد حيث كنت اعيش وحدى .. الى ان جاءت امى تزورنى وكان قد مضى على آخر مرة رايتها فيها اكثر من ست سنوات .. واســـعدنى لقاؤها ، ولم اعد اشعر بالوحدة التى كنت اعانيها بعد ان افترقت عن زوجتى وابنتى .. لقد ملات امى جانبا من الوقت

الذى كنت امضيه وحدى كلما انتهيت من عملى فى المستشفى ، او امضيه مع كتبى . وكنت اجد فى حديثها معى سلوى .. كنت اجد نفسى .وكانت هى تجد فى تلك اللحظات التى اجلس فيها بين يديها . ولدها .. نفس الولد الصغير الذى ربته طفلا .. ما اروع الصلة التى تربط بين الآباء والابناء مهما كبر هؤلاء وهؤلاء .. ومهما تقدم بهم العمر ..

ماتت امل

وانقضت بضعة ايام ، وامى ما زالت فى ضيافتى ، تؤنس وحدتى ، الى ان كان احد أيام شهر مارس ، ولم يمض على وجودى فى الكويت اكثر من شهرين . وكان يوم جمعة ، وكنت يومها الطبيب المناوب بالمستشفى ، وجاءتنا حالة مستعجلة ،سيدة فى حاجة الى جراحة عاجلة لا بد من اجرائها فورا ، واعدوا غرفة العمليات، وبدأت فى اجراء الجراحة التى امتدت الى ما بعد موعد صلاة الجمعة،ونجحت العملية الجراحية. وغادرت غرفة العمليات ، وذهبت الى مكتبى وجلست أسجل دقائق‌الجراحة وتفاصيلها ،والعلاج الذى تحتاجه السيدة المريضة .. وفجأة جاء رسول يقول لى ان هناك برقية باسمى فى مكتب الاستعلامات .. ثمة احساس غريب انتابنى فى تلك اللحظة ..وسمعت صوتا فى‌داخلى يخاطبنى .. « امل » .. انها امل .. لقد ماتت طفلتك ! »

« وطلبت اليهم ان يحضروا البرقية ، ففعلوا، وفضضتها ، وكأننى قرأت كل كلمة فيها قبل أن افتحها : « لقد ماتت أمل فى حادث مؤلم » ! وقد وقع البرقية احد الزملاء ..

« وطويت البرقية فى هدوء ، وأعدتها الى جيبى ، وطويت معها الخبر على الحاضرين .. وهممت بالعودة الى البيت ، ولكننى وجدت الممرضة تسرع فى اثرى : « ارجوك يادكتور .. ان مريضتك تتألم ! » .. وعدت اليها ، وقمت ببعض الاسعافات العاجلة التى تحتاج اليها واستانفت رحلة العودة الى البيت ..

« ووصلت فى نفس اللحظة تقريبا التى كانت والدتى قد عادت فيها من الخارج ومعها بعض صديقاتها .. واستقبلتنى ببشاشة فاجبت بمثلها .. وقصدت الى غرفتى والقيت بجسمى على احد المقاعد المريحة .. ولكن جلستى لم تطل .. فقد جاء من يبلغنى بان هناك مكالمة تليفونية من خارج البلاد ، ورفعت السماعة .. وسمعت‌صوتها .. كانت زوجتى تسأل من ادنبره : « ماذا اصنع، هل ننقل « امل » الى مصر .. ام ندفنها هنا فى هذه الارض البعيدة ؟ قلت : « بل ترقد فى الارض التى عاشت فيها تلك السنوات الحلوة من عمرها القصير » . « وما تدرى نفس بأى ارض تموت » .

مع الذكريات

وعدت الى غرفتى ، وبدأت اعد اوراقى للسفر .. لابد ان اذهب بسرعة ، لا بد ان اكون بجوار زوجتى وام طفلتى . فما احوجها هذه الساعة الى .. وأعددت كل شىء للرحلة .. وكانت امى المسكينة قد علمت بالنبأ ، فرحت اخفف عنها اثر الصدمة ، فقد كان وقع الخبر على قلبها الكبير الحنون ، قاسيا اليما ..

واسلمت امرى الى الله .. فلا راد لقضائه.

وفى هدوء .. بلا جزع وبلا حزن او فزع ، صليت على « أمل » حبيبتى الصغيرة ، صلاة الغائب، ثم استلقيت على فراشى واغمضت عينى .. لم أنم . ولكننى فقط اغمضت عينى ، ووجدتنى اذهب بفكرى وخاطرى فى تلك الرحلة البعيدة القريبة مع « أمل » . ومع الايام الحلوة العذبة التى عاشتها بيننا .. ومع السيدة التى اعطتنى هذه الزهرة الصغيرة التى ملأت كل حياتنا ..

كانت الاحداث تمر فى مخيلتى ،وانا راقد على فراشى ، كما لو كانت شريطا من الصور التى ما زالت تعيش فى قلبى ورأسى حتى اليوم ..زواجنا فى مصر ، ثم رحلتنا الى السعودية ، حيث عملنا ــ زوجتى وانا ــ بعد التخرج ، ثم مجىء امل فى اليوم‌السادس من‌اغسطس عام ١٩٥٣ .كان‌ميلادا

سعيدا فوق ارض كريمة ‥ فى مكة المكرمة ‥ هنـــاك اطلقت « امـل » صرختها الاولى وهى تستقبل الدنيا ‥

ومضينا فى عملنا . و « امل » معنا وبيننا ‥ نرقبها وهى تخطو ‥ وننتظر الكلمات وهى تخرج متعثرة على شفتيها ‥ نســـتقبل يومنا بابتساماتها البريئة الطاهرة ، ولا نخلد للنوم ، الا بعد ان تذهب الى فراشها الصـغير وتغمض عينيها وهى تحتضن لعباتها وعرائسها !

ثم رحلتنــــا الى انجلترا ، فى عام ١٩٥٥ ، للعمل والدرس والتحصيل‥ هناك لم اكن قريبا من امل ، كما كنت ايام مولدها ، وفى شـــهور طفولتها الاولى فى « مكة » ، فقد كانت «امـل» وامها يقيمان فى ادنبره ،وكنت انا اعمل فى احد مستشفيات مدينة برمنجهام ‥‥ ولم يكن امامى الا ان ارضى بهذا الوضـع المؤقت ، وانتهز كل فرصة استطيع ان احصل فيها على اجازة منعملى لكى اعـود الى ادنبره واقضى بضعـة ايام مـع اسرتى ‥

الوداع الاخـير

« الى ان كانت رحلتى الاخيرة وحـــدى الى الكويت ‥ الرحلة التى افترقت فيها عن «امل» لآخر مرة ‥ هل كنت اعلم اننى اودع امل للمرة الاخيرة، وانا احمل حقيبة ملابسى واستعد للسفر، تاركا ابنتى وزوجتى وحدهما فى هذا البـــلد البعيد ‥ لا ادرى ! »

« ولكن الذى اذكـره ولن انســـاه هو تلك الكلمات الغريبة التى جاءت امل تهمس بها فى اذنى فىمساء احد الايام، وكنت اداعبها واحدثها واجيب على اسئلتها ، وهى جالسة تنصت الىّ حينا وتضحك حينا عندما تحس اننى لم اعـد جادا فى حديثى ، وكان يحلو لى ان ارقب هـذا المزيج من الانفعـــالات التى تبدو فى عينيـــها الجميلتين ‥ وفجأة فاطعتنى امل بسؤال غريب لا يتصل بموضوع حديثنا من قريب او بعيد ، قالت : « اسمع يابابى ‥ ماذا يحدث لو ذهبت « امل ؟ »

وسكت ، ولم انطق بكلمة واحدة ‥ تذهب امل ‥ الى اين ؟ وما الذى دفعها الى ان توجه هذا السؤال الىّ ؟ وعلى الفور غيرت موضوع الحديث ‥ وقلت : « لا شىء يحدث يا حبيبتى ‥ لا شىء ! »

ومضيت احدثها فى شىء آخر بعيد عنسؤالها تماما ‥

وفى تلك الليلة دعوت الله ، ورحت اناجيه الا يبتلينى فى حبيبتى الصغيرة « امل » !
وسافرت ‥ وصورتها وحديثها وتساؤلاتها فى مخيـــلتى وفى اذنى ، لم تفترق « امـل » عنى لحظة واحدة ‥

مرت كل هذه الاحـــداث سريعة متلاحقـة فى رقدتى وقمت اصلى ، ثم حملت حقيبتى وركبت الطائرة ‥

مـــع الأم وحدها ‥

لقد بدت الرحلة طويلة كانها دهر ‥ ثم كان اللقاء اخيرا ‥ لقيتـــها وحـــدها ‥ لقيت زوجتى ، ولم الق امل ، فقد واروا جثمـــانها الصغير التراب ‥ قالت وهى تستقبلنى : « لقد تركتنا ، وكنا اثنتين، وعدت، فاصبحنا واحدة! » وانحنيت على يد زوجتى الثمها بشفتى .

وفى طريق العودة الى البيت الذى عشنا فيه نحن الثلاثة اسعد ايام حياتنا ، روت لى زوجتى كيف ماتت امل ‥ ولكنها قبل ان تبدا قصـــة امل مع الموت ‥ قالت : « لقد رايت طفلتنا تموت فى المنام ، قبل ان يختطفها الموت منا ‥» رأيت نفسى فى حلم مزعـج ، وانا واقفـــة فى الطريق الذى يقوم فيه بيتنا ، وكنت اصيح ابنتى ‥ ابنتى راحت منى ! »

وفى الصباح رويت الحلم لزميلاتى فىالمستشفى فرحن يهدئن من روعى ، وقالت احداهن :« ربما كان شعورك بالمسئولية بعد سفر والدها ، هـو السبب فى توتر اعصابك ! »

ومضت زوجتى تكمل قصة رحيل « امـل » :
« ولم تنقض سوى بضعة ايام على هذا الحـلم المزعج حتى ذهبت امل ، كما رايتها تذهب تماما فى حلمى ‥ كنـــا نمشى على الرصيف وانــا

ممسكة بيدها الصغيرة في طريقنا الى مدرستها .. في هذا الصباح نظرت الي وقالت تحدثني بالانجليزية التي تعلمتها واجادتها .. « انا سعيدة اليوم يا امي .. لم اكن سعيدة مثلما اشعر بالسعادة اليوم !! .. وابتسمت ، وطبعت على وجهها قبلة وضحكنا معا .. ولم اشعر بشيء بعد هذا .. فقد كانت الاحداث التي مرت خلال اللحظات المقبلة اسرع من ان يعيها العقل او يدركها .. سيارة شحن ضخمة تصعد الى الرصيف الذي كنا نمشي فوقه ونضحك منذ لحظات ، ويرتطم جزء من مؤخرة السيارة برأس « امل » وننقلها الى المستشفى لاسعافها .. ولكنها تسلم الروح ..

وينتهي كل شيء في لحظات ..

وكانت زوجتي تبكي في صمت ، فاخرجت منديلي من جيبي اجفف به دموعها ..

في غرفة امل

« ووصلت السيارة التي اقلتنا الى البيت.. ودخلنا .. كانت ملابس « امل » الصغيرة حيث هي .. في غرفة نومها .. وعلى الحبال التي علقتها امها عليها لتجف .. وعلى مائدة صغيرة بجوار فراشها كان هناك كوب من اللبن ، شربت « امل » نصفه ، وبقي النصف الثاني حيث هو.. وعلى الارض علبة الشيكولاته ، وقد تناثرت قطعها هنا وهناك .. كانت « امل » تحب الحلوى ولكنها كانت مغرمة بان تتذوق كل قطعة شيكولاته قبل ان تاكلها ونظرت الى العلبة فوجدت كل قطعة منها وقد قضمتها باسنانها وتركت بصماتها عليها

ورحت اجول بعيني بين هذا كله .. ان كل شيء في غرفتها الصغيرة يحمل صورتها يحمل صوتها وضحكاتها .. وكانها مازالت بيننا ولم تتركنا .. ووجدتني امسك بكوب اللبن الذي شربت منه « امل » ، وافرغ ما تبقى منه في جوفي .. ثم جلست على الارض ورحت ابحث عن قطع الشيكولاته التي تحمل بصمات اسنانها الصغيرة، والتهمها التهاما ، الواحدة بعد الاخرى حتى لم يعد يبقى منها شيء ..

وجمعت ملابسها كلها ، وذهبت الى المدرسة التي كانت تتعلم فيها ، وطلبت اليهم ان يوزعوا ملابس « امل » على الاطفال الفقراء .. ثم رجوت زوجتي ان تصطحبني الى قبرها .. وذهبنا وصلينا امامه ..

صفحة جديدة

وانتهت صفحة من حياتنا .. وبدأنا صفحة جديدة .. عدنا الى الكويت .. ومنها الى مصر في عام ١٩٦١ .. وصورة امل وحياتها .. معنا وحولنا وفي قلوبنا ..

لم يكن لي « امل » بعد ان ذهبت « امل » سوى ان يرزقنا الله بطفلةاخرى مثلها .. ورحنانصلي زوجتي وانا ـ ونبتهل الى الله ، ان يحقق لنا امنيتنا ..

وحملت زوجتي .. حملت مرتين ، ولكنهافقدت جنينها في المرتين .. وفي نفس الموعد تقريبا .. وفي المرة الثالثة تم الحمل .. واستجاب الله الى دعواتنا ، وصلواتنا ، وجاءت « اباء » طفلة حلوة جميلة .. وتحقق « املنا » .. فقد عادت « امل » الينا باسم جديد .. وحملناها .. ورحنا نزور معها الدنيا .. ونقف ، وتقف معنا امام كل مكان .. في كل بلد كنا نزوره ونتردد عليه مع « امل » .. ونحكي لها قصتنا معها .. انها لم تر شقيقتها التي رحلت قبل ان تجيء هي ولكنها لم تعد تشعر انها غريبة عليها .. انها تعرف كل شيء عنها وعن طفولتها ..

وهكذا تعيش « امل » معنا في قلوبنا نحن الثلاثة .. وستبقى دائما هناك .

●

حب اقوى من الموت .. وايمان لم تزعزعه اعتى العواصف واقساها .. وامل لم يغب ولن يغبو ابدا . ■■

منير نصيف

رحلة مع :

مساجد الكويت

بقلم : الدكتور حسين مؤنس تصوير : اوسكار مترى

مسجد الهلالي يعتبر من اجمل مساجد الكويت من حيث الشكل الخارجي او الهندسة الداخلية.



« عمارة المساجد ينبغي ان تساير الزمن • لا بد من البحث عن اسلوب مساجدي يعبر عن روح عصرنا • المساجد لا بد ان تعود الى رسالتها الاولى : مصلى ومجتمعا للمسلمين ومركزا للجماعة كلها » •

■ قبل ان ندخل في الكلام على مساجد الكويت نقول كلمتين عن تكوين المسجد واقسامه ،والمقاييس التي يقاس بها جماله من الناحية المعمارية والناحية الجمالية الصرفة •

فالمسجد ربما كان من ابسط المنشات المعمارية من حيث السكل والتكوين ، والى هذه البساطة يرجع جماله • وقد وصف احد المتخصصين في الفن المعماري المساجد بانها نماذج من الرقة سابحة في الهواء ،وذلك لخفتها وبساطة تركيبها•

فان المسجد في اساسه مساحة مستوية مربعة او مستطيلة يحيط بها سور ـ او لا يحيط ـ نظيفة دائما لانها مخصصة لعبادة الله ، وبعض مساجد الاسلام الاولى ، ـ مثل مسجد البصرة ـ كان يحدد بخندق يحفر حول المساحة ، وذلك حتى لا تدخله الحيوانات او يتخذه الصبيان ملعبا والكبار ممرا او مكانا للبيع والشراء •

الجدار الرئيسي المتجه نحو مكة المكرمة يسمى جدار القبلة •

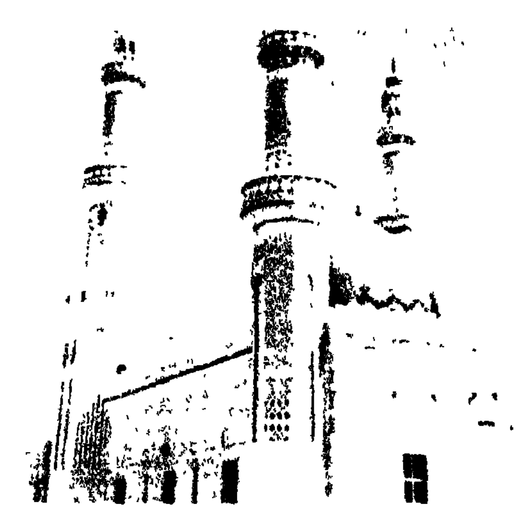
في جزء ما من ذلك الجدار توضع علامة للموضع الذي يقف امامه الامام • هذه العلامة كانت اول الامر حربة تغرس في الارض (من هنا جاء لفظ محراب) ، وقد ترسم هيئة باب على الجدار ، او باب مستدير اعلاه ، وقد تعمل حنيئة داخلة في الجدار • قد تزين هذه الحنية بعمودين زخرفيين، وقد تحاط باطار من الرخام ، وقد تتحول الحنية الى مقصورة ذات بوابة جميلة تقوم على عقد (مسجد قرطبة الجامع) ، وقد يزين المحراب باطار من الرخام أو القاشاني الملون او الخزف المزين بالفسيفساء • الجزء الأعلى من ذلك المحراب يسمى طاقية • قد تتعدد المحاريب في الجامع الواحد (الجامع الازهر وجامع السلطان حسن وجامع المؤيد بالقاهرة) •

الى جانب المحراب يوجد المنبر • قد يكون مجرد منصة ذات درجة او درجتين او اكثر وقد يكون منصة عالية ذات درج كثير وباب خشبي عليه ستار • وقد يكون شرفة مطلة على قاعة المسجد يدخل اليها الخطيب من المحراب كما هو الحال في مساجد الكويت والخليج •

يلي جدار المحراب جزء مسقوف من المبنى يقوم سقفه على عمد من الرخام او الاجر او دعامات مبنية من الاجر او الحجر • العمد تحمل عقودا (اقواسا) والعقود تحمل السقف • هذا الجزء يسمى بيت الصلاة ، وينتهي بجدار له ابواب • هذه الابواب تؤدي الى صحن المسجد وهو جزؤه المكشوف • في العادة يكون الصحن اكبر من بيت الصلاة ويحيط به سور المسجد • في العادة يبلط الصحن او جزء منه ، وفي نهايته المقابلة لجدار القبلة يقوم جدار الواجهة لان واجهة المسجد (او مدخله الرئيسي) تكون خارج هذا الجدار• قد تزرع اشجار النارنج في الصحن لتعطي ظلا وتعطر الجو (مساجد الاندلس)وقد تزرع اجزاء منه في احواض زهرية يختلط بها الريحان (تركيا وايران) •الواجهة تكون في العادة عالية جميلة فخمة ذات بوابة معقودة •قد تكون للمسجد ابواب اخرى من جوانب الصحن •

في مساجد المغرب والاندلس تقوم المئذنة الى يمين بوابة المسجد في الجدار الخلفي • المئذنة ليست جزءا رئيسيا من المسجد • اول ظهورها كان ايام الوليد بن عبد الملك عندما انشا المسجد الاموي في دمشق (٨٦ ـ ٩٦ / ٧٠٥ ـ ٧١٥)• فقد اقاموه في مبنى روماني مهجور كان المسيحيون قد استعملوه مصلى لوقت قصير واقاموا فيه برجا للنواقيس ونسبوا المصلى الى القديس يوحنا • عندما دخل المسلمون دمشق أعجبتهم سعة الساحة المبلطة وافادوا من الرخام والاعمدة التي كانت مهملة هناك فحولوا المبنى الى مسجد جامع واتخذوا برج النواقيس مكانا للاذان • من ذلك الحين درج المسلمون على اقامة المآذن في المساجد •

المئذنة تقوم دائما على قاعدة خاصة بها ولها باب من داخل المسجد • تتكون المئذنة من بدن



مسجد اشكنانى فى السالمية · انه قطعة جميلةمن الفن المعمارىالمتميز بالتوازنالتام· للمسجد اربع مآذن كل اثنتين منها متشابهان· المآذن من الطراز المملوكى ولكنها ملبسة بالقاشانى الابيضوالملون ذى البريق المعدني· القبة بين المآذن تزيد الاحساس بالتوازن · المسجد كله مغطى بالقاشانى الابيض والملون·

طويل او قصير ينتهى بشرفة اذان ، ثم يستمر البدن صاعدا فى الجو ، وينتهى بالجوسق ثم العمامة · قد تكون هناك شرفة أذان اخرى وربما ثالثة أعلى قبل الجوسق ·هاتان تكونان فى العادة زخرفيتين · فى المساجد التركية لا يوجد جوسق او عمامة ، انما تنتهى المئذنة بمخروط ·

القبة ايضا ليست جزءا أساسيا من المسجد · عرف المسلمون القباب منذ ايامالوليد بن عبدالملك الذى اقيمت فى ايامه قبة الصخرة · القبة هناك هيكل خشبى مغطى من باطنه واعلاه بالجص ثم لون وزخرف · القباب الحجرية ظهرت أول الامر فى المغرب : فى جامع عقبة بن نافع او جامع القيروان عندما جدد بناءه زيادة الله بن الاغلب (١٠١ ـ ٨١٧/٢٢٣ ـ ٨٣٦) · القباب الاولى كانت تقوم فوق بلاطة المحراب لتزيد نور المحراب· البلاطة هى المسافة المحصورة بين اربعة اعمدة · بلاطة المحراب واستمرارها الى باب بيت الصلاة تسمى الرواق الاوسط ·

تنوعت بعد ذلك اشكال القباب وتغيرت مواضعها من سقف بيت الصلاة ·

القبة تقوم دائما على اربعة اعمدة فى الغالب، وترتفع من سطح المسجد برقبة تقوم عليها طاس القبة ·الرقبة تزين بنوافذ صغيرةتسمى القمريات يدخل منها الضوء · تغطى القمريات بالزجاج الابيض او الملون · للقباب اشكال مختلفة هى نفس اشكال العقود التى تتكون منها ·

الميضاة كذلك ليست جزءا اساسيا من المسجد· المفروض ان يذهب الانسان متوضئا مستعدا للصلاة من بيته · بعض الفقهاء يعترضون على وجودها لانها تشوب نظافة المسجد ·

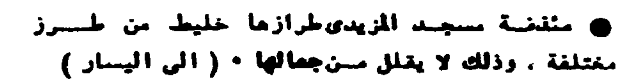
والمساجد نوعان : سلطانية ، وهى التى يبنيها الخلفاء والسلاطين ،واهلية وهىالتى يبنيهاالناس افرادا وجماعات ، ولكنها كلها اذا ما تمت اصبحت ملكا للجماعة · فى الماضى كانت الجماعة تقوم بشئونها وحلت محلها اليوم وزارات الاوقاف · انها بيوت الله وبيوت الناس فى آن معا ، لان الاسلام الهى بمصدره انسانى بغايته·

وللمساجد طرز (جمع طراز) كثيرة كل منها يتبع التقاليد والاساليب الفنية القائمة فىالقطر او العصر الذى تقوم فيه ، من هذه الطرز المغربى الاندلسى والسلجوقى(فى ايران وتركستان والعراق) والمملوكى (فى مصر والشام) والهندى المغولى (فى افغانستان والهند وما يليهما شرقا) والصفوى (ايران) والعثمانى (فى آسيا الصغرى والبلقان وشرق اوروبا وبعض نواحى مصر والشام) · وحيث ان مساجد الكويت تضم ملامح من كل هذه الطرز فسنشير الى تلك الملامح فى مواضعها من تلك الصفحات ·

والكويت من اكثر البلاد مساجد · فحيثمانظرت يصافح بصرك منظر مئذنة ، وهذه المساجد فى زيادة مستمرة : الدولة تبنى والافراد يشيدون والهيئات تنشىء المساجد · هذه المساجد انواع وطرز شتى·لا يوجد بلد تتعدد فيه الطرزالمعمارية المساجدية كما هو الحال فى الكويت · كثير من المساجد تجمع فى عمارتها ملامح من طرز شتى · هذا يوجد فى المساجد الحديثة دون القديمة التقليدية ·

بعض مساجد الكويت ضخمة فسيحة المساحة مثل مسجد السوق الكبير ومسجد العثمان ومسجد العلبان فى كيفان ومسجد فهد السالم الصباح (الشيخه بدرية) فى السالمية ··· ورغم اختلاف طرزها واشكالها فاننا نستطيع تقسيمهافىمجموعها الى ثلاثة اقسام من حيث عمارتها وهيئتها العامة وهى : المساجد الكويتيةالتقليديةالقديمة،والمساجد



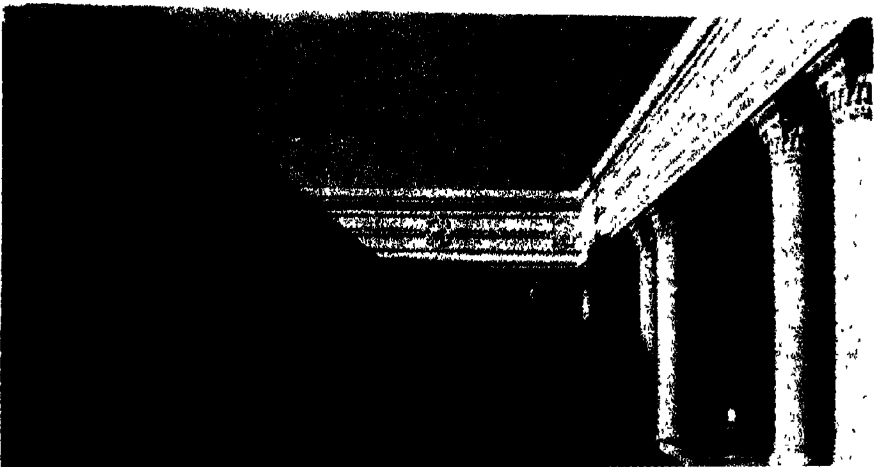


● مئذنة مسجد المزيدى طرازها خليط من طرز مختلفة ، وذلك لا يقلل من جمالها • (الى اليسار)

● مسجد الشيخة فاطمة يمتاز بزخارفه البديعة هذه نافذة حديثة الطراز مغطاة بالزجاج الملون • (الى اسفل) •

● مسجد اشكناني بالسالمية يتميز بفخامة مظهره ، ومآذنه الاربعة المغطاة بالقاشاني الابيض والملون• (الى اليسار ـ اعلى)

● صحن مسجد المزيدى يستلفت النظر باناقة لونه • مغطى كله بالرخام الابيض والرمادى (الى اليسار ـ اسفل)



الحديثة التى بنيت خلال الخمسينات والستينات من هذا القرن والمساجد المعاصرة التى بنيت من منتصف الستينات الى اليوم •

المساجد الكويتية القديمة

هذه فى نظرى ونظر الكثيرين من أجمل مساجد الكويت واعمقها اثرا فى النفس ،واقربها الى طبيعة المساجد الاولى ، وهى كويتية خليجية فى كل جزء من عمارتها •

تمتاز بخصائص معمارية اهمها :

١ ـ الغالبية العظمى منها مبنيةباللبن الرملى، ولهذا فان جدرانها رمادية وردية ، وبعض اجزائها مبنية بالحجر او الاجر كالاعمدة والدعامات واطارات الابواب وقواعد المآذن والقسم الاسفل من بدنات المآذن وسلالمها • فى بعض الاحيان يكون المحراب والمنبر من الحجر ، وربما من الرخام •

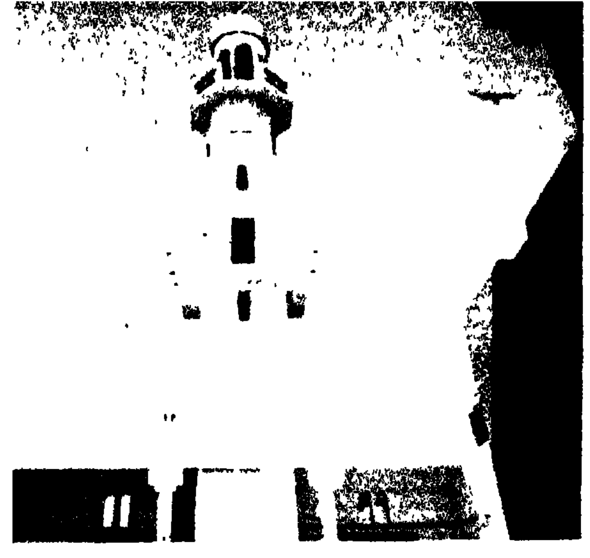
٢ ـ هذه المساجد عرضية اومستعرضة ، اى ان جدار المحراب فى بيت الصلاة اطول من جدار الصحن ، وبيت الصلاة لهذا مستطيل ضلعهالاطول هو جدار القبلة • هذه الهيئة قليلة فى العالم الاسلامى وان كانت قديمة ترجع الى الجامع الاموى فى دمشق •

هذه الهيئة فى نظرنا ميزة ، لانها تجعلصفوف المصلين اطول وعددها اقل ، فلا تتباعد المسافة بين المصلين والامام ، وفىجدار القبلة شبابيك كبيرة تغمر المسجد بالضوء ،ويزيد هذا الضوء انالجدار الخلفى لبيت الصلاة يضم ابوابا كثيرة تفتح على بيت الصلاة • وفى صلوات الجمعة والاعياد ، عندما يمتلىء الصحن بالمصلين لايكون هناك حاجز تقريبا بين من يصلون داخل بيت الصلاة وخارجه•

ولهذه المساجد صحون واسعة معظمها مبلط مما يتيح الفرصة لاكبر عدد منالمصلين لاداء الفرائض داخل جدران المسجد • وتحيط الجدران بصحن المسجد • وواجهاتها فى الغالب بسيطة لا تكلف فيها • ولكل مسجد ابواب اخرى فى جوانب الصحون •

٣ ـ المحراب والمنبر فى تلك المساجد قطعة واحدة : فالمحراب باب يؤدى الى سلم المنبر على يمين الداخل اليه • والسلم خمس درجات على الاكثر تنتهى بشرفة تطل على بيت الصلاة بفتحة كبيرة • هنا يقف الامام ليلقى خطبة الجمعة •

٤ ـ ولغالبية هذه المساجد مآذن • والمآذن



مئذنة جامع العوضى منظورة من الصحن • هنا تبدو اجمل مما تبدو من خارج المسجد •

لطيفة قليلة الارتفاع •بدنها الاسفل حجرى ينتهى بنحو مترين أعلى من سطح المسجد • ويصعد الى شرفةالاذان بسلم خارجى يشرع من داخل الصحن• قد يكون السلم سلسلة واحدة كثيرة الدرجات،وقد ينقسم قسمين بينهما بسطة ، وباب المئذنة عند البسطة العليا للسلم ، ويصعد المؤذن بعد ذلك الى شرفة الاذان بسلم داخل البدن • احيانا تكون هذه الشرفة مظللة بالخشب ، وحاجز شرفة الاذان الذى يدور حول البدن مصنوع من الخشب او الرخام • من هنا ينطلق بدن المئذنة مرة اخرى حوالى اربعة امتار او خمس ، ثم تنتهى المئذنة بعمامة تكون بالاخضر فى الغالب • واشكال هذه العمائم متباينة بعضها طاسةمقلوبة وبعضهابصلية الشكل او مخروطية • وهذا الجزء من البدنيبنى فى الغالب من اللبن ولا سلالم فيه ، ويشد جداره باعواد الخشب وتفتح فيه نوافذ متقابلة تخفف من ضغط الريح على جسم المئذنة •

تجد هذه المساجد منتشرة فى الاحياء التىبقيت على حالها دون تغيير كثير الى اليوم ، ثلاثة منها على الاقل تقع فى المساحةالواسعة فيما بين شارع فهد السالم (الجهرة) وشارع الخليج • الكثير منها كذلك فى حى شرق وفى الشويخ وقرية الجهراء • الكثير منها كذلكخربمهمل لان مساجد اخرى احدث منه بنيت قربها واخملتها • حبذا لو عنيت السلطات بهذه المساجد فرممتها وحافظت عليها الى جانب المساجد الجديدة الكثيرة التى تبنى ، فهذه المساجد العتيقة قطعة من تاريخ الكويت ، وهى تعين حقبة

من التطور الحضارى للبلاد ،ثم انها تمثل الطراز المعمارى المساجدى الخاص بهذه المنطقة،ولا يجوز لنا ان ندعها كلها تتلاشى من الوجود ·

مساجد الخمسينات والستينات

هذه هى اكثر المساجد فى الكويت عددا ، وهى مجموعة ضخمة من المساجد تتراوح بين الكبير الضخم والصغير الانيق ، بعضها من انشاء الدولة وبعضها من انشاء افراد وجماعات ، وكلها تجمعها صفات وملامح عامة سنكتفى بذكر اهمها الان · بعضها كذلك مساجد احياء ·

ونلاحظ اولا انها تختلف فيما بين بعضها وبعض فى الطرز المعمارية اختلافا شديدا ، بل ان الواحد منها يجمع فى بنائه خصائص معمارية من طرز شتى ، بل المئذنة الواحدة يكون جزؤها الأعلى من طراز وجزؤها الاسفل من طرازآخر ، وليس هذا بعيب لان الطرز المعماريةالمساجدية واحدةفىالروح وان اختلفت فى الشكل ، ولا يتنافر مع الذوق قط ان تصنع قبة سلجوقية على مسجد مملوكى، وانما المهم ان تحافظ على الهيئة الجمالية والتوازن العام للمسجد،وهما العنصران الاساسيان اللذان تعتمد عليهما فى الحكم على اى مسجد من الناحية الجمالية ، ومن المعروف مثلا ان مسجد القطب فى دهلى توقف بناؤه والزيادة فيه لان قطب الدين ايبك عندما شرع فى بناء المسجد فى سنة ١٢٠٠ ميلادية بدأ بانشاء مئذنة ضخمة رفيعة الذرى يصل ارتفاعها الى ٧٢٫٥ مترا ، وعندما تمت — وهى المسماة بقطب منار — لم يستطع المهندسون انشاء المسجد على هيئة تناسب هذه المئذنة الهائلة ، وقد حاول المهندسون بعد قطب الدين زيادة المسجد وتعلية سقفه لمدة تزيد على مائة سنة ، وفى سنة ١٣١٠ راوا ان الافضل ان يدعوا «قطب منار» على حالها وينشئوا مئذنةصغيرة فى ايام الامير علاء الدين ايلتوتميش ، وتعطل العمل فى المسجد بعد ذلك ·

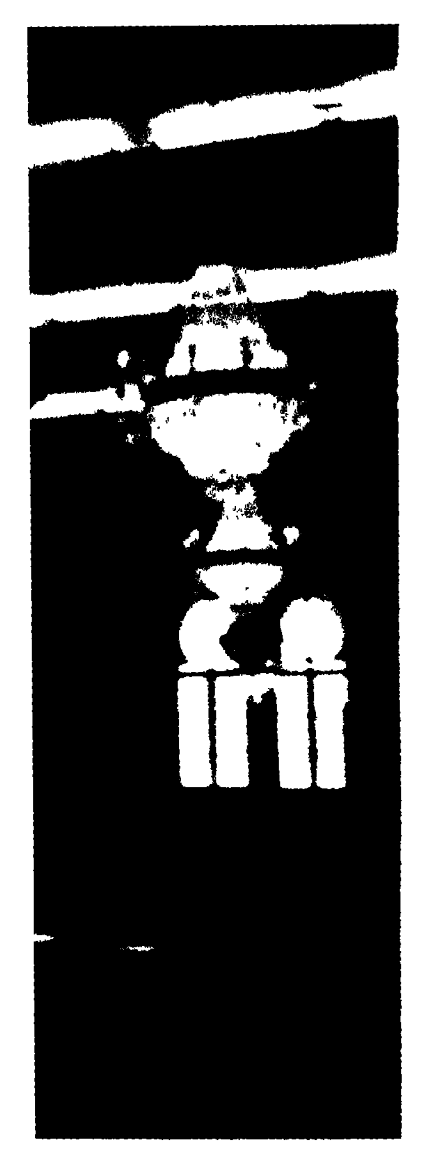
هذه المساجد الكويتية التى نتحدث عنها والتى يمكن ان نسميها بالمساجد الوسطى حافظت الى حد بعيد على الطراز الكويتى فى داخل المسجد ، اما فى خارجه فقد استعاضت عنه باشكال من طرز معمارية اخرى ، ففى مسجد السوق الكبير — الذى انشاه محمد بنحسين بن رزقفىصورة مسجد كويتى تقيلدى سنة ١٧٩٤ ثم جدد بعد ذلك مرارا حتى اعادت وزارة الاوقاف انشاءه على اساس جديد سنة ١٩٥٣ نجد ان المهندسين حافظوا على الهيئة المستعرضة للمسجد ، واضافوا الى صحنه الواسع فخامة باقامة دعامات قوية من الحجر ملبسة بالرخام ، واكثروا من فتح النوافذ فى جدار القبلة والجدران الجانبية للمسجد محافظة منهم على ظاهرة الضوء التى تميز بيوت الصلاة فى مساجد الكويت ، ولكنهم اضافوا الى المسجد مئذنة جميلة جدا ذات طراز مملوكى فى بدنها الاسفل وشرفة الاذان الاولى ثم اكملوا البدن الى شرفة الاذان الثانية ، وفوق ذلك رفعوا جوسقا عاليا ذا ارجل طويلة تعلوه عمامة ، وهذان العنصران غريبان عن الطراز المملوكى ، ولكنهما لا يشوبان جمال المئذنة فهى طويلةمنسرحة بديعة الجمال، ومدوا الى جوارها قبة مملوكيةفى غاية التناسق والانسجام ، ثم زين سقف المسجد بشرافات بديعة تجعل الجزء الأعلى من المسجد من أجمل ما تقع عليه العين · الشرفات تسمى احيانا عرائس السماء ·

وفى مسجد آخر هو مسجد المديرس بمنطقة القبلة نجد المعمارى انشا مئذنة مملوكية الطراز ولكنه جعل بدنها الاسفل صغيرا جدا من سطح المسجد وهذا الجزء من البدن مسدس الشكل تعلوه شرفة اذان ذات حاجز زخرفى من الاسمنتوالجص، ثم رفعت بقية البدنمستديرة ذات نوافذ كبيرة حتى شرفة الاذان الثانية ، وهى اصغر من الاولىوان كانت من نفس طرازها ، ثم تلى ذلك مباشرة العمامة ، فكانه استعمل شرفة الاذان الثانية جوسقا ·

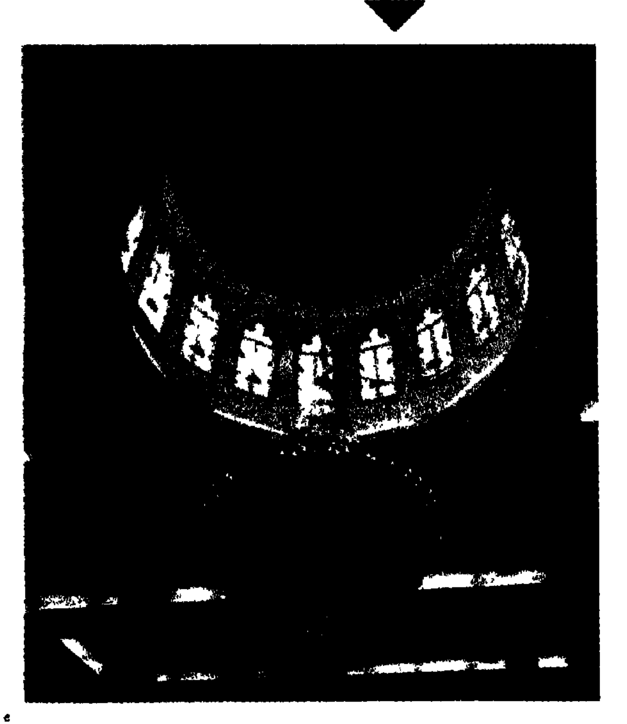
ومنطقة القبلة من احفل مناطق الكويت بالمساجد الوسطى هذه ، وغالبيتها العظمى من بناء افراد او اسرات ، وقد انفقوا فيها بسخاء ، واذا وقفت فى نهاية شارع احمد الجابر رأيت غابة بديعة من المآذن والقباب من كل طراز وهيئة، وكلها جميل يسر النفس ، ولا ينسى الانسان البهجة التى تملأ نفسه عندما يقبل على مسجد العوضى مثلا ·

مسجد العوضى

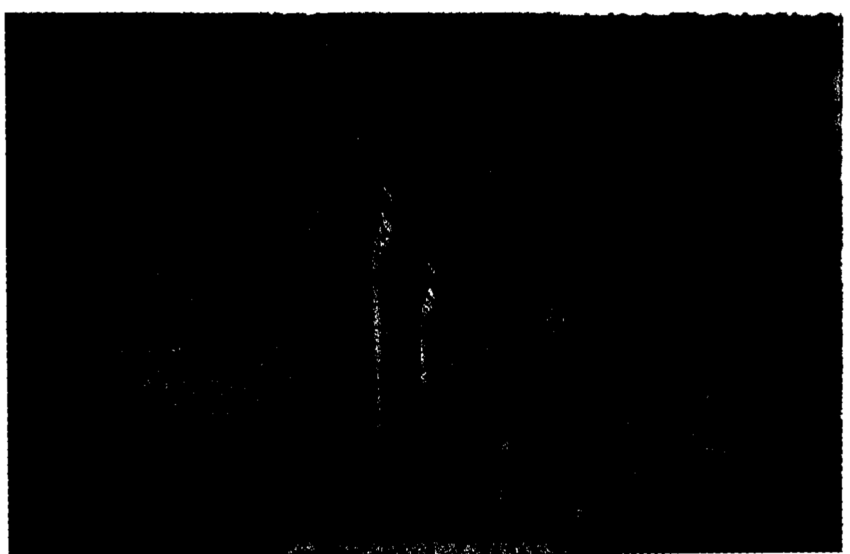
وسأقف قليلا عند هذا المسجد لانه نموذج جميل لمساجد الاسرات ، اى التى بنتها اسرات كويتية عريقة ثم وهبتها لله تعالى وللمسلمين ،



هذه القبة تقوم على ردهة عند المدخل الخلفي لمسجد الشيخة فاطمة ·



مسجد الشيخ فهد السالم (الشيخة بدرية)
من احدث مساجد الكويت · كله من الخارج
والداخل مغطى بالرخام الاحمر ·



بيت الصلاة الفسيح فى مسجد العثمان يشرح الصدر باتساعه وجمال هندسته وفيض النور الذى يغمره .



المحراب والمنبر فى مسجد العثمان نموذج بديع لهذا النوع من المحاريب والمنابر فى مساجد الكويت .

فهذا المسجد المتوسط الحجم في شارع احمد الجابر بحي شرق انشاه الحاج عبد الله العوضي في سنتي ١٩٦٢ و ١٩٦٣ على ما قيل لي •

خارج هذا المسجد لا يبدو للعين متناسقا متوازيا تماما ، لان قبته الضخمة لا تتناسب مع مئذنته الصغيرة ذات البدن الاسفل الطويل بعض الشيء ثم شرفة الاذان يعلوها الجوسق مباشرة ثم عمامة صغيرة طاسية الهيئة اي من طراز الطاس المقلوب• ولم يراع المعماري ان يدخل تناسقا بين نوافذ المسجد ، فهي صفان : اسفل مستطيل كبير واعلى اقرب الى المربع لا يزيد اتساعه على ثلث اتساع نوافذ الصف الاسفل • ولكن داخل الجامع في غاية من الجمال والاشراق •

فبيت الصلاة فسيح يزدان بدعامات ضخمة من الحجر او الآجر ملبسة بالرخام • وقد حافظ المعماري على الشكل المستعرض لبيت الصلاة • وهنا يبدو لنا جمال القبة من الداخل فهي واسعة رفيعة الذروة تقوم على دعامات تحمل فوقها اكتافا حجرية هي التي تحمل القبة • وعنق القبة طويل تزينه القمريات التي تفيض الضوء على المسجد• وتتدلى من سقفها ثريا ضخمة تتلالا بالضوء في الليل •

واجمل ما يزين هذا المسجد جدار قبلته ، فقد تصرف المعماري هنا تصرفا جميلا عندما ترك القبلة على حالها ولم يجعل منها بابا يفضي الى سلم المحراب ، وانما فتح بابين على يمين القبلة ويسارها ، وكلاهما يؤدي الى سلم المنبر ، ثم جعل المنبر شرفة جميلة نصف دائرية مغطاة بالخشب النفيس ، وجعل خلف موقف الخطيب حنية ، فصار الخطيب مشرفا على بيت الصلاة من موضع متوسط عال يمكنه من اسماع كل المصلين خطبته •

وشبابيك بيت الصلاة جميلة مبتكرة ، فهي اشبه بالشرفات الزخرفية • سياجها من المشبك اي الجص المخرم • وصحن الجامع فسيح تتجلى منه المئذنة بصورة اجمل من صورتها من الخارج•

وميضاة هذا المسجد تقوم على يسار الصحن قرب مدخل بيت الصلاة • وهي نموذج للميضات الكويتية ، فارضيتها مبلطة بالرخام والجدران ملبسة بالقاشاني الابيض الى نصف ارتفاع الجدار ، ومجالس الوضوء مكعبات حجرية ملبسة بالرخام امامها الصنابير وهي من اجمل الميضات التي نعرفها ، ولكنها غير مريحة للوضوء ، مثلها في ذلك كل الميضات التي نعرفها ، وعلى اي حال فالميضاة مشكلة من مشكلات المساجد بصورة عامة ، ولا علاج لها فيما نظن الا باحد امرين : اما الغاؤها تماما وياتي الناس من دورهم متوضئين او فصلها عن المسجد تماما، واعتبارها دار اغتسال للمصلين وغير المصلين •

ثلاثة مساجد كبرى
الشملان والعثمان والشيخة بدرية

ونختار من هذه المساجد الوسطى ثلاثة بعيدة الصيت في الكويت هي مسجد الشملان او مسجد الهلالي ومسجد العثمان ومسجد الشيخة بدرية • فهي نماذج بديعة للمساجد الكبرى في الكويت •

يعتبر مسجد شملان بن علي الذي يسمى بمسجد الشملان او مسجد الهلالي ـ نسبة للشارع الذي يقع فيه ـ يعتبر من اجمل مساجد الكويت ، واقربها الى الطراز الشائع في مساجد عالم الاسلام في عصرنا هذا •

انه مسجد صغير نسبيا ، ولكنه يروع النفس من بعيد بمئذنتيه الشامختين من الطراز المملوكي او الشبيه بالمملوكي ، وقبته الضخمة الطويلة الملونة في بعض اجزائها باللون الاخضر على مثال الكثير من مساجد العراق •

ويمتاز هذا المسجد بواجهة جميلة ذات عقود ثلاثة مدببة الرؤوس يرقى اليها الانسان بواسطة درج رخامي ، وتؤدي العقود الى ابواب الصحن • وبيت الصلاة الذي تقوم القبة الكبيرة فوقه مستعرض ، نوافذه كلها ذات عقود مدببة •

وعقود الواجهة تستحق منا وقفة هنا ، فهي من اجمل العقود التي نراها في مساجد الكويت ، فعقودها مدببة طويلة القواعد ذات لونين ابيض ووردي ، فهذه العقود المدببة المطولة المزينة من اعلاها بمشبكات او مخرمات جصية طراز من العقود ابتكره المعماري الايطالي ماريو روسي الذي استقدمته الحكومة المصرية اوائل هذا القرن العشرين للمعاونة على احياء الفن المعماري المصري فافتتن به واسلم ، واقام عددا كبيرا من المساجد الحافلة بالابتكارات الجميلة ومنها هذه العقود المدببة المطولة التي ظهرت لاول مرة في مسجد ابي العباس المرسي في الاسكندرية ، ثم طبقها

المعماريون المصريون بنجاح كبير فى تجديد الحرم النبوى الشريف فى المدينة • وكذلك فى ابواب مسجد الشملان التى ترتفع فوقها العقـــود من الخشب المزين بالزخارف المحفورة ، وهى تمتاز بدائرة المقبض ذات الزخارف الجميلـة • وهى ابتكار مملوكى جوده العثمانيون فيما بعد •

ومئذنتا هذا المسجد تقومان بين بيت الصـلاة والصحن وهما خارج المسجد تلتصق الاولى منهما بمدخل المسجد • والبدن الاسفل فيهما طويل منسرح مسدس الهيئة يرتفع نحو اربعة امتار فوق سطح المسجد وينتهى بشرفة اذان ذات حاجـز مخـرم مملوكى ، ومن شرفة الاذان يشرع البدن الاعلى وينتهى بشرفة اذان زخرفية يليها جوسق لطيف الهيئة يقوم على ارجـل ، وفـوق ذلـك عمامة مستطيلة •

اما مسجد العثمان ، فقد انشاه عبد الله عبد اللطيف العثمان ابتداء من سنة ١٨٦١ ، وقد جدد بناؤه بعد مرارا ، وصورته الحالية جديدة تمت فى اواخر الخمسينات • والمسجد ربما كان اوسع مساجد الكويت •

بيت الصلاة هنـا هو اكبر بيـوت الصـلاة فى مساجد الكويت وهو مستعرض تزينه نوافذ واسعة



المسجد القديم فى مواجهة مبنى الامن العام •
صورة لبيت الصلاة •

فى جدار القبلة وفى الجانبين•وفى جدار القبلة وحده ثمانى نوافذ كبيرة مغطاة بالزجاج تشبه الابواب ، ودعامات بيت الصلاة ضخمـة مربعـة تزينها تيجان ملبسـة بالخشب عنـد التقائـها بالسقف • وقد وضع المهندس كمرات السقف من الاسمنت فوق تيجان الدعامات مبـاشرة ، وهـذا عيب معمارى فى المساجد خاصة • وكان اولى به ان يقيم فوق الدعامات عقودا فوقها طبانات ، وعلى الطبانات يقـوم السقف ، وهـذا هو الوضـــع المساجدى الصحيح ، لانه يتيح الفرصـة لرفــع السقف ويخفى الكمرات• وبالفعل فان مسجد العثمان قريب السقف • ولا يخفى هذا القرب الا كثرة الشبابيك التى تملأ المسجد ضياء •

ومحراب هذا المسجد ومنبره غاية فى الجمال . فالاثنان هنا وحدة كاملة من الرخام الملون الملبس بعضه فى بعض • والمحراب هنا تقليدى اى انه حنية من الرخام الملبس ذى اللونين تعلوها لوحة رخام عليها آية قرآنية ، ثم تقوم طاقية المحراب بعد ذلك بقوس مدببة • وهذا الشكل يتكرر فى مسجد على الشملان •

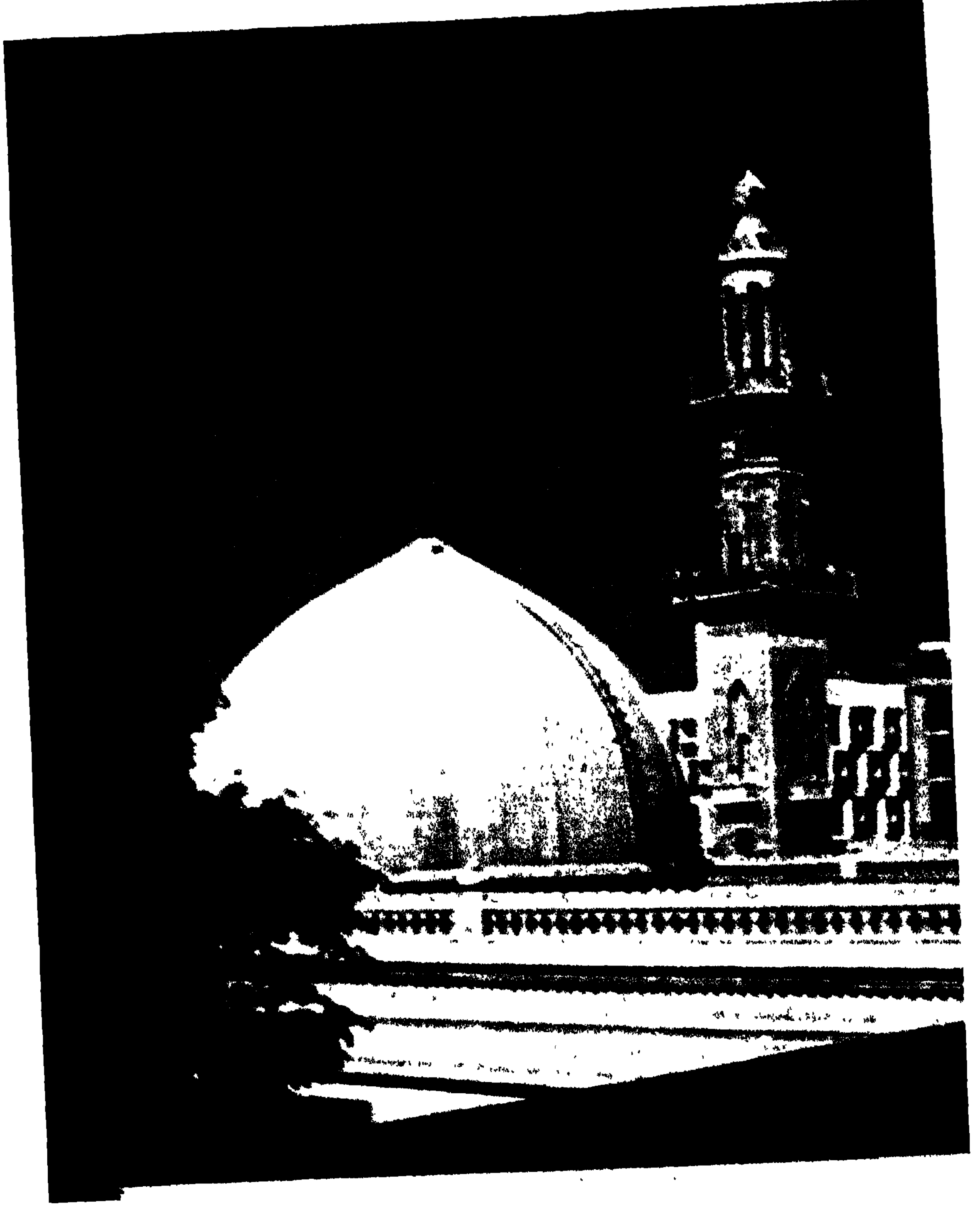
والى يمين المحراب يقوم المنبر على الطـــراز الكويتى فى صورة شرفة رخامية ذات حاجز رخامى مخرم مزدان بوردة رخامية بديعة الجمال •

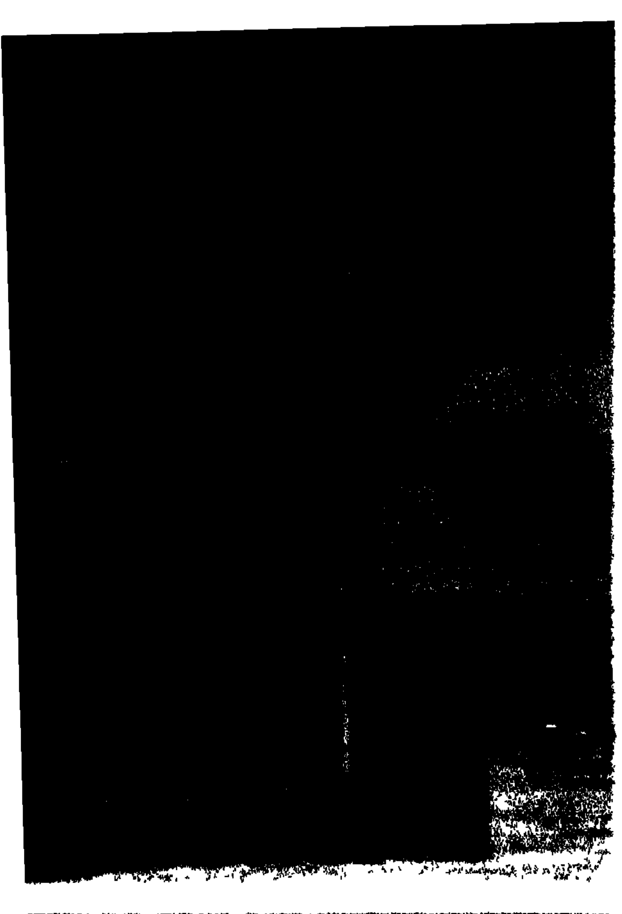
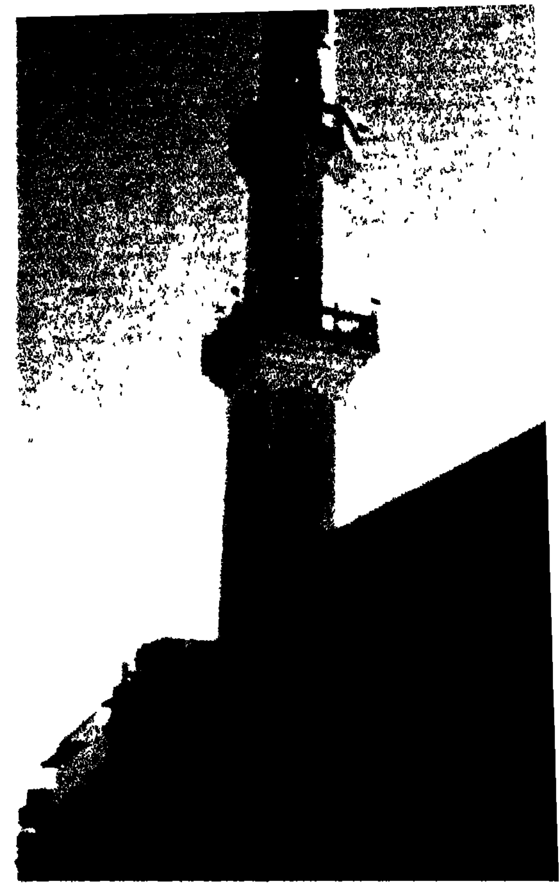
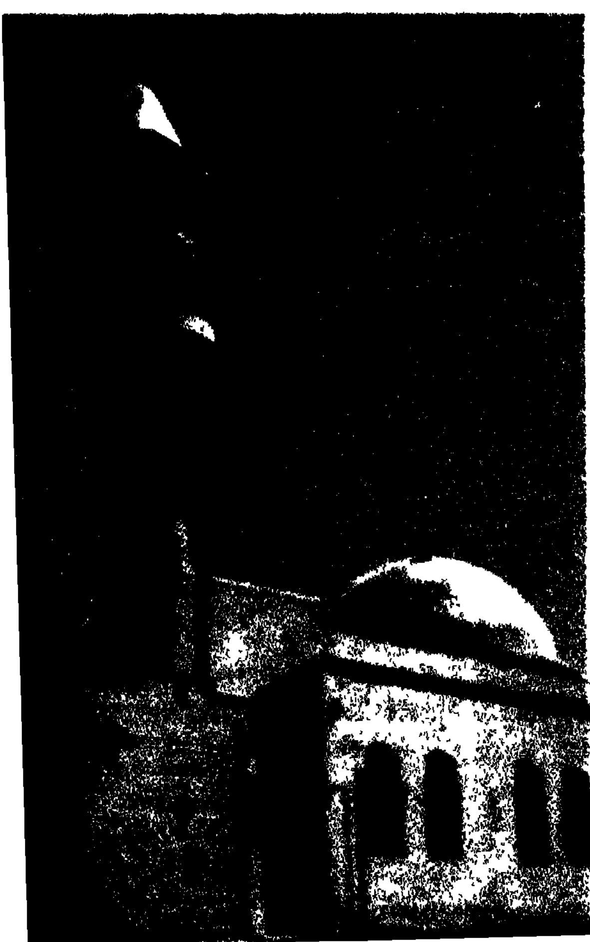
والمحراب والمنبر يبدوان هنا عقـدين متجاورين متشابهين تمام التشابه وهذا وجه الجمال فيهما ، بل ان هذين العقدين التوامين موضوعان فى اطار كبير من الرخام يعتمد على عمودين من الرخام فى الجانبين • وبين المحراب والمنبر يقوم عمود رخام دقيق جميل يتفرع منه القوسان المدببان من اعلى•

وصحن الجامع فسيح جدا تطل عليه احـــدى المئذنتين السامقتين اللتين تزينـان واجهة هـذا المسجد الكبيرة • وهاتان المئذنتـان من اضـــخم مآذن مساجد الكويت ، وطرازهما مملوكى هجين ، اى انهما تتخذان بعد القاعدة ــ وهى هنا البدن الاسفل ــ هيئة غريبة بعض الشىء فهناك شرفتا اذان كبيرتان يفصل بينهما بدنان، والبدن الثالث هنا يحل محل الجوسق ويرتفع فوقه جوسق ذو درجات ثم عمامة على هيئة حدوة الحصان •

ومن احسن ما فعله المعماريون الذين شـادوا ذلك المسجد انهم احاطوه بمسـاحة واسعة عازلة له عن الطريق يدور بها سور عال •

مآذن مساجد الكويت تمتاز بتنوع اشكالها وهيئاتها ، وقد جمعت كل طراز معروف من المآذن .. في هذه الصور ترى خمسا منها : بعضها قديم تقليدي ، وبعضها حديث ، ولكنها كلها ذات جمال وتناسق .




مسجد فهد السالم الصباح المعروف باسم مسجد الشيخة بدرية بالسالمية

يعتبر هذا المسجد من آنق مساجد الكويت ان لم يكن اجملها عمارة او اكثرها تناسقا

المسجد حديث بني في الستينات • وهو مسجد متوسط الحجم له مدخل متواضع لا يتناسب مع شهرته ، وهذا المدخل تقوم عليه بوائك صناعية ، اى انها ليست من عمد واقواس وانما تقوم على عمد زخرفية وعقود مفلطحة زخرفية ايضا • والمسجد كله مكسو بالرخام الوردي تزينه افاريز من الجص• وبيت الصلاة في المسجد صغير وهو مستعرض مثل بقية مساجد الكويت ، ويقوم سقف بيت الصلاة على عقود مستديرة ، اعمدتها مكسوة بالرخام• وهذه العقود تحمل القبة المفلطحة، وهي في هيئة طبق مقلوب،مصنوعة من البلاستيك، ولهذا فان قيمتها الفنية المعمارية قليلة ،واعتقد انه ليس من المناسب ان يلغى فن القباب الاسلامية العريق لتحل محله قطع من اللدائن •

وصحن المسجد صغير يحيط به من الجانبين رواقان مسقوفان بقباب زخرفية من اللدائن ايضا• وهناك مجنبة خلفية يفضى اليها الداخل من الباب الشمالي للمسجد• وللمسجد اربعة ابواب اخرى، منها واحد يؤدى الى بلاطة المحراب •

وللمسجد مئذنتان جميلتان مبتكرتان ، ولكنهما قطعا لاتشبهان المآذن في اى طراز اسلامي وان قيل انهما من طراز مغربي وانهما انشئتا على طراز مئذنة جامع القيروان او صومعته كماتسمى في تونس ، ولكن ذلك غير صحيح • وكل من المئذنتين تشبه ان تكون مسلة فرعونية مقطوعة قرب راسها • ومحل هرم الرأس في المسلة نجد هنا شرفة اذان جميلة تقوم على كابولي اى قاعدة يزداد اتساعها الى اعلى • وفوق شرفة الاذان ظلة بلاستيكية ايضا تقوم مقام الجوسق والعمامة•

واجمل ما في المسجد شبابيك واسعة في جوانب بيت الصلاة مغطاة بشبكات من الجص المخرم مزينة برسوم عربية • وهذا الشكل يشبه الشبابيك الزخرفية الكبيرة البارزة من جوانب بيت صلاة مسجد جمال عبدالناصر في القاهرة •

مساجد بالغة الاناقة

في الكويت عدد كبير من المساجد البالغة الاناقة، وهذه المساجد تتميز بخصائص معمارية نستطيع ايجازها في سطور •

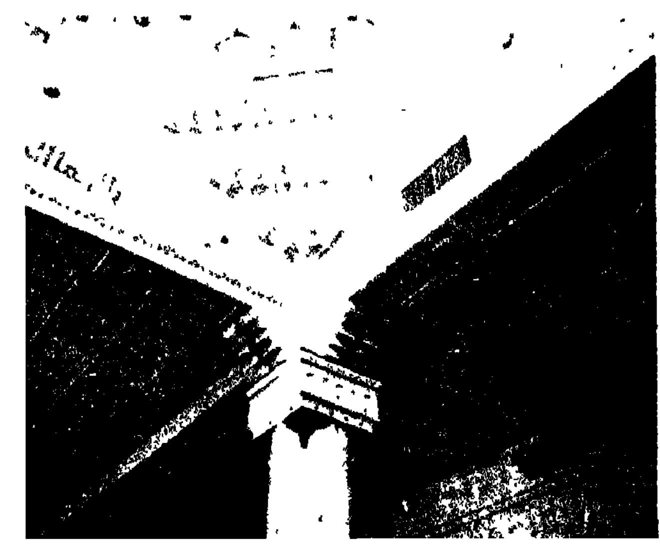
ناخذ مثلا مسجد الحاج محمد حبيب المزيدي في وسط المنطقة التجارية في الكويت •

المسجد متوسط المساحة ولكنه انيق حسن الهندسة مقام بعناية ، وقد انفق صاحبه في بنائه عن سخاء • الباب الرئيسي للمسجد يفتح على الصحن ، والصحن هنا ليس ارض فضاء طلقة مبلطة وانما هو ابوان من الرخام الخالص ذي لونين رمادي واسود • ارضية الصحن من الرخام الاسود تحيط به اروقة كلها من الرخام •

وتفضي الى بيت الصلاة فتجده قاعة مستعرضة ذات جمال باهر • امامك ترى المحراب والمنبر في وحدة رخامية واحدة على طراز ما رأيناه في جامع العوضي •

قبة المسجد تقوم على اعمدة ، والاعمدة تحمل مثلثات كروية لتحمل القبة ، رقبة القبة مزينة بقمريات صغيرة انيقة • ثم تلي ذلك طاسة القبة وهي مدببة الرأس• المئذنة شبيهة بمئذنتي مسجد فهد السالم (الشيخة بدرية) • جدار بيت

قبة جامع المزيدي من الداخل • لاحظ كيف ترتفع على اربع كوابيل (هذا واحد منها) والكابولي كتف يقام في زاوية السقف ليحول المربع الى مسدس ، وعلى المسدس تقوم القبة مسدسة الاضلاع ثم تغطى الاضلاع بالجص • لاحظ القمريات الصغيرة المغطاة بالزجاج •



الصلاة المقابل لجدار المحراب مكسو كله بالخشب وفيه خزائن للكتب ومصاحف .

وهناك مسجد آخر ربما كان افخم من هذا واضخم . انه فى حى السالمية وهو مسجد كبير لم يتم بناؤه بعد ، ولهذا فاننا لم نر الا ظاهره. للمسجد اربع مآذن فى اركان البناء الاربعة ، وفى وسطها تقوم القبة . المسجد كله بجدرانه الاربعة مغطى بالقاشانى الابيض الزخرفى .

المساجد الحديثة

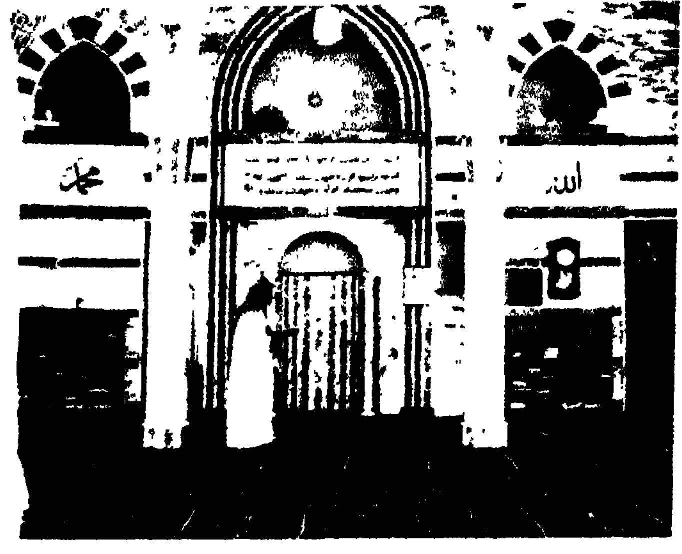
من أواخر الستينات بدأنا نرى فى الكويت مساجد بعيدة جدا عن هيئات المساجد وطبيعتها ، بعضها فى شكل باجودا بوذية وبعضها فى شكل كنائس ، وهى الى دور السينما اقرب منها الى المعابد .

المهندسون الذين صمموا هذه المساجد ليسوا من المسلمين ـ او لم يدرسوا الفن الاسلامى ، وجدير بالذكر ان هناك مساجد كثيرة جدا فى الكويت من تصميم غير اسلامى، مهندسوها يتبعون لونا من التجديد فى الكنائس انتشر فى اوروبا وامريكا خلال نصف القرن الاخير . الذين يصممون هذه الكنائس لا يراعون قاعدة واحدة مقررة فى الانشاء ، كل غرضهم استلطاف النظر ، والخروج على الناس باشكال عجيبة لا يعجب بها ـ الا المصمم الذى وضعها والمقاول الذى بناها ..

تجد هذه الاشكال بصورة خاصة فى بلاد الشمال الاوروبى والمانيا الغربية وسويسرا ومعظمها بروتستانتى ، لان السلطات البروتستانتية تجتهد فى اجتذاب الناس للصلاة باى صورة ، ومن ثم فلا مانع لديهم فى ان تكون الكنيسة فى هيئة دار سينما او هيئة عرض موسيقى راقص .

وفى بلد كاثوليكى واحد هو البرازيل انشأ المهندس الفرنسى كور بوزييه كنيسة « برازيليا » عاصمة البرازيل الجديدة فى هيئة ورقة ملفوفة تدخل من نهاية لفة الورق وتدور معه لتجد نفسك فى النهاية فى قارورة طويلة من الزجاج الملون ...

هذا كله طيب بالنسبة لهم ، ولكن ليس لنا، فان المسجد عندنا كائن حى يعيش ويتنفس ويفيض بالحركة .

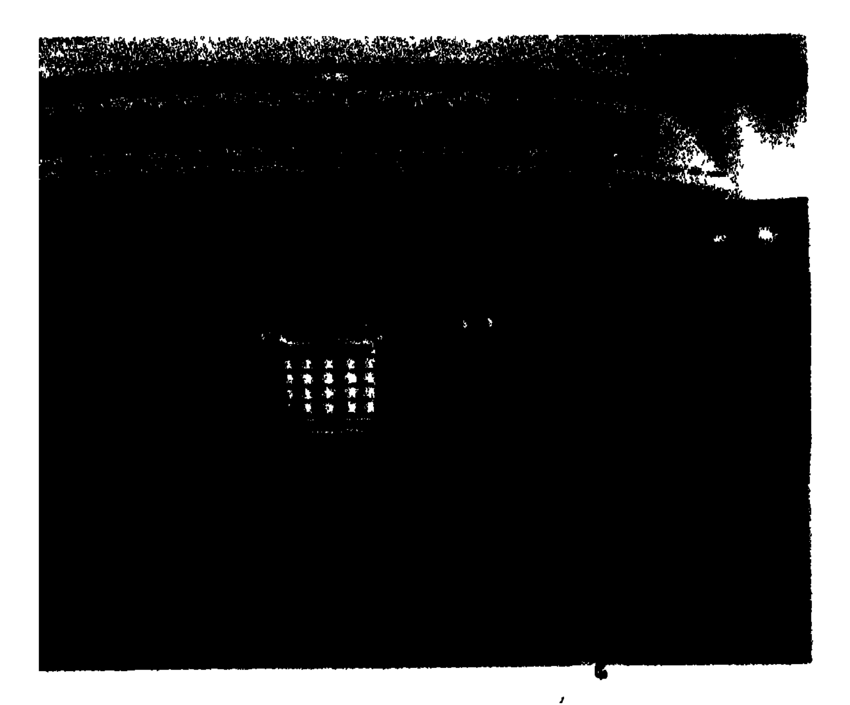


محراب مسجد الهلالى ومنبره يشبهان الى حد كبير وحدة المحراب والمنبر فى جامع العثمان . الوحدة هنا اجمل فى اقواسها وشرفة المنبر .

وعندما يحتويك المسجد ساعة الصلاة او بعدها، فانت لا تشعر قط انك وحدك . امة الاسلام كلها معك هناك . والنور الفياض بداخل المسجد هو نور الخالق سبحانه ، وآيات القرآن تتردد فى سمعك ، الم يقل الله سبحانه فى سورة النور : (فى بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ، ليجزيهم الله احسن ما عملوا ، ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب) (آيات ٣٦ ـ ٣٨) فالمساجد عامرة دائما بالغدو والآصال .

لهذا ينبغى ان يكون جو المسجد حرا طلقا مفتحا فياضا بالنور ، وينبغى ان يكون خفيفا فى هيئته ولقد سئل المهندس التركى سنان بن عبد المنان ابن عبد الله ـ الذى بنى اعظم المساجد والمنشآت التركية ـ بعد ان فرغ من بناء السليمانية فى بغداد : ترى كم طنا من الحجر فيها ؟ قال لا شىء، المساجد تحملها الملائكة وهذا ليس حجرا ولكنه ريش ...

لهذا يقف الانسان داخل قاعة الصلاة فى مسجد الشيخة فاطمة (ام الشيخة لطيفة الفهد الصباح) فيحس انه يختنق لان المسجد نفسه يختنق مع انه بنى من البلاستيك والبليكسى ـ جلاس .



منظر عام لمسجد الشيخــة
فاطمة نموذج من التجديد
المطلق فى عمارة المساجد ·
كل ما فى هذا المسجد جديد
مبتكر فى داخله وخارجه·
الصورة الى اليسار لبيــت
الصلاة فى ذلك المسجد ·

قبة مسجد الشيخة فاطمة من الداخل ، انها مستديرة تقوم فوق مخروط بيت الصلاة،وهى من البلاستيك والبليكسى جلال والصورة الى اليمين تبين مكتبة المسجد فى الدور العلوى ·



المسجد جميل جدا ، انه فى ضاحية عبد الله السالم ، اراد المهندس ان يذهب فيه مع التجديد الى مداه فجعل المسجد كله فى هيئة قبة مخروطية: رقبتها هى جدار المسجد وفيها ابوابه ونوافذه • بدل القمريات نجد ابوابا ونوافذ تؤدى الى الطريق • القمرية نسبة الى الحمام القمرى ينبغى ان تفتح الى السماء ، لان الحمام القمرى الذى يقولون انه يسبح لله كان يعشش بداخلها ويسبح لله فى الصباح والمساء • لهذا كان المهندسون الذين بنوا المساجد المملوكية يضعون فوق القبة اناء فى صورة قارب يملأ بالحب ، وفى اعلى المئذنة ـ فى العمامة ـ يخرجون اعمدةصغيرة من الحديد ليقف عليها الحمام •••

بوابة واحدة منخفضة تفضى الى داخل المسجد• هنا لا يوجد صحن • الصلاة كلها فى بيت صلاة دائرى مفروش بسجادة واحدة فى وسطها نجمة مثمنة بيضاء • رغم ارتفاع ذروة القبة فانك تشعر انك تحملها على كتفك، انها من البلاستيك والبليكسى جلاس ، ولكنها ثقيلة ، انها تزن عشر مرات قدر قبة السليمانية التى زادت على قبة اياصوفيا بستة اذرع •

نور كثير يدخل من شرائح البليكسى جلاس • ولكنه نور ضئيل كانه ذبالة • هذا هو نور الظلام • ان الرسام العالمى رامبرانت قد ابتكره فى لوحاته • اللوحة كلها مظلمة غير جزء صغير منير هو الذى يريد ان يبرزه • هذا هو ما يسمى فى عالم الفن Chiaroscuro بالايطالية و Claire-obscure بالفرنسية • طاس القبة هيئة نجمية • ننظر اليها من داخل المسجد فلا نجد خطا واحدا من زخرف عربى •• اين الزخارف التى هى لباب الفن الاسلامى وميزته الكبرى ؟

اعجب ما فى المسجد المنبر والمحراب • انهما ليسا بمنبر ولا محراب • المحراب شكل عجيب من الخشب او البلاستيك • قمع سكر مقلوب فى داخله مصباح ، مما يدل على ان المهندس لم يقرأ القرآن قط • لو قرأه لعرف ان نور الله لم يشبه الا بمشكاة • قال تعالى : (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كانها كوكب درى) • حاول بعض الفنانين المسلمين ان يجعل المشكاة رمز الاسلام • الاسلام نفسه رفض لانه تجريدى صرف ورمزه هو الله • اذا نظرت الى سجادة صلاتك وجدت فى اعلاها عقدا تتدلى منه زهور • الزهور كانت فى سجادات الصلاة الاولى مشكاة • رفضها الفنان وحولها الى زخرف زهرى •

المنبر هنا شىء لا يصدق • انه منصة عليها كرسى • الاسلاك الكهربائية والميكروفونات تفسد الجو •

فى المسجد دور علوى تصعد اليه من وراء المنبر• هذا اجمل ما فى المسجد • هنا مصلى للنساء ومكتبة ومساكن لقومة المسجد •

المئذنة انبوب طويل كانه مدخنة تحمل فى اعلاه شرفة اذان مغطاة بجوسق هو فى الحقيقة ظلة ••

مهما كان راينا فهذه محاولة لتطوير فن بناء المساجد • المحاولة جريئة ولكنها لم تصب الهدف• فى النهاية حصلنا على تحفة لا على مسجد •

هل معنى ذلك ان نوقف المحاولات ؟

قطعا لا ، وعمارة المساجد ينبغى ان تساير الزمن • لا بد من البحث عن اسلوب مساجدى يعبر عن روح عصرنا ، المساجد لا بد ان تعود الى رسالتها الاولى : مصلى ومجتمعا للمسلمين ومركزا للجماعة كلها •

لقد ابتكر ماريو روسى الذى اسلم وتسمى بعبد الله ابى العباس ، وفهم روح المساجد طرازا جديدا فى نفس الاتجاه المملوكى وابدع مساجد اسلامية الروح والشكل فى جامع ابى العباس المرسى ومسجد ابراهيم الفاتح ومسجد رأس التين واخيرا مسجد الزمالك • تحف رائعة من الفن المعمارى الاسلامى •

الآن ينبغى ايضا ان نتخطى طراز ماريو روسى ولكن هذا مبحث آخر ••

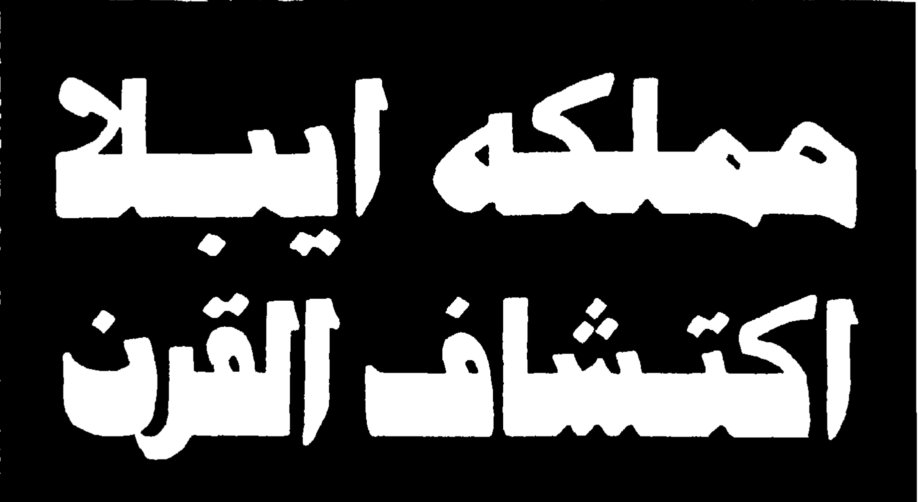
ولنقف هنا بالحديث عن مساجد الكويت ولنردد فى صمت آية بيوت الله فى سورة النور ••

■■

الكويت ـ د• حسين مؤنس

دمشق من :

فهمى هويــــدى

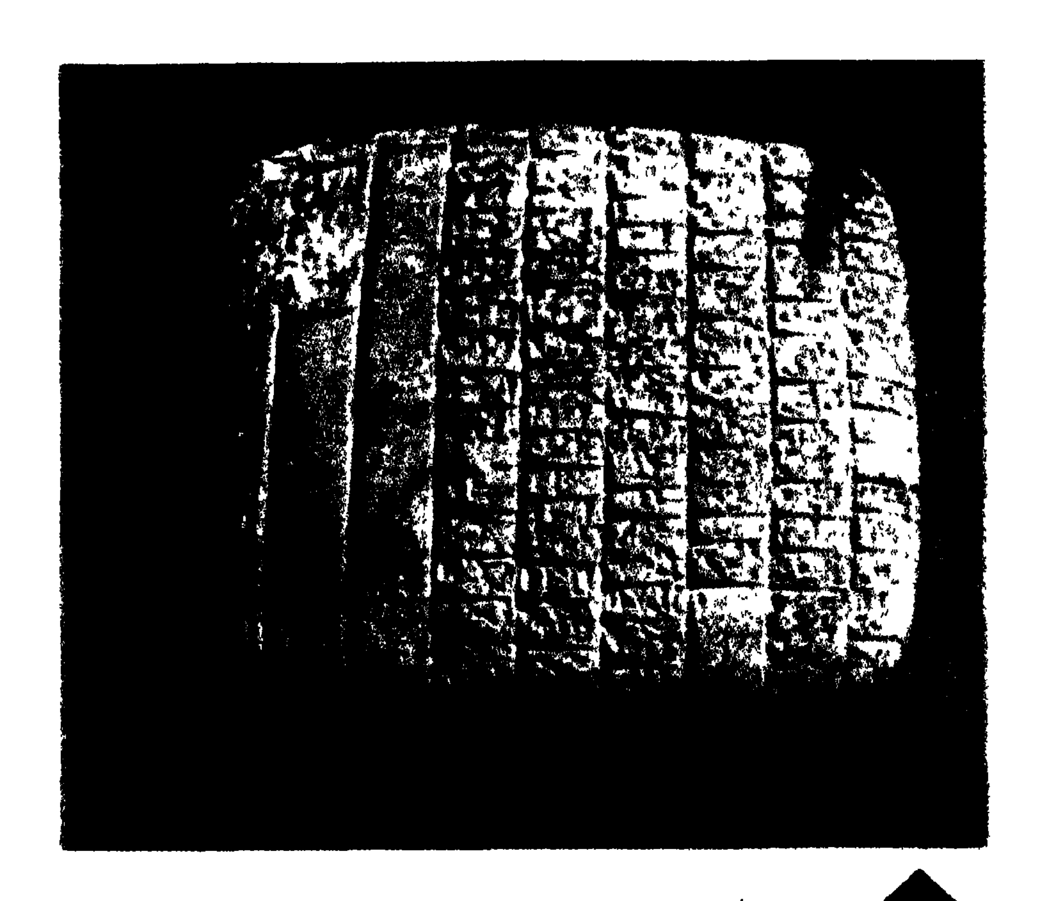


مملكه ايبلا اكتشاف القرن

ســوريا كانت مهدًا لحضــارة مـــزدهرة ثـالثـــة

تختلف عن حضـارة مــا بين النهرين ومصـر القديـمة

■ فاجات محطـة الاذاعـة البريطانية مستمعيها بخبر من دمشق يعلن أنه تم العثور علي حصان من الذهب في سوريا ، يشكل ثروة هائلـة ، ويـوفر للنقد السورى غطاء قويا يمثل ضعف رصيدها العالـى مـن الذهب • ونقلت اذاعة مونت كارلو الخبر المثير ، الذى ترددت اصداؤه فى انحاء عديدة مـن العـالم • واتصلـت رئاسـة الجمهورية السورية بمدير الاثار لتسـأله عـن حكاية الحصـان الذهبي • فكان رد الرجل أن الخبر له اساس من الصحة • وانه تم العثور على كنز جديد فى شمال سوريا ، ولكنه ليس من الذهب • بل هو من الماس• بل أن قيمته لا تقدر بثمن ، والتفت المدير السـورى ثــم سالنى : أليس اكتشاف حضارة جديدة يعد كنزا حقيقيا لا يقدر بثمن ؟



واحدة من ١٥ الف لوحه عثر عليها فى غرف قصر الملك · بعضها مكتوب باللغة السومرية والجزء الاخر مكتوب بلغة اهل ايبلا ·· جففها الحريق وحفظها كما هى·

قرية تل مرديخ التى عثر على بقايا مملكة ايبلا فى التلال الملاصقة لها · كل البيوت لها قباب ، ولا احد يدرك ان الصغار يمرحون فى رحاب مملكة عظيمة مندثرة ·





احد المشاهد الدينية على جدار حوض مقدس ، الربة الى اقصى اليمين واقفة وطابور المتعبدين الى جوارها ·



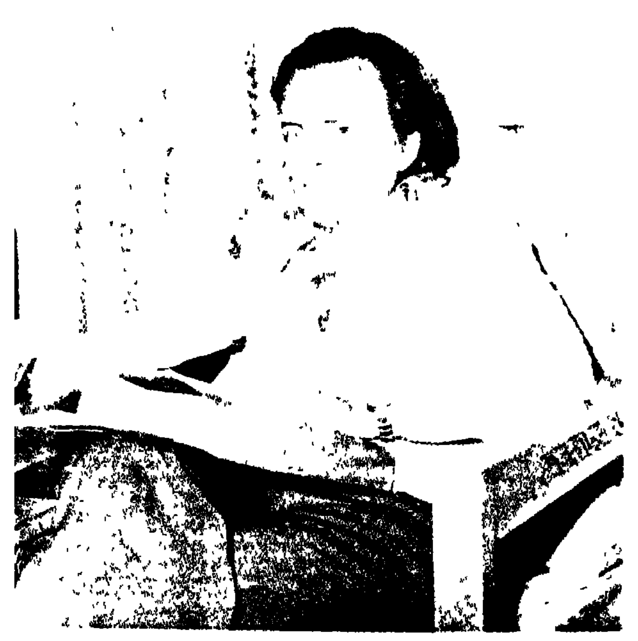
وحيد خياطه مدير متحف حلب : الصدفة لعبت الدور الاكبر ·

هو « اكتشاف القرن » كما وصفته مجلة نيوزويك الامريكية ، نقلا عن بعض اساتذة التاريخ في جامعة شيكاغو • ذلك انه كان معروفا حتى وقت قريب جدا ان هناك حضارتين قديمتين في فجر التاريخ • حضارة ما بين النهرين (دجلة والفرات) ، والحضارة المصرية في وادي النيل • ولكن الكشف الاخير احدث انقلابا في معرفتنا بتاريخ حضارة الانسان • ذلك انه بعد ٩ سنوات من البحث الذي قامت به بعثة ايطالية يقودها البروفسور باولو ماتييه مدير معهد دراسات الشرق الادنى في جامعة روما ، عثرت البعثة في عامها الاخير على بقايا مملكة قديمة بالقرب من حلب هي مملكة « ايبلا » • دولة كبيرة سكانها ٢٦٠ الفا لها حضارة عظيمة وتجارة واسعة ونفوذ قوي • عاشت واندثرت في الالف الثالثة قبل الميلاد (العصر البرونزي الرابع (٢٤٠٠ ـ ٢٢٥٠ ق•م) • ودفنت معالم تلك المملكة تحت التلال القريبة من قرية تل مرديخ (نسبة الى الاله مردوخ اله بابل القديمة) • التي تبعد ٦٠ كيلو مترا عن حلب ، وصار اسمها يتردد الان في كل الاوساط المهتمة بالتاريخ والاثار في العالم •

يعزز البروفيسور باولو ماتييه هذا الرأي بقوله ان وثائق مملكة ايبلا احدثت ثورة في معارفنا التاريخية عن الشرق الادنى في الالف الثالثة قبل الميلاد • وهي الفترة التي شهدت بناء الاهرامات في مصر•وشهدت الحضارة السومرية الاكادية العظيمة فيما بين الرافدين • اي انه الى جانب اكبر مصدر للمعلومات التاريخية ، وهما مصر والرافدين اصبحت سوريا بفضل الكشف الجديد، المصدر الرئيسي الثالث للتاريخ الحضاري والسياسي في الشرق الادنى » •

الشهادات تتكلم

الى دمشق ذهبت مشدودا الى هذا الكشف ، الذي تتابعه الصحافة العالمية باهتمام شديد ، بينما لم تنشر عنه الصحافة العربية حرفا واحدا ، لا بالخير ولا بالشر !



البروفيسور باولو ماتييه
رئيس بعثة التنقيب في تل مرديخ

بدات الرحلة الى تل مرديخ من خلال شهادات الكثيرين من الخبراء والمتخصصين والمسئولين •

●

« الان تزداد قناعتنا بان سوريا هي خلاصة تاريخ العالم ، كما يقول المؤرخون • ارضها عرفت طفولة البشرية • في تل المريبط عثر على اقدم سكن بشري في العالم ، يعود الى الالف التاسعة قبل الميلاد • وشهدت مطالع الزراعة والتدجين والاستقرار في تل الرماد • ونشأة المدن في تل خلف • وعلى شاطئها اخترعت اول ابجدية في العالم ،ابجدية راس شمرا •ومنذ الالف الاولى قبل الميلاد كانت سوريا تشكل صلة الوصل بين عالم البحر المتوسط وعالم الشرق الاقصى • وفي العهدين اليوناني والروماني لعبت سوريا دورا بارزا • بل كان العديد من اباطرة روما سوريين • ومن سوريا انتشرت اللغة الارامية التي ظلت لغة التجارة والادارة في العالم القديم• كما كانت من المنعطفات الاولى للمسيحية والاسلام• وارتبطت ارتباطا وثيقا بذكرياتهما وتقاليدهما المقدسة • فانطاكية كانت مهد المجتمع المسيحي في القرن الاول • ومن دمشق بدأ بولس الرسول رحلة الايمان•وما ان بدأت الحضارة العربية الاسلامية تسود،

حتى اصبحت سوريا قلبها النابض ومركز اشعاعها الرئيسي ، بعد أن صارت دمشق عاصمة الدولة الاموية المزدهرة .

« لكل هذه الاسباب تتسابق بعثات التنقيب والعلماء على دراسة الاثار السورية . ولدينا ٣٢ بعثة اثرية تعمل في مواقع متعددة . وهو رقم قياسي له دلالته . والمسافر الذى يسلك الطريق التى تحاذى الساحل او الطريق الذى يربط دمشق بحلب ، او الطريق التى تتجه من حلب نحو دير الزور ، يرى عددا كبيرا من التلال ، يدرك عالم الاثار بسبب شكلها المنبسط والكسور الفخارية التى تكسو سطحها انها تكونت من انقاض مدن انقرضت منذ زمن بعيد . ان عدد التلال الاثرية الموزعة فىانحاء سوريا لميتم حصرها بالضبط ، لكنها تتجاوز الالف بالتاكيد . واذا علمنا ان كل الاكتشافات المثيرة التى عثر عليها كانت حصيلة التنقيب فى ٧٠ تلا فقط ، فلنا ان نتصور بعد ذلك اى ثروة فى المعرفة يمكن أن تتحقق اذا اكتمل التنقيب فى بقية التلال » .

« ان كل ضربة معول فى احد تلالنا الاثرية يضيف صفحة جديدة الى الكتاب الذى يروى قصة حضارة الانسان » .

الدكتور عفيف بهنسى مدير الاثار والمتاحف ..

●

« ورد اسم« ايبلا »فى عدد منالوثائق القديمة. جنوبى العراق ، فى موقع يعرف باسم « نفر » اكتشفت لوحة فى نهاية القرن التاسع عشر ، تتضمن سردا للفتوحات التى قام بها سرجونالملك الشهير الذى حكم بلاد مابين النهرين فى القرن الرابع والعشرين (٢٤٠٠) قبل الميلاد . وتشير اللوحة الى ان الملك عندما توجه من العراق الى جبال الامانوس اى نحو البحر المتوسط ، احتل فى طريقة ثلاث عواصم هى : مارى ، وايبلا ، ويارموتى .وعندما نشر هذا النص فى عام ١٩١٤، لم يكن معروفا موقع اى من هذه المدن . وامكن تحديد موقع احداها بعد مرور عشرين سنة (فى عام ١٩٣٤) ، عندما عثر على لوحة بين اطلال تل الحريرى قرب مدينة الابو كمال السورية . وثبت ان المدينة المكتشفة هى « مارى » . وبقى علىالعلماء انيحددوا موقع كلمن ايبلا ويارموتى.

« وورد ايضا اسم ايبلا فى كتابة محفورة على تمثال للملك جوديا الذى حكم مملكة فى جنوب العراق فى القرن الثانى والعشرين قبل الميلاد . وثمة لوحة اكتشفت فى مدينة اور الشهيرة جنوب العراق ، تروى لنا فتوحات الملك نرامسين حفيد الملك سرجون . وهذا النص يذكر اسم ايبلا مع مدينة اخرى تدعى ارمان . وعلى احد اعمدة مدينة الكرنك المصرية ،كتابة تعود الى تحوتمس الثالث. اى الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

وهذه الكتابة تضمقائمة باسماء عدة مدن قديمة، بينها ايبلا التى ذكرت فى ترتيب غير بعيد عنمدينة حلب . كذلك يظهر اسم ايبلا مقترنا باسم مارى اكثر من مرة فى نص اكتشف فى موقع دربهم فى العراق » .

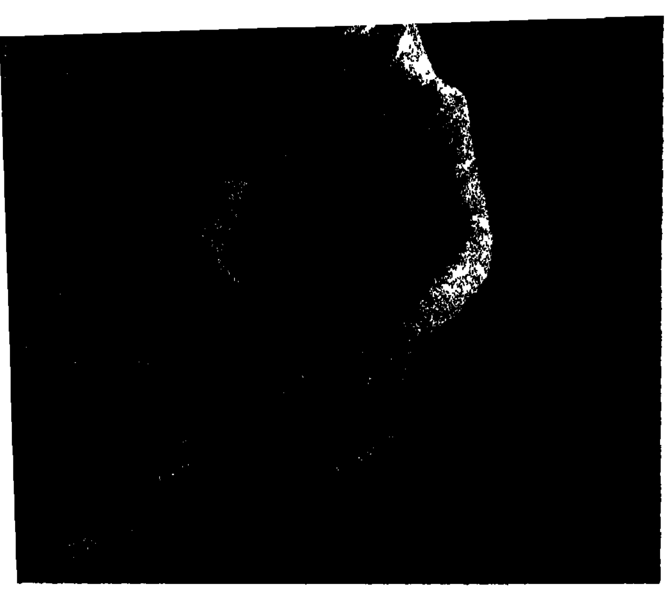
« العلماء اذن كانوا يعرفون اسم ايبلا منذ عشرات السنين ، غير انهم ظلوا يجهلون موقعها. كانوا يعرفون انها فى مكان ما يمتد بين منطقة الفرات الاوسط ، والقسم الشمالى من الساحل السورى . لكن فى اى من تلك التلال المنتشرة بالمئات فى تلك المنطقة ؟ .. الله اعلم ؟ »

جبرائيل سعادة ، العالم الاثرىالسورى..

●

« الصدفة وحدها لعبت الدور الاكبر فى العثور على بقايا مملكة ايبلا . فى عام ١٩٦٣ طلبت جامعة روما من المديرية العامة للاثار والمتاحف ان تسمح لها باجراء حفريات فى سوريا . وعندما تمت الموافقة المبدئية ، ارسلت الجامعة الايطاليه البروفيسور باولو ماتييه ، مدير معهد دراسات الشرق الاوسط لينتقى التل الاثرى الذى سيباشر العمل فيه . ولم تكن مملكة ايبلا تخطر على باله، ولم يكن هدفه التفتيش عنها .فقام بجولة ليتعرف على بعض التلال . زار الساحل وكان على وشك ان يختار تل رويه الامير بالقرب من اللاذقية ، لم عدل عن ذلك .

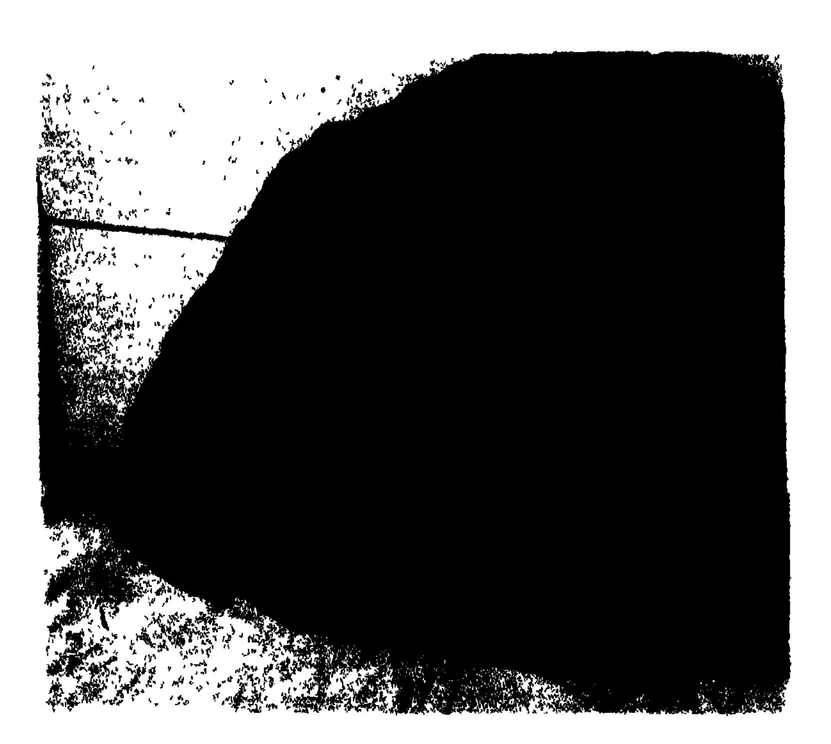
« لقد كان الاختيار صعبا . فلربما وقع الرجل



ابو احمد ، حارس المدينة ، اعاد امامنا كيف
كانوا يعدون « الطحين» ، يضعون الحبوب بين
الاحجار وبايديهم يحركونها ، تماماً كما يفعل
بعضنا الان .

التمثال النصفي الذى كان اول اشارة الى
وجود مملكة ايبلا ، الكتابة باللغة الاكادية
وقد كان التمثال هدية الى معبد الالهةاشتار.

ما تبقى من قصر الملك - انقاض فوق أنقاض لكن مدخل القصر لا يزال قائما ، بفارق واحد انه صار مرعى لا تتهيب الخراف اجتيازه فضلا عن صاحبها •



وجه انسان وجسم اسد، هكذا اراد الفنان القديم ان يعبر عن البطولة •

على تل وظل ينقب فيه سنوات ، لم يكتشف انه يحتوى على انقاض بلد بلا قيمة في العصور القديمة •وربما ساعده الحظ وحقق نتيجة معاكسة• ظل البروفيسور ماتييه ينتقل حائرا بين المحافظات السورية ، عله يهتدي الى موقع هام للتنقيب • الى ان اقترحت عليه مديرية الاثار ان ينقب تلا يقع في محافظة ادلب يحمل اسم تل مرديخ ، اعتقادا منها انه يحتوى على آثار هامة • لا سيما انه في عام ١٩٥٥ اكتشف فيه صدفة حوض من الحجر البازلتي عليه نقوش بارزة • واقتنع ماتييه بالفكرة ، وبدأ العمل » •

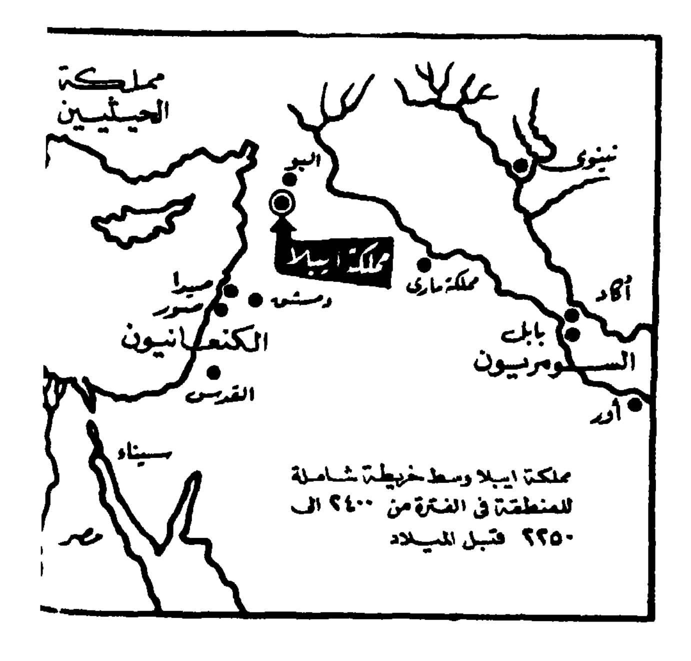
« بدأت البعثة الايطالية حفرياتها في الثالث عشر من سبتمبر (ايلول) عام ١٩٦٤ • وخلال اربعة مواسم ـ من ٦٤ ـ ٦٧ ـ حققت عمليات التنقيب نتائج هامة ، لكنها لم تكن مثيرة • لقد كانت كل الدلائل تؤكد ان المدينة المدفونة في الموقع كانت مزدهرة في القسم الثاني من الالف الثالثة قبل الميلاد • فقد كشفت الحفريات انقاض قصر ومعبدين وسورا فخما من الحجر والقرميد ، كما عثر بين الانقاض على عدد من القطع الاثرية والتماثيل والاحواض ذات العلاقة بالطقوس الدينية اذ كانت تسجل على جدرانها مشاهد اسطورية عديدة •

« وفي عام ٦٨ ، عثرت البعثة الايطالية في الموقع على تمثال نصفي من الحجر البازلتي لرجل • وعلى التمثال كتابة مسمارية باللغة الاكادية ، اي البابلية ، تشغل المساحة بين كتفيه الايمن والايسر • وتتألف من ٢٦ سطرا تتوالى من الاعلى الى الاسفل • وعندما ترجمت الكتابة تبين انها تتضمن اسم المدينة التائهة : ايبلا • يقول النص ان « ابت ايم » ملك ايبلا ، قدم التمثال الى معبد الالهة ايشتار • لكن النص لم يكن قاطعا على ان ايبلا هذه تحت تل مرديخ » •

« بعد ذلك تابعت البعثة عمليات التنقيب • وفي الموسم الحادي عشر ـ عام ١٩٧٤ ـ عثرت البعثة في احدى قاعات القصر على ٤٢ لوحة فخارية تحمل كتابة بالطريقة المسمارية • وكان لهذا الاكتشاف اهميته من الناحية التاريخية واللغوية • ففي ناحية برهن مضمون النصوص ، وبشكل لا يقبل الجدل ، ان المدينة المدفونة تحت تل مرديخ هي مدينة ايبلا القديمة • ومن الناحية الاخرى تبين ان معظم اللوحات المكتشفة مكتوبة باللغة السومرية • وهي كما هو معروف ، اقدم لغة مكتوبة استعملتها دول المنطقة وممالكها •

غير ان المنقبين لاحظوا ان بعض اللوحات تحمل لغة غريبة لم تكن معروفة من قبل ، فاطلقوا عليها اللغة الايبلائية ، نسبة لايبلا • وهي كما يبدو اللغة الكنعانية القديمة ، اي اللغة الام للغات السامية العربية التي ظهرت فيما بعد • لا سيما اللغة الكنعانية الابجدية التي استعملها بعد الف سنة سكان اوغاريت ،واللغة الفينيقية التي عرفها بعد أكثر من الف سنة سكان مدينة جبيل في لبنان• واحدث اكتشاف هذه اللغة الجديدة ضجة كبرى في الاوساط العلمية في العالم ، لانه ازاح الستار عن اقدم لغة سامية عرفتها سوريا ، وهي في الوقت نفسه اقدم لغة مكتوبة • ورغم اهمية تلك الكشوف فقد جاء الموسم التالي ـ الثاني عشر ـ بنتائج اكثر اثارة » •

وحيد خياطه ، محافظ متحف حلب ••



مملكة ايبلا وسط خريطة شاملة للمنطقة في الفترة من ٢٤٠٠ الى ٢٢٥٠ قبل الميلاد

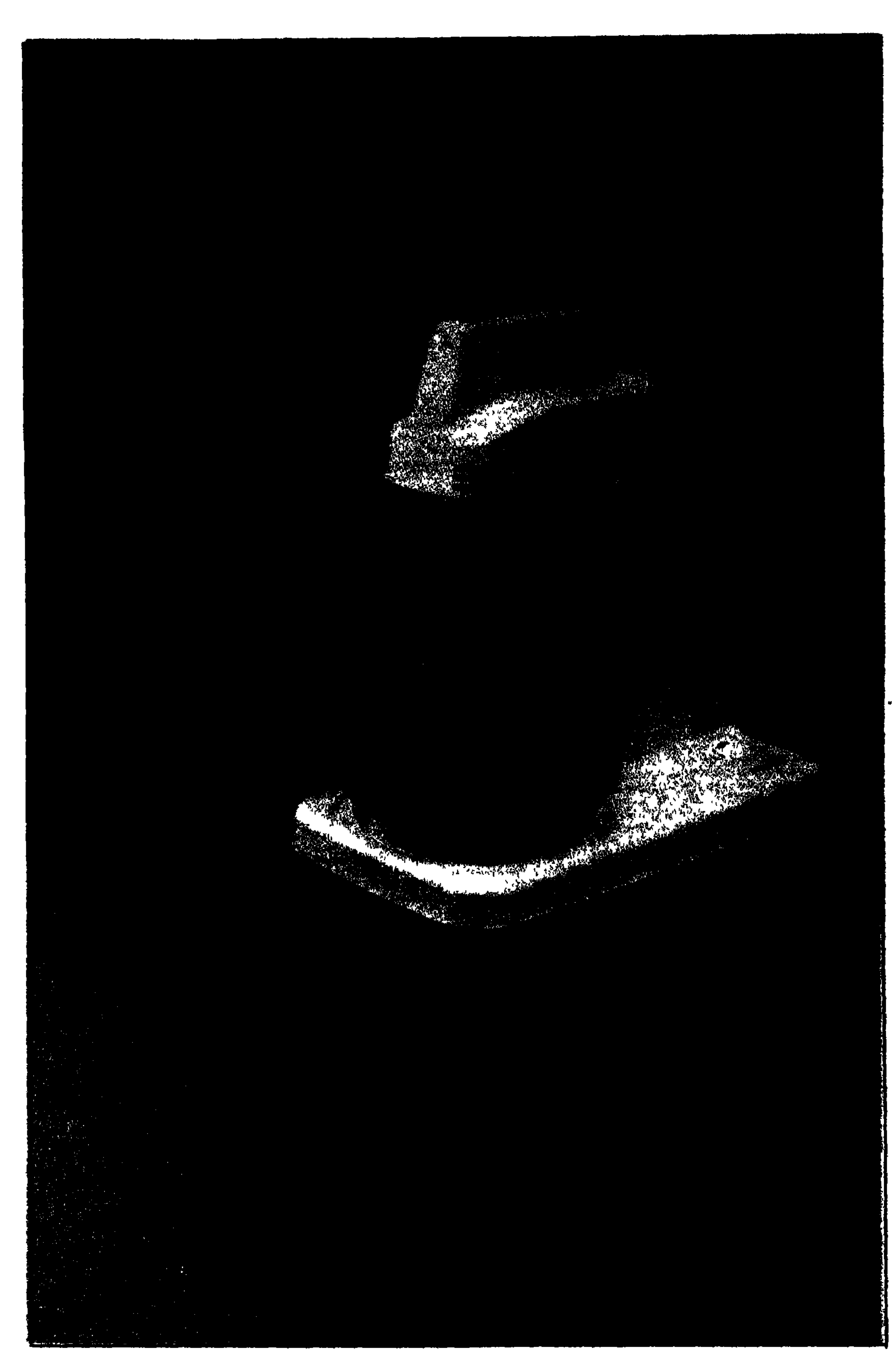


الدكتور عفيف بهنسي مدير الاثار بسوريا ، والى جواره الدكتور ماتييه مكتشف مملكة ايبلا وزوجته ، وسط مجموعة من المساعدين والمسئولين عن الاثار السورية ٠

« نعم ، تم الاكتشاف العظيم فى مطلع شهر اكتوبر (تشرين الاول) من عام ٧٥ ٠ فبينما كان موسم التنقيب على وشك الانتهاء ٠ عثرنا فى غرفتين صغيرتين من القصر على ١٥ الف لوحة فخارية مكتوبة ، عشرة آلاف منها على الاقل بحالة جيدة ٠ وكانت هذه اللوحات مرتبة على رفوف تكسو جدران الغرفتين ، تماما كما فى المكتبات الحديثة ٠ قسم من هذه اللوحات مكتوب باللغة السومرية ، وقسم آخرمكتوب بلغة اهل ايبلا التى اكتشفت لاول مرة فى تل مرديخ ٠ وكل هذه النصوص تعود الى الفترة من ٢٤٠٠ الى ٢٢٥٠ قبل الميلاد ٠ وتشكل اقدم وثائق مكتوبة اكتشفت فى سوريا ٠ وهى اقدم باكثر من ٤٠٠ سنة من الكتابات التى عثر عليها فى موقع مملكة مارى، واقدم بحوالى الف سنة مننصوص مملكة اوغاريت التى عثر عليها فى رأس شمرا ، والتى احدثت ضجة عالمية وقت اكتشافها ٠ ثم ان تلك المجموعة المكتشفة تعتبر اقدم مجموعة وثائق رسمية لدولة ظهرت فى العالم ٠ وهذا هو الكنز الحقيقى » ٠

« ان الشواهد المعمارية والمادية المكتشفة فى تل مرديخ تؤكد ان مملكة ايبلا كانت فى العهد السورى القديم مركزا حضاريا هاما فى شمال سوريا ٠ كما انها كانت اعظم قوة سياسية فى المنطقة ٠ وسبقت فى ذلك كلا من مملكة حلب خلال حكم الملك شمش حور الاول فى اشور ، والملك حمورابى فى بابل ٠ لم تكن حضارة تلك المنطقة « تابعة » لحضارة مابين الرافدين او الحضارة المصرية ، كما كنا نتصور جميعا فى الماضى ٠ ولكنها كانت حضارة ثابتة الاركان مستقلة تماما ٠ فضلا عن ان تلك المملكة ــ كما اثبتت اللوحات ــ بسطت نفوذها على منطقة واسعة حولها ٠ وكانت ممالك تلك المنطقة تدفع لها الجزية ٠ غير ان المملكة الاكادية التى كانت قائمة فيما بين النهرين لم ترضها هذه السطوة التى تمتعت بها مملكة ايبلا ، اذ كانت منافسا قويا لها ، ليس فقط فى النفوذ ، ولكن فى التجارة ايضا ٠ ذلك ان تجار ايبلا كانوا يجوبون البلاد من الاناضول الى فلسطين ، ومن ساحل البحر المتوسط الى الرافدين ٠ اى كانوا يحتضنون عالم الجهات الاربع آنذاك ٠ وكان ملوك ايبلا يسيطرون على الممالك حولهم اما بتنصيب الحكام المباشرين على المدن الهامة ، كما هو الحال بالنسبة لمدينة حلب ٠ او بطريق غير مباشرة ٠ اى بتنصيب الولاة من الوجهاء المحليين ، كما كان الحال اكيدا بالنسبة لمدينة مارى (تل الحريرى على الفرات) ، او عن طريق التحالفات السياسية ، كما كان الامر

البقية على صفحة ٩٦




نحن هنا منذ البداية
لذلك يمكننا
ان نقدم لكم
افضل الخدمات
GRAPHICS-McCANN
في عالم متطور، تعرف على بنك الكويت الوطني فتثق به

بالتاكيد مع مدينة اشور • عاصمة الاشوريين فى شمال الرافدين • هذه المدينة كانت فى جميع الاحوال مرتبطة مع ايبلا فى معاهدة دولية •وكانت ايبلا فى هذهالمعاهدة تحتلالمكانة الممتازة والمفضلة على اشور •

« والنصوص التى عثر عليها تكشف عن ان النزاع بين مملكتى الاكاديين وايبلا كان سببه السيطرة على طريق التجارة ، الذى هو نهر الفرات ، والذى تقع على ضفافه مملكة مارى • وبوجه خاص كان السباق يدور حول السيطرة على تجارة المعادن المستخرجة من الاناضول • وتجارة الخشب المستخرج من غابات الساحل السورى • وكلتا المادتين كانت القاعدة الاساسية لحضارة ومدنية بلاد الرافدين » •

« تطور التنافس الى صدام مسلح بين المملكتين• وفى اعقاب هزيمة شهدتها ايبلا على يد سرجون ملك الاكاديين ، عادت ايبلا ثانية لتهيمن هى نفسها على اكاد • وعندما حاولت ايبلا سد المنافذ على اكاد فى عقر دارها بالرافدين ، كان رد فعل الملك الاكادى نارام ـ سن حفيد سرجون عنيفا للغاية • اذ زحف على مملكة ايبلا فى عام ٢٢٥٠ ق•م ، ودمر المدينة ، وحرق قصرها• ورغم ان الدمار لحق بالاقسام الامامية للقصر، الا أن الاجزاء الخلفية بقيت سليمة حتى ارتفاع يصل الى ستة امتار حاليا • »

« هذا الحريق الكبير الذى دمر جزءا من القصر• حفظ لنا بفعل حرارته احد اضخم الكنوز الاثرية فى التاريخ • ذلك ان الحريق اصاب الرفوف الخشبية التى كانت تحمل الالواح ، وحولها الى بقايا متفحمة ، لكنه فى الوقت ذاته «شوى» تلك الالواح الطينية ، وحولها الى قرميد متين يتحدى الدهر • وبفعل تلك الصدفة نجا ذلك الكنز من الدمار •

البروفيسور باولو ماتييه رئيس بعثة التنقيب ، ومدير معهد دراسات الشرق الادنى بجامعة روما •

●

تحتاج قراءة الالواح التى عثر عليها الى حوالى عشر سنوات على الاقل • لكن الاستعراض السريع لمحتوياتها اكد ان لغة اهل ايبلا هى اقدم لغة سامية مكتوبة حتى الان • ذلك ان وثائق تل مرديخ تشمل جيلين سبقا عصر الملك الاكادى سرجون الاول • وهو اول من سجل احداثه باللغة الاكادية ، التى هى اقدم لغة سامية شرقية معروفة • ويكشف لنا هذا التفوق الحضارى المنسوب لسوريا ولتل مرديخ (ايبلا) حقيقة اخرى ، وهى أن الاكاديين بعد فترة متاخرة ، اقتصروا على نسخ نظام الكتابة المسمارية الذى سبقتهم ايبلا فى تطويره » •

« ومن بين ما كشفت عنه القراءة الاولية للالواح ايضا :

ـ ايصالات الجزية التى كانت تدفعها المدن والممالك المغلوبة • وهى تلقى الكثير من الضوء على احداث ذلك العصر السحيق • ومن بين تلك المدن (حمص) ، وايمات (حماة) ، وديماشكى (التى يرجح انها دمشق الحالية) • وثمة مدن اخرى قديمة هى مارى (تل العريرى) ، وقد ثبت ان جزيتها بلغت ١١ الف جنيه من الفضة و ٨٨٠ جنيها من الذهب ـ وايمار (على نهر الفرات) وتوتون (ويرجح انها تل البيعة) وكركميش (جرابلس على الفرات) واوغاريت (راس شمرا) وقطنه (تل المشرفة قرب حمص) ، وجبيل على الساحل اللبنانى •

ـ وثائق النشاط الثقافى الذى كانت المملكة مسرحا له • ومنها مثلا قواميس تبدو فيها كلمات باللغة الايبلائية ـ وقد كانت تكتب من اليسار الى اليمين ـ على ما يقابلها من كلمات فى اللغة السومرية •

ـ وتشكل هذه الوثائق اقدم قواميس اكتشفت فى العالم • ومن مفردات لغة أهل ايبلا نجد كلمات ما تزال حية فى العربية الى الان ، مثل : كتب، وملك ، ويد • واسماء مزروعات مثل : قمح وجزر وتين كان ينطق تينو • وكلمة مائة عندنا ، كانت عند اهل ايبلا «مية» • ومن الطريف انه تم العثور على لوحات تضم تمارين مدرسية • كل لوحة تحمل اسم الطالب الذى كتبها ، مع توقيع استاذه ، وتوقيع « عميد المعهد » ، ويمكن

اعتبار هذه اللوحات اقدم وثائق تشهد على التدريس وجدت حتى الان فى العالم . »

ـ اخيرا كشفت الوثائق عن اسماء ملوك سلالة بكاملها فى ايبلا . وهؤلاء الملوك هم : اجريشى ـ حلم ، أر ـ ان ـ نوم ، ايبريوم (يقال انه ابراهيم) ، ابى ـ سيبيش ، دوبوحو ـ عدا ، اركب ـ رامو (الذى يظن انه آخر ملوك السلالة) . وكان الملك الثالث الذى يدعى ايبريوم معاصرا لسرجون الكبير ، ملك اكاد فى الرافدين . وقد جاء ذكر اسم ايبريوم هذا فى احد النصوص التجارية من سجلات ايبلا .

هذه بعض نتائج القراءة الاولية لخمسة عشر الف لوح عثر عليها فى الجزء الذى كشف عنه من مملكة ايبلا . فما بالكم بما يمكن ان يكتشف بعد قراءة كل الالواح . وما الذى يمكن العثور عليه عندما تتم الحفريات لتشمل بقية التل ، والمملكة كلها ؟ .

البروفسور جيوفانى بيتيناتو ، عضو البعثة الايطالية واستاذ اللغات القديمة ، الذى تولى قراءة الاواح .

●

طالت الرحلة الى تل مرديخ . وهى طويلة بالفعل ، فقد قطعنا بالسيارة ٣٠٠ كيلومتر الى الشمال من دمشق لنصل الى موقع مملكة ايبلا . عند الظهر كنا هناك . اعترض طريقنا ابو احمد حارس المملكة . وطلب منا اذنا مكتوبا بدخولها. لان التعليمات المشددة التى لديه تمنع دخول اى شخص ما لم يحمل هذا الاذن المكتوب ، « حتى ولو كان مدير المديرية ذاته » . قلت له أن بعثتنا تضم مندوبا لوزارة الاعلام ومندوبا لمديرية الاثار.ووجودهمابمثابة تصريح ضمنى بالدخول . سد الرجل الطريق بقوامه الفارع ، ووقف أمام مقدمة السيارة ، وقال بصوت حازم ، اما الاذن والا فلا !

لم تجد معه محاولات التفاهم والاقناع . وهو معذور بكل تأكيد . فالصحفى لم يعد يستطيع أن يدخل مصلحة حكومية فى الوطن العربى الا باذن . فما بالكم اذا كان الهدف هو مملكة كاملة . ديوان وقصر وبلاط ومعابد وكهنة . مملكة لا ككل الممالك،ولكنها ذات سلطان وهيلمان، وشان وشنشان ، جار عليها الزمن هذا صحيح . هزمت على يد الاكاديين هذا صحيح . احرقت وتهدمت صحيح ايضا . لكن للممالك حرمة تبقى، وللملوك قدرا لا يندثر .

لم يغير أبو احمد رأيه الا بعد ان استعنا بقائد قوة الامن الداخلى فى تل مرديخ . عندئذ فقط تزحزح عن موقعه وسط الطريق وسمح لنا بالدخول .

هذه اخيرا ايبلا ، المدينة وعاصمة المملكةالعظيمة البائدة . الالواح نقلت كلها الى متحف حلب. امامنا اطلال متناثرة وسط التلال السمراء : يقول مرافقى : هذا هو القصر الملكى . من هنا كان يمارس السلطان والهيلمان . يشير باصبعه الى الجدران المهدمة ويضيف : هذه هى باحة القصر التى تحف الاروقة بجوانبها . ويرجح انها كانت بمثابة قاعة الاستقبال الملكية . هذه هى مداخل القصر الثلاثة ، احدها يؤدى الى مصطبة الشرف التى كان الملك يتربع عليها خلال مراسم الاستقبال. هذه البوابة الضخمة هى المدخل الاخر الذى يؤدى الى غرف القصر العلوية .

وككل قصور الملوك ، كانت الجدران سميكة وشاهقة . ما تبقى من جدار قصر ملك ايبلا يصل ارتفاعه الى ١٥ مترا . لكن الجدار لم يحمه من شيء . لا من الهزيمة على ايدى الاكاديين ، ولا من الزمن .

قضينا ثلاث ساعات بين انقاض المملكة التى تحولت الى خرائب ، تنمو على جدرانها النباتات البرية وتمرح فيها الحشرات والافاعى ، وبالكاد يجد فيها الرعاة بعض الحشائش التى تغذى اغنامهم .

هنا يتجسد الفناء ، ويصدق القانون الازلى . ولا احد يعتبر !! ■■



لوحة « في الحديقة » رسمها رينوار عام ١٨٧٥

«فى الحديقة»

رينوار

رسمها عام (١٨٧٥)

بقلم : صبحى الشارونى

■ ولد « بيير أوجست رينوار » فى «ليموج » بفرنسا عام ١٨٤١ ، لابوين من الطبقة الكادحة ، فقد كان ابوه خياطا ، وكذلك جده ٠٠ فهو ينتمى الى عائلة من الحرفيين ، وقد انتقلت عائلته الى باريس عام ١٨٤٥ وهو لم يتخط الرابعة من عمره ، وعندما بلغ الثالثة عشرة كان يتحتم عليه فى سن مبكرة ان يكسب رزقه بنفسه ، فاختار ان يعمل فى مصنع للقيشانى كرسام على الاوانى ومزخرف لمنتجات البورسلين والخزف، وهكذا بدأ حياته الفنية بزخرفة الاطباق بالزهور والثمار والحوريات والمناظر الطبيعية الرقيقة ، على منوال الفنانين السابقين على عصره فى فرنسا ٠

وكان « رينوار » يريد ان يكون فنانا ، فاعتاد ان يقضى وقت فراغه فى متحف « اللوفر » وغيره من متاحف باريس ومعارضها ، مدخرا كل فرنك يستطيع الاحتفاظ به لكى يشق طريقه بنفسه بعد ذلك ٠ فلما بلغ سن الحادية والعشرين قرر تكريس حياته للفن تكريسا تاما وكان قد بلغ من الحذق والمهارة فى صناعته مبلغا لا يدانيه فيه أحد ٠

والتحق بمدرسة الفنون الجميلة وبمرسم استاذ الفن « جليير » ليتعلم اصول فن التصوير الزيتى على الاسس الكلاسيكية ، وهناك التقى بزملائه الذين اشتركوا معه فى تاسيس جماعة « التاثريين » الفرنسيين : « كلود مونيه » و «الفريد سيسلى» و «بازيل» ٠وكان يرافقهم فى رحلاتهم للرسم عن الطبيعة فى الهواء الطلق ، حيث ذهبوا سويا الى غابة « فونتنبلو » ، وكان رينوار يتفوق عليهم جميعا فى الرسم بسبب المهارة التى اكتسبها فى مهنته السابقة كرسام على الاوانى الخزفية ، وقد شارك باولى لوحاته فى « صالون باريس » عام ١٨٦٦ ، حيث كان متاثرا بالاسلوب الواقعى وباعمال فنانى القرن الثامن عشر ٠٠ ولكنه فى عام ١٨٦٨ رسم اول لوحة تتضمن مميزاته الفنية التى عرف بها وميزت شخصيته فى الرسم بعد ذلك ٠

كانت جماعة « التاثريين » التى اقامت اول معارضها الجماعية عام ١٨٧٤ ، تمثل ثورة على الفن الرسمى الذى فرضه رجال « اكاديمية الفنون الجميلة » على الحياة الفرنسية ٠

لقد عارض « التاثريون » فكرة اعتماد فن التصوير الزيتى على الرسم بالخطوط الواضحة المؤكدة والمحددة للعناصر المرسومة ٠٠ وفضلوا عليها استخدام اللمسات اللونية الصافية غير الممزوجة والموضوعة على قماش اللوحة بحرية دون اخفاء هذه اللمسات او دمجها ، فى محاولة لنقل تاثرهم بالاضواء المنعكسة عن العناصر التى يرسمونها ، دون تحديد للخط الخارجى المحدد لهذه العناصر ٠٠ ويتعرف المشاهد على الاشكال من خلال الوانها واضوائها وانعكاسات لون كل عنصر على العناصر المجاورة له ٠٠ هذا دون

الاهتمام بموضوع اللوحة ، فقد اعتبروا كل شيء في الطبيعة يمكن ان يكون موضوعا لفن التصوير.

ومن الصعب ان نحدد اليوم هل كان «كلود مونيه » هو الذى اكتشف التاثرية اولا وطبقها في لوحاته ام سبقه في ذلك « رينوار » لاننا اذا قارنا بين اعمالهما خلال الفترة من عام ١٨٦٩ حتى ١٨٧٤ ، لما استطعنا تحديد ايهما اسبق من الآخر في استخدام الوان « قوس قزح » وحدها في الرسم .

وفي عام ١٨٦٥ عندما بدات نذر الحرب البروسية الفرنسية التحق « رينوار » بالجيش وظل مجندا الى ان انتهت الحرب ، ولكن بمجرد ان وضعت الحرب اوزارها عاد الى باريس مع بداية حكومة « الكوميون » . وبعد ان استقرت الامور عاد بقية الرسامين الى باريس واحدا بعد الاخر ، وعاد « رينوار » وزملاؤه « سيسلى » و « بازيل » و «مونيه» الى رحلاتهم للرسم على شواطىء نهر « السين » . ثم على شاطىء البحر .

وقد تميز رينوار عن الاخرين بميله الى تصوير الاشخاص ،بينما انصرف معظم زملائه الى رسم المناظر الطبيعية ، كما كان اشد اهتماما باشاعة البهجة في لوحاته ، فالالوان الصافية وتلالؤ الاضواء ليست عنده غاية في ذاتها ، وانما وسيلة لبناء الشكل الذى يتميز في لوحاته بالليونة والبهجة واللطف ، بينما لم تعد المناظر الطبيعية عنده الا حاشية بهيجة تحيط بما يرسمه من نساء واطفال .

وكان رينوار قد لقى نجاحا كبيرا في صالون عام ١٨٧٩ ، مما دفعه الى زيادة الاهتمام بدراسة اعمال اساتذة الفن السالفين في متحف اللوفر .. ثم سافر الى ايطاليا لمشاهدة آثار « رافاييل » وروائع قصر الدوق .

لقد تأثر رينوار اكثر من غيره بالتصوير الفوتوغرافي فكانت بعض لوحاته عبارة عن مناظر مقتطعة بواسطة اطار اللوحة من منظر اكثر اتساعا ، تماما كالصورة الفوتوغرافية التى تلتقط جزءا من المشهد يحدده الاطار اعتباطا ، ولكن معظم لوحاته ذات تكوين متماسك ..

لقد استطاع ان يبيع لوحاته بسعر مائة فرنك للوحة الواحدة .. بمساعدة مقتني اللوحات « فوكيه » والناشر « ساربنتين » وان يشق طريق النجاح وحفزه ذلك على الاستقلال والخروج تماما على جماعة التاثريين ، ووقف في وجههم يعارض فلسفتهم الطبيعية . ويقول : (ان تعلم الفن لا يتاتى بتامل الطبيعة ، انما بتامل روائع الفن في المتاحف .)

وقد توطدت مكانة رينوار بعد ان اقام معرضا شاملا لاعماله عام ١٨٨٣ ضم نحو ٧٠ لوحة من ابدع انتاجه .

وكان في وسع هذا الفنان عندما وصل الى سن الثانية والاربعين ، ان يستمر بقية حياته في الرسم على نفس المنوال « التاثرى » الذى حقق له النجاح ، ولكنه ما لبث ان خامره الشك في قيمة هذا الاسلوب الذى يضحى بصلابة الاشكال ويفتتها من اجل اقتناص الضوء الساقط عليها .. فانتقل الى مرحلة يطلق عليها اسم : « المرحلة الجافة » . وفيها حاول اتباع تعاليم رائد الفن الكلاسيكى « انجر » المتعلقة باعطاء الاولوية والهيمنة للخطوط بدلا من الالوان في فن التصوير .. وفي اعمال هذه المرحلة التى امتدت لخمس سنوات ، نجده يعتنى اشد العناية بتحديد الاشكال وتجسيمها وتدعيم بنائها ، على غير عهدنا به في لوحاته التاثرية السابقة ، التى تظهر فيها الاشكال لينة رقيقة وسط غلالة من الالوان الزخرفية الباهتة . ولكنه عاد في عام ١٨٩٠ الى اسلوب اقرب الى « تاثريته » السابقة ، بعد ان تغيرت الوانه التى سادها الدفء ، اذ يغلب عليها البنى والبرتقالى والاحمر .. وتتميز لوحات هذه المرحلة الاخيرة بان معظمها يصور اجسام النساء، وتبدو الالوان وكانها تتفجر بالانوثة .

وقد اعتاد « رينوار » ان يقوم برحلات مختلفة داخل فرنسا وخارجها ، ولكنه توقف عن السفر لما تدهورت صحته عندما اصيب بالروماتزم ثم التهاب المفاصل ابتداء من عام ١٨٩٩ ، مما ادى الى شلله طوال العشرين سنة الباقية في حياته (توفي عام ١٩١٩) ، الا ان هذا الداء بدلا من ان يقعده عن العمل ، قد حفزه الى الانتقال لمرحلة جديدة تتميز بالعنفوان والقوة . فاذا كانت لوحاته التاثرية الاولى رقيقة كانها العصافير المغردة ، فان مرحلته الاخيرة تذكرنا بضخامة

التماثيل وجسامتها ، هذا رغم انه اضطر الــى ربط فرشاة الالوان بين اصابعه العاجزة عندمــا كان يرسم من فوق مقعده المتحرك ٠

ومع ذلك فليست كل اعمال رينوار تتمتعبتماسك التكوين ، فهو لم يكن من المصورين « المهندسين» الذين يقيمون بناء لوحاتهم على اسس محسوبة ، انما تتميز لوحاته بما يتوفر فيها من حساسية ورقة والوان مبهجة ، لاهتمامه بتوضيح الاختلاف بين اسطح الاشياء المرسومة وملامسها ، وعلــى الاخص : الاجسام الانسانية وتيجان الازهار ، فبشرة اجسام النساء والاطفال فى لوحاته نحس لها ملمسا « قطيفيا » يشبه ملمس اوراق الورد ٠٠ ونجده فضلا عن ذلك قد صور الوان الحياةاليومية ومرحها وخصائصها ٠

وتعتبر لوحة « فى الحديقة » ، التى رسمها عام ١٨٧٥ ، نموذجا يعبر افضل تعبير عن مرحلتـــه التاثرية المبكرة ، وتبلغ مساحتها ٨١ × ٦٥ سم وهى معروضة حاليا فى متحف « بوشكين » بموسكو، وتعتبر من اجمل اعماله ٠

انها تصور مجموعة من الشباب يستريحون فــى مقهى من المقاهى المنتشرة بحدائق باريس ٠

ونجد ان الخط الخارجى ، المحيط بمجموعــة الاشخاص المرسومين ووجوههم ، يبدو مبهما ، ومتداخلا مع الخلفية التى تصنعها اشجار الحديقة ٠٠ ومع هذا نلاحظ ان الفنان قد نجح فى اعطاء المشاهد تاثيرات شاملة ومختلفة لكل عنصر مــن العناصر المرسومة ٠٠ بحيث ندرك الاشكال ادراكا غير محدد بطريقة قاطعة ، والفنان يراعى الشفافية وانعكاسات الاضواء ، وخاصة الناتجة عن اللون الاخضر العام فى الحديقــة ، ثم يتلاعب بالثغرات المضيئة التى تتخلل فروع الاشجار ويجعل هذه النقط المضيئة تسقط على الوجوه والملابس ، فتعطى للفنان حرية التلاعب بها كلما اسقطهــا على احد العناصر فتضىء الوانه ، اما الالوان الرئيسية فى بؤرة اللوحة فهى تعطينا الاحساس بان الاضواء تتحرك وتتراقص فى المشهد الطبيعى المحيط بها ، وكانها ترديد لذلك الحوار الحى بين هؤلا الشباب ٠ ■■

القاهرة ــ صبحى الشارونى

■ كن جميلا تر الوجود جميلا ٠

(ايليا ابو ماضى)

■ لنلعب ، فان الزمن نفسه لعب ، اما العمل فهو الغبار الذى يتعقد بمرور الزمن ٠

(تاجور)

■ النساء يعانين آلاما شديدة عند الوضع ، ولهذا تحب كل امرآة طفلها ٠

(يوربيدس)

■ المتردد لا يسير بمقتضى رغباته ، بل بمقتضى ما يفرضه منها لنفسه عند اضطراره للعمل ٠

(جستاف لون)

■ المعرفة كنز ، يتبع صاحبه اينما ذهب ٠

(مثل صينــى)

جاك بريفير

شاعر الحياة اليومية

■ عندما شرعت في كتابة اول مقال عن الادب الفرنسي لمجلة « العربي » ، كان الشاعر الفرنسي جاك بريفير (١٩٠٠ ـ ١٩٧٧) اول من فكرت فيه ، لا ادري لماذا ، ربما لان القارىء العربي الف سماع اسمه من خلال المقارنات التي عقدت بينه وبين الشاعر العربي نزار قباني ٠ لكن وفاة الكاتب الكبير اندريه مالروا فرضت نفسها عليّ فرضا آنذاك ، وتركت بريفير ٠ لكن ها انذا اعود الى الحديث عنه ٠٠ لانه قد رحل عنا هو الآخر منذ بضعة اسابيع ٠



بقلم : الدكتورة سامية أحمد اسعد

فالشاعر جاك بريفير من الكتاب الذين تركوا بصماتهم على الشعر الفرنسي الحديث ، وتميزوا بالاصالة والابتكار ٠ واذا كنا نقصر حديثنا على الشاعر ، فهذا لا يعني ان بريفير ابدع في مجال الشعر فحسب ٠ فلقد احتل مكانة بارزة في عالم السينما مثلا ، حيث كتب سيناريو بعض الافلام التي تعد حاليا من الافلام الفرنسية الكلاسيكية٠ والمؤرخ ج ٠ بيكون ، صاحب « بانوراما الادب الفرنسي الجديد » من اكثر الذين اجادوا الحديث عن بريفير ، ووقفوا على السمات المميزة لفنه



وكتاباته • ولعل هذا هو ما دفعنا الى الرجوع اليه فى حديثنا عن الشاعر الراحل •

لا يمكن مقارنة شعر بريفير باى شعر آخر • فالقارىء يشعر اذ يقــرأه انه امام لغة جديدة تخاطب ، وخاطبت بالفعل جمهورا عريضا • ومن اشهر دواوين بريفير ذلك الذى يحمل هذا العنوان المعبر « كلمـات » (١٩٤٦) ، يليه ديــوانان آخران : « عرض » (١٩٥١) ، و « المطر والجو الجميل » (١٩٥٥) • ويقــول ج • بيكون : « لا بد ان نقرر ان جاك بريفير هو الشــاعر الوحيد الاصيل الذى عرف كيف يتخطى حــدود الجمهور المتخصص » ، ويؤكد الناقد تييرى مونييه انه « يستحيل وجود شــاعر شعبى فى فرنســا » واذا تساءلنا اليوم عما اذا كان صاحب ديــوان « كلمات » هو ذلك الشاعر الشعبى ، ادركنا مدى اهمية بريفير ومكانته فى الشعر الفرنسى الحديث،

حدثنا فى تلقائية

كتب بريفير قصائد سهلة فى متناول الجميع ، لا تبحث عن دقائق النحو واللغة ، لاغموض فيها ولا ابهام ، اخذت عن السيريالية التى تاثرت بها بلا شك الابتعاد عن الحديث التقليدى • وتحدث الينا اكثر مما كتب لنا، بل ان كثيرا من قصائده كتب لكى يقرأ بصوت عال على طــريقة الرواة القدامى • حدثنا فى تلقائية عن غضبه ، وفرحه، ومشاعره ، بدون ان يخفى ما يود ان يقوله لنــا وراء العبارات والصور الغامضة •فتح لنا قلبه، اذا جاز القول ، واسر لنا بكل ما فيه • ابتعد عن الاشكال الزائفة المصطنــعة • نزل بنا الى الشارع ، وخاطب الشعب بلغته ، لغة بعيدة عن لغة النحاة ، تتميز بالشباب الدائم والقدرة على الابداع • وهكذا ، « عثر مرة اخــرى علــى كافة الاشكال الغريزية التى الفى اليها الناس

البسطاء باحزانهم وآمالهم ، منذ قرون » (ج . بيكون) . تحدث بريفير كابنـــاء الشــعب ، عن موضوعات مستمدة من عالم الواقع، عالم الحقيقة، عالمنا الحديث . وعبر عن ابسط اشكال حياتنـا وامورها . واستلفت نظره ما يســتطيع ان يراه كل منا : حادثة ، حركة عابــرة ، ما يدور وراء نافذة مضيئة ، حوار رجل وامـرأة ، الخ ... حدثنا عن « الماء الجارى ، والليــل الساجي ، والعشاق الذين يتبادلون القبلات في الظلام ».. والعاصفة القادمة .. والعجوز الذى يتذكر انه كان سعيدا » ... وعندما تنزه في الشــارع ، نقل لنا ترابه ، وشمسه ، ونساءه ، وروائحه ، الخ .. وتعاطف مع المارين فيه ...

قال بريفير « انا لم اكتب كلمة الحقد ابدا ». لكنه ، معهذا ، شاعر هجائي كبير ، كتب « عشاء الادمغة » ، ذلك النص الذى لا تكاد نجد نظيرا له في الادب الفرنسي كله ، نص يمزق فيه الشاعر الاقنعة التي تخفي وجوه القضاة ، والبابوات ، والجنرالات ، والاساتذة ، وكل من يمنع حيــاة الانسان من ان تكون حوارا غنائيا بسـيطا ... لان بريفير مؤمنبان الانسان جعل للفرح والسعادة. الا ان هناك مؤامرة دائمة تدبر ضد هذهالسعادة، وعلى عاتق الشاعر تقع مهمة فضحها . ونقــول مع ج . بيكون ان شعر بريفير « شعر يصــادق الطيور والزهور ، والاطفال والنساء ، والقدرة على التمرد التى يحملها لا تضل في رمال المرارة الجدبة ، وانما تختلط بالنهر الواسـع الجارى نحو الفرح والحرية » .

الكلمة الآن للشاعر ....

افطار الصباح

وضع القهوة
في الفنجان
وضع الحليب
في فنجان القهوة
وضع السكر
في القهوة والحليب
بالملعقة الصغيرة
قلب
وشرب القهوة والحليب
ثم وضع الفنجان ثانية
بدون ان يكلمني
اشعل
سيجارة
ورسم دوائر
بالدخان
وضع الرماد
في المنفضة
بدون ان يكلمني
بدون ان ينظر الي
نهض
وضع
قبعته على رأسه
ارتدى
المعطف الواقي من المطر
لان السماء كانت تمطر
وذهب
تحت المطر
بدون كلمة واحدة
بدون ان ينظر الي
وانا اخذت
رأسي بين يدى
وبكيت .

« كلمــات »

اغنية لك
الي فلورنس

شعر اسود شعر اسود
تداعبه الامواج
شعر اسود شعر اسود
تحله الرياح
ضباب ايلول
يطفو وراء الاشجار
الشمس ليمونة خضراء
والبؤس
في عربته الخالية
يجرها ثلاثة اطفال شقر
يمر عبر الانقاض
ويذهب في اتجاه البحر
شعر اسود شعر اسود
تداعبه الامواج
شعر اسود شعر اسود
تحله الرياح

مع براميله الحديدية
وبقايا الاسمنت المسلح
يرقد طوف امارة البحر
ساكنا بلا حراك على الصخر
كالكلب الميت
والقدامه مرفوعة فى الهواء
شعر اسود شعر اسود
تحله الامواج
شعر اسود شعر اسود
تداعبه الرياح
الشمس
ليمونة خضراء يحملها الزمان
صوت عروس البحر
صوت طفلة

« المطر والجو الجميل »

لكى ترسم صورة عصفور

ارسم اولا قفصا
له باب مفتوح
ثم ارسم
شيئا ظريفا
شيئا بسيطا
شيئا جميلا
شيئا مفيدا
للعصفور
ثم اسند اللوحة على شجرة
فى حديقة
او فى غابة
واختبىء خلف الشجرة
ولا تقل شيئا
ولا تتحرك ...
وعندما يصل العصفور
اذا وصل
الزم اعمق الوان الصمت
وانتظر حتى يدخل فى القفص
وبعد ان يدخل
اغلق الباب بالفرشاة فى هدوء
ثم
امح القضبان كلها واحدا واحدا
واحرص على الا تمس ريشة واحدة
من ريش العصفور
ثم ارسم صورة الشجرة
واختر اجمل اغصانها
للعصفور
وارسم ايضا الاوراق الخضراء ونسمة الهواء
وغبار الشمس
وصوت حيوانات الحشائش فى حر الصيف
ثم انتظر حتى يقرر العصفور ان يغنى
واذا لم يغن
كان ذلك فالا سيئا
ودليلا على ان اللوحة رديئة
لكنه اذا غنى كان هذا فالا حسنا
ودليلا على انك تستطيع ان توقع
عندئذ انزع ريشة من جناح العصفور
بمنتهى الهدوء
واكتب اسمك فى ركن من اللوحة

« كلمات »

اضرار الرقة

اشترى رجل جريدة ثم القاها . وكان بالكاد قد تصفحها . وجرى شخص وراءه ولحق به - سيدى ، سقطت الجريدة منك .

قال الرجل : شكرا

واستطرد الآخر وهو يبتعد : عفوا ، هذا اقل شىء ..

لم يجرؤ الرجل على القاء الجريدة مرة اخرى .. وقراها ... وبمنتهى الوضوح ، وقف على خبر يغير مجرى حياته .

ثارت اعصابه ، احس انه مطارد ، لم يعد يعرف اين هو ، سأل احد المارة عن سبيله . وتوقف المار ، وبرقة وفرح ، وصف له طويلا السبيل الذى عليه ان يسلكه : انه قريب جدا ، على بعد خطوتين .

تذكر الرجل فجاة : ليس هذا طريقى ابدا ،بل انه فى الاتجاه المضاد تماما . لكن الاخر الذى ابتعد التفت وابتسم ، وسلك الرجل السبيل الذى وصفه له المار .

لا يمكنه ان يفعل شيئا آخر ، مطلقا لا يمكنه ان يجرح هذا المار اللطيف .

وها هو ذا قد ضل في متاهة لا معقـولة ، وسجي الليل والتقي بامراة لم يرها منذ خمس سـنوات . ونقـل اليها الخبر الذى قراه في الجريدة ، فاجهشت بالبكاء ، وارتمت بين ذراعيه وانقض الشـقاء عليهما ، مثلمـا في الماضي بالضبط . لم يعد الرجل والمراة ، مرة اخرى ، سوى كائنا واحدا تعذبه اخطاؤهما .

« عرض »

زمن النوى

ليكن في علمكم ايها العجائز
ليكن في علمكم يا ارباب الاسر
ان الزمان الذى كنتم تعطون فيه ابناءكم للوطن

كما يعطى الخبز للحمام
هذا الزمان قد ولى
اذعنوا للامر
انتهى الامر
لن يعود زمن الكرز بعد الان
ولا زمن النوى ايضا
لا جدوى من الانين
من الافضل ان تذهبوا للنوم
تكادون تسقطون لفرط حاجتكم اليه
كفنكم حديث الكي
سيمر بائع الرمال بعد قليل
اعدوا اربطة ذقونكم
اسبلوا جفونكم
سيحملكم بائع القمامة بعد قليل
انتهى زمن الفرسان الثلاثة
وها هو ذا زمن منظفي المجارير
عندما كنتم تسألوننا بأدب
وابتسامة طيبة
نقطتان افتح القوس
هل تنزل في المحطة القادمة
ايها الشاب
كنتم تتحدثون عن الحرب
لكنكم لن تلعبوا علينا لعبة الاب الفرنسي بعد الان

لا يا كابتن
لا ياسيد فلان
لا يا بابا
لا يا ماما
لن تنزل في المحطة القادمة
والا انزلناكم قبلنا
سنلقى بكم من الباب
هذا عملي اكثر من المقابر
واكثر مرحا
واسرع
وارخص
عندما كنتم تقترعون بالقش
كان النوتي الصغير هو الذى يؤكل دائما
لكن زمن الغرق السعيد قد ولى
عندمايسقط الاميرالات في البحر
لا تعتمدوا علينا فيالقاء اطواق النجاةلهم
اللهم الا اذا كانت من حجر
او من حديد كحديد المكواة
عليكم بالاذعان للامر
زمن العجائز الشيوخ قد ولى
عندما كنتم تعودون من العرض
حاملين اطفالكم على اكتافكم
كنتم سكارى بدون ان تشربوا شيئا
وكان نخاعكم الشوكي
يجرى في فخر وجنون
امام ثكنات لا بيبينيير
كنتم تحركون اعناقكم
عندما كان يمر المدرعون الابهياء
وكانت الموسيقى العسكرية
تدغدغكم من قمة الرأسالى اخمص القدم تدغدغكم
والاطفال الذين كنتمتحملونهم فوقاكتافكم
تركتموهم ينزلقون في الوحل ذى الالوان الثـلاثة

في طين الموتى
وانحنت اكتافكم
لا بد للشباب ان يمضى
وتركتموه يموت
ايها الرجال المبجلون الموقرون
تلتقون
في حيكم
وتتبادلون التهاني
وتتجمدون

وا أسفاه وا أسفاه يا مسيو بابيلاس
كان لي ثلاثة ابناء اعطيتهم جميعا
للوطن
واأسفاه وا أسفاه يا سيدى العزيز من
الاثنين
لم اعط انا الا اثنين
يفعل المرء ما يستطيع ...
يا لمصيرنا ...
اما زلت تشكو من المفاصل
الدمعة في العين
مخاط الحداد الزائف
الشريط الاسود على القبعة
القدمان في الدفء
تيجان الموتى
والثوم في فخذة اللحم
هل تذكرون ما قبل الحرب
ملاعق الابسنت والعربات ذات الجياد
ومشابك الشعر
والانسحاب على ضوء المشاعل
آه لكم كان هذا جميلا
كانت اياما حلوة
اصمتوا ايها العجائز
كفوا عن تحريك السنتكم الميتة
بين اسنانكم المصنوعة من العاج الزائف
زمن عربات الشعر
زمن مشابك الجياد
هذا الزمن قد ولى
على اليمين اربعة اربعة
اجمعوا عظامكم البالية
عربة السجن
عربة نقل الموتى الاغنياء تقدمت
يا ابن سان لويس اصعد الى السماء
انتهت الجلسة
سيلتقى كل هذا الحشد الجميل هناك فوق
بالقرب من رب جنود الشرطة
في فناء المخزن الكبير
الى الوراء يا جدى
الى الوراء يا ابى وأمى
الى الوراء يا اجدادى
الى الوراء ايها العسكريون العجائز
الى الوراء ايها المرشدون العجائز
انتهت الجلسة
سيبدأ العرض
الان من اجل الاطفال

■■

« كلمـات »

د. سامية احمد اسعد

بغداد ـ الجامعة المستنصرية

■ لماذا تبقى حبيس بيتك ؟ انطلق الى العالم الخارجي الذى صنع من البذل السخي الذى تفيضه الشمس والقمر والنجوم . لابد أن تستمتع به لتعرف حجةالله في الاغضاء عن هذا الكرم او هذا الاسراف .

(تاجور)

■ من المتعذر الحكم على مشاعر الانسان بما يأتيه في أمر معين ، فالمرء في حال ليس هو هو في جميع الاحوال .

(جستاف لوبون)

■ للذهب ثمن ، ولا ثمن للحكمة .

(مثل صيني)

■ « ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم · لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم،ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم،واللهغفور حليم»·

(قرآن كريم)

■ اياكم والظلم ، فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واياكم الفحش ، فانه لا يحب الفاحش ولا المتفحش ، واياكم والشح ، فانما اهلك من كان قبلكم الشح : امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا ، وامرهم بالقطيعة فقطعوا ·

(حديث نبوى)

■ احسن الى من شئت تكن اميره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن اسيره ·

(الامام على)

■ لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر ، والاقدام قتال

(المتنبى)

■ اذا امكنك امرؤ من ان تسدى فضلا اليه كان فضله عليك اكبر ·

(عمر بن عبد العزيز)

■ ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم ·

(زهير بن ابى سلمى)

■ الفلسفة تنتصر على شرور الماضي ، وشرور المستقبل، ولكن تهزمها شرور الحاضر ·

(لارشفوكو)

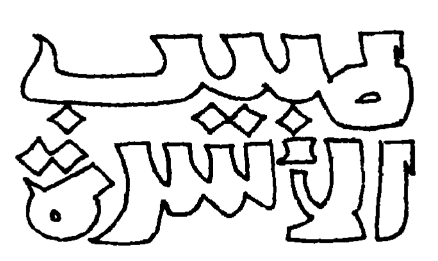
■ ما اسعد الشعراء ، كلماتهم تنطق العواطف في جميع القلوب ، وقلوبهم تحقق صدور السعداء فتطربهم وصدور التعساء فتبكيهم ·

(مكس ملر)

■ اتق الاحمق الا تصحبه انما الاحمق كالثوب الخلق
كلما رقعت منه جانبا حركته الريح وهنا فانخرق

(مسكين الدارمي)





يجيب على هذه الاسئلة

نخبة من الاطباء

مرض الرعاش

● رغم انني قاربت على الخمسين الان صحتي جيدة ولا اشكو من شيء الا من رعشة في يدي واخرى في راسي..وكانني غير قادر على التحكم فيهما .. وقيل لي ان هذه الحالة اسمها الرعاش،فما هو الرعاش وما هي اسبابه .. وهل من علاج لوقفه ؟

ـ مرض الرعاش يصيب الانسان فى السن ما بين ٥٠ ـ ٦٠ سنة فيقوم المصاب بحركة غير ارادية فى الاطراف العلوية والسفلية ، وربما امتد المرض الى الرأس فيقوم بتحريك رأسه الى جهات مختلفة ـ وتزداد هذه الحركات بالاضطرابات النفسية او مع الاجهاد ـ وتختفي هذه الحركات عند النوم وعند التحكم فيها ..

والسبب فى ذلك يرجع الى حدوث اضطراب فى خلايا فى قاع المخ اما لتآكلها او لقلة وصول الدم اليها ، او بسبب التهاب أو ورم بجوارها .

وهناك اسباب اخرى تؤدى الى الرعاش منها استعمال بعض الادوية التى تؤثر على هذه الخلايا من ذلك السرياسيل ـ اوالتسمم بغاز اول اوكسيد الكربون . والعلاج فى هذه الحالات جميعا يحتاج لوقت طويل ، وهناك انواع عدة من الادوية تؤثر فى بعض الحالات لكنها تحتاج للمتابعة الطبية لزيادة كميتها اوتغييرها عند الحاجة من ذلك مركبات الارتين Artane ـ اوالكوجانتين Cogentin ، اومركبات البلادونا ـ او المركبات المسماة Antihistamine ،مثل البنادريل Benadryl ، وغير ذلك مركبات كثيرة ـ على انه فى كل هذه الحالات لا بد وان يراعي الطبيب والمريض انه عند تغيير الدواء اوالتوقف عن استعماله ان يكون ذلك تدريجيا .

ولقد ظهر حديثا مركب يسمى الدوبا L.Dopa ، ووجد ان له فعالية فى بعض الحالات ، ولوجودمضاعفات اثناء استعماله لا بد وان يستعمل فى بادىء الامر تحت ملاحظة الطبيب فى بعض الحالات والتى يكون فيها المريض متمتعا بصحة جيدة ويكون المرض محدودا فى جزء من الجسم، وقد وجد ان اجراء عملية جراحية حول منطقة الخلايا الواقعة فى قاع المخ ربما حسنت هذا المرض وقللت او ازالت هذه الحركات اللاارادية والتيبس الذى يعترى الاطراف و يصحب مثل هذه الحركات.



دمــوع الرحم

● اعانى من مغص وآلام شديـدة اثناء الدورة الشهرية وبعدها ايضا ، وفى بعض الاحيان يصيبنى الاغماء من شدة الالم بالرغم من ان عمرى دون العشرين ، واتمنى احيانا لو ان هذه الدورة لا تاتى مطلقا حتى استريح من هذه الآلام ٠٠ فهل من علاج ؟

ــ آلام الطمث لدى المرأة معروفة منذ الازل ، واسبابها كثيرة ومتعددة ، فالرحم يعد العدة اياما طويلة لاستقبال البويضة الناضجة التى تهبط من المبيض مرة واحدة فى منتصـف الدورة الشهرية ٠ وبعـد الزواج وعند حدوث الحمل يكون الرحم مستعدا لاستقبال الكرة الجنينية ، وقـد اعد لها وسادة سميكة من الغشاء المبطن للرحم حتى تنمو ، وتكون جنين المستقبل ٠ اما فى حالة عدم حدوث الحمـل اوعنـد الفتيات قبل الزواج فان الرحم يضطر الى التخلص من هذه الوسادة المخاطية بـأن يلفظها للخارج على هيئة الطمث المعروف ويطلق عليه بعض العلماء اسم «دموع الرحم» لعدم حدوث الحمل المنتظر ، وبالطبع فان هذه العملية ضرورية حتى يبدأ الاستعداد من جديد للبويضة التالية التى ستظهر فى الشهر الثانى ٠٠ وهكذا ٠

اما بخصوص هذه الآلام فقد تنشأ عن بعض الاسباب فى الجهاز التناسلى ذاتـه او نقص فى نمـو الرحم ــ لـدى بعض الفتيات ــ وهناك اسباب عامة منها الضعف الشديد ، واحيانا قد تبالغ الفتاة ذاتها فى تصوير شدة الالم ٠٠ ويمكن العلاج بواسطة المسكنات المعروفة لتخفيف الالم عند حدوثه الى ان يتم نمو وتطور الرحم مع مرور الوقت حيث تقل هذه الآلام أو تختفى مع التقدم فى العمر ٠

الم العصب الخامس فـى الوجه

● يعترينى الم فى وجهى يستمر لدقيقة او اقل ورغـم اننى تجاوزت الخمسين من العمر الا ان صحتى تبدو جيدة ٠٠ فما سبب هذا الالم ياترى ؟

ــ يصيب الانسان عادة فى سن الخمسين وما فوقها الم فى الوجه ٠٠ وهذا الالم يسببه العصب الخامس ٠٠ ويظهر علـى شكل الم شديد فى الوجه يأتى بغتة ، فى الشفاه او اللثة او الذقن ٠٠ ويمكث الالم لعدة ثوان او دقيقة او اكثر ٠٠ ثم ان هذا الالم الشديد يعاود المريض فـى فتـرات الليل والنهار ٠٠ ويستمر لعدة ايام او اسابيع ، ثم يختفى فجأة ٠٠ ليعاود المريض من جديد ٠

ويحدث الالم عندما يلمس المريض منطقة تعتبر حساسة ، وكأنها البؤرة التى يشع منها الالم وينتشر ٠٠ وهذه النوبات لاتترك اثرا فى العصب ، اى انه لا يحدث فقدنا للاحساس فى العصب ، كما هو الملاحظ فى امراض العصب العضوية ٠

ولا بد فى هذه الحالات من ان يفحص المريض جيدا ، للتأكد من انه ليس هناك مرض عضوى فى الجهاز العصبى ٠

والعلاج يتركـز اولا علـى العـلاج الدوائى ، اذ أنه فى بعض الحالات تختفى هذه النوبات فجأة كما بدأت فجأة ، طالت المدة او قصرت ٠٠ واحدث هذه العقاقير هو المعروف بالتجرتول Tegretol اذ أنه يقلل هذه النوبات ويضعف من حدتها ويقصر من مدتها ٠

اما فى الحالات الشديدة التى لاتستجيب لهذا العلاج ، فلا بد من حقن العصب بالكحول او الفينول ، ليظل المريض فترة طويلة ، ربما امتدت لشهور عدة ، دون حدوث اية نوبة ٠

وتستجيب بعض الحالات لنوع خاص من العلاج الجراحى ، بأن يزال الغطاء الذى يغطى عقدة العصب الخامس ، وفى الحالات الشديدة تقطع الاعصاب التى توصل الالم الى المخ ، وحديثا عرف انه تقطع اعصاب قليلة جدا دون ان يتأثر باقى العصب ، وهذه الطريقة تحدث مضاعفات فى الوجه ، كفقدان الحساسية فى العين وغير ذلك ٠٠ وهى احدث طريقة جراحية لعلاج هذه الحالة فى الوقت الحاضر ٠

الزهرى الوراثى

● انا سيدة متزوجة وعندى ٣ اطفال ، ومشكلتى ان الطفل الاول والثانى اصيبا بضعف البصر وسحابة على العين عند بلوغهما السنة السادسة من العمر ، وافادنى الطبيب ان هذه نتيجة الزهرى الوراثى ، فما هو ذلك المرض، وما هى اعراض الزهرى الوراثى ؟

ــ الزهرى الوراثى هو اصابة الجنين بمرض الزهرى اثناء وجوده بالرحم عن طريق المشيمة ، ولكى تحدث الاصابة لابد ان تكون الام مصابة بالمرض ، وليس من الضرورى ان تظهر على الام المصابة اى اعراض لهذا المرض ، اذ ربما يكون الزهرى فى مرحلته الكامنة ٠

فأعراض الزهرى الوراثى قد تكون مبكرة او متأخرة تبعا لوقت ظهورها ٠

اما الاعراض المبكرة فتظهر فى العامين الاولين من عمر الطفل ، وهى :

١ــ هزال عام للمولود منذ ولادته حيث يشبه الرجل الكهل ٠

٢ــ التهاب الاغشية المخاطية للأنف مما يؤدى الى حدوث زكام وافرازات من الانف ٠

٣ــ التهاب الاغشية المخاطية للحنجرة مؤديا الى بحة الصوت ٠

٤ــ تضخم البطن نتيجة تضخم الكبد والطحال ٠

٥ ــ طفح زهرى على الجلد على شكل حبيبات وفقاعات فى اليدين والقدمين وربما على الجسم كله ، وكذلك تشققات حول فتحات الجسم مؤدية الى ندبات ٠

٦ ــ انيميا وفقر دم ٠

اما الاعراض المتأخرة فهذه تظهر عند نمو الطفل وتبدأ فى الظهور بين عمر ٤ ــ ٦ سنوات وهى .

١ــ التهاب القرنية والقزحية مما يؤدى الى ضعف البصر وظهور سحابات بالعين ٠

٢ــ ظهور اسنان (هتشنسون) التى تتميز بتباعد القواطع العليا ٠

٣ــ التهابات زهرية بالجهاز العصبى مما يؤدى الى حدوث الشلل او ضعف الذكاء وربما فقد السمع والبصر ٠

٤ــ التهابات المفاصل والعظام ٠

٥ــ الاورام الصمغية بالاغشية المخاطية مما يؤدى الى ثقب حاجز الانف او سقف الحلق ٠

ولذلك ننصح دائما كل سيدة حامل بعمل تحليل دم للزهرى عند بداية الحمل ، وكذلك يفضل تكرار ذلك فى الشهور الاخيرة للتأكد من خلوها من هذا المرض حرصا على سلامة الجنين ، كما ننصح كل راغب او راغبة فى الزواج بعمل هذا التحليل ايضا قبل الزواج ٠ ■■

ـ ماذا اريد ان تفعل ؟ أن تتكلم ••• أنتقول : « جاءت رسالة من عند الطبيب » ! أن تقول ذلك بمجرد دخولك ••• ماذا أريد أن يفعل ! يسالنى ماذا أريد ان يفعل ••• جاءت رسالة ولا يتكلم!

لكن فرحها برسالة ابنها كان اكبر من اللوم واكبر من الغضب ، وسالت :

ـ كيف هو ؟ هل قال لك متى يعود ؟

ـ لم يقل •

ـ هل هو دائما بمكانه السابق ؟

ـ لم يقل •

ـ هل قال لك انه فى صحته بخير ؟

ـ لم يقل •

ـ اذن هو مريض ؟

ـ لم يقل •

فاغضبتها هذه الاجوبة الباردة وقالت بتذمر :

ـ وماذا قال لك فى رسالته اذن ؟

ـ لم يقل شيئا ذا بال •

ـ هل ارسل الدراهم ؟

ـ لم يرسل •

ـ هل قال لك انه سيرسل عما قريب ؟

ـ لم يقل •

سكت على مضض ، ثم بعد برهـــة قالت فى سخط :

ـ ولم ارسل الرسالة اذن ؟

ـ اراد ان يبعث رسالة ففعل •

ـ رسالة بلا خبر ولا دراهم ماذا تعنى ؟ لعلك تكذب على ؟ يقينا انت تكذب على •• لم تات اى رسالة • الطبيب لا يكتب رسالة بدون اخبار عنه او سؤال عنا ••• انت تكذب على •

اخرج الزوج من جيبه رسالة وهو يقول :

ـ وهذه ، أليست رسالة ؟

فقالت له تستعجله :

ـ ارنيها •

فقال لها بهدوء وفى لهجة حزينة وديعة :

ـ وماذا تفعلين بها ؟

ـ اريد ان اراها •

ـ ولكنك لا تقرئين •

ـ لا يهمك ، وانت هل تقرا ؟

ـ انا قراتها لدى الحاج رزقى •

ـ قلت لك ارنيها ولا يهمك •

ـ خذيها •••

اخذت منه الرسالة وقلبتها على جميع جهاتها، ثم اخرجت من الظرف الرســالة فراتها مملوءة كتابة من اعلى الى اسفل • ورفعت بصرها نحو زوجها وقالت بغضب وهى تشير الى الرسالة :

ـ كل هذه الكتابة وتقول ، لم يقل شـيئا ؟ اتظننى غبية ؟ لو لم يقل شيئا لماذا ملأ الرسالة كتابة ؟

ـ الكتابة الكثيرة لا تعنى شيئا •

ـ البياض اذن هو الذى يعنى شيئا ! •••

ـ أكثرت علىّ من الكلام الفارغ •••

ـ قل لى ، مــاذا قال لك الطبيب فى هــذه الرسالة ؟

لم يجبها وراح ينظر الى نار الموقد امامه وقد زال عنها دخانها وصفت حمرة جمرها ، فكررت ملحة :

ـ ماذا قال لك فى هذه الرسالة ؟

ـ قال ان النار تلد الرماد ••

ـ اتسخر منى ؟ ماذا قال لك ؟

ـ قال ان البحر نشف والبواخر لا تسلك البحر الناشف •

ـ انت تسخر منى يقينا ••• او انك تهذى ؟ قل يا رجل ، ماذا جرى لك ؟

ـ ان السنين الطويلة التى عشتها هى التى جعلتنى اهذى • عندما تقصر اليد يطول اللسان•

ـ لم افهم ما تقول ••• ماذا جرى لك اليوم ؟

ـ لا شىء ، هونى عليك •

ـ لا شىء وانت تتكلم بهذه الالغاز ؟ ماذا قال لك الطبيب فى رسالته ؟

ـ قلت لك الف مرة لم يقل شيئا • لو رايت فى الرسالة ما يسر لبادرت باخبـــارك بمجـرد دخولى •

ـ اذن حملت اليك هذه الرسالة اخبارا محزنة؟

ـ لم تحمل ما يسر ولا ما يحزن •

ـ وماذا قال فيها اذن ، ولم كل تلك الكتابة ؟

ـ الا تسكتين ؟

ـ اتريد ان اسكت ؟ جاءت رسالة من عند ابنى واسكت ؟ يا الهى لهذا الشيخ ، يريد منى أن لا اساله عن ابنى الذى انقطعت عنا اخباره منذ شهور وشهور ! ••••



ذهب الطبيب الى فرنسا بعد أن يئس من وجود عمل تكفي أجرته المعاش والسكن . لم يكن يطمح ان يحصل على ثروة في يوم من الايام من عرق جبينه . ولكنه كان يرجو أن لا يضطر الى المبيت بغرفة جماعية فى احد الحمامات ، مثل الاشهر التى قضاها بالعاصمة عاملا باحد المقاهى .

فرنسا لا تعطيه من الاعمال الا أشقها وأقذرها كبقية مواطنيه هناك ، ولكنه لن يبيت بالحمام ولن يضطر لانفاق آخر فرنك من أجرته لتسديد حق الاكل والمبيت ... سوف يستطيع توفير جزء من أجرته لاعانة والديه العجوزين وتسديد ثمن مهر خطيبته وتهيئة الجهاز شيئا فشيئا ...

طبعا كان عزمه مقصورا على العمل فى فرنسا سنتين او ثلاثا فقط . فقد علم مسبقا بكل ما ينتظره هناك من خلال الرسائل التى تبادلها مع ابن عمته ، الذى تكفل بايجاد الشغل والسكن له . كما عرف قبل ان يسافر مقدار الاجرة التى سوف يتقاضاها تفصيلا . فهو سوف يعمل باحد معامل البلاستيك وسوف يسكن مع ابن عمته فى احدى ضواحي باريس الصناعية .

اما خطيبته فتستطيع ان تنتظر ثلاث سنوات حسب ما اتفقت عليه الاسرتان . ثلاث سنوات قد تكون طويلة فى المدن ، أما فى الارياف فالزمان لايعد بالايام ولكن بالفصول ، وبما تغله الفلاحة لاهلها سنويا . فاذا كانت السنون عجافا فهى تلغى من الزمن ...

انتظار ثلاث سنوات اذن ليس كثيرا على هذه الخطيبة . سوف تتمكن فيها من تهيئة نفسها ماديا لحياتها المقبلة . فحياتها قبل الخطبة لا تعنى شيئا ، أما بعد فهي تعنى كل شيء . سوف تتعلم ممن تقدمنها سنا كيف تكون زوجا رؤوما وكيف تكون شيطانا ايضا اذا لزم الامر . وسوف تتعلم كيف تربط احلامها ومشاعرها بواقع معين . وبشخص معين . فى هذه السنوات التى تفصلها عن الزفاف . فايام الخطبة تشكل بالنسبة اليها برزخا بين حياتين ...

ذهب الطبيب الى فرنسا اذن بنية الاقامة ثلاث سنوات على الاكثر ليعود بعدها وقد وفر المهر ، ووفر ما يكفيه ريثما يجد الشغل . انه سوف يعود بعد ثلاث سنوات الى أبويه الحبيبين والى خطيبته الجميلة ذات الشعر الاصفر الكثيف الذى زادته طبيعة الريف كثافة ، ومنحته رونقا تعجز الاصباغ عن الوصول الى مستواه . ويعود ايضا الى قريته الجميلة الفقيرة التى سوف تصيرها المشاريع بعد سنوات قليلة حلية حية ضاجة بالعمل .

فى سنته الاولى بفرنسا كانت رسائله الى أبيه اسبوعية . وفى السنة الثانية صارت شهرية . اما فى السنة الثالثه التى مضى على انتهائها اسبوعان فانقطعت رسائله . والرساله التى جاءت منه اليوم هى الاولى منذ سنة وأسبوعين!

للام اذن ان تغضب على زوجها الذى لم يعد اليها بجديد ، رغم مجيء الرسالة . فموعد الزفاف حل ، وأهل الخطيبة لا يسمحون بتمديد الاجل الى ما لا نهاية . ومن يدرى ، قد يتحول انتظارهم ثلاث سنوات الى سخط ساخط ، وتتحول علائق القربى والود والمصاهرة الى قطيعة وضغائن واحقاد ؟

ان طبيعة الريفى التى تتسم بالصبر والاناة لا تقبل المماطلة فى الوعود الجادة . وهل هناك وعد اشد جدية من خطبة فتاة ؟

هذه التخوفات هى التى كانت تشغل بال الام ، وكانت تشغله ايضا تخوفات اخرى رات صورا منها فى القرية لدى اسر كثيرة : هناك كثير من الشبان الذين ذهبوا الى فرنسا للعمل بها سنة او سنتين لم يعودوا ابدا الى وطنهم ... فان فعل الطيب

مثلهم فتلك هي المأساة ، المأساة التي طالمابعدت الام صورتها عنخيالها .. ابنها لنيفعل كالآخرين. سيعود . لاشك في ذلك ...

انتظر الزوج الشيخ ان تقوم زوجته فتعد له قهوة ، ولكن هذه لم تفعل . كانت منشغلة بالرسالة ، لقد استولى مضمونها المجهول على كل تفكيرها ، وفتح المجال الى الهواجس ان تنطلق، والى التصورات ان تلحق ... وراحت تتخيل نفسها عجوزا هرمة،نظرها معلق بما وراء الافق الشمالي، وهي وحيدة،حكم عليهاالقضاء بالوحدةوبالشيخوخة وبالانتظار اليائس ، انتظار الابن الوحيد الذي لا يعود . الابن الذى انسته ضجة باريس الدائمة صمت قريته المستمر . تخيلت نفسها انها فقدت ابنها وفقدت زوجها ايضا . لانها كانت تعتقد دائما ان زوجها سيموت قبلها . ويتركها وحدها تعاني شقاء الحياة واتعابها . وتخيلت نفسها وهي في شيخوختها ووحدتها ان كل سكان القرية يهجرونها ويتجنبون معاملتها ، ولم ينسوا لها ، رغم مرور السنين ، عدم وفاء ابنها بالعهد ، ابنها الذى ترك خطيبته ووطنه وبدلهما بحياة لا غاية لها ، وبوطن كان سكانه ذات يوم بعض سكانه أسيادا طغاة في هذه القرية الآمنة .

ومن الشيخوخة والمستقبل البعيد ارجعها الخيال الى الحاضر ، الى الغد القريب ... سوف يسالها اهل «سعدية» خطيبة ابنها عنموعد الزفاف الذي حل أجله . سوف لا تجد بين يديها أى عذر تقدمه . ما دفعته من هدايا وملابس الى الخطيبة يوم الاعلان عن الخطبة لن يعود لها . لا شك في ذلك . ولو كانت المسالة تتعلق بما خسرته فقط لهان الامر . ولكنها سوف تضايق ثم تلام ثم تتبدل العلائق فتسوء بعد ان كانت حسنة ، ثم يشيع الخبر في القرية فيصير الابن وامه وابوه حديث الناس وسمرهم ...

انها سوف تتلاقى بعد ذلك بنساء القرية فيسالنها عن ابنها ، وهل تعتزم تزويجه ، هازئات متفكهات ... ان الموت افضل من الوصول الى مثل تلك الفضائح ...

وفي غمرة هذه التصورات والتخيلات سمعت زوجها يقول :

ـ والقهوة ، الا نشرب قهوة ؟

ـ نسيت ... لماذا لم تشتر القهوة ؟

ـ ومن قال لي عن ذلك ؟

ـ كيف، الم اقل لك وانت ذاهب ، اشترالقهوة؟

ـ قلت لي ذلك ؟

ـ يا لله لهذا الرجل ! ماذا جرى لك اليوم ؟ قل ...

ـ لم اسمعك ابدا ، والله ...

فقالت يتذمر مستعملة ضمير الغائب :

ـ لست ادرى كيف افعل ، وماذا افعل مع هذا الرجل ؟ اوصيته ان يشترى القهوة فعاد فارغ اليدين ، وطلبت منه ان يحدثني عما في الرسالة فزعم ان ليس بها ما يستحق الذكر ...

ونسي او تناسى ان موعد الزفاف قد حان اجله واننا لا بد ان نجيب آل السعيد اما بالنفي او الاثبات ...

فكر الزوج ان يخبرها بمضمون الرسالة ، ثم بدا له ان الوقت غير مناسب . اذ ان مزاج زوجته حاد للغاية . فاذا اخبرها وهي في هذا التوتر فلربما يسيء اليها . كما كان يشعر بحاجة الى قليل من الراحة والتفكير الصامت . فالقرية المركزية التي عاد منها ، حيث البريد والدكاكين والسوق ، تقع على بعد عدة كيلومترات من بيته الجبلي . وهذه المسافة ولو انها نسبيا ليست كبيرة الا ان الطريق الموصل اليها شاق للغاية . ففي الذهابينحدر متعثرا بينالاحراش والالتواءات وفي الاياب تواجهه عقبة مجهدة مرهقة ، يشعر وهو صاعد معها ان رجليه كلما حاولتا التقدم تاخرتا . حتى عصاه لا تفيد كثيرا وهو صاعد .

يذهب الى هذه القرية مرة في الاسبوع . من اجل البريد ومن اجل قضاء ما يحتاجه من أدوات منزلية وتموين .

وكانت هذه المسافة يوم أن كان في شبابه وقوته يقطعها في ساعة من الزمن وهو عائد ، وفي اقل من ساعة وهو ذاهب . ولكنه الان وعمره قد جاوز الستين صار يقطعها في اكثر من ثلاث ساعات وهو صاعد ! فعمره هو الذى صير المسافة طويلة . وصيرها طويلة أيضا خيباته المتكررة طوالهذه السنة التيانقطعت فيها رسائلابنه...

ففي السنة الاولى التي ذهب فيها ابنه الى فرنسا ، عندما كانت تاتيه الرسائل اسبوعيا كان

لا يحس كثيرا بالعياء من السير فقد كان الامل يعطي الى سنه المتقدمة دفعة من نشاط تسهل عناء السير .

وفي السنة الثانية أخذ يحس بمشقة هذا السفر الاسبوعي بين بيته الجبلي والبريد،ولكن الحوالات التي كانت تصله بانتظام سهلت عليه مشقة هذا السفر.كانت بمثابة قوةاضافية خارجية تعزز وهنه وتشد عضده .

اما في هذه السنة التي انقطعت فيها الرسائل والحوالات فصار السفر الى البريد عقابا اسبوعيا يناله الاب جزاء شوقه الابوي لاخبار ابنه الحبيب!

وليت الامر توقفعند انقطاعالرسائلوالحوالات، اذن لوجد في نفسه قوة تعينه على الصبر وتعينه أيضا على السير ... ولكن الاسئلة المتهكمة والملاحظات المختلفة التي صار يتلقاها من معارفه، ومن الحاج رزقي صاحب الدكان حيث عنوانه ، أذته ، وآلمته ، لقد قال له احدهم : انت السبب في ذهابه الى فرنسا . لو تانيت في موضوع زواجه لما اضطر الى الاغتراب ...

ولعل تاثره من هذه الجملة كان أكبر واشد من كل ما سمع من ملاحظات وتلويحات بخصوص انقطاع أخبار ابنه . فقد أصابته في الصميم لانه حقيقة هو السبب ... ابنه لم يكن يرغب في هذا الزواج المستعجل ، لا لكون الفتاة لم تعجبه



أو أهلها ، ولكن لضيق ذات اليد ، وعدم ملاءمة ظروفه حينئذ لمتطلبات الزواج ... كان يفضل الانتظار حتى يدخل المشروع الحكومي الخاص باصلاح الناحية وتطويرها حيز التنفيذ . لانه عندئذ يستطيع أن يجد عملا يلائمه في نطاق هذا المشروع الضخم ، يضمن له الاستقرار والعيش الكريم وعدم الاضطرار الى الاعمال التافهة مثل تلك التي كان يقوم بها في العاصمة كغاسل اوان بالمقاهي . كما يستطيع أن يتزوج وأن يقيم بين أبويه وسكان قريته الجبلية الجميلة ، التي لا تنزع عنها عمامة الثلج البيضاء الا لتلبس مكانها عمامة خضراء تملؤها جمالا واملا ...

ولكن الاب كان قد قرر الزواج وضرب صفحا عن مواتاة الظروف وعن العمل . ولم يجد الابن بدا من الرضوخ الى ما قرر أبوه الشيخ ... وهكذا وجد نفسه ذات يوم حاملا حقيبته السوداء الى الباخرة التي ستقله الى الضفة المقابلة ، حيث عرق العمال لا يسيل ماء على الجبين ولكن يخرج دخانا عاليا من مداخن كثيرة باسفات تروي الى السماء قصة ما يعانيه العمال في كفاحهم من اجل الخبز !

تاثر الاب تاثرا بالغا من هذه الجملة القاسية المؤلمة التي سمعها حينئذ . وهي لا تنفك ترد على ذهنه كلما تعلق الحديث بابنه . اما اليوم فهي تستولي على كل وجدانه ...

قال في نفسه وهو ينظر أمامه الى الموقد الذي اخذت ناره تخبو : أنا السبب في ذهابه الى فرنسا ... لماذا انا السبب ؟ هو الذي أراد الذهاب الى هناك لانه لم يجد عملا هنا . لو توفر الشغل في بلدنا لما ذهب احد الى فرنسا . من ذا يحب حياة الغربة .كل الدين هاجروا الوطن. هاجروه مضطرين. عدم الشغل هو السبب، ولست انا ... انا زوجته بالرغم من فقرنا وعدم طاقتنا على ذلك ، لان هذه البنت هي أحسن فتيات القرية جمالا وحسبا . خشيت أن يخطبها غيرنا فبادرت بالخطبة . وانفقت في ذلك القليل الذي وفرته من مال ، ظننت ان الطيب يكون عند حسن ظني ... من قال اني ساجازى بهذه الغيبة المرة ، ومن قال انه سيقطع أخباره عنا سنة كاملة ، سنة وأسبوعين . من قال ستصل به القسوة الى هدا الحد ؟ سنة وأسبوعان وأنا أعود

الى البيت كل أسبوع احمل الحسرة والخيبة ٠٠ لا رسالة ولا دراهم ولا اى شيء واخيرا تاتى الرسالة ٠٠٠ ليتها لم تات هذه الرسالة المرة ! انا السبب٠٠ لست انا السبب، هو الذى اراد٠٠ لو فكر كما افكر لما قطع اخباره سنة واسبوعين ثم ارسل الى بهذه الصاعقة ٠ ماذا سيقول الناس عنا عندما يسمعون ؟ ٠٠٠ لماذا يا الهى هـذا العقوق من ابن وحيد ؟ ٠٠٠

كادت دموعه تسيل وهو يحادث نفسه ٠ لو عرفت زوجته مقدار ما كان فيه من حزن ، وما كان يحسه حينئذ من أسى وحسرة رفقت به ، ولما ألحت فى السوال ولجت فى الحديث ٠٠٠ ولكانت بالاقل اعدت له قهوة من القليل الذى تبقى لديها ، ليستعيد بعض نشاطه ، ويطفىء هذا الحزن الذى يحرق قلبه ٠ لكنها لا تدرى ٠٠٠ ان هى لجت فى الحديث وغضبت فلانها تتحرق شوقا الى اخبار ابنها الوحيد ، ولانها ايضا خشيت العار مثله ، خشيت السنة الناس ، وخشيت ان تضيع كل الآمال التى علقتها على زواج ابنهـا ، وتصبـح فى شيخوختها كما كانت فى شبابها وحيدة ٠

ساد الصمت بين الزوجين العجوزين فترة من الوقت ٠ وكانت نار الموقد التى اخذت تخبو منحت كليهما تلهية وسلوى وبعثت فى نفسيها ذكريات كثيرة واحاديث نفسية طويلة ٠ ولم تشا الزوجة أن تستانف الحديث مع زوجها الشيـخ ، فقـد انخفضت درجة الحاح الاسئلة التى كانت تتزاحم فى نفسها ، واخذ يعود اليها هدوؤها الحزين ، بالرغم من ان شكوكا كثيرة كانت ماتزال تعتمل فى نفسها حول موضوع الرسالة ٠ لقد فكرت ان هذا الهدوء الذىبه زوجها يخفى وراءه خبرا غير مسر٠ قد يكون ابنها اخبر بانه لا يعتزم الرجوع الى الوطن فى هذه السنة ، وان انقطاع رسائله كان بسبب مرضه ، او انه كان عاطلا عن العمل ، مثل ما يقع للكثيرين ٠٠٠

وربما يكون ذلك ، وربما هناك شيء آخر حدث لم يرد الزوج ان يخبرها به ؟ على اية حال فكرت ان تنقطع عن الاسئلة ، وان تلتزم الصمت ٠ فان كان هناك خبر اراد الزوج اخفاءه فالاحسن ان تتركه وشانه ، حتى يتحدث وحده ويقول كل شيء٠ لانه لا يستطيع ان يكتم ما وصله من اخبار الى ما نهاية ٠

وتذكرت القهوة التى طلب زوجها فقامت مسرعة لاعدادها ٠ واخذت حقة القهوة وارتها اياه قائلة:

ـ انظر ، ما بقى فيها من قهوة ٠٠٠ لن يكفى لصباح الغد ٠

ـ غدا يفعل الله ما يشاء ٠ لعلى اجد من ارسل معه ليشترى لنا ٠٠٠

ـ فى هذا البرد لا يتحرك احد ٠ اذا تواصل سقوط الثلج فسنبقى بدون قهوة ، من غيرشك ٠

ناولته فنجانا فشربه متمهلا كانه خشى ان ينفد ما فيه قبل ان يستكمل نشوته ٠ وراحت العجوز تعيد الى الموقد حمرته ولهبه بما وضعت فيه من حطب جديد ٠ وتكلم الزوج :

ـ أتدرين ماذا فعل ابنك ؟

فاجابت بدهشة وذعر سائلة :

ـ وماذا افعل ؟

ـ انه تزوج ٠

فقالت وقد اذهلها الخبر :

ـ تزوج ؟ بمن تزوج ؟

ـ تزوج بفرنسية ٠

ـ بفرنسية ؟ ياالهى !! ٠

ـ نعم تزوج بفرنسية ، ونحن ننتظر هنا وجوهه منذ سنة واسبوعين ٠٠٠

ـ ياالهى ٠٠٠ تزوج بفرنسية وترك خطيبته وابنة عمه ٠ ترك سعدية أجمـل الفتيات ٠٠٠ ياالهى ، ماعقه ! ٠٠٠

وغلبتها الدموع ٠٠٠ثم اخذت الرسالة وراحت تخاطب ابنها فى تمتمة لا تكاد تبين : « لماذا يا ولدى ألحقت بنا هذا العار ، ولم ترع حرمةلشيبنا وحناننا ودموعنا عليك ؟ لماذا ياولدى اخترتالغربة على الوطن ، واخترت قلبا ان احبك اليوم لن يحبك غدا ، وتركت قلوبا تحبك اليوم وغدا ؟ لماذا ؟ ٠٠٠ » ٠

اخذ الزوج العجوز المقلاة وافرغ ما بقى فيها من قهوة وناولها الى زوجته فى حنان :

ـ أشربى هذه القطرة الباقية يالمرأة !

■■

الجزائر ـ عبد الحميد بن هدوقة

• صفحة في اللغة •

متى يجمع مفعول على مفاعيل؟

بقلم : محمد خليفة التونسي

■ سنحاول وسعنا هنا الفصل في هذه القضية التي كثرت وتضاربت فيها اقوال اللغويين المجتهدين قديمهم وحديثهم ، كبارا وصغارا ، حتى التبس امرها على اتباعهم من الدارسين المقلدين ، ولم تزل غامضة حتى يومنا هذا ، ولعلنا نقترب من فصل الخطاب فيها ان لم نستطع بلوغ حده القاطع ، وكفى الباحث في اى مسالة عزاء ان يتقدم ولو خطوة قصيرة في طريق حلها وان لم يبلغ مرحلة الحسم .

طريقة قاصرة

ويبدو لنا ان ما حال بين علمائنا والوصول الى حكم واضح في هذه القضية هو طريقتهم في بحثها ، فقد اقتصروا على احصاء الامثلة لم النظر فيها شكليا (وكل الامثلة على وزن واحد) وفي الاقتصار على هذه الطريقة قصور وتقصير كما سنرى ، فان القدماء حين التزموها لم يجدوا غير مثالين هما « مشئوم ، وملعون » يجمعان على « مشائيم » و « ملاعين » ولهذا اعتبروهما جمعين شاذين ، ومنعوا القياس عليهما . واطبقت البلية بقول كثير منهم ان جموع التكسير سماعية ، ومرجعها كتب اللغة التي تذكر مع كل مفرد جمعه .

وجاء بعض المتاخرين المجتهدين فالتزموا هذه الطريقة ايضا ، ولكنهم لم يقتصروا على المعاجم في البحث عن الامثلة ، بل رجعوا الى اصول هي احق بالنظر ، وهي النصوص الادبية المأثورة عن الفصحاء ، فوجدوا عدة امثلة اخرى ، مثل : مجهود ، مشغول ، مجنون ، منكود ، مملوك ، مرجوع ، مكفوف ، ميمون ، مشهور . وجموعها على الترتيب : مجاهيد ، مشاغيل ، مجانين ، مناكيد ، مماليك ، مراجيع ، مكافيف ، ميامين ، مشاهير .

وقد يكتشف الباحثون امثلة اخرى فيما بعد ، ولكن هذه الطريقة الاحصائية لا تحل المشكلة ولو بلغت الامثلة عشرات بل مئات ، والتوقف عندها لايفيد علما ، ولابد من خطوة تالية تتم بها هذه الطريقة ، وهذه الخطوة هي تمحيص الامثلة ، ومعرفة الفروق بين خصائص بعضها وبعض ، لا مجرد شكلها او صيغتها او وزنها فحسب .

ولا شك انه من اللازم في بداية اى بحث علمي جمع الامثلة واحصاؤها ، ولكن لا بد بعد ذلك من تصنيفها على وفق انواعها (وقد يستدعي الامر تنظيمها ايضا) ، ولهذا كان ينبغي لعلمائنا ان يتاملوا هنا مضامين هذه الكلمات ، ويستنبئوها عن دلالاتها ، ولو فعلوا ذلك لتبين لهم ما لا يجوز جمعه منها تكسيرا وما يجوز ، بل ما يحسن ان لم يكن واجبا ، وهذا ما نتوخاه اجمالا في هذه الصفحة .

انواع اربعة : ما يجمع وما لا يجمع

وقد تبين لنا ان الكلمات التي وردت على وزن مفعول اربعة انواع ، لكل نوع منها دلالته الخاصة .

النوع الاول : يستعمل مصدرا محضا للدلالة على حدث ، كما في قولنا « هذا الرجل لا معقول له ولا مجلود ولا ميسور » اى لا عقل له ، ولا جلد ، ولا يسار ، فالكلمات : « معقول ، ومجلود ، وميسور » مصادر خالصة ، وما كان كذلك لا يجمع ، لان المصدر اذا خلص للمصدرية كان دالا على الحدث مطلقا شاملا ، فلا يقبل التثنية ولا اى نوع من انواع الجمع ، وامثلة هذا النوع نادرة ولكنها قابلة للزيادة .

النوع الثاني : يستعمل صفة خالصة كما في قولنا « كل اب مربوط باولاده ، وكل ام مربوطة باولادها ، حتى الحيوان مربوط بصغاره » فكلمة مربوط هنا تدل على صفة محضة ، ويلاحظ شبهها بالفعل في معناها وعملها ، ولهذا ترفع نائب فاعل كالفعل المبني للمجهول ، كما في قولنا

« الاب مربوط قلبه باولاده » فاذا جمعنا كلمة « مربوط » هنا قلنا : الاباء مربوطون باولادهم ، والامهات مربوطات باولادهن » كما نقول « الحيوانات مربوطات (او مربوطة) بصغارها » اى انها تجمع جمع سلامة (جمع مذكر سالما ، او جمع مؤنث سالما) ولا تجمع جمع تكسير «مرابيط» .

وهكذا كل كلمة على وزن مفعول تستعمل صفة خالصة ، وتكون شبيهة بالفعل معنى وعملا ، مثل : مسرور، معقود ، مبتور ، مفروش. وامثلة هذا النوع تعد بالمئات بعد المئات .

ما يجمع : اسما أو نسبة

النوع الثالث : اسماء مصطلحات ، او اسماء ذوات او هيئات ، ومن امثلته :

١ - مرجوع ، وهو الوشم الذى اعيد سواده ، وقد جمع على « مراجيع » فى قول زهير بن ابى سلمى : يصف اطلال دار صاحبته :

« ودار لها بالرقمتين كأنها
مراجيع وشم فى نواشر معصم »

٢ - مفعول : مصطلح على انواع خمسة من الاسماء المنصوبة نحويا ، هى المفعول به ، والمفعول المطلق ، والمفعول لاجله ، والمفعول فيه (الظرف) والمفعول معه ، وتسمى المفاعيل الخمسة .

٣ - مزمور : نشيد للدعاء او غيره ، ومن امثلته « مزامير داود » التى تسمى عند المسلمين « الزبور » وبين اسفار العهد القديم « سفر المزامير » يشمل خمسين ومائة مزمور .

٤ - موضوع : محور الكلام ، يقال : « كتب التلميذ فى عشرة مواضيع » « ودرست اللجنة مواضيع كثيرة » .

٥ - محلول : سائل انحلت فيه مادة او اكثر، يقال : « فى هذه القوارير محاليل مختلفة » .

٦ - مولود : وليد او متولد ، يقال : « النبى من مواليد مكة » ، « ودرست علوم المواليد الثلاثة » .

٧ - محصول : اى الحاصل او المتحصل او النتاج من زراعة او تجارة او صناعة ونحوها ، يقال : زادت محاصيل الحنطة هذا العام على مثيلاتها فى العام الماضى « ومحاصيل القطن اربع من محاصيل الشعير » (ومثلها « المنتوج ») .

٨ - مكتوب : رسالة ، يقال : ارسلت الى اصدقائى كثيرا من المكاتيب اهنئهم بالعيد ، اى رسائل .

٩ - مجهول : شيء غامض من عدد او مكان او نحوه ، يقال : فى هذه المسالة الرياضية عدة مجاهيل » و « البدوى يضرب فى مجاهيل الصحراء » « والطالب حائر بين مجاهيل الفلسفة » .

١٠ - مشروع : خطة توضع لامر يراد تنفيذه ، ينظر فيها حتى تعتمد قبل الشروع فى التنفيذ يقال : « مشاريع التعليم عندنا اكثر من مشاريع الزراعة » .

١١ - مرسوم : قرار يصدره حاكم ذو سلطة ، لتعيين موظف كبير ، او تنظيم احد امور الدولة : يقال : « كثرت مراسيم الدولة فى هذا الشهر » .

١٢ - منشور : بيان عام يصدره فرد او جماعة من عدة نسخ لبيان وجهة النظر فى قضية خاصة او عامة ومنها : « وزعنا المناشير الانتخابية » .

١٣ - مفهوم : مصطلح لما تواضع عليه قوم فى فهم امورهم ايا كان مجالها : يقال : « مفاهيم السيادة اليوم غير مفاهيمها قديما » .

١٤ - مستور : سر ، يقال : « ما اكثر مساتير الكون » ، اى اسراره .

١٥ - مضمون : محتوى ، يقال مثلا : « للشعر شكل ومضمون ، ولا بد ان تجارى اشكاله مضامينه » .

١٦ - مشروب : شراب ، يقال : « دفعنا الى عامل المقهى ثمن مشاريبنا قبل انصرافنا منها » .

١٧ - معجون : عجينة من مادة او اكثر ، يقال: « المعاجين الطبية اليوم انواع ، تستعمل فى اغراض مختلفة ، ومنها معاجين الاسنان ، لتنظيفها وتطهيرها » .

١٨ - مركوب : نوع من النعال يغطى القدم ، ويترك ظهرها مكشوفا . ولهذا يسهل لبسه ونزعه. والمراكيب انواع منها الساذجة الخشنة يستعملها الفلاحون والبدو لصلابتها ومتانتها ورخصها ، ومنها انواع خفيفة يلبسها المترفون والمترفات تظرفا ، يقال : « تختلف المراكيب مادة وخفة وثمنا » .

١٩ - منسوب : مستوى ، يقال : « منسوب المياه فى النهر اعلى من مناسيبها فى القنوات والجداول » .

٢٠ ـ مشحوف : نوع من الزوارق الصغار ، طويل نحيف خفيف يسع راكبا او اثنين ، يحمله صاحبه، يحرك بمجداف او مردى، وهكذا يسمى بين مستعمليه من اهل البطائح والاهوار المائية في جنوبي العراق ، للتنقل بين المنازل القائمة على صغار الجزر (شبيه الجندول في البندقية) .

وحسبنا هنا هذه الامثلة العشرون ، وان كان هناك غيرها ، ويلاحظ ان القليل من هذا النوع قد استعمل قديما ولكنه كثير شائع بين المحدثين ، وهو قابل للزيادة ، والمهم ان يكون اسما محضا ، ليقبل الجمع على مفاعيل ، ثم يشيع ذلك الاستعمال (١)

النوع الرابع : كلمات تدل على النسب ، ونوضح هذا فيما يلي :

اذا نسبنا الى اسم زدنا في آخره ياء مشددة ، فنقول في النسبة الى الحجاز او العرب او الشعر : حجازى ، عربي ، شعرى . وهناك كلمات تدل على النسب بغير هذه الصيغة اليائية ، مثل : سياف ، فنان ، لابن او لبان ، نابل او نبال ، اى : ذو سيف ، ذو نبل ، ذو لبن ،ذو تمر .

كذلك تاتى كلمات كثيرة على وزن مفعول تدل على النسب مثل « منكود » اى ذو نكد ، وقد ورد سمعناها « نكدى » بالصيغة اليائية في الدارجة ، فيقال « فلان نكدى » اى ذو نكد ، وقد جمع منكود على مناكيد في قول المتنبي يهجو كافورا الاخشيدي .

لاتشتر العبد الا والعصا معه
ان العبيد لانجاس مناكيد

وقد ورد من هذا النوع امثلة كثيرة في المأثور الفصيح ، مثل متبوع ومتابيع ، مرجوح ومراجيح، مشهور ومشاهير ، ملعون وملاعين ، مشئوم ومشائيم ، كما في قول الاحوص الرياحي او ابي ذؤيب الهذلي في هجاء قوم :

« مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة
ولا ناعبا الا بشؤم غرابها »

ومثل : مشغول ومشاغيل كما في قول مروان ابن ابي حفصة في مدح الخليفة المامون :

اضحى امام الهدى المامون مشتغلا
بالدين ، والناس بالدنيا مشاغيل

ومعنى متبوع ذو اتباع ، ومرجوح ذو رجحان ، ومشهور ذو شهرة ، و « ملعون » ذو لعنة ، و « مشئوم » ذو شؤم و « مشغول » ذو شغل ، وهذا النوع شائع قديما وحديثا فيما يدل على الطبائع او الحالات النفسية ولا سيما العاهات ،او يدل على غير ذلك ، مثل : مجنون (ذو جنون) ومجانين ، معتوه ومعاتيه ، مخبول ومخابيل ، مهبول ومهابيل،معمود ومعاميد، محسوب ومحاسيب ،مفلوك ومفاليك ، مجذوب ومجاذيب ، مسعور ومساعير ، مسطول ومساطيل ، منكور ومناكير ،مهزول ومهازيل، متعوس ومتاعيس ، مملوك ومماليك ، منحوس ومناحيس .

وقد توسعت الدارجة في هذا النوع حديثا ، ولكن نلاحظ انها تجرى في ذلك على مثال السليقة الفصيحة ، وتتقيد فيه بمذهب العرب الفصحاء فيما ينطقون ، « وكل ما جاء على كلام العرب فهو من كلام العرب » .

ملاحظة ختامية

يلاحظ ان كل كلمة من هذه الكلمات قد وردت « اسم مفعول » ، وجاءت على وزن « مفعول » ، وانما يفرق بينها الدلالة في الاستعمال ، فمثلا كلمة « ميسور » قد تستعمل مصدرا محضا كما في قولنا : « لا ميسور له » اى « لا يسار له » او صفة خالصة كما في قولنا «هو ميسور اللقاء» اى سهل اللقاء والكلمة في الحالة الاولى لا تجمع اى جمع لانها مصدر ، وفي الثانية تجمع ولكن جمع سلامة لا جمع تكسير غير انا اذا سمينا شخصا باسم ميسور ، او اردناها نسبة بمعنى ذى يسار ، فانها تجمع على مياسير ، فالمهم في جمع مفعول او عدم جمعه على مفاعيل هو الدلالة في الاستعمال . ■■

محمد خليفة التونسي

ملاحظة (١) (أ) بعض الناس يسمون اسماء على وزن مفعول مثل مسعود ، ومرزوق ، فتنسب اليهم ذرياتهم ، فيقال في جماعتهم المساعيد ، والمرازيق .

(ب) بعض الكلمات على وزن « مفعول » ـ بالتانيث ـ تستعمل اسماء ، مثل ، مرجوحة ومقصورة ، ومطمورة ، فتجمع على مفاعيل ، فيقال ، مراجيح ، مقاصير ، مطامير كما في قول المتنبي .

ودون سميساط المطامير والملا
واودية مجهولة وهجول



١٢٠ ألف شعرة فى رأسك

ما العمل عندما تبدأ فى السقوط ؟؟

بقلم الدكتور ابراهيم القشلان

● من آن لآخر فان كل شخص قد يلاحظ سقوط الشعر بدرجة ما ويستمر السقوط لعدة ايام او عدة اسابيع وذلك شىء طبيعى جدا ، رغم القلق الذى يصاحب هذه الظاهرة • وبعد الحرب العالمية شكا كثيرون من سقوط الشعر ، اما الان فكثير من الناس وخاصة المسنين يشتكون من السقوط نتيجة نقص الغذاء والفيتامينات فى كثير من المناطق الفقيرة •

وقصة سقوط الشـــعرة طويلة ، ينبغي ان نبداها بالتعرف على تكوين الشعرة ٠٠ ذلك ان كل شعرة تتكون من ٣ اجزاء : الجزء الداخلي وهو النخاع او لب الشعره ، والجزء الاوسـط وهو لحاء قشرة الشعرة ، والجزء الخارجي وهو البشرة او الاهاب ٠

وكل شعرة تخرج من جريب خاص بها عبارة عن نتوء دقيق في الجلد . ويمد كل جريب عدد من الغدد الدهنية ربما ٢ ــ ٦ غدد وهذه تفرز المادة الدهنية التى تعطى الشـــعر لمعانه وتحميه من الجفاف الشديد والرطوبة الزائدة ، كما ان هناك شبكة من الشعيرات الدموية تمد شعر كل جريب بما يحتاجه من غذاء لنمو خلاياه ٠

ويبلغ عدد شعر الراس في المتوســط ١٠٠٠ شعرة في كل بوصة مربعة اى تقريبا ١٢٠ الف شعرة في الراس ، وكلما كان الشعر دقيقا كان عدده اكثر فالشعر الاشقر قد يصل الى ١٤٠الف شعرة والاسود والبنى ١٠٨ آلاف شعرة والشعر الاحمر ٩٠ الفا فقط ٠

اما سماكة الشعرة او قطرها فقد يصـل الى ١/١٥٠٠ من البوصة واسمك شـعرة تصل الى ١/١٤٠ بوصة والمعروف ان الشعر الاسـود هو اسمك الانواع ٠

ان متوسط طول الشعر في النساء هو ٢٢ ــ ٢٨ بوصة ولكن نادرا ما يزيد على ٣٦ بوصة ، والشعرة مرنة بطبيعتها فهي لا تنقطع بسهولة نتيجة التمشيط او استعمال الفرشاة ، ودرجة مرونة الشعر تتاثر بالماء والبخار وبعض المحاليل وفي المتوسط فان قوة الشــــد للشـعرة هي « ٧ اونس » اى انها تحتاج الى شد بهذه القوة حتى تنقطع الشعرة ، اما لو غمست الشعرة في بعض المحاليل او الزيوت مثل زيت اللـــوز او الجلسرين مثلا فان درجة مرونته تقل وتنقطـع بسهولة ، كما يحدث في البرمانتت حيث يلاحظ ان الشعر يتقطع بسهولة اكثر من الشعر العادى٠

وللكشف على سقوط الشعر يجب مراعاة بعض الملحوظات والنقاط الهامة مثل عمر الشخص اذا كان طفلا او رجلا ، هل الشعر دقيق جدا بحيث ان جلد الراس يظهر من خلاله ولكن الجلد فـي نفس الوقت سليم وخال من اى مرض ، هل يوجد صلع في اجزاء صغيرة من الراس او انه متناثر في مناطق كبيرة منه ، هل جلدة الراس دهنيـة او محمرة او فيها قشــور او بها اى اضطراب معين ٠ كذلك يجب ملاحظة طريقة سقوط الشعر اذا كانت تدريجية ام فجائية بكميات كبيرة وهل السقوط في جميع الراس او في مناطق محدودة وهل السقوط حدث بعد مرض معين مثـــل الزهرى او بعد حمى شديدة او بعد عمل اشعة للراس او ربما بعد عملية جراحية او صـدمة عصبية ؟ ٠

دورة الشعر الطبيعى

لكل شعرة عمر معين تموتبعدها وتسقط وليس كل الشعر يصل الى نفس الطول ونفس العمر ، وعامة ففى الراس السليم الذى لم يتاثر بالمرض فان متوسط عمر الشـــعرة يصل ما بين ٢ ــ ٦ سنوات ولذلك فاننا نلاحظ انه يتساقط يوميـــا عدد مختلف من الشعر وهذه ظاهرة طبيعية جدا، وتوجد طريقة سهلة وبسيطة لمعرفة ما اذا كان هذا التساقط طبيعيا ام لا ؟ وهـى جمـع الشـــعر المتساقط ولمدة ٣ ايام متتالية وتقســيمه الى مجموعتين مجموعة اطول من ٦ بوصات والاخرى اقصر من ذلك ، ويلاحظ في الشخص السليم ان الشعر القصير لا يتجاوز ١/٤ الكمية المتساقطة ، اما في الرجل فنظـــرا انه دائما يقص شـعره بانتظام لذلك علينا ان نلاحظ الشعر المتســاقط اذا كان طرفه مقصوصا وهو الطويل فنجده غير



سقوط الشعر نتيجة عدوى بكتيرية بجلد الراس٠

حاد اما الشعر الذى لم يقص فيكون طرفه مدببا و بارزا .

ومن الملاحظ انه فى الفتره ما بين موت الشعرة القديمة ونمو شعرة جديدة بدلا منها فان جريب الشعرة ياخذ فترة استراحة.وفى بعض الحيوانات مثل الفار والارنب فان الشعر يموت على جميع سطح الجسم تقريبا فى نفس الوقت وجميع الشعر الجديد ينمو سويا ، اما فى الانسان والقطط فان شعرة كل جريب تتصرف مستقلة عن زميلتها وليست مرتبطة ببعضها ، كذلك فان الجريبات على جلد الراس لها فترات نشاط وفترات راحة حيث تكون فترة النمو طويلة وفترة الراحة قصيرة بينما على الجسم يحدث العكس فتكون فترة النمو قصيرة وفترات الراحة طويلة .

وعند سقوط الشعرة فان شعرة جديدة تبدا فى النمو وتظهر على سطح البشرة خلال ٦ ـ ١٠ اسابيع ، اما لو قطعنا او جذبنا الشعرة فان بديلا عنها يظهر وينمو اسرع من ذلك .

وسرعة نمو الشعر تختلف تبعا لعمرها فعندما تصل الشعرة الى سطح الجلد فانها تنمو بسرعة ٢ ـ ٥ مم كل ١٠ ايام او نصف بوصة فى الشهر . وعندما تصل الشعرة الى طول ١٠ بوصات فاكثر فانها تبطىء فى النمو ربما بنصف سرعتها السابقة . وكلما كبرت بعد ذلك ابطا نموها ، ويقول البعض ان النمو يكون سريعا عند النساء بين عمر ١٦ ـ ٢٤ سنة حيث لوحظ نمو ٧ بوصات فى السنة ، ويبطىء جدا بعد عمر الخمسين ، ويكاد يقف نموه بعد ٦٥ سنة حيث ان جذور الشعر تضمر مثل بقية الانسجة ولذلك يبدو الشعر خفيفا .

وسرعة النمو تختلف من شخص لاخر ومن موضع لاخر اذا كان على الراس او فى الذقن مثلا ، وينمو الشعر اسرع فى فصل الصيف كما انه ينمو بسرعة فى النساء منه فى الرجال بينما العكس صحيح فى شعر الابط حيث ينمو فى الرجال اسرع .

وقد اجريت تجارب على بعض الحيوانات لرؤية مدى تاثير الغذاء ونقصه على نمو الشعر فوجدوا انها تفقد شعرها اذا كان الغذاء خاليا من بعض البروتينات ، كذلك الصحة العامة لها تاثير على سرعة النمو وحالة الغدد فى الجسم ، كما ان الناحية العصبية والنفسية مهمة خاصة حالات القلق والخوف . وفى فترة الحمل واثناء المرض فان الشعر ينمو ببطء جدا وبعد زوال المرض فانه ينشط بحيث يعوض ما فاته، واشعة الشمس تؤثر فى نمو الشعر فى البداية فقط . وقد لاحظت بعض النساء ذلك فى الاذرع او السيقان عند التعرض للشمس . وقص الشعر لا يؤثر فى سرعة النمو كما يعتقد الكثيرون ولكن نظرا الى ان الشعر فى البداية ينمو بسرعة حتى يصل الى مرحلة معينة ينمو بعدها ببطء . لذلك عند قص الشعر فانه يبدو وكانه ينمو بسرعة لانه لا يزال فى مرحلة النمو السريع بينما اذا قص فى نهاية مرحلة النمو فانه سينمو ببطء .

اسباب سقوط شعر الراس

هناك عاملان رئيسيان يؤثران على سقوط الشعر هما :

اولا . وجود مرض موضعى على جلد الراس يؤدى الى سقوط الشعر فى رقعات او مناطق مختلفة واهم هذه الامراض هى :

● سقوط الشعر الدهنى: وهو اكثر السقوط انتشارا وعادة يكون الشخص فى عمر العشرين ويشكو من سقوط الشعر مع البشرة الدهنية ، ويبدا السقوط فى جوانب الراس ثم مؤخرة الراس وقد يبدا بالشكوى من قشور على الراس اولا ثم زيادة افرازها الدهنى .

وكثرة السقوط يعقبها فترات ساكنة بدون سقوط او سقوط بسيط فيرتاح الشخص لذلك الا انه بعد فترة يلاحظ معاودة السقوط ثانية بالرغم من ان هناك نموا جديدا الا انه فى العادة يكون خفيفا ودقيقا ، وهناك عامل وراثى فى هذه الناحية، اذا استمر هذا السقوط فقد يؤدى الى الصلع.

● الثعلبة : وهى منتشرة الى حد ما وتحدث فى اى عمر وتتميز بسقوط الشعر كلية وبسرعة فى رقعات محدودة من الراس ، ومن مسبباتها الاضطرابات النفسية والعصبية ، وكذلك العامل الوراثى له تاثير كبير .

● الزهرى الثانوى : وهو يؤدى الى سقوط الشعر تدريجيا فى رقعات غير منتظمة .

وثمة اسباب اخرى مثل الدمامل والالتهابات



شعرة داخل حندة الراس وفيها تظهر الغدد الدهنية التي تمدها ·

الجلدية والقراع واصابات الحوادث ، وامراض اخرى مثل الحكة الهبرية ـ الاكزيما ـ سل الجلد ـ مرض الذئب الاحمر وغيرها ·

عندما تضطرب التغذية

ثانيا اسباب عامة او مرض في الشرايين يؤدى الى اضطراب تغذية جذور الشعر وسقوطه بدون وجود اى مرض جلدى على الراس ، وهذه منتشرة وتوجد منها امثلة كثيرة كما نلاحظ ذلك فيما يلي ـ

● الحميات فقد لوحظ انه بعد اى حمى شديدة بفترة ٢ ـ ٨ اسابيع يحدث سقوط الشعر بكثرة نتيجة التسمم بدون النظر الى سبب

● سقوط الشعر

الحمى ، وهذا يحدث خاصة بعد الالتهاب الرئوى، الانفلونزا ، التيفوئيد ، الحصبة ، الحمى القرمزية ، وقد لوحظ هذا السقوط في بعض البلاد بعد انتشار وباء الانفلونزا مؤخرا ·

وقد يستمر السقوط لفترة طويلة تمتد الى ٦ اسابيع ولكن السقوط لن يصل بالراس الى درجة الصلع انما دائما توجد شعيرات ثابتة ·

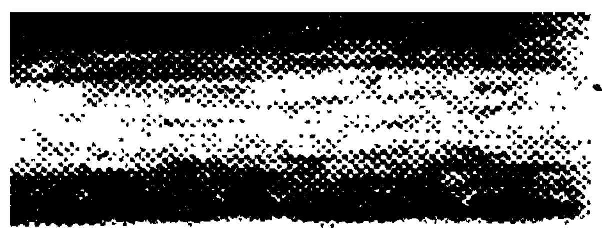
وقد وجد احد الباحثين ان درجة الحرارةالتى تؤدى الى سقوط الشعر هي عندما تصل حرارة المريض الى٣٩درجة بينما ان كانت اقل من ذلك فانها عادة لا تؤدى الى السقوط حتى لو طال المرض ، واذا صاحب المرض صدمة مثل حالة الالتهاب البريتوني فان ذلك يؤدى الى السقوط بغزارة·

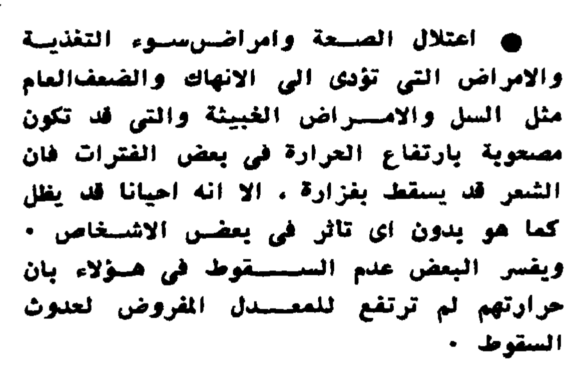
● بعد الولادة قد يلاحظ سقوط الشعر بغزارة تماما مثلما يحدث بعد الحميات ويحدث السقوط بعد شهرين من الولادة وقد يحدث كذلك بعد الاجهاض، اما اثناء الحمل فالسقوط يكون ضعيفا ، وقد لاحظ احد الباحثين انه اذا كان المولود يرضع من أمه فان الام لا يتساقط شعرها بينما اذا أوقفت الام الرضاعة خاصة ان كان ذلك فجائيا وكذلك عند فطام الطفل فقد يحدث السقوط بعد فترة ٨ ـ ١٠ اسابيع تقريبا ،ولكن ليس من الضرورى ان يحدث سقوط بعد الولادة او الفطام ·

● سقوط الشعر قد يحدث بعد اجراء عملية جراحية او حادثة او اى سبب للصدمة ، وفي هذه الحالة فان السقوط يحدث بعد نفس الفترة الا انه قد يحدث مبكرا بعد اسبوعين مثلا وفي هذه الحالة يكون شديدا وربما يؤدى الى الصلع· ولكن ليس من الضرورى ان يحدث سقوط بعد العمليات الجراحية ·

● سقوط الشعر نتيجة امراض الغدد واضطراب الهرمونات خاصة الغدة الدرقية ·

● الامراض المزمنة مثل الانيميا ، السكر ، التهاب الجيوب الانفية ، التهاب اللوز ، التهاب الزائدة الدودية او تسوس الاسنان ، ففي هذه الحالات يستمر سقوط الشعر بدرجة ما لفترات طويلة وربما لسنوات عديدة حتى ازالة السبب ولكن البعض قد لا يلاحظ ذلك بوضوح لان الشعر الجديد ينمو بمجرد سقوط الشعرة القديمة·





● اعتلال الصحة وامراض سوء التغذية والامراض التي تؤدى الى الانهاك والضعف العام مثل السل والامراض الخبيثة والتي قد تكون مصحوبة بارتفاع الحرارة في بعض الفترات فان الشعر قد يسقط بغزارة ، الا انه احيانا قد يظل كما هو بدون اى تاثر فى بعض الاشخاص . ويفسر البعض عدم السقوط فى هؤلاء بان حرارتهم لم ترتفع للمعدل المفروض لحدوث السقوط .

● قد يترتب سقوط الشعر على استعمال بعض العقاقير مثل المهدئات والمسكنات والادوية المضادة للسرطان مثل الاندوكسان ودواء كولشيسن المستعمل فى علاج الصدفية كذلك نتيجة زيادة او نقص فيتامين أ .

● سقوط الشعر نتيجة القلق النفسي والاجهاد الفكرى ، وقد يسقط الشعر بسرعة وغزارة خلال ايام بعد الصدمة العصبية ، وقد يشبه الصلع الكامل ولكن الشعر ينمو ثانية ويعود خلال اشهر قليلة ، وفى هذه الحالة من السقوط الكثير فان الشعر تقل سماكته ويصبح دقيقا بحيث انك تستطيع رؤية جلد الراس ، وفى يوم تتساقط كمية كبيرة من الشعر وعند التمشيط والتفريش يسقط بالمئات وياتى المريض للطبيب حاملا معه كيسا او شنطة ممتلئة بالشعر المتساقط خلال اليوم السابق لحضوره ، وفى هذه الحالة فان الشعر يسقط من كل مكان على الراس وليس من منطقة محدودة ، واذا جذبت الشعر بيديك فانه ينتزع بسهولة وبكميات وفيرة .

نفس هذه الطريقة فى سقوط الشعر بسرعة وغزارة تحدث بعد التعرض لاشعة اكس ويحدث السقوط بعد اسبوعين او ثلاثة من التعرض للاشعة او بعد اخذ جرعة ثاليم اسينيت .

تطور ظاهرة سقوط الشعر

ان نمو الشعر الجديد يلاحظ حتى قبل سقوط بعض الشعيرات الا انه يكون دقيقا فى البداية، ولو بدأ العلاج مبكرا فان معظم او كل الشعر ينمو ثانية وكذلك يتوقف سقوط الشعر ، اما لو تاخر او اهمل العلاج او حدثت مضاعفات سيلان الغدد الدهنية فان الشعر يظل خفيفا وضعيفا وبعد ذلك تصبح بشرة الراس ناعمة ولامعة مع اختفاء جريب الشعرة وقد يحدث ضمور بالجلد .

ويجب المواظبة على العلاج حتى ينمو الشعر الجديد ويظهر على سطح البشرة . وتدليك الراس مهم جدا لتحفظ الدورة الدموية فيها وتقليل السقوط واحيانا منعه لذلك ينصح البعض بعد اى حمى شديدة بتدليك جلد الراس يوميا تفاديا لسقوط الشعر .

اما فى سقوط الشعر المزمن نتيجة مرض مزمن فالامل ضعيف فى تحسن الشعر حيث يكون السقوط بطيئا ولكنه ثابت ومستمر لعدة سنوات ، وعادة يكتشف السبب مؤخرا سواء كان نفسيا او نتيجة التسمم بعد ان يكون قد تساقط معظم الشعر واصبح من الصعب علاجه .

وفى حالات تساقط الشعر بسبب الانيميا او اضطراب الغدد يتحسن المريض بعلاج السبب، اما عند سن الياس فيمكن منع السقوط بالاعتناء بالعلاج الموضعى .

السبيل الى العلاج

ان المهم عندنا هو اكتشاف السبب وعلاجه طالما عرف السبب وعولج فان الشعر ينمو طبيعيا ويقف التساقط . اما عندما لا تجد اى سبب موضعى فى الشعر او جلد الراس فان القصد من العلاج يكون تحسين وتنشيط الدورة الدموية فى الجلد، ويتلخص العلاج فيما يلى : ـ

١ ـ تحسين الصحة العامة للشخص بما فى ذلك استعمال الهرمونات خاصة لو كان الشخص يعانى من ضعف الحيوية مثل استعمال جرعات بسيطة من الغدة الدرقية ، كذلك استعمال هرمونات المبايض ، عند سن الياس . علاج اى بؤر صديدية فى الجسم ، اعطاء المغذيات والفيتامينات ، كذلك استعمال الكورتيزون ومشتقاته بالفم او الحقن

شعرة مصابة نتيجة استعمال البرماست .

الموضعى والدهانات ، كما يجب الانتباه الى الناحية النفسية .

٢ ـ استعمال بعض العقاقير التى تنشط بصيلات الشعر سواء عن طريق الفم او موضعيا فمثلا بيلوكاربين يساعد على نمو الشعر وكان سابقا يستعمل عن طريق الفم وادى الى نتائج مشجعة حيث نما الشعر وازداد سمكه بعد شهر فقط من الاستعمال كما انها تستعمل كذلك فى الدهانات والمحاليل . كذلك الكنين ، صبغة الجابوراندى ، نترات البوتاسيوم وبيركلوريد الزئبق ذات مفعول على بصيلات الشعر عند استعمالها موضعيا ، كما ان مركبات الكبريت خاصة لو كانت فى الزيت ، كنثاريدس ، امونيا ، الكافور ، حمض الخليك ، والكولسترين كلها تساعد على نمو الشعر .

وعادة فان مستحضرات تقوية الشعر المستعملة حاليا ، تحتوى على بيركلوريد الزئبق ، حمض سالسليك ، كبريت ، نافتول ، بيبانتين . الدهان الموضعى بالثوريوم قد يستعمل فى بعض الاحيان الا انه عادة يستعمل فى الثعلبة فقط .

٣ ـ طرق ميكانيكية . وهى عبارة عن التدليك وذبذبة فروة الراس وهى من اهم الوسائل لتنشيط الدورة الدموية لجلد الراس وبالتالى لنمو الشعر ويعمل التدليك Massage ، بواسطة اصابع اليدين لمدة ١٠ دقائق وقد اثبتت التجارب فى الحيوانات ان التدليك يبدأ دورة شعر جديدة فى البصيلات النائمة ، واستعمال بعض الدهانات الموضعية الحارة يؤدى الى احمرار الجريبات وبالتالى تنشيطها ومن المهم كذلك تدليك عضلات الرقبة الخلفية ، ويلجأ البعض الى استعمال الذبذبة الكهربائية Vibrations الا ان استعمال اصابع اليدين فى التدليك افضل بكثير .

استعمال « الشامبو » الدهنى ويفضل ان يكون من زيت نباتى حيث ان ذلك بالتدليك ينفذ خلال البشرة ويساعد على نمو الشعر وزيت اللوز والخروع من افضلها ، ويجب تدفئة جلد الراس سواء بفوط ساخنة او بالاشعة تحت الحمراء ، وتوضع كمية قليلة من الزيت على جلد الراس وتدلك باصابع اليدين جيدا وبانتظام ويعاد ذلك مرة كل اسبوع ، فالزيت يعطى لمعة للشعر ومع التدليك يساعد على نمو الشعر ومع تسخين فروة الراس يساعد على نشاط دورة الجلد وبالتالى يؤدى الى تحسن تغذية جريبات الشعر .

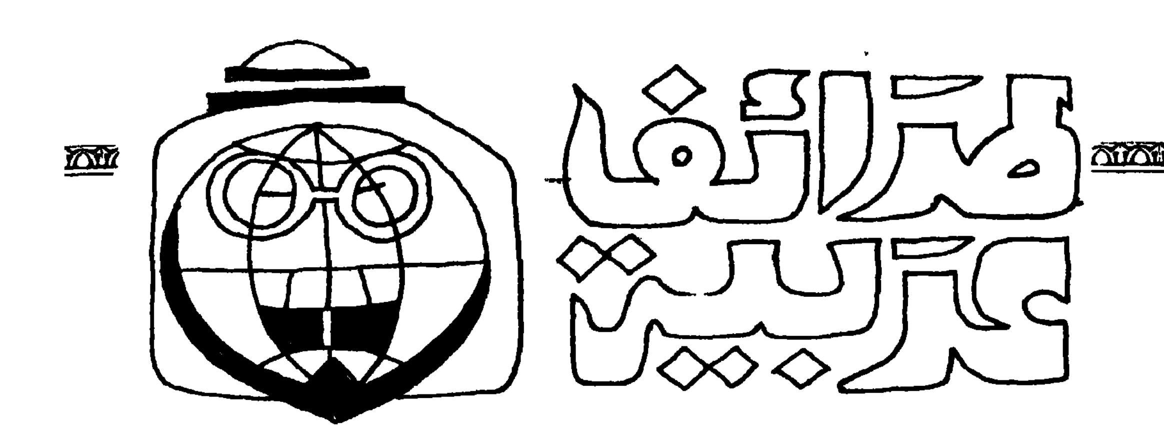
٤ ـ الطرق الكهربائية ، وذلك باستعمال الاشعة فوق البنفسجية وتعمل ٣ مرات اسبوعيا على فروة الراس ولها فائدة فى تنشيط الدورة الدموية ومساعدة الشعر على النمو ، وتعطى جرعات بسيطة تزاد تدريجيا وهناك انواع اخرى من الاشعة مثل تحت الحمراء .

٥ ـ العلاج الجراحى : بواسطة عمليات خاصة وتستعمل فى بعض حالات الصلع ومنها :

أ ـ زراعة الشعر حيث ترفع اجزاء صغيرة ومتعددة من جلد الراس المحتوى على الشعر بواسطة آلة خاصة وتثبت هذه الاجزاء محل اجزاء اخرى صلعاء متساوية لها فى المساحة وتعمل العملية على فترات فى كل فترة يزرع بعض الشعر حتى تغطى الراس كله .

ب ـ كشط الشعر : وهى عملية جراحية فيها يكشط الجراح شريطا سطحيا من فروة الراس من جانب الراس ليلصقه فى اتجاه الجانب الاخر مغطيا بذلك الجزء الاصلع . وطبيعى ان هذا الشعر سواء فى الزراعة او الكشط هو شعر طبيعى ينمو ويقص كالمعتاد عند الحلاق . ■■

الكويت ـ ابراهيم محمد القشلان



اخلاق الصالحين

● سأل الخليفة هارون الرشيد ابـايوسف قاضى القضاة فى عهده عن اخلاق الامام ابى حنيفة فقال ابو يوسف : « كان والله شديد الدفاع عن حرمات الله، مجانبا لاهل الدنيا ، طويل الصمت ، دائم الفكر ،لم يكن مهزارا ولا ثرثارا ، ان سئل عن مسألة كان لها فيه علم أجاب • وما علمته ياأمير المؤمنين الا صائنا لنفسه ولدينه • مستقلا بنفسه عن الناس لا يذكر أحدا الابخير •• » فقال الرشيد « هذه اخـلاق الصالحين » •

نصيحة ام

● قيل ان محمد بن عبد الرحمن بن هشام القاضى المكى كان قصيرا ذميما ،وكان عنقه داخلا فى بدنه فسمعته امرأته ذات يوم وهو يقول : « اللهم اعتق رقبتى من النار » فقالت له زوجته • «وأى رقبة لك حتى يعتقها الله لك من النار » • وقـد قال عن نفسه • « ان امى قالت لى يوما •« ياولدى انك قد خلقت خلقة لا تصلح معها لمعاشرة الفتيان ، فعليك بالدين والعلم ،فانهمـا يتممـان النقائص ، ويرفعـان الخسائس » فنفعنى الله بما قالت فاجتهدت فى طلب العلم حتى وليت القضاء » •

الخير ابقى

● قال رسول الله صلـى الله عليه وسلم : « فضل جاهك تعود به على اخيك الذى لا جاه له صدقة منك على اخيك •وفضل قوتك تعود به على اخيك الذى لا قوة له صدقة منك عليه • وفضل لسانك تعبر به عن لسان اخيك الذى لا لسان له صدقة منك عليه ، وفضل علمك تعود به على اخيك الذى لا علم له صـدقة منك عليه ، واماطتك الاذى عن الطريق صدقة منك على اهله » •

اعطاك ماتحب فاعطه مايحب

● عرض على الخليفة عبد الملك بن مروان اسارى من الخوارج وكان عنده رجاء ابن حيوة ،فقال له : ما ترى فى امر هؤلاء الاسرى ؟ فقال رجاء : « ان الله اعطاك ماتحب من الظفر فاعط الله مايحب مـن العفو » ، فعفا عنهم •

اشترى لسانه

● بينما كان معـــاوية ذات يوم فيمجلسه اذ جاءه غلام له ، فقال : « يا أمير المؤمنين لقد سقط الي عاتكة اليوم كتابفلما قرأته بكت ، ثم اخذته فوضعته تحت مصلاها وما زالت خائرة النفس » . فقالمعاوية : « اذهب وتلطف لهـذا الكتاب حتى تأتيني به » . فانطلق الغلام ولـميزل حتى أخذ الكتاب ، واقبـل به على معاوية ، فاذا فيه شعر شـكوى وغرام ،فلما قرأ معاوية هذا الشعر بعثالى يزيد ابنه فأتاه ، فوجده مكتئبا ، فقال : « ماهذا يا أمير المؤمنـين ؟ » قال : « هـذا الفاسق ابو دهبل كتب بهذه الابيات الىاختك عاتكة ،فلم تزل باكية منذ اليوم ». فقال يزيد : « الامر هين عبد من عبيدكيكمن له في ازقة مكة ، فيريحنا منه » . قال معاوية : أف لك ، أو ما تعلم انكاذا فعلت ذلك صدقت قوله ، وجعلتنـــا احدوثة أبدا قال : « يا أمير المؤمنين انهقال قصيدة اخرى تناشـــدها اهل مكة » قال : « وما هي ؟ » قال :

« الا لا تقل مهلا فقد ذهب المهل	وما كل من يلحى محبا له عقل
حمى الملك الجبار عني لقاءها	فمن دونها تخشى المتالف والقتل
فلا خير في حب يخـــاف وباله	ولا في حبيب لا يكون له وصل»

فقال معاوية : « قد والله رفهت عني،فما كنت آمن أنه قد وصل اليها ، فأمـا الآن وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصلفالخطب يسير ، قم عني » .

وقد حج معاوية في تلك السنة ، فلما انقضت أيام الحج دعـا أشراف قريش وشعراءها ، وفرق عليهم صـلات سنية ،واجازهم ، وكان منهم ابو دهبـل ، فلما اقترب كي يأخذ جائزته قال له : « يا ابادهبل اني رأيت يزيد ساخطا عليك في قوارص تأتيه منك » . فأخـذ ابو دهبليعتذر اليه ويحلف انه مكذوبعليه ،فقال له معاوية : « لا بأس هل تأهلت ؟ » قال:«لا» قال : «فأي بنات عمك احب اليك ؟» فاشار عليه بواحدة ، فقال معاوية : « قدزوجتكها واصدقتها ألفي دينـار وامرت لك بالف دينار » فقال : « ان رأى اميرالمؤمنينان يعفو لي عما مضى ،فان نطقت ببيت في معنى ما سبق عني فقد أبحت بهدمي » ، فسر معـاوية بذلك ، وضمن له رضا يزيد عنه ، ووعده بادرار ما وصلهبه كل سنة .

يدعي الالوهية

● ظهر في عهد احد سلاطينالسلاجقةرجل ادعى النبوة،فامر السلطان السلجوقي بالقبض عليه ، وقتله ، وبعد مدة ظهررجل آخر وادعى الالوهية فامر السلطان باحضاره وسأله قائلا : « كيف تجرؤ علىادعاء الالوهية ؟ الم تسمع ان رجلا ادعى النبوة قبل ايام قليلة فقتلناه ؟ » فقالالرجل : « حسنا فعلت ايها السلطان ،فاني لم أبعثه نبيا » .

حتى الحيوان له حقوق في الفقه الاسلامي

بقلم : الدكتور أحمد عبيد الكبيسي

نظر الاسلام الى الحيوان نظرة ترتكز على احترام حياته ، ونفعه للانسان ، وتعاونه معه في عمارة الكون واستمرار الحياة .. وحملت بعض سور القرآن أسماء حيوانات فجاءت سورة البقرة وسورة الانعام، وسورة النحل .. حتى النمل والعنكبوت !

■ عن الفقه الاسلامي يقول الدكتور « انريكو انساباتو » في كتابه ـ الاسلام وسياسة الخلفاء : « ولا يجوز قط أن يهدم هذا الصرح العظيم من العلوم الاسلامية ، ولا ان يغفل شأنه ، او ان تمسه يد بسوء ، وانه أوجد للعالم ارسخ الشرائع ثباتا ، وانها لشريعة تفوق الشرائع الاوربية في كثير من التفاصيل » .

وهذه الحقيقة التي ادركها انساباتو ادركها العديد من فقهاء الغرب ومشرعيه ، وهي ناتجة عن الطابع العام للشريعة الاسلامية الذي يحدد مقاصدها ، ويوسع مداراتها ، وهو الذي يستلهمه الفقهاء فيما يقررون من احكام .

وفيما نحن بصدده من الكلام في حقوق الحيوان يتجلى اثر الطابع الجماعي للشريعة الاسلامية في مسألة «الحق» اي مدى ما لصاحبه من سلطان في الانتفاع به واستعماله والتصرف به ، وما يكون من تقييد الشارع له بالا يضر غيره بهذا الاستعمال .

وهذا يقوم على قاعدة راسخة ثابتة ، تقرر من اول الامر : ان الانسان وكل ما يملك ملك لله وحده ، ومن هنا كان تقييد استعمال « الحق » من نواح عديدة ، وقد تولد عن هذا التقييد حقوق للغير ، والحيوان من جملة هذا الغير .

في الوقت الذي نجد فيه ان اعرق القوانين الوضعية قد جعلت الفردية طابعها العام . فان القانون الروماني ـ في مراحله الاولى ـ مبني على فكرة استبداد صاحب الحق بما يزعمه من حقه الذي يملكه ، والقوانين الوضعية ـ في مجملها ـ تعتبر حق الفرد حقا طبيعيا له ، فهي تعمل على حمايته له ، وتمكينه من الانتفاع به على

ما يشاء ما دام يتصرف بزعمه فى خالص حقه • وبهذا الاطلاق فى استعمال « الحق » ضاعت بعض حقوق الغير ، والحيوان من جملة هذا الغير ايضا.

أعود الى موضـــوعنا فاقول : فى عام ١٨٢٤ تاسست فى انجلترا اول جمعية للرفق بالحيوان ، ثم انتشر هذا التقليد بعد ذلك فى كثير من اقطار الارض ، فقامت هنا وهناك جمعيات تهدف الى الرفق بالحيوان عند المصاحبة ، والاحسان اليه فى المعاملة ، والتلطف معه فى السلوك •

غير ان هذه الجمعيات جميعا انما تقوم على اسس اخلاقية صرفة ، وقواعد انسانية عامة ، ليس لها اساس من القواعد التشريعية ، او القوانين الملزمة، وليس لها خلفية فقهية تنظم مسائلها . وتوضح حدودها المتعلقة بحفظ حقوق الحيوان المتعاون مع الانسان فى هذه الحيـــاة • ومن هنا بقيت هذه الجمعيات ذات صفة طوعية اختيارية ، وهى لذلك لا ترتب ثوابا لممتثل، ولا توجب عقابا على مخالف• فماذا فعلت الشريعة الاسلامية فى هذا الصدد ؟

الرفق مبدأ اسلامى

يعتمد الاسلام مبدأ الرفق بصورة عامة فى جميع شؤون الحياة ، فيجعل منه سمـة تميز المؤمن ، وعنصرا يقوى الايمان ، وفضيلة تزين العمل • وفى ذلك يقول رسول الله من حديث عائشة عند البخارى ومسلم : « ان الله رفيق يحب الرفق فى الامر كله » وفى رواية مسلم : « ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على سواه » وروى مسلم بسنده عن عائشة : « ان الرفق لا يكون فى شىء الا زانه ، ولا ينزع من شىء الا شانه » •

وعن جرير بن عبد الله أن النبى قال : « ان الله عز وجل ليعطى على الرفق ما لا يعطى على الخرق ، واذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق ، ما من اهل بيت يحرمون الرفق الا حرموا الخير » رواه الطبرانى ، ورواه مسلم وابو داود مختصرا •

وعن ابى الدرداء ان رسول الله قال : « من اعطى حظه من الرفق فقد اعطى حظه من الخير ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح •

وروى عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله قال : « الرفق يمن ، والخرق شؤم » رواه الطبرانى فى الاوسط • والاحاديث فى ذلك كثيرة متوافرة سقنا بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر • وكلها تنص على ان الرفق مبـدأ اسلامى يبنى عليه التشريع الاسلامى قواعده واصوله •

نظرة الاسلام الى الحيوان

ينظر الاسلام الى عالم الحيوان اجمالا نظرة واقعية ترتكز على اهميته فى الحياة ، ونفعـه للانسان ، وتعاونه معه فى عمارة الكون واستمرار الحياة • ومن هنا كان الحيوان ملء السمع والبصر فى كثير من مجالات الفكر والتشريع الاسلامى • ولا ادل على ذلك من ان عدة سـور فى القرآن الكريم وضعت لها العناوين من اسماء الحيوان مثل سورة البقرة ، والانعام ، والنحل ، والنمل ، والعنكبوت ، والفيل •

ويعود القرآن بعد ذلكلينص علىتكريم الحيوان، وبيان مكانته ، وتحديد موقعه الى جانب الانسان فبعد ان بين الله – فى سورة « النحل » – قدرته فى خلق السموات والارض ، وقدرته فى خلق الانسان ، أردف ذلك بقوله : « والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشـق الانفس ان ربكم لرؤوف رحيم ، والخيل والبغـال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون » •

وقد استنبط الفقهاء والمفسرون من هذه الآيات الاربع من سورة النحل ما يلى :

اولا : ان الحيوان شديد الارتباط بالانسان ، وثيق الصلة به ، قريب الموقع منه ، ومن هنا كان للحيوان على الانسان حرمة وذمام (القرطبى ١٠/ ٦٩) •

ثانيا : ان اشرف الاجسام الموجودة فى العالم السفلى– بعد الانسان– سائر الحيوانات لاختصاصها بالقوى الشريفة وهى الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب (الرازى ٢٢٧/١٩) •

ثالثا : ان الله – سبحانه قصد بهذه الآيات ان يبتعد بالانسان عن ان ينظر الى الحيوان نظرة ضيقة لا تتعلق الا بالجانب المادى المتعلق بالاكل والنقل واللباس والدفء ، فوسـع نظرته اليه مشيرا الى ان للحيوان جانبا معنويا ، وصفـات جمالية تقتضى الرفق به فى المعاملة ، والاحسان

اليه في المصاحبة ، والاقبال عليه بحب واعتزاز ، فقال : « ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » وقال : « لتركبوها وزينة » قال الرازي (٢٢٨/١٩) : واعلم ان وجه التجمل بها ، ان الراعي اذا روحها بالعشي وسرحها بالغداة تزينت ـ عند تلك الاراحة والتسريح ـ الافنية ، وتجاوب فيها الثغاء والرغاء ، وفرحت اربابها ، وعظم وقعهم عند الناس بسبب كونهم مالكين لها » .

وقال القرطبي (٧٠/١٠) : « وجمال الانعام والدواب من جمال الخلقة ، وهو مرئي بابصار موافق للبصائر،ومن جمالها : كثرتها وقول الناس اذا راوها : هذه نعم فلان ، ولانها اذا راحت توفر حسنها ، وعظم شانها ، وتعلقت القلوب بها » .

رابعا : ان ذكر بعض الحيوانات باسمائها في هذه الآيات لا يعني ان غيرها ليس كذلك . بل انه ذكرها على سبيل المثال لا الحصر بدليل قوله : « ويخلق ما لا تعلمون » .

ويقول الرازي في تفسير ذلك (٢٣١/١٩) : لان انواعها واصنافها واقسامها كثيرة خارجة عن الحد والاحصاء فكان احسن الاحوال ذكرها على سبيل الاجمال كما ذكر الله تعالى في هذه الآية ».

ثناء الاسلام على بعض الحيوانات

وقد اناط الاسلام وجوب الاحسان الى بعض الحيوانات بمنافعه المعنوية وصفاته الحميدة ، فاوجب الرفق به ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر ، انه (ص) قال : « الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة » ووقع في رواية ابن ادريس عن حصين في هذا الحديث من الزيادة قوله (ص) : « والابل عز لاهلها ، والغنم بركة » اخرجه البرقاني في مستخرجه ، ونبه عليه الحميدي ، ونقله ابن حجر (فتح الباري ٣٩٥/٦) .

وروى النسائي عن زيد بن خالد الجهني عن رسول الله قوله : «لا تسبوا الديك فانه يوقظ للصلاة» رواه ابو داود ايضا وابن حبان في صحيحه ، الا انه قال : « فانه يدعو للصلاة » على ما نقلـه المنذري (١٣٣/٥) .

الرفق بالحيوان عبادة لله

توافرت النصوص على ان الاحسان الى الحيوان والرفق به عبادة من العبادات التي قد تصل ـ في بعض الاحيان ـ الى اعلى درجات الاجر واقوى اسباب المغفرة . ومن ذلك حديث ابي هريرة عن رسول الله (ص) : « بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه الحر ، فوجد بئرا ، فنزل فيها فشرب ، ثم خرج . فاذا كلب يلهث ياكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني ، فنزل البئر فملا خفه ماء ، ثم امسكه بفيه حتى رقي ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ،قالوا : يا رسول الله ان لنا في البهائم اجرا ؟ فقال : في كل كبد رطبة أجر » رواه مالك ، والبخاري ، ومسلم ، وابو داود ، وابن حبان في صحيحه الا انه قال : « فشكر الله له فادخله الجنة » .

واخرج مسلم عن ابي بكر بن ابي شيبة يسنده الى ابي هريرة ، ان رسول الله (ص) قال : « ان امراة بغيا رات كلبا في يوم حار يطيف ببئر قد ادلع لسانه من العطش فنزعت له بموقها ـ أي استقت له بخفها ـ فغفر لها » .

فقد غفر الله لهذه البغي ذنوبها بسبب ما فعلته من سقي هذا الكلب .

وعن عبد الله بن عمرو أن رجلا جاء الى رسول الله (ص) فقال : اني انزع في حوضي حتى اذا ملاته لابلي ورد علي البعير لغيري فسقيته، فهل لي في ذلك من اجر ؟ فقال رسول الله (ص) : « في كل ذات كبد حراء أجر » رواه احمد ورواته ثقات مشهورون .

وعن محمود بن الربيع ان سراقة بن جعشم قال : يا رسول الله ان الضالة ترد على حوضي فهل لي فيها من اجر ، ان سقيتها ؟ قال : « اسقها ، فان في كل ذات كبد حراء أجرا » رواه ابن حبان في صحيحه ، ورواه ابن ماجه والبيهقي .

واخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسلمة من حديث أبي هريرة ان رسول الله (ص) قال : « الخيل لثلاثة : لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر . فاما الذي له اجر ، فرجل ربطها في سبيل الله فاطال في مرج او روضة فما اصابت في طيلها ذلك من المرج او الروضة كانت له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفا او شرفين كانت اروائها واثارها حسنات له ،ولو انها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقيها كان ذلك حسنات له .. الحديث » .

الاساءة للحيوان معصـية لله

وبنفس القدر الذى أوصلت الشريعة الاسلامية به الاحسان الى الحيوان والرفق به الى أعلى درجات العبادة ، اوصلت الاساءة للحيوان وتعذيبه الى اعمق دركات الاثم والمعصية ، وفى ذلك يقول رسول الله (ص) على ما اخرجه البخارى ومسلم: « عذبت امراة فى هرة ، لم تطعمها ولم تسقها ، ولم تتركهـا تاكل من خشـاش الارض » وروى البخارى بسنده الى اسماء بنت ابى بكر ان النبى (ص) قال : « ودنت منى النار حتى قلت : أى رب وانا معهم ، فاذا امراة ــ حسبت انه قال : تخدشها هرة ــ قلت : ماشان هذه؟ قالوا :حبستها حتى ماتت جوعا » قال النووى فى شرح هذا الحديث عن مسلم (٨٩/٩) : ان المراة كانت مسلمة وانها دخلت النار بسببها وهذه المعصية ليست صغيرة بل صارت باصرارها كبيرة » •

وقد حرم الاسلام تعذيب الحيوان ولعن المخالفين على مخالفتهم • فقد روى مسلم بسنده الى ابن عباس ، ان النبى (ص) مر على حمار قد وسم فى وجهه فقال: « لعن الله الذى وسمه » وفى رواية له : « نهى رسول الله (ص) عن الضرب فى الوجه وعن الوسم فى الوجه » • ورواه الطبرانى باسناد جيد مختصرا : « ان رسول الله (ص) لعن من يسم فى الوجه » وروى الطبرانى ايضا عن جنادة بن جراد أحد بنى غيلان بن جاوة قال: اتيت النبى (ص) بابل قد وسمتها فى انفها ، فقال رسول الله « يا جنادة فما وجدت عضوا تسمه الا فى الوجه أما ان امامك القصاص » فقال : امرها اليك يا رسول الله •

وعن جابر بن عبد الله قال : مر حمار برسول الله (ص) قد كوى وجهه يفور منخراه من دم ، فقال رسول الله (ص) : « لعن الله من فعل هذا » « ثم نهى عن الكى فى الوجه والضرب فى الوجه » رواه الترمذى مختصرا وصححه• والاحاديث فى النهى عن الكى فى الوجه كثيرة • وقد حرمت الشريعة الاسلامية تصبير البهائم ــ أى ان تحبس لترمى حتى تموت ــ كما حرمت المثلة ــ وهى قطع اطراف الحيوان ــ فقد روى عن ابن عمر أنه قال : « نهى النبى (ص) عن أن تصبر بهيمة او غيرها للقتل » • واخرج البخارى ومسلم الى عبد الله ابن عمر انه قال : « لعن النبى (ص) من مثل بالحيوان » قال العسقلانى فى شرح صحيح البخارى (٢٨٤/٨) : « واللعن من دلائل التحريم كمالا يخفى » وقال العقيلى : « جاء فى النهى عن صبر البهيمة احاديث جياد « وقال ابن حجر (فتح البارى ٦٥/١٢) : « وفى هذه الاحاديث تحريم تعذيب الحيوان » والتحريم يقتضى العقاب ، والعقاب أثر من آثار الجريمة • وهذا يعنى : ان الاساءة الى الحيوان وتعذيبه وعدم الرفق به يعتبر جريمة فى نظر الشريعة الاسلامية ــ وورد النهى عن خصاء البهائم كما جاء فى شرح معانى الاثار للطحاوى من حديث عبد الله بن عمر ان رسول الله (ص) نهى أن يخصى الابل والبقر والغنم والخيل ،واذا دعت الضرورة الى ذلك فى الحيوان الذى يخشى عضاضه ووجد طريق آخر لمنع آذاه من غير طريق الخصاء ، فانه لا خلاف فى منع الخصاء حينئذ ، لانه تعذيب •

تحريم انواع من التصرفات مع الحيوان

من الغنون التى تشيع هنا وهناك ما لا يتم الا بتعذيب الحيـوان باغراء بعضـه على بعض وتهييجه ، كمصارعة الثيران ، ومصارعة الديكة ، والكباش ونحو ذلك ، او نصبه غرضا للرماية والصيد او قتله بدون فائدة ، ولا منفعة • او ارهاقه بالعمل الشاق وقد اعتبرت الشريعة الاسلامية ذلك من الفعل المحرم الذى يستحق العقوبة • فقد روى عن ابن عباس قال : « نهى رسول الله (ص) عن التحريش بين البهائم » رواه ابو داود والترمذى متصلا ومرسلا عن مجاهد وقال فى المرسل : هو اصح •

وروى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب عن ابيه قال : « كنا مع النبى (ص) فى سفر ، فانطلق لحاجته ، فراينا حمّرة معها فرخان، فاخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تعرش، فلما جاء رسول الله قال:« من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها اليها » وعن الشريد قال : « سمعت رسول الله (ص) يقول : « من قتل عصفورا عبثا عج الى الله يوم القيامة يقول : يا رب ان فلانا قتلنى عبثا ولم يقتلنى منفعة » رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه • وعن ابن عمر انه مر بفتيان من

قريش قد نصبوا طيرا او دجاجة ـ يترامونها ، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم ، فلما راوا ابن عمر تفرقوا ، فقال ابن عمر : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ، ان رسول الله (ص) لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا » رواه البخاري ومسلم ·

قال الصنعاني في سبل السلام (٨٦/٤) بعد ان اورد هذا الحديث بلفظ مسلم : « الحديث نهي عن جعل الحيوان هدفا يرمى اليه ، والنهي للتحريم لانه اصله ، ويؤيده قوة حديث « لعن الله من فعل هذا » ووجه حكمة النهي ان فيه ايلاما للحيوان » ·

ومن الرفق بالحيوان تجنيب اذيته في بدنه ولطمه على وجهه ، فقد روى عن المقداد بن معد يكرب قال : سمعت رسول الله (ص) ينهى عن لطم خدود الدواب » وفي صحيح مسلم : ان امراة كانت على ناقة فضجرت فلعنتها فسمع ذلك رسول الله (ص) فامر باعراء الناقة مما عليها وارسالها، عقوبة لصاحبتها ·

تحريم التعسف في استعمال الحق مع الحيوان

اذا كان الله ـ سبحانه ـ قد اجاز للانسان ان يستعمل حقه في الانتفاع بالحيوان ، فانه اشترط لذلك ان يتم على الوجه المشروع ، فان كان فيه شيء من التعسف فقد ورد النهي عنه في نصوص كثيرة ومن ذلك ما يلي : ـ

ـ التعسف في استعمال حق الذبح

لقد جعل الاسلام من حق الانسان ان يذبح الحيوان الماكول للاستمتاع بالطيب من لحمه ، ولكنه امر بالاحسان في ذبحه ، فقال رسول الله (ص) : « واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحه ، وليحد احدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » وقد وضع فقهاء الاسلام آدابا لذبح الحيوان الماكول اقتباسا مما جاء في الرفق بالحيوان من اصول ، فقال امير المؤمنين عمر : « من الاحسان للذبيحة ان لا تجر الذبيحة الى من يذبحها »

وقال ربيعة الراى : « من الاحسان ان لا تذبح ذبيحة واخرى تنظر اليها » ونص الفقهاء على انه على الذابح ان لا يحد شفرته امام الذبيحة ،وان لا يصرعها بعنف ·فعن ابن عباس ان رجلا اضجع شاة وهو يحد شفرته ، فقال النبي (ص) : « اتريد آن تميتها موتتين ؟ هلا احددت شفرتك قبل ان تضجعها ؟ » رواه الطبراني في الكبير والاوسط ، والحاكم واللفظ له ، وقال : صحيح على شرط البخاري · وعن معاوية بن مرة عن أبيه ان رجلا قال : يارسول الله ، انى لارحم الشاة ان اذبحها ،فقال : « ان رحمتها رحمك الله » رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد ·

وعن الوضين بن عطاء قال : ان جزارا فتح بابا على شاة ليذبحها ، فانفلتت منه فاتبعها ، فاخذ يسحبها برجلها فقال رسول الله « يا جزار ، سقها سوقا رفيقا » رواه عبد الرزاق في مصنفه ·وعن ابن سيرين ان عمر ـ راى رجلا يسحب شاة برجلها ليذبحها فقال له : « ويلك قدها الى الموت قودا جميلا » رواه عبد الرزاق ايضا ·

ـ التعسف في استعمال حق القتل

اذن الاسلام في قتل الحيوان المؤذى ، كالكلب العقور ، والافعى السام ، والفار المخرب ، وما اشبه ذلك غير انه امر بالاحسان في قتله ، فقال رسول الله (ص) : « ان الله كتب الاحسان في كل شيء فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة » والمعروف ان القتل يستعمل للحيوان الذى لا يؤكل على خلاف الذبح الذى يستعمل للحيوان الماكول · وعن ابن مسعود قال كنا مع رسول الله (ص) في سفر فراى قرية نمل قد حرقناها فقال : « من حرق هذه ؟ » قلنا : نحن قال : « انه لا ينبغي ان يعذب بالنار الا رب العالمين » رواه ابو داود وقد امر رسول الله بقتل « الوزغ » وهو الكبار من افعى وسام ابرص ، الا انه امر بالاحسان في قتله وذلك بقتله بضربة واحدة دون تعذيبه بضربات متعددة ، فعن ابى هريرة قال : قال رسول الله (ص) من قتل وزغة في اول ضربة فله كذا وكذا حسنة ، ومن قتلها في الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة لدون الاولى وان قتلها في الضربة الثالثة فله كذا وكذا حسنة لدون الثانية » رواه مسلم ، وابو داود ، والترمذى وابن ماجة · وفي رواية لمسلم « من قتل وزغا في اول ضربة كتبت له مائة حسنة ، وفي الثانية دون ذلك وفي الثالثة دون ذلك » ·

وفي حديث سقيا الكلب الذى يلهث ، قال المفسرون : فيه دلالة على وجوب الاحسان الى

الحيوان المؤذي المامور بقتله ، فقد امر الاسلام بقتل الكلب العقور الا انه اثاب من سقاه من البئر باعلى درجات الثواب فادخله الجنة فلا تعارض بين الامر بقتله والامر بالاحسان اليه ، امتثالا لحديث : « واذا قتلتم فاحسنوا القتلة » ·

ـ التعسف في استعمال حق الركوب

سخر الله الحيوان لنقل الانسان منمكان الى مكان، كما جاء في قوله تعالى : « لتركبوها وزينة » غير ان هذا الحق ليس مطلقا ، وانما قيدته الشريعة الاسلامية بقيود ترتكز كلها على اصل الرفق بالحيوان والاحسان اليه ومراعاة حقوقه ·

ومن حقوق الحيوان في ذلك :

١ ـ أن تتاح له فرصة الرعي والاستراحة في السفر الطويل · فقد اخرج البخاري ومسلم من طرق متعددة بالسند الى أبي هريرة ان رسول الله (ص) قال : « اذا سافرتم في الخصب فاعطوا الابل حظها من الارض » قال النووي في شرح هذا الحديث عند مسلم (١٢٨/٨) : « ومعنى الحديث الحث على الرفق بالدواب ، ومراعاة مصلحتها ، فان سافروا في الخصب قللوا السير وتركوها ترعى في بعض النهار وفي اثناء السير ، فتاخذ حظها من الارض بما ترعاه منها » · وقد جاء في أول هذا الحديث من رواية مالك : « أن الله رفيق يحب الرفق »

٢ ـ ومن حق الدابة المعدة للركوب أن لا يركب عليها ثلاثة في آن واحد · فقد أخرج الطبراني في الاوسط عن جابر قال: « نهى رسول الله (ص) ان يركب ثلاثة على دابة » وفي رواية أبي سعيد: « لا يركب الدابة فوق اثنين » واخرج ابن أبي شيبة من مرسل زاذان : إنه راى ثلاثة على بغل، فقال : « لينزل احدكم ، فان رسول الله (ص) لعن الثالث » واخرج الطبراني عن علي ، قال : « اذا رأيتم ثلاثة على دابة فارجموهم حتى ينزل احدهم » وقد حمل الفقهاء هذه النصوص على ما اذا كانت الدابة غير مطيقة للثلاثة ، فان اطاقتهم جاز · قال ابن حجر في فتح البارى (٥٢٠/١٢): « يحمل ما ورد في الزجر عن ذلك على ما اذا كانت الدابة غير مطيقة كالحمار مثلا ، وعكسه على عكسه كالناقة والبغلة » · وقال النووى في شرح مسلم (١٣٥/٩) : « مذهبنا ومذهب العلماء كافة جواز ركوب ثلاثة على دابة اذا كانت مطيقة » وحكى القاضي عياض منعه عن بعضهم مطلقا · وقال ابن حجر : « لم يصرح أحد بالجواز مع العجز » ·

٣ ـ ومن المحرم في الشريعة الاسلامية : وقوف الراكب على الدابة وقوفا يؤلمها ، فقد ورد في سنن أبي داود ان رسول الله (ص) قال : « اياكم ان تتخذوا ظهور دوابكم منابر ، فان الله انما سخرها لكم لتبلغكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس » ·

٤ ـ ولا يجوز الركوب على مالم يخلق للركوب كالبقرة ، قال القاضي ابو بكر بن العربي : « لا خلاف في ان البقر لا يجوز ان يحمل عليها ، وذهب كثير من اهل العلم الى ان المنع من ركوبها نظرا الى انها لا تقوى على الركوب ، انما ينتفع بها فيما تطيقه من نحو اثارة الارض وسقي الحرث »

٥ ـ ولا يجوز ان يكون مقود الدابة ضارا بها· فقد ورد في الصحيح : ان رسول الله (ص) قال: « لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر الا قطعت » فذهب بعض اهل العلم في فهم الحديث مذهب الرحمة بالحيوان وقال : انه امر بقطع القلائد من اعناق الدواب مخافة اختناق الدابة بها عند شدة الركض لانها تضيق عليها نفسها ، وكراهة ان تتعلق بشجرة فتخنقها او تعوقها عن المضي في سيرها ·

ـ التعسف في استعمال حق التحميل

وحرمت الشريعة الاسلامية الاساءة الى الحيوان بتحميله من الاثقال ما لا يطيق ، وكان الصحابة الكرام يعرفون ان من حمل دابة ما لا تطيق حوسب على ذلك يوم القيامة · فقد روى عن أبي الدرداء انه قال لبعير له عند الموت « يا ايها البعير لا تخاصمني عند ربك ، فاني لم اكن احملك فوق طاقتك » · وعن عبد الله بن جعفر قال : أردفني رسول الله (ص) خلفه ذات يوم ··· فدخل حائطا ـ أي بستانا ـ لرجل من الانصار ، فاذا فيه جمل فلما راى النبي (ص) حن وذرفت عيناه ، فاتاه رسول الله (ص) فمسح ذفراه فسكت . فقال : « من رب هذا الجمل ؟ لمن هذا الجمل ؟ » فجاء فتى من الانصار، فقال : لي يارسول الله . فقال: « افلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها ، فانه شكا الي انك تجيعه وتدئبه » أي تعمل عليه عملا متواصلا . رواه احمد وابو داود·

وروى احمد ايضا من حديث طويل عن يعلى بن مرة قال فيه : وكنت عنده ـ اى مع النبى ـ جالسا ذات يوم ، اذ جاءه جمل يخب حتى صوب بجرانه بين يديه ثم ذرفت عيناه فقال: « ويحك انظر لمن هذا الجمل؟ ان له لشانا» قال فخرجت التمس صاحبه، فوجدته لرجل من الانصار ،فدعوته اليه ،فقال:«ما شان جملك هذا ؟ » فقال وماشانه ؟ لا ادرى والله ما شانه ؟ عملنا عليه ، ونضحنا عليه حتى عجز عن السقاية ، فائتمرنا البارحة ان ننحره ونقسم لحمه ، قال : « فلا تفعل ، هبه لى أو بعنيه » وعن سهل بن الحنظلية قال : مر رسول الله (ص) ببعير قد لصق ظهره ببطنه فقال: « اتقوا الله فى هذه البهائم فاركبوها صالحة ... » رواه ابو داود وابن خزيمة ، الا انه قال : «قد لحق ظهره» واذا كانت الشريعة قد حرمت ركوب مالم يخلق للركوب من الحيوان ، فقد حرمت ايضا ان يحمل على مالم يخلق للعمل منه كالبقر مثلا . ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله (ص) : « بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها التفتت اليه البقرة فقالت انى لم اخلق لهذا ولكنى انما خلقت للحرث » قال القرطبى فى الجامع (٧٢/١٠) معقبا : « فدل هذا الحديث على ان البقرة لا يحمل عليها ولا تركب » ويقول ايضا ـ فى تفسير قوله تعالى : « وتحمل اثقالكم » : « فى هذه الآية دليل على جواز السفر بالدواب وحمل الاثقال عليها ، ولكن على قدر ما تحتمله من غير اسراف فى الحمل مع الرفق فى السير » .

وروى ابو داود بسنده الى المسيب بن آدم قال : رايت عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ يضرب جمالا وقال « تحمل على بعيرك ما لا يطيق ؟ » .

احكام فقهية تحدد حقوق الحيوان

كتب الفقه الاسلامى طافحة بالاحكام المتعلقة بالحفاظ على حقوق الحيوان وهى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها فى هذه المقالة الموجزة . ومن ذلك ما قرره الفقهاء من وجوب القيام على سقى الدابة واطعامها ،واذا قصر مالك الحيوان فى ذلك أجبره القضاء عليه ، فان لم يقم للدابة بما يجب عليه من حسن تغذيتها وسقيها : باعها القاضى ولم يتركها تحت يد صاحبها تقاسى .

ويقول القاضى ابو يعلى فى كتابه (الاحكام السلطانية ص ٣٠٥) واذا كان فى ارباب المواشى من يستعملها فيما لا تطيق الدوام عليه انكره المحتسب عليه ، ومنعه منه وان لم يكن فيه مستعد ـ اى مخاصم ـ اليه ، فان ادعى المالك احتمال الدابة لما يستعملها فيه جاز للمحتسب ان يفكر فيه، لانه وان افتقر الى اجتهاد فهو عرفى يرجع فيه الى عرف الناس وعادتهم وليس باجتهاد شرعى » وفى الفتاوى البزازية (٣٧٠/٦) ما نصه : « المختار ان النملة اذا ابتدات بالاذى لا باس بقتلها والا يكره ، والقاؤها فى الماء يكره مطلقا » لانه تعذيب لا مبرر له . « وقتل القملة لا يكره ، واحراقها واحراق العقرب بالنار يكره » والهرة اذا كانت مؤذية لا تضرب ولا تعرك اذنها بل تذبح بسكين حاد.

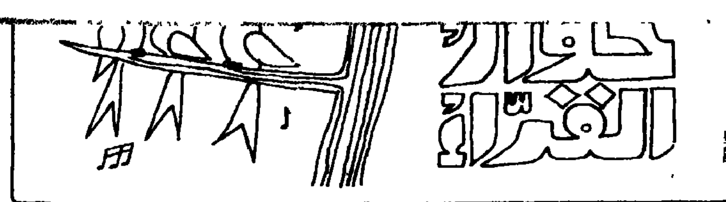
ويقول النويرى فى نهاية الارب (٩ / ٢٥٨) : « وسمعوا بعض المفسرين يقول فى قوله ـ عز وجل ـ : « والذين فى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ان المحروم هو : الكلب » وقال الصنعانى فى سبل السلام (٢٣٢/١) بعد حديث المرأة التى دخلت النار فى هرة حبستها : « والحديث دليل على تحريم قتل الهرة لانه لاعذاب الا على فعل محرم » ومثل هذه الاحكام فى كتب الفقه الاسلامى لا حصر لها .

هذا وقد بلغ المسلمون فى الرفق بالحيوان حدا يكاد يكون متطرفا ،حتى أن عدى بن حاتم كان يفت الخبز للنمل ويقول : انهن جارات ولهن حق ،كما رواه النووى فى تهذيب الاسماء . وكان الامام ابو اسحاق الشيرازى يمشى فى طريق يرافقه فيه بعض اصحابه ، فعرض لهما كلب فزجره رفيق الامام ابى اسحاق ، فنهاه الامام وقال : اما علمت ان الطريق بينى وبينه مشترك . وامثال ذلك فى تراثنا كثير . وكان الدافع الى ذلك هو الرغبة الشديدة فى تطبيق احكام الشريعة الاسلامية نصا وروحا .

واخيرا نقول : ان شريعة فيها من ضمان حقوق الحيوان ما ذكرنا بعضه القليل ، ماذا يمكن أن تشرع للانسان من حقوق ؟ ■■

بغداد ـ احمد عبيد الكبيسى

استاذ مساعد فى كلية القانون والسياسة بجامعة بغداد



رسالة الشهر

قصة المال العربي الحائر

انا مهندس عربي من ابناء الجزيرة العربية اعمل في قطر آخر في نفس الجزيرة العربية ، وقد تجمع لدى فائض من المال ، فكرت في استثماره في وطني الا انني لا استطيع ذلك ، فانظمة بلدي ضد استثمار القطاع الخاص ٠٠لذلك فكرت في استثماره في البلد الذي اعمل فيه ٠٠ ولكن هذا البلد الشقيق لـه انظمة خاصة تمنع استثمار اموال غير المواطن بأى شكل من الاشكال ٠٠ ولو كان عربيا ٠٠وهذه ليست حالتي وانما حالة عشرات الالاف من العرب الذين تتوفر لديهم اموال فائضة ولا يجدون منفذا لاستثمارها ٠٠

اخبرت زميلا امريكيا لي في العمل بالقصة٠٠فوجئت بانه احضر في اليوم التالي مجموعة نشرات امريكية تشرح فرص الاستثمار في الولايات المتحدة ، وهي فرص متعددة لكل راغب ، بصرف النظر عن الجنس او اللغة او اللون ٠٠ وباسلوب دعائي شديد الاغراء ٠٠ انهم يحولون جمود الاموال الى حركة وانتاج ٠٠٠ والحركة حياة ، ونحن نكبل اموالنا بالقيود ٠٠ ونطردها الى خارج وطننا الكبير ٠٠٠

الا تحتاج هذه المشكلة الى حل ؟

م٠ن٠ع
مهندس جدة

ضرار بن الأزور

● ذكرتم ان كتب التاريخ اختلفت في مكان وزمان وفاة فارس المخبر ضرار بن الازور ، ورجحتم الراى الذى يقول انه استشهد في معركة « اجنادين » ٠ جاء هذا في مقال الاستاذ احمد عادل كمال في العدد ٢١٩ من « العربي » ٠

والذى ارجحه ان ضرار بن الازور استشهد في معركة اليرموك ٠٠ ويدل ذلك ضريحه الكائن في بلدة ضرار التى سميت باسمه والواقعة في شمال الاردن عند مصب نهر اليرموك الى جانب ابو عبيدة وشرحبيل ٠٠ وهؤلا ـ كما تعلم ـ كانو قادة معركة اليرموك ٠

جازى احمد/ناعور/الاردن

خطأ مطبعي

● جا في مقال الدكتور محمد احمد خلف الله المنشور في العدد رقم ٢٢١ تحت عنوان الى الذين يرفضون التغيير قائلين : حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، قوله في القرآن الكريم (قل انني هداني ربي الى دين قيم ملة ابيكم ابراهيم حنيفا هو الذى سماكم مسلمين)

ولا شك ان خطأ مطبعيا قد حدث ٠٠ فالاية الصحيحة هي : « قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » ٠

حمدى المبجى
دمشق/سوريا



الامانة ... الامانة

● قرات فى عدد مايو/٧٧ من مجلة « العربى » مقالا عن« قرة العين »للسيد حسين علي الجبورى.. وقد دهشت حين وجدت المقال برمته منقولا عن كتاب « لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث» ــ الفصل الخامس ــ الجزء الثانى للدكتور على الوردى ..

احببت ان انبهكم لهذا الامر رعاية للامانة العلمية ...

غانم محمد/بغداد

● المقال المنشور فى عدد مايو/٧٧ عن « قرة العين » منقول عن كتاب الدكتور علي الوردى الذى اجهد نفسه كثيرا فى ترجمته لسيرة « قرة العين » .. ومن العيب ان ينسب الفضل لغير اهله ..

طه احمد عباس/المملوحة/العراق

اعمل لدنياك

● نشرتم فى عدد مايو/٧٧ نص الحكمة المشهورة (اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا ، واعمل لاخرتك كانك تموت غدا) بحسبانها لعبدالله بن عمرو ابن العاص .. والذى اعرفه ان قائلها هو الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه ..

النجف/العراق مهدى عبد مهدى

« العربى » .. والسوق السوداء

● الى متى سنظل نشترى مجلة « العربى » بسعر السوق السوداء ؟ ..

وعدتمونا منذ اعوام بزيادة المطبوع .. وما زلنا ننتظر منكم الوفاء بوعدكم ..

جمال السعيد/حلب/سوريا

العربى : زدنا الكمية المطبوعة من العربى منذ ثلاثة اشهر .. ونأمل ان نواصل هذه الزيادة مع بداية العام الجديد .

لا تصدقوا :

● تتبعت باهتمام بالغ ردود الفعل العربية والغربية التى اثارها فوز كتلة ليكود فى الانتخابات الاسرائيلية الاخيرة .. فاكتشفت ان الكثيرين منا ما زالوا يجهلون طبيعة الفكر الاسرائيلى ، اذ ان البعض منا ظن ــ اما عن جهل واما بسبب اغراق فىالتفاؤل ــ ان رغبة اسرائيل فى السلام تبدو وشيكة ، وان حزب العمل الذى يقف على رأسه شمعون بيريز سوف يعيد الجانب الاكبر من الاراضى العربية التى احتلت قبل عشر سنوات .

ان المواطن الاسرائيلى العادى وبعد مرور عشر سنوات على حرب ١٩٦٧ اصبح اكثر املا فى ضم الاراضى العربية المحتلة بسبباحساسه ان العربأعجز من ان يستعيدوا هذه الاراضى بالقوة .. وان لجوء العرب الى السلام ليس اكثر من اعلان لهذا العجز ، وان دولته قد بلغت من القوة شاوا بات يحس معه بالامن والطمانينة .

والطفل الاسرائيلى يعبا منذ ولادته بمفاهيم وتعاليم تجعله يفكر بما يفكر به مناحيم بيجن زعيم كتلة ليكود .. وقد قوى هذا الشعور لدى ابسط مواطن اسرائيلى فى المدة الاخيرة ، بعد ان لمس الرغبة القوية لدى العرب بالتسليم بشروط قادته للسلام .. هذه الرغبة التى وصفها وزير خارجية امريكا سايروس فانس عند جولته فى المنطقة بانها بلغتحد الاستماتة.

والكل يعلم ، ان الحكومة الاسرائيلية ــ على عكس اكثر دول العالم ــ تشجع زيادة النسل ، ولتحقيق هذا الهدف سنت منذ سنوات ، قانونا يعطى جائزة مالية لكل أم

عصر الجمال

● الذى اعرفه ان العالم الحديث يعيش ثورة فى وسائل المواصلات .. فمن عابرات للقارات الى اقمار اصطناعية ... ثورة اختزلت المسافات الذى كانت تقف حائلا دون ربط هذا العالم .

هذه الحقيقة اصبحت لدى محل شك ، لان مجلة العربى لم تصلنا منذ ستة اشهر .. ولو كانت وسيلة توزيعها على ظهور الجمال لوصلت .. فالى متى سنظل نحرم من قراءة مجلتنا فى شهر صدورها .. ؟

حمرى محمد/الدار البيضاء/المغرب

ـ ماذا تقول شركة التوزيع ؟

الموهوبون العرب

● لماذا لاتخصص مجلة العربى زاوية لنشر اعمال الموهوبين من الشباب فى مختلف المجالات ؟

اشرف محيى ابراهيم/امبابة/القاهرة

● كل صفحات « العربى » مفتوحة للموهوبين . وانتاجهم الجيد ينشر بغير تردد .

● سجلوا اسمى مع المتقدمين لتدريس اللغة العربية فى جيبوتى .. الاسم هو سالم محمد شعير/دبلوم ثانوى تجارى وعنوانى هو : ادكو ـ ادارة ادكو التعليمية جمهورية مصر العربية .

● لدى رغبة جامحة للذهاب الى جيبوتى متطوعا لتدريس اللغة العربية هناك .. ورغم اننى اعمل مدرسا للعربية فى احدى مدارس مصر ، الا اننى على استعداد لتقديم استقالتى تلبية لنداء الاخوة ..

فؤاد مصطفى التمامى/مصر

فكلهم صقور !

تنجب توأما . وذلك لتملأ الارض التى تقول عنها انها بلا شعب .

والمعركة الانتخابية التى وقعت مؤخرا كشفت القناع عن الكثير من هذه المفاهيم .. فحزب العمل لا يختلف عن حزب ليكود والاحزاب الاخرى ، فى الهدف الذى يسعى اليه .. ولا تصدقوا ما يقال ، فانهم جميعا صقور .

فاليعازر والياهو وبن غوريون وماشى وباريف وديان وابا ايبان ورابين كلهم مؤمنون بما يؤمن به مناحيم بيجين ، ولكن الاسلوب فقط هو الذى يختلف .

ولو قدر للتسوية ان تنضج ، فليس معنى هذا ان اسرائيل ستنصرف عن الهدف الذى تسعى اليه وان تظاهرت بالانصراف .. تحينا لفرصة اخرى تمكنها من تحقيق مرحلة اخرى على الطريق لذلك الهدف . وسيرى العرب ان خطر الابقاء على حالة الحرب بينهم وبين اسرائيل اهون من التصافح معها بسبب المخططات التوسعية والاقتصادية التى تسعى اليها .

واخيرا لست ادرى ان كانت رسالتى هذه ستصلكم ام لا .. والتى تكون بمجموعها صرخة يطلقها اليوم عربى فرضوا عليه الجنسية الاسرائيلية .. ولكنه بقى عربى اللسان والجنان ..

اللهم فاشهد .. انى قد بلغت ..

عربى فلسطينى
من حيفا



عربية لا تركيــــة

● سالني صديق فاضل قائلا : اقرات العددالثاني والعشرين بعد المائتين من مجلة «العربي» الصادر في مايو ٧٧ قلت : لا ٠٠ فما الداعـــيلسؤالك ؟ قال : قرات في هذا العدد مقالا للاستاذ يوسف اليوسف عن الشاعر المرحوم بدر شـــاكرالسياب جاء فيه ان اباه كان قد تزوج بتركيـــة بعد وفاة امه٠٠٠ فاستغربت هذا القول ٠٠ اذ ان ابا بدر بعد وفاة أم بدر السيدة كريمة بنت سياب المرزوق السياب قد تزوج امراة عربية هيالسيدة راذقية بنت علي الناصح ، ومات وهـي في عصمته ، وله منها ولد وبنتان ، وليست هذهاول رواية غير صحيحة تروى عن الشاعر ٠٠ فقد قرانا ما ورد عنه في كتاب الدكتور احســــانعباس، ان مرزوق السياب كان يقص على حفيده بدر والحاضرين احاديث عن الثورة الفرنسية !وعن ايام العرب والعجم ٠٠ الخ ٠ ونحن نقول عن علم ويقين ان جدنا المرحوم مرزوق السيابمات عام ١٩٣٦ وكان طاعنا في السن اذ كان يبلغ من العمر آنذاك مائة وعشرين سنـة ، وكان لايحسن الكتابة والقراءة ولم نسمع نحن الذيـــن نشا بدر بيننا وربي على ايدينا مثل هذا الحديث

عبد الرحمن السياب

ابو الخصيب/البصرة/العراق

العرب وليس همرشولد

● يوم ولدت ٠٠ كان كل الذين حولـــك سعداء ٠٠

وكنت تبكي وحدك ٠٠

اجعل حياتك حافلة بالاعمال الطيبة ٠٠ حتى اذا ما جاءت ساعة رحيلك ، رايت كل الذيـــن حولك يبكون ٠٠ وكنت انت وحدك بلا دموع تذرفها ٠٠

قلتم ان هذه الكلمات وجدت بين اوراق داج همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة الاسبـــق الذي قتل في الكونجو لسقوط طائرته ٠٠ وكان قد ترجمها عن احدى اللغات الاجنبية ٠٠

تستغربون اذا قلت لكم ان هذه الفكرة عربية اصلا ٠٠ وترجمت الى اللغات الاجنبية ، ويتضح هذا من البيتين التاليين :

ولدتـك امـك يـا ابـن آدم بـاكيا
والنـاس حولـك يضحكـون سـرورا

فاحرص على عمل تكون به ـ متـى
يبكون حولك ـ ضـاحكا مسـرورا

عبدالرحمن ابو محمد ـ ابوظبي

● ورد في ص ٦٠ من عدد مايو/٧٧ ، تحت عنوان طرائف اجنبية ، عنوان فرعي هو : « في مواجهة الحياة والموت » ، وذكر الكاتب تحت هذا العنوان كلمات لداج همرشولد ترجمها عن احدى اللغات الاجنبية ، وهو صغير في مدارس السويد الابتدائية ٠

والواقع انكلام همرشولد ترجمة لابيات الشاعر العـربي ٠ ومن المحتمـل ان تكـون الكلمـات منقولة او مترجمة عن الابيات العربية حتى وصلت الى السويد ، وفي هذا طرافة وبيان لاثر الفكر العربي في الفكر الاوروبي ، او ان يكون الامر من قبيل توارد الافكار ، وفي ذلك ايضا طرافة تنشا عن هذا التوارد العجيب في الفكر الانساني٠٠اقول: لو فعل الكاتب ذلك ، لكان فعله اقرب الى نزعة المجلة والروح التي تسري في عروقها ٠٠ ولكانت الطرفة اكمل وامتع ٠٠

عبدالوهاب رشيد/عمان/الاردن

المسرح عند العرب



يفاجئنا الدكتور علي الراعي في هذه الدراسة بحقيقة تذكر لاول مرة ، هي : ان العرب عرفوا المسرح بأشكاله المختلفة منذ قرون • وحتى عهد قريب كان هناك شبه اجماع على ان العرب لم يعرفوا القصة اوالمسرح • ثم ظهرت كتابات كشفت عن دور القصة العربية (حي ابن يقظان والف ليلة وليلة وكليلة ودمنة مثلا) • ومدى تاثر القصة الاوروبية بها ، وبقي باب المسرح مغلقا في التاريخ العربي •

وفي هذه الدراسة يفتح الدكتور الراعي الباب على مصراعيه ليؤكد للجميع بشواهد تاريخية عديدة ان العرب كان عندهم مسرح قديم ، في قصور الخلفاء وفي الساحات والشوارع •

لنتابع اذن ما يقوله الدكتور الراعي •

■ يمكن القول ـ بكثير من الوثوق ـ بان العرب • والشعوب الاسلامية عامة ، قد عرفت اشكالا مختلفة من المسرح ، ومن النشاط المسرحي لقرون طويلة ، قبل منتصف القرن التاسع عشر •

واذا مررنا بسرعة على الطقوس الاجتماعية والدينية التي عرفها العرب في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ، والتي لم تتطور الى فن مسرحي كما حدث في اجزاء اخرى من الارض ، فسنجد ثمة اشارات واضحة على أن المسلمين ايام الخلافة العباسية قد عرفوا شكلا واحدا على الاقل من الاشكال المسرحية المعترف بها ، وهو : مسرح خيال الظل •

واقدم اشارة الى هذه الحقيقة نجدها في كتاب « الديارات » للشابشتي حين يذكر الكاتب ان الشاعر دعبل هدد ابنا لأحد طباخي المامون بانه سيهجوه • فرد الابن بدوره قائلا : « والله ان فعلت لاخرجن امك في الخيال » • اي انه انذره بانه سيوحي الى احد فناني المخايلة باظهار صورة ام دعبل بين الصور الاخرى التي كان يلعب بها امام متفرجيه ـ يظهرها بمظهر يدعو الى السخرية طبعا •

ويذكر الشابشتي في موضع آخر من «الديارات» ان اللعب بخيال الظل كان معروفا على عصره ، وكان يعتمد على الهزل والسخرية والاضحاك •

ويقول الباحث المسرحي شريف خازندار ان الخليفة المتوكل كان اول من ادخل الالعاب والمسليات والموسيقى والرقص في البلاط ، وانه كان يميل الى التهريج والاغاني الهزلية • ومن ثم اصبحت قصور الخلفاء مكانا للتجمع والتبادل الثقافين مع البلدان الاجنبية • وكان ثمة ممثلون ياتون من الشرقين الادنى والاقصى ، ليقدموا تمثيلياتهم في قصور الخلفاء • كما كان المسافرون العائدون من اسفار طويلة يقصون على الخلفاء من اخبار اسفارهم ما يسلي ويدهش •

فن من الواقع

اما العامة من الناس فكانوا يجدون تسليتهم المحببة عند قصاص منتشرين في طرق بغداد ، يقصون عليهم نوادر الاخبار وغرائبها • وكان هناك كثير من المضحكين تفننوا في طرق الهزل ، يخلطونه بتقليد لهجات النازلين ببغداد من الاعراب والخراسانيين والزنوج والفرس والهنود والروم ، او يحاكون العميان • وقد يحاكون الحمير • ومن اشهر هؤلاء في عصر المعتضد : ابن المغازلي ، وكان يتكلم على الطريق ،ويقص على الناس أخبارا ونوادر ومضاحك وكان في نهاية الحذق،وسمع به المعتضد فاحضره، فما زال يذكر له نوادر ، والخليفة متماسك حتى

اخرجه عن طوره ووقاره الى الضحك،فضرب بيده وفحص الارض بقدمه واستلقى من كثرة الضحك وغلبته عليه • (١)

ونحن نعلم من نداء اصدره الخليفه المعتمد يحظر فيه نشاط هؤلاء الفنانين انهم قد كثروا كثرة مفرطة على عهده ، وانهم كانوا يتخذون من المسجد الجامع مقرا لهم يحكون فيه الحكايات بهذه الطريقة التمثيلية الواضحة •

وقد حفظ لنا الجاحظ بعينه الخبيرة صورة دقيقة لفن هؤلاء الحكائين او الممثلين في الواقع ـ ممثلين فوريين يتخذون مادتهم من الواقع مباشرة •

قال الجاحظ : « انا نجد الحاكية من الناس يحكي الفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم ، لا يغادر من ذلك شيئا • وكذلك تكون حكايته للخراساني والاهوازي والزنجي والسندي والاحباش وغير ذلك • حتى تجده كانه اطبع منهم • فاذا حكى كلام « الفافاء » فكانما قد جمعت كل طرفة في كل فافاء في الارض في لسان واحد • وتجده يحكي الاعمى بصور ينشئها لوجهه وعينيه واعضائه لا تكاد تجد من الف اعمى واحدا يجمع ذلك كله ، فكانما قد جمع جميع طرف حركات العميان في اعمى واحد • ولقد كان ابو دبوبة الزنجي مولى آل زياد يقف بباب الكرخ بحضرة المكارين ، فينهق ، فلا يبقى حمار مريض ولا هرم جسيد ولا متعب بهير الا نهق ، وقبل ذلك تسمع (الحمير) نهيق الحمار على الحقيقة فلا تنبعث لذلك ، ولا يتحرك منها متحرك حتى كان ابو دبوبة فيحركها • وقد كان جمع جميع الصور التي تجمع نهيق الحمار فجعلها في نهيق واحد • وكذلك كان في نباح الكلاب » • (٢)

الخليفة مخرجا !

فهؤلاء الحكاءون اذن هم فنانون مسرحيون لاشك فيهم • فنانون من طراز ممتاز ، فلا احد يكتب لهم شيئا ، وانما تلتقط عيونهم الحادة خصائص البشر ، ومعايب الافراد ، فيجمعون هذه الخصائص والمعايب في شخصية كلية او مركبة ، كما يقول النقد الحديث ، ويجعلون منها مادة للفكاهة التي تسر عامة الناس وخاصتهم •

ولنلحظ في هذا السبيل حرص الجاحظ على ان يذكر مرتين ان فن هؤلاء الحاكين كان يفوق الطبيعة • تستجيب الحمير لاصواتهم المقلدة عن طريقهم ، ولا تتحرك لنهيق يصدره حمار حقيقي •• !

كذلك كان الشعب يتسلى في تلك الاوقات البعيدة بفن القراد ، والحواء كما لا يزال يفعل حتى يومنا هذا ، في بعض شوارع المدن العربية وبلدانها وقراها ، واسواقها وموالدها•

ويظهر ان الخليفة المتوكل ، الذي مر بنا ذكره كان يكن ودا خاصا للممثلين واصحاب المساخر والملاعب المضحكة عامة • فما من مناسبة اجتماعية مرت به الا ودعاهم الى اللعب امامه • ولما انتهى من بناء قصره الجعفري ، استدعى اصحاب الملاهي ومنحهم ـ بعد الحفل ـ مليونين من الدراهم !

بل انه اشتغل بالاخراج المسرحي ، ذات مرة شرب فيها في قصره المسمى « البركوار » ، فقال لندمائه : اريد ان اقيم احتفالا بالورود • ولم يكن ذلك اوانها فقالوا له : ليست هذه ايام ورد • ولكن الخليفة الفنان لم يقف حائرا امام هذه العقبة الهينة ، فامر بسك خمسة ملايين درهم من الوزن الخفيف وطلب ان تصبغ بالالوان : الاسود والاصفر والاحمر ، وان يترك بعضها على لونه الاصلي • ثم انتظر حتى كان يوم فيه ريح ، فامر ان تنصب قبة لها اربعون بابا ، فاصطبح فيها والندماء حوله ، وعلى الخدم كسوة جديدة • وامر المتوكل اذ ذاك بنثر الدراهم كما ينثر الورد ، فكانت الريح تحملها لخفتها ، فتتطاير في الهواء كما يتطاير الورد ••• !

وبهذا تم للخليفة : الفنان والمخرج المسرحي ما اراد !

ومما يحكيه ابن خلدون عن الرقص في العصر

---

١ ـ العصر العباسي الاول والعصر العباسي الثاني الدكتور شوقي ضيف •

٢ ـ قيان بغداد : عبد الكريم العلاف •

الدار مكانا للعروض الغنائية بالمعنى الحديث حتى ولو غاب عنها عنصر الاتجار بالفن .

اما الدور التي لاشك في انها كانت ملاهي تجارية بالمعنى العصري فهي الحانات التي كان يقصدها افراد من الطبقة الوسطى وبينهم الشعراء ، وفيها يدور الشراب ويسمع الغناء ، ويجري الرقص في غيبة من القانون او باغماض للطرف منه .

ولعل اطرف هذه الدور واقربها الى مفهوم الملهى العصري تلك التي اسسها واحد من المقربين الى الخليفة المتوكل ، اذ اقام حانة فخمة قصر الحضور اليها على ذوي اليسار والقادة وابناء البيوتات ، واعد فيها كل ما يلزم للشراب ، وعهد في ادارتها الى يهودي قدير ، عرف كيف يصرف عنها انظار رجال الشرطة .

ثم اصبحت هذه الدار مثلا احتذاه بعض الخلفاء العباسيين ، مثل الخليفة الواثق الذي كان يحب الحانات ويسعى الى رفع مستواها ، فاتخذ لنفسه اثنتين منها ، الاولى في دار حرمه ، والاخرى على حافة شط دجلة ضمن ضيافته .

وبعد ان اثث الواثق حانتيه ، اختار لهما ادارة قادرة : رجلا نصرانيا خبيرا بامور الحانات، له ابنان نظيفان مليحان ، وابنتان ظريفتان حسناوان ، وزوجة لا تنقصها الدراية ، فجعل النساء في الحرم ، والرجال في دار الضيافة ، وضم اليهم خدما وجواري ، ونقل اليهما احسن الشراب المعتق ، وامر ان تعلق الستور الموشاة بالذهب في الحانتين ، وامر باحضار أحسن القيان البارعات في الغناء ، ولم يدع احدا يحسن الضرب على العود والطنبور الا واحضره ، وبرز الخمار مع زوجته واولاده وفي اوساطهم الزنانير ، ومعهم غلمان يحملون المكاييل والاوزان والمبازل في اطباق من الفضة ، واخرجت الدنان من مكمنها ، قد طينت رؤوسها تطيينا نظيفا يعبق منه المسك والزعفران ، واقيمت بازاء المجلس الذي كان جالسا به الخليفة ، وبزلت ، اي ثقبت الدنان ، كما هو الحال في الحانات ، واتي بالنماذج ليتذوقها الخليفة اولا ، ثم تعرض على الجلساء فيختار كل منهم ما يشتهيه .

ويامر الخليفة ان تجعل على رؤوس الحاضرين اكاليل من الزهور والريحان ، ثم ياخذ الحضور يشربون على غناء القيان والمغنين ، ثم يامر الخليفة بتوزيع الجوائز ، فيعطي للخمار الف دينار ، ولزوجته مثلها ، ولكل واحد من اولاده خمسمائة دينار. ولا يبرح المجلس احد الا بجائزة تناسب مقامه .

وقبل تناول الطعام كانت التقاليد تقضي بان لا يتوجه المدعو رأسا الى قاعة المائدة ، وانما يبدأ بالتفرج على ما تحويه الدار من رياش فاخر ، وزهور وانوار ساطعة ، وسرر منظمة ، ومقاعد مزركشة ، الى ان يصل الى المائدة .

وبعد الفراغ من الطعام يبدأ الشرب ومنادمة القيان المتخرجات على اساتذة اكفاء ، ثم يلي ذلك الجواري الراقصات ، وهن يرتدين الاثواب الموشاة برسوم الزهور ، خاصة بالرقص ، وهي اثواب شفافة تنم عما يكتمن فيها من بديع صنع الخالق، ويتبعهن جوار من نوع آخر ،تكاد ثيابهن الشفافة الملتصقة باجسامهن لا تخفي شيئا من الملامح المثيرة للشعور ، وفي غمرة ثورتهن الفنية في الرقص يعمدن الى فك العقد الذي يضم شعورهن ، فينسدل ليل الشعر على نهار الاجسام (٣) .

كل فنون الاداء

هذه كلها حياة فنية حافلة ، تجمع بين فنون الاداء جميعا : الاداء بالكلمة الممثلة مثلما كان يحدث في حالة الحكائين والمقلدين في الشوارع والمساجد والاسواق وفي بلاط الخلفاء ، او الاداء بالكلمة الموزونة الملحنة ، كما في حالة الغناء او الاداء بالجسم البشري في عريه وكسوته ،او الاداء بالعرض المسرحي المعد بعناية ، اما لكي يحقق غاية فردية ، كعرض الورود الذي ابتكره الخليفة المتوكل ، او لكي يحقق هدفا اجتماعيا وسياسيا

٣ ـ مجالس السلطان الغوري : تحقيق الدكتورعبد الوهاب عزام .

معا مثلما كان يحدث في مواكب الخلفاء في الشوارع او في استقبالاتهم الرسمية لسفراء الدول الاجنبية .

فقد كان الرشيد والمامون من بعده يخرجان للصلاة يوم الجمعة باعظم مظاهر الخلافة ، يتقدم الموكب فرقة من المشاة تحمل الاعلام الخفاقة ، تتقدمهم فرقة الموسيقى – بلباس خاص بها – تصدح بالانغام الشجية ، ثم يظهر خلف الموسيقى رجال اشداء متنكبين اقواسهم ، شاهرين سيوفهم، وياتى جماعة الوزراء والامراء وارباب الدولة ، في خيول مطهمة . ويهل الخليفة وهو يرتدى طيلسانا اسود ، ممتطيا جوادا من خيرة الجياد العربية . ويتبعه رجال الدولة والحراس .

فهذا الموكب هو في صميمه عرض مسرحي مخرج بعناية . مكانه طرقات بغداد ، وحركته المسرحية من قصر الخليفة الى المجلس ، وبطله الرئيسى : الخليفة ، ومتفرجوه هم جماهير الناس ، والهدف منه – الى جوار اظهار الابهة – ان يقع كل ذلك في نفوس الناس موقع المتعة ، ويبث فيهم الرهبة، ويطلعهم على مدى قوة الدولة وغناها ، فيلزموا جانب الولاء لها .

اما ابهة القصور ومراسمها فكان القصد منها سياسيا في احيان كثيرة . مثال ذلك ان الخليفة المقتدر استقبل رسلا للروم جاءوا يطلبون عقد هدنة ، ففرشت القصور باجمل الفرش ، وملئت دور الخلافة ودهاليزها وممراتها وصحونها بالجند والسلاح – وابتدأ ذلك من باب الشماسية الى دار الخلافة ، وكان عدد الجند ١٦٠ الفا بالدروع والسلاح ، ومن تحتهم الخيل بسروج الذهب والفضة . وكان عدد الغلمان سبعة آلاف خادم ، وسبعمائة حاجب ، بالبزة الرائقة والسيوف والمناطق المحلاة . وكان في دجلة الوان شتى من السفن بافضل زينة ، وعلى احسن تعبئة . وسار رسل ملك الروم ومن معهم بين المواكب الى ان وصلوا الى دار الخلافة ، ودخلوا قصر الجوسق بين بستانين رائعين ، وراوا بركة عجيبة يمدها جدول وبها اربع سفن من النوع المسمى « بالطيارات » مذهبة مزينة بالدبيقى المطرز ،ثم ادخلوا قصر الشجرة ،وهي شجرة قائمة من الفضة وسط بركة مدورة ،ولها ثمانية عشر غصنا عليها الطيور والعصافير المذهبة والمفضضة تصفر ، والشجرة تتمايل وورقها يتحرك على نحو ما تحدث الرياح للاشجار الطبيعية . ثم ادخلوا الى قصر الفردوس ، وبه من الفرش ما لايقوم ، وفي الدهاليز عشرة آلاف درع مذهبة معلقة ، مما راع رسل ملك الروم روعة شديدة .

والهدف السياسي من وراء هذا الفخار كله لا يحتاج الى ايضاح وانما الذى تجدر منه ملاحظته هو ان الاستقبال ومراسمه وادواته وحركته والهدف منه تشكل جميعا فيما بينها مسرحية صغيرة موضوعها : كيف تستقبل سفراء



دولة مغلوبة ؟ وكيف تعرض عليهم غناك وباسك معا حتى يسلموا لك تسليما .

والحق ان اى فنان مسرحى معاصر لا يتردد ابدا فى ان ينظر الى هذا العرض على انه شيء جدير بالاعجاب والتسجيل فى باب العرض المسرحى الناجح !

عروض تمثيلية مستمرة

هذه العروض التمثيلية لم تتوقف منذ ايام العباسيين . وفى مصر الفاطمية والمملوكية ظل تيار من العروض التمثيلية مستمرا ، وظلت المواكب السلطانية والشعبية قائمة لتسلية الناس وامتاعهم بابهة الحكم .

يقول المقريزى فى وصف احد هذه الاحتفالات: « وطاف اهل الاسواق ، وعملوا فيه (عيد النيروز) ، وخرجوا الى القاهرة بلعبهم ،ولعبوا ثلاثة ايام ، اظهروا فيها السماجات » (الممثلين وقطعهم التمثيلية) .

ويقول ابن اياس فى الحديث عن ذهاب السلطان الغورى الى المقياس يومين فى جمادى الاخرة سنة ٩١٨ هـ .

« ثم ان السلطان اوقد فى قاعة المقياس وقدة حافلة باطنا وظاهرا ، وعلق احمالا بقناديل فى القصر الذى انشاه هناك ، وعلى شرفات المقياس قناديل من احمال وامشاط ، حتى اوقد جامع المقياس والمئذنة .

ثم ان سكان برّ مصر وبرّ الروضة علقوا فى بيوتهم القناديل فى الاحمال والامشاط بطول البرين، حتى اوقدوا المربع الذى انشاه السلطان للسواقى تجاه بر الروضة .

ثم احضر السلطان المركب الكبير الغليون الذى عمره وانفق عليه نحوا من عشرين الف دينار ، فارسوا به قبالة المقياس ، وصنعوا له ثمانى مراسى فى البحر ، وعلقوا فى صواريه القناديل فى الامشاط . فكان الذى وقد فى المقياس تلك الليلة خمسة قناطير زيت ، وعشرة آلاف قنديل ثم صنع السلطان فى تلك الليلة احراقة ، فكان مصروفها نحوا من مائة وسبعين دينارا ، مثل احراقة نفط المحمل التى كانت تصنع بالرملة قدام القلعة ، فشقوا بالنفط من القاهرة وهو مزفوف، وقدامه الطبول والزمور ، فكان عدة قلاع النفط خمسين قلعة والمائن ستين مئذنة ، وازيار عشرة ، وجرار اربعين جرة ، وصواريخ كبار ثلاثمائة ، وماويات الف ومائتين ، وشجرات عشرة ، وتنانير عشرون ، وقطع الفان ،وشمل اربعون ، فلما وصلوا بالنفط الى شاطىء البحر انزلوه فى خمسين مركبا، وصفوا المراكب قبالة المقياس عند البسطة ،ورسم السلطان للامراء المقدمين بان يحضروا طبلخاناتهم فى مراكب عند المقياس ، ففعلوا ذلك .فكان حس الطبول والزمور مع الكوسات (الطبول الكبيرة) مثل الرعد القاصف . فلما صلى السلطان صلاة العشاء ، جلس على سطح القصر الذى انشاه على بسطة المقياس ، والامراء حوله ، واحرقوا قدامه عشرين ذراعا . وكانت ليلة البدر ،فدقت كوسات السلطان مع كوسات المقدمين وهم اربعة وعشرون مقدم الف . فقاموا فى صعيد واحد عند احراق النفط ، فكانت تلك الليلة لم يسمع بمثلها فيما تقدم ، ولم يقع لاحد من الملوك قبله مثل هذه الواقعة، ولاً للمؤيد شيخ ، ولا للناصر فرج بن برقوق .»

ملاهي الشعب

بل ان ملاهي الشعب ايام السلطان الغورى قد اتخذت طابعا طقوسيا فى بعض الاحيان ، من ذلك ما رفع ـ على سبيل الشكوى ـ الى شيخ اسمه عمر البلقينى من ان اهل حى بركة الرطلى يجهرون ببعض المنكرات ، فهم يقيمون مهرجانا يستاذنون خلاله فى اقامة حفل عرس لبركة الرطلى يزوجونها فيه بالخليج الناصرى . فهم يخطبون خطبة ويعقدون عقدة التزويج ، ويرمون الحلوى والحناء وغير ذلك فى البركة المذكورة ، ويجتمع عند ذلك من الاوباش وغيرهم خلق كثير .وتخرج النساء كاشفات



الـوجـوه ، وتبرز النساء اللـواتي في الطاقات والزوبيات كلهن بارزات بما عليهن من الحلي وفيهن فاسدات وغير فاسدات .

ثـم انهم يعلقون قناديل كثيرة ويوقـدونها في الليل ، ويخرجـون خرقا فيها دم يشبهون بـه دم البكر ، ويلبسون الخاطب خلعة .

وفي الشوارع وفي حفلات الزواج والختان يمثل الممثلون الشعبيون ، مابين حواة وقرادين ومدربي حيوانات ولاعبي الاراجـوز وفناني خيال الظل ، والممثلين الشحاذين ، والممثلين الجـوالة ويقـدم الجميع حياة تمثيلية متصلة ، حفرت في وجدان الشعب مجاري عميقة .

وقد ظلت هـذه العروض التمثيليـة المختلفة موجودة في القاهرة قرونا طويلة ،ينظر اليها اهل الراي والفقهاء وبعض الخلفاء والسلاطين على انها لهـو فارغ ، واحيانا محرم ، واحيانا اخرى يستمتعون بها هم انفسهم .ظلت المواكب الرسمية قائمة وايات الفخامة والانفاق المهرجاني متصلة من جهة . وظل الشعب من جهته يلهو بطريقته الخاصـة ــ له مسرحـه الخاص : خيـال الظـل والأراجوز ، وله تمثيلياته وممثلوه ، وله حواته وقرادوه الخ ، حتى يـبدأ الرحالـة الاوروبيون يترددون على مصر ، وينظرون الى مايشاهدونـه في الشوارع والبيوت نظرة اخرى ، فيها محاولة للتعرف وللتصنيف والمقارنة بين فنـون العـرب وفنون بلادهم .

وقفة عند خيال الظـل

ولنترك مؤقتا هذه الفنون المختلفة والنظرات الجديدة لها ولننتقل الى فن مسرحي لاشك فيه عرفه العرب ايام العباسيين وهو فن خيال الظل.

وسواء أكان العرب هم الذين اجتلبوا فن خيال الظل الى حاضرة العباسيين ام انه انتقل اليهم ، فلاشك هنا في ان هذا اللون من الوان الملاهي هو ارقى مـا كـان يعرض على العامة والخاصة من فنون ، الى جوار انه مسرح في الشكل والمضمون معا ، لايفصله عن المسرح المعروف الا ان التمثيل فيه كان يتم بالوساطة : عن طريق الصور يحركها اللاعبون ، ويتكلمون ويقفون ويرقصون ويحاورون ويتعاركون ويتصالحون نيابة عنها جميعا .

والذى يستحق التقدير الخاص في امر هذا الفن انه اول لون من الوان العروض يرتبط بـالادب العربي ، وواحد من ابرز منجزات ذلك الادب وهو المقامة ، ومن ورائها جهود سبقت اخراج المقامة الى حيز الوجود : كتب الجاحظ عن اهل الكدية التى الهمت معظم موضوعات مقامات بديع الزمان واحاديث ابن دريد التى اقتـرحت على البديـع شكل المقامة .

ولابد ان مسرح خيال الظل كان قد قطع شوطا طويلا نحو النضج ، حين انتهى الى يدى الفنان والشاعر والماجن الفكر المطبوع محمد جمال الدين ابن دانيال ، الذى ترك العراق الى مصر ايـام سلاطين المماليك .

قال ابن دانيال ، وهو يصف ما قدمه في بابة : « طيف الخيال » ، من فن ظلي ممتاز :

« صنفت من بابات المجون .. مـا اذا رسمت شخوصه وبوبت فصوله ، وخلوت بالجمع ، وجلوت الستارة بالشمع ، رأيتـه بديـع المثال ، يفـوق بالحقيقة ذاك الخيال »

وهي عبارة ينبغي ان نقف عنـدها متاملين ، فانها تحوى اسسا فنية واضحة ، تشهد بان فن ابن دانيال ــ « خيال الظل » ــ قد استطاع ان يرسي في مصر المملوكية ــ اى قبـل حـوالي ستة قرون من نشاة المسرح العربي المعاصـر ــ فكرة المسرح في بلادنا ، مع ما يخـدم هذه الفكرة مـن عناصر فنية وبشرية مختلفة .

والعبارة وردت في رسالة ضمنها ابن دانيال البابة الاولى من البابات الظليـة الثـلاث التى حفظها لنا التاريخ من فن هذا الصانع الممتاز ، وجه ابن دانيال هذه الرسـالـة الى صديق لـه اسمه « على بن مولاهم » ، والمتامل للعبارة السابقة يجدها ارشادات مسرحية تدخل في باب النظرية والتطبيق العملي معا .

يقول ابن دانيال : هيىء الشخوص ، ورتبها واطل ستارة المسرح بالشمع ، ثم اعرض عملك على الجمهور وقد اعددته نفسيا لتقبل عملك : بثثت فيه روح الانتماء الى العرض وجعلته يشعر بانه في خلوة معك .

فاذا ما فعلت هذا فستجد نتيجة تسر خاطرك

حقا : ستجد العرض الظلي وقد استوى امامك بديع المثال ، يفوق بالحقيقة المنبعثة من واقع التجسيد ما كنت قد تخيلته له قبل التنفيذ .

وفي هذا القول ـ كما اسلفت ـ يجتمع التطبيق العملي والنظرية الفنية معا : الشخوص وتبويبها وطلاء الستارة في جانب التطبيق ، وفكرة الاختلاء بالجمهور وخلق مشاعر الانتماء الى العرض في جوانبه النظرية ، مضافا الى هذه النقطة الاخيرة هذا المبدأ الفني الهام وهو : ان التجسيد وحده هو حقيقة العمل المسرحي ، وان جمال المسرح يتركز في العرض امام الناس ، وليس في تخيل هذا العرض على نحو من الانحاء (في الذهن مثلا ، او بالقراءة في كتاب) .

لحظة تاريخية حاسمة

وفي تقديري ان اللحظة التي كتب فيها ابن دانيال هذه العبارة قد كانت حاسمة في تاريخ المسرح العربي عامة ، وفي تاريخ الكوميديا الشعبية بصفة خاصة .

اقول هذا وفي ذهني امران : اولهما ان المسرح العربي كان قد شهد قبل ابن دانيال محاولات للانولاد ، وذلك في بعض مقامات بديع الزمان الهمذاني ، والحريري ، وسواء اعتبرنا ان هذه المحاولات قد انتهت الى الاجهاض ، كما يذهب بعض الباحثين ، او ان الدراما التي نشات عنها هي نصف دراما ونصف رواية ، كما يذهب باحثون آخرون ، او ان الدراما التي تكونت في حضن المقامة قد كانت مسرحا فعلا ، لم يمنعه من النمو والازدهار الا ان مبدأ التشخيص عن طريق البشر قد كان محظورا من اصله كما يذهب كاتب هذه السطور سواء اخذنا باي من هذه الاراء ، ام رفضناها ، فالواقع الذي لاشك فيه هو ان ابن دانيال قد اخذ ما تكون في حضن المقامة من دراما ـ ايا كان شانها ـ وجعل منها مسرحا حقيقيا له نظرية واضحة ، وممارسة اوضح .

في باب النظرية يصف ابن دانيال عمله في بابة : « طيف الخيال » بقوله :

خيالنا هذا لاهل الرتب
والفضل والبذل لاهل الادب



حوى فنون الجد والهزل في
احسن سمط واتى بالعجب

فهو فن يمزج الجد بالهزل ، ويتوسل بالمهارة الفنية لبهر النظارة .

اما اسلوب اداء الفن فهو مختلف تمام الاختلاف عن اسلوب الرواة ، سواء رواة الشعر أو رواة المقامات والحكايات ، انه يقوم على مبدأ التشخيص . لكل شخص دور ، ولكل دور صوت ، وهذا كله على خلاف مبدأ الراوي الذي يتلبس كل الاشخاص وينطق بلسانهم جميعا . يقول ابن دانيال :

اذ قام فيه ناطق واحد
عن كل شخص ناظر واحتجب

ثم هو فن يتوجه الى جماهير من دم ولحم ، جماهير قدموا لرؤيته ، ودفعوا مالا في سبيل شهوده ، هم نظارة حقيقيون ، وابن دانيال يعلم ان فنه لا قيام له الا اذا موله هؤلاء النظارة ، ولهذا فهو ـ ماديا ـ يتوجه اليهم بطلب المعونة و ـ فنيا ـ يشركهم في الاحداث بتوجيه الخطاب اليهم في مواضع معينة من باباته . يقول ابن دانيال :

مذاهب الفضل به جمة
فنطقوه سادتي بالذهب

هذه ـ اذن ـ هي بعض الاسس النظرية الفنية التي اقام ابن دانيال عليها فنه الظلي :

مسرح شعبي بالجمهور وللجمهور ، وفن منوع يمزج الحقيقة بالخيال ، والجد بالهزل ، ويعتمد

على اوسع قدر من مشاركة الناس فيه ، بالمال والحضور والاستماع .

ثم يقدم ابن دانيال مادة مسرحيةحقيقية ، وبعد هذا يغوص بحور الكلام ، واكداس العبارات التى كانت تكون المقامة فيما مضى ، وينتقى منها جميعا جواهر فنية ، يخلق بعضا من الشخصيات المسرحية الشعبية التى لا تزال بيننا حتى الان . ام رشيد « الخاطبة ، القوادة » ، الكاتب القبطى المدلس ، الشاعر المزيف المتعاجب بالالفاظ الجوفاء ، والطبيب الدجال الذى يرى الكسباهم بكثير من ارواح ضحاياه ، كل هؤلاء نجدهم فى بابة : طيف الخيال .

اما فى البابة الثانية التى ابدعها ابن دانيال واسمها « عجيب وغريب » ، فان الهدف الرئيسى هو امتاع الجمهور وبهره بمناظر وشخصياتمنتقاة من السوق : الواعظ ، والحاوى ، وبائع الاعشاب (الشربة العجيبة كما نقول اليوم) والمشعوذ والمنجم ، والقراد (القرداتى) ومدرب الافيال ، والراقص الاسود ، الذى يجمع بين البهلوان والمغنى .. الخ ..

كل هذه الشخصياتينتزعها ابن دانيال من واقع السوق ويجعل لها وجودا فنيا على المسرح عن طريق المصوصات « ، اى عن طريق رسمها على الجلد واحالتها التى دمى ذات بعدين يحركها اللاعب المؤدى من وراء ستار ، ثم ينشىء لها ابن دانيال حياة مؤقتة ، تعرض فى اثنائها مهارتها فى الاداء ، وتعرض ايضا حالها ، فكثير منها يشكو الفقر للجمهور ، بغية الاستعطاء ، مما يجعل المشاهد يتجاوز المتعة الظاهرة الى شيء من التعاطف مع اناس يلتقطون الرزق من افواهالغطر - من انياب الثعبان ، او خرطوم الفيل ، او اعتمادا على مهارة القرد .. او يفتنمون الصفو المؤقت كي يمرحوا بعيدا عن تهديد دائم الوجود فى حياتهم ، مثلما يفعل ناتو السودانى الذى تبدر منه اشارة عابرة - لكنها مؤثرة - الى حقيقة حاله ، ووراء ما يقدم من الوان الرقص والغناء والتهريج الموحيةبالسعادة ، ولكنها سعادة ظاهرة وحسب :

صفا لى الطيطاب .. عيشى اليوم طاب ..
لا كان الجلاب ..

فهو حينيطيب له العيش لحظة ، يسارعبالهتاف الجلاب - جلاب العبيد ، الذى انتزعه من موطنه ورماه الى هذا الهم ، وهو يذكر اثناء الصفو ايضا « السمراء المحبوبة » ، الحمرا كالطوبة ، من خلا النوبة » وياسف لانها فاتت ، ويامافاتت.

ان نظرة ابن دانيال الى فنه ، وهى نظرة جادة من وراء الهزل ، تجعله يضفى على مقصوصاته هذه الحياة الاضافية ، التى تضيف الى الدمى بعدا ثالثا ، وتكاد تجعلها شخصيات انسانية حقيقية تتحرك على المسرح .

دراما كاملة فى مصر

ثم تاتى بعد هذا حقيقة تذكرها كتب التاريخ ، وهى ان البابات الثلاث : « طيف الخيال » و « عجيب وغريب » و « المتيم والضائعاليتيم » (ولم نعرض لهذه الاخيرة بالحديث) قد كان مقصودا بها ان تعرض تباعا فى ثلاث ليال متوالية ، وهذا تقليد مسرحى معروف فى دراما العصور الوسطى الاوروبية ، ويزيد من شعورنا بانتماء البابات الى دراما العصور الوسطى الاوروبية كما عرفتها اوروبا شخصية ملك الموت التى تظهر فى بابة « المتيم والضائع اليتيم » فان هذا الملكيظهر للمتيم وهو فى اوجتمتعه الفاحش باللذات ، ما بين مشروع وممكور ، فيصرخ صرخة يوقظ بها النيام ، ومن ثم ينهار المتيم ، ويتبين ضياعهواسرافهعلى نفسه ، ويخشى يوما لا راد له، امام عزيز مقتدر ، فيقرر من فوره ان يتوب الى الله .

هذا بالضبط هو ما يحدث فى المسرحيات الاخلاقية التى كانت اوروبا تقدمها للمؤمنين بغية هدايتهم ، وتستخدم فيها الشخصيات المجردة ، مثل ملك الموت ، ومثل الشخصيات التى تمثل الفضائل او الرذائل التى تتقلب على الانسان .

كل هذا يشهد بان مصر قد عرفت دراما كاملة، ذات نظرية وممارسة عملية واضحتين ، وذات صلات ليست اقل وضوحا بالجسم العام للدراما الذى كان معروفا آنذاك فى العالم الوسيط .

واهمية بابات ابن دانيال ترجع - بعد هذا - الى اسباب تتصل بالماضى كما تتصل بالحاضر فهى

قد استقطبت ما في المقامات من امكانيات للدراما، وهذه الامكانيات هي اهم ما استطاع الادب العربي ان ينتجه على سبيل المسرح ، قبل ظهور ابن دانيال ·

وهي قد اقامت في مصر مسرحا حقيقيا ،ليس فقط بما قدمته من امثلة تطبيقية لفن المسرح بل وبما زرعته من تقاليد مسرحية ، غرست فكرة المسرح في نفوس الناس وحفظتها من الضياع الى ان جاء الوقت الذى عرف فيه العرب المحدثون المسرح البشرى نقلا عن اوروبا ·

فعن طريق خيال الظل عرف المصريون لقرون متوالية ، عادة الذهاب الى المسرح ، بما في هذا من مقومات مادية واضحة : الاضاءة ، الالوان ، الازياء ، الحوار ، فنون الاداء المختلفة ـ من رقص وغناء وموسيقى ، ثم قصة مسرحية من نوع آخر تعتمد على نوع من الحوار ·

والنتيجة العميقة لهذا كله ان مصر قد كانت مهياة اكثر من غيرها من البلاد المجاورة لتقبل فكرة المسرح عامة ، والمسرح البشرى بصفة خاصة حين اخذت الفرق المسرحية والافكار المسرحية ذاتها ترد الى بلادنا ابتداء من نهاية القرن الثامن عشر ·

ثم امتد اثر خيال الظل المصرى الى تركيا ، حين حمل السلطان سليم الاول معه بعضا من المخايلين المصريين ، وامتد الخيال التركى من تركيا الى البلاد العربية التى تكبت بحكم الاتراك العثمانيين ، مثل سوريا ، التى كان مقدرا لبعض فنانيها ان يحملوا الى مصر بعضا من اثر القراقوز وانما في صورة فريدة حقا ، هى صورة التمثيل البشرى لادوار وفكاهات القراقوز وهى محاولات فنية قام بها الفنان السورى جورج دخول الذى جاء الى مصر في السنوات الاخيرة من القرن الماضى يعرض فصوله المضحكة المعتمدة على بعض نمر القراقوز ·

ومن جهة اخرى فقد ترك خيال الظل بعضا من الاثر في فن الاراجوز وذلك حين اخذ نجم خيال الظل في الافول ، ويمكن افتراض ان ظهور السينما ، وصعوبة ممارسة فن خيال الظل ، والقدرات الفنية والمادية التى يتطلبها قد جعلت فن الاراجوز الاشمل والاقل تكلفة ، هو الصيغة الفنية الشعبية الملائمة لذلك الزمان ، ومن ثم افاد فنانو الاراجوز من التراث الكبير الذى تركه فن خيال الظل ، من شخصيات ومواقف ونكات وتهريج وضرب بالعصى ·· الخ ■■

الكويت ـ علي الراعي

■ يستحيل اخفاء الروح الالهى من نفوسنا تحت مكيال ، فلندعه اذن يشرق ، ليضىء ما يحيط بنا ، ويبعث فيه الحرارة ·

(مكس مولر)

■ من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

(سلم الخاسر)

■ الاهواء تكره العدل وترفضه ، فلا بد أن نحذر منها ، ولو كانت معقولة الى ابعد حد ·

(لارشفوكو)

■ اذا اقدمنا على مغامرة ، فلا بد لنا أن نقذف خلفنا بكل المخاوف ، وبكل اسفار الحكماء ·

(تاجور)



مسابقة العدد ٢٢٥

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » ٠٠ والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ٠٠ ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ٠٠ اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الاتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ـ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ٠

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٢٥ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٧ ٠

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) افقيا اسم أول أمهات المؤمنين ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم مؤلف قصص اطفال شهير ٠

الكلمات الأفقية :

(١) شبه جزيرة جنوب غرب اوروبا ـ من سور القرآن الكريم ٠

(٢) عاصمة موريتانيا ـ بدت ـ حرف عطف ٠

(٣) وطان ـ قربها ـ ضمير ٠

(٤) نصف كلمة (لطيف) ـ خواتيم ـ التلذذ بتعذيب الاخرين ٠

(٥) البابا الذي اعلن الحرب الصليبية ـ نوع من القنابل ٠

(٦) نصف كلمة (شائك) ـ يقتحم عنوة ـ من البحار ٠

(٧) اهتم ـ قصة لاحسان عبد القدوس ٠

(٨) اولى أمهات المؤمنين ٠

(٩) تواريخ حياة اشخاص ـ أحضر ـ من الخضراوات ٠

(١٠) حرف ابجدي ـ منقط ـ عاصمة افريقية ٠

(١١) حيوان ـ اراقت ـ حبي ٠

(١٢) لحركة السفن في الانهار ـ شركة بترول عالمية ـ من اوجه القمر ٠

(١٣) حرف ندبة ـ شاعر واديب بلجيكي كتب مسرحية الطائر الازرق ـ الصفة ٠

(١٤) الوهمي ـ القوام ـ يغصه ٠

(١٥) نظير ـ نفقا ـ صيدهم ٠

الكلمات الرأسية :

(١) ولاية امريكية ـ عاصمة بورتوريكو •

(٢) من الفواكه ـ مقتر ـ من الاقارب •

(٣) ظهر ـ كاتب مسرحى مصرى معاصر •

(٤) نصف كلمة (يكثر) ـ نهتم ـ من الزهور•

(٥) وعيها ـ يتحاشى ـ وكالة انباء عالمية •

(٦) ينتسب الى دولة اوروبية ـ سهل الانكسار ـ حى شهير للزنوج •

(٧) التى ـ قهرها ـ من ابناء •

(٨) مؤلف قصص اطفال شهير •

(٩) ضرائب تفرض قهرا ـ نصف كلمة (فوقك) ـ حرف أبجدى •

(١٠) من المقامات الموسيقية ـ نكلمه ـ نصف كلمة (هتلر) •

(١١) فرعون طرد الهكسوس من مصر ـ تقابل •

(١٢) نصف كلمة (اضحت) ـ من افراد مملكة الحيوانات الاولية ـ الوقيعة •

(١٣) جرحت ـ رئيس امريكى سابق •

(١٤) اشيد ـ آخر حكام الدولة الساسانية ـ مرض •

(١٥) من الفروض الدينية ـ حرف جر ـ اعلامهم •



من أعــلام الموســيقى

ابدأ أولا بحـل مسابقة الكـلـمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات الموجود بها السهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لموسـيقار عالمى شهير وعازف أرغن لا يبارى ، ثـم انقل الحروف التى فى المربعات التى فيها النجمة، ورتبها بحيث تصنع لقب ذلك الموسيقار ٠

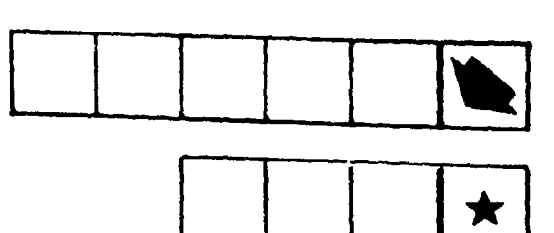
الكلمات الأفقية :

(١) وفاء ٠
(٢) من الالوان ٠
(٣) حرف عطف ـ تحصى ٠
(٤) رئيس أو حاكم ٠
(٥) دواء ٠
(٦) حطم ـ من الحبوب ٠

الكلمات الرأسية :

(١) من الطيور الجميلة ٠
(٢) جياد ـ قوام ٠
(٣) حرف نفى ـ وحدة قياس زمن ٠
(٤) فى العودة ٠
(٥) حرفة ٠
(٦) يرشدون ٠

	٦	٥	٤	٣	٢	١
١	■				★	
٢			▼			
٣				■		★
٤			▼		■	▼
٥		■		★		
٦	▼		■			▼



• بالعقل فقط •

استاذ نبيه يسال :

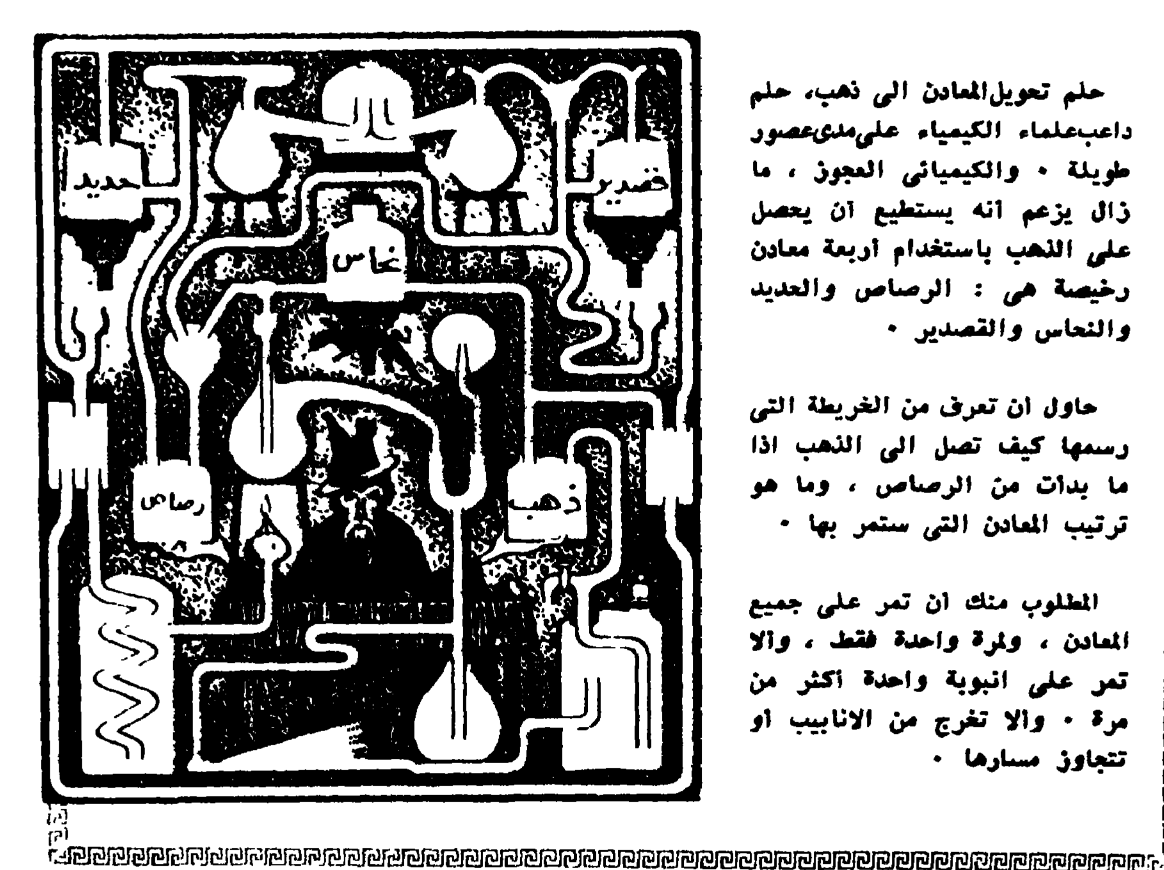
ماترتيب أثواب القماش

وقف بائع الاقمشة ينظم اثواب القماش الملونة على الرف ••• وضع الثوب الاحمر على أحد الطرفين ، وكان الثوب الاصفر على يسار الثوب الازرق مباشرة •• ولم يكن الثوب الاحمر بجوار الثوب الاخضر او البنى ، ولم يكن الثوب البنفسجي بجوار الثوب البنى او الاصفر • وكان الثوب الازرق على يسار الثوب الاخضر مباشرة •

كيف كان ترتيب الاثواب على الرف •• ؟

• متاهة •

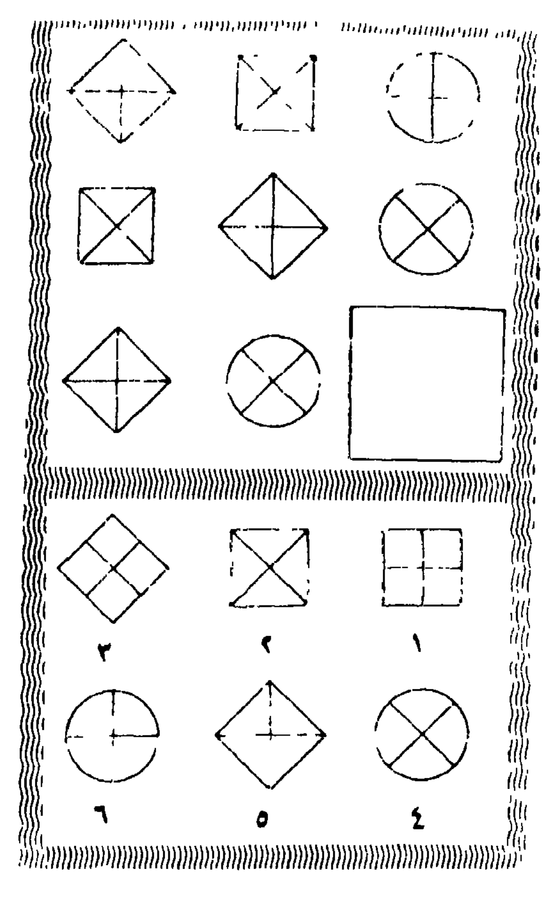
الكيميائى العجوز



حلم تحويل المعادن الى ذهب، حلم داعب علماء الكيمياء على مدى عصور طويلة • والكيميائى العجوز ، ما زال يزعم أنه يستطيع أن يحصل على الذهب باستخدام اربعة معادن رخيصة هى : الرصاص والحديد والنحاس والقصدير •

حاول ان تعرف من الخريطة التى رسمها كيف تصل الى الذهب اذا ما بدات من الرصاص ، وما هو ترتيب المعادن التى ستمر بها •

المطلوب منك أن تمر على جميع المعادن ، ولمرة واحدة فقط ، والا تمر على انبوبة واحدة أكثر من مرة • والا تخرج من الانابيب او تتجاوز مسارها •



● حاول أن تعرف ●
الشكل المناسب

منتامل الصفين العلويين ، حاول ان تعرف اى الاشكال المرقمة يمكن ان يوضع فى المربع الخالى الذى بالصف الثالث ، لنحتفظ بنفس العلاقة •

الحلول

النجمة والسهم :

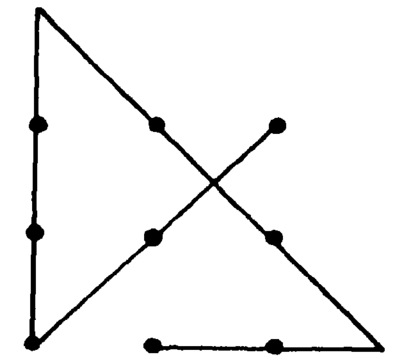
جوهان باخ •

استاذ نبيه يسأل :

كان ترتيب الاثواب كالتالى :
بنى ـ اصفر ـ ازرق ـ اخضر ـ بنفسجى ـ احمر •

متاهــة :

رصاص ـ قصدير ـ حديد ـ نحاس ـ ذهب•



النقاط التسع

كما هو موضح بالرسم •

الشكل المناسب :

هو رقم (١) •

النقاط التسع

الشكل به ٩ نقاط • مطلوب منك ان ترسم ٤ خطوط مستقيمة ، بحيث تمر بكل النقاط • لا تمر باى نقطة اكثر من مرةواحدة ،ولا تمر على احد الخطوط اكثر من مرة ، ولا ترفع القلم من فوق الورقة حتى تنتهى من عملك•

* * *
* * *
* * *

القصص الاسلامية
في عهد النبوة والخلفاء الراشدين

جمعها وحققها : احمد بن حافظ الحكمى

اشراف : الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا

الناشر : جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ــ الرياض

● كتاب يقع جزءين كبيرين ،يتناول بالدراسة والبحث القصص الاسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ، والمراد بالقصة في هذا الكتاب كل حادثة نبعت من معين الاسلام ، فابرزت موقفا من مواقفه الفذة ، او حكت شانا من شئونه الرائعة ، او صورت علما من اعلامه ، على ان يكون الراوى لهذه الحادثة ممن عاش في عصر النبوة والخلفاء الراشدين وهى مكتوبة باسلوب ينأى عن اساليب الاخبار التاريخية ، وياخذ بطرف من اساليب القصص ، وقد اجتهد المحقق غاية الاجتهاد في اخذ هذه القصص من اخبار كتب السنة المطهرة وخاصة تلك الاخبار التى تتصل باقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، او فعل من افعاله ، او تقرير من تقريراته ، او صفة من صفاته ، كما بذل غاية الجهد ايضا في ذكر القصص الاسلامية من كتب السيرة المعتمدة ، ومصادر التاريخ الموثوقة ٠

وهذا الكتاب يحتوى على سبعين قصة ومائتين اثبتت محققة موثقة مضبوطة الكلمات ، مشروحة الغريب ، مترجما لما ورد فيها من اعلام ، كما ان قصص هذا الكتاب تحكى قصص الاسلام منذ كان أملا يراود النفوس الصافية في الجاهلية ، الى ان صار حقيقة منزلة من عند الله ، حتى اصبح دولة قائمة على ظهر المعمورة تشمل كل ما دان لتاج كسرى من ملك ، وجل ما خضع لعرش قيصر من ارض ٠

كما امتاز هذا الكتاب بانه يحوى مجموعة من الفهارس الشاملة الكاملة المتقنة ، فمن فهرس للايات القرآنية الى آخر للاشعار والقوافى ، الى ثالث لأصحاب القصص يحصى عددهم ويبين ما قصة كل منهم ، الى آخر للاعلام الذين ترجم لهم في هذا الكتاب ٠

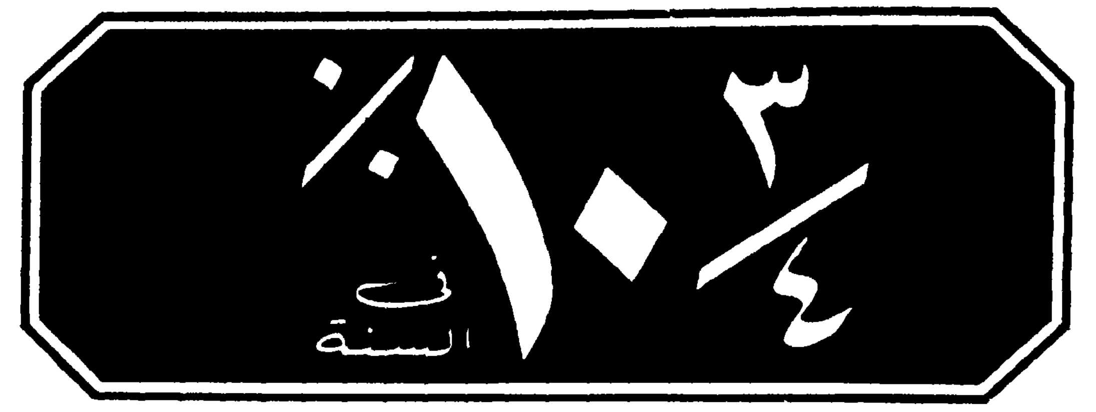
امير المسلمين : يوسف بن تاشفين

تاليف : ابراهيم محمد حسن الجمل

الناشر : دار الشعب ٩٠ شارع القصر العينى القاهرة ــ مصر

● يتضمن هذا الكتاب دراسة مستفيضة عن حياة امير المسلمين يوسف بن تاشفين ، مؤسس دولة المرابطين ، ورجل افريقيا البربرى الملثم الذى قام باعظم عمل رأته افريقيا واوروبا وشهدته الارض ، فجاء على غير مثال سابق ، وسجله التاريخ بالفخر والاعتزاز ، ورددت الايام انباءه وصداه ، ففى المغرب قضى على الاشتات المتفرقة والنزعات المختلفة ، وجمع المسلمين بعدله وسيرته تحت راية الاسلام الصحيح ٠ وفى الاندلس اوقف التدفق الاسبانى الذى كان اكثر تحمسا للحرب الصليبية في الشرق ، ووقف لهم بالمرصاد ، وقضى على خرافة الاسترداد ، ورد الاسبان الى بلادهم مدحورين - واستطاع ان يخلص البلاد من عبث الذين فرقوها وسموا «ملوك الطوائف » ، وبذلك جمع شمل المسلمين في شمال افريقيا والاندلس ، وامتدت رقعة البلاد في عهده من المحيط الاطلنطى الى برقة ، ومن البحر المتوسط الى بلاد النيجر مشتملة على الصحراء الكبرى ، اما في اسبانيا فمن نهر ابيرو الى مصب الوادى الكبير ٠

وقد بدأ الكتاب بالحديث عن البربر الذى ينتمى اليهم رجلنا العظيم وعن اسلامهم ،وكيف استطاعوا ان ينشروا رسالة الاسلام في مجاهل افريقيا ،ثم كيف استطاع ابن تاشفين ان يوحد المغرب ،ويقر الدعوة ، وان يستجيب لنداء المسلمين بالاندلس ، فيقضى على التكتل الصليبى في الاندلس في اشهر معركة اسلامية ، وهى « معركة الزلاقة » ، ثم كيف استطاع التخلص من ملوك الطوائف الخائفين المستذلين ٠



١٠ ٣/٤ ٪
في
السنة

تصنع شاحنات ميتسو بيشي كنتر الخفيفة لاحتمال الخدمات الشاقة.

انها تختبر وتجرّب لملاءمة أحوال العمل في الشرق الأوسط. مع خدمة ممتازة بعد الشراء يقدّمها لكم موزع كرايزلر في منطقتكم.

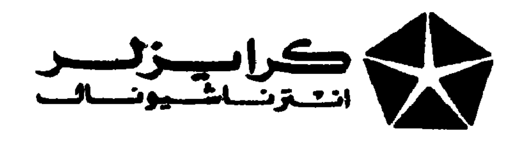
شاحنات كنتر سهلة القيادة، ذات مقصورة ومعدات شبيهة بما تجدونه في السيارات العادية.

إنها سهلة التحميل، ويوجد أنواع مختلفة من الأجساد يمكنكم الاختيار منها. كما يمكن تقديمها على هيئة شاسي ومقصورة فقط.

تتوفر بإطارات مفردة أو مزدوجة في الخلف،
وبمحركات بنزين أو ديزل.

شاهدوا وجرّبوا مجموعة كنتر في محلات موزعي كرايزلر في جميع أنحاء الشرق الأوسط.





العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

الق[illegible]

اسـلاميات :

استطلاعات :

طب وعلـوم :

أدب ولغـة :

تاريـخ :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 226 September 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير
المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر

صورة الغلاف

● جمانة الحسيني ابنة مفتي فلسطين السابق الحاج امين الحسيني، لوحاتها تحكي رحلة الفلسطيني اللاجيء ، الذي طردمن وطنه لكن كل ملامح هذا الوطن باقية في اعماقه ، كل بيت ، كل بيارة ، كل شجرة تفاح او زيتون • لقد ظلت جمانة الحسيني في فلسطين ،او ظلت فلسطين في جمانة الحسيني، وعلى الصفحات ١١٨ رحلة صحفتها •• داخل فلسطين •

شخصيات :

علم نفس :

شعر :

كتب :

قصص :

فنون :

ركن الاسرة والمرأة :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائر ٢ر٥ دينار • المغرب ٢ر٥ درهم • اليمن ٢ر٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهما • جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ــ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص • ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان •

٢ ــ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها . ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر •

« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

عزيزي القارئ

في اكتر الدول العربيه يستطيع المواطن العادى ان ي...
ى مكان في الكرة الارضيه ، خلال دقائق معدودة • بل ان هذا المواطن
...ار بوسعه — في دول عربية اخرى — ان يدير قرص الهاتف من منزله
...يتلقى الرد من اى عاصمة اوروبية أو ولاية امريكية مهما بعدت •

لكن هذا المواطن ذاته اذا اراد ان يجرى اتصالا هاتفيا مع اى عاصمة عربية فينبغي ان ينتظر اياما طويله حتى يسعده الحظ وتأتيه «المكالمة» • حتى ان كثيرين من رجال الاعمال العرب يفضلون الطائرة على الهاتف في انجاز مهماتهم في الوطن العربي •

مثل آخر بسيط • اى حدث فيالكرة الارضية — حتى ولو كانت مباراة كرة قدم او ملاكمة — يستطيع المواطن العربي ان يتابعه الان على شاشة التلفاز في نفس يوم حدوثه ان لم يكن في الساعة ذاتها • لكن هذا الحدث اذا وقع لدى جارة عربية فبالكاد تتابعه عن طريق الراديو •

في النهاية ، نجد انفسنا نعيش مع اوروبا وامريكا باكثر مما نعيش مع عالمنا العربي ، لان قنوات الاتصال بين الاشقاء مهترئة ومتخلفة ، ومع الغرباء بالغة السهولة واليسر •

نحن لا نثير قضية الذين عانوا من عذاب الاتصال بالعالم العربي خلال اشهر الصيف ، وهم مئات الالوف ، ولكننا نتحدث عن محنة الاتصال بين انحاء عالمنا العربي ،في عصر تعد ثورة الاتصال احدى سماته البارزة •

من يحل هذه المشكلة ؟

اصحاب المشكلة وحدهم هم اصحاب الحل ، ولا شيء ينقصهم • لا الخبراء ولا المال ، ولا الرجال•

ماذا ننتظر اذن ؟ ■■

العربي

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القضايا العامة :

اسـلاميات :

استطلاعات :

طب وعلـوم :

أدب ولغـة :

تاريـخ :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 226 September 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الاعـلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسـلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر

صورة الغــلاف

● جمانة الحسيني ابنة مفتي فلسطين السابق الحاج امين الحسيني، لوحاتها تحكي رحلة الفلسطيني اللاجىء ، الذي طردمن وطنه لكن كل ملامح هذا الوطن باقية في اعماقه ، كل بيت ، كـل بيارة ، كل شجرة تفاح او زيتون • لقد ظلت جمانة الحسيني في فلسطين ،او ظلت فلسطين في جمانة الحسيني، وعلى الصفحات ١١٨ رحلة معها •• داخل فلسطين •

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائر ٢ر٥ دينار • المغرب ٢ر٥ درهم • اليمن ٢ر٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهما • جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها • ص • ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان •
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر •
« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

استطرادات باريسية :

بقلم : أحمد بهاء الدين

■ عندما يذهب الزائر منا الى باريس ، لا يملك الا ان ينظر فيما حوله ، مبهورا ، من تلك المدينة التى لا ينقصها شيء ...

ماذا ينقص باريس ؟

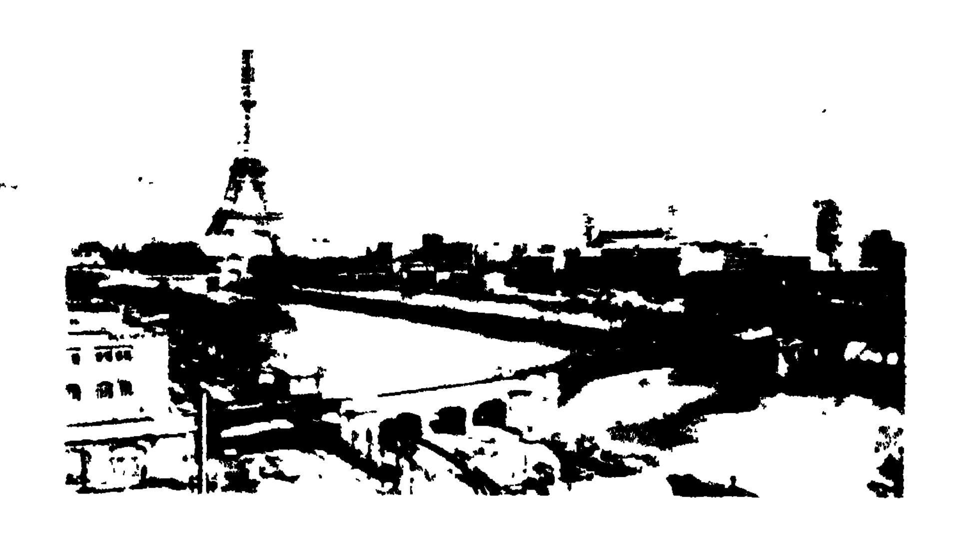
الفنادق ؟ المطاعم والمقاهي ؟ اماكن اللهو ؟ الجامعات ؟ رهبان العلم ؟ المكتبات والمتاحف وكنوز الفن ؟ آثار الماضى ؟ جمـــال الحاضر ؟ مؤشرات المستقبل ؟

ولكن أهلها لا يرضون ....

والمسئولون عنها يشعرون انهم ، يوميا ، فى سـباق مع الزمن . فى منافسة مع الآخرين . فى صراع حياة .

هذا السعي المستمر الى الأحسن ، الاحسن الذى ليس بالتعريف هدفا محددا ينتهى عنده الجهد . بل الاحسن « اللانهائى » ، الذى لا يوصل اليه ابدا . الذى يتجدد يوما بعد يوم .

ان بعض الفلاسفة الذين يحللون ويقارنون بين الحضارات المختلفة. يرون ان ما يميز هذه الحضارة التى نسميها بوجه عام « الحضارة الغربية »،



او « الحضارة الاوروبية » لننزع فكرة الشرق والغرب بمعناه السياسى ،هو هذه « اللانهائية » ، روح المعرفة اللانهائية ، البحث اللانهائي ، الهدف اللانهائى ، ومن هنا نسبوا اليها تميزها بارتياد المجهول فى البحار والمحيطات والقارات ، وارتياد المجهول فى مجالات البحر والفلسفة والعلم والتكنولوجيا ، والغوص الى اعماق البحار لدراسة حياة أصغر سمكة تسبح فيها ، والى ما تحت اعماق البحار لمعرفة ما اذا كانت هناك ثروات قابلة للاستخدام تحت قيعاناها ، والصعود الى القمر ، ثم الى الزهرة ، ثم الى المريخ ... والغوص بعلم النفس فى أعماق النفس الانسانية والتفتيش عن ادق خلجاتها ....

وقد بالغ بعض الفلاسفة فى التفريق بين « هوية » هذه الحضارات المختلفة ، فنجد اشهرهم فى هذا المجال الفيلسوف الالمانى « أوزوالد شبنجلر » الذى قال ــ مثلا ــ ان كل حضارة كان لها فى فنونها ورسومها ورموزها لون مميز ، فالحضارة الفرعونية كان لونها المميز هو الاسود ، لانها حضارة كانت تفكر فى الموت وما بعده بدليل ما اقامته من مدافن واهرامات ، وان الحضارة العربية كان لونها المميز هو اللون الذهبى لانها تؤمن بالمعجزة الخارقة للطبيعة ، واللون الذهبى لون ليس من الوان الطبيعة ، اما الحضارة الاوروبية فقد عرفت لونا مميزا هو الأزرق ، لانه ليس لونا ، بل لون اللانهائى ، فماء البحر ليس ازرق اللون ولكن اعماقه تعطيه هذا اللون ، والسماء ليس لونها أزرق ، ولكن طبقات الجو فى لانهائيتها تعطيها هذا اللون ...

.. ونتوقف هنا عن الاسترسال وراء شطحات الفلاسفة ، حين يريدون أن يؤكدوا نظرياتهم بكل برهان يتاح لهم ، ونعود الى باريس . وما باريس

فى هذا الحديث الا مجرد مثل نضربه ، من وحى الرحلة ، على روح الرغبة الدائمة فى التقدم ، والسعى الى الاحسن .

عندما كان « جورج بومبيدو » رئيسا لجمهورية فرنسا قبل سنوات قليلة ، وجه سؤالا الى مجموعة من أكبر خبراء بلاده فى الثقافة والحضارة والهندسة وتخطيط المدن والسياحة وغيرها .. كان السؤال هو :

كيف نحافظ على باريس كمركز عالمى ؟ وكيف تفوز فى سباق عواصم الدنيا ، وما هى الشروط المطلوبة لها لتصبح أو لتبقى المدينة الاولى فى العـالم ؟

.. ان مجرد توجيه هذا السؤال أمر يبعث على الدهشة. فاذا كان فى العالم ثلاث أو اربع مدن هى أكثرها نفوذا واشعاعا ، واكثرهـا حظا مـن اقبال الناس عليها .. بدءا من طالبى اللهو الى الذاهبين لحضور المؤتمرات الدولية ... اذا كانت هناك ثلاث او أربع مدن متفوقة فى العـالم على غيرها فى هذه المجالات . فلا شك أن باريس واحـدة منها ان لم تكن فى مقدمتها ...

ولكن هذا لا يكفى اصحابها ...

انهم يشعرون بسرعة ايقاع الزمن . وعنف السباق . ومن لا يتحول ، ويجرى ، ويلهث ، ويدفع بالمناكب ، سوف يسبقه آخرون .

وفى عالم اليوم ، لم تعد الميزة الجغرافية وحدها كافية . فوسائل الاتصال الحديثة تقرب البعيد . والارض فى النهاية كروية ، فكل موقع فيها يمكن أن يكون موقعا متوسطا .



أوروبا من موسكو الى لنـدن في موقع متوسط بين الشرق الاقصى وأمريكا • ولكن امريكا في موقع متوسط بين أوروبا وشرق آسيا • واليابان في موقع متوسط بين الامريكتين وقلب آسيا • العـالم العربى في موقف متوسط واضح •

وانما صارت الاماكن تقاس باهميتها • فحين كانت اوروبا في مركز القوة قامت فيها عصبة الامم ، وقيل أن جنيف مكان متوسط • ولكن بعد الحرب العالميـة الثانيـة حين برزت قوة أمريكا اقيمت الامم المتحـدة في نيويورك • وكانت أيضا موقعا متوسطا بين مراكز الثقل الجديدة !

لهذا سالت باريس نفسها هذا السؤال • طبعا هناك عواصم شتى للعالم ، موسكو وواشنطن عواصم القوى الكبرى وعواصم الصواريخ وحسم حياة العالم بالاسلحة الذرية • باريس عاصمة العالم ثقافيا • زيوريـخ الصغيرة الصامتة عاصمة المال • لندن عاصمة سوق الاوراق المالية والذهب • نيويورك عاصمة الشركات العملاقة المتعددة الجنسيات وهكذا ••

ولكن باريس تريد أكثر • الكل يريد أكثر ، فرانكفورت القرية في المانيا الغربية تحاول أن تكون عاصمة خطوط الطيران في أوروبا فتسرع فرنسا الى بناء المطار الثالث في باريس والاحدث في العالم وهو مطـار شارل ديجول ، وهكذا ••

ردت لجنة الخبراء على سؤال الرئيس جورج بومبيدو وبنقاط كثيرة ، لا بد من العمل على توفيرها حتى تظل باريس مدينة عالمية • اذكر منها :

* أماكن كافية لسكن الزوار سكنا مريحا ، سواء في الشقق للمقيمين أو في الفنادق للسواح والعابرين •





ديستان

* أكبر عدد من المنظمات الدولية والاقليمية والمؤتمرات الدولية •
* قاعات حديثة مجهزة من أجل هذه المؤتمرات •
* نظام بنكي كفء وسريع •
* وسائل اتصال سريعة بالعالم •
* حركة مرور سريعة ومريحة •
* أماكن للترفيه ، الصاخبة والهادئة المريحة •
* ازدهار ثقافي • .
* صحافة قوية تعكس أحداث العالم وتطوراته •

وطبعا الكثير من هذا متوفر في باريس أكثر من غيرها • والغريب انه ربما كانت هناك عواصم للمال وعواصم لاشياء أخرى • ولكن باريس ربما كانت المدينة الوحيدة تقريبا التي لديها شيء هام من كل شيء • ولكن المطلوب لدى هؤلاء هو التحسن • والتقدم • والتحسن والتقدم •

ومن الملحوظ مثلا أن لندن التي كانت عاصمة العالم الاولي ، عندما كانت تحكم امبراطوريتها الواسعة قد تقلص دورها مع زوال قدرتها السياسية • وانها خسرت ربما لحساب باريس بالذات مع أن باريس بدورها خسرت امبراطوريتها •

خسرت لندن كمركز حساس من مراكز العالم أو قلت قيمتها كمكان



.. ه ميتو

ـقاءات ومؤتمرات وغير دلك • وان كانت كسبت من باريس القاب عاصمة للهو وعاصمة القمار •

ـربما لولا العرب البترولبون ، واعتيادهم لندن منذ زمن بعيد ، لما عرفت لندن رواجها الحالي في السياحة وكمدينة للطب والعلاج • وحتى في هذا المجال بدات باريس تكسب منها •

على ان هذا التجديد جلب مناقشات حامية حوله في باريس •

كان معنى المحافظة على قصب السباق في رأى المخططين : الاذعان للمنطق الحديث في مجالات كثيرة ، خصوصا البناء • ناطحات السحاب لصماء • السوبرماركت في الاسواق • وغيرها •

وقاوم الكثيرون هذا الاتجاه • طالبوا بأن يكون هذا خارج باريس وعند حدودها • لأنه لا يجوز افساد طابع المدينة التاريخي وشخصيتها المعمارية • وأشجارها • وضفاف نهر السين المعروفة •

وكان معروفا أن بومبيدو ليس من رأى هؤلاء ولكنه كان مع التجديد • وكانت له كلمة ذاعت في هذا المجال اذ قال « على الباريسيين أن يختاروا بين أن تكون مدينتهم متحفا ، أو تظل عاصمة كبرى في العالم » •

وقد ضرب المثل بنفسه ، فوضع داخل قصر الايليزية ـ قصر الرئاسة التاريخي ـ ديكورات حديثة جدا ، غطى بها ديكورات القصر التاريخية ،

دون أن يمسها • وأعطى الاذن فقامت ناطحات السحاب مثل « برج مانهاتن » وبرج « مونبارناس » على النمط الامريكي المعروف • وأطلق لاهل الفن الحديث العنان في تشكيل أحياء المدينة الجديدة •

ولكن المقاومة اشتدت • وحين صعد « برج مانهاتن » بالذات ، واذا به يشق عنان السماء خلف « الايترال » أو « قوس النصر » الشهير في نهاية الشانزيليزيه • وصار مستحيلا التقاط صورة مثلا لقوس النصر ، دون أن يظهر فيه هذا البرج • ثار الباريسيون •

وكان بومبيدو يموت • وجاء بعده فاليري جيسكار ديستان رئيسا للجمهورية ، فنزع من قصر الاليزيه الديكورات الحديثة • وأمر بايقاف بناء المزيد من هذه الابراج • ولم يعد هذا ممكنا الا في أماكن معينة • بحيث يمكن أن يتم دون افساد الطابع التاريخي للعاصمة ، بوصفه أكبر قوة جذب للزوار الذين يتزايدون بالملايين ••

وقد فاتني أن أذكر أن الجمال والذوق الرفيع • كان احد شروط المدينة العالمية ، في رد الخبراء على بومبيدو •

فالذوق الرفيع ولمسة الجمال ليست ترفا • ولم تكن مربوطة أبدا بالثراء ووفرة المال وحدها • بدليل أن بعض أغنى المدن يعد من اقبحها • ولكنه أمر يتصل بالمستوى الثقافي للمواطن ، وتعويده على أن التقدم كما أنه « كم » فانه أيضا « كيف » • وكما أن هناك ما يسمي « مستوى الحياة » فهناك ما يسمي « بنوعية الحياة » • وربما كان من أكبر أسرار جاذبية باريس هو تفوقها في هذا الجانب بالذات •

اقول هذا والعالم العربي تشب فيه كل يوم مدن جديدة • تحمل الطابع المادي البحت • واحيانا المنقول حرفيا عن بيئات اخرى غير بيئاتنا ، وظروفنا الجغرافية ، دون مراعاة من البداية لهذه الظروف ، وللشخصية المحلية من ناحية اخرى ، قبل ان تصبح معالجة الامر متأخرة أو متعذرة •

وكم من مدينة عربية عريقة ، اعود اليها بعد سنوات فاجد جمالها الرقيق قد ديس بالاقدام ، كما تدوس افيال ضخمة على حديقة زهور جميلة •••

ولست اريد أن أرى تلك المدن متاحف ••

ولكن ليس مستحيلا التوفيق بين الاستجابة لضرورة التجديد وتوفير احدث وسائل الحياةوتسهيلاتها ، وبين ابقاء اللمسة العربية موجودة ، ظاهرة للبيان ••••

انني لا اتحدث عن الطوب والحجارة • ولكن الحجارة تدل على من صنعها • ومن خططها وشيدها على هذا النحو أو ذاك • وكم من أسرار تاريخية عرفناها وفهمناها من الحجارة • وفن العمارة وتخطيط المدن هو جماع فنون انسانية كثيرة • ولانه اكثر ما يعايش الانسان ، فهو اكثر ما ينم عن الانسان •

••

احمد بهاء الدين

● حل مسابقة العدد ٢٢٣ ●

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	أ	و	ر	ش	ل	ي	م	▼	ت	س	م	ا	ن	ي	ا
٢	ن	ي	و	م	ك	س	ي	ط	و	■	م	ن	س	و	ب
٣	ت	ل	ي	■	و	ب	■	ر	ج	م	ل	ا	■	س	ن
٤	ي	ا	■	ا	م	ي	ر	س	و	ن	■	ء	ا	ف	ج
٥	م	ت	ص	ل	■	هـ	ف	ت	■	ت	م	■	ن	ي	ا
٦	و	■	ن	ا	ن	ا	■	و	ا	هـ	ن	ا	ت	■	م
٧	ن	د	ي	ن	ك	■	ا	ف	ل	ا	■	ل	ج	ا	ع
٨	◄	ح	ا	ف	ظ	ا	ب	ر	ا	هـ	ي	م	■	■	■
٩	ا	ل	ت	ا	م	ل	■	ك	ل	ا	و	د	ي	و	س
١٠	ف	■	ص	ل	■	ج	ر	و	ف	■	د	و	م	ا	س
١١	ر	م	ن	■	ا	د	خ	ل	هـ	ا	■	ا	■	ل	■
١٢	س	ل	■	ا	ل	ي	و	م	■	ب	و	ل	ن	د	ا
١٣	ت	ي	و	ل	ي	ب	■	ب	ا	ك	ن	ج	هـ	ا	م
١٤	■	و	ف	ك	■	ي	م	س	ن	ا	■	ز	م	ن	هـ
١٥	ا	ن	ا	ف	ق	هـ	ا	■	ف	ر	ا	ر	هـ	■	ر



● تميزت نتائج هذه المسابقات بكثرة عدد الاجابات الواردة من القارئات .. وقد ظهر جليا فى عملية الفرز ..

وكان الاسمان الرئيسيان فى المسابقة افقيا :حافظ ابراهيم .. ورأسيا : كرستوفر كولمبس

(٨) افقيا ، حافظ ابراهيم

شاعر وكاتب مصرى تخرج من مدرسة الحربية وعين رئيسا للقسم الادبى بدار الكتب . اشهر اعماله ديوان شعره وكتابه « ليالى سطيح » .وقد توفى عام ١٩٣٢ .

(٨) رأسيا ، كرستوفر كولمبس

بحار ومستكشف ايطالى اكتشف قارة امريكا،عندما اراد الوصول الى الهند بعبور المحيط الاطلسى . وقد توفى عام ١٥٠٦ .

الفائزون بالجوائز

واجريت القرعة بين الاجابات الصحيحة العديدة فكانت النتيجة كالاتى :

* الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها:وليد سعيد الغز ـ الاشرفية ـ بيروت / لبنان
* الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها:دولت حسن رسمى / الكويت
* الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير ، فازتبها : نهى على ذهنى ـ دمياط / مصر

● ٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ، فاز بها :

١ ـ عبد الله احمد محمد اللى ـ الاحساء /السعودية
٢ ـ محمد عبد الله عوض ـ ابين/اليمن الديمقراطى
٣ ـ ليلى عثمان ـ اربيل/العراق
٤ ـ خالد على احمد ـ المحرق/البحرين
٥ ـ نصر الشرباصى ـ الرباط/المغرب
٦ ـ طارق عثمان ـ اونتاريو/كندا
٧ ـ على نصرى ـ حلب سورية
٨ ـ اقبال محمد عبد الله ـ الخرطوم/السودان

وسوف ترسل الجوائز لاصحابها بالبريد .

بعد مقاله « نظرة الرسول الى الكون »*

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

نظرة الاسلام الى الانسان كما يحددها القرآن الكريم : اننا جميعا من نفس واحدة :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام • ان الله كان عليكم رقيبا » (النساء . ١)

ونحن ـ كما يعلمنا الرسول الاعظم ـ اسرة كبيرة واحدة « ان ربكم واحد • وان اباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب » قال هذا فى خطبته المشهورة فى حجة الوداع •

الوحدة فى التنوع

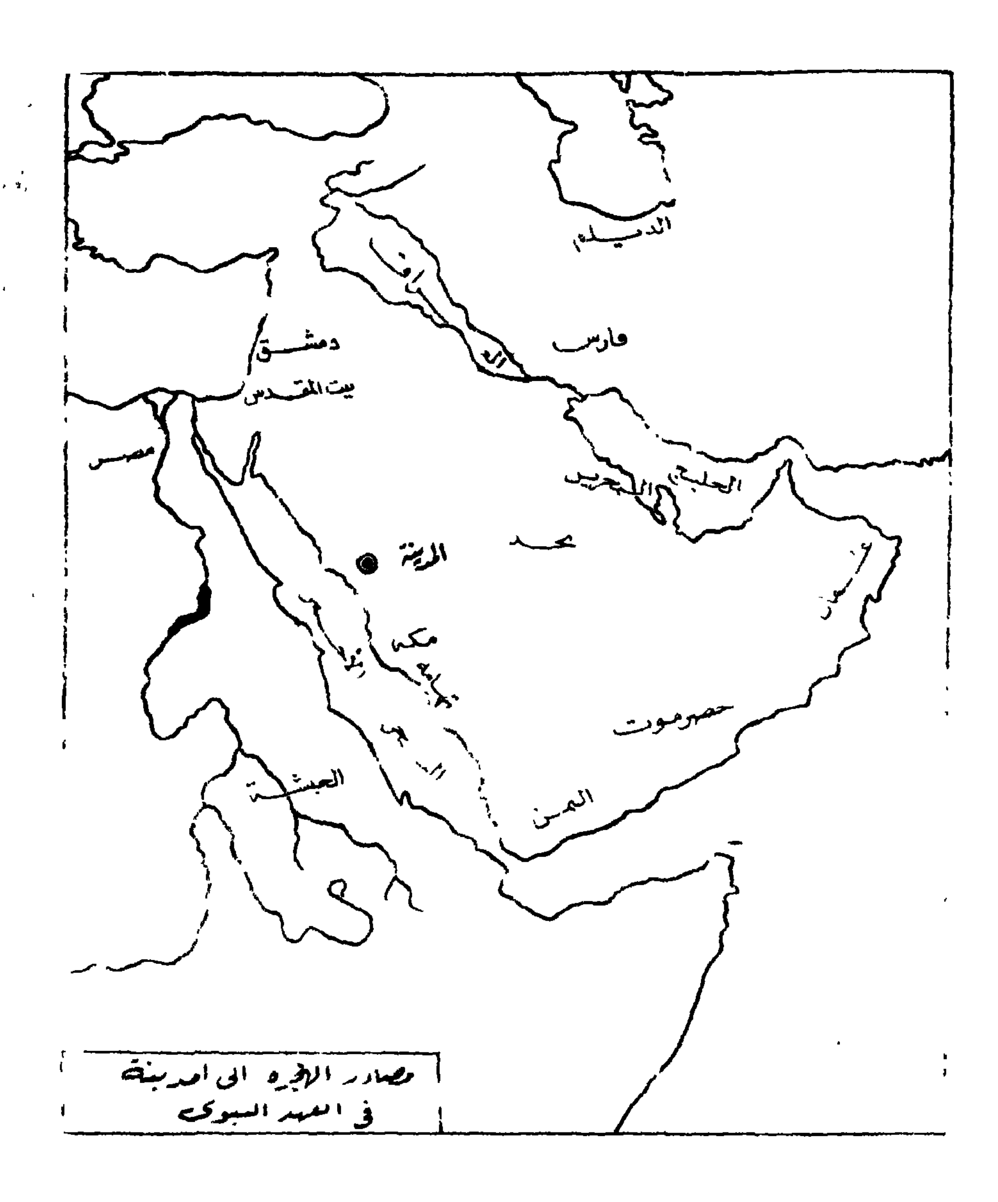
وتنظر حولك فترى الناس مع وحدة الخلق متباينين : تختلف السنتهم والوانهم وتصرفاتهم، مع أن الله خلقهم من نفس واحدة • ويشرح لنا المصطفى (ص) ذلك فى قوله :

« ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض • فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود . وبين ذلك ، والسهل والحزن ، والخبيث والطيب » (رواه احمد والترمذى وابو داود عن ابى موسى ـ مشكاة المصابيح للتبريزى ١ : ٣٦)

هذا الحديث يلفتك الى ما حولك من ظواهر الارض فى صخورها ، وتربتها المتباينة لونا . وفى سطحها المتباين انبساطا ووعورة ، وأنت تنظر الى ذلك كله فتراه فى تنوعه متكاملا •• انه الارض التى تضم ذلك كله • وانت ، ألست من هذه الارض ؟ مصداقا لقول الله تعالى :

« والله انبتكم من الارض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا » (نوح : ١٧ ـ ١٨) • فليكن الانسان وحدة هذه الارض مصغرة بكل ظاهراتها •• بل ان هذا الشعاع النورانى الذى تراه فى وحدته ، الا يجمع الوان الطيف كلها ؟ ومنه

* انظر عدد العربى رقم ٢٢٠ ـ مارس ١٩٧٧ •



مصادر الهجرة الى المدينة في العهد النبوي

تبدو الالوان اذا ما مرت على منشور زجاجي ، او انعكست كقوس قزح في صفحة السماء ؟

وانت مدعو بدعوة الرسول الى ان ترى هذا الانسان في وحدته الاولى .. والا تفقد هذه الوحدة وانت تراه متنوعا . واذا ما اخذنا اصطلاحا حديثا كان الوجود الانساني قائما على اساس « وحدة الانسان في تنوعه » .

لا عصبية

وهذا التباين لا يعدو عند المصطفى (ص) ان يكون مظهرا لقدرة الله تعالى .. وآيات للتدبر وزيادة القرب من الله بالعبادة ، ومن الناس بالاحسان اليهم ..

اما ان يتخذ البعض ـ في عصور واقطار ـ من هذا التباين مادة استعلاء او انتقاص ، ويحاولون تقسيم المجتمع على اسس لونية او طبقية او عنصرية فامور جاء الاسلام ليضع لها ميزانا لا تضطرب به الحياة ولا يضل الاحياء ..

يقول عليه الصلاة والسلام:«ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » (ابو داود عن جبير بن مطعم ـ المشكاة ٢ . ٥٩٥)

ويفرق بين حب الانسان لقومه ، وهو امر فطري ، وبين الانحياز اليهم بالباطل ويسأله رجل :

ـ يا رسول الله أمن العصبية أن يحب الرجل قومه ؟

قال : لا · ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم (احمد وابن ماجة ، المشكاة : ٢ : ٥٩٦)

ولا زالت التفـرقة العنصرية من أخطر ما تتعرض له الانسانية في عصورها المتتـابعة ، وعليها تقوم امم وشعوب وأديان ، تهدر كرامة الانسانية في جوهرها الواحد ، وتقف عند حدود القشرة اللونية او المكانة الاقتصادية والتقسيم الاجتماعي ، بينما اعطت جماعة المسلمين في مكة ومجتمعهم الاول في المدينة النموذج العملي لهذا الاخاء ·

نماذج من فجر الاسلام

١ ـ فمن الناحية اللونية : كان فيهم بـلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي ·

٢ ـ ومن الناحية الاقتصادية : كان فيهم الثرى السابق الى الاسـلام كعبد الرحمن بن عـوف وعثمان بن عفان ، والفقراء كآل ياسر ·

٣ ـ ومن الناحية الاجتماعية : كان فيهم قوم من ذؤابة قريش ، كمن آمن من بني هاشم ،وقوم من غمار الناس ·

٤ ـ وكان فيهم مهاجرون من مكة ، وانصار من المدينة · وبعبارة اخرى :

جمعت المدينة بين عناصر من اصـول عدنانية وقحطانية ، وهما القسمان الرئيسـيان لعرب الجزيرة ·

٥ ـ وكانت فيهم اعمار متباينة جمعها الايمان في ظلال الاسلام والنبوة · فعند الهجـرة كان الرسول في الثالثة والخمسين من عمره · وكان مصعب بن عمير دون العشرين أو زهاءها ·وكان عبدالله بن الزبير ـ ابن اسماء بنت أبي بكر ـ أول من ولد مسلما للمهاجرين في المدينة ·

فالمجتمع الاسلامي الاول لا نستطيع ان نقيمه على أساس لوني أو طبقي او اجتماعي وانما كان خلاصة للانسانية ونموذجا لها ، كما يبدو من الخريطة المرفقة ·

ويطيب لكثير من الـكتاب ان يذكـروا ان الوظيفتين الرئيسيتين في مسـجد المدينة وهمـا الامامة والاذان كانتا تمثلان هذا الاخاء الانساني الكريم : الاولى للنبي العربي القرشي الهاشمي والثانية لبلال الحبشي ·

التفاضل بالتقوى

ويوضح الرسول (ص) أساس التفاضل في الحياة · وأنه أمر نسبي يستطيعه من أراد أن يبتغي الى ربه سبيلا ، فيقول حاثا الناس على العمل الصالح في خطبة الوداع :

« ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ولا لاحمر على أسود ولا لاسود على أحمر الا بالتقـوى · ان اكرمـكم عند الله اتقاكم » ·

وهذا العمل الصالح تتنوع مظاهره ومجالاته ولكن هدفه واحد ، وهو صالح الدين والمجتمع ، مع اخلاص النية فيه لله ·

واذا عدنا الى فصول المناقب من كتب الحديث الصحيحة وجدناها تذكر مناقب المصطفى (ص) والخلفاء الراشـدين ، وبقية العشرة المبشرين بالجنة ، واهل البيت النبوي وازواج الرسول ، وتاتي بعد هذا مناقب الصحابة رضـوان الله عليهم دون نظر الى اوضاعهم الاجتمـاعية او الاقتصادية ·

ومع ان المشركين كانوا اذا حاوروا الرسول (ص) يودون لو صرف الفقراء عن مجلسه ،الا اننا نقرا توجيه الله لرسوله ورعايته لهؤلاء :

فعن سعد قال : كنا مع النبي (ص) ستة نفر فقال المشركون للنبي (ص) اطرد هؤلاء لايجترئون علينا · قال : وكنت انا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسـميهما · فوقع في نفس رسول الله (ص) ما شاء الله أن يقع · فحدث نفسه فانزل الله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) · (الانعام : ٥٢) رواه مسلم ·

ويبدو من هذا الحديث ونظائره ،ما كان يحاول المجتمع الاسلامي أن يزرعه في حقل الانسانية ، من قيم جديدة ، وموازين للبشر على اساس من

اعمالهم ، بعد ان تيبست اوضاعها قرونا على موازين التفرقة الاجتماعية والاقتصادية .

ومع ان ابواب المنـاقب تعرضت لـكثير من التمحيص ، باعتبارها قد تكون مدخلا الى انواع جديدة من التفرقة والتمييز بين القبائل ،يستند الى ما ذكر لها الرسول من فضل او ما نسب الى الرسول انه قاله ، فان الحقيقة القرآنية الكبرى تبقى فى اشراقها وحيا منزلا من عند الله .. « ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

آفاق مفتوحة للنشاط

وما دام التفاضل فى الحياة بالتقوى ،وليس على الانسان فى نظر الرسـول قيد من وضع اجتماعى او اقتصادى او لونى ، فله ان يبدع فى المجتمع قدر ما تستطيع مواهبه ان تطيق ، ولناخذ نماذج لذلك .

١ ـ حين يجد الرسول (ص) من بعض اصحابه تفوقا فى حفظ القرآن يدعو الاخرين الى الاخذ منهم فيقول « استقرئوا القرآن من اربعة . من عبدالله بن مسعود وسالم مولى ابى حذيفة وابى ابن كعب ومعاذ بن جبل » متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو ـ المشكاة ٣ : ٢٧٠ .

٢ ـ وهو يشجع ثابت بن قيس بن شماس على الخطابة .وكان خطيب الانصار..وعندما نزل قوله الله تعالى « يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى .. » الى اخر الآية (الحجرات : ٢) جلس ثابت فى بيته ، ظنا منه انه رفع صوته فوق صوت النبى فحبط عمله ، فلما بلغ ذلك النبى (ص) قال : بل هو من اهل الجنة (رواه مسلم عن انس . المشكاة ٣ : ٢٧٣) .

٣ ـ واذا كان خالد بن الوليد هو القائد الذى ارهق المسلمين فى غزوة احد ، واستطاع الالتفاف حول خطوطهم واختراقها ، وكسب منهم جولة من جولات هذه المعركة ، فان طاقته بعد اسلامه تحولت الى خدمة الاسلام ، ولم يكن موقعه وهو على الكفر فى غزوة احـد ، حائلا دون ان يسند اليه الرسـول المهام الكبيرة فى الاسلام ، وان يسميه « سيف الله » وهكذا كان فى حروب الردة مع ابى بكر وفى فتوح العراق والشام فى عهد الشيخين ابى بكر وعمر .

٤ ـ واذا ما ظهرت من ابى بن كعب مواهب فى تعلم اللغات،فليضم الى كتاب الوحى وليفعل ما يكلفه به الرسول من تعلم اللسان العبرى فضلاعما كان يجيد من السنة اخرى وليكن المؤتمن على قراءة ما يرد الى الرسول (ص) بهذه الالسنة من خطابات واعداد الردود عليها .

٥ ـ واذا ما ظهرت فى أم عطية رغبة ودربة فى تمريض الجرحى ورعاية شئونهم فى المعارك والمدينة فليوفر لها الرسول (ص) هذه الفرص وليسند اليها هذه الاعمال .

وهكذا تستطيع ان تراجع من انشطة الصحابة رجالا ونساء مجالات متعددة فتحتها لهم قدراتهم، او وجههم اليها الرسول (ص) ، ولم يضع قيدا على اى منهم اذا ما اراد ان يتقدم بخدمته الى المجتمع فيما يحسن .

مواقف الناس من الاسلام

ويعود الرسول (ص) فى اكثر من حديث الى تشبيه صنوف الناس بصنوف الارض فى مدى تقبلها للخير .

وانت فى القرآن الكريم تجد كثيرا مـن الترابط بين ايات نزول الوحى ونزول المطر : هذا تحيا به القلوب ، وهذا تحيا به الارض بعد موتها ، نكتفى منها بنموذج واحد من سورة الرعد :

«انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله . كذلـك يضرب الله الحق والباطل . فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض . كذلك يضرب الله الامثال . للذين استجابوا لربهم الحسنى . والذين لم يستجيبوا له لـو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به . اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم

وبئس المهاد . أفمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى ؟ انما يتذكر اولوا الالباب » (الرعد : ١٧ ـ ١٩)

اما في الحديث الشريف فنقرأ قوله عليه الصلاة والسلام :

ـ مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فانبتت الكلأ والعشب الكثير . وكانت منها اجادب وهي الارض الصلبة التي تمسك الماء) امسكت الماء فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا . واصاب منها طائفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به » متفق عليه عن ابي موسى . المشكاة ١ . ٥٤)

وانت اذا ما أدرت النظر حولك وجدت هذه الصنوف من البشر : القلوب الطيبة كأنها جنة بربوة ، تقبل أرضها الماء وتثمر ، يتمثل فيها القبول والعطاء ، وارض صلبة لا تستفيد من الماء وانما يستفيد منها غيرها . وثالثة تمسك ماء يستقى منه الناس ، ولا تنبت كلأ ترعاه الماشية ..

ولا يقتضي هذا ان تجمد القلوب على مواقفها: فالقلوب الصخرية قد تتفجر منها بعد حين ينابيع الخير ، وان من الحجارة ما يتفجر منه الانهار .. والصخر الاصم قد يتحول الى تربة خصبة مثمرة ، اذا ما تابع المطر النزول عليه او جرى عليه الماء . والارض المستوية قد تتجمع عليها الرواسب ، وتصبح صالحة للزراعة وقد يلين سطحها فيحفظ الماء للناس والانعام فالامر تفاعل مستمر .. وبعض القلوب اسرع تقبلا من بعض .. فلنعرض قلوبنا للخير حتى تستقبل منه الكثير ، وتزداد مع الايام له قبولا .

التراحم

ورسم الرسول (ص) بسلوكه وتوجيهه الاساليب التي تعين على تماسك المجتمع واحترام الانسان : صغيرا او كبيرا ، رجلا او امرأة ، مسالما او محاربا ، وكلها تنبع من اساس واحد هو محبة الانسان واحترامه .. ولنأخذ نماذج متكاملة لذلك :

١ ـ فهو يدعونا الى افشاء السلام بيننا . والسلام ليس مجرد كلمة تقال ولكن رغبة حقيقية في ان تقوم العلاقات على اساس من حب السلام وهو في ديننا من اسماء الله الحسنى . ويعلمنا المصطفى (ص) فيقول :

« لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا . ولا تؤمنوا حتى تحابوا . أولا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ افشوا السلام بينكم » مسلم عن ابي هريرة . المشكاة ٢ . ٥٣٧)

٢ ـ ويدعونا الى التصافح والتهادي « تصافحوا ، يذهب الغل ، وتهادوا تحابوا ، وتذهب الشحناء » مالك عن عطا مرسلا . المشكاة ٢ ٥٥١)

ـ ويدعونا الى صلة الرحم « من احب ان يبسط له في رزقه ، وينسأ له في اثره فليصل رحمه » ، متفق عليه عن انس . المشكاة ٢ : ٥٩٨)

ويخص الوالدين بمزيد من البر ، ويسأله رجل عن حق الوالدين على ولدهما فيقول في حديث من جوامع الكلم « هما جنتك ونارك » ابن ماجة عن ابي امامة المشكاة ٢ . ٦٠٣) .. طاعتهما جنة والى الجنة تقود ..

٥ ـ ويمد يد البر والرحمة الى اليتيم فيقول خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه » (ابن ماجة عن ابي هريرة . المشكاة ٢: ٦٠٩)

٦ ـ وتمتد مظلة الخير في الاسلام لتشمل الناس جميعا فيقول : الخلق عيال الله . فأحب الخلق الى الله من احسن الى عياله (البيهقي في شعب الايمان عن انس . المشكاة ٢ : ٦١٣)

٧ ـ وتظل هذه الرحمة قائمة حتى اذا ما اضطر المسلم ان يحمل من أجل الحق سلاحه ويوصي جيشه قائلا : « اغزوا باسم الله في سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله . اغزوا فلا

تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا » مسلم عن سليمان بن بريدة عن ابيه • المشكاة ٣٨١:٢ الغلول الخيانة فى الغنيمة • والتمثيل . التنكيل

وهذا التراحم وهو اول ما يطالعنا به القرآن الكريم وصفا لربنا الرحمن الرحيم ــ يقتضى منا دائما ان نحفظ هذا الانسان وننميه وان نوفر له البيئة الاسرية الصالحة ، حتى قبل ان يولد ، عن طريق اختيار الاب والام • وان نرعاه فى طفولته وفى صحته ، ثم نتابع رعايته فى تعليمه، واعداده للحياة وتاكيد الدين فى قلبه وعقله ، ثم نفتح له باب العلم والعمل ما دام قادرا عليهما ، وباب الرعاية حين تقعد به القدرة •

وفى الاسلام لا ينفصل المضمون الاجتماعى عن المضمون الاقتصادى عن الاساس الدينى الذى تقوم به الحياة •

واذا كان طلب العلم فى الاسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة ، فان الزكاة فى الاسلام هى صنو الصلاة • ومسئولية الدولة والمجتمع عنهما قائمة • ولعل حروب الردة تمثل نموذجا فريدا فى تاريخ الانسانية • وقفت فيه الدولة الى جانب حق الفقير بسلاحها ضد جموع الاغنياء ورغبتهم فى التحلل من هذه الفريضة •

ذلك لان الفقير والغنى والحاكم والمحكوم •• كلهم محاسب على ما يعمل ومجزى به •

وفى حياتنا المعاصرة

والاسلام ــ على هذا الاساس ــ لا يقبل قسمة العالم الى الذين يعرفون والذين لا يعرفون • ولا قسمته على اساس الذين يملكون والذين لا يملكون • ويستهدف اخاء شاملا يكون فيه العلم وموارد الحياة مجال تعاون انسانى ،وليست اسلحة فى يد الاقوياء يشهرونها فى وجوه الضعفاء •

ان الانسان الذى ترسم صورته احاديث النبى عليه الصلاة والسلام ، هو الذى راينا نماذجه فى صدر الاسلام ، وحاولنا ان نبين ابرز ملامحه ، وما أشد حاجتنا كبشر الى ان نترجم هذا الهدى النبوى الى حياة نابضة •

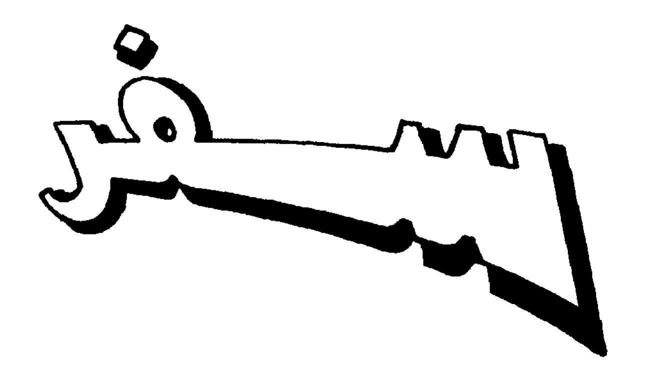
ان هذا الهدى النبوى ليس ماضيا انقضى • ولكنه شروق متجدد يستوى عنده الماضى والحاضر والمستقبل ، وما أكبر ان تكون مجتمعاتنا الاسلامية نموذجا لهذا الهدى تقدمه الى الانسانية فى مسيرتها المستمرة نحو تحقيق كرامة الانسان • ■

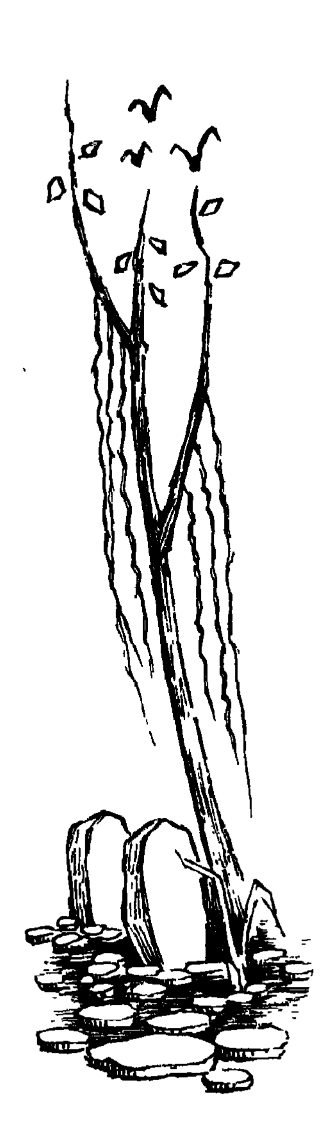
بالكويت ــ د• عبد العزيز كامل

متى ينتقص هذا ؟

● قال عمرو بن العاص رأيت معاوية فى بعض أيامنا بصفين خرج فى عدة لم أره خرج فى مثلها فوقف فى قلب عسكره،وجعل يلحظ ميمنته فيرى فيها الخلل فيبادر اليه بمن يسده،ثم يفعل ذلك بميسرته فتغنيه اللحظة عن الاشارة•فدخله زهو مما رأى •

فقال يا ابن العاص : كيف ترى هؤلاءوما هم عليه ؟ فقلت يا أمير المؤمنين لقد رأيت من يسوس الناس بالدين والدنيا ،فما رأيت أحدا تأتى له من طاعة رعيته ما تأتى لك من هؤلاء • فقال : أفتدرىمتى يفسد هذا ؟ وفى كم ينتقص جميعه؟ قلت . لا قال فى يوم واحد فأكثرت التعجب ، قائلا : وكيف فى يوم واحد ؟ قال : أى والله وفى بعض يوم قلت . وكيف ذلك ياأمير المؤمنين ؟ قال : اذا كذبوا فى الوعد والوعيد وأعطوا على الهوى فسدجميع ما ترى •





بيننا ، يتغير لون الشجر
يتوغل طير المسافات فى بحر هدأته ،
عالقا بالخيوط التى تتقاطع فى خضرة
السهل ،
او تتوازى ،
ويتصل بالبحر بالليل ،
ينقص وجه القمر

***

زمن من مطر
من رذاذ رتيب ،
يسح رمادا بغير انقطاع ،
٠٠ افى الليل ، ام فى النهار ،
ترى كان هذا السفر !

***

مدن للعبور فحسب ،
وارصفة للصدى المعدنى ،
وفى المدن الهامشية مايوقظ الذكريات،
وبين القرى ومدافنها شبه ،
٠٠ ثم فى العشب درب ،

شـــعر :

احمد عبد المعطى حجازى

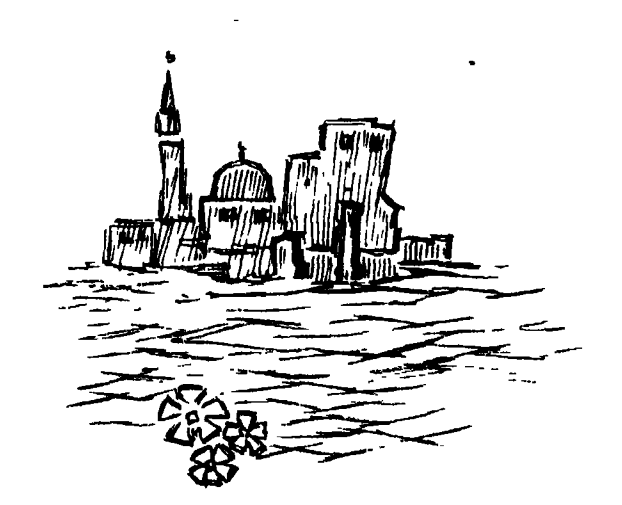
ومتسع لمرور الرياح ،
وبين القرى ومدافنها ،
ينفــذ الضوء فــى جسد الورقات ولا
يتجسد ،
بينهما شهوة غير مرئية لفحة من بياض
الطلاء الذى يتردد ،
بين البيوت وبين المقابر ،
مرتجفا فى مياه النهر !

***

التفاصيل تفقد اسماءها الآن ،
واللحظات التى سرقتنى انتهت ،
والذى كان يفصل ما بيننا يختفى
مثل نافورة سكتت ،
ثم نبقى على الطرفين ،
يواجه كل اخاه ولا يتقدم
ياايهذا الجمال الذىظل محتفظا بالصبا!
ايهذا الجمال الذى ظل محتميا بالحجر !

■■

باريس ـ احمد عبد المعطى حجازى



صفحات مجهولة من حياة

الأفغاني

في روسيا القيصرية

بقلم : الدكتور نبيل عامر صبيح

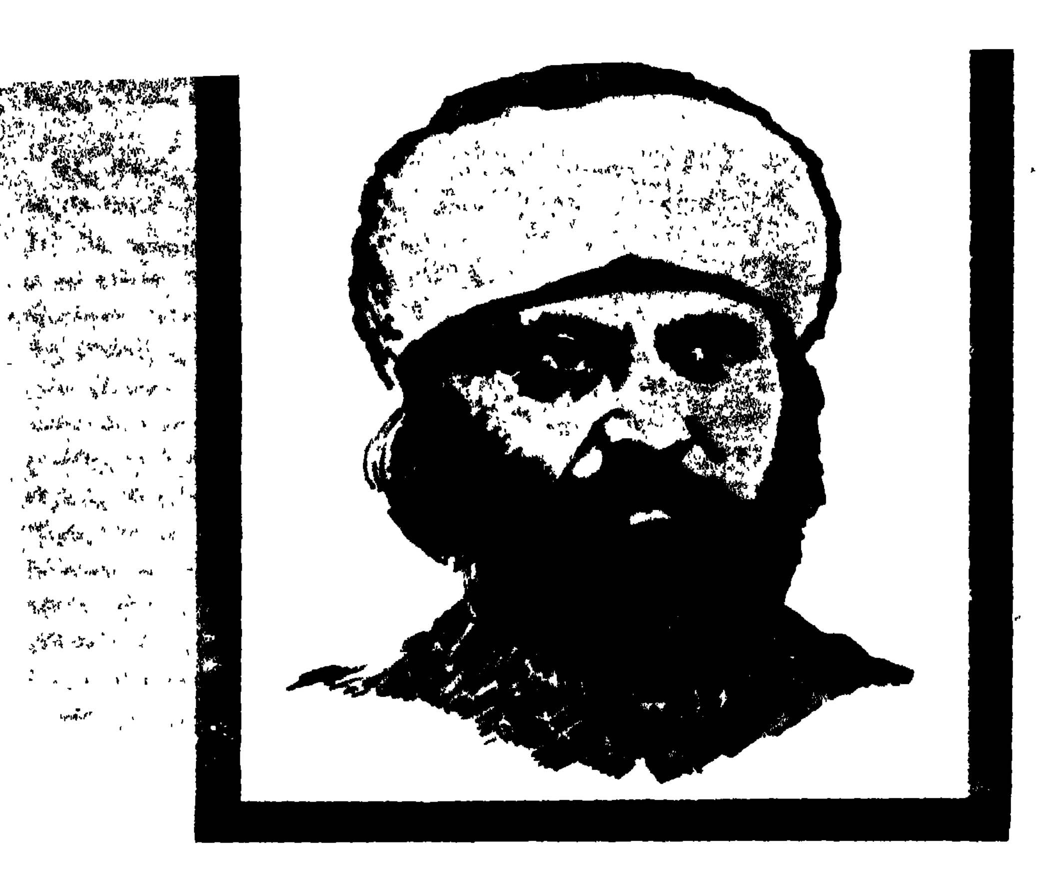
هذه قراءة متأنية لما كتبته صحف روسيا القيصرية عن جمال الدين الافغاني خلال السنوات الثلاث التي قضاها هناك (١٨٨٧ - ١٨٨٩) ٠ وقد اتيح لكاتب المقال الدكتور نبيل صبيح ان يطلع على ما نشر في الاصول الروسية وقتئذ عن نشاطات الافغاني المفكر والثائر والمجدد ، عندما كان في مهمة علمية بالاتحاد السوفييتي وهو هنا يسجل شهادته من خلال قراءة الصحافة الروسية في اواخر القرن الماضي ٠

ان افكار الافغاني عن ضرورة وحدة الشعوب الاسلامية تحت راية الاستقلال والتحرر من الاستعمار ، بهدف تحقيق العدالة الاجتماعية التي جاء بها الاسلام ، ما زالت حتى وقتنا الحاضر يتردد صداها بقوة ، وتجد الذيوع والانتشار بين جنبات الشرق الاسلامي سواء في افغانستان وباكستان او في مصر وسورية والبلاد العربية بصفة عامة ٠

ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان مفكري وقادة الشرق الاسلامي لا يزالون حتى عصرنا هذا يتمثلون افكار الافغاني في مؤلفاتهم وتصريحاتهم ، بل ويستشهدون ويقتبسون منها ما يدعم نضال شعوبهم ضد الاستعمار الاجنبي او استبداد الحكام، مستنيرين بآرائه فيما يتعلق بالاخذ بالنهضة الاصلاحية ، وسبيلها الى العودة الى احكام الدين الاسلامي واصوله الثابتة ، او لافتين النظر الى اهمية وقيمة تعاليم الافغاني فيما يتصل باسباب الاخذ بالاصلاح الديني المستنير كنواة لاصلاح امور المسلمين ٠

تنقل الافغاني بين ارجاء الشرق الاسلامي، واقام لفترات - طالت او قصرت - في ربوعه المختلفة فقد اقام في الهند ، مصر ، ايران، تركيا ، العراق والحجاز ، بل انه في سبيل تحقيق هدفه من الوحدة الاسلامية نجده يزور ايضا بعض البلاد الاوروبية مثل انجلترا وفرنسا والمانيا ٠

وقد عاش الافغاني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وكان في جولاته هذه بين بلاد الشرق الاسلامي وبلاد المغرب الاوربي يتلمس مشكلات المسلمين ويطلع على احوالهم ، بقصد انارة طريق النضال امامهم ضد الاستعمار الاجنبي



واستبداد حكامهم ، وبهدف الدعوة الى اقامة حركة اصلاحية تستهدف بعث واحياء جامعة الشعوب الاسلامية .

وكان من بين البلاد التي زارها الافغاني واقام بها روسيا القيصرية ، غير ان اقامة الافغاني هذه في روسيا التي امتدت ما يقرب من ثلاثة أعوام (١٨٨٧ – ١٨٨٩م) لم تنل عناية كافية من الكتاب الذين ارخوا لحياة واعمال السيد جمال الدين الافغاني . كما ان المصادر الروسية التي تعرضت لهذه الرحلة ، وكتبت عن الافغاني باللغة الروسية مقالات متعددة نشرت في روسيا .

لم تنل العناية الكافية لدى من تصدوا للكتابة عنه . فضلا عن ان اقامة الافغاني في روسيا القيصرية لم تسلط عليها اضواء كافية من قبل الكتاب بالشرح والتحليل – رغم اهميتها لدراسة احوال المسلمين الذين كانوا يعيشون في روسيا وقتذاك تحت الحكم القيصري – سواء في اللغة العربية او الافغانية او في المصادر الاوروبية العربية .

والحق يقال ان من بين الاسباب الاخرى التي تدعو الى تركيز الاضواء على رحلة الافغاني واقامته في روسيا فترة لا تعد قصيرة ، هو اقتناع الكاتب باهمية ابراز جانب هام من نشاط الافغاني بين رعايا القيصر الروسي المسلمين في غضون تلك الفترة .

رحلته الى موسكو

اقام الافغاني في موسكو في مستهل شهر يولية سنة ١٨٨٧ ، واستمرت اقامته في روسيا ما يقرب من ثلاثة أعوام . وفي خلال عام واحد تعلم اللغة الروسية بدرجة كافية تجعله يحسن التحدث بها وقد عاش ما يقرب من عام في موسكو وحوالي ثمانية عشر شهرا في بينربرج Peterburg (لينتجراد الحالية) عاصمة روسيا وقتذاك ، كما زار كييف . وتجول في بلاد القوقاز الاسلامية التي كانت تحكمها روسيا القيصرية .

وقد اجتمع الافغاني بالكثير من الشخصيات الحكومية المسئولة في روسيا ، وكان من بين من اجتمع بهم وزير خارجية روسيا آنذاك « جيرسوم Gursom » وبعض قادة الجيش الروسي امثال « ريختر » Ruchter ، و « ابروتشيف » Abry tchev كذلك أصبح الافغاني في سبتمبر سنة ١٨٨٨ عضو الجمعية الجغرافية القيصرية في بيتربورج (لينتجراد) .

اولى الافغاني اهتماما خاصا لمسالة نشر وترويج نظراته الاصلاحية التنويرية بين مسلمي روسيا . كما نال موضوع تبادل العلاقات السياسية بين روسيا والبلاد الاسلامية المتاخمة لها نصيبا كبيرا من عنايته . وقد أشار الدكتور محمود قاسم الذي ارخ للافغاني في كتابه « جمال الدين الافغاني ـ حياته وفلسفته » الى ان الافغاني أقام في روسيا في سنة ١٨٨٦ بدعوة وجهت اليه من قبل حاكم موسكو (كاتكوف Katkof) . وهناك روايات أخرى ـ ذكرت في مصادر مختلفة ـ عن دعوة الافغاني لروسيا القيصرية . وما يعنينا أن هذه الروايات المتعددة قد اتفقت على أن الافغاني قد حظي بشهرة واسعة وقتذاك لدى كل من مسلمي روسيا والقوى التقدمية بها . ويظهر من هذه المصادر المتنوعة أن احد الاسباب الهامة التي دعت الافغاني الى القيام برحلته الى روسيا هي اختلافه في الراي مع شاه ايران . فقد استرعت خطبه ضد الانجليز انتباه الصحف الروسية حينذاك ، كما انها ادت الى اتفاق القوى التقدمية في روسيا معه في الراي بالتنديد بالسياسة الاستعمارية الانجليزية في الهند ومصر وافغانستان والتي كانت تناوىء المصالح الروسية في الشرق الاسلامي بصفة عامة.

ظهرت في الصحف الروسية بين سنتي ١٨٨٧ـ ١٨٨٩ مقالات هامة عن اقامة الافغاني في روسيا، كما نشرت هذه الصحف تباعا المقالات التي كتبها الافغاني اثناء اقامته في روسيا وهي : « العلاقات الانجليزية الروسية » وقد ظهر هذا المقال في الجريدة الروسية المسماة :

(Novia Vremia, No. 4116, 15 Avgest 1887- New Time, No. 4116, 15 August 1887).

ـ اسباب الوقائع الحالية في « افغانستان » وقد ظهر هذا المقال في الجريدة الروسية المسماة:
(Moskovski Vedomosi, Ueole, 1887- Moscow's Record, Julle. 1887).

ـ « القضية الافغانية » وقد ظهر هذا المقال في الجريدة الروسية المسماة :

(Moskovski Vedomosti, Avgost, 1887- Moscow's Record, August, 1887).

وتحتفظ مكتبة الدولة بالاتحاد السوفيتي المسماة « مكتبة لينين » بالصحف والمجلات والكتب التي صدرت ما بين سنوات ١٩٠٥ ـ ١٩١٧ في المدن الروسية المختلفة بتربوج (ليينجراد) قازان ، اورنبورج ، والتي نشرت باستفاضة المقالات والمذكرات والابحاث التي كتبت باللغة التترية ـ لغة مسلمي روسيا في ذلك الوقت ـ عن اقامة الافغاني في روسيا ، والتي اتيح لكاتب هذا المقال الاطلاع عليها في مكتبة الدولة (مكتبة لينين) بموسكو بالاتحاد السوفيتي . وقد اعطت هذه المقالات والابحاث عرضا تفصيليا لسيرة الافغاني، وبينت جوهر نشاطه الاصلاحي في افغانستان ومصر والهند وايران وتركيا وفي البلاد الاوروبية الغربية وغيرها ، وسردت بتوسع آراء الافغاني عن ضرورة احياء روح الاسلام الاصيلة ، وبسطت في سبيل ذلك الهدف ما تضمنته رسالته الهامة في « الرد على الدهريين » ومقالاته الاخرى التي نشرت في صحيفة « العروة الوثقى » التي اصدرها الافغاني والشيخ محمد عبده في باريس في سنة ١٨٨٣ .

ضد سياسة بريطانيا

تابع الافغاني باهتمام كبير نتائج اتصالات روسيا القيصرية بالدول الاسلامية المتاخمة لها في نهاية القرن التاسع عشر . اذ من المعروف تاريخيا انه قد حدث في تلك الفترة بوادر تناقض خطير بين انجلترا وروسيا حول مشكلة الشرق الاوسط .

فقد سعت الاوساط الحاكمة الانجليزية الى محاولة تقسيم وتجزئة افغانستان بهدف ادخالها بعد ذلك في حوزة ممتلكاتها المستعمرة ، في الوقت الذي كانت فيه السياسة الروسية تهدف أيضا الى تثبيت نفوذها السياسي في افغانستان . وفي صيف ١٨٨٧ بدأت المباحثات بين انجلترا وروسيا بشأن تحديد الحدود الروسية الافغانية . وكان الافغاني يقيم وقتذاك في بيتربورج (لينينجراد) . وقد تتبع باهتمام عظيم ما تكتبه الصحف الروسية حول هذا الموضوع . وبمجرد أن انتهت هذه المباحثات نشر الافغاني في الصحيفة الروسية المسماة : Novia Vremia New Time مقالا عن « العلاقات الانجليزية الروسية » . وفي هذا المقال خاطب الافغاني مناصري اقامة علاقات مباشرة بين روسيا القيصرية والدول الاسلامية المتاخمة لها . اذ كتب يقول :

« ياترى مانوع التصور الذي تبادر الى اذهان الروسيين في أثناء المباحثات التي جرت مع الافغانيين والتي اذن بها وتبناها الوسطاء الانجليز

وهى شان من صميم شئون الافغانيين وحدهم ؟ .. وبأى حق تسمح روسيا لانجلترا بهذا الوضع الذى يجعلها وكأنها نصير للوساطة الانجليزية وفى هذا أكبر الضرر عليها ، اذ يجلب مقت وكراهية الافغانيين لها .. ومثل هذا الوضع انما يعطى للروس امكانية ضئيلة مع الوقت فى سبيل استمالة الافغانيين لهم وتثبيت نفوذهم السياسى عليهم وعلى غيرهم كمناصرين لقضايا حرية هذه الشعوب ..

ومن الطبيعى الا نندهش اذا صدر مثل هذا القول عن توقعمناصرة الروس لقضايا حرية شعوب الشرق الاسلامى من ربقة الاستعمار الانجليزى او غيره من قبل الافغانى او الشيخ محمد عبده او مصطفى كامل اومحمد فريد اوغيرهم من الزعماء . فقد تصور هؤلاء المفكرون فى ضوء الاوضاع السياسية العامة التى كانت تتحكم فى موازين القوى الدولية وفى علاقات الدول الاوروبية بصفة خاصة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر انه يمكن لشعوب الشرق الاسلامى ان تعتمد فى سبيل حصولها على استقلالها السياسى على تضارب المصالح الاستعمارية بين الدول الاوروبية الكبرى. فلا غضاضة اذن اذا وجد الافغانى ان من مصلحة الافغانيين ان يوطدوا علاقاتهم بروسيا فى سبيل مناوأة الانجليز والتخلص من نفوذهم وسيطرتهم على بلاد الافغان .

كتب الافغانى عدة مقالات نشرت فى روسيا القيصرية ، فضح فيها السياسة الاستعمارية فى الشرق الاسلامى بصفة عامة . وفى احد هذه المقالات كتب الافغانى يقول :

« تتميز السياسة الانجليزية الاستعمارية بانها فى سبيل تحقيق مراميها البعيدة انما تتخذ من الاشكال المنوعة والاساليب المتعددة مايخدم اغراضها المرسومة بدقة . فالانجليز حيث يحلون فى مكان يتخذون فى بداية الامر مظهر المستشارين والوسطاء والحماة المناصرين ، ولا تمر عدة عقود من السنين الا ويصبحون اصحاب السلطان فى البلد الذى يحلون به ... هذه السياسة الانجليزية التى تتصف بالنفاق والتى تطبع الانجليز بهذا الطابع الخاص طبقها الانجليز بمهارة سواء فى علاقاتهم مع راجوات وحكام الهند او فى البلاد الاخرى التى خضعت لهم . ويمثل هذه السياسة الماكرة لم يوقعوا فى شركهم امارات الساحل المهادن العربية الصغيرة فحسب ، بل وقعت فريسة فى شركهم بلاد قوية مثل مصر وتركيا وفارس .. »

صداقة الشاه والذئب

وفى ثنايا فضح الافغانى للسياسة الانجليزية فى الشرق الاسلامى ، انتقد بصفة خاصة سياسة الانجليز فى افغانستان التى مالأ اميرها (عبد الرحمن) الانجليز فقبل حمايتهم للبلاد تحت راية صداقة مزعومة لا تجوز بين الشاه والذئب الذى يريد ان يفترسها ، مبينا ان الشعب الافغانى يعرف مغبة ذلك الامر ويدرك ان مآل هذه الحماية او الصداقة المزعومة فرض سيطرة الانجليز على البلاد عن طريق التحالف مع صنيعتهم امير الافغان .وكان ذلك النص من مقال الافغانى من (اسباب الوقائع الحالية فى افغانستان) .

وفى مقال آخر للافغانى تحت عنوان « القضية الافغانية » لفت انظار القراء الى جور وظلم السياسة الاستعمارية لانجلترا فى افغانستان . اذ كتب يقول :

« باستيلاء الانجليز على « كابول » عاصمة الافغان لم يكتفوا بسفك دماء علماء الدين ـ الذين اعتبروهم المحرضين الاساسيين للشعب الافغانى للنهوض ضد الانجليز واشعال نار الحرب معهم ـ بل خولوا لانفسهم الحق فى تدنيس مقدسات المسلمين هناك ، والادهى من ذلك كله اضرام الحرائق فيها تاتى عليها وعلى ما فيها من ذخائر ونفائس المسلمين فى شتى الفنون والحرف والصناعات ، هذه الفظائع المهولة التى اقترفها الانجليز ، وتلك المقدسات الاسلامية التى دنسها الانجليز قد فاقت كل وصف وتجاوزت كل الحدود ... »

قوبلت مقالات الافغانى التى هاجم فيها السياسة الاستعمارية لانجلترا فى الشرق الاسلامى بترحاب شديد ومساندة قوية من قبل القوى التقدمية فى روسيا ، وباستحسان الدوائر الحاكمة فيها الذين وجدوا فيها فرصة لمناوأة النفوذ الانجليزى فى افغانستان ، وسبيلا الى تعزيز وتثبيت نفوذهم السياسى على هذه البلاد .

ومن ناحية اخرى فان الافغانى لم يقصر نشاطه فى روسيا القيصرية على اظهار اهمية التعاون بين روسيا والدول الاسلامية المتاخمة لها وضرورة

قيام اتصال اوثق في سبيل خدمة قضايا حرية هذه الدول وشعوبها من ربقة الاستعمار والاستبداد الداخلي . بل انه ـ بعد أن تعرف على أوضاع وحياة مسلمي روسيا اثناء تجواله بها في فترة اقامته ـ دعا في أحاديثه ومقابلاته مع المسئولين الرسميين في العاصمة الى طلب مساندتهم وتعضيدهم لحركة التقدم الاجتماعي والقومي بين مسلمي روسيا والشعوب الاخرى الخاضعة لروسيا.

غير أن الافغاني قصر مظهر التعضيد الروسي للمسلمين على مساعدتهم في اصدار مطبوعات دورية ، وفي نشر التعليم فيهم بلغاتهم القومية، وفي تطوير ثقافتهم القومية بصفة عامة .

والملاحظ أن الافغاني وهو يطالب الروس بتعضيد قضية استقلال الشعوب الاسلامية الخاضعة لهم ، قد قصر مفهوم هذا الاستقلال على مجرد تعضيد حركة التقدم الاجتماعي والقومي بين المسلمين الروس ، وتجاهل او تناسى بذلك حق هؤلاء المسلمين في حركة بعث سياسي قومي تهدف الى حصولهم على الاستقلال السياسي من نير الحكم الروسي ..

لقاء مع القيصر

طلب القيصر الروسي الاسكندر الثالث على علم السيد جمال الدين الافغاني التي تناولت قضايا السياسة الدولية من زوايا اتصالها بقضايا الشرق الاسلامي ، وعلى مقدار نفوذ وتأثير شخصية الافغاني بين مسلمي روسيا، لذلك رغب القيصر في التعرف عليه . ثم دعاه لمقابلته في قصره. عرض الافغاني ـ أثناء هذه المقابلة الرسمية التي جرت بينه وبين القيصر الروسي ـ وجهة نظره فيما يتعلق بخصوص مضمون السياسة الانجليزية الاستعمارية في بلاد الشرق الاسلامي ، وتطرق من ذلك الى الحديث مع القيصر بشأن أحوال مسلمي روسيا ، متوجها بالرجاء الى القيصر لاقناعه بأهمية تحسين أحوالهم والاستجابة لمطالبهم العادلة بشأن مساعدتهم في فتح مدارس لهم واصدار الكتب والمجلات بلغاتهم القومية .

وقد استمع القيصر بانتباه شديد لما قاله الافغاني ، غير أنه اهتم بصفة خاصة بمعرفة البواعث التي أدت الى اختلاف الافغاني مع شاه ايران ناصر الدين شاه . وقد ذكر الافغاني اسباب ذلك بالقول بانه عرض على الشاه ابدال نظام حكمه المطلق بنظام آخر يكون فيه الحكم ملكيا دستوريا مما أثار غضب الشاه وأدى الى مغادرة الافغاني لايران . وقد استحسن القيصر الروسي ـ بعد ان استمع للافغاني ـ رفض شاه ايران ذلك العرض الذي تقدم به الافغاني ،وقال للافغاني بانه لا يمكن أن يوجد ذلك الحاكم الذي يرضى طواعية بان يتنازل عن سلطاته للشعب او ممثليه . عند ذلك جاهر الافغاني بالقول للقيصر الروسي :

« في ظني يا صاحب الجلالة القيصر ان عرش الحكم تثبت دعائمه اذا استند على رضاء الملايين من رعيته المخلصين ، ولا شك ان ذلك يكون اجدى على الحاكم من ان يكون هؤلاء الملايين اعداء ألداء له يترقبون الفرصة ويتحينون اللحظة التي يظهرون فيها ما تختزنه قلوبهم من سم البغضاء والكراهية وما يحتمل في نفوسهم من نار الثار والانتقام . » (١)

كان رد الفعل لدى القيصر الروسي ان انهى المقابلة مع الافغاني وافهمه بان استمرار اقامته في روسيا امر غير مرغوب فيه . وقد غادر السيد جمال الدين الافغاني روسيا بالفعل سنة ١٨٨٩.

نجح الافغاني قبل مغادرته روسيا في استمالة الكثير من الاتباع والمريدين بفضل قوة شخصيته وبتأثير تعاليمه القويمة . وقد ظل عدد غير قليل من هؤلاء الاتباع والمريدين على الخط الذي رسمه لهم الافغاني . وكان من بين أكثر الدعاة ولاء لآراء وتعاليم الافغاني الاصلاحية ، وضرورة نشرها في روسيا المثقف والكاتب الاجتماعي التتري « موسى جار الله بجييف » والرحالة التتري « عبدالرشيد ابراهيم » الناشر وصاحب مجلة «المرآة» التي كانت تصدر في بيتربرج(لينتجراد).

يذكر معاصرو الافغاني في هذه الفترة كيف تطرق الحديث يوما ـ اثناء اقامته في روسيا القيصرية ـ عن سياسة الاضطهاد التي اتبعها قياصرة روسيا تجاه الشعوب الاسلامية الداخلة في نطاق الامبراطورية الروسية . اذ وجه الافغاني

١ ـ انظر : أحمد أمين ، زعماء الاصلاح في العصر الحديث (القاهرة ، ١٩٤٨) ص ٩٦ .

حديثه الى « عبدالرشيد ابراهيم » بالقول : « يا ولدى ... لا تتكدر وتغتم .. انك سوف تشهد مآل قيصر روسيا . كما انك سوف ترى ايضا النهاية الحتمية للاستعمار فيالهند .. »(٢)

اراء فى العلم والتربية

وفى مناسبة اخرى دار الحديث حول اصلاح التعليم على المنوال الاوروبى . وهذه هيكلمات الافغانى فى هذا الشأن والتى تصور اتجاهه نحو الثقافة الغربية كما نقلها عنه « موسى جار الله بجييف » : « اننى أجل الفن والعلم والتعليم فى الغرب وبصفة خاصة العلوم الرياضية .. ولكننى انظر بارتياب نحو المعتقدات الاجتماعية مثلها فى ذلك النظم الاجتماعية الغربية .. (٣)

وفى معرض حديث جرى بين الافغانى وبين العلماء فى موسكو حول العلم الحديث ، صرح الافغانى بالقول بأن « الشعوب الاوروبية اذا ارتبطت أوثق ارتباط بالعلم وحصلت من وراء ذلك على قدر كبير من المعارف العلمية كماقبضت بالتالى على ناصية الخبرة الفنية واستحوذت على مصادر المعرفة اللاحقة . قد اصبحت فى مقدمة شعوب العالم تقدما ورقيا . وذلك الوضع يفرض علينا أن نفعل كل مافى وسعنا حتى نتجنب ما يلصقه بنا الاوروبيون من تهمة التعصب ضد كل ماهو عربى وخاصة اذا ما كان يتعلق بالعلم والمعرفة » ..

ولا يمكن ان نختم ذلك المقال عن الافغانى دون ان نشير الى رأيه فى أمور التربية والتعليم كما جاء فى احدى الصحف الروسية .

نشر للافغانى مقال هام يتضمن رايه فىاصلاح نظم التعليم فى الشرق الاسلامى بصفة عامة ، وذلك فى جريدة الشورى الروسية التى كانت تصدر باللغة التترية فى مدينة اورنبورج فى روسيا القيصرية . وقد بدأ المقال بتوجيه النقد لنظم التعليم فى بلاد الشرق الاسلامية حيث يقول : « لاشك ان بلاد الشرق الاسلامية وقعت فريسة لحكم المغيرين عليها ، قد اظلتها عهود من الجهل والتاخر دفعتها الى تقديسالتقاليد البالية والتمسك باهداب المعتقدات الموروثة التى اعاقت دفع عجلة التقدم والرقى فى هذه البلاد ، وكانت سببا فى تخلف دول الشرق عن الغرب وخاصة فى ميدان العلوم الحديثة .. والغريب فى الامر اننا وقد استكنا لهذا الوضع وبتنا لا نرضى البتة بتغييره او مجرد تعديله وتحسينه، قد اطمأننا على ما ستحوذه بين أيدينا من علم الاجداد لا نريد غيره مطلقا .. واصبح منالسهولة بمكان ان تذهب الى البرازيل فى اقاصىالاراضى وان تقيم هناك ما تشاء من انظمة اسلاميةوثقافية متطورة، منان تحاول مجرد اصلاحاحوال الاسلامفى بخارى الاسلامية ... وبذلك لم تعد هناك حاجة تدعو الى الاستغراب بأن العرب الذين اقاموا حضارة مرموقة فى الاندلس لا يستطيعون اليوم ان يقيموا صرحا حضاريا مماثلا فى مراكش اوفى فارس او فى الجزائر .. العلة فينا والداء فى داخلنا ، اذا أردنا ان نداوى العلة فلا بد من الداء ... ودواء هذا الداء ان نتحصن علىالعلم وان نكتسب المعرفة ، وبذلك وحده نستطيع ان نحيا وان نتقدم » ... (٤)

الخلاصة انه رغم ان اقامة الافغانى فى روسيا القيصرية لم تدم لفترة طويلة ، الا ان ذلكلايقلل من اهميتها ، اذ ترك الافغانى اثرا عميقا فى تاريخ حركة الاستنارة بين المسلمين فى روسيا القيصرية فى التسعينات من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . ■■

د . نبيل احمد عامر صبيح
كلية التربية ـ جامعة عين شمس القاهرة

---

٢ ـ انظر محمود أبو ريا ، جمال الدين الافغانى ـ تاريخه ـ رسائله ومهامه (القاهرة ، ١٩٦٦) ص ١٥ .

٣ ـ انظر جريدة المؤيد لسنة ١٩١٣ ، العدد الاول ، القاهرة ، ١٩١٣ .

٤ ـ انظر جريدة الشورى الروسية التى كانتتصدر باللغة التترية فىمدينة أورنبورج الروسية العدد ٥ لسنة ١٩١٦ .

الـدين .. أوالسكين!

آخر صورة للمجتمع الاسلامى فى الصحف الغربية انه مجتمع تصفية دموية ، لا يعرف الا قطع الرقاب او قطع الايدى ، وشعاره هو : الدين او السكين !

منذ قتلت جماعة التكفير والهجرة عالما مصريا كبيرا ووزيرا سابقا وبثت المتفجرات فى قلب القاهرة ، ومنذ تناقلت وكالات الانباء قصة قانون الارتداد عن الدين فى مصر، وتطبيق الحدود الشرعية فى باكستان ، منذ ذلك الوقت وردود الفعل فى العالم الغربى لم تتوقف • حتى خرجت علينا مجلة « الايكونوميست » الاسبوعية البريطانية (عدد ١٦ يوليو الماضى) بتعليق يروى حكاية مجتمعاتنا « المتدينة » المتعطشة للدماء • والى جوار التعليق رسم « توضيحى » لرجل رفع سيفه ليهوى به فوق رقبة شخص منكس الرأس جاثم على ركبتيه ، وآخر رفع فاسا ووضع امامه كتلة مربعة من الحجر ، بينما طابور من البشر ينتظر فى مواجهته ، وقد تقدم اولهم مستسـلما ، ووضع كلتا يديه على الحجر ، مترقبا لحظة البتر الرهيبة !

و •• هذا هو الاسلام الذى يدعون اليه ، ليرى من لم يسمع ولم يقرأ !

طبعا ليست القضية هى تحسين صورتنا لدى « الخواجات » • وليس المطلوب هو البحث عن اسلام ينال رضا الاوروبيين ، والا صرنا مثل اولئك الذين يدعوننا الى الثقافة حتى لا تتأذى عيون السياح ، الخضراء والزرقاء • هذا فضلا عن أننا نعلم ان بين الاوروبيين وغيرهم من هم حاقدون على الاسلام كارهون له ، تشربت عقولهم بالرواسـب المتخلفة عن الحروب الصليبية • وما اقترن بها من مرارة وتعصب اسود •

لكن الاهم والاخطر اننا صرنا نطرح الاسلام بهذه الصورة الشائهة • لم نعد نرى فيه الا « الوجه العقابى » بكل ما يتضمنه هذا التعبير من جنوح الى التكفير ولهفة على تطبيق الحدود • هذا فضلا عن ان بعضنا لا يزال يرفض العالم ويناصبه العداء ، لان الكرة الارضية – فى نظرهم – ما زالت مقسمة الى قسمين : دار الاسلام ودار الحرب!

وهذه الصورة ليست من خيال شباب متهور ، حديث السن والتجربة ، قليل التحصيل فى علوم الدنيا والدين ، لكنها – وهذا هو الافدح – برسم وخط علماء كبار يتحدثـون باسم الاسلام ، ويقفون حراسا على مصالح وضمائر المسلمين •

العجيب والمدهش ان كلام شيوخنا هؤلاء ، عندما يصـل الى الناس ، ويصدقه الشباب الذى لم يكتسب حصانة من اى نوع ، ثم يندفعون فى محاولة ترجمته الى حقيقة وواقع ، فان الذى يوضع فى القفص هم هؤلاء الشباب وحدهم • يحـاكم المجنى عليهم وليس الجناة !

ومن العسير أن نحصي صور واساليب التشويه للاسلام التي يصبونها في اذهاننا بين الحين والاخر • فمنذ كنا صغارا والدين يلقن لنا باعتباره منجاة من عذاب جهنم ، حتى الآيات التى كنا نحفظها كانوا يختارونها بحيث تحصرنا فى هذه الدائرة الضيقة ، مشاهد العذاب ، والمصير الذى ينتظر العصاة الجاحدين او الفزع الاكبر الذى يعيشه الجميع يوم الحساب •

كانت أبداننا تقشعر ، بينما أبصارنا شاخصة الى مدرس الدين وهو يحكي ملوحا بعصاه الرفيعة •

كانوا يقولون لنا — سامحهم الله — ان الخوف هو الطريق الى الايمان ، وليس الحب • وان الخير ليس هدفا فى ذاته ، ولكنه سبيل الى الافلات من العذاب الاليم • كأنما لم يبعث الرسول « رحمة للعالمين » ، وكأنما كان « نذيرا » فقط ، وليس « بشيرا » ايضا •

لم يقولوا لنا — ونحن صغار بعد — معنى أول ما ننطقه من القرآن الكريم « بسم الله الرحمن الرحيم » • حتى لم يكترثوا بان يقدموا لنا الصورة متوازنة ، الرحمة الى جوار العذاب ، والترغيب مع التخويف والترهيب •

ولم نعرف أن « رحمته وسعت كل شيء » ، الا بعد أن كبرنا ، ونما الدين فى اعماقنا مرتبطا بالخوف !

●

من منا لم يسمعهم يقولون فى كل مناسبة ومن فوق كل منبر : ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ؟ •• من منا لم تخترق اذنيه هذه الاية القرآنية ، يرددها مشايخنا ليعززوا دعوتهم الى تطبيق الشريعة الاسلامية • ويضعوننا بالتالى امام خيارين : اما تطبيق الشريعة ، أو وصمة الكفر والزندقة • وما دام « التطبيق » لم يتم ، فحكامنا كفار ، ومآلهم جهنم وبئس المصير !

بمنتهى البساطة يلقون بمثل هذه الآيات ، بغير شرح ولا ايضاح • ثم يتمددون ، وتستريح ضمائرهم ، ويتصورون انهم بلغوا الرسالة وافحموا غيرهم بالحجة الدامغة • ويغيب عن بالهم انهم لم يفعلوا فى الواقع اكثر من انهم دسوا الغاما موقوتة فى اعماق الناس

وقد انفجر أحد هذه الالغام فى مصر منذ اسابيع ، ويعلم الله متى واين تحدث الانفجارات الاخرى •

وربما كانت آية تكفير « ومن لم يحكم بما انزل الله » هى اكثر آيات القرآن تداولا فى مجال الدعوة لتطبيق الشريعة ، وهى أيضا اكثر الآيات غموضا والتباسا فى اذهان الناس • ومنذ العصر الاسلامى الاول كان الجدل مثارا حول هذه الآية • وفى هذا الصدد قال الصحابي ابن عباس وطاووس اليماني — من التابعين — أن الآية ليست على ظاهرها واطلاقها • وان الكافر المعنى هنا ، هو من حكم بغير ما انزل الله جاحدا اى رافضا ومنكرا عن غير ايمان)، وان من اقر بحكم الله ، وحكم فى الامر على خلافه فلا يعد كافرا ، لكنه يعتبر فاسقا أو ظالما • (وهو الذى يعنيه سياق الآيتين « ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون » •• ثم الفاسقون)

وهذا هو التفسير الذى اجمع عليه كل فقهاء أهل السنة ، أبو حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل وابن حزم • ولم يشذ عن هذا الاجماع سوى الخوارج والمعتزلة •

ثم ان المقصود بتعبير « الحكم بما انزل الله » هو — كما قال ابن حزم — تنفيذ اوامر الله فى التحريم والايجاب • لذلك فان الخطاب ليس موجها الى الحكام وحدهم

أو القضاة ، كما يروج البعض ، ولكنه موجه لكل مسلم حاكما كان أم فردا عاديا ، هؤلاء جميعا مطالبون بالالتزام بالاوامر والنواهي التي انزلها الله في كل شئون حياتهم ، سواء في ذلك المعتقدات او العبادات او المعاملات او غيرها •

وهذا التفسير يعطي صورة مغايرة تماما ، لتلك التي يتداولها الناس وتشحن بها عقول الشباب ، فيظلمون انفسهم ، ومجتمعهم ، ويسيئون الى دينهم • لكن التفسير المبتور كان مقصودا فيما يبدو ، لانه من السهل أن نطالب غيرنا بتطبيق الشريعة وحدها ، ومن الصعب والعسير أن نطالب انفسنا بان يطبق كل منا في بيته كل ما أنزل الله » •

●

هذا كله الى جانب ، وموقف الاسلام من قضية التكفير في جانب اخر • والغريب أن مسالة التكفير هذه كانت أول قضية فكرية واجهت المجتمع الاسلامي قبل ١٣ قرنا • لكن فقهاء السنة حسموا هذا الموضوع وانتهوا من أمره ، منذ زمن بعيد • وكان الخوارج هم حملة لواء التكفير ، اذ انهم قالوا بتكفير مرتكب الكبيرة ، اي من يعصي اوامر الله• وكانوا أول من استباحوا لانفسهم قتل المسلمين المخالفين لهم في الراي • ومن اشهر ضحاياهم عبدالله بن خباب – من صحابة رسول الله – اذ مضت جماعة منهم تطوف بالناس ، وتهددهم بالقتل ما لم يساندوهم في رأيهم بتكفير علي بن ابي طالب لانه قبل التحكيم عندما نازعه معاوية ابن ابي سفيان على الخلافة ، وقالوا وقتئذ ان عليا كفر لانه قبل تحكيم البشر في الخلافة ، في حين أنه « لا حكم الا لله » !

المهم ، أن الصحابي عبد الله بن خباب سمع بقدومهم فخرج من بيته مذعورا مع امرأته – وكانت حبلى – فسالوه في علي بعد التحكيم والحكومة ، فكان رده أن عليا اعلم بالله ، واشد حرصا على دينه • ولم يعجبهم كلامه ، فاخذوه وذبحوه ، وبقروا بطن زوجته ! وحجتهم أن هذا الصحابي صار كافرا واستحق القتل !

ولم يعد هناك خلاف بين أهل السنة على أن احد لا يملك تكفير مسلم نطق بالشهادتين• والحديث الشريف يقول : « امرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فاذا قالوها ، فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » • هذا فضلا من ان هناك تحذيرا صريحا من تكفير المسلمين في حديث يقول : من قال لاخيه يا كافر فقد كفر •

وقصة أسامة بن زيد معروفة ، اذ قتل مشركا في احدى الغزوات ، رغم انه نطق بالشهادتين ، وحسب أنه فعل ذلك لينجو من القتل • وعندما روى القصة لرسول الله ، عاتبه على ما فعله ، ثم ساله هل شققت قلبه ؟

هذه مسالة محسومة كما قلت ، ولكن التساهل في اطلاق كلمة الكفر ، ووضعها في غير موضعها واستخدام كلمة التكفير حتى في الخلافات السياسية ، وتوافق هذه الظاهرة مع مناخ نفسي موات وظروف معيشية صعبة ، هذه الملابسات كلها لفتت الانظار الى ذلك السلاح الخطر ، وكان الذي كان •

وينبغي الا يغيب عنا ونحن نناقش قضية كهذه أن الامة الاسلامية احوج ما تكون الآن الى طرح نقاط الالتقاء لا مواضع الشقاق والصدام ، وان هناك اخطارا حقيقية تهدد كيان امتنا ، ومثل هذا الشقاق يشكل ضربة قاصمة لصفوف المسلمين ، يتمناها لنا كل عدو ومتربص •

●

ونعود الى مسالة التفرقة بين دار الاسلام ودار الحرب •

وقد تكون التسمية مثيرة للدهشة الآن ، ولكن البعض ما زال يتداولها ويرتب عليها نتائج وآثارا عديدة * ، مستندين الى ظواهر بعض النصوص • مثل الآية : فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب • والحديث الذى ذكرناه : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله»•• وهذه نظرة متعسفة فى الواقع ، لانها تتعارض مع منهج الاسلام ورؤيته للكون والانسان • فكما ان الاسلام يرى أن الاصل فى الانسان هو الخير ، وكما ان الاصل فى الارض هو الطهارة ، والاصل فى الاشياء الاباحة لا الحظر • كذلك أن الاصل فى علاقات البشر – المسلم مع أخيه أو غيره – هو المودة والسلام • « وادخلوا فى السلم كافة » •

لقد أبطل الاسلام حروب العصبية الدينية : « لا اكراه فى الدين » • ومنع حروب التشفى والانتقام : « ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا » ، وأنكر حروب التخريب والفتح والتوسع :« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا • واستنكر حروب التنافس بين الامم فى ميدان الفخامة والضخامة : « ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا ، تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون أمة هى أربى من أمة » • :

ومن الثابت فقهيا وتاريخيا ، أن حروب المسلمين كانت دفاعية بالدرجة الاولى ، وان الحرب استثناء من القاعدة التى يقررها الاسلام • و « ان جنحوا للسلم فاجنح لها » •

أخيرا فان النصوص التى يعتمد عليها دعاة فكرة دار الحرب ، فسرت على غير وجهها الصحيح • فآية « فاذا لقيتم الذين كفروا • » « جاءت فى اطار التقاء الجيوش والحروب، اذ تقول فى اخرها « حتى تضع الحرب اوزارها » ، وان السياق يشير الى أن المعنى هو حرب الدفاع والانتصاف « ذلك ولو يشاء الله لا نتصر منهم » •

اما الحديث الشريف ، « أمرت أن اقاتل الناس •• » فاتفاق المسلمين على أن المقصود بالناس هم مشركو العرب خاصة •

ونضيف الى هذا كله ،أن هذا التقسيم – دار الاسلام ودار الحرب – ربما كان مقبولا منذ ١٣ قرنا ، حيث كان الاحتكام الى السيف هو سبيل الحوار ، ورغم اننا فى عصر لم يتوقف فيه الصراع ، الا انه تشابكت فيه المصالح واختلفت اساليب الحوار ، وصارت الحرب الباردة – مثلا – تحقق نتائج افضل بكثير من القنبلة والصاروخ ، وصارت ثورة الاتصال تغسل الرؤوس من الداخل ، وتبشر بكل المبادىء ، الخيرة والشريرة ، وتضمن النصر احيانا ، قبل أن تنطلق رصاصة واحدة !

هل يعقل أن نظل نرى العالم المتغير من حولنا بمنظار القرن الاول أو الثانى الهجرى ؟

ثم ، أليست هذه مضيعة للوقت وتشتيتا وتبديدا للجهد ، أن نظل نسأل : هل العالم من حولنا دار حرب ام دار ردة ، ام ماذا ؟

●

بقيت بعد ذلك مسألة تطبيق الشريعة الاسلامية ، وحكاية قطع الايدى التى يلوح بها الكثيرون ، الانصار والخصوم • والكلام فى هذه القضية يحتاج الى مناقشة اخرى ، فى مرة تالية •

فهمي هويدي

★ انظر مناقشة مفصلة لهذه القضية فى كتاب محمد فتحى عثمان « الفكر الاسلامى والتطور » •

هـذه القـدرة العجيـبة للكشف عن ..

الماء تحت الأرض

من عهد قدماء المصريين ، والصينيين .. حتى اليوم

بقلم : راجى عنايت

- شوكة خشبية تكشف عن مخازن الماء والمعادن •
- الامريكيون يستخدمون عصا الكشف فى حرب فيتنام •
- المخ البشرى أكثر سيولة من الدم ! ••
- خرائط جيولوجية ، ترسمها عصا الساحر •
- راحة الانسان فى اختيار الاتجاه المناسب للسرير •
- من الذى يختار للحيوان الاليف مكان نومه ؟
- الصبى الذى ترى عيناه بالاشعة السينية •
- نحن على أبواب العالم السحرى لما وراء الطبيعة •

■ الماء •• هذا الذى يخلق الحياة من العدم ، هذا السائل العجيب الذى يتميز عن سائر السوائل ، لا تنشا حياة على كوكب من الكواكب فى غيبته •• ويشكل ٦٥٪ من وزن الانسان •

هو الذى قال فيه الاديب العالم انطوان دى سانت اكزوبيرى « ايها الماء ، ليس لك طعم ولا رائحة وليس بالامكان وصفك •• كم يتلذذون باحتسائك وهم لا يعلمون من انت ! •• من المستحيل القول بانك ضرورى للحياة ، لانك الحياة ذاتها ».

ورغم ان اى طالب ، يستطيع ان يتكلم عن التركيب الكيميائى للماء ، وخصائصه الطبيعية ، فما زالت احدث النشرات والمجلات العلمية ، تتكلم عن الخصائص الغريبة للماء ، والنظريات المتضاربة حول تركيبه ، دون الوصول الى حقيقة قاطعة لتفسير ما يجرى عليه من التحولات •

واحدث النظريات العلمية ، تقول ان الماء



الداخل فى تركيب الجسم ، والذى تصل نسبته فى المخ الى ٨٠٪ من وزنه ، هو وسيلة الاتصال الفعلية بيننا وبين باقى الكون الذى نعيش فيه • فقد ثبت اخيرا ان الماء شديد الحساسية لابسط التاثيرات ، يتمتع بقدرة غريبة على التكيف باكثر الظروف تغيرا ، مما لا يتوفر فى اى سائل آخر • اذا ، فالماء الذى باجسامنا هو الذى ينقل الينا التاثيرات القادمة من أبعد أرجاء الكون •

ولعل أغرب ما يتصل بالماء فى حياتنا ، تلك القدرة التى يتمتع بها البعض ، فتتيح لهم اكتشاف المياه الجارية تحت الارض ، والتعرف على مدى قربها من سطح الارض ، باستخدام عصا خشبية ذات شكل معين • والاعجب من هذا ، تلك الشواهد التى تكشف عنها الآثار التاريخية القديمة ، عن اكتشاف الانسان لهذه القدرة فى نفسه منذ آلاف السنين •

ففى بعض لوحات النحت البارز الفرعونية ، التى يرجع تاريخها الى ما يزيد عن خمسة آلاف عام ، يظهر بعض الاشخاص ، وقد وضعوا على رؤوسهم غطاء غريبا ، يحملون عصا على شكل الشوكة بطول ذراع الانسان • كما ان احد تماثيل الامبراطور الصينى كوانج سو ، الذى يرجع تاريخه الى عام ٢٢٠٠ قبل الميلاد، يصور الامبراطور وقد حمل فى يده عصا على شكل شوكة •

فما سر هذه الشوكة التى امتد وجودها عبر التاريخ ، وعلى اتساع الحضارات المتباعدة ؟ •• وكيف تفيد هذه القطعة الخشبية فى التعرف على مجرى المياه فى باطن الارض •

الماء •• فينا وحولنا

كثير من الحيوانات ، يتمتع بحساسية غير عادية فى الكشف عن الماء الجوفى • من ذلك ان الفيل ، رغم ضخامته ، يتميز بحساسية خاصة تجعله قادرا على تحديد الموقع الذى تقترب فيه المياه الجوفية من سطح الارض • ففى زمن الجفاف ، تحافظ الفيلة على حياة وبقاء جنسها بالبحث عن الماء القريب من سطح الارض باستخدام خراطيمها التى تقوم بدور قرون الاستشعار • وعندما تحدد الموضع المناسب ، تدك الارض باقدامها الثقيلة حتى تصل الى الماء • وقد يفسر البعض هذه الظاهرة ، بان لدى الفيلة القدرة على شم الماء المتدفق تحت الارض ، أو أن لديها حسا جيولوجيا بدائيا خاصا ، يساعدها على اكتشاف تجمعات المياه الجوفية • لكن المراقبة الدقيقة للفيلة اثبتت ان الفضل فى هذا النوع من التعرف ، يعود الى حاسة خاصة ، ليس لنا علاقة بهذه التبريرات •

المعروف ان الماء يدخل فى تركيب الكائنات

الحية ـ شأنها شأن سطح الارض نفسها ـ بنسبة الثلثين • والنظرية الحديثة فى تفسير هذه الظاهرة تقول ، ان أجسام الكائنات الحية تستجيب لوجود الماء ، كما تستجيب الشوكة الرنانة للنغمة الموسيقية التى يكون لها نفس تردد الشوكة • اى انها ترجع هذه القدرة الى ما يسمى فى علم الطبيعة بالرنين ، أو تعاطف الاجسام ذات التردد الواحد • الماء الذى فى باطن الارض يرسل طاقة ذات تردد ، تستجيب له اجسام هذه الثدييات عن طريق الماء الداخل فى تركيبها بنسبة الثلثين •

واذا كانت نسبة الماء فى المخ تصل الى ٨٠٪ من وزنه ، مما يجعله اكثر سيولة من الدم ، فمن الطبيعي اذا ان يتحقق فيه الرنين باكثر مما يتحقق فى أى مكان آخر من الجسم • الا ان الدراسة العلمية لهذه الظاهرة ، أثبتت ان الاستجابة تكون فى أوضح صورها من جانب أطول عضلات الجسم•

العصا السحرية

الاداة التقليدية فىالبحث عن الماء تحت الارض، عبارة عن غصن من أغصان الشجر على شكل حرف (Y) الانجليزى • يحمل الشخص هذا الغصن الخشبى أمام جسمه موازيا لسطح الارض ، بحيث تقبض كل يد على فرع من فروع الغصن . ويمتد الفرع الثالث فى الفضاء امام الشخص • ووضع الذراع الممدود امام الجسم . يجعل عضلاته على شىء من التوتر . بحيث تكون اكثر استجابة للتاثيرات الخارجية •

يمسك الشخص الذى يتمتع بالقدرة على كشف الماء بهذا الغصن . مادا ذراعيه امام جسمه ، ويسير فى مختلف الاتجاهات وعندما يقترب من منطقة تتواجد فيها المياه قريبا من سطح الارض ، يزداد التوتر فى عضلات ذراعيه ، فيميل الطرف الثالث للغصن تجاه الارض •

وطبيعة حركة الغصن تتوقف على الشخص نفسه الى حد كبير • فيقال انه اذا تحرك طرف الغصن الى أعلى . فهذا يعنى ان حركة الشخص فى عكس اتجاه تيار الماء المتدفق تحت الارض ، كما ان درجة دوران الغصن حول نفسه تكشف عن مدى عمق خزان الماء •

وهناك تنوع كبير فى أساليب الكشف عن الماء بين اصحاب هذه القدرة • الادوات المستخدمة تتعدد وتتنوع • البعض يستخدم فروع الشجر . والبعض الاخر يستخدم قضيبا معدنيا ، وربما مشجبا من المشاجب التى نعلق عليها المعاطف • ويستخدم اخرون فك الحوت ، أو مجرد سلك من النحاس . أو عصاة عادية ، وفى بعض الحالات يستخدم الشخص مقصا من مقصات الجراحة ، أو بندولا يحركه امام جسمه•وباختلاف الاداة المستخدمة تختلف طريقة امساك الشخص بها ، كما تختلف تفسيرات حركة هذه الاداة •

لكن الثابت من هذا جميعا . ان الشخص الذى يتمتع بهذه القدرة ، يستطيع تحديد مواضع المياه القريبة من سطح الارض بكل نجاح •

ابحاث علمية فى كل مكان

هذه الظاهرة لم تعد قاصرة فى ممارستها على المجتمعات البدائية ، أو المتخلفة حضاريا • فاغلب شركات انابيب المياه الكبرى فى الولايات المتحدة تستخدم واحدا من هؤلاء الاشخاص ذوى القدرة الخاصة ضمن موظفيها • كما أن وزارة الزراعة الكندية . توظف واحدا منهم بصفة دائمة • بل ان منظمة اليونيسكو قد عينت مواطنا هولنديا يتمتع بهذه الموهبة . ليساعد فى الابحاث التى تجريها فى انحاء العالم • وفى حرب فيتنام ، عمدت البحرية الامريكية الى تدريب عدد من المهندسين التابعين لها منالوحدات الاولى والثالثة التى شاركت فى تلك الحرب . دربتهم على استخدام عصا الكشف هذه ، للتعرف على مواقع الالغام الغارقة فى الماء • أما الجيش التشيكوسلوفاكى ، فيحتفظ بوحدة دائمة من هؤلاء ضمن قواته • ولقد بدات منذ زمن ، الابحاث العلمية المكثفة حول هذه الظاهرة فى قسم الجيولوجيا بجامعتى موسكو ولينينجراد . ليس للتثبت من حدوثها . وانما لاكتشاف كيفية وسر حدوثها •

بدأت الابحاث الجادة حول هذه الظاهرة فى فرنسا عام ١٩١٠ على يد الفيكونت هنرى دى فرانس . الذى وضع كتابا حول الموضوع . كما يرجع اليه الفضل فى تاسيس الجمعية البريطانية لاصحاب هذه القدرة فى عام ١٩٣٣ • ونظرا لان الابحاث العلمية الحديثة حول هذه الظاهرة حظيت بمساندة الدولة فى الاتحاد السوفييتى . لذا فان

اهم الاكتشافات المتصلة بهذا الموضوع تمت على ايدى العلماء السوفييت .

فى بداية الامر تشكلت بعثة رسمية تضم عددا من الاشخاص الذين يتمتعون بهذه القدرة من العاملين فى الجيش الاحمر السوفييتي . كما تضم مجموعة من العلماء المرموقين المتخصصين فى الجيولوجيا والهيدروليكا . وبعد الاف التجارب، جاءت تقارير البعثة حافلة بالحقائق الغريبة . فالعصا او الغصن الذى على شكل الشوكة ، لا يستجيب فقط للماء الذى تحت الارض . ولكنه يستجيب ايضا للاسلاك والكابلات الكهربائيه المدفونة . وان هذه الاستجابه تتم بصرف النظر عن مدى سرعة حركة الشخص . كما تتم بنفس القوة حتى بعد تغطية الشخص بدروع من رقائق الرصاص او الحديد .

وقد جاء فى تقارير هذه البعثه ان العصا تستنفد صلاحيتها بعد استخدامها ليومين او ثلاثه أيام . وانها اذا كسرت واصلحت تفقد بعض حساسيتها . وانه فى بعض التجارب تمكن هولاء الاشخاص من الكشف عن وجود معادن مثل الرصاص والزنك والذهب على عمق ٢٤٠ قدم تحت الارض . كما تمكنهم تحديد امتداد الكابلات الكهربائية وانابيب المياه المدفونه . والاشارة الى مواضع الخلل فى شبكات الاسلاك الكهربائية . وفى نهاية التقرير اقترح العلماء صرف النظر عن الاسم الشائع القديم لاداة الكشف وهو « عصا الساحر » . وان يطلق على هذه الظاهرة اسم « طريقه التأثيرات البيوفيزيقية » .

الوسيط البشرى .. ضرورة

فى عام ١٩٦٦ نظم عالم التعدين بجامعة لينجراد نيكولاى سوتسيفانوف بعثة علمية الى منطقة قرغيزيا السوفييتية . قرب الحدود السوفييتية الصينية ، لدراسة هذه الظاهرة .

بدأت الدراسة باستخدام طائرة مزودة باجهزة القياس المغناطيسي التى تستخدمها شركات التعدين لمسح الاراضى من الجو . وداخل الطائرة وقف الاستاذ سوتسيفانوف مع عدد من العلماء يحملون عصا الكشف الشبيهة بالشوكة . عند الطيران فوق نهر دتشو . وجد ان المياه العميقة فى وسط النهر لم يكن لها تاثير على العصا، ولكنهم شعروا جميعا بالضغط الواقع على العصا قريبا من شواطىء النهر وعلى جانبيه .

والتجارب الاخرى التى جرت فى جهات اخرى من العالم ، وصلت الى نفس النتائج . وثبت منها ان تيار الماء يؤثر على الانسان بقوة . ليس عندما تتدفق كميات ضخمة من الماء بسرعة كبيرة . ولكن عندما يكون هناك نوع من الاحتكاك بين الماء والتربة. وكلما زاد مسطح الاحتكاك كلما قوى التاثير على الانسان . وقد لاحظ سوتسيفانوف ردود فعل واضحة عند الطيران فوق المناطق المعروفة بتوافر المعادن داخلها . وفى احدى التجارب التى جرت على سطح الارض تمكن بعض اعضاء البعثة ان يحددوا بواسطة عصا الكشف موقع عرق من الرصاص لا يزيد سمكه عن ثلاث بوصات . على عمق حوالى خمسمائة قدم .

وقد تمكن الاستاذ سوتسيفانوف من تصميم جهاز متحرك يمسك به الشخص بحيث تحدد عدد دوراته عمق وكم ما يجرى البحث عنه تحت الارض . كما اضاف الى الجهاز ما يسمح بتسجيل النتائج اليا . عن طريق هذا الجهاز ،وباستخدام مئات الاشخاص، تمكن من رسم خرائط جيولوجية دقيقة لمساحات واسعة من الارض .

اجرى سوتسيفانوف تجاربه ،بينما كان الاشخاص يمسكون اجهزتهم داخل سيارة متحركة ، فكانت الاجهزة تعمل بكل طاقتها . ولم تنخفض كفاءتها الا عندما اطلقت السيارة بسرعة قصوى . وقد استنتج من هذا ان هذه القدرة لا تتاثر بالتيار الكهربائى للسيارة . وقام بتثبيت قطع من المغناطيس القوى على ظهور الاشخاص ، فلم تتاثر قدرتهم بهذا . غير أن كفاءة الاجهزة توقفت تماما عندما ارتدى الاشخاص قفازات من الجلد أو المطاط .

ومن اغرب ما توصل اليه . ان الشخص الذى يتمتع بهذه القدرة . اذا امسك بيد شخص اخر لا يتمتع بهذه القدرة . فان العصا التى فى يد الشخص الاخر تصبح فعاله .

وجميع التجارب التى تمت فى مختلف انحاء العالم حول هذه الظاهرة . تفيد ان العنصر البشرى هو الاساس . فالعصا بمفردها أو الجهاز بدون انسان يمسك به لا يكتشف عن شيء . الوسيط البشرى ضرورى .

وقد اكتشف العالم الجيولوجي الهولندى سولكو ترومب . ان اصحاب هذه المقدرة يكونون اكثر

حساسية من غيرهم للمجال المغناطيسي للارض ، ويمكنهم تمييز التغيرات الطفيفة في هذا المجال ، والتي لا يمكن ادراكها الا بواسطة اجهزة القياس المغناطيسي الدقيقة • فالشخص من هؤلاء يستطيع ان يرسم حدود المكان الذى يتغير فيه المجال المغناطيسي عن المعتاد ، ولو في حدود ٢٪ •.

وفي المعمل الطبيعي بباريس ، استطاع بعض هؤلاء الاشخاص ان يقرروا متى تسرى الكهرباء في سلك مغطى ومتى تقطع عنه ، بالوقوف على بعد ثلاثة اقدام من السلك •

وقد امكن ، في جامعة هال ، قياس التغيرات في الضغط ومعدل النبض عند هؤلاء الاشخاص ،عندما يتحركون فى مجالات مغناطيسية مختلفة • وعن طريق جهاز غاية في الحساسية ، يقيس المجال المغناطيسي داخل الذرة ، امكن تحديد المناطق الحساسة علىعصا الكشف أو أجهزته•وقد ساعدت مثل هذه التجارب على الوصول الى الكثير من الحقائق العلمية •وضعت بعض الفئران فىاقفاص طويلة ممتدة ، نصفها فوق منطقة فعالة مغناطيسيا ونصفها الاخر فوق أرض محايدة عادية المجال ، فرفضت الفئران النوم فوق المناطق الفعالة ، وسارت كلها داخل القفص لتتجمع فىالمناطق الاقل فعالية • وقد ثبت أن الكثير من النباتات ،كالخيار والكرفس والبصل والشعير ، لا تنمو بتاتا اذا ما زرعت فى منطقة فعالة مغناطيسيا • كما اناصحاب الامراض الروماتزمية تتضاعف الامهم فوق هذه المناطق •

العالم كما يجب ان نراه

وكل ما وصلت اليه هذه الابحاث حول ظاهرة الكشف عن الماء تحت الارض ، لا يتجاوز القول بما يلي : ان الماء بحركته يحتك بالتربة ، فيخلق مجالا له خواصه الكهرومغناطيسة ، هذا المجال يؤثر على بعض البشر والحيوانات بطريقة لا شعورية ، وان هذا التاثير يمكن تجسيده عن طريق الامساك ببعض الاجسام ، كالساق الخشبية او القضيب المعدنى او الجهاز الخاص ، مما يحدد قوة المجال واتجاهه •

ومن بين اصحاب هذه القدرة من البشر ، يوجد من تتضاعف عندهم هذه المقدرة ، الى حد انهم يستطيعون الكشف عن الماء اوالمعادن بدوناستخدام اى اداة • ولعل هذا يفسر مثل هذه المقدرة عند بعض الحيوانات التى لم تزودها الطبيعة بهوائيات كالقرون ، او الخراطيم او قرون الاستشعار •

واكتشاف ان الحيوانات قادرة على الاحساس بالمجال الكهرومغناطيسى المحيط بها ، لا يمكن ان يثير الدهشة عند كل من اتيح له ان يراقب بعض الثدييات المتوحشة ، عندما تبحث عن مكان لنومها•

المفروض ان يختار الحيوان مكان راحته اونومه بعناية ، بحيث يحقق له الدفء اللازم ، والامان ، والبعد عن طريق المارة أو الحيوانات التى يمكنها ان تتسبب فى ايذائه ، غير ان الحيوان غالبا ما يختار مكانا اقل تحقيقا لهذه الاشتراطات، بلوربما قطع مسافة للوصول الى ذلك المكان • وتعمد القطط والكلاب المستانسة الى نفس السلوك • ويعرف اصحابها جيدا عدم امكان تحديد مكان نوم الحيوان نيابة عنه ، فعليهم الانتظار الى حين ان يختار الحيوان مكانه المفضل ، ثم يضعون فيه المهد المخصص لنوم الحيوان • هناك بعض المواضعالتى يرفض الحيوان النوم فيها •

ويبدو أن بعضالبشر يخضعون لنفس الظاهرة• هناك بعض الاماكن التى تستريح للنوم فيها ، واماكن اخرى تشعر فيها بالقلق وعدم الراحة اذا ما اضطررنا الى اتخاذها مرقدا • بل ان هناك اتجاها معينا لوضع السرير الذى ننام عليه يبدو اكثر راحة لنا •

وفي عام ١٩٦٣ ذاعت شهرة صبى من جنوب افريقيا يبلغ الثانية عشرة من عمره ، اسمه فان جارسفيلد • كانت شهرته ترجع الى انه الصبى « الذى ترى عيناه بالاشعة السينية » • كان فى امكانه ان يحدد موضع الماء تحت الارض بمجرد النظر ، دون استخدام اى اداة •• وكان يقول انه يرى الماء « يلتمع تحت الارض كضوء القمر الاخضر » • ولقد ابدى الصبى دهشة كبيرة ،عندما عرف ان غيره من الناس لا يرون ما يراه •

الذى لا شك فيه ، ان البحوث العلمية الحديثة حول مثل هذه الظاهرة ، ستكشف لنا فى الايام القادمة ،ان الطبيعة التى نعرفها وحواسنا الخمس التقليدية التى ندركها بها ،تشكل جانبا ضئيلا من العالم السحرى لما وراء الطبيعة • وانه سياتى اليوم الذى نشارك فيه ذلك الصبى ، فى رؤية الاشياء كما يجب ان تكون رؤيتها • ■■

راجى عنايت

ليس هناك شاعر مثله تجد في شعره حس العربي ووجدانه

في ذكراه الألفية :

المتنبي
شاعر كل العرب

بقلم : جمال الدين الالوسى

■ لا أريد ان اكتب سيرة للشاعر ولا اريد ان اقرر انه ولد سنة ٣٠٣ هـ وانه توفي سنة ٣٥٤ وانه ملأ الدنيا وشغل الناس كما كان يقول ابن العميد ، وانه عمر احدى وخمسين سنة ، وذلك عمر قصير بالقياس الى اعمار الكثيرين من فحول الشعراء ، ولست اريد ان اقول انه شاعر حكيم وازدان شعره بالاصالة والابداع ، فهذه شيمات وسمات معلومة باستطاعة اى قارىء او باحث ان يعرفها بيسر من كتب السير ، كما واني لا أريد ان اتحدث عن رحلاته ، او اذكر الافاق التي رحل اليها او الرجال الذين جوب اقطارهم، فحياة المتنبي سهلة واضحة يسيرة التناول لكثرة ما كتب عنها الكاتبون ونقد شعره الناقدون ، وانما اريد ان أبرز اتجاهه القومي واجسد شعوره بعروبته أريد أن اقول ان شعره يمثل احاسيس العرب ويترجم عن نفسياتهم ويعرب عن عواطفهم ونزعاتهم ، ان شعر المتنبي يترجم عن الرجولة وعن مضاء العزيمة ، عن الشمم والاباء ، والخلق الرصين ، عن النظرة الجدية للحياة والعزوف عن السخف والهزل وعن اللهو والمجون ، صفات وسمات احبها العرب تجسدت في شعر المتنبي وخلقه وشجاعته لذلك احب العرب شعره في عصره وبعد عصره ورددوا شعره وحفظوا امثاله واداروها على السنتهم اذا تحدثوا واذا كتبوا •

دراسته : اختلف الى كتاب كان يتعلم فيه اولاد العلويين بالكوفة • كان يعلم العربية شعرا ولغة واعرابا وقد تميز المتنبي بالذكاء وقوة الحافظة ولزم كبار الادباء والعلماء واكثر من ملازمة الوراقين ، صحب ابن دريد ودرس على السكرى ونفطويه وابن دستويه ولقي عمر بن سيف وابا عمران موسى ، ونظر في ايام العرب وامعن في دواوين الشعر قراءة وحفظا ولا سيما

ديوانى ابى تمام والبحترى يصحبهما فى حله وترحاله ـ ووجدت عليهما تعليقات كثيرة بخطه بعد مقتله قرب النعمانية وصحب الاعراب فى البادية بين سنه ٣١٢ هـ وسنة ٣١٥ هـ هاجم القرامطة الكوفة . وكان لهذه الاقامة فى البادية اثر كبير فى لهجته وطبعته بطابع البدوى الذى لا يقيم فى مكان الا ليزمع الرحيل الى اخر .

اخفى نسبه

تعمد الا ينتسب الى قبيلة او اسرة . ولم تكن له عصبية غير العروبة . فقيل له فى اسباب هذا التعمى فقال : « انى رجل اخبط القبائل واطوى البوادى وحدى ومتى انتسبت الى قبيلة لا امن ان ياخذنى بعض العرب بطائلة بينه وبين القبيلة التى انتسب اليها وما دمت لا انتسب الى احد فانا اسلم من عاديتهم »

لكنه فى حقيقة امره لا يرى بانتمائه الى قبيلة ما يكسبه مجدا او يعلى له قدرا كما عبر عن ذلك بقوله :

لا بقومى شرفت بل شرفوا بى
وبنفسى فخرت لا بجدودى
وبهم فخر كل من نطق الضا
د ، وعوذ الجانى ، وغوث الطريد

ويقول فى رثاء جدته التى يسميها امه :

ولو لم تكونى بنت اكرم والد
لكان أباك الضخم كونك لى أما
تغرب لا مستعظما غير نفسه
ولا قابلا الا لخالقه حكما
ولا سالكا الا فؤاد عجاجة
ولا واحدا الا لمكرمة طعما

وقد اتفقت كلمة خصومه وانصاره الى كون المتنبى عربيا عريقا فى عروبته لم يختلف فى نسبه شارح او كاتب . اجمعوا على أنه من العروبة فى صميمها نسبا وعاطفة وشعورا واعتزازا بالعرب وبامجادهم ولغتهم . يمثل بشعره عواطف العرب ويترجم عن احاسيسهم وميولهم وتدمرهم مما يشاهدونه من تحكم اعيلمة الديلم والترك واذنابهم . اضف الى ذلك تفرده بخصال امتاز بها عن غيره ، كانت موضع اعجاب العرب . وفى مقدمة تلك الصفات اباء نفسه وهمته القعساء . والتى كانت تهون عليه الصعاب ، فيخوضها دون ما خوف او وجل .

ذرانى والفلاة بلا دليل
ووجهى والهجير بلا لثام
فانى استريح بذى وهذا
واتعب بالاناخة والمقام

هذه الفتوة والرجولة التى ترجم عنها شعر المتنبى قولا وفعلا هى من اهم الدوافع التى اكتسب بها عشاقه والمعجبين بشعره ـ كانت له همة شماء ونفس الفت المجد ولم تحمل الا بالعظام .

فما منزل اللذات عندى بمنزل
اذا لم أبجل عنده واكرم
سجية نفس ما تزال مليحة
من الضيم مرميا بها كل مخرم

وهو القائل

يهون على مثلى اذا رام حاجة
وقوع العوالى دونها والقواضب
كثير حياة المرء مثل قليلها
يزول وباقى عيشه مثل ذاهب
اليك فانى لست ممن اذا اتقى
عضاض الافاعى نام فوق العقارب

المتنبى لم يتجشم الاسفار ويطوف فى الافاق الا طلبا للمجد وحبا فى الرياسة . ولم ينتجع الحكام الا تحقيقا لتلك الامال التى كانت تحتدم فى صدره . وتحمل فى سبيل الوصول اليها ما تحمل

ومن تكن العلياء ، همة نفسه
فكل الذى يلقاه فيها محبب

فى ارض الشام

مكث ابو الطيب فى ارض الشام خمس عشرة سنة وهو دائم الترحال غير مستقر على حال يفتش عن المجد عند الامراء والرؤساء قبل ان يحط ركابه فى رحاب سيف الدولة الحمدانى . فلم يلق منهم ما يحقق رغبته او يرضى طموحه فيرجع منهم ثائر النفس ناقم الاعصاب على صحبتهم وناقما على نفسه فيقول :

وانما الناس بالملوك وما
تفلح عرب ملوكها عجم

لا ادب عندهم ولا حسب
ولا عهود لهم ولا ذمم
بكل ارض وطئتها امم
ترعى بعبد كأنها غنم

ويقول :

أرانب غير انهم ملوك
مفتحة عيونهم نيام
[illegible]
[illegible]

كان المتنبي في هذا الدور يسعى وراء المجد [illegible]

[illegible]

[illegible]

وتحتقر [illegible] في كل بلدة
اذا عظم المطلوب قل المساعد

ويقول :

[illegible]

ويقول :

يقولون لي ما انت في كل بلدة
وما تبتغي ما ابتغي جل ان يسمى
واني لمن قوم كأن نفوسهم
بها انف ان تسكن اللحم والعظما
فلا عبرت بي ساعة لا تعزني
ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

عاب على المسلمين الذين زارهم في الشام . وفي الجزيرة وفي الرملة وفي الفسطاط ـ رآهم يخضعون لاذناب الاعاجم يسومونهم الهوان والخسف فحرضهم على الثورة ويهيب بهم ان ينصفوا عن انفسهم المذلة فيقول :

سادات كل اناس من نفوسهم
وسادة المسلمين الأعبد القزم
الا فتى يورد الهندي هامته
كيما تزول شكوك الناس والتهم

ويقول :

اما في هذه الدنيا كريم
تزول به عن القلب الهموم

شابهت البهائم والعبدى
علينا . والموالي والصميم

ويقول فيهم :

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في استفهامها «من»
[illegible]
[illegible]

المتنبي وسيف الدولة

[illegible] بقصائده المعجلات . فصحبه في حله وترحاله وفي سلمه وفي حربه ودامت اقامته في حلب ثماني سنوات اغدق فيها سيف الدولة على المتنبي ما واساه بنفسه واقطع له الاملاك وجعله يعيش عيش السادة . يقول صاحب « الايضاح » احد معاصري المتنبي انه اقام عند سيف الدولة على التكرمة البليغة في اسناء الجائزة ورفع المنزلة . ودخل مع سيف الدولة بلاد الروم ونال حالا . وانه افاد من سيف الدولة زهاء خمسة وثلاثين الف دينار غير الضياع والمتاع . ومع ذلك لما رأى ان كرامته قد أخذت تتعرض للهوان فارق سيف الدولة بعد أن سجل فيه اروع الشعر وقال فيه وفي حروبه غرر القصيد.وودعه بالقصيدة الجبارة التي مطلعها :

واحر قلباه ممن قلبه شبم
ومن بجسمي وحالي عنده سقم
يا أعدل الناس الا في معاملتي
فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
اعيذها نظرات منك صادقة
ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
بأي لفظ تقول الشعر زعنفة
تجوز عندك لا عرب ولا عجم

فارق المتنبي صديقه واميره المحبوب ثائرا لكرامته وظل يحن الى سيف الدولة وبقي الشوق

يعتلج في صدره حبا به ووفاء له

حببتك قلبى قبل حبك من نأى
وقد كان غدارا فكن انت وافيا
واعلم ان البين يشكيك بعده
فلست فؤادى ان رأيتك شاكيا
فان دموع العين غدر بربها
اذا كن اثر الغادرين جواريا
حلقت ألوفا لو رجعت الى الصبا
لفارقت شيبى موجع القلب باكيا
أقل اشتياقا ايها القلب ، ربما
رأيتك تصفى الود من ليس جازيا

ويقول في مقصورته التي وصف بها رحلته من مصر الى الكوفة سالكا صحراء سيناء وتيه بنى اسرائيل مفتخرا بشجاعته واباء نفسه

لتعلم مصر ومن بالعراق
ومن بالعواصم أنى الفتى
وانى وفيت وأنى أبيت
وانىعتوت على من عتا
وما كل من قال قولا وفى
ولا كل من سيم حسفا أبى
ومن يك قلب كقلبى له
يشق الى العز قلب النوى (١)
وكل طريق اتاه الفتى
على قدر الرحل فيه الحطا

هذا الشعور بالكرامة تجده مجسدا فى اجابته لابن العميد حين استزاره عضد الدولة ملك الدولة البويهية وعرفه انه على جانب عظيم من الخلق والكرم والنظر الصائب للادب الرفيع فقال له المتنبى :

« انى ملقى من هؤلاء الملوك اقصد الواحد بعد الواحد واملكهم شيئا يبقى بقاء النيرين ،ويعطوننى عرضا فانيا ، ولى ضجرات واختبارات ، فيعوقوننى عن مرادى فاحتاج الى مفارقتهم على اقبح وجه . فكتب ابن العميد الى عضد الدولة بهذا الحديث فورد الجواب بانه مملك مراده فى المقام والضعن واستقبله واكرم وفادته وبالغ فى ارضاء كبريائه .

اى عربى يمعن النظر بتلك الامارات الاعجمية التى تقسمت الخلافة العباسية فى القرن الرابع الهجرى ولا يثور ويسخط ، امراء ليس لهم من الهمة الا اشباع نهمهم ، اى عربى يرى تلك الفوضى السياسية وله حس مرهف كما كانلشاعرنا ولا ياخذ منه الضجر ولا يتبرم من سوء احوالهم وفعالهم فيخاطبهم قائلا :

فؤاد ما تسليه المدام
وعمر مثل ما تهب اللئام
ودهر ناسه ناس صغار
وان كانت لهم جثث ضخام

ويقول :

لا افتخار الا لمن لا يضام
مدرك او محارب لا ينام
واحتمال الاذى ورؤية جانيه
غذاء تضوى به الاجسام
من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت ايلام

ان شعور المتنبى بعروبته واعتزازه بثقافته العربية وبعروبته الثائرة فى ذلك العصر الذى سادت فيه القيم الاعجمية الدخيلة والتى ضاعت بجانبها الصور البدوية هذا الشعور العربى هو الذى حمله ان يتخذ من الغزل بالبدويات على طريقة الشعراء فى الجاهلية وصدر الاسلام واصفا جمالهن مفضلا اياهن على الجمالالمجلوب بالتطرية والاصباغ ليتخذ من هذا الغزل متنفسا له وهروبا من الاوصاف التى جلبتها الحضارة ، فيقول :

ما اوجه الحضر المستحسنات به
كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية
وفي البداوة حسن غير مجلوب
افدى ظباء فلاة ما عرفن بها
مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

■■

جمال الدين الالوسى
الاعظمية - العراق

(١) بمعنى الهلاك .

رد على الدكتور أحمد كمال أبو المجد

حوار وليس مواجهة مع عناصر الجمود في الفكر الاسلامي المعاصر

بقلم : جمال الدين محمد محمود

« كان الدكتور احمد كمال أبو المجدقد كتب مقالا للعربى فى العدد ٢٢٢ بعنوان « مواجهة مع عناصر الجمود فى الفكر الاسلامى المعاصر » وتلقت المجلة فى الاسابيع التالية لنشره العديد من التعقيبات ، بينها هذا المقال الذى جاء شاملا لآراء كثيرة وردت الينا ٠

■ لا اود ان ادحل فى مواجهه مع عناصر الجمود او عناصر التجديد فى الفكر الاسلامى المعاصر لانني اومن بان الحوار كاسلوب للوصول الى الحقيقة ، افضل من المواجهة ، ولاننى من ناحية اخرى اعتقد أنه ليس هناك حتى الان ما يدعو الى المواجهة بين مختلف التيارات فى الفكر الاسلامى ما دام يجمعها ـ حقيقة ـ الاسلام ٠

ولقد وضع الاستاذ الدكتور احمد كمال ابو المجد نقاطا فوق حروف سبعة رآها تمثل فى نظره تيارا اسلاميا غالبا يجيش فى صدور الكثرة من المسلمين ولكنهم يكتمونه حذرا أو خوفا ٠ والواقع ان الاسلام بوصفه عقيدة ونظاما للحياة الانسانيه معا قد دخل الى ساحة المذاهب والعقائد والمبادىء والنظريات التى تتصارع فى هذا العصر ، أو انه استدرج الى هذه الساحة ـ على وجه أدق ـ فقد أصبح من اليسير فى مجال نظام الاسلام كمنهج فى الحياة ان تناقش اصوله وان تقاس احيانا على ما

نراه من نظم معاصرة حتى وصل البعض فى هذا السبيل الى البحث عن الانتماء المذهبى له! وهى غايه تكشف لنا خطأ البداية فقد أصبح فهمنا للاسلام فى كثير من الاحيان مستمدا مما نراه وندركه حولنا من تيارات فكريه فى مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد ٠

ويزيد الامر صعوبة وبعدا عن الصواب أن هذه المذاهب والمبادىء والنظريات كانت عند نشاتها ذات صياغة معينة ، ثم جرى عليها التحويل أو التطوير ، حتى ان الالفاظ التى نعبر بها عنها تبدو فى احيان كثيرة كما لو كانت قد فقدت خاصيتها فى التعبير عن مدلولاتها ٠ واذا ذكرنا كلمات الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية وتياراتها المختلفة وما يثور بشأن تحديد مدلولاتها عند الجدال لعرفنا ان عرش الكلمة قد سقط ـ كما قال بحق احد الكتاب ، ولا أتصور ان مسلما يريد للاسلام ان يدخل الى ساحة الصراع او المواجهة الا للدفاع عن ذاته فحسب وأن تكون المواجهة مع العقائد أو المذاهب البشرية التى تتعارض مع اصول عقيدته وشريعته، لا ان يتوه مدلول الاسلام امام اصله وسط تيارات متنافرة كل منها يأخذ من الاسلام ـ حقيقة أو اسما ـ بنصيب ٠

حقيقة التيار السلفى

ومع ذلك فان بعض الاحرف السبعة التى وضع عليها الدكتور احمد كمال ابو المجد النقاط تحتاج منا الى وقفة تامل اكثر مما تحتاج الى موقف دفاع ، ذلك ان رفض تيار باكمله او مذهب بجملته دون بحث ايجابياته وسلبياته لا يعد فى واقع الامر تقييما له ، والتيار السلفى الذى يرفضه الاستاذ ليس شرا كله ، فليس هناك من شك ـ بالنسبة للاسلام على الاقل ـ فى ان التيار السلفى اقرب الى الحقيقة فى مجال العقيدة وفى مجال الاخلاق ، وأقول ايضا فى مجال التشريع الاسلامى ٠ واذا كانت بعض الفروع الفقهية قد تبدو فى مجال المعاملات بالذات ـ قاصرة ـ فعند السلف فى فروعهم التى تخالفها او اصولهم التى يتفقون عليها ما يغنى ٠ ولا أجد حاجة الى الافاضة فى هذا المجال ، وحسب التيار السلفى انه يتجه الى الاعتدال كلما جنح المجددون الى الشطط ٠٠ وليس ذلك دفاعا عنه ـ وانما هو ابراز لدوره حين يحتاج الامر فى أى مذهب من مذاهب الاصلاح والتغيير الى الضوابط والمعايير٠

ولذلك فاننى لا أرى حاجة الى دعوة للاجتهاد فى الاصول ٠٠ وكلنا نعلم ان اصول العقيدة وأصول الشريعة لا بد وأن تكون مستندة الى القرآن الكريم أو السنة النبوية الصحيحة ٠ وكلنا يعلم ان الاصول فى الاسلام ان قصدنا بها أصول النقد الاسلامى ـ فهو كما يعلم الاستاذ الكريم ـ علم قصد به حصر مصادر التشريع وطرق استنباط الاحكام منها ٠ ومن هذه المصادر ـ المصلحة العامة ـ وليس بعدها شىء يحتاج اليه الناس ، واذا قصدنا الاصول العامة للشرع فهى القواعد التى يمليها العمل والتى صاغها الفقهاء وليس فيها ـ بقدر ما أعلم ـ ما يخل بمصلحة المفرد او المجموع ، فالضرورة تبيح المحظور والضرر مرفوع ، والضرر الخاص يتحمل لازالة الضرر العام ، وهذه الاصول العامة على أية حال لايخلو منها شرع دينى أو وضعى ، وكنت اود ان يضرب لنا الدكتور ابو المجد مثالا عن اصل من اصول الشريعة يحتاج منا الى نظر ومراجعة ان كان اصلا ثابتا حقا ٠

وينتقد الاستاذ التصوف فى تقريره ان مشكلة المسلمين فى القلوب وليست فى العقول ـ ولست انطلق من موقف الدفاع عن التصوف بايجابياته وسلبياته ـ حين اقول ان هذه العبارة اصابت نصف الحقيقة على اقل تقدير ، فمن منا لايعرف ان مشاكل المسلمين ترجع فى الكثير منها الى القلوب ؟ وكيف نعلل الفشل الذى نلاقيه فى كثير من أمورنا بعد ان تؤدى العقول عملها كما ينبغى ان يؤدى فى التفكير والتخطيط والتدبير الا أن يكون انصراف القلوب ! سواء كانت قلوب القلة من الحكام او الكثرة من الناس ، ولم يدع التصوف الاسلامى مطلقا الى ان تترك الامة دورها فى الصراع بين الامم على خيرات الارض، بل دعا الى زهد الفرد فحسب لا الى استسلام الامة ـ وكثير من المتصوفين ـ كما هو معروف

في التاريخ ـ واجهوا الحاكم للاصلاح وشاركوا في قيادة الناس عندما تعرضوا للخطر من اعدائهم .

لماذا لا نطبق الشريعة ؟

واما الدين يشغلون انفسهم بالعودة الى تطبيق الشريعة ليلا ونهارا دون ان يكشفوا لنا عن سبيل ذلك وعن العدة التى يعدونها لهذا التطبيق، فاني لا ارى في موقفهم ـ عدا القليل منهم ـ ما يواخدون عليه . فليس كل الناس الذين يعتقدون ان تطبيق الشرع سبيل الاصلاح والتقويم ـ من المسرعين والمصلحين حتى نطالبهم بالبيان . ومع ذلك فان القول بان تطبيق الشرع يحتاج منا اولا الى اصلاح المجتمع قول مردود . وهو اختيار للاسهل وتخوف من التغيير وتاجيل للقضية برمتها . ان كل مجتمع يريد ان يتطور لا بد له من اطار يحكم هذا التطور . واذا نحن وصلنا الى اصلاح المجتمع دون ان نطبق حكم الشرع فعلا ـ فما اغنانا عنه بعد الاصلاح .. فالمجتمع الاسلامي هو الذى يطبق شرع الاسلام وليس هو المجتمع الذى يدعو للاعداد لتطبيق الشرع فحسب دعوة مجردة من المقننين والتشريع وليس لزمانها حد ولا لاثباتها برهان . ولو اننا بدانا بتطبيق الشرع في مجال من المجالات ثم يتلوه اخر لكان ذلك خيرا من التمسك بالانتظار حتى نتهيأ المجتمع لتطبيق الشريعة كلها بين يوم وليلة . وطريق الالف ميل ـ كما يقول الصينيون

● حوار وليس مواجهة

يبدا بخطوة واحدة . واذا كان في المسلمين طائفة تعيش منغصة معقدة محزونة لا تعرف للابتسام سبيلا فان ذلك لا يرجع الى الاسلام ـ حتى لو فهمه هؤلاء خطأ ـ ولماذا لا يكون السبب هو ما يلاقيه هؤلاء المحزونون والمعقدون الذين لا يبتسمون ـ تعب الحياه من حولهم وما يلاقونه من فقر او ذلةاو هوان على ايدى حكامهماو على الناس ـ فلا يعدون الى الابتسام سبيلا . واولى بنا كما قال الاستاذ احمد كمال ابو المجد الا نكتفي بتسليط رجال الامن عليهم قبل ان نبحث ضيق حياتهم او انغلاق عقولهم .

ولست اريد ان اطيل . وان كانت بعض الاحرف الاخرى التى ذكرها الاستاذ في مقالته تحتاج الى المناقشة والحوار . غير انني اشير الى ان الاسلام ليس هو الفكر الاسلامي والذى قد تتنازعه التيارات التى قد تختلف في مفاهيمها واهدافها ووسائلها . ذلك ان الفكر الاسلامي قد يكون هو التاثير الغالب للاسلام حين يتفاعل مع ثقافات اخرى وحين يتعامل مع الناس والزمان والمكان والحياة ويبقى مع ذلك باصوله في العقيدة والشريعة ولذلك فليس من الحكمة ان نحجر على فكر معين او ندين جملة تيارا معينا . ما دام هذا الفكر لا يخرج عن اصول العقيدة واصول الشريعة . وبذلك لا نكون في حاجة الى مواجهة بقدر ما نكون في بعض الاحيان في حاجة الى الحوار . ■■

القاهرة ـ جمال الدين محمد محمود

رسالة توصية

● قيل أن أحد الشعراء زار الخصيب ابن عبد الحميد وهو أمير على مصر مستميحا ان يهب له بعض الدنانير ، ولكن الخصيب لم يعطه شيئا ، فانصرف الشاعر حزينا كئيبا ، فلقيه أبو الندى اللص وكان يقطع الطريق على السابلة فقال له هات ما أعطاك الخصيب ؟ فقال الشاعر . لم يعطني شيئا فضربه اللص مائتي مقرعة يقرره على ما ظن أنه ستره عنه .

وأعاد الشاعر الكرة مرة ثانية فزار الخصيب وألقى بين يديه قصيدة مدح بها الخصيب ولكن الخصيب لم يعطه شيئا هذه المرة أيضا فقال له الشاعر جعلت فداك ايها الامير تكتب الى أبى الندى اللص رسالة تقول فيها بأنك لم تعطني شيئا لئلا يضربني كما حدث في المرة الاولى فضحك الخصيب ووصله .

إكتفاء ذاتى حتى فى اللغه

كيف نجحوا في تطوير لغة عمرها ٤ آلاف سنة ورموزها ١٠ آلاف ؟!

بقلم : هادى العلوى

هذه رسالة بعث بها احد الدارسين العرب في جمهورية الصين الشعبية ، يروى فيها قصة تطوير اللغة الصينية وتطويعها بحيث تؤدى دورها فى التعبير عن كل ما هو حديث وعصرى حتى اتجه الصينيون اخيرا الى استخدام الحروف الابجدية ، بدلا من الرسوم والرموز ٠ وأدخل الحرف اللاتينى فى المدارس الابتدائية ٠ لنتابع القصة من بدايتها اذن ٠

■ اللغة الصينية من اقدم اللغات الحية فى العالم ٠ فعمرها يناهز الاربعة آلاف سنة وقد لا تصغرها كتابتها الا قليلا ٠ وهى ليست قديمة فقط بل عريقة ايضا ٠ فلها تراث بعيد الغور فى القرون وقد عاشت منذ فجر التاريخ الصينى لغة لثقافة واحدة لشعب واحد ، متصلة ، ـ والى حد ما ـ معزولة عن سائر اللغات والثقافات ٠ وقد استمرت اللغة الصينية والثقافة الصينية داخل هذه البقعة الواسعة من آسيا بعيدة الا عن القليل من التاثر والتاثير ٠٠ لكن هذا الانكماش لم يؤد بها الى الضمور والضعف او يقطع استمرارها العجيب الذى ابلغها شاطىء القرن الحاضر بكل ما حملته معها من القرون السحيقة ٠ وهكذا فمع اطلالة العصر الحديث على الصين كانت اللغة الصينية لا تزال تحتفظ بنقاوتها ، التى هى احدى ميزاتها الناتجة من عزلتها ، ورغم تغلغل الغربيين الذى اشتد فى القرن التاسع عشر وكان من شانه ان يفعل فيها مافعله بغيرها من لغات الاقوام التى ابتليت بالغرب ، فهى لم تلقح من اللغات الاوربية الا الشواذ ٠

وربما لمحنا وراء هذه الظاهرة اللغوية نزعة الاكتفاء الذاتى ، التى عرف بها الصينيون قديما



وازدادت بروزا وفعالية بعد ثورة ماو ــ الصين الجديدة • وبصرف النظر عن ملابسات هذه النزعة وعواملها ،وهى لا تعنينا هنا، فان اللغةالصينية قد اخذت بنصيب وافر منها • ويتلاءم ذلك مع جبلتها الخاصة ، فالمفردة الصينية وحيدة المقطع يمكن تشبيهها بحروف الجر المنفصلة فىالعربية : من ، عن ، فى••• وقد منع ذلك منقبول المفردة الاجنبية المتعددة المقاطع الا ضمن وضع معين تطوع فيه الغريبة للجذر الصينيى بان يحذف ويغير بعض اصواتها للسماح بتقطيعها حسب الاصوات الصينية • مثلا : كلمة « عرب » لما كانت مركبة من مقطعين متصلين فان الصينى لا يستطيع تلفظها ولا كتابتها . فتحور عندئذ الى ثلاثة مقاطع منفصلة على النحو التالى :

آ ــ لا ــ بو

阿 - 拉 - 白

وهذه المقاطع هى فى الاصل مفردات فالمقطع « آ » يستعمل كما هو عندنا للتعجب او التاوه ، والمقطع « لا » فعل يعنى يجر او يسحب • والمقطع « بو » يعنى العم الكبير • ولكل من هذه المفردات الثلاث رمزه الدال عليه فى الكتابة • وهى كما رسمت اعلاه من اليسار الى اليمين • وحيث اجتمعت هذه المقاطع لفظا او كتابة دلت على كلمة «عرب» فاذا انفردت دل كل منها على معناه الاصلى،ان واحدية المقطع تجعل من التركيب الاداة الاساسية لاستحداث المفردات والمصطلحات •وغالبا ما اقترن ذلك فى الصين القديمة بمراحلالانتقال من الحسى الى المعنوى وهوما تشترك فيه مع كل اللغات • وفى الوقت الحاضر يستخدم التركيب لصوغ المصطلحات العلمية والتقنوية الجديدة • ويتراوح المصطلح بين مقطعين واربعة • مثال ما هو من اثنين : السيارة وقد سميت : جى ــ جو • حيث المقطع الاول معناه هواء او بخار والثانى عربة • ومثال ما هو من اربعة : بروليتاريا وقد ولدوا لها مقابلا صينيا يتالف من اربعة مقاطع هى : « وو » وتعنى العدم المقابل للوجود • و « تصان » (رسمتها على جهة التقريب اذ ليس فى العربية ولا اللاتينية حروف تؤدى اللفظ الصينى تماما) • وتعنى هذه المفردة : ملكية او تملك • الثالثة هى : جى جى • وتعنى طبقة وهى بدورها مركبة من مفردتين تدلان على المرتبة والدرجة• وبتوحيد المفردات الاربع يتكون المصطلح التالى : ووتصان جىجى • اى الطبقة التى بلا ملكية •

لغة العلم والفلسفة

واجهت الصينية فى العصور القديمة امتحان التعبير عن مستويات معينة من العلوم والفلسفة واجتازت الامتحان بنجاح . فظهرت فيها لغة فلسفية كفء استندت الى التوليد والتركيب فى تكوين المصطلح الفلسفى • وقد يتساءل المرء : كيف امكن لهذه اللغة ان تستوعب فلسفات راقية كالتاوية والموهية والكونفوشية الجديدة ومدرسة الاسماء ؟ واجيب انه سؤال متوقع فى اوساطنا الفكرية التى اعتادت النظر الى اللغات من زاوية التوزيع العنصرى للاجناس • ونحن فى ذلك نقلد الفكر الاوربى ، الذى صنف اللغات بحسب كفاءتها فوضع الاوربيات فى خانة اللغات العلمية وجعل العربية لغة ادب وضن على اللغات الشرقية الاخرى باى كفاءة تتجاوز

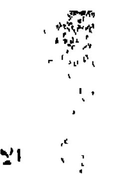
التعبير عن امور الحياة اليومية • والعقيقة المقابلة لهذا التصنيف قام بنشرها مؤخرا بعض اللغويين السوفييت الذين اعلنوا بشكل قاطع قدرة كل لغة على الوفاء بحاجات البحث العلمي والفلسفي وعلى ان تكون لغة تقنية كما هي لغة للسوق • وقد لا يكون الامر مع ذلك في حاجةالى محاكمات منطقية فقبلان يصل السوفيت الى هده العقيقة بعشرات القرون كانت العربية والسريانية والفارسية فضلا عن الصينيةقد دخلت مضمار العلوم والفلسفات لتقدم الادلة الملموسة على الكفاءة المشتركة للغات متفاوتة التاريخ والموطن والاصل العرقي •

على ان ذلك يبقى رهنا باهل اللغة لا باللغة نفسها • وعجز اللغة منعجز ابنائها • ولقد عانت الصينية الحديثة من بعض المعوقات اثناء السيطرة الاوربية على الصين • وبسبب الملابسات التي اثارتها هده السيطرة عز على الصينيين انيفرغوا للغتهم وثقافتهم فكان ثمة تسيب ابقى اللغة والثقافة على حالهما الموروثتين • وتسربت في غضون ذلك مصطلحات اوربية ليس في وسع الصينية ان تتلاءم معها ، خاصة وان هذا التسرب حصل قبل ان تلتفت لغة الهان الى مخزونها لتستمد منه ما قد يكون أوفى تعبيرا وأدق اصطلاحا • ثم تغيرت الامور بعد نجاح الثورة الماوية واعلان تاسيس الصين الجديدة عام ١٩٤٩•

وبسبب من اقتران الثروة الاجتماعية بحرب الاستقلال والتحرر الوطني وكون المعسكر الذي حاربته الصين يضم خليطا من الطبقات المحلية والمعتلين الاجانب من يابان وامريكان وانكليز وفرنسيين ، اكتسبت الثورة الاجتماعية الصينية سمات ثورة تحرر قومي • وقد يكون لما عانته الصين من مظالم اجنبية بعض الاثر فيحساسية اهلها ضدكل ما هو اجنبي ، خاصة ما هو اوربي، لكن السمات الجوهرية للثورة تحتفظ ، خارج هذا الظرف الخاص ، باصالتها وجديتها المعبرتين عن موقف تاريخي مشروع • ان هذا يفسر لنا تلك الاجراءات المتكاملة ، قوميا واجتماعيا ، التي اتخذتها قيادة ماوتسي تونغ حين صادرت املاك الاقطاعيين ومعامل الرأسماليين وطردت الاجانب المقيمين في الصين ـ عدا الذين كانت لهم ادوار في الثورة الصينية ـ وانشات في الوقت نفسه لجنة دائمةلاصلاح اللغةالحقت باكاديمية العلوم، بينما اصدرت هذه اللجنة قرارات مبكرة صاغت فيها مصطلحات صينية مقابلة لعدد من المصطلحات الاوربية التي دخلت اللغة الصينية في ايام ما قبل التحرير • وروعيت في هذا الاجراء ـ الى جانب الاعتبارات الوطنية ـ اغراض عملية املتها صعوبة كتابة المفردة الاجنبية بالرموز الصينية وتيسير الفهم لعامة الشعب الذين يتعذر عليهم هضم المصطلح الاجنبي بيسر • واستطاعت الصين ان تشق دروب التطور العلمي معتمدة على مبدأ الاكتفاء الذاتي في اللغة حيث تتولى اكاديمية العلوم ولجنة اصلاحاللغة مهمة صوغ المصطلحات المناسبة للموضوعات المستجدة في ميادين العلوم داخل الصين وخارجها • وبفضل المتابعة المجدة للنشاط العلمي لم يواجه الصينيون شحة في المصطلحات كتلك التي يواجهها الكثير من الشعوب ومنها شعبنا العربي • فالنسبة بين ما يستجد من موضوعات علمية وما يقابلها في اللغة الصينية تكاد تكون متعادلة • وقد شمل النشاط العلمي والتقنوي في الصين فروع المعرفة المعاصرة من ادقها الى اجلها . وكما نعلم فان الصين دخلت الى مضمار الذرة والفضاء وامتلكت قنابل الهيدروجين واطلقت الاقمار الصناعية وقد تم لها ذلك كله بلغتها الوطنية المكيفة لروح العصر ومقتضيات العلم •

مشكلة الكتابة الصينية

الخط الذي تكتب به الصينية حاليا موروث من الكتابة التصويرية • وقد حافظت على هذا المنشا بتاثير ظروف معينة لايتسع المقام لشرحها لكنني اوجز فاقول ان الصين لم تشهد طوال بضعة الاف من السنين تبدلات داخلية ـ اجتماعيا وقوميا ـ من ذلكالضرب الذي يؤدي الى التنويع الحضاري واللغوي • فقومية الهان السائدة الان في الصين (٥٩ بالمائة من مجموع السكان) وهي نفسها التي كانت هنا قبل اكثر من ثلاث الاف سنة بلسانها وحضارتها . ومع ان الصين تعرضت لبعض الغزوات فانها لم تجرب استيطانات ساحقة اذ كان غزاتها يواجهون احد امرين،اما العودة من حيث اتوا واما الاندماج في الوسط•وعلىالصعيد



الاجتماعي خلال المراحل التاريخية المتعاقبة ، فعلى الرغم من ان الصين بريت مجتمع رق تلاه مجتمع اقطاع فان تاريخها لبث محكوما بمؤثرات الوضع الاسيوي ، وهو ما يفسر لنا عدم حدوث قفزات في تطورها الحضاري مع المحافظة في الوقت نفسه على قدر من النشاط الثقافي المتجه افقيا رغم احتوائه العديد من عناصر الابداع ، ومع اطراد الهوية القومية طال عمر اللغة ، ومع اتصال هذا السجل من النشاط الثقافي من خلال الثبات في مراحل التطور الاجتماعي حافظت اللغة على الكثير من بداياتها ، ونفهم من هنا سر الاستقرار النسبي في شكل الكتابة التي بدأت صورا ثم رموزا معبرة عن مقاطع صوتية ، وكان يمكن لهذا التحول من الصورة الى الرمز ان يطرد فيقطع الخطوة الحاسمة نحو الابجدية ، لكن الخط الصيني توقف عند الرمز ، بينما حافظ الكثير من المقاطع على صفته الصورية ، على أن تطور الصورة الى الرمز زود اللغة الصينية باداة كفء للتعبير عن المعنويات وقد مكنها ذلك من استيعاب قضايا العلم والفلسفة والادب رغم الافتقار الى الابجدية .

تبلغ الرموز الاساسية في الكتابة الصينية العين ، يتالف من تشكلاتها المختلفة ما يزيد على عشرة الاف رمز ، ولكي يتمكن المرء من القراءة والكتابة يتعين عليه ان يحفظ خمسة الاف رمز على الاقل ، ويعادل هذا الرقم خمسة الاف مفردة اساسية اذ لكل مفردة رمزها الخاص ، المفرد او المركب ، لكن المعاني المعبرة عنها بهذا العدد من الرموز يزيد عليه كثيرا لان المفردة الواحدة قد تدل على معاني متعددة ، ومثالها كلمة « فا » وتعني سما ، وقانونا ، وصورة بمعنى فلسفي شبيه بالنموذج الارسطي _ كما تعني فرنسا ، ولهذه المعاني المختلفة رمز واحد ، وقد يتوارد سؤال : اذا كانت الرموز مخصوصة بمفرداتها فكيف استطاع الصينيون كتابة الالفاظ والاسماء الاجنبية ؟ للاجابة على ذلك نعيد ما ذكرناه في اول المقال من انهم يأخذون الاسم او اللفظ الاجنبي فيجعلونه مقاطع مصوتة بحسب اللفظ الصيني ، وعندئذ يكتبونه باستخدام الرموز الدالة على تلك المقاطع ، ويعني ذلك ان الرمز صار مستقل بصوت يدل عليه دون التقيد بالمعنى الذي يؤديه ذلك الصوت .

المشكلة التي عاناها الصينيون من كتابتهم ذات جانبين ، الاول تعدد الرموز تبعا للمفردات مما يفرض على من يريد القراءة والكتابة ان يتعلم ، كما قلت اَنفا ، رموزا تعادل ما يتعلمه من المفردات ، الثاني تعقد الرمز نفسه ، فالرمز الواحد يتالف في الغالب من تفرعات (خطوط) قد تصل الى العشرين ممتدة في اتجاهات مختلفة وباوضاع متعددة ، مما يجعل كتابته في غاية العسر كما يثير مصاعب طباعية جمة حيث تتطلب الرموز اعمالا والات معقدة جدا ، ويتعذر كذلك استخدام هذه الرموز في اجهزة اللاسلكي المختلفة وقد استعيض عنها بارقام يحولها العامل حين تلمسها الى رموز ، او بالعكس قبل الارسال .

اللاتينيــة في المــدارس

لقد اثيرت قضية تيسير الكتابة الصينية في وقت مبكر من تاسيس جمهورية الصين الشعبية وطرح عندئذ اقتراح باستعمال الحرف اللاتيني اي الانتقال من الرموز الى الابجدية ، ثم تاجل البت في ذلك وصاروا الى خطة لتبسيط الرموز تبنتها لجنة اصلاح اللغة تقوم على تقليص عدد الفروع في الرمز الواحد ، وقد نفذت الخطة بتوسع يعكس مرونة ملحوظة في التعامل مع المأثورات القومية فالرمز المؤلف مثلا من اربعة عشر فرعا قلصوه الى سبعة ، اي الى النصف وما هو من عشرة صار من ثلاثة ، وهكذا ، وقد صدرت حتى الان قائمتان بالرموز المبسطة وننتظر صدور غيرها .

رافق ذلك اتباع طريقة في التعليم مكنت التلميذ من الاحاطة النسبية بالرموز خلال خمس سنوات بحيث صار في وسع تلميذ الخامس الابتدائي قراءة الصحف دون عناء كبير ، واني لاعرب عن املي في ان يتدارس التربويون العرب هذه الطريقة للاستفادة منها في تعليم العربية .

على ان نجاح خطة التبسيط لا يعني زوال الصعوبات ، فالخط الصيني يبقى معضلة بحد ذاته ، ويمكن القول ان صعوبة الكتابة به لم تدل بنفس مستوى تدليل القراءة كما ان مشكلات الطباعة والاتصال اللاسلكي لم تتاثر بالتبسيط ، هذا فضلا عن ان اللغة الصينية لاتبرح بهذا الوضع لغزا بالنسبة للاجانب يحول

دون ان تنتشر اللغة الصينية والثقافة الصينية عالميا ، وهو واقع تمليه الشخصية الدولية المتنامية للصين • من هنا كان لابد من العودة الى ابجدة اللغة والاستغناء عن الرموز • وقد اخذت لجنة اصلاح اللغة بمشروع الحرف اللاتيني مؤخرا• واكتسب القرار صيغته النهائية ، ولكن بحذر ، وثمة من يرى ان المشروع لن يكتب له النجاح • وعلى اية حال فقد ادخل الحرف فى مرحلة التعليم الابتدائى الى جانب الرمز بحيث صار لزاما على التلاميذ ان يتعلموها معا • ويمكن للحرف اللاتيني ان يذلل عقبات جمة فى الطباعة والاتصال اللاسلكي والاجهزة الالكترونية التي تستخدم الحروف كما انه يفتح الطريق لاحبا امام الاجانب لتعلم الصينية • لكن الحروف اللاتينية لا تخلو بدورها من مشاكل فهى لا تفي بكل الاصوات فى اللغة الصينية مما يثير نفس المشكلة التى تعانيها معظم اللغات وهى عدم مطابقة المكتوب للمقروء • ولم يواجه اهل الصين هذه المشكلة فى كتابتهم التقليدية • ثمة ايضا مسالة تتعلق باللهجات الصينية التى قد تبلغ من الاختلاف ما يتعذر معه التفاهم احيانا بين مواطن من بكين واخر من احدى مقاطعات الجنوب مثلا• لكن الرموز يسرت فهمها مشتركا للجميع لان خلوها من الدلالة الصوتية يعطيها دلالات لفظية مطابقة للهجات المختلفة • وتزول هذه الميزة بالابجدية نظرا لارتباط الحرف بمدلول صوتى معين ، فلو اتخذت احدى اللهجات اساسا للابجدة ــ وهو امر لابد منه ــ لكانت قراءتها مقصورة على الناطقين بتلك اللهجه • ويقف هذا العائق دون الاسراع فى ابجدة الصينيه ،اذ ينبغى لتحقيق هذه الخطة توحيد مسبق للهجات حتى تكون ثمة اصوات مشتركة لجميع الناطقين بلغه الهان • وهناك اتجاه لجعل لهجة بكين اساسا لذلك ، لكونها اللهجة الفصحى فى اللغة الصينية. لكن الفرص ليست واسعة امامها . اذا قيست مثلا بالفصحى عندنا • فالعربية الفصحى تستعمل الان فى المقروء والمسموع ومن وسائل النشر والاعلام وتحظى بفهم مشترك من كل العرب • اما لهجة بكين فيمكن استعمالها فى المسموع دون المقروء لان الرمز الصينى يقرا كما قلت بحسب اللهجات نظرا لخلوه من الدلالة الصوتيه •

وبهذا ستبقى الرموز امداطويلا قد يناهز الـ عام •

٥ دروس هامـــة

تتجمع التيارات السائدة فى العالم العربي بشان قضايا اللغة حول قطبين متنافرين . سلفي متزمت ، وعالمي متفرنج • يرفض الاول الاعتراف بحاجة اللغة الى الاصلاح والتطوير ويقف حتى فى طريق تكوين الاصطلاحات فيعرقل نشوء اللغة العلمية ويحد من كفاءة التعبير فى العربية المعاصرة باصراره على جمود النحاة الاقدمين وعدم استيعابه للمرونة العالية التى استعملت بها العربية قبل ظهور النحو • وهذا القطب هو مما ابقاه لنا بنو عثمان غفر الله لهم •• اما الثانى فمن مخلفات النفوذ الاوربى فى العالم العربى وتجسيد لواحد من اسوأ جوانب هذا النفوذ : الاستعمار الثقافى القائم على الصهر القومي والعرقية البيضاء • ويشعر هذا الفريق بالانسلاخ التام من تراثه وثقافته وكل تاريخ شعبه لحساب الانتماء الى الحضارة الاوربيه • ومع انه لايزال ناطقا بالعربيه فربما كان يتوق الى استبدال احدى لغات السادة الغربيين بها ، فهو بالتالى نموذج للتابع الذى واجهته الصين حين وقعت ضحية مبدأ الباب المفتوح الذى فرضه عليها الغزاة الغربيون • وقد تخلصت الصين من هذين القطبين بعد ثورتها الماوية • وتعطينا التجربة الموصوفة فى هذا المقال بعض المبادىء الاساسية للموقف الصيني من مشكلة اللغة الخصها فى النقاط التالية :

١ ــ المحافظه على روح واصالة اللغه بتضييق نطاق الدخيل فيها • وقد تم ذلك بترجمة شاملة للمصطلحات الحديثة بدلا من قبولها بلفظها الاجنبى •

٢ ــ التعامل مع ادوات تكوين المفردات والمصطلحات المتيسرة فى الصينية بافق واسع . بعيدا عن تزمت بعض اللغويين وضيق افقهم • وقد مكن من اثراء اللغه وجعلها تستوعب المصطلحات المستجدة اولا باول . بحيث لا يعانى

الكاتب او العالم الصيني اليوم اية مشكلة ناتجة عن الافتقار الى المصطلحات ، كما يحدث عندنا باستمرار .

٣ ـ الجرأة في مواجهة الصعوبات الناتجة عن الكتابة وقد تمثل ذلك كما راينا في احداث تبدلات جذرية على الرموز .

٤ ـ وحين رأى الصينيون عدم امكان ترك اللغة دون ابجدية اتخذوا قرارهم باستعمال الحروف اللاتينية . ولان الصين لا تملك اى نوع من الأبجدية فان هذا القرار لا يثير اى اشكال ذى طابع قومى . وانما هو يخدم بالعكس هدف توحيد اللغة الصينية التى تعانى الان من تمزق شديد بسبب تباعد اللهجات .

٥ ـ وهكذا وفق الصينيون بين مبدأ صيانة اللغة القومية ، وضرورات التطور الجذرى الذى تفرضه مشكلات العصر .

واخيرا : قلما ترى الصيني الآن يشكو من قصور لغته او عدم كفاءتها او يحاول لى عنقها لتتلابس مع لغة اوربية مثلا ثم يروح يتحدث عن ضآلتها امام هذه اللغة او غيرها .. واذا لا يستصغر الصيني لغته فهو لا يستعظمها . ولئن كنا لا نلقى صينيا يقول ان لغته بدائية كذلك النفر من المتعلمين العرب الذين يتشكون من « بداوة » لغتهم ، فاننا لا نلقى من اهل الصين من يقول ان لغته اشرف اللغات او من يجعل منها وثنا تتلى حوله التسبيحات .

الناس هنا يتمسكون بلغتهم ، ويسعون لتطويرها وحل معضلاتها متمتعين ، في سياق ذلك ، بصحة نفسية اتمناها لبعض بنى قومى ..

■■

هادى العلوى

بكين ـ الصين الشعبية

مكان تحت الشمس

■ لكى تصنع لنفسك مكانا تحت الشمس ، فلابد لك ان تنشر ظلالا أوسع من تلك التى تصنعها أضخم الاشجار .

« مارجريت ميتشل »

الخلود !

■ كل انسان يخشى الموت . وهو يظل يخشاه الى ان يقوم بعمل يعيش من بعده ابدا .

« هال بويل »

الخوف من الفشل

■ الرجل يكون دائما فى احسن حالاته عندما يسيطر عليه الخوف من الفشل ، أو التطلع الى مكافأة بنفس الشعور الذى يحس به وهو ينظر الى النجوم فى سماء ليلة صافية .

« ادوين شل »

■ انس نفسك اذا أردت أن تقدم عملا يذكره لك الناس بعد رحيلك .

« فولتير »

فى صـــوم رمضـ

● يسمّى الناس هذا الشهر العظيم بشهر الصوم ، او شهر الامساك فيقتصرون على الظاهر من أمره ، فيبتدىء التقصير منهم فى جنبه من تسميته بأهون خصائصه ووصفه بأيسر صفاته ، ووزنه باخف الموازين ، وشيوع هذه المعانى السطحية بين الناس يفضى بالنفوس الى تأثرات باطنية ، تبعدها عن الحقائق العليا وتنزل بها الى المراتب الدنيا ، وقد توجهها الى جهات معاكسة للوجهة المؤدية الى الله ، ومن نتائج ذلك أن الناس أصبحوا يتعاملون مع الله على نحو من معاملة بعضهم بعضا . فالنفوس الراهبة تخاف الله خوفا تفصّله على قياس الخوف من الملوك والاقوياء ، مع أن الخوف من المخلوق يقتضى البعد عنه . والحذر منه والبغض له . أما الخوف من الله فانه يقرب اليه ، ولا يبعد عنه . ويثمر الحب والرضى والسكينة والاطمئنان ، فأنى يقاس أحدهما على الآخر ؟ ولكنه الضلال فى فهم العبادة جر الى الضلال فى فهم آثارها ومعانيها، ثم الى الحرمان من آثارها ومعانيها .

وما مسخ العبادات عندنا وصيرها عادمة التأثير ، الا تفسيرها بمعانى الدنيا ، وتفصيلها على مقاييسها ، فالخوف من الله كالخوف مـن المخلوق ، والرجاء فى الله على وزن الرجاء فى غيره ، ودعاؤه كدعاء الناس ، والتوكل كالتوكل ، والقرب كالقرب ، والعلاقات كالعلاقات ، وعلى هذه الأقيسة دخلت فى المعاملات مع الله معانى التحيل والموارَبة والخَلابة ، فدخلت معها معانى الاشراك ، فذهبت آثار العبــادات وبقيت صورهـــا . فلم تنه الصلاة عن الفحشاء والمنكر . ولم يهذب الصـــوم النفوس . ولم يكفكف من ضراوتها . ولم يزرع فيها الرحمة . ولم يغرها بالاحسان .

ان رمضان يحرّك النفوس الى الخير ، ويسكّنها عن الشر ، فتكون أجود بالخير من الريح المرسلة ، وأبعد عن الشر من الطفولة البلهاء ، ويطلقها من أسر العادات ، ويحررها من رق الشهوات ، ويجتث منها فساد الطباع ، ورعونة الغرائز ، ويطوف عليها فى أيامه بمحكمات الصبر ، ومثبّتات العزيمة ، وفى لياليه بأسباب الاتصال بالله والقرب منه .

هو مستشفى زمانى ، يستطبّ فيه المؤمن لروحه بتقوية المعانى الملكية فى نفسه ، ولبدنه بالتخفف من المعانى الحيوانية .

★ ★ ★

لكل عبادة فى الاسلام حكمة أو حِكَم . يظهر بعضها بالنص عليه أو بأدنى عمل عقلى ، ويخفى بعضها الا على المتأملين المتعمّقين فى التفكير والتدبر .

ـــان ...

للعلامة الجزائرى

محمد البشير الابراهيمى

والموفقين في الاستجلاء والاستنباط ، والحكمة الجامعة في العبادات كلها هي تزكية النفس وتطهيرها من النقائص الروحية ، وتصفيتها من الكدرات ، واعدادها للكمال الانساني، وتقريبها للملأ الاعلى ،وتلطيف كثافتها الحيوانية. وينفرد الصوم من بين العبادات بأنه قمع للغرائز عن الاسترسال في الشهوات التي هي أصل البلاء على الروح والبدن ، وفطم أمهات الجوارح عن أمهات الملذات ، ولا مؤدب للانسان كالكبح لضراوة الغرائز فيه ، والحد من سلطان الشهوات عليه ، بل هو في الحقيقة نصر له على هذه العوامل التي تبعده عن الكمال ، وكما يحسن ،في عرف التربية أن يؤخذ الطفل بالشدة في بعض الاحيان ، وأن يعاقب بالحرمان من بعض ما تميل اليه نفسه ، يحب في التربية الدينية للكبار المكلفين أن يؤخذوا بالشدة في أحيان متقاربة كمواقيت الصلاة (وانها لكبيرة الا على الخاشعين) ، أو متباعدة كشهر الصوم ، فانه لا يأتي الا بعد أحد عشر شهرا ، كلها انطلاق في المباحات ، وامعان فيها ، واسترسال مع دواعيها ، وان شهرا في التقييد الجزئي بعد أحد عشر شهرا في الانطلاق الكلي لقليل ، وان جزءا من اثني عشر جزءا ليسير في حكم المقارنات النسبية، فهو يسر في الاسلام ما بعده يسر ، وسماحة ما بعدها سماحة .

ومن مزايا الصوم انه عبادة سلبية ، بمعنى أنها ليس فيها عمل ايجابي من أعمال الجوارح ، كالصلاة والحج ، وحتى الزكاة فان فيها نقلا ودفعا ، واخراجا ، وانما الصوم امساك عن شيء كان مباحا في أيام غير رمضان . ثم يعود الى أصله بعد خروج رمضان . والامساك وان كان عملا هو سلب وانتفاء وسر هذه المزية أنه أبعد العبادات عن الرياء الماحق للأعمال ، حتى ان التسمع فيه- وهو قول الصائم : اني صائم- لا يحمله السامع على انه تمدح بالصوم، وليس فيه عمل يرى ، ولا أثر حقيقي ومصطنع كأثر السجود في الجباه . الا الشحوب الذي يكون من المرض كما يكون من الصوم . ولهذا البعد من الرياء ورد في حديث قدسي الصوم لي وأنا أجزي به .

ومن عظم منزلة الصوم عند الله أن شرعه عقوبة وكفارة عن ارتكاب بعض المخالفات كالحنث في اليمين ، والتمتع بالعمرة الى الحج ، والظهار ، وقتل الخطأ ، وفطر العمد في رمضان ، ولم يجعل هذا لغيره من العبادات والاركان، فلا تكفير عن ذنب بصلاة ولا حج ولا مال من جنس الزكاة . ■■

(العدد ٢٣٢ من جريدة البصائر الجزائرية سنة ١٩٥٣)

مدير الآثار السوري يفند

الحملة الصهيونية لاستغلال كشف مملكة ايبلا

بقلم : الدكتور عفيف البهنسي

لا يزال الكشف الاثرى الكبير عن مملكة ايبلا فى شمال سوريا يثير العديد من ردود الفعل فى العواصم العالمية ، على مستوى المهتمين بالدراسات التاريخية بوجه خاص . وكما يحدث دائما فقد حاولت الصهيونية العالمية أن تستغل معلومات الكشف ، وتطوع هذه المعلومات لصالحها ، لتثبت حقوقا تاريخية لها بدعوى ان هناك « معلومات توراتية » اثبتها .

وفى هذا المقال يفند الدكتور عفيف بهنسي المدير العام للآثار فى الجمهورية العربية السورية هذه المزاعم ، معتمدا على الحقائق العلمية اولا واخيرا .

■ فى كثير من المناطق السورية تكشف الحفريات عن آثار هامة تقدم لنا معلومات تاريخية أو فنية أو حضارية تزيد معرفتنا بتاريخ الانسانية .

ان أهمية هذه المنطقة العربية (من الفرات الى النيل) وبخاصة سورية هى انها تقدم شواهد عن الحضارة الانسانية فى حقبة بعيدة كان العالم خلالها يعيش فى ظلام ما قبل التاريخ . ثم ان المنطقة بما فيها من تنوع الآثار وكثافتها من العصور الكلاسيكية الى البيزنطية والاسلامية ، أصبحت قبلة المنقبين والعلماء .

ان نتائج الحفريات التى اجرتها البعثة الايطالية برئاسة السيد باولو ماتيه الاستاذ فى جامعة روما كانت ذات أهمية بالغة ولقد توسع نطاق الاهتمام حتى شمل جميع الهيئات العلمية والاعلامية فى العالم . ونحن سعداء جدا لهذا الكشف الذى عرفنا على حاضرة هامة اسمها ايبلا كان قد انشاها اجداد العرب على أرضنا السورية ، وكان لهذه الحاضرة علاقات مع أخواتها من المدن الهامة مثل مارى والالاخ وارمان ومثل أكاد وآشور .

واذا كانت المدن الهامة فى ذلك الوقت أى خلال الالف الثالث ق.م ٢٤٠٠ ق.م ـ ٢٢٥٠ هى أكاد ومارى فان ايبلا تاخذ مكانها الممتاز بين



الواح مملكة ايبلا ، ما زالت لغزا لم تحل كل رموزه بعد .

هاتين المدينتين التي لم يعرف عن واحدة منهاوهي اكاد العظيمة أي اثر بعد . ان اكتشاف ايبلا هو حدث هام جدا لانه عرفنا عن حضارة لم يسبق ان توقع المؤرخون والاثريون أبعادها وها هي ذي تعطينا أخبار الماضي بكل دقة عن طريق تلك الآلاف من الرقم التي وجدت بحالة جيدة ومرتبه بشكل يساعد على قراءتها بسرعة .

لقد أعطتنا هذه الرقم فكرة عن بعض الملوك الذين عاصروا صرغون اونارام سين أو حمورابي. واكدت لنا وجود مدن مازالت قائمة حتى الان مثل دمشق وحمص وحماه وجبيل ومدنا أخرى أصبحت اثرا .

كما قدمت لنا معلومات عن العلاقات السياسية والتجارية مع المدن الكبرى وملوكها عن سيطرة ايبلا عليها في بعض الوقت . كما أكدت لنا هذه الكتابات على أن اللغة التي يتكلم بها أجدادنا هي اصل اللغة العربية وان الاكاديين والايبلائيين والكنعانيين انما يتكلمون بلهجات لغة واحدة وان الفروق بين هذه اللهجات هي اقل من الفروق بين اللهجات القائمة اليوم في البلاد العربية .

مواجهة المغالطات

لقد تسابق الصحفيون لنشر معلومات عن مضامين هذه الرقم التي يزيد عددها عن ١٥ الف رقيم ولم تكن هذه المعلومات صحيحة تماما ولم تكن أحيانا علمية ، لذلك قررنا أمرين :

الاول هو أن يتولى ترجمة هذه الرقم عدد أوفر من المختصين في العالم ، وذلك لكي نتمكن من قراءة أكبر عدد ممكن من هذه الرقم الكثيرة والتي ينتظر أن يزيد عددها باستمرار . لقد رأينا أن ندعوا خمسة من كبار المختصين في العالم للمباشرة بهذه المهمة باشراف البعثة العالية .

ثانيا ان تصدر دورية خاصة بايبلا تتضمن هذه الدراسات وجميع الدراسات الخاصة بهذا الموقع التاريخي . وبذلك نفسح المجال لتلاقي الافكار والاراء ونحول دون الانحراف ونجمع جميع المعلومات في مصدر واحد يرجع اليه العلماء والمختصون في العالم .

لقد قام بعض الصحفيين بتحوير معلومات الكشف الكبير . ومنهم من قام بتاويل المكتشفات تاويلا يختلف مع الحقيقة ومع التاريخ .

ومما لاشك فيه أن وراء هؤلاء قد يكمن تخطيط صهيوني لتشويه اهمية هذا الكشف الرائع ، وسنحاول هنا عرض بعض ما كتب ولفت النظر الى التضليل المقصود والاجابة ما أمكن على الادعاءات غير العلمية .

في مقال نشر في مجلة تايم بتاريخ ١٨/١٠/١٩٧٦ ذكر كاتب المقال على لسان فريدمان الذي يدعي بانه عضو البعثة التي عملت في تل مرديخ ما يلي :

« يظهر ان المعلومات المشتركة مع التوراة متعددة ، اذ تحوي الرقم قصصا عن الخلق والفيضان التي تشبه الى حد بعيد تلك التي وجدت في التوراة والادب البابلي ويحاول فريدمان ان يوحي بان ما ورد في التوراة اصبح مؤكدا بالكتابات المكتشفة ولكن هناك ما يعيق ذلك وهو يقول : « في الحقيقة لا أحد أمكنه حتى الآن قضاء يوم عمل ميداني مع اللقى الاثرية خوفا من ان تقوم سورية باستثناء المعلومات التوراتية من المكتشفات وتعرقل التنقيب في المستقبل » • ويتهم الاثريين الايطاليين من أنهم يتباطاون في نشر مكتشفاتهم ، ويتوعد قائلا : « ولكن الاسرة الدولية للاثريين وعلماءالدراسات التوراتية سمعوا بما فيه الكفاية ، مما جعلهم يتهامسون في هرج » • »

ونحن قد نكتفي بجواب السيد ماتيه رئيس البعثة على هذه التاويلات والافتراءات الذى أعلن مخاطبا رئيس تحرير المجلة :

١ ــ ان السيد فريدمان لم يكن أبدا عضوا في بعثته •

٢ ــ ان ما ذكره من تاويلات عار عن الصحة•

٣ ــ ان السلطات الاثرية في سورية تقدم له كل الخدمات والتسهيلات في عمله ، وانها لا تقف ابدا ضد اى تفسير قد يدعم الاحداث الواردة في الكتب المقدسة •

ونحن نحب ان نضيف الى ذلك ، اننا نعامل البعثات الاثرية على أنها بعثات علمية ، لاعمالها واكتشافاتها اثر كبير في ايضاح تاريخنا ،الذى يشكل بدوات تاريخ الانسانية والعالم ، ضمن حدود العلم والواقعية دون تاويل واستغلال،ونحن نسير مع هذه البعثات التي بلغ عددها الثلاثين في سورية جنبا الى جنب لتحرى الحقيقة مهما كانت نتائجها •

ونحن نؤمن بالكتب المقدسة كلها ومنها التوراة ، •" حاجة للتدليل على ذلك ، ولكننا نؤمن بقوة بالحقيقة العلمية ، ونرى أن مايكتشف هو حقيقة قاطعة لا بد من اظهارها بنزاهة واخلاص • لانها حقيقة تهم الناس جميعا والاجيال المقبلة التي ستتحرر من عقد العنصرية ولا شك •

تراجع واعتراف

ولذلك فاننا سنعمل على نشر هذا الكنز بعد دراسته بامعان من قبل لجنة من كبار المختصين ونشره تباعا ضمن نطاق اسلوب علمي ، لكي يطلع العالم على أسرار التاريخ القديم التي نفخر أن بلادنا كانت مسرحه ومخزنه ونحن اذ ننظر الى التوراة ككتاب ديني مقدس لا بد أن يواكب التطور الثقافي المعاصر الذى يسعى الى تاريخ ماضي البشرية من خلال المكتشفات الاثرية• وفي كتاب ظهر مؤخرا في هولندا (١) يذكر المؤلف :

« انه بامكان عالم الاثار التوراتي أن يوضح أهدافه عبر الازمنة التاريخية الواردة في التوراة، ما دامت الوقائع الواردة في التوراة تتماشى مع الوقائع الاثرية ، ولكن عندما تتعارض تلك المصادر ، تصبح المعلومات التاريخية بيانا وبرهانا متروعا واساسيا للاستدلال •

ويقول : ولكن العلماء التوراتيين ، وهذا ما نحاول اثباته في هذا الكتاب يقومون بعمل تحليلي في تنقيبهم من خلال أحكام مسبقة تفرض عليهم التفسير •

ويستحضر الكاتب ، مثالا عن افكاره ، الاعمال التي يقوم العالم الهولندى فرانكن في دير علا (الاردن) والتي ابانت ان هذا العمل العلمي يتحدى أسلوب الاثريين التوراتيين » •

ولا بد من أننورد هنا تراجع فريدمان واعترافه باهمية هذا الكشف من الوجهة التاريخية الصرفة•

وفي مجلة نيوزويك يذكر كاتب المقال على لسان فريدمان نفسه :

ان هذه الرقم تعطينا صورة حضارة كاملة كان قد اشير عنها تلميحا من خلال ما اكتشف في ماري واكاد ولكننا الان عرفنا انها حضارة قوية ومتينة تقع تماما بمستوى حضارة قدماء المصريين والرافدين •

ويعترف هو نفسه في مقال نيوزويك وعلى لسان كاتبي المقال ان هذه الرقم تصف امبراطورية

(1) Morshell E. Marlin : The Approval of Argument in Biblical Archeology.

واسعة الارجاء، فلقد كان في ايبلا مائتان وستون ألف انسان توسع مجال تاثيرهم وامتد حتى وصل الى سيناء من الجنوب والى قبرص من الغرب واعالي بلاد الرافدين في الشرق .. وفي عام ١٩٦٨ اكتشف تمثال عليه كتابه مسمارية تتضمن اسم « ايبلات ـ ليم » اى ملك ايبلا ، مما أعطى أول دليل على هوية الموقع ، ومن انه موقع مدينة ايبلا التي ورد اسمها في الكتابات الاكادية ولقد تضمن التمثال ستة وثلاثين سطرا .

وتحت عنوان « مملكة ضائعة » (٢) كتب وودورد ومالش في مجلة نيوزويك مقالا ذكر فيه أن هذا الاكتشاف الاثرى هو أعظم ما تم خلال اجيال وربما عبر قرون في مجال المكتشفات الاثرية.

تحت عدسة مشبوهة

ولكن في مقال مجلة نيوزويك محاولة واضحة لوضع هذا الاكتشاف الهام تحت عدسة مشبوهة اذ يقول الكاتب :

١ ـ يعتقد جيوفاني وبتناتو ، العالمان بفقه اللغة من جامعة روما أن هذه اللغة تنحدر من اللغة التي ينطق بها التوراتي » .

وعندما سالت العالمين المذكورين أثناء زيارتهما لي عن هذا الامر ، ضحكا لسببين: أولا ، أنه تاويل لم يصدر عنهما

ثانيا ، لانه مخالف لمنطق التاريخ ، فهذه اللغة المكتشفة تسبق اية لغة او لهجة ورد فيها ذكر التوراة بما يزيد عن ألفي عام .

٢ ـ يقول كاتب المقال :

« على الرغم أن خمسا وتسعين بالمائة من اللوحات لم تعد للترجمة بعد، فلقد اكتشف الدكتور بتناتو مؤخرا بعض المداخلات المتساوية بين حضارة ايبلا وحضارة اليهود القدماء الذين قادهم ابراهيم الى كنعان حوالى ثلاثمائة سنة قبل ظهور ايبلا » .

وهذا تصريح كاذب ومضحك أيضا ، فان بتناتو ينفي هذا التصريح المنسوب اليه اصلا، وهو مضحك لانه يقلب الحقائق ويغالطها ، فاذا كانت هذه الكتابات ترجع الى عام ٢٥٠٠ ـ ٢٢ه٠ ق . م فانها تبقى سابقة بخمسة قرون على كل الاحداث التي وردت عن ابراهيم واعقابه كما هو معروف جيدا .

وأورد مقال نيوزويك أن ملوك ايبلا « كانوا يدهنون بالزيت أجسامهم ، تماما كما كان يفعل الملك داود وسليمان » .

وهذا القول مثير للضحك ولكنه يكشف عن نية تضليل القارىء العالمي، فلقد قلب الكاتب الحقيقة الواضحة من أن داود وسليمان هما اللذان أخذا عن ملوك ايبلا فاللاحق هو الذى ياخذ عن السابق وبين التاريخين قرون عديدة .

لقد ورد في المقال ايضا « ان الكتابات ابانت أن اسم داغان ورد من بين أسماء مجمع الارباب . وداغان هو نفس الاله الوثني الذى هدم معبده شمشون كما ورد في سفر التكوين .

مادا يعني هذا التحريف الا يعرف الكاتب أن الاله داغان الذى ذكره التوارة هو اله وثني فينيقي ويتمثل بجسم سمكة (داغ) وراس انسان ، ولقد صنعه عندما وضع تابوت عهد الرب الى جانبه (١ صموئيل ٥ : ١ ـ ٣) ولكن الذى ورد في الكتابات أن ايبلا هو اسم داغان ، وهو اله قديم معروف عند الاموريين والكنعانيين ولقد عثر شيفر على معبد كامل له في راس الشمرة ، وهو اله معبود عند سكان ايبلا وهم عموريون ولا شك.

بين ابراهيم ونوح

ولقد ورد في مقال نيوزويك أيضا أنه كان لايبلا طبقة من الانبياء . وان عددا من أسماء المواطنين في ايبلا كان يسمى باسم داود وايساو وشاؤول ، كما يذكر انه ورد اسم اورساليما ويقول ، لعله اسم ايبلا ذاتها ... ويذكر صاحب المقال أن ورود اسم ايبر من أسماء ملوك ايبلا يؤكد همزة الوصل بين ابراهيم ونوح اذ أن ايبر تعني عابر الذى دون اسمه في سفر التكوين ويستدرك صاحب المقال قوله هذا فيعرض آراء علماء يرون بان هذا القول يحتمل النقاش . ومن المعروف جيدا أن تسمية اورشليم قديمة وتخص مدينة القدس وحدها وترجع الى عهود الكنعانيين الاولى . وهي لفظ كنعاني تعني مدينة السلام . ولقد وردت في التوراة عند ذكر (ملكي صادق) ملك شاليم (اورشليم) الذى بارك الخليل ، وكان ملكي صادق محبا للسلام مؤمنا بالتوحيد ولذلك اعتبر رئيسا للكهنة الى الابد ولقد كرمه

---

(2) Lost Kingdom : News Week Nov. 22, 1976.

التوراة والانجيل ، وكل ما يعرف عن هذا الملك انه من زعماء اليبوسيين الذى اسسوا هذهالمدينة القديمة ·

ولم يعرف حتى الان أن هذه التسمية اطلقت على غير القدس · ومع أن الاختصاصيين لم يدلوا برايهم النهائى فى معنى هذه الكلمة · ولكن لابد منالتذكير أنشليما هو اسم اله كنعانى قديم وهو معروف ولا شك فى ايبلا الكنعانية · ثم اننا نقول أن كلمة (ايبر) قد تكون (عابر) ولكن التوراة يذكر أن ابراهيم هو ابن فارح بن غاحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر الخ···حتى سام (التكوين ١١ : ١٠ ـ ٢٦) أى أن الزمن بين ابراهيم وجده الاعلى عابر ٢٠٠ سنة بينما نحن نرى الفرق بين ايبر ملك ايبلا عام ٣٥٠٠ ق·م وابراهيم الخليل ١٩٥٠ ق·م هو ٤٠٠ سنة·

ثم أن الكتابات فى ايبلا لم تشر الى أى من أعقاب ايبر أو عابر · كما أن اسماء الملوكالذين يشكلون الاسرة الحاكمة لهذه المرحلة الهامة من تاريخ الشرق الاوسط غير واردة فى مصادر أخرى وحتى فى التوراة ثم أن اسم عابر أو ايبر اسم شائع لدى الكنعانيين والآراميين ·· وكنا نتمنى لو يتحقق لنا اثبات ذلك اذن لكانت أهمية كشوف ايبلا تفوق اكتشافات البحر الميت فعلا ·

نحننعلم أنهذه الآراء المضللة تسعى الىاعطاء الفرصة للصهاينة لاثبات وجودهم التاريخى ،ولكن ما كتب لا يمكن أن يفوت المدقق وان كان ينطلى على القـارىء المتسرع الذى تبهـره الالقـاب والصفات المسندة زورا على أصحاب التصريح ·

وليس هذا ما يهمنا على كل حال · ان همنا أن نجيب باسرعوقت على رغباتالعلماء فىالعالم وعلى تطلعات شعبنا العربى فى كل مكان للتعرف على أعظم وأصدق المعلومات عن فترة تاريخية سحيقة كان يسودها الظلام على أرضنا العربية ·

ونكتفى بالقول أننا جادون فى تنفيذ برنامج علمى لترجمة ما اكتشف بموضوعية وأمانة ·

حقيقة الحضارة الرافدية

بقى أن نذكر كلمة أخيرة ·

لم يعد خافيا بعد أن تطور علم الاثار واعطى معلومات واسعة عن حقيقة الحضارة الرافديـة القديمـة · أن يصبح بوسـع أحـد ان يـزيف الحقائق أو يضـلل بمعلـومات ملفقـة عن هذه الحقبة الزمنية الهامة مـن تراثنا الحضـارى ·

فلقد تبين ان اكـثر الاسـاطير والحـوادث الواردة على لسان اليهود انما هو ماخوذ عـن الرافدين (٣) ذلك أن التوراة ، وقد كتبه اليهود المنقبون فى بابل ، وضعوا فيه كثيرا من الاحداث المتخيلة والمأخوذة عن التقاليد الشائعة فى المنطقة كما وضعوا فيه مطامحهم الغالية ، ولقد ابانت المكتشفات أن قصة الخليقـة وردت فى الـواح الخليقة السبعة البابلية · وان الموت عالم لا عودة منه ،وهو عالم ظلامتماما كما يذكر التوراة أنقصة آدم وحواء وشجرةمعرفة الخير والشر قديمة أيضا ولقد عثر على صورة منقوشة علىاسطوانة تمثل آدم وحواء وبينهما شجرة الحياة وخلفحواء تنتصب حية ·

ولقد عرف القدماء الفردوس واعتقدوا أنها تقع فى دلمون (البحرين) ·

وقصة ايميش واينتين السومرية ، هى نفسها قصة قابيل وهابيل · أما قصة طوفان نوح فتتفق تماما مع قصص قديمة عن حادثة فعليـة حـدثت بسبب ضلال الناس فعاقبتهم الالهة وكان ذلك فى الالف الثالث ق·م جنوب الفرات ·

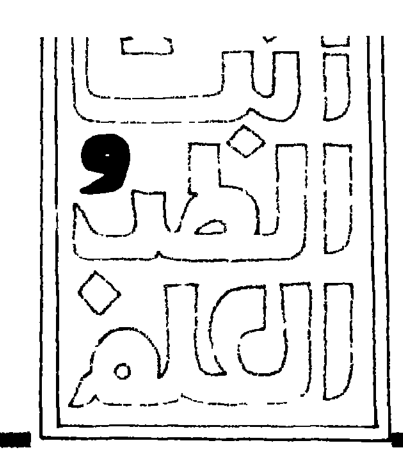
أما قصة يوسف مع امراة فرعـون فهى قصـة فرعونية قديمة كانت مكتوبة على ورق البردى والقصة جرت بين زوجة (انوبيس) التى راودت أخاه (باتا) فابى ، فاوغرت صـدر زوجـها ، وهرب باتا ثم أصبح فرعونا ـ ثم الها ·

وأخيرا فان قصة ولادة موسى هى نفسها قصة ولادة سرغون الاكادى تماما كما رواها بنفسه ·

ان هذا التضليل الذى يمارسه بعض الكتاب، لايخفف أبدا من أهمية اكتشافات تل مرديخ فى سورية ، بل على العكس يعطى الدليل القاطع أن ما أقامه اليهود لانفسهم من تراث أرادوه مدعما بكتاب مقدس انما يرجع فى حقيقته الى تراث سكان المنطقة مـن العـرب والسوريين القدماء · وليس بالامكان اخفاء هذه الحقيقة على الرغم من اعتقادنا بالاديان السمـاوية وكتبهـا المقـدسة الاصلية · ■■

دمشق ـ الدكتور عفيف بهنسى
المدير العام للآثار والمتاحف

(٣) انظر كتاب العرب واليهود فى التاريخللدكتور أحمد سوسة



اعداد : يوسف زعبلاوى

الظلام لم يعد عائقا فى الحروب

● الرؤية فى ظلمة الليل ليست من النعم التى يتمتع بها الانسان ٠٠ وقد كانت من بين الاحلام التى طالما تطلع الى تحقيقها بلا طائل ٠

والظاهر ان العلم نجح فى تحقيق هذا الحلم ٠ فقد تمكن العلماء من اختراع المناظير التى تساعد على الرؤية فى حلكة الظلام ٠ وهكذا اصبح فى مقدور الجنود ان يواصلوا القتال ليل نهار ٠٠٠

وتصنع مناظير الليل فى امريكا وعلى نطاق محدود هذه الايام ٠ ولكن السنوات القليلة القادمة كفيلة بانتشار هذه الاجهزة وصنعها على نطاق واسع ، لا فى امريكا فحسب ولكن فى سائر الدول الصناعية ايضا ٠

واجهزة الابصار الليلى هذه صنوف عديدة٠٠الا ان اكثرها نجاحا واقربها الى الرواج وسعة الانتشار صنفان ٠٠ صنف يعمل بواسطة الاشعة تحت الحمراء ٠٠ وصنف اخر يعمل على اساس التكبير والتضخيم ٠٠ وهذه المناظير الاخيرة هى التى تهمنا هنا ٠

اما التكبير ٠٠ فتكبير بصيص الضوء الذى لايخلو منه ليل،مهما بلغت حلكته٠٠ وقديتفاوت هذا البصيص باختلاف الليالى

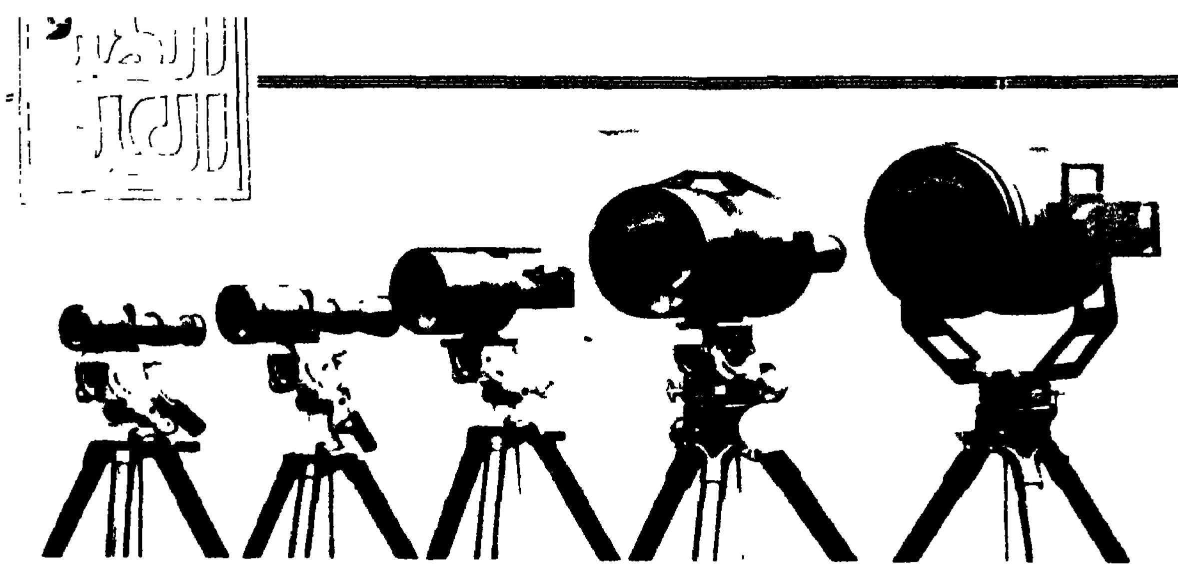


فيكون فى بعضها اقوى مما هو فى بعضها الاخر ٠٠ الا انه موجود فيها جميعا ، يصدر عن الاشياء،او ينعكس عنها،ويصل الى عين الانسان المجردة بالرغم من الظلام ٠٠ ولو كان ذلك البصيص اقوى مما هو، اوكانت عين الانسان احد بصرا مما فطرت عليه ٠٠ لامكن رؤية الاشياء فى الليل ٠٠

ومن شأن اجهزة التكبير ٠٠ او مناظير الليل ، ان تكبر بصيص النور هذا ٠٠٠ انها تكبره اكثر من ٥٠٫٠٠٠ مرة ٠٠ ! فتمكن عين الانسان المجردة من رؤية الاشياء ليلا وكأنها تراها فى وضح النهار – على وجه التقريب ٠

وقد كانت هذه الاجهزة ثقيلة الوزن حين استكملوا تطويرها فى امريكا قبل





نحو عشر سنوات .. ولكنها اصبحت الان خفيفة الوزن كما ترى في الصور المرفقة. وقد يظن البعض ان شركة سمث ووسون Smith wesson الامريكية هي الشركة الوحيدة التي تصنع هذه الاجهزة والتي تبيعها بحوالي (٧٠٠٠) سبعة آلاف دولار للجهاز الواحد.

الا ان ثمة شركات اخرى في امريكا تصنع مثل هذه المناظير وتصنعها بنماذج مختلفة يصلح بعضها للاستعمال في قيادة الدبابات والمصفحات والسيارات العسكرية وغير العسكرية.

الليتريل بين التحليل والتحريم

● شهدت الولايات المتحدة في الربيع الماضي معركة حامية الوطيس .. وقد احتدمت تلك المعركة بين دائرة الغذاء والدواء الحكومية، التي قررت حظر بيع احد العقاقير، وبين جموع من الناس الذين سعوا الى الغاء ذلك القرار، وعملوا من اجل الابقاء على استعمال ذلك العقار. ولم يكن بين هؤلاء اي من شركات الادوية .. اي ان حملتهم كانت مجردة عن الاغراض التجارية. ومع ذلك فقد بلغوا من الكثرة ما حمل دائرة الغذاء والدواء على تشكيل محكمة خاصة وعقد الجلسات والاستماع الى اقوال انصار ذلك العقار واقوال خصومه. ويقول المطلعون ان هذه المعركة كانت فريدة في نوعها ولم تعرف الولايات المتحدة مثيلا لها، ولا حتى بالنسبة الى السكارين الذي تم حظره مؤخرا والذي يعد انصاره بالملايين ...

اما العقار الذي نشبت المعركة بسببه فهو الليتريل Laetrile او اميغالين Amyvalin او فيتامين X17 وهو اقرب الى العقاقير الشعبية ويصنع من اللوز المر وبذور المشمش والخوخ ... وهو عقار قديم وقد مضى على استعماله، وكذلك عدم حظره زمن طويل. ويؤكد الكثيرون ممن تعاطوا هذا العقار انه علاج فعال للسرطان، وانه طالما قضى على صنوف مختلفة من الاورام الخبيثة. نذكر من هؤلاء المستر دافيد بول Ball (٧٦ سنة) الذي شهد امام المحكمة .. محكمة العقار .. وأكد انه كان يعاني من سرطان الثدي في كلا ثدييه، وانه شفي تماما بفضل الليتريل ..

ومن طريف ما يذكر ان انصار هذا العقار اسسوا فيما بينهم هيئة اطلقوا عليها اسم « لجنة حرية الاختيار في معالجة السرطان .. » وان ثلاثا من الولايات، هي فلوريدا، والاسكا وانديانا، قررت

السماح باستعمال الليتريل وبيعه وضربت عرض الحائط بقرار الحظر الصادر عن دائرة الغذاء والدواء ·· وهي ، كما لا يخفى ، احدى دوائر الحكومة الاتحادية في واشنطن ·

وتدافع هذه الدائرة عن نفسها وتقول ان القوانين المعمول بها تلزمها باتخاذ قرار حظر الليتريل · اذ لا يكفي ان يثبت للناس عدم ضرر العقاقير ·· للسماح بتعاطيها·· كما تنص تلك القوانين ·· ولا بد من اقامة الدليل القاطع على انها فعالة وتشفي من الامراض التي تؤخذ من اجلها ·· والا جاز اعتبارها ضربا من ضروب الشعوذة ·

شجرة مطاط جديدة غير شجرتها القديمة

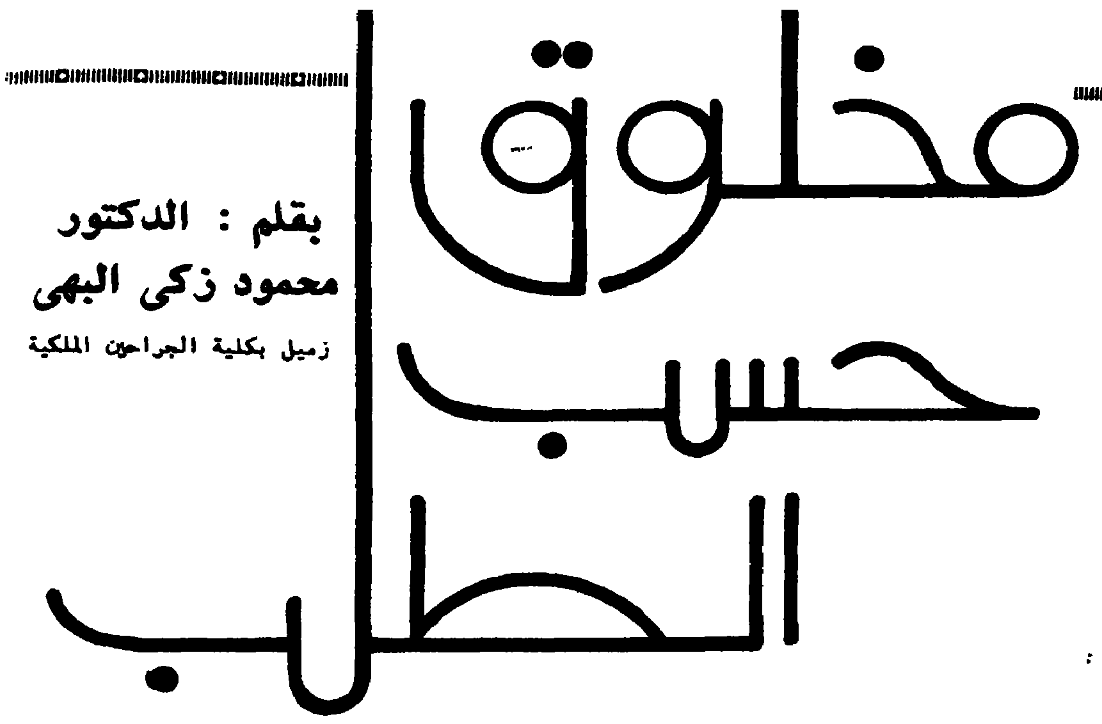
● نظر الكونجرس الامريكي (في الربيع الماضي) في مشروع قانون يدعو الى رصد ٦٠ مليون دولار للانفاق في سبيل تطوير زراعة شجيرة مطاط جديدة ·· هي شجيرة او عشبة الجويل Guayule ·

فهذه عشبة صحراوية عثروا عليها في منطقة الحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك ·· ويبلغ طول العشبة نحو قدمين ·· اما محتويات المطاط فيها فتبلغ احيانا ربع وزنها ·· والعشبة ليست جديدة بالمعنى الدقيق ·· فقد عرفها الازتك وصنعوا منها كرة للعبة كان يمارسونها وتشبه لعبة الباسكت بول ·· وصنع منها الهنود الحمر في الولايات المتحدة العلك او اللبان ·· ولم يغفل عنها الامريكيون وقد استغلوها في صنع المطاط على نطاق واسع حتى اصبحت مصدرا لنصف مطاطهم في مطلع هذا القرن ·· ولما نضب معين هذه العشبة تحولت الصناعة الامريكية عنها الى مصادر المطاط التقليدية المعروفة في جنوب شرق اسيا ··

ولكن الامريكيين ما لبثوا ان عادوا الى عشبتهم الصحراوية ، ايام الحرب العالمية الثانية ·· وظلوا يعتمدون عليها حتى استردت منطقة جنوب شرق اسيا حريتها ثانية ··

ويتجه تفكيرهم حاليا الى استغلال العشبة مجددا وذلك باستزراعها على نطاق واسع· ذلك ان العالم سيجابه ازمة مطاط في المستقبل القريب ، كما يقولون · فبينما الطلب على المطاط الطبيعي يزداد بنسبة ٩ر٥٪ تجد ان الزيادة في انتاج ذلك المطاط لا تجاوز ٨ر٣٪ · اما المطاط الصناعي فلا يستطيع ان يملأ الفراغ ·· فهو يفتقر الى مرونة المطاط الطبيعي ولا يقاوم الحرارة مثله ·· لذا كانت اطارات الطائرات تصنع من المطاط الطبيعي ١٠٠٪ وكانت نسبة هذا المطاط في اطارات السيارات لا تقل عن ٤٠٪ · اضف الى ذلك ان المطاط الصناعي يصنع من البترول ·· والبترول في طريقه الى نفاد · ويعتقد العلماء الامريكيون ان مطاط الجويول الذي يشبه مطاط جنوب شرق آسيا ، يستطيع حل ازمة المطاط ·





بقلم : الدكتور
محمود زكى البهى
زميل بكلية الجراحين الملكية

- قصة الابحاث المثيرة التى تجرى الآن للتحكم فى عوامل الوراثة •
- ماذا يحدث لو هربت احدى مخلوقات التجارب التى يجرى تركيبها الآن وتكاثرت ؟
- البعض يرى ان التجارب تفتح الباب لتخليص الانسان من كل الامراض الخطيرة •
- مادة الوراثة فى الخلية لا تتجاوز ٦ على بليون من الجرام •
- وكمية عوامل الوراثة التى تناقلتها البشرية منذ بدء الخليقة لا تتجاوز جراما واحد •

الأوساط العلمية فى العالم مشغولة الآن بقضية بالغة الخطورة هى : احتمال تكوين مخلوقات جديدة ، بعد ان نجح علماء البيولوجى فى تركيب كائن جديد بلمج مادة الحياة المعروفة باسم D.N.A من جرثومة تعيش داخل امعاء الانسان مع مادة الحياة فى احد النباتات •• كيف حدث ذلك ؟ وما هى مخاطر التجربة المثيرة ؟ •• وكيف يمكن تسخير الكشف الجديد لخدمة الانسان ، لا لدماره ؟ •• المقال يجيب على هذه الأسئلة •



يصنع العلماء هياكل من البلاستيك تطابق تماما الهيكل الاصلي لمادة ما حتى يمكنهم دراستها وتعليمها للطلاب وللناس . وهذه فتاة صغيرة تتطلع الى هيكل ضخم لجزيء ال D.N.A والهيكل يبين مدى تعقيد التركيب الجزئي خصوصا اذا عرفنا ان وزنه الحقيقي يقل عن جزء من المليون من الجرام .

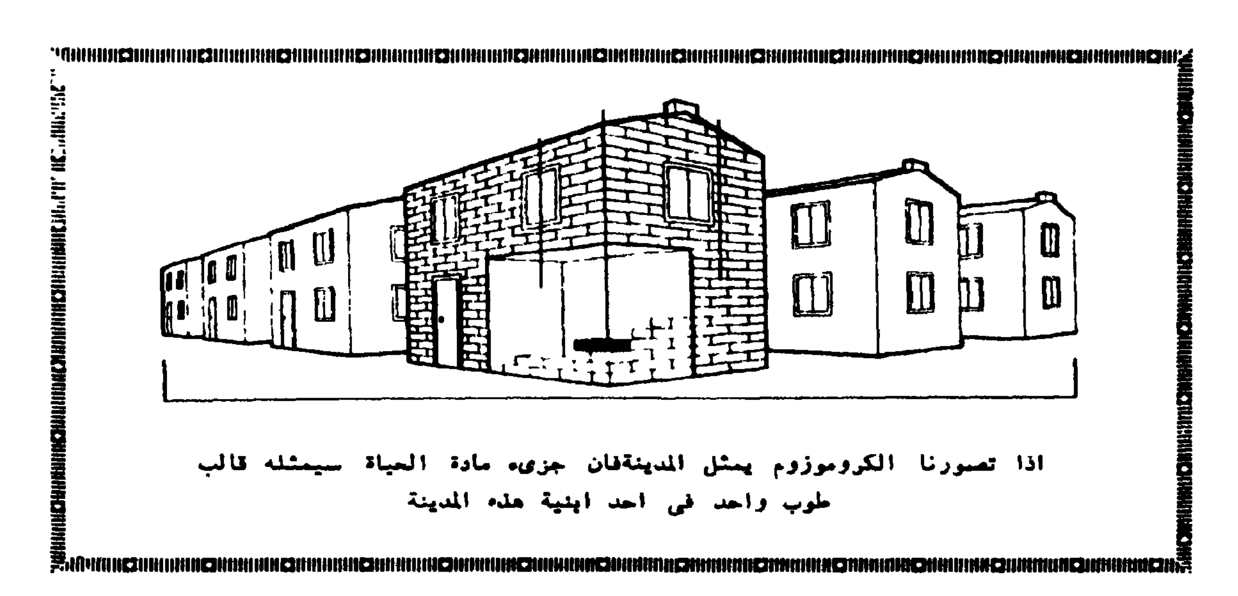
■ يعاني علماء الوراثة الآن من القلق والتوتر اللذين مر بهما علماء الطبيعة قبل تقسيم الذرة. فقد امكنهم تحقيق الحلم الذى شغل عمر العلم ، وهو توجيه الوراثة او تفصيلها حسب الطلب . فعن طريق المختبرات ، استطاع العلماء تركيب العوامل الوراثية في جرثومة تعيش داخل معدة الانسان على عوامل الوراثة لنباتات او حيوانات او جراثيم اخرى . الامر الذى يفتح الباب لتكوين مخلوق جديد غير معروف .

وما كادت هذه الأنباء تنتشر حتى قامت الدنيا ولم تقعد منذ عامين ، فطلبت ادارة الرئيس الامريكي كارتر من الكونجرس الامريكي اخيرا وضع قيود شديدة على هذه التجارب . وقامت لجان علمية وسياسية واجتماعية في كل انحاء العالم الذى يدرك ابعاد القضية لدراستها واتخاذ موقف منها . فمن العلماء من تحمس لهذه الابحاث باعتبارها وسيلة للتخلص من كل امراض الوراثة كالبول السكرى والهيموفيليا وهي مرض وراثي يسبب عدم تجلط الدم بعد الجروح وحتى السرطان . ولكن المعارضين قالوا : ان توقعاتهم لخطورة هذه الابحاث تفوق كل ما ينتظر من فوائدها، ويتساءلون ماذا ستكون النتيجة لو انه بطريق الصدفة او حتى بالتدبير هرب احد هذه المخلوقات الجديدة من قيده في المختبر وتكاثر ونما ؟؟

ان اخطارا جسيمة غير معروفة الابعاد ستترتب على ذلك . ويصادف هذا القول صدى كبيرا عند الجماهير خصوصا وان اهل الكشف لم يعدوا ، بل ولبست نديهم قدرة على الاطلاق عن ابعاد الاخطار المتوقعة ، حتى ان الحجة اعوزتهم تماما فردوا على العلماء الذين عارضوهم بالالفاظ النابية والسباب، ناسين الآداب التقليدية للعلماء. فهذا جيمس واتسن الذى حاز على جائزة نوبل عن ابحاثه فى مادة الوراثة يهاجم جورج والد وهو الحائز على النوبل ايضا ، ويصفه انه « مخرف » و « مشعوذ » وغير كفء ، لان جورج دعا الى ايقاف هذه التجارب الوراثية الخطيرة .

المهم ان الموضوع شغل الجميع ، وان الصحافة امطرت الناس بالعناوين المثيرة وتنبؤاتها عن نهاية الحياة عند ظهور المخلوق الجديد .وحتى السينما لم تنس الامر ، فخرجت بفيلم لكبار الممثلين عن « بذرة الشيطان » ! .

وعلى الغلاف كتبت مجلة « تايم » الامريكية منذ اسابيع تقول : جنون الـ دى . ان آه . D.N A يبدل في الخلق و D.N.A هي مادة الوراثة ويوجد منها في كل خلية آدمية ستة اجزاء من المليون من جزء من المليون من الجرام الواحد . فاذا كان في العالم الآن حوالى اربعة بلايين من الآدميين ، فان كمية الـ D N.A التى نقلت لهم صفاتهم الوراثية لا تزيد على ثلاثة اجزاء من مائة جزء من الجرام الواحد ، هكذا يقول عالم الوراثة تيودس دو بزهانكي !



اذا تصورنا الكروموزوم يمثل المدينة فان جزىء مادة الحياة سيمثله قالب طوب واحد فى احد ابنية هذه المدينة



الفائزون على جائزة نوبــــل عام ١٩٦٢ كانوا سبعة فقط في كل العلوم • خمسة منهم في علوم الوراثة يظهرون من اليمين الى اليسار كندريو ـ واتسن ـ كريك ـ دروتس ـ ويلكنز •

ما هي حكاية الـ D.N.A او مادة الحيـــاة كما يقولون ؟

تحتاج المسالة الى ايضاح • فالوحدة هي الكائن الحي هي الخلية . وهي عبارة عن غشـــاء يغلف سائلا هلاميا اسمه السيتوبلازم تسبح فيه اجسام صغيرة منها نواة الخلية . وفيها مركز التفاعلات الحية . بحيث تموت الخلية لو تحطمت النواة • يحيط بالنواة غلاف خاص يحتوى داخله اجساما على شكل قضبان اختاروا لها اسم «الكروموزومات» وتعني الاجسام الملونة • لانه عند صبغ الخلية تكتسب هذه الاجسام من الخلية لونا اكثر تركيزا عن باقي اجزاء الخلية كلها • التسمية اذن لا تعني اكثر من وصف ، ولا تشير الى اية اهمية وظيفية • ولم يكد يمضي قرن على رؤية الخلية وكروموزوماتها حتى كشـــف العلم عن اعاجيب الحياة في هذه القضبان الملونة •

ذبابة كشفت السر !

في عام ١٩٠٣ عرف ان الكروموزومات تحمل معلومات الوراثة • وكانت هذه المعرفة بفضـــل حشرة كانت وما زالت غاية في التواضع هي ذبابة الفاكهة الدورسوفيليا • ولقد قدمت هذه الذبابة خدمات عظمى لعلماء الوراثة لانها سهلة التربية ككل الذباب ، ولان كروموزوماتها الثمانية كبيرة بحيث يســـهل رؤيتها ، ولذلك كانت الرفيـــق المفضل في مختبرات علماء الوراثة •

ولمدة ثلاثين عاما لم يتمـــكن احـــد من عد كروموزومات الانسان واكتفى العلمـــاء باعتبارها كعدد كروموزومات الشمبانزى (٤٨) ـ لاحظ انهم يعتمدون بالاخوة بين الانسان والقرد ـ وفي عام ١٩٥٦ استطاع تيجيو وليفي السويديان ان يبتكرا طريقة اكثر دقة مكنتهما من عد كروموزومات الانسان ليجدوها ٤٦ وليست ٤٨ ، وهكذا احمر وجه انصار اخوة القرد للانسان خجلا ، بل وزاد من خجلهم انهم اكتشفوا ان الكروموزومات تكاد تضع كل حيوان في قائمة بذاته على الاقـــل من ناحية العدد • فالقردة والدجاج وبعض القواقع

عـدد كروموزوماتها اكثر من الانسـان ، بينما كروموزومات الدوســوفيليا والضفادع والقطط والفئران اقل من الانسان • وســقط في هـذا المضمار حساب سلم الترقي عند الداروينيين •

وبزيادة التقدم العلمي امكن دراسة الكروموزومات بطرق افضل • صوروها وفرقوا بينها ورقموها واصبح كل كروموزوم من الستة والاربعين لـه اسم ورقم ، مثل كرموزوم فيلادلفيا • ثم لاحظوا ان اى خلـل في شـكل او حجـم او مكـان اى كروموزوم يمكن أن يسبب عاهة خلقية او مرضا مـا •

كما لاحظوا ان الكروموزومات تتزاوج بمعنى انها تكون ثلاثة وعشرين زوجا بدلا مـن سـتة واربعين فردا• وابرز زوج يتمثل في كروموزومات الجنس ، فيحمل الرجل زوجـا منها ، احـدهما يرمز اليه بحرف X وهو كروموزوم الانوثـة ، وله صفاته المميزة • والاخر يرمز اليه بحرف Y وهو كروموزوم الذكورة وله صفاته المميزة له •

اما المراة فتحمل زوجا من الكرومـوزوم X وجدير بالذكر ان الكروموزوم X الموجود في الرجل هو نفسه من حيث الصفات الكروموزوم X الموجود في الانثى • وهكذا يحمل الرجل ٢٢ زوجا من الكروموزومات بالاضافة لواحد X وآخر Y ويكون المجموع ٢٣ زوجا • وتحمل المراة ٢٢ زوجا من الكرموزومات بالاضافة للزوج الثالث والعشرين وهو XX •

ان انقسام الخلية التناسلية في الذكر والانثى يحدث بان تنتظم الكروموزومات في تزاوجها في وسط الخلية ثم تنحاز كل ثلاثة وعشرين فردا الى ناحية من الخلية التى تنشطر الى نصفين يحمل كل نصف ثـلاثة وعشرين فـردا من الكروموزومات • فتنتج خلايا تناسلية من المراة خلايا مؤنثة تحمل الكروموزوم X فقط ، وفي الرجل خلايا مذكرة يحمل نصفها الكروموزوم Y والنصف الآخر يحمل الكروموزوم X •وهكذا يصبح تقرير مستقبل الجنين ذكـرا ام انثى مرهونا بما تحمـل الخليـة المذكـرة • فان كانت تحمل X ولقحت بيضة تحمل X كان الناتج بنتا تحمل زوجا من XX وان كانت الخلية المذكرة تحمل Y ولقحت بيضة تحمل X كان الناتج ولدا يحمل كروموزوم X وكروموزوم Y •

والمعروف ان صفات الانسان ليست في الانوثة والذكورة فقط • ولكن ثمة صفات اخرى، فنحن نرى الطويل والقصير والعريض المنكبين والمحدودب الظهر وذا الطلعة البهيـة والعيـون الزرقا والصوت الملائكي • وليست زرقة العيون على درجة واحدة ، ولا الصوت الجميل • فلماذا ؟ لماذا يحمل هذا من الصفات ما لا يحمله غيره ؟ ولماذا يكون صوت احدهم جميلا ؟ ولماذا لا تكون كل الاصوات جميلة ؟ لماذا يخلق احدهم عدوا للشمس ؟ ولماذا لا نرى منهم عددا اكبر ؟ ولماذا تستطيع المراة ان تنقـل مـرض الهيموفيليـا ولا تصاب هي به ؟ ولماذا تنقله لابنها وليس لابنتها ؟ ولماذا يصاب به الولد ولا تصاب به البنت ؟• ولماذا لا ينقله الولد لذريته ؟

هذه فقط بعض البعض من التساؤلات وليست كلها ، ولكن الاجابة الاولية بسيطة • ان باقي الكروموزومـات تحمل باقي الصفـات •• وهي اجابة ـ كما قلت ـ اولية •

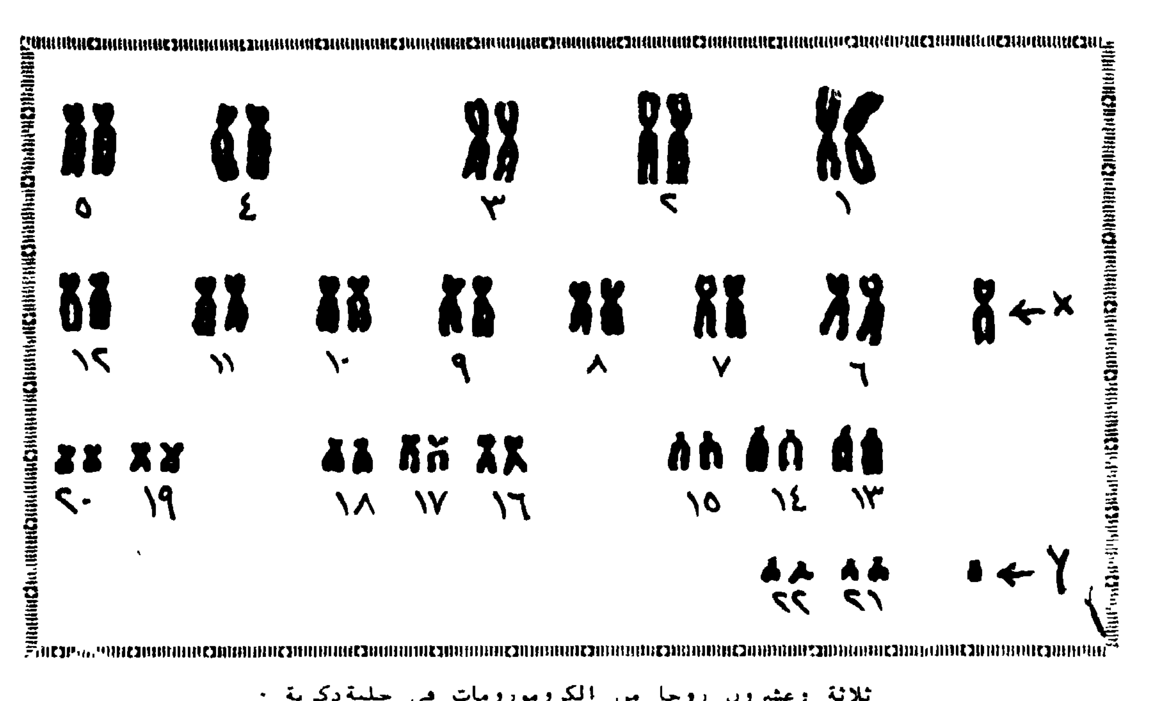
رموز الشفرة العجيبة

ولكن التقنية الحديثة استطاعت ان تفك بعض الرموز فلقد اكتشفوا ان الكروموزومات تتكون عليها خيوط دقيقة من مادة

Deoxyribo Nucleic Acid .

« ديزاوكس ريبو نيوكليك أسيد » اختصروها صفات الوراثة منذ سيدنا ادم وحتى يومنا هذا ، الى D.N.A وان هـذه المادة هي التي تحمـل كل صفات الوراثة منذ سيدنا آدم وحتى يومنا هذا وانه لحمل عظيم حوى كل صفات البشرية وكل ارث الاجيال •

لقد استطاع فن الجاسوسية الحديثة ان يخزن المعلومات السرية في مساحة تمثل نقطة فوق او تحت حرف ، ومن ثم يكبرونها ويقرأون ما حوت من معلومات ، وذلك فعل خارق في الدقة حقا • ولكن هذا الـ D.N.A قد فاق كل خيال • فالكمية الموجودة منه في خلية الانسان اقل من ستة اجزاء من البليون من الجرام الواحد • وبناء على ذلك يقول عالم الوراثة تبوديتيس ديبوز هانسكي « انه اذا كان سكان العالم الان حوالي اربعـة بلايين نسمة فـان كميـة الـ D.N.A التى حملـت كل المعلومات لحياتهم ، لا تزيد عن ثلاثة اجزاء من مائة جزء من الجرام » • فلو حملنا الارقام بعض



ثلاثة وعشرون زوجا من الكروموزومات في خلية ذكرية ٠

الاستقراءات واخذنا في الاعتبار كل النمو السكاني في العصور المعروفة ولو بالمبالغة في التعداد فان كمية الـ D N A التي حملت المعلومات منذ بدء الخليقة وحتى الان لن تزيد عن جرام واحد !٠٠ اعجاز لا يملك مفاتيحه والقدرة عليه الا خالق الكون سبحانه ٠٠

ان طريقة النقطة التي ابتدعتها الجاسوسية الحديثة تبدو بجانبها اضخم من الهرم بالنسبة لنسطة على حرف في ورقة تلهو بها الرياح عند قاعدة الهرم الأكبر ٠ ومع ذلك فلقد نقلت عبر التاريخ كله منذ آدم عليه السلام هذا التراث الهائل من الصفات الانسانية بخيرها وشرها ، ونقلت هذ القدر العظيم من الفكر الانساني بحلوه ومره ٠ ويعلم الله وحده الذي وهبها هذا السر الى متى تظل تحمل من معلومات وتضيف اليها من جديد ٠

لم تنته رحلة العلم عند هذا القدر من المعرفة عن الـ D N A وهو الذي حوى الحياة كلها ٠ بل انها هكذا بدت اكثر غموضا ، وفي الانسان صفة موروثة حملها الـ D N A نفسه من قديم الاجيال وهي الرغبة في توضيح الغموض والسعي دائما لاماطة اللثام عن الاسرار حتى ولو كانت حياته هي الثمن ٠ فان الذي ركب البحر الهائج وصعد الى قمم الجبال الشامخة وحاول الطيران بجناحين من قماش هو ذاته اخو الذي ركب الصاروخ للقمر وكلاهما لا يعرف مصيره ، ولكنه يسعى لكشف السر عن اللغز ٠ هذا الانسان الذي دفعه الفضول في غابات الحياة الاولى ان يمد يده الى الثمر فياكل منها وفيها السم الذي قتله فتعلم منه اخوه ان يجتثها ليجنب الآخرين شرها، ومن الثمر ما تنمو عليه الاجسام ويطيب عنده المقام فتعلم كيف يستنبته ويربيه

ولكن الرحلة خلف الـ D.N.A كانت قصيرة المدى نسبيا ٠ فقد عرف تركيبها في اوائل الخمسينات ٠ وفي الستينات استطاع خمسة علماء يعمل كل على حده ـ هم جيمس واتسن البيولوجي الامريكي وكريك وويلكنز الفيزياتيان البريطانيان وبيروتس وكيندوير الكيماويان البريطانيان ـ استطاع الخمسة ان يحصلوا على جائزة نوبل لان عمل كل منهم كان خطوة على طريق فك الشفرة التي يعمل بها الـ D N A

ذلك انه من زمن طويل كانت المعلومات المتوفرة

عند العلماء تحدد مسار تكوين الانسان • ولكن العلماء لم يقفوا على بداية الطريق لمعرفة تفصيلية لهذا التكوين الا في اوائل الخمسينات • كانوا يدركون ان القاعدة العامة لبناء الكائن الحي هي صنع البروتينات التي سترفع البنــاء ذاته بعد ذلك باقامة هيكله ثم بتكوين الانزيمات وجلها من البروتينات او مشتقاتها • والانزيمات بدورهــا ستحكم كل التفاعلات الكيماوية •

البروتينات : من يصــنعها ؟

كانت وما زالت هذه هي الفــكرة العامة ثم اضيف اليها ان الـ D.N.A هو الذي يؤمــر بتصنيع البروتينات ، اما كيف ؟ فذلك هو اللغز الذي شغل العلماء • ولا بد هنا من ذكر بعض الحقائق البسيطة حتى يمكننا شرح الحل المكتشف حديثا عن كيفية عمل الـ D.N.A.

ان المواد الاساسية في بناء الـكائن الحي هي الدهنيات والنشويات والبروتينات • ونراها في حياتنا العامة على هيئة مركبات معقــدة ، فمن الدهنيات نعرف الســمن والزيوت النبــاتية والحيوانية ، ومن النشويات سكر القصب وسكر اللبن والنشا النباتي والحيواني،اما البروتينات فنراها في اللحوم والبقول مثلا • كل هذه المواد المركبة تحلل بالهضم او في المختبر الى احادياتها• فالدهنيات الى الاحماض الدهنية والنشويات الى السكريات الاحــادية • اما البروتينــات فالى الاحماض الامينية • وجدير بالذكر ان البروتينات يمكنها التحول الى الدهنيات والسـكريات باسرع واسهل واكثر فائــدة وبلا اية اضرار مما لــو تحولت الاخرى الى بروتينات • والمعروف ايضا ان هيكل الكائن يحتاج كميات من البروتينات اضعاف ما يحتاجه من المادتين الاخريين حتى يتم بناؤه ، من هنا كان البروتين هو اصل ، وكانت احادياته او الاحماض الامينية هي هدف الابحاث الحديثة في هذا المجال •

بين اللحـم والعدس

ان عدد الاحمــاض الامينية كلها ٢٠ ، منها تتكون كل صنوف البروتينات ،ولكن الغــلافات عديدة ومتمايزة عند الرجل العادي وفي المختبر • فليس طعم اللحم كطعم العــدس وليس الرهما واحدا وكلاهما من المواد البروتينية • وحتى اللحم الحيواني يختلف عن لحم الاســماك ، ولكل نوع مميزاته في التركيب الكيميائي • فكيف كان ذلك وكل البروتينات هي تجمــع لعــدد من الاحماض الامينية العشرين ؟ ان الغلاف يحدث بطرق متعددة ربما كان في العدد المنتقى من العشرين وربما كان في تغيير النسبة التي يتواجد بها احد الاحماض او بعضها • كان يتواجد جزءان من حمض واحد مقابل عشرة اجــزاء من حمض آخر لتندمج مع خمسة اجــزاء من حمض ثالث وهكذا ، لتكــون بروتينا معينا • ان تغيير هــذه النسبــة سيوجد بروتينا آخر حتى لو اشــتركت نفس الاحماض الامينية الثلاثة في تكوينه • وسبب آخر للخلاف بين تكوين اصناف البروتينات ينشا عن الترتيب المكاني لحامض اميني معين في سلسلة الاحماض الامينية الاخرى المــكونة لبروتين ما • ذلك ان تغيير مكان حامض اميني من هذه السلسلة يترتب عليه بالضرورة اختلاف في نوع البروتين •

اذن ، فالـ D N A عليــه ان يصــنع كل بروتينات الدنيا من بين هذه الاحماض الامينيــة العشرين فقط لا غير ، وهو يستخدم كل المتغيرات من عدد الاحماض الامينية المتواجدة ونسـبة هذا التواجد وترتيبــه • فما هي الطــريقة التي يستخدمها ليحدث تشكيلا معينا يكون الوســيلة لصناعة بروتين بذاته ؟

اننا لم نقرر بعد ما هو التركيب الـكيميائي لـD N A • ان الحروف الثلاثة اختصار لاسم طويل ، يتكون كيميائيا من اتحاد اربعة قواعــد كيميــائية هي الادينين Adenine والجــوانين Guqnine والسيتوسين Cytosine والثيامين Thyamine • هذا الـ D N.A المركب من اربع قواعد عليه اولا : ان ينتج عشرين حمضا امينيا• وعليه ثانيا : ان يشكل منها هــذا العدد الهائل من البروتينات •

بعد ذلك بدا البحث عن السر الذي يبــدا به خط الانتاج عمله •• كيف يصــدر الامر ولماذا يتوقف ؟ كان البحث نظريا في بداية الامر ، كمن يحاول فك لغز او يكسر الطوق عن سر الشفرة ، تماما كما يفعل رجال المخابرات وهم يقارنون بين

مخلوق حسب الطلب



اسلوب انتقال الصفات الوراثية يمكن العلماء من التحكم فى تغيير هذه الصفات لو اتيح لهم دمج مادة الحياة لمخلوقات مختلفة • ومجموعة الرسوم تسجل تطور انتقال احدى الصفات الوراثية بين ثلاثة أجيال • فشعر الجد الاحمر - مثلا - انتقل الى ابنته فى الطور الثانى ثم حفيدته فى الطور الثالث • وهدف تجارب علماء هندسة الوراثة هو التحكم فى نقل هذه الصفات ، بحيث يمكن ان ينقل الشعر الاحمر ايضا الى حفيدة اخرى بنفس الجيل •

تصرفات جنود العدو ولغة الاوامر التي يصدرها القادة لهؤلاء الجنود •

انها شفرة حتما وحل رموزها سيحل اللغز كله• وكان لا بد من استخدام الخيال والفروض الذهنية للتعرف على طرق عمل هذه الشفرة ثم وضع هذه التصورات موضع التطبيق العملي •

اول ما تصوروا هو ترتيب وضع القواعد الكيميائية الاربع في جزيء الـ D.N.A فلو رمزنا للقواعد بالاحرف أ / جـ / س / ث • فان هذا الترتيب الواحد يمثل اشارة واحدة ، ونحن في حاجة على الاقل لعشرين اشارة لتسهم كل واحدة في انتاج حامض اميني معين • واضح ان هذا الترتيب لا يفتح المغاليق ، فلماذا لا نجرب ان تتواجد هذه القواعد الاربع على شكل اربعة ازواج ، زوج من كل قاعدة • وتتكون فرص الترتيب المتاحة أأ ـ أث ـ أحـ ـ أس ـ ثأ ـ ثث ـ ثحـ ـ ثس ـ حـأ ـ حـث ـ جـجـ ـ جـس ـ سأ ـ سث ـ سحـ ـ سس • وهذا الترتيب سوف يمكنه اصدار ست عشرة اشارة• وسيبقى الامر في حالة عجز عن تكوين العشرين اشارة المطلوبة لتكوين الاحماض الامينية العشرين ناهيك عن الاشارات الاخرى الضرورية لتكوين البروتينات من هذه الاحماض الامينية • فلماذا لا نتصور وجود القواعد الاربع على هيئة ثلاثيات ، بمعنى ثلاثة افراد من كل قاعدة •وبهذا التصور ستكون فرص الترتيب اكثر عددا • أأأ ـ أأجـ ـ أحـأ ـ جـأأ ـ أأس ••• وهكذا حتى نصل الى ستة واربعين فرضا لهذه الترتيبات • وهكذا تصبح الاشارات المطلوبة متوفرة •

انتاج اول بروتين

وفي عام ١٩٦١ اثبتت المختبرات ان التواجد الثلاثي لهذه القواعد على جزيء الـ D N.A هو الترتيب المناسب واستطاعوا في المختبر باعادة ترتيب القواعد على الاساس الثلاثي انتاج اول حمض اميني ، ثم امكن انتاج اول بروتين بناء على استخدام هذه الشفرة •

وكاي شفرة اذا عرف احد رموزها بات من اليسير الوصول الى معرفة كل الاحماض الامينية والبروتينات . واصبح الـ D.N.A مسخرا في ايدي العلماء يامرونه فينصاع •

وعند هذا الحد دائما تبدأ الافكار الاجتماعي والاخلاقية والفلسفية في الظهور • فايام اول تقسيم للذرة ارتفعت اصوات لمنع هذا « الفعل الشيطاني » • وقالوا انه مارد جبار سيحطم العالم ويدمر كل الحضارات • وقد صدق قولهم من حيث المبدأ على الاقل ، فان ماساة هيروشيما ونجازاكي لم تتمثل فقط في ازالة الجزيرتين بما حوتا نتيجة للخراب الذرى . لكن التشوهات الخلقية التي اصابت البشر بعد التفجير شاهد على مدى الجرم الذى ارتكب • وقد صار المخزون الآن من القوة الذرية المدمرة كافيا لتحطيم العالم اربع مرات • وهذا الجبار يمكن ان يفلت من عقاله في اية لحظة ليدمر العالم بحضارته وبشره •

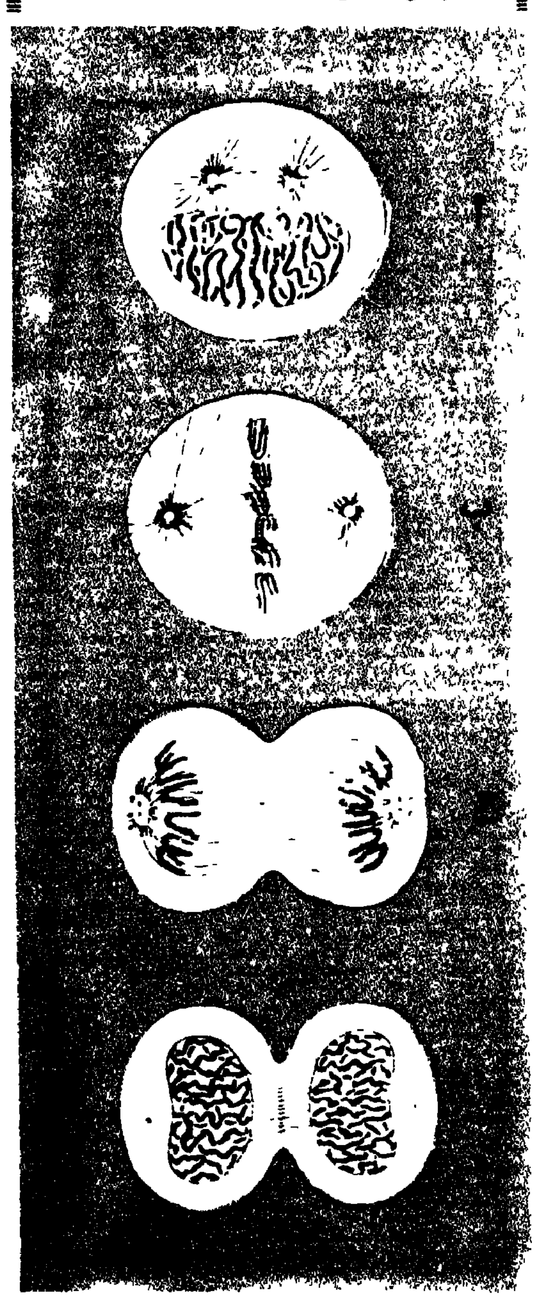
ومع ذلك فبعد حوالي عشرين عاما استطاع الحكماء من بني الانسان أن يحيطوا هذا الجبار يوما بعد يوم بعقال بعد عقال آملا في تجنب شره الى الابد • وهذه الحكمة استطاعت ان تحول طاقة هذا العاتي الذرى الى اغراض انسانية ذات شان بعيد •

وهكذا في عام ١٩٦٥ عندما عرفوا سر شفرة تكوين البروتينات قامت الثورة المناهضة لهذا النوع من المعرفة،وكانت كلها تختى على معتقدات الناس من الضياع . وما يستتبع ذلك من قضايا اخلاقية (تهز) كل القيم بل وتنزعها من جذورها • لقد تصوروا ان الانسان في طريقه لتركيب مخلوق حي من صنع يديه • ويومئذ قال السير بيرنت العالم الاسترالي الشهير « لقد كنت ماخوذا بعلوم بيولوجيا الوراثة في الماضي . ولكن ما حدث يجعلني كادمي وكطبيب أرهبه واخشاه • فالى اين يقود هذا العلم الانسانية ؟ وماذا يمكنه ان يفعل بها ؟ •• »

اما وقد استطاع علماء الوراثة توجيه القدرة على انتاج البروتينات . فهل اصبحوا قادرين على تغيير الخلق اذا اضافوا ذرة هنا او ازالوا ذرة هناك ؟ هل اصبحوا قادرين حقا على تغيير قوانين الوراثة حسب مشيئتهم ؟ هل سيمكن الانسانية التخلص من التشوهات الخلقية . وان يتواجد الجنس البشرى الخالي من العيوب ؟ وبمعنى آخر هل سيتمكنون من تفصيل او هندسة الوراثة حسب الحاجة ؟

ان فكرة تغيير القوى المتحكمة في الوراثة او على

مراحل انقسام الخلية : أ ـ تزاوج الكروموزومات ب ـ تصطف فى وسط الخلية وضع تزاوجى جـ ـ انحياز كل ٢٣ كروموزوم الى جانب من الخلية د ـ انشطار الخلية الواحدة الى خليتين جسيتين كل واحدة قادرة على الاندماج فى خلية شبيهة من الجنس الآخر •

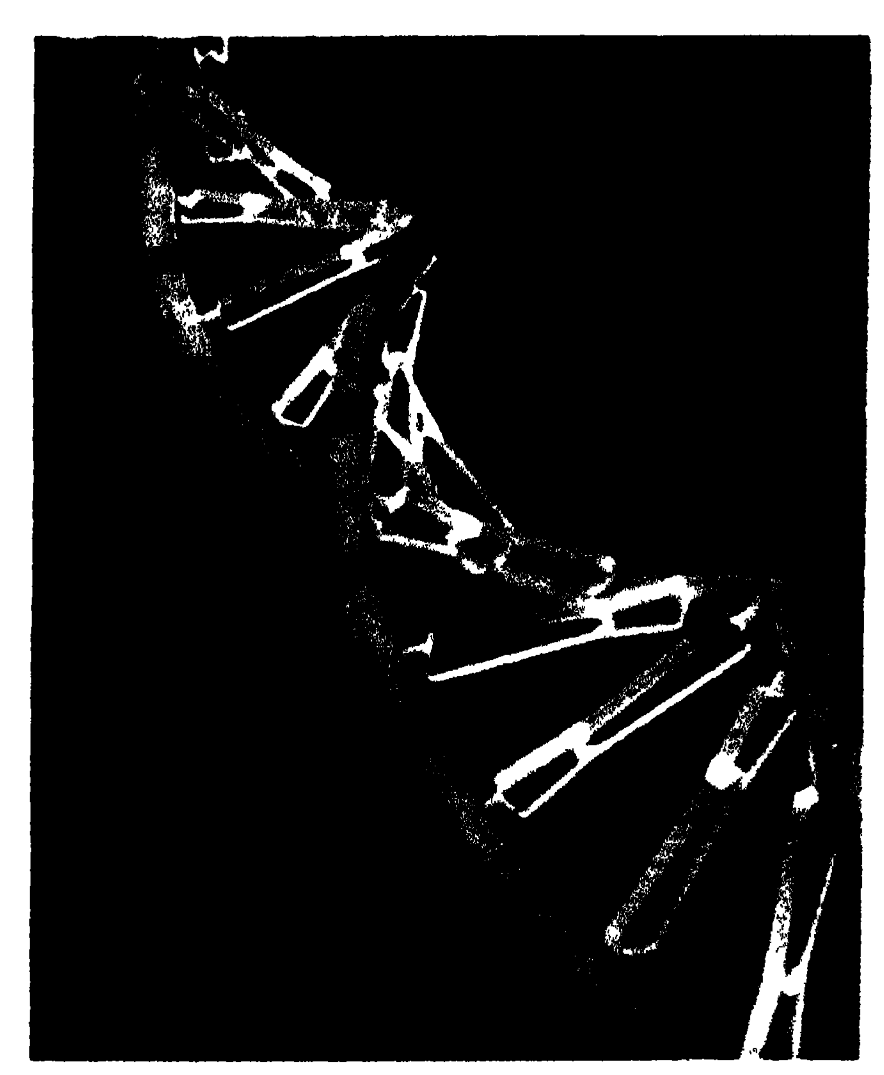


الاقل التأثير عليها معروفة للعلماء من زمن قديم يسبق بكثير معرفتهم برموز شفرة الـ D.N.A الشهيرة • فالاشعاعات الكونية والذرية والسينية والعقاقير امثلة على الطاقات الفيزيائية والكيميائية التى امكنها التأثير على حاملات الوراثة • صحيح ان كل الآثار التى عرفناهـا كانت كلهـا سيئة كالتشوهات الخلقية والامراض السرطانية •ولكن ذلك ما وصل اليه علمائنا بينما المنطق يقول ان كل عامل قادر على التغيير للأسوأ هو قادر على التغيير ايضا للاحسن •

ونحن قد اغفلنا هذا التقدم الانسانى العلمى والاخلاقى والاجتماعى الكبير لانه يتراكم على مر التاريخ ، ولانه للتدرج فى حدوثه قد اعتدنا الحياة معه ، فلم يعد يذهلنا التليفزيون مثلا ، وهو ينقل على الهواء مباشرة وقائع حدث فى آخر المعمورة، بل ومن القمر لاننا عشنا مع الراديو وهو يتنقل بنا بين بلاد العالم بلمسة الاصبع • هذا التقدم الخطير فـى الفكر الادمى لا ينتج أبدا الا عـن كروموزومات قد اصابها من قبل تغيير على نفس المستوى من الخطورة •

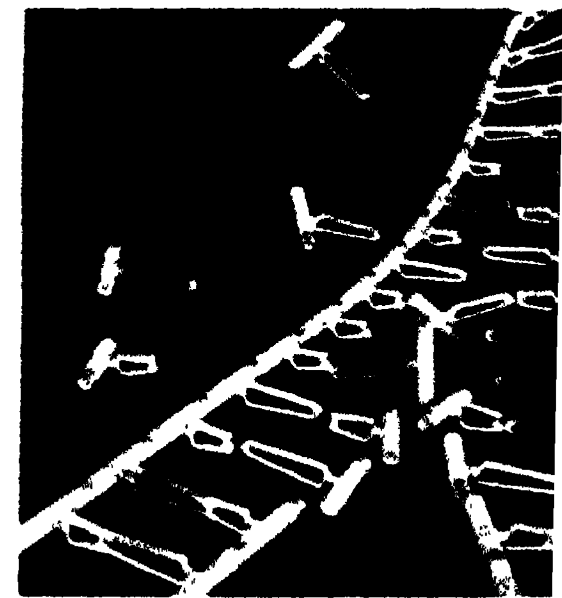
تكوين مخلوق جديد ؟

ولكن اصحاب فكـرة هندسة الـوراثه ارادوا الطفرة وبذلوا (جهودا) مضنية لم تسفر عـن شىء ، بعدما استطاعوا توجيـه الامر بصناعـة بروتين بذاته ،ولم يغير ذلك شيئا فى الخلق فهدات عاصفة المعارضة ، لكن العلماء لم يهدأوا فـى مختبراتهم واصبح واضحا ان لهذا الـ D.N.A اسرارا اخرى غـير التى عرفوها •• فلمـاذا لا يستفيدون منه ؟ ان D.N.A من الرجل يندمج مع مثله من المرأة ليكون الجنين الادمى ، وان D.N.A من نبات زهرة القرنفل المذكر تندمج مع مثيله من نبات زهرة القرنفـل المؤنثة ليكون جنـين زهرة القرنفل • بل ان الفراشة وهى تنتقل بين الازهار تحمل معها من طلع الياسمين كما تحمل من الفل والقرنفل • ويقينى ان الفراشة تقف عند كـل اناث الزهور بدون تمييز • فهى تحمل خليطا من الطلع فيه من ذكر الياسمين والفل والقرنفل ، وتلقى فوق كل زهرة بكل او جزء من هذا الخليط فلا يندمج مع الـ D.N.A فى زهرة الفل المؤنثة الا D.N.A من زهرة الفل المذكرة •• وهكذا •



مراحل جزىء مادة الحياة ال D.N.A. اثناء عمليات التكاثر . الصورة رقم واحد تمثل جزءا كاملا منهيكل مادة الحياة . وفي الصورتين ٢ و ٣ متابعة لعمليات الانشطار .





عمى اى حال ، فان الـD.N.A من فـرد قابل للدمج . مع مثيله عند آخر على الاقل من ناحية المبدأ • وهذا ما يتم فى عملية التلقيح • فهل يمكن تلقيح شجرة التفاح بخلايا ذكرية آدمية او العكس ؟ وماذا ستكون النتيجة ؟

لم يستطع العلماءالوصول الى التقنيةالمناسبة لتحقيق هذا الدمج ليختبروا فعاليته ، فلجاوا الى مهاجمة الـ D.N Aذاته •• ولاعتبارات عمليـة اختاروا الجرثومة الباسليةالمعوية يزيلوا جزءا من هذه الجرثومة وان يستبدلوه بـ D.N.A من بعض النباتات ثم قاموا بتربية المخلوق الجديد الذى يحمل تركيبة وراثية جديدة •

وعندما توالدت انتجت نسخا طبق الاصل من المخلوق المركب تاتمر ليس بعوامل الوراثه المنقولة من الجرثومة الباسلية فحسب ، ولكن ايضا من تلك العوامل المنقولة من النباتات •

وهكذا حصل علماء الوراثة على D.N.A جديد فى مخلوق جديد ، ولانهم يملكون من قبل شفرة توجيهه لصنع ما يشاءون من البروتينات ، فهـل يكونون قد وقفوا مرة اخرى على بداية الطريق لتحقيق حلم عمرهم فى تغيير الوراثـــة والتحكم فى الخلق ؟

ان التجربة على الجرثومة الباسلية المعويه لا تشفي غليل العلماء•وكانوا قد اختاروها لسهولة عملية . ولكنها كباقى الجراثيم تتكاثر بالانشطار، وان اى توجيه لـD·N.A سينتج نسخا طبق الاصل من المخلوق الجديد •هذا فضلا عن خطورة الموقف، لان هذا القادم الجديد غير معروف الهوية فقـد يفتك بالانسانية وقد يكون ذا فوائد غير متطورة. لكن الاهم بالنسبة لعلماء الوراثة ان انتاجه لا يمكنهم من التحكم فى الصفات الوراثية •

ان التكاثر بالانشطار الجنسى هو الذى يحتاج لذكر وانثى ، وهو الذى ينتـــج عنه ذكـر او انثى . وصـــــفات عديدة غير صـفة الجنس • وهـذا التعدد فى الصفات يعطى العلماء ارضـا اوسع للتجربة فربما تصور احدهم الانسان وقد نبتت من راسه شجرة تفاحتغذيه وتقيم اوده وربما قدر احدهم ان يكون جزءا منه بعض نمر او اسد او تمساح •• الله اعلم •

وطالب هؤلاء العلماء بالاستمرار فى تجاربهم. ولكن الرعب كان قد استبد بالجماهير فى البـلاد التى تعى ابعاد المشكلة • وكان يمكن ان تصدر الاوامر العفوية بمنع هذه التجاوب كلية لولا ان لها جوانبها الايجابية ، فانه يمكن انتاج جراثيم ذات قدرة اكبر على تكوين المواد النيتروجينيـة اللازمة لتسميد التربة وجراثيم ذات قدرة على تحصين الانسان ضد كثير من الامراض • بل انه يصبح من الممكنمن الناحية النظرية علىالاقل عزل حاملات الوراثة التى تحمل امراضا تورث كالبول السكرى والهيموفيليا •

ولكن هل كل المكاسب المتوقعة يمكن ان تساوى مجرد تصور مسخ الخلقة الآدمية او التحكم فى اشكال الحياة ونواميسها ؟ ان هذا التصور الاخير يثير ذعر الجميع خصوصا وان علماء البيولوجى سيصبحون الاوصياء علـى هـذه القوه المروعـة ويصبحون كذلك ــ ولو رغم انوفهم ــ اوصياء على الانسانية •

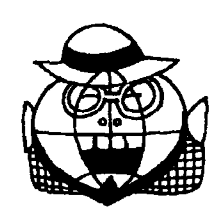
ان المضاعفات المترتبة على ذلك فوق كل تصور• ان واحدا فقط من هؤلاء البيولوجيين تخونه الحكمة او التقدير او يفرط فى هذه الوصايه سيصيب كل العالم بالدمار •

ولهذه الاعتبارات شـكلت اللجـان الرسمية والشعبية لتضع الحدود والضوابط لهذه الابحاث غير ان صمام الامان يكمن دائما فى حكمة الخلق كلها ، والايمان بها وبقدرتها • فليس هناك ما يدعو للتوتر والفزع • فالمؤكد ان كل ما توصلت اليه المعامل ليس الا كشفا عن حقائق قد اوجدها الخالق وهى تمارس عملها من يوم اراد لها ذلك • ولكن الضياء المفاجـىء دائمـا يصيب الاعصاب بالتوتر ثم لا تلبث ان تعتاد العيون النظر اليه • وتلك ايضا حكمةمن حكم الخالق سبحانه وتعالى •

■■

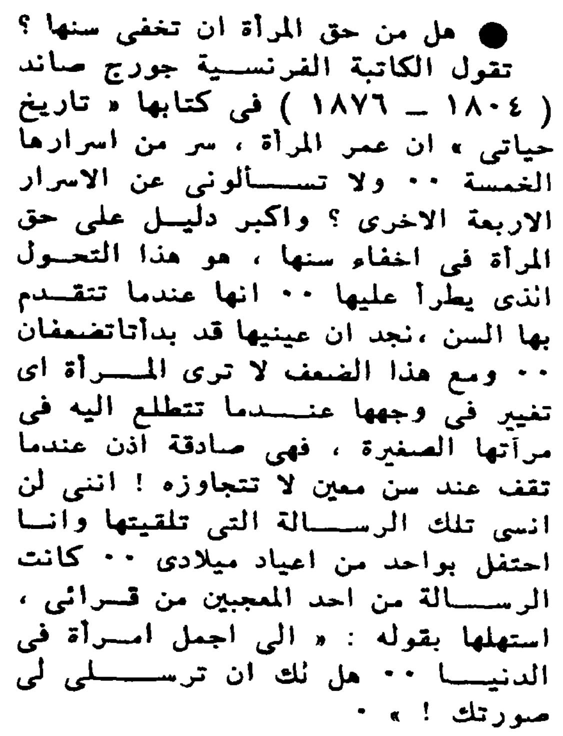
الكويت ــ د• محمود زكى البهى

طرائف أجنبية



عمر المرأة

احد اسرارها الخمسة !



● هل من حق المرأة ان تخفي سنها ؟ تقول الكاتبة الفرنسية جورج صاند (١٨٠٤ ـ ١٨٧٦) فى كتابها « تاريخ حياتي » ان عمر المرأة ، سر من اسرارها الخمسة ٠٠ ولا تسألوني عن الاسرار الاربعة الاخرى ؟ واكبر دليل على حق المرأة في اخفاء سنها ، هو هذا التحول الذى يطرأ عليها ٠٠ انها عندما تتقدم بها السن ،نجد ان عينيها قد بدأتاتضعفان ٠٠ ومع هذا الضعف لا ترى المرأة اى تغيير في وجهها عندما تتطلع اليه فى مرآتها الصغيرة ، فهي صادقة اذن عندما تقف عند سن معين لا تتجاوزه ! انني لن انسى تلك الرسالة التى تلقيتها وانا احتفل بواحد من اعياد ميلادى ٠٠ كانت الرسالة من احد المعجبين من قرائي ، استهلها بقوله : « الى اجمل امرأة فى الدنيا ٠٠ هل لك ان ترسلى لى صورتك ! » ٠

وارسلتها اليه، وكنت يومها قد جاوزت العام الستين من عمرى ، ولم اخدعه ، فقد كانت الصورة حديثة !

« وتوقعت ان يصاب بخيبة امل ٠٠ واذا به يعود يكتب لى رسالته الثانية : « مازلت اجمل امرأة فى الدنيا ! » ٠٠ ثم اكتشفت بعد هذا ان صديقى المعجب قد جاوز السبعين ٠٠وبدأ نظره هو ايضا يضعف ويضعف !!



ولد وبئر وشجرة

● لم يمض حياته سدى هذا الذى ربى ولدا ، او زرع شجرة او حفر بئرا ٠٠ ولكن كم منا استطاع ان يجمع بين هذه الاعمال الثلاثة ٠٠ اننا نشرب كل يوم من آبار لم نحفرها ،ونستظل باشجار لم نزرعها ، وربما كنا بعد هذا آباء لا نشعر بابنائنا ، او ابناء لا ندرك اننا آباء للغد !

« سوفكليس »

يومان يجب ان ننسى كل شيء عنهما !

● قال روبرت لويس ستيفنسون :
« ان هناك يومين في كل اسبوع يجب ان ننسى تماما كل شيء عنهما .. احد هذين اليومين هو الامس بكل ما حمله من احداث واخطاء وآلام ومتاعب فالامس قد ذهب ولن يعود ابدا ، وحتى لو حاولنا، فسوف نجد ان كل اموال الدنيا لن تعيده .. اننا لن نستطيع ان نلغي عملا قمنا به ، ان نمحو كلمة واحدة قلناها ، ان نصحح خطأ اقدمنا عليه .. لقد ذهب الامس .. فلندعه حيث هو ..

اما اليوم الآخر فهو الغد بكل ما سيحمله لنا من احتمالات ومفاجآت وأعباء .. انه ايضا يوم لا نعرف ماذا سيحدث لنا فيه ، وماذا سنفعل نحن به .. كل ما نعرفه عنه ان الشمس سوف تشرق معه في الصباح ، وربما تكون السماء صافية ، وربما تحاول السحب ان تحجب عنا اشعتها الدافئة ، ولكنها سوف تشرق على اية حال بعد ليل طويل !



هذان هما اليومان ..

بقى بعد هذا اليوم الذى نحن فيه .. والساعة التى نعيشها واللحظة التى تمر بنا .. ولا بد ان ننعم بكل ساعة .. بكل لحظة من لحظات حياتنا في يومنا .. لا في امسنا الذى ذهب ولا في غدنا الذى لم يأت بعد !

كيف بدأوا طريقهم الى القمة ؟

● كثيرون هم الذين مضوا في طريق الحياة دون ان يشعر بهم احد ، وكثيرون ايضا جمعوا ثروات طائلة ، وحققوا كل آمالهم وامانيهم بفضل ما توفر لهم من مال .. ولكن قلة هم هؤلاء الذين تركوا بصماتهم على الطريق الذى ساروا فيه فدخلوا التاريخ من اوسع ابوابه ..

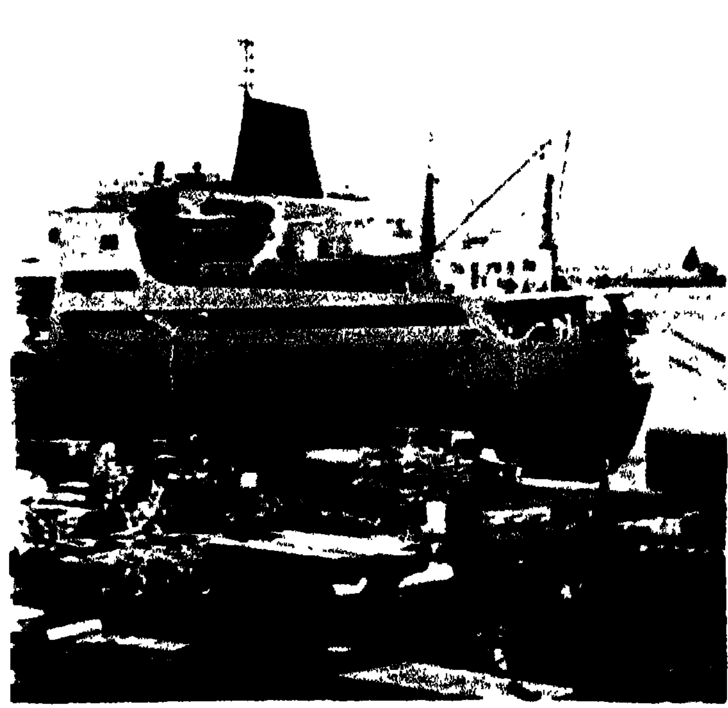
هؤلاء الذين قدموا شيئا لبلادهم والبشرية، وشاركوا بفكرهم وجهدهم في بناء العالم الجديد ، الذين كانوا وسيكونون دائما موضع اهتمام هذا الجيل وكل جيل .
كيف وجد هؤلاء الطريق الى القمة ؟

في احصاء شمل ٩٠٠ رجل من هؤلاء الذين عملوا من اجل مستقبل افضل وحياة اكثر رفاهية ، اتضح ان ثلاثمائة بدأوا حياتهم في الأرض فقد كانوا ابناء لمزارعين .. ومائتين باعوا الصحف في الطرقات ومائتين كانوا أول عهدهم بالعمل مراسلين يحملون الاوراق في المكاتب من مكان الى آخر ومائة بدأوا عمالا صغارا في المصانع وخمسين في شق الطرق والشوارع !

خمسون فقط من بين هذا العدد الكبير هم الذين كانوا ينتمون الى أسر توفر لها المال فدرسوا وسهروا وكافحوا بين الكتب . ووجدوا الأيدى التى تقودهم الى بداية الطريق نحو النجاح .


جيبوتي
إنتهت معركة
الأسلاك الكهربية.
لتبدأ معركة
الاستقلال والحرية

استطلاع :
سليم زبال
تصوير :
اوسكار مترى





جيبوتى تستقل بعد حكم فرنسى استمر ١١٥ عاما ، ورثت عنه عشرات المشاكل : سور مكهرب يحيط بالعاصمة ، وميناء كبير يحتاج الى اعادة تخطيط ، وخط حديدى عمره ٦٠ عاما يربطها بالحبشة ! ٠٠وفى شهر مايو الماضى جرى استفتاء بين سكان المنطقة ، صوت فيه ٩٨٪ من السكان الى جانب استقلال البلاد ٠٠ ان جيبوتى سوف تكون العضو رقم ٢٢ فى جامعة الدول العربية ، والعضو رقم ٤٩ فى منظمة الوحدة الافريقية،والعضو ١٤٨ فى هيئة الامم المتحدة ٠٠



● الطاقة الحرارية في أرض جيبوتي أهم من النفط !

● القبيلتان الرئيسيتان العفر والعيسى .. من هما ؟

■ خدعونا فقالوا : ارضها شحيحة بخيلة لاتكنز ثروة ، ولا تنبت زرعا !

وهذا ظلم لارض جيبوتي حيث الخيرات والخامات مدفونة مجهولة ، لم تمتد اليها الايدي لتكشف عنها وتستثمرها . لقد ظلت جيبوتي حقلا للتجارب والدراسات تتراكم في الملفات منذ ١١٥ سنة.. دون ان ينفذ منها الا الضروري جدا .

سر التمسك بجيبوتي

كانت فرنسا تستعمر نصف القارة الافريقية تقريبا .. ومع نهاية الحرب العالمية الثانية بدات كل مستعمراتها تتحرر ، ما عدا مستعمرة افريقية واحدة تمسكت بها فرنسا باصرار وعناد زائدين .. ولولا الضغوط الهائلة من الدول العربية والافريقية لما تنازلت عن جيبوتي ابدا ...

فلماذا كان هذا التشبث ؟ وما هو سر تمسك فرنسا بجيبوتي دون سائر مستعمراتها الافريقية الغنية الواسعة ! ؟

ان الاوروبيين ينظرون الى البحر الاحمر وكانه امتداد طبيعي لقناة السويس ، وهم يقولون :

« اذا كانت بور سعيد هي نقطة البداية للقناة ، فان باب المندب هو نقطة النهاية .. »

والعرب يتحكمون حاليا في الطرف الشرقي من باب المندب ، فاذا استقلت جيبوتي ، وهي تتحكم في الطرف الغربي ، فان المضيق كله (عرضه ١٧ ميلا) سوف يكون تحت اشراف العرب ..

والى جانب هذا الموقع الاستراتيجي الخطير ، تشكل جيبوتي جزءا من لعبة القواعد المتحكمة في شرق المحيط الهندي ..

٥ سفن اسرائيلية شهريا

ان اعلان استقلال جمهورية جيبوتي في ساعة الصفر من ليلة الاحد ٢٧ يونيو ١٩٧٧ كانت له ردود فعل مختلفة في صحف الغرب ، واكثر هذه الصحف عبرت عن اسفها لضياع هذا الموقع الحيوي من ايدي الغرب ... وتحول الاسف الى اسى عندما اعلن طلب انضمام جمهورية جيبوتي لجامعة الدول العربية .. ثم تباكوا في سذاجة على الخسارة المادية التي سوف تلحق بايرادات ميناء جيبوتي عندما تمتنع السفن الاسرائيلية عن الرسو فيه !!

ان حركة السفن الاسرائيلية التي تستعمل ميناء جيبوتي تمثل ٥٪ فقط من حركة الميناء .. وفي السنة الماضية كان دخل الميناء من هذه السفن

جيبوتي .. في سطور

● المساحة: ٢٣٠٠٠ كيلو متر مربع

● عدد السكان : ٢٢٠٠٠٠ نسمة (تقديري) اغلبهم من البدو الرحل .. الدخل السنوي للفرد اقل من ٥٠ دولارا

● العاصمة : جيبوتي . والمدن الرئيسية الاخرى : تاجوراء ـ اوبوك ـ علي سبيح ـ دخيل ـ عسيلة

● العملة المتداولة : الفرنك الجيبوتي (كل ١٧٥ فرنكا = دولارا تقريبا)

● ٤٪ من اراضيها صالحة للزراعة فقط حسب قول الخبراء الفرنسيين ، بينما يصر الاهالي على ان ثلثي الاراضي صالحة للزراعة اذا حفرت آبار المياه اللازمة !

● ثروتها الحيوانية : ١٠ الاف بقرة ـ ١٧ الف جمل ـ ١٠٠ الف راس غنم ـ ٤٠٠ الف من الماعز

٧٥٠ الف فرنك فرنسى .. ومما يذكر ان ٢٥ سفينة اسرائيلية تعبر باب المندب فى خطوط ملاحية منتظمة شهريا ، لا يقف منها فى ميناء جيبوتى سوى ٥ سفن فقط تفرغ بضاعتها المتجهة الى الحبشة ..

وقد صرح رئيس مجلس الوزراء فى جيبوتى احمد دينى احمد : « ان سياستنا تجاه اسرائيل ستكون نفس سياسة الجامعة العربية .. واعتقد ان اسرائيل لا يمكنها الاستمرار فى استعمال الميناء .. »

من هم العفر والعيسى ؟

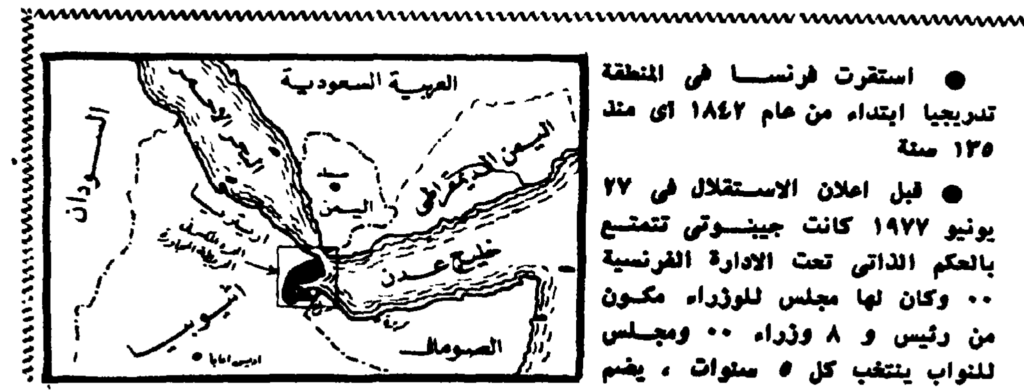
واتجهت بعض الصحف الغربية الى ايهام قرائها بان الصراع الدموى على وشك ان يستعر بين القبيلتين الرئيسيتين فى البلد : عفار وعيسى !

انها واحدة من النغمات العديدة التى تذرع بها الفرنسيون لتمديد فترة حكمهم لهذه البلاد المعروفة دائما باسم الصومال الفرنسى .. حتى جاء ديجول واطلق عليها اسم : « الاقليم الفرنسى للعفر والعيسى » ..

وراح الفرنسيون يتلاعبون بافراد القبيلتين : اعطوا المناصب القيادية لابناء عفر وقربوهم اليهم .. وعندما وقع الانقلاب اليسارى فى اليوبيا .. ازاحوا ابناء عفر وقربوا ابناء قبيلة عيسى !

وهكذا كانت سياسة « فرق تسد » هى المتبعة لدى الحكام الفرنسيين فى جيبوتى ، الذين كانوا

- استقرت فرنسا فى المنطقة تدريجيا ابتداء من عام ١٨٤٢ اى منذ ١٣٥ سنة
- قبل اعلان الاستقلال فى ٢٧ يونيو ١٩٧٧ كانت جيبوتى تتمتع بالحكم الذاتى تحت الادارة الفرنسية .. وكان لها مجلس للوزراء مكون من رئيس و ٨ وزراء .. ومجلس للنواب ينتخب كل ٥ سنوات ، يضم ٣٢ نائبا .
- فى جيبوتى محطة للاذاعة ، واخرى للتلفاز ، تذيع بالفرنسية والعفرية والعيسوية والعربية .
- لا توجد صناعة فى البلاد ، ما عدا بعض الصناعات الاستهلاكية البسيطة ، كالمياه الغازية ، والثلج .
- المواصلات : ميناء جيبوتى الكبير يستقبل السفن التجارية والحربية الضخمة ... وخط للسكة الحديد يربط جيبوتى باديس ابابا لنقل البضائع والركاب .. ومطار حديث يستقبل طائرات البوينج النفاثة الكبيرة .. وطريق رئيسى يربط جيبوتى بالحبشة ..

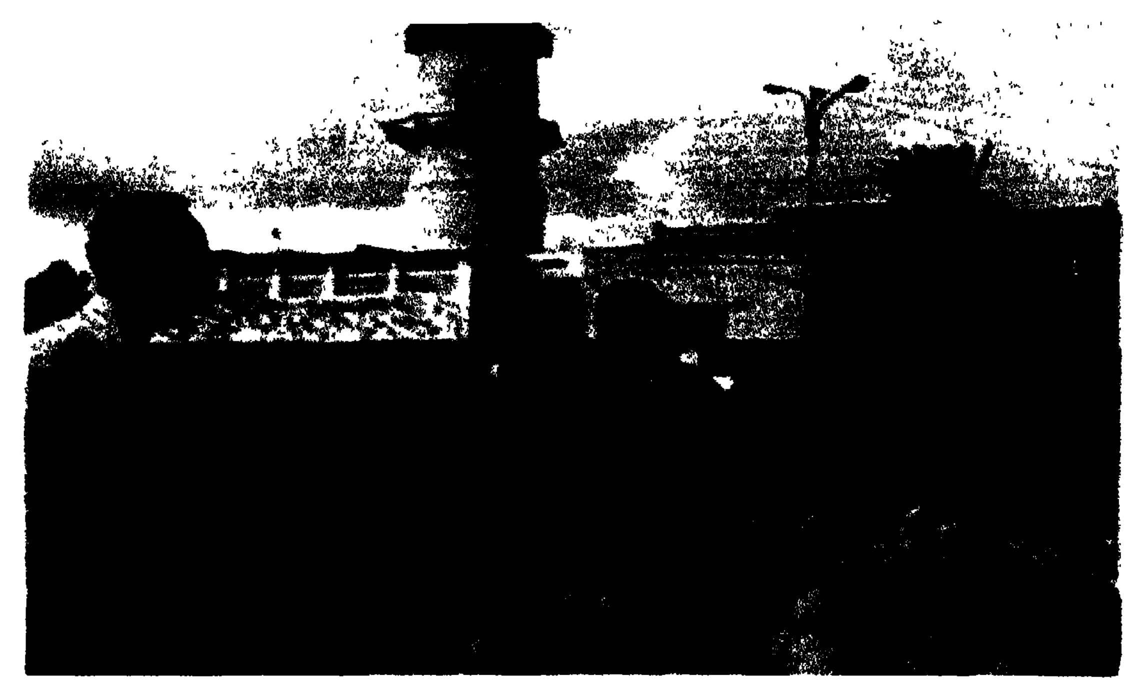






يجب الا نقتل الامل فيهم ·· انهم يعشقون العربية ويريدون تعلمها فقد اصبحت لغة الدولة الرسمية ·· ومدرسة النجاح الاسلامية هي الوحيدة التى تعلم لغتنا : مجانا للفتيان و ٥٠٠ فرنك للفتيات !!

لا تكاد الطبول تدق فى جيبوتى حتى يسارع الناس الى الرقص ، رجالا ونساء ، كل منهم على حدة ..



انهم يأكلون ما لا يزرعون ··فكل شيء مستوردمن الخارج ·· وتحت ظلال مسجد جيبوتي يجلس بائع البرتقال المستورد من الحبشة، بيما الاراضيحول رائدة صالحة جدا لزراعة البرتقال ·· ولكن اين الملاح وكلهم بدو رعاة ؟!

وهذه رقصة الملابو المغربية ، الخناجـرالمتوفة باليد ، ووجه النساء مغطى بقنـاع من العضة المشغولة !

يتذرعون دائما بحجة المحافظة على « التوازن القبلي في المنطقة » ..

فمن هما : عفار وعيسى ؟

انهم اخوة وابناء عم يتصاهرون ويتزاوجون فيما بينهم .. كل الروابط تشدهما الى بعضهما البعض .. وحدة في الشكل الخارجي .. وحدة في الدين : الاسلام .. وحدة في الاندفاع ناحية العروبة .. انهم من الرعاة البدو الرحل الكبار .. كل منهم يتحدث في مجتمعه بلغته الخاصة العفرية والصومالية ، ولكنهما عندما يتحادثان سويا تصبح العربية هي لغة التفاهم بينهما ..

والعفر هم الدناكل احفاد سلطنة ادال القديمة التي كانت دائما همزة الوصل بين بلاد العرب ومملكة اكسوم الحبشية .. وهم لا يعيشون في جيبوتي فقط انما هناك اعداد كبيرة منهم في اريتريا ..

ونتيجة لتسلمهم زمام الامور في جيبوتي لفترة ١٥ عاما سنحت الفرصة امام شبابهم لتلقي التعليم العالي في جامعات فرنسا والعالم .. واستقرت اعداد كبيرة منهم في جيبوتي « اننا افارقة عرب ، ومصالحنا موجودة في نطاق الجامعة العربية .. » هكذا قال لنا احد زعمائهم : علي عارف ..

اما قبيلة عيسى فهي واحدة من مجموعة قبائل ذات اصول صومالية تعيش في المنطقة ، وغالبية افرادها يعيشون حياة البداوة والتنقل والترحال خلف جمالهم واغنامهم .

واعدادهم الكبيرة كانت تخيف دائما السلطات الفرنسية التي عمدت الى زرع سور من الاسلاك الشائكة المكهربة يحيط بالعاصمة جيبوتي ليوقف عمليات النزوح من البادية ..

هل نزيل السور ؟

ووقفنا امام السور المكهرب نرقب الجنود الفرنسيين يسالون الاهالي عن تصاريح المرور ، ويمنعون كل من لا يحمل تصريحا من دخول عاصمة بلاده جيبوتي ..

ان هذا السور هو رمز التفرقة والاذلال .. وازالته امر ممكن بجرة قلم من السلطات الحاكمة الوطنية الحالية .. ولكن هل من الصالح ازالته في الحال ؟

ان حوالي ١٠٠ الف نسمة من البادية عيونهم على جيبوتي .. ومن وراء الحدود المفتوحة التي لا رقابة جدية عليها ، تتطلع عشرات الالوف من العيون صوب جيبوتي بغيرة زائدة .. كلهم يريدون الاستقرار والاقامة في جيبوتي .. ان هذا الطوفان من البشر سوف يغرق الادارة المحلية الجديدة في مشاكل لا حصر لها .. صحية واجتماعية وتعليمية واسكانية ..

ومواجهة هذه الهجرة نحو المدينة لا حل لها الا برفع مستوى الخدمات في البادية .. ولكن اين الامكانات البشرية او المادية ؟ .. الكوادر المحلية معدومة .. وميزانية الدولة لا تتعدى ٢٥ مليون دولارا .. رقم هزيل مخصص للنهوض بشعب كامل تعداده ربع مليون نسمة في كل مجالات الحياة ..

ميناء وخط حديدي قديم

ان جيبوتي حاليا لا تنتج شيئا ، او تصنع شيئا ، اللهم الا المرطبات الغازية .. وصادراتها مقصورة على جلود الماعز المذبوحة !

لهذا كان ميناؤها البحري يشكل عصب الحياة بالنسبة لها ، فهي تستورد كل شيء عن طريقه.. وهو في نفس الوقت ميناء خدمات للدول المحيطة بجيبوتي ،و ٧٥٪ من حركة الميناء هي مع الحبشة .. البضائع تفرغ من البواخر الى عربات قطار السكة الحديد الذي ينقلها من ارصفة الميناءالى اديس ابابا رأسا ، على خط حديدي هرم اقيم منذ ٦٠ عاما بطول ٧٠٠ كيلو متر ..

وفي الشهور الماضية دمر الثوار ثلاثة جسور يمر عليها هذا القطار ، فتوقفت الحركة عليه تماما .. وتكدست البضائع على ارصفة الميناء .. ولم تكن خسارة جيبوتي مادية فقط ، وانما حرمت من الخضر والفاكهة الحبشية ، فخلت منها الاسواق والمتاجر خلال اعياد الاستقلال ..

وفي العام الماضي تم تفريغ ٤٨٠ الف طن من البضائع في هذا الميناء .. مائة الف منها تمثل واردات البلاد .. ثلاثمائة الف طن نقلت الى اديس ابابا ، وهذه تشكل ٦٠ ٪ من تجارة الحبشة الخارجية .. وثمانين الف طن اعيد شحنها على بواخر صغيرة الى جدة والحديدة وعدن ..

ويمر ميناء جيبوتي حاليا بمحنة ، فهو غير



القات .. اللعنة الاجتماعية التي تأتي بالطائرة يوميا من الحبشة .. ويشترك في تخزين هذه الاغصان اللعينة. نحو ٧٠٪ من ابناء عفر وعيسى على حد سواء ..

قادر على الوقوف امام منافسة مينائي جدة وعدن الكبيرين .. لقد اهملت مشاريع توسعته وتجديد معداته ، واليوم وبعد استقلال جيبوتي اصبح لزاما على ادارات الموانىء العربية المجاورة ان تنهض بميناء جيبوتي ، وتحوله من ميناء منافس الى ميناء مساعد لفك ازمات التكدس التي تعانيها الموانىء العربية .. ومشاريع تحسينه وتوسعته كلها جاهزة تنتظر التنفيذ ..

سياسة جديدة ..

لقد وجه الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان « رسالة الى افريقيا » عشية اعلان استقلال جيبوتي قال فيها : « باسم فرنسا احيي استقلال جيبوتي .. باسم فرنسا اتمنى لهذه الدولة السلام والتقدم والحرية وحظا سعيدا .. ان استقلال جيبوتي يعني زوال اخر اثر للسيادة الفرنسية على افريقيا بعد تواجد استمر ثلاثة قرون .. ومن عملية التحرير الفرنسية هذه ، ولدت ١٥ دولة افريقية جديدة ..

« وليس في نية فرنسا ان تقوم بأي نوع جديد من انواع الاستعمار .. ولكن عندنا اسبابا

● جيبوتي ...

كثيرة للتعاون والعمل سويا لتحل المشاكل الصعبة التي هي مشاكلكم ، سواء في التعليم أو الصحة أو الزراعة أو التنمية .. »

وتلقى رئيس جمهورية جيبوتي الجديد حسن جوليد هذه الرسالة وتفهم ابعاد السياسة الجديدة للبلد الذي استعمر جيبوتي ١١٥ سنة .. وفي اليوم التالي وقع مع فرنسا سبع اتفاقيات وبرتوكولات ومعاهدة ..

وانطلقت الجمهورية الجديدة بسرعة تشق طريقها في المجال الدولي دخلت لمنظمة الوحدة الافريقية ، وقدمت طلبا للانضمام الى جامعة الدول العربية . واعترفت بها عشرات الدول ..

وقدمت قائمة تحوي ١٣ مشروعا للصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ..

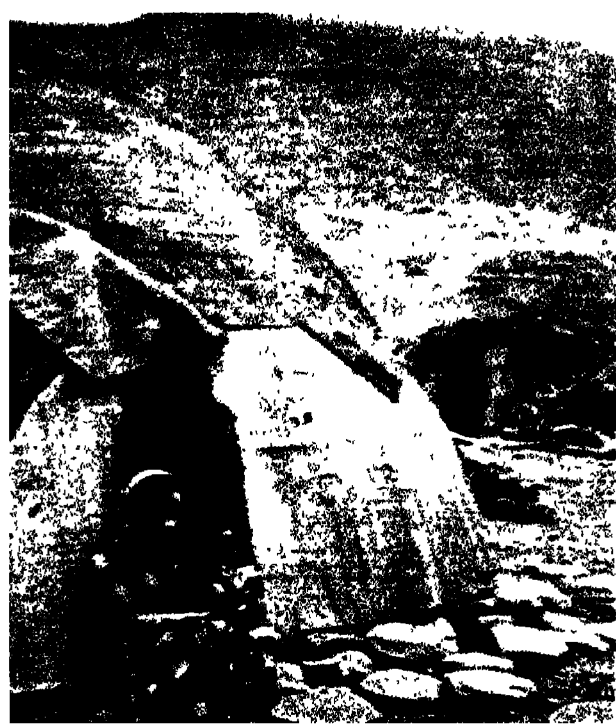
العربية .. ولكن ؟

وتواجه جمهورية جيبوتي قائمة طويلة تضم عشرات المشاكل الهائلة التي ورثتها من الاحتلال الطويل لاراضيها .. ويحتار المرء بأي المشاكل يبدأ .. ولكن الذي لا شك فيه ان الامية تتصدر القائمة ، وقد احسن الرئيس جوليد صنعا عندما اعلن بصورة حاسمة بان العربية ستكون اللغة الرسمية للبلاد .. قاطعا الطريق امام اي لغة او لهجة اخرى ..

ولكن كيف ستتمكن جيبوتي من مواجهة هذه المشكلة ؟

في كل ارجاء الجمهورية ، ومساحتها ٢٣ الف كيلو متر مربع لا توجد الا مدرسة عربية واحدة ، يتعلم فيها ٤١٥ طالبا في الصباح و ١٣٥ طالبة في الليل .. وهي تعاني مصاعب كبيرة في كل المجالات .. والى جانب هذه المدرسة توجد اجتهادات شخصية لبعض الغيورين على عروبتهم مثل الانسة زينب بخيت التي فتحت منزلها لتعليم ١٥ سيدة وانسة اللغة العربية ..

هذه هي حالة التعليم العربي قبل الاستقلال.. اما اليوم فالمطلوب تعليم ربع مليون نسمة اللغة العربية .. انهم يحتاجون الى كل شيىء مبان .. اثاث .. كتب .. اساتذة .. ملابس.. مساكن للاساتذة .. تغذية للطلبة .. انهم يحتاجون الى كل هذا ، وبسرعة .. لان استعمال





الحروف اللاتينية ولغة غير عربية قد يكون اكثر سهولة ، كما يقول البعض !!

القطن .. وفقر الدم !

وبقية مشاكل جيبوتى كلها معروفة لدى الخبراء الفرنسيين الذين مضى عليهم اكثر من قرن من الزمان وهم يدرسون المنطقة جيولوجيا وزراعيا وصناعيا ، واجروا تجارب صغيرة محدودة لدراساتهم ..

وفى مجال المياه الجوفية اكتشفوا حقولا يمكنها رى نحو ثلاثة الاف هكتار فى المنطقة الشمالية .. ووجدوا ان زراعة القطن المصرى والامريكى الطويل التيلة يمكن ان تعطى نتائج باهرة فى تلك المنطقة ..

كما وجدوا ان زراعة شجيرة Vinca Rosea يمكن ان تحقق ربحا للفلاح يفوق ١٤٠ الف فرنك جيبوتى لكل هكتار .. انهم يقترحون وقف زرع الذرة والمحاصيل الرخيصة الفقيرة ، وزراعة هذه الشجيرة الثمينة التى تستعمل ساقها وجذوعها فى صنع دواء لمكافحة فقر الدم (اللوكيميا) عند الاطفال .. وتربة جيبوتى صالحة جدا لزراعة هذه الشجيرة ..

يموتون والمياه تحت أقدامهم !

ان البدوى فى بادية جيبوتى كان يموت فوق الرمال بينما المياه مخزونة تحت اقدامه .. ولكن تكاليف استخراج هذه المياه مكلفة ، حسب ما بينته الدراسات الفرنسية ، فحفر البئر فى المنطقة الشمالية البعيدة عن المدينة يكلف ١٨ مليون فرنك جيبوتى (كل ١٧٥ فرنك = دولار) ، تنخفض الى ٣ ملايين فرنك لحفر مثل البئر حول جيبوتى .. وحفر هذه الابار هو الحل المقترح لاقامة مزارع من اجل استقرار البدو فى المنطقة ، ووقف هجرتهم صوب جيبوتى ..

هل تختفى الدراسات ؟

لقد ظلت فرنسا حتى اليوم تدفع نفقات الخبراء والابحاث من خزينتها ، ترى هل ستكمل الشوط بعد استقلال البلاد ؟

ان اغلب الدراسات الجادة تختفى عادة مع رحيل المستعمر .. ولكن رسالة الرئيس الفرنسى الحارة عشية اعلان الاستقلال تجعلنا نامل فى ان يقتدى المسئولون الفرنسيون فى جيبوتى برئيسهم ، فيضعوا تفاصيل ابحاثهم ودراساتهم المطولة تحت تصرف الحكومة الجديدة ..

ما من شك ان النفوس تختلف ، فبعض الفرنسيين فى جيبوتى يشعرون بالمرارة لترك المنطقة .. فهى كانت بمثابة البقرة الحلوب لهم: تزداد ثروتهم وغنائمهم ، وتزداد هى فقرا وذبولا..

لهذا نرى بعضهم يتصرف بعنف وحقد ، مثلما فعل مسئول القوات المسلحة الفرنسية فى جيبوتى ، فعند تسليم بعض ثكناتهم للقوات الوطنية المحلية ، نزعوا المكيفات والاسلاك الكهربائية من جدران الثكنات ، وتركوها عارية مخربة .. صغائر لن تقدم او تؤخر من سير عجلة التاريخ والتحرر ..

أهم من النفط

ومن اهم الابحاث التى أجريت فى جيبوتى دراسة حول الطاقة الحرارية الارضية التى اجراها معهد الابحاث الجيولوجية هناك ، وفى حديث لنا مع مدير المعهد البروفسور لافيراد قال لنا : « ان هذه الطاقة أهم من النفط ، لانها لا تنضب أبدا .. وقد استطعنا تحديد مكامن هذه الطاقة الحرارية بين بحيرة عسل وغابة الداى .. انها منطقة نشطة فيها الكثير من البراكين الشابة التى لا يتجاوز عمرها ٨ آلاف سنة .. وهى هادئة وليست خامدة .. اننا نعيش فى منطقة التقاء محاور الجزيرة العربية وأفريقيا ، ومن دراساتنا

الى اليمين : من اهم مشاكل جمهورية جيبوتى نقص مشاريع البنية الاساسية .. أى الطرق والمرافق العامة .. وما زال الجمل يستعمل وسيلة للنقل فى البادية المحيطة بجيبوتى وتاجوراء .. وعندما تتساقط الامطار تتحول الطرق الرملية الى بركة ماء .. واكواخهم هناك يطلقون عليهم لفظ الدابيوتا ، وهى من حصير سعف النخيل وجذوع شجر الدوم ..

الجيولوجية على المنطقة وجدنا انه اذا حفر بئر الى عمق ١٥٠٠ متر فاننا سوف نصل الى حرارة جوف الارض التي لا تنضب ، والتي تبلغ قوتها ٤٠٠ درجة مئوية ، فاذا وضعنا في هذا البئر ماء فانه سيعاود الاندفاع بفعل السخونة الكبيرة الموجودة في الداخل ، على هيئة بخار قوى جبار ، يمكننا التحكم فيه لاستخراج الكهرباء بكميات هائلة ..

« ان الطاقة الحرارية الارضية هي الامل الوحيد امام جيبوتي للحصول على الطاقة ..لانه لا امل في العثور على النفط هنا .. »

وقد تقدمت جيبوتي بطلب قرض بمبلغ ٦٠ مليون فرنك من الصندوق العربي لانشاء محطة توليد كهرباء مركزية تعتمد على الحرارة الجوفية

قطن اسمنتي !!

لقد كانت لنا لقاءات عديدة مع الخبراء الفرنسيين قبل اعلان الاستقلال ، انهم يعرفون الكثير عن ثروات المنطقة المدفونة المجهولة ،وليس هنا مجال تعدادها كلها ، لكن لا يمكن ان نوقف حديث هذه الثروات دون ذكر مادة Diatomite التي قال لنا عنها البروفسور لاشيراد :

« انها مادة خفيفة مثل القطن تستعمل في صناعة الاسمنت ، والدراسات الاولية التي اجريناها تجعلنا نعتقد بان المخزون منها تحت ارض جيبوتي يمثل اكبر كمية مخزونة منها في العالم !! »

تعالوا الينا .. ساعدونا !

ان ابن جيبوتي يتطلع وكله امل وثقة ناحية الوطن العربي ، ويؤمن ايمانا راسخا بان خلاصه سيكون عندما يمد له شقيقه العربي يده لمساعدته في الوقوف على قدميه ..

لقد عبر لنا المسئولون الجيبوتيون عن امالهم تجاه العرب بقولهم :

« تعالوا الينا لنحول مستقبل المنطقة الغامض الى مستقبل واضح ..

« تعالوا الى مطارنا مدوا خطوط طيرانكم الينا ..

« تعالوا وافتحوا فروعا للبنوك عندنا .. واستثمروا اموالكم في البناء ، وفي اقامة المشاريع فوق بحيرة الملح وقمة الجبل ..

« تعالوا لنصطاد الاسماك من عرض البحر ونصنعها في المنطقة الحرة ..

« تعالوا ازرعوا ارضنا وابحثوا معنا عن ثرواتنا المدفونة ..

« تعالوا .. تعالوا .. فالعمل كثير .. وامكاناتنا معدومة .. »

طريق العذاب ..

ان اسم جيبوتي سوف يتردد كثيرا هذه الايام .. فقد بدات الحرب الباردة تحيط بالمولود الجديد .. ومخططات الدول الكبرى والمجاورة خرجت من المكاتب لتبدا لعبتها الخطرة في المنطقة ..

ويجب الا نستغرب او نندهش من اي خبر ياتينا من جيبوتي .. فهنا بدا العمل لصنع مستقبل زاهر فوق طريق كله اسلاك شائكة .. مكهربة !! ■■

سليم زبال

■ لزيادة المعلومات عنجيبوتي راجع استطلاعنا السابق في العدد ١٩٩ يونيو ١٩٧٥

الى اسفل · المريضة من جيبوتي ، والطبيب فرنسي تدفع له فرنسا مرتبه .. ترى هل ستستمر فرنسا في الدفع ؟ .. وهل سيبقى الاطباء الفرنسيون ؟





الجيولوجية على المنطقة وجدنا انه اذا حفر بئر الى عمق ١٥٠٠ متر فاننا سوف نصل الى حرارة جوف الارض التي لا تنضب ، والتي تبلغ قوتها ٤٠٠ درجة مئوية ، فاذا وضعنا في هذا البئر ماء فانه سيعاود الاندفاع بفعل السخونة الكبيرة الموجودة في الداخل ، على هيئة بخار قوى جبار ، يمكننا التحكم فيه لاستخراج الكهرباء بكميات هائلة ..

« ان الطاقة الحرارية الارضية هي الامل الوحيد امام جيبوتي للحصول على الطاقة ..لانه لا أمل في العثور على النفط هنا .. »

وقد تقدمت جيبوتي بطلب قرض بمبلغ ٦٠ مليون فرنك من الصندوق العربي لانشاء محطة توليد كهرباء مركزية تعتمد على الحرارة الجوفية

قطن اسمنتي !!

لقد كانت لنا لقاءات عديدة مع الخبراء الفرنسيين قبل اعلان الاستقلال ، انهم يعرفون الكثير عن ثروات المنطقة المدفونة المجهولة ،وليس هنا مجال تعدادها كلها ، لكن لا يمكن ان نوقف حديث هذه الثروات دون ذكر مادة Diatomite التي قال لنا عنها البروفسور لاشيراد :

« انها مادة خفيفة مثل القطن تستعمل في صناعة الاسمنت ، والدراسات الاولية التي اجريناها تجعلنا نعتقد بأن المخزون منها تحت ارض جيبوتي يمثل اكبر كمية مخزونة منها في العالم !! »

تعالوا الينا .. ساعدونا !

ان ابن جيبوتي يتطلع وكله امل وثقة ناحية الوطن العربي ، ويؤمن ايمانا راسخا بان خلاصه سيكون عندما يمد له شقيقه العربي يده لمساعدته في الوقوف على قدميه ..

لقد عبر لنا المسئولون الجيبوتيون عن امالهم تجاه العرب بقولهم :

« تعالوا الينا لنحول مستقبل المنطقة الغامض الى مستقبل واضح ..

« تعالوا الى مطارنا مدوا خطوط طيرانكم الينا ..

« تعالوا وافتحوا فروعا للبنوك عندنا .. واستثمروا اموالكم في البناء ، وفي اقامة المشاريع فوق بحيرة الملح وقمة الجبل ..

« تعالوا لنصطاد الاسماك من عرض البحر ونصنعها في المنطقة الحرة ..

« تعالوا ازرعوا ارضنا وابحثوا معنا عن ثرواتنا المدفونة ..

« تعالوا .. تعالوا .. فالعمل كثير .. وامكاناتنا معدومة .. »

طريق العذاب ..

ان اسم جيبوتي سوف يتردد كثيرا هذه الايام .. فقد بدات الحرب الباردة تحيط بالمولود الجديد .. ومخططات الدول الكبرى والمجاورة خرجت من المكاتب لتبدأ لعبتها الخطرة في المنطقة ..

ويجب الا نستغرب او نندهش من اى خبر ياتينا من جيبوتي .. فهنا بدا العمل لصنع مستقبل زاهر فوق طريق كله اسلاك شائكة .. مكهربة !! ■■

سليم زبال

■ لزيادة المعلومات عنجيبوتي راجع استطلاعنا السابق في العدد ١٩٩ يونيو ١٩٧٥

الى اسفل : المريضة من جيبوتي ، والطبيب فرنسي تدفع له فرنسا مرتبه .. ترى هل ستستمر فرنسا في الدفع ؟ .. وهل سيبقى الاطباء الفرنسيون ؟



■ حياة لها حد ، ولا حدَّ للردى
فليت المنايا والحياة تواليا

كما تتوالى يقظة العيش ، والكرى
وتعقب انوار الصباح الدياجيا

اذن ، لتشوقنا المنايا اشتياقنا
الى النوم واشتقنا الحياة دواليا

(عباس محمود العقاد)

■ من نكد الدنيا ان الرأى لمن يملك لا لمن يرى ·

(المهلب ابى صفرة)

■ اجد الناس بالمعروف من اذا أعطى شكر واذا منع عذر ، واذا مُطِلَ صبر ، واذا قَدِمَ العهد ذكر ·

(الصئمة بن رافع الدوسرى)

■ يقصد الناس التياترات (المسارح) لرؤية الحوادث الغريبة ، وسماع القصص المضحكة او المبكية ، والعاقل يكتفى بما يراه حوله ويسمعه : يتفرج على وقائع لم تبلغها مخيلة المؤلفين ولا مهارة الممثلين ·

(قاسم امين)

■ احسن الى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الانسان احسان

(ابو الفتح البستى)

■ وخادع النفس يمتد الرجاء لها
ان الرجاء بصدق النفس ينقطع

(الشريف الرضى)

■ والمنايا رصـــد للفتى حيث سلك

(ام الشاعر سليك بن السلكة)

■ ينبغى لكل واحد أن يتمسك بالفضيلة ، لذاتها ، لا لما يترتب عليها من ثواب ، فهى كافية بذاتها لراحة النفس ، ولو احاط بها التعب الشديد ·

(زينون الرواقى)

شاتوبريان



الأديب والمقاتل والسياسي

« لقد حاول نابليون ان يغزو شاتوبريان ايضاً ، لـكنه عجز عن ذلك » .

فيكتور هيجو

بقلم : على أدهم

■ كان الكاتب الفرنسى اللامع فرانسوا رينيه دى شاتوبريان زعيم الحركة الرومانتيكية فى الادب الفرنسى من كبار الكتاب العالميين ، وقد امتاز فى عصره ببلاغة الاسلوب ، وبراعة الاداء ، وعمق الشاعرية والقدرة الباهرة على تصوير المشاهد والمشاعر ، وتعدد جوانب الشخصية ، فقد جمع بين مميزات الكاتب القدير المخلص فى اداء رسالته ، والتعبير عن آرائه ومعتقداته ، وبين السياسى والدبلوماسى البارع الحريص على كرامته ، الى الحد الذى حمل فيكتور هيجو على ان يقول عنه انـه فى الوقـت الذى انحنت اوروبـا جميعها امام نابليون كان شاتوبريان احـد الشعـراء والمفكرين القلائل الذين وقفوا منتصبى القامة حينما ركع العالم جميعه على ركبتيه امام البطل المنتصر ولم يكتف نابليون بغزو الدول التى غزاها وانتصر عليها بل حاول كذلك غزو شاتويان ، ولكنه عجز عن ذلك . ولم يكن شاتوبريان يجهل عظمة نابليون ، او ينكر بطولته ، ولكنه ابى مسايرته والانضمام الى حاشيته حينما ابطرته السلطة ، واحالته حاكما مستبدا طاغية . وقد تقلبت به الحياة بين الشدة واللين ، والعسر واليسر ، وظل فـى الاحوال المتعارضـة وفيا لآرائـه ومعتقداتـه ، معتـزا بشخصيته وابائه وكرامته حتى رمى بفرط الكبرياء والاعتداد بالنفس ، واعانته تجاربه ورحلاته على انتاج غرر التصانيف وروائع الاسفار طوال حياته الثرية المنوعة .

عاش مكتئبا

وقد ولد فرنسوا رينيه دى شاتوبريان فى سان مالو سنة ١٧٦٨ فى ليلة ليلاء اشتد فيها عصف الرياح من ليالى شهر سبتمبر بمقاطعة بريتانى الفرنسية ، ونشا فى قصر كومبور مهد أسرتـه العريقة ، وكان والده الكونت دى شاتوبريان من طبقة الاشراف الشديدة التمسك بالتقاليـد ، وكانت والدته يغلب عليها الحزن ولا تكاد تعلو ثغرها ابتسامة ؟

ولم يكن يقيم فى هذا القصر الموحش سوى والديه واخته لوسيل وخادمتهم ، وكان بطبيعة الحال لهذه النشاة اثرها فى بث الاكتئاب الذى كان غالبا على مزاج شاتوبريان ويقول شاتوبريان عن نفسه انه امضى طفولته على الشاطىء مـع استاذيه الرياح والامواج،وقد أرسل فى بادىء الامر الى مدرسة دول Dol college ثم الى مدرسة الجزويت فى رنز ، وتبع ذلك فترة من التردد درس فيها فى برست ليعمل فى البحرية ، ثم التحق بكلية دينان ليكون من رجال الدين ، ثم ترك المشروعين واعرض عن المحاولتين ، وامضى عامين فى ضيعة الاسرة الاقطاعية فى كامبورج(١٧٨٤ ـ ١٧٨٦)مع والدته المريضة ووالده القليل الحديث واخته لوسيل اللامعة الذكاء والعصبية المزاج . وكان للعامين اللذين امضاهما فى هذه العزلة تاثير كبير فى تطور تفكيره وتكوين شخصيته ، فقد عمقت عزلة الاسرة فى كومبورج نزعة الحزن الغالبة عليه ، كما قوت



جولاته المنفردة فى الغابات المحيطة بالمنطقة التى كان بها القصر الواسع الارجاء ميله الى الطبيعة، وشجعته اخته لوسيل على كشف موهبته

وفى سنة ١٧٨٦ ترك كومبورج فى شهر اغسطس لينضم الى فرقة نافار بوصفه ملازما ثانيا ،واستمتع بالحياة فى الجيش لانها كانت تتيح له فرص الاجازات التى كان يقضيها مع شقيقاته المتزوجات بمنازلهن فى مقاطعة بريتانى وفى فرساى حيث قدم للبلاط ، وفى باريس حيث كان يجتمع بالكتاب امثال فونتان ولا هارب ، واكتسب صداقة والد زوجة اخيه القاضى والوزير مالزرب ، وبتشجيع من مالزرب عقد العزم على ان يقوم برحلة كشفية فى العالم الجديد ، وفى ٧ ابريل سنة ١٧٩١ أبحر على السفينة سان بيير ذات القلعين الى امريكا.

صدمة فى أمريكا

وكان دافعه الى مبارحة فرنسا والقيام بهذه الرحلة ضيقه بالاحوال من ناحية وطموحه من ناحية اخرى ، ولم يكن راضيا عن اتجاه الثورة التى بدات فى سنة ١٧٨٩ وخال انه يستطيع ان يظفر بالشهرة والمال والمجد لفرنسا اذا استطاع ان يكتشف الطريق الشمالى الغربى بين امريكا وآسيا وكتابه ملحمة عن المستوحش النبيل الذى كان يتوقع وجوده وهو يعيش فى حالة الطبيعة التى لم يشبها الفساد ، ولكنه عجز عن تحقيق ما كان يحلم به ، فحالما وطئت قدماه الاراضى الامريكية وجد انه تنقصه التجربة ويعوزه المال والاهبة والاستعداد للقيام بالرحلة الكشفية وكان اول من لقيهم من المستوحشين فى احدى الغابات يتلقون دروسا فى الرقص من احد الخدم السابقين ، والرحلات التى قام بها فى امريكا منذ وصوله الى بالتيمور فى ١١ يوليو سنة ١٧٩١ الى عودته من فيلادلفيا فى ١٠ ديسمبر من السنة نفسها عرضة للشك ، ويبدو انه رأى شلالات نياجرا والبحيرات العظمى وبتزبرج • وليس من الامور المؤكدة انه رأى اوهيو والمسيسبى وفلوريدا كما اكد بعد ذلك ، ولكن مما لا شك فيه انه افاد من هذه الرحلة حصيلة من التأثر بالمناظر الطبيعية الامريكية عظيمة القيمة،وقد انتفع بها،واحسن الاستفادة منها فى قصتيه المشهورتين آتالا ورينيه •

ويرجح انه بدأ تأليف كتابه « الناتشيز » وهو فى امريكا ، ويشتمل الكتاب على قصة مستعمرة الناتشيز فى لويزيانا التى انتهت بمذبحة فى سنة ١٧٢٧، وقد قصد بها ان تكون ملحمة « لرجل الطبيعة » وربما يكون قد بالغ فى تأكيده انه كتب اتالا فى اكواخ المستوحشين فى القفار • ويرجح انه قرأ جزءا منها على مالزرب حين عودته الى فرنسا فى يناير سنة ١٧٩٢ ، وبعد تسرعه فى الزواج من امرأة لم تجلب له ثروة ولم يكن عنها جد راض ، انضم الى جيش الامراء المهاجرين ، وكان يحمل معه رواية اتالا ، وقد ذكر فى مذكراته التى كتبها فيما بعد انه احتفظ باصولها فى جراب وفائى انقذه من رصاصتين صوبتا اليه فى حصار تيونفيل ، قال فى ذلك « ان اتالا مثل الابنة المخلصة لابيها وضعت نفسها بين ابيها وبين رصاص الاعداء » وقد تعرضت القصة بعد ذلك لنقد شديد من الاب موريلليه •

واعفى من الجيش لما اصابه من مرض وجروح دامية مع التقدير لما ابداه من اقدام وشجاعة وذلك فى اكتوبر سنة ١٧٩٢ وشق طريقه فى صعوبة وهو يعانى الالم الى انجلترا ، حيث وصل اليها فى مايو سنة ١٧٩٣ واستعان على تحصيل ما يعيش به باعطاء دروس فى اللغة الفرنسية والقيام بالترجمة ، وفى الوقت نفسه بدأ تأليف كتابه عن « الثورات القديمة والحديثة » ، وفى سنة ١٧٩٤ عين بوظيفة مدرس فى سفولك حيث احب الفتاة شارلوت ايفز ، ابنة راعى كنيسة بينجاى، ولما عرضت عليه والدتها فكرة الزواج بها اعترف بانه متزوج ، وكان هذا الاعتراف صدمة شديدة للاسرة ، واضطر الى الذهاب الى لندن وبها اخذ يتسلى فى عزلته ويعالج ما اصابه من الحزن والاسى وخيبة الرجاء بكتابة قصة رينيه ، وهو بطل احدى قصص كتابه عن الناتشيز •

أول كتاب للطبع

ولكن اول كتاب قدمه للطبع لم يكن الملحمة النثرية وانما كان الكتاب الذى الفه عن الثورات، وقد ظهر سنة ١٧٩٧ واذاع اسمه فى اوساط المهاجرين فى لندن ، ولم يطل سروره بظهور هذا الكتاب ، فقد بلغه من اخته جولى خبر وفاة والدته ، وانها كانت عند وفاتها كسيرة الخاطر شديدة الحزن لاطلاعها على الآراء الالحادية التى ابداها فى رسالته عن الثورات ، ويقول شاتوبريان انه حينما سمع ذلك بكى وآمن ، والواقع انه كان متجها صوب الدين فى هذه الفترة ، وحينما ظهر كتاب « حرب الآلهة » وهو قصيدة الحادية من نظم الشاعر يارنى حفز ذلك شاتوبريان الى النهوض بالدفاع عن المسيحية ، فكتب رسالته عن النواحى الشعرية والاخلاقية الجميلة فى الديانة المسيحية ، وكانت هذه الرسالة هى الاساس الذى اقام عليه كتابه الذى اشتمل على مجلدين عن « عبقرية المسيحية » وقد ظهر المجلد الاول من الكتاب حينما اعلن نابليون انه يعد بالتسامح والاعتدال فى ٦ مايو سنة ١٨٠٠ ، واغتنم شاتوبريان هذه الفرصة وعاد الى فرنسا .

وفى مدى اشهر قلائل اتم شاتوبريان الكتاب الذى بدأه فى انجلترا عن « عبقرية المسيحية » وكان تقديم الكتاب للطبع كاملا فى هذه الفترة لا يخلو من الخطر لان اليعقوبيين كانوا لايزالون يعارضون فى العودة الى حظيرة الدين ، وذلك برغم أن نابليون كان مصمما على التوفيق بين الكنيسة والدولة ، واختار شاتوبريان من الكتاب قصة « اتالا ، وقدمها للطبع فى ابريل سنة ١٨٠١ ليختبر به حالة الجو السياسى والاجتماعى وكان ملائما لظهورها،وقد نجحت القصة نجاحا ملحوظا، وفى السنة التالية حينما ظهر الكتاب كاملا اكتشف القراء به قصة رينيه ، وبها شبه من قصة اتالا ، وفى سنة ١٨٠٥ فصلت القصتان من كتاب « عبقرية المسيحية » وطبعتا معا فى كتاب واحد .

واعجب الجمهور بكتاب « عبقرية المسيحية » وقدره ، واقبل على قراءته وراق القراء احكام اسلوبه وبلاغة عبارته واشادة المؤلف بالنواحى الجذابة فى الديانة المسيحية ، وكان نابليون يعمل حينذاك على عقد الاتفاق بين الدولة وكنيسة روما، فاختار شاتوبريان ليكون السكرتير الاول فى سفارة فرنسا بروما ، وبدا لشاتوبريان انه فى مستهل مستقبل لامع سواء فى الادب او فى الشؤون العامة ، والعجب ان شاتوبريان لم يظفر فى حياته بنجاح كالذى ظفر به حينما ظهرت القصتان المتشابهتان ، وهما اتالا ورينيه ، وكان سلوكه فى الحياة العامة مزيجا من الشجاعة والاعتزاز بالنفس الذى يصل الى حد الغرور والتعالى ، وقد اضر به هذا السلوك ، واقام فى طريق حياته الكثير من العقبات ، وعرضه للخصومات والعداوات ، فنفاه نابليون من باريس ، واقاله من وزارة الخارجية لويس الثامن عشر ، ولم يحسن شارل العاشر معاملته ، وسجنه لويس فيليب .

أتالا : ١٠ طبعات

ولم يظفر كتابه عن الشهداء وكتاب « الرحلة من باريس الى اورشليم بمثل ما ظفرت به كتبه السابقة من الذيوع والاقبال على قراءتها ، وحمله كتابه « ذكريات من وراء الرمس » الذى لم ينشر الا بعد وفاته الكثير من الالم والمتاعب فى خلال تاليفه .

وحينما طبعت اتالا عرف أن مؤلفها مدين بالكثير لكتاب سابقين مثل فولتير وروسو وبرناردين دى سان بير ، فموضوع « المستوحش الطيب النفس » كان من الموضوعات الشائعة فى القرن الثامن عشر ،ولحظ النقاد المعاصرون ان وصفه للمشاهد الامريكية ليس نتيجة الملاحظة الشخصية وحدها ، وعرف انه استعان فى كتابته بكتب الكثيرين من الرحالة الفرنسيين والانجليز والامريكيين ، ولكن هذا ليس معناه أن اتالا تنقصها الاصالة ، فقد بث شاتوبريان فى تصوير اشخاص الرواية حياة قوية ، واجاد التصور ، وابدع فى سرد الاحداث باسلوبه الساحر المشرق ، وبلاغته العالمية ، وشاعريته الوثابة المتدفقة ، وكما رحب كثيرون من النقاد بظهور اتالا واشادوا بها تلقاها نقاد آخرون بالتنقص ، وعابوا عليها ما بها من الغموض والمبالغة ومجافاة العقل والذوق ، وترى فى ذلك لونا من الوان اختلاف احكام النقاد فى تقدير الطرائف الادبية والمبتكرات الفنية ، ولكن الجبل



الناشىء اقبل على قراءة اتالا ، واشتد اعجابه بها حتى طبعت اكثر من عشر طبعات بين سنة ١٨٠١ وسنة ١٨٠٥،وترجمت الى اللغة النمساوية واللغة الروسية ، وقال عنها شاتوبريان فى مذكراته « ان الجيل القديم نبذها ولكن الجيل الصاعد رحب بها » . والقصة التى ظفرت بالنجاح العظيم ونالت من الشهرة اكثر مما نالته اتالا هى قصة رينيه ، ويرجع ان السبب فى ذلك ان اسم مؤلف القصة هو نفسه اسم بطلها ، وقد نشأ منان فى مقاطعة بريتانى ، وقضى بها سنواته المبكرة ، واملى شقيقة رينيه كان من الواضح انها تمثل شخصية لوسيل شقيقة شاتوبريان ، وكان السبب الاكبر والهام فى نجاح قصة رينيه انها كانت تعبر عن ذلك التطلع الغامض غير المحدود الى مثل اعلى غير واضح المعالم ، ذلك الذى تملك النفوس فى مطالع القرن التاسع عشر ، واطلق عليه اسم « مرض الجيل » وقد اصر الناقد الكبير سانت بيف وغيره من النقاد على ان شاتوبريان قد مهد السبيل فى قصة رينيه لظهور هذا الحزن الساحر الرقيق الذى غلب على كثير من النفوس فى اوائل القرن التاسع عشر ، ولكن بعض مؤرخى تلك الفترة من الزمن لحظوا ان اعراض مرض الجيل كانت سابقة لظهور قصة رينيه ، وان بوادره ظهرت قبل حدوث الثورة الفرنسية ، وقد علل فريق من المفكرين ظهور هذه الحالة واستفحالها بما اصاب التقاليد الاجتماعية والاخلاقية من تصدع وانهيار، وما طرأ على العقيدة الدينية من الضعف وتغلب نزعة التشكك، وبظهور رينيه قدم شاتوبريان لجيله بطلا يستميل قلوب الشباب ، ويثير عطف الجيل، وقد كان الشبان الفرنسيون قد تأثروا بشخصية ورتر البطل الالمانى فلما ظهرت قصة رينيه وجدوا فيها بطلا قوميا من قلوبهم ، وظهرت رسائل اوبرمان لسنانكور،وكانت سندا قويا لهذا النزوع الى المثل الاعلى المجهول ، والحزن الذى ليس لدائه دواء .

فى سنوات الجدب الادبى

ويرى المؤرخ البريطانى الكبير ج . ب . جوش ان سنوات حكم نابليون كانت سنوات جدب ادبى، وان كتابات شاتوبريان كانت تطلق ينابيع العواطف وتوسع آفاق الخيال ، وتشير الحاسة التاريخية ، وان ازدهار الدراسات التاريخية فى فرنسا بعد عهد الثورة يرجع الفضل فيه الى شاتوبريان قبل اى انسان آخر ، وقد اكمل فى الادب رسالة روسو وبرناردين دى سان بيير ، واعظم ما اداه للتاريخ هو انه فتح ابواب العصر الوسيط .

وقد كتب اول مؤلفاته فى انجلترا سنة ١٧٩٧ وهو كتابه عن الثورات ، ويمتاز هذا الكتاب بابتعاده عن النزعات الحزبية ، فبرغم انه كان من الاشراف وكان مهاجرا فانه صرح فيه بان الثورة الفرنسية كانت حادثا لا مناص من وقوعه، ولكنه فى الوقت نفسه لم يكن تخالجه الاوهام التى عرضت لعقول انصارها ،وقد عمل على ان يكشف اسبابها ، ويذكر النتائج المتوقعة لحدوثها بطريق عرض الانقلابات المشابهة لها ، ودراسة لتاريخ اليونان تكشف أن معظم الشعارات الحديثة كانت مألوفة فى العالم القديم ، ويستخلص من ذلك ان الانسانية تتحرك فى دائرة ، فالثورة من المرجح انها ستنهار مثل الثورات الاخرى ، وسيثبت التقدم مرة اخرى انه وهم من الاوهام ، والواقع ان اوروبا تبدو مشرفة على الانحلال ، وقد فقدت المسيحية التنفذ بها، وليس هناك ما يحل محلها.

وقد تبع هذه الرسالة تحوله الى الديانة المسيحية واستعادته الايمان بها ، وكان كتابه عن « عبقرية المسيحية » الذى طبع سنة ١٨٠٢ من الاحداث البارزة فى السياسة والدين والكتابة التاريخية كما يرى جوش ، ولم يكتف باثبات حق المسيحية فى انها العامل الغالب فى الحضارة الحديثة ، وانما اظهر الصلة بينها وبين امجاد فرنسا القديمة ، وبعد الاشادة بما فى المسيحية من جمال اخذ ينوه بما فيها من حق وصدق ،

وقليل من الكتب كان لها مثل تاثير كتابه على الكتابة التاريخية ، وقد اكد تاثير هذا الكتاب وزاده شهرة ظهور كتاب « الشهداء » فى سنة ١٨٠٩ ، فالرومان وقبائل الفرانك يعودون الى الحياة فى هذا الكتاب ، وفضائل المسيحية تلقى هالة رقيقة على الصورة التى قدمها ، ولم يكن المؤرخ الفرنسى اوجستين ثيرى مبالغا حينما اثنى على هذا الكتاب سنة ١٨٤٠ ، وكان فى طليعة من تاثروا به المؤرخ ميشو فى كتابه عن (١) تاريخ الحروب الصليبية .

معارض لنابليون والملكية

وفى ٢٠ فبراير ١٨١١ اختير شاتوبريان عضوا فى الاكاديمية الفرنسية ، فى المكان الذى خلا بوفاة اندريه شينبيه ، ولكنه فى الخطاب الذى اعده للالقاء عند استقباله اشار الى ذكريات عن الثورة ضايقت نابليون ، ولما رفض ان يلقى الخطاب تاخر دخوله الاكاديمية الى عهد عودة الملكية .

وفى سنة ١٨١٤ كتب رسالة شديدة اللهجةعن نابليون والبوربون ، واختاره لويس الثامن عشر وزير دولة ، ولم يمنعه ذلك من كتابة رسالة فى نقد النظام الملكى لاقدام الملك على حل المجلس الاستشارى فى سنة ١٨١٥ وقد حوله ذلك الى صف المعارضين فى انتقاص النظام الملكى لحقوق الشعب ، ولم تتحسن العلاقات بينه وبين النظام الملكى الا فى سنة ١٨٢٠ بعد موت الدوق دى برى ، وقد اختير فى السنة نفسها سفيرا لفرنسا فى برلين ، ثم سفيرا فى انجلترا سنة ١٨٢٢ وقد اسهم فى انهاء الحرب الاسبانية بوصفه وزيرا للخارجية وفى سنة ١٨٢٤ عاد الى صفوف المعارضة ، واعلن خصومته لوزارة فيلليل ،وكتب فى جريدةالديبان مدافعا عن حريةالنشر واستقلال اليونان واكتسب بذلك شعبية واعيد طبع كتابه « الناتشيز » وكتاب آخر ايام بنى سراج ورحلاته فى امريكا .

وحينما سقطت وزارة فيلليل اختير سفيرا فى روما فى سنة ١٨٢٨ ولكنه قدم استقالته حينما جاءت وزارة بولنياك ، وبعد ثورة ١٨٣٠ دفعه وفاؤه لشارل العاشر الى ان يقف موقف المعارض للملكية الجديدة ، ومن هذا الوقت بدا يعيش حياته الخاصة مكتفيا بكتابة بعض مقالات فى الصحف ناقدا الحكومة الجديدة وموزعا وقته بين بعض الاعمال الادبية وزياراته لصديقته القديمة مدام ريكامييه ، وقام بترجمة الفردوس المفقود التى نظمها ملتن الى اللغة الفرنسية ، واتم كتابه الذى اشتمل على ترجمة حياته وهو كتاب « مذكرات ما وراء الرمس » وقد توفى فى ٤ يوليو سنة ١٨٤٨ ودفن حسب وصيته فى جزيرة جران بيه الواقعة امام سان مالو .

ويقول الناقد الكبير سانت بيف فى ختام فصل له عن كتاب « مذكرات ما وراء الرمس » « شاتوبريان هو وحده اول كاتب له خيال يفتتح القرن التاسع عشر ، وهو لا يزال بهذه الصفة حتى اليوم أكثر اصالة من الكتاب الذين اتبعوا آثاره ، واحسبه اعظم منهم ، ومنه تتدفق كما تتدفق من المنبع المحاسن والعيوب التى نراها حولنا » وهو يرى أن شاتوبريان فى قصته رينيه قد نجح فى ان يقدم لقرائه طرفة فنية كاملة ، وهى صورة مثالية تبدو فيها صفاته وعيوبه متصلة مترابطة » .

ويرى الناقد الانجليزى ماتيو ارنولد ان قصته رينيه تشبه « تشايلد هارولد » او « منفرد » للورد بيرون ، ولكنها تتفوق عليهما فى الاسلوب والناقد المفكر هنرى فردريك اميل يرى ان شاتوبريان كان فنانا عظيما ، ويشير بوجه خاص الى قصة اتالا وقصة رينيه ، ويقول ان قصة رينيه تبدو له اسمى من قصته اتالا ، والقصتان تدلان على موهبة ادبية من الطراز الاول . ■■

علي أدهم

---

(١) صفحة ١٦١ / ١٦٢ من كتاب « التاريخ والمؤرخون فى القرن التاسع عشر — تأليف جـ . ب . جوش » .



الأغصان الصغيرة تنوء بحملها..!

بقلم : منير نصيف

■ متى تتزوج الفتاة ؟ فى اى سن تستطيع أن تبدأ حياتها الجديدة فى عش الزوجية مع الرجل الذى ستقضى معه رحلة العمر ؟

الذى اثار السؤال الآن هو نتيجة الاحصاء الذى اجرى حديثا فى امريكا ، وقد دلت على ان عدد الزيجات بين الفتيات دون العشرين قد تضاعف ثلاث مرات خلال الربع قرن الاخير ! .

هذه الظاهرة لها عندهم تفسير يختلف تماما عن اسبابها عندنا .. فالشباب يعتمد على نفسه فى سن مبكرة عند العشرين وربما قبلها ..من اجل هذا يعمل الشاب وتعمل الفتاة لكى يوفر كل منهما لنفسه حياة كريمة . أهم جوانبها نفقات التعليم فى الجامعة وهى باهظة .. فالاب والام قد امسكا ايديهما عن الانفاق على ابنائهم بعد بلوغهم الثامنة عشرة ..

عندهم !

واكثر هذه الزيجات التى احصاها المهتمون بهذه الظاهرة مكانها الجامعة بين الطلبة والطالبات .. والهدف المتفق عليه بين الزوجين الشابين هو ان تقطع الزوجة الطالبة دراستها وتتفرغ للعمل الذى ترتزق منه حتى تستطيع أن توفر نفقات التعليم لزوجها الطالب الى ان يكمل دراسته الجامعية فيلتحق بعمل ، وهنا تترك الزوجة عملها ، وتعود الى الجامعة طالبة مرة اخرى ويتولى الزوج تسديد الدين الذى طوقت به عنقه ! هو اذن فى المقام الاول زواج منفعة أو مصلحة .. وهى مصلحة متبادلة بين طرفى هذا الرباط ! قد تدوم وقد لا تدوم !

.. وعندنا

اما عندنا فالحال يختلف تماما .. فالروابط الاسرية اقوى واطول اجلا .. والاب ينفق على ابنائه فى الجامعة وحتى بعد التخرج مهما كانت ظروفه الاجتماعية والمالية والام تعمل ايضا اذا فقدت عائلها ، وتشقى وتكدح من اجل تربية ابنائها وتعليمهم .. فالصلة التى تربط الابناء بآبائهم لا تنقطع عندنا وفى مجتمعاتنا المحافظة فى هذه السن المبكرة التى تبلغها الطالبة فى مرحلة دراستها الجامعية او الثانوية ، وكذلك الحال مع الشاب.. انهما يعتمدان على اسرتيهما فى جميع مراحل حياتهما حتى بعد التخرج .. وحتى عندما يشعر الشاب انه قد اصبح قادرا على الوقوف على قدميه، وانه يستطيع ان يتزوج ويبنى اسرة !



وبعض الاسر فى مجتمعنا تغالى فى الحرص على بناتها .. فهى تخشى عليهن من الفتنة .. ومع هذا الخوف الذى يسيطر على الابوين المحافظين ، نراهما يصنعان بناتهن فى صنعة ابويهما بهما ، وعند هذين الابوين نجد ان تعليم الفتاة واتمامه فى الجامعة ليس هو المشكلة .. انما المشكلة هى فى بقائها بلا زواج ، وبلا رجل يحميها ويرعاها .. ولكن متى ؟ ان سن السادسة عشرة هى السن القانونية التى يجب عندها أن تزف عروسا .. ويرتاح الجميع ! فالزمن عندهم لم يتغير .. والحياة لم تتطور ! .

امس .. واليوم

هذه الظاهرة كانت عندنا وما زالت تنتشر فى المجتمعات الصغيرة التى بقيت فيها المرأة الام حبيسة وراء جدران البيت الذى تعلو فيه كلمة الرجل ، رب الاسرة ، على كل ما عداها ..فهو الحاكم بامره وليس لاحد حق الاعتراض على رأى يبديه ، أو حتى مناقشته ! وكم من فتاة ابحرت وما زالت تبحر فى سفينة الزواج الصغيرة وسط العواصف والاعاصير قبل ان تتعلم شيئا عن فن تسيير السفن فى بحار الحياة ! بعض هذه القوارب كان لها اشرعة قوية صمدت فى وجه العواصف ومضت فى رحلتها القلقة حتى عاد السكون الى الموج الثائر .. وبعض هذه القوارب غرق وابتلعته امواج البحر والرحلة ما زالت فى بدايتها !

وقد خرجت المرأة عندنا من بيت والديها ، ولم تعد ترى الرجل من وراء نافذة غرفتها ، كما لو كان شيئا يتحرك فى الظلام .. لقد سارت فى طريقها وراحت تتجه فى خطوات ثابتة نحو هذا العالم الجديد .. فى المدرسة ، وفى الجامعة وفى كل مجال من مجالات الحياة .. والتقت بالرجل ، ولم يعد شبحا كما كانت تراه ووقفت امامه تحدثه وتناقشه وتنافسه فى عمله !

وتغيرت الصورة

وشيئا فشيئا بدأت الصورة تتغير ، حتى فى الكثير من المجتمعات التى كانت ما تزال تعيش بعيدة عن هذا التغيير الذى طرأ على وضع المرأة ومركزها فى المجتمع الجديد .. واصبح للمرأة كلمة ، واصبح للمرأة رأى ، ولم تعد الفتاة تقبل الزواج قبل ان تكمل تعليمها الجامعى .. واستطاعت اخيرا ان تقف وتقول لوالدها : ولم العجلة .. هل اصبح وجودى وسطكم يسبب لكم كل هذا الضيق .. لماذا لا تمنحونى فرصة اتمام تعليمى .. انا ايضا اريد ان اشارك فى بناء هذا المجتمع .. حتى لو لم اعمل ، وحتى لو تفرغت لوظيفتى الاولى .. وظيفة الام التى ترعى ابناءها وتسهر على تربيتهم .. ان الام المتعلمة اقدر على تربية ابنائها ! »

ونجحت المرأة الجديدة فى انتزاع حقها الطبيعى فى الحياة .. ولم يعد النضج الجسدى هو العامل الاساسى فى تحديد السن التى يتحتم على الاب ان يزوج ابنته فيه . ان النضج العقلى اصبح له الدور الرئيسى فى تحديد مستقبل الفتاة ! . حتى الرجل نفسه لم يعد يبحث عن الفتاة الصغيرة الحلوة ، فهو قد تعلم بحكم الظروف التى يعيشها اليوم ان الزوجة المثالية هى تلك التى تستطيع ان تشارك فعلا فى اعباء الحياة داخل البيت وخارجه، وان تكون قد حققت من العلم قدرا يؤهلها لهذه المسئولية الكبرى.. مسئولية بناء بيت واسرة ومجتمع .

محاولة .. كتب لها الفشل !

ولكن بعض الباحثين مازالوا يرون في العودة الى الزواج في سن مبكرة خير وسيلة لصيانة الاخلاق ففي مجتمعنا المحافظ ، الزواج وقاية وعلاج ، حتى لو كان الزوج غير قادر على الانفاق على زوجته او العيش في بيت مستقل بعيدا عن اسرته .. فنحن الاباء كما يرى اصحاب هذا الراى نستطيع دائما ان نستضيفهم في بيوتنا وننفق عليهم الى ان يصبحوا قادرين على الاستقلال بحياتهم !

ولكن علماء النفس يرون في مثل هذه الزيجات محاولة كتب لها الفشل قبل ان تبدأ .. «فالحب والعطف يقتلان الزواج » ! عطف الوالدين على الابناء الذين حرصوا على ان يزوجوهم صغارا قبل ان يكونوا مستعدين لمواجهة الحياة ومسئولياتها يقتل في نفوسهم الرغبة في العمل والكفاح من اجل مستقبل افضل .. ولماذا يعملون ولماذا يتكافحون وهم يجدون من يمدهم بالمال وبكل ما يحتاجون اليه بغير جهد ولا تعب .. ثم كيف يكون طعم هذه الحياة « السهلة » مع مضي الزمن ؟

قصة من واقع الحياة

ولهؤلاء نسوق هذه القصة وهي قصة من واقع الحياة ما زال بطلاها ، الزوج والزوجة ، يلعنان اليوم الذى استمعا فيه الى نصيحة والديهما بالزواج قبل ان يكملا تعليمهما الجامعي صونا لهما وحماية !

والقصة يرويها استاذ جامعي ، كانت الزوجة الصغيرة بين طالباته يقول ـ « لقيتها في الطريق، وكانت تمشي وحدها وقد احتضنت كتبها فوق صدرها ، كما تحمل الام طفلها الرضيع ،وناديتني فاتجهت اليها وتذكرتها على الفور فقد كانت طالبة مجدة مجتهدة ، وقلت بعد ان مدت الى يدها تصافحني ـ « ماذا حدث .. اراك قد عدت الى كتبك .. والى الجامعة هل عزمت على استكمال دراستك التى تركتها بعد الزواج ؟ »

قالت ولكن بدون تلك الابتسامة الحلوة التى كانت تلقاه بها كل صباح في الكلية ـ « نعم ..لقد عدت الى الجامعة طالبة لاكمل تعليمي !»

ـ كيف حال زوجك ؟ لقد كانت اخر مرة رايته فيها معك منذ ستة اشهر بعد زواجكما باسابيع قليلة .. وكان بادى القلق .. ترى هل استطاع ان يمضي في دراسته العليا ؟

ولم تجب الفتاة ، وبدا عليها التردد ،وكانها كانت تبحث عن شيء تقوله .. بماذا تجيب ؟ كيف سترد على هذا السؤال .. هل كان مفاجاة لها؟ بالعكس .. فقد كان شيئا طبيعيا وكانت تتوقعه! .. طالبة تلتقي باستاذها الذى كان شاهد زواجها منذ ستة اشهر او اكثر قليلا عندما زفها والدها عروسا للمعيد الشاب الذى كان يحبها في صمت في الكلية !

ولكن ماذا ستقول له ؟ لقد انتهى زواجها القصير قبل ان يبدأ .. اتفق الاثنان على الطلاق .. وتركته ، وتركها وسار كل منهما في طريق!

.. واخيرا تكلمت !

واحس بترددها فعاد يسال في لهفة هذه المرة، فقد كان يحمل لها في قلبه كل الود الذى يشعر به الاب نحو ابنته .. ماذا حدث ؟ تكلمي .. اين زوجك ؟

ـ لقد فشل زواجنا .. نعم فشل .. حتى انا نفسي لم اصدق ان الشاب الذى راح يبني معي القصور ، ويرسم لي بيده وقلبه صورة المستقبل المشرق الذى ينتظرنا .. لن اجد معه السعادة التى كنت احلم بها وتحلم بها كل فتاة معزوجها وشريك حياتها !

ـ الم يكن هناك من وسيلة لانقاذ زواجكما ؟

ـ لقد بذلت كل ما في وسعي ، وتحملت العذاب الذى كنت اعيش فيه وحدى .. لم اشك لاحد ، حاولت ان احل مشاكلي بيني وبينه ، ولكنها استفحلت .. وعندها لم أجد مفرا من اللجوء الى والدى.. ورويت لهم كل ما كان بيننا خلال هذه الفترة القصيرة من حياتنا معا .. وبالرغم من هذا فقد تركا لي وحدى حرية اتخاذ القرار الذى اراه مناسبا لاضع حدا لمتاعبي .. واخترت الطلاق ، ولم تكن مفاجاة لي عندما وجدت زوجي بدوره قد بدا فعلا ودون ان ادرى في اتخاذ اجراءات الطلاق ! وانتهت القصة وعدت الى الجامعة لاكمل دراستي !

الاب .. مرة اخرى

لا الزوج ولا الزوجة كانا مستعدان له ..هي لم تكمل بعد عامها العشرين .. وكانت امنيتها

ان تستمر في دراستها .. لم تكن فكرة الزواج تخطر على بالها .. وعندما تقدم الشاب يطلب يدها من والديها لم تتردد في ان تعلن رايها صريحا وبالقدر الذى تسمح به تقاليدنا وخاصة عندما علمت منها انها سوف تعيش مع زوجها في بيت والديه ؟ وقال الاب « ولم لا ؟ ان والده رجل ميسور الحال ،ومرتب زوجك لن يكفي نفقات الزواج والحياة في بيت مستقل .. لقد وعدني والده بان يغدق عليكما . وسيقدم لكما كل ما تحتاجان اليه من مساعدة حتى يستطيع زوجك ان يكمل دراساته العليا .. كل ما طلبه هو ان تكفى عن الذهاب الى الجامعة ، لا تنسى يا ابنتى ان مكان المراة هو البيت .. ثم ما الذى سوف تجنينه من دراستك الجامعية في النهاية ؟ » .

الملل .. والفراغ

وكانت هذه هي البداية .. وتزوجا .. واضطربت حياة الزوجين الشابين .. لم يكن المال يعوزهما فقد بسط والد الزوج يده ، ولم يحرمهما من شيء .. ولكنها حياتهما هي التى اصبحت بلا طعم وبلا مذاق .. لم تكن الزوجة ترى زوجها الا ثائرا ناقما .. لقد احس الشاب بانه يعيش في فراغ هائل .. ومع هذا الاحساس اهمل دراسته .. واهمل زوجته .. وبدا الخصام .. وبدا الشجار يدب بينهما ..

ثم كانت النهاية .. وعاد كل شيء من حيث بدا .. ولكن بقيت التجربة .. وبقيت مرارتها في هذين القلبين الصغيرين !

اذن .. متى ؟

متى تتزوج الفتاة اذن ؟ ومتى يتزوج الرجل ؟ يكاد يجمع علماء النفس والاخصائيون الاجتماعيون ان الزواج هو قمة رحلة العمل والكفاح في الحياه .. فلا بد ان تكبر الفتاة وان تنضج فكريا وليس هناك سنا معينة لهذا النضج .. ولكن المراة الجديدة التى خرجت وتعلمت والتقت بالرجل في الجامعة وفي الحياة العامة في حاجة الى هذا النضج حتى تستطيع ان تبنى حكمها على الرجل الذى يريدها زوجة له فهى اقدر من اختها التى كانت حتى سنوات قريبة لا تملك حق ابداء الراى في الرجل الذى سيشاركها حياتها لانها اكثر منها حظا فهى تعيش عهدا جديدا تقف فيه المراة بقدمين ثابتين ، فوق ارض صلبة تعرف كيف تجد طريقها عليها .. قد يجيء النضج في العشرين او ما بعدها ، او حتى قبلها .. المهم ان تعرف الفتاة ما الذى تريده لنفسها ولحياتها مع الرجل الذى سيصبح زوجا لها وابا لاطفالها .

اسباب اخرى

ان كثيرا من الزيجات بين الفتيات والشبان الصغار الذين لم ينضجوا بعد ، تفشل ، ولاسباب اخرى لا تمت الى قصة هذه الفتاة بصلة ..ولعل اهم هذه الاسباب ان كلا منهما يتوقع من الاخر في الزواج اشياء اكبر بكثير مما يمكن ان يحققها لهما هذا الرباط . فهى مثلا تريد ان ترى فيه دائما امير احلامها .. وهو بدوره لا يستطيع ان يواجه الواقع فيترك الاحلام جانبا ،ويستعد للقاء الحياة بكل حقائقها .. فسرعان ما تسقط الاقنعة الرومانسية وتبدا اخطاء الزوجين تطفو على السطح.. وعند الزوجين الشابين يصبح هذا الذى يحدث ، وكانه نهاية الدنيا .. ولكن الحال يختلف عند الزوجين اللذين بلغا سن النضج . لانهما يعلمان ان الزواج ليس نزهة .. وانما هو حياة تتطلب من كل منهما قدرا كبيرا من التضحية والفهم والادراك ، والاستعداد بعد هذا لتعديل موقف كل منهما تجاه الاخر ..

الشجرة الكبيرة وحدها

ان ما حدث ويحدث للازواج من الشباب لا يعنى ضعفا في اخلاقهما او في تربيتهما .. وانما هو في المقام الاول افتقار الى القدرة على التحمل .. ثم هو النظرة السطحية الساذجة التى ينظر بها كلاهما او احدهما للزواج وعدم الادراك لمعناه الكبير ! وتكون النتيجة خيبة امل ولا شيء يقتل الرغبة في الاستمرار ، وهى اهم عامل في نجاح الزواج ، اكثر من الشعور بخيبة الامل !.

ان الشجرة الصغيرة الضعيفة لا تستطيع ان تحمل ثمارا ثقيلة.. فما اسرع ما تنثنى اغصانها وتنوء بما حملت.. والاشجار الكبيرة القوية وحدها هى التى تستطيع ان تصمد في وجه الريح !

■■

منير نصيف

قراءة للقصة

بقلم : الدكتور احمد عبد الرحمن عيسى

ماذا يعرف ادباء المشرق عن أدب المغرب ؟

الاجابة بالغة الصعوبة . لأن الواقع يقول ان ندرة لا تذكر من ادباء المشرق قرأوا للادباء المغاربة ، بعذر او بغير عذر . وهذا المقال يحاول أن يقدم القصة المغربية منذ مولدها في بداية هذا القرن وحتى بداية الستينات . وهو في النهاية محاولة متواضعة لسد الثغرة الكبير في معرفتنا بجهد الادباء في النصف الآخر من عالمنا العربي .

■ قلت لصديق مغربي : رأيت في شارع «لحسن ويدار» بالدار البيضاء ، لافتة مكتوبا عليها : الاستاذ جواكيم ـ فسخ السحر « فماذا يصنع هذا الرجل ؟ . قال : يصنع الذى يصنعه ، يكفى انه جواكيم .. جواكيم وصافى (١) . الدنيا فيها جوكيم بزاف (٢) . وهل نحن مسئولون عن مثل هذا الجواكيم . لعله يهودى يا اخى . قلت : وما رأيك في لافتة اخرى مكتوب عليها « عشاب يداوى الاعصاب » . قال : عشاب ياخى ، عقاقيرى يستخرج الدواء من الاعشاب والنباتات . قلت : هذا يسمى « باطنى » والمرض الباطنى غير المرض العصبى . قال : هذا مزيان وهذا مزيان (٣) والباطنى والعصبى واحد . والشفاء بيد الله . قلت : يبدو انكم ايها المغاربة المثقفون اصبحتم تضيقون بهذه التهمة ، تهمة السحر والشعوذة التى اشتهر بها المغاربة منقديم . قال ان القرآن الكريم لم يذكر شيئا عن السحر والسحرة في المغرب ، وما قرأناه فيه من قصص السحرة الا عن مصر ، وان سيدنا موسى لم يات الى المغرب حتى يقول الناس للمغاربة انه لكبيركم الذى علمكم السحر .

قلت : لعلك لم تحط علما بما يجرى في البادية المغربية من افانين السحر والاعيب السحرة . ولعلك ايضا لم تقرا شيئا مما كتبه الادباء المغاربة في هذه التجارب . ولكى اختصر مسافة الخلف بينى وبينك ، ادفع اليك بهذه القصة الطريفة لتقراها قصة « لولا الوهم » للاديب المغربى عبد السلام بن بغداد . وبعد ان تفرغ من قراءتها سادفع اليك بقصة اخرى في هذه السبيل هي قصة « الفقيه البركة » للاديب احمد بنانى .

فهل نستطيع ان نستنتج من هذا ومن غيره ان القصة المغربية ـ على نعومة اظفارها ـ قد نجحت في تصوير جوانب من الحياة في المغرب؟ .نحاول.

في طورها الاول

كانت القصة المغربية اسبق الفنون الادبية لدى

(١) صافى يعنى « خلاص » .

(٢) بزاف يعنى « كثير » .

(٣) مزيان يعنى « جميل وزين » . وكلها لهجة مغربية .



المغربية

منـــذ بدايــة القــرن حتى الستيـنات

المدرسة الحديثة • وهذا السبق يتمشى مع الفطرة والطبيعة ، فقد جبل الانسان على حب الحكاية من طرفيها : يجب أن يحكي وان يحكى له• وهذا شعور بدائى ساذج • ولكنه لايقنع عند الانسان الا بما يشبعه، وهو فى هذا الصدد يحتاج الى الفن• فن الحكاية المتقنة المتنوعة التى تكثر فيها الحركة والمفاجاة والتلوين والتخفى واذكاء الشهقات • وفى هذا الاطار نشات القصة المغربية الحديثة فسدت فراغا كبيرا فى الضمير المغربى • ومنذ بدات محاولاتها فى اوائل هذا القرن الى الآن (١٩٦٣) ولم تزل فى دور التكوين والمحاولة الناجحة ،نعم انها صورت جوانب الحياة المغربية من حيث الموضوع والفكرة ولكنها من حيث الفن القصصى لم تزل فى طورها الاول ، وهو منطقة نفوذ (المنفلوطى) العاطفى الذى يلجا الى اقحام الطبيعة وجمالها فى كل قصة تقريبا ، ويلعب بالعبارات والعواطف فى كل موقف بصفة عامة غالبة ، ولم يزد جهدها الى اليوم عن التصوير المباشر الذى يمتاز بالصدق والواقعية ، وان ماظهر من بعض القصص الطويلة الضئيلة العدد لا يخرج عن هذا الطابع ايضـا • ولقـد نجحت الاقصوصة السردية فى الامتاع الفنى احيانا •

اما الاقصوصة الحوارية فقد جاءت عرجاء معلولة السبك تحاول ان « تتشعلق » ببرج توفيق الحكيم فتنزلق مرتدة الى الارض .

نعم تستطيع القصة المغربية ان تعطيك صورا صادقة من الحياة هناك ، ولكن في بساطة وقلة حركة . واليوم الذي تستطيع فيه ان تهزك بعنف في سياق حركتها المتواكبة ، وان تاخذك من نفسك ، وتخلق فيك انفعالات جديدة الى جانب انفعالاتها هي ، وان تطول وتتنوع ، في هذا اليوم فقط تكون قد انتقلت الى طور آخر غير هذا الطور الذي امتدت فيه طفولتها الى اكثر من خمسين سنة ، فكتاب القصة من محمد القرى وعبد الله الجراري وعبد الخالق الطريس الى عبد المجيد بن جلون وعبد الرحمن الفاسي ،حتى احمد عبد السلام البقالي ، لم يزالوا يدورون في فلك واحد ، هو مجال التجربة الذي يشبه قصة (زينب) المصرية للدكتور حسين هيكل منذ خمسين سنة من حيث الموضوع ، وقصص المنفلوطي من حيث الاداء .

اما مرحلة (سارة للعقاد) مثلا ، او عودة الروح لتوفيق الحكيم ، فهي مرحلة تتطلع اليها القصة المغربية ، وربما تصل اليها اذا اطردت الحركة الادبية على النسق الذي تجرى عليه اليوم ولم تنقطع بها اسباب الحياة الموصولة كما حدث من قبل .

على ان بعض المغاربة ينكر وجود القصة المغربية قبل الحرب العالمية الثانية . من ذلك ما كتبه الاستاذ احمد القادري في جريدة (العلم) سنة ١٩٥٧ حيث يقول : « ان اول ما ظهر منها قصص قصيرة لاحمد بناني وعبد الرحمن الفاسي، ثم ظهرت القصة الطويلة كقصة عبد المجيد بن جلون (في الطفولة) وقصص فرنسية لاحمد الصفريوي وادريس الشرايبي . وقصة (في الطفولة) تتحدث عن الوسط المغربي القديم . والصفريوي يتحدث عن المغرب التقليدي ، مغرب الف ليلة وليلة . والشرايبي ضاق بالجمود في المغرب وكتب في ذلك قصته وسافر الى فرنسا فرأى هناك ذل مواطنيه وسائر الافارقة ، فثار ثورته وكتب قصته الثانية ، ثم القصة الثالثة (الحمار) » .

متفائلون ومتشائمون

وفي هذا الرأي شيء من المبالغة ، فقد وجدت القصة المغربية قبل الحرب العالمية الثانية بعشرين سنة ومشكلة التوقف الادبي وانصراف الرواد الاوائل عن متابعة الانتاج مشكلة تشغل اذهان المغاربة فبين الحين والحين نقرا في صحفهم نداءات متكررة تقول : عودوا يا اصحاب السعادة . نداءات يوجهونها مثلا الى عبد الخالق الطريس السفير لدى مصر ، وعبد المجيد بن جلون السفير لدى باكستان ، واحمد بناني الذي اصبح مدير التشريفات بالقصر الملكي ، وعبد الله ابراهيم الذي تولى رياسة الوزارة ، ومحمد المكي الناصري السفير لدى ليبيا ، وعبد الرحمن الفاسي الوزير المفوض بالسودان ، وغير هؤلاء من الرواد الاوائل الذين اختطفتهم المناصب من حقول الادب والصحافة ، الى هجرة غيرت مسار الحياة الادبية الى منعطف من تجارب الناشئين .

وفي هذا الصدد نسمع صوت الاديب المتشائم عبد الجبار السحيمي الذي لا يعجبه طه حسين ولا العقاد ولا العجب ولا الصيام في رجب ، فهو يقول : « ان الادب عندنا ـ اي المغاربة ـ لم يزل يحتاج الى تخطيط مادي يجعل صدور كتاب او مجلة اكثر من عمل تلعب فيه الصدفة دورها، او تدخل فيه الاعتبارات الخارجة عن الادب... وهناك ملاحظات اخرى غير هذه ، فانتاج الشباب كما بلورته السنة التي تستعد لوداعها (١٩٦١) هو ادب يغلب عليه طابع الارتجال واستيراد المفاهيم والسطحية الموضوعية ، اعني افراغ موضوع غير ذي بال في قوالب فنية كالقصة والشعر والمسرحية » .

وهكذا لا نجد للمغاربة نظرة وسطا في حكمهم على ادبهم ، فهم اما متعصبون تعصبا مضريا كما نرى عند عبد الله جنون وعلال الفاسي ، او متشائمون تشاؤم ابي العلاء المعري كما نرى عند عبد الجبار السحيمي .

وفي مجال الحديث عن القصة نرى جريدة (العلم) التي تخصص صفحة ناجحة للادب في يوم الجمعة من كل اسبوع ، نراها قد خصصت صفحتها للقصة يوم الجمعة فاتح ديسمبر ١٩٦١، وهنا تخف طرقات التشاؤم عند السحيمي «محرر الصفحة » فيقول : اكثر من تجربة ... كلها نجحت : « .. عندما اخبرنا يوم الجمعة الماضي عن هذه الصفحة ، كنا نعرف انها تجربة جديدة تحاول بها صفحة الادب والثقافة ان تتاكد من بعض الاستنتاجات المبدئية التي اسفر عنها وجود

الصفحة اكثر من سنة باستمرار وبجد ايضا ·· وبدا للصفحةان تخصص ـكلما اتيحتلها الفرصة يوما خاصا بنوع من الادب او قضية منه ·وصفحة اليوم تعلن عن نجاح هذه التجربة الجديدة ،وهي تقدم مجموعة من القصص القصيرة تجمع كل المدارس مرة واحدة قديمها وحديثها ·· »

نماذج مغربية

هذا بعض ما كتبه السحيمي في ذيل الصفحة من الجانب الايسر ، وقد امتلات الصفحة بست قصص · والمقام هنا لا يتسع طبعا لعرض هذه القصص الست ، بيد اني ساضع في يد القارىء هيكلا مركزا التطفه من بناء كل قصة كما يلي :

القصة الاولى :

ميلاد ساخط

بقلم . حسن الشريف ·

وهي اقصوصة مركزة تصور سوء الحظ الذي فاجا طبيبا يعمل بالقرية ، حينما وفد على المدينة ليقضي عطلة الاسبوع مع خطيبته ، ففجاته على باب المدينة مظاهرة شعبية صاخبة ·

« ··· وكان هو يركب (تاكسي) الى بيت الخطيبة وفي يده قرطاس بمجموعة من الهدايا حين اوقف البوليس سيارته فجاة ، ودخلت يد خشنة فامسكت بتلابيبه · لا بد انكم مخطئون · وكان الجواب صفعة على وجهه · انني واصل الآن من المحطة وها هي ذي التذكرة ··· وركلة وحشية من الوراء ·· ضربة بعقب بندقية ·· اقتيد الى القسم ·· داست الاحذية المصفحة هداياه ··· خرج الطبيب من قسم البوليس لياخذ سيارة الى مستشفاه دون ان يرى خطيبته ،وانضم مظلوم آخر الى صفوف الساخطين »

والاقصوصة صورة واقعية تصور لمحة من الاضطراب السياسي قبلالاستقلال بطريقة تقديرية عادية ·

القصة الثانية :

شجرة العروسين

بقلم : عبد القادر زمامة ·

« قالتالشقراء لاختها السمراء وهي تحاورها بلغة العذارى المدللات ···آه انهم لا يصدقونني ·· ولو اقسمت ·· ولو بكيت ·· وتلفتت السمراء يمينا ويسارا ·· لاعليك ، قولي الحق كل الحق ·· فهذا عصر الحرية ، حرية الفتى والفتاة ·· وانفتح امام الشقراء باب الحديث·· وانطوت صفحة الحديث ·· اصبح مفتاح صندوق الاسرار في يد السمراء ·· فالفتى ابراهيم الطالب المجد يتلقى كل يوم رسالة او شائعة لا يدرى مصدرها ·· دخل كعادته منزل الاسرة يبحث عن الشقراء ·· انها هجرت غرفتها الى ظل شجرة معينة في الحديقة تسند اليها ظهرها وكانها في حرم آمن ··· جلس ابراهيم بدوره الى تلك الشجرة امام الشقراء ···

منذ ذلك اليوم اصبحت تلك الشجرة ، تدعى شجرة العروسين » ·

فالاقصوصة تصور غيرة السمراء من اختها او صديقتها الشقراء · ثم تتكشف حقيقة السمراء لابراهيم فيحمله الوفاء لحبيبته الشقراء ويلتقيان تحت تلك الشجرة · وهي تجربة ساذجة عالجتها الاقصوصة في عرض مقبول ·

القصة الثالثة :

من واقعنا المر

بقلم : حبيبة العلوى ·

« ردت الباب في هدوء وسارت الى الغرفة المجاورة ·· ثم اخذت الازار الابيض وشملت فيه جسدها المنهك ، وعضت على طرف منه حتى لا يسمع شهيق بكائها ·· خطيبها شاب موظف ·· مثقف ··· رضيت هي ··· رفضت العائلة ·· وتركتهم مطمئنين ·· ذهبت الى الرجل الذي ارتضاه قلبها ·· اصطدمت سيارته باخرى ··· لم يسلم صاحبك من الموت بضربة قوية اسكتت قلبه ·· سمعت وقع خطوات فاذا به والدي ·· لقد زوجتك لصديقي التاجر ·· اسمعت ·· »

وهنا تتدخل كاتبة القصة وتفرض نفسها على جو الحكاية وتقول : « تسالونني عن القصة ؟ واقعية وحق الشرف · تسالونني عن النهاية ، نهاية حكاية الكبت والتحكم ؟ هي طبعا الشارع ··· »

والتجربة هنا ممكنة الوقوع ، ولكن العرض ساذج ، فشخصية الكاتب لا بد ان تختفي وراء

الحكاية ، لا ان تلتقط خيط الحديث وتحوله الى ضمير المتكلم .

القصة الرابعة :

انتقام رهيب

بقلم ابو سلهام الحلوفي .

وهي مثل الاقصوصة السابقة تصور مشكلة الاكراه على الزواج بغير ارادة الفتاة ، فلا تطيق العيش مع زوجها فيقتله اخوها بسيارة . ولكي يختار لزوجها القتل بهذه الطريقة ، يهجر التعليم وهو الطالب النابغة ـ ليعمل سائق سيارات .

« ... كان مصطفى ذات يوم يقود سيارة النقل الكبيرة ... فلمح الحاج علي ـ زوج اخته ـ يحاول عبور الشارع .. انقضت ـ السيارة ـ على الحاج كما ينقض العقاب على العصفور الصغير ، وسمع الناس العظام تتهشم واللحوم تتمزق...»

وهكذا تنتهي الاقصوصة بهذه الطريقة المفتعلة، وتزخر بتشبيهات المنفلوطي وعبراته .

القصة الخامسة :

مغامرة فاشلة

بقلم الدحماوي محمد .

وهي تصور ثورة الحرمان عند فقيه الحارة . الناسك المتعبد الذي اتخذ من صاحبنا قنطرةلقضاء ليلة سعيدة مع غانية تحبه ولا تعرف هذا الشيخ الذي هام بها ... ويلحظ عامة الناس ذلك ويتصايحون بمجون الشيخ والغانية ، وصاحبنا يكون حينئذ في اوج لحظات السعادة ، وينتهي الامر بفضيحة ...

فالاقصوصة تصور ثورة الجسد وغضبة الضمير الاجتماعي . ولكن ينقصها التحليل النفساني والحركة المسرحية النابضة بالانفعالات المتطاحنة.

القصة السادسة :

وكانت قرية

بقلم . حسني الوراني .

وهي صورة من خيال المنفلوطي ، ومطبوعة بطابع الانشاء التعليمي في المدارس حينما يكون الغرض هو تنشيط الخيال لدى الناشئة . وبعد معاناة في اودية الخيال تعرف ان الموضوع هو كفاح قرية من قرى الجزائر في هيئة عرض خيالي للصورة لا للقصة .

فاين اذن مدارس القصة قديمها وحديثها التي جمعتها تلك الصفحة كما يقول السحيمي ؟ ان هذه الاقاصيص تمتاز بشيء واحد، هو انها تصوير واقعي لجوانب من البيئة . ولعل أظهر ما فيها هو ابراز سخط الجيل الجديد على التقاليد العائلية القديمة التي كانت تقدس رغبة الاب في تزويج ابنته بمن يشاء ودون رأى لها ولا ارادة ، وان الامر لا بد ان ينتهي بكارثة اى كارثة .

عن حجاب المرأة

نعم تتابعت الاقاصيص التي تصور جوانب الحياة في المغرب ، ونشأ جيل من القصاصين لمعت منه أسماء أثبتت جدارتها في عالم الاقصوصة، واليك نماذج من أثر هؤلاء :

المسعورة ، وترويض عبد ، ودخان سجاير لاحمد عبد السلام البقالي .. وما زالت تشرق الشمس، وبقية القصة لعبد الجبار السحيمي وكذلك قصته (في المدينة) .. وشيخ القرية لعبد الله شقرون .. وحديث البقال لاحمد زين .. وخيبة الطالع للحسن عبد الله السليماني .. وأرضنا العزيزة لمحمد خضر الريسوني .. وتجربة لمحمد بوعلة .. والضحية لمليكة الفاسي وسنحرض الارض لمحمد البناني .. وزنبقة بين اللحود لعبد الرفيع الجوهري .. وصديق لمحمد ابراهيم بوعلو ..والهواء الجديد لمحمد زنيبر ..وانتصار الحق بالباطل لعبد الخالق الطريس .. وبين حلم ويقظة لعبد الرحمن السايح.. وخادمتي لعبدالله ابراهيم .. والراهبة لعبد الكريم غلاب .. والضياء الارجواني لمحمد العربي الخطابي .. والطاحونة الحمراء لعبد القادر السحيمي .. والطريق الطويلة لمحمد برادة .. وعائشة لعبد المجيد بن جلون .. وورقة الحياة لابي بكر المريني .. وعمر بو شناق لعبد الرحمن الفاسي .. وفاكهة الشتاء لعبد الكريم ثابت .. والملكة خناثة لامنة اللوة .. وغير ذلك من عشرات القصص التي تستطيع ان تتنفس منها هواء المغرب الجديد .

تتابعت القصص التي حاولت علاج المشكلة

الضاربة في أعماق الجيل المغربي القديم ، مشكلة حجاب المرأة وما يتبعها من اكراه الفتيات على الزواج دون رأى لهن ولا ارادة . ولسنا هنا في موقف التصدى لمناقشة هذه الظاهرة الاجتماعية لدى المغاربة أو غيرهم ، ولا نبيح لانفسنا اتخاذ موقف معين منها بالتأييد أو المعارضة ، فكل ما لدينا من القصص يمثل رأى طرف واحد وهو كتاب القصة وكاتباتها من الجيل الجديد . وكل حزب بما لديهم فرحون . تقرأ صدى هذه المشكلة مثلا في قصة (تجربة) لمحمد بوعلة ، وقصة (الضحية) لمليكة الفاسي ، وقصة (حديث البقال) لاحمد زين . وستشعر بالمتعة عندما تقرأ قصة (ذات الاظافر الطويلة) وترى فيها ذلك الصراع النفسي العنيف في طبيعة المرأة ، هذه الطبيعة المعقدة ، فبينما تحتاج المرأة الى رجل قوى آمر يسيطر عليها، ولا تتذوق معنى الحياة الا في ظل هذه السيطرة نراها عنيدة مسرفة في العناد تصر على تنفيذ رغباتها . فاذا تحقق لها ذلك أعلنت عن عنادها بارادتها هي . كما أن في القصة تصويرا لتطور المرأة المغربية الحديثة ، وعرضا لبعض التقاليد السائدة هناك ، كالذهاب الى الحمام العمومي كل شهر مرة .

نستطيع اذن ان نقول : ان القصة المغربية ـ على نعومة أظفارها ـ قد نجحت فيتصوير جوانب من الحياة في المغرب . والامثلة على ذلك كثيرة بالاضافة الى ما سبق . فادب المقاومة سدت فيه القصة فراغا كبيرا وقامت بدورها الى جانب الشعر الشعبي والشعر الفصيح ، يتجلى هذا في قصة (عائشة) لعبد المجيد بن جلون ، وقصة (أرضنا العزيزة) للريسوني ، وقصة (خيبة الطالع) للسليمان . ومن القصص الحوارية قصة عبد الله شقرون (شيخ القرية) ومستوى الحوار فيها متوسط يهبط كثيرا عما يليق بهذا الفنان المسرحي ، ولكن عذره مقبول باعتباره داخلا في نطاق التجربة الحوارية بالقصة المغربية، وان كان هناك نموذج من الحوار السائغ يتمثل في القصة التمثيلية القصيرة (الطاحونة الحمراء) لعبد القادر السحيمي . أما قصة (في المدينة) لعبد الجبار السحيمي ، فهي محاولة لرسم صورة عن جوانب من الحياة المدنية الحديثة ، ولكنه يميل في هذه القصة الى الرمزية ويسرف في التخيل الذى يشوه جبروت الواقع . ولعل أروع نموذج للادب الهادف هو قصة (ترويض عبد) لاحمد البقالي . وقصة (زنيقة بين اللحود) لعبد الرفيع الجوهري تصور العقدة التي تنشأ من اسم الاسرة حينما يرميها سوء الحظ باسم قبيح يشعر بالذم ، فيظل بعض أفرادها من ذوى الاحساس المرهف، يمشون بين الناس على استحياء كان هذا الاسم القبيح محفور على جباههم . وقصة (الهواء الجديد) لمحمد زنيبر تعمد الى التحليل النفسي ، وتعجبني منها لقطة عن بائع الزهر .

« لولا الوهم »

من القصص التي نجحت في تصوير جانب من الحياة المغربية ، قصة (لولا الوهم) في الحديث عن السحر والشعوذة لعبد السلام بن بغداد ، وقصة (الفقيه البركة) لاحمد بناني .

تقول قصة (لولا الوهم) في بعض لقطاتها :

« .. وقمت الى (الخنشة) (٤) فاذا لم تحقق لي ما ارجوه ، فما فائدة بقائها عندى . كم اكون سعيدا عندما أرى (الحبيب) وهو يلج باب بيتي ذليلا .. ومن بين الاوراق الكثيرة وقع اختيارى على ورقة في أولها :

(باب ما يكتب « للمحبة المحرقة » : تكتب الحرز وتحوطه باسماء الطالب والمطلوب وأسماء أمهاتهما ، ثم تبخر الحرز أثناء العزيمة بميعة سائلة وحصى لبان ذكر ، ثم تدفنه في طريق مرور المطلوب ليتخطاه ترى عجبا بعد ذلك) .

كيف ؟ شيء سهل للغاية .. يبدو من هذا ان المطلوب بين يدى في قبضتي ، وقليل من « العمل » يجلب السعادة !! . وفي ضحى اليوم الثاني كنت عند العطار .. وفي دقائق معدودة كانت اللوازم في جيبي .. وبالقرب من حانوت العطار رأيت جمهرة من الناس ، ورجلا يقول لآخر :

انه شواف ، عفريت .. يبلغ للناس ما تكلفت الجن بالقائه على قلبه ، وتأملته فاذا هو في حالة نفسية ، والزبد يتطاير من شدقيه ، وقد انتفخت أوداجه واحمرت عيناه من شدة الصراخ ، انها حالة تلازمه كلما أراد كشف الاسرار وتمزيق

---

(٤) الخنشة هي ما تحفظ فيه الكتب بالبيت كالصندوق والعقيبة .

حجاب الغيب !! .. ولما جاء دوري نظر الى نظرة حادة واشترط لنفسه « الزردة » (٥) ـ فاجبت بالايجاب .. ثم صاح : اصحيح انك تستعد لمحاولة . قلت : نعم .. مد يده يطلب الوفاء فاخرجت من جيبي كل ما املك وناولته اياه .. وقمت لاودعه فقال مؤكدا : المطلوب بين يديك فلا تحزن !! .. وفي الدار اخترت مكانا منفردا وامام حفرة يتصاعد لهيبها وضعت البخور وشرعت في العزيمة .. دخلت الوالدة لبعض شئونها .. عادت ادراجها دون أن تقول شيئا . لان الاحراز والبخور وما يدخل ضمنها لا يجهله عندنا ذكر ولا انثى .. عدت الى الورقة لاتاكد بالتدقيق من اليوم والساعة حتى لا تنكر « الشمتة » . ومرة اخرى اطلقت البخور .. ومرة اخرى وضعت الحرز في المكان الاكثر جدوى .. وفي هذا الجو المضطرب وضعت يدي على الحرز وقلت : اين اتعابك يا عبد السلام اين انت ايها الوهم الكذاب . واين افتراءاتك ايها الشيخ الخداع ؟ . الم تقل لي فيما كتبته انه بمجرد الشروع في العزيمة واطلاق البخور تتسلط الجن عليها لتعبث بقلبها وتحول اتجاه فؤادها ؟ .. وفي باب المسجد ، وانا في اشد حالات الاضطراب وجدت الطلبة يتهامسون . فقلت : فيم تتحدثون ؟ قالوا : نزل بساحتنا فقيه قال عن نفسه انه فنان ، وقد قررنا استضافته للاستفادة من معلوماته السحرية .. » وهكذا يتتابع اقتناص الضحايا » .

وتقول قصة (الفقيه البركة) لاحمد بناني :

« عرفت الفقيه البركة وانا لا ازال في حداثة سني، وكان اذ ذاك شيخا وقورا ذا حظوة ومكانة، لا يدخل على قوم الا قاموا اجلالا واحلوه صدر المجلس ، ولا ينبسون ببنت شفة الا التماس بركته والتامين على دعائه الصالح ، يقدسه عامة الناس ويهابه ذوو الجاه والثراء ويحترمه العلماء ، لانه جمع بين علوم ، كل من يجمع بينها فله على ما يقال ، قدم راسخة في علوم الظاهر والباطن ، لا يشق له غبار في العلوم الدينية والاسرار العلوية ، واليه انتهى التحقيق في علم الاسماء فاصبح يشار اليه بالبنان . اذا استمعت الى العارفين به يحدثونك عنه ، خلته من المتصرفين في الكون، الآمرين الناهين في عالم الجن والارواح. قال لي يوما احدهم : اطلعت على فهرسته فالفيته اخذ عن جميع اجلة علماء وقته بمشارق الارض ومغاربها ، وقد وقفت فيها على اجازة بخط ابي زيد عبد الرحمن شمهورش قاضي الجن .. »

وبعد استعراض عينات من تجارب السحر والشعوذة ، تنتهي القصة نهاية تعليمية توحي بان تاثير السحر انما هو ايحاء نفسي وخديعة ، من نجا منهما بطل فيه فعل السحر والساحر . اي نعم ، القصة هي التي تنتهي هكذا !!

وهكذا نعود من الطواف بين ارجاء القصة المغربية الناجحة في هذه الاشواط التي قطعتها ، نعود بعد هذا الى ارقى نموذج للقصة المغربية في نظرنا ، ذلك النموذج هو قصة (المسعورة) لاحمد عبد السلام البقالي . واذا كان لا بد من وجود زعامة لكل شيء ، فان هذه القصة هي زعيمة القصة المغربية الان . واخترنا قصة تكون زعيمة القصص ، لانا لم نجد كاتب قصة يصح ان يكون زعيما لكتاب القصة في المغرب حتى الان. ولكنني متفائل ومعجب بهذا البعث الادبي الذي سيخلق فحولة في أدب المغرب لم تكن فيه من قبل.

وقصة (المسعورة) تستغرق أكثر من عشرين صفحة من القطع الكبير ، متزاحمة الصور متلاحمة الاجزاء متماوجة الحركة متينة النسج آسرة في السرد ، لايصلح فيها الاختصار ولو كان بمقدار. والعقدة فيها فتاة ذهبت ضحية التقاليد في مشكلة الزواج وتعارض هذه التقاليد مع نزوات المراهق الذي يبحث لنفسه في المجتمع الذي يعيش فيه ، عن وضع ما من الاوضاع لكي يصبح شخصا .

وفي صيف ١٩٦٣ قامت الحرب المؤسفة بين الجزائر والمغرب ، واشتد اوار المعركة ، وكان رد الفعل عنيفا في نفوس المغاربة واحلامهم وتطلعاتهم ، وبدا شعور مبهم يتفاوى في وجدان حملة الاقلام من الشباب ، واخذت التيارات المحلية والمستوردة تعمل عملها فوق تراب المغرب ، فتغيرت نبضات الحياة هناك ، وبدات القصة ـ كغيرها من فنون الادب ـ تبحث لنفسها عن اهتمامات جديدة . ■■

د. احمد عبد الرحمن عيسى
كلية اللغة العربية ـ الرياض

---

(٥) الزردة هي ما يتفق عليه من النقود أوحلاوة النجاح ، هكذا بطريق الابتزاز .



هذه هي حكاية أسنان طفلك

بقلم : الدكتور محمد صادق زلزلة

■ يعتمد الطفل في الاشهر الاولى من عمره على اللبن الحليب غذاء رئيسيا له • فهو يلائم معدته الدقيقة ، وقابلية الهضم فيها • وما يحويه اللبن الحليب من مواد غذائية تكفي تغذية الرضيع في اشهره الاولى ، يساعده في ذلك ما يخزن في جسمه ـ وهو في بطن امه ـ من مواد ومعادن يفتقر اليها الحليب ويقل وجودها فيه •

وعندما يتجاوز الرضيع بضعة الاشهر الاولى من عمره ، يحتاج جسمه الى طعام غير اللبن الحليب ـ من مواد نصف سائله وصلبة ـ ليمضي قدما في نموه ، وفي تهيئة طاقاته وفعالياته • فتبدو عنده الحاجة الى ظهور الاسنان • وتكون تلك الاسنان الاولى رقيقة رقة جسم الطفل نفسه، تبقى مدة ـ تطول او تقصر ـ فيستعاض عنها باسنان غيرها • وتسمى تلك الاسنان الاولى : الاسنان اللبنية •

ظهور الاسنان اللبنية

وتظهر الاسنان اللبنية ـ اول ماتظهر عادة ـ في الشهر الخامس او السادس ، واحيانا في الثامن ، من العمر • وقد يتاخر ظهورها ـ احيانا اخرى ـ حتى نهاية الشهر التاسع او العاشر • وهذه كلها تعتبر حالات طبيعية •

وتظهر الاسنان اللبنية الاولى في الفك الاسفل قبل الفك الاعلى ، وفي الاناث من الاطفال ـ على الغالب ـ قبل الذكور • وفي حالات نادرة تكون الاسنان اللبنية موجودة منذ الولادة !

ان اول الاسنان اللبنية ظهورا ، هما السنان القاطعتان المركزيتان السفليان • وبعدهما يظهر

سنان قاطعتان اخريان في الفك الاعلى • ثم يظهر ـ بعد ذلك ـ سنان قاطعتان جانبيتان في الفك الاعلى ايضا • ثم مثلهما في الفك الاسفل •وعلى العموم ، فان الطفل الطبيعي ، والمغذى تغذية حسنة ، يكون قد ظهر له ـ في نهاية السنة الاولى من عمره ـ من ٦ ـ ٨ اسنان • ولكن ذلك ليس معناه ان تقلق الام اذا قل عدد اسنان طفلها في نهاية السنة لاولى عن ذلك العدد • فان هذا العدد هو المعدل في حالات التسنن ، وظهور اسنان تقل عن ذلك العدد ليس معناه وجود حالة مرضية ،او امر غير طبيعي ،وان كانت استشارة الطبيب مفضلة آنذاك •

وعلى النقيض من ذلك قد يتاخر ظهور الاسنان حتى نهاية السنة الاولى ـ او ما بعدها ـ لوجود حالات غير طبيعية تكمن وراء ذلك • مثل « لين العظام » ـ الكساح ـ ، وحالة نقص افراز بعض الهرمونات ، كما في حالة نقص افراز الغدة الدرقية ، وحالة « المنغول » ، والضعف العام ، والهزال الشديد ، والاسهالات الشديدة المتكررة، وغير ذلك •

وعلى العموم ، فان الطفل ، في نهاية السنة الاولى من العمر ، وفي الحالات الطبيعية ، يمتلك ـ عادة ـ ست اسنان • وعندما يكمل السنةونصف السنة من عمره يمتلك عشرا او اثنى عشرة سنا• وفي سن السنتين يمتلك ست عشرة سنا • حتى يكمل السنتين ونصف السنة من عمره فيصبح مجموع ما يمتلكه الطفل من اسنان نحو عشرين سنا على الغالب •

آلام التسنن ومتاعبه

وبالرغم من ان التسنن عملية غريزية (فسيولوجية) ، تتبع قاعدة النمو في الطفل وتلازمها • الا انها قد تسبب له ازعاجات كثيرة ومتاعب جمة ، خاصة عند الطفل ذي الحساسية المرهفة ، والمزاج الرقيق الحاد • فيصبح ـ عند التسنن ـ حاد الطبع ، سريع التهيج ، شكسا ، معاندا متبرما ، يبكي لاتفه الاسباب ، ويصاب بفقد الشهية للطعام ، والارق وقت النوم ليلا يطرح رأسه على الارض • أو الفرش ، بين حين وآخر، ويحشو قبضة يده في فمه • وقد تتهيج اعصابه ـ في بعض الاحيان ـ فيشد اذنيه ، وقد يشد شعر رأسه احيانا •

أما في الحالات الشديدة ، فترتفع درجة الحرارة ـ درجة او درجتين ـ اياما قليلة • وقد يفقد الطفل شيئا من وزنه فيبدو النحول فيوجهه ظاهرا للعيان •

وعند فحص اللثة ، يتبين للرائي وجود تورم طفيف في موضع السن ، مع احمرار في اللثه • وقد يشعر الطفل بحساسية موضعية شديدة . كما يشعر بالم وحكه في موضع السن • وفي حالات قليلة ، قد يصاب الطفل بالقيء ، والاسهال ، والتشنجات •

ان بعض الامهات قد لا يلقين بالا ، ولا يبدين اهتماما ، عند تسنن الطفل ، بالرغم من وجود بعض الاعراض الشديدة احيانا : كالاسهال ، والحمى ، ونحو ذلك • فقد تعرض الام طفلها على الطبيب لمعرفة اسباب هذه الاعراض • فما يكاد الطبيب يخبرها ان الاعراض هي اعراض التسنن، حتى يهدأ بالها ، ويطمئن خاطرها ، وتترك الطفل لالامه يتجرعها ، ولمتاعبه يتحملها •

ان وجود مثل هذه الاعراض تستدعي العلاج ، سواء كانت بسبب التسنن ، او غير التسنن • وان الاطلاع على ان ما يعانيه الطفل ـ من الاموومتاعبـ هو من جراء التسنن ، لا يبرر للام ولا يجيز لها، ان تهمل علاج تلك الاعراض بحجة ان الامر مجرد تسنن بسيط ، ودور طبيعي يمر به جميع الاطفال في فترة التسنن •• هذابالرغم منان بعضالاعراض والاضطرابات عند الطفل ـ في فترة التسنن ـ قد يعزى سببها الى التسنن ، من غير حجة واضحة ولاقناعة كافية • الا ان على الام ان تهتم بنصائح الطبيب ، وان تطبق تعليماته ، وتعمل بارشاداته، بغض النظر عن الاسباب •

هل للتسنن علاج ؟

ليس للتستنن علاج دوائي معين • وانما نستطيع ان نخفف من آلام الطفل ومتاعبه ، وذلك بمعالجة الاعراض حسب ظهورها ووجودها • فتعطى للطفل بعض المهدئات حتى يستطيع النوم او الرضاع •

وكما تعالج حالات الاسهال او الحمى • ثم يجب العناية بتغذية الطفل خلال هذه الفترة الحرجة من فترات نموه ، فتستعمل الملعقة او الفنجان لتغذيته بدل الثدى او قنينة الرضاع ، خاصة اذا كانت اللثة حساسة ومؤلمة بحيث تصبح عملية الرضاع مزعجة للرضيع •

كذلك فان بعض الاطفال يصبح حساسا للاصابة بالتهاب القصبات عند التسنن • فتعالج الحالة – آ نذاك – تحت اشراف الطبيب •

تسوس الاسنان اللبنية عند انطفل

والمراد بالتسوس هنا : هو نخر جسم السن وتآكله بفعل بعض الجراثيم • ويحدث ذلك –عادة– بدون ان يشعر به الطفل او يحس بوجوده • وذلك لان التسوس – فى اول امره – لا يسبب انزعاجا• ولا يثير ألما ، وقد تكون الام اول من يكتشف وجوده وتشعر به ، وذلك حين يتكون الخراج فى جذر السن ، او اللثة ، فتصبح رائحة فم الطفل كريهة مزعجة• كما تبدأ صحة الطفل بالتاثر • فيصاب فقد الشهية للطعام ، وبعض الاضطرابات المعدية، والاضطرابات العصبية احيانا •

ويحدث التسوس فى الاسنان اللبنية ما بين السنة الرابعة والثامنة من العمر • وفى الاسنان الدائمة من الرابعة عشرة حتى الثامنه عشرة • ويعود سببه الى تناول الطفل بعض المواد السكرية – التىيحبها – بينوجبات الطعام ، واهمالالعناية بغسل الاسنان بعد تناول تلك المواد كذلك تناول بعض المواد النشوية ، وبقاء فضلاتها بين الاسنان، ومما يساعد على عملية التسوس وانتشارها ضعف الجسم العام ، والاصابة بلين العظام (الكساح)، وفقر الدم ، وسوء التغذية •

وقد يسبب التسوس امراضا اخرى • منهـا امتداد الالتهاب الى عظم الفك ، فيتورم الفك وقد يتكون الخراج فيه ، وترتفع درجة الحرارة • كما انه قد يسبب فقر الدم بتاثير ما يمتص من سموم الجراثيم الموجودة فى خراجات اللثة وفى محل التسوس • هذا بالاضافة الى ما يمكن ان تسببه فى الجسم بعض الجراثيـم الخاصة ، كالمكورات السبحية – مثلا – اذا كانت موجودة فى محـل التسوس ، من امراض خطيرة لامجال لذكرها هنا•

ومن ناحية اخرى ، فان وجود التسوس نفسه قد يسبب الما فى السن ينتج عنه عدم مضغ الطعام جيدا • فيصاب الطفل بسوء الهضم • كما ان قلع بعض الاسنان المتسوسة ، او سقوطها يجعل مكانها من اللثة خاليا ، فيتسبب عن ذلك عدم المقدرة على مضغ الطعام مضغا جيدا ايضا •

لذلك كله ، فان العناية بالاسنان اللبنية امر له اهمية كبرى •

العناية والوقاية

يجب الا تهمل العناية بالاسنان اللبنية بحجة انها « اسنان لبنية » ستعوض باسنان اخرى دائمة فهذا خطا شائع • ذلك ان للاسنان اللبنية علاقة وثيقة باستقامة ظهور الاسنان الدائمية تاثيرا مباشرا •

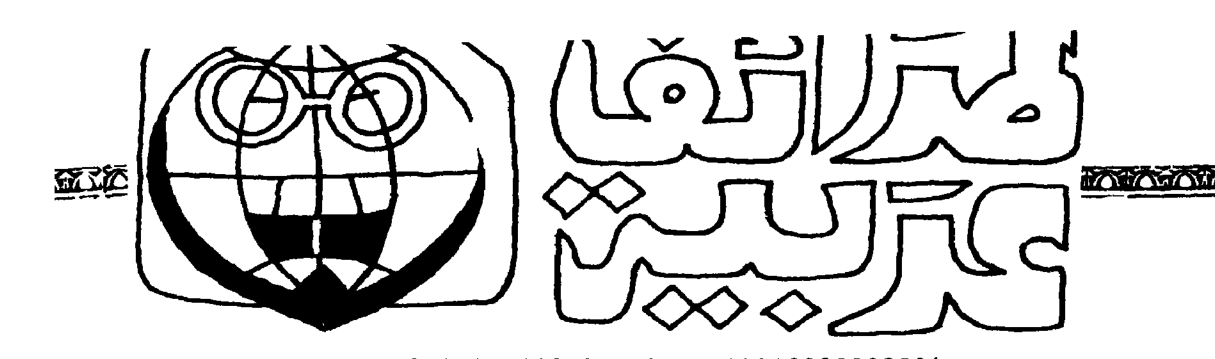
تقوم الام بتدريب طفلها على استعمال فرشاة الاسنان الخاصة به ، ولا حاجة لاستعمال معاجين الاسنان • اذ ان الغايه هى ازالة ما قـد يعلق باسنان الطفل ، وما يبقى بين فجواتها من بقايا طعام • وان تعود ولدها على غسل فمه واسنانه بعد تناول المواد السكرية (الحلويات) والمواد النشوية ، خاصة بين وجبات الطعام • كذلك يجب عرض الطفل على طبيب الاسنان مرة كـل ستة اشهر على الاقل –عندما يتجاوز عمره ثلاثسنوات– لفحص اسنانه ، والاطمئنان على سلامتها •

كذلك يجب الاعتناء بتناول الطفل كميات كافية من اللبن الحليب كل يوم ، بعد الفطام مع قطرات زيت كبد الحوت •

اما اذا حدث التسوس فعلا ، فيجب عندئذ قلع الضرس المتسوس ، وعلاج ما قد يوجد من التهابات وتقيحات فى اللثة فتتحسن عندئـذ شهية الطفل للطعام ، ويهدأ طبعه ، وتزول رائحة فمه الكريهة ويعود طفلا سعيدا ، مرحا معافى

■■

الكويت – د • محمد صادق زلزله



ماتت الكبيرة

● كان بمصر شريف من ولد أبي العباس يعرف بأبي جعفر الشق وكان من المغفلين البلهاء ، حكي أنه دخل عليه كاتبه وكاتم أسراره أبو الحسين فوجده يبكي بكاء شديدا وهو يقول : وانفصام ظهراه واهلاكاه واضيعتاه فقال أبو الحسين : ما للشريف لا أبكى الله عينه ؟ فقال : ماتت الكبيرة ـ يريد أمه ـ وكان بارا بها فقال أبو الحسين أحقا ماتت قال : نعم ! فأظهر الحزن والالم بما يتفق مع هول الصدمة ، ولكن أبو الحسين الكاتب أنكر الحال بعد قليل اذ لم يجد لموت الكبيرة دليلا فلا أحد يعزيه ولا في الدار حركة فبقى حائرا ،حتى أتت جارية فقالت للشريف : الكبيرة تقرئك السلام وتقول لك ماذا تأكل اليوم ؟ فقال الشريف قولي لها : متى أكلت قط بغير شهوتك . فقلت يا سيدى الشريف هل الكبيرة في الحياة ؟ فقال الشريف : وما تظن ؟ هل ماتت من حق ؟انما رأيت البارحة في المنام كأنها راكبة على حمار يسير بها في صحراء وعلى البعد منها اعرابي يردد هذا البيت :

اذا ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

امطرت

● يحكي ان امرأة الفيلسوف الكبير سقراط كانت كثيرة الاذى لزوجها بل انها كانت تكرهه وتضربه احيانا . حكي انها اقبلت يوما تسبه وتشتمه وهو غير مكترث بها يطالع في بعض الكتب ولا يلتفت اليها وكانت المرأة تغسل ثوبا ،فأخذت ماء الغسيل وسكبته عليه فقال سقراط حينذاك مازلت تبرقين وترعدين حتى امطرت .

من يستطيع ذلك

● أمر الوزير علي بن عيسى أبا عبد الله بن الجصاص أن يواتيه في الصباح الباكر ، ولكن ابن الجصاص تأخر عن موعده وآتاه نصف النهار فقال له الوزير علي بن عيسى ما الذى أخرك يا أبا عبد الله ؟ قال : بمحلتي أعز الله الامير كلاب تنبح الليل أجمع ، فأسهرتني البارحة ، فلما كان مع وجه السحر سكن نباحها فنمت وغلبتني عيني الى الان فقال له الوزير علي بن عيسى ومالك يا أبا عبد الله لا تتقدم في قتلها ؟ قال :ومن يستطيع ذلك أيها الوزير وكل واحد منها مثلي ومثل أبيك لحما وشحما رحمه الله .

بين الشدة واللين

● قال احد الحكماء :الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات : طبقة من خاصة الامراء تسوسهم بالعطف واللين والاحسان : وطبقة من خاصة الاشرار تسوسهمبالغلظة والعنف والشدة ، وطبقة من العامة تسوسهم باللين والشدة لئلا تخرجهم الشدة ويبطرهم اللين •

صلاة عجيبة

● قال أحد الاعراب خرجنا نريد البصرة فنزلنا على ماء لبنى سعد فاذا اعرابية نائمة فأنبهناها للصلاة ، فأتت الماء فوجدته باردا ، فتوجهت الى القبلة قاعدة ولم تمس الماء فكبرت ثم قالت : اللهمقمت وأنا عجلى وصليت وأنا كسلى فاغفر لي يارب عدد الثرى قال : فعجبنا وقلنا ما تجوز لك الصلاةوما هذه بقراءة!

قالت : والله ان هذه لصلاتى منذ أربعين سنة •

لا عليك يا أخي

● كان أمير المؤمنين عمر بن الخطابيخرج كل يوم الى خارج المدينة يتنسم أخبار معركة القادسية التى كانت تدوررحاها بينالجيوش الاسلامية وجيش فارس وبينما هو فى احدى غدواته وروحاتهتلك اذا براكب يركض بناقته نحو المدينة فى عجلة فأسرع اليه عمر قائلا : من أينيا عبد الله فأجابه الراكب ــ وهو لا يزال يركضبناقته ــ منالقادسيةيا أخاالعرب• قال عمر : حدثنى ماذا جرىلجيش الاسلام فقال الراكب : انتصروا والحمد لله قال :زدنى فأخذ الرجل يحدثه وهو يسرع السير وعمر بن الخطاب يخب بازائه فمازالا هكذا حتى بلغا المدينة فاذا الناس ينحازون الى عمر ويحيونه بتحية الخلافة•• فذهل الرجل وقال : هلا أخبرتنى من تكون •• فقال عمر : لا عليك يا أخي •

استعملت علمي

● قال رجل للمهلب بن ابى صفرةوكان منالقادة الاكفاء:كيف نجحتوبلغت ما بلغت من مركز رفيع تحسد عليه؟ فقالالمهلب : انى حققت ذلك بالعلم وحده فقال له الرجل : ولكنى ارى غيرك لم يصل الىما وصلت اليه وقد تعلم اكثر مما تعلمت بل بذل غايةالمجهود فى العلم ! فقال المهلب : ذلك لأنى استعملت علمى ولم احمله بينما حملهغيرى ولم يستعمله •

هل سأل أى واحد منا نفسه يوما : لماذا يحب زهورا أو أنغاما أو اشكالا بذاتها ، ويكره زهورا أو أنغاما أو أشكالا أخرى ؟

نحن نحب ونكره أشياء صغيرة جدا .. لماذا؟

بقلم : الدكتور انيس فهمى

لماذا نعتبر تنسيق الزهور بشكل معين اكثر جمالا من تنسيقها بشكل آخر ؟ أو لماذا نطرب لسماع نغمة معينة اكثر من طربنا لسماع نغمة اخرى ؟ لماذا يصل الامر بنا احيانا الى ان نحب بعض الارقام والكلمات والحروف الاخرى ؟

ان ميول الانسان وعواطفه الاكثر عمقا ليست شيئا غامضا يثير الحيرة ، فى أغلب الاحوال ، كما تثيرها بعض تصرفاته فى حياته اليومية من انعطاف نحو شىء ما أو نفور من شىء آخر . وعلى أية حال فان هذه النزوات والميول يجب الا ننظر اليها بخفة أو عدم مبالاة لان نتائجها الاجتماعية بعيدة المدى كما انها تثير الاهتمام من الناحية السيكولوجية .

القطاع الذهبى

فى أيام افلاطون وارسطو كانت هناك افكار متعددة عن طبيعة الجمال ، ومن بين هذه الافكار نبتت نظرية « المتوسط الجمالى » التى تقول أن الجمال مرتبط بعدم التطرف . وقد ظلت هذه النظرية سائدة الى ما بعد افلاطون وارسطو ، فان القديس اوغسطين ، على سبيل المثال ، قال ان المناظر تكون سارة للعين عندما لا تكون شديدة الاضاءة ، كما أن الاصوات تكون عذبة للسمع عندما لا تكون شديدة القوة أو شديدة الضعف .

وهناك مثل اكثر تحديدا للمتوسط الجمالى يطلق عليه اسم « القطاع الذهبى » ، وهذا يحدث عندما يكون الضلع الطويل فى المستطيل مساويا ضعف الضلع القصير ، اى ان نسبة الضلع الطويل الى الضلع القصير تساوى ٢ : ١ وفى العصور الوسطى كان يطلق على هذه النسبة اسم « النسبة الالهية » . وفى عصر النهضة وصف كيلر ، العالم الفلكى هذه النسبة بانها احدى كنوز الهندسة .

ان مثل هذه الافكار يمكن أن تفتح باب البحث فى موضوع التفضيل الجمالى ، وذلك بان يتحقق الانسان على سبيل المثال ، من وجود أو عدم وجود القطاع الذهبى فى اكثر النسب جمالا فى



عيون غالبية الناظرين • الا ان مجرد التفكير فى البحث فى موضوع التفضيل الجمالى كان دائما مكروها من بعض الفنانين ومن كثيرين من الناس ولعل ذلك راجع الى سوءفهم لاهداف البحث ، وذلك يذكرنا بمعارضة الشاعر كيتس العنيدة للبحث فى ألوان الطيف بوساطة علماء الطبيعة فى عصره •

وقد بدأت الابحاث التجريبية فى علم الجمال فى معمل العالم الالمانى فيشنر فى عام ١٨٨٠ ، ويعتبر علم الجمال التجريبى واحدا من اقدم فروع علم النفس التجريبى •

وبنهاية القرن التاسع عشر كانت الوسائل المستخدمة فى هذه الابحاث قد وصلت الى درجة عالية من الاتقان ، ولكن نتائج الابحاث لم تكن مشجعة • لقد اتضح ان المستطيل ، بأى نسبة من النسب ، كان يبدو جميلا فى عيون بعض الناس • وبالرغم من انالقطاع الذهبى كان شائعا ومعروفا ومحبوبا من الناس ، الا ان النسب الاخرى لم تكن مكروهة او غير مستحبة ، فى حين انه فى الموسيقى مثلا كان الناس جميعا ينفقون فى استهجان النغمات التى كانت تصدر عن أوتار ليست مضبوطة تماما • ونظرا لاختلاف نتائج الابحاث فى علم الجمال التجريبى فقد هبطت التجارب فىذلك الميدان خلال العشريناتوالثلاثينات من القرن الحالى •

نظرية التعرض

وبدأ الاهتمام بعلم الجمال التجريبى يزداد مرة أخرى فى أواسط الستينات ولا يزال كذلك حتى الان • وتتميز هذه النهضة الجديدة باختلافها التام عن المرحلة القديمة ، اذ ان لها أهدافا جديدة وطرقا ووسائل ونظريات واصبحت تسمى « علم الجمال التجريبى الحديث » • ومن ضمن علامات الطريق فى هذا العلم « نظرية التعرض » للعالم الامريكى روبرت زاجونك التى اعلنها فى عام ١٩٦٨ • لقد جمع زاجونك ادلة توضح بأن ميلنا للاشياء يزداد بزيادة معرفتنا بها •

ان التعرض المتكرر لمؤثر ما يزيد من ميلنا اليه . وبالرغم من أن هذه النظرية قد تبدو متعارضة مع تجارب الحياة اليومية التي قد تؤدي فيها زيادة معرفتنا بالشيء الى النفور منه ، الا ان الادلة التي استند اليها زاجونك كانت مقنعة تماما ، ولو أن بعضها ليست أدلة مباشرة . ان الكلمات التي نستعملها كثيرا في لغتنا تكون مألوفة لنا أكثر منالكلمات التي نستعملها قليلا . لقد وجد زاجونك مثلا أن كلمة « السعادة » نستعملها أكثر من كلمة « الشقاء » بمقدار خمس عشرة مرة ، كما اننا نستعمل كلمه « الجمال » أكثر من كلمة « القبح » احدى واربعين مرة .

واذا كانت لغتنا تعكس الحياة التي نعيشها فانه يمكننا أن نستنتج أن الاشياء تكون « حسنه » أكثر من كونها « سيئة » بمقدار خمس مرات ، وان الاشياء « تتحسن » أكثر من كونها « تسوء » بمقدار خمس وعشرين مرة ، واننا « نعثر » على الاشياء أكثر من ان « نفقدها » بمقدار أربع مرات ونصف ، وهذا على الارجح يعود الى أننا « محظوظون » أكثر من كوننا « غير محظوظين » بمقدار احدى عشرة مرة .

وبالمثل وجد زاجونك ان الوردة ، وهي أكثر الزهور شيوعا على لساننا ، أكثر الازهار حبا لدى الناس ، في حين أن زهرة الاقحوان تتخذ مكانا وسطا في شيوعها على ألسنة الناس وفي حب الناس لها .

وقد فعلزاجونك نفس الشيءبالنسبة للخضروات والمزروعات الاخرى فوجد ان الخضروات تتفوق على المزروعات الاخرى في شيوعها على ألسنة الناس وفي حب الناس لها .

على أن هذه الامثلة ليست مقنعة لتأييد نظرية التعرض لانها لا تثبت ان الالفة بالشيء تسبب الحب له ، لكن كل ما يمكننا قوله هو ان الحب قد يسبب الالفة ، فالناس قد يكونون أكثر ألفة للاشياء التي يحبونها لاي سبب من الاسباب .

ومن النظريات الاخرى نظرية تقول ان تفضيلنا لبعض الاشياء قد تكون له جذور بيولوجية ، تماما مثل مخاوفنا من بعض الاشياء . ان الكثير من الحيوانات مثل الطيور والثدييات يتولد عندها تفضيل شديد للاشياء المألوفة لديها ، وهي تكتسب هذا التفضيل نتيجة للمخالطة المستمرة بها منذ بداية حياتها . وهذا النوع من الاكتساب يطلق عليه اسم « التطبع » . ونفس الشيء ينطبق أيضا على الانسان .

علاقة الحب بالالفة

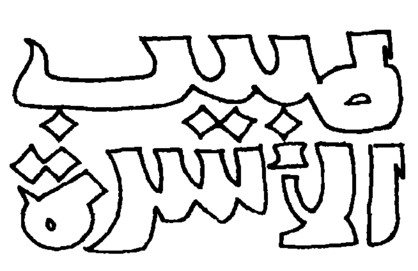
ان الالفة وحدها لا تجعلنا نحب الشيء او نكرهه ، ولكن من الثابت ان لها تأثيرا معينا في النواحي الجمالية . والذي يستحق أن نعرفه هو الكيفية والدرجة التي تؤثر بها الالفة في تطور ونمو حاسة الجمال عند الانسان . وقد قام بهذا البحث اثنان من علماء النفس بجامعة ليستر بانجلترا ، واتضح لهما ان حب الشيء أو الانجذاب نحوه يزداد مع ازدياد الالفة به ثم يصل هذا الحب الى ذروته وبعد ذلك يقل بالتدريج . وعلى ذلك فاننا نحب الاشياء التي نألفها بدرجة متوسطة ولكننا لا نهتم كثيرا بالاشياء الحديثة جدا في حياتنا أو بالاشياء المألوفة جدا لنا .

وتشير بعض الابحاث الى أن ذروة الميل للاشياء قد تحدث في وقت مبكر بالنسبة للاشياء البسيطة والسهلة الفهم ، كما انها تحدث في وقت متأخر بالنسبة للاشياء التي تبدو معقدة وصعبة على الفهم . ان الفصيلة الاولى تشمل الاشياء التي تجذبنا على الفور ولكنها سرعان ما تصبح أشياء مملة . في حين ان الفصيلة الثانية تشمل الاشياء التي ينمو ميلنا اليها أو حبنا اياها بشيء من البطء ولكن هذا الميل أو الحب يستمر مدة أطول .

ان البحث على هذا المنوال قد يساعدنا على تفسير الطريقة التي تتغير بها الازياء والموضات والتي يبدو انها طريقة عشوائية ، فموسيقى البوب ، طبقا للنظريات التي سبق ذكرها ، نتوقع ان تختفي سريعا ، وأزياء ملابس السيدات يجب ان تتغير بشكل أكثر بطئا ، كما ان المؤلفات الموسيقية الكلاسيكية يجب أن تكتسب شعبيتها أو تفقدها على فترات زمنية طويلة جدا . ويبدو ان تجاربنا العملية في حياتنا اليومية تؤيد الفروض النظرية في هذا المجال . ■■

القاهرة : د انيس فهمي





يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

قشور على الجسم

● **انا سيدة وعندى اطفال اعانى من وجود قشور دقيقة على جسمى الا انها تزداد خاصة بعد الحمام مع احمرار وحدوث حكاك واستعملت مختلف الكريمات الا انها لازالت تعاودنى ، فما هى وكيف اشفى منها ؟**

أن وجود قشور دقيقة على الجسم ليس مصدر قلق أبدا لأن الجسم عادة يكون مثل هذه القشور على البشرة ولكن يجب ملاحظة أنه اذا حدث أى اضطراب فى البشرة نتيجة بعض الامراض خاصة تلك التى تؤدى الى جفاف البشرة فان هذه القشور تزداد زيادة ملحوظة وتختلف فى اللون تبعا للمرض المسبب لها ، لذلك فقد يكون جفاف الجلد وزيادة القشور نتيجة للضعف العام أو سوء التغذية أو الامراض المزمنة، وقد يكون ناتجا عن اضطراب فى الهرمونات وضعف نشاط الغدد الدهنية والعرقية ، كذلك قد تنتج القشور نتيجة استعمال بعض العقاقير وعادة تخف حدة الجفاف والقشور تلقائيا فى فصل الصيف حيث الحرارة والرطوبة وزيادة الافرازات الدهنية والعرقية وتزداد فى فصل الشتاء.

أما زيادة القشور بعد الحمام مع حدوث الاحمرار والحكة ، فهذا ينتج من شدة سخونة المياه المستعملة فى الحمام مع طول فترة الاستحمام وكثرة استعمال الصابون والعطور بشكل ملحوظ مما يؤدى الى جفاف الجلد وظهور القشور والحكة . لذلك فانه يجب ان تكون مياه الحمام فاترة أو دافئة وليست ساخنة مع الاقلال من استعمال الصابون القلوى ويستعمل بدلا عنه الصابون المتعادل مثل صابون نيتروجينا وعدم ترك أى أثر للصابون على الجسم .

كما أن استعمال حمامات محلول ملح ٣٪ والجلوس فيها لمدة ¼ ساعة يوميا أو المراهم المحتوية على الملح بنسبة ١٠٪ تفيد كثيرا لازالة الجفاف والقشور ومن الضرورى دهان الجلد يوميا بالمراهم الملينة المحتوية على اللانولين والمراهم المرطبة للبشرة .

كذلك فان تناول فيتامين أ ، ب مركب يفيد كثيرا فى مثل هذه الحالات .



حكاية الحساسية

● هل لديكم تفسير للحساسية التي نصاب بها احيانا ؟

كريم جاد الله ـ اليمن الجنوبى

الحساسية او التحسس عامل اساسى من العوامل المؤثرة في قوة الدفاع الذاتية عند الجسم الحى · فكما يقول علماء الفيزياء ان لكل فعل رد فعل يساويه فى القوة والاثر فانه لكل جسم غريب يدخل جسم الانسان يتكون جسم مضاد له بالتحديد التام · وهذه القدرة فى الجسم الحى غاية فى الدقة بحيث انه يمكن استخدام هذه الخاصية للاستدلال على المواد غير المعروفة بمعنى انه اذا عرضنا جسما مضادا معينا معروفا لمجموعة من المواد المجهولة الصفات فانه لن يتفاعل الا مع مادة واحدة بذاتها ان كانت بين المجموعة المجهولة · ان هذا التفاعل دقيق الاختبار الى أبعد الحدود التى يمكن تصورها ·

غير ان الاجسام المضادة لا يمكن ان تتكون الا فى جسم حى ولا بد أن يكون ذلك كرد فعل لدخول مادة غريبة عن هذا الجسم · فمثلا التطعيم ضد الامراض هو عبارة عن ادخال جراثيم الامراض او افرازاتها التى تسبب الامراض الى الاجسام الحية بجرعات لا تسبب المرض ذاته ولكنها تنتج كميات من الاجسام المضادة كافية للتفاعل مع أى عدوى من هذه الجراثيم ذاتها فتقضى عليها وتمنع حدوث المرض ·

ولئن كان الامر سهلا فلماذا لا يكون التطعيم ضد كل الامراض ، وهكذا تختفى معظم الامراض المعدية مثلا · لكن القضية ليست بهذه البساطة لان القدرة على تكوين الاجسام المضادة دقيقة جدا ولايعد الحدود كما اسلفت · ولذلك فان التطعيم ينجح تماما كلما كانت الجرثومة المطعم ضدها ثابتة فى تكوينها البيولوجى كجرثومة الجدرى مثلا · اما الانفلونزا التى تغير كل حصاناتها البيولوجية بسرعة مذهلة فان تحضير اجسام مضادة متخصصة ضد كل نوع منها يصبح مشكلة عسيرة لكن من أمراض الحساسية ما ليس فيه جراثيم ولا عدوى ويظهر على شكل ازمات من الضيق الشديد فى التنفس او نوبات حادة او معتدلة من الهرش فى الجلد او العيون أو اسهال أو قىء أو اعراض عديدة يصعب تعديدها ·

واسباب كل هذه الاعراض واحدة من حيث الاصل · هى تعبير تختلف قوته وكذلك اثره عن قدرة الجسم الحى عن صد هجوم مضاد وقع عليه · ولتوضيح اكثر فلنتصور جسما حيا لا يمتلك اجساما مضادة لمادة ما فاذا حقناه بهذه المادة اول مرة فانه يبدأ فى تكوين الاجسام المضادة المتخصصة جدا ضد هذه المادة المحقونة وتبقى هذه الاجسام فى الجسم الحى لمدد تختلف من مادة لمادة وهذه ذاتها هى فكرة التطعيم · فاذا حقنا نفس المادة فى نفس الجسم مرة ثانية فان تفاعلا يتم فورا بين الاجسام المضادة التى تكونت من الجرعة الاولى وبين المادة التى ادخلت الجسم من الجرعة الثانية وعلى قدر عنف المعركة يكون الاثر الذى تبدو اعراضه على الجسم الحى · قد يستطيع تحملها ويمر الحدث بسلام وقد يصاب بأحد الاعراض التى ذكرت منها

يشكو من القرحة

● اجريت لى عملية جراحية فىمعدتى فى الصيف الماضى ولا زلت اشعر بضيق من التنفس واوجاع حادة احيانا فى ظهرى ، ارجو ان تفيدونى عن الاسباب وعما يجب ان امتنع عنه حتى تعود صحتى الى حالتها الطبيعية بعد اجراء العملية ؟

ـ ننصح باجراء فحص بالاشعة الملونةلمتابعة الحالة اذ انه من المعروف انهاحيانا تعود القرحة الى الظهور بعد اجراءالعملية وتعطى هذه الاعراض التى تشتكى منها ٠ واذا اظهرت الاشعة وجود هذه القرحة الجديدة فعليك مراجعة الجراح الذى اجرى لك العملية مرة اخرىللاستشارة فيما يمكنعمله اما اذا لم تظهر الاشعة وجود شيء غير طبيعى ولا تحليلالبراز المتكرر لوجود الدم فعليك اتباع الحمية اللازمة ونظام الطعام الخاص لدىمرض القرحة والتى يجب تنظيمها من سبل اطباء المغرب حيث ان انواع الاطعمةواختلاف مكوناتها تختلف من بلد الى بلد مع اخذ العقاقير المضادة للحموضة ٠

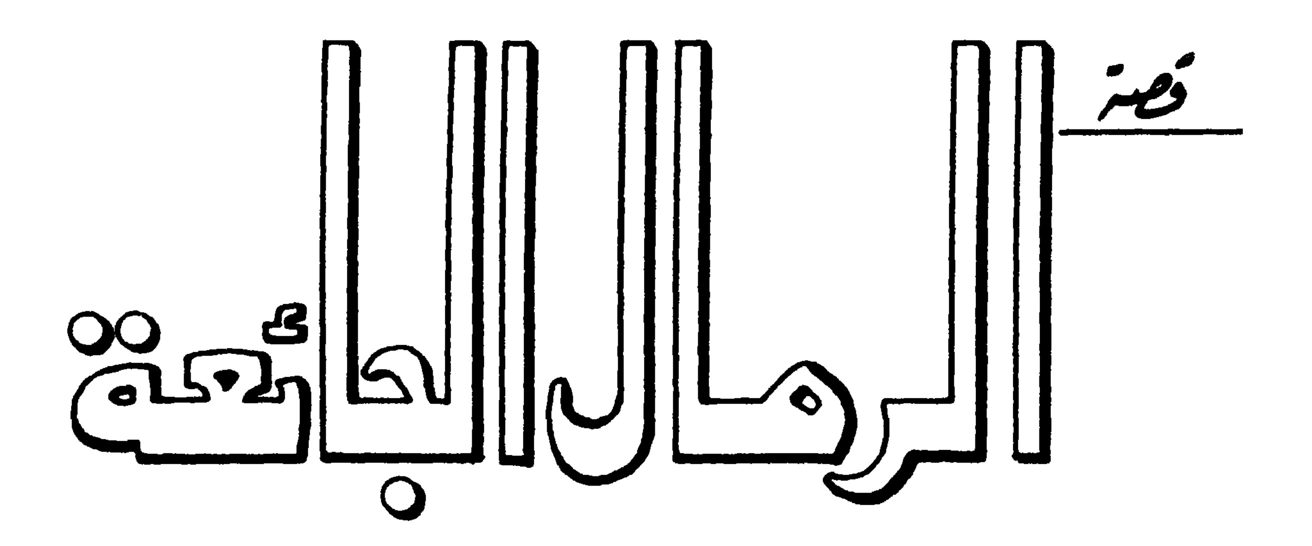
ضيق التنفس والهرش وغيرها وقد يصاب بصدمة عنيفة تفقده الوعى أو حتى الحياة ٠

من هنا يبدو أن فكرة التطعيم يقف خلفها مجهود كبير من الهندسة البيولوجية لتقديم النوع والكم المناسب بحيث يدفع عن الانسان العدوى ولا يكلفه الكثير ٠

فاذا كانت القضية عبارة عن تفاعل مواد مع اجسامها المضادة وبهذا التحديد البالغ الدقة فلماذا يصاب انسان بعرض منها كضيق التنفس أو الهرش أو الاغماء ولا يصاب غيره حتى لو حقن بجرعات أقوى ؟ ولماذا يكون نصيب مريض ما ضيق فى التنفس بينما يكون نصيب الاخر هرش حاد أو مزمن ؟

والاجابة تكتنف الحياة كلها من اولها الى اخرها فمن يوم حدث التلقيح وقد انتقلت كميات من الاجسام المضادة او القدرة على تكوينها من الام والاب الى الجنين وتظل هذه الكميات وهذه القدرة تنمو كما ونوعا بزيادة تعرض المخلوق الجديد للعديد من المواد فى هذه الدنيا٠ يتعرض فى الرحم ويتعرض خارجه ٠ ومن الواضح ان درجة التعرض للمواد الغريبة لا بد ان تختلف من فرد لفرد ومن الواضح ايضا ان قدرة انسان ما على تكوين اجسام مضادة لا بد ان تختلف عن قدرة انسان اخر على ذلك من حيث النوع والكم لان ذلك يعتمد على عوامل عديدة ومختلفة وصعبة التحديد بحيث يمكن ان يولد انسان وهو فاقد القدرة على تكوين الاجسام المضادة أو أن قدرته علىتكوينها ضعيفة ومحدودة وقد يتعرض انسان للاشعاعات ذات الاثر الضار على الاجهزة التى تقوم بتكوين هذه الاجسام٠

ان التمايز بين الافراد هى احدى قدرات الله سبحانه وتعالى وليست البصمة فى الاصبع هى فقط الشيء الوحيد الذى لا يمكن ان يتكرر ولكن الانسان كله لا يمكن ان يتكرر وهكذا يختلف الناس فى الاستجابة لاثر مادة على اجسامهم ٠ وسبحان الله العظيم ٠



بقلم الدكتور : شكرى محمد عياد

● عندما كنت صبيا ، كان جدى يقف بى عند اشجار الاثل التى تمتد بحذاء حقلنا ويشير بسبابته :

ـ هذه الرمال الصفراء اكلت قرية آبائى واجدادى • وغدا تاكل قريتكم هذه •

كان قلبى ينقبض لنبوءته • ولكنى لم اكن اجسر ان اساله : كيف اكلت الرمال قرية آبائه، ولا لماذا يتحتم ان تاكل قريتنا •

وعندما اصبحت غلاما يافعا ، سالت ابى ذات صباح ، وكانت الشمس تغمر باشعتها حقل الشعير الذى نضجت سنابله ، فتحيله الى سبيكة عظيمة من الذهب :

ـ هل كانت لنا قرية قبل هذه ؟

فنظر الى دهشا وقال :

ـ اتراك كنت تحلم ؟ انا ما عرفت غير هذه القرية ، فيها ولدت ، وعلى ارضها نشات والي ترابها اعود •

قلت :

ـ وجدى ؟

فصمت قليلا ، ثم تمتم غير حافل :

ـ جاء من قرية اخرى ، وكان شابا عزبا ،فزوجه اهل هذه القرية من امنا ، فنحن لا نعرف غير هذه القرية ، ولاقرابة لنا غير اخوالنا •

وتولى عنى الى السقيفة فجاء بمنجلين ،ناولنى احدهما ، ووقف عند أحد طرفى الحقل ،وامرنى ان اذهب الى الطرف الاخر ، وكنت أرمقه من بين حبات العرق التى اخذت تتصبب على جبينى وتسقط على عينى ، فاراه منحنيا على منجله، مزموم الشفتين ، وجهه كالصخر ، يرفع منجله ثم يهوى به ، واحد ، اثنان ، واحد ، اثنان •

★★★

ومرض جدى مرض الموت • فانحنيت على فراشه وهمست فى اذنه :

ـ جداه • الا تحدثنى عن قرية آبائك ؟

فالتفت الى • وبدت لى عيناه كبحيرتين عميقتين • لم أر صورتى فى انسانيهما وهو يتحدث ، ولكنى رايت حقولا خضراء يانعة، ورمالا صفراء ذهبية تنساب كالافاعى ، ثم تغمر كل شيء •

ـ لم تكن قرية آبائى تختلف عن قريتكم هذه ، سوى انها كانت تبدو فى عينى اعظم سعة ، واكثر جمالا ، وكانت تحيط بها اشجار الاثل من كل جانب ، كقريتكم هذه ،ومن ورائها الصحراء • وذات صباح صحونا فراينا الرمال الصفراء تلتف باشجار الاثل كالحلق • لم نكن ندرى ان حلق الرمال هذا اقوى من حلق الحديد • لكان الصحراء



بدات بحراس القرية فكبلتهم قبل ان تبدأ عملها الجهنمي • ولم يبال اهل القرية بهذه الدوائر الصفراء التى تحيط بجذوع الاشجار وتتسلل بينهما كالافاعى ، فقد كانت زهور الحقول لاتزال زاهية بالوانها الحمراء والصفراء والبيضاء فوق ارضية خضراء ريانة • ولكنا صحونا ذات صباح فراينا الرمال قد سدت القنوات وطمت الابار • فاهتممنا • وظللنا نعمل حتى غربت الشمس •

نضرب بالمعاول ونحمل بالمكاتل، حتى رددنا الى الصحراء معظم ما اعارتنا اياه من رمال • ونمنا كالموتى من الاعياء وصحونا على جلبة ما سمعنا مثلها قط • كانت رياح السموم تهب شديدةمرتين او ثلاثا فى العام ، ولكننا ما سمعنا قط ولا راينا مثل هذه الريح • صفير يصم الاذان ، وفرقعة مدوية كالرعد • لم نكن ندرى أفى ليل نحن ام فى نهار • نظرنا من الكوى فلم نر الا صفرةكصفرةالموت ، وكادتالرمال تعمينا•سددناكل نافذه واحكمنا كل باب ، ولكن الرمال ظلت تنفذ الينا فى داخل الدور وكانها تخترق الجدران نفسها • لم نكن نستطيع ان نتنفس ، كنا غرقى فى بحر من الرمال • وكنا وسط عويل الرياح نسمع انهيار البيوت وتقصف الاشجار • لم ادر كم مر بنا على هذه الحال • ولكنى رايت اهلى جميعا يموتون • كانت تجحظ عيونهم كعيون المخنوقين ، ثم يلمع فيها رعب وحشى ويسلمون الروح • وكنت اسدل الاجفان على تلك العيون ورعبها المتجمد ، واسال نفسى متى تحين ساعتى انا الاخر • ولكننى شعرت فجاة بالصمت • صمت لايمكننى أن أصفه ، وكان الحياة انتهت من على سطح الارض • صمت كبير ، تخاف ان تتنفس فيه لئلا تسمع صدى انفاسك • كان هذا رعبا جديدا لم يخطرلى على بال ، وشعرت انى على شفا الجنون ، فاسرعت الى الباب • حاولت ان افتحه ولكن الرمال التى نفذت من شقوقة اقامت تحته سدا كالرتاج • جريت الى سطح الدار • لم ابصر السلم ولكنى رايت تلا من الرمال ينهال على جثث اهلى • زحفت على اربع لعلى استطيع الوصول الى السطح ، واذا برجفة كادت تنتزع قلبى من بين ضلوعى • نظرت فلم ار سقفا ، ولكنى رايت لاول مرة منذ دهر لا أعيه ، لون السماء !

لقد انهار السقف بما عليه من اكداس الرمال، وشعرت كانى خارج من ظلمة قبر • ولكن ماذا اصنع وحولى هذا البحر من الرمال ؟ لم اعد استطيع ان افكر فى شىء او افعل شئيا شعرت بالسعادة فقط لانى ، قبل ان اموت ، رايت لون السماء ، وشعرت انى فى الجنة اسبح فى غدير اصفى من البلور ، وتسقط فى فمى حبات من عنب له حلاوه تفوق الخيال • وانتبهت فاذا قطرات تبلل وجهى ! مطر ! قمت وقد زال كل مابى من اعياء ، وسرت فوق ارض لبدتها المياه ، حتى بلغت قريتكم هذه ، وكتبت لى فيها حياة جديدة ، وبدلت من اهلى اهلا ، ورزقت بنين وحفدة •

صمت جدى ، ودارت عيناه فى انحاء الحجرة ، وكانه يودع كل شىء فيها ، ثم نظر الى بحنان ، ووضع راحته اليمنى على ظهر يمناى التىاستندت بها الى حافة سريره ، وانا منحن التقط كل كلمة من كلماته • كانت راحته دافئة ، لا ادرى امن الانفعال ام منالمرض • وتحولت عيناه الى السقف، وتمتم :

ـ نفسى تحدثنى اننى أجرمت اذ جئت بكم الى هذه الحياة • تزرعون وتحصدون ، تلدون وتعمرون ، ثم تحصدكم الصحراء •

★★★

فى ساعة الغروب ، يملأ قلبى حنين غامض •

اخرج الى ظاهر القرية ، واسير بحذاء اشجار الاثل ، بين الحقول والصحراء •

انظر الى قرص الشمس يذوب فوق الرمال ، وتسبح روحى مع الشفق الهارب ، لتلتقى مع روح جدى •

فى ذلك المساء ، رايت ما كنت اخشاه •

رايت حلق الرمال يحيط بجذوع اشجار الاثل • فرجعت اعدو ، واصيح فى الطرقات : القرية تغرق ! القرية تغرق !

كان الناس قد آووا الىبيوتهم، ففتحوا الابواب، ونظروا الى دهشين ، قال بعضهم لبعض :

ـ لماذا يصيح هذا الفتى ؟

واغلقوا الابواب •

مضيت أعدو واصيح • فخرج الى شيخ ابيض اللحية ، ضاحك السن ، واخذ بيدى ، وقال لى ملاطفا :

ـ هون عليك يافتى . نحن هنا بعيدون عن البحر بمئات الاميال ، فكيف تغرق قريتنا ؟

غاظنى سؤاله . فصرخت فى وجهه :

ـ اتخافون البحر وتامنون للصحراء ؟

بدا الناس يتجمعون حولنا . قلت لهم :

ـ اخرجوا الى ظاهر القرية . ابتعدوا قليلا عن بيوتكم وحقولكم . انظروا الى اشجار الاثل. انظروا الى الرمال تحتها . ستبتلعكم الرمال الجائعة كما ابتلعت قرية جدى . فكروا كيف تدفعون ذاك البلاء ، او اجمعوا ابناءكم وماشيتكم وامتعتكم وانطلقوا الى ارض جديدة ، قبل ان تهلككم هذه الرمال .

قال بعضهم لبعض :

ـ جده كان رجلا طيبا . ولكنه كان مختلط العقل . كان يحدثنا عن ريح عاصفة دمرت قرية آبائه .

صرخت فيهم :

ـ جدى كان اعقل العقلاء . لماذا تقعدون هنا وتمصمصون شفاهكم ؟

امضوا الى ظاهر القرية ، وانظروا الى حلق الرمال . لا يزال بمقدوركم أن تنجو بانفسكم واهليكم .

التفت بعضهم الى بعض وقالوا :

ـ نحن متعبون . غدا حين نذهب الى الحقول نعلم ان كان ما قاله الفتى حقا .

دخلوا الى بيوتهم واغلقوا الابواب . مضيت الى دارى يائسا . لم اجد احدا يستمع الى . ارقدونى فى فراشى وقدموا الى شرابا ساخنا . قالوا لى : نم الان . النهار له عينان .

قعدت انظر الى النجوم من كوة عالية فى الجدار. كانت تتالق فى سماء صافية زرقاء ، وخيل الى انها تبسم لى . وامتلات نفسى بنشوة عجيبة ، ونسيت كل ماقلته عن الصحراء ورمالها الجائعة. ونمت نوما عميقا . واصبحت فمضيت مع اهلى الى الحقل ، ورحنا نخطط الارض ونلقى فيها بذور الشعير ، ونجمع الثمار من شجيرات البرتقال وعدنا مع المساء متعبين وسعداء .

لم اسال الذين صرخت فيهم بالامس : هل ذهبتم الى مشارف الصحراء ؟ هل نظرتم اسفل اشجار الاثل ؟ فقد نسيت الامر كله ، ولعلهم كذلك نسوه . ولكننى شعرت بالكآبة هذا المساء ، فخرجت الى ظاهر القرية كعادتى ، وتمشيت بين الحقول والصحراء ، فكاد قلبى يقف من الرعب : الرمال تتسلل من بين جذوع الاشجار كالافاعى، وتزحف على خضرة الحقول . عدت الى القرية اعدوا واصيح كالمجنون . كان اهل القرية كعادتهم ضجرين ومتعبين . امسكوا بى وقيدونى ، وكمموا فمى ، ودفعوا بى الى هذه الحجرة التى لا ارى فيها ارضا ولا سماء ، لا انطق ، لا اتحرك ،ولكننى أحلم بارض جديدة ، تجرى من تحتها الانهار ، ويلثم قدميها زبد البحر .

■■

القاهرة ـ د. شكرى محمد عياد

٣ أخطاء لامير المؤمنين

بينما كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يطوف بانحاء المدينة ليلا ، احس بجماعة يجتمعون على مجون ، فتسور عليهم منزلهم ،وفاجاهم فى لهوهم ومجونهم ، ففزعوا ، ولكنهم كانوا على قدر من الشجاعة .

قالوا : ياامير المؤمنين ، لئن كنا قدارتكبنا خطا فقد ارتكبت ثلاثة .

قال : «ما هي ؟!

قالوا . قال الله تعالى « ولا تجسسوا »وقد تجسست . وقال : « واتوا البيوت من أبوابها » وقد تسورت . وقال : « لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها » ولم تفعل !!

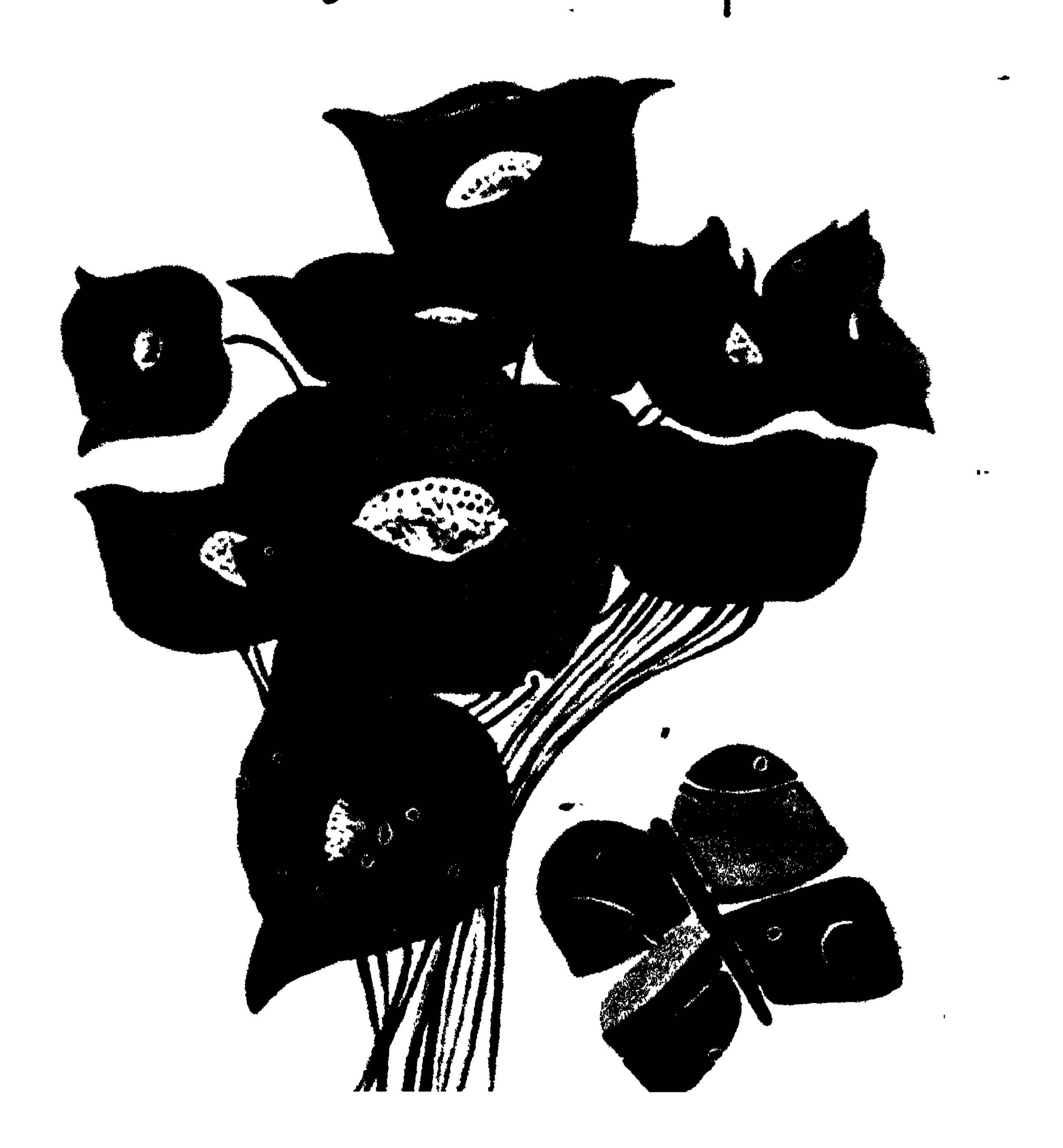
فعجب عمر من فقههم ، واعتذر لهم ،كما اعتذروا اليه ، وعاهدوه على أن يتوبوا.

جاذبية الحسيني

رسامة الحزن العادي

« عندما رسمت الزهور كنت ازرعها على قبر امي . كانت مرحلة من التعاسة اجتزتها وعدت الى لوحاتي الاخرى .. عدت الى الحزن العادي ».

بقلم : فهمي هويدي





يافا : هى تطل هذه المرة على البحر ، الاحساس قوى بالمكان ·

تصوير : اوســـكار مترى

بيروت وسط النار أثناء الحرب · شريط رفيع
تكاد تطبق عليه النيران ·

هي « فلسطينية » وكفى !

لقد صارت الكلمة تعني الكثير ،وتغني عن كل تعريف • صارت تعني التشرد والضياع • الحزن والخوف • المأساة المستمرة • المستقبل المجهول •

هي جمانة الحسيني ، ابنة الزعيم الفلسطيني المعروف امين الحسيني ، الذي عاش مراحل مقاومة الاحتلال الصهيوني قبل التقسيم ، ورأس حكومة فلسطين في المنفى ، ومات منذ ثلاثة اعوام •

لا تعرف شيئا في السياسة ، ولكنها اختلطت بالدم في عروقها منذ الصغر • يستعصي عليها فهم الكثير مما يدور حول القضية الفلسطينية ، رغم ان عينيها لا ترى الا فلسطين، وريشتها لا تسجل الامراحل المأساة • في دائرة الوعي تحيرها اسئلة كثيرة ، بينما تعشش في اللاوعي حقيقة واحدة قاطعة هي : العودة • هاجرت من فلسطين منذ حوالي ثلاثين عاما ، ولكنها بقيت هناك ، وما زالت الى الان تطوف بالقدس وحيفا ويافا واريحا •

عمرها ٤٥ عاما • أم لثلاثة أولاد • ترسم بمعدل ١٠ ساعات كل يوم • صورها طافت عواصم أوروبا والولايات المتحدة الامريكية وأغلب الدول العربية • وآخر معرض لها اقيم اخيرا بالكويت •

جمانة الحسيني الفنانة ولدت منذ عشرين عاما، ورحلتها مع الفن التشكيلي تكاد تكون هي ذاتها صورة لتطور الظروف التي مرت بها القضية الفلسطينية •

وفي الفن ـ كما في السياسة ـ هناك كثيرون يعيشون القضية بصدق ، وكثيرون يتاجرون بها • وجمانة الحسيني واحدة من الفريق الاول ، رغم انها لا تصنف نفسها ضمن اى فريق ، وتقول فقط: الرسم هو الشيء الوحيد الذى « يعبي » حياتي • لا اختار موضوعا بذاته • ارسم فقط لانني اريد ان ارسم • لكن فلسطين كانت في كل صورة ، حتى دون وعي او قصد مني •

الوطن المفقود

بعد التقسيم بثماني سنوات بدات ترسم • بيدها اليسرى بدأت تخط أول لوحاتها في عام ١٩٥٦ • كانت قد صارت طالبة في الجامعة الامريكية ببيروت تدرس العلوم السياسية ، بعد ان نزحت الاسرة الى لبنان ضمن طابور اللاجئين الطويل الذى غادر فلسطين بعد الاحتلال الاسرائيلي • اثناء الدراسة في الجامعة تقدمت في القسم الحر لدراسة الرسم ايضا •

وكانت هذه هي البداية ••

كانت لوحاتها تعكس الضياع بكل معانيه • الوطن المفقود • الاشلاء • اشلاء البشر والحيوانات وبقايا المخطوطات القديمة • في الصورة الواحدة كان يختلط كل هؤلاء • رؤوس واقدام واصابع



جمانة الحسيني وسط لوحاتها •



هكذا رات ماساة تل الزعتر وجسر الباشا ،القتامة تتمدد في كل منهما والسماء حمراء بلون الدم . والفرس العربي ـ الفلسطيني ـ منطلق رغم كل ما جرى . الى وطنه .. ربما !

على اوراق تحمل كتابات قديمة وقطع متناثرة من خيول وطيور .

حيث كان المستقبل مجهولا وغامضا ، وحيث صورة الرحيل ما زالت حية في الاعماق . والوطن المغتصب يئن تحت اقدام الغزاة القادمين من انحاء العالم . يجمعهم هدف واحد ، هو انتزاع الارض وتشريد اصحابها .. وقتئذ لم تجد شيئا تقوله غير هذه التكوينات ، مسجلة بها شهادة ادانة للعدوان .

لم اكن اقصد هذا المعنى ـ تقول هي ـ لكني فقط كنت ارسم واعبر عن نفسي .

الان اوافق على ما تقوله . انا لا ابدأ الرسم وفي ذهني فكرة مسبقة . لكن العكس هو الصحيح، فانا امسك الريشة واغمسها في الالوان ثم اترك نفسي على سجيتها .

« شويه شويه الاقي حالي » ـ تضيف جمانة ـ وتولد الصورة .

وهكذا كان « حال » جمانة عندما بدات ترسم. تعيش الضياع وتتجرعه . وتسكبه الوانا وخطوطا وتشكيلات في الصور . تمسك بقايا القديم وتنسج منه شيئا جديدا .

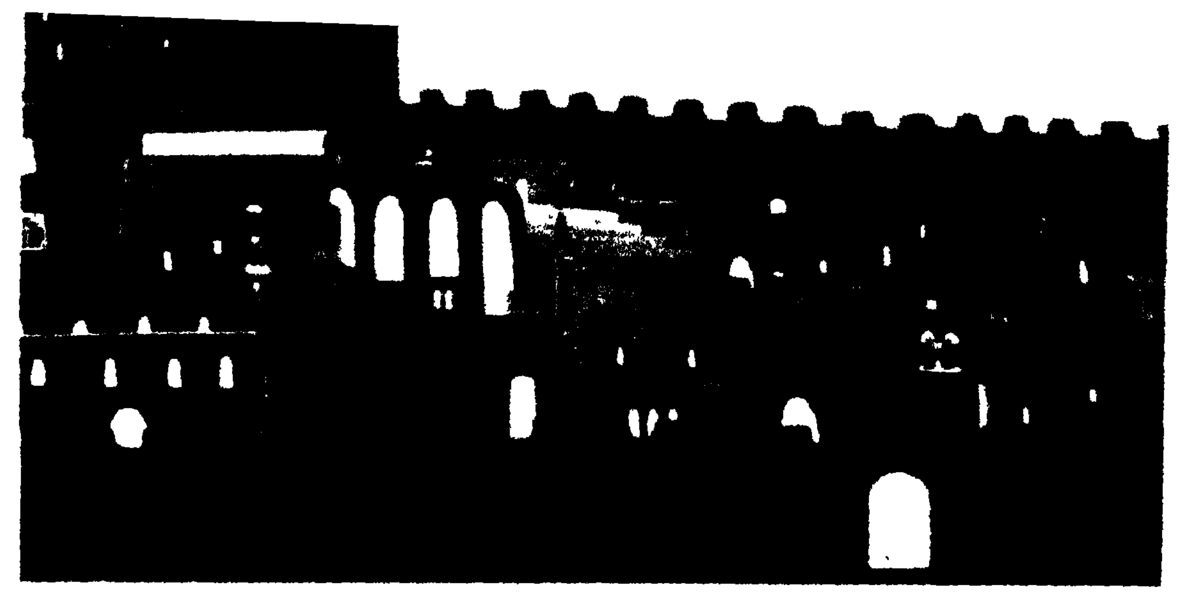
وهي كذلك ، زارها في عام ٦٥ احد الفنانين اللبنانيين المقيمين في لندن ، حيث اثارت صورها انتباهه ، واصر على ان يحمل معه نماذج منها ، ليقدمها الى مدير صالة العرض التي يتعامل معها في لندن .وبعد ايام جاءتها دعوة لتقيم اول معرض لها في لندن .

وكان المعرض بعد ذاته اعلانا رسميا عن اكتشاف الفنانة جمانة الحسيني ، طافت معه دول اوروبا ، وعرضت في ابرز عواصمها ، وعبرت لوحاتها الاطلنطي الى الولايات المتحدة . وكانت خطوطها المتميزة وصدقها البالغ في التعبير في كل مرحلة ـ هما جواز مرورها بتلك العواصم .. وما زالت .

مع مولد «فتح»

عندما حكت لي عن المرحلة الثانية في رحلتها ، قلت : هذه اذن مرحلة «البحث عن الوطن» . لكنها عادت تقول ببراءة شديدة : ما بعرف . سمها ما شئت ، لكنها « هيك صارت » .

ومضت تحكي : وجدتني بعد ذلك اعود الى فلسطين . ارسم الازياء والنقوش التي تعشش في



نموذج من تكوينات جمانة • يتكرر في كل مدينةعربية •

اعماقي منذ الصغر • كنت اسأل امي عن تفاصيل الحياة التي افتقدها في فلسطين ، العادات القديمة في الزواج مثلا ، ليلة الحناء وحمام العروس والزفة • كانت امي تروي لي القصص وانا ارسم •• رسمت ايضا حفلات طهور الاطفال ، مواكب العيد والسمر والفرح والحزن في فلسطين •

كانت الساحة الفلسطينية مليئة بمشاعر الحماس والتفاؤل ، وكانت هذه الفترة مقترنة ببدء تصاعد نشاط المقاومة الفلسطينية ، خصوصا بعد ما اعلن عن انشاء منظمة فتح في عام ٩٦٥ وبدء عملياتها في الارض المحتلة •

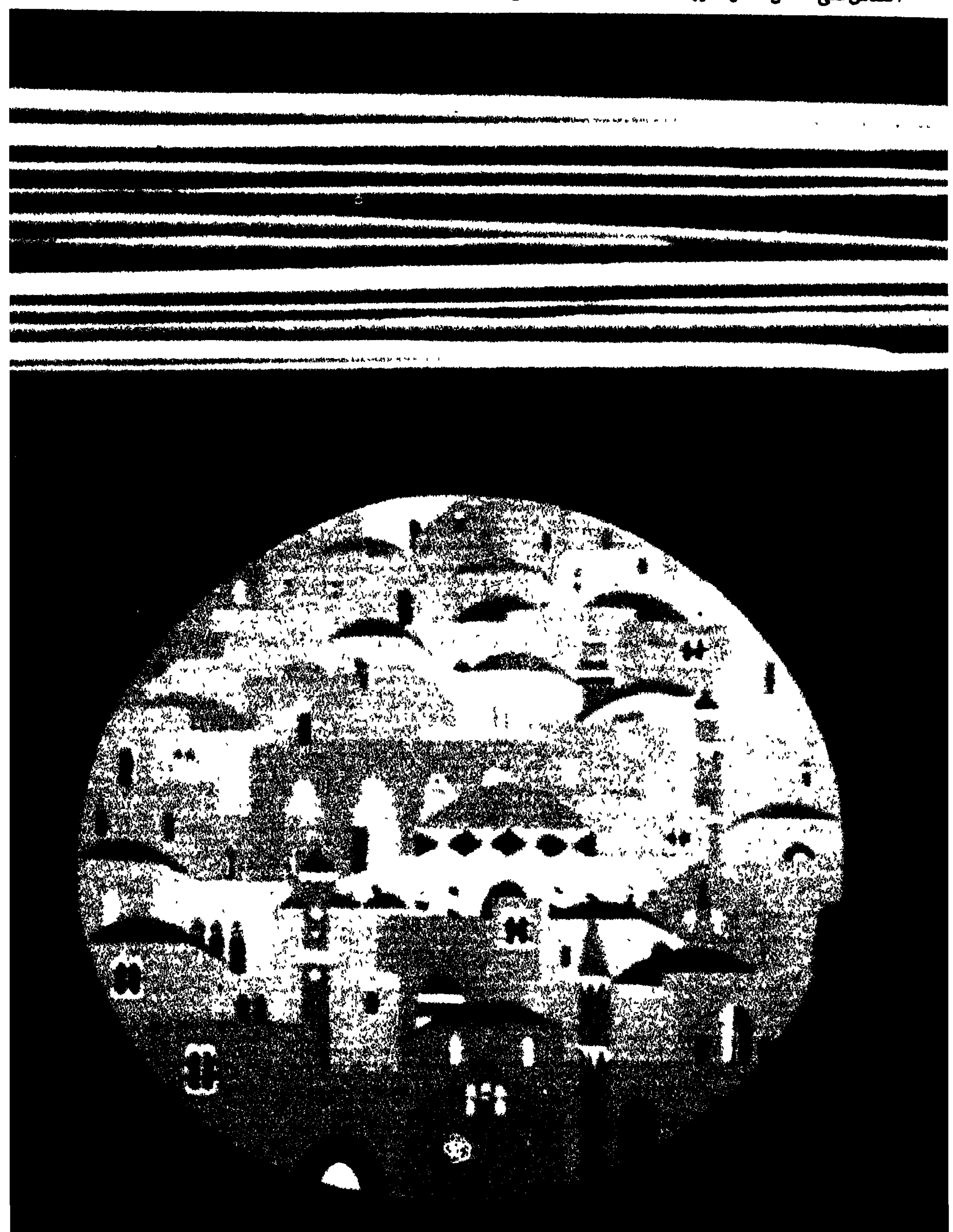
استيقظ الاحساس بالوطن الضائع • وسجلت جمانة على لوحاتها ابياتا من قصائد شعراء الارض المحتلة ، محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وغيرهم •

كانت صورها تحمل وجوها بغير معالم ، بغير عيون وانوف وافواه ،لكن الثياب والازياء الفلسطينية هي ابرز ما يشد العين فيها • كانها تقول ضمنا : لا يهم من هؤلاء • الاهم انهم فلسطينيون ، لا يكفي انهم بشر ، فالعلم مليء بالاف الملايين من البشر • ولكن وسط هذا المحيط الهائل هناك ثلاثة ملايين فلسطيني ضائعون ، يواجهون محاولات



« قرية » •• في نهاية العالم تتمدد •• التلال وراء الشمس والقرية عند التصاق التلال بالسماء هل هو الوطن المفقود ؟

القدس على شكل دائرة، فيها ولدت جمانة الحسيني، ترى فيها العالم كله .. هي الكرة الارضية



التذويب ويقاومون الموج الجارف ٠٠هم هؤلاء ٠

تسمع جمانة تبتسم وتقول : صدقني لم اقصد ان اقول شيئا من ذلك كله ٠ كنت ارسم فقط و٠٠ « هيك لقيت حالي » ٠

بين البشر والقدر

الان تقول صور جمانة شيئا مختلفا ٠

احساسها بالمكان اقوى ، يفوق احساسها بالكائنات الحية ، واحساسها بالطبيعة والقدر اكبر واكبر ٠

رسمت اريحا والقدس ويافا وحيفا وبيروت ٠ البيوت بعيدة ، صغيرة ودقيقة للغاية ٠ وهي في النهاية مجرد بقعة في محيط . او شريط رفيع يتمدد وسط الكون ٠

البحر والشمس والجبل ، الطبيعة باختصار ، تقتحم العين وتطل من الصورة بصمت جليل ومهيب ٠

في هذه المرحلة الثالثة التي تمر بها جمانة الان ، غاب الانسان بينما لا ترى غير المكان ، لكنه بعيد بعيد ، او هكذا على الاقل رسمت مدن فلسطين ٠

هذا المعنى اكدته جمانة في لوحة تحمل اسم « قرية » ٠ قرية مجهولة لكنها موجودة ٠ قرص الشمس الساخن يتصدر المشهد ، وخلفه ثلاثة صفوف من التلال الداكنة التي تلتصق بالسماء في النهاية ، وعند نقطة الالتقاء بين التلال والسماء تتمدد القرية ببيوت بيضاء صغيرة . كانها ريشة في مهب الريح ٠

وراء الشمس ، وبعيدا عن طرف الكون تمددت القرية بثيابها البيضاء ٠٠ القرية موجودة وهي موضوع الصورة ، لكنها اين ؟ ٠٠ بعيدة المنال، تبصرها العين ولا تطولها الايدى . لانها عند طرف العالم ٠٠ في المجهول ٠

هل هي فلسطين ؟

ترد جمانة : مابعرف ٠ هيك لقيت حالي !

لماذا غاب البشر عن صور جمانة الحسيني في هذه المرحلة الثالثة من رحلتها الفنية ؟ تصمت جمانة ولا ترد ٠

هل هو الاحباط ؟ هل هو الياس من البشر والتسليم للقدر ؟ هل هو الاحتجاج الذى اتخذ مظهر الاستبعاد والالغاء ؟

تتمتم جمانة بصوت خفيض : ما بعرف ، هيك لقيت حالي !

ليس لديها تفسير لغياب البشر من لوحاتها الاخيرة ٠ لم تقصد الغاءهم او اخفاءهم ،ولكنهم هم الدين لم يحضروا ٠ هم الذين غابوا !

واقول لجمانة : ولكن الوانك داكنة وقاتمة، وثمة بصمات حزن دفين مطبوعة في كلصورة٠٠٠ وكما ان الانسان غائب في التشكيل ، فاللون الاخضر مثلا ــ الذى يعبر عن الحياة والنماء ــ غائب في التعبير ٠٠٠

ترد : هذه حقيقة اسلم بها ٠ فانا فعلا اشعر دائما بالحزن والخوف ٠ لدى احساس قوى بغدر الزمن ٠ بأنني ساطعن من الخلف ٠ لا يفارق أعماقي هدا الخوف . ولا يفارق ظهرى هذا الخنجر الملتصق به ٠

تضيق عيناها الصغيرتان وتقول : مادا تنتظر من انسان متشرد طوال عمره ، غير ان يكون هكذا؟ ألم تقرأ قول الشاعر محمود درويش أن الفرح خيانة للواقع ٠ نحن ــ الفلسطينين ــ ودعنا الفرح والبهجة منذ عام ١٩٤٨ ٠ لم يبق لنا الا الحزن والثورة ٠ الحزن رفيق دائم بل غذاء يومى ، والثورة حالها كما تعرف ٠

من خوف الي خوف

تضيف جمانة : لقد كان اول الغرباء الذين رأيتهم هم الجنود الانجليز وهم يحاصرون بيتنا في القدس عام ١٩٣٨ ، عندما جاءوا للتفتيش والبحث عن ابى ٠ لقد كان عمرى ٦ سنوات وقتئذ، ولا زلت أرى بعيني صورة الجنود بوجوههم الحمراء واحذيتهم الثقيلة وهم يدقون بابيبتنا بغلظة وفظاظة ٠

منذ وعيت للحياة ونحن مطاردون متشردون ٠ من بلد الي بلد ، ومن خوف الي خوف ٠ ابى اما هارب من السجن ، او في داخل السجن او في المنفي ٠ لا اذكر ان اسرتنا جلست مجتمعة مرة٠٠ امى وابى وشقيقاتي الاربع وشقيقي الوحيد وانا٠



يافا مدينة : تشكيل آخر يعكس لمسات جمانة الحسيني الفريدة ٠

لا اذكر أن أبي دللني مرة،أو أجلسني على ركبتيه كما يفعل كل الاباء مع كل الاطفال ٠

عندما خرج من منفاه في روديسيا . وعاد الينا في عام ٤٥ بعد غيبة ٥ سنوات ودعاني للجلوس على ركبتيه . دهشت وخجلت ٠ المشهد مطبوع في داكرتي كانه حدث امس فقط ، لم يتكرر بعدذلك ابدا ٠

ثم قالت جمانة : هكدا نحن ـ الفلسطينين ـ من الداخل ٠ أبناء شرعيون للحزن والخوف والغدر ٠ وسالت : هل عرفت لماذا افضل الالوان الداكنة واستريح اليها ؟ هل عرفت لماذا اخاصم اللون الاخضر رغما عني ؟ انني فعلا اكره هذا اللون ولا اطيقه ٠ دون وعي مني نعرض عنه يدي ٠ حتى الشجر في لوحاتي ـ على قلته ـ لا تتسرب اليه الخضرة ٠عادة يخرج في لون احمر او بني ، بين الشفق والظلام ٠

لكن المعرض الاخير في الكويت احتوى على مجموعة غير قليلة من صور الزهور ، وهذا يحدث لاول مرة ٠

ردت جمانة : هذه ايضا وقفة في رحلة الحزن٠ لم أكن اقصد على الاطلاق ان ارسم صورا للزهور ٠ لكنني اكتشفت فيما بعد انني كنت ازرع هذه الزهور ـ بطريقتي ـ على قبر أمي التي ماتت في القدس اثناء الحرب اللبنانية ٠

كانت امي تعيش معنا في بيروت . بعدما مات ابي منذ ثلاثة اعوام ٠ وعندما اشتدت عليها وطاة المرض . نقلناها وبيروت مشتعلة بالحرب الى القدس عبر الاردن ٠٠ وكنا نزورها بين حين وآخر ٠كانت في الماضي فنانة بطبيعتها ، تجيد العزف على البيانو وتهوى التطريز ٠ ولم اكن اعرف انها كانت ترسم ، لكنها أطلعتني على بطاقة أرسلتها منذ اكثر من نصف قرن الى ابيها ـ جدي ـ في لندن ، وقد رسمت عليها بعض الزهور ، وكان هذا اكتشافا بالنسبة لي ٠ البطاقة كانت عندي ضمن اوراق قديمة في خزانة الكتب ٠ وعندما بلغني نبا وفاتها وجدتني استخرج البطاقة . اتطلع اليها وأعيد قراءتها ، ثم اعدتها وجلست لارسم هذه المجموعة من صور الزهور ٠ كانت حالة من التعاسة انتابتني لفترة عدت بعدها الى لوحاتي الاخرى، الى الحزن العادي !

ولا زالت جمانة الحسيني ترسم الحزن !

■■



الِم متطوّر، تعرّف على بنك الكويت الوطني فتثق به

التمثال

بقلم : الدكتورة عاتكة الخزرجي



ونسيتني حتى كأنك لم تكن ·· حتى كأني ·· !
مولاى ·· فيم الصمت ؟ ماذا ؟ ما الذى تخفيه عني ··؟
أتسر هجرا يا مليكى ؟ ما الذى قد كان مني ·· ؟
وهواك يملأني يكاد يضوع من حيث وردن ؟!
اني وعينيك اللتين ــ هما هواى ومطمئني
وبحق وجهك والجبين ــ وحق حسنك اى حسن :
سأظل بين يديك رهنا باقيا من غير رهن ··
مولاى ·· بين يديك هذى الروح حذها ·· او فخذني
مولاى ·· ان العيش موت ان ذهبت فلا تدعني ·· !
ونسيتني ·· حتى كأنك لم تكن نفسي وعيني ·· !
وتركتني عزلاء ·· القى اللائمين بلا مجن !
وكأنما أنسيت انك جنتي ورضاك أمني
وكأنما فرض عليك قلاى أو تهوين شأني ··
وانا التي رهنت لديك الروح في نغم ولحن
وانا التي وقفت قوافيها عليك بغير وزن ·· !
وانا التي كشفت خوافيها لديك فكان فني
وانا التي لهجت « بمولاها » وهل الاك اعني ·· ؟!
وجعلتني هدف الرماة ·· ومن سواك يصد عني ؟
وقذفت بي للشك بين اليأس منك او التمني ··
ما بين ماضي السعيد وبين حاضرى المعني ·· !
مولاى اني قد ضللت فاهدني ·· مولاى اني ·· !
وتركتني وصداك في روحي وسمتك ملء عيني ··
وتروعني ذكراك ·· حتى تستبيح على امني ·· !
فتلوح لي ·· فاراك وهما كاليقين بكل ركن ··



وأعيك حتى توشك الاهات تحرق جوف ادنى ..
فاعيد ما كنا نعيد .. فهل ترى بلغت عنى ... ؟
أقسمت لى .. عند اللقاء .. ويا لخيبة مطمئن .. !
ياليتنى لقنت قلبى ما القن فى التجنى
او ليتنى ممن يقول وليس اما قال يعنى ..
مولاى انى قد صحوت فهالنى .. مولاى انى .. !
وتلوح لى عبر الحقيقة مفزعا بالشك امنى
فاراك كالماء السراب وكالخلوب بغير مزن
واراك كالتمثال لا
حس ولا وعى لفن ..!
مولاى .. انى قد وعيت
فهل تعى ؟! .. مولاى انى .. !
واراك فى وضح الحقيقة عاريا من كل حسن
تتصيد الظبى الغرير على شباك مطمئن
ويلذك الصيد الحرام مشاكلا من كل لون
وتموت فى الشهوات كى تحيا على اعقاب دن ...
أتمثل « الضليل » فيك صلالة لا هدى فن .. !!
ويروضك الزمن العتى فيا لخفة مرجحن .. !
وتلوح لى عبر الزمان بهيئة الشيخ المسن ..
فاراك اعزل لاتنى ترتد من ركن لركن
تترحم الغيد الحسان عليك والرحمى تجن
وكذاك من يجنى على الايام فهى عليه تجنى .. !
وتساقط التمثال منحطما على اهداب جفنى ..
وافقت فى وهج الظهيرة تعتشى بالنور عينى ..
ورأيت أن الوهم رايلنى فعدت لمطمئنى ...
وعكفت فى المحراب أصهر خافقى بوقود فنى .. !

بغداد — عاتكة الخزرجى

« هذا حبيب الله ، مات فى حب الله ، قتيــل الله » . فلما حملوا جنازته تجمعت طيور السماء وظللتها ، فتحير اهل مصر جميعا وتابوا عما كانوا قد ارتكبوه معه من جفاء » .

ومحمد بن عمر الوراق : « اعطى تلميذا لــه كراسة وقال له : « القها فى البحر » . فاخفاها التلميذ فى منزله وجاءه يقول : « القيتهــا » . فقال: «ماذا رأيت» ؟ قال: «لم ار شيئا» . قال الوراق : « لم تلقها . عد والقها فى البحر » . فرجع التلميذ والقى الكراسة فى الماء ، فانشق الماء وظهر صندوق مفتوح ، فلما وقعت الكراسة فيه انغلق الصندوق . وعاد التلميذ الى الوراق فروى له ما حدث ، وساله عن سر ذلك . فقال : « كنت قد الفت كتابا فى الاصول والتحقيق يعجز الفهم عن ادراكه ، فطلبه منى اخى الخضر عليه السلام ليقرأه ، فامر الله تعالى الماء ان يوصله اليه » .

وابو العباس القصاب : « قيل ان صبيا كان قد امسك بزمام بعير يحمل حملا ثقيلا ، فانزلقت رجل البعير ووقع وانكسرت رجله . واستغاث الصبى فقصده الناس . واذ مر بهم ابو العباس وعلم بالخبر ، امسك بزمام البعير واتجه الى الســماء فقال : « اللهم اشف هذا البعير ، واذا لم تشأ ان تبرئه فلم احرقت قلبى ببكاء هذا الصبى ؟ ! » . وفى الحال نهض الجمل ، ومضى صحيحا معافى » . (الامثلة من كتاب « كشف المحجوب » للهجويرى).

اعادة تفسـير المعتقدات الوثنية فى اطار الاسلام

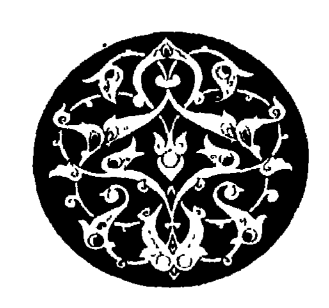
فما استقر اذن مبدأ تقديس الاولياء فى الاسلام، حتى ابدى عديد من الجماعات والشعوب همة عظيمة من اجل اعادة تفسير المظــاهر الوثنية لدياناتها القديمة تفسيرا اسلاميا ، وهى المظاهر التى ارادت الابقاء عليها والاحتفاظ بها . وسرعان ما ادركت السلطة وادرك الفقهاء عبث التصدى بالمقاومة لاتجاهات العامة ، وانه اذا اريد للاسلام الانتشار فلا بد من قدر من الاذعان ، ولا بأس مــن تقبل بعض العناصر الوثنية المحلية بعد انتحالها سمتا اسلاميا . وكان ان نجحت الشعوب التى فتح العرب بلادها فى الحفاظ على مزاراتها القديمة ،واماكنها المقدسة ، وتقاليدها المحلية التى كانت لها فــى ماضيها الجاهلى ،ولكن فى اطار اسلامى . فالفرس مثــلا اذ ارادوا الاستمرار فى احتفالهم بعيــد النوروز ، زعموا انه ذكرى اليــوم الذى اختار النبى فيه عليا خليفة له .

وحين اراد الخليفة المنصور نقل حجارة من اطلال العاصمة الفارسية القديمة برسيبوليس (تخت جمشيد) لاستخدامها فى بناء عاصمته الجديدة ، احتج وزيره الفارسى خالد بن برمك بانها كانت مصلى على بن ابى طالب . واذ كانت الاساطير الفارسية (كاساطير الاغريق) تفسر حمرة السماء ساعة الغروب بانه دم احد الالهة قد سال من جرح اصابه ، فقد قال الفرس المسلمون ان هذه الحمرة انما هى دم الشهيد الحسين بن على ، وانه قبل مصرعه لم يكن للغروب فى السماء حمرة !

وقد كان العرب فــى جاهليتهم يوقرون آثــار ابطالهم وشــــجعانهم ، وما يخلفـــــونه عند موتهم من متاع . فلما جاءهم الاسلام حولوا هذا التوقير الى آثار النبى ، ثم الى آثار الاولياء ، واعتقدوا فى بركتها . والتاريخ يحدثنا ان خالد ابن الوليد كان كلما خرج لحرب وضع فى عمامته شعرات من رأس النبى ، وكان يعزو الى هــذه الشعرات نصره . كذلك فقد امر انس بن مالك اهله وقت احتضاره ان يضعوا شعرة مــن رأس النبى تحت لسانه ، واوصى معاوية بن ابى سفيان بان يكفن فى ثوب للنبى كان قد اهداه اياه ، وبان توضع بضــع شعرات للرسول فــى فمه واذنيــه ومنخاريه ، فقد تسهم فى تخفيف وطأة حسابه يوم القيامة .

والمعروف ان عباءة النبى وعصاه قد صارتــا شعار الخلافة . وبمضى الوقت زاد توقير الناس لهذه الاثار . وتضاعف عددها بازدياد توقيرهم لها، وتعددت مزاعم القوم بان هذا الشىء او ذاك منها. وقد تحدث الرحالة عبد الغنى النابلسى عن لقاء له فى الهند بعالم هندى مسلم اخبره ان بالهند من شعرات رأس الرسول القدر الكبير ، وان هــذه الشعرات تتحرك من تلقاء ذاتها وتتكاثر !

وقد احيطت اماكن واشياء معينة ـ حتى فى فجر الاسلام ـ بهالة من القدسية ، كالشجرة التــى تمت فى ظلها بيعة الرضوان . غير ان الامر لم يستفحل الا فى ظل الدولة العباسية ، بدليل ان البيت الذى ولد فيه النبى مثلا ظل طوال العصر الاموى مسكنا عاديا لنفر من الناس ، ولم يتحول



الى مسجد الا بعد شراء الخيزران ام هارون الرشيد له • اما فى العصر العباسي الذى كان للفرس فيه تم للترك اليد العليا ، فقد افرط الناس فى تقديسهم للاماكن وعظم اقبالهم على زيارة قبور الصالحين • والحق ان الكثير من هذه المزارات التى ربط الناس بينها وبين النبى او اهل بيته ، ما كان للنبى ولا لاهل بيته بها صلة ، وانما هى مجرد مواضع كان الوسنيون وغيرهم يتعبدون عندها قبل الاسلام . كما ان لعديد من قبور من قيل انهم اولياء الله الصالحين كانت محال للعبادات الوثنية فى الماضي •

فالمزارات المقدسة القديمة قد ابقى عليها اذن بعد انتشار الاسلام • وكان المقدر لها مع انتشاره ان تهدم او تندرج فى طي النسيان ، لولا ان بادرت العامة باضفاء الطابع الاسلامي عليها ونسبتها الى ولي او حدث ديني اسلامي • فهناك مثلا قرب دمشق ـ حيث كان القدماء يعبدون اله القمر ، مزار يزعم الناس انه قبر ولي يسمونه الشيخ « هلال » : ويروى ياقوت فى « معجم البلدان » انه كان هناك عند سفح جبل الجوشن المطل على حلب دير يسكنه النساك والناسكات ويوقر المسيحيون اطلاله . حتى اقام المسلمون فى نفس مكانه مزارا اسلاميا زعموا ان الحسين بن على شوهد وهو يصلى عنده • وقرب مدينة صور قبر لمن يسمى بالشيخ « معشوق » لا شك فى انه البقية الباقية من الاسطورة الفينيقية الخاصة بادونيس معشوق افروديت • وفى نابلس عمود حجرى مقدس اسمته العامة بعد الاسلام قبر الشيخ العمود • فان كانت هناك فى الهند مزارات تضم عظاما او آثارا لقديس بوذى . فسرعان ما تحولت بالاسلام الى عظام او اثار لاحد الاولياء •

وعبادة الاشجار معروفة منذ قديم الازل • وقد استمر تقديسها بعد الاسلام ولكن بعد نسبتها الى ولي • فالشجرة اما قائمة الى جوار قبر ولي ، واما ان يقال ان روح الولي تسكنها • وكثيرا ما يحظر قطع الاشجار المحيطة بقبر الولي ، ويهدد من يقطعها او يتلفها بالخزى وسوء المصير • وقد اورد

على باشا مبارك فى خططه التوفيقية امثلة كثيرة للاشجار التى يقدسها العامة فى مصر ، والتى يزعمون انه تسكنها ارواح اولياء غير معروفى الاسم ، او روح ولية يسمونها الشيخة « خضرة »! كما كانت هناك قرب دمشق شجرة زيتون عتيقة مقدسه اسمتها العامة الست « زيتون » كان يحج اليها النساء بالاخص يطلبن ازالة عقم او اسقاط دين او تبديد كرب ، ويقوم عندها احد الدراويش يجمع الصدقة من الزائرين ويدعو لهم بالخير •

فاولياء الله الصالحون فى الاسلام اذن ليسوا بالضرورة شخصيات تاريخية ، ولا كان واضعو الاساطير يبذلون الجهد حتى يضعوا احداثها فى سياق تاريخ معقول • أما العامة ـ وهم الذين سقوا هذه الاساطير فى شغف عظيم ، وكانوا دائما على استعداد لتقبل المزيد ـ فعنايتهم بالتحقيق أصال بطبيعة الحال •

انما هو تغيير اسم الاله الى اسم مسلم ،تسبقه كلمة « السيد » او « الشيخ » او « الولى » بل واحيانا يسمى باسم البلدة التى عاش فيها او ينسب اليها . كالشيخ شطا او الشيخ الطنطاوى •

يقول المقريزى فى خططه (٢:٤٥)

« وفى زقاق المزار قبر تزعم العامة ومن لا علم عنده انه قبر يحيى بن عقب ، وانه كان مؤدبا للحسين بن على بن أبى طالب • وهو كذب مختلق وافك مفترى .كقولهم فى القبر الذى بحارة برجوان انه قبر جعفر الصادق ، وفى القبر الاخر انه قبر ابى تراب النخشبى ، وفى القبر الذى على يسرة من خرج من باب الحديد ظاهر زويلة انه قبر زارع النوى وانه صحابى ، وغير ذلك من أكاذيبهم التى اتخذها لهم شياطينهم انصابا ليكونوا لهم عزا » (يشير بذلك الى ما ورد بالآيتين ٨١،٨٢ من سورة مريم • « واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا • كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ») •

ثم يقول (٢ : ٤٩و٥٠)

« ان الفتنة بهذا المكان (قبر ابى تراب) وبالمكان الاخر من حارة برجوان الذى يعرف بجعفر الصادق لعظيمة • فانهما صارا كالانصاب التى كان يتخذها مشركو العرب ، يلجأ اليهما سفهاء العامة والنساء فى اوقات الشدائد ، وينزلون بهذين الموضعين كربهم وشدائدهم التى لا ينزلها

العبد الا بالله ربه . ويسالون فى هذين الموضعين ما لا يقدر عليه الا الله تعالى وحده من وفاء الدين من غير جهة معينة ، وطلب الولد ، ونحو ذلك ، ويحملون النذور من الزيت وغيره اليهما ظنا ان ذلك ينجيهم من المكاره ،ويجلب اليهم المنافع ». هذا.ويسمى الان مسجد ابى‌تراب (الذى ربما سمى بهذ الاسم اذ كان يحف به التراب من جهاته كما يقول المقريزى) بجامع الشيخ الاتربى !

اولياء اللــــه الصالحون بمصـر

وقد قطع المصريون بالذات شوطا بعيدا فى سبيل تقديس الاولياء ، ربما لطول تاريخهـــا وكثرة ما عرفته خلاله من آلهة. فقد لاحظ مؤرخو مصر القديمة والعصر القبطى تحول الهة المصريين القدماء الى قديسين فى ظل المسيحية . ثم الـى اولياء فى ظل الاسلام . دون اى تغيير فى مكان العبادة والتقديس وهو ما يصلح مصداقا لقولة رينان الشهيرة : لقد كانت البشرية دوما ومنذ البداية انما تتعبد فى نفس الاماكن » .

فماسبيرو مثلا يحدثنا عن الاحتفال بمولـــد احد الاولياء فى اخميم بالصـــعيد ، ويقول ان طقوسه شديدة الشبه بالطقوس التى كان يمارسها قدماء المصريين فى اخميم ذاتها .

وتحدث الرحالة الاوروبيون عن اوجه الشبه بين سلوك النساء الزائرات لقبر السيد البدوى فى طنطا خلال الاحتفال بالمولد ، وبين موكـــب نساء المصريين الى بوباســـتيس (تل بسطة فى الدلتا) كما وصفه هيرودوت . ويتزاحم النـــاس فى هذا المولد حول حمار ياتى به دراويش الطريقة الشناوية الى قبر السيد ، فيتسابقون لنزع شعرات من جسمه يصنعون منها الاحجبة ، وهذا بالضبط ما كان قدماء المصريين يفعلونه بهـــذا الحيوان .

وهناك احتمال وجود صلة بين حج المصريـين الى مزارات طنطا وحج اجدادهم الى بوباستيس، او حج الاقباط فى الماضى الى قبر احد قديسيهم هناك . والمعروف ان الهة بوباستيس التى تدعى «باست» كان يرمز اليها بتمثال امراة لها رأس قطة وتحمل على ذراعها الايسر كيسا صغيرا .

(لاحظ اطلاق فلاحى مصر لكلمة بسة علـــى القطة حتى يومنا هذا) . وقد ظلت لدى المصريين حتى زمن قريب عادة اصطحاب المحمل المتوجه الى مكة فى موسم الحج لعدد كبير من القطط ، يتولى رعايتها رجل يعين لهذا الغرض وتســـميه العامة « ابا القطط » ولكى تبرر العامة استمرار هذه العادة فى ظل الاسلام نسبت الى النبى حب القطط . وتحدثت عن قطة معينة كان يحنو عليها وولدت فى حجره !

كذلك كان المصريون القدماء يحجون الى مزارات لهم فى بلدة شطا قرب دمياط . وصـار يقـام هناك بعد دخول الاسلام مولد سنوى لولـــى اسموه الشيخ شطا !

وكان القبط قبل الفتح العربى يخرجون زرافات وقت دخول الشمس برج الجدى . فيقصدون ابا الهول يحرقون عنده بخـــورا اعـــدوه من بعض النباتات . ثم يرددون امامـــه ثلاثا وثلاثين مرة عبارات تقليدية يختمونها بدعائـه أن يستجيـب لطلب لهم . وقد ظل المصريون قرنا على الاقل بعد دخول الاسلام قطرهم يخرجون فى موســـم معين لجمع نبات او اعشاب عطرية وهم يرددون عبارات غريبة . ثم يحتفظون بهذه النباتات فى صناديق زاهية الالوان . معتقدين انها تجلب لهم البركة واليمن .

وهناك اثر لعبادة الافاعى التى عرفتها «طيبة» فى تقديس الاولياء بمصر . يقول بول لوكاس انه فى عام ١٦٩٩ أثناء زيارته للصعيد وجـد بعض اهله يقدسون حية تنسب اليها المعجزات. وقد زار ريتشـــارد بوكوك عام ١٧٥٢ قرية قرب جرجا هى مكان الحية المقدسة . وقال ان الناس يزورونها فى مسجد هناك به قبر ولى (وهـــو الشيخ هريدى) . ويتبركـون بها . ويقدمـــون الاضاحى والذبائح لها . ويقولون انها فـــى القرية منذ زمن الرسول . وانها تشفى مـــن يزورها ومن ياتون بها اليهم فى بيوتهم من جميع الامراض . وقد رأى بوكوك بنفسه اثار الدماء عند باب المسجد واحشاء الاضاحى وامعاءها . ويقول على باشا مبارك فى هذا الصدد ان جماعـات كبيرة تتوافد على قبر الشيخ هريدى ايـــام الخميس من شهر ابيب . فتذبح الذبائح لهـذا الولى الذى تزعم انه من صالحى الجن .

السيد البدوى

غير انه لا شك فى ان السيد احمد البدوى والسيد ابراهيم الدسوقى هما اشهر اولياء مصر ، خاصة الاول منهما • يقول الجبرتى فى « عجائب الاثار » ان الناس فى مصر اعتقدوا ان نهاية العالم ستحل يوم الجمعة ٢٤ من شهر ذى الحجة سنة ١١٤٧ هجرية ، فاصابهم الجزع خلال ترقبهم حلول ذلك اليوم •

فلما مضى بسلام قال علماؤهم ان الله استجاب فى اللحظة الاخيرة لشفاعة السيد البدوى ، ورضى تاجيل الساعة • وقد كان بعض العامة بعد ادائهم الصلاة يتحولون فيجعلون من مسجد البدوى قبلتهم ويصلون ركعتين اخريين ثم يتوجهون اليه بالدعاء •

وما زال بمسجد الحسين فى القاهرة عمود قرب المنبر يسمى بعمود السيد البدوى ، قيل انه كان اثناء زياراته العديدة يقف او يجلس او يصلى عنده ، وما زال للعمود مكانته الخاصة فى قلوب الزائرين يقبلونه ويقراون الفاتحة عنده ويصلون الى جواره •

وبالرغم من ان السيد البدوى هذا مغربى الاصل ، فالاعتقاد الشائع لدى المصريين انه هو الذى يحمى ديارهم وابناء مصر ، ويسمونه بولى الله وغيث هذا القطر • وتروى احدى الروايات الذائعة ان مسلما يدعى سالم اسره الفرنجة • واذ سمعه احدهم يردد الاستغاثة بالسيد البدوى، هدده بالعذاب لو انه استغاث به مرة اخرى • ولكى يحول الافرنجى بين سالم وبين الهرب بمعونة البدوى ، وضعه فى صندوق كان ينام فوقه ليلا زيادة فى الحيطة • وفى احدى الليالى صاح سالم من صندوقه : « يا ولى الله يا احمد، نجنى من اسر هذا النصرانى ! » فما اتم دعاءه حتى طار الصندوق والنصرانى فوقه ، حتى بلغ مدينة القيروان فى الصباح، ففتحه الناس واخرجوا الاسير منه وفكوا وثاقه امام عين آسره• فاذا بالنصرانى يبادر الى اعتناق الاسلام ، ويعود من فوره الى طنطا ليحج الى قبر السيد البدوى! وقد افلح الفقهاء الذين لا صلة فى الواقع بين افكارهم وعقيدة العامة فى اقناع الملك الظاهر جقمق سنة ٨٥٢ هجرية بان يصدر امرا بوقف الاحتفالات فى طنطا بذكرى مولد البدوى • غير ان الامر لم ينتج اثرا ، واستمر الحال كما كان عليه • وسرعان ما شاع بين العامة ان الكثيرين ممن وقعوا على الفتوى اصابتهم الكوارث فى المال والصحة والولد ، ورأت فى ذلك عقابا الهيا اذ بلغت بهؤلاء الفقهاء الجراةحد معارضةالجماهير فى تقديسها لكبير اولياء مصر •

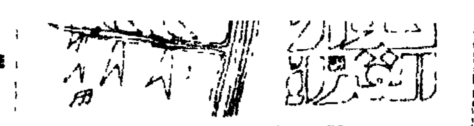
وثنية أم اسلام !

وآراء الفقهاءوالعلماء فىالامصار المختلفة كثيرا ما تتفق ، فان اختلفت فكثيرا ما يكون الاختلاف بينها طفيفا وغير ناتج عن اختلاف المصر • اما ديانات العامة فواضحة التباين بتباين البلدان ، حتى ان كان الدين الرسمى فيها جميعا دينا واحدا • فالعامة لا تقرأ كتابات الفقهاء والعلماء ولا تتاثر بها ، وباستطاعتها فى اغلب الاحيان ان تتجاوز الحدود الدينية دون ان تقع تحت طائلة العقاب او التقريع • وبالوسع دائما التعرف على بقايا الديانات والطقوس والمعتقدات سحيقة القدمفى مجتمع معين متى تعمقنا فىدراسة ممارسة الفلاحين بالاخص للدين ، والاحتفالات الشعبية التى يعرفها هذا المجتمع دون غيره ، خاصة ان كان اتباع الديانات المختلفة يشتركون فيها ، كعيد شم النسيم والاحتفال بوفاء النيل فى مصر •

فان نحن قلنا بعد كل هذا ان شطرا من العامة فى صعيد مصر يرى ان الطواف سبع مرات بقبر الشيخ القناوى بقنا (وهو طواف يبادر اليه الكثيرون فور وصولهم الى المدينة) فيه غناء عن اداء الحج الى بيت الله الحرام ، وان قلنا ان عددا من الفقهاء قد أيد هذا الرأى استنكارا منه لفكرة ان يفقر البعض نفسه بتحمل نفقات حجه الى مكة ،ثم ان نحن افترضنا بعد ذلك ان هذا الشيخ اسطورة ، وان القبر القيم على طلل معبد اله من آلهة قدماء المصريين ،لوصلنا اذنالى نتيجة غريبة ، وهىان العامة قد احلت محل ركن من اركان الاسلام الخمسة طقسا وثنيا خالصا يرجع الى زمن الفراعنة ! ■■

حسين أحمد أمين

لاجوس – نيجيريا



عن العرب فى صقلية

● استطلاع صقلية الذى نشرتموه فى العدد ٢٢٢ شدنى بقوة وباهتمام كبير ، اذ اعادنى الى صقلية التى أعرفها جيدا ، والتى زرتها مرارا، وحاضرت فى جامعة عاصمتها باليرمو مرارا كذلك، وعرفت آثارها العربية فى أكثر من مدينة واحدة، غير العاصمة باليرمو ، كما اعادنى الى الصديق الكبير الاستاذ امبرتو ريتسيتانو ، ومساعديه الاصدقاء اندريينو بوروزو ، وانسلمى ، ومونتانئينا ، وبلفيوره ، وادا لجيزا دى سيمونه·

والحقيقة التى ينبغى ان نعترف بها هى أن ريتسيتانو يقوم فى باليرمو حافظا أمينا للتاريخ العربى وللحضارة العربية فى صقلية اليوم ، وانه يقوم بالتعريف بحضارة العرب والمسلمين فى الجزيرة ، وباعداد الطلبة والطالبات الذين عليهم أن يكملوا ما كان قد بدأ به من قبله المستشرق العظيم ميكيلى امارى، ثم جاء هو يتممه ويمضى به قدما ، من نبش التاريخ الاسلامى للجزيرة ، واعادته الى الحياة ·

غير أن لى ملاحظة على عبارة وردت فى التحقيق تقول : (ليس فى أوروبا بلد يزرع فيه النخيل سوى صقلية) ـ ص ٨٩ ـ هذه ملاحظة غير دقيقة ، لان النخيل منتشر أيضا فى اسبانيا · وهناك مدينة واحدة فى الاندلس اسمها (الشـ ELCHE) يزيد ما فيها من النخيل عن مئة ألف نخلة ، وحين رأيتها تذكرت ما شاهدته من غابات النخيل فى توزر وقفصة وقابس ـ فى تونس ـ وفى المغرب العربى، وفى المملكة العربية السعودية ، فلم أر فى منطقة منها مثل ما فى الش من اكتظاظ النخيل وامتداد مساحته ·

يضاف الى ذلك ما فى وسط المدن الاندلسية ، وفى الطرق بينها ، من عناية بزرع شجر النخيل، مما لا تجد له مثيلا فى غير بلاد النخيل العربية ، ولا سيما العراق ، وتونس ، والمغرب ، والمملكة العربية السعودية ، وليس من شك فى أن هذا بعض ما تركه العرب فى الاندلس من أثر باق ، لا يمحوه الزمان · والاثار العربية فى اسبانيا لا تقاس بها آثارهم الباقية فى صقلية ، بل تكاد آثارهم فى صقلية لا تذكر الى جانبها · وقد تجولت فى الاندلس كلها جولتين دراسيتين طويلتين ، شاهدت فيهما من الاثار العربية ما يدهش ويذهل ، وتجولت كذلك فى صقلية ، وعلى الاخص فى باليرمو ، مرارا ، فلم أشاهد فيها من الاثار العربية الا القليل ، وكله ـ كما قال كاتب التحقيق فهمى هويدى ـ من الاثار النورمندية التى تتكلم بلسان عربى ، وليس من الاثار العربية البحتة ·

د · عيسى الناعورى
عمان ـ الاردن

جمادى الاخرة لا الثانية

● لفت نظرى فى غلاف العدد ٢٢٣ كتابة تقول انه عدد شهر(جمادى الثانية ١٣٩٧) كما هو مطبوع ·ولم ينقل عن العرب ذلك · بل قالوا جمادى الاخرة · فقد كان العرب يقولون فى الجاهلية جمادى ستة وجمادى خمسة· اما جمادى ستة فهى جمادى الاخرة لانها تمام ستة اشهر من اول السنة · وجمادى خمسة هى جمادى الاولى وهى الخامسة من اول شهور السنة·

عبد الرزاق الجزار
حى اليرموك ـ بغداد ـ العراق

انفصـــام الشخصيـــة

● ما هو مرض انفصام الشخصية ؟ اسبابـه وعلاجه ؟

عباس حضر بغداد ـ الرصافة

ـ كتب الدكتـــور درى حسن عـــزت احصائى الامراض النفسية مقالا عـــن اسباب الانفصام فى العدد ٢١٤ ، وفـى عدد قادم باذن الله ننشر له مقالا عـن علاج المرض .

عن السؤال الوجيه

● نشرتم فى العدد ٢٢٢ فى زاوية « الحوار » رسالة لمواطن اردنى يسأل : لماذا نلقى بكل الثقل الى جانب امريكا ، هل تتصور انها ستعطينا يوما ما شيئا لا ترضى عنه اسرائيل ؟ .. وقلتم فى تعليقكم عن الرسالة ان جواب السؤال عند اهل السياسة . واسمحوا لى ان تعليقكم كان ادنى من المستوى المطلوب . لماذا لم تقـولوا رايكم بصراحة ، لاننى ادين أهل السياســة فى هـذا الموقف .

عيسى عبد موسى ـ أرلنجتون ـ فرجينيا
الولايات المتحدة الامريكية

ـ هذه الزاوية منبر للقـراء ، ومـا نقوله نحن ينشر فى مواضع اخـرى مـن المجلة . وقد قال القارىء الاردنى رأيه ، وها نحن ننشر تعليقك ، وهذا هو الهدف من الحوار .

الى جيبوتى

● سجلوا اسمى مع المتطوعين لتدريس اللغة العربية فى جيبوتى ، علما باننى احمل شهادة الثانوية العليا السودانية.

التيجانى خميس البكرى
المملكة العربية السعودية

محنة اللغة العربية

الكلمات العامية والاجنبية المنتشرة فى صحفنا العربية تبعث على الحزن والاسى ، خصوصا بعد ما تزايدت هذه الكلمات ، وندر ان نجد كاتبا يعالج موضوعا دون ان يستخدم كلمة عامية او اجنبية .

يحدث ذلك بينما فى دمشق والقاهرة مجمعان لغويان عريقان .

ان هذه الظـاهرة لا تؤثر فقط على مستوى اعلامنا ، ولا على اللغة العربية ذاتها ،ولكنها تؤثر ايضا على عقول جيل الشـبـاب ومدى تقبلهم واستيعابهم للغتهم الحقيقية .

اننى اقترح عليكم ان تضيفوا الى صفحة اللغة فـى العربـى ، صفحة اخرى لمصطلحاتوكلمات المجمع اللغوى ليعرفها الناس ولا يضطـــرون الى « الاستيراد » من المحلية او الاجنبية.

عبد الله محمد اليوسف
جامعة الرياض ـ المملكة السعودية

اين اللوحة الفنية ؟

● حرمنا من اللوحات الفنية التى كانت تنشرها العربى لكبار الفنانين العالميين ، وتقسمها لنا مع رساميها وقد كانت هذه اللوحات تنشر على الصفحة الثانية ، التى اصبحت الان محجوزة لحساب اعلان عن احدى ماركات الساعات .

السيد العربى الشناوى
دقهلية

ـ كل ما حدث ان مكان اللوحة انتقل الى داخل العدد ، ونحن نرى فى الوقت ذاته ان نقدم الفنانين العرب قبل غيرهم . واستطلاع جمانه الحسينى فى هذا العدد خير دليل على ذلك .

٣ أسئلـــة

* كم عدد العاملين الذين يسهمون فى اصدار مجلة « العربى » ؟

* كم عدد النسخ التى تطبع من المجلة شهريا؟

* ما هى اهم الاثار الموجودة فى الكويت ؟

خالد ابراهيم مزيان
بغداد ـ العراق

ـ الذين يســـهمون فى اصدار مجلة العربى يصعب حصرهم لانهم خليط من المحررين والمصورين والاداريين والعمال ، واذا اردت المحررين وحدهم فعددهم تسعة • وما تطبعة شهريا فى حدود ربع مليون نسخة ، بعد ان تمت زيادة الكمية المطبوعة بنسبة ٢٠٪ فى شهر مارس (اذار الماضى) •

وآثار الكويت كثيرة ومتنوعة ويرجعاقدمها الى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد • ومن اشهرها مجموعة اختام مستديرة ذات اهمية كبرى • فالرموز والكتابة الصورية المنقوشة عليها هى بمثابة ســجلات تاريخية ذات قيمة علمية كبيرة •• واكتشفت فى جزيرة فيلكا اثار كثيرة عديدة متنوعة ترجع الى العهد الاغريقى اذ ان بعض قوات الاسكندر الاكبر استوطنت هذه الجزيرة وعاشت فيها •• ولزيادة المعلومات يراجع اســتطلاعات العربى عن آثار الكويت فى العددين رقم ١٥ و ١٦٤ •

دراكيولا ليس بطلا قوميا

● احب ان اوضح بعض المعلومات اضافة الى ما نشر فى مقالة «دراكيولا» فى العدد ٢٢٣ • فقد ورد فى المقاله ان السلطان محمد الثانى ارسل حمزان باشا مع خمسمائة من حرسه لخلع الامير فخوزقهم جميعا ، والحقيقة ان اسم المبعوث حمزه باشا • وفى رواية مخالفة لما ذكر فى المقالة ، يتبين ان السلطان محمد علم بان دراكيولا يعقد اتفاقات مع الهنغاريين،وكانقد تزوج قريبة للملك ماتياس ، فاعتزم خلع دراكيولا ولكن بالحيلة • واوفد لهذه الغايةسفارة مكونة من اليونانى كاتا بولنيوس ، وبرفقته حمزه باشا مع الفى رجل• ولكن دراكيــولا داخلته الريبة فامر بخوزقتهم جميعا ، واولى ـ حسب زعمه ـ اصحاب المكانة العاليهمنهم تكريما مناسبا لمقامهم،فخصهم بخوازيق اكثر ارتفاعا •• فهل نحن امام بطل ام امـام مهووس ! ؟

علما بانة كانت هنالك امارتان رومانيستان : فالاكيا ، ومولدافيا ، وكان دراكيولا اميرا للاولى منهما • وكانت كل من بولونيا وهنغاريا والسلطة العثمانية تعمل على بسط سيادتها عليهما •ولكن هاتين الامارتين كانتا فى صراع شبه متواصل فيما بينهما ونظرا لعدم وجود قانون ثابت يحدد توارث العرش ، كانت كل منهما مسرحا لنزاعات داخلية بين المتطلعين الى عرش الامارة وهم كثر ، ولم يكونوا يتورعون عنالاستعانة بدعمخارجى سواء من الامارة الاخرى ، أم احدى الدول الكبرى المجاورة•

لا لعودة اليهود

● نشرتم فيعدد سابق رسالة للدكتور حامد حسان يعترض فيها بشدة على فكرة اعادة اليهود الذين هاجروا من العالم العربي الى اسرائيل • وانا اضم صوتي اليه « بمنتهى الشدة » •

امضاء القرشي
عدن ـ اليمن الديمقراطية الشعبية

اشترى العربي فقط

● ارجو ان تخصصوا في مجلتكم زاوية للتعارف لانني لا اشترى الا العربي فقط :

نادية محمد علي الدخلاني
الاحساء ـ المملكة العربية السعودية

من قتلدراكيولا؟الرواية التييعتمدها المؤرخون الغربيون تفيد ان امير مولدافيا هاجم دراكيولا ، بتحريض من السلطان محمد ، فهزمه واضطره الى اللجوء الى هنغاريا عام ١٤٦٢ • ولكنه استعاد عرشه عام ١٤٧٤ ، بالاتفاق بين ملك هنغاريا وامير مولدافيا • غير انه لقي حتفه بعد قليل من قبل احد المنافسين •

هذه هي حقيقته التاريخية • فكيف رفع الى مصاف الابطال ؟ ان تشويه التاريخ الذي يحدث فيالآونة الاخيرة ،يجعلمن المغامرينالمسعورينابطالا ومن الجيوش القيصرية الاستبدادية مواكب تحرير للشعب الروماني من الحكم العثماني الاسلامي •

فريد حمدان
دير الزور ـ سوريا ●

تلميذ في أوغندا

من يساعده ؟

● هذه رسالة بعث بها شاب صغير اسمه محمد عبد المجيد علي ، يدرس في معهد بلال الاسلامي بكمبالا عاصمة اوغندا • يقدم نفسه بقوله انه « اولد صغير ليس لي اب ولا « امي » ولا الاخ الكبير • يتيم اسالكم ان تساعدوني في ارسالالكتبالدينية ،وكتب اللغةالعمرانية والساعة التي اعرف بها الاوقات » •

لقد استخدمنا كلماته كما وردت في الخطاب الذي ينم عن فقر شديد في اللغة العربية •

طلبات محمد عبد المجيد علي متواضعة، وبوسع الكثيرين ان يوفروها له •• من يتقدم ؟

عنوان التلميذ الاوغندي هو :

BILAL ISLAMIC INSTITUTE
P. O. Box 30773
KAMPALA
UGANDA

لايشوبها شيء

● اشتركت في مسابقة العربي خمس مرات ، ولم افز باية جائزة ، رغم انني لا حظت ان اكثر اجوبتي سليمة • ارجو ان تقنعوني بادلة دامغة بان عملية القرعة سليمة ولا يشوبها شيء !

جابر الراشد
دهوك ـ العراق

ـ اولا تعطى الاولوية للاجوبة السليمة كلها ، وليس اكثرها كما ذكرت • ثانيا: نطمئنك بان عملية القرعة سليمة « ولا يشوبها شيء » ، واذا اردت ان تشهدها بنفسك فنحن نرحب بك • ■■

الوطن العربى عام ٢٠٠٠

عرض وتقديم : مصطفى نبيل

لم يعد الذين يتحدثون عن المستقبل فى الوطن العربى هم المنجمون وقراء الطالع وضاربو الودع وحدهم،وانما اصبح علما له قواعد واصول وادوات بحث وتحليل مركبة ، وجهد لا يتوقف لتصور المستقبل ورؤيته ، ولم يعد هذا العلم يقتصر على الخيال العلمي بل يقوم على برامج وبدائل تدخل الحاسبات الالكترونية فتقدم نتائج محددة ..

■ الوطن العربى : عام ٢٠٠٠ احدى دراسات المستقبل والتى صدرت مؤخرا والتى تضعك مباشرة فى مواجهته بتحدياته ومشاكله وهمومه وطموحاته ، والدراسة من النوع الذى يستوقف القارىء ويهزه ويدعوه الى التفكير والتامل فى طبيعة المشاكل التى تواجه الوطن العربى وطبيعة الجهد المطلوب فى ظل عالم يموج بالحركة السريعة من حولنا،وامام عصر يقتحم المستقبل فيه الحاضر بقوة والحاح ..

فالوطن العربى الذى ظل سنوات وسنوات يعيش فى رتابة واستقرار بعيدا عن الحركة السريعة للمجتمعات الصناعية وجد نفسه داخل عجلة سريعة الدوران ، وتقدم المجتمع العربى المعاصر وقدرته على علاج المشاكل المصاحبة



للتطور الاقتصادى والاجتماعى السريع مرهون بمدى قدرته على تمثيل المستقبل والاعداد والتخطيط له . فيستحيل أن يقوم بناء شامخ ومنظم فجاة بين يوم وليلة ، وانما بالعمل المنظم والدؤوب والذى يصحبه جهد لا يتوقف لتمثل المستقبل ورؤيته ..

ودراسة الوطن العربى سنة ٢٠٠٠ تساعد على اختيار الحلول الانسب للمشاكل الراهنة من خلال اختيار انسب للاولويات ينسجم مع الحاجات الرئيسية للمجتمع ، ويحدد بالضبط حجم المشاكل الراهنة،واتخاذ القرار الاقتصادى منخلال افق زمنى رحب وبعيد،وفى نفس الوقت تكشف عن الاخطار قبل وقوعها ، فلم يعد مقبولا ان نكون مشدودين الى الماضى الا بالقدر الذى يساعد على مواجهة الحاضر ، كما لا يجوز ان ننكفىء على حل المشاكل والمعضلات المعاصرة الا فى اطر رؤية مستقبلية ، فسرعة التغير ينبغى ان يلاحقها المخططون والباحثون ويستعدون لمواجهة مصاعبها..

وتسد دراسة الوطن العربى سنة ٢٠٠٠ لفترة سبق أن استغلتها اسرائيل عندما سارعت منذ عدة سنوات ، وصدر فى تل ابيب دراسة عن مستقبل الشرق الاوسط ليسود منطقتها فى غياب النظرة العربية ، وملأته بالاوهام والاحلام

فى ثوب علمى براق ، واستخدمت الارقام والمعلومات والكمبيوتر لتلوى الحقائق وتضع نفسها فى خريطة المستقبل الدولة الوحيدة القادرة على القيام بالصناعات الدقيقة وذات التقنية العالية ،وانها سوف تكون المركز الرئيسى للسيطرة المالية والاقتصادية فى الشرق الاوسط • تسيطر وحدها وبلا منازع على صناعة الحاسبات الالكترونية والصناعات الدقيقة ،وتركت للعرب جميعا دور الاستهلاك واستيعاب الصناعة الاسرائيلية ، وتكرمت عليهم بتلك الصناعات القذرة ـ التى تلوث البيئة ـ والتى تبقى لهم وحدهم •

ولدراسة مستقبل الوطن العربى اهمية اخرى عندما تساعد الافراد والجماعات على مواجهة التغيير عن طريق خلق مثل اعلى يترجم الى برامج تعليمية وتثقيفية يساعد على ان يتحرك المجتمع العربى نحوه ، فمن مشاكل التغيير تلك المقاومة التلقائية التى تعترض طريقه وكانه وباء او وحش كاسر ، وتساعد هذه الدراسات على التوافق والتكيف مع هذه التغيرات التى تواجه الجماعات والافراد ، وتساعد المفكرين ورجال التعليم على الاعداد لهذا التغيير والتمهيد له • فصورة واضحة عن المستقبل يمكن ان تمد الحاضر بتلك البصيرة النافذة ••

استعرضت دراسة الوطن العربى : عام ٢٠٠٠ المعالم البارزة للظروف السائدة فى الوطن العربى • وما تؤدى اليه من نتائج حتمية •• وصدرت عن مؤسسة المشاريع والانماء العربية فى بيروت • وقام بها مجموعة تتكون من ٣٥ مفكرا وباحثا فى المجالات المختلفة، وقدمت حصرا للموارد البشرية والثقافية والطبيعية والمالية والزراعية والجغرافية الضخمة التى يتمتع بها الوطن العربى ••

وسعت الى الاجابة على السؤالين التاليين :

هل بوسع العرب ، كافراد وجماعات ، ان يستاصلوا جذور الاوضاع الحالية من فقر ومرض وجهل وامية واستغلال واتكالية واستعمار •• ؟

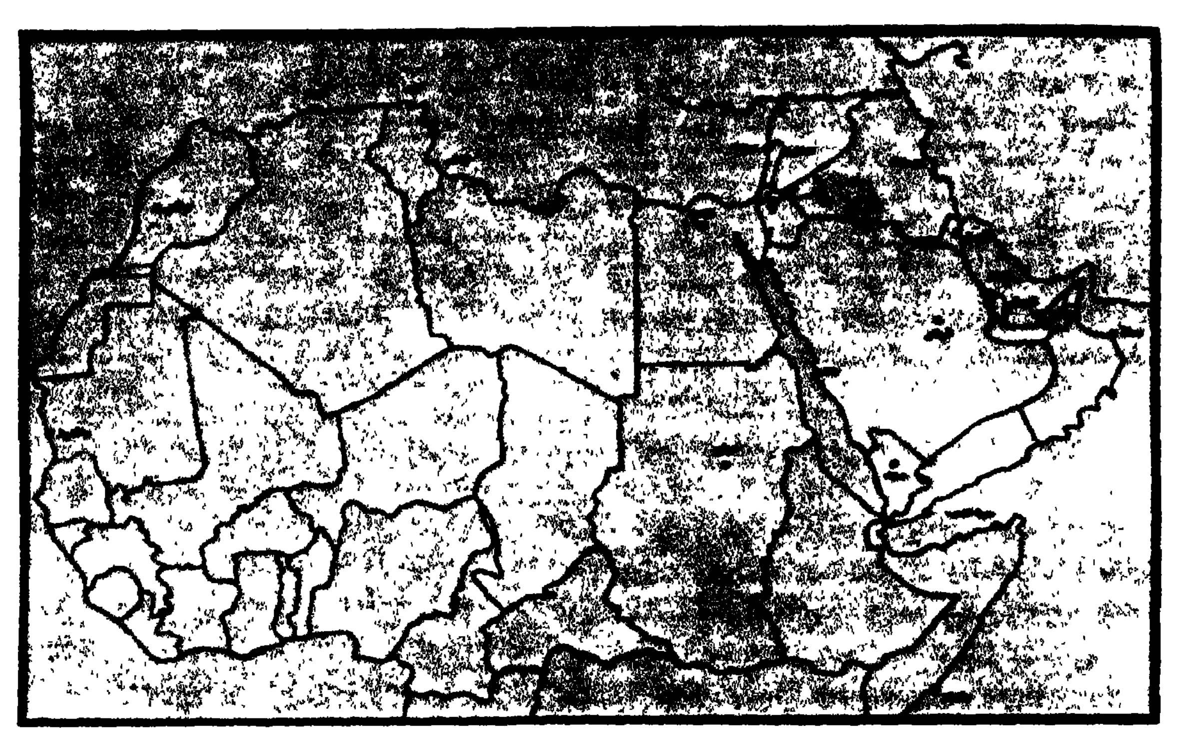
وهل يمكنهم ان يحققوا الرفاهية والصحة والمدنية والتفوق الفكرى والاستقلال والحرية•• ؟

وتجيب الدراسة بان ذلك ممكن ، وتصل الى هذه النتيجة من خلال حصر الامكانيات القائمة وحركة النمو الاقتصادى والاجتماعى وحجم الموارد وحجم السوق وتطور هذه الحركة فى المستقبل ، وتصل الى تقديرات محددة للمستقبل •

ومن صعوبات دراسات المستقبل ان العنصر الانسانى فيها يصعب حسابه ويعجز الحاسب الالكترونى عن التنبؤ بسلوكه ، ولا يتحقق شىء عن طريق التمنى والاحلام او عن طريق التصرف الاهوج والتكاسل • هذه الدراسات تقوم على الافتراضات والبدائل وتتصل بتعقيدات عملية التنبؤ وصعوبة ادعاء العلم الكامل بما « سوف » يحدث •• وهذا يعنى ان اى حديث عن المستقبل وخاصة « المستقبل العربى » •• سيكون مصحوبا بكلمات مثل «لو» و «يرجح» و «اذا» اذا كان قادته بعيدى النظر وتصرفوا بحكمة وتقدير ، و « اذا تحققت تغييرات جذرية وسريعة » ،و «يحتمل» ،ويبقى استحالة ان الحديث بالدقة والثقة عن المستقبل ليست مطلقا مبررا للصمت ، ففى معالجة امور المستقبل فان القدرة على التخيل العلمى ونفاذ البصيرة قد يكونان اهم من الدقة المطلقة ، وكما قال عالم المستقبل آلفين توفلر فى مؤلفه «صدمة المستقبل» •• « ان الخرائط التى رسمها للعالم جغرافيوا العصور الوسطى كانت ابعد ما تكون عن الدقة، وكانت مليئة بالاخطاء ، مقارنة بالخرائط الحديثة ، ولكن بدون تلك الخرائط لم يكن من الممكن لعظماء الرواد من المكتشفين ان يكتشفوا لنا الدنيا الجديدة ••• »

واهم الافتراضات التى قامت عليها هذه الدراسة التعامل مع الوطن العربى كوحدة واحدة ، فاذا قاد الانسان العربى العقلانية واهتدى بمصالحه فلن يكون هناك بديل عن التكامل الاقتصادى العربى ••

واشارت الدراسة الى طرق العمل الممكنة والمؤدية الى تحول ايجابى ، وما بعد الادراك هو التصميم وتكريس الامكانيات والقيادة المتضامنة، والادارة العلمية التى تحقق تلك الاهداف ،فاقصى ما تطالب به هذه الدراسة هو القاء الضوء على التطور المرتقب والذى هو بالضرورة « محتمل » للوطن العربى حتى القرن الواحد والعشرين ، وادوات البحث هو القدر المتوفر من المعلومات والارقام الصحيحة •• وهذه العملية يجب ان تبدا بتواضع لمحاولة اكتشاف مناسب ، لتحديد



الوطن العربى وابرز المدن فيه،التى ترى الدراسة امكانية اقامة شبكة طرق تربط بينها ٠

بعض ملامح المشكلات التى نواجهها ، فلعل ذلك يجيب على سؤال هام هو ٠٠ « ما العمل ؟ »

اثر التكنولوجيا الجديدة

ويعتبر واضعو الدراسة انها دراسة تمهيدية ينبغى ان تتبعها دراسات أكثر تخصصا فى كل مجال على حدة ، فمثلا بحث طبيعة تأثير التكنولوجيات المختلفة التى يجرى تطويرها الان فى الوطن العربى ٠ فالتكنولوجيات القائمة حاليا يمكن اذا اقتبسها العربى انتغيره ايجابيا وجذريا، كما لم تات الدراسة على ذكر التأثير والاهمية للهندسة الحيوية والآلات الحاسبة واشعة ليزر ، على عملية التعلم والتذكر عند الانسان ، ولم تات ايضا على ذكر المواد الهندسية الجديدة والاساليب الجديدة لتربية الغنم والمواشى ، ومن الصعب التنبؤ بنوعية وحجم التغيرات التكنولوجية فى المستقبل ٠٠٠

والواقع ان هذه نقطة بالغة الاهمية وتحتاج بالفعل لدراسة خاصة ،فليس من السهل ان نلم بدقة اليوم بما سوف يكون عليه نمط حياتنا وما هى التقنية الجديدة التى ستحدث عندئذ ، الا ان التوقعات القائمة على العلم تشير الى حدوث تغييرات هائلة فى القرن ٢١ ، فاليوم تثير الحاسبات الالكترونية ثورة عارمة فى دنيا البنوك والاعمال وحفظ المعلومات وفى مجال العلوم والهندسة اصبحت للحواسب قوة يرهب جانبها حقا ، وعلم المستقبل احد نتائج قوة الكومبيوتر الذى اصبح من الممكن تغذيته بالمعلومات حول الماضى ومعدل التغير والبدائل المختلفة التى يمكن ان تقع فى كل عام فيخرج نتائج رقمية لكل حالة، وايضا اصبحت وسائل الانتقال عالمية ولحظية٠٠

والتغير الذى وقع بين القرن الماضى والقرن الحالى فى التطور التكنولوجى جعل الخط البيانى الذى يصل الماضى بالحاضر لا ينبىء عن المستقبل فى نفس الاتجاه وبنفس زاوية الميل فقفزات العلوم والتكنولوجيا تتقدم بمعدل متزايد ٠ فهناك ما هو متوقع من تغييرات ستحدث فى المستقبل، ويبقى دائما غير المتوقع ٠٠

ان الفرص امام الوطن العربى غير محدودة ، الا انها لن تتحقق ما لم يوجد وعى ورغبة كافيان لتحويلها الى حقائق واقعة ٠٠

عدم توفر الارقام

وتبقى صعوبة حول دراسات المستقبل فيالوطن العربي عندما يصطدم الباحث بقصور الاجهزة الاحصائية وعدم توفر المعلومات ، فنجد ان القائمين على الدراسة التي بين ايدينا لا يفوتهم الاعتذار عن عدم تمكنهممن الحصولعلى معلومات حديثة في المجالات المختلفة وفي كافة الدول العربية ، وظهر التباين الكبير في حداثة الارقام، فمنها ما وصل الى عام ١٩٧٤ ومنها ما وقف عند عام ١٩٦٥ ..

تقول الدراسة .... يملك الوطن العربي طاقات هائلة لم تستغل بالكامل حتى الآن وتدرك اسرائيل والقوى الصناعية الكبرى ضخامة هذه الموارد ، فتصدر الدولالعربية ما قيمته ٧٥ بليون دولار اودعت في البنوك الاجنبية وصدرت من الطاقة البشرية مليون ونصف عامل يعملون في اوروبا والولايات المتحدة ــ حوالي ٥٪ من القوة العربية العاملة ــ ويهاجر ايضا من ٣٠ الى ٥٠٪ من الطاقة البشرية العالية التخصص . فالعرب يصدرون جميع عوامل الانتاج ويستوردون في مقابلها المنتجات المصنوعة مثل السيارات والشاحنات والطائرات والساعات واجهزة الراديو والتلفزيون .. الخ .. وتضيف الدراسة ..

« تعرض العرب للعديد من اشكال الاستغلال فمن استعمار الارض الى الاحتلال الى استغلال الموارد الطبيعية وكانت قناة السويس وموارد النفط العربي امثلة نموذجية للاستغلال الاقتصادي .. »

وفي عام ٢٠٠٠ سيبلغ تطور البيئة الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية للدولالصناعية المتفوقة حدا يرافقه استثمار لم يسبق له مثيل للموارد العربية سواء البشرية او الطبيعية واذا لم يوقف العرب سير هذا الاستثمار بتصميم حاسم، ويقرون بواقع الحال ويعملون من خلاله فسيصبحون أكثر من اىوقت مضىفريسة للدول «ما بعد الصناعية».

ويقدم العلماء في الغرب صورة وردية للحياة عام ٢٠٠٠ . عندما تصل اوقات الفراغ الى ٤٠٪ من السنة بمعدل ٣٠ ساعةعمل لكلفرد اسبوعيا، وفي ظل اقتصاد موجه نحو الخدمة،لانحو الانتاج، وسيعيش الانسان ويعمل في بيئات من صنعه بالدرجة الاولى ، وسيصبحمن الممكنتحديد النسل والسيطرة على الاوبئة ، وتعيين نوع المولود ، مع توقع تقدم ملحوظ في ميدان السيطرة الكيمائية والبيولوجية على العقل والتخطيط لتطور النسل، وسيكون المجتمع غنيا بالمعلومات ، وسيصبح لصناعتي الحاسبات الالكترونية والبحث العلمي فضل كبير في تحسين نوعية العمل والحياة وسوف يقع تغيرجذري فيالحافزعلىالعملوالانجاز والتقدم ولن تبقى فعالية العمل في الدرجة الاولى من الاهمية وسيتخلص الانسان من الاعمال المملة والرتيبة ، مما يمكنه من وقف طاقاته على النشاطات الخلاقة ..

واين سيكون الوطن العربي في ظل هذا التغير الهائل .. ؟

يلاحظ ان ما يشغل الدول الصناعية (الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، واليابان ، واوروبا الغربية وربما الصين) هو خطر حرب عالمية شاملة قد تدمرهم جميعا ..

والعالم الثالث تشغله هموم اخرى فيهمه اولا، التخلص من التخلف المستمر الذي يقضي على فرص الحياة الكريمة ويهمه كذلك المشاركة الفعالة في النظام الدولي ..

ويبقى التفاوت واحيانا التضارب بين مشاكل الدول الكبرى والعالم الثالث مما دفع الباحثين لوضع تنبؤ في شكل بدائل للصورة التي سيكون عليها النظام الدولي العالمي .

وقد أعد نادي روما دراسة اشترك فيها ٢١ متخصصا من الدول المختلفة حول اعادة تشكيل النظام الدولي ، والبحث يدور حول شكل النظام الدولي الجديد بحيث يكون عمليا وواقعيا ، ويستجيب لاحتياجات السكان وأجيالهم القادمة .. ومن خلال رؤية جديدة للفن والعلم ، ومن اجل تحقيق افضل ظروف ممكنة لحياة الانسان ــ وقبل فوات الاوان ــ ليبقى الانسان مدافعا عن مصيره امام كل التغيرات ويبقى على حقه في الحياة والعمل ..

وهو أيضا موضوع البحث في اجتماعات باريس الذي يطلق عليه حوار « الشمال والجنوب » .

النظام الدولي العالمي الجديد

ونعود الى دراستنا التي تورد ٣ نماذج للعلاقات الاقتصادية الدولية فهي : ــ

النموذج الاول : التنافس بين الدول العالية التصنيع .

عندما تسعى الدول الكبرى للسيطرة على الموارد الطبيعية للعالم الثالث وعلى أسواقه وقوته العاملة ، مما يقلل الى حد كبير من قوة العالم الثالث على المساومة وهذا النموذج قد يؤدى الى اشتعال حرب شاملة للاسباب التالية ـ

١ ـ المتنافسون عديدون والاستراتيجيات عديدة وستتجدد الازمات الحادة مما يزيد احتمالات الحرب الشاملة .

٢ ـ ان الانحلال المتواصل للاوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى العالم الثالث سيؤدى الى اشتداد النزاع الداخلى ، مما يدخل بالضرورة الدول الكبرى كطرف فيه .

٣ ـ قد تظهر قوى جديدة فى العالم الثالث تميل الى استراتيجية تقود الى تصادم شامل بين القوى، اى ما يعرف بسياسة الارض المحروقة ولن تستطيع الدول الكبرى ان تواصل السيطرة على العالم الثالث واستغلاله دون ان تشعل نار حرب شاملة .

النموذج الثانى : التواطؤ بين الدول عالية التصنيع .

ويتم ذلك عن طريق الاتفاق بين الدول الكبرى على وضع حدود لميادين تنافسها ومداه وعلى تجنب الحروب العارضة والافراط فى التدخل ، ويلاحظ ان هذا النموذج صيغة معدلة للنموذج الاول، ولكنه يتصف بقدر اكبر من « الاستقرار » اى تؤلف الدول الكبرى جبهة فى وجه العالم الثالث ، وهو أسوأ الاحتمالات الممكنة بالنسبة للعالم الثالث ، وهذا يفترض نهاية الانقسام بين الغرب والشرق ، ويستبدل به الصراع الدولى بين « الدول الغنية » و « الدول الفقيرة » مما يؤدى الى نظام عالمى مزعزع تتخلله حروب عصابات على نطاق عالمى .

النموذج الثالث :

يقوم هذا النموذج على افتراض ان مصلحة الجميع تعزيز الاستقرار العالمى بمعالجة جذور الاضطراب بدلا من معالجة اعراضه ، ويفرض ان التنافس بين الشرق والغرب سيحل محله التفاهم، ومع افتراض ان زعامة العالم الثالث عقلانية وقادرة على تخطيط سياساتها وتنفيذها .

والوطن العربى الذى يملك موارد هائلة تطمع بها جميع الدول العالية التصنيع ، انما هو محور الصراع ومركزه ، ولكى تحصل الدول العربية على النفوذ والزعامة اللازمين لبناء نظام عالمى ناجع ، فان عليها ان تنفذ برنامجا انمائيا ضخما ..

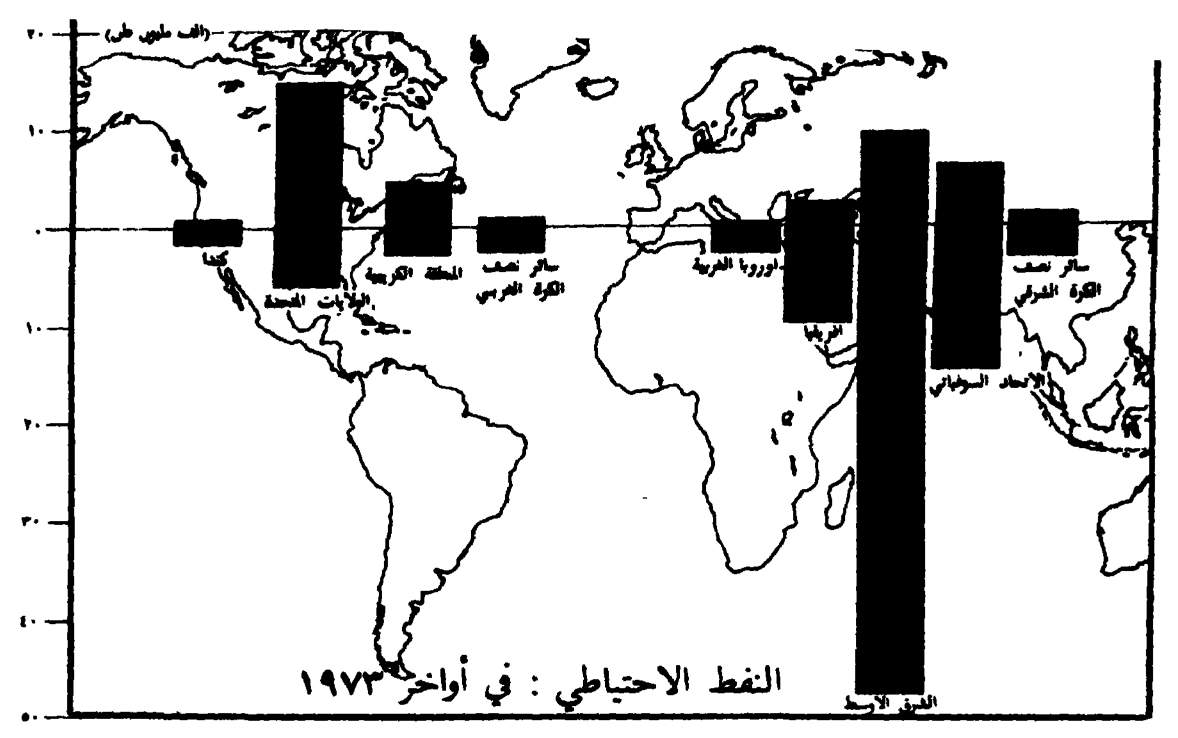
صورة الوطن العربى عام ٢٠٠٠

وهذه الصورة تتمثل فى السكان ومعدل تزايدهم ونوع الانشطة التى يقومون بها وطبيعة النظم التى تحكمهم وصحتهم ، ونوع الثقافة والتربية والمناهج التى تقدم اليهم ، ومن حصاد هذا النشاط تتشكل صورة الوطن العربى .

وبداية بلغ عدد السكان العرب سنة ١٩٣٠ بما يقدر ١٢٥ مليون نسمة ويتزايدون بمعدل ٣ر٣٪ ، وسوف يصبحون سنة ٢٠٠٠ حوالى ٣٢٣ مليون نسمة ، اى يتزايدون ثلاثة اضعاف ما هم عليه الآن فى غضون ٣٠ سنة ، بينما يكون عدد سكان العالم قد تضاعف تقريبا ، فيصبح عدد سكان العالم ٥ر٦ بليون نسمة بعد ان كانوا ٦ر٣ بليون نسمة ١٩٧٠ .

واذا أمكن التحكم فى تزايد السكان العرب ، وصحتهم وتوزيعهم ومستقبلهم مع تخفيض معدل نموهم الى ٣ر٢٪ ـ وسبق ان اليابان حققت ذلك ـ فسيكون عدد العرب سنة ٢٠٠٠ حوالى ٢٤٠ مليون وهو عدد يمكن حل مشاكله بسهولة اكبر من حيث التربية والتغذية والاسكان والاستخدام كما يمكن تحديد سياسات سكانية واضحة والتزام جدى بها من قبل الحكومات العربية ، وتشجيع الهجرة العربية الداخلية ، لتوفير الموارد البشرية اللازمة للبلدان قليلة السكان .

وبالنسبة للصحة تقول الارقام ان ٢٠٪ فقط من العرب يمكن اعتبارهم سليمين من أمرض التراخوما، البلهارسيا ، السل ، سوء التغذية ، اليرقان المعدى ، النقص فى الفيتامينات ، الامراض المعدية ، الامراض الزهرية ، وعطب الاسنان .. الخ ومتوسط عمر الفرد العربى ٥٢ عاما اما الدول المتطورة فيبلغ ٧٢ عاما وما تنفقه الحكومات العربية على الصحة للفرد فى المتوسط ١٠ دولارات وفى الدول المتطورة ٧٠ دولارا، والمطلوب تحقيق تغيرات جذرية وسريعة فى صحة العرب .



على الخريطة خط عرضي يقسمها الى جزءين · الجزء العلوى يحدد كمية النفط المستخرج، ويشير الى أن أعلى نسبة انتاج فى الولايات المتحدة ، بينما الجزء الاسفل يحدد حجم الاحتياطى ، ويشير الى ضخامة احتياطى نفط الشرق الاوسط ·

أما بالنسبة للتربية فى الوطن العربى فقد بلغت نسبة الامية ٧٠٪ من مجموع العرب البالغين سنة ١٩٧٢ ، والمتوقع فى عام ٢٠٠٠ أن يبلغ عدد الاميين ما بين ٥٠٪ و ٦٠٪ ··

وهنا لا تتحدث الدراسة بالطبع عن محتوى ما سيدرسه غير الاميين لمحو أميتهم ، وهذا المحتوى عامل هام فى دراسات المستقبل ، ومكونات المادة التى سيدرسها لها أهمية فى تحديد مهاراته ··

وبالنسبة للتعليم فى المدارس فيلاحظ سوء نوعية التسهيلات فاكثر من ٩٥٪ من طلاب المدارس لا تتوفر لهم مكتبات ولا يقومون بتجربة فى اى من العلوم ، ويتعلمون فى مدارس دون المستوى الصالح ، كما ان الكتب المدرسية سيئة الاخراج وينقصها الحد الادنى من صفات الابداع فلا تستطيع اثارة اهتمام النشء او ترغيبهم من اى سن وعدد المعلمين المتخرجين من الجامعات ضئيل ، كما ان اهداف التربية الحالية تتركز فى حفظ المعلومات من أجل اجتياز الامتحانات والحصول على الشهادة ، لا المعرفة والفهم ·· لهذا ينبغى تعيين معلمين مثقفين يشجعون حب الاستطلاع الطبيعى لدى الطالب بالتشديد على ملكة الملاحظة والتجربة فى جميع الاعمار وبذل مجهود منظم لاخراج كتب مدرسية ممتازة ، وتاسيس مكتبات عامة للاولاد والاهل فى جميع المدن والقرى وانشاء مكتبات للطلاب ومتاحف للفنون العملية ، كالزراعة والصناعة وسواها ، وعن طريق شيوع الثقافة من خلال الاشكال المختلفة بما فيها الراديو والتلفزيون والرحلات ··

وتبدى الدراسة الملاحظات التالية حول التعليم الجامعى فى الدول العربية :

١ ـ ان ٨٠٪ من المهندسين الزراعيين العرب ليس لهم علاقة مباشرة بالارض ·

٢ ـ ان حوالى ٢٠٠ بحث اصيل تنتشر سنويا فى العالم العربى فى جميع المجالات ·

٣ ـ ان ٩٠٪ من جميع المنشورات العلمية فى الوطن العربى من تاليف غير العرب ·

وينتج عن قصور التعليم الجامعى العربى وانعدام البحث ان لا تستطيع البلدان العربية توفير المهارات الضرورية لتامين حاجاتها ، كما لا تستطيع البلاد العربية تطوير الانظمة التربوية بصورة تناسب متطلباتها ، ولا تستطيع الجامعات

العربية تدريب أجيال جديدة قادرة على التكيف بحسب متطلبات الاهداف العربية وايضا لا تستطيع البلدان العربية تحديد حاجاتها التكنولوجية ومن هنا عجزها عن امتصاص الموارد البشرية والمالية .

اما الطريق نحو رفع مستوى التعليم الجامعي فتحدده الدراسة عن طريق توظيف مبالغ ضخمة لتطوير الجامعات العربية وزيادة عدد الكليات والجامعات مع تركيز ضخم على البحث في الجامعات . وهكذا يجب ان يرتفع عدد الجامعات عام ٢٠٠٠ الى ٣٤ ضعف ما كان عليه في عام ١٩٧٣ ، ونتساءل .. هل المطلوب زيادة عدد الكليات الجامعية فقط ام زيادة الابحاث العلمية وزيادة المعاهد التكنولوجية .. ؟ !

الريف والحضر ..كان عدد سكان المدن العربية عام ١٩٧٠ حوالى ٣٦ مليون نسمة ، وكان عدد سكان الريف ٨٩ مليون نسمة ، وما تزال المدن العربية تنمو بمعدل ٦٪ كل سنة ، واذا استمر هذا المعدل حتى سنة ٢٠٠٠ فسيكون عدد سكان المدن العربية ٢٠٦ ملايين عربي ويبقى حوالى ١١٧ مليونا فقط يعيشون في الريف ، وهذا يعني تجمعا مكثفا للسكان في المدن اما اذا اصبح معدل النمو في المدن ٤ر٥٪ فسيكون ثمة ١٣٦ مليون عربي يعيشون في المدن و ١٨٧ مليونا يعيشون في الريف وهذا يشكل - بمعنى نسبي - توازنا معقولا بين سكان المدن وسكان الريف ..

ويبقى احتمال ثالث لم تذكره الدراسة وهو امكانية الوصول الى « تكنولوجيا جديدة » تدخل في اقامة المباني سواء المنازل او المدارس او المستشفيات أو المسارح ، كالتفكير في اقامة « مدن صغيرة » بين القرية والمدينة ، مما يساعد على وقف النزوح المستمر من الريف الى المدينة ..

وتضيف الدراسة .. .. انه من المتوقع ان يبلغ عدد سكان القاهرة الكبرى سنة ٢٠٠٠ حوالى ٢٨ مليونا وهو ما يعادل سكان مصر منذ عشر سنوات ، وسيبلغ عدد سكان بغداد الكبرى ١٠ ملايين ، وهو ما يعادل مجموع سكان العراق اليوم، وسيصبح مجموع سكان اكبر عشر مدن عربية ٨٤ مليونا تقريبا ، وهو اكثر من نصف سكان المناطق المدنية جميعها ، وبما ان المدن العربية قديمة جدا والتكنولوجيا العربية متواضعة جدا ، فسيصبح سكان المدن عبارة عن سرطان اجتماعي يعيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية السليمة ، وسيصبح معظم سكان المدن متعطلين عن العمل ، مزدحمين جدا ، ويسكنون في أحياء فقيرة ، ولا يتلقون سوى جزء بسيط من الخدمات الضرورية ، والنتيجة مجاعة ، حرب مدنية ، وانهيار اجتماعي ..

وتقترح الدراسة في مواجهة تلك المخاطر العمل على وقف النمو العام للسكان ، بحيث ينخفض المعدل من ٣ر٣٪ الى ٣ر٢٪ ، وان يحكم النزوح من الارياف الى المدن الصغيرة والمدن المتوسطة والمدن الجامعية ، وان تقام مدن جديدة والا تكون هذه المدن في الاودية النهرية او في المناطق كثيفة السكان بل في الصحراء حول المناجم وحقول النفط في الجزائر وليبيا والبحر الاحمر وسيناء وما يشابهها في الوطن العربي ، وفي المناطق الساحلية بين الاسكندرية وطرابلس الغرب ، وبين عدن والعقبة ، وبين السويس وبور سودان ، وسبق ان قامت بور سعيد والاسماعيلية على هذا الوجه ، وهذه المدن الصحراوية الجديدة يمكن ان تقوم على اسس اقتصادية صحيحة .

التنمية ومستقبل الوطن العربي

يتحدد مستقبل الوطن العربي في معدلات التنمية التي يحققها ، وقد تباينت معدلات النمو بين البلدان المنتجة للنفط والبلدان غير المنتجة فبين عامي ١٩٦٠ و ١٩٧٠ تراوحت معدلات النمو للبلدان المنتجة للنفط بين ٣٠٪ لدولة الامارات العربية المتحدة و٤ر٦٪ لكل من العراق والبحرين، وفي المقابل تراوحت معدلات النمو للبلدان غير المنتجة للنفط بين ما دون الصفر و ٦ر٦٪

والعوامل التي تحد من معدلات النمو هي :

١ - القصور في البحث والتصميم في ميادين الاقتصاد والادارة والتكنولوجيا . ففي عام ١٩٦٩ كان اقل من واحد من ١٠ آلاف عربي يعمل في حقل البحث والتنمية مقابل ٢٦ من ١٠ آلاف امريكي .

٢ - عدم الخبرة في تحديد الاولويات والتكنولوجيا والموارد .

٣ - العجز عن استيعاب فائض رأس المال العربي في الاقتصاد القومي فيما يزيد عن ٧٥ بليون دولار مودعة حاليا في الخارج .

٤ – العجز عن الاستخدام الكفء للطاقة البشرية استخداما منتجا .

٥ – العجز النسبي للتبادل التجاري للتشابه القائم في الاقتصاد الزراعي .

٦ – الاضطرابات السياسية المتواصلة .

ولقد كانت معدلات نمو الناتج القومي الاجمالي للدول العربية ما بين ١٩٦٠ – ١٩٧٠ كما يلي:

الامارات العربية المتحدة	٣٠٪
ليبيا	٢٥٪
السعودية	٥ر١٠٪
قطر	٦ر٩٪
الكويت	٩ر٧٪
الاردن	٦ر٦٪
العراق	٤ر٦٪
البحرين	٤ر٦٪
سوريا	٩ر٥٪
مصر	٥ر٥٪
لبنان	٧ر٤٪
جمهورية اليمن العربية	ما بين صفر الى ٣٪
جمهورية اليمن الديمقراطية	سلبي
الجزائر	
المغرب	من ٤ الى ٦ ٪
تونس	

ويلاحظ عدم ذكر السودان وعمان والصومال وموريتانيا .

ويمكن تحقيق معدل نمو سنوي يزيد عن ١٤ ٪ بفضل الموارد العربية البشرية والطبيعية الضخمة، وقد حققت الدول العربية نموا سنويا قدره ٣ر٤٪ من سنة ١٩٧٠ وحتى سنة ١٩٧٤ . فالرأسمال العربي يزيد عن ١٠٠ بليون دولار سنة ١٩٧٦ ، وبسبب ارتفاع النسبة المئوية للادخار قياسا الى الناتج القومي الاجمالي . ففي سنة ١٩٧٠ بلغ معدل الادخار في البلدان المنتجة للنفط

٥٨ ٪ من الانتاج القومي لليبيا

٤٦ ٪ من الانتاج القومي للكويت

٣١ ٪ من الانتاج القومي للجزائر .

ومع ملاحظة انه اذا استعيض عن النفط بمصادر اخرى للطاقة سنة ١٩٨٥ فان البلاد العربية قد تعاني تناقصا في معدل النمو يبلغ قدره نحو ١٪ اذا لم تتطور قطاعات اخرى .

فقراء العالم واغنياؤه . .

حصلت المناطق الاقل تطورا خلال سنة ١٩٧٠ والتي تشتمل على ٧٠٪ من سكان العالم على ٩ر١٤٪ فقط من الناتج القومي العالمي ، ومن المتوقع سنة ٢٠٠٠ ان يبلغ سكان المناطق الاقل تطورا ٧٨٪ من سكان العالم بينما يبقى نصيبهم من الناتج القومي العالمي الاجمالي على حاله ، هذا اذا لم ينخفض الى ٤ر١٤٪ ، فيحصل ٢٢٪ من سكان العالم على ٦ر٥٨٪ من الناتج القومي العالمي الاجمالي ، ومعنى هذا ان الفارق في الناتج القومي الاجمالي للفرد الذي كان ١٣ : ١ سنة ٧٠ سوف يبلغ حوالي ٣٠ : ١ سنة ٢٠٠٠

ويمكن ايضا تقسيم العالم العربي الى فقراء واغنياء ففي عام ١٩٧١ بلغ الناتج القومي الاجمالي للفرد الواحد في الكويت ٣٨٦٠ دولارا ، وفي دولة الامارات العربية ٣١٥ دولارا وفي ليبيا ١٤٥٠ دولارا .

وليس من المستبعد ان تبلغ الاقطار العربية المنتجة للنفط مستوى الناتج القومي الاجمالي للفرد الواحد في البلدان التي تعدت « المرحلة الصناعية » .. في سنة ٢٠٠٠ ، أي يبلغ دخل الفرد ما بين ١٠ آلاف و ١٥ الف دولار .

وعلى عكس ذلك كان الناتج الفردي في الجمهورية العربية اليمنية ٩٠ دولارا والسودان ١٢٠ دولارا ومصر ٢٢٠ دولارا وكان متوسط النمو السنوي لا يتجاوز ١٪ او ٢٪ في السنة.

وهكذا نجد فارقا حاليا يبلغ حدا اقصى هو ٢٣ : ١ تقريبا بين الكويت من جانب وجمهورية اليمن العربية والسودان من جانب آخر ، ومن المحتمل ان يتعاظم هذا الفارق في المستقبل .

ومطلوب تحقيق توازن بين الاقتصاديات المختلفة للوطن العربي ..

والمهم انه اذا استغلت البلاد العربية طاقاتها العالية الاستغلال الافضل ، فان ناتجها القومي سنة ٢٠٠٠ قد يبلغ ١٧٠٠ بليون دولار ، واذا خفضت نسبة تزايد السكان الى معدل ٣ر٢ ٪ سنويا فان مجموع سكانها سيكون ٢٤٠ مليون نسمة ، والواقع انها اذا حققت ناتجا قوميا اجماليا للفرد يزيد عن ٦٠٠٠ دولار، فان الفارق بين البلدان العربية والبلدان الاكثر تطورا قد ينخفض من ١ – ١٠ سنة ١٩٧٠ الى ١ – ٢ او ١ – ٣ (سنة ٢٠٠٠) .

التكامل الاقتصادى العربى

من الاهداف الرئيسية للتنمية الاقتصادية القومية ، التصنيع السريع المتنوع ،ولذا فاتساع السوق ضرورى لدعم انشاء صناعة ذات قاعدة واسعة فى ظروف قائمة على التنافس ، ولقد اقامت بعض الدول العربية صناعات هندسية وميكانيكية بقصد انتاج آلات زراعية وعربات للنقل ، فى محاولة لتنمية التطور الصناعى فرديا ، ولكن هذه المحاولات الفردية اظهرت انها تفتقر الى الفعالية لاسباب تتعلق بضيق الاسواق والموارد ، فلو حشدت الدول العربية طاقاتها ومواردها البشرية والمالية والطبيعية ضمن اطار سوق عربية مشتركة ، لتعززت قدرتها على تحقيق تصنيع سريع ومتنوع ، ذلك ان انشاء وحدة اقتصادية اقليمية ، وما يتبع ذلك من فرص للتخصص وتطوير صناعات ناجحة على نطاق واسع كفيل بان يجعل هذه الصناعات مجدية اقتصاديا ويزيد سرعة النمو الصناعى والاقتصادى والاجتماعى فى مختلف انحاء الوطن العربى •

هذا وقد قدرت واردات الاقطار العربية من الانتاج الصناعى الاستهلاكى والرأسمالى خلال عام ١٩٧٢ بنحو ٨ بلايين دولار ومن المرجح ان يتجاوز الطلب على المنتجات الصناعية هذا الرقم•

وبزيادة عائدات النفط واقامة سوق عربية مشتركة ينسق عبرها وضمن اطارها استخدام هذه العائدات مع بقية الموارد العربية • يصبح عندئذ فى امكان الوطن العربى ان يتدبر معظم احتياجاته الصناعية عن طريق الانتاج المحلى •

وسيؤدى التكامل الاقتصادى العربى الى شبكة من الصناعات المتكاملة التى تولد بدورها اقتصادا خارجيا مع تعزيز فعالية القطاع الصناعى العربى وقدرته على منافسة الصناعات الخارجية ، سواء كان ذلك داخل السوق العربية المشتركة أو فى الاسواق العالمية •••

واخيرا •• بقيت ملاحظتان حول دراسة «الوطن العربى سنة ٢٠٠٠ » ••

اولهما : ان الدراسة — ولعل ذلك للتبسيط — لم تبين كيفية الوصول الى العديد من الارقام التى اوردتها، ولم توضح ايضا بعض الافتراضات التى اقامت عليها نتائجها ، مما صعب معه الحكم على هذه الارقام وتلك الافتراضات ، رغم ان اهم فوائد هذه الدراسات تنشيط العقل وتحريكه نحو المستقبل •

والملاحظة الثانية : تتعلق بالنموذج او النمط الذى قاس عليه وتخيله واضعو الدراسة للمستقبل ، وقد سلمت الدراسة بان النمط الغربى هو النموذج الذى يسعى المجتمع العربى للوصول اليه . وظهر ذلك فى المقارنات الرقمية التى اوردتها والخلفية التى قاسوا عليها ،ورغم التسليم بانه فى هذا الزمان الذى تلاشت فيه الحدود والمسافات،فعلينا ان نرصد التغيير،ونلاحقه، فلكل حادث معاصر انعكاساته الفورية فى العالم اجمع . الا انه ينبغى ان يتبع الرصد والملاحقة « الاستيعاب » وفهم منهج وقانون التقدم الذى يمكننا من خلق نموذجنا الخاص وقياسنا المتميز، فليست تجربة الغرب الخاصة لا عالمية ولا عامة بل هى تخصه وحده، وليس تكرار التجربة الغربية هو الطريق الوحيد لتحديث المجتمع وتطويره ، فالتنمية فى الغرب تعنى زيادة ما يستهلكه الفرد من سلع وخدمات، وكلما زادت القدرة الانتاجية للدول المتقدمة صناعيا اتجهت هذه الدول اكثر فاكثر نحو انتاج سلع تافهة الاثر فى رفع مستوى الرفاهية • وعندما يختلف مجتمعان فى القيم فان السلع والخدمات التى تولد الاشباع والمزيد من الرفاهية لاحدهما قد لا تولد اى قدر من الرفاهية لمجتمع آخر ، وكثير من السلع التى تقوم الدول المتقدمة صناعيا بانتاجها لا يمكن ان يتم الاستمتاع بها الا فى ظل انتشار نمط من انماط القيم الاجتماعية هو النمط السائد فى المجتمع الغربى الذى قام بابتداع هذه السلع ••

كما انه عندما نبدأ من التسليم باقتصار حركتنا فى المجتمع العربى بالسير على خطى المجتمع الغربى والوصول الى نمط حياته ، فسنحكم على انفسنا باستمرار الفجوة التاريخية ليحتفظ الغرب بسبقه التاريخى ••

وعلى اية حال فهذه قضية تحتاج الى مناقشة طويلة متانية يساهم فيها قادة الفكر العربى جميعا ، ويبقى لهذه الدراسة فضل القضايا المستقبلية التى طرحتها ووضع اسئلة هامة فى بداية طريق طويل • ■■

مصطفى نبيل



مسابقة العـــدد

▪ مسابقة هذا العدد هي « الكلمـاتالمتقاطعة » ٠٠ والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ٠٠ ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعةعلى ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العددبقطعها منه ٠٠ اما الكوبون المنشور فـي اسفل الصفحة ، فمن الضروري ان يرفقبالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح علىالوجهالآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزةالثانية ٢٠ دينـارا الجائـزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ ديناراكل منها ٥ دنانير ٠

ترسل الاجابات على العنوان التالي :مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مســابقة العدد ٢٢٦ » وآخر موعـد لوصول الاجابة الينـا هو اول نوفمبر (تشرين ٢) ١٩٧٧ ٠

اثنان في واحدة

● اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة،ستجد في (٨) افقيا اسم اعظم علماء الاندلس ،كما ستجد في (٨) رأسيا اسم عالم كيميائي وكهربائيانجليزي شهير ٠

الكلمات الافقية :

(١) مسرحية لبرناردشو ـ احدى جزر الهند الغربية ٠

(٢) امانة ـ كاتب روائي فرنسي شهير ٠

(٣) رمز البوتاسيوم ـ اكمل ـ اهز ـ وضعت لهارقاما ٠

(٤) ينتسب الى اتجاه سياسي وفكري معين ـ من الاشجار ٠

(٥) ازخرف ـ عاصمة ايسلندا ٠

(٦) تنافقك ـ عاصمة اوروبية ـ مسح ٠

(٧) نصف كلمة (تسول) ـ صحاري ـ حرفان متشابهان ـ نصف كلمة (سعاد)

(٨) اعظم علماء الاندلس ٠

(٩) المستند ـ وقت قصير ـ يجري ٠

(١٠) حالا ـ للنداء ـ شعرا ٠

(١١) طائر يعرف باسم صديق الفلاح ـ اختبر٠

(١٢) يمقتان ـ اخاف ـ نصف كلمة (يجثم)٠

(١٣) عبدا ـ تقصده ـ زعيم ومفكر آسيوي راحل ٠

(١٤) يرشده ـ حرفان متشابهان ـ يوكلني ٠

(١٥) حرفان متشابهان ـ مفيد ـ لقب ديني ـ حرفان متشابهان ٠

١٥	١٤	١٣	١٢	١١	١٠	٩	⑧	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
							*								١
■									■						٢
				■				■				■			٣
■						■									٤
	■									■					٥
			■					■							٦
		■			■						■	■			٧
														*	⑧
				■					■						٩
	■					■				■					١٠
				■									■		١١
		■						■							١٢
					■						■				١٣
■							■			■					١٤
		■					■					■			١٥

الكلمات الرأسية :

(١) اعلى صوت من المغنيات النساء ـ قارة من القارات •

(٢) موسيقار فرنسى معروف ـ دولة فى القارة الامريكية •

(٣) غير ناضج ـ رنا ـ بحيرة آسيوية شهيرة•

(٤)تحيا معه وتخالطه ـ ذكاء ـ ضمير •

(٥) ناحيتك ـ وهبه ـ وحدة قياس كهرباء •

(٦) لقب اوروبى قديم ـ اسعى الى اخذهم برايى •

(٧) نصف كلمة (ناقة) ـ يخصنى ـ وحدةقياس كهرباءـمجرى مائى •

(٨) عالم كيميائى وكهربائى انجليزى شهير •

(٩) من مواد البناء ـ يوفر له ـ اخاف •

(١٠) من العشرات ـ جرح الكرامة ـ نصف كلمة (نائب) •

(١١) يتميز بمذاق خاص ـ اغصان ـ يافل•

(١٢) شريان هام بالجسم ـ عاصمة افريقية •

(١٣) يقابلكم ـ من افرازات الجسم ـ حرفان متشابهان •

(١٤) مستتر ـ يتمنون زوال النعمة ـ دولة قديمة قامتفى غرب تركيا •

(١٥) (علم الاشعة) •



رحّالة شهير

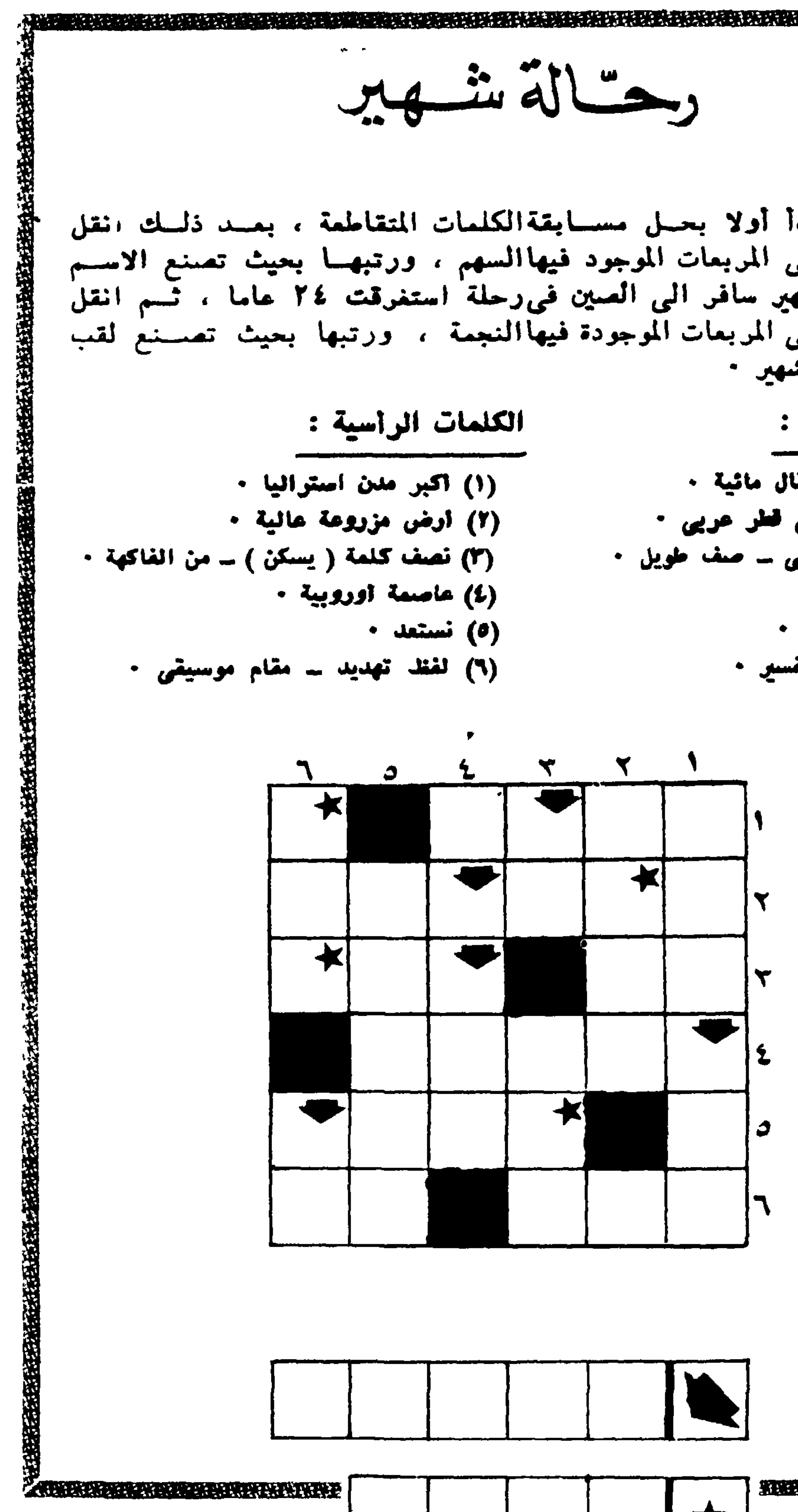
● ابـدأ أولا بحـل مسـابقة الكلمات المتقاطعة ، بعـد ذلـك انقل الحروف التي فى المربعات الموجود فيها السهم ، ورتبهـا بحيث تصنع الاسـم الاول لرحالة شهير سافر الى الصين فى رحلة استغرقت ٢٤ عاما ، ثـم انقل الحروف التي فى المربعات الموجودة فيها النجمة ، ورتبها بحيث تصـنع لقب ذلك الرحالة الشهير .

الكلمات الافقية :

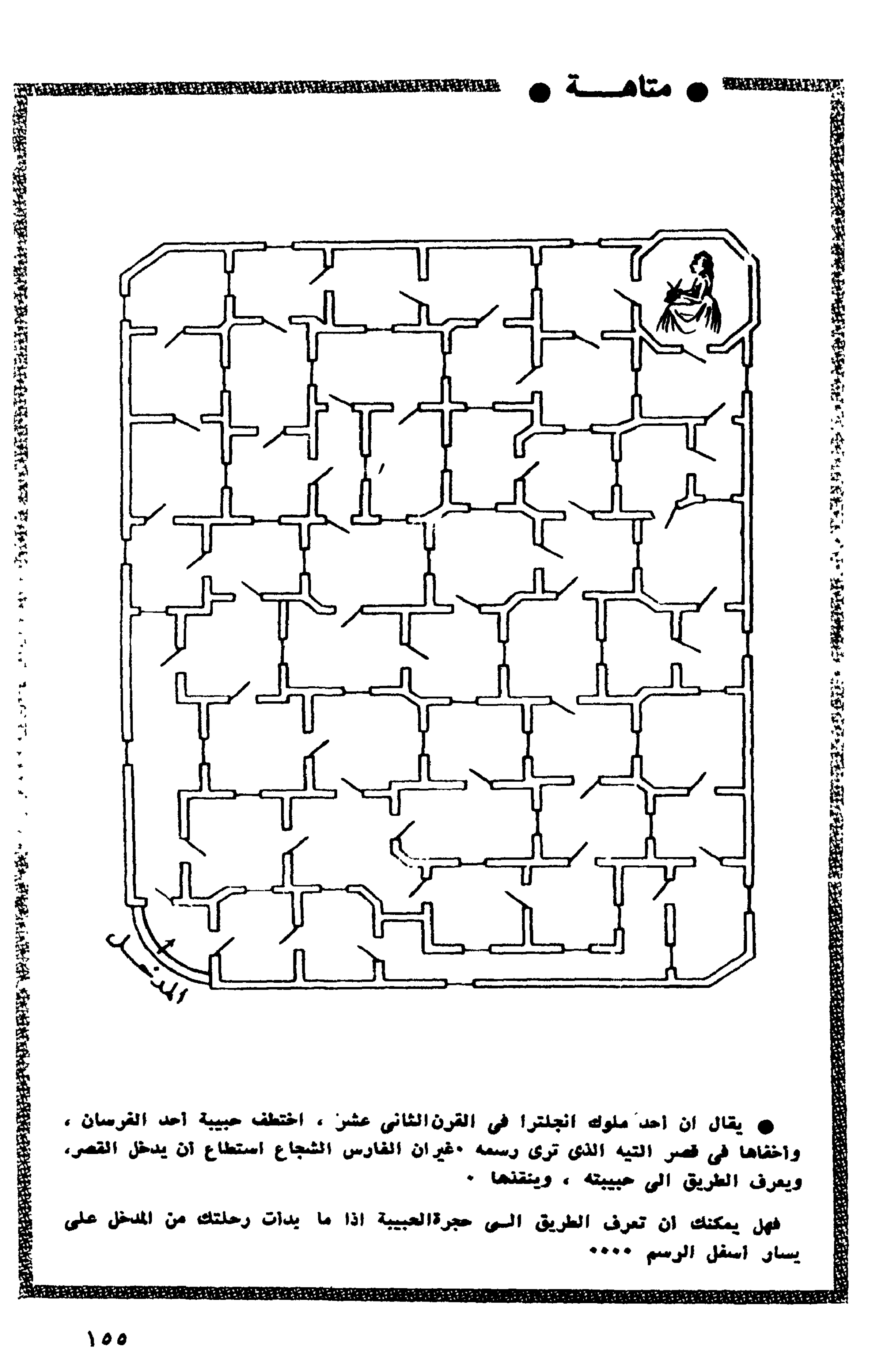
(١) وسيلة انتقال مائية .
(٢) ينتسب الى قطر عربى .
(٣) رمز كيميائى ـ صف طويل .
(٤) خيالية .
(٥) حلو الوجه .
(٦) نرج ـ للتفسير .

الكلمات الراسية :

(١) اكبر مدن استراليا .
(٢) ارض مزروعة عالية .
(٣) نصف كلمة (يسكن) ـ من الفاكهة .
(٤) عاصمة اوروبية .
(٥) نستعد .
(٦) لفظ تهديد ـ مقام موسيقى .



• متاهـــة •



● يقال ان أحد ملوك انجلترا فى القرن الثانى عشر ، اختطف حبيبة أحد الفرسان ، واخفاها فى قصر التيه الذى ترى رسمه ٠غيران الفارس الشجاع استطاع ان يدخل القصر، ويعرف الطريق الى حبيبته ، وينقذها ٠

فهل يمكنك ان تعرف الطريق الـى حجرةالحبيبة اذا ما بدات رحلتك من المدخل على يسار أسفل الرسم ٠٠٠٠

● بالعمـل فقط ●

استاذ نبيه يسأل :

من كان شريك توفيق أحمد ..

● نظر يترفع الى المائدة القريبة منافى المقهى ، وقال « أترى هؤلاء الاربعة الذين يلعبون الدومينو ... انهم لا يتوقفون عناللعب منذ وصولهم عصرا وحتى موعد اغلاق المقهى ، كل يوم » .

قلت « انت تعرفهم اذن .. » . قـال« طبعا .. سعد وجميل يلعبان ضد سعد واحمد .. ولكن اكثرهم مهارة هو توفيق .. » .

للوهلة الاولى نظرت اليه متعجبا ، ثمقلتفي محاولة لفهم كلامه «ومن هو توفيق فيهم» اجاب فى ثقة « ذلك الشاب الذى يجلس الىيسار توفيق .. » .

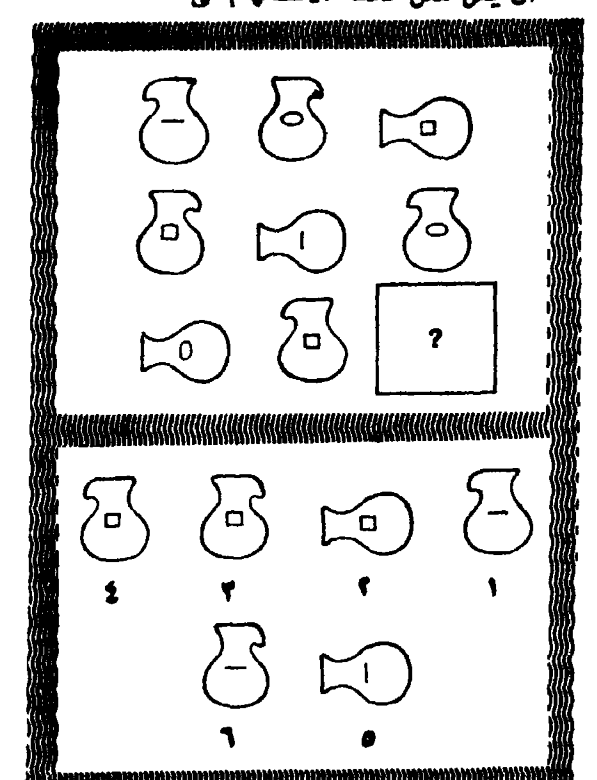
اخيرا .. اكتشفت سر الخلط الذى صدرمن صديقى هذا ، فهو يتكلم مرة عن اسم الشخص ، ومرة اخرى عن لقبه . فالجالسونحول المائدة يلعبون كانوا : جميل سعد ،وسعد توفيق ، وتوفيق احمد ، واحمد جميل .

هل تستطيع ان تعرف من كـان شريكتوفيق احمد فى اللعب ..

● حاول أن تعرف ●

الابريق المناسب

من دراسة العلاقة بين الاباريق التى فى كل من الصفين العلـويين ، حاول أن تعرف اى الاباريق التى لها الارقام من ١ الى ٦ ، يمكن أن يحل محل علامة الاستفهام فىالصف الثالث.



الحلول

النجمة والسهم :

ماركو بولو

حبيبة الفارس :

ادخل من الباب الايسر امام المدخل ، ثم انحرف الى اليمـين مباشرة والتزم اليمـين باستمرار حتى تصل الى قرب منتصف الطريق، فتجد اختيارا بين بابين ، ادخل من الايسر ، ثم فى الباب الايسر الذى يليه حتى تصل الى حبيبة الفارس .

استاذ نبيه يسأل :

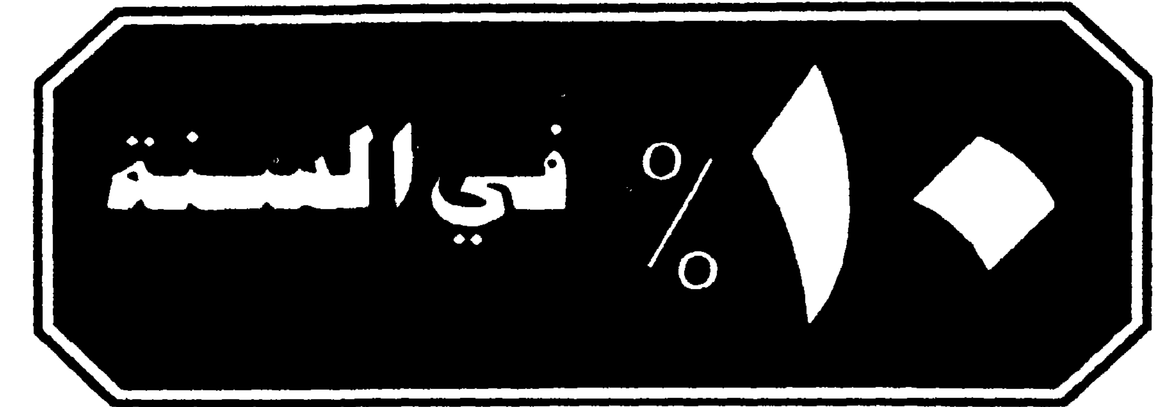
الاثنان اللذان يوجد اسم سعد ضمن اسمهما الكامل لا يلعبان كشركاء . وكذلك الاثنان اللذان يدخل اسـم توفيق فى اسـمهما الكامل . وعلى ذلك يكون سعد توفيق يلعب ضد توفيق احمد ، وضد جميل سعد . ومن هذا يكون شريك توفيق احمد فى اللعب هو : جميل سعد .

حاول أن تعرف :

الشكل المطلوب هو رقم (٦) .

الأمان بالإضافة

إلى معدل جيد للفائدة



لمدّة محدّدة طولها سنتان

إن مبلغ ١٠٠٠ جنيه إسترليني أو أكثر مودع في حساب وديعة زمنية لمدة ثابتة طولها سنتان أو ثلاث أو أربع أو خمس سنوات ، يحقق ربحاً قدره ١٠ ٪ في السنة . وتدفع فائدة ٩ ٪ على المبلغ المودع لسنة واحدة . تدفع الفائدة كل نصف سنة بدون إقتطاع الضريبة البريطانية في المصدر .

٩ ½ % — **في السنة ودائع الدخل الشهري**

إن مبلغ ١٠٠٠ جنيه إسترليني أو أكثر يحقق ربح ٩ ½ ٪ في السنة إذا أودع لمدة ثابتة طولها سنتان أو ثلاث أو أربع أو خمس سنوات . أما وديعة الدخل الشهري المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة فتحقق دخل ٨ ½ ٪ في السنة . وتدفع الفائدة شهرياً بدون إقتطاع الضريبة البريطانية في المصدر .

أن مصرف لومبارد فورث سنترل المحدود عضو في مجموعة بنوك ناشيونال وستمنستر ، لذلك يمكنك فتح حساب ودائع بحيث تضمن سلامة رأسمالك كلياً . تفضل بإرسال الكوبون طلباً لتفاصيل أنواع حسابات الودائع والمعدّلات الحالية للفائدة .

Lombard North Central

Bankers

To The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd., 17 Bruton Street, London W1A 3DH. England.

الإسم : ______________________

العنوان : ______________________

____

R182

عضو في مجموعة مصارف ناشونال وستمنستر . التي يزيد رأسمالها مع الإحتياطي عن ٩٣٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني .

Registered Office . Lombard House, Curzon Street, London W1A 1EU England


فوزو
الشاحنة رقم ١
في اليابان
هنالك العديد من الشاحنات الثقيلة الشائعة في
اليابان . غير أن فوزو تفوقها كلها مبيعاً. فتكلموا
مع موزعي كرايزلر في منطقتكم وتحققوا بأنفسكم
من أن فوزو لها من القوة والمتانة ما يكفي لكل
مهمة . إن مؤسسة كرايزلر هي التي جاءت
بفوزو إلى الشرق الأوسط . ولذلك يمكنكم
أن تتثقوا من توفر قطع الغيار والخدمة
التي تعقب البيع .



عمن الرياني واولاده
٢٨١
. الامارات العربية المتحدة
٢٢٣٦
GJ8305 A A ZAYANI

عمن الرياني واولاده
١٦٧
لامارات العربية المتحدة
٦٩٩٤
GT8305 A A ZAYAN

شركة قطر للسيارات
ص ب ١٢٩٠
الدوحة ، قطر
تلفون ٢٦٩٠٧
تلكس 4203 WIBECO DOHA

مؤسسة العيساني للتجارة
ص ب ١٣٤٢
جدة ، المملكة العربية السعودية
تلفون ٢٨٤٤٤
تلكس 40063 ESAYICO SJ

شركة التهامي الزراعية
ص ب ١١٠٥
صنعاء ، الجمهورية العربية اليمنية
تلفون ٢٧٨٠
تلكس 260 ADHBAN YE

شركة التهامي الزراعية
صنعاء ، اليمن تلفون ٢٧٨٠

الزبير للسيارات
ص ب ١٢٧ ، مسقط ، عمان
تلفون ٢٨٢١/٢/٣/٤
تلكس ٢٥٨ مستراد
المعرض ومركز الصيانة
وقطع الغيار مطرح
تلفون ٧٠١٣٣٩ / ٧٠١٣٤٣

كرايزلر
انترناشيونال

عزيزى القارىء

تطالبنا خطابات من كل انحاء وطننا العربى الكبير بان نزيد من كمية المطبوع من « العربى » حتى صارت مثل هذه الخطابات تمثل زاوية ثابتة فى « حوار القراء » • وحتى شهر مارس الماضى كانت « العربى » تطبع وتوزع ١٥٠ الف نسخة ، لكننا استطعنا ان نرفع كمية ما يطبع ويوزع من المجلة الى ٢٠٠ الف نسخة منذ ذلك الوقت • ولم يمنعنا من مواصلة زيادة المطبوع الا امكانيات المطبعة ، التى هى الان بسبيل الدعم والتطوير ، بعد ما تم التعاقد على ماكينات جديدة سوف تمكننا من مزيد من الانطلاق خلال العام القادم باذن الله •

وما يثير الانتباه ان قارىء العربى الذى يطالبنا بزيادة المطبوع ، هو ذاته الذى يعانى من مشكلة عدم وصول المجلة فى موعدها الطبيعى أول كل شهر بسبب عقبات فى التوزيع نحاول التغلب عليها • اى انه بينما يشكو الى المجلة ويلح فى الشكوى ، فانه يترقبها ويلح فى البحث عنها دائما !

لكننا مع ذلك نعطى اولوية لجهد اخر يرتبط بنوع الخدمة التى تقدمها مجلة العربى لقرائها ،استكمالا للدور الكبير والبارز الذى ادته لصالح العقل العربى على مدى ١٩ عاما • ذلك اننا نعتقد انه ان الاوان لكى تربط المجلة قارئها بحاضره ومستقبله، فضلا عن تراثه وماضيه • وربما لاحظ كثيرون اننا اشد حرصا على ان نقدم للقارىء الجديد دائما ، فى قضايا الفكر والعلم والفن ، ثقة فى ان الدور المستقبلى للمجلة لا يقل اهمية عن دورها التراثى ،وان رؤية اليوم والغد، مطلوبة بالحاح لاستمرار التقدم ، كما ان تجربة الامس هى سلاح لا غنى عنه •

لذلك نرجو ان يعذرنا بعض كتابنا اذا كانت اولويات النشر قد اختلفت نسبيا •

ونرجو ان يصبر علينا قراؤنا بعض الوقت ، حتى نحقق لهم ما يطلبونه من « العربى » فى الشكل والكم والمضمون •

المحرر

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

الكلمة العام :

اسـلاميات :

اسـتطلاعات :

سياسة واقتصاد :

طب وعلـوم :

ادب ولغة :

شـخصيات :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

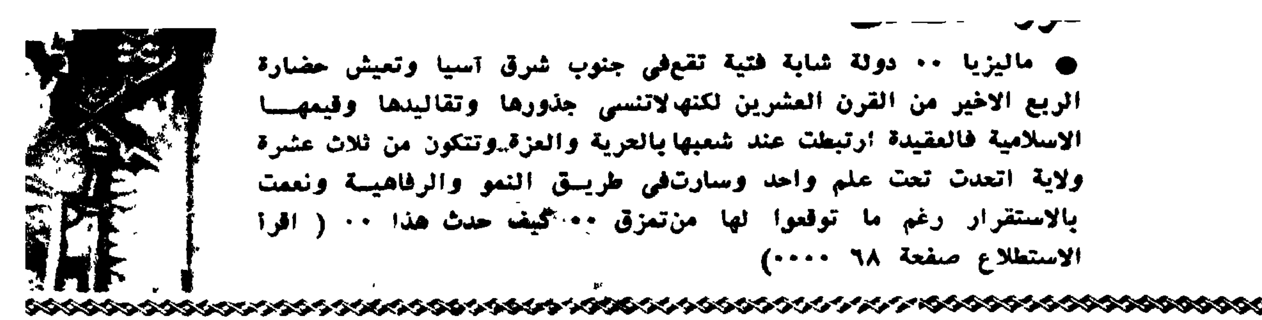
ALARABI — No. 227 October 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



● ماليزيا ٠٠ دولة شابة فتية تقع في جنوب شرق آسيا وتعيش حضارة الربع الاخير من القرن العشرين لكنها لاتنسى جذورها وتقاليدها وقيمها الاسلامية فالعقيدة ارتبطت عند شعبها بالحرية والعزة ٠ وتتكون من ثلاث عشرة ولاية اتحدت تحت علم واحد وسارت في طريق النمو والرفاهية ونعمت بالاستقرار رغم ما توقعوا لها من تمزق ٠٠ كيف حدث هذا ٠٠ (اقرأ الاستطلاع صفحة ٦٨ ٠٠٠٠)

تربية وعلم نفس :

تاريـخ :

شعر وشعراء :

كتـــب :

قصص :

فنـــــون :

ركن الاسرة والمرأة :

متنـــوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا ٠ سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ٠ الاردن ١٠٠ فلس ٠ السعودية ريالان سعوديان ٠ السودان ١٠ قروش ٠ ج٠م٠ع ١٠ قروش ٠ تونس ٢٥٠ مليما ٠ الجزائر ٢٫٥ دينار ٠ المغرب ٢٫٥ درهم ٠ اليمن ٢٫٥ ريال ٠ ليبيا ١٥٠ درهما ٠ جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس ٠

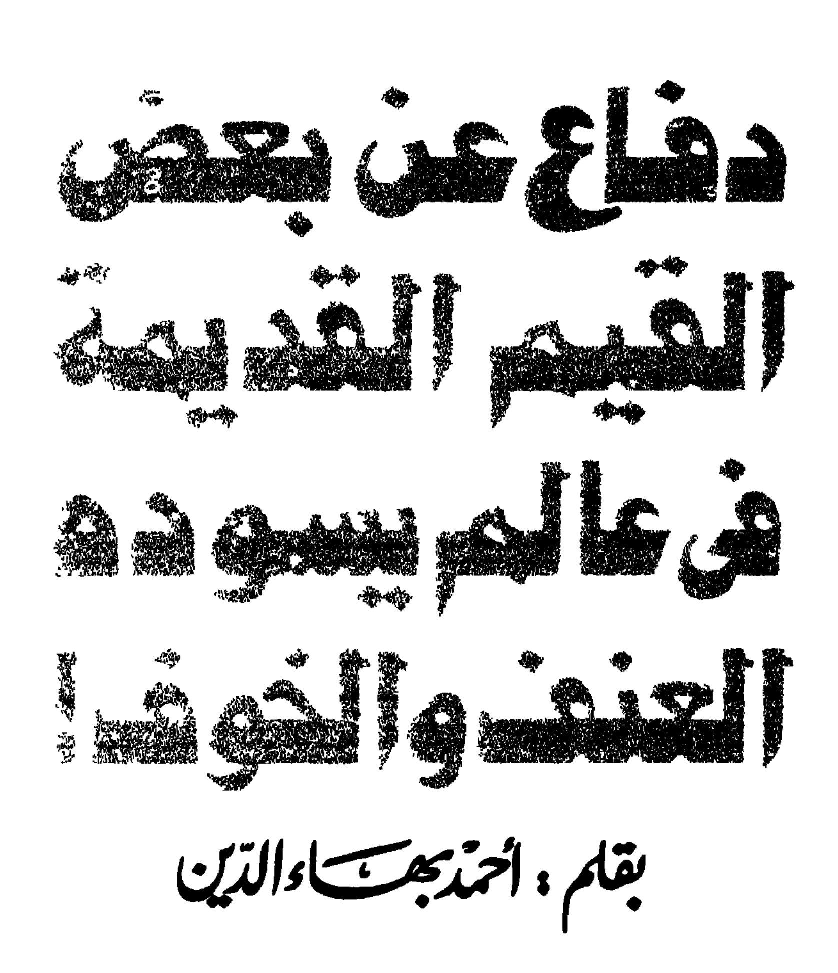
الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ — الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص ٠ ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان ٠

٢ — مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر ٠

« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »





دفاع عن بعض القيم القديمة فى عالم يسوده العنف والخوف!

بقلم : أحمد بهاء الدين

● أحيانا يحتاج الأمر الى الدفاع عن بعض القيم القديمة •

وربما كان اسم « القيم القديمة » اسـما غير دقيق • وربما كان من الأصح ان نسميها « القيم الثابتة » •

ذلك ان هناك قيما اجتماعية يطويها النسيان ، او يقهرها التطور ، بعد ان تكون الظروف التى انشأتها قد تغيرت ، والا ما كان هناك تغير ولا تطور ولا تقدم ••••

فالعصبية للقبيلة مثلا قيمة كانت تعد فضيلة وقت ان كانت المجتمعات وحدتها الكبرى هى القبيلة •ولأن هذه العصبية للقبيلة كانت ضرورية لحفظ حياة القبيلة • ولكن حين يزول هذا الوضع تصبح هذه العصـبية عيبا فى المجتمع وعقبة فى طريق نموه ، حين تحل الدول والمدن الكبيرة وانواع العمل الجديدة محل ما كان سائدا من قبل •

والتباهى بالاصل وحفظ الانساب ايضا ، كان فضيلة ، وكان ضرورة معا ، قبل ان تحل قيمة العمل محل قيمة الاصل • وقبل ان تحل السجلات والاضابير محل حفظ الانساب فى الذاكرة وبالتواتر •

والذين يدافعون عن كل قيمة اجتماعية قديمة ، لمجرد انها قديمة ،



ولمجرد ان هذا ما وجدنا آباءنا عليه ، يتخذون موقفـا متزمتا غير منطقى وغير قابل حتى للتطبيق ، لان الحياة دائما فى تغير وتطور وتجديد ·

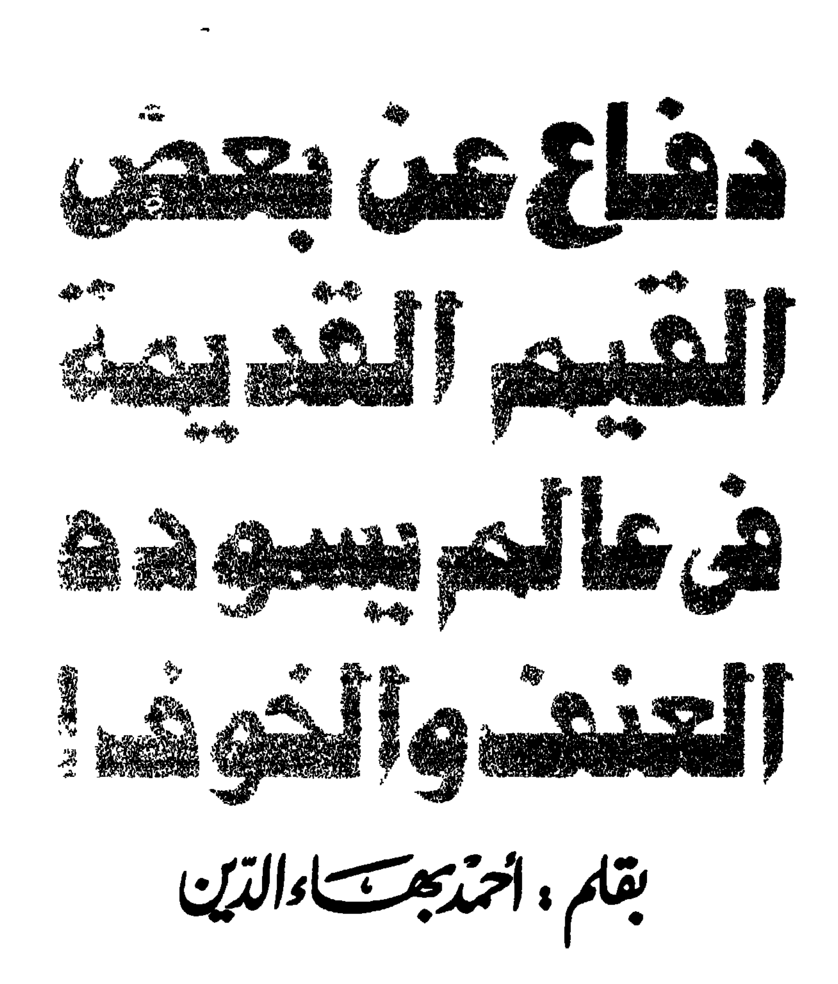
كذلك فان الذين يلتقطون كل بدعة جديدة ، ويتعلقون بأذيالها ، او يركبون موجتها ، لمجرد ان يقال عنهم انهم عصريون ، هم بدورهم يتخذون موقفا خاطئا وغير منطقى · ذلك ان الحياة بكل تعقيداتها والخضم الهائل الذى لا قرار ولا ثبات له ، كثيرا ما تقذف الى سطحها بالزبد الذى لا يلبث ان يذهب جفاء · وكثيرا ما تكون بعض الفلسفات ، او العادات ، او القيم ، التى تشيع فى مرحلة ما ، مجرد مرض من امراض التطور · لان كل حضارة لها امراضها ، وكل تطور له مشاكله ·

الموقف السليم هنـا ليس رفض التطـور ، اتقـاء لمرض او داء قد يصاحبه ···

وليس فى الاحتفاء بالمرض ، وعدم ادراك أنه عرض ·

انما الموقف السليم هو ان نمضى فى ركب التطور ، ونتقبل مخاطره ، ولكن بعقول واضحة ، تعامل التطور على انه تطور ، وتتبين الداء ، وتعامله على انه مرض ، يجب مقاومته ، او التقليل من مخاطره قدر الامكان ·





دفاع عن بعض القيم القديمة فى عالم يسوده العنف والخوف !

بقلم : أحمد بهاء الدين

● أحيانا يحتاج الأمر الى الدفاع عن بعض القيم القديمة .

وربما كان اسم « القيم القديمة » اسـما غير دقيق . وربما كان من الأصح ان نسميها « القيم الثابتة » .

ذلك ان هناك قيما اجتماعية يطويها النسيان ، او يقهرها التطور ، بعد ان تكون الظروف التى انشأتها قد تغيرت ، والا ما كان هناك تغير ولا تطور ولا تقدم ....

فالعصبية للقبيلة مثلا قيمة كانت تعد فضيلة وقت ان كانت المجتمعات وحدتها الكبرى هى القبيلة .ولأن هذه العصبية للقبيلة كانت ضرورية لحفظ حياة القبيلة . ولكن حين يزول هذا الوضع تصبح هذه العصـبية عيبا فى المجتمع وعقبة فى طريق نموه ، حين تحل الدول والمدن الكبيرة وانواع العمل الجديدة محل ما كان سائدا من قبل .

والتباهى بالاصل وحفظ الانساب ايضا ، كان فضيلة ، وكان ضرورة معا ، قبل ان تحل قيمة العمل محل قيمة الاصل . وقبل ان تحل السجلات والاضابير محل حفظ الانساب فى الذاكرة وبالتواتر .

والذين يدافعون عن كل قيمة اجتماعية قديمة ، لمجرد انها قديمة ،



ولمجرد ان هذا ما وجدنا آباءنا عليه ، يتخذون موقفـا متزمتا غير منطقى وغير قابل حتى للتطبيق ، لان الحياة دائما فى تغير وتطور وتجديد ٠

كذلك فان الذين يلتقطون كل بدعة جديدة ، ويتعلقون بأذيالها ، او يركبون موجتها ، لمجرد ان يقال عنهم انهم عصريون ، هم بدورهم يتخذون موقفا خاطئا وغير منطقى ٠ ذلك ان الحياة بكل تعقيداتها والخضم الهائل الذى لا قرار ولا ثبات له ، كثيرا ما تقذف الى سطحها بالزبد الذى لا يلبث ان يذهب جفاء ٠ وكثيرا ما تكون بعض الفلسفات ، او العادات ، او القيم ، التى تشيع فى مرحلة ما ، مجرد مرض من امراض التطور ٠ لان كل حضارة لها امراضها ، وكل تطور له مشاكله ٠

الموقف السليم هنـا ليس رفض التطـور ، اتقـاء لمرض او داء قد يصاحبه ٠٠٠

وليس فى الاحتفاء بالمرض ، وعدم ادراك انه عرض ٠

انما الموقف السليم هو ان نمضى فى ركب التطور ، ونتقبل مخاطره ، ولكن بعقول واضحة ، تعامل التطور على انه تطور ، وتتبين الداء ،وتعامله على انه مرض ، يجب مقاومته ، او التقليل من مخاطره قدر الامكان ٠



فسفور المرأة مثلا ، وتعليمها ، ونزولها ساحة العمل اذا شاءت .. مسألة حسمها التطور ، وكان لا بد ان ينتج عن هذا اهتزازات اجتماعية معينة ، ومشاكل تأتي معها ، ولكن الحل ليس في النكوص الي الوراء . ولا هو في الاستسلام للجوانب السلمية . انما هو في محاولة القبض على زمام التطور ، بحيث يكون ايجابيا وصحيا قدر الامكان .

أسوق هذا الكلام متأثرا برحلات سريعة قمت بها خلال الصيف المنقضى الى عدد من البلدان والدول الصناعية والمتقدمة ، وعائدا بالذاكرة الى رحلات سابقة قديمة الى هذه البلاد ذاتها ، او مثلها ...

فمنذ سنة ١٩٦٠ تقريبا ، تعرضت الدول المتقدمة لهجمات عنيفة من جهات شتى وعلى مستويات مختلفة ، حتى وصلت الى الحالة التى نراها سائدة الآن بشكل مرعب ... من انتشار العنف ، وطغيان الجريمة ، ومن اباحية تكاد لا تعرف حدودا . ويراها بعض الناس جزءا من التقدم والحضارة ، لمجرد وجودها في عواصم العالم الكبرى ، غير مدركين ان هذه اعراض لامراض ، وانها فترات عرفتها حضارات كثيرة . بعضها قضت عليه هذه الامراض ، وبعضها تمكن من مقاومتها والتغلب عليها وتجاوزها .

وضرورة هذا الحديث ، هي اننا سائرون بشكل او بآخر للاخذ بكثير من اشكال التطور التي سبقتنا اليها مجتمعات اخرى . وان بعض شبابنا يقبل على هذه الاعراض على انها عصرية لا على انها امراض .

في امريكا مثلا تزايدت جرائم العنف حتى كادت المدن الكبرى تخلو من سكانها ، فقد هرب السكان الاغنياء او القادرون بوجه عام من قلب المدن الكبرى ، الى ضواحيها البعيدة . وادى هذا الى ثورة سكانية . فبعد ان كانت المدينة الكبيرة هي مطمح الساكن ، او رمز القادر ، صارت سكنى الضواحي هي هذا الرمز ، وحين نقرأ عن افلاس اقوى مدينة في العالم مثل نيويورك . فالسبب هو ان اهم دافعي الضرائب هجروها .

وكانت معظم التحليلات تقول ان ظاهرة العنف هي ظاهرة امريكية بحتة . فقد ولدت امريكا بالعنف على اساس افناء شعب آخر هو الهنود







العمر . طبقا لقانون الغابة الاول وهو ان البقاء للاقوى . ثم استعباد شعب بان وهو الزنوج عبر قرون طويلة • وان حياتها الاقتصادية التى نشات بلا قيود كان حظ الانسان فيها يتحدد بسرعة اطلاق مسدسه •واتخذت المنافسة التجارية والاقتصادية نفس الطبيعة • وكما تضخمت المؤسسات هناك تضخمت الجريمة ، فظهر ما صار يسمى بالجريمة المنظمة • ابتداء من عصابات المافيا الشهيرة • الى حلقات الاجرام التى تشترك فيها احيانا اسماء كبيرة •

ثم ان هذا العنف انتقل الى ميدان السياسة بشكل مخيف • ففى حياة جيل واحد قتل رئيس امريكى هو جون كنيدى • وقتل مرشح للرياسة هو روبرت كنيدى • واصيب مرشح اخر للرياسة بالشلل بسبب اطلاق النـار عليه هو جون ولاس • وقتل زعيم حركة الزنــوج وهو مارتن لوثر كنج • واخرج رئيس جمهورية هو ريتشارد نيكسون لانهحاول التستر على جريمة• ودخل السجن وزير العدل فى عهده لاشــتراكه فى نفس الجريمة مع ابرز رجال الرئيس فى البيت الابيض •

وقيل فى تفسير هذه المرحلة الدامية فى حياة امريكا ان سببها هو حرب فيتنام • حين تخطى منطق التدمير الامريكى للبلد الصغير الفقير ، منطق الحرب المالوف بين اكفاء . ولاسباب واضحة . تبرر للانسان ان يموت فى سبيل بلده . بينما كان الامريكى العادى لا يجد مبررا لان يموت فى غابات فيتنام ، ولا يجد كذلك مبررا لاستخدام اقوى اداة حربيه فى العالم لتدمير شعب فقير . بسيط . يلبس ابسط الثياب وياكل اقل الطعام ولكن له ارادةمن فولاذ •

ولكن الكثير جدا من هذه المظاهر انتقل الى اوربا •• سواء فى مجالات العنف العادى او العنف السياسى والاجتماعى •••

فقد راينا فى فرنسا مثلا انفجارا عنيفا هائلا سنة ١٩٦٨، فىاوج مجد ديجول ، وباتت البلاد على شفا حرب اهلية لبضعة أيام •

ثم بدات فرنسا تعرف جرائم القتل فى الشوارع للشخصيات السياسية• ثم تتكشف الامور عن فضائح مالية فى الدوائر العليا •••

وعرفت فرنسا الجريمة المنظمة • التى تتصدى بارقى وسائل العلم لعمليات كبيرة ، كسرقة بنوك باكملها •

كذلك رأينا فى المانيا النشاط العنيف لجماعة « بادر ــ ماينهوف » • وظهور حركات فوضوية أكثر مما كان يبدو على السطح ، سلاحها الخطف والسلاح والقاء القنابل •

وايطاليـا صارت من أهم مسارح العنف فى العالم • جرائم القتـل الغامضــة • خطف الاغنياء طلبـا للفـدية الضخمــة • النسف والاضراب والمواجهات العادة مع السلطة •



د . سبوك

والقاء القنابل في شوارع لندن صار امرا عاديا .

والانواع الفردية الشاذة من العنف صارت تشغل الصحف كل يوم . فالرجل الذى سمى نفسه « ابن سام » . وقتل ثمان فتيات في بضعة شهور بنفس الطريقة ، حكم على مدينة نيويورك كلها بالرعب شهورا طويلة .

هذه القضية ، قضية انتشار العنف والجريمة في شتى البيئات والمستويات ، وعصابات الشباب التى تستخدم العنف ابتداء من معارك الشوارع ضد بعضها البعض الى هجماتها بالقنابل أو الرصاص ، وكل مظاهر افساد الحياة العامة على أصحابها .. في الحدائق ، أو دور السينما ... هذه القضية بدأت تحدث رد فعل معاكس ، وتبحث عن تفسيرات شتى..

مثلا ، اتهم ناس كثيرون رجلا واحدا هو « دكتور سبوك » . ودكتور سبوك طبيب أطفال امريكي عجوز ، أصدر في شبابه كتابا عن طرق العناية بالطفل وتنشئته . وترجم الكتاب الى اكثر من ثلاثين لغة . وقيل أنه خلال العشرين سنة الماضية كان أكثر الكتب توزيعا في العالم كله ، بعد الكتب المقدسة . وكان كتابا ثوريا ، اعتبرته كل أم دليلا لها . وفلسفته العامة تقوم على حرية الطفل وعدم استخدام الحدود والقيود معه، حتى سن الشباب..

وقيل أن هذا الجيل الساخط الثائر المدمر هو تربية دكتور سبوك وطالب المربون والاهل بالعودة الى الاسلوب القديم من ضرورة الحزم مع الابناء والبنات في سن الطفولة والصبا . والعودة الى عقوبة الضرب وغيرها في المدارس . حتى ينشأ الشاب وهو يعرف أن هناك المقبول وغير المقبول . والجائز وغير الجائز .

وقد تنصل دكتور سبوك من هذه التهمة . وبرغم أنه ، في شيخوخته ، ظل ثائرا ، وقاد مظاهرات ضد حرب فيتنام في أمريكا . وحوكم امام القضاء وحكم عليه وهو على وشك السبعين ، الا أنه تبرأ من الجيل الذى قيل أنه رباه . وعدل عن بعض آراءه وتمسك بغيرها .

وقد اتخذت من دكتور سبوك رمزا على الجانب التربوى للقضية .

وشيء من هذا فعله الفيلسوف الالماني الاصل ، الامريكى الجنسية حاليا ، هربرت ماركوز ، حين وجد ان اضطرابات الشباب وعنفها غير المفهوم ، تنسب الى كتبه وتعاليمه .

ولان فرنسا « الديكارتية » هي بلد الفلسفة والتحليل ... فقد شكل رئيسها فاليرى جيسكار ديستان لجنة واسعة ، تضم كل الاتجاهات والتخصصات، للدراسة ظاهرة العنف .

وقضت اللجنة ستة عشر شهرا تدرس وتبحث ، ثم خرجت بتقرير من سبعمائة صفحة .



على أن أهم ما في التقرير انه ارجع انتشار ظاهرة العنف ،حتى في العلاقات الانسانية ، الى التوتر النفسى الذى يخلقه امران :

الاول ، هو تضخم حجم المدن الكبيرة وازدحامها

والثانى ، هو المجتمع الاستهلاكى الفاحش الذى يتزايد كل يوم ...
وفى انجلترا ، تلتقى معظم التحليلات عند نقطة اساسية ، هى : ان الطبقة المتوسطة في المجتمع ، التي هى قوام الاستقرار والقيم الثابتة فيه ، قد استسلمت لهجمات فئات اخرى اجتماعية اكثر عددا ، واكثر صخبا ، فكان ما نراه الان من عنف ، ومن اباحية وانحلال ...

ورغم ان هذه الاسباب الثلاثة ، ليست في رأينا هى كل شىء ، الا انها هامة وصحيحة ، ولا بد من الوقوف عندها قليلا ...

مأساة المدن الكبيرة

ان تعريف المدينة منذ القدم هو انها المكان الذى يسكنه الناس ، لان مكان كسب رزقهم يقع فيه ..

وعندما كانت الزراعة هى الغالبة ، كانت الناس تسكن القرى الصغيرة المتباعدة ، حيث يعرف الناس بعضهم البعض ، الامر الذى يعتبر في حد ذاته وازعا كافيا للفرد ، لما يلحق باسمه واسم اسرته من جراء اى تصرف غير مقبول . وكانت المدن للتجارة ، ولمقر الحكم والسلطة .

ولكن مع ظهور الصناعة ، وتضخمها ، وتجمع مئات الآلاف في مراكز الانتاج ، بدأ ظهور المدن الكبيرة وتفاقم عدد السكان فصار عدد سكان طوكيو مثلا ١٢مليون وفى حدود الثمانية ملايين ساكن توجد لندن وباريس والقاهرة. وفوق تكدس السلطة ، وتضخم البيروقراطية ، وبريق حياة المدن ، صارت ظاهرة الزحف على المدن الكبرى ظاهرة عالمية .

وفى المدن الكبرى لا بد ان يوجد من الناس انواع واخلاط . ولا بد ان يجر التزاحم على الرزق الى التدافع بالمناكب . ولا بد من تجاور الغنى والفقر تجاورا مباشرا ويتجاور العلم والجهل بنفس الطريقة . ولا بد ان تلهث الخدمات وراء تزايد البشر فلا تكفى حاجة الجميع . وتضيع هوية الفرد فى هذه الغابة البشرية .

ولذلك اقترحت اللجنة الفرنسية مثلا انه يجب ان يراعى في المستقبل ان لا يزيد عدد سكان اى مدينة عن مائتى الف نسمة . وهو رقم اقترحه قبل ذلك كثير من علماء الاجتماع او التخطيط . صحيح ان مثل هذا الوضع ليس الاكثر وفرا من الناحية الاقتصادية وتكاليف الخدمات وغيرها . ولكن القائلين بهذا الرأى يرون ان الثمن الاقتصادى لا يقارن ابدا بالحياة الصحية والنفسية



جون كيدى

والسعبدة للانسان• وانه حتي العائد الاقتصادى بالنسبة للمجتمع كله ،اكبر على المدى البعيد ، لو اخذ التخطيط لمستقبر بهذا الاتجاه •

ورقم ٢٠٠٫٠٠٠ يمكن ان يرتفع الى نصف مليون ، بل الى مليون • ولكن المؤكد ان اى زيادة فوق ذلك سوف تجلب معها كل شرور المدن الكبيرة. او الحياة الحديثة ، سمها كيفما تشاء •

المجتمع الاستهلاكى

وجد الانسان ليسعد • وجزء من سعادته ونجاحه ان يستهلك • ولكن استهلاك الانسان ظل آلاف السنين متشابها • فى الطعام • في الثياب • فى اساليب الترفيه • فالانسان حيوان مستهلك ، ومختار ومجدد لما يستهلك •

ولكن ما يسمى الآن بالمجتمع الاستهلاكي او بمجتمع الوفرة ، يقصد به شيء آخر تماما • انه تلك الادوات الانتاجية الضخمة ، التي تمطر الفرد كل يوم بآلاف السلع الجديدة •انها الفرق بين ما يجده المرء في دكان البقال الصغير ، وما يجده في « السوبر ماركت » من آلاف الاصناف والانواع . بكميات هائلة ، وبطريقة جذابة في العرض تصعب مقاومتها •

واذا ذكر « السوبر ماركت » في مجال الاستهلاك ، فلانه المكان الذى تشترى منه ما تريد ، وما لا تريد ايضا •• بفعل تاثير مشهد العرض ، والتكدس ، والاقبال والوفرة •

والمجتمع الاستهلاكي يقوم على هذه العناصر كلها • انه مجتمع الشراء والاستغناء • كل سلعة تحل محلها بعد قليل سلعة احدث ، ترغمك على القاء ما لديك وشراء هذا الجديد • ونظرة الى التليفزيون في المجتمعات الاستهلاكية تؤكد هذا المعنى ، فالشاشة بكل اغراءات فنون العرض ، تقترح عليك عشرات الاصناف من كل نوع • من السيارة الى معجون الاسنان •

والقاعدة المعروفة هى ان ظهور سلعة جديدة يشعرك بنقص جديد • لم يكن فى بلد ما ، مثلا ، تليفزيون ، ثم ظهر التليفزيون ، وصار طبعا عند بعض الناس ، وبالتالى فالآخرون يشعرون بحاجة جديدة ، بان شيئا جديدا ينقصهم وهو التليفزيون • ثم يظهر التليفزيون الملون ، فيتكرر الشعور بحاجة جديدة ، الى القاء الجهاز القديم وشراء جهاز جديد •

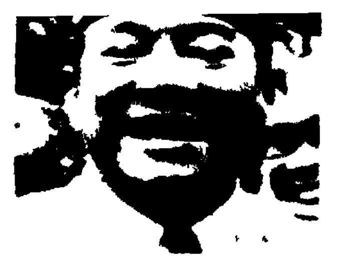
هكذا يلهث الانسان دائما لملاحقة مجتمع قائم على هذا المنطق • وهذا يجعل الفرد او رب الاسرة دائما تحت ضغط مستمر ، عليه ان يعمل اكثر • او يكسب اكثر ، او يفعل اى شيء اكثر ،لكى لا تخذله موارده فى هذا السباق الرهيب المحيط به •



روبرت كنيدى



مارتن لوثر كنج



سوكارنو

ثم ان وجوه الاستهلاك هذه صارت بحكم وجود وسائل الاعلام الحديثة، مقروءة ومرئية ومتحركة امام الجميع • ووجوه تمتع القادرين معروضة على الناس جميعا ••

وجاء هذا كله فى عصر انتشار الديمقراطية الهائل • ولا اقصد هنا الديمقراطية كنظام سياسى للحكم بتفسيراته المختلفة • ولكن اقصدها بمعنى انتشار الشعور العام لدى كل الناس بالمساواة، وبحقهم فى نيل قسط معقول مما تقدمه الحياة • وقد اصبحت الحياة تقدم اغراءات لا آخر لها •

وتولد هذه الامور كلها ضغوطا على الشباب اكثر من سواهم • وليس الكل سواء فى الموارد • ولكن الكل سواء فى التطلع • فهو اما ان يحاول ان يحصل على ما يراه بطريق منحرف • واما ان يعادى هذا الذى يراه لانه غير قادر على الاستمتاع به •

من هنا جاز القول حقا ان المجتمع الاستهلاكى سبب من اسباب انتشار العنف فى الدرجة الاولى لانه خلق قيما اخرى صار الفرد فيها يقاس مقداره بما يملك من سيارة او يرتدى من ثياب او يجارى من موضات وتقاليع •وفى الدرجة الثانية، لانه حيث يتكدس هذا كله فى المدينة الكبيرة، ويتكدس الناس فى نفس المدينة بنجاحهم وفشلهم وشراهتهم او تعجلهم او نقمتهم •

البعض يرتكب العنف ليكدر على هؤلاء الاخرين صفو حياتهم•والبعض يرتكب الجريمة ليحصل على اى مال سريع يحصل بواسطته على ما يريد ويطفىء به بعض شهوات نفسه التى يثيرها كل شىء، والبعض يفلسف الامر، فتتكون الجماعات السرية التى لا ترى سبيلا لها وسط هذا الخضم الهائل الا العنف •

قيم الطبقة المتوسطة

وقد لا يقبل القراء منى ان اقول لهم اننى شخصيا اعترف بوجود شىء اسمه قيم الطبقة المتوسطة • وانها مهما كانت عيوبها فهى بوجه عام العمود الفقرى لكل مجتمع مستقر مهما كان نظامه او كانت ظروفه •

فالشرائح العليا من المجتمع فى البلاد التى نتحدث عنها او غيرها، تجد من الترف والراحة والرفاهية مايفكك تحفظها وما يعطيها احساسا باللامبالاة، تضعف معه كثير من القيم •

والشرائح المسحوقة كثيرا ما تصل الى نفس النتيجة من باب آخر تماما • باب اليأس من تحسن حالتها • وبالتالى عدم الاستعداد نفسيا لبذل الجهد او وضع القيد او رسم الهدف الذى يستحق العناء •

اما الطبقة المتوسطة • تلك الطبقة الغامضة المبهمة • التى فيها يحتلم

الطموح وخوف الفشل • ورغبة التقدم وعـدم التراجع • والتي بالتالي تتغير يوميا بمن يصعدون منها ويحلقون فوقها ومن يسقطون من شـباكها ويتخلفون عنها •

هذه الطبقة عادة هي اكثر الفئات رغبة في التعلم • وفي العمل •وفي الاحتفاظ بحسن السمعة • حتى ولو التظاهر بالسلوك الحسن •••

هذه القيم ، هوجمت بالفعل هجوما شديدا ساحقا في العشرين سـنة الماضية من شتى الاتجاهات •

بدأت دعواتها صحيحة ولكن كثيرا منها انتهى الى انحراف ، تحت تاثير الشعور العام برغبة التغيير في العالم ••• ونتيجة للمجتمع الاستهلاكي الذى يتحول كل شيء بين يديه الى تجارة •

السينما والتليفزيون تحولت من اعمال فن وادب الى تجارة ارضاء ، ظلت تنحدر حتى وصلت احيانا الى افلام الفسق الكامل •

حرية المرأة ومساواتها بالرجل انتهت الى مجـلات العرى ودكاكين الجنس •

الجريمة ذاتها صارت تقدم في صورة جذابة في شتى وسائل الاعـلام طلبا للجمهور الاكبر •••

واطلق ابناء الطبقة المتوسطة ذاتهم شعورهم فصفقوا لهم • وناموا في الشوارع فصفقوا لهم • وهربوا من بيوتهم فصفقوا لهم • وظهروا على خشبة المسرح وشاشة السينما عراة تماما فصفقوا لهم • ومن وجد منهم ان هذا العالم صار شاذا او مجنونا ، احترفوا العنف السياسي الفردى ، اولئك الذين لا صبر لهم على العمل المنظم الطويل الآن لتغيير المجتمع تغييرا حقيقيا•

ووجد هذا كله من الكتاب والفنيين من اعتبروا المرض تطـورا وعالما جديدا • ولم يكونوا في الواقع الا تجارا يكسبون عن طريق الربح السريع ، باسلوب هو جريمة وان كان لا يعد هناك جريمة •

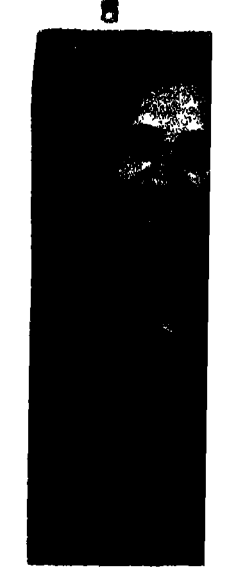
فلست اصدق ـ مثلا ـ ان كاتبا وناقدا انجليزيا جادا ومتميزا مثل « كينيث تينان » ، يقدم وينتج مسرحية « اوه كلكتا ! » التي وقف فيها كل الممثلين عراه لاول مرة ، ولا اصدق دوافعه الفكرية والفنية التي ساقها لبدء هذه الموجه التي جلبت له الملايين • انها دوافع تجارية لا فكرية • جاءت في طقسها العام المناسب •

على أننا برغم كل شيء ، لا نستطيع ان نضع الشباب وحده في قفص الاتهام ، بل ان الشباب بحكم التطور لا بد ان يكون اكثر ذكاء وكفاءة وقدرة من الجيل الذى سبقه •

ولكن اى عالم صنعه له الجيل الذى سبقه في تلك البلاد التي نتحدث عنها ؟

ترك له عالما من القيم المادية والاستهلاكية المحضة • عالما من الحروب القذرة • عالما صارت فيه كلمة السياسة سيئة السمعة •

هذا الشاب عاش اواخر الحروب الاستعمارية القديمة ورأى عقمها وعدم عدالتها ولا جدواها • فهو ليس ابن العصر الفيكتورى الذى كانت المساهمة فيه في الاستعمار وراء البحار شرفا ومجدا • انكشـف هذا حتى في بلاده وصار امرا ممجوجا ••



كاسترو



لومومبا



وقد سممت حرب فيتنام وحدها ـ وهي حرب ذات صفات خاصة ـ جو العالم ما يقرب من عشرين عاما • راى شباب امريكا زملاءهم يموتون فى بلاد بعيدة دون ثمن ولا نهاية • ورأوا قوتهم الساحقةتنوء بكلكلها على شعب اشبه بالنمل اذا قيس الى امريكا •ولكنه يقاوم حافيا عاريا تقريبا اقوى قوة عسكريه فى التاريخ وسمع الشباب الامريكى بعض جنرالاته يقولون عن القصف الجوى المركز « سعيدهم الى العصر الحجرى » •

وراى الشباب الامريكى ومعه شباب الدول الصناعية المتقدمة سلسلة تجديد شباب امريكا فى مجال من المجالات • اغتيالات مشبوهة ، لكل من حاول اغتيال جون كيندى رئيس الدولة • ثم اغتيال المتهم بقتله لى هارفى اوزوالد على شاشة التليفزيون • ثم اغتيال مارتن لوثر كنج زعيم حركة مساواة السود بالبيض •

ثم اغتيال روبرت كنيدى • وايا كانت الحقيقة ، فليس مألوفا ان يظل الشك يساور المواطن الامريكى فى حقيقة هذه الاغتيالات وفى انه قد يكون وراءها قوى اكبر بل واجهزة رسمية • ذلك ان هذا الشك المستمر حتى الان سواء كان مبررا او غير مبرر ، فهو ينطوى على دلالة نفسية خطيرة لدى الراى العام • والشباب منهم بالذات •

ثم ان تلك السنوات كانت سنوات الكشف عن نشاطات المخابرات الامريكية وغيرها فى هذا العالم المتقدم • ابتداء من اعتراف كنيدى بان محاوله غزو كوبا من خليج الخنازير كانت امريكية ، الامر الذى تلاه سلسلة اعترافات وكشف اسرار مذهلة • ضرب بيت سوكارنو بالقنابل • محاولات دس السم لكاسترو • اغتيال لومومبا •

الانقلابات المطبوخه الدمويه والتى كان آخرها فى تشيلى •

وأخيرا كانت تلك السنوات سنوات الكشف عن الفساد فى الاماكن العالمية • ابتداء من ووترجيت التى كشفت عن فكرة استخدام العلم الحديث فى مطاردة وادانة وتزوير التهم لاى مواطن ، وانتهاء الى الرشوة • رشوة نائب رئيس الجمهورية فى مكتبه وادانته بذلك • رشوة رئيس وزراء دولة كاليابان وزوج ملكة دولة مثل هولندا • واحزاب باسرها فى اوروبا •

لقد انتشرت فى فترة ما افلام جيمس بوند والجريمة الراقية • ولكن الحقائق جاءت ففاقت الخيال • فاذا كان جانب العنف تأثر اصحابه باسباب سبق ذكرها ، فلا شك ان جو الاجرام والعنف على هذا المستوى أثار آلافا من ذوى الضمائر • لقد وجدوا ان هذا العالم غير عادل • وان القيم المعلن عنها غير حقيقية وكان طبيعيا ان يكون رد الفعل عند الكثيرين منهم هو العنف• والعمل بسذاجة على تدمير هذا المجتمع او تهديده واقلاق مضجعه •

اسوق هذا الحديث ، عن بلاد العالم الصناعى المتقدم ، بلاد المدن المتضخمة والقيم المتضائلة والاستهلاك الوفير والتناحر المادى • اسوقه لان معظم العالم النامى يسير فى اتجاه هذا النمط • وبالتالى فقد يكون من الخير ان نتنبه لبعض شروره من الآن •••

••• اذا كان لا بد من صنعا وان طال السفر ! •••

اى اذا كان لا بد للعالم الثالث من الدخول فى هذا القالب ! ●●

احمد بهاء الدين

حتى نتجنب أوهام التبسيط [١]

الايمان وحده

بقلم : محمد فتحي عثمان

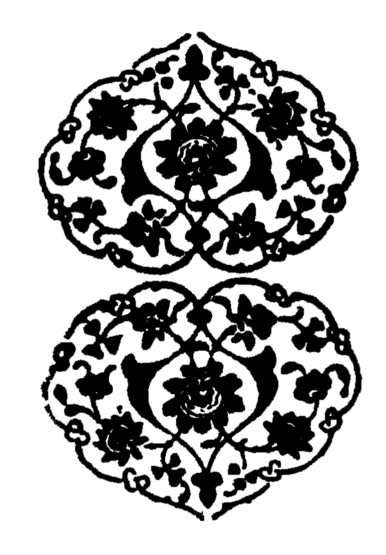
■ المسلمون . كسائر البشر في هذه الدنيا . يعانون من متاعب وصعوبات ••• والمسلمون . كسائر البشر في هذه الدنيا . يتلمسون الوسائل التى تريحهم من المتاعب والصعوبات التى يعانونها . او على الاقل تخفف منها •

• من بين الافكار المطروحة لعلاج مشكلات المسلمين ان يعودوا الى دينهم ويهتدوا بهديه، ويلتزموا احكامه افرادا ومجتمعات ••• وهذا علاج جذرى اصيل . يتناول المشكلات من اصولها، من اعماق النفوس والضمائر . يقوم السلوك بمفهوم شامل لسلوك الفكر وسلوك الفرد وسلوك الجماعة وسلوك الدولة وسلطتها الحاكمة، ويضع الموازين القسط بين مختلف المصالح والآراء والنزعات « ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون • انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، وان الظالمين بعضهم اولياء بعض . والله ولى المتقين • هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون — الجاثية / ١٨ — ٢٠ » •

ولكن تقترن هذه الدعوة المحمودة الى الانتفاع بهدى الله والافادة من رسالته وتعاليمه واحكامه، بتبسيط « ديماجوجى » يتورط فيه البعض مع حسن نياتهم . اذ يتعجلون استمالة القلوب الى هذا النهج السديد بمخاطبة هموم الناس وانفعالاتهم . فيزعمون لهم ان كل ضيق يمرون به فى نفوسهم او فى دنياهم مرده الى زيغهم عن دين الله . وانهم لا يكادون يشرعون فى التزام احكامه حتى يغمرهم رخاء الاقوات وتأتى اليهم مقادة سيادة الدنيا ••• وهم قد يتخذون شاهدا على صواب قولهم مثل قول الله تعالى « وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا — الجن / ١٦ » ، او قوله تعالى « ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ،ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون — الاعراف/٩٦ » او قوله تعالى « ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم — المائدة / ٦٦ »•

ويغفل المتورطون فى هذا التبسيط ، انهم قد يستميلون الناس الى دين الله اليوم بهذا الاسلوب ليفتنوهم به غدا . بعد ان يتخلف المن والسلوى اللذان زعموهما . فالدين يحتاج الى المؤمنين الصادقين الثابتين فى الضراء والسراء ، العاملين الجادين المخلصين ، المتبينين لحقيقة الدين والتزاماته « ومن الناس من يعبد الله على حرف، فان اصابه خير اطمان به ،وان اصابته فتنةانقلب على وجهه ، خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين — الحج / ١١ » • وخطر الذين يقدمون ثمار رسالة الاسلام بهذا التبسيط ، لا يقل عن خطر الذين استباحوا لانفسهم قديما ان يرقموا احاديث فى « الرقائق » التى تهول فى وصف نعيم الجنة وجحيم النار لترقق القلوب

لا يعصم المجتمع من المشكلات



الدين ... في حقيقته

ان منهج الاسلام فى عرض نفسه على الناس كما يبدو فى كتابه المعجز وسنة رسوله القدوة غير هذا المنهج ... ان الدين يجب ان يتبع اساسا على انه « دين » ، اى شىء يدين به الانسان ويعتمده، وعلى انه « الحق » الذى يؤمن به الانسان لانه « حق » فى ذاته ، لا لانه سوف ينتفع من ورائه - الا بقدر ما ينتظر من «الحق» ان يكون نافعا مثمرا مفيدا لصاحبه وللناس .. فالذى يؤمن بالدين يؤدى واجبا يمليه عليه اخلاصه فى طلب الحقيقة واخلاصه فى استعمال طاقاته العقلية والنفسية وامانها ...

وسوف يؤدى الاخلاص فى طلب « الحقيقة » واقامة الحق لمنافع كثيرة نفسية وسلوكية ،فردية وجماعية ... ولكن هذا لا يعنى ان تفقد الدنيا خصائصها ومحدودية امكاناتها فتنقلب الىفردوس ترغد فيه الحياة وتخلو من السلبيات . فتلكهى الجنة التى «فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الأعين-الزخرف/٧١«عطاءغير مجذوذ-هود/١٠٨»والتى يبرا فيها الناس من كل عناء «لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب - فاطر / ٣٥ » . كما لا يعنى ذلك ان تتحول خصائص الانسان ونسبية امكاناته الى طاقة الهية مطلقة بمتابعته لدين الله ... ان الدنيا ستبقى كما هى ، يبتلىفيها المؤمنون كما يبتلى غيرهم ، وتستثار طاقاتهم بتحدياتالكون المادى وتحديات البشر ، فتتباين

فتخشى يوم الحساب ، وقد زعم بعضهم ان كذبه « لصالح » الدين فلا يدخل فيما حظره الاسلام ونهى عنه رسوله من الكذب « عليه » !! ... خطر هؤلاء واولئك انهم يعرضون الدين على غير حقيقته الناصعة الكاملة ، فهم يسيئون الى الحقيقة الموضوعية اولا ، ويسيئون الى « قيمة » الدين فى ذاته اذ يظنون انه باسلوبه ومنهجه غير قادر على اجتذاب العقول والقلوب ، وانهم هم بتبسيطهم ومبالغتهم قادرون على الوصول الى اعماق النفوس وتحريك الجماهير !! .. والعبرة دائما بالنتائج على المدى الطويل ، والدين ليس « نظرية سياسية » او حتى « حركة سياسية » لنكتفى بتحريك الجماهيرلاجلها اليوم ولو انفضوا غدا « لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك، ولكن بعدت عليهم الشقة - التوبة / ٤٢ » . وكمواجه الاسلام مننكسات سياسيةخارجية وداخلية وخسر بعض اراضيه فى بعض الاحيان ، وانحسر عن مجال الحكم والسلطة فى احيان كثيرة ،ولكنه بقى مع ذلك كله لانه « دين » !!

تصرفاتهم وسلوكهم ،ويتفاضل الناس فى مواقفهم ازاء مثيراتها وتحدياتها « ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، والينا ترجعون ـ الانبياء / ٣٥ » « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن اعملا ـ الملك / ٢ » « وقطعناهم فى الارض امما ، منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ، وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ـ الاعراف / ١٦٨ » ٠

وهل هناك اصرح واقطع من قول الله الذى يعلم المؤمنين انهم لن يدوم عليهم النصر لمجرد انهم مؤمنون بالله القادر على نصر اوليائه لان الله لا يعطل سننه الكونية والاجتماعية فى هذه الحياة الدنيا لاجلهم « ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم، ولكن ليبلو بعضكم ببعض ـ محمد / ٤ » ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الايام نداولها بين الناس ـ ال عمران / ١٤٠»؟؟ وهذا قول الله يعلم المؤمنين انهم يفعلون ما اقتنعوا به وآمنوا انه الحق قبل كل شيء ويرجون جزاء ذلك من الله وفق ما يشاء هو ويقدر « ان تكونوا تألمون فانهم يالمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ـ النساء / ١٠٤ » « ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما ـ النساء / ٧٤ » « احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون٠ ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين٠٠ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ، ان الله لغنى عن العالمين ٠٠٠ ومن الناس من يقول آمنا بالله ، فاذا اوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ، ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم ، او ليس الله باعلم بما فى صدور العالمين ـ العنكبوت / ٢ ، ٣ ، ٦ ، ١٠»٠

وعلى ذلك يتطلب الاسلام من الانسان سعيا دائما وعملا متصلا ، فى تفهم الدين وفى تطبيقه والعمل به فى هذه الحياة الدنيا ٠ ولن يعفى الدين الانسان من كد عقله فى طلب المعرفة بحقيقة الدين ، وفى طلب المعرفة بحقائق النفوس والمجتمعات ونواميس الكون المادى والفطرة الانسانية لعلاج ذلك كله بالدين ٠ فالدين ليس عصا سحرية تحل المعضلات ، وانما هو كتاب وبيان معروض على العقل ليتفهمه ويطبقه ٠ وتعاليم الدين واحكامه ليست قاموسا ابجديا للالفاظ يجد فيه المطلع تعريفا بكل لفظ ، وليس (جدول ضرب) او (جدول لوغارتيمات ـ او خوارزميات) يسعف صاحبه عند اى افتراض او احتمال « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا ـ الكهف / ١٠٩ » ٠٠٠٠ ان الدين نصوص محدودة ـ فى مصدرية الكتاب والسنة ـ تواجه حياة متجددة متغيرة ، والدين نصوص محدودة تواجه عقولا متباينة واذا كان الدين هو وحى الحكمة الالهية ، فان العقل الانسانى هو الذى يتلقاه ويتفهمه ويبلغه ويطبقه وانى لعقل ان يزعم انه قد تطابق مع الحكمة الالهية تماما فى كل الدقائق والتفاصيل التى وعاها بادراكه المحدود لدين الله « وما يعلم تاويله الا الله ، والراسخون فى العلم يقولون : آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب ٠ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة ، انك انت الوهاب ـ آل عمران / ٨،٧ » ٠

ولكن الله امرنا مع ذلك ان نبذل الجهد ونفرغ الوسع فى فهم دين الله وانفاذ تعاليمه ، نخطىء ونصيب ، وللمصيب اجران وللمخطىء اجر واحد، والعبرة بالروح الاخلاقية التى تسود المجتمع الانسانى فى سعيه لطلب الحقيقة ، لا فيما يحققه من جزئيات وتفاصيل ٠ والعبرة بتتابع الافراد والجماعات على هذا المسعى النبيل الذى يواصل ركب الحضارة الانسانية ٠٠٠ ثم ان الدين ترك مساحة كبيرة للاجتهاد فيما سكتت عنه احكام الشرع المباشرة ، الى جانب الاجتهاد فى فهم ما تناولته الاحكام فى تطبيقها ٠ وهذا كله يعنى ان يكد المسلمون فى فهم دينهم ، كما ان عليهم ان يكدوا فى تطبيق هذا الدين على دنياهم ، وفى الدين اصول جليلة توجه الى العلم بالكون والى العمل فيه ،الى السعى فى طلب الرزق واستثمار كل مورد ثروة فى الكون ، الى استقامة الضمير والفكر والسلوك وتنمية الطاقة الانسانية بالايمان بالله واليوم الآخر ، حتى لا يتوقف الانسان فى مسيرته بطرا او يأسا اذ « امر المؤمن كله خير ـ كما علم رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم ـ ان اصابته السراء شكر فكان خيرا له ، وان اصابته الضراء صبر فكان خيرا له » ٠

بركات الايمان

وقد علمنا القرآن ان الطاقة التي سماها الايمان متجاوزت اللحظات العاجنة للعوز او الفشل الى المدى الطويل للعمل والاستراتيجية الواسعة الشاملةلمسيرة الانسان فردا او جماعة ـ هذه الطاقة المضاعفة بفضل الايمان تحققمنجزات رائعة نتيجة مواصلة العمل مهما كانت النتائج الجزئية السريعة ، وهذه المنجزات « بركات » وسمو وتفوق على كل تبديد او استنزاف بسببه الغرور او الوهن ... فهذه « البركات » في دنيا الناس نتيجة الايمان في صدورهم . هي « محصلة » لعملهم الدائب الذى تستثيره وتوجهه عقيدتهم وايمانهم بقوة تتجاوز المحسوس من اجل جزاء وراء هذه الحياة الدنيا « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الا بذكر الله تطمئن القلوب ـ الرعد / ٢٨ » « فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ـ البقرة / ١٨٦ » « ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ـ الانعام / ١٢٥ » .

غير ان هذه البركات هي محصلة العمل الدائب والايمان الصادق دون تخلف احدهما .. فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة على المؤمنين .. واذا كان المؤمنون تتضاعف طاقاتهم على العمل بحكم ايمانهم فانهم ان توانوا وتواكلوا لن يحابيهم الله على حساب غيرهم اذا عملوا ولم يكونوا مؤمنين ، لان نواميس الله هى الحق المطلق المجرد الذى لا يحابى ولا يتحامل « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها ، وهم فيها لا يبخسون ـ هود /١٥ » « ليس باءمانيكم ولا امانى اهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجز به ، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ـ النساء / ١٢٣ » « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، » ومن أراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطا ربك محظورا الاسراء /١٨ ـ ٢٠ » .

وقد تتخلف البركات المادية فى الحياة الدنيا بالنسبة للمؤمنين الصادقين ، ولكن تبقى بركات الطمانينة النفسية ومواصلة العمل دون كلل او قنوط وهى بركات ادوم وافعل لانها الرصيد الموجب المذخور لكل سلبيات الحياة وازماتها بالنسبة للفرد او الجماعة ... وهناك جزاء الاخرة وهو من قبل ومن بعد خير وابقى . « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ، وبشر الصابرين ـ البقرة ١٥٥ » وهداية الله وتوفيقه للمؤمن لا يعنى ان يصيب فلا يخطىء ، او ان تنحل امامه العقد وتنطوى المشكلات ... ان الايمان لن يرفع عن المؤمن حكم « الانسان » الذى يخطىء ويصيب ولن يرفع عن الدنيا خصائصها كدار ابتلاء للانسان بامكاناتها ومعاناتها . والتحديات التى يوجهها الانسان فى هذا الكون العملاق وازاء غيره من جموع البشر الذين يقاسمونه هذا الكوكب الصغير الذى يدعى الارض لا يمكن ان تتوقف ، ولا يمكن ان يكون المؤمن هو المنتصر دائما امام اى تحد لان الايمان لا ينسخ سنن الكون الثابتة المطردة « فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ـ فاطر / ٤٣ » .

ويكفى الايمان ان يجعل المؤمن ثابتا دائما أمام العقبات والشدائد «ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون ـ النساء ١٠٤ » « ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس ـ آل عمران ١٤٠ » .

وحسبى ان اكرر هنا ما سبق ان اختتمت به كتابى الفكر الاسلامى والتطور « منذ زهاء سبعة عشر عاما » ولن يحول الدين الطبيعة الادمية الى ملائكية أو ينقل الى الارض فردوس السماء حسبه ان يكون رسول العناية الالهية ليرسى التوازن فى النفس والمجتمع والعالم ـ بقدر ما فى طاقة البشر وطبيعة الدنيا ، وبقدر ما يترك دائما للاجيال فسحة تجد خلالها الطريق لمواصلة التطور فتستطيع التقدم الى الامام ... وان اعترافنا دائما ببشريتنا ، التى تغلف دين الله فى وعينا من شأنه ان يجعلنا افسح صدرا واثبت يقينا واقوم بدين الله بعد ان عرفنا حقيقة التدين وطبيعة الوجود . ■■

الرياض ـ محمد فتحى عثمان







صناعة الم

● الانسان نفسه يصنع بغير وعى منه كل يوم عللا جديدة لداء جديد ٠

● تعالوا نستعرض ماذا فعلنا لمواجهة أخطار :

البلهارسيا ـ الحوادث ـ الاغذية المعلبة ـ التلوث ـ الادوية ٠

لقد ارتبطت كلمة المرض في أذهاننا بالكلمة المعبرة عن علو مخيف ، علينا محاربته والقضاء عليه ٠ كما أننا تعودنا أن يلازم هـذه الكلمة كثير من النعوت تعبيرا عن خوفنا منها وكراهيتنا لها ورغبتنا بأبعادها عنا ٠

وقد يتعجب القارىء عندما يقرأ لأول وهلة تعبير « صناعة المرض » لان هـذا التعبير لا يتطابق مع التعبيرات المرسومة في وعينا ، وسيندهش البعض ليقول أن ما نصنعه هو لرفاهيتنا ولبناء حياة سعيدة ومريحـة لنا ، ولا يمكن لاى عاقل أن يصنع الداء الذى ينخر جسمه ٠ وللاجابة على ذلك علينا أن نتفق أولا على ماهية المرض ، وماهية القضاء عليه ٠







بقلم : الدكتور ماهر الصراف

تختلف تعاريف المرض من فرد لآخر ومن مجتمع لآخر ، ولكن التعريف الادق والاصح فى نظرى هو ان المرض ليس حدثا عرضيا .. لا يمكن تجنبه، وانما هو عدو ملموسة اسبابه ذو تضاريس واضحة المعالم . وهذه الاسباب منها الطبيعية الملازمة للانسان فى محيطه منذ تطوره ومنها الصناعية المنتجة (بفتح التاء) بايدى الانسان نفسه . وليس المرض بشىء غيبى يتبع قانون الصدفة فى ظهوره ، بل انه ناتج طبيعى وضمنى لوضع اجتماعى معين ولبيئةبيئية ومهنية ومعيشية محددة .

وبما ان الطبيعة تتبع قانون الحركة الدائمة ،فان اسباب المرض الطبيعية تتبع نفس القانون ، والحركة الدائمة هنا تعنى التطور والتكاثر لهذه الاسباب ومجابهة ذلك بالسكون والسلبية من قبل الانسان يعنى ترك الميدان للآفات لتتغلب عليه ، ولا يعنى ذلك بالنتيجة النهائية الا الصناعة السلبية للمرض . ولا تقل الاسباب الصناعية للمرض فىحركتها وتوالدها عنالامراض الطبيعية، والفارق الوحيد بينهما انه فى الحالة الاخيرة يعتبر الانسان العنصر الاساسى والفعال فى مجال خلق هذه الاسباب . فالانسان نفسه يصنع وبدون وعى منه كل يوم عللا جديدة لداء جديد . فلا يمكن لأى باحث فى علم الصحة او لأى طبيب الا ان يعترف ان ارتفاع ضغط الدم وقرحة المعدة والروماتزم وحتى كلا من سرطان الرئة وسرطان المثانة ... الا انيعترف ان للانسان الفضل الاكبر فى نشوئها .

ان هذا يهمنا فى الوقت الحاضر بالذات حيث التغيرات الهائلة القادمة علىالعالم العربى المقترنة بالتصنيع وباستعمال المواد المصنعة فى الخارج باحجام اكبر من السابق ، وكذلك بتطور التقنية ووسائل المواصلات ، كل ذلك يجلب معه بالضرورة خلق اضرار جديدة للجسم البشرى . وان لم يلازم ذلك عمل اجتماعى دؤوب لوقف هذا الزحف من الآفات ، فان الطب سيقف فى غربة متفرجا على منافسة الامراض فىحدوثها بدلا من وقوفه محاربا لها ليرى المنافسة فى انتاج المرض بدلا من القضاء عليه .

لقد قال العالم فيرشوف ان الباحث العلمى كالسابح ضد التيار اذا ما توقف لحظة رجع امتارا الى الوراء ، واننى اسمح لنفسى ان استعمل هذا التشبيه الرائع لاقول اننا وفى هذه الظروف..





ظروف الاوضاع الاقتصادية العالية وما تجلب معها من عوامل جديدة كالسابحين ضد التيار ، اذا ما توقفنا لحظة واحدة عن التجديف والحركة فان تيار الامراض الحديثة سيقذف بنا الى الوراء، لنتحول الى ضحايا التصور الخاطيء ، بان على الانسان ان يعالج الامراض دون البحث عن ينابيعها ومصادرها ، ودون وعي منه بانه منتج من الدرجة الاولى لها •

ويشكل الطبيب في اعين المرضى الشخص الذي يزيل عنه الآلام ويعيد اليه صحته ، وكذلك يعتبر المرض بالنسبة للمريض امرا قدريا ، ويغيب عنه في اغلب الاحيان العوامل المسببة له ، كما أن المريض يفتقر لضوء كاشف لرحلة المرض منذ حدوثه الى يوم ظهور أعراضه ••• انه يفتقد لحلقة في السلسلة ، بل لاهم حلقة فيها ، اذا اخذنا بالمثل المشهور « درهم وقاية خير من قنطار علاج » • الا ان عوامل نشوء المرض ما زالت مجهولة ، او مهملة عمدا ، وكشفها يحتاج الى جهد طبي وصحافي واجتماعي ، والى عمل دؤوب، واصرار على تغير الاولويات ، ووضع فهم جديد للكماليات والضروريات للمجتمع ، في حقبة زمنية محددة • ان وجود الاطباء المهرة لهو امر ضروري، وتوفر المعدات الحديثة للتشخيص والعلاج ضروري ايضا ، الا ان ذلك لا يمكن ان يشكل البديل عن البحث بالمجهر عن أمكنة توالد المرض لمحاربته•• فلا يكفي ان ننقذ الاطفال الذين يقعون في حفرة قريبة منمكان لهوهم، ولو كانهذا الانقاذ باحدث الوسائل ، بل يجب علينا ردم هذه الحفرة ••• ان ردمها هو من عمل وواجب الطبيب والجماعة ، ولا يمكن ان يكون الا حصيلة تطوع طبي وصحافي وحكومي مشترك ، مع فرق من الجماهير الواعية لتنظم حملات التوعية وتقف بالمرصاد امام كل غزو جديد لوباء جديد •

بهذا وبهذا فقط يقف الطب على قدميه ، بدلا من الوقوف على راسه ، ليصبح علما يبحث في صحة الانسان ، وعوامل وطرق المحافظة عليها ، بدلا من اقتصاره على علاج الامراض بعد حدوثها•

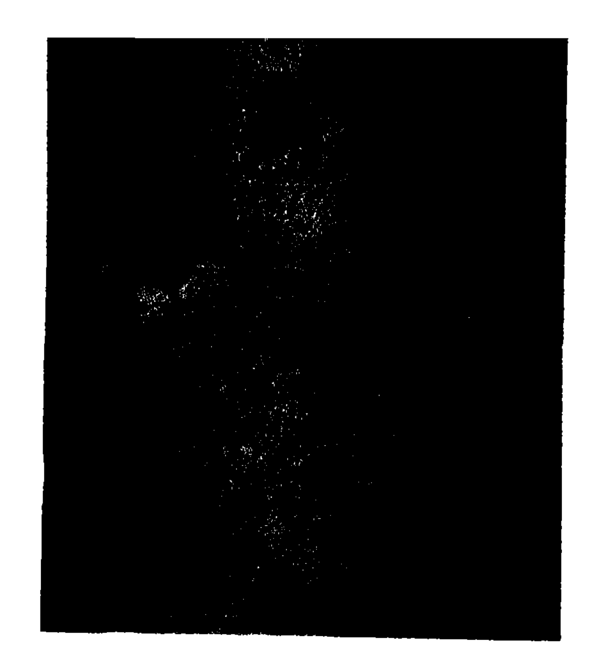
ولتوضيح ملموس للصورة المجردة التي تكلمت بها ، أتطرق لأمثلة لبعض الامراض والنتائج الناشئة عنها، وان كانت هذهالامثلة غير متجانسة في أسبابهاالمباشرة ،والعوامل غير المباشرة المؤثرة فيها • وقد تعمدت هذا التنويع لابين درجات دور الانسان في نشوء الامراض وكذلك تنوع طرق انتاجها •

مواجهة مع البلهاريسيا

ان مرض البلهارسيا مرض معروف منذ الفراعنة وسببه هو دودة البلهارسيا التي تدخل الى الجسم عن طريق الجلد ، عند ملامستها له في المستنقعات ،وتصل للاوعيةالدموية واللمفاوية، ومنها للمثانة والامعاء والكبد ،وتخرج من المصاب عن طريق البول والبراز ، ولاستكمال دورة حياتها تحتاج الى نوع من القواقع التي تعيش في المستنقعات والانهر •

يصاب بهذا المرض حوالي مائتي مليون شخص في العالم • وكما ذكرت فهو معروف في مصر منذ القدم ، ويصيب في بعض مناطق وادي النيل ومناطق اخرى في افريقيا وامريكا اللاتينية اكثر من ٨٥٪ من السكان ، وقد اكتشفه العالمبلهارس وسميبذلك نسبة لاسمه •ومناعراض هذا المرض آلام في الرأس ، ارتفاع الحرارة ، آلام في المفاصل ، تضخم في الكبد و الطحال ، وهزال شديد مما يساعد على الاصابة بامراض اخرى •

فهذا الوباء اذا هو نتاج طبيعي للبيئة المحيطة بالانسان المقيم في تلك الاماكن • فوجود هذه الدودة وهذا القوقع فيالنهر من الاسبابالطبيعية



صورة لطفل بدون أدرع نتيجة تعاطى الام لحبوب بدون استشارة الطبيب

له ، الا ان عدم وجود امكانية الزراعة الحديثة التى تحمى الفلاح من ملامسة الماء الملوث ، وعدم وجود السكن الصحى الذى يوفر للفرد الماء النقى للاستحمام والشرب ، لتشكل أسبابا اجتماعية ٠ كل ذلك مجتمع يمكن تسميته بالآلة المنتجة للمرض، ومهما كانت وسائل الاعلام قوية وشاملة فان ظروف حياة المزارع وشروطها الصعبة تجعله بالضرورة اسير امكانياته ، وبالتالى ضحية هذه الآفة ، ومن ناحية اخرى فان محاولات الاعتماد على العقاقير فى القضاء على هذا الوباء لهى محاولات خيالية حيث ان منبع المرض وعلاجه ليشكلان كفتى ميزان ، ويرجح الميزان فى هذه الحالة بوضوح لصالح توالد المرض ثم انه من الغباء ان يترك الواحد منا من يضربه خنجرا فى جسده ، لعلمه انه يستطيع اجراء عملية جراحية لانقاذه ،والاعقل ان يمنع نفسه من اذى هذه الضربة٠والقضاء على اسباب هذا المرض من جذوره يظهر فى اتفاقية الحكومة المصرية مع المانيا الاتحادية عام ١٩٦٧ والتى تنص على البدء فى رش منطقة الفيوم بمادة «بايلوسين» المبيدة للقواقع كتجربة للقضاء على حلقة من حلقات دورة حياته وبالتالى على وجوده ،وفعلا وبعد ثلاث سنوات انتهت التجربة بنجاح ، ويمكن اعتبار ان المرض قد انتهى تماما فى المنطقة المذكورة ٠ ولا ادرى ان كانت مصر قد اتفقت على تمديد الاتفاقية وتوسيع رقعة العمل على امتداد نهر النيل ام لا ٠



ان هذا المشروع باهظ التكاليف ، لكن الحقيقة انه مهما كانت تكاليفه مرتفعة فانه يبقى رخيصا قياسا بنتائجه ٠٠ وهى انقاذ الملايين من آلام السنين ، وارجاع قوتهم ، واعادة قدرتهم على العمل ، وتحمل قسمهم فى الانتاج ، واعادة قدرة اطفالهم على الاستيعاب والعمل الخلاق ٠٠٠ بقضائنا على معقل المرض نعطى الانسان اغلى ما يملك ٠٠٠٠٠ سلامة وصحة جسمه ، ونعطى المجتمع عناصر تطوره ٠٠

ولم اذكر هذا المثل الا لتبيان ما اعنيه بان المرض ليس بشيء عرضى ، ولكنه ذو أسباب ملموسة ، ولتبيان كيفية القضاء عليه بالقضاء على مواقع انتاجه٠٠ على مسبباته ٠٠ وقطعه من جذوره ٠٠ ممارسة طب حقيقى صادق يبحث فى حماية الانسان من المرض ، وليس من المرض نفسه ، ثم لابين أن مثل هذا المشروع لن ينجز على أكمل وجه بتكاليفه الهائلة ، الا اذا استعد المجتمع للتضحية ، ممتلكا وضوح الرؤية فى ترتيب الاولويات ، ومصمما على تفضيل الضروريات ٠ وان لم يستطع المجتمع ان يعى ضرورياته ، وان يتكاتف واضعا كل الكماليات جانبا ، ليحارب ماساته الاولى ، فانه سيبقى اسير شروط حياته الصعبة ، مزخرفا جسده بقواقع وديدان البلهارسيا ٠

واصابات الحوادث

ادى الوضع الجديد لاقتصاد الدول العربية ، الى اتجاه قطاعات كبيرة للتجارة مع الدول الصناعية مستوردة منها الادوات الكهربائية الحديثة والسيارات ووسائل المواصلات الاخرى ، كما ادى الاتجاه العمرانى الى استيراد الآلات الضخمة التى تستعمل فى البناء ٠ كل ذلك نرحب به ، ويشكل دافعا لتقدم بلادنا العربية ، ولكن علينا ان نعى ان استعمال هذه الوسائل وهذه الآلات قد تطور

تدريجيا في اوروبا . ورافقه تطور صناعي هائل، وبالتالي تطور بمستوى رفيع في علاج اصابات الحوادث، كما بنيت شبكة دقيقة تضم وتربط عناصر الاسعافات الاولية ، وما يتبعها من علاج نتائج هذه الاصابات، كما ان هناك مرافق متخصصة في اعادة الافراد كاعضاء عاملين في المجتمع . اذا ما فقدوا عضوا من اعضائهم . بتطوير الاعضاء الصناعية ، واخيرا بالعمليات الميكروسكوبية الحديثة المعيدة للاطراف الاصلية • وقد توج ذلك نظام التامينات الصحية والتامينات ضد الحوادث . والضمانات في حالات العجز عن العمل واعالة النفس • ولا يمكننا هنا ان ننسى ذكر نوعية القوانين المسنة في مجال الانقاذ . واهمها السماح بل اجبار كل انسان بقرب مكان الحادث الاسراع في انقاذ المصابين . دون النظر الى اسباب الحادث ومسبباته في تلك اللحظة . اي اعطاء الضوء الاخضر لإنقاذ الارواح على الفور ، ومأساتنا الكبرى ان اغلب الدول العربية تعطي الاولوية لتحقيقات البوليس الذي يصل الى مكان الحادث . بعد ان يكون قد فات الوقت الذهبي في الاسعاف الاولي والذي تقع عليه الاهمية القصوى في انقاذ الجرحى •

نعم ان التطور الآلي قد اقترن في الدول الصناعية بزيادة هائلة . وتعقيدات كبيرة في الاصابات ، الا ان هذه الدول تحاول ان تعادل كفتي الميزان، ببنائها لهذا الهيكل الاسعافي ومع ذلك لم ترجح بعد الكفة لصالح العلاج واعادة قدرة الانسان على الانتاج . واعالة نفسه وعائلته • الا ان الفرق بين الصفتين لايمكن مقارنته بما يحدث في منطقتنا العربية . والتي تستورد هذا العدد الهائل من مصانع الحوادث . ولكنها لم تعمل بنفس السرعة وبنفس القدر . على مقاومة نتائج الحوادث ، لا بانشاء هذه الشبكة الاسعافية ، ولا بتطور الطب التشخيصي والعلاجي . ولا كما ذكرت بسن القوانين الانسانية البسيطة ، والتي لا تكلف شيئا ، والتي تجبر كل انسان وكل موقع طبي ان يضع نفسه في خدمة الجرحى . بدلا من وقوفه موقف المتفرج منتظرا المحقق • ان هذا الوضع لا يمكن وصفه بأقل من مأساة – سرعة الصاروخ في صناعة الكسور والجروح والحروق– لا يقابلها الوقاية والعلاج اللازمين • فلا يكفي ان نقول ان عندنا اطباء مهرة ، وها قد بنينا بعض المستشفيات الحديثة ، ليست هذه هي المعضلة •• المطلوب هو بناء تركيبة متكاملة من الوسائل الاخبارية السلكية واللاسلكية . واستعمال كل الامكانيات الحديثة لتلاشي الحوادث ، مثل مراكز الاسعاف الاولي المنتشرة في كل مكان ، اضافة الى مراكز العلاج بكل ما يحتاج اليه التشخيص والعلاج ، واخيرا مدارس تاهيل المعاقين الذين لم يستطع العلاج محو آثار اصابتهم نهائيا ، وتاهيلهم للعودة الى مواقع عملهم وانتاجهم ، حتى لايصبحوا عبئا انسانيا واقتصاديا ، وحتى لا نضطر مستقبلا لبناء ماوى للعجزة تلو الاخر ، ويلازم ذلك كله تدريب اكبر عدد ممكن من الافراد ، على الاسعاف الاولي وسن القوانين المناسبة لذلك •

كل هذا مرتبط ارتباطا وثيقا بتربية الانسان التربية اللازمة لاتصاله بالتقنية الحديثة وقيادتها، ليعي اخطارها •• فان لهذه التقنية اخلاقيات جديدة ،لانها سلاح بيد الانسان يمكن ان يستعملها لسعادته وسعادة اخيه ، كما انه يمكن ان يستعملها لتعاسته وشقاء اخيه بنفس السهولة • كل هذا يتطلب ايضا توعية جماهيرية شاملة واستعدادا كاملا للتبرع لبناء الحصون لحصر مساوىء هذه التنمية قدر الامكان والتسلح ضد كل ما قد تصنعه من امراض واصابات وتشويهات •

ان هذا ايضا باهظ التكاليف ولكن بديله ابهظ ••• انه حياتنا وحياة اطفالنا •

قضية ضد « نسله »

لا شك ان المنطقة شاهدت في السنوات الاخيرة قفزة كبيرة في كمية ونوعية العلاقات التجارية مع الدول الصناعية • ولا جدال ان خارطة هذه العلاقة التجارية تبين لنا ان الاتجاه الغالب هو الاتجاه الاستيرادي • وان الصناعيين لا ياخذون دائما بالمثل المعروف « الحاجة ام الاختراع » وانما يطبعون ايضا مثالا خاصا بهم وهو « الاختراع يخلق الحاجة » اي انهم بتصنيعهم لكل سلعة جديدة يحاولون التاثير على الفرد واقناعه بحاجته لها مهما كانت كمالياتها • ففي الدول الصناعية المتقدمة استطاعت مصانع الاغذية ان تصنع حليبا يشبه حليب الام في تركيبه . كما توصلت مصانع الادوية الى مواد يمكن للام بها تكون الحليب في صدرها • هذان العاملان اديا الى ترك كثير من الامهات الرضاعة واتجاههن الى التغذية الصناعية، واستطاعت هذه المصانع تصدير منتوجاتها هذه الى الدول النامية • قد يتساءل كثيرون وماذا في

ذلك ؟ نعم ... صحيح ان الحليب يشبه تركيبة الحليب الطبيعي ، باستثناء شيء واحد وهو المناعة الطبيعيه ضد الامراض الموجودة في دم الام والتي تغرز مع الحليب وتحمي بالتالي الطفل الرضيع من الاصابة بهذه الامراض . هذا النقص لم يؤثر على اطفال الدول المتقدمة لانهم يملكون كل شروط الحياة المادية الحديثة من تعميم ونظافة. الا ان ذلك كان له الاثار الجسام على اطفال الدول النامية الذين لا يعيشون وسط هذه الشروط والامكانيات . لقد ادى استعمال هذا الحليب في المناطق المتخلفة الى انتشار امراض كثيرة بين هؤلاء الاطفال ، كذلك ادى عدم وجود الوعي الكافي لدى الامهات في كيفية استعماله الى نقص في التغذية وبالتالي الى خلل في النمو الجسمي والعقلي لهؤلاء الرضع .

ولقد رفعت مجموعة من المهتمين بقضايا العالم الثالث في سويسرا قضية ضد شركة « نسلة » السويسرية وادينت الشركة لبيعها هذا المنتوج للشعوب النامية التي لا تملك الشروط اللازمة لاستعماله من تعقيم للادوات اللازمة له . كذلك ادينت الشركة لعدم شرحها في اعلاناتها لمتطلبات هذه الطريقة في التغذية ، بل استعمالها لكل اساليب الاغراء ومنها تقديم العينات كهدايا للامهات مع العلم ان هذه العينات اذا اعطتها الام لطفلها لمدة ثلاثة ايام فقط كفيلة بان توقف تكوين الحليب في صدرها لتخضع بعد ذلك كليا للتغذية الصناعية . هل اكون مغاليا اذا قلت ان هذه الدول قد استوردت المرض بكل معنى الكلمة ؟ وهل اكون مغاليا اذا قلت ان الاطباء واصحاب الكلمة في الحقل الصحي ومن يحمل رسالة انقاذ الانسان ، قد وقف كل هؤلاء مكتوفي الايدي يتفرجون على بضائع المرض وهي تدخل بلادهم منقضة على اطفالهم ؟ وهل واجب علم الصحة وعلمائه وذوي الالبسة البيضاء القضاء على المرض عند حدوثه فقط ام ان واجبهم الاول هو بناء حاجز سميك ومرتفع امام زحف المرض وهدم كل مصنع وردم كل منبع للآفات ؟ الم يحن الاوان ان نضع تعريفا جديدا للصحة والمرض ولعلم الطب ؟

لا شك انه لشيء مؤسف ان تكون مجموعة من السويسريين هي الباحثة في الامر والواقفه امام الشركة وليس جنود الطب والمجموعات الواعية في هذه الدول .

« الموت قريب منا »

أرجو ان لا تفهم من سطوري اللاحقة انني ضد تصنيع بلادنا ... ابدا ... انني اول من ينادي بالتصنيع لانه بدون ذلك وبدون اللحاق بهذا الركب لن نستطيع ان نضمن مستقبلا باهرا لشعوبنا . ولكنني اود ان اذكر بعض الامور حتى لا نقع بالاخطاء التي وقعت بها دول صناعيه سبقتنا في هذا المضمار وحتى لا نبني مصانع تنتج لنا وبدون ان نشعر امراضا جديدة تكون سببا في تعاستنا وشقائنا بدلا من سعادتنا وراحتنا .

لقد حولت نفايات مصانع اوروبا الغربية نهر الراين الى مستنقع كبير مليء بالمواد التي تسبب الامراض عن طريق مياه الشرب والتي لا يمكن تكريرها حتى ولو ارادوا ذلك . كذلك حولت نفايات المصانع في اليابان البحر الى مستنقع يحيط بالجزر اليابانية وقد ادى ذلك الى تسمم السمك في بعض المناطق والذي ادى بدوره الى تشويه الجنين عند بعض الحوامل . هذا ما لا نريده واضافة الى ذلك فهناك كثير من المواد الداخلة في التصنيع قد اثبت العلم انها تسبب امراضا مختلفة للعاملين بها . فقد ثبت مثلا ان مادة « اروماتيك امين » الداخلة في صناعة الالوان بدخولها عن طريق الجلد والرئة عند العمال ثبت انها تسبب لهم سرطان المثانة . ويوجد عدة مواد تستعمل في عدة صناعات والتي تعتبر علة لامراض عدة لاعضاء مختلفة في الجسم . ولقد عبر العمال الايطاليون عن سخطهم عند سماعهم بان المادة التي يعملون بها قد تسبب لهم امراضا خبيثة بمقطوعة شعرية فقالوا :

علمنا اليوم ان المادة التي نعمل بها تسبب السرطان

نحن نلمس هذه المادة كل يوم
لقد وقع علينا الخبر كالصاعقة
لم يكن الموت قريبا منا مثل قربه هذا اليوم
الموت قريب منا !
الموت قريب منا !
نصنع للانسان الرفاهية ولنا الموت .....

وهناك امثلة نعيشها كل يوم ، فالقلق المستمر الذي تخلقه الظروف الحياتية والمهنية ، وعدم الحركة والجلوس أمام التلفاز كل ذلك يسبب

تصلب الشرايين والجلطة القلبية ٠ كما ان غازات المدينة السامة المنبعثة من السيارات والمعامل ، اضافة الى التدخين كل ذلك يشكل المصدر الاساسي لسرطان الرئة ٠ لقد صدق كونتي عندما قال في كتابه الهيكل الاجتماعي اننا نسبب الجلطة القلبية ونصنع بنفس الوقت الات تخطيط القلب لتشخيصها ٠٠٠٠ ونسبب سرطان الرئة ، ونبني احدث غرف العمليات ، لنجرى بها العمليات الخاصة بهذا المرض ٠ ان العقل السليم سيتهمنا حتما بالجنون ٠٠٠

حقيقة فاعلية الدواء

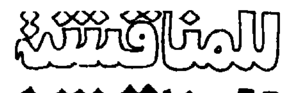
ان الدواء بمختلف انواعه يبقى العمود الفقرى للعلاج ، وتشكل مصانع الادوية بالتالي القاعدة الاساسية للطبيب في علاجه ، وطرق استعمالها ، اعتمادا شبه كلي ٠ ويشكل الطبيب الحلقة الاضعف في علاقته مع هذه الشركات ، لانه اى الطبيب ـ الفرد ـ غير قادر على اثبات صحة او خطا هذه المعلومات ، ويبون بذلك خاضعا كليا لهذا الاحتكار الاعلامي ٠ ويقف الطبيب حائرا بين أكوام الادوية ذات المفعول الواحد ، وبين النشرات الدعائية التى يستلمها من هذه الشركات والتى تصل في المعدل الى ١٠٠٠ نشرة سنويا للطبيب الواحد في اوروبا ٠ اضافة الى ذلك اللاعلمية التى تسيطر على الجزء الاكبر منها في الدعاية،فالطريمة التى تعرض فيها المستحضرات الطبية لا تختلف عن دعاية معجون الاسنان ٠٠٠٠ الصورة الجميلة البعيدة عن المشكلة الحقيقية ، والكلمات الرنانة المدروسة من الناحية النفسية ، لتؤثر على الطبيب والمريض بنفس الدرجة ٠فهذه الحسناء العارية العاملة قطتها الجميلة هي دعاية لدواء ضد الروماتزم ٠٠٠ وهذا البيت الجميل المطل على بحيرة جميلة ، والضوء الخافت الذى ينعكس شعاعه على ماء البحيرة ، وكلمة ليلة سعيدة في أسفل الصورة ، انها دعاية لدواء ضد الانفلونزا ، وهذه الفتاة الواقفة على ساحل البحر بالمايوه ، التى تذكرنا بصور شركات السياحة ، انها في الحقيقة دعاية للمرض الجلدى بسرياريس ٠

لا اريد في المثال الاخير أن أحدث فجوة بين المريض من جهة ، وبين الطبيب وشركات الادوية التى تصنع له الدواء من جهة اخرى ٠٠٠٠الا انني بنفس الوقت اريد بل من واجبي عند التعرض لمثل هذا الموضوع ، ان أكون صادقا مع نفسي ومع القراء .لان ما يهمنا جميعا وخصوصا كلا من المريض والطبيب من هذه المعلومات ، هو التاكد من مفعولها والاطمئنان لعدم وجود اثار جانبية سلبية على الجسم من جراء تعاطيها ٠

وبما أن موضوعنا اليوم هو صناعة المرض فانني سانتقل مباشرة للامر الثاني ألا وهو التاثيرات الجانبية ، وهنا لا أستطيع الا ان اذكر ان هذا الاطمئنان لا يمكن ان يعطى من الطبيب ، لان للاطباء تجارب سلبية ومتكررة على امتداد السنين ٠ وساقصر حديثي على الماساة التى حدثت في الستينات من جراء استخدام دواء كنترجان المستعمل ضد الارق ، الذى كان نتيجة لاستعماله من قبل الحوامل ، وقف نمو اطراف الجنين ، فولد اطفال بدون أيد وآخرون بدون أذرع ٠ هذه الماساة الجماعية التى نشاهدها كل يوم في شوارع اوروبا وفي بلادنا (ربما معرفة السبب) ، تعلن للملأ عن اهدار لصحة الانسان وصناعة عاهاته بشكل قرص الدواء الشافي٠ أليست سخرية القدر أن يكون رافع علم الصحة هو نفسه صانعا لابشع أنواع المرض ٠ هل سبب ذلك هو نقص في المعلومات الكيميائية وتاثيراتها السلبية لدى الشركة ؟ أم أن السبب هو عدم اكتراث باغلى ما يملك الانسان ؟ لا أريد أن أتكلم الآن كالقاضي ، ولكني أضع معلومات موضوعية ومثبتة بين أيديكم ، لعلكم تستفيدون منها في حكمكم وفي سعيكم لسعادة جسمية ونفسية ، مبنية على جسم قوى وصحيح وخال من الامراض ٠٠ في سعيكم لرفع لواء الوقاية ٠٠ الفردية ، والوقاية الجماعية ، المعتمدة على تحاشي المرض ، والقضاء عليه ، ووقف انتاجه ٠ هذا جزء من معالم الخارطة الطبية لعالمنا هذا ٠٠ انها خارطة دائمة التغير ، والوقوف امام السلبيات فيها ، علينا مراقبتها لنغيرها لصالح البشرية ٠ وهذا يتطلب عملا جبارا يشترك فيه كل انسان من موقع عمله ، بالبحث والتنقيب وتقديم اليد الايجابية الفعالة لذلك ، وبدون كل هذا ستكون النتيجة واضحة ومرة ، جزيرة في بحر من الامراض ٠ ■■

د ٠ ماهر الصراف

رئيس اطباء قسم الامراض النسائية والولادة
زولنجن ـ المانيا الاتحادية



تطبيق الشريعة :

أسـئلة وايضاحـات واجبـة

هل يمكن مناقشة الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية ؟
امام هذه المظاهرة الهائلة التى ترفع لافتة تطبيق التشريعة ، والتى تضم خليطا من المؤمنين الصادقين ، وتجار الدين والمزايدين عليه ، وراكبى كل موجة والسائرين فى كل موكب .. امام هذا الحشد ، هل يحتمل الامر مناقشة ؟

لا نريد ان نسال هل نطبق الشريعة ام لا ، فالامر ليس فيه خيار بالنسبة للمسلم الملتزم ... « وما كان لهم الخيرة من امرهم » و «..فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » ـ لكن موضوع المناقشة هو شيء آخر . هو كيف ومتى ومن اين نبدأ ؟

وهذا ما ينبغى ان يكون واضحا من البداية ، ان محور مناقشة قضية تطبيق الشريعةهو التفاصيل وليس المبدأ فى حد ذاته .

أيضاينبغى أن يكون واضحا من البداية ان مانريد ان نصل اليه هو اقامة مجتمعاسلامى حقيقى ثابت الدعائم والاركان ، تضرب جذوره فى اعماق الناس ، لا مجتمع اسلامى وهمى ، ليس فيه من الاسلام الا كلام مكتوب على اللافتات أو فى الصحف ، وهياكل هشة تعصف بها اى ريح .

●

لنسال : هل تطبيق الشريعة وحده هو الذى يقيم المجتمع الاسلامى ؟ وهل الشريعة هى كل الاسلام ؟ أو هى الأصل فى الاسلام ؟

يرد على هذه الاسئلة الامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت * بقوله : العقيدة فىالاسلام هى الاصل الذى تبنى عليه الشريعة . والشريعة أثر تستتبعه العقيدة . ومن ثم فلا وجود للشريعة فى الاسلام الا بوجود العقيدة ، كما لا ازدهار للشريعة الا فى ظل العقيدة .ذلك أن الشريعة بدون العقيدة علو ليس له اساس . ثم يقولفىموضع آخر « ان من آمن بالعقيدة والغى الشريعة ، أو أخذ بالشريعة واهدر العقيدة ،لايكون مسلما عند الله ،ولا سالكا فى حكم الاسلام سبيل النجاة » .

وهذا هو المنهج الذى اتبعه النبى عليه السلام ، عندما اراد أن يبنى المجتمع الاسلامى الأول .

بالعقيدة بدأ ، وكان هذا منهجا طبيعيا وضروريا . فما لم يكن الاساس متينا ، فكل بناء

---

* انظر كتاب الشيخ شلتوت « الاسلام عقيدة وشريعة » .

فوقه معرض للسقوط في أية لحظة ٠لقد قضى النبى ١٣ عاماً في مكة بزرع بذور الايمان في قلوب المسلمين ، كان محور آيات القرآن في تلك المرحلة هو هذه القضية،تربية المسلمين وتثبيت ايمانهم ٠ وبعد الهجرة الي المدينة ، بدا « العمل » ، وتتابعت آيات التكليف على المسلمين ٠

العقيدة هي الاصل والاساس ، والشريعة هي الفرع ٠ لماذا نوجه كل همنا الى الفرع ، بل الى جزئية محدودة من هذا الفرع، ولا نعطي الأصل حقه ووزنه ؟

ان المعنى الشائع لتعبير الشريعه الاسلامية ينصرف الى القوانين التى تحكم المعاملات وحدها، وصياغة القوانين امر ميسور ، وهي مشكلة الفقهاء ورجال القانون وحدهم ، اذا توفرت امامهم الارادة والرغبة ٠ لكن تنشئة جيل مؤمن ومسلم هي امتحان بالغ الصعوبة لكل «راع» في الدولة ، سواء كان مسئولا سياسيا او رجل دين أو موجها فكريا أو معلما أو رب اسرة في بيته ٠

واظننا لسنا بحاجة الى أن نتلفت كثيرا حولنا .لنكتشف ان دعوة تطبيق الشريعة تمضي في واد ، بينما اعداد الانسان يمضي في اودية مختلفة تماما ٠

هل نحن جادون فعلا فيما ندعو اليه ؟

وهل نمضي خطواتنا في الاتجاه السليم الذى يحقق لنا في النهاية اقامة المجتمع الاسلامي؟ لنتريث في الاجابة ، ونواصل المناقشه ٠٠

●

لنسأل ايضا ٠ ما هو المقصود بكلمة الشريعة ؟ ٠٠ هل ينصرف المعنى فقط الى مجموعه القوانين التى تحكم معاملات الناس ، كما يقولون ، ام ان لها في الاسلام مصورا اخر ؟

الاتجاه السائد بين المصريين يشير الى ان القرآن عبر عن العقيدة بكلمة « الايمان»، وعن الشريعه « بالعمل الصالح » ، والتلازم صريح بين الاثنين في اكثر من سبعين اية ، وتعبير «الذين آمنوا وعملوا الصالحات» سيرد بصيغة هذا في العديد من الآيات ٠

والشريعه كما يقول الشيخ شلتوت هي مجموعه النظم التى شرعها الله وانزلها ليلتزم بها الانسان في اكثر من ميدان ٠

في علاقة الانسان بربه ، ويدخل فيما شرعه الله هنا بادل الواجبات الدينية كالصلاة والصوم ٠

في علاقة المسلم بالمسلم ، وماشرعه الله هنا تبادل المودة والاخوة والتراحم ، والتناصر فيما بينهم ، والاحكام الخاصة بتكوين الاسرة والميراث ٠

في علاقة المسلم بغير المسلم ، بالانسان بوجه عام ، وذلك يتحقق بالتضامن والسعي لتحقيق التقدم والرخاء والسلام ٠

في علاقة المسلم بالمجتمع ، وهنا دور النصوص التى تحكم المعاملات الاقتصادية والقوانين المدنية والجنائية والتجارية وغيرها ٠

في علاقة المسلم بالكون ، اذ هو مطالب بمواصلة البحث والنظر في الكائنات ، واستخدام آثارها في رقي الانسان وخدمة البشرية ٠

في علاقة المسلم بالحياة ، وسبيل تحقيق شريعة الله هنا هو ان يستمتع المسلم بالطيبات في هذه الحياة ، دون اسراف او تقتير ٠

هذا تصور للشريعة الاسلامية يغيب عن عقل المسلم ، اذا كان كل تفكيره موجها الى مطالب الحكومات بسن القوانين التى تدعو الى عقاب العصاة والآثمين ٠

وهم بذلك يسيئون الى الاسلام ، لانهم يصورونه « قوانين » تطبق ، وليس «نظاما» شاملا يحكم حياة الانسان وسلوكه وبناء المجتمع باسره •

ان طرح الشريعة الاسلامية بهذا المفهوم يغير من الموقف في عدة جوانب ، فهو من ناحية يثير قضية تكوين واعداد الانسان المسلم ذاته ، أى يعود بنا الى نقطة العقيدة•وهو من ناحية ثانية ينبه الى أن القوانين التى يريدون صياغتها ، وتطبيقها هى « جزء » من الشريعة ، وان ذلك لو تحقق فعلا فانه لا يعنى على الاطلاق أن شريعة الله قد طبقت • وهو من ناحية ثالثة يفرض علينا اعادة النظر في مسالة « الاولويات » ، ذلك أن تعدد الميادين التى تشملها كلمة الشريعة يقتضى منا أن نتفق ، باى هذه الميادين نبدأ ، وهل تتفق هذه الاولويات مع ظروف كل بلد اسلامى ؟

اخيرا فان هذا المفهوم يغير من احساسنا بالذنب تجاه الشريعة ، ويجرد الداعين الى تكفير المجتمع وهجرته من أحد أسلحتهم القوية • واذا كنا قد ناقشنا فى المرة السابقة معنى الحكم بما أنزل الله وأن الخطاب موجه الى المجتمع باسره ، بما فى ذلك الافراد العاديون • فان هذا المفهوم للشريعة يلتقى مع تفسير الاية ، ويصبح بوسعنا أن نقول أن المسالة ارحب بكثير مما يتصورون ، فعبادات المسلم ، ومودته لغيره ، وسعيه الى العمل والانتاج ، واستمتاعه بكل ما هو حلال ، هذهجميعا نماذج من تطبيق الشريعة الاسلامية •

امام مفهوم رحب بهذا القدر ، الا نكون قد ظلمنا الاسلام وحملنا سعته بضيق صدورنا وآفاقنا نحن ؟

●

نقطة أخرى ، حتى ونحن نقدم تطبيق الشريعة الاسلامية باعتباره مشكلة قوانين تصاغ وحدودا تطبق ، لماذا لا نطرح المسالة على وجهها الصحيح ؟

ولناخذ مثلا واضحا : حد السرقة وقطع يد السارق • اذا انتهينا الى انه لا سبيل الى الاجتهاد فى طريقة توقيع العقوبة ، فان هذا السارق لا يطبق عليه الحد الا اذا كان قد توفر له الحد المعقول ـ وليس الحد الادنى ـ من الحياة المعيشية الطيبة ، لكنه رغم ذلك ارتكب جريمته •

وكلنا نذكر قصة الخليفة عمر بن الخطاب عندما رأى فى عام المجاعة أن شروط تطبيق حد السرقة ليست متوفرة ، وأنه ليس من العدل امام شدة الحاجة وظروف المجاعة أن يحاسب مسلماضطر لمد يده الى مال غيره ليطعم نفسه أو أسرته •

وهناك اتجاه مستنيرفى الفقه الاسلامى ـ من أبرز رجاله الامام ابن حزم ـ يحدد حقوقا أساسية للمسلم ينبغى أن تتوفر له فينبغى أن يكون للمسلم بيت ياويه ، وطعام وشراب ملائم ، وكساء يكفيه صيفا وشتاء ، وخادم يساعده اذا كان غير قادر ، ودابة يركبها اذا احتاجت مصلحته ذلك ، بعد هذا كله ، اذا سرق المسلم يطبق عليه الحد •

ويرى هؤلاء الفقهاء ان هذه « حقوق » طبيعية للمسلم ، باعتباره مخلوقا كرمه الله ، واستخلفه فى الارض ، وسخر له الكون كله •

ويذهب ابن حزم الى أن المسلم اذا لم تتوفر له هذه الحقوق ، فيجب أن يسعى لانتزاعها من الاغنياء ، وان يقاتلهم فى ذلك ، وهو شهيد اذا مات دونها * •

اذا كان الامر كذلك لماذا اذن ينصرف جهد الداعين لتطبيق الشريعة الى تنفيذ حد

---

* يراجع لمزيد من التفاصيل « المحلى » لابن حزم ـ كتاب الزكاة

السرقة ، ولا يبذلون جهدا يذكر من أجل خوض معركة توفير الحياة الكريمة للانسان فى المجتمع الاسلامى • وهى فى النهاية معركة التنمية وتحقيق العدل الاجتماعى ؟

لماذا لا يرون الا هذا الوجه العقابى فيما انزله الله من شرائع ، ويسقطون من حسابهم الحقوق التى كفلها الاسلام للانسان ؟ لماذا يذكرون ما على المسلمين من التزامات ، ويتجاهلون ما هو مكفول لهم من حقوق ؟

الا تستحق معركة التنمية وتحقيق العدل الاجتماعى أن يلقى علماء المسلمين بكل ثقلهم وراءها ، ثم يطالبون بعد ذلك بقطع يد أو حتى شنق كل من يجرم فى حق المجتمع وقتئذ ؟

ان هؤلاء الدعاة المتحدثين باسم الاسلام قد اختاروا الطريق الاسهل ، وركزوا على مطلب تنفيذ الحدود • ذلك أن المعنى بالجزاء والعقاب هم عامة الناس وفقراء المسلمين ـ وهؤلاء أمرهم هين ـ بينما الدعوة الى العدل الاجتماعى هى مسئولية المجتمع ككل ، بما فى ذلك الانظمة القائمة بكل مؤسساتها ، وتلك مشكلة قد توقعهم فى حرج هم حريصون على تجنبه •

انهم يقدمون لنا الاسلام باعتباره رسالة « لتاديب » البشر ، وليس لهدايتهم واسعادهم ! •

الا ترون فى انهم حتى وهم يطرحون الشريعة باعتبارها مشكلة قوانين تصاغ وحدودا تطبق ، فانهم لا يضعونها فى اطارها الاسلامى الصحيح ؟

●

ما الذى يعنيه كل هذا الكلام ؟

اهم ما يعنيه ان الاسلام عقيدة كلية ، لا تقبل التجزئة أو الترقيع • واكثر ما يسىء اليه ان تستهوينا فيه اللافتة فنثبتها على دارنا ، من باب التبرك والتمسح بشعار « الايمان »، او نتورط فى معركة سياسية أو فكرية ، فنشهر سيف الاسلام ونستخدمه فى الاجهاز على الاخرين ، او يريد بعضنا ان يكسب شعبية ويدغدغ حواس الجماهير ، فيرفع راية الشريعة •• او يستثيرنا الفساد فنقلب دفاترنا المحبوسة ونستخرج منها قانونا نقف فيه عند قطع يد السارق ورجم الزانى وقتل المرتد ، وكاننا ادينا امانة الاسلام بذلك •

هذا كله يدخل فى باب توظيف الاسلام واستخدامه كورقة رابحة فى اللعبة • وهذا اسلوب مرفوض ، رغم انه الاسلوب السائد •

الاسلام عقيدة فى الاساس ، وهى مرتبطة بالشريعة ، والشريعة تحكم علاقة الانسان بالله والمجتمع والكون • هو ـ باختصار ـ نظام حياة شامل ومتميز • وانتزاع جزئية منه والعمل بها لا يؤتى ثماره ، لانه لا يختلف كثيرا عن غرس بذرة ـ او جزء من بذرة ـ فى تربة لا تستجيب لها • عندئذ تصبح الثمار معروفة سلفا ، وهى اما منعدمة او شائهة •

ولست ادعو الى ان نختار بين أن ناخذ الاسلام كله او نتركه كله ، ولكن فقط اريد ان انبه الى ان سعينا لا بد أن يتدرج مبتدئا بالاهم فالمهم ، حتى نبلغ الغاية بثقة واطمئنان •

واذا اردنا لخطواتنا ان تمضى بغير خلل ولا تشتيت ، فلا بد ان نعرف من اين نبدأ الرحلة •

واستأذن فى حلقة ثالثة للمناقشة ، ارجو أن تكون الاخيرة •

فهمي هويـــدى

● حل مسابقة العدد ٢٢٤ ●

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ت	ن	ز	ا	ن	ى	ا		ا	ى	ن	ش	ت	ى	ن
٢	ا	س	ق	ر	ب	و	ط		ل	ف	ظ		و	ع	ر
٣	ل	ن		ج		م	ل	م	و	س		س	ا	ق	ى
٤	ى	ا	ق	و	ت		ن	ا	ص	ر	خ	س	ر	و	
٥	ر	س	ب		م	ت	ط	ر	ث	و	ن		ى	ب	ر
٦	ا		ه	ن	ا		ى	ك		ن	ف	ل	ه		ج
٧	ن	ن	ا	ص	ر	ه		ا	ج		س	ب		م	ب
٨		ا	ل	ح	س	ن	ب	ن	ا	ل	ه	ى	ث	م	
٩	م	ن	ص	ب		ا	ق	ط	ن	ه		د	و	م	ا
١٠	د	ا	خ		ا	ك	ر	و	ب	ا	ت		ر	م	ل
١١	ر		ر	غ	ب		ا	ن	ت	ه	ج	ه	ا		ت
١٢	ك	ن	ه	ل		ا	ل	ى			ا	م	ل	ا	ق
١٣	د	و		ا	ل	ع	ب	و	د	ى	ه		م	و	ت
١٤		ا	ل	ت	ف	ا	ح		ا	ب	ل	ى	س		ى
١٥	و	ه	ن		ت	د	ر		م	ل	ه		ك	ك	د

الحسن
بن الهيثم

اثنتان فـى واحدة :

(٨) أفقيا : الحسن بن الهيثم ، عالم طبيعى ورياضى عربى شهير ظهر فى البصرة ومات فى مصر ، واستطاع أن يقلب أوضاع النظريات السائدة فى عصره عـن الضوء والبصريات ، فانشا علم الضوء الحديث ، واعترف بفضله علماء الغرب •

(٨) راسيا : مارك انطونيو ، حاكم وقائد رومانى شهير • حين أغتيل يوليوس قيصر عام ٤٤ قبل الميـلاد ، أصبح مارك انطونيو مـع اوكتافيوس حاكمين على روما.ثم اختلفا وقامت بينهما موقعة اكتيوم البحرية.وأنهزم انطونيو فيها رغم مساعدة كليوباترة له •

الفائزون بالجوائز

واجريت القرعة بين الاجابات الصحيحة العديدةفكانت النتيجة كالاتى :

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ ديـــارا فار بهـــا ·**محمد على ستار** ــ محـافظة بابل العراق •
الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها .**ياسر على السيد مستكة** ــ تعز اليمن الشمالى
الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير داز بها : **احمدالمهدى حمد** ــ كسلا السودان

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منهاخمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ــ **رضا السيد عبد العال** ــ الدقهلية مصر ٥ ــ **بهيج بهجت سكيك** ــ الشويخ الكويت •
٢ ــ **مصطفى اديب البحره** ــ الرياض السعودية٦ ــ **افتخار ياسين محمد** ــ عدن اليمن الديمقراطى
٣ ــ **ليلى سعاده البابا** ــ بيروت لبنان ٧ ــ **بسام شمدين** ــ دمشق سوريا
٤ ــ **دلال النابلسى** ــ طرابلس ليبيا ٨ ــ **احمد عبد العزيز عبد العليم** ــ عمان الاردن



بقلم : الدكتور جلال أحمد أمين

■ ليس من المستغرب ان نجد الاقتصاديين المهتمين بقضية التنمية والتخلف لا يحاولون الا نادرا اثارة السؤال الآتى : لماذا نريد التنمية ؟ فالعادة الا يحاول منهم اثارة هذا السؤال والاجابة عليه الا اصحاب النفوس التى تتمتع ببعض الحساسية ، وهم نادرون فى هذا العصر بصفة عامة ، وبين الاقتصاديين بوجه خاص . فاذا اثاره بعضهم فهم عادة من هؤلاء الاقتصاديين الذين لا يعتبرون من قبيل اضاعة الوقت قراءة مقال فى الفلسفة أو كتاب فى التاريخ قبل النوم.

على كل حال ، فان واحدا من هؤلاء الاقتصاديين النادرين هو الاستاذ ارثر لويس ، الذى كتب ما اعتبره بعضا من أفضل ما كتب عن البلاد الفقيرة (المتخلفة) على الاطلاق ، وهو ينتمى الى احدى هذه البلاد وان كان يحمل الجنسية البريطانية ، كما انه واحد ممن يمكن ان تقرأ أى شىء يحمل اسمه وانت مطمئن الى انه سيقول لك شيئا جديدا ■

فالفصل الاخير من كتابه (نظرية النمو الاقتصادى) الذى نشر منذ نحو ربع قرن . يحمل هذا العنوان بالضبط (لماذا نريد التنمية ؟) . ولا يزال هذا الفصل بسبب جودته ، فضلا عن قلة عدد المشتركين فى الجدل ، يعتبره الاقتصاديون اجابة كافية على من قد تسول له نفسه التساؤل عما اذا كان من المجدى حقا السعى الى التنمية أصلا .

يقول الاستاذ لويس فى هذا الفصل أن من العبث الادعاء بان مبرر التنمية انها تجعل الناس اكثر سعادة . فالسعادة ، كما يعرف الجميع ، تتوقف على اكثر من مجرد زيادة الدخل ، فهنالك مثلا الشعور بالاطمئنان على المستقبل . وهنالك الحرية ، وهنالك نوع العلاقات الاجتماعية السائدة . بل وحتى مجرد الرضا بالنصيب . وكلها قد لا تتغير بزيادة الدخل بل وقد تؤثر فيها زيادة الدخل تاثيرا سلبيا . وانما تستمد التنمية الاقتصادية (او زيادة الدخل) تبريرها ، فى رأيه ، من انها تزيد من حرية الاختيار

فهي من حيث انها تؤدى الى انتاج سلع جديدة لم تكن تنتج من قبل . واصناف جديدة من السلع القديمة ، تتيح للفرد حرية اكبر للاختيار بين عدد أكبر من السلع ،كما انها بما تؤدى اليه من اشباع الحاجات الاساسية،وما ترتبط به من احلال الآلة محل العمل الانساني ،تسمح للفرد باختيار اوسع بين العمل والفراغ ،اذ لايغدو الفرد مضطرا الى العمل، او على الاقل الى العمل نفس العدد الكبير من الساعات . بل ان الفراغ نفسه يحمل في طياته معنى اتاحة مزيد من الحرية في اختيار ما يرغب المرء حقيقة في صنعه . وينطبق هذا على الاخص على المرأة ، التي يحررها مزيد من ميكنة الاعمال المنزلية من الاضطرار الى البقاء داخل المنزل . فتكون لها حرية الاختيار بين البقاء فيه او العمل خارجه . بل ان من الممكن القول ان التنمية ،بما تؤدى اليه من تخفيض معدل الوفيات تتيح حرية اكبر للفرد في ان يختار بين الحياة والموت . اذ يصبح (الاضطرار الى الموت) اقل شيوعا مع التنمية .

ويحق لنا أن نتساءل هل اصبحنا اكثر حرية ، مع ارتفاع معدل النمو وزيادة السلع والخدمات وتعدد اصنافها ، وهو اننا قد اصبحنا أكثر حرية حقا .

فاتساع هذا العدد اللامتناهي من السلع الجديدة لا ينطوي دائما على اضافة الى السلع القديمة ، بل هو في كثير من الاحوال مجرد احلال لسلع محل اخرى . فبعض السلع لم يعد ينتج على الاطلاق ، او اصبح انتاجها من الضآلة وأثمانها من الارتفاع بحيث اصبحت في في عداد « الاثريات » وخرجت عن متناول ايدى الغالبية .

فليس لمعظم الناس اليوم حرية الاختيار مثلا بين تأثيث مساكنهم وفقا للطراز الاوروبي او الامريكي الحديث او الطراز العربي القديم ، او بين بناء مساكنهم طبقا لهذا الطراز او ذاك . وليس امامهم مع الارتفاع الفاحش في اسعار الاراضي في المدن حرية الاختيار بين ان يكون لمنازلهم حديقة واسعة او عدد اكبر من الحجرات ، او بين مسكن مستقل وشقة في عمارة ضخمة . ومع التغير السريع في الموضات ، ليس فقط في الملابس بل وفي سلع الاستهلاك المعمرة ، كالسيارات والثلاجات .. الخ كثيرا ما يكون من المستحيل ان يتمسك الفرد باستهلاك الطراز القديم ، مهما كانت مزاياه الذاتية ، ليس فقط بسبب ضغط الرأى العام الخاضع لمصالح المنتجين والذى يعتبر التمسك بالقديم دليلا اما على الرجعية او عدم العصرية او فساد الذوق او قلة الدخل ، بل ايضا بسبب صعوبة العثور على هذا «القديم» اصلا او على قطع الغيار اللازمة له او على من يقبل اصلاحه.

لقد اعطتنا التنمية السيارة ، ولكن السيارة اعطتنا المدن الكبيرة . كما حتمت المدن الكبيرة اقتناءها فلم يعد لساكن المدينة الكبيرة حرية الاختيار بين ان يقطع عشرات الاميال بالسيارة او بالسير على الاقدام .

وهناك من السلع الجديدة ما احدث انقلابا خطيرا في عادات الناس الاجتماعية بحيث اصبح الامتناع عن استهلاكها يعد ضربا من الشذوذ يحتاج اما الى ارادة حديدية او الى انفصال شبه تام عن المجتمع . ففي نفس الوقت الذى اقتحم فيه التلفزيون مساكننا تغيرت طريقة الناس في قضاء اوقات الفراغ بحيث اصبح حديث الزوج الى زوجته او الى اولاده من الاحداث النادرة ، اذ من أين للاب نفس الاغراء الذى يجده اطفاله في الرسوم المتحركة الملونة ؟ قد يقال ان هذا التحول من العلاقات الانسانية المباشرة الى الاتصال بالعالم ، كل على انفراد ، عن طريق شاشة التليفزيون ، قد تم عن طريق اختيار حر اتخذه الناس بانفسهم ، والا فما كان عليهم الا ان يستمروا في ممارسة عاداتهم القديمة ، فيتعادثون اذا شاءوا او يذهبون الى المسرح او يطالعون الكتب . ولكن الواقع انهذا الاختيار لم يكن حرا . فالتلفزيون وكثير غيرهمن السلع الاستهلاكية الجديدة ، تتميز باناستهلاكها سرعان ما يولد ما يشبه الادمان ، بحيث يصبح من اصعب الامور التخلى عنها حتى مع التيقن من ضررها . فكما ان البدء في مشاهدة فيلممن الافلام البوليسية قد يجرك دون ان تشعر الى مشاهدته حتى نهاية شاعرا مع ذلك بالاسف على ضياع الوقت فيما لا نفع فيه ، فان الجلوس امام التلفزيون او ركوب السيارة او حتىمطالعة الجريدة اليومية سرعان ما يتحول كفنجانالقهوة في الصباح ، الى عادة يصعب التخلص منها .

وقد اصبح المنتجون وحلفـــاؤهم في صناعة الاعلان ، يتفننون في ابتداع الوسائل التى من شانها ان تحول حرية المستهلك في الاختيار بين سلع متعددة الى علاقة ارغام من ناحية وخضوع من ناحية اخرى ، ليس من السهل الفكاك منها. (ومع هذا لا يزال الاقتصاديون يتكلمون عـن « سيادة المستهلك ») فالرجل لا تكتمل رجولته الا اذا ارتدى ثيابا من نوع معين ، والعطش لايرويه الا الكوكا كولا ، والسيجارة لا يمكن اشعالها الا بولاعة ، والنوم لا يمكن الحصول عليه الا بالحبوب المهدئة ، والاعياد لا تتم بهجتها الا ببطاقات التهنئة وتبادل الهدايا باهظة القيمة وقليلة النفع .

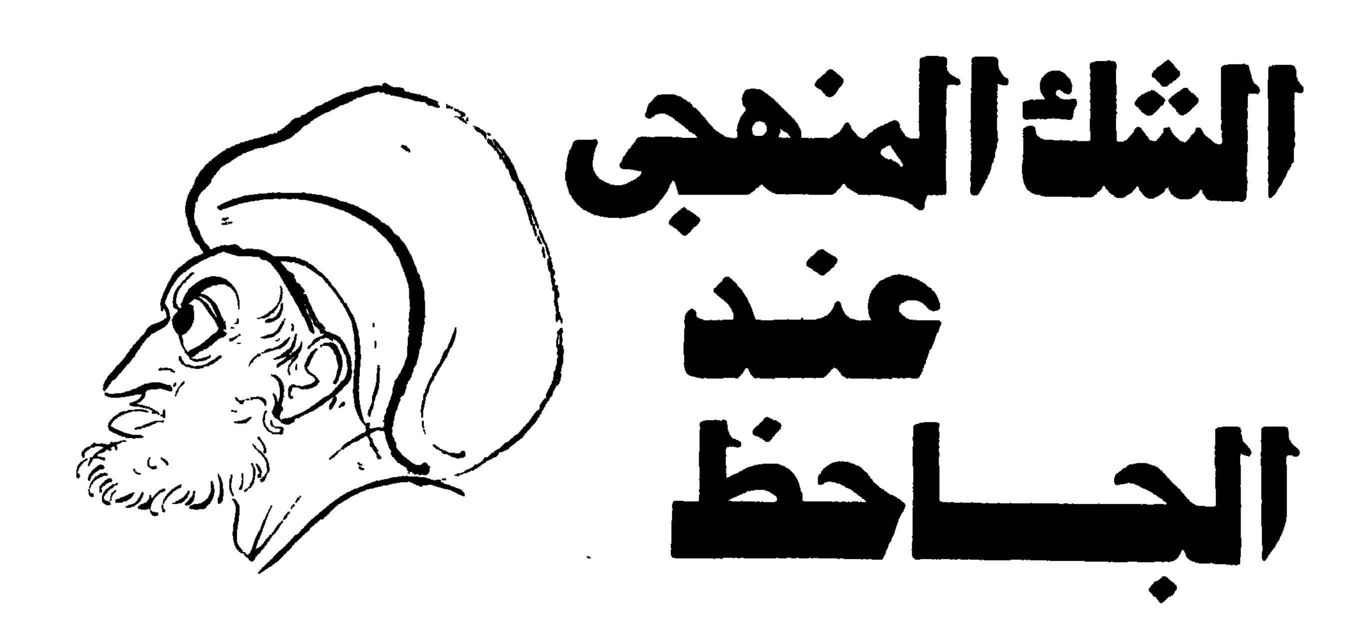
حاجات محدودة وموارد لا تنفد !

لقد مر بنا عصر كنا نفهم العملية الاقتصادية فيه على انها عملية استخدام موارد محدودة فى اشباع حاجات غير محدودة ، وان الهدف النهائى من العملية الانتاجية هـو « الاشبـاع » او « خلق الشعور بالرضـا » . ولا يزال اساتذة الاقتصاد يعرفون علم الاقتصاد على هذا النحو. ولكن الامر الان قد انقلب راسا على عقب ،واذا بالمشكلة التى تواجه المنتجين اصبحت حـى ان الحاجات تبدو وكانها للاسف « محدودة »والموارد وكانها هي التي لا تنفد،واذا بالعملية الانتاجية تتحول الى محاولة خلق شعور مستمر بعدم الاشباع وعدم الرضا. انهم يقولون لنا أن التنمية الاقتصادية (او زيادة الانتاج) تستهدف اشباع الحاجات ولكن العكس ، فيما يبـدو هو الان الاقرب الـى الحقيقة ، فالذى يحدث اليوم ليس الا محاولة تعميق شعور الناس بالاحتياج في سبيل التنمية الاقتصادية .

وهناك سبب اخر لفقدان الحرية الحقيقية فى الاختيار ، على الرغم من زيادة عدد السـلـع والخدمات المعروضة علينا ، يرجع الى الطبيعة الخاصة للحضارة الصناعية الحديثة. فهذه الحضارة تقوم على الالة،والانتاج الكبير والوحدات الانتاجية الضخمة . وقد أدى هذا الى ازدياد درجة التماثل بين وحدات السلع المعروضة ، وانتشار نمط واحد من أنماط الاستهلاك . ليس فى الدولة الواحدة فحسب ، بل وبين الدول . فالمنتج الكبير قد التهم الصغير وقضى عليه ، وطريقة الانتاج الاقل نفقة قضت على كل طرق الانتاج الاخرى ، فاذا بالاصناف المتعددة من السلعة الواحدة تخفي وراءها فى الحقيقة صنفا واحدا لا يختلف عن غيره الا فـى الاسم أو فى لون الورقة المغلفة بها ،واذا بالفوارق تزول بين مدينة واخرى ، مهما تعددت القارات . فاذا كانت التنمية قد اتاحت لنا حقا التنقل بين عاصمة واخرى بسهولة وسرعة اكبر ، ووسعت دائرة الاختيار امامنا بين المدن التي يمكن ان نقضى فيها عطلاتنا،فانها قد قضت فى نفس الوقت على مظاهر التفرد والاختلاف بين المدن ، ففى الوقت الذى اعطتنا فيه حرية الاختيار افقدت هذه الحرية معظم قيمتها .صحيح ان لون السما، لايزال مختلفا فى قارة عنه في اخرى ، ولكن الفنادق المتماثلة والمساكن الضخمة قد حجبت عنـا رؤية السمـاء اصلا .

قد يقال ان العيب ليس فى التنمية ، ولا فى نمط الحضارة الحديثة بل فى الانفجار الرهيب في السكان . اذ كيف يمكن ان تلبى حاجات هذه الاعداد الغفيرة من الناس الاعن طريق الامعان في التصنيع وفي الميكنة.واذا كان للتصنيع وللميكنة ثمنهما الذى يتمثل فى تفكك الروابط العائلية ، ومزيد من الفردية ، ومزيد من التماثل ، ومزيد من الملل ، فهو ثمن يتعين علينا دفعه راضين من اجل ان نضمن وصول السلع الضرورية الى عدد أكبر من السكان . ولكن الرد على هذا يسير . فمن المستحيل ان يقبل المرء ان اشباع الحاجات الحقيقية للناس يتطلب انتاج هذا العدد الهائل من السلع عديمة القيمة ، وان انتاج الكميات اللازمة من السلع الضرورية يتطلب حقا هذه الدرجه من التركيز في الانتاج فى مصانع ومدن محدودة العدد ، وهذه الدرجة من التماثل والتشابه بين السلع ، كما ان من المستحيل ان يقبل المرء ان الطريقة الوحيدة لاتاحة رؤية بلاد جديدة لعدد اكبر من الناس هو ان يحشروا في طائرات تقدم نفس الطعام ويردد فيها قائد الطائرة نفس عبارات الترحيب المحفوظة وترتسم فيها على وجوه المضيفات نفس الابتسامات المصطنعة التى لا يكمن وراءها الاشعور دفين بتفاهة ما يقمن به . ■■

جلال احمد أمين



الشك المنهجي عند الجاحظ

بقلم : الدكتور محمد عمارة

■ كاد الباحثون ان يجمعوا على ان الجاحظ ـ ابو عثمان عمرو بن بحر ـ (١٦٣ ـ ٢٥٥ هـ ٧٨٠ ـ ٨٦٩) هو كبير ائمة الادب في تراثنا العربي ، على عهد ازدهاره وتالقه ، فله في هذا الميدان آثار لا زالت تعطى عطاء سخيا حتى الان ..

وشهرة الجاحظ هذه ، في ميدان الادب ، افادت واضرت في ذات الوقت ، فهي قد ضمنت البقاء وجلبت العناية من المحققين والدارسين لاغلب اثاره الفكرية ، في بيئه استمرت عنايتها بالادب ، حتى بعد غروب شمس الازدهار الحضاري، اكثر من عنايتها بالدراسات العملية والفلسفية والعلمية ، وضاعف هذه الفائدة أن الجاحظ لم يكن في اثاره هذه مجرد أديب ، بل كان فيلسوفا ، وايضا عالما ، أودع الكثير من آرائه الفلسفية والفكرية وثمرات اهتماماته العلمية ثنايا هذه الاثار التي غلب عليها طابع الادب والادباء .. فضمن الطابع الادبي لهذه الاثار بقاء ، بل خلودا ، لتلك الاراء الفلسفية والنظرات العلمية التي تضمنتها على حين بادت او ابيدت ـ او على اقل اهملت ـ نظائرها التي اودعها الاخرون تاليف خاصة بها ، خصوصا اذا كان هؤلاء المفكرون من ائمة المعتزلة ، التي كان الجاحظ واحدا من اعلامها المبرزين .. فنحن لا نجد من بين ائمة المعتزلة ـ على غزارة انتاج العديد من هؤلاء الائمة ـ من حفظ التاريخ لنا تراثه الفكري كما نجد ذلك لدى الجاحظ ..

أما الجانب السلبي الذي لحق حياتنا الفكرية من ذلك الطابع الادبي الذي ابتعد بآثار الجاحظ عن الميادين غير الادبيه في الدراسة والاهتمامات، فيتمثل في قصور المعلومات وقلة الدراسات التي جدت وذاعت عن الجاحظ فيلسوفا ، وعن نظراته في مجالات التجربة والعلوم .. وهي حقول وميادين ترك الجاحظ فيها اثارا تستحق العديد من الدراسات المتخصصة من الباحثين المتخصصين ، وتنتظرها دوائر الفكر والثقافة كي تكتمل لهذا المفكر العملاق قسماته وملامحه الفكرية في ذهن المثقف العربي الذي منحه الحب والاعجاب في ميدان الادب منذ ان تعرف على آثاره مع بداية نهضتنا في العصر الحديث .

الجاحظ الفيلسوف

ومكان الجاحظ من تراثنا الفلسفي مكان متميز،

بن وعزيز . ففلسفته لم تكن فقط ثمرة من ثمار حركة الترجمة التى تمت فنقلت تراث اليونان الفلسفي الى العربية ، وان كان الرجل قداستوعب وافاد من ذلك التراث ، ولكن مكانه الحقيقي كان بين « المتكلمين المسلمين » الدين تجلى في تراثهم ابداع الامة العربية المسلمة فى هذا الميدان ، وبرزت فى فنهم هذا خصائص العرب المسلمين ، عندما جعلوا برهان العقل اداتهم الاولى فى النظر والبحث ، دون أن ينفصلوا عن وافعهم المميز بالايمان بعقائد دين التوحيد ، فقدموا بناء فكريا فسفيا متوازنا لامة وسط ، تهتدى بالكتاب وبالعقل وتعرض المنقول على المعقول ، وتوفق بين ظواهر النص وبرهان العقل عن طريق التاويل . حتى لقد تدينت لديها الفلسفة وتفلسف عندها الدين !

ولم يكن مكان الجاحظ الفيلسوف بين «المتكلمين المسلمين » فحسب، بل كان علما من اعلام المدرسة التى ابدعت فى تراثنا علم الكلام .. مدرسة المعتزلة ، اولئك الدين بدأ نهجهم الفلسفى المتامل فى الظهور حتى قبل أن تترجم الى العربية فلسفة اليونان .. ففى منتصف القرن الهجرى الاول ظهر هذا المنهج التاملى الفلسفى فى البحث وتبلور له تيار فكرى ، وعنه سال الناس الصحابى عبد الله بن عمر بن الخطاب (١٠ق.هـ ـ ٧٣هـ) فقالوا « انه قد ظهر قبلنا ناس يقراون القرآن ، ويتقفرون العلم (١) » أى يطلبونه ، ويتتبعونه ، ويجمعونه ، ويبحثون عن غامضه ، ويستخرجون خفيه !!

ولم يكن هذا المنهج الفلسفى فى البحث ، الذى يغوص اصحابه تحت ظواهر النصوص تقليدا للاخرين او نقلا عنهم ـ ولو كان كذلك لما عاب اصحابه ـ لكنه كان الامتداد لوصية نبوية شريفة دعت العلماء الى الغوص وراء معانى القرآن بقلب ظواهره والثورة على الاكتفاء بما توحيه بعض هذه الظواهر ، فقالت هذه الوصية « أثيروا القرآن ، فان فيه خبر الاولين والاخرين» و « من أراد العلم فليثوِّر القرآن .. » (٢)

ومن هنا كان مقام العقل عند الجاحظ عاليا ، لانه الحكم والحاكم عندما تتعارض سبل الاستدلال ومناهجه .. فعنده ان العقل هو « وكيل الله » عند الانسان ، جعل اليه ازمة اموره ، وقيادة نشاطاته وعلى الانسان ، حتى يبلغ كماله ، أن يدعم عقله الغريزى المكتسب (٣) ..

واذا كان العقل هو « وكيل الله لدى الانسان » واليه زمام الامر فى شئونه ، واذا كان القران وكيل الله كذلك ، فالتناقض بينهما مستحيل ـ وهو التناقض الذى اخذ عند قوم صورة صراع بين العلم والدين ، وعند آخرين صورة صراع بين الحكمة ـ (الفلسفة) والشريعة ـ غاية الامر ان القرآن يحتاج الى مستويات فى فهمه ووعى مراميه، فمن الناس من لا يستطيع تجاوز ما توحيه ظواهر الايات ، على حين ان منهم الراسخون فى العلم واهل العقل والبرهان ، وهم الذين يميزون بين « المحكم » و « المتشابه » ، فيعرضون الثانى على الاول ، ويغوصون الى ابعد من ظواهر الايات ، ويعرضون ما يهتدون اليه من معان واسرار على برهان العقل حتى توافق معطياته ، وذلك حتى لا تتعارض الثمار التى يجنيها الانسان من « وكيلين » خلقهما خالق واحد لهداية خليفته ـ الانسان ـ ورشاده فى كل الامور .

ومن هنا وجدنا العقل دليلا رابعا عند اصحاب هذه المدرسة العقلية مع الادلة الثلاثة التى وقف عندها واكتفى بها سواها من مدارس التفكير فى تراثنا ـ (الكتاب ، والسنة والاجماع) ـ بل وجدناه يتقدم هذه الادلة الثلاثة فى الترتيب لضرورة عرض المرويات والنتائج على براهينه ومعطياته .. فهم يقولون : ان « الادلة : اولها: دلالة العقل ، لان به يميز بين الحسن والقبيح ، ولان به يعرف ان الكتاب حجة ، وكذلك السنة ، والاجماع . وربما تعجب من هذا الترتيب بعضهم، فيظن ان الادلة هى : الكتاب ، والسنة والاجماع،

---

(١) (صحيح مسلم) بشرح النووى . جـ١ ص١٥٥ ، ١٥٦ طبعة القاهرة (على نفقة محمود توفيق) بدون تاريخ

(٢) (لسان العرب) لابن منظور .. مادة « ثورة » والمعنى الانقلاب والتغيير ..

(٣) (رسائل الجاحظ) جـ١ ص٩٢، ٩٦ . تحقيق عبد السلام هارون ـ طبعة القاهرة سنه ١٩٦٤ .

فقط • او يظن ان العقل اذا كان يدل على امور فهو مؤخر • وليس الامر كذلك ، لان الله تعالى لم يخاطب الا اهل العقل ، ولان به يعرف ان الكتاب حجة وكذلك السنة والاجماع • فهو الاصل فى هذا الباب ••• فمتى عرفنا بالعمل ، الها منفـــردا بالالهية ، وعرفنا حكيما ، نعلم فى كتـــابه انه دلالة • ومتى عرفناه مرسلا للرسول •• علمنا ان قول الرسول حجة• واذا قال صلى الله عليه وسلم: (لا تجتمع امتى على خطأ ، وعليكم بالجماعة)، علمنا ان الاجماع حجة •• » (٤)

الجاحظ والمنهج التجريبى

فى آثار الجاحظ ، وخاصة كتابه (الحيوان) ، تراث علمى • يعرض لاطراف من مباحث العلوم وتجاربها وحقائقها ، ويقارن خلاله بين الآراء ، وينتقد قصور اليونان فى ميدان التجريب ••ومن خلال كل ذلك يستطيع الباحث المتخصص ـ الذى لا نزال فى انتظاره ـ ان يمسك بدايات الخيوط التى تقوده الى مجموعة الحقائق المؤكدة للمقولة التى نؤمن بها ، مع نفر من الباحثين الجادين ، والتى تقول : ان حضارتنا قد ابدعت فى المنهج العلمى التجريبى مالم يبدعه اليونان •• فلقد وقفوا ـ غالبا ـ عند القياس ، بينما قاد الاهتمام بالتجريب ، عند العرب ، الى الاستقراء ، فكان القياس مرحلة تالية للاستقراء ، وظيفتها التحقق من صدق الحقيقة المستخلصة من المشاهدة والتجربة والاستقراء.صدقها على الاشباه والنظائر .بواسطة تجريب جديد ••

ولقد دعا العرب الى هذا الابداع ثراء الميادين العلمية التى عملوا بها وابدعوها ، وتنوعها ، وايضا اعلاؤهم لمقام العمل ، الامر الذى افضى الى ثقتهم فى الادلة والحقائق المستخلصة من العلم الطبيعى وحقــائق الطبيعة ، او ـ بتعبيرهـــم ـ « حقوق الطبائع » •

ولم تدعهم هذه الثقة فى « حقوق الطبائع » الى رفض الدين او التخلى عـــن المنقول ، بـــل اجتهدوا ـ انطلاقا من الموقف المتوازن الذى يوازن بين مايبدو للبعض متناقضات لا سبيل للجمع بينها ـ اجتهدوا للتوفيق بين مصادر المعرفة هذه ، وتحديد مجالات كل منها ، ونجحوا ـ رغم الصعوبة ـ الى حد كبير ، دون أن يقودهم هذا التوفيق الى نطاق التلفيق !

فبعد نجاحهم فى بناء علم الكلام تاسست فيه العقيدة الدينية على اسس فلسفية ، وهو النجاح الذى وصفه « الفريد جيوم » بقوله : ان « قوة الحركة الاعتزالية مردها جهود اولئك الذين حاولوا اقصى ما فى طوقهم اقامة علم الكلام الاسلامى على اسس ثابتة من الفلسفة ، مصرين فى الوقت نفسه على ان تكون تلك الاسس منطقية . ثم الانسجام بينها وبين الفلسفة التى يجب ان تدرس بوصفها من صميم العقيدة الدينية (٥) » •

بعد هذا النجاح ـ او من خلاله ـ طرقوا مباحثهم الطبيعية فناقشوا المادة ،قدمها وحدوثها ومعنى كل منها••وانتهوا الى القول بقدمها عندما قالوا بقدم العالم،ورفضوا منهب الذاهبين الى الخلق من العدم، لان العدم عندهم هو « شىء » : •• وكمـــا ان الجوهر قديم ، فهو ايضا باق لا ينعدم ! ثم اخذوا يوفقون بين حقائق هذه المباحث الطبيعية وثمراتها وبين حقائق الفكر الدينى الجوهرية والاولية •• ورأينا الجاحظ يؤكد على ضرورة هذا التوفيق ، وامكانيته ، رغم صعوباته ، فيقول : « •• وليس يكون المتكلم جامعـــا لاقطار الكلام ، متمكنا مـــن الصناعة ، يصلح للرئاسة ، حتى يكون الـــذى يحسن من كلام الدين فى وزن الذى يحسن من كلام الفلسفة • والعالم عندنا هو الذى يجمعهما والمصيب هو الذى يجمع تحقيق التوحيد واعطاء الطبائع حقها من الاعمال • ومن زعم ان التوحيد لا يصلح الا بابطال حقائق الطبائع ،فقد حمل عجزه على الكلام فى التوحيد ، وكذلك اذا زعم ان الطبائع لا تصح اذا قرنها بالتوحيد ، ومن قال

(٤) (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة) للقاضى عبد الجبار بن احمد ـ ص ١٢٧ تحقيق فؤاد سيد طبعة تونس سنة ١٩٧٢ م •

(٥) الفلسفة وعلم الكلام ـ ترجمة جرجيس فتح الله ص ٣٧٩ طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ (ضمن كتاب عنوانه / تراث الاسلام) •

هذا فقد حمل عجزه على الكلام فى الطبائع • وانما يياس منك الملحد اذا لم يدعك التوفر على التوحيد الى بخس حقوق الطبائع ، لان فى رفع اعمالها رفع اعيانها ، واذا كانت الاعيان هى الدالة على الله ، فرفعت الدليل ، فقد ابطلت المدلول عليه! • ولعمرى ان فى الجمع بينهما لبعض الشدة ؟! •• وانا اعوذ بالله تعالى ان أكون كلما غمز قناتى باب من الكلام صعب المدخل ، نقضت ركنا من اركان مقالتى ! ومن كان كذلك لم ينتفع به ! » (٦) •

هذا هو المنهج ، والمنطلق •• ومن المؤكد ان فى تطبيقاته الخيوط التى تبدأ منها قصة التراث العلمى مع المنهج التجريبى قبل ان يشتهر به روجر بيكون (١٢١٤ ــ ١٢٩٤) بقرون طوال !

الجاحظ ومنهج الشك

لقد كان لمنهج « الشك المنهجى » الذى بلور نظريته « ديكارت » (١٥٩٦ ــ ١٦٥٠م)آثاره الكبرى فى نهضة اوروبا ، وفى العطاء الذى استفاده العالم منها على اختلاف قاراته وتنوع حضاراته •• تلك حقيقة لا شك فيها ! »

لكن •• الا يحق لنا ان ندعو الى دراسة تراثنا نحن فى « الشك المنهجى » او منهج الشك بغية التحقق من مكان تراثنا هذا فى موكب تطور الفكر الانسانى فى هذا المجال •• لقد اشرنا الى سبق الجاحظ ، ومدرسته الفكرية ، الى توجيه النظر الى الطبيعة ، وتاكيد الثقة فى حقائقها وبراهينها ، قبل « بيكون » بقرون ••فلم لا نتصفح ما فى تراثنا وفى اثار الجاحظ ، من كتابات عرضت لمنهج الشك على نحو يستحق الجلاء ويدعو الى الاعجاب ؟ ! ••

لقد نبه باحثون اجلاء الى دور الامام الغزالى (١٠٥٩ ــ ١١١١ م) (٧) فى هذا الميدان ، فكتابه « المنقذ من الضلال » هو ترجمة ذاتية رائعة لمفكر وقع فريسة للشك ، ثم تنقل عبر العلوم وطرق الاستدلال بحثا عن اليقين حتى وجد فى طريق الصوفية سبيله الى اليقين • فهو معلم من معالم تراث الانسانية فى اتخاذ الشك سبيلا لليقين ••

ولكن شك الغزالى ، وكتابه الذى عرض فيه تجربته ، كان قضية خاصة ومشكلة ذاتية ، ولم يكن منهجا دعا اليه الاخرين ، شان المناهج العلمية التى يهندسها العلماء فيقدمونها للناس •• كما أن النهاية التى اثلجت صدر الغزالى باليقين ، وهى ذوق الصوفية وكشفهم ، لا تجعل «شكه » هذا « الشك المنهجى » الذى يستخدمه العلماء فى البحث بميادين الفلسفة والعلوم ، لان « الشك المنهجى» الذى تعارف عليه العلماء والفلاسفة قلما يقود الى مثل تلك النهايات •• واخيرا ، فان الغزالى نفسه قد عاد وتمنى على الله ان يهبه ايمانا ويقينا كايمان العجائز ويقينهم !، ولم يكن ، بالتالى، صاحب منهج فى الشك يدعو الى اعتماده سبيلا فى تحصيل اليقين •• فعلينا ، اذن ، ان نبحث فى تراثنا عن البدايات الحقيقية لبزوغ شمس هذا المنهج العلمى فى فكر الانسان•

وانه لطبيعى ان نولى وجهنا شطر تراثنا العقلانى فى بحث كهذا ، لان مثل هذا المنهج العلمى اليق به ان يكون ثمرة من ثمار اولئك الذين اعلوا من شان العقل فنزعوا القداسة عن الانطباعات الاولية والملاحظات غير المؤكدة ، فضلا عن المأثورات •• والجاحظ واحد من اعلام هذا التيار فى تراثنا وحضارتنا ••

فهو يدعونا الى التبصر عند النظر، فاذا عرضت لنا قضية يراد لنا أن نحكم فيها فلا بد من « التثبت » واذا كنا امام « شبهة » فلا بد من « التوقف » •• ثم يقدم لنا منهجا يرفض الاجابة بـ « لا » او بـ « نعم » فقط ، لان للحقائق زوايا وقسمات ، تستدعى الاجابة العلمية عن مسائلها الربط بين هذه الزوايا والقسمات ، فلربما كانت الاجابة فى بعض نواحيها بـ « نعم » وفى بعضها الآخر بـ « لا » !

وهو يعرض لهذا الموقف المنهجى باعتباره منهجه

---

(٦) الحيوان ــ جـ٢ ص١٣٤ ، ١٣٥ • تحقيق عبدالسلام هارون ، طبعة القاهرة الثانية •

(٧) د • ابراهيم مدكور (فى الفلسفة الاسلامية)ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٦٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م •

فى كتابه (الحيـوان) ، فهو يرفض التمذهب الذى جعل الناس فرقا وشـيعا اراحت عقـول المتمذهبين من عناء النظر فى كل معضلة وقضية ومسالة عندما « ترك الجمهور الاكبر والسـواد الاعظم التوقف عند الشبهة والتثبت عند الحكومة جانبا » واضربوا عنه صفحا ، فليس الا : لا ، او: نعم . الا ان قولهم : «لا» موصول منهم بالغضب، وقولهم « نعم » موصول منهم بالرضا ! .. وينبه الجاحظ على ان هذا المسلك المعيب قد حرم الناس من استخدام نعمة « الحرية » فلم يكتشـفوا ، بواسطتها ، الحلال من الحـرام ، ولا الحسن من القبيح ! اذ قد « عزلت الحرية جانبا » ـ كمـا يقول ـ بمسلكهم هذا (٨) ! ..

ونحن لا نزعم ان الجاحظ هو رائد استخدام الشك سبيلا الى اليقين .. ففى قصص القرآن الكريم يعلمنا الله سبحانه ان ابراهيم الخليـل قال لربه : (ارنى كيف تحيى الموتى) فاجابه : (او لم تؤمن ؟) قال : (بلى ، ولـكن ليطمئن قلبى) (٩) .. وفى الهدى النبوى نطـالع خبر الصحابى الذى حدث الرسول الكريم ،على استحياء، بما طاف بقلبه من شكوك فساله الرسول: اوجدتها؟! ذلك محض الايمان .. اى حقيقة اليقين ! ..

ولكن الذى نزعمه ان الجاحـظ قد ارتاد ، او كان من بين الرواد ، الذين دعوا الى اتخاذ الشك طريقا لليقين ، اذ فرق بين أن يعرض لك شك فى امر ، فتبحث حتى تصل عن طريق هذا الشك الى اليقين ، وبين أن تقف امام الامور ، عمدا وبمنهج ذى قواعد ، موقف الشاك الذى يرفض التسـليم واليقين والراحة الايمانية ، الا بعد اختبار هـذه الامور والتحقق من مقدماتها ببرهان العقل ووسائل النظر والتدبر .. فهذا هو الشـك المنهجى ، او الشك كمنهج وهو ما ارتاد الجاحظ دربـه قبل « ديكارت » بقرون ..

فالجاحظ يدعو الى الشـك .. والى معرفـة مواطنه ومواضعه ، والى اكتشاف اسبابه .. بل ويدعو الى تعلم هذه الامور ، اى تعلم الشك ، باعتباره علما يقصد الى تعلمه العلماء ! فيطلب ذلك من قارئه قائلا :« ... فاعرف مواضع الشك، وحالاتها الموجبة له ، لتعرف بها مواضع اليقين ، والحالات الموجبة له ، وتعلم الشك فى المشكوك فيه تعلما ،فلو لم يكن فى ذلك الا تعرف التوقف، ثم التثبت ، لقد كان ذلك مما يحتاج اليه (١٠)».

ثم يحدثنـا عن ان العلمـاء والمفـكرين ـ (الخاصة) ـ لهم حيال الحقائق والمسـائل حالات ثلاث : التكذيب والرفض ، او التصديق ، او الشك ، وهو درجات وطبقات .. بينما العامة والجهلاء لا يعرفون الا : التكذيب ، او التصديق، لانهم مقلدون ،لا يستخدمون ملكاتهم العقلية كما ينبغى للانسان الراقى ان يستخدمها ،فدائما الشك المنهجى علامة مميزة لعقلانية الانسان العاقل .. يقول : « والعوام اقل شكوكا من الخواص ، لانهم لا يتوقفون فى التصديق والتكذيب ، ولا يرتابون بانفسهم ، فليس عندهم الا الاقدام على التصديق المجرد ، او على التكذيب المجرد ، والغوا الحالة الثالثة من حال الشك ، التى تشتمل على طبقات الشك ، وذلك على قدر سوء الظن وحسن الظن باسباب ذلك ، وعلى قدر الاغلب (١١) ... »

كما ينبهنا الجاحظ على انه ، فى هذا الموقف، ليس وحيدا ، فمدرسة المعتزلة ، فرسان العقلانية العربية الاسلامية ، يتبنون ، بوجـه عام ، هذا المنهج الذى يدعو اليه .. فابو اسحاق النظـام (٢٣١ هـ ـ ٨٤٥ م) استاذ الجاحظ له تجارب فى الجدل مـع الملحدين جعلته يفضل اهـل الشـك على الجاحدين ، فيقول : « نازعت من الملحديـن الشاك والجاحد ، فوجدت الشكاك ابصر بجوهر الكلام من اصحاب الجحود .. » الامر الذى جعله يقطع بحتميـة سبق الشك لليقين ، وبعبارتـه : « .. ولم يكن يقين قط حتى كان قبله شك ، ولم ينتقل احد عن اعتقاد الى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك (١٢) »

بل لا ينسى الجاحظ أن يحكى لنا فخر العلماء

---

(٨) الحيوان ـ جـ ٧ ص ٨ .

(٩) البقرة : ٢٦٠

(١٠) الحيوان : جـ ٦ ـ ص ٣٥

(١١) المصدر السابق جـ ٦ ص ٣٦ ، ٣٧

(١٢) المصدر السابق جـ ٦ ص ٣٥ ، ٣٦

بسست •• فعندما « قال ابن الجهم للمكي : انا لا اكاد اشك ! قال المكي : وانا لا اكاد اوقن ! ففخر عليه المكي بالتشك في مواضع الشك ، كما فخر عليه ابن الجهم باليقين في مواضع اليقين (١٣) !»

وهذا الموقف الذى قرر به المعتزلة ـ والجاحظ من ائمتهم ـ التشك المنهجي يبلغ القمة عند امامهم ابى هاشم الجبائى (٨٦١ ـ ٩٣٣م) فابوه ابو على الجبائى (٨٤٩ ـ ٩١٦م) ـ وهو من ائمة المعتزلة ايضا ـ يرى ان الواجب الاول على الانسان هو : النظر ،بما فى هذا النظر من يقين اوشك أن يقود الى اليقين •• اما ابو هاشم فيرى ان الشك هو الواجب الاول على الانسان (١٤) !!

فى التطبيق

واذا استطاعت هذه الاشـــارات أن تكفى فى تقرير هذه الحقيقة، حقيقة ريادة تيارنا العقلانى، والجاحظ من اعلامه ، للتشك المنهجي ، فان الامل معقود على الدراسات المتخصصة التى تجلو لنا كيف طبق واستخدم هؤلاء الاعلام هذا المنهج فى فروع البحث العديدة التى طرقوا ميادينها •••

ونحن هنا نشير،فى ختام هذه الصفحات،الى ثمرة من ثمرات هذا المنهج برزت فى تآليف الجاحظ التى خصصها للعلوم الانسانية •• فهذا المنهج يربى صاحبه على احترام الحقيقة،ومن ثم العناية بوجهات النظر المختلفة والمتعددة،بل والمتعارضة والمتناقضة•• ومن ثم رأينا الجاحظ ، وهو يعرض لجدل الفرق الاسلامية حول قضاياها الخلافية ، اذا عرض لاراء خصومه يسوق فى تآليفه كل حجج هؤلاء الخصوم ، بل ويدعم هذه الحجج باكثر مما يستطيع اصحابها، حتى ليضيف الى حججهم حججا لم تخطر لهم على بال ، ثم يشرع فى التفنيد •• وبعد ذلك منهجا واجب الاتباع . وينبه عليه فيقول : « •• واعلم ان واضع الكتاب لا يكون بين الخصوم عدلا ، ولاهل النظر مالفا حتى يبلغ من شدة الاستقصاء لخصمه مثل الذى يبلغ لنفسه ، حتى لولم يقرأ القارىء من كتابه الا مقالة خصمه لخيل اليه انه الـذى اختاره لنفسه ، واختاره لدينه (١٥) ! ••• وليس يكون الكتاب تاما ، ولحاجة الناس اليه جامعا ، حتى تحتج لكل قول بما لا يصاب عند صاحبه ، ولا يبلغه اهله، وحتى لاترضى بكشف قناع الباطل دون تجريده ، ولا بتوهينه دون ابطاله (١٦) !••»

بل ولقد وضع الجاحظ منهجه هذا ، فى احترام الحقيقة وايراد مختلف الحجج وجميع وجهات النظر وضع منهجه هذا فى التطبيق على نحو طريف وفريد، ففى السياسة ، وحول مشكلة « الامامة » الفكتابا ينتصر فيه لرأى الفرقة « العباسية » التى ترى ان آل العباس احق بالامامة •• وكتابا ينتصر فيه لفرقة «المروانية» الاموية وثالثا لفرقة «العثمانية»•• واثبت بذلك ان الجدل والسفسطة تستطيع الاحتجاج للباطل من الاراء ، بينما الحق واحد ، وهو مع منهج المعتزلة العقلانى المنتصر للشورى والبيعة والاختيار سبيلا لتنصيب الامام ••

لقد كان الجاحظ مفكرا موسوعيا ، وفى ذات الوقت صاحب مذهب ومبدع فكر ، فهو فيلسوف وعالم وصاحب منهج ، طرق بمنهجه وفكره حقولا عديدة فى الفكر الذى اهتم به خاصة عصره وطليعة مفكريـه ، فلم يكن موسوعيا بمعنى الوقوف عند الاطـلاع على مختلف الفنون والتصنيف فيها •• ولافيلسوفا وعـالمـا اقتصرت جهـوده على ميدان تخصصه الضيق••بل كان عملاقا ، واسع الاطلاع، متنوع الانتاج ، صاحب نظر ومنهج جعل انتاجه ابداعا واضافات الى الفكـر الانسانى العظيم •

■■

القاهرة ــ محمد عمارة

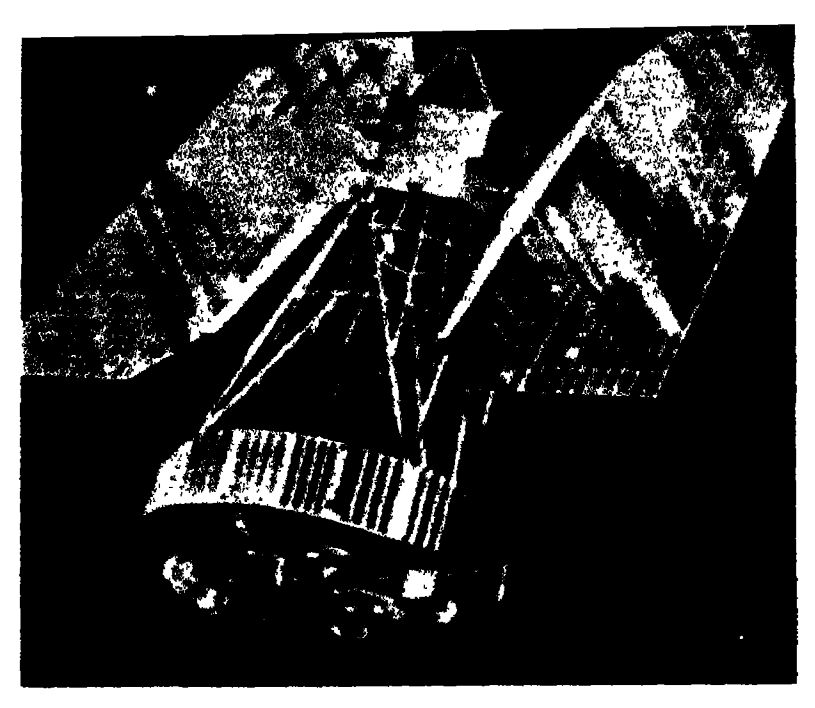
---

(١٣) المصدر السابق ج ٦ ص ٣٥

(١٤) د • على فهمى خشيم (الجبائيان : ابوعلى وابو هاشم) ص ٣٣٣ طبعة طرابلس/ليبيا سنة ١٩٦٨م •

(١٥) (العثمانية) ص ٢٨٠ تحقيق عبدالسلام هارون • طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م •

(١٦) (رسائل الجاحظ) ج ١ ص ٣١٤ •



القمر الصناعى نيمبوس

حتى تعود الثقة الى « النشرة الجوية » :

حتى تعود الثقة إلى النشرة الجوية

الأقمار الصناعية

تحل مشكلة التنبؤ بالطقس

بقلم : المهندس سعد شعبان

دخلت الاقمار الصناعية الميدان ،واصبح ممكنا التنبؤ بالطقس حتى أسبوع مقبل !

لكن انجازات العلم لا تتوقف •رغم الجدل الذى ثار فى الماضى بين البعض حول التنبؤ بالجو • قال فريق من رجال الدين بتحريمه بزعم انه من قبيل التنبؤ بالغيب ، وغفل هؤلاء عن كون الطقس المقبل على جهة ما فى الكرة الارضية بعد ساعات ، ليس اكثر من طقس موجود فعلا ولكن فى مكان آخر • وغفلوا أكثر من ذلك عن اكتشاف الحقائق العلمية بمشاهدة الدلائل والقرائن التى تدل عليها •

■ وما زالت النشرات الجوية فى كثير من الدول الى يومنا هذا مثارا للسخرية والتفكه لمجانبتها الدقة فى بعض الاحوال • اذ كثيرا ما يحل طقس مخالف لما يقول به المتنبئون الجويون • ولذلك يعمد هؤلاء الى اصدار النشرات الجوية عن مدد قصيرة قد لا

... سحب متبلة . كما يعمدون ايضا الى استخدام عبارات مطاطة ليس فيها صفة الجزم او القطع بما سيكون عليه حال الجو بحيث يقبل الامر التاويل والاحتمالات . كمثل قولهم « ينتظر سقوط امطار في أماكن متفرقة » أو قولهم « يحتمل هبوب رياح متوسطة على المناطق الساحلية ... » .

غير أنه في عصر الفضاء ، أصبح التنبؤ الجوى ميسورا بدقة بالغة بواسطة الاقمار الصناعية وأصبح ممكنا معرفة الطقس الى عدة ايام مقبلة.

الوسائل التقليدية الى زوال

وقبل اطلاق الاقمار الصناعية كانت الوسائل التقليدية للتنبؤ المسبق بالطقس تقتضى اقامة عديد من محطات الرصد الجوى فوق كل منطقة سواء كانت صحراوية او وسط الغابات او على الجزر في المحيطات او فوق شعاب الجبال او في صقيع المناطق القطبية المتجمدة . وذلك لرصد العناصر الجوية اللازمة سواء الضغط الجوى او درجات الحرارة العظمى والدنيا ونسبة الرطوبة واتجاهات وسرعات الرياح وأنواع السحب وارتفاعها .

وكم شاهدنا من اجهزة الرصد الجوى مايحويه « كشك » خشبي أو مبنى صغير ويقوم بقراءتها متخصص يستخدم معدات غاية في البساطة .ومن مجموع ما تصبه محطات الرصد الجوى المختلفة التي يجب ان تعد بالمئات في دولة متوسطة الرقعة ، يمكن تجميع ما يساعد المتنبئين الجويين على تجهيز نشرة جوية لست ساعات مقبلة بمستوى معقول من الدقة أو للاربع وعشرين ساعة القادمة بشيء يحتمل كثيرا من التغيرات . لكن من الواضح أن مجموع ما يجمع من بيانات من محطات الرصد الجوى يستلزم نظاما للاتصالات لكى تصب هذه البيانات في محطة تحليل رئيسية ، حتى يتمكن المتنبئون الجويون من توقيع خرائط للطقس . وعادة يلجأ هؤلاء الى رسم خطوط انسيابية تصل بين الاماكن المتفرقة التى يتساوى عندها الضغط ، ويسمونها خطوط تساوى الضغط ، Isobaric Lines . وبذلك يمكن أن تظهر على خرائط الطقس أماكن المرتفعات الجوية والمنخفضات الجوية وأماكن تحرك الجبهات الجوية الباردة والساخنة التي يصاحب كل منها طقس مميز .

ويعتمد المتخصصون في الطبيعة الجوية على تفسير الظواهر الجوية بمراقبة حركة كتل الهواء فالهواء البارد يدفع أمامه الهواء الساخن ، من أماكن الضغط المرتفع الى أماكن الضغط المنخفض، ومن ثم يمكن معرفة اتجاهات الرياح وقياس شدتها .

ومعنى ذلك أنه لكى ترسم خريطة تنبؤ جوى، فلابد أن تتجمع القياسات الماخوذة من عديد من محطات الرصد ، حتى يمكن توقيع الخرائط ، ثم يعمل المتنبئون على تفسير هذه الخرائط .

ولان الطقس ليس مقصورا على سطح الارض



توزع أنماط السحب حول القارات





اعصار هاريكان من الفضاء

وحده ، فكان لزاما على المتنبئين الجويين اجراء القياسات كذلك فى طبقات الجو العليا • ولقد تزايدت أهمية الرصد الجوى فى الارتفاعات العليا، بتزايد أهمية الطيران المدنى والعسكرى • وتوجد وسائل تقليدية ما يزال المتنبئون الجويون يلجأون اليها وهى اطلاق « بالونات الرصد الجوى » المملوءة بالايدروجين لتحمل أجهزة قياس مبسطة ، وتنطلق بها الى أعالى الغلاف الهوائى اعتمادا على ميل الايدروجين للارتفاع الى أعلى لخفة وزنه ويقوم جهاز لاسلكى محمول فى البالون نفسه باذاعة العناصر الجوية المقاسة لتستقبل بواسطة المحطات الارضية • وفى وقت الحروب يلجأ العسكريون الى اجراء القياسات بواسطة أجهزة تحملها طائرات خاصة للقياسات الجوية يمكنها أن تطير على ارتفاعات شاهقة •

ورغم أن الوسائل التقليدية للتنبؤ الجوى تحتاج الى جهد كبير وأيد عاملة كثيرة وشبكة اتصالات جيدة ، الا أن ذلك لم يمنع العلماء من زيادة أعداد محطات الرصد الجوى ، وتحسين وسائلها واجهزتها ، نظرا للاهمية المتزايدة للارصاد الجوية فى كثير من المجالات سواء الطيران

او الزراعة او الحرب أو السياحة أو الحياة اليومية العادية لدى كثير من الناس .

أقمار الارصاد الجوية

ومنذ أواخر الخمسينات بدأ سيل منهمر من الاقمار الصناعية يغزو السماء على مدارت متفاوتة الارتفاع . وكانت الاغراض الاولى لاطلاقها قياسات علمية مجردة ، لا تفيد غير العلماء . غير أن أغلب هذه الاقمار وضعت المتخصصين أمام الاف من القياسات ادى تجميعها الى كشف أسرار المجهول عن الغلاف الجوى ، وطبقاته العليا ، وما يليه من فضاء قريب أو بعيد .

وفي الستينات بدات اجيال من الاقمار الصناعية تطلق الى الفضاء لاغراض تكنولوجية تطبيقية محددة من أهمها الاتصالات الفضائية والرصد الجوى والاستطلاع العسكرى .

وكان اول أنواع سلسلة اقمار التنبؤات الجوية هو القمر الصناعي الامريكي تيروس الذى اطلق فى اول أبريل ١٩٦٠ ، وتوالت من بعده سبعه أقمار فى نفس السلسلة . ولم يكن فى هذه الاقمار وسائل الرصد الجوى التقليدية التى تستخدم على الارض ، لان الوسائل اختلفت واصبحت بطريقة مستحدثة هى التقاط الصور للسحب .

ولقد كان على متن هذا القمر الصناعي الات تصوير تلفزيونية وأخرى تلتقط الصور بالاشعة تحت الحمراء ليلا ومنها ما هو مائل وما هو رأسى ، ومنها أيضا ما هو ماخوذ فى ضوء الشمس أثناء النهار ، أو فى الظلام ذلك ان الاشعة تحت الحمراء يمكن أن تكون هى وسيلة هتك أسرار ظلام الليل .

وبالطبع فان القمر الصناعي يتخذ لنفسه مدارا عاليا ، وكان هذا المدار بالنسبة للقمر الصناعي الاول بين ٤٦٦ ، ٤٢٩ ميلا ومن هذا الارتفاع العالي يمكن تصوير « أنماط السحب » المحيطة بالكرة الارضية . ولقد التقط القمر الاول « تيروس ـ ١ » ما يقرب من ٢٣ الف صورة ارسلت لاسلكيا الى الارض . وامكن للمتنبئين الجويين فى مركز تحاليل للصور الفضائية ، أن يتنبأوا بالطقس المصاحب لهذه السحب . وبتوالى استقبال الصور ودراسة حركة السحب ، أمكن لهم رصد حركة الكتل الهوائية التى تحركها . وبذلك انقلبت وسائل الرصد الجوى التقليدية الى عملية تفسير للصور الفضائية .

نيمبوس تهتك أسرار القطبين

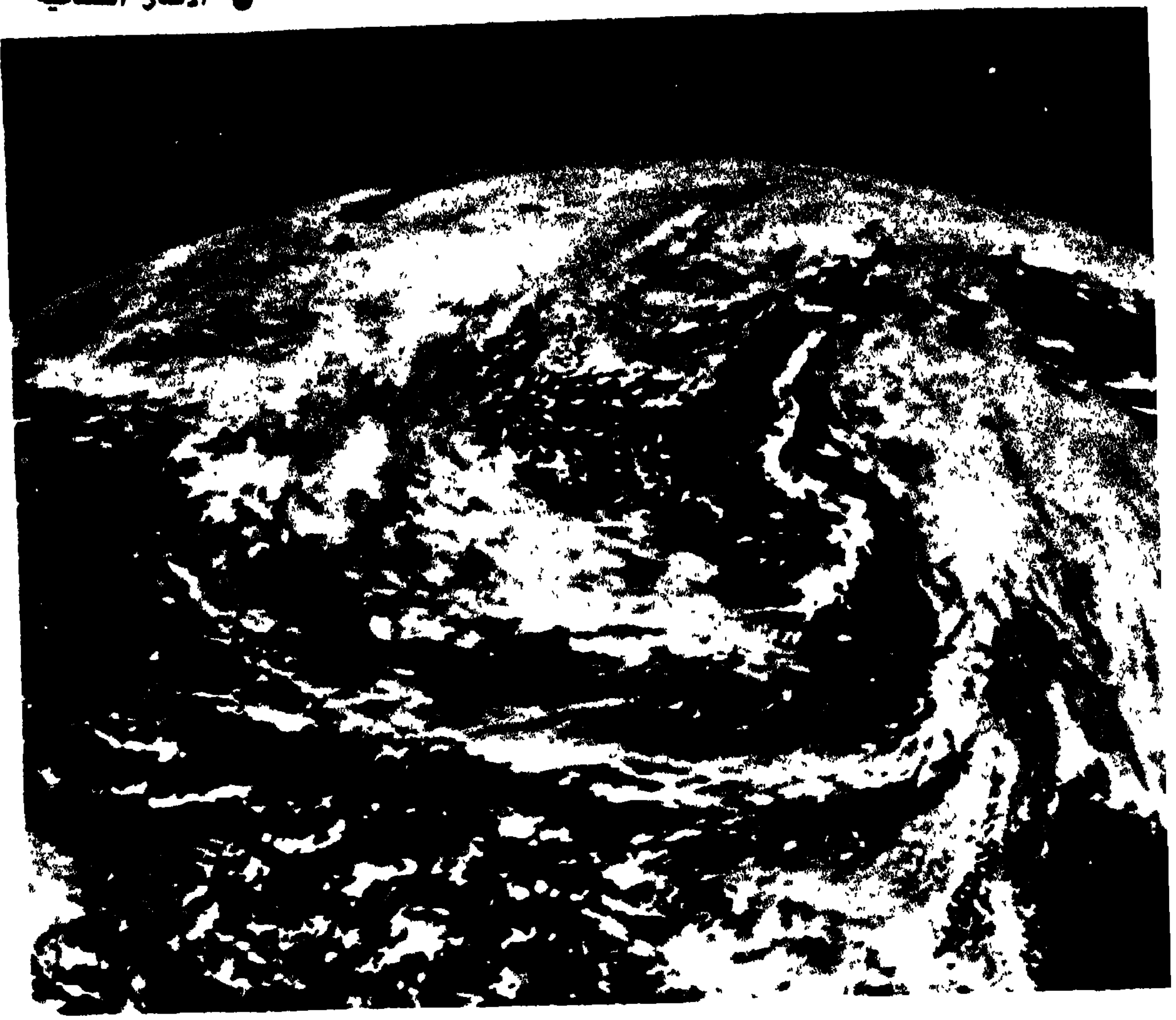
فى عام ١٩٦٤ بدأت الولايات المتحدة اطلاق سلسلة الجيل الثانى من أقمار الرصد الجوى وأطلق عليها اسم « نيمبوس » ولقد كان كل قمر منها مزودا باجهزة قياس وكاميرات تليفزيونية بالاضافه الى كاميرات تصوير بالاشعة تحت الحمراء . ولقد ظلت أقمار هذه السلسلة تتوالى حتى عام ١٩٦٨ واستطاعت صور هذه الاقمار ان تثرى معلومات العلماء عن المناطق القطبية ،لان مداراتها كانت تمر بالقطبين الشمالي والجنوبي باعتبارهما مناطق ذات أهمية عسكرية خاصة . واطلقت بعد ذلك عام ١٩٦٦ سلسلة أقمار أمريكية جديدة تحمل اسم «ايسا» وتميزت بتقنية متقدمة هى مقدرة احتزان الصور على شرائط مغناطيسية ، واذاعتها الى محطات الاستقبال المشتركه فى تكاليف هذه الاقمار .

وقد كان من المشرف أن تشترك بعض الدول العربية منها مصر والكويت فى استقبال الصور المذاعة من القمر « ايسا ـ ٨ » .

وأتت من بعد ذلك أجيال لاقمار أخرى تحمل اسماء « ايتوس » وبعضها اطلق ليتزامن مع سرعة دوران الارض مثل أقمار الاتصالات . كما أطلق الاتحاد السوفييتى كذلك سلسلة أقمار من هذا النوع أطلق عليها اسم « ميتيور » .

نشرات جوية دقيقة

ولقد اتاحت هذه الاجيال المتوالية من أقمار الارصاد الجوية ، عديدا من المزايا من أهمها اعطاء تنبئوات جوية مسبقة يمكن أن تكون حتى



السحب فوق الجزيرة العربية والكويت

سبعة أيام مقبلة . وأمكن للصور الفضائية التى تذيعها هذه الاقمار الانـذار بهبوب العـواصف المدمرة قبل أن تدهم الشواطىء بزمن كاف لاتخاذ احتياطات وقائية ضدها . وكان ذلك واضحا عدة مرات بالنسبة لاعصار « هاريكان » الذى كان معتادا أن يدهم الشواطىء الامريكية فجاة ويحيق بها الدمار فى كثير من الاحوال ،نظرا لما يصاحبه من رياح عاتية بالغـة الشدة ، وطقس عاصف تنهمر معه الامطار كعيون القرب وتحدث بسببها الفيضانات . وأصبح يسـيرا بعد ذلك متابعة العواصف الجوية فى بلاد متفرقة مثـل عواصف « الهبوب » فى السودان ، و « الطوز » فـى الكويت ، و « التيفون » فى شرقى آسيا .

واليوم أصبحت الدول التى تستخدم الاقمـار الصناعية للتنبئوات الجوية قادرة على اصدار نشراتها الجوية متميزة بكثير من الدقة . ولـم تعد هذه الدول فى حاجة الى اقامـة مئات من محطات الرصد الجوى فوق الارض ، لان القمـر الصناعى يطل على العالم كله من عل .

ولم تعد نشرات الارصاد الجوية ترفا بالنسبة لرجل الطيران أو اخصائى الزراعة أو مرشـد السياحة أو حتى رجل الشـارع ، بل أصبحت تشكل عنصرا هاما يهم الحياة اليومية لكل الناس. ■■

القاهرة ــ سعد شعبان

من التراث الخالد

فيم الونى ؟؟

فيم الونى وديار الشام تُقتسم ... اين العهود ـ التى لم ترع ـ والذمم

هل صح ماقيل من عهد ومن عدة ... وقد رأيت حقوق العرب تهتضم

ما بال بغداد لم تنبس بها شفة ! ... وما لبيروت لم يخفق بها علم !

ويلمها نكبات كلنا ظلم ! ... وقد تنير صراط السالك الظلم !

اللعصور على ابناء (آسية) ... ثار ، فتخشع للأعصار تحتكم

سل عهد (غسان) هل من عثرة لهم ... ليست تقال ؟ ـ وما من عثرة لهم !

أكان بالله جرما غير مغتفر ... لآل (عدنان) أن سادوا وأن حكموا

من ذاكر لبنى (العباس) مثلبة ... والليل ان ذكر العباس يبتسم

أسلفتك قريش ياليالينا ... سوءا والا ففيم اليوم نتهم

نسام خسفا ونقصى عن محجتنا ... ويوثق الفم حتى تخفت الكلم

نسجو على الضيم والأطماع حائمة ... ونكظم الغيظ والأكباد تضطرم

أنزدرى ونوارى فى عمايتنا ... أيام تحترم العمال والخدم !

وعود « ولسن » كم اضللت من فئة ... لأنت اشأم ما سيست به الامم

خدعتنا فانخدعنا فاستخف بنا ... شمس عن الحق فى آذانهم صمم

أيدعون حقوقا فى مواطننا ؟ ... والمين أقبح ما يطوى عليه فم !

ذدنا عن الملك بالاقلام معربة ... عن القلوب وفى طياتها ألم

عسى يثوب الى نور الهدى جشع ... شكا الطوى ، فهوى كالموت ، يلتهم!

الية بسماء ظللت وطنى ... وأنبتت عشبه بالغيث ينسجم

وبالرفات ، من الأجداد ، خالدة ... بين الثرى حجبتها الأعصر القدم

لئن تولوا رعينا حسن ودهم ... وصين منهم ومنا فى العروق دم

وان تأبوا فان السيف ينصفنا ... والسيف يبلغ مالا يبلغ القلم !

للشاعر : خير الدين الزركلي

(١٨٩٣ ـ ١٩٧٦ م)

انـا لنقـدم والاشـلاء ناهـدة ... فى الجو ، تعبث فيها الريح والنسم

لاننثنى عن منانا أو يحـل ردى ... لا شـارخ منه بالناجـى ولا هـرم

ان لم يكن فى حياة المرء من شرف ... فانها بالردى قد تشرف الرمـم !

لا يطمع القوم فينا لين جانبنـا ... وليذكروا أن عقبى الطامع النـدم

من حـاول الامر لـم يسبر عواقبه ... أصاب من لطخات العـار ما يصم

ومـن اغـار علـى شعب ، ليملكه ... قبل القلوب ، تولى وهـو منهـزم

★★★

متى يحرر شعـب ـ لا قـرار لـه ... على الهوان ـ بحبل الحق معتصـم

لـه غـرام بالاستقـلال ينشـده ... يأبى عليه سواه الـرأى والشمـم

يهوى الحيـاة وما يرضى بها بدلا ... ولا يلـم بـه فـى سومهـا سأم

★★★

يانابضا فيه عرق مـن بنـى مضر ... أسرج جيادك ولتطلق لهـا اللجـم

واشحذ غرارك لا يعلق بـه صـدأ ... فان يجر حكم فالصارم الحـكم

كفكف دمـوع فلسـطين وجارتها ... بيروت واكفف يدا فى بسطها النقم

★★★

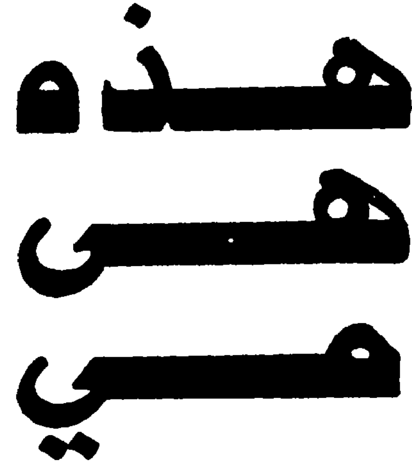
بنى أبى يا وقـاكم كل عاديـة ... من بيته الكعبة الحمساء والحـرم

تأهبـوا لقـراع الطامعـين بكـم ... ولا تغـركـم الآلاء والنـعـم

سيروا رويدا الى تنظيـم أمركـم ... لا يصلح الامـر الا حـين ينتظـم

وأقسموا لا افترقتـم يـوم ملحمة ... ولا ونيتم ـ عساه يصدق القسـم





الأديبة التى شغلت الفلاسفة والأدباء والشعراء العرب

بقلم : حسنين حسن مخلوف

■ انها مى زيادة (١٨٨٦ ـ ١٩٤١)

تعلمت فى موطنها الاصلى لبنان ثم نشأت بمصر فى احضان الصحافة اذ كان ابوها صاحب جريدة (المحروسة) وكانت تكتب فيها من سنة ١٩١١ ثم كتبت فى الصحف المصرية اليومية : الاهرام والمقطم ،وفى المجلات : المقتطف والهلال والزهور والرسالة •وصعد نجمها فلم يكنأحد فى منزلتها من نساء العرب المثقفات بمصر وسوريا ولبنان ، وكن قليلات • وبلغ مجموع ما الفته ثلاثة عشر كتابا • ولم يكن لابويها غيرها فساعداها على الدرس والكتابة والتاليف ، وشجعاها على ان يكون لها منتدى فى البيت تستقبل فيه المفكرين والشعراء ،كشأن بعض أديبات فرنسا المشهورات فى التاريخ ، فاجتمع فى ناديها ابتداء من سنة ١٩١٣ رواد النهضة الحديثة فى العلم والادب كالاستاذ احمد لطفى السيد والدكتور يعقوب صروف محرر (المقتطف) واسماعيل صبرى شيخ الشعراء ، واحمد شوقى امير الشعراء ، وخليل مطران شاعر القطرين ، وولى الدين يكن الشاعر، والصحافى عباس محمود العقاد ،وانطون الجميل رئيس تحرير الاهرام ، والكاتب المشهور الدكتور طه حسين والاديب مصطفى صادق الرافعى والعالم

الفيلسوف الشيخ مصطفى عبدالرزاق ،والدكتور منصور فهمى استاذ الفلسفة بالجامعة المصرية وغيرهم كثير •

لقد اجتمعت هذه الصفوة في ناديها يتذاكرون شئون الحياة والمجتمع ووسائل نهضة الشرق والبحث فى الآداب القديمة والحديثة فى العالمين العربى والاوربى • وكانت مى واسطة عقد هذا المجلس تشارك فى كل راى وتدير الحديث ادارة الدارسة العالمة المفكرة • وهى ربة البيت وهم ضيوفها • وكانت تعرف من اللغات الفرنسية والانجليزية والالمانية تؤلف ببعضها وتترجم الى اللغة العربية من بعضها الاخر • كانت ثقافتها العربية فنصحها الاستاذ لطفى السيد ان تكثر من قراءة القرآن الكريم فانه كفيل باصلاح لسانها وقلمها • انتسبت للجامعة المصرية الاهلية القديمة وقد رأيتها هناك اذ كنت طالبا بمدرسة دار العلوم نهارا وبالجامعة ليلا • كان ذلك سنة ١٩١٨ • رايتها فى محاضرات (الكونت دى جلارزا) المستشرق الاسبانى ، وكان يحاضر فى الفلسفة وعلم الاخلاق بالعربية الفصحى • فلما دخلت الحجرة جلست فى مؤخرة صفوف الطلاب وكانوا خليطا من معممين ومطربشين (يرتدون العمة او الطربوش) فظننتها امراة اوروبية ولكنهم قالوا : انها الاديبة المشهورة (مى) • كانت ندوتها يوم (الثلاثاء) من كل اسبوع • وكان اولئك السادة المثقفون مشغوفين بادبها كل الشغف •

دعت بعض الاعذار ان يغيب الشاعر اسماعيل صبرى عن مجلسها فكتب لها هذين البيتين :

روحى على دور بعض الحى حائمة
كظامىء الطير تواقا الى الماء

ان لم امتع اى ناظرى غدا
انكرت صبحك يايوم الثلاثاء

وكانت تطرب طربا شديدا كلما سمعت شعر صبرى وتقول :

« ان اسماعيل صبرى يمتاز على شعراء العصر بلطف ذوقه ورقة حسه وحلاوة جرسه » •

أما الشاعر ولى الدين يكن فكان متعلقا بها تعلقا شديدا ومحافظا على مجلسها بالرغم من مرضه ، وكانت تعطف عليه • ولشدة شغفه بها كتب اليها البيت الاتى :

كل شىء يامى عندك غال
غير انى وحدى لديك رخيص

الكبار يتحدثون عنها

ارخ لها الاديب الاستاذ محمد عبدالغنى حسن فالف عنها كتاب «مى» ، اديبة الشرق والعروبة وقال فى اسلوبها : « كان الشاعر خليل مطران معجبا بطريقة مى فى نثرها ، وهو يسميها الطريقة الاحتفالية لان مى تحتفل فيها بالالفاظ والعبارات وتعنى بتنميقها وتحليتها • ومع ذلك لم تهمل جانب المعنى ،فمعانيها على قدر الفاظها ،فالفاظها ومعانيها يزين بعضها بعضا » •

ويقول عنها الاستاذ العلامة عباس محمود العقاد: « انها مثقفة قوية الحجة تناقش وتهتم بتحرير المراة واعطائها حقوقها السياسية ، وجمالها كالحصن الذى يحيط به الخندق » •

لقد تناول الاستاذ العقاد فى كتابه (رجال عرفتهم) موضوع زواجها فقال : « كانت تتحدث قليلا عمن يخطبونها كانها تعتذر لرفض الخطبة، خطبها طبيب لبنانى ، فكاتبها صديق له لانها ردته بشىء من الجفاء فقالت : انه لطيف ولكن اللطف الذى يسميه من شاء (تانتا) لا يعجبنى»

انها تغالب شجنا كمينا لانطوائها الشديد على ذاتها ، يخيل الى انه مزيج من الصدمة العاطفية وشعور التبتل العميق فى سليقتها الدينية •

اما الاستاذ مصطفى صادق الرافعى الذى الف فيها كتاب الحب فيقول عنها فى كتابه (رسائل الاحزان)

« ومن خصائصها انها لا تعجب بشىء اعجابها بدقة التعبير الشعرى من انها تريد ان تجمع الى صفاء وجهها واشراق خديها وخلابتها وسحرها صفاء اللفظ واشراق المعنى وحسن العرض وجمال العبارة هذا هو الحب عندها • تحبك كما تحب كلمة تكتبها او معنى تتخيله • فاذا سئمتك لم يكن عندها الا الثالثة •والا صحيفة تمزقها» •

ومات ابوها ومن بعده امها ، ومات احب الرجال اليها بعدهما ، كما يقال ، وكانت تكتب له رسائل عاطفية عميقة تنبىء عن حب دفين بين القاهرة ونيويورك وان لم تره قط هو •الفيلسوف الكاتب الشاعر (جبران خليل جبران) مات سنة ١٩٣١ واخذت بعد موته تعتزل الناس شيئا فشيئا •ولعله كان الزوج المأمول ، فقد دعته لزيارة القاهرة

ـــ بتمثال الاهرام ، فكاشفها بحقيقة دائه العضال الذى قضى عليه بعد ذلك •

فى مستشفى الامراض العقلية

وتسافر مى الى لبنان وقد ادخلها اقاربها فى مستشفى الامراض العقلية (العصفورية) فبكت كثيرا واستغاثت بمفكرى لبنان وادبائها فانقذوها وعادت الى مصر وفيها كراهة للناس بل انكار لاصدقائها • حدث الدكتور طه حسين قال :ذهبت لزيارتها بعد عودتها فقالت : من بالباب فاجابها • قالت : لالعاء • ان كنت الفت كتبا لم اقرأها فارسلها الى ، وعاد من حيث اتى •

ويقول الدكتور طه حسين فى حديث عنها حال صحتها : كنت اخاف عليها من التشاؤم لكثرة قراءتها (لزوميات ابى العلاء المعرى) ونصحتها بتركها ، فلم تفعل •

ويقول الاستاذ حافظ محمود الصحفى المعروف عن مى فى كتابه (عمالقه الصحافة)

ما من كاتبة عربية الف الرجال فيها الكتب كمى، ولم يستطع اى محلل لحياة مى ان يحدد بالضبط من كان رجلها المفضل ، كما لم يجرؤ احد من اولئك الرجال الذين اختلطوا بها ان يفرض عليها نفسه دون الاخرين •

ثم يأتى نعى مى ذات صباح فى اكتوبر سنة ١٩٤١ فالفت لجنة لتابينها من جلسائها وعارفى فضلها ،واقيم حفل حافل فىدار (الاتحادالنسائى) بقصر العينى • منهم من حطب وقال فيها شعرا كالسيدة هدى شعراوى رئيسة الاتحاد النسائى والدكتور منصورفهمى والدكتور طهحسين والاستاذ عباس محمود العقاد والشاعر خليل مطران ، والدكتورة بنت الشاطىء (عائشة عبدالرحمن) والاستاذ انطون الجميل رئيس تحرير (الاهرام) والدكتور محمدحسين هيكل رئيستحرير (السياسة) والشيخ مصطفى عبدالرزاق استاذ الجامعة وغيرهم

فى كلمات

من كلام مى : « الادب فن التعبير عن العواطف والميول والتاثيرات نثرا ونظما • والشرط الاساسى للكاتب الادبى ان يكون ذا احساس قوى يتاثر بجميع الحوادث ، فاذا نقص هذا الشرط تلاشى الكاتب الادبى »

« ما اعذب هذا الاعتقاد ان فى السماء وراء جميع القوى الكونية الها قديرا لا يمضى دونه امر ، لديه النعم يفيضها على حاجة البشرية ، وجود يعم البرايا فتموج وتتنوع وتنبض بالحياة والتحول • »

ومن المراثى التى قيلت فيها :

١) كلمة للشيخ مصطفى عبد الرزاق « شهدنا مشرق مى ، وشهدنا مغيبها ، ولم يكن طويلا عهد مى • على ان مجدها الادبى كان طويلا فى الحياة عريضا • كانت اديبة ممتازة ، تعقد للادباء فى دارها مجلسا اسبوعيا لا لغوفيه ولا تاثيم • »

٢) قصيدة للاستاذ العقاد :

آه من هذا التراب

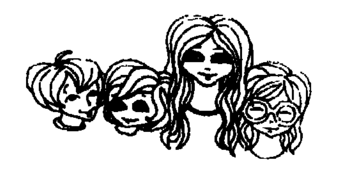
اين فى المحفل مى ياصحاب
عودتنا هاهنا فصل الخطاب
شيم غر رضيات عذاب
وحجى ينفذ بالرأى الصواب
وذكاء المعى كالشباب
وجمال قدسى لا يعاب
كل هذا فى التراب
آه من هذا التراب

كلمة شكر للاستاذ انطون الجميل عضو مجلس الشيوخ ورئيس تحرير الاهرام فى ختام الحفل :

اشكر اعضاء لجنة التابين ، واعضاء الاتحاد النسائى الذين اعدوا هذه الحفلة الممتازة ، وفى مقدمتهم صاحبة الفكرة ومنظمتها عصمة السيدة الجليلةهدى هانم شعراوى،وقد اصبحذكر اسمها يغنىعن وصفها،اجل•ياسادتى ،انى لعاجز عن القيام بواجب الشكر لكل من ذكرت ، ومن لم اذكر ، ولكن علام الشكر والفقيدة الكبيرة هى فقيدتكم ، وفقيدة الادب والنبوغ ، فهى لم تكن لسوريا ولا للبنان وطنها الاول ولا لمصر وطنها الثانى • بل كانت لهذا الشرق اجمع ولكل من احب الفكر السامىوالادب الرائع والعاطفةالنبيلة كانت لكل من عرفها محدثة او سمعها خطيبة او قرأ لها اديبة ، فالجميع فى الحزن عليها سواء

فلها الرحمة ، ولحضراتكم طول البقاء ■■

حسنين حسن مخلوف
الاستاذ بكلية المعلمين بالقاهرة سابقا





"كليمنتاين" فى عرين الأسد !

بقلم : منير نصيف

■ هل يصنع الرجل نفسه ؟ كيف تؤثر صحبة الناس فى شخصيته وسلوكه فى الحياة ؟ ومن هم هؤلاء الناس ؟ أيهم أشد تأثيرا عليه ؟ فى كتاب « فن الحياة » للدكتور سمايلى بلانتون نجد فصلا طويلا عن دور المرأة فى حياة الرجل .. المرأة الام .. والمرأة الزوجة .. صحيح ، كما يقول الكاتب أن هناك عوامل عديدة لها أثرها فى تكوين شخصية الرجل فى المراحل الاولى من حياته ، وفى شبابه ورجولته ، وحتى وهو يخطو الى الشيخوخة .. ولكن دور الام .. ثم دور الزوجة من بعدها ، هما اللذان يتركان بصماتهما واضحة فى حياة الرجل وعمله ومستقبله ومدى النجاح الذى يحققه فى الحياة !

كيف ؟ فى البداية نرى الام ، والام دائما .. فهى أقرب الى أبنائها من الاب الذى لا يختلف عنهم كثيرا عندما تلم به المتاعب وتعترض الصعاب طريقه .. فهو أيضا يلجأ اليها .. الى زوجته وأم أولاده .. يحكى لها مشاكله ، ويسألها النصيحة دون أن يجعلها تشعر بانه فى حاجة اليها ، ارضاء لكبريائه كرجل ! فهو اذن طفلها الكبير .. وهى تعلم ذلك ! وتعرف أن أكثر المشاكل تعقيدا هى التى يحملها والد أبنائها وطفلها الاكبر ، وهو أكثرهم حاجة اليها والى فهمها وادراكها وتعاطفها !

فالام والزوجة اذن ، امرأة واحدة .. كل مافى الامر .. ان الاولى رعته صغيرا والثانية تسلمته كبيرا ، وقضت معه رحلة العمر كله ، ترعاه اذا المت به وعكة ، وتسترضيه اذا غضب ، وتطعمه اذا جاع .. ولكن هل كانت هذه المرأة دائما هى الوسادة التى يضع عليها الرجل راسه كلما احس بالتعب ؟

ويقول مؤلف الكتاب ان هذه « الوسادة » لم تكن دائما ناعمة . بل أكثر من هذا ، فكثيرا ما كانت تمتلىء بالدبابيس التى يحس الرجل بوخزها فى رأسه ، فلا يلبث ان يقفز من رقدته ، وقد فارقه التعب ، واستعاد قوته ونشاطه ، واصبح رجلا جديدا قويا ، لا يمت بصلة الى « الطفل الكبير » المتعب الذى مزقته الهواجس والحت عليه الهموم ، فاختلط عليه الامر ، ولم يعد يرى أى الطرق يسلك !

امرأة وراء كل عظيم

ما الذى اثار هذا الحديث الآن ، وهو حديث

« وراء كل عظيم امرأة » !

لعلها قصة امرأة عرفها العالم ، وهى ليست قصة جديدة، ولكن الجديد فيها هو ما جاء آخيرا فى الصحف والكتب على لسان الذين عرفوها، وعرفوا حقيقة الدور الذى قامت به فى حياة الرجل الذى شاركته حياته الطويلة لاكثر من نصف قرن من الزمان.. وكانت المناسبة ، كما يحدث دائما ، هى اعداد صورة لشخصية غير عادية لعبت دورا فى التاريخ بعد ان بلغت سن الرحيل او تجاوزته ، وخاصة لانها كانت بين يدى الاطباء اثر اصابتها بنوبة توقعوا معها النهاية !

ولكن النهاية لم تجىء .. وعادت المرأة الى بيتها لتحتفل بعيد ميلادها الثالث بعد التسعين..

كليمنتاين !

انها « كليمنتاين هوزيار » أرملة سير ونستون تشرشل السياسى البريطانى الداهية ، الذى بقيت صورته دائما ترمز الى الاحتلال البريطانى فى اعين الشعوب المطحونة حتى آخر يوم فى حياته.. لقد كان بطلا داخل بلاده ، فلما مات حملو جثمانه الى حيث يرقد العظماء فى كنيسة وستمنستر .. وخرجت انجلترا كلها تودعه .. ولكنه كان فى الوقت نفسه عدوا لكل الحركات الوطنية التى قامت تطالب بالاستقلال والتخلص من قبضة المحتل الانجليزى ..

ماذا قال تشرشل نفسه عن كليمنتاين أو «كليمى» كما كان يدعوها : « لم يكن ممكنا لاى رجل يشغل منصبا فى الحياة العامة ، ان يواجه الصعاب التى نجحت فى التغلب عليها بغير المساعدة المخلصة من جانب ما نسميه هنا فى انجلترا « النصف الافضل» أو النصف الاكثر حلاوة »

فان تقف المرأة بجانب زوجها تسانده وتدفعه وتشجعه ، شىء قد يكون مالوفا فى معظم الحالات، ولكن أن يقول هذا الزوج : « لقد كان زواجى بهذه المرأة اعظم انجاز حققته فى حياتى » ، هو الشىء الذى لم نالفه كثيرا .. وقد كانت هذه هى كلمات تشرشل بالحرف الواحد ، وهو يقترب من نهاية رحلته فى عام ١٩٦٥ عن واحد وتسعين عاما .

جواد جامح !

تقول « اليزبيث نيل » فى كتابها « سكرتيرة



مستر تشرشل » : « ربما يكون الشىء الذى نسى تشرشل ان يذكره فى احاديثه الخاصة عن دور زوجته فى حياته انها كانت الفارس الذى امتطى صهوة الجواد الجامح وعرف كيف يروضه ... وانها كانت اللجام الذى وضعته هى بيديها بين فكيه ، لم كانت بعد ذلك الصوت الرفيق الذى كثيرا ما كان يحجب عن الاذان حدة زئير الاسد البريطانى » . لقد كنت دائما أشعر بان اهم دور قامت به كليمنتاين فى حياة زوجها ، هو انها كانت تقف ندا قويا له فى كل مناقشة وفى كل تصرف لا تراه مناسبا .. لقد كان من الممكن ان تجعل منه طفلا مدللا ،كما تفعل بعض الزوجات مع أزواجهن وأبنائهن .. ولكنها لم تكن تجيد هذا الاسلوب من التدليل .. كان اكثر ما يثيرها ان ترى ميلا من جانب زوجها للعمل من أجل نفسه فقط. وتقول اليزابيث أن « كليمى » ، هى التى كانت وراء اخطر واهم قرار اتخذه تشرشل فى حياته السياسية الطويلة عندما وقف عام ١٩٤٠ يقود بلاده فى اقسى تجربة مرت بها .. خلال الحرب العالمية الثانية، وكان يومها شيخا جاوز عامه الستين .. وكانت هى التى راحت تدق ابواب المنازل ،وتطلب من ربات البيوت ان يقدمن كل مالديهن من الاوانى المصنوعة من الالمنيوم .. التى ساهمت فى انتاج طائرة « السبيتفاير » احدث طائرة قتال انجليزية ساهمت فى انتصار بريطانيا فى المعارك الجوية مع طائرات هتلر ! يومها قال تشرشل « لقد قدمت لى كليمى الذ واعظم وجبة فى حياتى ! » .

دهاء المرأة

كتبت كيت ايليس ، الصحفية الانجليزية «تروى تجربة كليمنتاين » فى المعركة الانتخابية التى جرت فى عام ١٩٥٠ : « لقد وقفت مسز تشرشل تتحدث

الى الناخبين ، عندما قاطعها احدهم ، وقدم لها قصاصة من احدى الصحف ، وكانت تحوى هجوما عنيفا على سياسة حزب المحافظين من جانب زوجها والقت مسز تشرشل نظرة سريعة على ما حوته القصاصة من كلمات النقد اللاذع للحزب الذى يمثله زوجها ، ثم ما لبثت ان قرأت محتوياتها على الجموع التى احتشدت لسماعها ، وقالت : « لقد تزوجت مستر تشرشل منذ اربعين عاما او اكثر قليلا٠٠ وهذا التصريح المنشور قد مضى عليه أكثر من اثنين واربعين عاما٠٠ أى قبل أن أبدأ محاولاتى للتحكم فى سلوكه والسيطرة عليه » ٠

فى عام ١٩٠٨ بدأ دور «كليمى» فى حياة هذا السياسى الناشىء ، وكان زواج الموسم ٠٠ وامام الهيكل فى كنيسة سانت مارجريت بوستمنستر ، كان «العريس» ونستون يقف فى انتظار «عروسه» ٠٠ ولكن العروس لم تحضر ٠٠ واخذ قلبه يخفق بشدة ، فقد خشى ان تكون «العروس» قد غيرت رأيها فى آخر لحظه ٠٠ ونظروا اليه فوجدوا وجهه غارقا فى العرق ، ومرت فترة خالها دهرا ٠٠واخيرا ظهرت العروس وهى تخطر فى ثوبها الابيض،واحس براحة تغمره عندما رآها تدخل الكنيسة وقد علقت ذراعها الصغيرة فى ذراع والدها حتى اقتربا من الهيكل حيث كان يقف هو ، وسلمها الاب لعريسها الذى لم يتمالك نفسه،فقد مد كلتا يديه واحتضن بهما يدها ، وراح يهزها فىحرارة : لماذا تاخرت ؟ ماذا حدث ؟

ونظرت اليه العروس فى دهشة ولمتجب ! كل ما فعلته انها نظرت الى الساعة الكبيرة المعلقة على الحائط وابتسمت٠٠وعندها فقط اكتشف«العريس» وهو ينظر الى الساعة معها ان «عروسه» تاخرت اربع دقائق فقط عن الموعد المحدد لعقد القران !

توقعوا لهما الفشل !

وعندما وقف العروسان على باب الكنيسة يتقبلان التهانى ، قال الاصدقاء والاقارب : « هذا زواج كتب له الفشل ، قبل أن يبدأ ٠٠ انهما لن يحتملا العيش تحت سقف واحد لاكثر من ستة أشهر ! » فقد كانوا يعرفون ونستونالسياسى المشاكس الذى لا يقيم وزنا لاحد ٠٠ وكانوا يعرفون « كليمى » الفتاة صاحبة الشخصية القوية التى لا تلين والتى تعودت ان ترفع رأسها فى كبرياء فى أكثر المواقف حرجا ، ولا تقبل أبدا ان تكون تابعا لاحد ، حتى لو كان هذا الاحد هو زوجها !

ولكن النبوءة لم تصدق ٠٠ فقد عاش الزواج الذى توقعوا له الفشل ٠٠ عاش طويلا لاكثر من نصف قرن أو ٥٧ عاما على وجه التحديد ، أعطته خلالها أربعة أبناء ، تماما كما كانت هى طفلة فى اسرة تضم اربعة أبناء ٠

تعلمت الفرنسية التى علمتها بدورها لزوجها عندما كانت تعيش فى باريس مع امها ليدى بلانست واخوتها الثلاثة ، ثم عادت الى انجلترا والتحقت بمدرسة البنات فى مقاطعة هيرفورد شاير ٠ وكانت تلميذة مجتهدة فى الخامسة عشرة، وكانت أمنيتها أن تدخل كلية « جيرتون » ، أول كلية للبنات فى كامبريدج ، ولكنهم ذهبوا بها الى لندن عندما انهت دراستها الثانوية وقدموها للمجتمع وكانت يومها فىالتاسعة عشرة منعمرها٠

صورة جميلة

واصبحت كليمنتاين نجمة ٠٠ « كان صوتها الهادىء وملامحها الدقيقة المعبرة ، وعيناها الزرقاوتان الواسعتان ، تؤهلها لان تصبح صورة محفورة فوق قطعة من المعدن الثمين » هكذا كان وصفليدى سينثيا اسكويتللفتاة الشابة الجميلة « كليمنتاين » قبل أن يلتقى بها تشرشل باربع سنوات ! فى تلك الليلة وجد السياسى الشاب نفسه يجلس بجوار فتاة جميلة على مائدة العشاء التى أقامتها عمتها فى بيتها وكان هو فى الثالثة والثلاثين ٠٠ وكانت هى تصغره بعشر سنوات ٠٠ ولاول مرة احس النائبالجديد فى مجلسالعموم، ان شيئا ما يشده بقوةويجعله يعرض عنالاستماع الى المناقشة التى كانت تدور حول حقوق المرأة ، وقد كان له رأى فيها لايسر المرأة على اى حال ! وذهل الحاضرون عندما اتجهوا بعيونهم الى تشرشل فوجدوه مستغرقا فى تفكير عميق ، وقد لفه الصمت٠٠ حتى أنه لميسمع صوت أحدهم وهو يدعوه للحديث ويقول : « مارأيك يامستر تشرشل ؟ »

قال يصف تلك الليلة فى مذكراته التى عكف علىكتابتها بعد نصف قرن او يزيد : «لقد سحرتنى هذه الفتاة ٠٠ كان حديثها الحلو ينفذ الى أذنى، كما لو كان موسيقى يعزفها بيتهوفن ٠٠ لعلها المرة الاولى فى حياتى السياسية الطويلة التى

[illegible] ان
اكون قريبا من كليمنتاين ولاستمع الى المزيد من هذا اللحن الهادىء الذى كان يخرج من شفتيها مع كل كلمة !في تلك الليلة وقبل ان ينتهى حفل العشاء ، تقدم تشرشل يطلب يدها . وبعد اقل من شهر واحد كان العروسان يحتفلان بزواجهما ، وهي اقصر خطوبة في تاريخ بريطانيا في ذلك الوقت !

ابتسامة المراة

عادت يوما الى المدرسة الثانوية التي تلقت فيها علومها وكان ذلك بعد نهاية الحرب الثانية بعامين، في عيد ميلادها الثاني والستين ، ووقفت كليمنتاين تلقي كلمة امامالطالباتاللواتي كن يتاملنصورتها الشابة المعلقة في بهو المدرسة في اعجاب ، كلما حدثتهن المدرسات عن زميلتهن التي اصبحت زوجة لرئيس وزراء بريطانيا ، قالت : « هنا بعض التجاعيد التي بدات تظهر واضحة في وجهي كما ترين .. انني سعيدة بها لانني ارى فيها الاخطاء العديدة التي وقعت فيها خلال حياتي الطويلة .. نصيحتي اليكن ان تتخلصن من سياسة العنف ، فليس هذا اسلوب المراة عندما تجد نفسها منافسة للرجل في الحياة العامة .. ان اقوى سلاح يمكن ان تستخدمه المراة في حربها الدائمة هو رقتها ونعومتها وانوثتها .. فالمراة التي تحاول ان تفرض رأيا تفقد اهم صفاتها .. تفقد انوثتها ! كل امراة تستطيع ان تكسب كثيرا اذا تمسكت برأيها ولكن في هدوء ، حتى اذا وجدت الفرصة سانحة ، راحت تجاهر به في هدوء ايضا وهي تبتسم !

هذه الابتسامة كما يقول تشرشل انقذته من نقمة نساء بريطانيا عندما وقف بينهن خطيبا في عام ١٩١١ فقد كانت كليمنتاين تقف بجانبه ، وتوزع ابتساماتها وتحياتها على الالوف من نساء بريطانيا اللواتي اجتمعن ليطالبن بالحقوق التي كانت تنادي بها املين بانكهيرست « وكان تشرشل عنيفا كعادته في خطابه ، فقد كان يعترض على هذه الحقوق ولكنه مالبث ان وجد نفسه يلين فجاة امام الحاضرات ، عندما وجد ايديهن ترتفع لترد تحية كليمنتاين ، وقد اشرقت وجوههن بابتسامة مشرقة ، والقين بمكبرات الصوت جانبا ، وهي التي كانت تحمل له اقذع الشتائم منذ لحظات !

وقبل ان ينتهي الاجتماع ، جاءت سيارة الاسعاف لتنقل كليمنتاين الى المستشفى .. لقد احست فجاة بالام الوضع .. وحملوها بسرعة لتضع مولودها الاول !

واذا لم يكن من الموت بد !

وفي الحرب العالمية الثانية ، وطائرات النازى تدك لندن التي انتقل سكانها ليعيشوا تحتالارض فوق خطوط المترو ، ذهب النواب الانجليز اليبيت تشرشل ووقفوا يتوسلون الى زوجته ان تفعلشيئا لتمنعه من الاستمرار في الرحلات الجوية التي كان يقوم بها فوق القنال الانجليزى وسط نيران المدافع .. ووقف تشرشل ينظر الى زوجته ليرى ماذا ستفعل ،فوجدها تبتسم وهي تقترب منه وتضع يدها على كتفه وتقول : « اذا كان المئات من الشباب البريطاني يعبرون القنال بطائراتهم يوميا ويتعرضون للموت ، فانا لا اجد سببا يمنع زوجي من ان يفعل مثلهم ! لابد له من ان يؤدى واجبه هو ايضا » .

لقد كان تشرشل يتاخر عن مواعيده ، ولا يشعر بالخجل فقد كان يتلذذ وهو يرى الناس تنتظر وصوله بينما هو ينعم بحمامه الساخن الذى كان يستغرق احيانا نصف يومه . وكان يقول انه يستوحي من المياه المتدفقة افكاره الجديدة ! ولكن كليمنتاين علمته كيف يحترم مواعيده ، ومواعيد تناول طعام الغداء والعشاء بصفة خاصة !

حدث ان التقت به الممثلة الامريكية ارلين دال يوما وسالته عن الصفات التي يجب ان تتوفر في المراة لكي تكون جميلة ؟ فقال « انظرى الى كليمنتاين .. انظرى اليها جيدا واستمعي الى حديثها .. وسوف تجدين فيها اجمل امراة في العالم ! »

وعندما رحل تشرشل في عام ١٩٦٦ ، قالت كلمنتاين : « انني اشعر بارتياح على اية حال لانه سبقني فقد كنت اشفق عليه دائما من الوحدة التي سوف يجد نفسه فيها لو انني رحلت قبله.. ثم لا تنسوا أن فراقنا لن يطول فانا الان امراة عجوز متعبة ! » ■■

منير نصيف

الطب و العلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

مرض النوم وباء افريقى خطير

● منذ زمن بعيد والقارة الافريقية تعانى من « مرض النوم » ، ذلك المرض الذى يبدأ بارتفاع فى درجة الحرارة ، وصداع، يستمران بضعة شهور، ثم يعقبهما توتر فى الاعصاب ونعاس شديد ٠٠ يلى ذلك عجز عن النهوض او الوقوف وفقدان الشهية ٠٠ حتى ينتهى الامر بغيبوبة مطبقة ، ثم الموت ٠٠ انه اقرب الى الوباء وقد اجتاح مناطق افريقيا الوسطى بكاملها وبلغ عدد الذين يصابون به ١٠ر٠٠٠ نسمة سنويا ٠٠

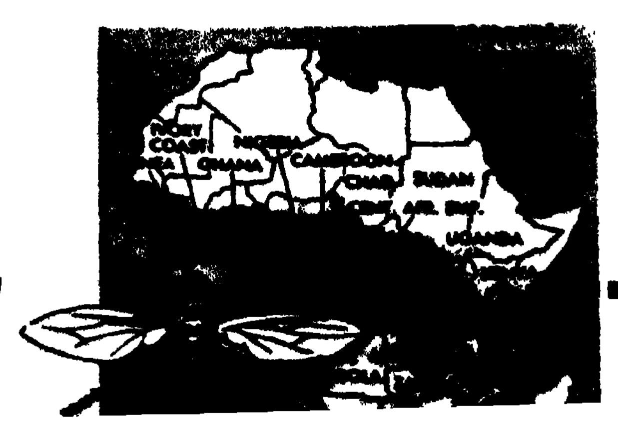
ومنذ زمن بعيد ايضا والعلماء يحاولون القضاء على هذا الوباء ، بلا طائل ٠٠ وكان سبيلهم الى ذلك المستحضرات الزرنيخية Arsenic التى لم يكن لها أى تأثير على الطفيليات التى تسبب مرض النوم ٠ لقد عرفوا الكثير عن هذا المرض الذى يعرف بالمصطلح الطبى Trypanosom iasis ،وعرفوا الكثير عن الملة الكامنة وراءه ، وهى الطفيلى المستطيل الشكل ، الرفيع ، ذى الخلية الواحدة ، الذى يعرف باسم Trypanosoma brucei الا انهم لم يجدوا السبيل الى السيطرة على هذه او تلك ٠٠

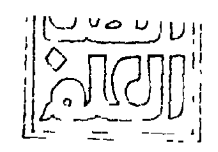
والظاهر ان الابحاث التى يقوم بها مختبر الابحاث الدولى فى نيروبى ، المختص بامراض الحيوان ، تبشر باقتراب اليوم الذى تتخلص فيه افريقيا من مرض النوم ٠ فقد نجح عالمان من العلماء العاملين فى ذلك المختبر ـ احدهما يابانى المولد ، امريكى الجنسية ، واسمه هيرويوكى هيرومى ، والاخر اسكتلندى واسمه جون دويل ٠٠ نجحا فى تنشئة الطفيلى الذى ذكرنا ضمن انبوب الاختبار ٠٠٠ وكذلك فى الحيلولة دون تظاهر الطفيلى وكأنه شىء آخر لا ضرر منه ولا اذى ٠٠ وهذا هو الاهم ٠٠ فقد تمكن العلماء فى الماضى من تنشئة الطفيلى فى الانبوب ولكنهم اضطروا دائما للتوقف وعدم مواصلة تجاربهم ٠٠ نظرا لمكر الطفيلى وقدرته على تضليلهم ٠٠

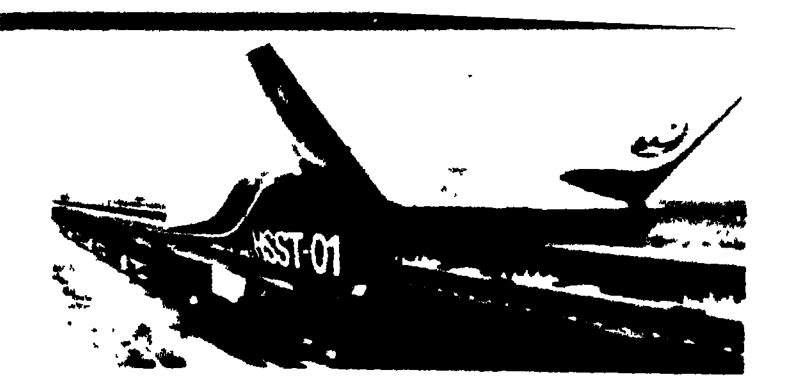
وكان سر نجاح العاملين فى التنقيع أو التخمير Brew الذى صنعوه من سائل رئوى اخذوه من الابقار ، وفى المصل الذى أخذوه من أجنة تلك الابقار ٠٠ وهكذا امكنهم تضليل الطفيلى الذى طالما ضلل زملاءهم من العلماء ٠

على ان هذه الخطوة الكبيرة التى خطاها مركز نيروبى للابحاث ليست سوى الخطوة الاولى ٠٠٠ وقد يطول الزمن حتى يصبح مرض النوم من امراض الماضى البعيد ٠

وتجدر الاشارة الى ان المناطق التى عم فيها مرض النوم فى افريقيا هى نفس المناطق التى انتشرت فيها ذبابة التستس Testse (انظر الخريطة) وهى مناطق استوائية واسعة يزيد عدد سكانها على ٣٥ مليونا ٠٠ فهذه الحشرة الماصة للدماء تنقل مرض النوم الى الانسان والحيوان على السواء ٠







القطارات الطائرة فى اليابان

● قد تكون اليابان بالفعل ظاهرة القرن العشرين الخارقة · فمع ان هذه الدولة الشرقية لم تخرج من سباتها العميق، وتنتقل من القرون الوسطى الى القرون الحديثة ، الا بعد منتصف القرن التاسع عشر ·· وبالرغم من انها فقيرة في الخامات الصناعية ·· فقد شقت اليابان طريقها في ميدان الصناعة والتكنولوجيا وتبوأت مكانا طليعيا ، وتفوقت على كثير من دول الغرب العريقة في الصناعة ، في كثير من المجالات ·· نذكر منها ، على سبيل المثال ، مجال بناء السفن وصنع الاجهزة الالكترونية وراديو الترانزستر ·· ونذكر منها القطارات ·

فالقطارات اليابانية تعتبر مثلا اعلى بالنسبة الى القطارات الاوروبية ·· هذا بالرغم من ان قطارات اوروبا تعتبر في القمة من حيث الجودة ·· لا سيما اذا قورنت بقطارات الولايات المتحدة الامريكية ·

يسمونها فى اليابان القطارات الصاروخية ·· Bullet Trains ، نظرا لسرعتها الكبيرة التى تصل الى ١٣٠ ميلا فى الساعة · ولكنها تمتاز ايضا بالراحة التى توفرها لركابها وقد بلغ عددهم بالمتوسط ٧٠٠ مليون نسمة سنويا ··!

لا عجب اذن انتطلعت مؤسسة القطارات الامريكية Amtrak الى اليابان ، بصدد مشروعها الرامى الى اعادة انشاء خدمات سكك الحديد وتجديد القطارات ··· فى مناطق مختلفة من الولايات المتحدة وبخاصة فى الجهات الشمالية الشرقية منها ·· وقد رصدوا لهذا المشروع آلاف الملايين من

بساطة

● يبدو أن العلاقة وثيقة بين الاورام الخبيثة وبين اسلوب الحياة التى يحياها الانسان ·· وان الاسلوب الذى تنتهجه طائفة المورمون Mormons ، فى ولاية اوتاه فى الولايات المتحدة الامريكية كفيل بالوقاية من بعض امراض السرطان ،كثيرا او قليلا ···

فهؤلاء المورمون الذين يشكلون ٧٢٪ من سكان ولاية اوتاه ، مسيحيون ، طبعا ، ويميلون الى التقشف ويمتنعون عن التدخين وشرب الخمرة والقهوة والشاى ، ويحرمون تحريما مطلقا العلاقات الجنسية غير الشرعية ·· فهذا اسلوب يحد من تعرض صاحبه لامراض السرطان ، كما اكد ذلك التقرير الذى نشرته قبل حين مجلة نيوانجلند الطبيه New England



الدولارات ·· واستوردوا من اجله بعض القطارات والعربات اليابانية ·· وذلك على سبيل التجربة · حتى اذا ثبتت لهم المزايا واقتنعوا بالجدوى ·· عمدوا الى استيراد ما يحتاجون من تلك القطارات او الى الاتفاق مع اليابان ، بل مع شركة سكك الحديد الاهلية فيها J.N.R ، على صنع مثل تلك القطارات والعربات في امريكا ·

وتجدر الاشارة الى ان اليابان فاجأت العالم مؤخرا بقطارها الجديد العائم Floating train ـ او الطائر ·· فقد استكملت صنع انموذج هذا القطار الذى ينطلق بسرعة ١٨٠ميلا فى الساعة ويرتفع عشرة مليمترات فوق السكة · وسيقوم هذا القطار برحلته الاولى سنة ١٩٧٩ ·· على ان الجهة التى تقوم بتطوير هذا القطار ليست شركة القطارات وانما شركة الخطوط الجوية اليابانية ·

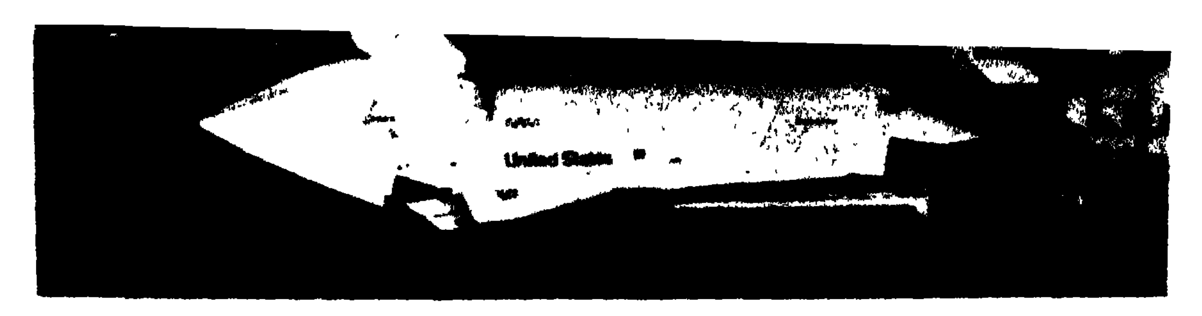
العيش وأمراض السرطان

فقد بين ذلك التقرير ان عدد الوفيات بسبب السرطان فى ولاية اوتاه التى ذكرنا وفى مدى العشرين سنة ، من ١٩٥٠ ـ ١٩٦٩، كان اقل بنسبة ٢٢٪ من عددها فى الولايات المتحدة ككل ·

واستشهد التقرير بالتحاليل الاحصائية التى اجروها فى كلية الطب فى جامعة اوتاه والتى دلت على ان نسبة الوفيات بسبب السرطان بين النساء غير المورمونيات من اهل ولاية أوتاه فاقت النسبة بين النساء المورمونيات منهل ، بل كادت أن تطابق النسبة السائدة بين نساء الولايات المتحدة جميعا ·

وتجدر الاشارة هنا الى قلة الاصابة بسرطان الثدى وسرطان عنق الرحم بين المورمونيات · فكثرة الانجاب التى اشتهرن بها تقيهن الورم الخبيث الاول ، كما هو معروف ، والعفة الجنسية تقيهن الورم الثانى ،كما بينت آخر الدراسات والابحاث التى اثبتت الصلة الوثيقة بين سرطان عنق الرحم ، وبين الفيروس Hepes virus Type II ، وهو فيروس ينتقل بالعدوى وينتشر حيث الاباحة الجنسية ·

والظاهر ان النساء اللواتى يبكرن فى مباشرة النشاط الجنسى واللواتى يمارسنه مع عدة رجال يكن اكثر تعرضا لسرطان عنق الرحم من غيرهن · فالجماع المبكر والحمل غير الشرعى وما الى ذلك من آفات الاباحة الجنسية غالبا ما تقترن بالورم الخبيث الذى ذكرنا ···



مـركبـة الفضـاء الجـديدة

● كانت المركبات القديمة معدة لرحلة واحدة فقط ... تحمل الرواد الى الفضاء .. ليدوروا حول الارض او يهبطوا على سطح القمر .. ثم تعود بهم الى الارض ثانية ، فتنتهي بذلك مهمتها .. وتعتبر الملايين من الدولارات التى انفقت فـى سبيلها بحكم النفقات الهالكة ..

ومضى العلماء الامريكيون فـى دراسة امكانيات مركبة اخرى جديدة تقوم بتلك الرحلةكالمكوك عدةمرات ..وتوفر الكثير من تلك النفقات .. وتتوفر لها مزايـا اخرى لم تتوفر للمركبة الاولى .. ولم نسمع بعد ذلك شيئا عن جهود العلماء فى هذا الصدد ، حتى فوجئنا فى شهر فبراير الماضى بأنالمركبة الجديدة قد تمصنعها فى مصانع شركة روكويل الدولية ، وانهـا نقلت منالمكان الذى صنعت فيه فيبالمديل Palmdale ، عبر صحراء موجاف فـى كليفورنيا .. الى مركز النازا Nasa للابحاث فى قاعدة ادواردز الجوية ..حيث وضعت المركبة موضع تجارب واختبارات عملية سيطول امدها ستة شهور ، تقـوم بعدها المركبة ــ وقد سموها انتربرايز Enterprise بطيران فعلى .. على ان تبـدأ نشاطها وتقوم برحلتهـا الفضائية الاولى فى مطلع سنة ١٩٧٩ .

وقد بلغتتكاليفالبرنامج ٦٩٠٠مليون دولار وبلغ وزن مركبة الانتربرايز ٦٨ طنا .. لا عجب اذن اذا هم صنعوا ناقلة خاصة لحمل المركبة ونقلها .. بلغ مـن ضخامتها انها تسير على ٩٠ دولابا ! .وقد قامت هذه الناقلة بمهمة حمل المركبة من مكان صنعها فى بالمديل الى قاعدة ادواردز الجوية ...

وكان موكبا مهيبا ولا ريب .. اذ بلغ طول الناقلة بالمركبـة التى عليهـا ١٥٣ قدما ، وبلغ العرض ٧٨ قدما ، مما اضطر موظفي شركةروكويل المكلفينبضمان سلامة الرحلة .. الى التوقف في الطريق اكثر من مرة والعمل على ازالة العراقيل التى اعترضت سبيل الموكب .. وقد عمدوا مرة الى قطعاحد اعمدة المرور بالمنشار للسماح للناقلة بمواصلة السير .. وهكذا احتاج الموكب الى ١١ ساعة لقطع مسافة ٥٨كيلو مترا .. بسرعة لا تزيد على ٨ر٤ كيلو متر فى الساعة .

ومن أهم ما يذكر عن المركبة الجديدة انها لن تطلق بواسطة الصاروخ .. بل ستحملها طائرة مـن طراز بوينج ٧٤٧ ، جهزت واعدت حصيصا لهذا الغرض ، حتى اذا اقتربت من الفضاء الخارجي وبلغت ارتفاع ٨ر٥٠٠ متر .. عمد قائد المركبة الى تفجير القواعد التى تشد المركبة الى الطائرة .. فتنطلق الانتربرايز برحلتها الخاصة معتمدة علـى نفسهـا واجهزتها الخاصة .. والمركبة فى غير حاجة الـى مساعدة الطائرةفى رحلة العودة .. ولا تحتاج الى اكثر من اسبوعين بعد عودتها لتقوم برحلة فضائيةاخرى ثانية ..

وتجدر الاشارة الى ان العمل ماض على قدم وساق فى صنع مركبة مكوكية اخرى تعرف باسم OV102 .

الاسلام ليس تراثاً

بقلم : الدكتور عماد الدين خليل

أثار فهمي هويدي في العدد ٢٢٣ من مجلة (العربي) تحت عنوان (الماضي معروضا للبيع ؟) موضوعا يستحق المناقشة حقا ، بما أنه موضوع (الساعه) الذي يغطي اليوم مساحات واسعة من صحفنا ومجلاتنا ومؤلفاتنا ويستثير اهتمام مثقفينا أيا كانت ميولهم واتجاهاتهم •

انه يريد أن يقول ـ باختصار ـ أن المبالغة في الالتفات صوب الماضي والاغراق فيه سوف يصدنا عن الاهتمام الكافي بالمستقبل ومتابعة ما يمكن ان يستجد فيه من مشاكل وتعقيدات ، والتخطيط المدروس لها • ويسوق للتدليل على ذلك ، ما يحدث في العالم المتقدم من اهتمام جاد بالمستقبل ويعرض لعدد من الدراسات القيمة التي كتبت عنه ، بينما لم يصدر في بلادنا لحد الان ما يشير الى ان ثمة وعيا جادا بالمستقبل قد بدأ يتبلور •

ولكيلا يحدث اي سوء فهم لوجهة نظره هذه يطرح في البداية هذا السؤال (هل المطلوب أن نخاصم الماضي ونقاطعه ؟) ويجيب عليه بوضوح (بالتأكيد لا • لاننا اذا اقتلعنا الماضي من أذهاننا فسيظل باقيا في أعماقنا • وشعوب لها حضارة عظيمة مثل شعوبنا لا بد وان تعتز بهذا الماضي وتطعم كل ما هو جديد بقيمه النبيلة التي ينبغي أن تستمر وتبقى • ثم ان الضياع الحقيقي هو مصيرنا اذا انفصلنا عن هذا الماضي وعشنا في عزلة عنه) ما هو الاعتراض اذن ؟! الا (يتحول الماضي الى عبء يثقل كاهلنا ويعوق تقدمنا الى الامام من ناحية ، ثم أن تكون كل حركتنا محصورة في هذا الماضي بحيث ندير ظهرنا للعالم ، الامر الذي يحجب عنا رؤية الحاضر والمستقبل) •• ثم هو يندد بجعل الاهتمام بالماضي هدفا وليس وسيلة ، لدى البعض ، وطريقة للمحاكمة والتشهير لدى البعض الاخر •• فهو يرفض ـ اذن ـ ما يقود اليه التشبث المرضي بالماضي من سكونية وانفصام حضاري ، ويرفض ـ في الوقت

نفسه ـ أن يتحول الماضي ، بمنجزاته العظيمة ، الى لعبة سهلة بأيدى اولئك الذين يحلو لهم ـ لسبب أو آخر ـ أن يقطعوا الجذور ، وهم يعلمون أو لا يعلمون ـ أن ذلك يقود الامم الى الانتحار ٠

ما الذى يقوله كتاب الله ؟

ونظرة متمعنة الى كتاب الله تمنحنا المزيد من الاشارات عن ضرورة تواجد قدر كاف من الجدل الفعال بين الماضي والمستقبل ـ مرورا بالحاضر ـ من اجل حماية المصير البشرى مما قد يحدق به من اخطار ونكبات . ويحذرنا من ألا يكون هنالك أى ارتباط جاد بين النظر الى الماضي وبين تكوين رؤية مستقبلية لصالح الانسان فى العالم ٠

صحيح ان التأكيد على (التاريخ) يرتبط بالقرآن الكريم ارتباطا وثيقا ٠٠أى سورة قرأت اى صفحة شاهدت ٠٠ طالعتك هذه العروض والاشارات المسهبة أو الموجزة الى مواقف تاريخية، لا ريب أنها تشكل بمجموعها نسقا متكاملا للتفسير الاسلامي للتاريخ ٠٠ ولكنه (التأكيد) الذى يخلص ـ كل مرة ـ الىدعوة المتأملين والدارسين الى الخروج ، فى أعقاب مطالعاتهم التاريخية ، بنتيجة نهائية عن مصير الحركة البشرية فى الزمان والمكان ، ودور الانسان والقوى الكونية فى آمادها القريبة والبعيدة ٠

أن جانبا كبيرا من سور القرآن وآياته البينات ينصب على اخطار البشرية بالنذير الالهى وينبثق عن رؤية وتفحص التاريخ ، وأن أشد نداءات المحذرين المعـــاصرين عمقا ووضوحا تلك التى تحدثنا عما يحيط بالمسيرة البشرية ، فى حاضرها ومستقبلها ، من أوضاع وعما تتطلبه من شروط ، وتنبثق هى الاخرى عن رؤية التاريخ ٠ ونحن اذا نظرنا الى التجارب الاوربية المتلاحقة فى عالمى الفكر والحياة ، رأيناها تمد بجذورها الى أعماق التاريخ ، باحثة عن المبررات والحجج والاسانيد ، متطلعة الى الصيغة الاكثر علمية واطباقا على واقع المسيرة البشرية من أجل أن تعتمد فى التحرك على أرضية الواقع صوب المستقبل ٠ وليست تجارب الثورات الفرنسية والعسكريات الالمانية والاشتراكيات الغربية والشرقية والدعاوى الصهيونية فى أبعادها الفكرية (الايديولوجية) والواقعية العملية الا نماذج فحسب لمدى الارتباط بين الفكر والتجربة المعاصرتين وبين الرؤية التاريخية ٠

الحركة هى الهدف

ان القرآن الكريم لا يقدم (قصصه) و (صوره) و (مشاهداته) لمجرد ترف ذهنى أو اشباع حاجة المؤمنين الى القصص والمشاهدات ، ولا لنزعة (أكاديمية) فيه تسعى الى تتبع (ما حدث فعلا) بأكبر قدر من الامانة ، ودون اكتراث للمدلولات الكبرى لهذا الذى (حدث) واشاراته الاخلاقية ٠ ان القرآن يجيء بمعطياته التاريخية تلك من أجل أن (يحرك) الانسان صوب الاهداف المستقبلية التى رسمها الاسلام ، ويبعده فى الوقت ذاته ، فردا وجماعة ، عن المزالق والمنعرجات التى أودت بمصائر عشرات ، بل مئات، من الامم والجماعات والشعوب ٠

فالحركة لا مجرد الاهتمام الاكاديمي ، بالماضي، او السرد الفني ، الذى هو مجرد اسلوب أو وعاء لغوى ، كانت أبدا هدف العروض التاريخية للقرآن ، كما أنها فى الوقت نفسه هدف الايديولوجيات المعاصرة التى سبرت بدرجة أو أخرى ـ أغوار التاريخ البشرى وقدمت برامجها ومخططاتها وفق التعاليم التى تمخضت عن تلك الرحلات الطويلة فى ميادين التاريخ (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ؟ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ٠ ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين) ٠

منهج جديد

ان القرآن الكريم يقدم اصول (منهج) متكامل فى التعامل مع التاريخ البشرى والانتقال بهذا التعامل من مرحلة العرض والتجميع فحسب، الىمحاولة استخلاص القوانين التى تحكم الظواهر الاجتماعية ـ التاريخية ، كما فعل ابن خلدون ـ فيما بعد ـ على سبيل المثال ، فاعطى بذلك الاشارة لغيره من فلاسفة التاريخ الذين ما تلقوا اشارته تلك وبنوا عليها الا بعد انقضاء عدة قرون ٠ وهذا يتمثل بالتأكيد المستمر فى القرآن على قصص الانبياء وتواريخ الجماعات والامم السابقة ، وعلى وجود (سنن) و (نواميس)

تخضع لها الحركة التاريخية في مسيرها وتطورها وانتقالها من الماضي صوب الحاضر والمستقبل ٠

ان المنهج الجديد الذى يطرحه القرآن يؤكد أكثر من مرة على أن الماضي لا يكتسب أهميته الايجابيه الا بان يتخذ ميدانا للدراسة والاختبار، تستخلص منه القيم والموازين التى لا تستقيم أية برمجة للحاضر والمستقبل الا على هداها (١)٠

وثمة سؤال ـ ونحن نتحدث عن التراث والمستقبل ـ يفرض نفسه : هل ان التشبث بالتراث للاستهداء بمعطياته وحمايته من (التمزيق) أو (الرفض) يقودنا الى الجمود ويمعدنا عن التقدم والحركه ، فى عصر نحن بامس الحاجة فيه الى ان نوسع مدى خطواتنا ونسارع فى السير لكى نلحق اولئك الذين سبقونا ؟ والجواب العادل هو : نعم ٠٠ ولا ٠٠

نعم ٠٠ اذا ما اتحنا لهذا (التشبث) ان ينقلب الى نوع من الاندماج فى الماضي والذوبان فيه ، الى هروب من الحاضر المليىء بالتحديات للارتماء بكسل فى امجاد الماضى واضوائه ٠٠ الى رفض للانتماء الى (العصر) ، والصورة الراجعة الى الوراء لكى يحتوينا بسلبياته وايجابياته على السواء٠٠ الى موقف غير علمي لا ينقد ولا ينتقى، ولا يرفض ٠٠٠ بل يستسلم كلية لنداءات الماضي ويغيب عن العيان ٠٠ ان التشبث بالتراث اذا ما جاوز حده المعقول ، تحول الى سلاح خطير نشهره ضد انفسنا فى حلبة الصراع الرهيب مع اعدائنا ومهاجمينا ٠٠

ولقد انتبه اعداؤنا انفسهم الى هذا الجانب السىء فى مسالة الموقف من التراث فارادوا ان يستخدموه على مستوى الفكر لكى يغيبونا عن الحاضر فتخلو لهم الساحات ٠٠ (وهكذا اصبح الفكر الاسلامي ـ يقول المفكر الجزائرى مالك بن نبى ـ على اثر الصدمة الثقافية التى اجتاحته وما تسبب عنها من مركب نقص ، ينحاز الى معسكرين أحدهما يدعو لتمثل الفنون والعلوم والاشياء الغريبة ـ حتى اللباس ـ والآخر يحاول التغلب على مركب النقص بتناول حقنة اعتزاز يعلل بها النفس) ويمضي مالك بن نبى الى القول بان التيار الثانى وجد منحدره الطبيعى فى ادب الفخر والتمجيد الذى نشأ منذ القرن التاسع عشر على اثر ما نشره علماء مستشرقون امثال دوزى عن العضارة الاسلامية ٠٠ ثم يضرب مثلا فيقول (اننا عندما نتحدث الى فقير ، لا يجد ما يستر به الرمق اليوم ، عن الثروة الطائلة التى كانت لآبائه واجداده ، انما ناتيه بنصيب من التسلية عن متاعبه بوسيلة مخدر يعزل فكره مؤقتا وضميره عن الشعور بها ٠ اننا قطعا لا نشفيها ٠ فكذلك لا نشفى امراض مجتمع يذكر امجاد ماضيه ٠ ولا شك ان اولئك الماهرين فى فن القصيدة قد قصوا للاجيال المسلمة فى عهد ما بعد (الموحدين) قصة الف ليلة وليلة ، وتركوا بذلك اثر كل سمر ، نشوة تغامر مستمعيهم حتى يناموا فتنغلق اجفانهم على صورة ساحرة لماضى مترف ٠ولكن سوف تستيقظ هذه الجماهير فى الغد فتفتح ابصارهم من جديد على مشهد الواقع القاسى الذى يحيط بها فى وضعها الذى لا تضبط عليه اليوم ٠ فالادب الذى ينشد « عصور الانوار » للحضارة الاسلامية يؤدى اول هذين الدورين : انه اتاح ـ فى مرحلة معينة ـ الجواب اللائق للتحدى الثقافى ، وحافظ هكذا مع عوامل اخرى ، على الشخصية الاسلامية ، ولكنه من ناحية اخرى صب فى هذه الشخصية الاعجاب بالشيىء الغريب ولم يطبعها بما يطابق عصر الفعالية والميكانيك (٢)

الموقع الصحيح

ولكن ، ومن اجل الا يحتوينا هذا الموقف الخاطىء ازاء التعامل مع التراث ، علينا ان نتحول الى موقع اكثر علمية وايجابية وانفتاحا ، موقع نتحمل فيه مسؤولية الرؤية الشاملة لمواضع الخطا والصعاب ، والنقد البصير للحدود الدقيقة الفاصلة بين الاسود والابيض والانتقاء الواعى لكل ما من شانه ان يشعل الاضواء فى طريقنا صوب المستقبل،

---

١ ـ انظر بالتفصيل مقدمة كتاب (التفسير الاسلامى للتاريخ) للمؤلف (دار العلم للملايين) بيروت ـ ١٩٧٥ وانظر كذلك الفصل الثانى من الكتاب والمعنون بـ (الواقعة التاريخية) ٠

٢ ـ انتاج المستشرقين واثره فى الفكر الاسلامى الحديث ص ١١ ـ ١٤

ويقدح شرارة الايمان والثقة فى نفوسنا من اجل ان نتحول من حالة السكون التى نعانيها الى حالة حركية لا تدع الزمن والتراب وسائر المكونات الحضارية تفلت من بين ايدينا •

ان هذا ينقلنا الى مسالة اخرى ، غاية فى الاهمية ، وخطا كبير شاع بين الناس ، او اشيع فيهم بشكل ادق ، ذلك هو ان (الاسلام) نفسه لا يعدو ان يكون جزءا من تراث امتنا، ومساحةمن مساحاته المتدفقفى الزمان والمكان •• أو هو ـ على احسن الاحوال ـ تراث هذه الامة التى يتحتم علينا حمايته وصيانته ، تماما كما نحمى ونصون مكتبة موقوفة ، أو مصحفا خطيا جميلا ، أو منارة مائلة تهددها الايام بالسقوط !! أو مقاما عراقيا اصيلا كاد ياتى عليه نغم الحجاز !! ومن ثم فان اقصى ما يطمح اليه انسان هو الا يتجاوز تعاملنا (المعاصر) مع الاسلام حدود العلاقة بين امة ما وبين تراثها (الماضى) : بحثا وتنقيبا ودراسة وحماية وصيانة واعجابا وتقييما • ومن ثم ـ كذلك ـ نقع فى الشرك الذى نصبه لنا الفكر الاستعمارى بجناحيه الامبريالى والصهيونى ، والذى يقودنا ـ عن علم او دون علم ـ الى الزاوية الضيقة التى نقطعفيها كل علاقاتنا العضوية الحيوية مع الاسلام ،ونجمد كل اتصالاتنا الحركية بقيمه ومبادئه ، ونوقف سائر التزاماتنا بشعائره واخلاقياته وآدابه ،اللهم الا اذا كان تنفيذ الاخلاقيات والاداب واداء الشعائر نفسها (فولكلورا) وتراثا !!

ليس الاسلام تراثا

ومن اجل الا ننساق وراء هذا الموقف الخاطىء ، أو تلك المؤامرة الخطيرة ، فى تصور ان الاسلام ومبادئه وقيمه مسائل تراثية ، وان علاقتنا به لا تتجاوز حدود العلاقة بين جماعة من الناس وبين تراثهم العريق ،علينا ان ندرك حقيقتين اساسيتين فى هذا المجال •

اولاهما ،واكثرهما اهمية ، ان تراث امتنا ليس الاسلام ، وان الاسلام ليس تراث امتنا ، بالشكل الرياضى الصارم كتطابق مثلثين تناظرت بعض زواياهما •• انما يجيىء التراث نتاج تفاعل ، بالسلب والايجاب ، مع الاسلام بالدرجة الاولى ، ومع عدد آخر من المذاهب والاديان والمبادىء ، بالدرجة الثانية • فهو اذن ـ اى التراث ـ حشد من المعطيات تتمخض عن طبيعة التجربة التى احدثتها مواقف آبائنا وأجدادنا من الاسلام •• معطيات شتى فيهاالخطا والصوابوالاسود والابيض والمتعرج والمستقيم والظالم والعادل وهذا التنوع يجيىء لان الناس فى تعاملهم مع الاسلام ليسوا سواء ، والقرآن الكريم نفسه عبر عن هذه الحقيقة النفسية الاجتماعية بقوله (قل كل يعمل على شاكلته) ••ومن ثم يبدو بينا هذا الفارقالواضح بين الاسلام كفكرة وعقيدة ومنهاج وممارسات اخلاقية وشعائرية،وبين تراث امة أثرهذا الاسلام فى سلوكها وعطائها ، بدرجة او اخرى ، تاثيرا متغايرا كما ونوعا ، كما يبدو بينا خطا اولئك الذين تصوروا الاسلام تراثا أو عكسوا المقولة نفسها فتصوروا التراث اسلاما !!

صنع الله وعمل الانسان

ان الاسلام عقيدة ومنهاج صاغتهما يد الله الحكيمة القديرة المريدة العالمة ، ومنحتهما الصفة الدائمية التى تتجاوز حدود الزمان والمكان واطروحاتهما الموقوتة الزائلة المتغيرة النسبية،لكى تكون بمثابة استشراف كامل ، مرن ، يتسع لكل حالة ،ويحتوى كل تجربة ،بغض النظر عن موقعها فى الزمان والمكان ••

اما التراث فهو عطاء موقوت ، وهو رغم تاثيراته الدائمة الممتدة فى مسار ـ الزمان والمكان ـ لن يصل بحال مرحلة الخلود المطلق وتجاوز النسبيات التاريخية ، كما انه باعتباره حصيلة لقاء عملى واقعى بين الانسان وبين العقيدة يجيىء متارجحا بين النقص والكمال ، بين الفجاجة والصرامة والتعصببين النضج والمرونة والانفتاح والتوافق• وما اكثر ما قاد هذا التارجح فى التعبير ، كثيرا من الناس الى ان يجافوا روح الاسلام وبداهاته وهم يحسبون انهم انما يعبرون عن ضرورات هذا الدين •

ان الاسلام ، بما أنه الدين (القيم) الذى

ارتضاه الله تعالى لامتنا العربية لكي تتحرك به الى العالم كله ، يبقى دوما عقيدة وشريعة ومنهاج حركة للانسان فى كل زمان ومكان ٠٠ وما تفجر عن ذلك اللقاء المتغير ،المتنوع النسبي ،بين آبائنا واجدادنا وبين دينهم القيم من معطيات ، كان هو التراث الذى ضم فى حناياه تجاربهم المضنية ، وجهودهم الخلاقة وابداعهم الدائب ، ونتاجهم الدائم ، وكان بمثابة المؤشر لما اعتمل فى نفوسهم من مشاعر وعواطف وأحاسيس ، ولما انتاب اذهانهم من رؤى وأحلام وافكار وتصورات ٠٠ وهي جميعا – من الفها الى يائها – مسائل تحتمل الخطأ والصواب ٠٠وفرق واى فرق بين هذا الذى يصنعه الانسان الذى حدثنا عنه رسولنا عليه السلام بقوله (ان كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) وبين تلك العقيدة التي جاءت من (صنع الله الذى أتقن كل شيء) والذى (لا يخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء) ٠٠ (٣) ٠

البحث عن الاسباب

فىختام جولتهالمركزة يتساءلالاستاذ فهمىهويدى (لماذا ينسحب المفكر العربى منالحاضر والمستقبل ؟) ويكون الجواب أن ذلك يتم باختياره حينا وبالضغوط التى تمارس ضده حينا آخر (فلا يبقى مفتوحا أمامه سوى طريق واحد فقط هو : الماضى) ٠٠ وهنالك أيضا تلك الاجازة الرسمية التى أعطاها العقل العربى نفسه (منذ أغلق باب الاجتهاد ، بينما العمل مستمر فى خدمة الانسان الاوروبى منذ عصر النهضة) ٠٠ وليس ثمة ما يضاف الى هذه الاسباب ٠٠

فكثيرون من المحسوبين على (الاكاديمية) يجدون فى تحقيق مخطوط قديم فرصة أكثر سهولة وضمانا ويسرا لتطمينمستقبلهم العلمى والوظيفى والاجتماعي ، بدلا من اعمال الذهن لردم سدود عاتية تنتصب ، هنا وهناك ، فى مسالك حياتنا المعاصرة ٠٠ ولحفر قنوات جديدة فى مستقبلنا القريب والبعيد ٠٠

وكثيرون ممن يجبنون عن مجابهة الضغوط الفوقية الراهنة لا يجدون للتعبير عن قدراتهم الا الارتداد صوب الماضى ، وتحولهم ، كما يقول الفيلسوف الالمانى أزوالد شبنغلر الى (منظفى أتربة أكاديميين) (٤) !!

وكثيرون ممن يتكئون على معطيات عقول أجدادنا الكبيرة ، لا يجدون فى انفسهم الدافع والمبرر لاعمال عقولهم (هم) ومجابهة تحديات القرن العشرين بحجة أن باب الاجتهاد قد اقفل ٠٠

لكن هؤلاء الاخيرين ، اذا أردنا الحق ، ليسوا كل من هنالك ٠٠ فهناك الكثيرون من رواد الفكر الاسلامى ، وضعوا عقولهم المؤمنة فى مجابهة فعالة مع مقتضيات عهدهم وتحدياته ٠٠ واجتهدوا ٠٠ كل وفق قدرته وامكاناته ، وأجابوا على مئات الاسئلة ، واستجدوا حلولا لمئات القضايا٠٠ بل انهم مضوا الى ما هو ابعد من هذا فاستشرفوا المستقبل وحدثونا عن الكثير مما قد يأتى به ، لان كتاب الله علمهم ان ينظروا دوما صوب المستقبل : صيرورة الزمن المحتومة (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ٠٠)

اما الذين اختاروا ان يظلوا فى مواقع الاتكالية والانتظار ، متمنين وقوع المعجزة فليظلوا حيث هم ٠٠ وأما قانون الكون فسيظل ساريا – كما يقول صاحب المقال – ذلك (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) ٠٠ وصدق الله العظيم ٠٠ ■■

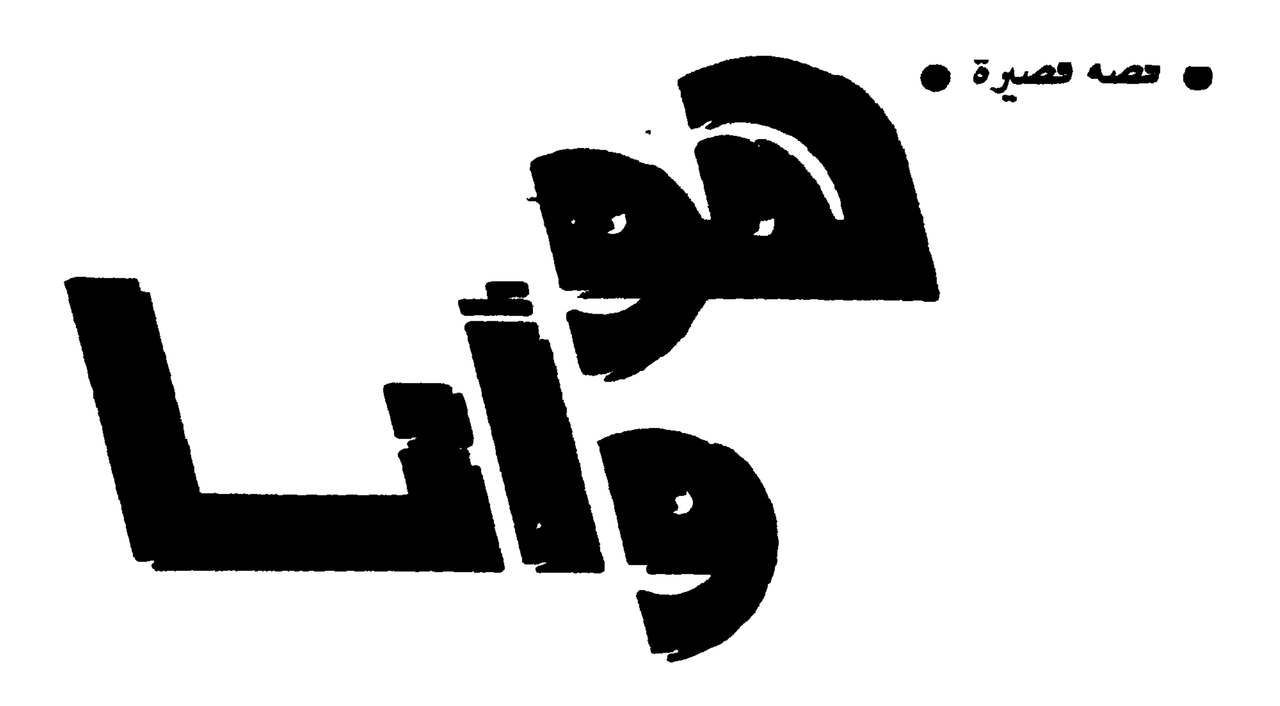
الموصل : د ٠ عماد الدين خليل

---

٣ – عن المقاطع السابقة انظر بالتفصيل بحثا لصاحب المقال بعنوان (موقف ازاء التراث) مجلة المسلم المعاصر ، العدد العاشر

٤ – عالجت هذه المسألة بالتفصيل فى كتاب (فى النقد الاسلامى المعاصر) مؤسسة الرسالة ، بيروت – ١٩٧٢ فصل (نقد للاكاديمية وتأمل فى التاريخ)

● قصه قصيرة ●



للكاتبة الايطالية : ناتاليا جنزبورج ★

■ هو يشعر بالدفء دائما ، وانا دائما بردانة . فى الصيف ، حينما يصبح الجو حقا حارا ، لا يتوقف عن الشكوى من الحرارة ، واذا رآنى البس شيئا القل فى المساء سخر منى .

هو يتكلم لغات عديدة ، وانا لا اجيد حتى واحدة . حتى اللغات التى لا يعرفها يتصرف بها بطريقته الخاصة .

يتمتع باحساس غريزى بالاتجاه لا يوجد عندى. بعد يوم واحد فى مدينة غريبة ، يتنقل فيها حرا كالفراشة .بينما افقد طريقى فى مدينتى واضطر للسؤال عن الطريق الى منزلى . هو يكره ان يسال عن الطريق . حينما نمر بالسيارة فى مدن لا نعرفها ، يرفض ان نسال المارة ويطلب منىان ارشده بالخريطة ، وانا لا اعرف قراءة الخرائط: أتعثر دائما بين التعرجات والنقط والخطوط الحمراء ، فيغضب .

هو يحب المسرح والرسم والموسيقى ــ الموسيقى خاصة ــ وانا لا افقه شيئا فى الموسيقى ، والرسم لا يهمنى والمسرح يملأنى بالسام . شىء واحد احبه وافهمه فى العالم ، وهو الشعر .

هو يحب المعارض وانا ازورها مرغمة ، معتجة، تادية لواجب . هو يحب المكتبات وانا امقتها .

★ ناتاليا جنزبورج ــ احدى اشهر روائيتين ايطاليتين معاصرتين (الاخرى هى الزامورانتى) ولدت فى ١٩١٩ فى باليرمو (صقلية) ــ تزوجت من روسى المولد ليون جنزبورج ــ مدير مؤسسة ايناودى للنشر ــ الذى مات فى ١٩٤٤ (ويقال ان النازيين سمموه) وتزوجت فى ١٩٥٠ من جابريلى بالدينى ــ استاذ الادب الانجليزى بجامعة روما ــ وتدور حوله هذه « القصة » ــ ومارست ناتاليا جنزبورج كتابة الادب منذ ١٩٤٢ وحصلت فى ١٩٦٣ على جائزة ستريجا ــ اكبر الجوائز الادبية الايطالية لكتاب سيرة حياتها « حكم ترويها العائلة » ــ اهم مؤلفاتها الاخرى « الطريق الى المدينة » ــ « هكذا كان » ــ « ايام الامس الكثيرة » (مجموعة قصص) ــ « اصوات المساء » ــ « الفضائل الصغيرة » (مجموعة قصص ، ضمنها « هو وانا ») و « خمسة روايات قصيرة » ..



هو يحب السفر : المدن الغـــريبة البعيدة ، المطاعم ـ وانا يسعدنى ان ابقى فى منزلى فلا اتحرك ابدا • لـــكنه يجرنى خلفه فى رحـلاته الكثيرة • اتبعه فى المتاحف والكنائس ودور الاوبرا وفى الحفلات الموسيقية ، حيث انام ، ولانه يعرف قادة الفرق الموسيقية والمغنين ويحب ان يهنئهم بعد عروضهم ، اتبعه فى الدهاليز الطويلة الى غرفة الفنانين واسمعه يتضـاحك معهم وهم فى ملابس الملوك والبهلوانات •

هو ليس خجولا وانا خجولة • اراه احيانا خجولا امام جنود المرور حينما يتقدمون نحو سيارتنا مسلحين بدفاتر مخالفاتهم واقلامهم • امامهم ينحنى خجلا لانه يشعر انه قد اخطأ ، او اذا لم يكن ذلك ، فلانه يحترم السلطة الحاكمة • السلطة الحاكمة ترعبنى انا ولكنها لا ترعبه ، بل يحترمها ، وهنا الفارق • اذا رأيت جنديا قادما نحونا ، اشعر فورا انه سيسحبنا الى السجن ، والسجون لاتخطر على باله ، ولكن الاحترام عنده خجل وليونة •

يحب التالياتللى (نوع من المكرونة) ولحـم الضان وثمار الكرز والنبيذ الاحمر ، وانا احب الشوربة بانواعها والعجة والخضروات الطازجة • يدعى دائما اننى لا افقه فى الطعـــام واننى كالرهبان السمان ، يجلسون فى الظل يبتلعون اى طعام يوضع امامهم • اما هو فمـــرهف الحس ،

... في المطعم يدخل في حوارات لا تنتهي حول الطعام والانبذة : يستجوب الساقي ، يدرس القائمة بعناية وهو يربت على ذقنه برفق ، لا يترك الساقي يختار له ..

بنفس الطريقة لا يسمح للعاملة المختصة في السينما ان تقوده الى مقعده ، يعطيها بقشيشها عند الباب ثم يسرع جالسا في مقعد بعيد تماما عن الذى توجهه اليه بمصباحها الكهربى . يحب ان يجلس في مقدمة الصالة ، قريبا من الشاشة. اذا ذهبنا مع اصدقائنا وكانوا - كغالبية الناس - يفضلون الجلوس في الخلف ، يذهب وحده ليجلس في الصفوف الامامية ، اما انا (ويمكنني ان ارى جيدا عن قرب وعن بعد) فاجلس مع اصدقائنا بداعي الذوق ، وابقى تعيسة لاني اعرف انه غضبان لانني لم اجلس بجانبه قرب الشاشة .

نحن الاثنين نحب السينما ومستعدان ان نرى اى فيلم في اى وقت من النهار . لكنه يعرف تاريخ السينما بادق تفاصيله : يذكر المخرجين والممثلين كلهم ، حتى القدامى الذين اختفوا واهملوا منذ سنين ، وهو مستعد ان « يسافر » كيلو مترات الى ابعد الضواحي جريا وراء فيلم صامت به ممثل كان يحبه في طفولته قبل سنين طويلة .

انا لا اذكر اسماء الممثلين ، ولانني انسى الوجوه عادة ، اجد من الصعب ان اتذكر حتى اشهر النجوم ، وهذا يغضبه جدا . اساله عن فلان فينظر الى بدهشة ويصيح « لا تقولى .. لا تقولى انك لا تعرفين وليام هولدن » .

فعلا . انا لا اتعرف على وليام هولدن - ولكنني احب السينما - ورغم انني شاهدت مئات الافلام الا انني لم اتثقف سينمائيا . هو يتعلم كل ما يتعلق باى شيء يثير اهتمامه ، بينما لا استطيع ان اتعلم شيئا عن اى شيء : حتى اكثر الاشياء التى احببتها في حياتي ، بقيت عندى صورا منتثرة بلا ترابط ، تغذى حياتي بالذكريات والمشاعر ولكنها لا تملأ صحرائي الثقافية . لذا يتهمني بانني لا اعرف الفضول . ابدا : عندى فضول بالنسبة لاشياء قليلة عندما اعرفها احفظ لنفسي منها صورا متناثرة غير مترابطة ، او تربطها خيوط غير مرئية لى ، لا اعرفها ..

عندى - كل نشاط صعب متعب غير اكيد النتائج . انا ايضا كسولة ، واذا لم يكن عندى ما اعمله ، اقضى ساعات طويلة ممدودة على كنبة. اما هو فنشاط دائم - عنده دائما ما يفعله : يدق على الآلة الكاتبة بسرعة كبيرة بينما يستمع الى الراديو مفتوحا بجانبه ، وحينما يذهب ليستريح بعد الغداء ، ياخذ معه مسودات ليصححها او كتابا ليقراه .. في يوم واحد يريد أن يذهب الى السينما وان يحضر حفلة ويشاهد مسرحية ، في يوم واحد يمكنه ان يصنع - ويجعلني اصنع معه اشياء كثيرة متعددة ، واذا حاولت وحدى ان اقلده يستحيل على ذلك لانني اغرق لساعات فيما نويت ان اعمله في نصف ساعة ، لانني افقد طريقي ، او لان اكثر الاشخاص املالا لى قد جرني معه الى آخر مكان ارغب في الذهاب اليه..

اذا رويت له ما افعله في غيبته يعتبره وقتا ضائعا ويقول ان لا امل في بدونه ..

هو يحب الحفلات . يذهب اليها فيما يتصادف ان يلبسه (ان يغير ملابسه ليذهب الى حفلة امر لا يمكن ان يتصوره) ويبقى هناك نصف ساعة فقط . يحب ان يتبادل الحديث وفي يده كاس لنصف ساعة فقط لم يمل الحفل - بينما اكون انا قد بدات اعتاده واتمتع به - فيجرني معه خارجين .

لا أعرف الرقص وهو يرقص .

لا اعرف استعمال الآلة الكاتبة وهو يجيد استعمالها .

لا اعرف قيادة السيارة . وحينما اقترحت عليه ان اتعلمها ، رفض قائلا انني - على كل حال - لن احسن القيادة ابدا . رايى انه يحب ان يبقى اعتمادى عليه كاملا في بعض الاشياء..

لا اعرف الغناء وهو يحسنه . صوته ممتاز ولو كان تعلم الغناء لاصبح مغنيا مشهورا . لو كان تعلم الموسيقى لاصبح قائد فرقة موسيقية معروفا لكنه يعمل بالتدريس ، واعتقد انه يجيده . كان باستطاعته ان يعمل اى شيء ولكنه لا يندم على اى

شيء لم يعمله ، اما انا فلم يكن باستطاعتي ان اعمل شيئا واحدا ، عملي الذي اخترته ، الذي مارسته منذ بدأت ان اعمل — ولكنني ايضا لا اندم على اي شيء لم اعمله (على فرض ان ذلك كان بامكاني) • انا اكتب القصص • عملت لسنوات عند ناشر • لم يكن عملي متميزا ولم يكن سيئا ، كان معتادا ، وجمعتني بزملائي ورئيسي صداقة ان لم تكن قد وجدت لاصابتي الارهاق ولما امكنني الاستمرار في العمل • في يوم ما راودتني فكرة ان كتب سيناريو لفيلم ولكن لم تتح لي الفرصة لذلك — او لم اعرف كيف ابحث عنها — ولم تعد الفكرة تراودني • اما هو فقد كتب اكثر من سيناريو — في يوم ما — وكتب قصصا : قام بحل ما عملته واكثر منه بكثير •

هو يحب الضجيج حوله : طول النهار تهدر في بيتنا الموسيقى • في الصباح — وهو في بيجامته، يقطر الماء من وجهه وقد غسله — يفتح الراديو او يضع اسطوانة • احتج احيانا ، اطالب ببعض الهدوء لكي اعمل فيقول ان موسيقى جميلة كهذه خير رفيق لاي عمل ••

امه تقول انه كان في طفولته مثالا للنظام والنظافة — اين منه اليوم ذلك الطفل المنظم النظيف ؟ — ملابسه دائما ترصعها البقع واوراقه ملقاة في كل مكان • اما انا فكنت دائما بعيدة عن النظام ولكنني اصبحت — بمرور السنين — اكثر حنينا للنظام ، تنتابني نوباته فانظف المنزل من جديد وراء الخادمة واعيد فرش ادراج المنزل والرفوف بالورق النظيف وانظم الدواليب والمواقد• اي انني — في بعدي عن النظام — اشعر بالاثم وبتبكيت الضمير ، اما هو فعدم نظامه انتصار له ، فقد قرر ان شخصا مثله يحق له ان يحيطه عدم النظام •

احيانا يسخر مني ، من تشككي وترددي ومن احساسي بالاثم ، من شعوري ان كل ما اعمله خطأ ، لذا اذا اخطأ هو في شيء اذله واستمر في اذلاله حتى يثور غاضبا (باستطاعتي ان اكون احيانا بالغة الحقارة !!) وحينما يغضب يفور برغوة كبيرة — كالبيرة في الكوب — غضبي انا ايضا فجائي كغضبه ، عنيف كغضبه — ولكن بينما تنصرف عصبيته بسرعة ، تتسرب عصبيتي ببطء تاركة خلفها ذيلا طويلا من المرارة •• واحيانا تبكيني ثورة غضبه، ولكن دموعي — بدلا من ان تهدئه وتلينه — تزيده غضبا — يصيح « كل هذا تمثيل » — وربما كان محقا لانني وسط ثورته ودموعي — اشعر بهدوء كامل بداخلي ••

اما احزاني الحقيقية فلا تبكيني ابدا ••

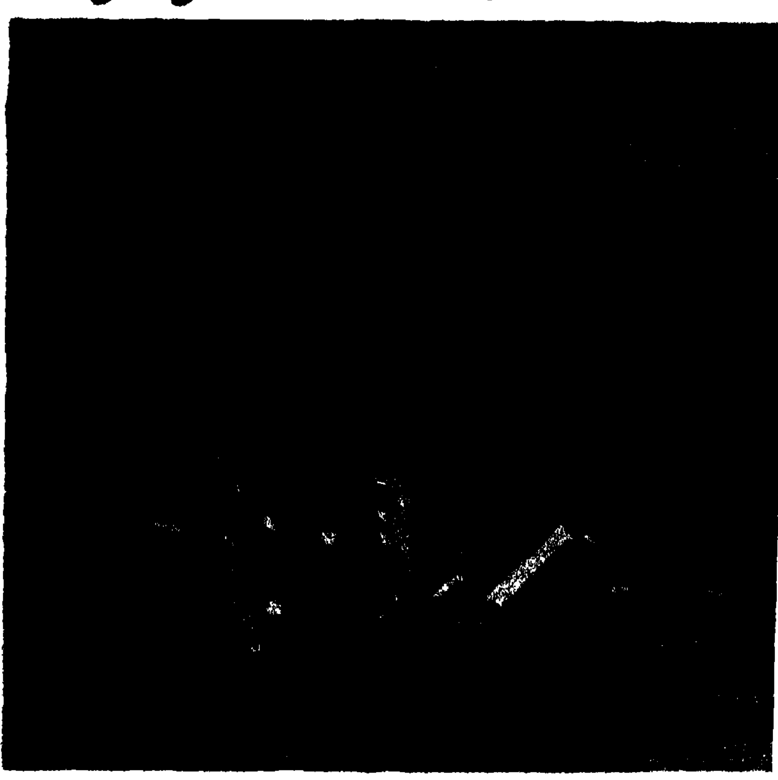
•• كان — قبل حوالي اربعين عاما — شابا وسيما رشيقا حليق الذقن ، له شارب شعره ناعم طويل — كان يشبه الممثل روبرت دونات — كان يرتدي — حينما قابلته في ذلك الوقت — في المساء (ادركه هذا جيدا) قميصا رائعا به مربعات من قماش الفانيلة •سرنا معا في شارع نازيونالي الى حيث المنزل الذي كنت استأجر غرفة به • كنت اشعر حينئذ انني عجوز محمله بالتجربة والاخطاء وبدا لي غلاما تفصله عني مسافة هائلة • لا اذكر ما تناوله حديثنا في ذلك المساء — لم يكن شيئا هاما بالطبع •• وكانت بعيدة عني — تفصلني عنها سنين ضوئية كثيرة — فكرة اننا سنغدو زوجين في يوم ما !! لم لم نتقابل لسنين عديدة ، وحينما تقابلنا من جديد كان لم يعد يشبه روبرت دونات — ربما صار اقرب شبها لبلزاك — كان ما يزال يلبس قميصا « مربعات » ولكن كانت قد اصبحت له لحية وكان يضع على رأسه قبعة مكورة من الصوف كانه سيذهب لاستكشاف القطب الجنوبي ، او ربما كان يبدو كزارع بن في البرازيل •• وتقابلنا مرات بعد ذلك •• واذا ذكرته اليوم بمشيتنا البعيدة تلك — قبل اربعين عاما — في شارع نازيونالي ، يقول انه يذكرها ولكنني اعرف انه لا يذكر شيئا ، انه يكذب ليسعدني •••• واحيانا اكاد لا اصدق اننا كنا حقا •منذ اربعين عاما ،هذين الشخصين الذين التقيا صدفة في المساء وسارا متجاورين يتبادلان حديثا رسميا لبعض الوقت ثم اومأ كل منهما للآخر مودعا وافترقا متباعدين وهما لا يدركان ان المستقبل يضمر لهما — بعد سنين طويلة — حياة واحدة • ■■

ترجمة : فريد كامل

دولة شابة مسلمة .. تعيش بوجدا

استطلاع بقلم : محمد حسني زكي   تصوير : صلاح آدم





كوالالمبور .. عاصمة ماليزيا ، مدينة عصرية ، التقى فيها الشرق بالغرب .. معالم ذات سمات عربية اسلامية (تحت) تقف شامخة بجوار معطيات الفن المعماري الحديث .. التي تزخر بها ارجاء العاصمة (يسارا) ، بينما وقفت هذه الصبية الماليزية وقد اشرقت على فمها ابتسامة الامل في غد سعيد .



عربي: ماليزيا



■ «نواس نعيش ماليزيا بعد الاستقلال ، فبلدهذا حاله وهذا تكوينه لا بد ان يتمزق !! ولكن ماليزيا عاشت ونمت وازدهرت ٠٠

فى شهر اغسطس مضى على تاسيس ماليزيـاالدولة المستقلة اربعة عشر عاما ، استطاعت خلالها انتوطد دعائمها ،وتسير فىطريق التقدموالرفاهيةبخطى ثابتة، واصبحتتنعم باستقرار تحسدهاعليه دول اخرى كبيرة فى القارة الكبيرة ، وبالرغم منان المنطقة من حولها تمر بتطورات هامة وسريعة ومتلاحقة وتعصف بها رياح التغيير ، وتلتى علىبعض بلدانها ظلالا حمراء ٠٠ تمضى ماليزيا فى طريقها تصنع الرخاء وتحقق مزيدا من الازدهار !

كيف حدث هذا ؟

وكيف نهضت هذه البلاد بعد تخلف واستعماردامنا سنوات طويلة ؟

وكيف تجاوزت الصراعات العنصرية تلك التيتوقعوا بسببها التمزق لماليزيا ؟

وكيف تبدو صورتها للقادم الغريب ؟

ثم كيف يعيش اهلها وكيف يتصورون المستقبل؟

كلها علامات استفهام كانت ترتسم امامنا خلالعشرين يوما عشناها فى ماليزيا ، كنا نرى ونسمع ونقرأ ونتحدث ونسجل ٠٠ ننتقل من مكان الى مكان٠٠ بالطائـرة وبالسيارة وبالقطار ونلجـأ الـى « الهليوكوبتر » عندما لا تكون هناك وسيلة اخرى٠تسلقنا الجبال ، وبين دروب الغابات الضيقة مشينا تحت السيول٠٠ كنا نريد أن نقرأ على ارض شبه جزيرة الملايو الاجابات على الاسئلة التى ترددت فى خاطرنا ، كنا نريد ان نقرأ قصة ماليزيا الدولة الوحيدة فى شرق آسيا التى ينص دستورها على أن الاسلام هو دين الدولة الرسمى ٠

سـلامات

وتحط الطائرة بنا على ارض مطار « سوبانج » الدولىمطار «كوالالمبور» الحديث٠٠ ولولا النسمات الاستوائية الحارة التى صافحت وجوهنا لحسبنا انفسنا فى احدى المطارات الأوروبية الحديثة ٠٠ مطار رحب نظيف تتدفق الحركة فيه بسهولة وسرعة ٠٠ واجراءات الجوازات والجمارك يؤديها شباب نشيط ، لـم تستغرق الاجـراءات سوى دقـائق معدودات ، كنا بعدها عند الباب الخارجى للمطار، نقرأ لافتة كبيرة مكتوب عليها سلامات Selamat بحروف افرنجية وعندهمباللغة الماليزيةتعنىمرحباء ونستقل السيارة التى تنطلقبنا صوب المدينة ومعنا رفيقنا الصديق الماليزى عثمان فوزى ٠٠

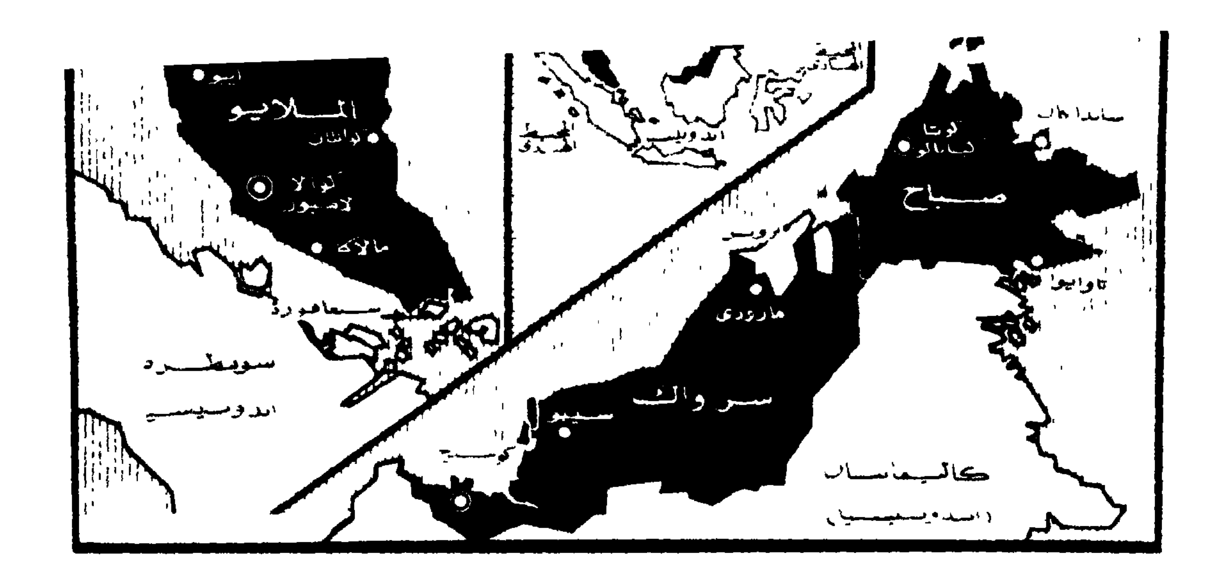
فى كوالالمبور

ونصل الى الفندق ونضع امتعتنا ٠٠ ثم يحدث لنا ما يحدث لكل وافد الى بلد غريب ٠٠ الرغبة فى اكتشاف المجهول ، ونقوم فورا بجولة فى المدينة مدينة عصرية ، تعيش الربع الاخير من القرن العشرين ، وينعكس علـى ارضها كـل منجزاته الحضارية وتحوى فى ارجائها مشاهده وعجائبه ٠٠ وتلتقى تحت سمائها عوالمه ٠٠ ولو راها اليوم الشاعر الانجليزى « كبلنج » لما قال قولته الشهيرة « الشرق شرق والغرب غرب ، ولن يلتقيا » ٠٠ لكن فى كوالالمبور ٠٠ التقى الشرق بالغرب ٠٠ وانصهرا معا فى انسجام ووئام ٠٠ ويبدو ذلك اول ما يبدو فى لافتات المحلات التجـارية ٠٠ حروف واسماء عربية وانجليزية وصينية وهندية ،والناس فى الطرقات خليط ٠٠ملايويون وصينيون واوروبيون وهنود ٠٠ بعضهم يرتدى الازياء الغربية ، وبعضهم مايزالمحافظا علىالزى التقليدى الوطنى٠٠ونتجول فى الاسواق فنسمع عدة لغات ٠٠ ملايوية وانجليزية وصينية وتاملية ٠٠ وتلتقط آذاننا مزيجا عجيبا من الاغانى الشرقية والعربية ذات النغم الهادىء البطىء ممتزجة بانغام البوب السريعة الصاخبة ٠ ونجد هذا التنوع حتى فى اساليب العمارة ، فهذا البناء الضخم ذو الطرازالاسلامى العريقالذىكان فىالسابق مقر الحكومة٠٠ وهذه البناية الاخرى التى تغالها مسجدا كبيرا ٠٠ ونتعجب حينما نعرف انها محطـة السكة الحـديد ، والجـامع القديم على ضفة النهر ، كل منها يشكل احد المعالم ذات السمات العربية الثرية بمظاهر الفن الاسلامى٠٠ وكل هذه المعالم تقف شامخة تزهو بجوار معطيات الفن المعمارى الحديث ٠٠

ونمضى نستكشف أرجاء هذه المدينة الحديثة٠٠ كل شىء فيها جديد ، لامع ، نظيف ٠

مع الحديث الجديد !

ونرى من بعيد فوق تل مرتفع بناية عالية ٠٠



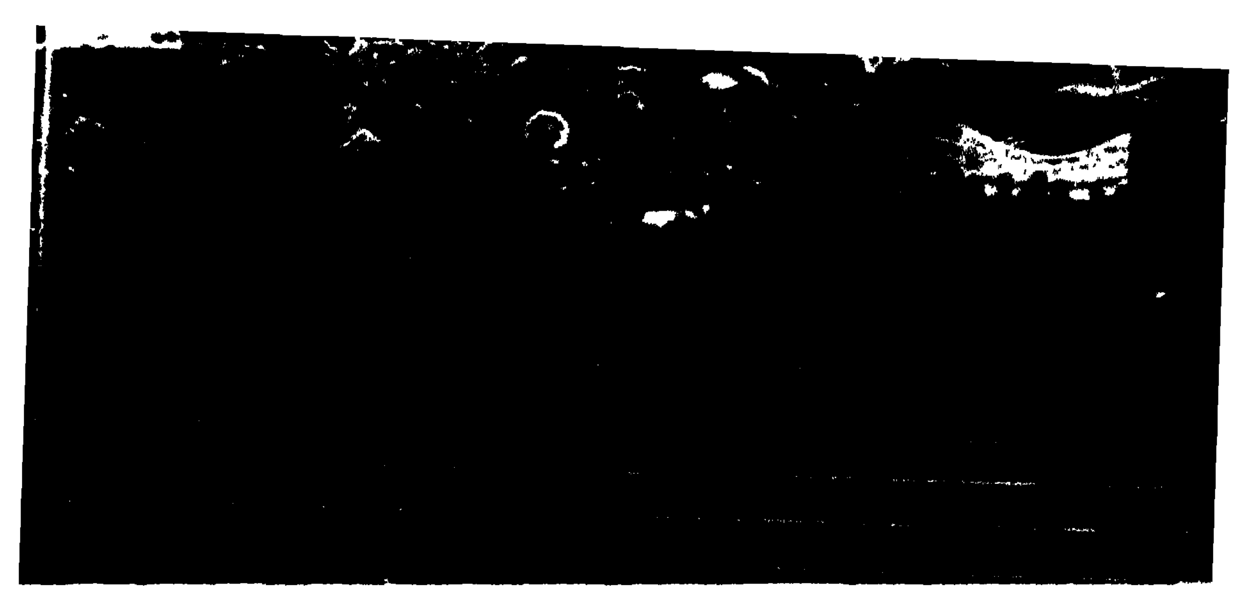
ونسال عنها ونعرف انها دار البرلمان الذى يتالف من ١٨ طابقا ، ونقترب منه ونجد على ضفاف بحيرة واسعة النصب التذكارى للماليزيين الابطال الذين ضحوا بارواحهم فى سبيل استقرار الوطن وحريته ويقع الى الجنوب من البحيرة المتحف الوطنى الذى تعكس لوحاته ومجسماته تطور الحياة فى البلاد ، ويعرفنا على تراث ماليزيا الثقافى والتاريخى وعادات وتقاليد اهلها ، وبه الكثير من الاثار التاريخية الاسلامية ، كما يحوى عدة مخطوطات للقرآن الكريم خطت منذ مئات السنين ٠٠ ونمضى فى جولتنا لنشاهد معالم كوالالبور ، ومع كل خطوة يزداد اعجابنا ٠٠ فهذا مبنى « استاد نيجارا »اى الاستاد الوطنى استاد فخم واسع مستوف يتسع لعشرة آلاف متفرج وانشىء فى وسطه مسرح متحرك ويبعد عنه بنحو ١٠٠ متر « استاد مرديكا » اى الحرية وهو اكثر اتساعا ، فهو يتسع لاكثر من اربعين الف متفرج ٠٠ ويبدو لنا ان حركة التعمير والاسكان تجرى على قدم وساق ، ففى كل مكان ترى بناء ضخما يرتفع ٠٠ بل ان احياء سكنية كاملة باسواقها وجميع مرافقها كلها تحت الانشاء ٠٠٠ وتمتاز مدينة كوالالبور بفنادقها العالمية الرحبة الفسيحة المكيفة الهواء والمجهزة بالملاعب واحواض السباحة والمطاعم ألتى تقدم مختلف الاطعمة ٠٠ ففى الفندق الواحد تجد عدة مطاعم يتخصص كل واحد فى نوع من الطعام ٠ وتحيط بالفنادق مساحات كبيرة من الحدائق وقد زرعت بانواع عديدة وغريبة من الزهور والنباتات الاستوائية ، وماليزيا تتمتع بالمناظر الطبيعية الساحرة التى تجذب السائحين من شتى انحاء المعمورة ، وقد بلغ عدد السائحين عام ١٩٧٦ مليون سائح شغلوا ٧٣٠٠ غرفة تحويها فنادق ماليزيا البالغ عددها ١١٤ فندقا ٠٠

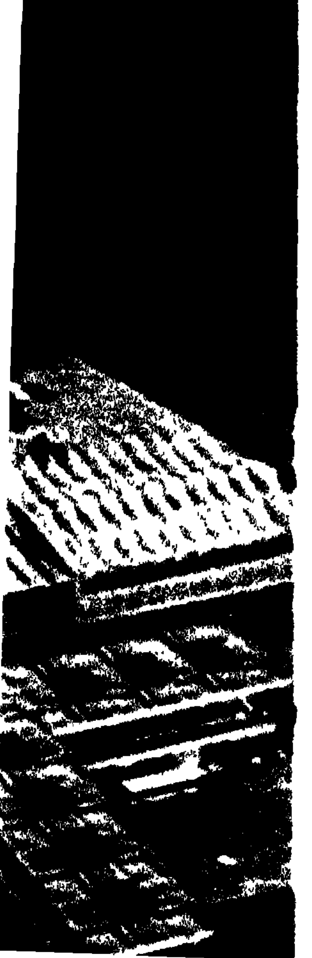
ولا تقتصر الانشاءات على الفنادق والاحياء السكنية ، بل اقيمت فى الضواحى الهادئة عدة مؤسسات ثقافية ، وكليات جامعية احيطت كل كلية بعدد من الفيلات والبنايات لسكن الطلبة والطالبات وأساتذة الجامعات ٠٠والظاهرة التى لفتت الانظار، انكل المؤسسات الصناعية او الثقافية اوالاجتماعية حكومية كانت او اهلية تبنى بالقرب منها مساكن لموظفيها او لعمالها ٠٠وبذلك حلت مشكلة الاسكان والازدحام ٠٠

يرصفون الشوارع بالمطاط

وننتقل الى الضواحى بالسيارة التى تسير فى طرقات فسيحة ناعمة فقد غطوها بطبقة من المطاط ليصبح سير السيارات عليها سهلا ناعما بلا ضجيج ٠٠ ان حركة المرور منتظمة كالساعة ٠٠ فلا زحام ولا اختناقات ٠٠ وما أجمل ان ترى المجموعات الكبيرة فى الصباح الباكر من راكبى وراكبات الدراجات البخارية وقد وضعوا الخوذات على رؤوسهم ٠

ونذهب الى ضاحية « بتالنج جايا Petling Gaya » ٠٠ أكبر مدينة صناعية فى جنوب شرق آسيا ، وتبعد مسافة ٩ كيلو مترات عن كوالالبور،





يهتم المسلمون فـي ماليزيا بالاحتفالات والاعياد الدينية ويهتمون اهتماما خاصا بذكرى مولد الرسـول الكريـم صلوات الله عليه ، حيث يحتفلون بها احتفالا كبيرا في استاد الحرية فيحتشد الناس لسمـاع تلاوة مـن آيات اللـه البينات تعقبها المحاضرات والاناشـيد الدينيـة (الصورة فوق) وبعدها تبدأ مسيـرة يتقدمها الملك ورجال الدولة الى المسجد الوطني (يسارا) حيث يؤدون الصلاة ويتبادلون التهاني والهدايا ●● وقد بني هذا المسجد الكبير تخليدا لذكرى استقلال البلاد ويتسع لتسعة آلاف مصل ●●

والدعوة الاسلامية فـي ماليزيا نشطـة ويقبل الكثيرون على اعتناق الاسلام حيث يجتمع بهم المفتي شارحا لهم تعاليم الدين وبعدها ينطقون بشهادة التوحيد (تحت)●





[illegible] الى الجراراب « والكراكات »الضخمة مصانع صابون وبسكويت وسجائر ومشروباتغازية وغيرها ‥ وتجاور هذه المنطقة الصناعية احياء للسكان منسقة تنسيقا بديعا ، وزودت بكل متطلبات الحياة ، تعيش فيها أكثر من ٥٠ الف عائلة يعمل رجالها ونساؤها في المصانع المجاورة ، ان « بتالنج جايا » مدينة فريدة من نوعها ‥

الآن أملك بيتا

ونقفل راجعين الى كوالالمبور ‥ وعند مداخلها نرى عدة بنايات شاهقة متشابهة الطلاء والطراز ، ونسأل رفيقنا عثمان عنها ، ونعرف انها احدى المشروعات الاسكانية التى بنتها الدولة ووزعتها على المواطنين ، وراعت عند توزيعها ان يتم اسكان العائلة الماليزية من اصل ملايوى بجوار عائلة اخرى من أصل صيني او هندى ، وذلك ليتم التمازج والتقارب والتفاعل الاجتماعي بين عناصر الامة الثلاثة ، هذه العناصر التى كان بينها في الماضي صراع وصل أحيانا الى حد الصدام الدامي ‥ انها احدى المشكلات التى عانت منها ماليزيا عند ميلادها ‥ نرجىء الكلام عنها الى حين ‥ وتتردد بين صغار الموظفين في دواوين الحكومة كثيرا عبارة « والان أملك بيتا » لقد اقيمت هذه المجمعات السكنية الكبيرة وبيعت شققها لهم بأثمان زهيدة وعلى اقساط مريحة لا تزيد عن ايجارها الشهرى.

ونعرج في طريق عودتنا الى قلب المدينة ، وقد أقبل الليل ، ولكن ما تزال حركة البناء نشطة ، فالعمل يجرى ليل نهار ، وتختلط رائحة الملاط والطلاء برائحة البط المشوى ، التى تنبعث من المطاعم الصغيرة في الساحات الصغيرة والشوارع الجانبية وعلى الارصفة ، التىيقوم الطاهون باعداد الطعام امام الزبائن بمهارة فائقة ، وبنظافة ملفتة للانظار ، وعلى مصابيح الغاز وبين ضوضاء حركة المرور يستمتع الناس بما يختارونه من الاطباق الصينية او الملايوية او الهندية أو الاندونيسية ‥ او حتى من الاطباق الاوروبية الشهيرة ، الكل ياكل حتى يصاب بالتخمة ، سواء في هذه المطاعم او في مطاعم الفنادق الفاخرة او في المطعم الشعبي الذى انشاته الدولة على ضفاف نهر « خاكى » ليقدم للناس وجبة كاملة العناصر الغذائية بثمن زهيد ‥ والكل ينهى وجبته باختيار نوع من الفاكهة من ثلاثمائة صنف مختلف لم نره ولم نذقه في أى بقعة أخرى من العالم ، ولا تسألونا عن أسمائها ! ، وبعد تناول وجبتك اللذيذة تسمع من ينصحك بان تتناول كوبا من مياه الاعشاب المهضمة ، لتجوع ثم تاكل من جديد ، ويتبقى بعد ذلك وقت للهو والترويح .

أغاني أم كلثوم

انهم يهوون الاستماع الى الموسيقى ولكن أى موسيقى ؟

انهم يطربون بسماع صوت أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم حافظ ‥ ان الموسيقى تطربهم ، والصوت يشجيهم ، ولكن الكثيرين لا يفهمون معاني الكلمات ، ويحرص الماليزى أيضا على الذهاب الى المهرجانات والحفلات العامة ‥ وما أكثرها .

ويقول الماليزيون ، ان كوالالمبور مدينة المهرجانات ، فلا يمضى اسبوع دون أن تجد مناسبة يحتفلون بها،فهي بحق مدينة الاحتفالات المستمرة، اعياد وطنية ، واعياد للطوائف الدينية العديدة، ودائما تتصاعد رائحة البخور في الطرقات ، واذا صادف ولم يكن هناك حفل او مهرجان يذهب الماليزى الى مشاهدة عروض الرقص التقليدى وهي عروض كثيرة ‥ فلكل ولاية رقصاتها الشعبية ، وازياؤها التقليدية المزركشة واغلبها رقصات جماعية يغنى الراقصون مقطوعات جميلة يغنون للنهار الذى طلع على ارض ماليزيا بعد ليل طويل ، ومن اشهر الرقصات التى تحوز اعجاب المشاهدين رقصتان تعرفان باسم «حضرة»، « زافين » ويرجع اصلهما الى الجزيرة العربية ‥ وتحكى اكثر الرقصات قصصا نابعة من الادب الشعبى القديم أو تصور لمحات من الحياة الماليزية ‥ فتصور حياة صيادى السمك المكافحين على سواحل خليج ملقا وبحر الصين ، او حياة الفلاحين الكادحين في حقول الارز ومزارع المطاط وغابات نخيل الزيت ، ويعبر الفنالشعبي عن الافراح الشعبية في مواسم الحصاد ،وتصاحب الراقصين موسيقى عذبة تعبر عن فرحة الحياة بنغم سريع خفيف ، وفي كوالالمبور قاعة تعد من اجمل قاعات الفن القومي في جنوب شرقي آسيا، والعمل جار في انشاء قاعة اخرى على مساحة عشرة افدنة ‥



الشيخ يوسف الرواوى . « كان التجار العرب من جنوب الجزيرة العربية والخليج هم الرواد الاوائل الذين حملوا الى هذه البلاد الاسلام .. دينا وعلما ..

سياحة مزدهرة

ان الشعب الماليزى من بين شعوب العالم التى تهتم كثيرا باوقات الراحة فهم يروحون عن انفسهم، ويجددون نشاطهم ، بنفس الرغبة التى يعملون بها ، وهناك بقاع قريبة من العاصمة تتمتع بمناظر فاتنة، وقد اقاموا بها عدة منشات سياحية، لقد حولوا قمم المرتفعات واحضان الغابات الموحشة الى اماكن تذخر بالحياة مملوءة بالسحر والجاذبية وتشع بالدفء الانسانى .. دعينا الى زيارة احدى هذه المنتجعات السياحية على مرتفعات «جنتنج» ، مدينة صغيرة ترتفع على سطح البحر خمسة آلاف قدم ، وعامرة بالبحيرات الصناعية والمتنزهات وحدائق الاطفال وملاعب الجولف ، وحمامات السباحة ، كما تحوى استادا رياضيا لاقامة المباريات الرياضية .. وغير ذلك من اسباب التسلية للكبار والصغار . وبها اربعة فنادق ذات مستويات متفاوته ، لتناسب مختلف الدخول.

والمواصلات اليها سهلة مريحة ، بطريق السيارات ، أو بواسطة « الهليوكبتر » أو بالمركبات الهوائية Cable Car وهذه المنشات السياحية منتشرة فى انحاء البلاد مما شجع الزوار وخلق حركة سياحية نشطة، ويقدر رجال السياحة عدد السائحين هذا العام بمليونين .

لقد طالت جولتنا ، بل جولاتنا فى كوالالمبور وضواحيها ، ونعود الى الفندق ذات ليلة ويودعنا الصديق « عثمان » بعد ان حدثنا بلهجة مصرية قال انه تعلمها فى مصر التى قضى فيها عشر سنوات قال : اترككم الان لكى تستريحوا ، فنحن على موعد فى الصباح الباكر ، موعد مع يوم كريم .

اسلام فليتا عالم

وفى الصباح ياتى صاحبنا مبكرا ، وقد ارتدى الزى الوطنى ، وعلا البشر وجهه ، وهتف بنا قائلا : « لقد جئتم فى ايام مباركة ، فاليوم كما تعرفون الثانى عشر من ربيع الاول ذكرى الاحتفال بمولد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، ذكرى عاطرة فى نفوسنا ، حية فى قلوبنا نستمد منها الاسوة والقدوة الحسنة ، ونحتفل بها احتفالا كبيرا فى كافة انحاء ماليزيا وتعطل فيها المصالح الحكومية ، وهنا فى العاصمة نحتفل فى « استاد مرديكا » ، فلنذهب الان لناخذ اماكننا قبل الزحام ، ونذهب على عجل !

ونجد المكان غاصا بالناس وقد بدا وكانما هو سيمفونية رائعة من الالوان والاناشيد ، صورة جميلة تفوق كل خيال ، ارتدى الجميع رجالا ونساء الملابس الوطنية الزاهية الالوان، واصطفوا فى ساحة الاستاد جماعات جماعات فى صفوف منتظمة ، وحملوا الاعلام والبيارق والشعارات واللافتات المزينة بالزهور ، وقد كتب عليها بالماليزية وبحروف عربية حينا ، والافرنجية حينا - فاللغة الماليزية تكتب بهما - « اسلام فليتا عالم » وتعنى الاسلام نور العالم ، واخذ الجميع يكبرون ويسبحون بحمد الله وينشدون النشيد الخالد.

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع .
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع .

.. وتنشده الفتيات بصوت رقيق عذب ، وبايمان صادق .. تصحبهم موسيقى هادئة .. ويتردد فى الاجواء صوت مقرىء شاب وهو يتلو آيات بينات من كتاب الله وهنا تصمت الافواه ، ونعيش لحظات نادرة من العمر ، تشف فيها الارواح ويكون الاحساس الصادق والايمان العميق هما الحوار الوحيد السائد بين الناس ..

ويلقى الملك كلمة يتبعه رئيس الوزراء وبعض رجال الدولة ، وينتهى الحفل كما بدا بتلاوة الآيات الكريمة . ثم تبدأ مسيرة يحفها الجلال والخشوع ، ويتقدمها الملك والوزراء وسفراء الدول الاسلامية ، يتبعهم حملة الاعلام من أبناء ماليزيا مكبرين ومنشدين الاناشيد الدينية .. وتمضى المسيرة فى طرقات العاصمة الحديثة الى مسجد نيجارا (الوطنى) ، حيث يؤدون الصلاة ثم توزع بعض الهدايا والحلوى ، يحملها كل واحد الى بيته واهله .





- الماليزية نحيلة رشيقة دقيقة القوام لها جمال وسحر خاص وتتمتع بحيوية حقيقية وقد اثبتت المرأة الماليزية الحديثة وجودها فى جميع المجالات واقبلت على التعليم .. وكثيرات منهن يدرسن فى الكليات الاسلامية ، والماليزية متحشمة بوجه عام .. بخلاف الماليزية من الاصل الصينى فهى تميل الى التحرر ورغم هذا فهناك انسجام والتفاهم [illegible] .

صورة من الماضي ، تجرى فصولها في اطــار حديث من البنايات العالية ٠٠ بنايات حديثــة شاهقة من الفــولاذ والزجاج ٠٠ هي بعض من الصورة العامة لملامح ماليزيا اليوم ، المــاضي يمتزج بالحاضر ، الماضي بصوفيته وروحانيته ، والحاضر بماديته وعقلانيته ٠٠ ان الحضــارة الحديثة تشدهم ، ولكنهم لا ينســون جذورهم وتراثهم وتقاليــدهم وقيمــهم الدينية ، حتى انهم عندما يريدون تشييد صرح تذكاري يخلد ذكرى استقلال الملايو ، لا يجد « تنكو عبد الرحمن زعيم البلاد ورئيس وزرائها آنذاك ومحقق استقلالها افضل من انشاء مسجد كبير هو « مسجد نيجارا » يرمز لهذا الاستقلال ، ويحدثنا الشيــخ يوسف الزواوي عضــو مجلس البحوث الاسلامــية فــي كوالالمبور قائلا ، « العقيدة عندنا ارتبطت بالحرية والعزة وبالكرامة والاستقلال ، والدين هو الذى الهب مشاعر الشعب وحض الناس على الكفاح والنضال ، وتعبيرا منا عن الامتنان والشكر لله ، شيدنا هذا المسجد الكبير ليكون من أبرز معالم عاصمتنا ، ويجتهد مصممه المهندس الماليزي «بحر الدين ابو قاسم » في أن يكون تصميمه معبرا عن روح العمارة الاسلامية في اسلوب معماري حديث، ومستوحى من البيئة الماليزية،يقتبس منها ويعطينا كثيرا من الرموز والدلالات ، ففي ساحات المسجد الخارجية اقيمت عدة اعمدة من المرمر مستقيمة عالية ، وسط بحيرات صناعية ونافورات بديعة ، كلها مستوحاة من طبيعة ارض ماليزيا التى تغطى الغابات الكثيفة ثلثي مساحتها ،وكذلك جاء تصميم قبة المسجد من وحى الطبيعة في بلادنا ، فالسماء تمطر طول العام ، والناس يسيرون في الطرقات حاملين المظلات لتقيهم من مياه الامطار ، وهــذه القبة ، قبة المسجد الكبيرة هي مظلة الاسلام التى تحمى ماليزيا وتقيها من تقلبات الزمان ٠ ولقد تاثر المهندس الذى صمم المنارة ايضا ، بالعصر الذى نعيشه اليوم ، عصر الاقمار والصواريخ ، فشيد المئذنة على شكل صاروخ موجه الى السماء، بارتفاع ٢٣٥ قدما ، يرمز به الى أن الاسلام دين حرية وانطلاق ، صالح لكل زمان ومكان ، وهذه المنارة مجهزة من الداخل بمصعد كهربائي ، وسلم لولبى تغطى جدرانها النقوش والزخارف الاسلامية البديعة ، وقد الحق بالمسجد عدة قاعات للاحتفالات

والاجتماعات الدينية ومكتبة وغرف لاستراحة كبار الزوار ، وغرف اخرى لايواء الغرباء ، كما اقيم بجوار المسجد ضريح لابطال الامة ٠٠ والمسجد وملاحقه كلها مكيفة الهواء ، ويتسع لتسعة آلاف مصل في وقت واحد ، وقد خصص للنساء مكان خاص بهن ٠ وبلغت مســاحة المسجد والحديقــة المحيطة به خمسة عشر فدانا ، وتكلف عشرة ملايين دولار ماليزي ـ اى ما يعادل مليونا وربع مليون دينار كويتي ، اكثرها من تبرعات الشعب بكافة عناصره وطوائفه الدينية » ٠ ثم يستطرد الشيخ الوقور قائلا :« الروح الدينية عميقة الجذور في نفوسنا نحن الماليزيين،فالحفلات الرسمية وكذلك جلسات البرلمان نبدأها بالدعاء الى الله والابتهال اليه ، وفي كل مدينة عشرات المساجد ، وفــي القرى الكبيرة والصغيرة تجد المساجد او الزوايا لاداء الصلوات الخمس ، ويحفظ اغلبنا آيات القرآن الكريم عن ظهر قلب ونعرف ترجمــة معانيها بلغتنا ، ونصوم شهر رمضان المبارك، ونحتفل به احتفالا كبيرا ، وقمة احتفالاتنا هي مسابقة في تلاوة آيات اللــه البينات ، وهــي مسابقة كبرى تجرى على مستوى الدولة والفائزون من المدن والقرى يتقدمون للمسابقة الختامية التى تجرى في استاد الحرية ويشترك فيها متسابقون من جميع انحاء العالم الاسلامي ، وتوزع علــى الفائزين مكافآت مجــزية وهدايا ثمينة ٠٠ كما اننا نحرص على اداء فريضة الحج ، فيخرج من ماليزيا ما يزيد على ١٥ الف حاج كل سنة ، ولنا نظام فريد في تيسير اداء الفريضة علــى متوسطي الحال ، حيث انشانا « مؤسسة الادخــار لشؤون الحجاج » يدفع الراغب في الحج قسطا شهريا يتناسب مع دخله ، والمؤسســة تستثمر اموال الراغبين في الحج في مشاريــع زراعيــة وصناعية ، وبذا تخفف عليهم نفقات الحــج ، بفضل عائد هذه الاستثمارات كما ان الحكومــة والجمعيات الاسلامية تحرص على ايفاد البعثات الى مصر والسعودية والعراق والكويت لتلقــي علوم الدين في الجامعات والمعاهد الاسلامية ، كما انشانا مؤسسة للدعوة الاسلامية ، واخرى للاقتصاد الاسلامي ، لدعم نشاط الدعوة فــي ماليزيا ٠٠ ان للدين كما رايتم قدسيته واحترامه في بلادنا ٠

شدنا ما رأيناه وما سمعناه فى الاحتفال بالمولد النبوى ، واذن لم يكن غريبا ان نمضى مع الشيخ الوقور فى رحلة أطول ، يحكى لنا خلالها قصة دخول الاسلام الى هذه البلاد ٠٠ فما احوجنا الى الحديث عن الدين وكل مايتصل به فى حاضرنا الذى نعيشه اليوم ولعل ماليزيا اكثر احساسا بقوة هذا الحصن الذى يقف ليصد عنها تيارات الالحاد التى تجتاح هذه المنطقة فى القارة الاسيوية .

ويندفع الشيخ فى الحديث وكاننا فتحنا لــه بابا كان يقف أمامه مترددا ويقول : « ان قصة دخول الاسلام الى جنوب شرق آسيا ماأروعها من قصة ٠٠ قصة باهرة تتجلى فيها احدى صور الحضارة الاسلامية ، وفيها دلالات عميقة المغزى لما تفعله قوى الايمان ، وتحققه قوة العقيدة ،من طموحات غيرت مجرى التاريخ ، وتركت بصماتها فى نفوس الناس .

ويصمت الشيخ ذو اللحية البيضاء فترة وكانه يجمع شتات أفكاره ٠٠ ثم تخرج الكلمات على لسانه هادئة قوية ٠٠

« لم يدخل الاسلام هذه المنطقة عن طريق الغزو المسلح بل زحف مع قوافل التجار العرب ٠٠وعن طريق الاحتكاك السلمى ، ومعاملات الاخذ والعطاء وبالاقناع والاقتناع غزا القلوب والعقول »وينهض الشيخ من جلسته مهرولا ، ويعود الينا وبين يديه خريطة كبيرة اعدتها احدى الجمعيات الاسلامية فى ماليزيا للعالم الاسلامى ، ويبسطها امامنا،ويكمل حديثه قائلا ٠٠

« لنبدأ القصة من أولها ٠٠ كانت سفن التجار العرب تخرج من جنوب الجزيرة العربية ومن الخليج العربى وتمر بجزر لكديف،ثم تواصل سيرها الى ساحل ملبار على شاطىء الهند الغربى، لتستريح فى « كمياية وقاليقوت » وتتزود ثم تمضى فى رحلتها حول شبه جزيرة الهند مـارة بجزيرة سرنديـب (سيلان) ويواصلون السير حول سواحل الهند الشرقية حتى يبلغوا ساحل شبه جزيرة الملايـو وعندها يحط البعض فى أرضها بينما يستانف الآخـرون سيرهـم الـى « اتشيـة » فى شمـال سومطرة ٠٠ وهكذا كانوا يواصلون رحلاتهم حتى وصلوا الى « كنتون » على ساحل الصين الشرقى.



الداتوقمر حاج عبدالله . « دولتنا تكافح لكى تثبت ان مجتمعا متعدد العناصر يمكن ان ينمو ويزدهر على اساس تكافؤ الفرص والمساواة فى المعاملة ٠ »

ويستطرد الشيـخ الزواوى قائـلا « كان هؤلاء التجار هم الرواد الاوائل الذين حملوا الى هذه البلاد الاسلام دينا وعلما ،فقد كانوا ملمين بفنون الملاحة، وانشاوا الجوارى فى البحر كالاعلام ٠٠ خاضوا بها امواج البحار ٠٠ تجارا حاذقين ودعاة دين مؤمنين ٠٠ غرس الاسلام فيهم فضائله وامانته وصدقه ، فاعجب بهم اهالى البلاد ، واحبـوهم ودخلوا فى دينهم واصبحوا مسلمين مثلهم ، وتذوقوا رحيق الاسلام ، وفهموا مبادئه وتعاليمه٠٠ فتحولوا هم انفسهم الى دعاة مخلصين لدينهم الجديد ، وانتشروا فى انحاء شبه الجزيـرة مخاطبين الناس بلغتهم » .

سلطنة ملقـــا

ويستطرد قائلا : « هكذا بدأ الوجود العربـى الاسلامى فى ماليزيا ٠٠ استقر اولا فى المـدن الساحلية ، ثم اخذ يتوغل فى الداخل ،وتاسست عدة دول اسلامية ٠٠ فى ترنجانو على الساحل الشرقى ، وقد عثر فيها على حجر عليه كتابات بالحروف العربية يرجع تاريخه الى سنة ١٣٠٣م، كما واصل الاسلام زحفه غربا الى ولاية كلنتان٠٠ لكن اهم هذه الدول هى التى اسسها احد امراء سومطره عندما ابحر الى ملقا ★ على الساحل

★ ملقة اوملاكا ويعتقد بعض المؤرخيـن أنها محرفة عن كلمة « ملاقاة » العربية للدلالة علـى أنها كانت موقعا يتلاقى فيه التجار .



الغابات تغطي ٢/٣ مساحة ماليزيابشطريها٠٠الغربي في شبه جزيرة الملايو والشرقي في شمال جزيرة بورنيو في ولايتي صباح وسرواكوتعتبر غابات سرواك من المناطق التي لايعرف منها الا القليل في العالم وليس للسكان الذين يعيشون في الغابات سوى اتصال ضئيل بالحضارة ٠٠ فهم يعيشون على الفطرة على هيئة تجمعات صغيرة وتعيش كل مجموعة في بيت خشبي واحد يطلقون عليه البيت الطويل(يسار تحت) ويعتمدون في معيشتهم على الصيد بواسطة قصبة مجوفة من الغابة يوضع في داخلها سهم دقيق من الخشب المغموس في سم مستخرج من نباتات الغابة ويطلق السهم في القصبة بقوة النفخ بالفم الى





الفريسة (يمين تحت) ولهذه الطوائف تقاليدها ومعتقداتها الاسطورية ،وقد كانوا منذ سنوات يعيشــون عراة كما ولدتهم امهاتهم الا في الاعياد حيث ترتدى الفتيات ازياء شعبيةزاهية الالوان (يسار فوق) ‧‧ وقد بدات الحكومه ترعى هذهالقبائل وتعنىبها وترفع منمستواها الاقتصادى والاجتماعىكما بدأت بعضالجمعيات الاسلامية في توعية هذه الطوائف البدائية ودخلت بعضها الىالاسلام وفتحت لهم المدارس والمستوصفات واوجدت لبعض رجالها ونسائها الاعمال وبداوا يشاركون في الحياة العامة‧

الساحل الجنوبي الغربي من شبه جزيرة الملايو ، واسس هناك دولة جديدة ٠٠ ثم اعتنق الاسلام وسمى نفسه محمد اسكندر شاه، ونمت هذه الدولة واتسعت واصبحت اكبر سلطنة اسلامية في القرن الرابع عشر الميلادى ،واصبحت دولة غنية ، تتمتع بمركز تجارى هام وتتاجر مع الصين والهند ، كما اصبحت مركز اشعاع ودعوة للاسلام ، فانتشر الى المناطق من حولها الى الحد الذى دفع احد ملوكها منصور شاه ـ الذى توثقت علاقته بامبراطور الصين الى الزواج من ابنته الاميرة هنج لى بو ٠٠٠ ويعتقد بان هذا الامبراطور كان مسلما ٠٠ وقد استعملت في عهد منصور شاه الحروف العربية لكتابة اللغة الملايوية ٠٠ واصبح الاسلام قانون البلاد ٠

ويتوقف الشيخ الزواوى مرة اخرى وبصوت خافت يقول : وتغرب شمس دولة « ملقا » عام ١٥١١ م وتسقط تحت سنابك البرتغاليين بعد فترة وجيزة من اكتشافات فاسكودجاما الطريق البحرى الى الشرق ودخول السفن البرتغالية المحيط الهادىء ، وبدأ الاستعمار الاوروبى يضع أقدامه في شرق آسيا ٠٠ وسيطر البرتغاليون على تجارة القصدير والتوابل ، حتى طردهم الهولنديون في النصف الاول من القرن السابع عشر ، وسيطروا على التجارة فى كل منطقة الخليج « ملقا » لمدة مائة عام « ويستمر الاستعمار ثقيلا على صدور ابناء الملايو ،وفي حوالى عام ١٨٠٠ وصل الانجليز عتاة الاستعمار » ٠ ويختتم الشيخ حديثه قائلا : « لقد غربت شمس ملقا ، ولكن لم تغرب شمس الاسلام في قلوب الملايويين ٠٠ استولى المستعمرون على الأرض والثروات ، ولكن لم يستطيعوا المساس بعقيدة الناس لانها كانت تملأ قلوبهم ٠٠ وبقى الاسلام في هذه البقاع وسيبقى ما بقيت الحياة في ماليزيا ٠٠

وينتهى الشيخ من حديثه ونعود الى الفندق ٠

وامضى في الرحلة وحدى مع كتب التاريخ ٠٠ لقد طالت رحلة التاريخ ، ولكن هل نستطيع ان نطرح الماضى عندما نتحدث عن الحاضر ؟

وبدأ الاستعمار البريطاني

بدأ الاستعمار الانجليزى بموضع قدم ،بحجة ان شركة الهند الشرقية ـ المشهورة بانها كانت اولى فصائل الاستعمار الانجليزى في الشرق ـ كانت بحاجة لمجرد مركز لتجارتها مع الصين ٠٠ فاستاجروا جزيرة « بينانج » على الساحل الغربى لشبه الجزيرة وفى عام ١٨٢٤ اخذوا ملقا من الهولنديين مقابل جزء من غرب سومطرة واخذت بريطانيا تستولى باساليب الخداع حينا ، وبالقوة احيانا على ولايات الملايو ٠٠ حتى اصبحت المنطقة كلها بين بينانج وسنغافوره تحت النفوذ البريطانى، كما استطاعت ان تبسط نفوذها على شمال غرب جزيرة بورنيو ٠٠

ماذا صنع الانجليز بحيث استطاعوا احتلال الملايو حتى عام ١٩٥٧ ؟ ٠٠

فى هذه الفترة استغلوا ارضها ، واستولوا على خيراتها ، وحملوا كل ماله قيمة ووضعوه على سفنهم ، وابحروا به الى بريطانيا في عملية نهب منظمة ٠

قصة المطاط

الذى نعرفه عن ماليزيا اليوم انها بلد المطاط، ولكن لم يكن للمطاط اثر فى ارضها قبل دخول الانجليز ، انهم لم يهتموا بادخال زراعة المطاط من أجل الملايو ، ولكن من اجل اقامة حقول للمطاط يستغلونها لتنمية اقتصادهم ، فقد استطاع الانجليزى هنرى ويكهام سنه ١٨٧٣ ان يهرب ٧٠ر٠٠٠ بذرة من بذور شجرة الهيفيا (شجرة المطاط) من البرازيل وتمكن الخبراء من زراعتها فى المستعمرات التى يشبه طقسها طقس البرازيل، ومن هذه المستعمرات كانت الملايو ، حيث نجحت نجاحا مثيرا جعل الحكومة الانجليزية تتوسع فى زراعة أشجار المطاط ، بالاضافة الى رغبتها فى استغلال مناجم القصدير على نطاق واسع الامر الذى تطلب الاستعانة باعداد كبيرة من الايدى العاملة،وكان للمستعمر الانجليزى موقف عنيف غير انسانى ، فقد استعان بعمال من الخارج وعهد اليهم بالعمل ، فجاء الهنود من جنوب الهند للعمل فى مزارع المطاط ، والصينيون من جنوب الصين للعمل فى مناجم القصدير ٠٠ وكذلك مارس الصينيون التجارة ايضا ، كما هى عادتهم في اى مكان فى جنوب شرقى آسيا ،أما اهل البلاد فقد اهملهم المستعمر عامدا متعمدا ٠٠ لم يحاول ان يدربهم ، بل عمل على ابعادهم عن مصادر الثروة فى بلدهم ٠٠ وعزلهم عزلا تاما عن الحضارة ،

فابعدهم بعيدا هناك فى مزارع الارز او علــى الشواطىء ٠٠ حيث يرمى الملاوى الشباك ،فتاتى له بطعام يومه سمكا يشـويه وياكله ثم يقضى بقية يومه خاملا فى كوخه بين اشجـار الغابـة الوارفة الظلال ٠٠ وهكذا ظل اهل البلاد فقراء متخلفين ٠٠ بينما فتح الانجليز أبواب البلاد على مصراعيها للمهاجرين والمغامرين ، وساندهم ، وشجع مجيئهم باعداد كبيرة ، وعاش هؤلاء فى المدن التى اكتظت بهم واصبحوا يمثلون نسبة تقارب ٥٠ ٪ من مجموع السكان ٠٠ وقد شكل هذا الخليط من الاجناس عقبة فى سبيل نمو الحركة الوطنية ، بل ان البريطانيين استغلوا الحقيقة الواقعة التى كانت من صنعهم هم انفسهم وهى ان الصينيين اغلبية ، كذريعة لاستمرار حكمهم بحجة حماية أهل البلاد الملايويين منتهديد السيطرة الصينية ٠

منطق لايمكن ان يكون الا منطقا انجليزيا ايام كان الاسد البريطانى ما يزال يهز ذيله زهوا ،ثم ان ماليزيا كانت فى ذلك الوقت مقسمة الى عدة ولايات مما جعل الانجليز يمارسـون النظريـة الرومانية الشهيرة « فرق تسد » ٠٠ لقد كانت سهلة التطبيق هنا فى الملايو عنها فى اى مكان آخر ٠٠ وتستمر بريطانيا فى استنزاف ثروات الملايو، وخصصت ثلثى المناطق الزراعية للمطاط، وتوسعت فى استغلال مناجم التصدير ٠

حاملــوا الشــعلة

وتحت سماء الاستعمار التى امتلات بالسحب والغيوم السوداء الداكنة عاد ابناء ماليزياالذين كانوا يتلقون علومهم الدينية فى الخـارج ٠٠ عادوا وفى صـدورهم صـيحة الحـرية ٠٠٠ كيف ينتزعون اسـتقلال بلادهم من ايدى هؤلاء القراصنة ، لقد ظن الانجليز وهم يسمحون لأبناء ماليزيا بالخروج من بلادهم للتفقه فى الدين انهم قد وضعوهم فى هذا الاطار الضيق ونسوا ان الاسلام حرية وعزة وكرامة ٠٠

وبدا الشباب الوطنى المتحمس العائد بسـلاح الايمان بالدين والله والوطن ٠٠ بداوا يجتمعون بالناس فى المساجد والزوايا الصغيرة فى المدن والقرى ٠٠ يبثون فيهم روح الوطنية ٠٠ ونجحوا فى تاسيس « اتحاد الشباب الملايوى » وكانت هذه نقطة انطلاق فى تنظيم العمل الوطنى ، وجـاء استيلاء اليابانين فى الحرب العالمية الثانية على الملايو وبورنيو فى اقل من شهرين عاملا مساعدا للحركة الوطنية ٠٠ فقـد شعر ابناء المـلايو ان الانجليز ليسوا بالقوة التى يظهرون بها ، وعندما انهزم اليابانيون عاد الانجليز وكانت الحركـة الوطنيـة قد ارست قواعـدها ، وعلت صيحة الوطنيين فى كل مكان « مرديكا ٠٠ مرديكا » ٠٠ الحرية ٠٠ الحرية ، ولجا الانجليز الى المراوغة وكسب الوقت ، وبذر بذور الشقاق بين الوطنيين كما هى عادتهم دائما ، بعد ان تاسست عدةاحزاب مختلفـة ، وارادوا ان يمتصـوا غضب الناس ، فقدموا لهم مشروعات براقة ، لكنها فى الواقع لا تغير من واقع الامر شيئا ٠٠ ولا تنطلى الحيلة على الوطنين الذين وحدوا كلمتهم ، ورفضوا كل الاقتراحات التى تقدم بها الانجليز لمنحهـم استقلالا شكليا ٠ وواصلوا النضال الذى تكلل آخرا بالنجاح ، بعد صبر طويل ، وكفاح مرير ، ومفاوضات مرهقة ، فقد ظفروا فى عام ١٩٥٥ بدستور جديد ، تحولت بمقتضاه مسؤولية الحكومة الى مجلس للشعب واجريت انتخابات عامة نال فيها حزب التحالف اغلبية الأصوات بزعامة تنكو عبد الرحمن ، وكان هذا التحالف يضم ثلاثـة أحزاب مؤتلفة ٠٠ هى حزب منظمة الملايو الوطنية المتحدة ، وحزب التجمع الملايوى الصينى ، وحزب المؤتمر الملايوى الهندى ٠

وفى ٣١ اغسطس سنة ١٩٥٧ اعلن استقلال الملايو ٠٠ بفضل وحدة الوطنيين المسلمين وتضامن كافة عناصر الامة بمختلف طوائفها ، وكانت اهم خطوة اقدمت عليها حكومة الاستقلال انها منحت الجنسية الملايوية لكل مقيم فى البلاد ٠ واصبح اتحاد الملايو حقيقة واقعة وظهرت الى الوجود دولة ملكية وحيدة فريدة فى نوعها ، حيث انملك الدولة يتم اختياره كل خمس سـنوات من بين سلاطين الولايات ، ونص دستور البلاد على ان الاسلام دين الدولة ، كما نص الدستور ايضا على حرية الاديان الاخرى وحدثت تطورات اخرى دستورية فى كل من اقليمى ٠٠ سرواك وبورنيو الشمالية ، وكذلك فى جزيرة سنغافورة ، ادت الى استقلال ذاتى فى كل اقليم منها ٠

مولد ماليزيـا

واشرقت على المنطقة شمس الحرية ، بشعاع

الطغيان وصارعوا الاستغلال وحاربوا الظلم والاستعباد ، يريدون الوحدة من أجل بناء دولة جديدة موحدة .. من أجل بناء ماليزيا جديدة .. ماليزيا الديمقراطية والحرية والمساواة وسرعان ما لقي هذا النداء تجاوبا مع الفكرة التي طرحها تنكو عبدالرحمن ، وهي ايجاد اتحاد بين دولة الملايو الجديدة ، وبين سرواك وشمال بورنيو ، وبروني وسنغافورة ، وتمت موافقة ثلاث منها ، وولدت دولة ماليزيا التي اصبحت تتكون من اتحاد ولايات الملايو الاحدى عشرة ، ومن سرواك وصباح (الاسم الذى اطلق على شمال بورنيو)وسنغافورة وفضلت بروني ان تبقى مستقلة عن هذا الاتحاد، ولظروف خاصة بها انسحبت سنغافورة بعد مضى عامين ، اى في اغسطس ١٩٦٥ وبقيت الولايات الثلاثة عشرة تحت راية ماليزيا الدولة الاسلامية الجديدة.. واذن لم تتمزق ماليزيا كما أرادوا لها وتوقعوا ..

لم يعودوا فقراء

ولكن كيف استطاعت اول حكومة لماليزيا الحرة المستقلة ان تحل مشكلة ابن البلد الفقير الذى يعيش في كوخه الصغير ويصطاد السمك ويزرع الارز في الريف معزولا عن الحياة والمدينة ، الصينيون يسيطرون على التجارة والصناعة ، وكذلك يعمل الهنود في التجارة ويعيشون في بحبوحة من العيش في المدن وينعمون بكل معطيات الحضارة ؟ استوقفنا هذا التساؤل ، فحملناه وذهبنا به الى « الداتوقمر حاج عبد الله طيب وزير الاعلام » قال : نعم .. لقد خلف لنا الاستعمار تركة ثقيلة من المشاكل .. لم تكن فرص النمو متاحة لكافة عناصر الامة بالتساوى ، بل كان الفرق شاسعا بين العناصر الوطنية التي تعيش في الريف والعناصر الوافدة التي تعيش في المدن ، والتي أتيحت لها فرص العمل وفرص تحقيق الثروة وهم أصحاب الفعاليات الاقتصادية ، كبارهم يتمتعون بكل نعم الحياة ، وصغارهم ينعمون بالسكن المريح والغذاء الصحي والتعليم المتقدم، بينما أهل البلد غارقون في الفقر والجهل والمرض . ولم يكن ممكنا ان يستمر هذا الحال بعد الاستقلال ، وكان علينا ان نتحرك بسرعة ، فرسمنا سياسة سريعة ، استهدفت ازالة آثار حكم الاستعمار ، ومحاربة الفقر والتخلف

... ووضعت برامج التنمية الخمسية التي كان هدفها اذابة الفوارق الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين عناصر الامة ، وتطوير المجتمع الملاوى ، وخلق التوازن الاقتصادى بين الريف والمدن ، وازالة الفروق الكبيرة بينهما ، ولم تكن خططنا ضد اى عنصر من العناصر ، بل كانت من اجل الفقراء والمعدمين بصرف النظر عن أصولهم » . ثم قال الداتوقمر : « لقد انجزنا منذ الاستقلال خطتين خمسيتين للتنمية ، وبدانا منذ سنة في تنفيذ الخطة الثالثة .

التنمية الزراعية

وتحدث الوزير عن دور التنمية الزراعية في نمو اقتصاد ماليزيا قائلا :

« كان مستقبل بلادنا الاقتصادى مرهونا بمدى قدرتنا على تطوير امكاناتنا الزراعية واستغلالها الاستغلال الامثل،لاسيما انها مورد طبيعي،غير قابل للاستنزاف .. كما اصبحت المحاصيل الزراعية تشكل عامل قوة عالمية لا يقل اهمية عن النفط . فعملنا على زيادة المساحة المزروعة وذلك بتطهير أراضي الغابات من أشجارها ثم اعدادها للزراعة ، وتوطين سكان جدد لتنميتها واستثمارها واقيمت مستوطنات او مشروعات زراعية سكنية تم تخطيطها واعدادها لتكون أساسا لنشاط زراعي افضل ، وتقوم الحكومة في بعضها بتقديم الاراضي مزروعة اما بأشجار المطاط او اشجار نخيل الزيت للاهالي او الملاك الجدد الذين لا يطلب منهم سوى رعاية تلك الاشجار وجنى محصولها، وشقت طرق ممهدة لهذه المستوطنات ، وزودت بجميع المرافق الضرورية من مدارس وعيادات ومساجد وأسواق ، وزودت أيضا بالكهرباء والمياه الصالحة للشرب .. ولقد خصصنا لكل اسرة بيتا تحيطه مساحة من الارض ليزرعها بالخضروات والفاكهة اللازمة لغذائه . كما ساعدنا المزارعين في مزارع المطاط القديمة على اعادة زراعتها باشجار شابة غزيرة المحصول .. واقيمت عدة دورات تدريب وتوعية وزودت المزارع بوسائل التكنية الحديثة من الآلات والجرارات التي تنتجها المصانع في ماليزيا .. وبدأ الفلاح الماليزى يعرف ان وفرة المحصول او قلته ليست نتيجة لتدخل قوى خارجية خارقة بل ان المحصول الجيد لا يتحقق الا نتيجة لاتباع

اساليب حديثة .. وساهمت وسائل الاعلام من تلفزة واذاعة فى تعريف الفلاحين بما يدور فى العالم الكبير من حولهم خارج قريتهم الصغيرة كما كانت وسيلة لارشادهم الى اسلوب الحياة الحديثة » .

اللغة ومشكلاتها

وتحدث الوزير الطيب عن سياسة التعليم ، وعن دور اللغة فى توحيد وتمازج عناصر الامة قائلا : « لقد اتيحت للملاويين لاول مرة فرصة التعليم الابتدائى والثانوى والجامعى الذى كان بالنسبة لهم حلما من الاحلام قبل الاستقلال فاصبح التعليم اليوم فى متناول ابناء الفلاحين وصيادى الاسماك .. » واضاف : « كان من اهم المشكلات التى واجهتنا مشـكلة اللغة . فلكل عنصر من عناصر الامة لغته .. فعملنا على ان تكون اللغة الماليزية لغة التدريس لكافة المواد فى كافة مراحل التعليم ، وشجعنا الموظفين من غير الملاويين على تعلم اللغة الماليزية ويجرى امتحان سنوى للعاملين فى خدمة الحكومة او فى القطاع العام ويراعى عند ترقيتهم نجاحهم فى هذه الامتحانات .. »

فى ميدان التجارة والصناعة

وحول تشجيع الملاويين على مزاولة مهنة التجارة والعمل فى مجال الصناعة قال الداتو الطيب : « لقد كان ضمن خطط التنمية ، تشجيع الملاويين على الاشتراك فى الاعمال التجارية والمشروعات الصناعية الحديثة ، وقدرت الخطة انه فى خلال الخمسة عشر عاما القادمة سيكون اكثر من ٣٠٪ من المؤسسات الصناعية والتجارية فى ماليزيا بايدى الملاويين ، ولقد اهتممنا باعداد الجيل الجديد ، فافتتحنا المعاهد التجارية ، وتوسعنا فى افتتاح معاهد وكليات التجارة والعلوم والتكنولوجيا فاصبح عندنا جامعات للزراعة والتكنولوجيا .. التى ساهمت فى تخريج مجموعات كبيرة من الشباب المؤهل للعمل فى مجالات التجارة والصناعة والاعمال » .

ان الملايوى ابن البلد عندما تعلم واتيحت له الفرصة ، استطاع ان يثبت وجوده بنجاح فى اى موقع من مواقع العمل فى شتى ميادين الحياة ، ولقد ضرب بعضهم ارقاما قياسية عالية فى الانجاز والنجاح .

لا صراع .. ولكن تنافس

ويستانف الوزير حديثه معنا : « لقد خاب ظن الذين كانوا يقدرون ان بلادنا سوف تصبح جحيما عنصريا ، فاصبحت دولتنا تكافح لكى تثبت ان مجتمعا متعدد العناصر يقوم على اساس تكافؤ الفرص والمساواة فى المعاملة ، مثل هذا المجتمع يمكن ان ينمو ويزدهر .. لقد نجحت دعوتنا ، واختفى الصراع ، وبقى التنافس المشروع ، ووضعت كل الطاقات فى العمل الجاد المثمر بدلا من اضاعتها فى الخصومات العنصرية .. وانصرف الجميع ليحققوا مزيدا من التقدم الذى يساعد على زيادة الرفاهية، فاصبحت تتمتع بلادنا بنشاط اقتصادى كبير ويزداد دخل الفرد سنة بعد سنة والارقام خير دليل ، فقد ازداد معدل دخل الفرد فى العام من ٨٧٠ دولارا فى عام ١٩٦١ الى ١٣٨٠ دولارا فى ١٩٧٣ ، كما وصلت معدلات النمو فى الخطة الخمسية الثانية الى ٤ر٧٪ وتهدف خطتنا الخمسية الثالثة (١٩٧٦ ـ ١٩٨٠) الى رفع معدل النمو الى ٥ر٨٪ » .

ثم قال الوزير : « اننا نعرف ان هناك لعابين فى وضع الانتظار تترقب الفرصة لتبذر بذور الصراع تشجعها قوى من الخارج .. ولكن عيون الدولة مفتوحة .. ترقبها .. ان رفع مستوى المعيشة يحبط خططهم .. ان دور الاعلام الرئيسى فى بلادنا ، هو العمل على وحدة الامة الماليزية وتعميق الاتجاه الدينى وتوعية الناس وتثقيفهم دينيا ..ونحن نعتقد ان الاسلام هو خير ايديولوجية صالحة لكل زمان ومكان .. وهى كفيلة بصد التيارات الهدامة عن بلادنا » . ثم قال : « اننا وطدنا العزم على ان نتفادى بكل ثمن رؤية بلادنا تتحول الى منطقة صراع وفوضى فتلهب ارواح الناس هدرا .. فالحرية مكفولة للجميع ..

وعدنا الى غرفنا فى تلك الليلة ، بعد هذا الحديث الطويل الممتع وخطر لنا ان نشاهد التلفزيون وما ان تابعنا برامجه حتى احسسنا اننا لم نترك شرقنا العربى .. اذان العشـاء ومآذن المساجد تملأ الشاشة الصغيرة .. تعقبها آيات من كتاب الله ، وربما يكون الشىء الوحيد الذى يختلفون فيه عنا هو شرح باللغة الماليزية لمعانى هذه الآيات الكريمة ■■

محمد حسنى زكى



بقلم : محمد حمزة كيلانى

ان لاكتشاف مدينة ارغاريت لصة طريفة ، فهذه المدينة القديمة لم يكن اسمها معلوما قبل العام ١٩٢٩ الا من خلال بعض الرسائل التى يعود تاريخها الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وقد وجدت فى تل العمارنة بمصر • بالاضافة الى كتابات عثر عليها فى مارى Mary بسورية،وايضا فى كتابات مسمارية اكتشفت فى بوغاز كوى Boghoz Keuy بالاناضول • وهذه الكتابات جميعها لم تشر الى موقع المدينة وانما اكتفت بذكر خبرها كما هو الحال مثلا فى تحرير موجه من ملك صور الى الفرعون امينوفيس الرابع يقول فيه : وقد هدمت اوغاريت مدينة الملك بالنار فنصفها احترق والنصف الآخر اصبح الرا بعد عين •

ماحدث انه خلال آذار (مارس) عام ١٩٢٨ كان فلاح سورى يحرث ارضه فى قرية (مينة البيضاء) القريبة من اللاذقية بسورية ، ويقلب ترابها بمحراثه فاذا به صدفة يقلب الكثير من المفاهيم التاريخية والفنية القديمة راسا على عقب •

فقد ارتطم محراثه ببلاطة فى الارض الخصبة فاحدث دويا مازال يتردد فى انحاء المعمورة •

لابد انه لعن حظه فى تلك اللحظة،فالبلاطة كادت ان تكسر سكة المحراث ولانه لم يكن يعلم بعد ان تحت البلاطة حفرة حين هبط اليها افضت به الى سرداب يؤدى الى قبر قديم • ولم يدر وقتها انه سار الخطوة الاولى نحو اكتشاف مدينة من اعرق مدن العالم القديم حضارة وتاريخا واجلها عظمة ، وهى مدينة اوغاريت المعروفة الآن ب (راس الشمرة) •

جاءت السلطات الفرنسية المنتدبة على سورية آنذاك ووضعت يدها على المنطقة ، واتصلت باكاديمية الفنون الجميلة فى باريس التى اوفدت بعثة للتنقيب عن هذه الآثار برئاسة العلامة كلود شيفر •

وبدات البعثة عملها بتاريخ ٢ نيسان (ابريل) ١٩٢٩ • وبعد خمسة اسابيع فقط وجدت نفسها امام تل يضم آثار خمس مدن متراكمة بعضها فوق بعض طمسها الزمن وعدت عليها العوادى فوارتها تحت الركام •

وتتابعت الحفريات فى خريف كل عام منذ ذلك التاريخ ، وفى كل مرة كانوا يجدون آثارا غنية وتحفا رائعة يتلقفها العالم باعجاب وتقدير وظلت الحفريات متصلة حتى توقفت بسبب الحرب العالمية الثانية • غير انها ما لبث ان استؤنفت عام ١٩٥٠ تحت اشراف الحكومة السورية •

طبقات تل راس الشمرة

قبل ان نبدا حديثنا عن اوغاريت يجدر ان نعرف



« آيل » كبير الآلهة فى أوغاريت

الى اى عهد تعود طبقات تل راس الشمرة • فقد اهتدت الابحاث الى خمس طبقات الرية تاريخية رئيسية فى التل كما ذكرت :

ـ الطبقة الخامسة : من العهد الحجرى القديم او النيوليتى (الالف السادس ـ الالف الخامس ق • م) •

ـ الطبقة الرابعة : تعود الى النصف الاول من الالف الرابع ق • م •

ـ الطبقة الثالثة : تعود الى النصف الثانى من الالف الرابع ق • م وحتى العام ٢١٠٠ ق • م•

ـ الطبقة الثانية : تعود الى العام ٢١٠٠ ـ ١٦٠٠ ق • م •

الطبقة الاولى : تعود الى العام ١٦٠٠ ـ ١٢٠٠ ق • م •

وجدير بالذكر ان حديثنا فى هذا المقال يتعلق كله بالطبقة الاولى من تل راس الشمرة وخاصة القرون الخامس عشر والرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد التى تعتبر عهد المدينة الذهبى ، بينما اطلاعنا على العصور السابقة لا يزال محدودا بسبب ان معرفتنا لا تتعدى ما اعطته بعض اختبارات الطبقات الاخرى من تل راس الشمرة •

ما الذى كشفته آثار راس الشمرة ؟

ثلاث حقائق رئيسية ادت اليها الاكتشافات العظيمة هذه :

اولاها : ان كهان اوغاريت هم اول من اخترع الابجدية فى العالم •

ثانيها : ان سكان اوغاريت هم اول من عرف التوحيد فى العالم •

ثالثها : ان الحضارة الحديثة التى استمدت جذورها من تفكير اليونان وفلسفتهم وادبهم تعود فى واقعها وحقيقتها الى سكان اوغاريت •

ان ضيق المجال لن يعطينا فرصة التعرف على مختلف الآثار الهامة التى ادت اليها الحفريات ، ولن يسمح بالحديث عن حضارة اوغاريت بشكل مفصل فهذا يحتاج الى آلاف الصفحات ، مما يجعلنى اقصر حديثى على ناحيتين من تلك الحضارة وهما ابجدية اوغاريت وملاحمها •

ابجدية اوغاريت

يقول السير شارل فيرلو : « ان ابتكار الابجدية هو ادهش ابتكار انسانى » •

فمن المعروف ان اللغات القديمة كانت تستعمل خمسين ومائة او مئتى حرف او اشارة للكتابة ، وقد اكتشف فى راس الشمرة العديد من هذه الكتابات على الواح فخارية ، منها ماهو مكتوب بالمسمارية السومرية وبالهيروغليفية المصرية وباللغة الحورية وبلغة قبرص الكريتية•الى جانب ذلك كانت هناك لوحات مكتوبة بلغة لم تكن معروفة لحين المباشرة بحفريات راس الشمرة تميزت بكثرتها وبمخالفتها للغات السابقة من حيث التدوين ، اذ انها لاتتضمن اكثر من ثلاثين اشارة (حرفا) وهذا يعنى انها ابجدية بالمعنى المعطى اليوم لهذه الكلمة ، بل هى اقدم ابجدية نظرا للعهد الذى تعود اليه•وهذا ماأثار اهتمام العلماءودفعهم لحل رموزها •

لقد كانت الصعوبة فى اكتناهها بالغة • ويمكن

[illegible]
راس الشمرة لم يترجم منها نص الى لغة اخرى (كما هو الحال مثلا حينما اكتشف حجر رشيد مكتوبا باللغتين اليونانية والهيروغليفية) • وبعد جهود مضنية تمكن الاساتذة هانس بوير وشارل فيرلو وادوارد دورم ان يفضوا مغاليقها ويسبروا اغوارها •

ثم جاء اكتشاف جديد فـي تشرين الثـانـي (نوفمبر) عام ١٩٤٩ زاد من اهمية هذه الابجدية فقد ظهرت لوحة صغيرة نقشت عليها احرف اللغة الاوغاريتية بالترتيب الذى كانت تلفظ به ، وهذا الترتيب على وجه التقريب نفس ترتيب الابجدية اليونانية التى هى اساس ابجديات العالم العصرى جميعها • مما يوكد بصورة جازمة الاصل السورى للابجدية اليونانية • واثر حل رموز الابجديـة الاوغاريتية ترجمت اللوحات المكتوبة بهذه اللغة ، وفى الوقت ذاته ترجمت اللوحات المكتوبة باللغات الاخرى فخرجت الى النور صفحات ناصعة من تاريخ ارضنا العربية ، وحصلنا على مستندات ثبت فيها الاوغاريتيون مختلفنشاطاتهم الفكرية واوجه حضارتهم الرفيعة • فقد تضمنت هـذه المستندات الملاحم والقصائد الميثولوجية وكتابات تتعلق بالمحاسبة ، وكتابات مدرسية ولوائـح باسماء اعلام ، ولوحات تاريخية لحوادث مسلسلة وابحاث تعليمية،وكتابات تتعلق بممارسة الطقوس الدينية ولوائح القرابين الالهية ونصوص قضائية ورسمية،ومحفوظات ديلوماسية ومستندات تجارية ، ونصوص تتعلق بالتنظيم العسكرى فى المملكة ، ولوائح باسماء المدن والقرى ومعلومات عن المدينة وطريقة معيشتها ، خاصة التقويم المستعمل فيها •

ملاحم اوغاريت

فى راس الشمرة وجدت بقايا مكتبة على صحائف من فخار ، نقش عليها هذا الشعب العظيم ملاحم تعد صروحا ادبية لم تزد فى معلوماتنا عن دين الفينيقيين فحسب ، بل كشف لنا عن عبقرية شعراء اوغاريت واعطتنا صورة جلية عن اجلال ذلك الشعب للعدل وحبه للغير•فقد مجد الشعراء ـ الذين هم لسان مجتمعهم ـ من خلالها مثلهـم العليا،وتحدثوا عنفهمهم للطبيعةوالكون ،وتركوها

أ	ي	پ (او ف)
ب	ك	ص
ج	س (او ش)	ق
خ	ل	ر
د	م	ش
ه	ح (تقريبا)	غ
و	ن	ت
ز	س (او ظ)	ا
ح	س	و
ط	ع	س (تقريبا)

ابجدية اوغاريت

على مر الايام مرآة تجلو الطفولة الفكرية لذلـك الشعب ، الذى كان احدى الموجات السامية التى قذفتها الصحراء العربية الى هذه الشواطىء الساحرة ، اثر الجفاف الذى الم بها • هذه الملاحم مع ملحمة جيلجا ميش البابلية تعد من اقدمملاحم العالم ، وهى تسـبق ملحمتى اليونان الالياذة والاوديسة باكثر من ثمانمائة عام •

ولسوء حظنا ، فان بعض هذه الملاحم لم تصل الينا كاملة بل تبدد منها الكثير ، وهذا يجعل الحكم عليها من الوجهة الفنية يفتقر الى الكمال والدقة ، فهناك فجوات بين المقطوعات التي وصلتنا تقطع الاحداث المسلسلة ، وكثير مانرى فجوات هائلة تتخللها ابيات قليلة واحيانا نصف بيت او بضع كلمات •

غير ان هذا لايعنى ان القليل عاجز عن اعطائنا فكرة ممتازة عن ادب اوغاريت ، فكما يعطينا راس عمود من معبد فكرة عن روعة الفن المعمـارى لذلك المعبد ، اعتقد ان بيتا من الشعر يمكن ان يكشف لنا فى بعض الاحيان الجمال الشعرى للقطعة التيوصلنا منهاهذا البيت،فالنفسالشعرى الممتد والموسيقى الداخلية الفذة ، والاستعارات الرائعة وقوة التخيل والابداع ، متوفرة كلها فىهذه المـلاحم ، رغـم ما اصابها من تبدد وضياع ، ولنضرب لهذه الملاحم مثلا ، ملحمة كيريت •

ملحمـة كيريت

وصلنا من هذه الملحمة قرابة الف بيت تتحدث

عن الملك كيريت ابن الاله آيل والالهة اشهارت ، وتقص قصة هذا الملك البائس العزين الذى لم يرزق بذرية تقر عيناه بهـا • وتصف لياليـه الطويلة التى كان يمضيها ،ساهدا يذرف العبرات غزيرة بسبب حرمانه وياسه•لكنه ذات ليلة امضاها فى بكاء مرير وتالم مقيم طرق الكرى اجفانه فنام، وراى فيما يرى النائم اباه آيل يبشره بنسل كثير، شريطة ان يتزوج من الحورية الجميلة حفيدة بابيل ملك بلاد الاودوم •

هب من نومه وقرب القرابين شكرا للآلهة ثم جهز جيشا غزا به مملكة بابيل وكان بابيل ملكا مسالما ، فحاول ان يثنيه عن غزو بلاده بتقديم الهدايا الثمينة اليه ، لكن كيريت يصر على مطلبه، وبعد ذلك يفهم من سياق الحديث ان كيريت سيعدو حفيدته حورية من الملك كيريت • وتقر عينا كيريت بهذه الغادة الحسناء ، التى هى (عذبة كالالهـة عنات وجميلة كالالهة اشتارتى) ويعود بها الى مملكته وفى الطريق يستقبله الاله آيل ويبارك زواجهما ويبشره بسبعة بنين ومثلهم بنات •

فى القسم الثانى من الملحمة نرى ان ابناء كيريت قد كبروا واستوى عودهم وتحلقوا حول ابيهم يهنئونه على نجاته من حادث تعرض له • وبعد ذلك يفهم من سياق لحديث ان كيريت سيعدو عليه الموت كسائر الاحياء بسبب مرض اصابه وتحاول الاسرة صد عادية الموت عنه خاصة ابنته شتمانات (اى الثامنة) التى باركها الاله آيل ومنحها حقوق الولد البكر ، بان راحت تبكيه بكاء مرا استدرت به عطف الآلهة •

قد يتساءل المرء ما المرض الذى اصيب به كيريت؟ وتجيب الملحمة ان ما اصابه كان نتيجة خروجه على ارادة الاله ابيه وابتعاده عن جادة الحق وايقاعه الظلم بالرعية ، لقد نبذ العدل وهذه اكبـر خطيئة يرتكبها الملك فى تقدير شعراء اوغاريت واستحق بسببها ان ينزل به غضب الآلهة ويحـل عليه سخطها •

كتاب مبادىء القراءة فى اوغاريت
« اكتشاف عام ١٩٤٩ »

لكن ابنته شتمانات كما ذكرت استطاعت ببكائها وبتقديمها القرابين الجزيلة ان تستدر عطف الالهة وتنال له الصفح والغفران ، والشفاء ، فنراه ينهض من فراش المرض ويتاهب للعودة الى حياة الصحة حينما يدخل احد ابنائه صارخا فى وجهه :

= هل تركت الصولجان يسقط من يدك

= يجب ان تنصف الارملة

= وان تحكم فى قضية المظلوم

= وان تصرع اللصوص

= الذين ينهكون البؤساء امامك

= وان تطعم اليتيم

= والا فانزل عن عرش السلطة الملكية

= فاحكم انا

= انزل عن عرش سيادتك

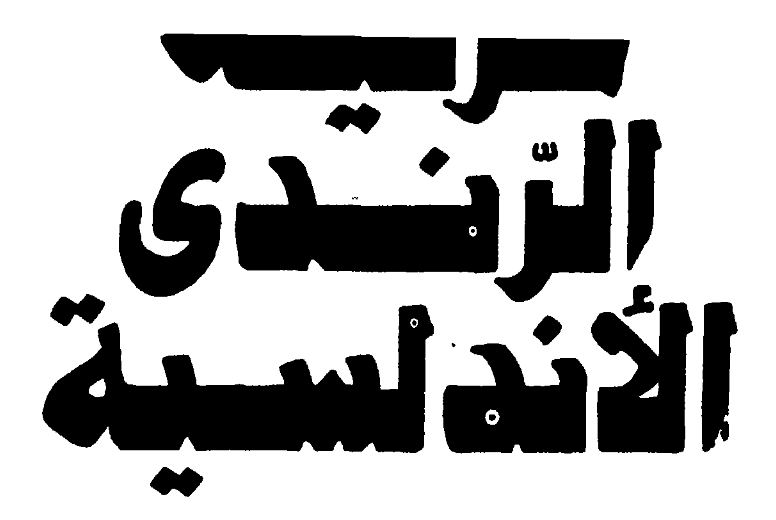
= فاحتله مكانك

ويغضب الاب ويلعن ابنه ويهدده بانتقام الآلهة •

ماذا جرى بعد ذلك ؟ لاندرى وسنعرفه فيما بعد اذا ماظهرت لوحات جديدة تتعلق باسطورة كيريت •

ستظل اوغاريت رمزا حيا فى آثارها وشعرها وحضارتها كلها للعطاء الكامل الذى وهبته ارضنا للبشرية قبل ان تعى البشرية حقيقة وجودهـا وقبل ان يتفتح العقل الانسانى • يوم كان التاريخ مازال على بطاحها طفلا يحبو • وكان العلم بذرة فى احشاء سهولها الخيرة ، نمت حتى غدت شجرة عظيمة فى ظلها وجد الانسان انسانيته ، وتعلمت الكلمـات معانيها ، واتخـذت الحروف لنفسهـا اشكالها • ■■

محمد حمزة كيلانى
حماة / الجمهورية العربية السورية



مرثية الرندى الأندلسية

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ مضى زهاء خمسة قرون ، مذ سقطت قواعد الأندلس الأخيرة فى يد اسبانيا النصرانية • ولكن مضى زهاء سبعة قرون على صدور مرثية الاندلس الشهيرة ، التى بكت نكبة الأندلس المسلمة كقضية واحدة قومية واسلامية ، وهى المرثية التى عرفناها وحفظناها صغارا ، وهزت مشاعرنا الفتية احداثا ، والتى مطلعها :

لكل شىء اذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان (١)

وقد لبثت أجيال من العلماء والادباء تظن ان هذه المرثية البليغة ، التى ما زالت حتى يومنا تحتفظ برنينها المحزن ، وعبرتها المبكية ، قد نظمت عقب سقوط الاندلس النهائى رثاء لها ، وكنا صغارا نؤمن مثلهم بهذه النظرية ، ولكنى حينما بدأت دراساتى الأندلسية ، منذ أكثر من ثلاثين عاما ، وأخرجت أول طبعة من كتابى « نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين » كانت هذه السحب التى اسبلت على حقيقة رثاء الأندلس ، قد أخذت تتبدد ، وانتهيت فى كتابى الى تحديد الوضع التاريخى لهذه المرثية ، وبينت بالاستناد الى نصوص ودلائل عديدة ،أنها قد نظمت فى فترة معينة من تاريخ الأندلس ، فى العصر الذى عاش فيه ناظمها ، وهو عصر يسبق سقوط الاندلس النهائى بنحو قرنين • وقد خاطبنى يومئذ صديق من كبار ادبائنا ، مبديا دهشته من هذا التحليل قائلا ، كيف انتهيت الى ذلك ، ونحن نعتقد طول العمر ، ان مرثية الأندلس قد نظمت بعد السقوط وقد كان لهذا الصديق ، ومن كان يجاريه فى اعتقاده بعض العذر ، لأن المقرى مؤرخ الأندلس نفسه ، لم يستطع تحديد العصر الذى نظمت فيه القصيدة ، وكانت حسبما يبدو من بعض تعليقاته انها نظمت فى عصر السقوط الأخير ،وقبل سقوط غرناطة • ولم يكن هذا الرثاء معروفا فى الاوساط الادبية والمشرقية ، قبل عصر المقرى • ذلك ان المقرى قد كتب ، حسبما نعرف ، كتابه الشهير « نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب » بمدينة القاهرة المعزية فى سنة ١٠٣٩ هـ (١٦٣٠ م) ، حينما كان يقيم منذ مقدمه اليها من المغرب فى

---

(١) لم نر ضرورة لنشر هذه المرثية بأكملها ،فهى معروفة ذائعة • ويمكن مراجعتها فى كتاب « نفح الطيب » للمقرى ، ج ٢ ص ٥٩٤ و٥٩٥ (وكذلك فى كتابه « أزهار الرياض » ج ١ ص ٢٧ ــ ٥٠) وفى كتابى « نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين » الطبعة الثالثة ، ص ٤٩ و ٥٠ •

من كتبها ؟
وفى أي عصور نُظِمَت ؟
ولماذا حُجِبَت عن التداول ؟

سنة ١٠٢٧هـ (١٦١٧م) ، وعرفت منه قصيدة الرثاء يومئذ ، كما عرفت اشياء ونصوص كثيرة اخرى عن الاندلس ، وعن تاريخها وجغرافيتها وآدابها مما دونه فى كتابه الجامع « نفح الطيب». وقد استقى معظم ما دونه فى كتابه من مصادر مغربية مما كانت تزخر به خزائن المغرب ، فى فاس وتلمسان وبجاية والجزائر ، مما نقل اليها من آثار التراث الاندلسى فى عصر السقوط ، أو حمله اليها المهاجرون بعد السقوط ، وقد حمل مسوداتها معه من المغرب الى القاهرة ، وانتفع الى جانبها بما كان مودعا فى عصره من تراث الادب الاندلسى والمغربى ، بمكتبة رواق المغاربة بالجامع الازهر ٠وما تزال توجد بها الى اليوم بعض اوراق مخطوطة تحمل تعليقات المقرى وتوقيعاته ٠ أما رثاء الاندلس فقد نقله المقرى حسبما يقول لنا « من خط من يوثق به على ما كتبته » ٠ واذا كنا لا نعرف هذا الذى « يوثق به » فانه قد نقل القصيدة علىارجح الفروض، منآحد المصادر القليلة التى تسربت اليها ، مثل كتاب « الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية » (٢) وهو لمؤلف مجهول . ويبدو من اختتامه ان مؤلفه قد توفى فى أواخر القرن السابع الهجرى، لان حوادث الكتاب المعاصرة تقف عند سنة ٦٧٤هـ ، عند حادث بناء المدينة البيضاء أو البلد الجديد ، بناحية فاس على يد السلطان أبى يوسف المرينى ٠ هذا مع ملاحظة انه توجد بين النص الذى ورد فى الذخيرة السنية والنص الذى نقله المقرى ، بعض تغييرات يسيرة فى بعض الشطرات ،وان نص القصيدة فى الذخيرة السنية يحتوى على ثلاثة واربعين بيتا بينما هو فىنفح الطيب اثنان واربعون، هذا وقد نقلالمقرى القصيدةفى نفسالوقت فى كتابه « أزهار الرياض» بزيادة بيت واحد عنها فى نفح الطيب ٠

يأتى الحديث بعد ذلك عن ناظم هذه القصيدة الشهيرة ، وعن ظروف نظمها ٠ وبالرغم مما هو معروف ومحقق من أن ناظمها هو صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن شريف النفزى ، المكنى بابى الطيب الرندى ، المولود بمدينة رندة فى سنة ٦٠١هـ والمتوفى بها سنة ٦٨٤هـ ، فانه يوجد بعض الغموض حول ظروف نظم القصيدة ، وحول ظروف تداولها ، واختفائها من بين تراث ناظمها ، وعدم تداولها زهاء قرن من الزمان ، ولا سيما بالاندلس موطن ناظمها ، قبل أن تذاع فى المغرب على يد المؤرخين المغاربة فى أواخر القرن السابع الهجرى ٠

ويرجع هذا التساؤل الى عدة اسباب ، اولها ان الوزير ابن الخطيب ، صاحب كتاب « الاحاطة فى اخبار غرناطة » ، وقد عاش قريبا من عصر الرندى ، قد أورد له فى « الاحاطة » ترجمة ضافية ،واورد خلالها عدة من عيون قصائده ولكنه لم يورد الى جانبها شيئا من قصيدة رثاء الاندلس ، بل ولم يشر اليها بكلمة واحدة ، مع

(٢) نشر هذا الكتاب بعناية المرحوم العلامةالجزائرى الشيخ محمد أبو شنب فىسنة ١٩٢٠م٠

وثانيها ، ان الرندى نفسه لم يشر الى قصيدته ولم ينشر منها شيئا فى كتابه « الوافى فى نظم القوافى » ، الذى يتحدث فيه عن الشعر وفضله وآدابه واغراضه ،ويورد فيه عدة من قصائده ومنها قصيدتان فى الرثاء ، أولاها رثاء لامير المسلمين ابن الاحمر ، وثانيتهما قصيدة فى رثاء ابيه (٤) وثالثتها ، ان القصيدة لم تظهر فى تراث الادب الاندلسى خلال العصر الغرناطى كله ، من بدايته فى اواخر القرن السابع الهجرى ، حتى نهايته فى اواخر القرن التاسع ، بالرغم من ظهور قصائد اخرى فى رثاء الاندلس أو بعض قواعدها الذاهبة اقل روعة ورنينا من مرثية أبى الطيب الرندى •

ومن ثم فانه يتعين علينا ان نتساءل عن أسباب هذا الغموض الذى يحيط بمرثية الاندلس ، والتى قضت باحتجابها عصورامن بين اعيان روائع المراثى الاندلسية التى ظهرت خلال العصر الغرناطى ذاته، ومن بعد ذلك حتى السقوط النهائى•وعلينا ان نتقصى أسباب هذا الغموض فى حياة ناظمها ابى الطيب ذاته ، وفى الظروف التى احاطت به فى الفترة التى عاش فيها •

لقد عاش الرندى فى عصر الفتنة الكبرى ، التى اضطرمت بها الاندلس فى اواسط القرن السابع الهجرى ، والتى تمخضت عن سقوط القواعد الاندلسية الكبرى فى أيدى النصارى ، وتمخضت فى الوقت نفسه عن قيام مملكة غرناطة• وكان الرندى شاعرا وكاتبا عظيما ، بارعا فى النثر والنظم معا ، وله مقامات بديعة فىاغراض شتى• ويصفه القاضى ابن عبد الملك فى«التكملة» بانه « خاتمة ادباء الاندلس » وكان كثير الوفود من بلده رندة على الحاضرة غرناطة ، والتردد الى بلاطها • وكان من خاصة المقربين الى الغالب بالله ، السلطان محمد بن الاحمر الكبيرمؤسس مملكة غرناطة وشاعره الاثير • وكان الغالب بالله يطرب لشعره ، ويغمره بعطفه وتكريمه •

ـسرى والحب أمـر لا يـرام
وقد أغرى به الشوق الغرام

واغضى أهلهـا الا وشـاة
اذا نـام الحـوادث لا تنـام

وكتب الرندى برسم السلطان كتابه المسمى « روضة الانس ونزهة النفس » • ونثره لا يقل روعة عن شعره •

ونحن نعرف ان ابن الاحمر الكبير ، كان بالرغم من عبقريته وشجاعته وعزمه ، وهى التى تمخضت عن ظفره بانشاء مملكة غرناطة من غمر التمزق والفوضى ، كان يعيش فى دوامة من الصعاب السياسية والعسكرية ، ويخشى على مملكته الفتية الناشئة من عدوان قشتالة واطماعها • وكانت حركة الاسترداد الاسبانية LaReconquista بعد الاستيلاء على قواعد الاندلس الكبرى : قرطبة ، بلنسية ، مرسية ، شاطبة ، جيان ، اشبيلية فى نحو خمسة عشر عاما فقط ٦٣٣ ـ ٦٤٦ هـ (١٢٣٦ ـ ١٢٤٨ م) تندفع بعنف نحو الاستيلاء على قواعد وأراض جديدة • ولم يكن امامها من القوى الاندلسية المتماسكة سوى مملكة غرناطة الناشئة ، التى اجتمعت حولها اشلاء الاندلس الباقية ، فيما بين نهر الوادى الكبير والبحر المتوسط ، وبين نهر المنصورة ونهر وادى لكه • وكان ابن الاحمر يرقب هذا التيار الجارف جزعا ، ويحاول ان يقف فى سبيله بسائرالوسائل، ومنها وفى مقدمتها مصانعة ملك قشتالة القوى فرناندو الثالث • وقد ذهب ابن الاحمر فى هذه المصانعة الى حد أن ارتضى فى معاهدة المهادنة والصلح التى عقدها مع هذا الملك القاهر ، ان يعترف بحمايته وان يحكم اراضيه باسم ملك قشتالة ، وان يؤدى له الجزية ، وان يشهد اجتماع مجلس قشتالة النيابى (الكورتيس) باعتباره من الامراء التابعين للعرش ، واخيرا ان يعاونه

---

(٣) راجع هذه الترجمة ، وقد ظهرت أخيرا فىالمجلد الثالث من كتاب «الاحاطة فى أخبار غرناطة» المنشور بتحقيق محمد عبد الله عنان (القاهرةسنة ١٩٧٦) ص : ٣٦٠ ـ ٣٧٦ •

(٤) توجد عدة نسخ مخطوطة من كتاب « الوافىبدار الكتب العامة بالرباط ، وقد اعتمدنا فيها على مراجعة النسخة رقم (١٧٣٠ ك) ولم ينشرالكتاب حتى الان •

في حروبه ببعض قواته . بل لقد ارتضى ابن الاحمر ، تنفيذا لهذا الاتفاق ان يعاون قشتالة ببعض قواته في محاصرة اشبيلية ، وان يشترك بذلك في افتتاح هذه الحاضرة الاندلسية التالدة لحساب النصارى . وقد كان هذا التصرف مهينا ومشينا معا للامير المسلم . ولكنه لم يجد مندوحة من اتباعه حرصا على صون مملكته الفتية وحمايتها من المصير الذى انتهت اليه الاندلس الكبرى . وقد تضمنت معاهدة الهدنة والصداقة فوق ذلك كله ، ان يتنازل الملك المسلم الى ملك قشتالة عن عدد كبير من البلاد والحصون ، منها شريش ، والمدينة ، والقلعة ، وقادس ، وغيرها. وقيل ان ما نزل عنه ابن الاحمر يومئذ للنصارى قد بلغ اكثر من مائة موضع ، معظمها فيغربي الاندلس . وكان ذلك في سنة ٦٦٥هـ (١٢٦٧م).

وهكذا فقدت الاندلس معظم قواعدها التالدة في نحو ثلاثين عاما فقط (٦٢٧ ـ ٦٥٥ هـ) في وابل مروع من الاحداث والمحن . واستحال الوطن الاندلسي الذى كان قبل قرن فقط يشغل نحو نصف الجزيرة الاسبانية، الى رقعة متواضعة، هيمملكة غرناطة الصغيرة . وقد اثارت هذه المحن التى توالت على الاندلس في تلك الفترة المظلمة من تاريخها لوعة الشعر والادب . وهنا وفي هذه الاونة بالذات ، وعلى ضوء هذه الظروف المؤسية التى نزل فيها ابن الاحمر عن عشرات البلاد والحصون الاسلامية للنصارى : هنا نظم شاعر العصر ، ابو الطيب الرندى مرثيته الشهيرة، التى ما زالت تعتبر حتى اليوم من اعظم المراثي القومية وابلغها تاثيرا في النفس ، وفيها يبكى قواعد الاندلس الذاهبة ، ويستنهض هممالمسلمين أهل العدوة ، لانجاد الاندلس وغوثها .

ولدينا لتاييد هذه الحقيقة في توقيت نظم القصيدة الشهيرة ، وظروف نظمها ، نصان تاريخيان معاصران ، الاول : وهو نص صاحب « الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية » وقد عاش في اواخر القرن السابع معاصرا لابن الاحمر الكبير ، وابي الطيب الرندى وفيه يقول :

«ولما اعطى ابنالاحمر البلاد المذكورة للاذفونش قال الفقيه ابو محمد بن شريف الرندى يرثى الاندلس ، ويستنصر باهل العدوة ، من مرين وغيرهم » . ثم يورد قصيدة الرثاء باكملها (٥) والثاني ، وقد كتب بعد ذلك بقليل ، في اواخر القرن السابع أو أوائل القرن الثامن ، هو نص ابن عذارى المراكشي ، حيث يقول في نهاية الجزء الثالث من كتابهالجامع « البيان المغرب » ، ماياتي:

« وفي هذه السنة » وهي سنة خمس وستين وستمائة صالح الامير ابو عبد الله بن الاحمر ملك النصرانية ، الاذفونش ، على يد ولده الامير ابي عبد الله . وقيل ان الصلح انعقد بينهما على نحو اربعين مسورا من بلاد المسلمين ـ اعادها اليه ـ وقيل ان اكثرها بغرب الاندلس ، ومن جملة تلك البلاد مدينة شريش ، والمدينة ، والقلعة ، وبجير وغير ذلك ... وقد رثى الاندلس كثير من الادباء . فمن ذلك قول صالح بن شريف من قصيدة . ثم أورد من القصيدة سبعة عشر بيتا مع تغييرات في نصوص بعض الشطرات . ووردت منها الابيات المشهورة :

أصابها العين في الاسلام فامتحنت
حتى خلت منه أوطان وبلدان

فسل بلنسية ما شأن مرسية
وأين شاطبة أم أين جيان

وأين حمص وما تحويه من نزه
ونهرها العذب فياض وملآن

قواعد كن أركان البلاد وما
عسى البقاء اذا لم تبق أركان (٦)

واذن فالحقيقة التاريخية هي ان مرثية الاندلس ،لم تنظم لرثاء سقوط الاندلس النهائي، كما كان الاعتقاد شائعا لدى معظم الدوائر الادبية والتاريخية ، حتى عصر المقرى (القرن الحادى عشر الهجرى او السابع عشر الميلادى) وانما نظمت رثاء لسقوط القواعد الاندلسية الكبرى ، في النصف الاول من القرن السابع

---

(٥) الذخيرة السنية ص ١٢٧ وما بعدها .

(٦) البيان المغرب ـ المجلد الثالث ـ المنشوربعناية الاستاذ هويثى ميرانده ص ٤٧٠

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية
وأين شاطبة أم أين جيان

وأين قرطبة دار العلوم فكم
من عالم قد سما فيها له شان

وأين حمص وما تحويه من نزه
ونهرها العذب فياض وملآن

قواعد كن أركان البلاد فما
عسى البقاء اذا لم تبق أركان

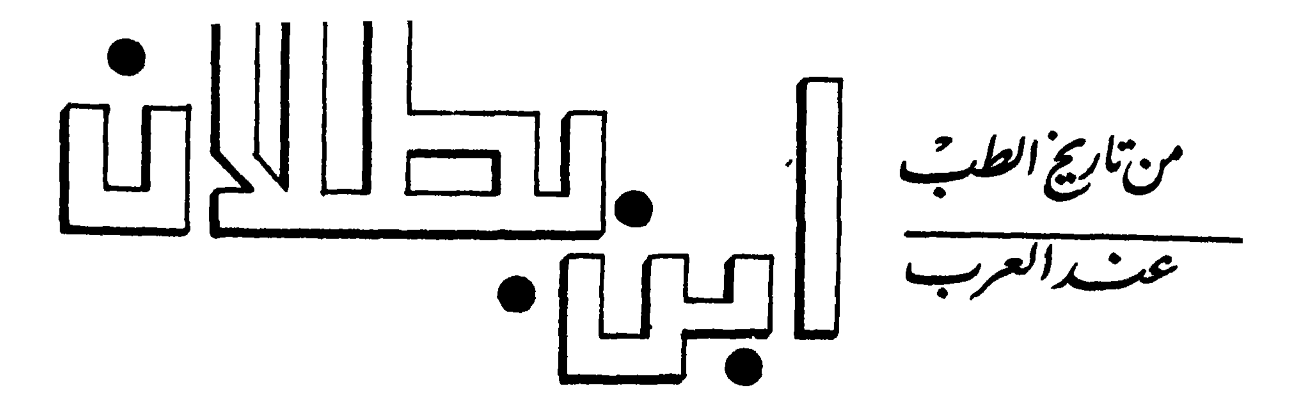
وقد حرك الشاعر الى نظم مرثيته المبكية ما فعله ابن الاحمر فى النزول عن عديد المدن والحصون الاسلامية الى ملك قشتالة ، وجاء بذلك نظمها متاخرا عن سقوط القواعد الاندلسية الكبرى بنحو خمسة وعشرين عاما •

على أن هذه المرثية المبكية ما كادت تظهر فى دوائر الشعر والادب الغرناطية ، حتى اختفت بسرعة ، ولكن بعد أن تسربت الى عدوة المغرب• وهنا يكمن السر فى احتجابها بالاندلس موطن نظمها • ذلك أن الرندى كان ، حسبما تقدم شاعر ابن الاحمر الاثير ، يشيد بعهده وعبقريته واعماله ، فى قصائد عديدة • واقدامه على نظم هذه القصيدة البليغة المؤثرة يثير كوامن الاسى والشجن ،فى نفوس أولئك الذين شهدوا وعاصروا تصرف ابن الاحمر فى النزول عن الاراضى الاسلامية الى النصارى طواعية ، واختيارا ، وبلا حرب خسرها • وتداول مرثية تبكى قواعد الاندلس الذاهبة ، يذكر الشعب الغرناطى دائما بهذا التصرف الفاجع ، الذى اقدم عليه مؤسس مملكة غرناطة ، واصبح منسوبا الى دولة بنى الاحمر كلها • وانه ليصعب علينا ان نفترض أن أبا الطيب قد نظم قصيدته سرا ، لتكون نفثة مصدور خاصة ، وهو قد نظمها ليهيب بمسلمى العدوة والمسلمين عامة ، أن يهبوا لنجدة الاسلام فى الاندلس • واذن فلا بد أن تحجب هذه القصيدة ، وأن يخمد هذا الصوت الذى يثير الالم والاسى، صونا لسمعة السلطان ، وهيبة المملكة • ومن ثم الصمت والنسيان ، طوال العهد الغرناطى كله • فقلما تجد لها ذكرا فى السير الغرناطية أو الادب الغرناطى • وحتى فى المغرب حيث تسربت وقت نظمها ، الى بعض الدوائر ، فقد كان تداولها محدودا جدا • ولعل ذلك يرجع الى نفوذ البلاط المرينى ، راعى الاندلس ، وحليف بنى الاحمر •

وهذا يفسر لنا فى نفس الوقت موقف ابن الخطيب فى تناسى هذه القصيدة ، وعدم الاشارة اليها باية كلمة فى الترجمة الفياضة التى كتبها للرندى فى « الاحاطة » ، واورد بها عدة من عيون قصائده ومقطوعاته الشعرية • ولسنا نعتقد أن ناسخ مخطوط الاسكوريال هو الذى أغفل ذكرها اختصارا ، او ظنا منه أن شهرتها تغنى عن ذكرها ، فهو لم يغفل ذكر العديد من قصائده الاخرى • ولكن التفسير الطبيعى لهذا الصمت من جانب صاحب « الاحاطة » ، هو أن ابن الخطيب ، وهو من اولياء بنى نصر (بنى الاحمر) ملوك غرناطة ، ووزيرهم الاثير ، وربيب نعمتهم ، قد رأى ، كما رأى غيره من كتاب العصر وادبائه ، ان يغفل ذكرها ، لان وجودها فى مؤلفه الى جانب ترجمة ابن الاحمر الكبير ، وآخرين من ملوك غرناطة ، قد يسىء الى ذكريات مؤسس مملكة غرناطة ، الذى وقعت المحنة الاندلسية فى عهده ، ونظمت القصيدة لبكائها •

تلك هى الظروف التى احاطت بنظم مرثية الرندى الاندلسية ، والتى قضت أن تحجب عن التداول ، وأن يسبل عليها مدى عصور ، ستار من الصمت والنسيان ، حتى جاء المقرى فى القرن الحادى عشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ، فنقلها كاملة فى كتابيه نفح الطيب وازهار الرياض ، واخذت من ذلك الحين تبدو فى كتب التاريخ والادب ، نفثة من نفثات النظم المبكية ، التى لا يمكن ان تخمد حرارتها، أو تنسخ بلاغتها وآثارها الشجية ، على تعاقب الاجيال • ■■

محمد عبدالله عنان



بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

■ هو ابو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن بطلان، طبيب من بغداد تعلم الطب على استاذيه «ابى الحسن ثابت بن ابراهيم بن زهرون الحرانى الطبيب (المتوفى سنة ٣٦٩هـ - ٩٨٠م) وعبدالله ابى الفرج بن الطبيب (المتوفى سنة ٤٣٥هـ - ١٠٤٣م)، تنقل وسافر بين بغداد ، وحلب ، وانطاكية ومنها الى اللاذقية ووصل الفسطاط سنة ٤٤١هـ ١٠٤٩م واقام فيها ثلاث سنوات • ثم سافر الى القسطنطينية واقام فيها مدة • وقد صنف فى القسطنطينية كتاب « دعوة الاطباء » سنة ٤٥٠هـ - (١٠٥٨م) ثم عاد الى حلب وانطاكية وتوفى فى انطاكية (سنة ٤٥٨هـ - ١٠٦٦م) عن عمر يناهز المائة عام •

يقول ابن ابى اصيبعة «كان بين ابن بطلان وابن رضوان الطبيب المصرى من المراسلات العجيبة والكتب البديعة الغريبة • ولم يكن احد منهما يؤلف كتابا او يبتدع رايا الا ويرد الآخر عليه • ويسفه رايه فيه • وبلغ من كره ابن بطلان لابن رضوان درجة كبيرة ، كان كثير المطالعة لعلوم الاوائل وكتبهم واخبارهم غير مهتم فيما ينقله •

وكان ابن بطلان شديد الملاحظة للمجتمع الذى عاش فيه فلم يصف فقط ما اصاب البلاد من اوبئة بل دون ما شهده وسمعه من الناس •

كتاب تقويم الصحة

يقول عنه جورج سارتون ان عددا من المسيحيين اشتركوا فى بناء العلم فى الاسلام بينهم ابن بطلان وانه ربما كان اول من شرع فى كتابة الاسلوب الذى جاء فى كتابه « تقويم الصحة » ، وهو جدول صحى ومختصر فى الطب • وكان لهذا الكتاب اثر فى اسلوبه وقيمته الطبية فى الشرق والغرب اذ ان ابن جزلة - وهو طبيب بغدادى - اتبع نفس الاسلوب فى كتابه « تقويم الابدان فى تدبير الانسان » •

وقد ترجم « تقويم الصحة » الى اللاتينية فى القرن الثانى عشر وطبع بها سنة ١٥٣١ وترجم الى الالمانية كذلك • ولم يقتصر تاثير الكتاب على ابن جزلة فى القرن الثانى عشر وفى اوروبا فى القرنين الثانى عشر والسادس عشر • بل ان احد الاخصائيين فى تاريخ العلوم اهتم به فى القرن العشرين •

ومن مؤلفاته الطبية الاخرى كتاب «دعوة الاطباء» على مذهب كليلة ودمنة ، وقد طبع بالعربية وترجم الى الفرنسية ودعوة الاطباء مسبوكة فى قالب الفكاهة فجمع بين الجد والهزل وضمنها حكما ووصايا صحية ومشاكل طبية يستفيد منها كل انسان •

وقد قلد اسلوب الكتاب الطبيب الدمشقى اسعد بن المطران المتوفى سنة ٥٨٧هـ - (١١٩١م) • فصنف كتابا على مذهب « دعوة الاطباء » وكذلك ابو الحسن على ابن هبة الله بن اثردى كتب

وابن ازدى من اهل بغداد طبيب مشهور حسن المعالجة جيد التصنيف ، والمخطوطة موجودة فى آيا صوفيا ـ وقد اخذ العصر الحاضر ما ورد فى شرح شكل دعوة الاطباء كمرجع لتفسير كتاب ادب الطبيب لاسحق بن على الرهاوى ويدل هذا كله على تقدير المؤرخين لعلم وادب ابن بطلان .

مؤلفاته

١ ـ كتاب الاديرة والرهبان ، وقد جاء اسمه تحت عناوين كثيرة منها « مقالة فى تدبير الامراض العارضة على الاكثر بالاغذية المألوفة والادوية الموجودة ينتفع بها رهبان الاديرة ومن بَعُدَ عن المدينة » .

٢ ـ كتاب شراء العبيد وتقليب المماليك والجوارى .

٣ ـ كتاب تقويم الصحة .

٤ ـ مقالة فى شرب الدواء المُسهِل .

٥ ـ مقالة فى كيفية دخول الغذاء فى البدن وهضمه وخروج فضلاته وسقى الأدوية المُسهِلة وتركيبها .

٦ ـ مقالة الى على بن رضوان عند وروده الفسطاط سنة ٤٤١ جوابا عما كتبه اليه .

٧ ـ مقالة فى علة نقل الاطباء المهرة تدبير اكثر الامراض التى كانت تعالج قديما بالادوية الحارة الى التدبير المبرد ، ومخالفتهم فى ذلك لمسطور القدماء فى الكنانيش والاقرباذينيات (كتبها فى انطاكية سنة ٤٥٥هـ) .

٨ ـ كتاب المدخل الى الطب .

٩ ـ كتاب دعوة الاطباء .

١٠ ـ كتاب وقعة الاطباء .

١١ ـ كتاب دعوة القسوس .

١٢ ـ مقالة فى مداواة صبى عرضت له حصاة .

١٣ ـ عمدة الطبيب فى معرفة النبات لكل لبيب .

الفرخ آخرَ من الفروج بطريقة منطقية ، الفها فى القاهرة سنة ٤٤١ .

ومن اهم الكتب الطبية التى صنفت باللغة العربية قبل كتابة ابن بطلان لمقالته المختصرة (مقالة فى تدبير الامراض العارضة) ـ هى (الحاوى) للرازى و (كامل الصناعة) للمجوسى (والتصريف) للزهراوى و (القانون) فى الطب لابن سينا . لاشك انه قراها .

مقارنة

واذا قارنا هذه الكتب الاربعة بمقالة ابن بطلان وجدناها تشبه (كامل الصناعة) فى الاسلوب (والقانون) فى الطب فى تقسيم محتوياتها ، اذ ان اسلوب مقالة ابن بطلان العام نظرى وعملى وقد شاع استعمال هذا الاسلوب بين الاطباء اتباعا لكتاب (كامل الصناعة) للمجوسى غير ان المجوسى قسم كتابه الى نظرى ، اول عشر مقالات وعملى آخر عشر مقالات . اما من جهة طريقة ابن بطلان لتقسيمه المقالة فمن الواضح انه اتبع كتاب (القانون) فى الطب .

واذا قارنا اجزاء كتاب(القانون)فى الطب الواقعة فى خمسة كتب بمقالة ابن بطلان نجد ان ابواب الكتاب الاول من القانون ـ وهو مؤلف من اربعة ابيات ـ تتفق مع ابواب المقالة من الباب الثانى الى التاسع ، والفرق الوحيد عدَا الاختصار هو عدم ذكر ابن بطلان الجزء الرابع من القانون وهو التشريح .

والكتاب الثانى من القانون يحتوى على جزءين يتفق الاول مع الباب الحادى والثلاثين من مقالة ابن بطلان والثانى مع الباب الثلاثين من المقالة .

والكتاب الثالث من القانون ويحتوى على اعضاء الجسم وامراضها ويتفق مع المقالة من الباب العاشر الى الباب الرابع والعشرين .

والكتاب الرابع من القانون يتفق مع المقالة

من الباب الخامس والعشرين الى التاسع والعشرين ـ والخامس من القانون وهو فى تركيب الادوية يتفق مع المقالة من الباب الثانى والثلاثين الى الاربعين ٠

اما الباب الاول والبابان الحادى والاربعون والثانى والاربعون فلا نجد لها مقابلا فى قانون ابن سينا ولا فى اى كتاب آخر وهذا ما يجعل مقالة ابن بطلان ذات قيمة خاصة وقد قال ابـن رضوان الطبيب المصرى عن ابن بطلان انـــه متطبب لانـه على رأى ابـن رضـوان لم يكـن فيلسوفا ٠ وقال : قد بين جالينوس أن الطبيب فيلسوف كامل اما من قصر عن ذلك فهو متطبب لا طبيب ٠

وجع طبيب

ومقالة ابن بطلان التى عرفت باسم مختصر هو « كناش الاديرة » تنقسم الى اربعة اجـزاء الاول فى تدبير الامراض بالاغذية المالوفة والادوية الموجودة والثانى لمعرفة رهبان الاديرة والثالث لمنفعة من بَعُد عن المدينة والرابع ما ينبغى ان يعرفه الطبيب ٠ وقد قصد ابن بطلان ان تكون مقالته مرجعا طبيا لفئة خاصة من النـاس مـن

المقالات فى الطب لم يكتب مثله سابقا فهى نادرة فى نوعها ، اذ انه من المعروف ان اكثر ما كتب فى الطب كان موجها لمن يريد ان يتعلم الطب او هدية لحاكم او امير ٠

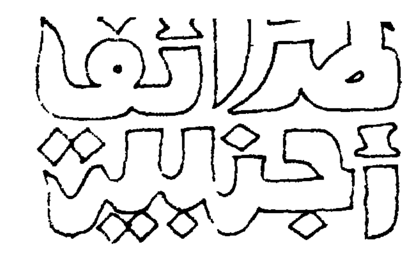
وقد اراد ابن بطلان بهذه المقالة التى تقع فى اثنين واربعين بابا فئة اخرى من الناس هـى الاطباء انفسهم فقال ان كثيرا من افاضل الاطباء قدماء ومعاصرين بذلوا جهودهم فى تاليف كتب الطب الكبيرة الحجم ، ولكن جماعة من الناس كانوا يميلون الى ما كان من هذه الكتب موجزا مختصرا ويتثقلون بما اتسع شرحه وعظم حجمه ولذلك وضع هذا الكتاب المختصر ٠ وانما قصد الاختصار ليسـهل قراءتها ولقـد كانت لهذه المقالة قيمة طبية كبيرة حتى ان كثيرا من الاطبـاء نسـخوها للاستعمال ٠

وقـد حققت هذه المقالـة اخيرا علـى سـبع مخطوطات فى الفاتيكان وجامعة جوتنجن وبنسرا فى ماريلاند ومخطوطة لندن ومخطوطة جـوتـه ومخطوطة باريس ومخطوطة استنبول ٠ ■■

عبد الحليم منتصر

الجاحظ والرأس

● دخل الجاحظ يوما بلاط الخليفة المأمون وكان المأمون يومهـا يأكل رأس خروف مع جماعـة من أصحـابه فقـال المأمون : صف لنا الرأس وما قالت فيه العرب يا أبا عثمان فقال : أعلم يا مولاى أن الرأس رئيس الاعضاء وتسميه العرب الجامع والرأس شىء واحد، وهو ذو ألوان عجيبـة وطعوم مختلفة ، والرأس فيـه الدماغ وطعمه مفرد ، والشحمة التى بين أصل الاذن ومؤخر العين طعمها مفرد ، على أن هذه الشحمة خاصة أطيب من المخ، وأرطب من الزبد وأدسم من السلاء، وفى الرأس اللسان وطعمه مفرد والخيشوم والغضروف ولحم الخـدين ، وكل شىء من هذه طعمه مفرد والرأس سيد البدن ،والدماغ هو معدن العقل وخاصة الحواس وبه قوام البدن ٠





« مازلت صعلوكا ! »

● شارلي شابلن الممثل الكوميدى العالمي ، الذى احتفل أخيرا بعيد ميلاده الثامن والثمانين وقف يفلسف الحياة وهو يطفىء الشموع الكثيرة التي امتلأت بها الكعكة التى أعدتها له زوجته « أونا » في بيتهما الجميل في سويسرا ، وقد امتلأ البيت بالابناء والاحفاد والذكريات ٠٠ ذكريات أكثر من ثمانين عاما منذ أن وقف الصبى الصغير « المهرج » على المسرح يضحك ، ويضحك الملايين !

ولم يكن شابلن متطوعا عندما بدأ الحديث عن نفسه وعن فلسفته في الحياة فقد كان يجيب على أسئلة الصحفيين الذين التفوا حوله :

« قل لنا يا مستر شارلي » ، كيف تجد الحياة وأنت تقترب في شيخوختك السعيدة من عامك المئوى ؟ »



وقال شارلي وهو يضحك . « ما زلت نفس الصعلوك » الذى أضحك الناس من أكثر من سبعين عاما ٠٠ أما الشيخوخة التي ترونها في وجهي وفي لون شعر رأسي الابيض ، فهي الستار الذى طالما وقفت وراءه على المسرح ، قبل أن أواجه الجماهير ٠٠ ان قلبى ما زال ينبض بالحب ، لانني أحب الحياة ، وأمنيتى أن أعيش ثمانية وثمانين عاما أخرى مع « أونا » التى شاركتنى حياتى على المسرح الكبير الذى أضحك فيه كل يوم من نفسى ، وأعيش حياتى بلا رتوش وبلا مساحيق وبلا ستار يرتفع وينزل ويخفي وراءه حقيقة نفسى ٠٠ الشيء الوحيد الذى لن تتمكنوا أبدا من الوصول اليه هو قلبى وما يحويه من أسرار ٠ ! »



التاريخ ٠٠ والرجال

قال نابليون بعد هزيمته امام ابواب موسكو :

« لو ان التاريخ اخذ فى اعتباره الاخطاء وحدها ، ولم يسجل المنجزات التى حققها الرجال ، فلن نجد رجلا واحدا يمكن ان نقول عنه انه كان « رجلا عظيما » ! ٠٠

شجرة التفاح !

● يقول الفيلسوف الامريكي وليام جيمس : « من حقائق الحياة الثابتة ، اننا لا نستطيع ان ننعم بثمار اشجار لم نزرعها ولكن متى نزرع هذه الاشجار ، ومن الذى يزرعها ، وكيف ؟

يجيب الاستاذ الفيلسوف على هذه الاسئلة بقصة الرجل العجوز الذى اشترى بعض ثمار التفاح الجيد ، واعجبه مذاقه الحلو ، فطلب الى ولده ان يزرعه في حديقة البيت ، ولكن الابن رفض ، وقال : « هل فكرت فى الزمن الذى سوف يستغرقه نمو هذه الشجرة حتى تكبر وتثمر ونأكل ثمارها ؟

وحمل الاب الثمار الى حفيده .. انه اصغر سنا بكثير ، وقد يتحمس لرغبته . ولكنه فوجىء به هو الاخر يعتذر ولنفس السبب .. كم من الوقت سوف ننتظر قبل ان نجنى ثمار هذه الشجرة يا جدى ؟ »

وصمم الجد على أن يزرع الثمرة بيده ، وهو الذى قارب السبعين أو جاوزها .. ونمت الشجرة ، وعاش الرجل العجوز لينعم بثمارها اللذيذة !





عمر الرجل !

● ماوتس تونج « ابو الصين » ومحقق اكبر معجزة فى التاريخ الحديث ، عاش حياة طويلة مليئة حتى بلغ الرابعة والثمانين .. حدث ان التقى به وفد من الصحفيين الامريكيين بعد ان وقعت الصين تؤكد وجودها فى المجتمع الدولي ، وساله احدهم ،وكان وقتها حثيثا من نهايته « كم عمرك الآن يا سيد ماو ؟ »

والتقطت اذناه الثقيلتان السؤال ، وزاعت عيناه الضعيفتان بين الحاضرين، ثم ضحك وقال : « لا أعرف من منكم الذى وجه الى هذا السؤال ، ولكننى ساجيب عليه .. أريدكم أن تذكروا دائما أن عمر الانسان لا يقاس بالساعات والايام .. ولكن بالعمل الذى قدمه لبلده ، ونوع هذا العمل وأثره على مواطنيه .. والحياة قد لا يكون لها معنى حتى لو استمرت قرنا .. وقد تكون حياة عظيمة حافلة مهما قصرت .. عمر الرجل بما صنع ولم يكن أبدا بعدد الاعوام التى عاشها . ! »

الى العربى مقالا فى العدد ٢١٩ عن اعراض مرض الاكتئاب واسبابه ، وهو هنا يركز على مسار المرض واساليب علاجه الحديثة ٠


الوجه تبدو عليه اعراض الاكتئاب ٠

حتى نقطع الطريق بين

الاكتئاب والانتحار

بقلم : الدكتور درى حسن عزت

■ احب ان اؤكد اولا ان مرض الاكتئاب النفسى قابل للشفاء تماما ولا يترك اثارا على شخصية المريض ٠ والشفاء يمكن ان يكون ذاتيا تلقائيا بدون التدخل بعلاج خارجى ٠ اذ ان لهذا المرض دورة معروفة وتاريخا ومسارا طبيعيين فاذا انتهت الدورة وتجاوز المريض فترة المرض شفى تماما وبصورة تلقائية ٠ وتحدد فترة المسار الطبيعى لمرض الاكتئاب النفسى بما يتراوح بين ستة اشهر وثمانية عشر شهرا (انظر الشكل التوضيحى رقم واحد) ٠

وهدف العلاج هو اختصار هذه المدة وانتشال المريض من هوة الكآبة التى يكابدها ومن معاناة الاعراض المرضية خلال فترة الشهور الطويلة ورده الى حالته الطبيعية فى اسابيع قليلة (شكل توضيحى رقم ٢) وانذارات مرض الاكتئاب حسنة بشكل عام ٠ ويعتبر من اهون الامراض النفسية علاجا وبالاخص بعد التوسع فى استعمال مضادات الاكتئاب ٠

مضاعفات المرض

ربما كانت اخطر مضاعفات مرض الاكتئاب هى الانتحار او الشروع فيه ٠ اذ فى بعض المراحل من هذا المرض وفى بعض انواعه الشديدة يبرز الانتحار كخطر حقيقى ٠ نظرا لما يعانيه المريض من الشعور بالكآبة والملل والزهق وفقدان الامل والافتقاد البهجة فى الحياة ، يلح



نفس الوجـه تبدو عليـه علامات التفاؤل والبشر بعد علاجه بعقار Trimi Pramine وهو احد العقاقير المضادة للاكتئاب ٠

عليه خاطر التخلص منها ٠ فاذا كان هذا الخاطر قويا ويشغل بال المريض بصورة ملحة ، يغذيـه الشعور بالذنب واستحقاق العقاب والرغبة فـي تلقيه ، اقدم المريض على الفعل معتقدا فى صواب عمله وواجدا فيه الحل الوحيد لمعاناته ٠ ويكون خطر الانتحار على اشده فى المراحل المبكرة للمرض حيث الدوافع الانتحارية مسيطرة ، وكذلك فـي بداية التحسن بالعلاج ، اذ يزول البطء الحركى الذى كان يمنع المريض من تنفيذ افكاره وترتيباته للفعل الانتحارى ٠ وباسترداد بعض نشاطـــه الحركى يستغله فى تنفيذ خططه للانتحار ، كذلك عندمـا يستيقظ المريـض عند الفجر مثـلا ولا يستطيع استكمال نومه حتى الصباح ويجد نفسه فى حالة لا تطاق من الضيق والياس والدنيا فى ظلام والناس من حوله نيام ، فيكون للمحاولة فى هذا الوقت بالذات النصيب الاكبر من النجاح٠

واحب ان ابـين هنـا ان نسبة الانتحـار فى مجتمعاتنا الشرقية الاسلامية اقل بكثير جدا منها فى المجتمعات الغربية وغيرها ، (انظر الجـدول الاحصائى ، عن احدى النشرات الاحصائية لمنظمـة الصحة العالمية) ٠

معدلات الوفيات بسبب الانتحار
لكل ١٠٠٫٠٠٠ من السكان

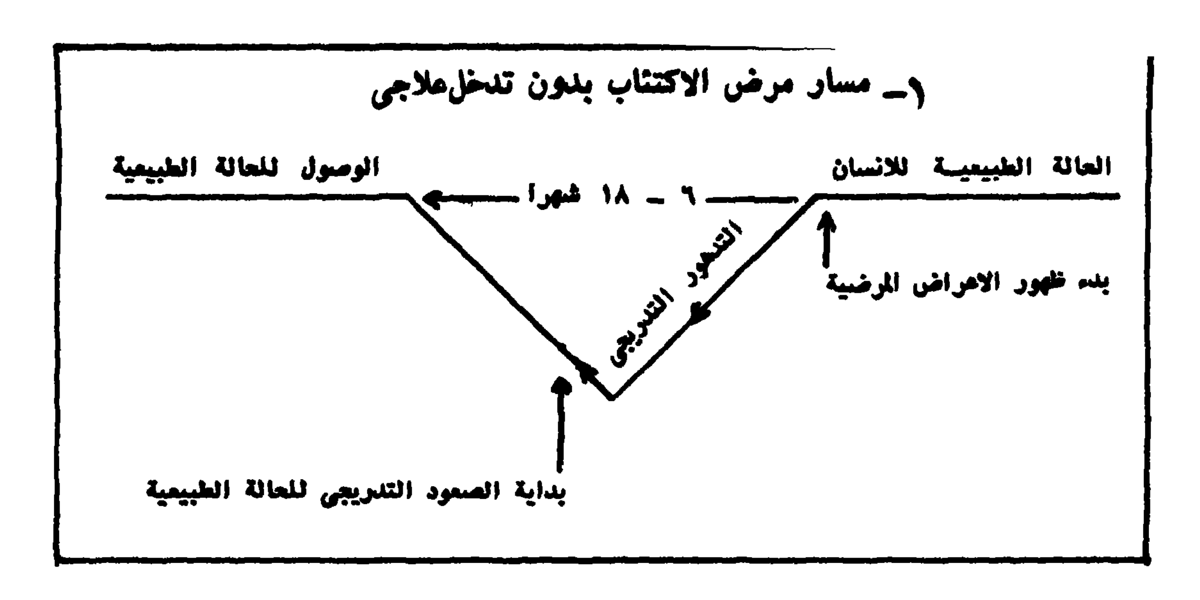
برلين الغربية	٣٧
هنغاريا	٢٥٫٤
تشيكوسلوفاكيا	٢٠٫٦
فنلندا	٢٠٫٦
النمسا	٢٠٫٩
اليابان	١٩٫٦
سويسرا	١٨٫٢
السويد	١٦٫٩
الولايات المتحدة	١٠٫٥
مصر	٠٠٫١

● يلاحظ ان النسبة بالنسبة لمصر اقل البلاد جميعا

ذلك ان للدين وازعا يحـمى الناس من قـتل انفسهم،فهم يتدبرون قوله تعالى فى كريم تنزيله: « ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما » واعرف مرضى كثيرين يعانون من اعراض المرض ويتحملونها فى صـبر وجلد وفى ضـميرهم طول الوقت نهى الله عن قتل النفس ولولا هذا لتخلصوا من الحياة واستراحوا من المعاناة حسب ما يصرحون به ٠ واعتـقد ان لدور الاسـرة الكبيرة المساند فعالية خاصة فى التقليل من نسبة الانتحار اذ يحس المريض بالاطمئنان وبشعور بالامان الى وجود مخرج من كل ازمة وانـفراج لكل عسر كما يتـردد فى التراث الثقافى والنفسى لمجتمعاتنا ٠

مضادات الاكتئاب

مضادات الاكتئاب تنقسم الى قسمين ، الاول : ذات التركيب ثلاثى الحلقات Tricgclic Anti Depressants ومفعول هذه المضادات هـو المحافظة على تركيز مناسب للامينات الحيوية Biogenic Amine فى بعض اجزاء المخ ٠ والقسم الثانى: كـوابـح الانزيـم احـادى الامـين المؤكـسـد Monoamine Oxidase Inhibitors وهذه تحدث مفعولها بالمحافظة على تركيز مناسب للامينات الحيوية بنسيج المخ بمنع تاكسد هذه الامينات بهذا الانزيم المذكور ٠ومضادات الاكتئاب



ذات التركيب للاثي الحلقات بدىء في استعمالها في اواخر الخمسينات بمركز العلاج النفسي بسويسرا وبعد النجاحات الاولى انتشر استعمالها بسائر الدول الاوربية وغيرها • وجدير بالذكر ان مركز العلاج النفسي بدولة الكويت كان من اوائل (وربما اول) المراكز العلاجية النفسية العربية الذى بدأ في استعمال هذه العقاقير المضادة للاكتئاب وقت ان كانت حديثة في زمانها وتحصل على نتائج طيبة في العلاج بواسطتها • ومضادات الاكتئاب متوفرة الان بعشرات الانواع المختلفة ولكل خصائص معينة تفيد في انواع بعينها من امراض الاكتئاب • فالعقاقير المضادة للاكتئاب ذات المفعول المهدىء توصف لانواع المرض الذى يصاحبه القلق والتململ • وعدم الاستقرار والمضادات ذات المفعول المنبه المنشط تفضل في حالات الاكتئاب الذى يصاحبه البطء الحركي الشديد •

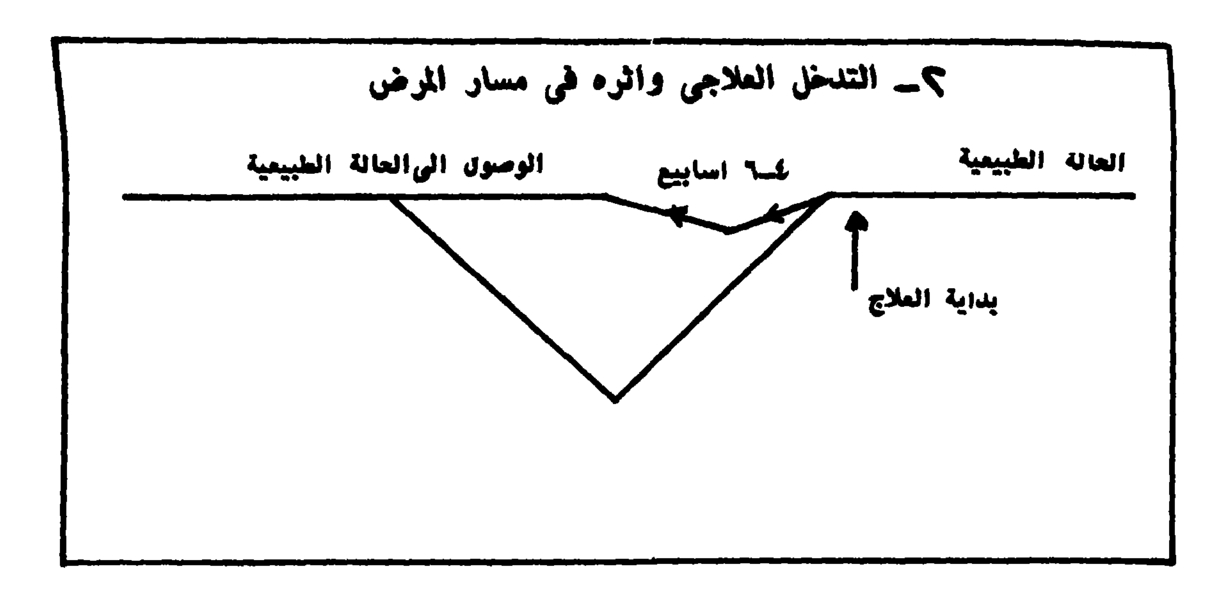
وتوصف هذه العقاقير بجرعات صغيرة في البداية تزداد تدريجيا حتى الوصول الى جرعة الذروة Maximum Dose ويستمر المريض على هذه الجرعات الكبيرة لمدة اربعة اسابيع ويمكن ان تصل الى ما يسمى بالجرعة المساندة Maintenance Dose وهذه يجب الاستمرار في تناولها طول مدة المسار الطبيعي للمرض تفاديا للانتكاس • وبعد تجاوز هذه الفترة يمكن ايقافها • وكل حالة لها تقديراتها الخاصة • اذ يرى بعض المعالجين الاستمرار في الجرعات المساندة لمدة سنوات ، وذلك في محاولة لتفادى نوبات اخرى من المرض • اذ من المعروف ان مرض الاكتئاب النفسي يمكن ان يعاود المريض في نوبة او اكثر بعد شهور او سنوات مستقبلا (انظر الشكل التوضيحي رقم ٢)

والاثار الجانبية ؟

لكن لهذه العقاقير مضاعفات او آثار جانبية يجب ان ينبه اليها المريض قبل وصفها له وتعريفه بها• والا اعتقد ان حالته تسوء باستعمالها اذا اضيفت هذه الاثار الى اعراض المرض الاصلية • فيوقف تناولها من نفسه ويضطرب علاجه • ومن اهم هذه الاعراض الجانبية : شعور المريض بجفاف الحلق وصعوبة البلع ـ الخفقان مع سرعة ضربات النبض ـ عدم وضوح احرف الطباعة عند القراءة التي تصعب على المريض او تمتنع عليه وذلك للاثر الذى يحدث للعضلات المسيطرة على تكيف عدسة العين ـ صعوبة التبول والامساك في بعض الاحيان ـ رجفة خفيفة باليدين ـ شعور بالدوار نتيجة انخفاض نسبي في ضغط الدم وبالاخص اذا تغير وضع الجسم من مستوى افقي الى مستوى راسي بشكل مفاجىء •

فاذا شرحت هذه الاعراض للمريض وتبين له ان بعضها يتوقع حدوثه وان طبيعتها مؤقتة لا خوف ولا ضرر منها ، حتى لا يفاجا بها ويتقبلها • وتقل شكواه وتخف وطاتها عليه •

اما مضادات الاكتئاب من القسم الثانى فان استعمالها اصبح اقل حاليا من استعمال مضادات النوع الاول ، وينصح الاطباء المرضى الذين



يتناولونها بالامتناع عن انواع معينة من الطعام والشراب • وهنا يجب التقيد بهذه النصيحة بشكل مطلق • والاتعرض المريض لازمة حادة من ارتفاع ضغط الدم المفاجيء

ومن اعراض هذه الازمة الصداع الشديد والخفقان •

ومن هذه الممنوعات :

البقول كالفول والفاصوليا ،والاجبان كالجبنة البيضاء والاسماك المحفوظة كالسردين والرنجة ، وبعض الفواكه كالموز ، والانبذة ومنها النبيذ الاحمر ، وكذلك اللبن الزبادى •

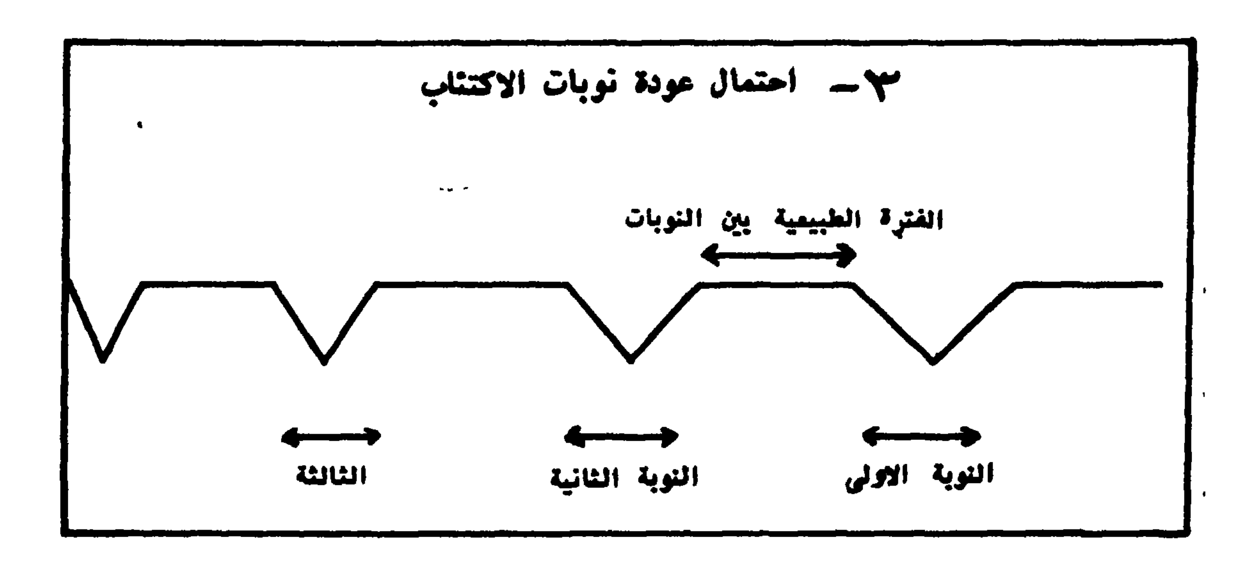
وهذه ليست قائمة كاملة للماكولات الممنوعة • والاطباء المعالجون يعطون نصحا مفصلا عن الغذاء اللازم في حالات تناول مضادات الاكتئاب من هذا النوع • وينصح بشكل عام بعدم استعمال مضادات الاكتئاب من النوعين في نفس الوقت •

وللادوية المضادة للاكتئاب مزايا عديدة • فقد جعلت من الممكن علاج المرضى في العيادات الخارجية أو في منازلهم قريبا من بيئتهم الطبيعية دون الحاجة الى ادخالهم مستشفيات امراض نفسية كما كان يتوجبهذا في الماضي •وساعدت على عدم الاخلال بنظام الحياة اليومية الذى اعتاد عليه وهذا في حد ذاته ازال الكثير من الرهبة التي تحيط عادة بالمرض النفسي وجعلت المرضى واقاربهم يتقبلونه كمرض عادى مثل غيره من سائر الامراض الجسمية • كذلك قلت الحاجة الى اللجوء الى طريقة علاج الصدمات الكهربائية• وهذه كانت الطريقة الوحيدة المعروفة لعلاج الاكتئاب قبل اكتشاف المضادات •

وهذه الطريقة لا يعيبها الا ان المرضى بشكل عام وفي كل البلدان لا يرحبون بها ويفضلون عليها اى علاج اخر •

بالجلسات الكهربائية

هل ما يزال هناك مكان للعلاج بالجلسات الكهربائية ؟ وما وضع هذه الطريقة العلاجية بالنسبة لمضادات الاكتئاب ؟ ثمة اسئلة هامة تثار باستمرار حولموضوع اهمية العلاج بالجلسات ومنزلة هذا الاسلوب العلاجي القديم في الوقت الحاضر • واحب ان ابين بوضوح أن العلاج بالجلسات الكهربائية ما زال انجح وأسرع واضمن علاج لمرض الاكتئاب • ان استعمال مضادات الاكتئاب لا شك انه احدث ثورة تقنية في المفهوم العلاجي لهذا المرض• لكن المضادات بطيئة المفعول وتستلزم حوالى الاسبوعين حتى يظهر اثرها الاكلينيكي • ولا يحب الاطباء المعالجون ترك المريض يعاني الاعراض لهذه المدة • وعليه يفضل البعض وبالاخص في حالات الاكتئاب الشديدة بدء الجلسات مع المضادات في نفس الوقت • وتوقف الجلسات بعد حوالى أربعة استعمالات حتى تكون المضادات قد بداتفعلها ويترك لها تكملة العلاج•



ولقد ولى بهذا العهد الذى كان يستوجب استعمال الجلسات الكهربائية ١٢ مرة او اكثر ٠

وجدير بالذكر ان الجلسات الكهربائية لا خطر منها وهى سالمة تماما ومضاعفاتها هينة للغاية ، مثل التاثير على الذاكرة اذ ينسى المريض بدرجات متفاوتة بعض الاحداث والاسماء لكن هذا يحدث بشكل مؤقت ولفترة محدودة يسترجع المريض بعدها كامل ذاكرته ٠ ويجب ان ينبه المريض واهله الى هذه المضاعفات قبل البدء فى العلاج النفسى ٠

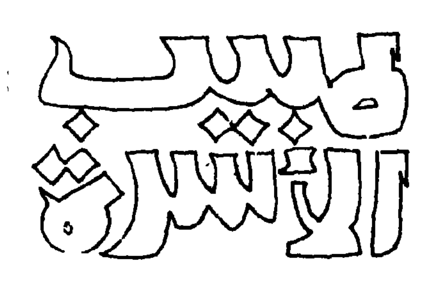
العلاج النفسى

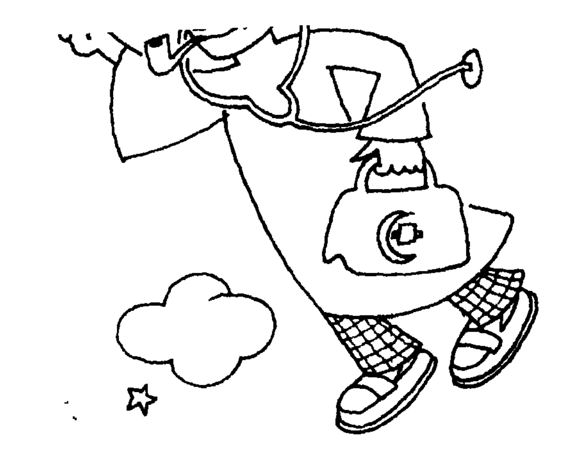
لا اقصد بالحديث عن العلاج النفسى اية محاولة للتحليل العميق او اثارة ذكريات من الماضى فهذا يدفع المريض الى الارتباك وتسوء حالته لكننى اعنى بالدرجة الاولى المناقشة الهادئة للاعراض والافكار المسيطـرة ٠ فمسالة الانتحار تذكر بصراحة وتناقش مع المريض٠فهو يرتاح اذا علم أن معالجيه يعرفون عنه اسوا ما يعانيـه ٠ واذا تبودلت الثقة بين المريض والمعالج ونمت بينهما علاقة علاجية ايجابية يمكن ان يطلب المعالج وعدا من المريض بعدم الاقدام على فعل الانتحار وان يسارع فى طلب العون والنجدة اذا الح عليـه هذا الخاطر ٠ وهذا يساعد فى كثير من الاحيان فى التصدى لهذا الموضوع الحساس ٠ كذلك افكار التقليل من الذات Selfe Depreciation والاعتقـاد فـى ارتكـاب الاخطـاء والتسبب فى الحاق الاذى بالغير وايضا الشعور بالذنب ولوم النفس واتهامها كل هذه الافـكار تناقش مع المريض وتنفى بشدة ، وتبرز امامه باستمرار منجزاته الايجابية وتجسد له خير صفاته وتنمى لقته فى العلاج الموصوف ويؤمل بالشفاء التـام القريب ٠ ويحـاط من جانب الاهل والاصدقـاء والزملاء او الممرضين والمعالجين بجو دائم من التفاؤل والاستبشار ٠

وهذا كله يعنى ان المريض بالاكتئاب النفسى تلزم له رعاية طبية نفسية مستمرة ومنتظمة طيلة فترة مســار المرض الطبيعى ٠ فهو فى حاجـة للاستشارة الطبية لصرف علاجه المسـاند وتعديل جرعاته اذا لزم الامر ٠ وكذلك مراقبة التغيرات فى ضغط الدم ٠ والمتابعة العامة٠كل هذا يحتاج لاعباء اقتصادية كبيرة لا ينبغى اطلاقا ان تترك لترهق المريض غير القادر وتضيف هما الى هم المرض ٠

ومن العدل الاجتماعى والانصاف الانسانى ان تقوم المؤسسات فى المجتمع من نقابية وتامينيـة وحكومية بالتعاون فى تحمل نفقات العلاج مع المريض واهلـه ٠ وفى بعض البلدان الاوروبيـة تقوم شركات التامين الصحى بتحمل كافة مصروفات العلاج بالاضافة الى اجازة طويلة مدفوعة الاجر يقضيها المريض فى نقاهة على سفوح الجبال وضفاف البحيرات ونعيم الغابات ٠ واملى ان لا نتاخر كثيرا وننتظر طويلا حتى نرى مثل هذا او بعضا منه يتحقق للمواطن فى بلداننا العربية ٠ ■■

الكويت ــ د ٠ درى حسن عزت





يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

كيف تتكون الاملاح ؟

● انني اشكو من التهاب في البول والم في الظهر وكلما ذهبت الى طبيب يخبرني بعد تحليل البول بانها مجرد املاح في البول ويرشدني الى اتباع اكل معين وشرب السوائل وفعلا تخف حدة الالم . فما هي املاح البول هذه وكيف تتكون حتى اتجنبها ؟

ان أملاح البول كثيرة ، والانواع التى تتكون عند شخص تختلف عن الشخص الاخر معتمدة على عدة عوامل منها وجود اضطرابات فى التمثيل الغذائى ، نقص الفيتامينات ، وجود أى التهاب فى المجارى البولية ، أمراض الغدد تفاعل البول اذا كان حمضيا أو قلويا وكذلك نسبة تركيز البول .

فمثلا اذا كان تفاعل البول قلويا فقد تترسب فيه أملاح كربونات الكالسيوم ، فسفات الكالسيوم ، يورات الامنيوم وأملاح الفسفات غير المبتلرة .

اما اذا كان تفاعل البول حمضيا فقد تترسب فيه أملاح أكسالات الكالسيوم ، يورات الصوديوم ، حمض البوريك وأملاح اليورات غير المتبلرة .

وزيادة حموضة البول أو قلويته تتأثر الى حد كبير بالمأكولات والمشروبات والادوية فمثلا تناول الكربونات لعلاج حموضة المعدة يؤدى الى البول القلوى وكذلك فى مرض النقرس يزداد حمض اليوريك فى الدم والبول .

والغذاء الجيد المحتوى على الفيتامينات يقلل من حدوث الاملاح وذلك يلاحظ فى الاطفال الاصحاء حيث يندر وجود الحصى عندهم بخلاف الاطفال فى الاحياء والمناطق الفقيرة ، كذلك فان فيتامين (أ) مهم جدا لحفظ خلايا الكلية والغشاء المخاطى للحالب والمثانة فى حالة جيدة ، كما ان فيتامين ب المركب يساعد على منع تكون أملاح وحصى الاكسالات .

ووجود الاملاح فى البول وزيادة تركيزه يؤدى الى حرقان فى التبول ويشجع على حدوث التهابات وتكوين الحصى فى المجارى البولية فى الكلى او الحالب أو المثانة مما يؤدى الى الام فى الظهر وفى المثانة .

وقد لوحظ أن أملاح اليورات تكثر فى الاشخاص الذين يأكلون اللحوم

والاسماك والبروتينات بينما يترسب الفوسفات فى بول الاشخاص الذين يكثرون من أكل الموالح، ويترسب الكالسيوم فى الذين يكثرون من أكل الالبان ومنتجاتها والاكسالات عند كثرة تناول الكرنب والسبانخ والطماطم والمانجه والتين والكاكاو ٠

لتفادى تكون الاملاح فى البول يجب الامتناع عن تناول المأكولات التى تسبب ذلك النوع من الاملاح مع شرب السوائل بكثرة لتخفيف البول واذابة الملح ومنع ترسبه حيث ان زيادة تركيز الملح فى البول وترسبه تنتج من قلة شرب السوائل وزيادة العرق او عند القيام بمجهود عنيف وكذلك فى أمراض الحميات وفى القىء والاسهال ولهذا يجب الانتباه دائما الى كثرة شرب السوائل فى فصل الصيف حتى يكون البول فاتح اللون وغير مركز بالاملاح

البواسير ما علاجها ؟

● اصبت بامساك وشعرت بالام اثناء التبرز ، ولدى اجراء التحاليل والتصوير المظلل للقولون تبين وجود بواسير داخلية والتهابات فى المستقيم والقولون فما هو العلاج ؟

تعالج البواسير بانواع من المراهم والتحاميل الشرجية مع تجنب الامساك ــ واذا لم تستجب لذلك او اذا تكرر منها النزيف الدموى يستحسن التدخل الجراحى وازالتها ٠

اما بالنسبة لالتهاب القولون فيستحسن اجراء منظار خاص لرؤية الغشاء المخاطى الداخلى الذى يبطن القولون لان وصف الحالة ونتيجة الاشعة المظللة تشير الى احتمال وجود التهابات وتقرحات بالقولون والتى تحتاج الى علاج خاص ونظام غذائى خاص يضعه الطبيب المختص بعد تحديد نوع الالتهاب الموجود وذلك بعد فحص المنظار المشار اليه ولايمكن وصف ذلك بدون الفحص الشامل ٠

المرض النفسى والقىء

● انا لا اعانى من اى مرض لكن اصاب بحالات قيىء شديدة احيانا ٠ ما العمل ؟

أ ٠ ع ــ دمياط

ــ كثيرا مايعانى المصابون بالاضطرابات النفسية من ذلك ٠ ويلاحظ هؤلاء ان مجرد رؤية الاكل ربما يسبب لهم غثيانا ثم قيئا ــ او انهم عندما يتناولون أى طعام

فمجرد وصول هذا الطعام الى المعدة ـ او حتى قبل وصوله تحدث لهم عملية القيء. هذا النوع من القيء لا يكون مصحوبا بأى ألم أو بارتفاع فى حموضة المعدة أو ارتباكات فى الجهاز الهضمى .

الملاحظ كذلك فى هؤلاء المرضى انهم لا يتعرضون لنقص الوزن ـ اذ انه ليس كل ما يتعاطون من طعام وشراب يفقده الجسم ، فبعض الطعام يمر من المعدة ويستفيد منه الجسم ـ ويكون كافيا لبقاء وزن الجسم ثابتا او انه فى بعض الحالات ربما زاد وزن الجسم اذا كانت الكمية التى تمر من المعدة زائدة عن حاجة الجسم .

ومثل هذه الحالات تكون صعبة العلاج لو لم يؤخذ فى الاعتبار الحالة النفسية وتحليلها بدقة والوصول الى اصل الداء ليكون العلاج ناجحا ـ وبزوال السبب تزول هذه الحالة على انه لا بد كذلك من فحص المريض .

المشروبات الكحولية والجنين

● هل تؤثر المشروبات الكحولية فعلا على الجنين فى بطن الام ؟

ـ لقد وجد ان هناك تأثيرا قويا على نمو الجنين وعلى وجود تشوهات خلقية به عندما تكون الام مدمنة على تعاطى المشروبات الكحولية اثناء الحمل . هذا علاوة على تأثير هذه المشروبات على الام نفسها ، من تليف بالكبد وفقر دم شديد وضعف عام ، وهذيان فى بعض الاوقات مع رعشة تعترى الجسم .

والاطفال الذين يولدون من هؤلاء الامهات نلاحظ فيهم عدم نمو الفك العلوى ونتوء فى الجبهة والفك السفلى وضيق فى فتحة العينين ، وتكون العينان صغيرتين ، وحول فى العين ، او تراخ فى جفون العينين .

وهناك الامراض الخلقية التى تحدث فى القلب من عدم تكامل الحاجز بين البطينين، ونوبات دموية بالجسم ، وتشوهات بالاذن ، وخلع عظام الفخذين وخروجهما من مفصلى الحوض وقلة الحركة فى المفاصل ، ركوب الاصابع فوق بعضها البعض ثم وجود شعر على الوجه .

اما عن النمو فهناك نقص فى النمو الجسمى فهؤلاء الاطفال قصار الطول وناقصو الوزن بالنسبة لاعمارهم ، ومستقبل النمو فيهم ضعيف فترى رؤوسهم صغيرة ثم تلاحظ ضعفا فى قواهم العقلية ومعظم هؤلاء لا يبدون اى استعداد للنمو الطبيعى رغم وضعهم تحت العناية الفائقة وموالاتهم بالغذاء السليم .



نيرون

بين خليل مطران و راسين

مطران — راسين

بقلم :
غسان فواز هنيدى

■ ان قصيدة « نيرون » (١) هى اروع ما نظم مطران ، لا بل هى من القصائد الاولى فى المجموعة الشعرية من تراثنا الادبى ، لما تحويه هذه القصيدة من لوحات فنية رائعة ، بحيث ينطلق الخيال مصورا تلك الاحداث التاريخية الحاسمة . فادخل مطران بذلك عنصر الملاحم فى الشعر العربى ، ذلك العنصر المفقود بين طيات تراثنا الشعرى الضخم .

« نيرون » احدى القصائد الطويلة التى ملأها الشاعر خليل مطران صورا حية من تاريخ الانسانية وشعوبها ، ومن تاريخ ملوكها وحكامها .. فمن « الاهرام » الى مقتل « بزرجمهر » الى « نيرون » الى « فتاة الجبل الاسود » الى غيرها من القصائد يحيى الشاعر من جديد تراث تلك الامم التى اندثرت معالمها وكادت مدنياتها ان تزول . فيمر برجالاتها العظام نازعا عنهم اقنعتهم ليظهرهم لنا على حقيقتهم المجردة ، فنعيش معهم من جديد تلك العهود الغابرة .

---

(١) القى مطران هذه القصيدة بالجامعة الاميركية فى بيروت عام ١٩٢٤ بدعوة منها .

نيرون الطاغية

لقد اهتم خليل مطران بالاحداث التاريخية التي تصلح لان تكون مادة حية للشعر لما تخلق من اجواء تساعد خيال الشاعر على الانطلاق فى خلق الصور الرائعة وايجاد الالفاظ والتعابير الملائمة.. فبال شاعرنا جولاته الطويلة حول العالم القديم، فدون كثيرا من انطباعات وصور كانت مادة عزيزة له .. ثم تحول نحو روما ، تلك المدينة العظيمة التى اشتهر بعض حكامها بالاخلاص والتفانى ، وسار البعض الاخر فى طريق الفساد فاقترن اسمهم بابشع ما يمكن ان توصف به الاشياء . وفى طليعة هذه الفئة الاخيرة « نيرون » ، ذلك الرجل الذى مثل على مسرح الانسانية افظع وابشع ماساة عرفها تاريخ البشر .

استهوت سيرة هذا الرجل شاعرنا الكبير كما استهوت الكثيرين غيره من الشعراء والكتاب والفنانين لما فى حياته من اطوار غريبة واحداث وجرائم ، حتى وكانه يبدو لنا مجسما لقوى الشر الهدامة التى تقصف كل من يعترضها ، وعندما تتلاشى انفعالات من جاورها من قوى ترتد الى عناصرها هى ، تمعن اجزاءها ضربا وتخريبا . استهوت السيرة شاعرنا ، فانكب يفتش بين صفحات تاريخ روما عن ادق المعلومات . فدرس شخصية نيرون وتقلباتها وتعمق فى درس نفسيته الشريرة حتى خرج بهذه القصيدة الرائعة جامعا اهم الاحداث التاريخية . فاعطى لقراء العربية مثلا واضحا لما يمكن للشاعر الموهوب من الاتيان به من معجزات القافية يصيرها كما يريد . فكان مجددا لذلك الشعر القصصى الطويل فى موضوع موحد متماسك الافكار والصور .

ومن بين الكثيرين من شعراء الغرب نظم الشاعر الفرنسى راسين ماساة تقع فى نحو الف ومئة بيت وعنوانها « بريتانيكوس Britannicus » مستندا الى كتابات (Tacite) و (Suetone), و (Seneque) مثلت لاول مرة فىفرنسا سنة ١٦٦٩. وكما ان خليل مطران قد قدم قصيدته الطويلة « نيرون » ليبرهن عن مقدرته فى النظم والحفاظ على القافية الموحدة وخلق الصورة لتلك الاحداث التاريخية باسلوب فنى رائع ، كذلك راسين كتب ماساته هذه ردا على اعدائه القائلين بانه لايمكنه الاتيان بمواضيع تاريخية عظيمة كالتى يقدمها عدوه اللدود « كورنيل » فظهرت عبقرية ذلك الشاعر وقدرته الفذة على غوص جميع المواضيع مهما اختلفت وطالت وتشعبت .

شخصية نيرون بين راسين ومطران

ولكن ما بنا نقوم بدراسة شخصية نيرون بين راسين وخليل مطران ، وكل منهما قد اخذ مرحلة من مراحل حياة ذلك الرجل ، فاعطانا راسين المرحلة الاولى من حكمه وانهى ماساته قبل ان يكمل نيرون تنفيذ جرائمه العديدة فهو لم يقتل بعد امه ولا امرأته ولا الكثيرين من اقاربه وقواده، مع ان خليل مطران صور لنا نيرون بين جرائمه فانتقل بنا من اولى مراحل حكمه الجائر الى اغتيالاته وقتله للكثيرين من المقربين اليه ، الى حريق روما ، الى اتهامه النصارى باحراق المدينة ، واخيرا الى انتحاره . بيد انه رغم اختلاف المراحل التى استند اليها كل من الشاعرين فنحن امام شخصية واحدة تتفاعل امامنا . فنيرون راسين هو ذلك الحاكم الذى بدات قوى الشر تستفيق من سباتها عنده .. يبدو لنا بين تيارين اى بين « بوروس Burrus » وهو مجسم لقوى الخير ، وبين « نرسيس Narcisse » وهو مجسم لقوى الشر . فنسير مهراسين مراحل ذلك التطور المؤلم ، فنشهد ذلك الصراع القوى الذى ان دل على شىء فعلى ما يكمن فى نفسية ذلك الرجل من بذور الشر المتاصلة فى كيانه اما شخصية نيرون عند خليل مطران ، فهى قد اكتملت عناصرها وبدات قوى الشر تفعل فعلها عنده . فيتنقل بنا الشاعر بين تلك الاجواء الموبوءة التى خلقها الطاغية المستبد .

يبدا مطران قصيدته هذه بوصف دقيق لشكل ذلك الظالم ، فهو بارز الصدغين ، خائر الهمة ، قصير القامة . اما طبعه واما نفسيته فلا قلق ولا تفاعل ولا وجود للصراع فيها ، فهو كالشؤم فى مخيلة البشر ، كالوباء اينما حل :

ان ر..ا في موضع طمّ الأسى
او مضى فاظنُن بسيفِ الله بَترا
متافـاً للزرع والضـرع معـاً
تاركا في إثره المعمورَ قفـــرا

اما المرحلة الاولى من حكمه وهى المرحلة البناءة التى يعتبرها الرومان فى الخمس سنوات

عندما طرقت الجامعة أبواب صنعاء

بقلم : محمد خليفة التونسي

تصوير : فهد الكوح

وصار في اليمن جامعة .

« الخبر » بالغ الاهمية ، رغم ان الحدث عمره حوالي سبع سنوات ، والكل يعرف السبب : كيف ان يكون مسرح هذا الحدث الكبير هو اليمن ، التي كان يطلق عليها الرومان ـ فيما مضى ـ « العربية السعيدة » !

ما هي قصة الجامعة ؟

هذا الاستطلاع يصحبنا في زيارة لأرجائها .

● في البدء ، لابد من وقفة امام اليمن ذاتها ، التي يرجح كثير من علماء البشريات (الانثروبولوجي) انها مهد الجنس البشرى ،كما انها مهد العروبة في ارجح الاراء ، وفيها اقدم الحضارات العربية(المعينية ، والسبئية ،والعمرية) ومنها خرجت الموجات البشرية التي اسست او اشتركت في تاسيس اقدم الحضارات العمرانية في منطقة الشرق الاوسط ولا سيما العراق والشام ومنها الحضارات الاكادية (البابلية) والاشورية والعمورية والكنعانية ووليدتها الفونية (الفينيقية) التي امتد نفوذها الثقافي والاقتصادي الى كثير من جزر البحر المتوسط وشواطئه شمالا وجنوبا حتى بلغت اسبانيا وفرنسا والجزر البريطانية ، كما خرجت من اليمن موجات بشرية اخرى الى شواطيء شرقي افريقية قبل الميلاد وتوغلت فيها حتى الحبشة ، وكونت هناك دولة راقية واسعة ، ثم خرجت موجة اخرى الى اطراف الجزيرة العربية وقلبها ، فاسست مملكة اللخميين في الحيرة جنوبي العراق ومملكة الغساسنة في الشام ، ونزلت بعض قبائلها : الاوس والخزرج في يثرب (المدينة) ، حتى اذا جاء الاسلام واستنفر العرب للجهاد في سبيل الله خرجت باسمه اكبر هذه الموجات من قلب الجزيرة العربية وسائر اطرافها (واهمها اليمن) فانتشرت فيما بين الصين شرقا حتى المغرب الاقصى والاندلس على ساحل المحيط الاطلسي غربا ، وامتدت الى جزر البحر المتوسط وبعض شواطئه الشمالية ، وكانت هذه الموجة ابعد الموجات مطرحا ، واعظمها نفعا ، واعمقها اثرا في تاريخ العالم كله ، اذ صححت وجهته نحو الله ، واحيت كل نافع من ثقافاته وحضاراته ، وجعلت من اشتاتها وحدة حية ذات



اقامت جامعة صنعاء معرضهـا الاول فى ختـام العام الدراسى الاخير ، وفى الصورة احـمد مشاهد توزيع الجوائز على الفائزين فى المعرض-وقد وقف الاستاذ الايرانى وزير التربية ورئيس الجامعة يسلم احد الفائزين جائزة ، والــىجواره ظهر الدكتور عبد المحسن العبادى عميـد كلية العلوم ٠

صبغة اسلامية ، وان لم يكن الاسلام منشاها ، وهذه الصبغة انسانية عامة ، تسوى بين البشر أمام الله ، وترفع عنهم كل وصاية لغيره ، فلا حجر على فكر او ضمير او سلوك ، وتجعلهم اخوة فى كفالته وكفالة بعضهم بعضا ، بل هى صبغة الهية ، لانها ابرزت الكون كله بارضه وسماواته كانه اسرة واحدة تعيش فى عنايته لانه وحده خالقها ومدبرها وقيمها لا سواه ٠

ومعروف ان هذه الفتوح الجغرافية الاسلامية فى بدايتها انما انطلقت من الجـزيرة العربية وكان العرب وحدهم مادتها فى هذه البداية ،ولو تدبرنا هذه المادة لراينا معظمها من قبائل اليمن، فقد كانت اقدم جهات الجزيرة العربية حضـارة واوجبها عمرانا ٠

وقد احدث خروج هذه العناصر النشيطة منها الى البلاد المفتوحة خفة فى سكانها ، مما جعـل بعض المؤرخين يزعمون عن سوء نية او سوء نظر ان الاسلام قد زعزع مكانة اليمن، وسلبها استقلالها، ولو احسـنوا النية او الراى وتدبروا الحقائق الواضحة لعرفوا ان الاسلام حفظ سلطانها لاهلها فى حماية دولته الجديدة ، بعد ان كانت للحبشة حينا ، وفارس حينا ، وسوى بينها وبين الاقاليم العربية وسائر البلاد المفتوحة فى الســلطان ، واعطى اهلهـا كما اعطى بقية الفاتحين ارضا جديدة يستوطنونها ، ويرتزقون من خيراتها ،وفتح لهم طرق التجـارة التى كانت فى ايدى الفرس والرومان ، وتركت منازلهم فى اليمن لمن بقـوا فيها ، بالاضافة الى الاسلام الذى وحد عقيدتهم فخلصهم من المنـازعات الدينيـة الداخلية بين يهودية ومسيحية ومجوسية ووثنية ، وقد انتشرت شرائح هذه القبائل اليمنية ولم تزل بقاياها حتى اليوم حيث يسمع الاذان بدعوة الاسلام سواء فى المـدن او الارياف ، ولم يزل كثير منها يذكر اصوله اليمنية ٠

كيف نشات الجامعة ؟

ظهرت الجامعة فى السنة الدراسية ٧٠/٧١ ، وكانت كسائر المواليد فى بدايتها صغرا وضعفا، اذ بدات كليتين : احداهـما للتربية ، تضم ١٣ طالبا وطالبة ، وكلية للشريعة والقانون ،وطلابها وطالباتها ٣٧ ، وهـذا فى دولة دخلت الثلث الاخير من القرن العشرين ، وسكانها يومئذ خمسة ملايين او يزيدون ٠

ولكن هذه البداية ـ مع صغرها وضـعفها ـ جديرة بالاعجاب ، ولولا اصرار بعض اولى العزم من فضلاء الدولة على انشائها ، والمعونة المالية من بعض الدول العربية لتاخر ميلادها سنة او سنوات ، ويكفى عقبة دون فتحها قلة المؤهلين لها من خريجى الثانوية ، كما تدلنا على ذلك النظرة

السريعة الى عدد الطلاب والطالبات معا وهم خمسون عند افتتاحها كليتين •

لقد ولدت كما اريد لها « على اى نحو » ، وكانت ولادتها بما يشبه العملية القيصرية قبل الاوان ، لا ولادة طبيعية ، ولكنها عاشت ،ونمت طبيعيا ، وامتلأت عافية ، بل صارت كغير ماتكون اى جامعة فى مثل عمرها ، وهى اليوم فىسنتها السابعة من عمرها العريض الطويل بتوفيق الله، وهمة الغيورين • وكم من دولة عربية وغيرعربية غارقة فى ثراتها ، ولديها اعداد من خريجى مدارسها الثانوية ، ثم اشفقت من تاسيس كلية واحدة فضلا عن جامعة ذات كليات ، فهى ترسل هؤلاء الخريجين ولو على نفقتها الى جامعات دول اخرى •ومن هنا ياتى بدء العجب من انشاء جامعة صنعاء ، والاعجاب بها

لم تزل نهضة « يمننا » هذه فى بدايتها ، ولهاعذرها بل اعذارها الكثيرة ، فانها — حتى ثورتها الاخيرة سنة ١٩٦٢ — بقيت معزولة وراء سورها الحديدى الذى ضربته حولها « حكمة » حكامها السابقين من ابنائها ، فلم تنتفع بمزايا استقلالها المبكر الذى سبقت فيه معظم شقيقاتها العربية ، مما يدل على ان الاستقلال لا يغنى فتيلا عن اصلاح احوال شعبها واطلاق الحرية له كى ينشط بكل ما لديه ذاتيا من طاقات ادبية ومادية • لقد بقيت « يمننا » فى عزلتها لا يسمح لشعبها ان يتصل بسواه من شعوب العالم ، ولا يسمح لها ان تتصل به ، حتى اذا تسللت اليه — من خلل السور — دعوات الحرية والاصلاح — بالكره من حكامه — قامت طوائف من احراره بالثورة على هذا الطغيان الراصد حتى اطاحت به ، وبذلك تصدعت كل جوانب ذلك السور الخانق ، [illegible] من سائر بلاد العالم شرقا وغربا ، و « يمننا » لا شك فى اشد الحاجة الى كل عون صالح ، لتمضى فى نهضتها •

ولقد كانت البلاد القريبة منها اسرع الى نجدتها وعونها ، فالاخ الى اخيه اقرب ، وبعونه اجدر ، وله اشد قبولا ، وعليه اكثر اعتمادا ، وان كان هذا لا يعفى سائر بلاد العالم القادرة على اى معونةمن ان تسعف ولو بايسر ماتستطيع، فهذا واجب لا فكاك منه ، ولا عذر فيه لمقصر بعد ان صارت اقطار الارض — بسبب تشابك مصالحها — كاعضاء الجسم الحى ، فلا تضار مصلحة طرف قاص او دان حتى تضار مصالح سائر الاطراف • عرف ذلك من عرفه ، وانكره من انكره ، واذا لم يكن حب الغير وبعد النظر كفيلين بعمل القادرين على المعونة ان يقدموها عن سماحة وحكمة ، فان جرائر المحن واضرارها عليهم كفيلة بان تعلم الجاهل ، وتنبه الغافل ، وتكبح جماح المعاند ،فيخف الى النجدة اضطرارا، ان لم يبادر بها اختيارا ، ولا عجب اذن ان تجد المساعدات تاتى هذا القطر من دول كثيرة غربية وشرقية ، ايا كانت الدوافع من هنا او هنالك• وكلها خيرات واجبة القبول ، جديرة بالتقدير ما ابقت للشعب واحراره المسئولين حريتهم فىتدبير احواله والتصرف فى ثرواته على وفق مصلحته ، دون وصاية خارجية •

التعليم قبل الثورة

كانت البلاد قبل سبتمبر سنة ١٩٦٢ تكادتكون خلوا من التعليم النظامى على اختلاف مستوياته

القديم والجديد فى صنعاء• هذا المبنى الشاهق يطل على الجامعة • هو صرح غمدان ، قصر وحصن يقوم على صخرة واحدة بالقرب منصنعاء ، وكان يسكنه الملوك الائمة قبل الثورة (١٩٦٢) وهو يعود الى (اليشرح) أحدملوك سبأ فى القرن الاول الميلادى وقد بنى بالحجارة الضخمة الملونة والرخام الشاهر ،وكان يتكون من عشرين طبقة ، ارتفاع كل منها عشرون ذراعا ، فهو اقدم ناطحة سحابنعرفها ، وبقى الى ايام سيف بن ذى يزن آخر الملوك الحميريين الذى استطاع بمعونةالفرس ان يطرد الاحباش سنة ٦٧٥ بعد ان احتلوا اليمن نحو خمسين سنة ، فتوافد عليهرؤساء القبائل يهنئونه بالانتصار والملك ، ومنهم عبد المطلب (جد النبى عليه السلام)وأبو الصلت الثقفى (والد شاعرنا المخضرم امية بن ابى الصلت) الذى نظم قصيدةفى تهنئته ، منها قوله :

« ارسلت أسدا على بقع الكلاب ، فقد ... اضحى شريدهم فى الارض فلالا
فاشرب هنيئا ، عليك التاج ، مرتفعا ... فى رأس غمدان — دارا منك محلالا



هناك تعليم ثانوي عام او فني ، ولا في مستواه فاذا هبطنا الى مستوى التعليم المتوسط حتى السنة الدراسية ٦٢ / ٦٣ ـ بعد بداية الثورة ـ لم نجد الا ثلاثة مدارس هزيلة تضم نحو عشرين فصلا ، فيها نحو سبعمائة طالب ، ومعهد واحد للمعلمين ابتدائي ، يدرس خريجوه في المدارس الابتدائية ، على قدر ما تعلموا فيه من بدايات المعرفة • واما المدارس الابتدائية في تلك السنة فكانت اشبه بالكتاتيب المتهالكة ، لانها هيئت على عجل عقب الثورة بقدر ما تهيأ من وسائل ومعونات معظمها خارجي ،وقد بلغت هذه المدارس او الكتاتيب يومئذ اكثر من تسع مئة ، تضم نحو ٥٧٠٠٠ تلميذ ، والفي تلميذة ، ولا استثناء من هذا التخلف لغير حركة ضعيفة في مجال التعليم الديني ، فقد كان هناك بعض الافراد الذين يتولونه في المساجد ونحوها متطوعين غالبا ، فاهل البلاد مسلمون فهم مضطرون الى من يعلمهم مالا بد من علمه بين امور دينهم ، ويقيم لهم شعائره ، ويفتيهم في مسائله ، ويقضي بينهم بما اصطلح عليه علماؤهم من احكامه ، ومن طلاب هذا التعليم كان كثير من شباب الجامعة الخمسين الذين التحقوا بها عند فتحها • ولم تتوان الدولة عقب الثورة في انشاء ما تيسر لها من المدارس على اختلاف المستويات ، ولاسباب كثيرة لم تجد بدا من التاني في الاستكثار من المدارس المتوسطة والثانوية للبنين والبنات ، حتى يتهيأ لكل مستوى منهما عدد كاف منخريجي المستوىالسابق له،ويجلب اليها المعلمونمنالخارج، وكان من الاسباب ان الدولة كانت في شغل شاغل بمشاكل الحرب الاهلية وجرائرها في السنوات التي تلت الثورة سنة ٦٢ حتى افتتاح الجامعة سنة ١٩٧٠ •

قفزات واسعة

وقد يبدو انشاء الجامعة متاخرا عن وقته بالنسبة للبلاد الاخرى ، ولكن التقدير الصحيح لتلك الاسباب المعوقة يحملنا على اعتبار اننشاة الجامعة كانت مبكرة ، بل انها ولدت قبل اوانها وهي لم تولد ـ كما اسلفنا الا نتاج تلك العزمة الصادقة الجبارة من بعض ذوي الغيرة والقدرة والحنكة الذين تبنوا فكرتها ، وطلبوا المعونة المالية لتوليدها ثم رعايتها ، فوجدوا من يلبيهم نجدة ، واجزل عطاء •

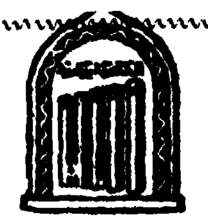
كانت ولادتها فلتة ، ولكنها محسوبة العواقب ولهذا نمت كما تنمو افضل الجامعات حظا ، وان كانت بدايتها صغيرة ضعيفة ، فان مدارس الدولة اخذت تمد الجامعة بخريجيها ، وتواصلت المعونة المالية لها ، فمضت تكبر ، وتجد في خطاها ، ثم توالت قفزاتها المامونة العواقب ، وهي ماضية في ذلك حتى تتكامل بنيتها كسائر الجامعات العريقة-

اشرنا من قبل الى ان الجامعة بدات سنة ٧٠/٧١ كليتين : احداهما للتربية تضم ثلاثة عشر طالبا وطالبة ، وثانية للشريعة والقانون ، طلابها وطالباتها ٣٧ ، ولم يكن المكان الذى بدات منه ـ ولم تزل فيه حتى الان ـ قد خصص لها ، بل ليكون معهدا للمعلمين ، فاستقرت فيه ، وبعد سنه واحده تهيات للتفرع ، فتطورت كلية التربية لتكون كلية الاداب والعلوم والتربية ، تمهيدا لفصلها ثلاث كليات بعد ان كانت ثلاثة اقسام في كلية واحدة ، واما كلية الشريعة والقانون فقد قفز طلابها من الجنسين في سنواتها الثلاث الاولى من ٣٧ ، الى ١٣٤ ، الى ١٦٣ ، حتى سنتها الرابعة (٧٣/٧٤) فالحقت بها شعبة للتجارة والاقتصاد بلغطلابهاوطالباتها ٢٤٣ ، فلمااستقلت في السنة التاليةباسم « كلية التجارةوالاقتصاد » بلغوا ٥٧١ ، وهكذا صارت الكليتانخمس كليات•

نجاحان : داخلي وخارجي

وفي هذه السنة ايضا (٧٤/٧٥) كان قد مضى على انشاء الجامعة اربع سنوات ، واقترب ظهور خريجيها ـ كان الخريجون في كلية الاداب مثلا في تلك السنة عشرة ـ احتاج امرها الى مراجعة عامة للنظر في مستقبلها ومستقبل خريجيها ، وتهيئة الطريق لهم ولها ، وتعديل ما يلزم من شئونها الداخلية ، ومن ضمان مكانتها بين الجامعات ، وقد حققت نجاحا في الجانبين ، فاما نجاحها الخارجي فقد تحقق عندما تقدمت الى مجلس اتحاد الجامعات العربية الذى انعقد فى فبراير سنة ١٩٧٤ ، وطلبت قبولها عضوا فى الاتحاد والاعتراف بخريجيها ، فاجيبت بالموافقة •

واما النجاح الداخلى فهو الخاص بتحديد مهمتها ، وتنظيم كلياتها واقسامها واجهزتها التعليمية والمالية والادارية التي تشرف عليها ، وتحديد اختصاص هذه الاجهزة وعلاقة بعضها



الحكمة اليمانية

الإيمان يمان والحكمة يمانية « حديث شريف »

العدد ١ السنة الأولى — مجلة علمية جامعة شهرية — ذي القعدة سنة ١٣٥٧

شعار جامعة صنعاء ، اختاره مجلس امنائها ، وهو يمثل اعمدة العرش الخمسة لاحد ملوك « سبأ » وفوقه عبارة « الحكمة يمانية » وتحيط بذلك حلية زخرفية على طراز يمني •

ويعتز اليمنيون بعبارة الشعار ، اذ يستندون في ذلك على حديث نبوي « الايمان يمان ، والحكمة يمانية » ولذلك سموا احدى جرائدهم « الايمان » وسموا احدى مجلاتهم « الحكمة » ، ويبدو في الصورة المرفقة راس العدد الاول منها •

ببعض ، وفي ذلك صدر قرار مفصل هو القانون (١١٨ لسنة ١٩٧٤) ، اشار في فقراته الى ان مهمة الجامعة العناية بالبحث العلمي ، وتهيئة المواطن الصالح ، والاسهام في صنع مستقبل الوطن ، وتحقيق الرخاء لشعبه ، كما حدد القانون جهاز مجلس الجامعة واختصاصاته ، وعدد الكليات واقسامها وشروط قبول الطلاب يمنيين وغير يمنيين ، منتظمين ومنتسبين (حتى في الدراسات العليا بعد ظهورها) والرعاية لهم اجتماعيا ، وصحيا ، وسكنيا (في المدينة الجامعية) والشهادات التي تمنح للخريجين (البكلوريوس ، والليسانس) ونظام الامتحانات والنقل ، وكل هذا متبع بقدر ما تملي للجامعة احوالها المالية والتعليمية سنة فسنة ، وهي في جملتها احوال طيبة ، ولهذا تتسع خطواتها في ثقة وعزم وامان ، وذلك ما توضحه مظاهر كثيرة ، منها مثلا عند الطلاب والطالبات فقد كانوا (٥٠) عند افتتاحها (٧٠/٧١) فصاروا في سنتها الخامسة (١٦٢١) وهم اليوم في سنتها السابعة (٣٠١٤) •

كليات الجامعة وأقسامها

ومن مظاهر سعة خطواتها ايضا تفرعات كلياتها واقسامها ، ففيها اليوم خمس كليات ، لكل منها مبناها الخاص ، (ما عدا كلية التربية) ولها جهازها التعليمي والاداري ، وهذه الكليات هي

١) كلية الشريعة والقانون : وهي احدى الكليتين اللتين بدات بهما الجامعة سنة ٧٠/٧١ وكان طلابها يومئذ (٣٧) وهم اليوم (٤٣٠) ، واقسامها ثلاثة : الشريعة ، والقانون العام ، والقانون الخاص •

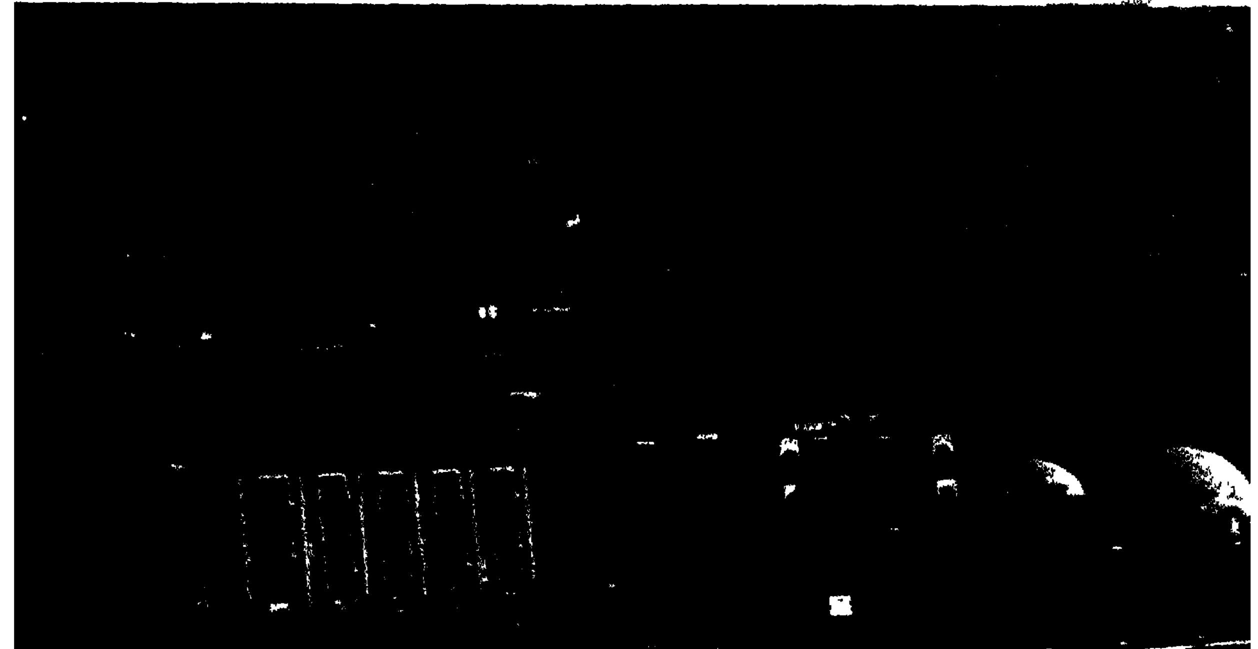
٢) كلية الاداب : وكانت تابعة لكلية التربية التي صارت بعد سنة افتتاحها تسمى « كلية الاداب والعلوم والتربية » ثم استقلت كلية الاداب سنة ٧٣/٧٤ ، وكان طلابها يومئذ (٤٦٨) فصاروا في السنة التالية (٥٦٤) وهم اليوم (٤٠٢) واقسام الكلية خمسة : اللغة العربية والدراسات الاسلامية ، واللغة الانجليزية وآدابها ، التاريخ والآثار ، الجغرافية ، الفلسفة والاجتماع •

٣) كلية العلوم : وقصتها كقصة كلية الآداب وقد استقلت سنة ٧٣/٧٤ ايضا ، وكان طلابها يومئذ (٥٩) وفي السنة التالية (١٠٩) وهم اليوم (٢٩٣) وقد اخبرنا عميدها الدكتور عبد الحسن العبادي ان اقسامها سبعة : الفيزياء والكيمياء ، والرياضيات ، الحيوان ، الجيولوجيا ، البحار ، وقسم الجيولوجيا اكثر الاقسام طلابا ، للحاجة الى كشف ما في باطن الارض من ثروات ، في مقدمتها النفط ، وفي داخلها قسم للعلوم والتربية لتخريج مدرسين للرياضيات والفيزياء والكيمياء والتاريخ الطبيعي (جيولوجيا ، نبات ، حيوان) ، والطالب يتخصص في مادتين ليستطيع العمل في احد مجالين او كليهما ، (والدولة في اشد الحاجة الى مدرسي العلوم بخاصة ، مدرسي سائر المواد بعامة) •

٤ ـ كلية التجارة والاقتصاد ، وقد بدات شعبة في كلية الشريعة والقانون سنة ٧٣/٧٤ ، وكان طلاب الشعبة وطالباتها يومئذ (٢٤٣) وفي السنة التالية صارت كلية مستقلة ، فصاروا (٥٧١) وعددهم اليوم (١١١٨) فهم اكثر

● أقامت الجامعة معرضا قدمت فيه أحدثها عندها · وفي الصورة التف بعض الزوار حول جهاز يبين الجهات الاربع · (**الصورة الى أعلى**)

● مباني كلية الدراسات الاسلامية والعربية فوق أحد جبال مدينة تعز ، يظهر من الخلف جبل « صبر » الذى يبلغ ارتفاعه حـــوالى ٦٠٠٠ قدم (**الصورة الى اسفل**)





● ثلاث طالبات بكلية العلوم ، فى حديقة الجامعة، تتوسطهن احدى الوافدات، وقد وقفت سافرة بين زميلتيها اليمنيتين المتحجبتين ، فى لقاء لا ينكر فيه طرف على طرف ما اختار لنفسه من أزياء •

ثلاثة : المحاسبة ، والاقتصاد ، وادارة الاعمال •

٥) كلية التربية : وقد أشرنا آنفا الى أنها كانت احدى كليتين بدات بهما الجامعة ومن التربيةتفرعت كليتا الاداب والعلوم ، ثم استقلتا عنها ، ولها الان عميدها وهيئتها الادارية ولكن ليس لها مبنى مستقل ، لان طلابها من الجنسين (وعددهم اليوم ٩٦٤) موزعون مؤقتا بحسب اقسامها الخمسة بين كليات ثلاث ، فاللغة العربية، وقسم اللغة الانجليزية وقسم العلوم الاجتماعية ملحق بكلية الاداب ، وقسم العلوم الطبيعية ملحق بكلية العلوم ، وقسم العلوم التجارية ملحق بكلية التجارة والاقتصاد •• ولا شك ان لتفاوت اعداد الطلاب بين الكليات الخمس دلالاتها التي لا تخفى على خبير •

اختلاط الطلاب والطالبات

والاختلاط بين الطلاب والطالبات سائد في كل ما اطلعنا عليه من اقسام الدراسة : داخل قاعات المحاضرات ،وفي افنية الحليات ـ وهي متداخلة ـ وفي مكاتب الادارات ، وهذه ظاهرة جريئة ،فكثير من الطالبات محجبات حتى لا تظهر الا عيونهن ، وبعضهن كاشفات الوجوه فحسب وغيرهن سافرات في الزى المألوف الشائع بين مثيلاتهن من الطالبات الجامعيات في هذه الايام ، وهذا دليل سماحة وتسامح ، وفيه حل لمشكلة عسيرة الحل في بلاد كثيرة وقد تكفلت البنات بهذا الحل عن رضا من اسرهن او بتشجيعها ، حين اقتحمن الجامعة ففتحت لهن كل ابوبها ، وجلسن الى جانب زملائهن في قاعات الدرس ، وسايرنهم في حرم الجامعة بلا تهيب . سواء منهن المتحجبات وغير المتحجبات • وقد لقينا مصادفة احد آبائهن ، وكانت لحيته فوق صدره تلامس مقبض خنجره البارز من منطقته المزخرفة فاكبرنا رايه في وجوب تعليم البنات الى اقصى درجات التعليم ، وعدم شعوره باى تحرج في اختلاطها باخوتها او زملائها في حرم الجامعة، وقد اسمعنا فيذلك حججه الدينية والواقعية التي هو مقتنع بها ، وهي وجهة تستحق التقدير •

ومن تدبر احوال النهضة النسائية في بلادنا العربية (ونحوها) يجد ان اثر العدوى الاجتماعية فيها ـ اتباعا للغرب في بدايتها ـ كان اسبق واقوى من اثر السماحة الدينية وسير النهضةكذلك حتى اليوم ، سواء وقفت عند حدود الدين او النسائية التعليمية ما جعل الاختلاط بين الفتيات والفتيان منتشرا في كثير من مدارس الارياف متوسطة وثانوية سواء في بلادنا او غيرها ، على حين لم يزل كثير منا ينكرون هذا الاختلاط ، ناظرين الى ضروراته المختلفة ـ او غير ناظرين ، ويرون وجوب الفصل بين الجنسين حتى في الجامعة ولو كان ذلكمتعذرا اما لقلةالهيئات التدريسية، او لان عدد البنات من جهة لا يكفي لتكوين فصل فضلا عن مدرسة . ولكل وجهة هو موليها • وان كان من حسن النظر ان تقدر الضرورات بقدرها على وفق الامكنة والاحوالالاجتماعية وان لا تحرم فتاة حظها منالتعليم بسببالاختلاط ،والضرورات تفرض نتائجها رضى ذلك من رضيه ، وأباه منإباه

الجمعيات الثقافية في حمى الجامعة

ولا يقتصر نشاط الكليات على القاء المحاضرات داخل القاعات ، بل حاولت ان تمد انشطتها الثقافية الى مرافق مختلفة ، وتتلاحم في ذلك مع جهات مختلفة في لواء صنعاء والالوية التسعة الاخرى ، ففي كلية الشريعة والقانون مثلا انشئت الجمعية الشرعية القانونية، وفي كلية العلوم انشئت الجمعية الكيميائية ، والجمعية البيولوجية ، وفي كلية التجارة أنشئت جمعيتان علميتان : احداهما للمحاسبة والمراجعة، والاخرى للاقتصاد والاحصاء •

وهذا التلاحم بين هذه الجمعيات وتلك الجهات خارجها يسهم نظريا وعمليا في وضع حلول للمشاكل الوطنية المختلفة مع المسئولين وسائر المختصين في مرافق الدولة ، وقد سرنا ان نجد كثيرا من هذه الجمعيات تصدر مجلاتها مطبوعة على الالة الكاتبة ، ويشترك في تحريرها الاساتذة والطلاب ، وهي ذات مستوى طيب •

واتباعا لهذه الوجهة الخيرة نظمت كلية الاداب ندوة علمية ، رغبة في تعليم اللغة الانجليزية• بطريقة افضل ، وقد حضر الندوة كثير من ممثلي الجامعات والهيئات التعليمية في البلاد العربية، واصدروا توصياتهم للمهتمين بتدريسهذه اللغة• كما ان لكلية الاداب معملا صوتيا لتعليم طلابها اللغة الانجليزية بطريقة حديثة ، ولم تزل الدولة في حاجة الى الاهتمام باللغات الحديثة وفي مقدمتها الانجليزية ، وهي تبذل في هذا جهودا جبارة داخل الجامعة وخارجها ، وتستعين فيهذا

السبيل بجهات كثيرة من بعض الدول ، ومن بعض الهيئات الثقافية الدولية •

استكمال كليات الجامعة

والجامعة اليوم ـ مع نهضتها القـوية ـ لم تستكمل فروع التعليم التى تحتاج اليها الدولة، ويحدد رئيسها الدكتور عبد الـكريم الارياني ، صورة المستقبل بقوله : ان الخطة الخمسيةالعالية (٧٥ ـ ١٩٨٠) للجامعة ادرجت انشـاء مبان جديدة للكليات الخمس الحالية بالاضـافة الى ثلاث كليات اخـرى : الهندسـة ، والزراعة ، والطب ، وقد اشترت الدولة الارض اللازمة لها وللاحقها بملايين الريالات ، والبناء يجرى الآن فيها بهمة ، واوشك بعض الملحقات ان يتم • والمنطقه الجديدة شاسعة تكفى لكل الـكليات وملحقاتها حتى مساكن الاساتذة والمدينة السكنية الجامعيه لكل من الطلاب والطالبات • وان الدولة شديدة الاهتمام بتخريج المعلمين والمعلمات ولهذا تتوسع فى كلية التربيه ، تيسر لطلابها وطالباتها كثيرا من المساعدات لتجذب اليها اكبر عدد كما تهتم بانشاء معاهد للمعلمين والمعلمات، منهاثلاثة تحت التنفيذ فى صنعاء وتعز والحديدة •

ومن مكتب الرئيس انتقلنـا الى مكتب نائبه المقيم الاستاذ محمد مطهـر ، لنسـتكمل حديث الجامعة الجديدة ، فقال ان الاعداد للكليات الثلاث الجديدة قد استلزم مشـاركة كثير من الهيئات العالمية فى الدراسة والتخطيط ، ومنها البنك الدولى ، واليونسكو ، ومنظمة الصحة العـالمية ومنظمه الاغذية العالمية الى جانب منظمات اخرى، وان الدراسة فى هذه الكليات ستبدأ فى السنة الدراسـية ٨١/٨٠ وان الدولة مهتمة بتخريج الزراعيين من الجامعة ومن المرحلة الثانوية ايضا، وقد بنيت لذلك مدرستان ثانويتان ، سبقتهما مدرستان أخريان فى منطقتى « اب » و « سردد » وبعد انتقال الجامعة الى مركـزها الجديد قد تتحول مبانيها الحالية الى مدرسـتين ثانويتين احداهما للبنين والاخرى للبنات ، او نحو ذلك، لضيقالمدارس الحالية عناحتواء الطلاب الراغبين فى الدراسة •

منطقة الجامعة الجديدة

وفى طريق وادى « ضهر » خارج صنعاء ، على مسافة قريبة منها ـ شـاهدنا المنطقة التى ستقام فيها « الجامعة الجديدة » بكلياتها الثمانى وملاحقها ، فاذا هى واسعة تمـتد على جانبى الطريق ، وقد وضحت حدودها باسلاك وقوائم ، والعمل يجرى فيها نشيطا على اوسع نطـاق ، وكان فى صحبتنا مهندس يمنى يعمل فى مكتب الكويت هو السيد محمد الغطرى . وله معرفته بمشروع بناء الجامعة الجديدة ، لانه يشارك فى الاشراف على تنفيذه ومراجعة من يقومون به ، وقد وضح لنا مواقع الكليات وملاحقها كالمكتبة والمعامل ، والمدينتين السكنيتين للطلابوالطالبات ومساكن الاساتذة ، وقد شاهدنا اسس كثير منها بارزة ، وهى فى سبيلها الى الارتفاع ، وبعضها فى طور التمهيد ، وتوشك مساكن الاساتذة على التمام ، وهى مشيدة بحجارة منحـوتة مختلفة الالوان ، مقالعها فى الجبال القريبة ، وما كدنا نشاهدها حتى ذكرنا الآية القرآنية الكريمة «ومن الجبال جدد ببض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود » •

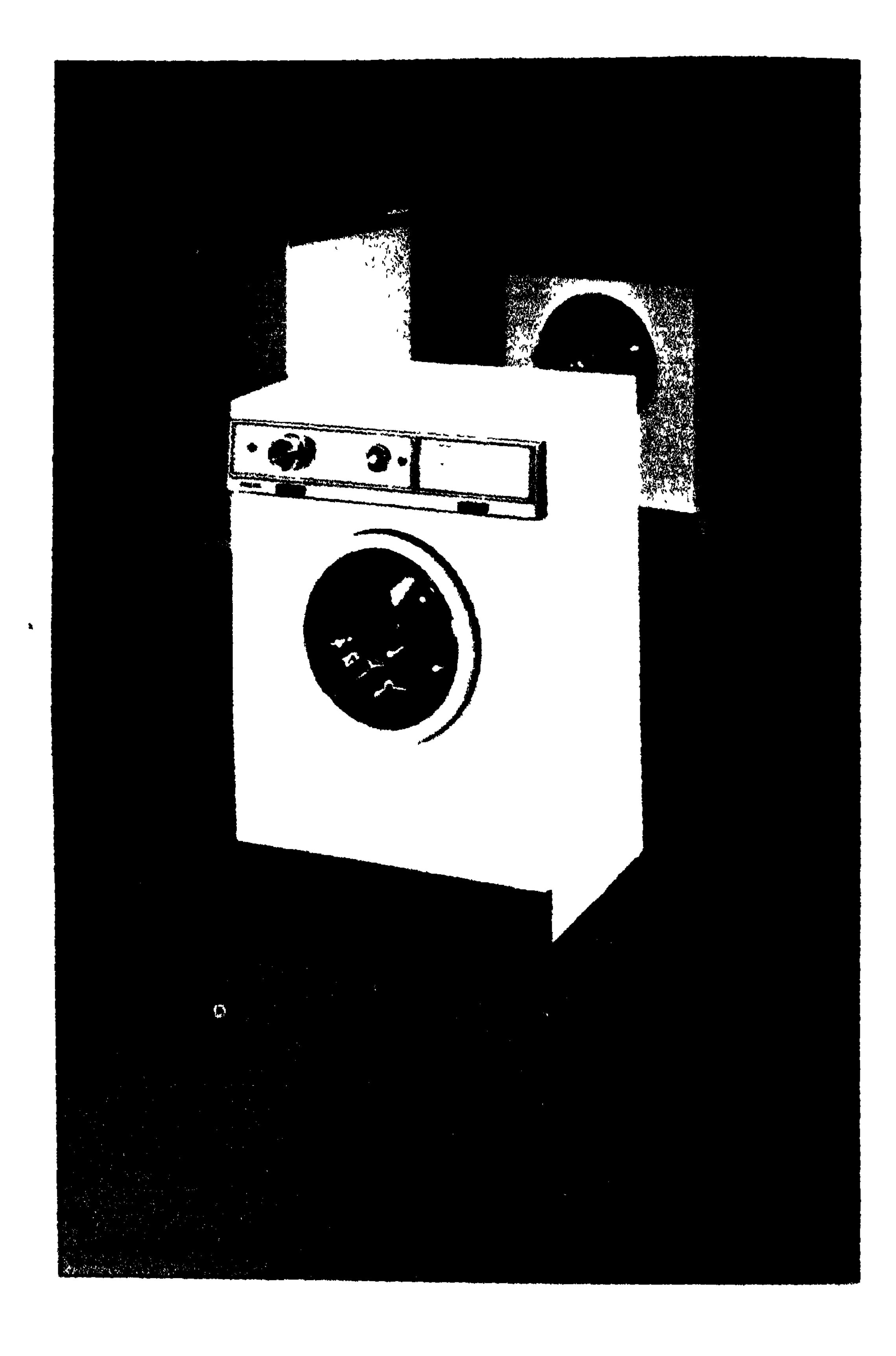
وقد مر بنا هنا ذكـر « مكتب الـكويت » و « مستشفى الكويت » فى صنعاء ، كما مر بنا ذكر المعونات المالية الكويتية للجامعة ، ونشـير هنا الى ان دولة الكويت كانت من اوائل البلاد العربية التى خفتلنجدة اليمن وبعض دولالخليج فى مرافق الخدمات الشعبية ، ولا سيما التعليم، والصحة •

« والهيئة العامة للجنوب والخليج العـربى » بوزارة الخارجية الكويتية هى الموكلة بهذهالخدمات ولها ميزانية مالية سخية غير معلنة ، وينوب عن هذه الهيئة فى اليمن الشمالية مكتب الكويت فى صنعاء ، فهو يشرف على كل الاعمال التنفيـذية التى تقررها « الهيئة » خدمة لهذه المرافق ،وقد تبنت الهيئة مشروع الجامعة بالانفاق منذ انشـاء الجامعة حتى الآن ، وهى تمدها باعضاء هيئـة التدريس ، ومنهم اليوم نحو سـبعين من حملة الدكتورية اختـارتهم جامعة الـكويت ، والى جانبهم عدد كبير من مساعدى المدرسين ، بالاضافة الى بعض مدرسى اللغات ، ثم المحاضرين الذين ينتدبون من موظفى وزارات الدولة للتدريس ، ويكافا هؤلاء بقدر ما يلقون من محاضرات • وقد اشترت حكومة اليمن منطقة الجامعـة الجـديدة بملايين الـريالات ، وتسـلم « مكتب الكويت » مشروعها ليقوم بتنفيذه على نفقة الكويت حتى يتمه ، فيسلمه الى رئاسة الجامعة فى صـنعاء

● مذيعة من اذاعة صنعاء · الحجاب يغطي وجهها باستثناء العينين في حوار مع احدى الطالبات ·

● في احدى قاعات الدراسة بكلية التجارة والاقتصاد جلس الطلاب والطالبات يستمعون لمحاضرة الاساتذة المصريين · (الصورة السفلى)





والبنات في المحافظات اليمنية العشرة ، وكلما تم بناء مدرسة حتى المفتاح زودتها بما يلزمها من اثاث ، وسلمتها الى وزارة التربية هناك ، وقد بلغت هذه المدارس ٥٠ مدرسة ابتدائيةومتوسطة، و ١٥ ثانوية ، ومن هـــذه المدارس في مدينـة « تعز » كلية الدراسات العربية والاسلامية التي يدل اسمها على مهمتها التعليمية العـالية حين تتم صفوفها في المستقبل ، وقد شاهدناها فاذا هي مشيدة على احدث طراز تعليمي في موقع جميل يطل على مدينة تعز ، الى جوار جبل صبر الذي يعد من اعلى الجبال في الجزيرة العربية اذ يبلغ ارتفاعه نحو ٦٠٠٠ قدم وقد قال الاديب الشاعر احمد السقاف العضو المنتدب « لهيئة الجنـوب والخليج العربي ، أن الهيئة ترسل على نفقتها سنويا الى المدارس هناك كثيرا من المدرســين بالاضافة الى اعضاء هيئة التدريس بجامعة صنعاء ثم هي تقوم بتاثيث بعض المدارس هناك تاثيثـا كاملا ، او تسهم في تاثيثها وتزويدها بالمعامـل والادوات المدرسية ، وفي خلال زياراتنا لبعض هذه المدارسفي صنعاء وتعز اشار بعض المسئولين هناك الى بعض هذا الاثـــاث والادوات ومنهـا الآلات الموسيقية ، وذكروا انها « هدية الكويت ».

بين الجامعة والتعليم العام

الاقبال على التعليم في جميع انحاء اليمنعلى اختلاف مستوياته شديد ، وهو في المدن اشــبه بالسيل ، ولكنه لا يجد متسعات ينساح فيها ، والتعليم العام ثلاث مراحل في اثنتي عشرة سنة، الابتدائية ست سـنوات ، والمتوســـطة ثلاث ، الثانوية ثلاث ، وفي زيارتنا لمعهد المعلمات في تعز ـ وهو مما بنته دولة الكويت ـ لاحظنا ان الشعب أو الفصول مع سعتها حافلة بالطالبات في قسم المعلمات وفي القسم الثانوي للبنات ، ودراسة هذين القسمين صباحية ، وفي المســاء تتحول المدرسة ابتدائية باسم « مدرسة سـبأ » ويبلغ عدد تلميذات الشعبة فيها احيانا اكثر من مئة ، وقد يضطر بعضهن للجلـوس على الارض خلال الدروس ، لضيق المقاعد عن استيعابهن . والمدارس حتى القروية منها لا تستوعب كل طلاب التعليم وطالباته ، وقـــد يكون بين التلميذ او التلميذة والمدرسة طريق طويلةبين مصاعدومهابط ملتوية ، ولكن هذا لا يمنع الصغار من معانـاة تناسب بنوع المدارس وقت الدراسة وهذا ما رايناه في زيارتنا لبعض المدارس القـروية في ضواحي « تعز » .

ولكن المدارس اقل جـــدا مما ينبغي لها ان تكون ، وفي زيارتنا مرتين للاستاذ عمر الوصابي وكيل وزارة التربية في مكتبه بصنعاء وجدنا انه يعمل في مكتبه صباح مساء ، لحاجة العمل الى هذه المثابرة ، ولما فاتحناه في مشكلة قلة المدارس عما ينبغي لها وزحام الموجـودة منها بالطـــلاب والطالبات ـ وجدنا انه يحس المشكلة بكلمتاعبها، واخبرنا ان كل المسئولين في وزارته يحسـون ما يحسه ، ويعملون جهدهم في حـل المشــــكلة ، ليستدركوا سنةبعد سنة ما يلاحظونه من قصور، ومن حسن الحظ ان كثيرا منالبلاد العربية ترسل بعثات على نفقتها منالمدرسين للتعليمفي مدارس اليمن ، ومن هذه البلاد : الـــكويت ، ومصر ، والعراق ، والسعودية ، وقطر ، ودولة الامارات العربية المتحدة ، ولكن التعليم يحتاج الى مـا هو اكثر من هذه البعثات ، فعسى أن يجد تلبية اكبر .

واغوثـــاه

حقا تتلقىاليمن المساعداتالكثيرة مندول شرقية وغربية ، ولكنا نلاحظ أنها في اشد الحاجة الى مساعدات اكثر واكثر واكثر ، من كل دولة قادرة على المساعدة ، ولا سيما الدول العربية الشقيقة الغنية ، واذا قصر لسان القول عن الاســتغاثة بدافع من عزة او حياء فان لسان الحال ينـادي كما نادى عمر بن الخطاب في عام الرمادة خـلال خلافته حين وقع القحط في البوادي حوله فكتب رسالته المشهورة القاسية الى عمرو بن العاص عامله على مصر ، وختمها بقـوله مســتصرخا « واغوثاه ثم واغـوثاه ثم واغـوثاه » ثم جاءت الامداد حتى رفع الله الغمة .وان الشعب اليمني ـ مع صغره ـ لفي حاجة الى امداد كثيرة تترى، ولو الى ان تدب العافية في كل اعضائه ،فيحس بعضها ببعض ويعين بعضها بعضا في حركته ، لم يترك لامره ، وان فيه من القوى الحيوية ـ ما لو نبه ـ لعاد عملاقا كما كان ، وصار ـ كما كان يسمى عند الرومان « العربية السعيدة » ، والله في عون المرء ما دام المرء في عون نفسه ، قادرا على التعاون مع اخوانه . ■■

محمد خليفة التونسي



السينما الجزائرية

رؤيـة من الداخـل

بقلم : عبد الحميد بن هدوقة

لا ينتظر قارئي « العربي » من هذا المقال ان يدخل به متاهات المدارس والاسكال و « السينما الثالثة » ٠٠٠وما اشبهها ٠ فالغاية ليست تلك ، وانما هي محاولة لاعطائه صورة عن السينما الجزائرية من الداخل ، كما يراها جزائري وكما يفكر فيها في عماق ذاته ٠ بعيدا عن الاضواء المسلطة عليها من الخارج ، والتي حاول اخذها منعزلة عن محيطها « السوسيو ـ تاريخي » ٠

الاخرى ، لا يمكن ان تفهم بدون معرفة الملابسات التي اكتنفت المجتمع الذى نشأت فيه . وهذا المجتمع عربي – اسلامي من جهة ، وافريقي – متوسطي من جهة ثانية . تعرض لعشرات المقابلة . وتعرض للمسخ الاستعماري طيلة ١٣٢ سنة . ولكن عروبته لم يزدها العنف الا رسوخا وصفاء ، واسلامه لم تزده محاولات التشويه الا عنادا وتغلغلا . اما افريقيته واما وقوعه على

ثلاثة وجوه .. ولكن العيون في كل وجه منها تنطق بتعبير صادق عن المشاكل الاجتماعية .



بالطبع ان تنزع عنه بالمدافع او بالنصوص القانونية الحديثة التي ارادت ان تجعل من الجزائر جزءا لا يتجزأ من فرنسا الام ...
هذه الملابسات هي التي ينبغي ان تراعى دوما



السينما الجزائرية تعالج مشاكل وقضايا من صميم الواقع الجديد الذى تحياه الجزائر .

المشهد من فيلم « ريح الجنوب » ..





الصراع من أجل الرزق .. تصوير حي لحياة الصيادين في البحر .. واللقطة من فيلم « الشبكة »

والللاشعورية ايضا للعمل السينمائي في وجدانات اصحابه .

حجر الاساس

ان السينمائي الاول الذي حمل الكاميرا ذات يوم والثورة الجزائرية متاججة لم يفكر انه باللقطة الاولى التي اخذها لذلك الفلاح وهو ينزع عنه عمامته ويلبس مكانها القبعة العسكرية لاثبات تلك الصورة الى الابد ، لم يفكر انه بتلك اللقطة وضع في نفس الوقت الحجر الاساسي للسينما الجزائرية والصورة الاولى لتاريخها . لان همه حينئذ كان ينحصر في اعداد وثائق لتعريف العالم بحقيقة ما يجرى في الجزائر . ان افلاما مثل « جزائرنا » ، و « صوت الشعب »، و « بنادق الحرية » ، و « ياسمينة » ، وغيرها ، لم يكن يقصد بها العمل السينمائي في معناه الفني المتعارف ، وانما كانت صورا حية لحياة معاشة ، ولاحداث معاينة . لذا فهي اليوم تعتبر من الوثائق النادرة لبعض أيام ثورة التحرير . فقيمتها الاولى تكمن فيما عبرت عنه اكثر من أي شيء آخر .

ومع مطلع الاستقلال لم يكن فقدان الامكانيات ولا الاطار الضروري لممارسة العمل السينمائي حائلا أو معوقا لحماس السينمائيين . لقد عرفت الجزائر في السنوات الاولى للاستقلال نشاطا ملحوظا في ميدان السينما الوثائقية والتسجيلية، اذ انتجت افلاما عديدة مختلفة الطول والشكل الفني نذكر من بينها : « النور للجميع » (محو الامية) ، « التسيير الذاتي »، « الاحد للجزائر » (التطوع) ، « مشاكل الشباب » الخ .. لكن فكرة انتاج الافلام الطويلة كانت لدى هؤلاء السينمائيين بمثابة الحلم الملازم . لان فيها وحدها المتنفس الحقيقي لهمومهم واحلامهم وما كان يعتمل في نفوسهم ..

وبالطبع كانت الثورة المسلحة هي الموضوع الاول الذي يلتصق بكل ذهن ويستولى على كل احساس . فالجزائريون الذين احتفلوا باستقلالهم في ٥ يوليو ١٩٦٢ ، احتفلوا وبين احضانهم ارامل وأيتام مليون ونصف من الشهداء، واحتفلوا



لقطة من فيلم « سنعود »

« فجر المعذبين » فيلم وثائقي تركيبي يكشف ماضي افريقيا ودخول الاستعمار اليها .

وبين صفوفهم مليونا فلاح خرجوا من المحتشدات ونصف مليون من اللاجئين العائدين ، واحتفلوا وهم في ارض خـرب اقتصادها وحطمت منشاتها ود ُمرت من قراها ٨٠٠ قرية . (آنيا فرانكوس و ج.ب. سيريني : « جزائري اسمه بومدين » ، ص : ١٣٠ وما بعدها .) فكان من غير المعقول ولا الهين على الفنان الجزائري أن يدفن ماضيه ، ولا سيما اذا كان بحجم الثورة الجزائرية ، لينكب احساسا وفكرا على الواقع وحده ، او الانقطاع كلية للمستقبل .

ثم ما هو الواقع وما هو المستقبل معزولين عن الماضي ؟ اليست الازمنة الثلاثة متفاعلة باستمرار في حياة الناس ؟ ان معرفة حاضرهم وما ينبغي لمستقبلهم كان يستلزم بالضرورة نوعا من الادراك السوسيولوجي الذي يقتضي بدوره رؤية التاريخ من غير المنظور التسلسلي الخارجي المجرد . لكن هؤلاء السينمائيين لم يكن يتوفر لديهم بعد زماني كاف لربط حرب التحرير باسبابها ومسبباتها منذ البداية ، ولم تكن لهم تجربة كافية ايضا .. وهكذا كانت الصورة الخارجية المرئية للثورة المسلحة هي الطاغية



فيلم «نوه» حصل على عدة جوائز عالمية واستقبله النقاد فى الخارج بترحيب كبير ، فقد صور فيه عبد العزيز طلبى ، المجتمع الجزائرى الريفى قبل اندلاع الثورة التحريرية ·

على مشاعرهم وخيالاتهم · ان صور الحرب واحداثها التى ذهبت بأب أو أم أو أخ أو حبيب، ورسمت فى ذاكرة كل جزائرى تلك الصورة أو الاخرى ، لم يكن من السهل تجاوزها تجاوز العادثة العربية ، بما تضم من بطولة أو عنف ، وبما تستلزم من تضامن أو تخاذل ، وبما تستوجب من تضحية أو ارهاب ··

فكانت هذه الافلام اذن فى جملتها تكاد تكون صورا ميكانيكية للحرب وما تستتبع من قوافل المشردين والمنكوبين ··

مع ريح الاوراس

على أن عملا مثل « ريح الاوراس » للمخرج الاخضر حمينة ، لم يظهر فقط المدى الجغرافى بواسطة الصورة ، فكشف للجزائريين عن أرضهم ، ولم يعد الينا فقط كذلك تلك اللحظة من الحرب ، حيث « غطت الطائرات السماء فعرفنا بالفضاء العربى الذى يجعل أقرب الناس الينا (كالام فى الفيلم) بمثابة أبعد نقطة فى العالم » ، كما كتبت الجزائرية المعروفة آسيا جبار ، مرحبة بهذا الفيلم فى جريدة « الجزائر الاحداث » (١٩٦٩) ·

انه عرفنا باكثر من الفضاء الحربى وبابعد من المدى الجغرافى · انه عرفنا بتلك الروح التى كانت وراء سواعد الفلاحين وهم يستنبتون أرضا جبلية جدباء تحت القنابل ، كسبا لقوتهم ولزاد المجاهدين بالرغم من الفضاء المسدود ، وبالرغم من القنابل التى لا تشفق على بشر ولا حيوان ولا حقول ·

وعرفنا كذلك بصمود الام الجزائرية وحنانها الفياض رغم الاسلاك الشائكة التى كانت تطوق ابنها ·

ان الاخضر حمينة بهذا الفيلم الاول اثبت بصفة حاسمة ونهائية أنه فنان حق ، وان السينما الجزائرية لم تولد تحبو فى ركاب معين ، بل ولدت تسير على قدميها وفى اتجاهها الذى يستهدف بالدرجة الاولى خدمة الشعب · بينما راح المخرج أحمد راشدى فى فيلمه « فجر المعذبين » الذى هو عبارة عن فيلم وثائقى تركيبى طويل ، يستكشف ويكشف للناس ماضى افريقيا ودخول الاستعمار

اليها يستعملها بنفس الاساليب • كما اظهرت فى الجزء الثانى من هذا الفيلم حروب التحرير الوطنية المختلفة التى خاضتها شعوب افريقيا ضد الاحتلال •

وبالرغم من بعض نقاط الضعف فان هذا الفيلم كان مساهمة ملحوظة فى التعريف بملابسات الحروب الاستعمارية من جهة ، ونضج الحركات التحريرية الوطنية الافريقية من جهة ثانية • وذلك بفضل التعليق الهام الذى كتبه لهذا الفيلم الكاتب الجزائرى الكبير مولود معمرى •

(الهاشمى الشريف ، مجلة « اوربا » يوليو اغسطس ١٩٦٧) •

لكن المقدرة الفنية الحقيقية لاحمد راشدى برزت بشكل محسوس فى فيلمه « الافيون والعصا » (١٩٦٩) الذى طغت فيه الاحداث الحربية الصرفة بشكل ربما اضر بالمضمون • وقد صرح المخرج اذاك : بان الجمهور يحب الافلام التى من نوع « الويسترن » • وهو بذلك لا يعبر فى الحقيقة عن وجهة نظر الجمهور بقدر ما يعبر عن نوع الجماليات التى يرتئيها لنجاح السينما الجزائرية ••

وتجدر الاشارة الى ان هذا الفليم اقتبس عن رواية تحمل نفس العنوان للكاتب مولود معمرى ولعل المؤلف كان يرمى فى روايته الى ابعاد سياسية واجتماعية لم تظهر بوضوح فى الفيلم وظهرت مكانها مشاهد تصور المحتمل تصويرا كاريكاتوريا غير موفق ، وتمجد البطولة الفردية ، كما تظهر شعور بعض الجنود الفرنسيين بالعطف نحو الجزائريين ••• ان هذا اللون من الرؤية غير موفق ايضا فى سياق كالذى كانت تجرى فيه احداث الفيلم •

تسجيل الثورة المسلحة

اما توفيق فارس فى فيلمه « الخارجون عن القانون » فقد حاول ان يعيد الى الاذهان بعض الانتفاضات الاجتماعية التى قام بها الفلاحون ضد المستعمر ، والتى كانت بمثابة تمهيد للثورة ••• وهو اتجاه له اهميته فى تفسير الثورة المسلحة لو ركز صاحبه على الدور الجماعى لعمل المجتمع الريفى ، واستعمل جماليات ملائمة لموضوعه •••

وتواصل الانتاج السينمائى فى موضوع الثورة

و « حسن التيرو » لنفس المخرج وهذا الفيلم مقتبس عن مسرحية للممثل الجزائرى المعروف رويشد « وكلمة التيرو » اختصار للكلمة الفرنسية « تيروريست » اى : ارهابى •

واخرج عمار العسكرى فيلما بعنوان :« دورية نحو الشرق » فى نفس الموضوع • كما اخرج مصطفى بديع فيلما بعنوان : « الليل يخاف الشمس » ••• وانتجت افلام كثيرة اخرى فى موضوع الثورة المسلحة ، مختلفة الاهمية والقيمة. حتى سنة ١٩٧٢ ،سنة صدور ميثاق الثورة الزراعية ، فاتجه المخرجون الجزائريون اتجاها آخر يعالج مشاكل الحاضر ، كموضوع الارض والمراة والشباب والنقد الاجتماعى وقضايا اخرى تتصل بالبناء وتشييد المجتمع الجديد •••

وقد فتح الطريق لهذه المواضيع الجديدة التيلفزيون ، بحكم ارتباطه بالواقع المعاش ، فانتج سلسلة من الافلام فى موضوع الارض لاقت نجاحا كبيرا • منها فيلم « نوة » للمخرج عبد العزيز طلبى • وهو فيلم ضخم من قياس ١٧ ميلم الى ٣٥ ميلم • وعرض فى مختلف أنحاء العالم واستقبله النقاد فى الخارج بكثير من الترحيب • وحصل على عدة جوائز عالمية •

وقد صور فيه عبد العزيز طلبى المجتمع الجزائرى الريفى قبيل اندلاع الثورة التحريرية تحت طغيان المحتل والاقطاع الجزائرى المتعاون معه • وقد وفق المخرج فيه غاية التوفيق ، محتوى وشكلا •

وانتجت افلام اخرى لا تقل اهمية عن فيلم « نوة » اذكر من بينها على سبيل المثال افلام : « المغتصبون » و « بنى هندل » للامين مرباح و « الطارفة » للهاشمى الشريف و « الفحام » و « الارث » لبوعمارى ، و « ريح الجنوب » لسليم رياض ، وهو فيلم مقتبس من رواية كتبتها بنفس العنوان • و « الشبكة » لاين ددوش كما انتجت افلام فكاهية تعنى بالنقد الاجتماعى ، منها افلام « المفتش الطاهر » للحاج عبد الرحمن ، وهى افلام تعتمد على شخصية تجمع بين السذاجة لهذا المفتش الغريب والفكاهة فى الكلمة والحركة، والنقد الاجتماعى العميق • كما انتج محمد زينات فيلما مرحا لاذعا بعنوان : « تحيا يا ديدو »

لاقت اقبالا كبيرا من طرف جمهور التيلفزيون ..

ليس الماضي وحده

وآخر انتاج في الميدان الاجتماعي هو فيلم : « عمر قتلاتو ... » (عمر قتلته رجولته) ـ ١٩٧٧ انه فيلم يعالج مشاكل الشباب بالعاصمة . وقد لاقى اعجابا واقبالا من طرف الجمهور . وهو للمخرج الشاب مرزاق علواش .

طبعا لا يسعني أن أذكر هنا كل ما انتج من افلام وفي مختلف الميادين فلست بصدد وضع فهرست للسينما الجزائرية ولا كتابة تاريخ لها .

انها سينما لم تقتصر على الماضي تستلهمه أو تكشف عنه ، فهي الى جانب ذلك تعالج مشاكل وقضايا من صميم الواقع الجديد الذي تحياه الجزائر . وهو واقع متطور بسرعة نتيجة لما يجري في الوطن من أعمال بنائية كبرى وتحولات.

وانها سينما لا تقتصر أيضا على موضوع حرب التحرير كما يقال عنها في الخارج . ولو أن هذا الموضوع لم يستنفد بعد في نظري ، ولم ينتج فيه من الافلام الى حد الان ما يسمو الى مستواه .

ان حربنا التحريرية هي الجزء المشرق في حياة شعبنا العربي ، وهي الجزء الاكثر قتامة في جبين الاستعمار . فهل ننساها ارضاء لاولئك الذين يحبون أن يجعلوا من انفسهم دوما أوصياء على العالم الثالث ؟

لقد كتبت كاثرين هامبول في جريدة « لوموند » الفرنسية (٧٤/١/٤) عن السينما الجزائرية وموضوع الثورة المسلحة : « ان الحديث عن الماضي وحده يشكل خطرا لتحجر السينما الجزائرية، ويشكل خطرا أكبر بالنسبة للسينمائي الجزائري اذ يجعله يميل الى السهل من الامور ويتخلى عن مسؤولياته ازاء الجزائر الجديدة .. »

وهو قول لا يخلو من صواب لو كان يرتكز على حقيقة . فالسينما الجزائرية ، سواء في انتاجها الذي حققته بمفردها أو في الانتاج المشترك ، لم تقتصر على موضوع الثورة المسلحة .. ثم ينبغي ان نلاحظ هنا ان بعض النقاد السينمائيين



« ريح الاوراس » عرّفنا بصمود الام الجزائرية

الفرنسيين يتضايقون كثيرا من رؤية الجانب المظلم لسياسة بلدهم .. ذلك في الواقع هو الدافع الحقيقي لما كتبوا أو يكتبون فيما يتصل بهذه النقطة ! ..

والغريب أن بعض اخواننا في المشرق العربي اندفعوا هم أيضا وراء هذه الاحكام والتهويلات وتضايقوا بدورهم من ان تكون السينما الجزائرية سينما حربية ليس الا ! ..

ان ما أحب ان أقوله هنا : ان هذه الحرب عربية الوطن والرجال ، انسانية المحتوى والغاية فباي حق نتضايق مما انتج أو ينتج من أعمال سينمائية عنها ؟ ثم هل يعرف اخواننا العرب حقا كثيرا عن هذه الحرب وهذه الثورة ؟

ان الجزائريين انفسهم لا يعرفونها كما ينبغي أن تعرف ..

لم لا ينظر اخواننا المهتمون بالسينما الى الغرب وما انتج من افلام عن حروبه ؟ أذكر على سبيل المثال الحرب العالمية الاخيرة وحدها .. كم انتج فيها من افلام ؟

لكل بلد نموذج

لقد انتجت السينما الجزائرية اذن افلاما عن الحروب التحريرية وانتجت في مواضيع أخرى ،



وحنانها الفياض رغم الاسلاك الشائكة •

ولكنها سوف لا تتخلى عن الرجوع الى هذه الحرب ، تستلهمها وتكشف عن أبعادها وخباياها التي ما تزال مجهولة ، متى وجدت الكاتب والفنان الخبير في تصوير بعض جوانبها التي لم يعرفها الناس •

ولن تعود الى موضوع حرب التحرير وحده بل تعود الى كل ماضي الجزائر الطويل ، لان ذلك هو الطريق الصحيح الى المستقبل •

ان الانتاج الجيد لا يرتبط بزمن معين ، أو واقع ، فكلا الزمان والواقع يسيران في جدلية دائمة ان فيلم الاخضر حمينة : « وقائع سنوات الجمر » الذي حصل على الجائزة العالمية الكبرى في مهرجان « كان » الدولي ، ليس الواقع الذي عالجه ، ولا الزمن الذي جرت فيه أحداثه الذي جعل لجنة التحكيم تسند اليه الجائزة ، انما هي القضية الانسانية التي يتضمنها الموضوع ، معالجة في اطار فني معين ، هي التي ضمنت لصاحبه تبوأ مقعد المخرجين العالميين •

ان الجزائر اثبتت بفيلم الاخضر حمينة أنه اذا توفرت الامكانيات فان السينمائي الجزائري قادر على تحطيم أسطورة « الرجل الممتاز » ••

كما ان كل بلد قادر على الانتاج ذي المستوى العالمي اذا وفر الامكانيات •

الاولى للسينما في بلدنا ليست هي الحصول على جوائز عالمية ، وانما هي بالدرجة الاولى خدمة شعبنا •

فالسينما الجزائرية كما هو معروف مؤممة ، تتصرف فيها الدولة • اي ان غايتها أساسا التثقيف لا التجارة • على انه من الاكيد في نظرنا ـ اذا كانت هناك خلفيات تجارية لدى بعض المخرجين ـ ان تمر السينما عن طريق الفن الى التجارة • ان جودة العمل موضوعا وشكلا هي التي تضمن له في النهاية اقتحام الاسواق العالمية • لا الدعايات الجوفاء ، ولا صور الاثارة والاغراء البراقة تستطيع الوقوف في وجه الفن الصحيح •

لهذا نستطيع ان نقول بدون مباهاة ولا تواضع ساذج ، ان السينما الجزائرية بما انتجته من افلام أثبتت وجودها على المستوى العالمي كسينما عربية ملتزمة ذات محتوى انساني ، ارتبط فيها الشكل بالمضمون ارتباطا عضويا بدون تضحية باحدهما •

طبعا لا أتعرض هنا الى علاقة الادب بالسينما وعلاقة الجمهور بها ، وقضية البحث عن لغة ثالثة ليست بالعربية الفصحى المعربة ولا العامية الدارجة ، فتلك قضايا تستلزم مقالات بذاتها •

اما بخصوص الشكل الذي ينبغي أن يحتضن قضايانا ويصور مشاكلنا سينمائيا فان رأيي يتلخص في كلمة :

ان الموضوع هو الذي يحدد الشكل الذي ينبغي له • وان العالمية الحقة في الفن هي التي تنطلق من المحلية ، لاثراء الثقافة العالمية •

ان الفن لا ينبغي ان يكون نموذجا معينا يقتدى به حتما في كل بلد • بل لا بد من أن نبدع نحن النموذج اللائق بنا • وهذا بالضرورة لا يتنافى مع اطلاعنا على ابداعات الغير وتجاربهم •

فالثقافة بطبيعتها انسانية التوقان والغاية •

■■

الجزائر ـ عبد الحميد بن هدوقة

استطلاع الطاقة الشمسية

شدني في العدد ٢٢٤ الاستطلاع الخاص بالطاقة الشمسية واستعمالها في منـافع البشر وبني الانسان ، وقرات عن التقدم الذى حققته شقيقتنا الكويت ونجاحها في استغلال هذه الطاقة كمصدر من مصادر الطاقة في القرن العشرين •

غير اني اعود فاقول اننا لاحظنا ان مصدر تجميع الطاقة الشمسية او الاشعة الشمسية كانت الواحا من المعدن مدهونة باللـون الاسود الذى يساعد على امتصاص اشعـة الشمس ومن ثم تنتقل الحرارة منه الى الماء • وأود ان اضيف تعديلا بسيطا الى هذا الجهاز وهو ان تعلو هذه الالواح مجموعة من العدسات المحدبة وسوف تقوم هذه العدسات بتجميع اشعة الشمس التى تسقط عليها وتجعلها في منطقة واحدة هي بؤرة العدسة التى غالبا ما تكون هذه النقطة حرارتها شديدة، لدرجة انه يمكن في صيف مصر ان يشعل ورقة اولفافة من التبغ (السجاير) فما بالك في صحراء الكويت انها فكرة بسيطة ولكنها تستحق الدراسة والتجربة •

محمد عبد الحافظ محمد

مفتش بمديرية زراعة المنيا ـ جمهورية مصر العربية

زيدوا المطبـوع

● تختفي مجـلة العـربي من المكتبات فـور وصولها ، لماذا لا تزيدون الكمية المطبوعة ؟ اقترح عليكم ايضا تخصيص جزء خاص كل عدد لتقديم احد الاقطار العربية • وتخصيص زاوية للفن في الوطن العربي •

هاشم نعمه محمد

ناحية الكفل ـ الجمهورية العراقية

بحثـا عن الفيزياء

●تقدم لنا العربي وجبة شيقة ودسمة من المواد السياسية والاقتصادية والعلمية ، لكني اتمنى ان تتوسعـوا اكثر في المادة العلميـة ، وخاصة الفيزياء التى اعشقها دائما •

الكحلاوى محمد

الدار البيضاء ـ المغرب

اشجـار سقطرى

● نشرت الصحف أخيرا أن في جزيرة سقطرى باليمن الجنوبية أشجارا اذا أكل منها الحيوان مات ، بينما تفرز هذه الاشجار مادة لزجة تستعمل في علاج رمد العيون • ما اسم هذه الشجرة ؟

علي جاسب الشاوى

العراق ـ بصرة ـ فاو

ـ اسم هذه الشجرة هو تريمو Adenium وهي شجرة سامـة تنبت بين الصخور دون أن يزرعهـا أحـد •• جذعهـا لونه زئبقي جميل ، وأزهارها ملونـة بألوان أربعة ، اذا أكل الجمل ورقة منها مات في الحال • يستعمل الاهالى افرازها لعلاج رمد العيون •• » هذا ما ذكرناه في استطلاعنـا عن جزيرة سقطرى في العدد ١٥٣ الصادر بتاريخ ١٩٧١ ونعتقد أن الصحـف التى طالعتهـا قد نقـلت معلوماتها من هذا العدد •

الجراكسة فى الشام

● اقترح عليكم القيام باستطلاع عن حياة الجراكسة فى الاردن وسوريا بعد ان صاروا جزءا من الوطن العربى وواكبوا تطور الاحداث فى البلدين ، وساهموا مساهمة فعالة فى نهضة القطرين الشقيقين •

محمود محمد ــ عمان ــ الاردن

ليل ولاجىء

اوسلت اليكم قصة منذ عام ولم تنشر ، هل تنشرون لى هذه الابيات التى اخترت لها عنوان (ليل ولاجىء)

هذا انا فى الليل اضرم جذوتى
ليبين لى قبل النهار نهار
سأعود فى الصبح الندى لموطنى
وغدا يرف على جبينى الغار
ولسوف اغسل جبهتى حتى ترى
مثل الضحى ويذوب عنها العار
لو شئت جمعت النجوم مشاعلا
ودفقت منها الموت حين اثار
واللاجئون هناك ، من آفاقهم
يوم الندا ، يتدفق التيار
فى كل صدر جذوة عربية
تغفو لها الابراج والاسوار
لم لا نعود ، وفى دثير طلولنا
وقبور موتانا هناك مزار !
•• الرائدون الحق لن يتمثلوا
ما خوف الكهان والاحبار
واللاجئون غدا تؤوب ظعونهم
مزهوة ، من حولها الانصار
ودم العروبة لن يذل لطغمة
قادت بها الافاق والامصار

صفاء السلمان
بصرة ــ العراق

فلسطين فى الذاكرة

● نشرتم فى العدد ٢٢٢ رسالة بمناسبة ذكرى تقسيم فلسطين ، يتساءل صاحبها عبد القادر سليمان الحاج ، هل سقطت فلسطين من الذاكرة العربية ؟

وردى على السؤال ان فلسطين لم ولن تسقط من الذاكرة ، لقد تصدرت قلب الامة العربية الجريح ، فهل يستطيع جسد ان يعيش بلا قلب ؟ أيضا ستظل فلسطين رغم كل شىء هى امتحان شرف الامة العربية ، وهى قادرة على اجتياز هذا الامتحان •

ثائرة من العراق

عتاب من الاردن

● هل يعرف العالم العربى الاردن بما فيه الكفاية ؟ ذلك البلد الغنى بثرواته الطبيعية وآثاره الخالدة ــ البتراء المدينة الوردية ، جرش واعمدتها الشاهقة ، المدرج الرومانى ، البحر الميت ، قلعة الشوبك ، العقبة ثغر الاردن الباسم ، قلعة الربض فى عجلونة ، الاغوار الغلابة •

الا تستحق الاردن اكثر من زيارة يقوم بها العربى ؟

محمد مطلق خليفات
الطيبه ــ عمان ــ الاردن

صناعة الطائرات عندنا

كتبتم عن الطائرة « كفير » الاسرائيلية ، وعن كسادها بين الدول التى تهتم بشراء الاسلحة ، اليس من الافضل لو اردنا ان نسقط اسطورة هذه الطائرة ان ننتج نحن فى عالمنا العربى طائرة جديدة تفوقها قوة وفاعلية •

منصور مجلى عيسى
عمان ــ الاردن

٣ مـلاحظـــات
على السباحة ضد التيــار

● اتفق مع فهمي هـويدى فى دعـوته الى‌الاجتهاد التى طرحها للمناقشة تحت عنوان « من يسبح ضد التيار »٠ ولى على مقاله ٣ ملاحظات :

ـ انه بينما يعترض على عبارة « ما يقوله‌السلف » ، يستشهد فى كلامه باقوال هذا السلف، فهو يعترض على شيء ولا يلتزم بموقفه •

ـ ان المقال لم يفرق بين الاجتهاد فى علوم‌الدنيا أو علوم الدين ، اذ ان الاولى مفتوح فيها الباب على مصراعيه بينما الامر ليس كذلك فى‌علوم الدين •

ـ ان كنا قد تحولنا من الارسال الى الاستقبال« كما يشير المقـال » ، فليست هذه مسئوليـــة الاقدمين أو التراث بل هذه مسئولية الظروف‌التى نعيشها نحن •

محمد عبد المنعم عبد العال
جامعة حلب ـ الجمهورية السورية

الاعتراض فى المقال ليس على « كل »ما قاله السلف ، ولكن على أن نلغى نحن أنفسنا وفكرنا ونظل أسرى لكل ما هوقديم ، والتفرقة بين علوم الدنيا وعلوم الدين مفروغ منها ، ثم من قال أن التراث‌هو المسئول عن حالنا الذى وصلنا اليه ؟

نريـــد ان نضحــك

الا ترون ان مجلة العـربى جـادة باكثر مما يجب ، اين‌المواد الطريفة‌التى‌نقرأها لنبتسم‌ونخرج عن هموم الحياة اليومية والمشكلات التى تحيط بنا فى كل اتجاه ، مشكلات‌الثقافة والسياسة‌والاقتصاد و ٠٠ و ٠٠ و٠٠ « الطـرائف » التى تنشرونها وقسم نزهة العقل الـذكى لا تكفى • نريـد ان نضحك •

بو عبد الله حميد التلمسانى
الجزائر

مفاجأة : العربى فى موعدها !

● نشكركم ـ مجلة العربى اصبحت تصل الى مصر فى بداية كل شهر خلال الفترة الاخيرة • نرجو ان تكـون هذه قاعـدة وليست استثنـاء • وبالمناسبة اقتــرح عليكـم ان توسعوا نطـاق استطلاعاتكم فى العالم الاسلامى ، فنحن بحاجة الى ان نعرف الكثير عن‌المسلمين فى انحاء العالم •

عبد الرحمن غريب هيكل
القناطر الخيرية ـ جمهورية مصر العربية

ـ استطلاع هـذا الشهر عن ماليزيا يستجيب لرغبتك •

عنوان الدكتور مؤنس

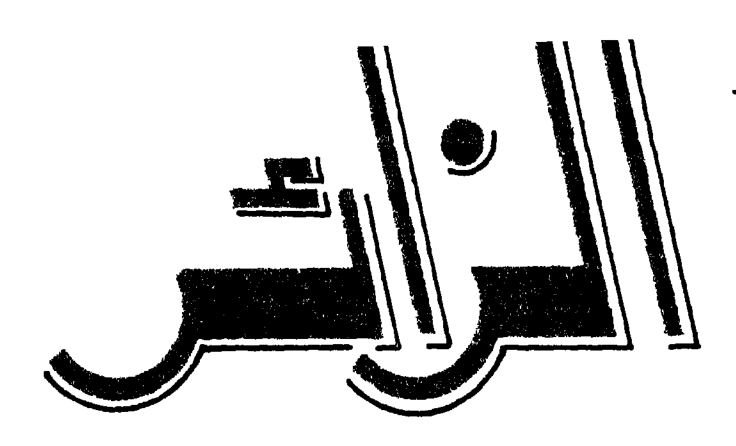
● ما هو عنوان الدكتور حسين مؤنس صاحب مقالات ابن بطوطة ورحالة الاسلام ؟

الهادى ابراهيم المشيرقى
طرابلس الغرب ـ الجماهيرية الليبية

ـ الدكتور مؤنس ترك منصبه كأستاذ للتاريخ بجامعة الكويت ، واصبح رئيسا لمجلة الهلال المصرية الشهرية •

وعنوانه هو : القاهرة ـ دار الهلال •

• قصة قصيرة •



بقلم : نهاد رضا

■ متنكرة تحت جلباب من الصلصال الغبارى، ترقد جثمانا منطرحا بغباء فى سفح تلة جرداء • والشمس ، منارة النهار المتحركة ، تتلذذ وهى تلهب بسياطها العاتية البثور المتناثرة على هذه المومياء المدفونة فى العراء فيئز الذباب احتجاجا وشاهدا على خلجات الحياة •

محظوظة هذه القرية ، لان فيها راوية مسنا ، اختزنت ذاكرته العجيبة حكايات مدهشة تنقل المنطرحين تحت ضوء القمر ، او فى حمى شريط الظل الضيق المحاذى لاحد الاكواخ الترابية ، الى العوالم المجنحة الآسرة •

بينما كانت الشمس تقوم بعملها التاديبى اليومى ، ونساء القرية موزعات فى البرارى المتاخمة تؤدى واجبها المرسوم لها ، انبرى صوت الراوى يدغدغ مخيلة زمرة من الفلاحين المتهالكين على شريط الظل •

اخبرتكم أيها الاخوان فى المرة الماضية كيف التقى الشاطر حسن برفيقه المجهول فى أرض الضياع• الشاطر حسن ساعد رفيقه بعمية واخلاص كان منه بمثابة الابن البر • سدت فى وجه المجهول سبل الرزق فتداركه بالمدد • مرض فسهر على صحته ثلاث سنوات تفانى فى خدمته لايبتغى الا الاحسان • اخيرا انجلت الكربة يرسو زورق جاء لنجدة المجهول •



... الكلاميه على رؤوس المنطرحين في الضي • قال احدهم وهو يعدل انبطاحته ملتصقا بجوار الكوخ بعد تقلص شريط الظل : زين • زين • تحكي زين •

ياللمفاجاة ! مرافق الشاطر حسن في ارض الضياع ما هو الا امير ارض القصور المرجانية • ابنته الوحيدة ليست سوى الاميرة كوكب ،فاتنة القلوب الحالمة • فارسها المنتظر •• الامير ذو الهمة • ذات يوم ، ستنفلق غيمة سارحة فاذا به يتنزل من العلياء على صهوة حصان سابح • عاد امير القصور المرجانية من ارض الضياع وبصحبته فتي النجدة• الشاطر حسن هو من يختاره الامير صهرا ، وتنشرح له نفس ابنته الاميرة كوكب • اروع قصر في ارض القصور المرجانية هو الذى سيضم الحبيبين •

تاوه احد الحالمين في كنف جدار الكوخ ،تساقطت عليه ذرات تراب وهو يعدل انبطاحته • انتهت حكاية اليوم • الزائر يسال المنطرح الحاكم : هل بنيت لنفسك بيتا صغيرا مناسبا في اوقات الفراغ الضائعة ؟ كلا يا عم • الزائر ينسل من المجلس • خاطركم يااخوان • بالسلامة ياعم••• غمغم المنبطحون المخمورون بحكاية الراوى •

السهرة في ضوء القمر لا تقدر بثمن • لا احد كالعالمين الانبطاحيين يعرف قيمتها الحقيقية انها انتقام من رعونة الشمس التى تجبر الظل على الانحسار تدريجيا حتى النقطة صفر حيث لا مفر من تعديل الاتكاءة المتهالكة • الراوى ، كعادته محور الكون • اليه تنشد الآذان ، والعينان شبه مغمضتين •

قلنا لكم ياسادة ان السندباد وصحبه لقوا الاهوال في ارض القفر المتتابع • اكثرهم واجه حتفه • لم يبق منهم على قيد الحياة الا السندباد وثلاثة من صحبه • انتهت رقعة البر • انها نهاية الربوة • نهاية كحد السيف • امامهم على مد البصر ، مروج خضر ، اشجار يانعة ، ينابيع متدفقة جداول متعرجة •

تنهد المنطرحون • تمتم احدهم : ينابيع متدفقة جداول متعرجة ، خيل له أنه يرمى قدر الماء الآسن فتبتلع الارض العطشى محتواه المتهرق ، في لحظة



خاطفة• ها هو ذا يفتح شدقه ليتلقى بكامل وجهه، في الوهم البركة المائية المنهمرة من النبع •

في غضون ذلك ، وفد الزائر على المجلس • السلام عليكم • وعليكم السلام • لم يلتفت اليه احد • استانف الراوى بث الرؤى من مبخرة الاحلام الوردية •

ما العمل ؟ القفر من ورائهم • الجنان في الوادى السحيق • سرب من العقبان يتهادى قرب الهاوية • السندباد ارتاد الجزر المسحورة • واجه الامواج الملتهمة • قارع الحيتان الخرافية • أمام الهاوية تساقط رفاقه خائرى العزيمة • السندباد ومضة فيما وراء الحسبان • ها هو ذا يغافل احد العقبان • في طرفة عين يعتلى ظهره • يتشبث بريشه تشبث الغريق • فاذا بالعقاب



المطوق يرمى بنفسه فى الهاوية . يبسط جناحيه يضطر الى الهبوط تدريجيا الى ارض الينابيع المتدفقة والجداول المتعرجة . السندباد نجا ، غمر وجهه فى المياه المنعشة . سرت فى كيانه رعشة متوثبة .

انتهت حكاية الليلة . الزائر يسال السابح فى الحلم : هل حفرت بئرا فى أوقات فراغك الدائم ؟ كلا يا عم . ابنك ماذا يفعل ؟ مهندس يخطط جداول فى المدينة . جداول ماء ؟ كلا . جداول ورق . الزائر ينسل من المجلس ، خاطركم يا اخوان . بالسلامة يا عم . يغمغم اخوان الاحلام الغمامية .

لم يكد يغيب عن الانظار ، حتى سرت فى العالم صحوة طارئة سال حلقة المنطرحين : هل تعرفون هذا الزائر ؟ كلا . انه غريب . فى المرة القادمة ، تمتم الغافل الصاحى ، سنساله من هو ؟

السهرة فى ضوء السراج السماوى اروع ما يحلم به العاشقون ، ورهط المخدرين بحكايات الراوى . غير ان ازميل الظلماء اقبل على نحت وجه البدر من طرفه ، تاكل الغد ، ثم منتصف الوجه ، ثم الغد الثانى . انمسح القمر .

السهرة المنتظرة جمعت شمل العالمين فى حمى الآلاف من المصابيح المتلألئة فى قبة السماء . الاحلام فى السهرة بعدد النجوم. ها هو ذا الراوى ينثر سناء الرؤى .

حكينا لكم ايها السادة كيف مضى الفتى الهمام الى رحلة يقتحم بها آفاق الحياة ، مخلفا أمه

[illegible] • تسقى
الشتلات من ماء البير • تصعد وتنزل عشرات المرات كل يوم • غرفتها عالية تطل على هذا البستان الصغير • ذات يوم ، عثرت فى دربها الى المنزل على كيس حريرى صغير • فى البيت تفحصت محتواه • فاذا به يضم مجموعة من البذور المجهولة • يا للفرحة ! الام النشيطة تفرز كل نوع من البذور على حدة ، تغرس كل نوع فى مسكبة مستقلة • العناية بالغرسات الجديدة استنفدت كامل أوقات فراغها • الام كاللولب ، صاعدة ، نازلة • نباتات جديدة غريبة شرعت بالنمو بسرعة لا تصدق • كل شيء غير معهود • الاغصان، الاوراق، البراعم• يا للفرحة العظيمة•

الزائر المجهول انضم الى الحفل الغافى • السلام عليكم • وعليكم السلام • فطن السابح فى الحلم الى قدومه فحدجه بنظرة متفحصة خاطفة• استانف الراوى بث ريحانه اللفظى •

لسوء الحظ ، اصيبت الام بنوبة مفاجئة ، احست بوهن طاحن ، تحاملت على نفسها ، صعدت السلم • ارتمت فى سريرها قرب النافذة وهى تهذى •

الام مهددة بالموت • الابن فى رحلة طويلة الامد ، المنزل خاو الا من الزهو والاشجار •• والنباتات الجديدة •

الام فى سريرها خائرة القوى ، فى نصف غيبوبة• الساعات تتوالى، احست بالمصير الفاجع•

وشة غريبة قرب النافذة نقلتها الى حالة من الصحو النصفى ، ما هذا الذى يتلوى برفق رؤوم ؟ يا للعجب ! ثمرة برتقالية تهادت بانس فوق وجهها الذابل ، بعد هنيهة ، انهلت قطرة من الثمرة بين شفتيها • ثم ثانية •• فثالثة ، ارتوت الام العطشى ، فاذا بالثمرة تقترب من شفتيها ، فتحت فمها وازدردت لقمة من الفاكهة الطرية ، تابعت الاكل حتى نفاد الثمرة ، شبعت الام الجائعة •

فى اليوم التالى ، تهادت أمامها ثمرتان من نوع مختلف وطعم مختلف • حدثت نفس المعجزة ، الحنون فى مملكة الجن • الكيس الحريرى سقط ليلا من يد بستانى من الجن وهو فى طريقه الى بستانه فى الارض المطوية •

عدل الراوى جلسته مرددا : فى الجلسة القادمة ساقص عليكم نهاية الحكاية ، فى غضون ذلك كان احد المنطرحين يمرر لسانه على شفتيه ، غمغم : متى سناكل الفواكه والثمار فى قريتنا ؟

انتهت سهرة الليلة ، الزائر المجهول يسال النهم الغارق فى الخدر : هل غرست شجرة ؟ كلا ياعم ، اذن سامر فى طريقى على المدينة ، وساوصى بعض الاصدقاء هناك بان يغرسوا لكم الاشجار المثمرة على اسطحة منازلكم •

هم الزائر بالانصراف ، فاذا بالحاكم المترصد يساله : من انت يا عم ؟ انا جاسم العريان ، غريب انت ، كلا ، تعجب الحالم فاستفسر : اين تسكن ؟ خلف التلة ، خلف التلة ؟! لم يكد الحالم يستفيق من دهشته حتى كان الزائر المجهول قد اختفى فى ظلام الليل •

عجيب امر هذا الزائر المجهول •• غمغم الحالمون المنطرحون خلف التلة لا توجد سوى المقبرة القديمة لعل بعض البدو الرحل نصبوا مضاربهم قربها •

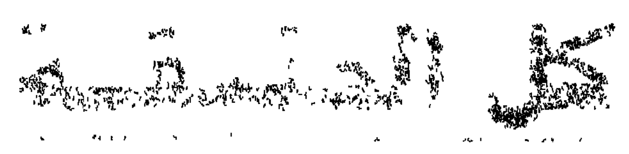
فى صبيحة اليوم التالى ، اتجه لفيف من اهل القرية الى الفسحة المنبسطة خلف التلة • على مد البصر ، لا اثر لاى مضرب • تعجب الجميع ، توزعوا بين القبور والسنتهم معقودة من التهيب ، صاح صبى بصوت مجروح ، وجدته ، وجدته • اقترب الحشد من الصبى فاذا به أمام شاهدة قبر قديم يقرأ ما سطر عليها ، هنا يرقد المرحوم الجناينى الحاج جاسم العريان • صمت رهيب خيم على الجميع • تسمرت عينا الحالم المخدر ، ثمة شجرة مرسومة باللون الاخضر المغبر على طرف الشاهدة العلوى ، الشجرة الوحيدة المغروسة فى القرية المتنكرة تحت جلباب من الصلصال الغبارى•

■■

دمشق — نهاد رضا







بقلم : خوسيه لويس بيلاسان خوان

تقديم وعرض : د٠ محمود علي مكي

منذ أن لقى لوركا مصرعه فى العشرين من اغسطس سنة ١٩٣٦ فى ملابسات لم يكشف النقاب عنها آنذاك، والجدل محتدم حول تلك الواقعة الفاجعة المؤسفة ٠ غير أنه كان جدلا فى الغالب بعيدا عن الموضوعية ٠ اذ أن مصرع لوركا سرعان ما اتخذ سلاحا سياسيا وشعارا رفعه خصوم نظام الجنرال فرانكو فى الشرق والغرب على السواء ٠ فقد ألقيت تبعة مقتل الشاعر الاسبانى العظيم على ذلك النظام ، وهى تهمة باطلة ، اذ لم يكن للنظام مصلحة فى ذلك ، فضلا عن أن نظام فرانكو نفسه لم تكن قد تحددت معالمه بعد ، ولو أن الخطأ الذى ارتكبه

وهى تهمة أشد بطلانا ، فقد كان قادة هذا الحزب فى غرناطة هم الذين بذلوا كل جهد لحماية لوركا واستنقاذه ، لا لعلاقة سياسية بين لوركا وبينهم ، وانما لصداقة شخصية كانت تربطه بأسرة معروفة تنتمي اليهم • وكان من نتائج البعد عن الموضوعية فى ذلك الجدل العقيم ان نسبت الى لوركا نزعات شيوعية او يسارية هو برىء منها ، فليس فى انتاجه الشعرى الوفير ادنى بينة على ذلك ، بل كان لوركا شديد النفور من السياسة ، وكان اشد نفورا من استغلال اسمه او شعره فى الصراعات السياسية • ومع ان هذه الحقيقة كانت واضحة فى نظر الكثيرين من الباحثين الاجانب ، فقد استمر البعض فى العالم العربى يرددون ما سمعوه او نقلوه عن بعض الاقلام الاجنبية حول مقتل لوركا على يد نظام فرانكو او على ايدى الكتائب فى غير تمحيص ولا تحقيق • وما اكثر ما تحدثوا عن « يسارية » لوركا بغير ان يتجشموا عناء قراءة آثاره او متابعة حياته • اما فى اسبانيا فان مؤرخى الادب فى جو الديموقراطية الذى انفتحت عليه البلاد منذ أخريات عهد فرانكو قد أحسوا بضرورة العودة الى الموضوع بعيدا عن الاهواء والانفعالات السياسية • وبهذا العمل اضطلع الباحث بيلاسان خوان ، فتتبع ايام لوركا الاخيرة محققا كل احداثها ، وكان ثمرة ذلك الجهد المضنى هذا الكتاب الذى يتجاوز الثلاثمائة والعشرين صفحة.

---

١ ـ الجريمة

كان يسير محفوفا بالبنادق
فى طريق ضيق طويل
خارجا الى الحقل البارد
وما زالت فى السماء نجوم الفجر
لقد قتلوا « فيديريكو »
حينما كان نور الفجر يطل على الافق
لم تجرؤ كتيبة الجلادين
على ان تشخص بابصارها الى وجهه
بل اغمض الجميع عيونهم
وهم يهتفون : حتى الله لن يستطيع انقاذك !
قتيلا سقط فيديريكو
ـ دماء على الجبين ورصاصة فى الاحشاء ـ
••• فى غرناطة تمت الجريمة
نعم •••فى غرناطة المسكينة••• فى غرناطته!

٢ ـ الشاعر والموت

كان يرى وحيدا والموت يسايره
ولم يكن يحس بالخوف من منجله المعقوف
ـ اشعة الشمس تنتقل من برج الى برج
والمطارق على السندان ••• على سندان المصاهر ـ
وكان فيدريكو يتحدث مغازلا الموت ،
والموت يستمع اليه فى صمت :
« ما اكثر ما ترددت فى شعرى ايها الرفيق »
صفقات كفوفك اليابسة !
وما اكثر ما القيت مرارة الحنظل فى غنائى !
وما اكثر ما اعترت مسرحياتى حد منجلك الفضى!
سوف اغنى للحم الذى تجردت منه عظامك
سوف اغنى للعيون التى افرغت منها جمجمتك
ولشعرك الذى طارت به الرياح
وللشفاه الحمر التى طالما طبعت عليها قبلاتك !
واليوم كالامس ايها الموت الفجرى •• موتى انا
ما اسعدنى برفقتك وانا امضى معك وحيدا
بين نسمات غرناطة •••
غرناطتى انا ••• ! »

٣ ـ

كان يرى وهو ماض فى الطريق •••
اصنعوا ايها الاصدقاء
نصبا للشاعر



نصبا من أحجار واحلام في حمراء غرناطة
على نافورة لا يكف ماؤها عن البكاء
وهو يردد نشيده الابدي :
« ... في غرناطة تمت الجريمة
نعم ... في غرناطته ! ... »

هكذا يكي الشاعر الاسباني الكبير انتونيو ماتشادو موت صديقه وتلميذه فيديريكو غرسيه لوركا في قصيدته « في غرناطة تمت الجريمة ».
والجريمة التي عناها الشاعر هي اعدام لوركا الذي وقع في فجر يوم ٢٠ اغسطس سنة ١٩٣٦ هي ذلك الحدث البشع الذي كان له دوي هائل في الاوساط الادبية والسياسية منذ وقوعه حتى اليوم، والذي انفق حوله من المداد والورق ما يزيد على ما كتبه الشاعرنفسه خلال عمره القصير الذي حصده منجل الموت وهو دون الاربعين .

وقد وقعت الجريمةبعد ان اعلن الجنرال فرانكو تمرده على الحكومة الجمهورية في بلاده بشهر واحد . وكان هذا التمرد بداية للحرب الاهلية التي قدر لها ان تستمر طوال ثلاث سنوات وسقط فيها من الضحايا ما يزيد على المليون . ولنا ان تتصور كيف أثار مقتل لوركا مشاعر الناس في ذلك الجو السياسي الملتهب ، اذ سرعان ما اضفيت على الجريمة صبغة سياسية . فاوساط الادباء في خارج اسبانيا سواء في العالم الغربي او في العالم الشرقي ترى في مصرع لوركا جريمةينبغي ان تدرج بغير مناقشة في الصحيفة السوداء التي علقوها في عنق نظام الجنرال فرانكو ، وهو نظام لم يكن في نظرهم الا امتدادا لنازية المانياوفاشية ايطاليا ، واللاجئون الاسبان من فلول النظام الجمهوري المندحر يعينون على تاكيد ذلك التصور، اذ كانت تدفعهم اليه مرارة المنهزم وسورة الحقد على النظام الجديد . اما المخلصون لنظام فرانكو فقد كانوا يجتهدون ـ بالحق وبالباطل ـ في نفي التهمة عنه ، وما اكثر ما عمد بعضهم الى تفسيرات واهية لم تنبع الا من التعصب الاعمى او الملق الرخيص . وتعالت اصوات المتجادلين واخذت الوان من التاويلات تتراكم على الجريمة حتى خفيت خيوط الحقيقة ، واصبح تبين الاحداث والاسباب امرا من الصعوبة بمكان !

كتاب جديد حول مصرع لوركا

ظل الامر كذلك حتى نهض الكاتب الاسباني خوسيه لويس بيلاسان خوان Jose Luis vila San Juan بدراسة للموضوع كله من جديد . كان ذلك في سنة ١٩٧٣ وكانت الظروف مواتية حينئذ للاضطلاع بمثل هذا العمل : العواطف التي كانت ثائرة قد اخلدت الى غير قليل من الهدوء ، والحرب الاهلية الدامية قد بعد بها العهد ، والجراح المتخلفة عنها قد التامت او كادت تلتئم ، والاصوات ترتفع في داخل اسبانيا وخارجها منادية بمصالحة وطنية بين مختلف الفئات ، والناس الآن اقرب الى الاقتناع بان احداث تلك الحرب قد اصبحت جزءا من التاريخ ينبغي أن يكتب في هدوء وموضوعية .
في هذا الجو شرع الكاتب على طول عامين كاملين في تقصي الحقيقة حول مقتل لوركا مركزا بحثه على ايامه الاخيرة ، فتجمعت له مادة طيبة كان ثمرتها ذلك الكتاب الذي جعل عنوانه « مصرع لوركا : كل الحقيقة » . ورات احدى دور النشر الكبرى في اسبانيا وهي دار « مرآة اسبانيا Espejo de Espana » ، ان تمنح هذا الكتاب جائزتها الاولى سنة ١٩٧٥ .

حول مصرع لوركا

تنص شهادة الوفاة الرسمية الصادرة من السجل المدنى بغــرناطة ـ وهى التى اثبت صورتها المؤلف على غلاف كتــابه ـ على ان فيديـريكو غرسيه لوركا توفى فى شهر اغسطس سنة ١٩٣٦ « من جراء جراح اصـابته ناتجة عن حـدث من احداث الحرب » • ونسبة مقتل لوركا الى حدث من احداث الحرب هو اول مظهر من مظاهر التستر على الحقيقة ،فشاعرنا لم يكن محاربا ولا مشاركا فى احداث الحرب • ولم يكن لهذا التسـتر ما يبرره ، وكان الاولى بنظام فرانكو ان يشرع منذ البـدء فى تجلية غوامض ذلك الحدث ، الا ان بعض انصاره عن جهل او سوء نية رأوا من الخير القاء ستار من الصمت على الموضوع • وترتب على ذلك ان قدموا الى خصومهم من الناقمين على النظام فرصة التشهير به واتهامه بتدبير مقتل الشاعر عن عمد وسبق اصرار •

اما الباحثون الذين حاولوا تقصى الحقيقة فقد كان اكثرهم من الاجانب ، واهمهم جيرالد برينان فى كتابه « وجه اسبانيا » (١٩٥٠) ، وكلود كوفون : « كيفكان موت لوركا » (١٩٥١)وجان لوى شونبرج : « واخيرا الحقيقة حول موت لوركا» (١٩٥٦) ، ومارسيل وكلير : « طفولة لوركا ومقتله » (١٩٦٨) وايـان جبسون : « الارهاب الوطنى فى غرناطة سنة ١٩٣٦ ومقتل لوركا » (١٩٧١) • (١)

وتتفاوت هذه الدراسات من ناحية القيمة ، وهى على كونها محاولات جادة فى سبيل استقصاء الحقيقة لا تخلو من التاثر بما كان يسير اصحابها من أهواء سياسية او بمـا كانوا يسمعونـه من احاديث نسجها بعض « العالمين ببواطن الامور »ممن لا تخلو منهم مدينة اندلسية ، وغرناطة بصفة خاصة •

ASESINADO: toda la verdad

CERTIFICACION LITERAL DE INSCRIPCION DE

premio 1975

شهادة ميلاد لوركا

مؤلف الكتاب بيلاســان خوان كاتب ولد فى برشـلونة سنة ١٩٢٦ وتخرج فى كلية الطيران ، واشتغل فى الجيش طيارا عسكريا ، ثم ترك الخدمة وتفرغ للصحافة ، وهو الآن مدير لاحدى وكالات الاعلان الكبرى • وكان موضـوع الحرب الاهلية قد شغله منذ سنة ١٩٦٧ ، فاخرج حـوله عديدا من الدراسات كان من اخرهـا كتابـه « اسـرار الحرب الاهلية الاسبانية » ثم الكتاب الذى هو موضوع هذا الحديث •

---

(١) الكتب الخمسة المذكورة هى :

1. Gerald Brenan ; The Face of Spain.
2. Claude Couffon ; Ce que fut la mort de F. G. L.
3. Jean - Louis Schonberg ; Enfin la verite sur la mort de L.
4. Marcelle Auclair : Enfances et mort de L.
5. Ian Gilson ; La Represion Nacionaliota de Granada en 1936 Y la muerte de F.G.L.

لمقتل الشاعر تنتهي الى ثلاثة آراء :

١ ـ فكوفون مثلا ينسب الجريمة الى موقف لوركا السياسي والى ما يزعمه من معارضته الصريحة لحزب الفالانخ (الكتائب) المناصر لفرانكو ، ويتفق معه في ذلك ايان جبسون الذي يتخذ من مصرع الشاعر منطلقا لهجوم بالغ العنف على نظام فرانكو السياسي • وهذا التفسير هو الذي ردده واشاعه خصوم النظام وهو خاطيء من اساسه •

٢ ـ وشونبرج على العكس من ذلك ينفي عامل السياسة عن الجريمة ، ويرد مقتل لوركا الى صراع بين عدد من المنحرفين ، وهو لا يكتفي بتوجيه تهمة الانحراف الجنسي الى لوركا بل يمدها الى عدد من المتصلين به • وهو تفسير بدوره بعيد عن الحقيقة ولم يستطع المؤلف ان يقدم عليه ادلة قاطعة • واذا كان من الصحيح ان وصف لوركا بالانحراف امر شائع يقبله الكثيرون ، وان احد



رويث الونسو
المسؤول الاول عن لوركا

فان الثابت هو ان الشذوذ الجنسي لم يكن وراء تلك الجريمة • وقد ظن بعض انصار فرانكو انهم قد عثروا على ضالتهم في هذا التفسير ، اذ رأوا فيه تبرئة لهم من الجريمة ، فاقبلوا يروجون له ، وكأنهم رأوا في تلطيخ سمعة الشاعر ما يهون من بشاعة الجرم المرتكب •

٣ ـ وهناك راى ثالث له من الشهرة والشيوع ما للرأيين السابقين ، وان كان لايقل عنهما خطأ واغراقا في الخيال : وهو ان مقتل لوركا كان على ايدي بعض رجال الشرطة المدنية انتقاما من الشاعر الذي اتخذ منهم هدفا لهجومه وسخريته ولا سيما في «الديوان الغجري» وهذا الراي بدوره اضعف من ان ينهض للنقد •

في بداية الحرب الاهلية

في ١٨ يولية ١٩٣٦ اعلن الجنرال فرانكو الثورة على النظام الجمهوري الحاكم • واندلعت الثورات على الفور في كثير من مدن اسبانيا مؤيدة حركة الجيش • اما غرناطة فقد كان الجو فيها ممهدا منذ البدء ، فلم يات يوم ٢٠ يولية حتى كانت المدينة كلها في ايدي المتمردين ، اذ سيطرت قوات الجيش ومعهم من كان في المدينة من اعضاء حزب الفالانخ (الكتائب) على مخافر الشرطة ومباني البلدية والحكومة المدنية • ولم يبق على الولاء للحكومة المركزية في مدريد الا عدد قليل اضطر الى التجمع في حي البايزين Albaicín المشهور في غرناطة ، وهناك اقاموا المتاريس وشرعوا في المقاومة • وفي يومي ٢٢ و ٢٣ يولية قامت قوات الجيش بمحاصرة الحي وتمكنت من الاستيلاء عليه بعد قصف عنيف سقط فيه عدد من القتلى والجرحى • وقبض على زعماء المقاومة في الحي وبدات محاكمتهم العسكرية على الفور • وفي يوم ٢٦ يولية بدات سلطات الجيش في اعدام من ثبتت عليه تهمة الولاء للنظام الجمهوري الحاكم في مدريد •

وحاولت حكومة مدريد ان تسترد مواقعها في المناطق التي اعلنت تاييدها للثورة • ففي غرناطة شوهدت يوم ٧ اغسطس طائرات حكومية حاولت ان تلقي حمولتها على المدينة ، وكان الرد على ذلك من جانب الثوار الذين اصبحوا يدعون بالوطنيين هو اعدام عدد من السجناء المتهمين

والوطنيين على حد سواء • فحينما هاجم الوطنيون مدريد وقصفوا بعض احيائها قامت ميليشيا الجمهوريين بمهاجمة سجن مدريد حيث اودع عدد كبير من خصومهم الموالين للثورة ، واعدموهم بغير محاكمة ، هكذا كانت تجرى « تسوية الحسابات » بين الجانبين !

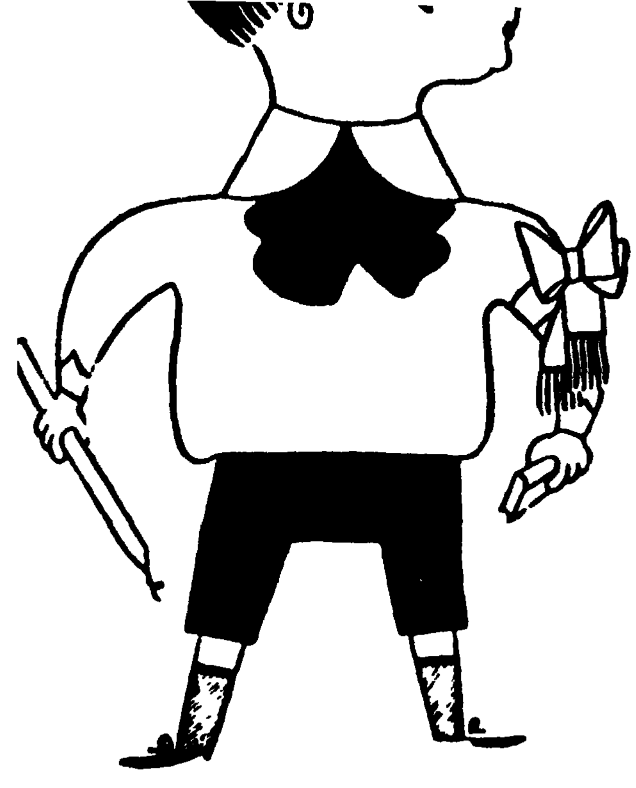
اسرة لوركا واحداث الحرب

فيديريكو غرسيه لوركا ينتمى الى اسرة من اسر الطبقة الوسطى اقرب الى الغنى واليسر • ابوه « دون فيديريكو » فلاح قوى الشكيمة بدأ حياته يعالج فى ريف غرناطة ارضا مجدبة قليلة المورد ، ولكنه بفضل جهده وعمله المتواصل استطاع ان يجمع ثروة كبيرة ، فقد اصبح له ارض جيدة فى فحص غرناطة (٢) تقدر بخمسة وثلاثين هكتارا ، وهو مستشار لشركة السكر ، ومن اكبر المساهمين نصيبا فى ميدان مصارعة الثيران فى غرناطة ، هذا فضلا عن ضيعة كبيرة جيدة اتخذها لقضاء فصل الصيف • واما امه فهى مدرسة تركت عملها بعد الزواج ، وكانت تضفى على ابنها الاكبر فيديريكو من الحنان والحب ما جعله « الطفل المدلل » فى اسرته وبين اخوته الثلاثة : فرانسيسكو الاخ الصغير والفتاتين كونتشا وايزابيل • وهى اسرة بحكم وضعها الاجتماعى واحوالها المادية اقرب الى المفهوم اليمينى « البورجوازى » بوجه عام • ولو انه لم يؤثر عن احد منها — لا فيديريكو ولا غيره — اى تدخل فى السياسة •

غير ان الاخت الكبرى كونتشا كانت متزوجة من مانويل فرنانديث مونتسينوس الذى عينته الحكومة الجمهورية عمدة لغرناطة فى يوم ١٠ يولية اى قبل انفجار تمرد الجيش بثمانية ايام ولم يتمكن الرجل من مباشرة سلطاته ، ثم لم يلبث ان القى القبض عليه فى يوم ٢٠ يوليه واودع سجن غرناطة•

السبت ٨ اغسطس : بداية المتاعب :

وصل فيديريكو الى غرناطة قادما من مدريد فى



كاريكاتير للوركا نشر فى جريدة الهيرالدو دى مدريد فى ١٨ يوليو ١٩٣٦ قبل موته بشهر •

يوم ١٧ يولية ليحتفل مع اسرته بمناسبة عائلية واليوم (٨ اغسطس) يسود الاسرة جو من القلق على مصير مانويل مونتسينوس ، وان كانوا يعرفون انه لا يزال على قيد الحياة •

غير انه فى مساء هذا اليوم — ولم يكن فى البيت الا فيديريكو واخته الكبرى — اذا بعدد من الرجال المسلحين وهم فى ثياب مدنية يقتحمون الدار • ويامر رئيس المجموعة رجاله بتفتيش البيت قائلا انهم يبحثون عن « شيوعى » هو اخ لاحد العاملين فى خدمة اسرة لوركا ، ولكنهم لا يجدونه ، فياخذون اخاه ويربطونه الى شجرة فى حديقة الدار ويبداون فى ضربه• ويحاول فيديريكو ان يدافع عن خادمه ، فيضربه احد رجال المجموعة ويامره بالسكوت • ويتوتر الجو ، ولا ينقذ الموقف الا دورية حراسة تمر بالبيت فى تلك الساعة ،

(٢) فحص غرناطة La Vega de Granada هو الارض البسيطة الخصبة فى ظاهر المدنية وكانت لكثرة بساتينها والتفاف النبات فيها تشبه على عهد المسلمين بغوطة دمشق •

ويتحدث رئيسها ويصدر أمره لمجموعة المسلحين بالانصراف ٠

الخوف يستبد بالاسرة ٠ ان ما تعرض له فيديريكو من الضرب والاهانة امر قد يكون بعده ما هو أسوأ منه ٠ ويستقر الرأى على ان من الخير له ان يقضى هذه الايام المضطربة فى مكان اكثر امنا ٠ ويقترح فيديريكو ان يلجأ الى بيت صديقه الشاعر « لويس روسالس » ، وكانت تربطه باسرة روسالس صداقة حميمة ، ثم ان اخوى لويس من اعضاء حزب الكتائب العاملين : ميجيل الاكبر من قادتهم المعروفين ، وخوسيه هو رئيس التنظيم فى غرناطة ، وهو ذو نفوذ كبير فى اوساط الوطنيين ٠ ويتصل فيديريكو بصديقه لويس هاتفيا ، فيهرع هذا الى بيته ، وتبحث الاسرة الموقف معه ، ويرحب هو بايواء فيديريكو ٠ وبالفعل ينتقل شاعرنا الى بيت صديقه فى نفس اليوم ٠ وهو بيت يقع فى وسط غرناطة ، على مقربة من الميدان الذى ما زال يحتفظ حتى الان باسمه العربى : « باب الرملة » ٠

الاحد ١٦ اغسطس :
القبض على فيديريكو:

فيديريكو يشعر بالامن فى دار روسالس حتى انه الان لا يجتهد فى التستر والتخفى غير ان فى الجو نذرا خطيرة ٠ فى فجر هذا اليوم تم اعدام عدد من السجناء المتهمين بالولاء للجمهورية ، وكان من بينهم مانويل مونتسينوس زوج أخت فيديريكو ٠

وفى عصر هذا اليوم ٠٠ من الميدان الذى يبعد خمسين مترا من بيت روسالس وهو — لعجيب الاتفاق — يحمل اسم « ميدان الذئاب » تبدأ فى الظهور فرقة من الرجال المسلحين : نحو أربعين رجلا ٠ ويحاصر الرجال الشارع ، ويلتف بعضهم حول الدار ، ثم يدخل قائدهم البيت ٠ وعلى الباب تستقبله السيدة اسبرانثا أم الاخوة روسالس — اذ لم يكن احد من الرجال فى البيت — وتواجهه مكفهرة الوجه فى بسالة :

— ما معنى هذا الاقتحام ؟ ٠٠٠

— سيدتى ٠٠٠

— اتعرف بيت من هذا الذى تقتحمونه ؟ ان ابنائى كلهم من « القمصان الزرق » وهذا البيت بمثابة القيادة العامة لحزب الكتائب !

— معذرة يا سيدتى ٠ أنا لم آت للتعرض لاحد من ابنائك ٠ ان لدى أمرا بالقبض على فيديريكو غرسية لوركا ٠ فانا اعرف انكم تخبئونه عندكم٠

— ليس هنا احد مختبئا ٠ وانما لدينا فيديريكو غرسية لوركا ، وهو ضيف على ابنى لويس ٠

— المهم انه هنا ٠ ولكن لدى أمرا بالقبض عليه ٠

— انت لن تقبض على احد فى بيتى !

— سيدتى ، أنا « رامون رويث الونسو » النائب اليمينى ، ولك ان تثقى بى ٠

— على كل حال لن يخرج فيديريكو من هنا الا مع رجل من اسرتى ، ولا يوجد احد منهم الان هنا ٠ ولكن ابنى ميجيل فى معسكر القيادة العامة للكتائب ٠

— لا بأس ٠ لدى السيارة هنا وسوف اذهب اليه الان ٠

وينصرف رويث الونسو فى السيارة متوجها الى معسكر القيادة الذى يبعد نحو ثلاثمائة متر ، ثم يعود ومعه ميجيل روسالس ٠ وفى الطريق يشرح له الامر : انه يحمل امرا من « خوسية بالديس قزمان » الحاكم المدنى لغرناطة بالقبض على فيديريكو ٠

وفى هذه الاثناء تكون السيدة اسبرانثا هى واختها وابنتها قد اعددن شاى العصر وقد اطمانت قلوبهن قليلا ، وحينما يعود ابنها مع رويث الونسو تدعوه الام لتناول الشاى معهم ، فيقبل الدعوة ، ويبث ذلك مزيدا من الاطمئنان فى قلوب الاسرة ٠ لابد ان فى الامر خطأ او سوء فهم ٠٠ وتسأل احدى النساء عن التهمة الموجهة لفيديريكو ، فيقول رويث الونسو انه متهم بانه « جاسوس للروس » ، وتبدو عبارة الرجل كما لو كانت ضربا من ضروب المزاح ٠ فيقول انه لا مبرر للخوف وان كل شىء سيتضح ٠ ويخرج رويث ومعه فيديريكو وميجيل متوجهين الى مبنى الحكومة المدنية ٠

وفى مبنى الحكومة يطلب ميجيل مقابلة بالديس، فيبلغونه انه غائب عن مكتبه — وقد كان غائبا بالفعل — ، الا ان نائبه يستقبله ويعده بالا يتعرض فيديريكو لاى مكروه حتى يقدم بالديس ليرى فيه رأيه ٠ ويخرج ميجيل ويشرع فى البحث

ان ذلك الرجل القوى الخشن يبدى فى هذه اللحظة خورا وتخاذلا غريبين ، اذ لا يقوم بفعل شيء من اجل استنقاذ ابنه ، ولعله استهان بالخطر لثقته من براءة ابنه ، او لعل جو الرعب السائد قد شل حركته .

وفى الساعة العاشرة يصل لويس روسالس الى بيته قادما من الجبهة الجنوبية التى اسندت اليه رياستها ، ثم اخوه خوسيه قادما من الجبهة الشرقية ، وتقص عليهما الام ما وقع ، فتثور ثائرتهما ، ويقرران المضى فى مثل هذه الساعة المتاخرة الى مبنى الحكومة المدنية للقاء بالديس .

وهناك يحاول الضابط المكلف بالحراسة منعهما ، فيقتحم خوسية مكتب بالديس بالقوة ، ويشهر مسدسه المحشو ويوجهه الى صدغ بالديس ويساله :

ـ هل صحيح انك امرت رويث الونسو بالقبض على فيديريكو فى بيتى ؟

ـ انا لم آمر احدا بشيء .

ـ انت تعرف ان المنصب الذى تتولاه الان انما وصلت اليه بفضلى ، وفى وسعى ان اعزلك عنه .

ـ لا تكن مجنونا . ابعد هذا المسدس . ان فيديريكو بخير ، وهو فى غرفة فى هذا الممر . اذهب لتطمئن عليه ان اردت .

وبالفعل يذهب خوسيه روسالس الى فيديريكو ، فيبتهج هذا بلقائه ، ويطمئنه خوسيه الى انه سوف يخرجه فى الغد .

ولا يكاد صباح اليوم التالى يطل حتى يهرع خوسيه مبكرا للقاء الكولونيل اسبينوسا الحاكم العسكرى لغرناطة ـ وكانت سلطته اعلى من سلطة الحاكم المدنى ـ ويستصدر منه امرا بالافراج عن فيديريكو ، ويذهب بالامر مسرورا الى بالديس . غير ان هذا يستقبله فى برود ويقول ان فيديركو لم يعد فى مقر الحكومة المدنية .

ـ ماذا تقول ؟

ـ لقد اخذوه فى الفجر الى « بثنار » ولابد انهم قد اعدموه الان !

واسقط فى يد الرجل ، وخيل اليه ان الارض تميد به ، فهو يعرف ان الذين يحملون الى فى ثكنة « بثنار » يعدمون .

ـ والان لنر ماذا نفعل باخيك الصغير !

وخرج خوسيه كالمجنون ... هو يعرف بالديس وقسوته الباردة . والتهديد الان موجه الى اخيه لويس الذى سوف يتهم بانه قد اوى فى بيته « الجاسوس الروسى » فيديريكو غرسيه لوركا . اما هذا فقد قضى الامر فيه ، ولم يعد يوجد ما يمكن عمله من اجله .

ومع ذلك فقد كان بالديس يكذب عليه . فان فيديريكو كان حتى تلك اللحظة لا يزال فى مبنى الحكومة المدنية .. لماذا ؟ لان بالديس لم يكن يعرف ما يجب عليه عمله بازائه . لقد قيل له ان لوركا شاعر كبير مشهور ، وهو اذا اطلق سراحه فقد يطلق لسانه ويثير الكثير من المتاعب . وبالديس يريد كسب الوقت لكى يتدبر امره فى روية .

ركنا الجريمة

ولكن من هما رويث الونسو وبالديس فزمان اللذان اليهما ترد التبعة الاولى فى القبض على لوركا ؟ وماذا كان هدفهما من اعدامه ؟

اما رامون رويث الونسو فانه كان فى ايام الجمهورية نائبا لغرناطة فى البرلمان وكان من الاعضاء البارزين فى حزب يمينى متطرف كان يدعى « الاتحاد الاسبانى لليمينيين المستقلين » ، ولعل من اجلى ما يمثل مفهوم هذا الرجل من اخلاقيات السياسة هو انه قبل نشوب الحرب الاهلية كان قد عرض على خوسيه روسالس ممثل حزب الكتائب فى غرناطة ان يترك حزبه وينضم الى الكتائب ، ولكن بشرط ان يدفع له الحزب الجديد المرتب الذى كان يتقاضاه حينما كان نائبا فى البرلمان . وحمل روسالس اقتراحه هذا الى خوسيه انتونيو بريمودى ريبيرا رئيس الحزب الذى كان سجينا انذاك فى مدريد . وكان رد خوسيه انتونيو انه يرحب بانضمام رويث الونسو الا انه يرفض اعطاءه شيئا لقاء ذلك . ومنذ ذلك الوقت لم يغتفر الرجل لحزب الكتائب ولا لآل روسالس ما لحقه من اهانة .

ولهذا فانه لم تكد تسند اليه بعض السلطات فى الحكومة المدنية التى كان يتولاها بالديس حتى دبر خطته للانتقام من آل روسالس ، وكان ان

انتقم منهم فعلا في شخص فيديريكو غرسيه لوركا ، فهو الذي اطلق اولا اشاعة لوركا « الجاسوس الروسي » ، ثم كان هدفه من القبض عليه وهو في دار اسرة روسالس هو ان يظهر ان هذه الاسرة ذات النفوذ الوثيقة الصلة بحزب الكتائب قد خانت قضية الحركة الوطنية حين آوت ذلك « الجاسوس الروسي » وبسطت عليه حمايتها • ثم ان في ذلك تشهيرا بحزب الكتائب نفسه الذي لم يغتفر له رويث الونسو رفضه لشروطه حينما اراد الانضمام اليه •

ومما هو جدير بالذكر انحزب الكتائب الذي كان يتزعمه خوسيه انتونيو ـ وان كان قد ناصر حركة التمرد العسكري التي قادها الجنرال فرانكو ـ لم يكن له يد في الاعداد لذلك التمرد ولا في تدبيره ، ولم يكن فرانكو نفسه كتائبيا ، غير انه بعد ان انتصرت حركته في الحرب الاهلية تبنى مبادىء الحزب واتخذها الاساس العقائدي لنظامه•

اما بالديس قزمان فانه كان من طراز اولئك العسكريين من نتاج الثورات الدامية : رجلا جاهلا عدوا للثقافة شرها الى السلطة بارد العاطفة قاسيا الى ابعد الحدود • وكان لايغتفر لخوسيه روسالس انه هو الذي اشار بتعيينه حاكما مدنيا لغرناطة ، ولهذا فانه كان يتوق الى التخلص من تلك « الوصاية » الكريهة التي كان آل روسالس يفرضونها عليه ، واتت الفرصة اليه سانحة في « موضوع» لوركا ، فالتقت خططه في ذلك مع خطط رويث الونسو •

هذا فضلا عن عامل آخر لعله هو الذي عجل بنهاية الشاعر : ذلك ان غرناطة التي اعلنت تاييدها لحركة التمرد العسكري منذ البدء كانت معزولة عن سائر المناطق الموالية لحركة الجيش ، اذ كانت محاطة بمناطق لاتزال على الولاء للجمهوريين • وقد عهد فرانكو الى واحد من خيرة قواده « الجنرال باريلا » بالاستيلاء على الطريق بين اشبيلية وغرناطة•وكان باريلا عسكريا شريفا لايرى في الحرب بين الفريقين المتقاتلين ما يبرر الفظائع التي لاتفيد احدا بشيء • وهو يرى في الطريق بين اشبيلية وغرناطة كيف تنتشر على جانبية بالعشرات جثث ابرياء قد شد وثاقهم واطلق عليهم الرصاص • لقد اثارت الحرب الغرائز الوحشية الكامنة في النفوس ، واصبحت تصفية الحسابات الخاصه باسم المبادىء السياسية تقليدا متبعا في كلا الجانبين المتحاربين : كلما اراد احد ان ينتقم من غريم له وشى به الى السلطة او قتله من غير وشاية زاعما انه « جاسوس »للفريق المعادي • وكان باريلا قد ابدى كثيرا من الحزم والشدة في الضرب على ايدي من يتجاوزون الحدود المشروعة في الحرب • والاخبار تصل الى غرناطة في يوم ١٦ اغسطس بان باريلا في طريقه الى غرناطة ،ويرى بالديس ومرؤسه رويث الونسو ومن معهما في الحكومة المدنية انهم قد انتشبوا في مازق من جراء الشاعر الذي قبضوا عليه بتهمة لايستطيعون اثباتها ، ويعسر عليهم بعد ذلك ان يبرروا ما فعلوه معه • ولايرون مخرجا من هذه الورطة الا ان يعجلوا بنهايته وينتهوا من امره •

الساعة الاخيرة

« بثنار » تلك القرية الصغيرة الواقعة على مشارف غرناطة هي المكان المفضل لاجراء احكام الاعدام في سجناء الحكومة المدنية • وفي ليلة ١٧ اغسطس تتوجه سيارة سوداء من طراز « بويك » من غرناطة الى « بثنار » وهي تحمل خمسة رجال : ثلاثة من الحراس وسجينين : فيديريكو غرسيه لوركا وواحد من مصارعي الثيران المغمورين •

المكان الذي يودع فيه السجناء حتى يتم تنفيذ الحكم فيهم هو بيت مهجور يدعونه « المستعمرة La colonia » ، تحيط به اشجار الزيتون ويسمع فيه خرير الماء من نافورة الحديقة • غير انه ما كان لاحد في مثل هذه الظروف ان يتملى جمال الطبيعة • وينزل لوركا ورفيقه المصارع من السيارة • ويقودهما الحراس الى البيت ،فينضمان الى سجين كان مقيما فيه منذ ايام وهو مصارع ثيران آخر • ويقضي الثلاثة ليلتي ١٧ و١٨ اغسطس •

وفي مساء الليلة التالية (١٩ اغسطس) تعود الى بثنار السيارة البويك وهي تحمل « شحنة » اخرى من سجينين : مدرس عجوز اعرج وابنه ، وينزلهما الحراس ، فينضمان الى سجناء « لاكولونيا » الثلاثة •

الانباء تتردد بان الجنرال باريلا سوف يصل الى غرناطة في الساعة العاشرة والنصف من

يصدر امره بـ « تنظيف » سجن « لاكولونيا » من كل من فيه !

الهزيع الاخير من الليل ... ديكة بشنار لم تصح بعد معلنة طلوع الفجر الجديد .. الحراس يخرجون السجناء الخمسة : فيديريكو والمدرس العجوز وابنه والمصارعين ، وهم مكتوفون ويامرونهم بالسير في الطريق الريفي الذى يصل من القرية الى « العين الكبيرة » .. هذه العين مازال الناس يعرفونها هناك باسمها العربي القديم Ainadamar (عين الدمع) ! ...

ترى هل كان لدى عرب غرناطة ارهاص بان هذه العين سوف تسفح دموعها على اكبر شاعر اخرجته اسبانيا في القرن العشرين كما سفحته على شمس الاندلس الغاربة ؟ ! ...

ويصدر قائد المجموعة الامر باشارة خفيفةمن يده . وتدوى طلقات النار ! ...

سنوات :

قل لي يا رب
النور يأخذ في الانطفاء
يا رب
اين زيتك المقدس ؟
اسوف تغرقنا
والامواج تحتضر ...
في ظلمات الهاوية ؟
أم لعلك اردت اللعب بنا
اترانا طيورا عمياء
كما لو كنا دمى جنود صغار ؟ !
بلا أوكار ؟
قل لي يارب
يا رب ! ...

الكويت ــ د. محمود علي مكي

تاريخ الحركة الوطنيـة بالمغرب من نهاية الحرب الريفية الى اعلان الاستقلال

الجزء الأول

تاليف : عبد الكريم غلاب

الناشر : الشركةالمغربية للطبع والنشر ــ الدار البيضاء ــ المغرب

● يتناول هذا الكتاب بالدراسة والبحث تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب التي بدات منذ حوالي سنة ١٩٢٥ ، ففي تلك السنة اجتمعت ارادة الوطنيين من شباب فارس والرباط وسلا وتطوان في محاولات جادة للنهوض ببلادهم ، وليعملوا مخلصين على انقاذها من التخلف والاستعمار . كما يساهم هذا الكتاب في القاء بعض الضوء على الجهود التي بذلها القادة والمناضلون في صفوف الحركة لتوعية المواطنين بالنضال ، ولشن معركة تحريرية شاملة انتهت باستقلال المغرب ، وما تزال تناضل لتحرير ما بقي رهينة في يد الاستعمار ، ولتحرير الفرد والمجتمع من رواسب الاستعمار ومخلفاته .

وقد واجهت المؤلف اثناء تاليفه لهذا الكتاب صعوبة الحصول على المصادر ، لانها كانت عند الادارة الفرنسية التي كانت تصادرها ، كما كان يحرقها من كانت بحوزتهم حين يحسون بان الشرطة الفرنسية تقترب منهم . ومع ذلك كان هناك النزر اليسير موزعا في المجلات والنشرات وبعض الكتب.

وقد حاول المؤلف ان يقيم الحدث والبحث عن اسبابه وخلفياته ونتائجه حتى تكتمل الصورة عند القارىء الذى يدرس هذا الموضوع ، فمما لا شك فيه ان كتابة التاريخ وتاريخ الحركة الوطنية بالذات لا يعني الحديث عن الماضي ، فالتاريخ لا يقصد للتاريخ الذى نعتبره انتهى ، ولكن كتابته تعني الاستمرار ، فاحداث التاريخ التي انتهت لا تعني انها ماتت بقدر ما تعني انها حية في نفوسنا وفي نضالنا ، فالحركة الوطنية لم يكن يقصد منها تحرير المغرب سياسيا بالاعتراف باستقلاله رسميا ولكن كان يقصد منها ايضا تحريره من كل رواسب الاستعمار وتحرير الفرد المغربي من كل ظروف التخلف .



مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » ٠٠ والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ٠٠ ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ٠٠ أما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري أن يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الاتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ٠

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٢٧ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٧ ٠

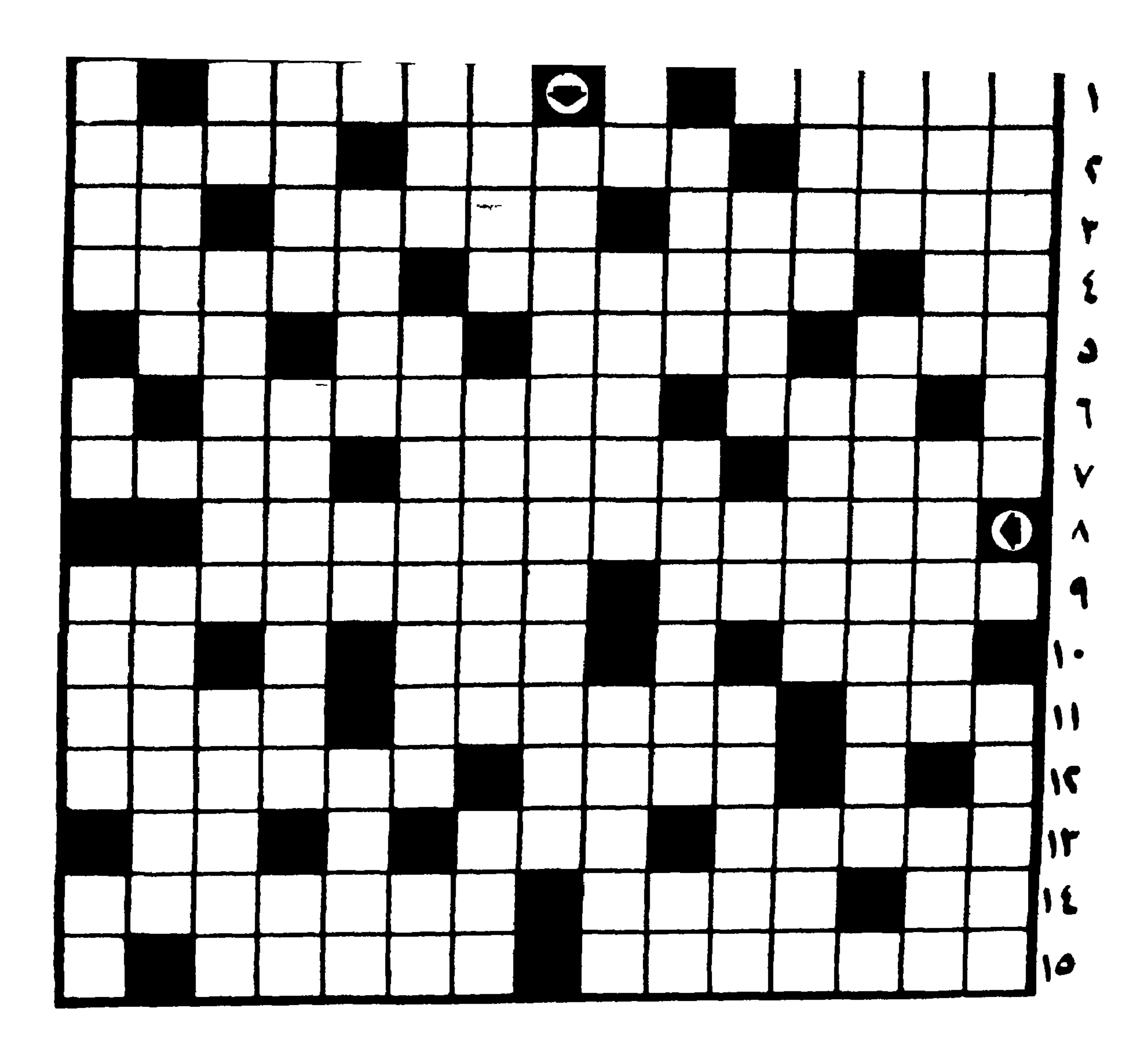
اثنان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم صاحب قصة حي بن يقظان، كما ستجد في (٨) رأسيا واحدا من أكبر فلاسفة العرب وأطبائهم ٠

الكلمات الافقية :

(١) دولة آسيوية ـ صخور في وسط النهر ٠
(٢) في النيران ـ حيونات مفترسة ـ التزام ٠
(٣) احدى القارات ـ من المتفجرات ـ أجاب ٠
(٤) حرف نفي ـ الأغلال ـ رواتب ٠
(٥) من الاشجار ـ فسيح ـ نصف كلمة (اضيع) ـ نصف كلمة (هتلر) ٠
(٦) طغى وجاوز حده ـ في الكف ٠
(٧) يستوجب الحجر عليه ـ من افراد مملكة الحيوانات الاولية ـ زمن قصير ٠
(٨) صاحب قصة حي بن يقظان ٠
(٩) بلا تفصيل ـ ظاهرة طبيعية في الارض المجاورة للبحر ٠
(١٠) من الحشرات ـ كح ـ حرفان متشابهان ٠
(١١) انفق ـ اضاعته ـ ابعد غورا ٠
(١٢) طلاء ـ اجسام سماوية تندفع في الفضاء ٠
(١٣) العطش ـ من الاحجار الكريمة ـ نصف كلمة (بارك) ٠





(١٤) نصف كلمة (نعمة) ـ مساعدتي ـ قبائل الريفية من أصل آسيوى .

(١٥) مدينة مقدسة ـ عندنا .

الكلمات الرأسية :

(١) اقليم فرنسى ـ مطلع شبابنا .

(٢) يعنينا ـ من أعلام الموسيقيين الالمان ـ عسى .

(٣) تجدها فى كلمة (حرير) ـ كاتب قصة مصرى شهير .

(٤) رفضا ـ فظائع ـ جاهز .

(٥) من الغازات ـ حرف عطف ـ تعالج .

(٦) برما ـ آراسله ـ حرفان متشابهان .

(٧) للتمنى ـ ينادم ـ جارحة .

(٨) واحد من أكبر فلاسفة العرب واطبائهم.

(٩) من الحشرات الضارة بالزراعة ـ صاحب الطبقات الكبرى ـ يسير .

(١٠) ظلم ـ أكاذيبهم ـ رغب .

(١١) التماعة ـ فى الوجه ـ انانى .

(١٢) من أطوار الحشرة ـ دولة آسيوية ـ حرفان متشابهان .

(١٣) مقام موسيقى ـ يجىء بعد الطلاق الثالث ـ اجتازتنا .

(١٤) شاعر أموى ـ عاصمة مالى .

(١٥) أشرع ـ لفظة ألم ـ أعجبت ـ اكتمل.

أديب مصرى

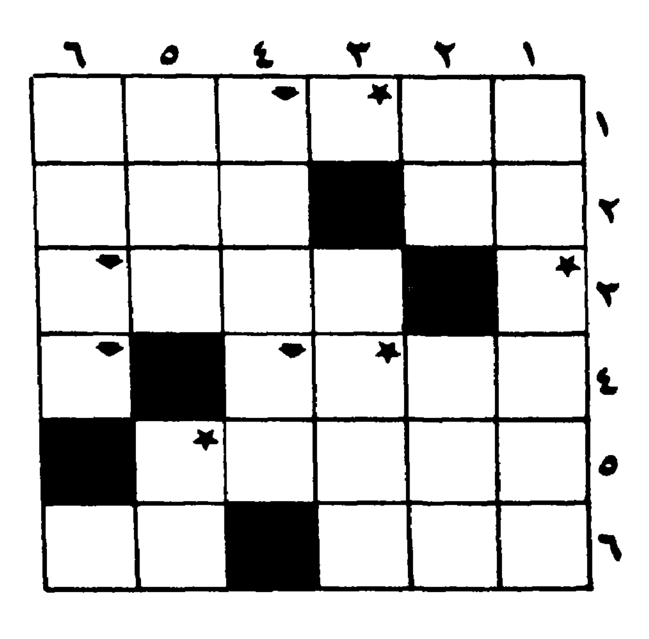
ابدأ اولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ،ورتبها بحيث تصنع الاسم الأول لأديب مصرى تخرج من الأزهر واشترك فى الثورة العرابية . ، ثم انقل التى فى المربعات التى بها النجوم ،ورتبها بحيث تصنع لقب ذلك الأديب.

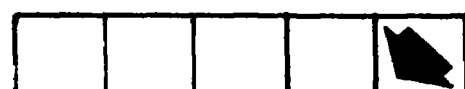
الكلمات الافقية :

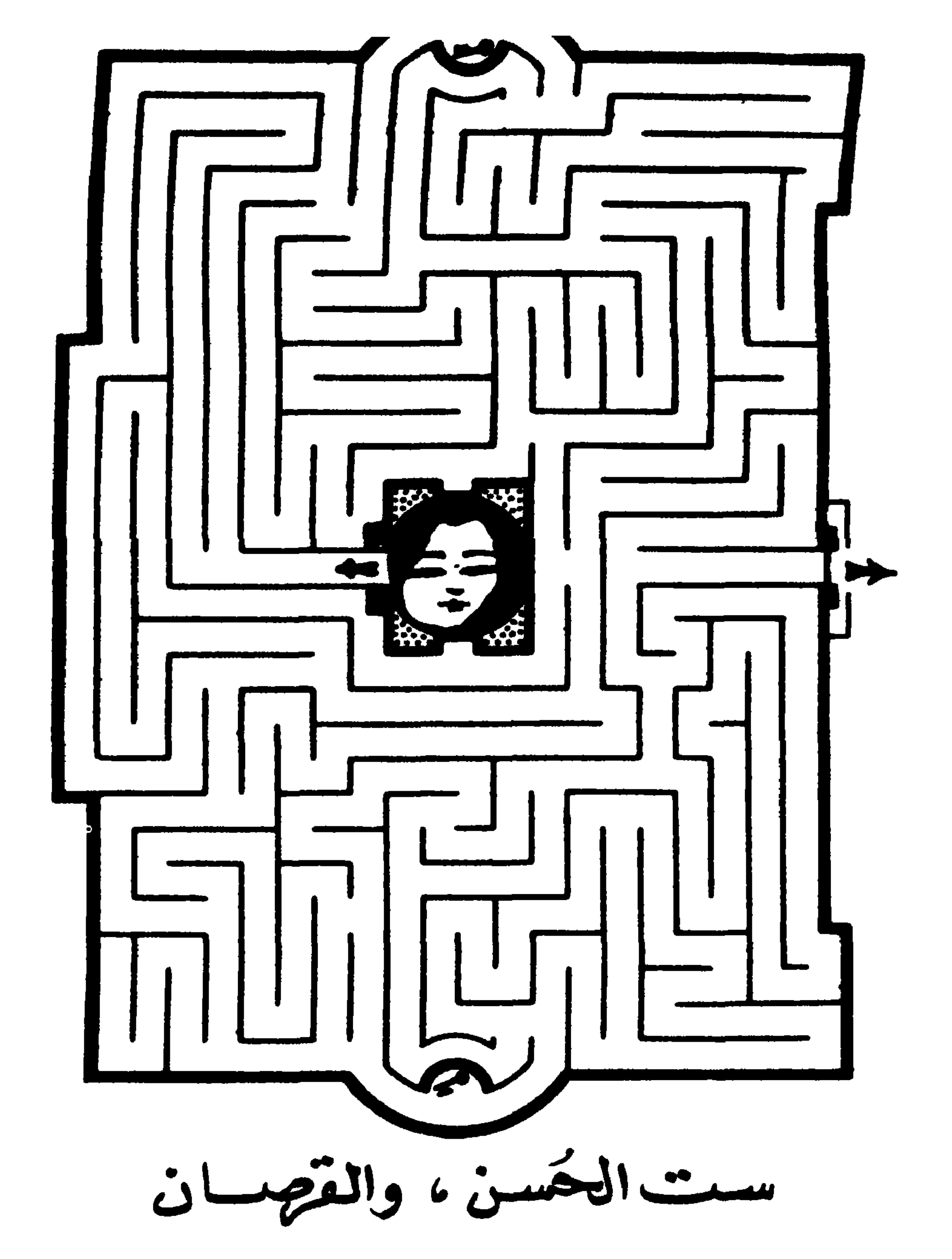
(١) الكراهية .
(٢) مقام موسيقى ـ حفظ .
(٣) طائر لايطير .
(٤) أعفو .
(٥) وقاها .
(٦) قطع ـ مناص .

الكلمات الرأسية :

(١) الصديق .
(٢) حرف نفى ـ سكون .
(٣) خارجون عن الدين .
(٤) طليقة اللسان .
(٥) حرف ابجدى ـ من الاقارب .
(٦) صوت الجرس .







ست الحُسن ، والقرصان

بعد أن اختطف القرصان ست الحسن والجمال، حبسها فى حجرة عند منتصف قصره محاطة بالطرقات المتداخلة • وقال لها « ستبقين فى قصرى حتى نهاية عمرك ، فباب هذا القصر لايفتح الا بمفتاح السماء ومفتاح الارض ،احدهما فى شمال القصر والآخر فى جنوبه • وهيهات ان تصلى الى اى منهما فى هذا التيه واعلمى ان طرقات القصر مصممة بحيث ينهار السقف اذا ما سار فيها آدمى اكثر من مرة »ثم تركها ، وسافر الى حيث سفينته •

استلقت ست الحسن يائسة حزينة،فلاحظت نقوشا اسفل الجدار فسرت منها هذه العبارة «يخرج ويهرب ، شريفا شجاعا» • وبعد تفكير طويل ، فهمت ست الحسن سر العبارة ، وهكذا حصلت على المفتاحين ، وهربت من القرصان• هل تستطيع انت أيضا ان تتوصل الى السر•

استاذ نبيه يسال :

هدية من أرسلت الى عايده ؟

اقترب العيد ، وراجعت ثريا ميزانيتها ،فاكتشفت انهـا لن تستطيـع شراء الهـدايا التقليدية التى اعتادت تبادلها مع صديقاتهاكل عام •

وبعد تفكير طويلقررت ـ كحل لهذه المشكلةـ أن ترسل لكل واحدة من صديقاتها الخمس الهدية التى تتلقاها من صديقة أخرى ، وبهذاتتخلص من مشكلتها •

وحرصت على الاتتبادل صديقتان هديتهما. فاذا كانت هدية كريمة قد أرسلت اليجيلان ، فهدية جيلان لا يجب أن ترسل الى كريمة •

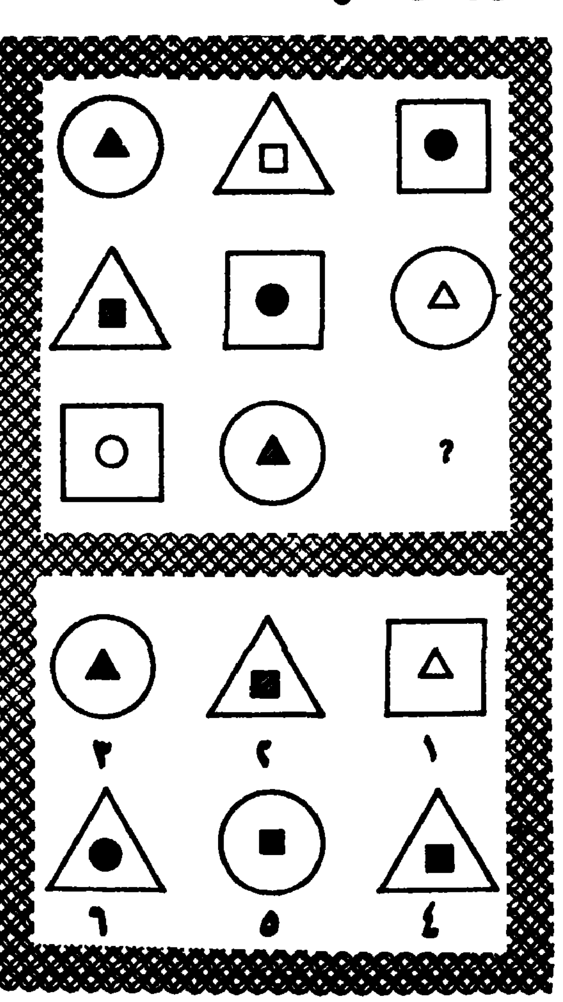
وحـدث انهـا ارسلت هـدية لميس الـىالصديقة التى ارسلت هديتها الى سميرة • وارسـلت هدية عايـدة الى الصديقة التىارسلت هديتها الى لميس •

فمن هى الصديقة التى ارسلت ثريا هديتهاالى عايـدة ؟ •

حاول أن تعرف :

الشكل المطلوب

من دراسة العلاقة بين الاشكال التى فى كل من الصفين العلويين ، حاول أن تعـرف أى الاشكال ذات الارقام ، يجب أن يحل محل علامة الاستفهام •





● النجمة والسهم ●

حفنى ناصف •

استاذ نبيه يسأل :

هدية سميرة ارسلت الى عايـدة •

ست الحسن ، والقرصان

العبارة المنقوشة تبدأ بالحرف ى ثم ى ثم ش ثم ش • وفهمت ست الحسن السر ، وهو الدوران عند المفترقات ، مرتين الى اليمين ، ثم مرتين الى الشـمال • ذلك عندما يـكون هنالك اختيار بين أكثر من طريق •

من المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول أكتوبر ١٩٧٧

٩٧

رحلة السيد بريشون

تأليف : أوجين لابيش

ترجمة وتقديم : فارس يواكيم

مراجعة : د. محمد اسماعيل الموافي


كنتر
مجموعة الشاحنات
الخفيفة المتينة من اليابان -
للشرق الأوسط
في جميع انحاء الشرق الأوسط
الزبير للسيارات
ص ب ١٢٧، مسقط. عمان
تلفون ٢٨٢١/٢/٣/٤
تلكس ٢٥٨ مسراد
المعرض ومركز الصيانة
وقطع الغيار مطرح،
تلفون ٧٠١٣٣٩ / ٧٠١٣٤٣
شركة التضامن الزراعية
صنعاء، اليمن تلفون ٢٧٨٠
شركة التضامن الزراعية
ص ب ١١٠٥
صنعاء. الجمهورية العربية اليمنية
تلفون ٢٧٨٠
تلكس 260 ADHBAN YE.

تصنع شاحنات ميتسوبيشي كنتر الخفيفة لأعمال الخدمات الشاقة.

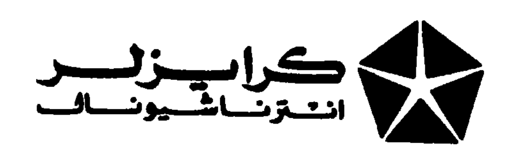
انها تختبر وتجرّب لملاءمة أحوال العمل في الشرق الأوسط. مع خدمة ممتازة بعد الشراء يقدّمها لكم موزع كرايزلر في منطقتكم.

شاحنات كنتر سهلة القيادة، ذات مقصورة ومعدات شبيهة بما تجدونه في السيارات العادية.

إنها سهلة التحميل، ويوجد أنواع مختلفة من الأجساد يمكنكم الاختيار منها. كما يمكن تقديمها على هيئة شاسي ومقصورة فقط.

تتوفر بإطارات مفردة أو مزدوجة في الخلف،
وبمحركات بنزينٍ أو ديزل.

شاهدوا وجرّبوا مجموعة كنتر في محلات موزعي كرايزلر في جميع أنحاء الشرق الأوسط.



إنه يستقصي عن Mothercare بالبريد



لماذا لا تفعلين نفس الشيء؟
ارسلي في طلب نسختك المجانية من الكاتالوج – الآن!

Mothercare – متكرة من أجلك ومن أجل رضيعك وأطفالك حتى سن العاشرة

يوجد ١٨٤ من محلاتنا في المملكة المتحدة وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ونظراً إلى أننا متخصصون في ميداننا، فإننا نحرص على توفير كل ما تحتاجين إليه

كتالوجنا الفريد يعرّفك بكل هذا ارسلي الآن في طلب نسختك المجانية من الكتالوج

نبدأ بالأم الحامل – ملابس الحاملات ولوازم الحضانة والتغذية ولديها، بطبيعة الحال، كل ما يحتاج إليه الوليد

ونتابع هذا بمجموعة جميلة زاهية من الملابس للأطفال حتى سن العاشرة، بالاضافة إلى لوازم تنظيف الأطفال، وجميع أنواع اللعب – وخصوصاً اللعب التعليمية عربات الأطفال فرش الأسرة مجموعة من مستلزمات الأمان الخاصة – من بينها عدد كبير من ابتكار Mothercare

من السهل الطلب من Mothercare بالبريد، ونحن نقبل التعامل ببطاقات الاعتماد الموضحة أدناه

وإذا كان هناك ما لا يعطي رضائك من الأشياء التي تستلمينها، فانا سنعيد لك نقودك بسرور تذكري أن أسعار تبادل العملة الراهنة تتيح لك فرصة لا مثيل لها للتسوّق في إنجلترا لذلك، بادري بطلب نسختك من كتالوجنا، إذ ليس هناك ما يضاهي Mothercare

لتسهيل الطلب من كتالوجنا المتوفر باللغة الانجليزية، سنرفق نشرة تقع في ٤ صفحات باللغة العربية تشرح كل ما تحتاجين إلى معرفته



يرجى كتابة البيانات في هذه البطاقة بحروف منفصلة باللغة الانجليزية



عزيزي القارئ

هذه قصة صارت مقررة على عالمنا الثالث فيما يبدو . عندما يحتل مسئول موقعا ما ، يظل شاغله الرئيسى ان يفتش فى اوراق سلفه بحثا عن العيوب والاخطاء . وحتى تنجح عملية الضبط والتفتيش ، تتحرك وراء المسئول أجهزة ومواكب واقلام ، مزودة بأنوار كاشفة ، تسلط الضوء على هذه العيوب والاخطاء . ومع انشغال المسئول والاجهزة ينشغل الناس بالذى فات ، بالذى حدث او لم يحدث .

ويبدو ان القصه صارت تستهوى الجميع . فعالمنا الثالث لايزال يعبد البطل ويرفض ان يعامله كبشر ، يخطىء ويصيب . وشعوبنا تعامل البطل بمنطق التقديس ، فتخدع نفسها وتفسد البطل ! وهنا مصدر الاثارة فى القصة . اذ يصعق الناس عندما يرون الوجه الاخر للصورة ، يرون فيه صفات البشر ، بما فيها من قوة وضعف . وعندئذ تتحول ملحمة البطل الى قصة من فصلين : ملهاة ومأساة .

وطريق البحث عن اخطاء الماضى وسقطاته محفوف بالمخاطر ليس فقط لانه قد يزلزل اعماق الناس ويبدد ثقتهم فى العديد من القيم التى ارتبطت بالبطل ، ولكنه ايضا يصرف الجميع عما هو اهم ، عن رؤية الحاضر والمستقبل .

وما يحدث فى الهند الان يؤكد هذه المخاوف . فشعب تعداده ٦٠٠ مليون نسمة احوج مايكون الى كل ثانية من وقت قادته وجهدهم . ومع ذلك فان كل الاجهزة مجندة لعملية التفتيش فى ملفات انديرا غاندى القديمة .

الا يفسر ذلك بعض اسباب تخلف عالمنا الثالث هذا ، الذى لايعطى فيه الحاضر والمستقبل اولوية فى شواغل الجالسين فى مقاعد المسئولية ؟

ثم ، الا يفسر لنا ذلك . لماذا يتشبث البعض بالبقاء فى هذه المقاعد اطول مدة ممكنة ؟ ! ■■

المحرر

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

سياسة واقتصاد :

طب وعلوم :

استطلاعات :

تاريخ وشخصيات :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 228 November 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



● هذه الفتاة الاسبانية التي تقف داخل مسجد قرطبة الشهير اسمها فاطمة ، يختلط فيها الدم المغربي بالدم الاسباني ، وهي واحدة من سلالة المسلمين القدامى الذين طردوا من اسبانيا منذ خمسة قرون ، ثم عادوا بعد ذلك تسللا الى «الوطن الام » . والاستطلاع المنشور على الصفحات (٦٨ ـ ٨٧) يروى قصة الطرد كاملة ، بعد ان زارت بعثة العربي مواقع المسلمين الموريسيكين في الاندلس .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢ر٥ دينار . المغرب ٢ر٥ درهم . اليمن ٢ر٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية لتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

ـــــوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » (الزمر : ٥٣)

زمزم

ونظرت الى زمزم .. وذكرت أمنا هاجر :

جاءت من مصر ، ومن جوار النيل لتسكن ارضا وصفها الله في كتابه على لسان ابراهيم عليه السلام « ربنا انى اسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » (ابراهيم : ٣٧)

وابو الانبياء يعرف الكثير عن موطن هاجر ، والفارق الكبير بينه وبين الوطن الجديد : في مصر استقرار الى جوار النهر وزرع وخضرة . وهنا ـ في الحجاز ـ جاء الاستقرار قبل مقوماته . العقيدة اولا ـ وهي البذرة ـ ثم دعوة الناس الى زيارة البيت العتيق ـ وهم الثمرات ـ .

ويذهب ابراهيم وتبقى هاجر مع الصغيـــر اسماعيل . ويحفظ تاريخنا هذه الصورة : الام والابن والايمان والعطش ، وسعى الام بين الصفا والمروة بحثا عن الماء ، والصغير يفحص الارض باقدامه عطشا والما .. وهل تستطيع الام الابتعاد عن الصغير ؟ الحب يدعوها الى جواره ، والعطش يدعوها الى البحث عن الماء بعيدا عنه . ويأتي السعي بين الصفا والمروة : اقدام تسعى ، عين تبحث عن الماء ، قلب معلق بالطفل ، امل في الله كبير ..

والسعي قرب وابتعاد . حركة جسم ولبانات العاطفة .

ماذا كان في عقل امنا هاجر وهي تسعى ؟ فيم كنت تفكرين يا اماه ؟

هل تذكرت الوادى الاخضر ، والنيل في جريانه ميمون الغدوات مبارك الروحات ؟

هل تذكرت فتيات النيل بجرارهـن ومائها العذب ؟ وهذه الطيور السابحة في مرحها بين الشواطيء الحانية ؟ والترع في سعيها الهامس تحمل الخصب والنماء ؟

ماذا تذكرت يا اماه ؟

... ...

وينبع الماء

ـ من تحت قدم الصغير ..

ـ من حركة هي لمسة الاقدار

وجاءت زمزم يتفجر ماؤها بين يديك

في وطنك كنت تذهبين الى الماء . والماء هنا يأتي اليك .

في وطنك يجرى النهر بين شاطئيه . وهنا يشق الصخر من اجلك ، ومن اجل الصغير ، ومن اجل كل زائر للبيت العتيق .

زمزم : يانيل الحجاز ونبع الخير والايمان .

زمزم : ماؤك مهاجر ، الى امنا هاجر وابنها ، وزوار البيت من بعدها ، هدية كريمة من رب كريم . هدية ربطت بين السعي والجزاء .

في عرفات ومنى

والحج رحلتان : رحلة يفد فيها المؤمنون من ديارهم الى البيت العتيق ، ورحلة الى عرفات والمشعر الحرام ومنى ، ثم عودة الى مكة .

وكان الكعبة قلب العالم الاسلامي . والمؤمنون قطرات الدم الحى تفد الى هذا القلب من كل فج عميق .. وهذه هي الدورة الدموية الكبرى .. فاذا طافوا وسعوا دفعتهم الكعبة الى عرفات ومنى ، وهذه هي الدورة الدموية الصغرى : رأيت فيها كان عرفات ومنى رئتان تنقيان هذا الدم ، ليعود في طواف الافاضة الى البيت العتيق ، ليدفعه من جديد الى ديار الاسلام ..

الحج عرفة : وعرفة هي التنقية الداخلية الكبرى للمؤمنين .. وفي منى يخلعـون ملابس الاحـرام ويطعمون البائس الفقير .. ويعبرون عمليا ـ برجم الشيطان ـ عن الطهر والنقاء ، فيتكامل الظاهر والباطن .

عرفات حقل الاسلام . المؤمنون بذور ارضـه الطيبة . ورحمة الله غيث يروى هذا النبات المؤمن .. فاذا بالايدى ترتفع بالدعاء كانهـا اغصـان مباركات ، وكان الاصابع اوراق هذه الاشجـار ، تحركها نسائم المحبة ، فتخالهـا جنـة وارفـة ، اشجارها من البشر ، وحفيفها دعوات ، ونداها دموع التوبة تسيل على الوجنات ..

يقول ربنا « فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام .. » (البقرة : ١٩٨) هل نقف قليلا عند قوله « افضتم » .

فيض كانه نهر من الايمان ينبع من عرفات . وعرفات توبة وغفران . يعود منه المؤمن كيوم ولدته امه .. انه قمة المناسك وجنة بربوة . فليكن اول عملك بعد مبارحة هذه الجنة ان ترجم الشيطان الذى اخرج ابويك من الجنة .

سيلقاك ، ويحاول معك ، كما حاول مع خليل الرحمن وزوجة وولده ..

واذا كان الرجم فى ثلاثة مواضع ، فالذين حاول الشيطان صرفهم عن تنفيذ فى قصة الفداء كانوا ثلاثة : رجل وامراة وشاب (ابراهيم وهاجر واسماعيل عليهم السلام) الا ترى فى هذا كيف ان الرجم يمثل تعاونا بين الرجال والنساء والشباب من اجل طاعة الله والسير على هداه ؟ تعاونا يشترك فيه القلب بالتوجه الى الله ، والعقل بتحديد القصد ، والعين بتحديد الهدف ، واليد بالحركة ، متغذا من حصيات الارض مادة ترجم بها الشيطان .

ومن انت؟ جزء من هذه الارض يتحرك بامر الله وروح منه .

ورمى الجمار ! انما هو تحريك لجزء من مادة الارض حركة مؤمنة ..

هو شعيرة تلتقى فيها المادة والروح . هو تعبير مؤمن عن ولادتك الجديدة فى عرفات .

هنا يتحول الايمان الى حركة واعية هادفة .

من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى

امر استوقف نظرى عند ذكر طواف الافاضة وبه نختم مناسك الحج ..

ـ سنعود الى ديارنا بعد هذا .. واخر العهد بالبيت طواف .. وداعا

وانت تبدأ الطواف من الحجر الاسود متجها يمينا بين الكعبة ومقام ابراهيم ..

وسالت نفسى : ماذا لو مددت خطا من الحجر الاسود الى باب الكعبة وتابعت الرحلة فى هذا الاتجاه .. على طول الضلع الذى يتجه نحوه الامام فى صلاته .. وان كانت كل الجهات وجها للكعبة؟

ان هذا الخط يتجه نحو الشمال الغربى .. انه خط الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى .. وهو خط الهجرة من مكة الى المدينة .

ارايت كيف يتحد البدء فى الاتجاه العام لخطوط الطواف والاسراء والهجرة ؟

وقلت لنفسى : فلاتابع خط الهجرة وخط الاسراء ..

ـ ما نهاية خط الاسراء ؟

ـ انها الصخرة المباركة ؟

حجر اسود هنا وصخرة مشرفة هناك .. وبينهما محور هو اهم واخطر محاور الاسلام حتى الان .

طرفه فى ايدينا وطرفه فى ايدى اعدائنا .

طرفه رمز التوحيد ، وطريقه فى المدينة رمز اجتماع المسلمين ومجتمعهم ، ونهايته القدس حيث ادق الموازين لقوة المسلمين او ضعفهم ، تجمعهم او افتراقهم ، تخطيطهم او اضطراب امرهم ..

واحسست ان المسجد الحرام يناجينى كما ناجيته ويسالنى كما دعوت الله عنده :

ماذا فعلتم ياخى المسجد الاقصى ؟

ـ اخوك

ـ نعم . اخى . واذا كان المؤمنون اخوة ، فان المساجد اخوة . وهذان اخواى ـ مسجد المدينة والمسجد الاقصى ـ ومن بعدهما بيوت الله اجمعون ..

لقد علمكم الرسول صلوات الله وسلامه عليه ان الرحال لاتشد الا الى هذه المساجد الثلاثة . فهل تستطيعون ان تشدوا رحالكم الى المسجد الاقصى ، عليكم ان تفتحوا اليه طريقا يعود به السلام الى مدينة السلام ..

هل تطيب حياتكم والحفر تحت المسجد الاقصى مستمر ؟ والاصرار على هدمه وتخريبه لا ينقطع او يفتر ؟ الا تذكرون السوس البشرى الذى ينخر فيه ، والثعالب تحته ؟

ان ماساة المسجد الاقصى ادانة دائمة لجيلنا .. بل ادانة لاخائنا وجدوى عبادتنا . واذا كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فهل هناك منكر ابشع مما يحدث فى مسرى النبى ومعراجه وموطن عيسى والنبيين من قبله .

احرموا عند المسجد الحرام وطوفوا واسعوا ، وقفوا فى عرفات وافيضوا منها وارجموا الشيطان ..

ولكن احرام المسجد الاقصى دفاع عنه وعودة السلام اليه ، وحصيات الرجم عنده سلاح تحملونه

اذا احترق غصن الزيتون .. ومن الزيتون نور ونار .. وليسلم لكم محور الاسراء كله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ..

واذكروا الحجر الاسود والصخرة المشرفة .

من جوار هذا الحجر كانت رحلة الاسراء

ومن جوار هذه الصخرة كانت رحلة المعراج..

وبين الحجر والصخرة صلة اخرى :

فاذا كان الحجر الاسود ـ فى اصلـه ـ من احجار الشهب ★ فلهبهذا رحلةسماويةقبل ان يصل الى ارضنا .

وعند الصخرة المشرفة صعد الرسول الى السماء ..

أرأيت الترابط بين الحجر الاسود والصخرة المشرفة : طريقان مفتوحان بين السماء والارض..

ان انطلاق العالم الاسلامي وزحفه اسراء جديد يبدأ من وحدة الاسلام حول الكعبة ..

وان معراجه الى سماوات مجده يبدأ عند الصخرة المشرفة فى القدس ..

مسئوليات

واعود لاجمع النجوى والامال فى نقاط دعوت الله ان يفتح لها قلوب قومى ..

آمال جاءت الى نفسى فى جلستى امام الكعبة ونحن على ابواب قرن هجرى جديد ..

آمال اكتب فيها واتحدث عنها :

١ ـ تمنيت لو استطـاع المسلمون مع مطلـع القرن الخامس عشر الهجرى ان يعقدوا بينهم هدنة سلام مدتها خمسة اعوام .. يتغذونها من روح الاشهر الحرم .. لا يرفع بعضهم فيها سلاحا على بعض، وتقفهيها حروب الكلماتوالخصومات، وتتجه الطاقات الى عمل جماعى مثمر .

٢ ـ وتمنيت لو تلاقت الجهـود فى هذا على خطة تنمية شاملة تضم دوائر متتابعة الاتساع: دعما للاتفاقات الثنـائية والاقليمية والعربيـة والاسلامية ومع العالم الثالث .. ثم العـالم المتقدم دون انطواء ودون استنزاف .

٣ ـ وتمنيت لو عقدت حلقات دراسية متعمقة لدراسة قضايا الشباب . وسيحملون امانة القرن الخامس عشر الهجرى ، نقدم اليهم فيها تجاربنا وخبراتنا دون ان نجبرهم على شيء منها . ففـى الحياة ثوابت ومتغيرات فلندعم الثوابت ولنستجب للمتغيرات .

٤ ـ اما ما يشجر من خلاف بين العرب . او بين المسلمين فما الذى يمنعنا من تكوين محكمة عدل عربية ومحكمة عدل اسلامية . الاولى على نطاق الجامعة العربية والثانية على نطـاق المؤتمـر الاسلامي وتتعاون المحكمتان معا فى حل القضايا بالتفاهم والحسنى .

٥ ـ ومن الممكن ان تتعاون مع منظماتناالعربية والاسلامية ما يمكن ان نسميه « لجان النـوايا الطيبة » ففى العالم الاسـلامى شخصيات غير قليلة لها وزنها العلمى والادبى والدينى ، يكن لها العالم الاسلامى احترامه ، بلغت من السـن والخبرة ما يرتفع بها فوق الطمـوحات العابرة والاحقاد التى تضطرب بها الموازين .. وليـكن من هؤلاء محكمون او اصحاب كلمة طيبة تمهد لحل المشكلات .

ان هذه المقترحات رؤوس اقـلام تحتاج الى دراسات طويلة مستانية ، بحيث تشمل التنمية فى اوسع مدلولاتها .. التنمية وحماية التنمية وتامينها ، والاعداد المتكامل للشـباب ، ونظـم التحكيم ..ولعل التجربة انتنجح فتمتد السنوات الخمس سنوات اخرى ، ونستطيع ان ننقل « روح الحج » الى حياتنـا تطبيقا وصـعودا بها الى الافضل . ■■

د . عبدالعزيز كامل

★ اشار الاستاذ ت . بركاردت فى كتابه فنالاسلام اللغة والمعنى ص (٤) الى اصل الحجر الاسود وانه حجر من الشهب . فهو علميا حجرمن السمـاء .. والمؤلف يعيش الاسـلام عقيدة وعلما وفنا : انظر : T Burckhardt: Art of Islam,London (1976)

كما سبق ان كتب عن هذا الموضوع علمـــاءآخرون ذهبوا الىهذا .وارجو ان اتناول الموضوع بمزيد من التفصيل فى دراسات لاحقة .

حديث الشهر

رأي قضية

تضع انديرا غاندى وراء القضبان ؟

بقلم : أحمد بهاء الدين

● هل آن الأوان ياترى ، لكى نعلن أخيرا وفاة سياسة عدم الانحياز ؟ ..

ان اعلان وفاة موقف سياسي ما ، لا يعنى ابدا انه كان عديم القيمة او كان خاطئا من البداية . كلا . فالمواقف السياسية تتغير . والظروف السياسية تتغير . واحيانا بين يوم وليلة . ولكن الأسباب التى دعت الى موقف معين ، فى وقت معين ، تبقى سليمة فى زمانها ومكانها امام حكم التاريخ .

الذى اثار هذا الحديث بالذات مشهد بالغ التأثير ، وسوف يبقى من سخريات التاريخ ، ولا اظن ان آثاره سوف تنتهى الآن ...

انه مشهد رجال البوليس الهندى فى نيودلهى ، عندما ذهبوا للقبض على انديرا غاندى ، زعيمة الهند ورئيسة وزرائها لمدة احد عشر عاما متوالية، لكي ياخذوها الى حيث يحققون معها فى ان رجال حملتها الانتخابية استخدموا بعض سيارات النقل الحكومية لمصلحتها فى الانتخابات !

وطلبت انديرا غاندى ان يضعوا في يدها الأغلال الحديدية كما يحدث مع غيرها ! ولكنهم رفضوا • وعند قاضي التحقيق طلبوا منها دفع كفالة مالية حتى يطلق سراحها • ولكنها رفضت وآثرت السجن على دفع الكفالة،فاضطروا الى اطلاق سراحها بعد ساعات !

ارادت انديرا ان ترسم الصورة كاملة للأجيال المقبلة ! ولكنهم أجفلوا! وسوف يعاودون الكرة • لأنه اذا كان وضع انديرا وراء القضبان صعبا،فان بقاءها مطلقة السراح ينطوى على خطر مميت •••

وقادتني الخواطر مما حدث لأنديرا الى التفكير في أسبابه • فقد رأت انديرا ــ رئيسة اكبر دولة في العالم الفقير ــ ان الديمقراطية الغربية الشكلية لا تحل للهند مشكلة • فاستخدمت حقها كزعيمة للاغلبية وفرضت فترة اجراءات عرفية لمدة لم تصل الى سنتين • اعترف العدو والصديق انه خلالها قل الفساد المستشرى في البلاد النامية ، وسارت الاداة الحكومية بشكل احسن ، وصارت القطارات تسير في مواعيدها ، وانخفضت اسعار السلع الضرورية وسط عالم غارق في التضخم ، وانكمش تجار السوق السوداء •

هذه الأشياء في تقديرى هى جزء من معنى الديمقراطية في العالم الثالث ، لا يقل قيمة لدى الشعوب عن حرية الخطابة والفساد • ولكن انديرا في تقديرى ارتكبت خطأ مميتا واحدا هو الذى أسقطها • بنفس منطقها في محاولة هز الضعف الهندى العام وحل بعض المشاكل ببعض الشدة ، طبقت طريقة تعقيم الرجال حتى تقل نسبة زيادة النسل ، وبشيء من الشدة • الامر الذى لا تتقبله لا عقلية ولا نفسية الناس •

ومع ذلك ، كان في الهند حكم عرفي ولكن رئيسة الوزراء «الدكتاتورة» أجرت انتخابات عامه نزيهة سقطت فيها هى شخصيا وليس حزبها فقط•وكان في جارتها باكستان حكم ديمقراطى الشكل ، ولكن رئيس الوزراء اجرى انتخابات ، طعن فيها حتى وصلت باكستان الى حافة الحرب الأهلية •

وحتى كتابة هذه السطور أرى مستقبل الدول الثلاث في القارة الهندية غامضا ومخيفا : بنجلادش في ظروفها الاقتصادية الرهيبة تنتقل من انقلاب الى انقلاب ، الهند تحكمها مجموعة احزاب لايجمعها الا الانتقام من انديرا ، وكلهم في السبعينات ، وباكستان بات العسكر في حيرة : قدم في السلطةوقدم في الثكنات •••

وقد كنت ــ عندما بدأت الصحف تنشر لأول مرة ان كل جهد حكومة الهند منصرف الىالبحث عن وسيلة لاتهام انديرا غاندى ــ راقدا فيمستشفى الصباح ، وفي غرفة الانعاش بالذات ، والممرضات الهنديات يتناوبن العناية والاشراف طوال الأربع والعشرين ساعة • فكنت أسأل كل واحدة سؤالا مبسطا مباشرا : انت مع انديرا غاندى ام ضدها ؟

وكانت الاجابات ثلاثة انواع فقط :

رد يقول : انديرا اخطأت في ابراز ابنها كخليفة لها • وهذا يجعل اسرتها كأنها اسرة مالكة ، لكنها احسن من الحكام الحاليين •

ورد يقول : انديرا اخطات في قضية التعقيم ، ولكنها ستظل دائما «ام الهند » مهما اصدروا ضدها من أحكام ·

ورد ثالث يقول : أنديرا كانت دائما في صف الفقراء،والحكام الحاليين كانوا دائما في صف الأغنياء · ونحن البسطاء لا نفهم في السياسة اكثر من ذلك ·

●

وقادني التفكير في قصة انديرا غاندى الدراماتيكية التي لم تتم ، الى انها من آخر الباقين منزعامات عهدعدم الانحياز···لأنها ابنة أبيها على الاقل!

والباقي من مؤسسي تلك السياسة هو تيتو . الذى يذهل الدنيا بعمره (٨٥ عاما) وشبابه · خصوصا شباب حركته وتفكيره ···

لقد كان ايامها في رحلة قيل لعاشر مرة انها رحلته الأخيرة · كان في رحلة الى عواصم حاربته وعاملته معاملة الزنادقة زمنا طويلا·كان في موسكو ثم في كوريا ، ثم في الصين · اى كان في كل الوان المعسكر الشرقي · وبعده مباشرة ، طار نائبه ، ومفكر حزبه ، ادوارد كارديل الى ·· واشنجطن !

فماذا وراء هذه الدورة العالمية ؟

لقد كان تيتو وما يزال اشد المدافعين عن سياسة عدم الانحياز · ولكن ليس من المستعبد ابدا ان يكون هو نفسه قد رأى ما تغير في احوال الدنيا ، وما يعصف بعدم الانحياز ·

●

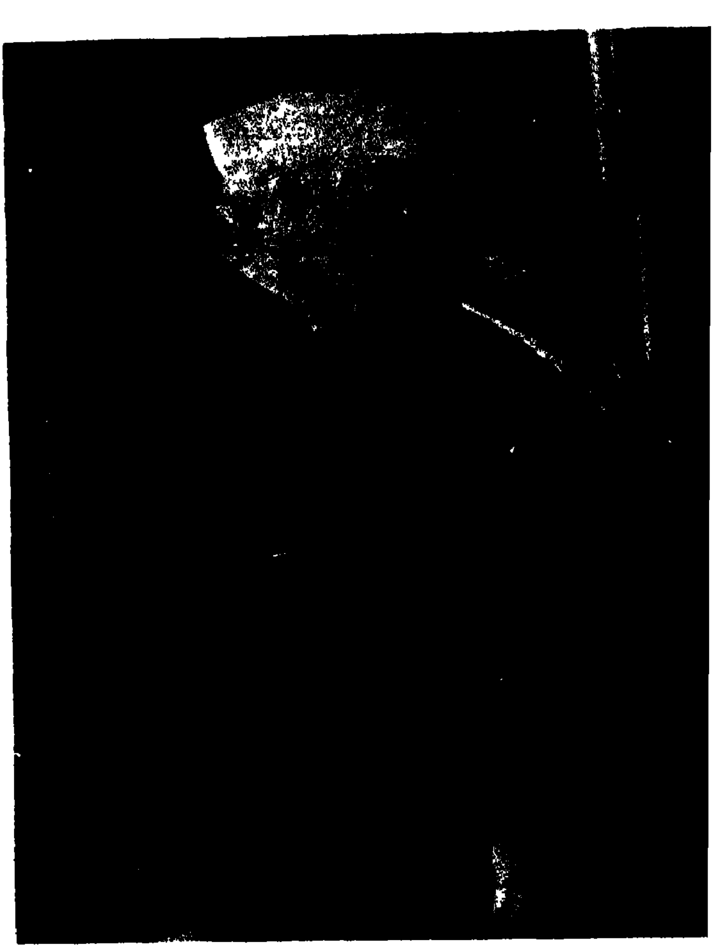
كان عدم الانحيار قد ولد في الواقع في عهد اشتداد خطر الصدام بين الشرق والغرب · ايام وقف كل من العملاقين يقول للناس : من ليس معى ، فهو ضدى !

وكان زعماء عدم الانحيازهم فيالواقع زعماء حركات الاستقلال الوطني ورفض التبعية والدخول في هدا التمسيم·دان عصر ابطال حركات الاستقلال الوطني وبالتالى كانعدم الانحياز في جوهره ترجمة في ذلك الوقت للاستقلال الوطني · كان عصر نهرو وعبد الناصر وسوكارنو ونكروما وبندرانيكا ·

وقد ظلوا جماعة قليلة فيعالم هائج شرس زمنا طويلا·ولكن مع انتصار حركات الاستقلال الوطني زادت الدائرة اتساعا · وجاءت الدول الى معسكر عدم الانحياز افواجا · وتساهل اصحاب الدعوة في الشروط · كان لابد ان يخلو البلد المنضم من قواعد اجنبية عسكرية ، فتنازلوا عـن هذا الشرط · وكان يشترط عدم عضوية الدولة في اى حلف عسكرى ، فتنازلوا عن هـذا الشرط · حتي اشد الحكام رجعية مثل هيلاسيلاسى مثلا صار يحمى وضعه الداخلي باتخاذ موقف وطنى افريقى ودولى ·

كان هذا اول واهم تغير · ساعد عليه ان الكل رأوا رياح التغير آتية · وساعد عليه ان القواعد العســكرية الأجنبية ، وكانت اساسا امريكية او





الثلاثة المؤسسون

انجليزية ، تفقد اهميتها • في حالة انجلترا بسبب افلاســـها ، وفي حالة امريكا بسبب التقدم العلمى الرهيب الذى صار يغنى عن هذه القواعد • فالتصنت على ارض العدو يمكن القيام به من الجو والبحر • واصابة اهداف العدو فى حالة الحرب صارت ممكنةمن بعد خمسة آلاف كيلو متر •

●

والبلاد التى استقلت ونجحت فىتحطيم الاستعمار بشكله القديم ،بدأت تواجه مشاكل جديدة ، تحتاج الى رجال جدد ، الى بناة دول لا الى ابطال ثورات . وقلما تجتمع الصفتان فى واحد • بدأت كلها تواجه مشكلةالتخلف من مواقع مختلفة وباجتهادات شتى •••

صحيح ما زالت هناك كتلة اسمها كتلة عدم الانحياز • لها مؤتمرات واجتماعات وقرارات • ولكن تغير « فحوى » ما يجمع هذه البلاد ، دفعالى القاموس السياسى بأسماء جديدة : دول العـــالم الثالث • الدول الفقيرة والدول الغنية • الدول الصناعية ازاء دول الخامات • دول الشمال ودول الجنوب •

مسميات ، كلها اميل واكثر تركيزا على المعنى الاقتصادى لا المعنى



وضع انديرا وراء القضبان صعب •• وبقاؤها مطلقة السراح خطر

السياسى فى تحديد الموقف الفعلى الذى يحدد اتجاه كل دولة •••

أى كان معظم دول عدم الانحياز ، وجدت نفســـها من جديد ، لكن تحت راية مختلفة ، هى راية الاقتصاد •

وهكذا بعد مرحلة قطع الروابط بين الدول المستعمرة ومستعمراتها• جاءت مرحلة استرجاع هذه العـــلاقات ولـكن من منطلق مختلف ، وعلى أسس جديدة •

اكتشفت الدول التى استقلت انها فى حاجة الى المساعدات ،والخبراء، والقروض •••

واكتشفت الدول الاستعمارية ، إن ابقاء جيوشها ورفع اعلامها حماقة، وان ما لديها من مال او صناعة ، أو خبرة ، كفيل بأن يضمن لها المـكان المتفوق والمصلحة التى تريدها ، اذا احسنت استخدامها •••

●

ثم جد بعد هذا كله ، أو خلال هذا كله ، امران فى منتهى الاهمية •

الامر الاول : هو انهيار المعابد الايديولوجية • أو ان شئت انقسام الكنائس السياسية •••

الشيوعية صارت .. اى شيوعية ؟ روسيا ؟ الصين ؟ يوغوسلافيا ؟ الحزب الشيوعي الاسباني الذى يؤيد النظام الملكى ؟ ...

الرأسمالية .. اى رأسماليه ؟ انجلترا حيث انتزعت نقابات العمال معظم نفوذ اقدم برلمان في العالم ؟ فرنسا التى أمم فيها ديجول سنة ١٩٤٥ بعد الحرب ٢٠٠٠ بنك ومصنع ومرفق في يوم واحد ؟

اشتراكية ، اى اشتراكية ؟ اشتراكيه السويد ؟ ام اشتراكية تنزانيا ؟

.. هذا الوضع اعطى الدول والنظم والحكومات حرية حركة واسعة. صارت المصلحة الاقتصادية هى اساس حسن العلاقات قبل اى عنصر آخر تقريبا ، ما عدا حالات خطر الصدام العسكرى المباشر .

وصرنا ازاء وضع مثل « القرن الافريقي » لا نعرف أين بالضبط امريكا ؟ وأين روسيا ؟ وأين الصين ؟ ...

الامر الثاني : الاكبر اهمية ، هو ظهور وتاكد سياسة الوفاق الدولى بين روسيا وامريكا .

ولست من انصار المبالغة فيهذا الوفاق. ولست بالتاكيد من المستسلمين له : المطمئنين اليه ...

لا داعي للمبالغة فيه ، فالشك بين الاثنين عميق جدا ، ومجرد التقدم العسكرى الرهيب ، الذى يجعل منالثواني القليلة ميزة لطرف في تدمير الطرف الآخر . سوف يأخذ وقتا لاقتلاعه ، اذا اقتلع . والخلافات بينهما على مناطق النفوذ في العالم كثيرة . زمان كانت الامبراطوريات المتعاصرة تتصارع في جزء من العالم . الآن لاول مرة ساحة الخلاف والاقتسام في الكرة الارضية كلها ، مع امكانية الانتقال الى الفضاء الخارجي والكواكب الاخرى .

ولكن الذى لا شك فيه ان القضايا ذات الحساسية الخاصة ، أو التى تنذر بخطر معين ، يسرع العملاقان الى التفاهم حولها . ولا تحل الا بهما معا . أيا كان نصيب كل هداف . وما حديث الشرق الاوسط عنا ببعيد .

ولكن لا داعي للاستسلام له ابدا . لان الدول التى آثرت عدم الانحياز يوما ، والتي تجمعها اليوم كلها او معظمها عناوين اخرى ، سوف تكون في موقف بالغ الضعف اذا استحكم الوفاق ، واذا انفرد بالحكم قاضيان .

●

فدول عدم الانحياز عليها ان تتحرك بدرجة كبيرة الى كتلة اقتصادية. وان تبلور سياساتها على هذا الاساس الكبير . ازاء الدول الصناعية كلها .

وهى في تقديرى قادرة على كسب هذه المعركة ، كما كسبت معركة عدم الانحياز .

على ان هذا ، اى الانتقال الى معركة التنمية ، سوف يثير صراعات داخلية اقسى من صراعات النضال الوطني فكل انماط التنمية مطروحة للبحث . ومحل تجربة . واكثر تاثرا بالواقع المحلى .

ووجود انديرا غاندى وراء القضبان هو في الواقع تجسيد عنيف لهذه المعركة .

●●

احمد بهاء الدين

● نتيجة مسابقة العدد ٢٢٥ ●

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ا	ي	ب	ي	ر	ي	ا	■	ا	ل	ا	خ	ل	ا	ص
٢	[illegible]	[illegible]	ا	ك	ن	و	ط	■	ل	ا	ح	ت	■	ب	ل
٣	د	س	ن	■	د	ن	و	ه	ا	■	م	■	ا	ن	ا
٤	ي	ث	■	ة	ه	ا	ي	ا	ت	■	س	ا	د	ي	ه
٥	ا	ك	ر	ب	ا	ن	■	ن	ا	ب	ا	ل	م	■	■
٦	ن	■	ش	ا	■	ي	غ	ز	و	■	ل	ا	ت	ي	ف
٧	ا	ب	ا	ل	ك	■	ل	ا	ا	ن	ا	م	■	ز	ي
٨	■	خ	د	ي	ج	ه	ب	ن	ت	خ	و	ي	ل	د	■
٩	س	ي	ر	■	ا	ش	ه	د	■	ا	ل	ب	ن	ج	ر
١٠	ا	ل	ش	ي	ن	■	ا	ر	ق	ط	■	ا	ك	ر	ا
١١	ن	■	د	ا	ب	ه	■	س	ك	ي	ت	■	و	د	ي
١٢	ه	و	ي	س	■	ا	س	و	■	ه	ل	ا	ل	■	ا
١٣	و	ا	■	م	ت	ر	ل	ن	ك	■	ا	ل	ن	ع	ت
١٤	ا	ل	خ	ي	ا	ل	ي	■	ا	ل	ق	د	■	ل	ه
١٥	ن	د	■	ن	س	م	ل	■	ف	ر	ي	س	ت	ه	م

خديجة
بنت خويلد
●
هانز اندرسون

اثنتان في واحـدة :

(٨) افقيا : أول أمهات المؤمنين هي خديجة بنت خويلد ، وقفت الى جانب الرسول في سني الاضطهاد الاولى ، تؤازره ، وترعاه ، وتوفرله الامن ،وتهون عليه ما يلقى من قريش.

(٨) رأسيا : هانز اندرسون هو مؤلف قصص الاطفال الخرافية ،ولد بالدنمارك عام ١٨٠٥، وألف اشعارا وقصصا خرافية ، ولكن شهرته مستمدة من قصص الاطفال التي كتبها .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :سعيد الحاج احمد /الكويت .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بهـا :صبري احمد نصرة ــ دمنهور / مصر .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بهـا :طارق محمد الرشيدات ــ الزرقاء / الاردن .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينـارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ــ علي حمادي الكبيسي ــ الانبار / العراق .
٢ ــ نوال ياسين الخطيب ــ عـدن / اليمن الديمقراطي .
٣ ــ محمود محمد سويتي ــ بيروت / لبنان .
٤ ــ محمد فتيح ــ دير الزور / سوريا .
٥ ــ طاعة حسين عبد المعطي ــ مصراته / ليبيا.
٦ ــ حسني جعفر محمد صالح ــ الخرطـوم / السودان .
٧ ــ علاء عبد العزيز عبـد مجلي ــ المنامه / البحرين .
٨ ــ عبد الرحمن بن فضل ــ ابوظبي /الامارات.

هـذا الخطـر الذى يهـدّد الإنسان الإفريـقى

الصحـراء

بقلم : يوسف زعبلاوى

يذهب علماء البيئة الى ان العالم مقبل على هلاك وشيك ... ولو صحت تنبؤاتهم ـ ونرجو الا تصح .. ـ فلن تكون بداية الهلاك المرتقب فى نفاد الخامات ومصادر الطاقة والثروات كما يقول بعضهم .. ولن تكون فى التلوث او انفجار السكان أو حتى انتشار الاسلحة النووية ، كما تؤكد الفئات الاخرى ... ذلك ان زحف الصحراء وتحول السهول والمروج الى ارض عقيم جرداء ، قد فوت الفرصة على غيره من أسباب ، وبدأ فعلا فى احداث ذلك الهلاك ..

وأول ما يذكر عن هذه الظاهرة الخطرة هو انها تختلف عن كل ما عهدناه فى الماضى القريب والبعيد ... فقد عرف عن الصحارى زحفها على السهول التى تتاخمها .. الا ان زحفها هذا كان دائما عرضيا مؤقتا .. لا يلبث ان يزول فترتد الصحراء الى حدودها الاولى ، وتسترد السهول حياتها ، لدى نزول الغيث مجددا ...

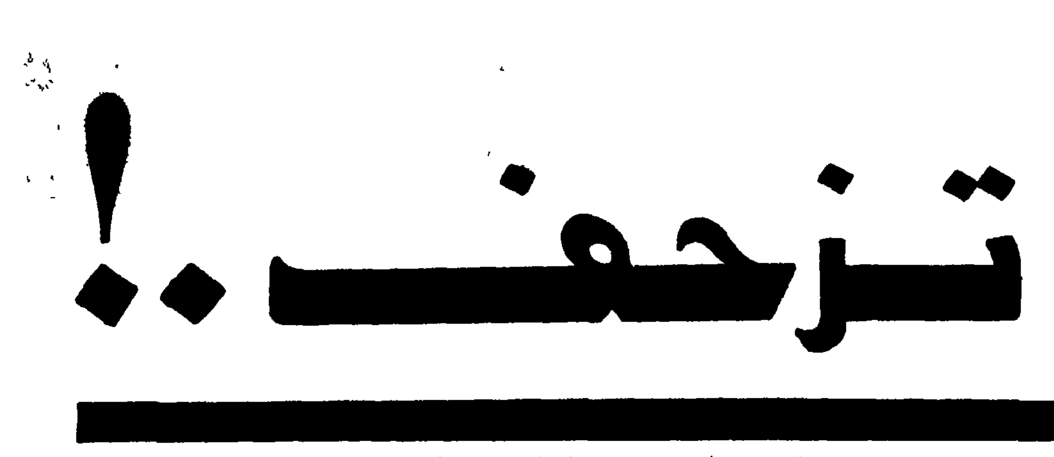
وتغيرت الاحوال بتغير الازمان .. وأخذ العالم يشهد لونا آخر من زحف الصحراء .. هو اقرب الى الغزو منه الى الزحف ... واشبه بالاحتلال الدائم منه بالغزو المؤقت . فهذا الزحف الذى بدأ يجتاح السهول والمروج فى القارة الافريقية وفى غيرها من قارات ، انما هو زحف دائم ومقيم .. فقد تسبب فى جدب التربة وتلفها .. وامحال الارض الطيبة والحكم عليها بان تصبح ارضا ميتة .. والحكم نهائى ، حسب الظاهر ، لا يقبل نقضا ولا ابراما ... فالطبيعة اصبحت غير قادرة على تقويم اعوجاجها بنفسها .. ولا امل يرجى باصلاح الحال ، مهما جادت الامطار ، ولا امـل يرجى باصلاحهـا بالعلم والتكنولوجيا ، مهما توافرت الاموال .

على ان الفارق الاساسى بين زحف الصحراء القديم وزحفها الجديد ، هو ان هذا فى الغالب من صنع الانسان .. انه « تصحير »(Desertification) .. لقد اساء الانسان فى استعمال الارض فاستحق نقمة الارض .. من ثم كان التلف الجذرى الذى حل بالتربة وكانت الخسائر والاضرار التى حلت بالانسان وبيئته .

وحسبك ان هذا التصحير ـ الذى استفحل بافريقيا اكثر ما استفحل ـ قد اودى بحياة مئات الالاف من الناس والمواشى ، وبات ينذر بالقضاء على ٤ ـ ٥ دول افريقية ، ومحوها نهائيا من خريطة افريقيا .. كما قال الدكتور فالدهايم ، سكرتير عام الامم المتحدة .

مؤتمـر نيروبى

وقد كانت هذه الظاهرة هى التـى دعت هيئة



بعض اهل الساحل ، وقد جاءوا الى منطقةكانت احدى طائرات الامم المتحدة قد القت فوقها ببعض المؤن والمواد الغذائية.. وتراهم يبحثون فى التراب لعلهم يعثرون على بعض حبات القمح والشعير التى يمكن ان تكون قدتناثرت هنا وهناك .

الامم المتحدة الى اقامة مؤتمر التصحير فى نيروبى عاصمة كينيا .. حيث يوجد المقر الدائم للمؤتمر الخاص (بالتلوث) .

وتوافد على مؤتمر التصحير ، الذى طال امده من ٢٩ اغسطس ـ ٩ سبتمبر ، نحو ١٥٠٠ من العلماء والخبراء الذين مثلوا اكثر دول العالم.. نحو ١١٠ دول . وتليت التقارير العلمية وطرحت النظريات ودارت المناقشات ... وموضوع البحث فى ذلك كله انما كان هذا التصحير الدائم التنامى الذى حل بافريقيا وغيرها من بقاع ...

وقد اتخذ مؤتمر نيروبى عددا من المقررات الهامة ورسم الخطة لانقاذ ما يمكن انقاذه فى هذا الصدد وانفض المؤتمر على ان يعود الى الانعقاد ثانية وفق ما تقتضيه الحاجة ..

منطقة الصراع

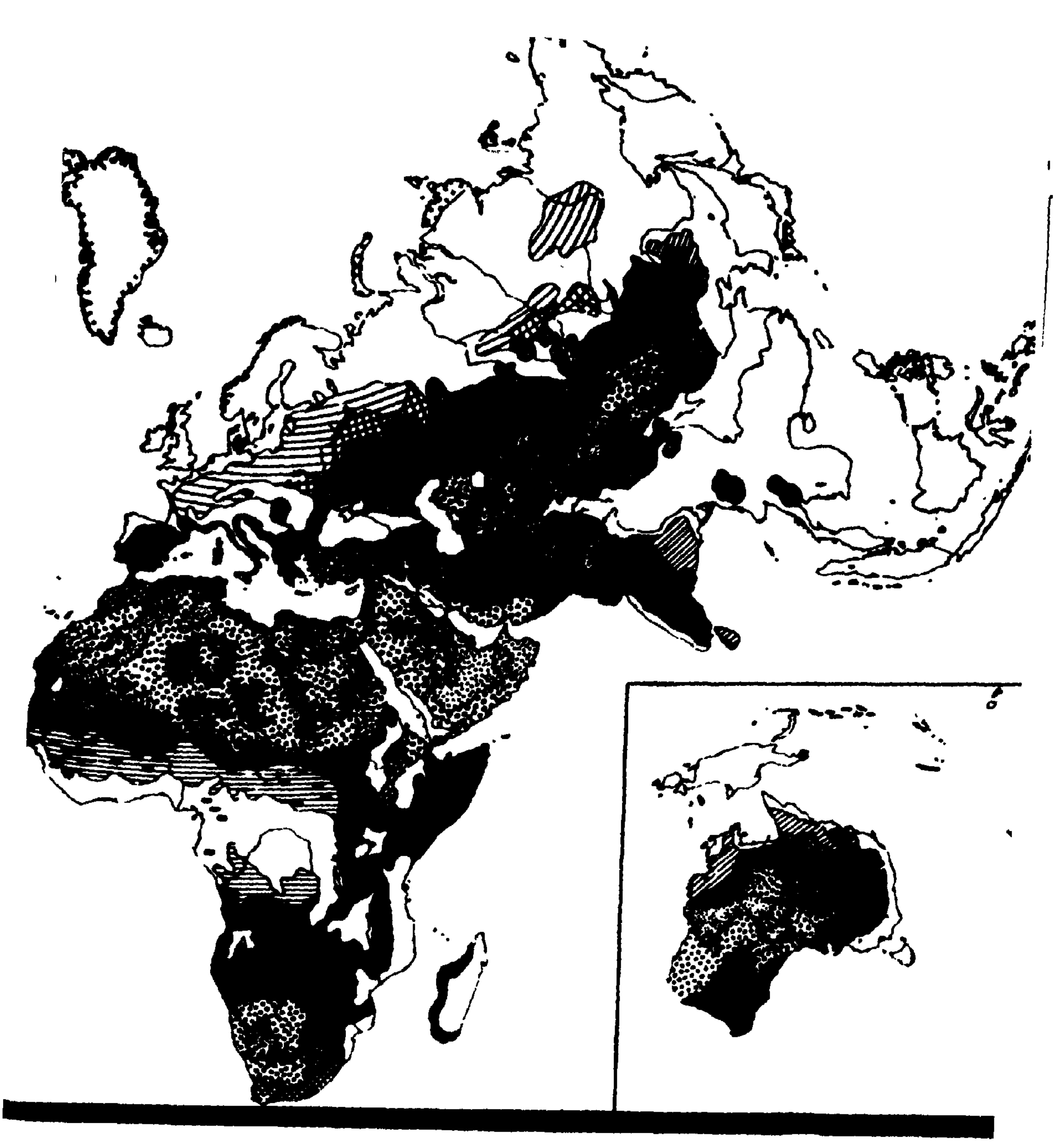
يقسم الجغرافيون سطح الارض الى اقاليم او احزمة نباتية .. ويميزون بين الغابات وهى التى تقع على خط الاستواء والتى تكسوها الاشجار ، واقليم السفانا الذى يليها والذى يجمع بين الاشجار والحشائش، والسهوب او السهول التى تلى السفانا والتى لا اشجار فيها، ثم الصحارى. وهم يستندون فى ذلك الى التصنيف الذى وضعه العالم النمساوى الدكتور ولاديمير كوبن(Wladimir Koppen).. الذى ميز بين تلك الاقاليم وفق درجات حرارتها ودرجات تكثف البخار فيها ...

والاقليمان الاخيران ، الصحارى والسهول التى تتاخمها ، هما اللذان يهماننا فى هذا المقال . فزحف الصحراء بمعناه الدقيق لا يقع الا فى منطقة السهول التى تلى الصحارى ..

والفارق الاساسى بين المنطقتين انما هو فى الامطار، التى تشح فى الصحارى حتى تنعدم تماما، او تبلغ بضع بوصات، لاتزيد على عشرة فى السنة، على اية حال ... والتى تجود قليلا فى منطقة السهول المتاخمة للصحراء بحيث تبلغ ١٠ ـ ٢٠ بوصة سنويا . والماء هو سر الحياة النباتية والحيوانية وحياة الانسان .. والصحراء التى ينعدم فيها الماء تنعدم فيها مظاهر الحياة جميعا ... لذا كان الفرق الكبير بين الصحراء غير الماهولة وبين البادية الماهولة انما يعزى للماء .

نصيب المنطقتين المتنازعتين من رقعة الارض متساو تقريبا . اذ تبلغ مساحة كل منهما ٨ملايين ميل مربع ، اى ١٤٪ من مساحه سطح الكرة الارضية البالغة ٥٦ مليون ميل مربع .

والصحارى منتشرة فى القارات جميعا ، ما خلا اوربا . وهى اكثر انتشارا فى استراليا ، حيث تغطى حوالى ٤٤٪ من المساحة الاجمالية . ويذكر عن الصحارى ـ فيما يذكر ـ انها ليست كلها رمالا كما يظن الكثيرون ... حتى الربع الخالى وهو الصحراء الرملية الاولى فى العالم .. لاتغطى رماله سوى ⅓ مساحته . وتنزل النسبة الى ١٠٪ فى الصحراء الكبرى فى افريقيا ..



وهذه الصحراء الكبرى هي اكثر ما يهمنا من صحارى العالم في حديث عن غزو الصحراء ... لا لانها اكبر صحراء في العالم فحسب ، اذ تبلغ مساحتها حوالي ٣ر٥ مليون ميل مربع ، أى حوالي ¼ القارة الافريقية بأسرها ، ولكن لانها الصحراء الزاحفة الاولى وقد فاقت سائر الصحارى في الزحف على السهول المتاخمة لها ...

كارثة الساحل

والساحل لفظ عربي ذو مفهوم اصطلاحي «غير» معناه اللغوى .. فهو يستعمل في اواسط افريقيا وغربها للدلالة على السهول التي تقع جنوب الصحراء الكبرى .. والتي تمتد مسافة (٣٠٠٠) ميل تقريبا ... من اقصى الغرب الى اقصى الشرق من القارة الافريقية .. وتمر هذه السهول بعدد من دول القارة السوداء ، تعرف بدول الساحل (انظر الخريطة) ، وهذه الدول هي :

السنغال ـ موريتانيا ـ مالى ـ فولتا العليا ـ النيجر ـ تشاد ـ السودان ، وايضا الحبشة والصومال .

وتقدر مساحة هذه المنطقة ككل بنحو ٢٥٠٠ ميل مربع ... فهي اذن دون مساحة الصحراء الكبرى

● الصحراء تزحف !

خريطة المناطق القاحلة وشبه القاحلة

هذه خريطة للعالم جديدة ، اعدها المختصون فى هيئة الامم المتحدة ووضعوها فى متناول مؤتمر التصحير العالمى ، وهو المؤتمر الذى اقامته المنظمة الدولية فى نيروبى ، فيما بين ۲۹ اغسطس و ۹ سبتمبر ۱۹۷۷ ٠

وتقسم الخريطة العالم الى اربع عشرة منطقة وذلك وفق ما تصيبه من جفاف ورطوبة ، كالاتى

۱ ــ مناطق ذات رطوبة ثابتة والقحط فيها بعيد الاحتمال

۲ ــ مناطق معرضة للقحط ولكن بنسبة ضئيلة ٥٪

۳ ــ مناطق نسبة القحط فيها ٥ ــ ١٠٪

٤ ــ مناطق نسبة القحط فيها ۲۰ ــ ۲٥٪

٥ ــ مناطق نسبة القحط فيها كثيرة الوقوع ۲٥ ــ ۳۰٪

٦ ــ مناطق القحط فيها متكرر ۳۰ ــ ٥۰٪

۷ ــ مناطق القحط فيها كثير التكرر ٥۰ ــ ۷٥٪

۸ ــ مناطق القحط فيها متواصل۷٥ ــ ۹٥٪

۹ ــ مناطق دائمة القحط ۱۰۰٪

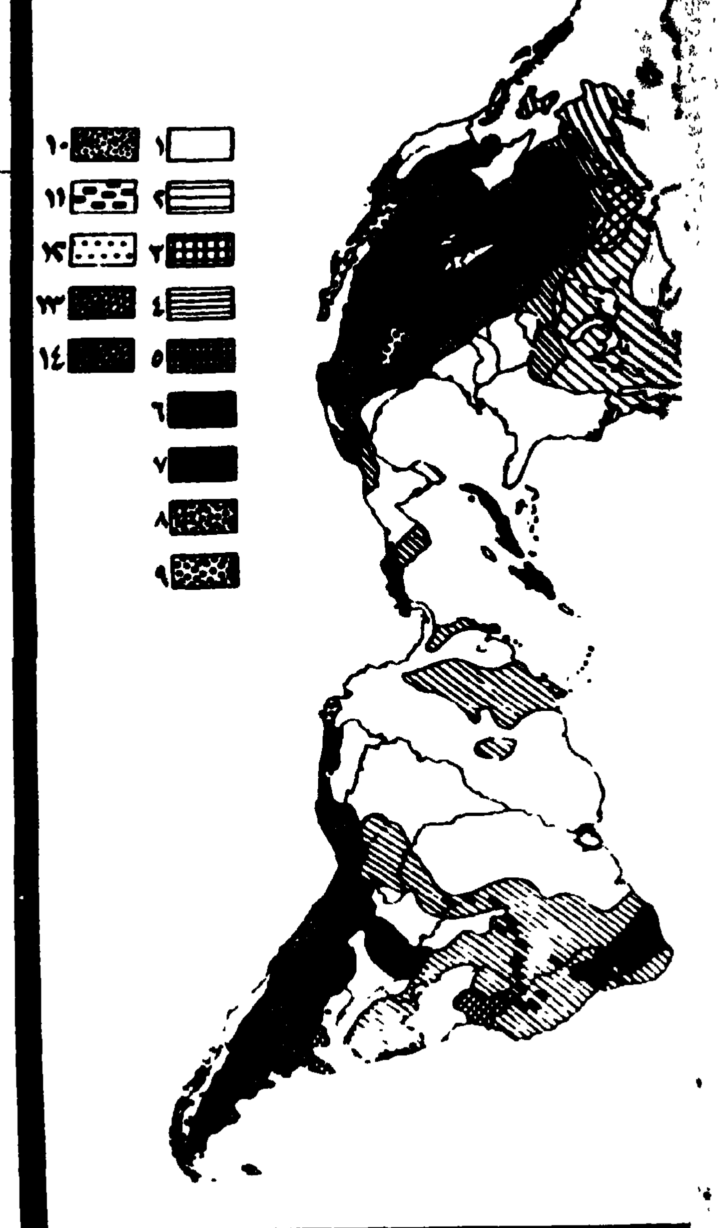
۱۰ــ صحارى شبهمحصورة،كثنائية الرمال٠

۱۱ــ مناطق عديمة الخضرة بسبب التعرية وانهيار التربة

۱۲ ــ صحارى قطبية ٠

۱۳ ــ سلاسل جبال ٠٠٠ غابات غير كثيفة واعشاب وحشائش (اقليم سافانا) احتمالات وقوع القحط تزيد على ٥۰٪

١٤ ــ جبال صحراوية وشبــه صحراوية والقحط فيها شبه دائم ٠



بنحو ۱۰۰۰ ميل مربع ٠

هذه هى الدول التى تعرضت لــكارثة زحف الصحراء الرهيبة فى السنوات الاخيرة ٠ كانت البداية فى القحط الذى حل بالمنطقة بعد منتصف الستينات ، والذى استمر فيها على نحو متواصل تقريبا طول الخمس سنوات : ۱۹٦۸ ــ ۱۹۷۳ ٠ فقد انحبست الامطار وطال انحباسها ٠٠ فعــم الجفاف واختفت المراعى ونفقت الماشــية ٠ ثم استردت الارض حيويتها بعد نزول الامطار مرةاخرى ولكن القحط عاد فضرب المنطقة من جديد فيما بين ۱۹۷۳ ــ ۱۹۷٥ ٠٠ وزحفت الصــحراء على السهول واجتاحت الكوارث دول الساحل ٠

وما اسرع ما تبين انهذا الزحف قد وقع ليبقى ٠٠ فهو زحف دائم ولا يجدى معه نزول الامطار ٠٠ وتبين ايضا انه لم يقف عند حــد اجداب التربة ٠٠٠ فقد زحفت رمال الصحراء الكبرى لتزيد الطين بلة ، واتجهت نحو الغــرب وراحت تطغى على سهول عدد من الدول ــ لا ســيما السنغال ، حيث اقتربت كثبان الصــحراء من شواطىء المحيط الاطلسى وراحت تهدد العاصــمة داكار ٠٠ ومهما يكن من امر هــذا الزحف فان اجداب التربة يظل الظاهرة الغالبة والابعد اثرا

فى كارثة التصحير التى نزلت بالساحل ...وتبين كذلك ان زحف الصحراء فى منطقة الساحل كان تصحيرا ومن صنع الانسان ...

الاضرار والخسائر

وقد تم هذا التصحير بمعدل ١٠٠٫٠٠٠ هكتار سنويا .. ومعنى هذا ان حدود الصحراء الجنوبية كانت تتقدم نحو الجنوب عدة كيلو مترات سنة بعد سنة . لا عجب اذن ان جاوز عدد الذين ماتوا جوعا او عطشا المائة الف نسمة .. اما الذين شردوا وفقدوا بيوتهم وارزاقهم وهاموا على وجوههم فقد قدروهم بربع مليون نسمة او يزيد. لقد فر هؤلاء من الموت من اوطانهم القديمة ليهلكوا وهم فى طريقهم الى ملاجئهم الجديدة . ولو ذكرنا انهم قطعوا فى تلك الرحلة ما يزيد على ٥٠٠ كيلو متر ، راكبين دوابهم حينا ومترجلين احيانا ، لعجبنا كيف ان الموت لم يدركهم جميعا .. فقد بلغ عدد الذين اكملوا الرحلة ووصلوا الى شواطىء الاطلسى سالمين عشرين الف نسمة..

اضف الى ذلك الخسائر التى لحقت بالثروة الحيوانية .. ولا يخفى ما لهذه الخسائر من خطورة فى منطقة يعتمد اقتصادها على الثروة الحيوانية اعتمادا كبيرا . وحسبك ان هذه الثروة تشكل نسبة كبيرة من ايرادات التصدير ، بلغت ٦٥ ٪ فى فولتا العليا و ٥٠ ٪ فى مالى و ٨٠ ٪ فى تشاد . اما الصومال فقد بلغت خسارتها مليون رأس من الماشية و ٥٫٥ مليون من الاغنام ... هذا الى جانب خسارتها بالجمال وقد بلغت ٥٫٠ مليون جمل ..

من هنا يتضح ان هذه الخسائر كانت لها آثارها البعيدة فضلا عن آثارها القريبة . فهى تهدد بمجاعة وشيكة جموعا من البشر لا يقل عددهم عن (٦٥٠) مليون نسمة .. اما الذين بدأوا يعانون من المجاعة فعلا فيزيد عددهم على ٦٠ مليون نسمة .

مصر ورمال الصحراء

على ان دول الساحل ليست الدول الوحيدة فى افريقيا التى عانت من زحف الصحراء ..فالكارثة التى المت بتلك الدول باتت تهدد غيرها ..ونخص بالذكر مصر ، حيث التهديد موجه الى اراضيها الزراعية كلها .. لا سيما فى دلتا النيل .

الا ان زحف الصحراء فى مصر ليس تصحيرا



خريطة غير عادية ... لحوض النيل .. فهى صورة فوتغرافية ، بل ٦٠ صورة ، صفت ووضعت بعضها فوق بعض .. وقد التقطت هذه الصور اجهزة القمر الصناعى لاندسات (Landsat) وذلك من الفضاء وعلى ارتفاع ٩٢٠ كيلو مترا ..

والصورة تظهر بوضوح مدى ما وصلت اليه الرمال الزاحفة من الصحراء الغربية والمتجهة نحو الشرق والجنوب الشرقى .. الى الدلتا وحوض النيل ..

او اجداب تربة وانما هو زحف رمال بالمعنى الدقيق .

والصحراء الزاحفة هنا ليست سوى الصحراء الغربية ، مسرح المعارك الطاحنة التى وقعت بين رومل والحلفاء فى الحرب العالمية الثانية ..فهذه تغطى رقعة واسعة من الارض ٦٨٦٫٠٠٠ كيلومتر مربع ، اى حوالى ثلثى مساحة مصر .. وهى رملية بنسبة لا يستهان بها ، وتشمل فيما تشمل بحر الرمال العظيم الذى تبلغ مساحته ١٤٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع .. وكثبان هذا البحر الرملي هى التى كانت تزحف منذ زمن وتتجه نحو الشرق

والجنوب السرقى ، قاسدة الدلتا وحوض النيل ... ولو ذكرنا ان مصر اكبرها صحراء وان ٤٪ فقط من مساحتها تستغل فى الزراعه .. وذلك فى المناطق المهددة بالذات ، فى الدلتا وحوض النيل .. لو ذكرنا ذلك لتبين لنا مدى الخطر الذى يهدد الدولة الشقيقه • اضف الى ذلك ان هذا الخطر قريب .. ويزداد اقترابا يوما بعد يوم .. ذلك ان الرمال الزاحفة قد قطعت مسافة ٧ر٥ كيلومترات فى غضون السنوات الماضية .. فهى اذن تسير فى اتجاهها سيرا حثيثا ، وتتقدم نحو المزارع والحقول والبساتين بسرعة وسطية قدرها ٢٦٠ مترا فى السنه الواحدة • ولعل فى الخريطه المرفقه دليلا قاطعا على زحف هذه الرمال ... فانت ترى فيها ، والى الغرب من حوض النيل ، منطقة واسعة اختلطت فيها الرمال ذات اللون الفاتح ، بالارض المزروعه أو الصالحة للزراعة ولونها غامق .. ولا تفسير لهذا التداخل سوى زحف الرمال ... وما كانت الخريطه لتظهر ما اظهرت لولا انها ثمرة التصوير الفوتوغرافى الذى قام به القمر الصناعى لاندسات Landsat من الفضاء وعلى ارتفاع ٩٢٠ كيلو مترا ... فقد التقط هذا القمر صورا عديدة وشاملة لمصر ... وذلك فى اوقات مختلفة، بحيث امكن للمدقق فيها ان يرى بعينه زحف الرمال الزاحفة .. لاسيما بعد ان صفت ستون من هذه الصور بعضها فوق بعض .. فكانت هذه الخريطة المركبة ، بل الصورة الناطقة •

ولعل القارىء بغير حاجه الى من يعرفه بالعالم الذى اكتشف امر هذا الخطر ونبه اليه ، انه العالم المصرى الشهير فاروق الباز ، المقيم فى امريكا منذ حين .. وقد شغل فيها منصب مدير الابحاث لمركز دراسات الارض والكواكب فى معهد سميثونيان (Smithsonian) فى واشنطن واشتهر بخاصة بما قام به ، بحكم منصبه ، من تحليل للنتائج العلمية التى تمخضت عنها رحلات الفضاء ..ابوللو ..فضلا عن تطبيق النتائج فيما يتصل بعلوم الارض والكواكب •

زحف الصحراء فى السودان

وابت الصحراء الا ان تدرج السودان فى قائمة ضحاياها .. والمقصود هنا الصحراء الكبرى طبعا .. فقد زحفت حافتها الجنوبية فى السودان مسافة ٢٠٠ كيلو متر الى الجنوب وذلك فى غضون ١٧ سنه ، اى من سنة ١٩٥٨ ــ ١٩٧٥..

وزحف الصحراء فى السودان ليس كله طغيان رمال ــ بل ان اكثره تصحير ادى اليه سوء تصرف الانسان •فقد تدهورت الاقاليم النباتية واختلطت معالمها ... فطغت السفانا فيها على الغابات وطغت السهول والمروج على السفانا .. واجدبت ارض هذه السهول وامحلت تربتها وتلفت .. وحيث سلمت التربه من التصحير كانت رمال الصحراء تزحف وتطغى على السهول فتسبب لها من التلف مثلما يسببه التصحير .. وبلغت السرعه الوسطيه التى سارت بها تلك الرمال ، جنوب الخرطوم ٥. كيلومترات فى السنه الواحدة

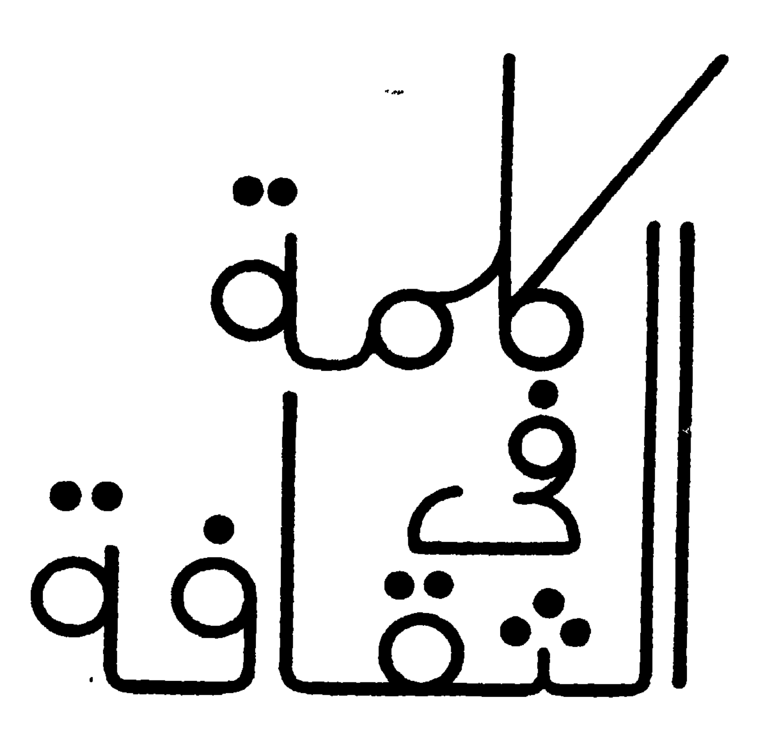
لا عجب اذن ان تقلصت المحاصيل فى السودان بنسبه لا يستهان بها • فمحصول العويجة ، وهى الذرة ذات الحب الصغير التى طالما اشتهربانتاجها السودان ... لم يعد يبلغ فى السنوات الاخيرة اكثر من ١/٨ ما كان عليهفى الماضى .. ومحصول السمسم والفول السودانى (الفستق) لا يبلغ حاليا سوى ٢٥٪ مما كان عليه قبل بضع سنوات•

والخطورة هنا تمس المستقبل اكثر من الحاضر• فالسودان الذى عرف باتساع اراضيه البكر الخصبة ، وغير المستغلة ، اصبح فى المدة الاخيرة معقد امال العالم العربى كله • فهو كفيل بدرء المجاعات التى سيتعرضلها العالم ككل فى مستقبل قريب او بعيد • وقد بدات التنمية والتصنيع توسع فى السودان موضع التحقيق ، باموال عربية وعلى اوسع نطاق ممكن ... فهل من المعقول ان نترك الفرصه لزحف الصحراء ليعمل على احباط هذه المشاريع والقضاء على تلك الامال ...

وتجدر الاشارة بعد هذا كله الى ان زحف الصحراء والتصحير ليس مقتصرا على القارة الافريقيه .. فهو موجود وينذر بالخطر حيث توجد الصحراء وحيث تلتقى بالسهول الخضراء .. موجود فى الصين والاتحاد السوفياتى والهند وايران .. وموجود ايضا فى الولايات المتحدة الامريكية وفى التشيلى والبرو وجهات اخرى مختلفة •

ما هى الاسباب والعوامل التى ادت الى ظهور الكارثه وما هو سبيل الخلاص منها ؟

هذا هو موضوع مقال اخر • ■■



كلمة في الثقافة

بقلم : الدكتور احسان هندى

كان الباحث السورى الدكتوراحسان هندى قد كتب مقالا للعربى فى عدد يوليو الماضى بعنوان : « كلمةفى الحضارة » ، وهو هنا يواصل التعريف بقضية أخرى بالغة الاهمية هى : « الثقافة » •

■ لكلمة « ثقافة » بحسب اشتقاقها اللغوى الاصلى معنى يختلف عن المفهوم الذى اخذته فى عصرنا الحاضر سواء باللغة العربية او باللغات الاجنبية :

ا ـ فكلمة الثقافة « فى اللغة العربية مشتقة أصلا من فعل « ثقف » ومعناه ظرف وصار حاذقا خفيفا (١) ، ومنه تثقيف الرماح بمعنى تسويتها وازالة عقدها حتى تصبح مستوية وخفيفة ، فالرمح « المثقف » هو الرمح السوى الخالى من العقد •

وكما ان تثقيف الرمح يتضمن شحذه وتسويته وازالة العقد منه فكذلك تثقيف الكائن الانسانى يتضمن شحذ ذهنه وتسويته وازالة العقد منه كى يصبح اسرع فهما واوسع ادراكا ، وهكذا فالرجل « المثقف » أو « الثقيف » ـ وهما كلمتان اصح من كلمة مثقف فى رأينا ـ هو « من يصيب علم ما يسمعه على استواء » (٢) ، ولقف الحديث: بمعنى تلقفه وفهمه بسرعة فهما صحيحا •

ب ـ واما فى اللغات ذات الاصل اللاتينى فالكلمة مشتقة من الفعل اللاتينى Colere بمعنى « ربى » و « اعتنى » واسم المصدر منه Cultus بمعنى « تربية » و « عناية » ، ومنهما توسع مفهوم الكلمة الى « زراعة » لان الزراعة ما هى بالاصل الا تربية وعناية بالارض كى تعطى مردودا افضل •

وهكذا اصبحت كلمة Culture الفرنسية

---

١) انظر « المختار من صحاح اللغة » تاليفمحيى الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكى ، وكتاب « تهذيب الصحاح » للزنجاني. تحقيق عبدالسلام هارون •

٢) انظر « معجم مقاييس اللغة » لابن زكرياتحقيق عبد السلام هارون •

- وهى مشتقة منكلمة « Cultus » اللاتينية - تعنى بالوقت نفسه ثلاثة معان :

- زراعة كقولنا La Culture Du Mais
اى زراعة الذرة .

- تربية كقولنا La Culture Des Abeilles
اى تربية النحل

تقافه كقولنا Ministere De La Culture
اى وزارة الثقافة

والارتباط بين هده الكلمات التلاث لم يات مصادفة وانما عن طريق توسع معنى الكلمة وشموله - لان « التقافه » فى الاساس ما هى الا « عناية بالذهن كى يعطى مردودا افضل كما ان الزراعة هى عناية بالارض كى تعطى مردودا افضل » .

وارتباط كلمة « الثقافة » بكلمة « الزراعة» فى اللغات اللاتينية يمكن تفسيره تاريخيا :حيث ان الانسان لم يبدأ الاهتمام بثقافته الا بعد ان استقر بالارض ، وهده لم يحصل فى عرض الصيد وانما بعد اكتشاف الزراعة ، ومن هنا بقيت الكلمتان مرتبطتين ببعضهما منذ ذلك الوقت (٢).

ليست ابداعا

ج) وأما المعنى المعاصر لكلمة « ثقافة » فهو ما تجده ضمن التعريف التالي : « التقافه هى جمله المعلومات المكتسبة التى تساهم فىاغناء وترقية ملكات الفكر عن طريق تطويرهاوتدربها مهما كانت طريقة اكتساب هذه المعلومات » .

وهكذا فالثقافة ليستمعلوماتنظريه او ابداعا قد تؤدى الى الابداع ولكنها ليست ابداعا بحد ذاتها اذ ليس كل مثقف مبدعا - وانما هىحصيلة لجملة المعلومات التى نكتسبها خلال حياتنا عن طريق القراءة والسفر والاختلاط والتجربهوالتعلم والخطا واستخدام الحواس والذهن بشكل مفيد وفعال .

د) ويستحسن هنا التطرق الىفرق بسيط فىالمعنى بين كلمة Culture - اى ثقافة - باللغات ذات الاصل اللاتينى (كالفرنسية والايطالية) وبين الكلمة نفسها باللغات الانجلو ساكسونية

---

٣) انظر مقالنا « كلمات فى الحضارة » الذى نشرناه فى « العربى » - عدد شهر يوليو (تموز) ١٩٧٧ .

(كالانجليزية مثلا) ، لان الكلمة الفرنسية ترادف تماما كلمة « ثقافة » حسب مدلولها في اللغة العربية اليوم.واما مفهوم الكلمة بالانجليزية فهو اقرب الى معنى « حضارة Civilization مع العلم ان مفهوم كلمة « الحضارة » بشكل عام هو اوسع من مفهوم «الثقافة» اذ ان العلاقةبين الكلمتين هي علاقة شامل ومشمول وليست علاقة الحضارة التي تشمل جانبا ماديا ايضا .

وهكذا فمن الصحيح القول ، ضمن هذا المفهوم اللاتيني للثقافة ، ان « الحضارة الامريكية » متقدمة على « الثقافة الامريكية » ومعنى هذا ان الجانب المادي من الحضارة الامريكية متقدم على الجانب النظري منها ، وان الثقافة متاخرة عن مواكبة التقدم الحضاري المادي والتقني (وتسمى هذه الظاهرة بالتخلف الثقافي) . واما في المفهوم الانجلوسكسوني فكلمة « ثقافة » Cultureكثيرا ما تاتي مرادفة لكلمة حضارة » Civilization في القواميس الانكليزية والامريكية خاصة ، ومعنى هذا ان الثقافة تشمل مظاهر الحياة المادية ايضا بحيث يصبح مدلول الكلمتين واحدا . ونحن نعتقد بانالمفهوم اللاتيني لكلمة « ثقافة » اصح من المفهوم الانجلوساكسوني لها ، لانه اذا كانت الثقافة هي جملة من المعلومات فالحضارة هي جملة منجزات ، وفي هذا ابراز للجانب المادي والتقني بشكل يجعل من العسير علينا قبول الكلمتين كمترادفتين .

العلم بلا وطن

هـ) ورغبة منا في تحرير معنى كلمة «ثقافة» وتحديده يستحسن ان نبين الفروق بين هذه الكلمة وكلمة اخرى قريبة منها هي « العلم » ولعل اهم هذه الفروق هي التالية :

● الثقافة موسوعية والعلم اختصاصي : ففي الوقت الذي تزداد اهمية الاختصاص في هذا العصر وتتعمق نجد ان الثقافة لا تزال تتمتع بصفة شمولية بل وموسوعية .

وهكذا يمكننا ان نطلق صفة « عالم » على انسان متفوق في علم الاقمار الصناعية ، او الآلات الاليكترونية مثلا ، ولو كانت معلوماته بسيطة او سطحية في فروع العلوم الاخرى ،واما الثقافة فلا تكتمل الا اذا كانت عامة وشاملة . والمثقف الحقيقي لا يستحق هذا اللقب الا اذا كان مطلعا على الآداب والفلسفة والتيارات الفكرية ، ملما بجملة المعارف الانسانية ، وذواقة للفنون الوطنية والاجنبية ...... ولعل افضل قول للتفريق بين العالم والمثقف هو اقتباس قول المفكر الانكليزي الذي يعرف العالم بانه « هو الذي يعرف كل شيء عن شيء معين The Man Who Knows Every Thing About a Thing

ويعرف المثقف ، على العكس ، بانه « هو الذي يعرف شيئا عن كل شيء » The Man Who Knows a Thing About Every Thing

● الثقافة وطنية والعلم بلا وطن . انشمولية الثقافة وموسوعيتها لا تتنافى مع كونها وطنية ، واما العلم فلا وطن له ، وهكذا لا يصح ان نقول ابدا « هذا علمامريكي » وذاك « علم اخر اوروبي لان العلم تراث للانسانية جمعاء ، بينما يصح - على العكس - ان نقول « هذه ثقافة عربية » و « تلك ثقافة اوروبية او امريكية » ... الخ، ولو ان هذا لا يمنع شعبا من التاثر بثقافة شعب آخر .

وبما ان الثقافة هي وطنية ، لذا فمن الممكن توريثها من الاجيال السابقة الى الاجيال اللاحقة، فاذا ابتدأ كل انسان ثقافته الفردية من الصفر ، فان الشعب ككل لا يبدأ ثقافته من الصفر وانما من درجة معينة من « التراكم الثقافي » التي وصل اليها الاجداد . ومن هنا تبدو اهمية الربط بين « الثقافة » من جهة و « التراث » من جهة اخرى ، وفي هذا قال اندريه مالرو : « الثقافة هي الدفاع عن التراث وابرازه » (٤)

ومن كل هذا يمكننا التاكيد على انه اذا كان العلم انسانية فالثقافة هي قبل كل شيء وطنية : قد تحدث المؤثرات العالمية اثرها في الثقافة ، ولكن هذه الثقافة عندما تنبثق عن ابنائها تكون وطنية ، وكونها وطنية لا يمنع من تذوقها وتقديرها من قبل بقية الشعوب طبعا .

وكلامنا هذا لا يعني حكما ان كل ثقافة هي وطنية ، اذ ان الثقافة لا يمكن ان تستحق هذه

---

٤ - La Culture C'est L'illustration et la Defense du Patrimoine

الصفة الا اذا كانت اصيلة Authentique وتبتعد عن الوطنية بقدر ما تكون ثقافة «هجينة Hybride او دخيلة ، وبكلمة اخرى تبتعد الثقافة عن الوطنية كلما ابتعدت عن الاصالة • واخيرا فالاصالة لا تتم الا بان تتشبع الثقافة بالتراث ، وهذا التشبع لا يتعارض مطلقا مع المعاصرة : فالثقافة اليابانية ثقافة اصيلة تحمل كثيرا من علائم التراث اليابانى منذ ما يزيد عن عشرة قرون ، ولكن ليس بوسع اى مراقب منصف ان ينفى عنها صفة « المعاصرة » •

بعد أن ننسى كل شيء

● التعلم يسبق الثقافة ويزول قبلها . لا تاتى الثقافة عادة الا بعد مرحلة اولية من التعلم، بعد اساس ضرورى من العلم تبنى عليه. وفى هذا المعنى يقول الاديب الفرنسى الراحل اندرية مالرو: «الثقافة هى ما ياتى فيما بعد»(٥)

وكما ان الانسان يتعلم قبل ان يتثقف ، كذلك فهو قد ينسى العلم (المعلومات النظرية) وينسى التعلم (المهارات العملية) ، ولكنه لا ينسى ثقافته لان الثقافةهى محصلة قبل ان تكون معارف مفردة • ولذلك يمكن القول ان الفيلسوف الفرنسى (هيريو Herriot) قد لمس كبد الحقيقة حين قال : « الثقافة هى ما يبقى بعد ان ننسى كل شيء » (٦)

● الثقافة غاية والعلم وسيلة . اذا كان العلم وسيلة يفترض بها ان تؤدى الى غاية هى تحقيق الرفاهية والتقدم للانسان او للانسانية ككل ـ فان الثقافة ليست وسيلة وانما هى غاية بحد ذاتها لانها الفعالية الوحيدة التى تؤمن للذهن نوعا من التوازن والصفاء ، وتكفل «تهذيب الشخصية الانسانية والسير بها الى اقصى درجات الكمال الممكن » (٧)

والثقافة مفيدة للذهن ليس فقط من الناحية العملية وانما من الناحية البيولوجية ايضا : فقد اثبتت التجارب العلمية ان الخلايا الدماغية للانسان المثقف تكون بحالة نشاط لا تعرفه الخلايا الدماغية لانسان عادى فى نفس السن ، لذلك فانها تعيش حياة اطول ، وهذا ما يفسر ندرة ظهور مرض « الخرف » ـ الذى يظهر عادة فى سن متقدمة من العمر نتيجة لتلف الخلايا الدماغية ـ لدى المثقفين وكثرة ظهوره لدى الشيوخ العاديين • ليس معنى هذا طبعا ان الانسان المثقف يعيش لمدة اطول من الانسان العادى ـ قد يكون العكس هو الصحيح على الاغلب ولكن معناه ان الخلايا الدماغية للانسان المثقف لا تشيخ بنفس سرعة مثيلاتها لدى الانسان العادى •

● الثقافة اكثر ثباتا من العلم : الثقافةهى اعمق من العلم لذا فهى اكثر ثباتا منه : العلم يمكن ان ينسى ، يمكن ان يتغير ، يمكن ان يزول واما الثقافة فهى شاملة ودائمة •

ان كثيرا من النظريات والمعطيات العلمية السابقة (نظرية دوران الشمس حول الارض مثلا) قد زالت بعد ان ثبت خطؤها ، وان الهندسة الاقليدية (نسبة الى اقليدس وهو من وضع البديهيات الهندسية الاولى) بكاملها توشك ان تتهاوى بكاملها تحت تاثير النظريات الهندسية الجديدة التى صاغها (ريمان) و (لوبتشفسكى)• أما المعطيات الثقافية فتحتفظ بقيمتها بصورة سرمدية ، بل قد تزيد قيمتها مع مرور الزمن ، وهكذا تظل تماثيل ميكل انجلو ولوحات رافائيل وتيسيانو وليوناردو دافنشى تسحرنا رغم مرور حوالى اربعة قرون على نحتها ورسمها ،وتظل موسيقى بتهوفن وشوبان وباخ وليست وموزارت وشومان ومندلسون وتشايكوفسكى ••••• تروق لنا بنفس الدرجة التى تروق لنا بها الموسيقى المعاصرة او حتى اكثر منها •

وما قلناه عن الرسم والموسيقى يصح على جميع المكونات الثقافية الاخرى من آداب وفنون وغير ذلك • ■■

دمشق ـ د• احسان هندى

٥ ـ La Culture C'est ce qui vient Apres

٦ ـ La Culture C'est ce qui Raste Quand on a Tout Cublie

٧ ـ عن منجد الطلاب لفؤاد افرام البستانى ـ مادة ثقافة ـ طبعة رابعة بيروت ١٩٥٦

رشة ملح على جرح

شعر : احمد اللغماني

(١)

اعلم ان وصمة على الجبين لا تزيلها قصيدة ،
وان جرحا مزمنا يستنزف الاباء لاتضمده قصيدة ٠
لكننى اعلم حق العلم ٠٠
ان جباه العز مهما اذعنت للظلم ،
واطرقت للضيم ،
لا بد أن تهب فيها النخوة المجيدة
على زئير غضبة ترسله من قصيدة

(٢)

اعلم ان كبرياءنا حزينة
ما فتئت من زمن حزينة :
تبكى سيوفا حرة المعادن ،
غريبة ليست لها مواطن ،
تنام فى اغمادها بضاعة مهينه
تنتظر السواح ان « يشرفوا » المدينة
سيوفنا المسكينة :
تاريخها خط على القلاع والمواقع الحصينة
تاريخها : تكبيرة ترسلها المآذن ،
فتخشع الفجاج والمدائن ٠
تاريخها الحب الذى اطاح بالضغائن
وظفر الايمان والعقيدة المتينة ٠٠
بالضربة المكينة ٠٠٠
فى لب كل غادر وخائن ٠
سيوفنا المسكينة :
تاريخها يقرأ فى تنهيدة دفينة ٠
اعلم ان كبرياءنا حزينه
وانه بالرغم عن جراحنا الثخينة ،
اوجاعنا هادئة سواكن ٠
لكنى اعلم حق العلم ٠٠٠
ان شرارة النضال لم تزل شديده ٠
ترقب نفخة على الرماد كيما تضطرم
وان صيحة الكرامة الشهيدة ٠٠٠

لا بد أن تبلغ سمع « معتصم »
اذا صحت عزائم النوم ...
على نشيد نخوة تنشده قصيدة

(٣)

اعلم ـ ياطعينة الاباء ـ ياعروبه !
ياحيرة الشعوب والاجناس
ان روائع الاشعار لا ترد أرضنا السليبة
والقدس لا ترد باليراع والقرطاس
ياحسرتى عليك ـ ياعروبه !
زيتونك المائس فى المزارع الخصيبة ،
وبرتقالك المعطر الانفاس
وما بى « أمية » وشيد « العباس »
وقبة الاقصى الطعينة الكئيبة
وقمم الكنائس الصامتة الاجراس
والحرمات كلها فى ارضنا تداس
تدوسها كتائب وحشية غريبة
تحمل فى نعالها الوباء والارجاس
يحجلنى ـ يا أمتى الحبيبة !
انى اواجه التاريخ ذا الصحائف الرهيبه،
مكس الجبهة حانى الرأس ،
وفى يدى يعصف الفراغ والافلاس
لاننى فرطت فى امجادك العجيبه ،
اضعتها فى قينة ، اتلفتها فى كاس
وعندما انقشعت الغيوم والاغلاس ،
وجدتنى فى الساعة العصيبة :
لا جانب معزز ، لا قوة ، لا باس ،
اعلم ـ ياطعينة الاباء ـ ياعروبة !
ان روائع الاشعار لا ترد أرضنا السليبة ،
والقدس لا ترد باليراع والقرطاس
لكننى اعلم حق العلم
ان كتائبا راسخة الايمان والعقيدة
سوف تطل من عهودنا المهيدة ...
خفاقة العلم
كما تطل فى الظلام الدامس الرجم ،
على هدى تكبيرة تصعد من قصيده

(٤)

اعلم ـ يامسجبة الابطال !
يا أمتى العريقة !
ان جراحنا عميقة عميقة !
لكنما ايلامها سكن .
اعلم ان نشوة القصائد الرقيقة ...
هيهات ان تزيل من اعماقنا الحزن
وتمسح الغصة من حلقوم ممتهن !
كل ضمير عربى هوة عميقة ،
يعصف فيها عاصفان : الغيظ والسجن
منذ انفصام عروة وثيقة
كانت تضم شملنا وتحفظ الوطن
اعلم ـ يا منجبة الابطال ـ
ان شعوبنا اصابها الوهن
منذ اشترت أوهامها بجوهر الحقيقة
وما درت فداحة الثمن .
شعوبنا تنكرت لواقع يموج بالمحن ،
والتفتت للامس تنشد المفاخر الغريقة...
فى لجج الزمن .
شعوبنا تبحث عن افيونها فى الكتب العتيقه ،
فى قصه يقصها مشعوذ لسن
عن مارد من جن
ذى ضربة خاطفة رشيقه
يطلقها فى دكنة الغمار ومضة انيقة
من سيف (معد يكرب) ورمح (ذى يزن)
اعلم ـ يامنجبة الابطال ـ
ان شعوبنا اصابها الوهن
لكننى اعلم حق العلم ...
ان منامة الافيون مهما طولت لا بد ان تتم،
لا بد ان تنحسر الاوهام عن عزائم جديدة
تخلقها فى لحظة سعيدة ..
رشة ملح تلهب الالم ،
ترشها على جراحنا قصيدة .

تونس ـ **احمد اللغمانى**

من هنا نبدأ ..

اذا اردنا ان نقيم مجتمعا اسلاميا حقيقيا ـ لا وهميا ـ فمن اين نبدأ ؟

ان طرح هذا السؤال يفترض توفر عنصرين بالغي الاهمية هما : اننا جادون في هذه الدعوة ، واننا متفقون على تصور المجتمع الاسلامي الذى نريده ٠

واسمحوا لى ان اقول فى البداية : اننى اشك فى جدية اكثر المنادين بتطبيق الشريعة الاسلامية ، الآن ، خصوصا الذين فى مواقع القيادة والمسئولية ، لانهم يعرفون طريق الحل ومفاتيح المشكلة ، لكنهم يشتتون اذهاننا ويصرفونها بعيدا عن جوهر القضية ، بالتركيز على جزئيات وفرعيات لا تطرح الا « الوجه العقابى » للشريعة كما قلت فى مرة سابقة ٠ وهؤلاء هم الذين ينطبق عليهم قول الامام ابى حامد الغزالى « ليست المشكلة فى تصور الحل ولكنها فى تطبيقه » ٠

واسمحوا لى ان ازعم اننا مختلفون حول تصور المجتمع الاسلامى الذى نريده٠فالبعض يرونه فى صيغة « خلافة » وحكومة دينية ، والبعض الاخر يرونه فى صيغة معاكسة ٠هذا فضلا عن ان الخلاف شديد حول تصورات كل من الحكومتين ٠

ومع ذلك فسوف نفترض جدلا ان هناك جدية فيما يقال ، وان هناك تصورا واضحا للهدف الذى نسعى اليه ٠ وان السؤال الذى تنقصنا الاجابة عليه هو : من اين نبدأ ؟

لقد ثارت مناقشة حول هذا الموضوع فى أواخر القرن الماضى بين جمال الدين الافغانى والامام محمد عبده ،فى اعقاب الفشل الذىمنيت به جهود الافغانى فى مصر وايران وتركيا٠ عندئذ اقترح محمد عبده ان يذهبا سويا ـ هو والافغانى ـ الى مكان بعيد « غير خاضع لسلطان يعرقل سيرنا » ثم ينشئان مدرسة للزعماء يختاران لها التلاميذ ممن يتوسمان فيهم الخير ، ويربيانهم على منهج قويم يختارانه ، ويعدانهم للزعامة والاصلاح ٠

وتقول الرواية التاريخية ان الامام مضى يشرح فكرته لجمال الدين ، فاضاف : انه لا تمضى عشر سنين حتى يكون عندنا كذا وكذا من التلاميذ الذين يتبعوننا فى ترك اوطانهم والسير فى الارض لنشر الاصلاح المطلوب ، فينتشر احسن انتشار ٠ لكن الافغانى تلقى هذا الراى بغضب وثورة وقال للشيخ محمد عبده : انما انت مثبط ! ٠

كان الافغانى يريدها ثورة ، وكان محمد عبده يرى ان المجتمع الاسلامى لا بد له من

امداد طويل • وهو الخلاف الذى يحدث دائما بين الداعـــين الى التغيير • هل يكون ذلك التغيير بالمنهج الثورى أو بالمنهج الاصلاحى • هل يبدا من القمة او من القاعدة ؟

ورغم كل ما يقال عن « حتميات » التغيير ، الا ان تجارب التاريخ اكدت انه ليس هناك قانون واحد وثابت لعملية التغيير هذه ، يصلح لكل بيئة وزمان • وان كان من المسلم به انه كلما ثبتت القاعدة واتســعت كانت امكانية التغيير افضـــل ، و •• « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » •

●

ولعل فى تجربة باكستان « الاسلامية » درسا يفيد فى هذه المناقشة ••

ذلك ان اكثرنا يعرف قصة قيام دولة باكستان، التى بث دعوتها وحمل لواءها الشاعر والفيلسوف محمد اقبال ، الذى كان يحلم باقامة دولة اسلامية ، تكون بمثابة « المعمـــل الذى يثبت فيه الاسلام صلاحيته لتكوين المجتمع الصالح ، وتنظيم الحياة الاجتماعية ،وحل المشكلات الاقتصادية ، وتوجيه المدنية توجيها صالحا ، والتطبيق بين العقيـدة والعمل ، والروح والمادة ، والفرد والجماعة تطبيقا يثير العجب والاعجاب ، ويحمل قادة الاقطـــار الاسلامية الاخرى على التقليد ، ويحمل المفكرين فى العالم على التفكير فى اسلوبه الجديد»

هكذا كان حلم محمد اقبال كما عبر عنه فى خطبة القاها عام ١٩٣٠ • وظل الرجـل يسعى لانشاء هذه الدولة ، حتى قامت فى عام ١٩٤٧ • وظل الحلم الكبير يراود زعمـاء باكستان ، وهو ما عبر عنه رئيس وزرائها لياقت على خان ، فى عام ١٩٥٠ ، بقـوله : لقد اردنا معملا نقيم فيه دولة مؤسسة على مبادىء اسلامية لم يعرف العالم افضل منها •

لكن الامل ظل يخبو عاما بعد عام • حتى سجل الحقيقة المؤسفة أمين ندوة العلماء فى الهند ، وواحد من اكبر المفكرين المسلمين الآن ، السيد ابو الحسن الندوى ، حينما قال فى كتابه « الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية » (صدر فى عام ١٩٦٥) ان « المعمل الاسلامى » لم يقم ، وان اخفاق باكستان فى تحقيق هذا الوعد « سيكون ماساة ضخمه فى العصر الحديث ، وغدرا بذمة الملايين من المسلمين الذين تحملوا فى سبيلها من المصائب ما يشيب لهولها الابدان » • وان ذلك « يخمد العـــاطفة الدينية التى لا تزل تراود نفوس العاملين للاسلام •• ويزهد اكثرهم فى اعادة هذه التجربة والمغـــامرة فى سبيلها • ولا يسمح التاريخ الذى سجل التجربة المخفقة والذى لا يحابى احدا ، بتكرار هذه التجربة مرة اخرى » •

ثم ماذا كانت النتيجة ؟

عندما بنيت دولة حملت اسم الاسلام ، على غير اساس قوى ومتين • عندما قامت « الدولة » ولم يشتد بعد عود « الفكرة » • عندما فشلت التجربة ، كتب احد المفكرين الغربيين هو « ويلفرد سميث » يقول فى كتابه « الاسلام فى العصر الحديث » ان ما جرى فى باكستان يعنى للعالم شيئا واحدا « ان نظرية الدولة الاسلامية نظـرية فارغة ، وان

شعارها وهتافها تضليل وخداع لا غير ، لانها لا تستطيع ان تساير مطالب الحيـــاة المعـــاصرة » !!

احباط فى كل اتجاه ٠٠ هذا ما حدث فى اول دولة اسلامية يعلن قيامها بعد الغاء الخلافة الاسلامية عام ١٩٢٤ !!

●

ما العمل اذن ؟

اذا كنا قد اتفقنا على ان الاسلام عقيدة قبل ان يكون شريعة ، واذا كنا ما زلنـا نذكر ان الرسول عليه السلام قضى ١٣ عاما فى مكة مركزا كل جهده فى اعـــداد البشر وتثبيت الايمان فى قلوبهم ، قبل الانتقال الى المدينة واقامة الدولة ٠٠ اذا كنا واعـين لذلك ، فينبغى الا يتزحزح يقيننا بضرورة البدء باعداد الانسان المسلم اولا ، بالاطمئنان الى سلامة الغرس وصحته ، ثم رعايته حتى لا نصدم ويغيب أملنا فى الثمار والحصاد ٠

لقد اعتمد اعداء الاسلام اسلوب « فك » العقل الاسلامى واعادة تركيبه وصياغتهمن جديد لصالحهم وعلى هواهم ، بعد ان فشلت الحروب الصـليبية فى تحقيق اهدافها فى القرون الوسطى ٠ وكانت المدارس الاجنبية والتبشيرية هى الساحة الحقيقية التى خاضت فيها قوى الاستعمار وارساليات التبشير هذه المعركة ٠

ولم تعد هذه المرحلة سرا خافيا على احد ٠ فقد سرد تفاصيلها فى مذكراته اللورد كرومر ــ مثلا ــ وهو اشهر معتمد بريطانى فى تاريخ مصر ، فضلا عن ان كتاب « غـزو العالم الاسلامى » الذى هو فى حقيقته ترجمة لعدد خاص من مجلة « العالم الاسلامى » التى كانت تصدر فى فرنسا فى بداية هذا القرن ، وتنطق باسـم حركة التبشـــير الكاثوليكى ٠ هذا الكتاب يقول فيه مؤلفه مسيو أ ٠ شاتليه بمنتهى الصراحة والوضوح « ان الغرض الذى نتوخاه لا يمكن الوصول اليه الا عن طريق التعليم » ٠

وما حدث فى مصر هو ذاته الذى حدث فى سوريا ولبنان والمغـــرب العربى والهند وتركيا وايران ٠٠ المنهج واحد هو : غسيل المخ و النفاذ الى العقول المسلمة ٠

لقد كان التعليم هو وسيلة التدمير ،وينبغى ان يظلهو ذاته الطريق الاساسى للتغيير٠

ولتكن قضية اعداد الجيل المسلم هى شاغلنا اذا كنا جادين فى الدعوة الى اقامـة المجتمع الاسلامى وهى رحلة طويلة وشاقة ، لكنها السبيل الامثل لبلوغ هذا الهدف ٠

لقد ظل الاستعمار يقاتل طوال قرن كامل ليستولى على العالم الاسلامى ، وطوال قرن آخر ظل يقاتل من اجل تقويض الاسلام من الداخل ، بمختلف الحيل والالاعيب ، لكن بعضنا يزايد على جماهيرنا المسلمة ويزعم ان المجتمع الاسلامى يمكن ان يقـوم فى ايام او اسابيع ، فقط اذا طبقنا الحدود الشرعية ٠

ان الاذكياء من اعداء الاسلام لم يحاربوه من حيث كونه حدودا تطبق وقوانين تعلن

ولافتات ورايات ترفرف فوق المؤسسات المختلفة ، ولكن سعيهم الحقيقي كان من اجل مسخه كمنهج للحياة واسلوب في التفكير • كان هدفهم ـ ولا يزال ـ تفريغ الاسلامن مضمونه ليبقى شكلا فقط •• قانونا على ورق او لافتة براقة او خبرا في صحيفة صباحية •

والذين يدعون الى احياء هذا الشكل والوقوف عنده ، يلتقون ـ بحسن نية وربما بغير وعي ـ مع هؤلاء الذين يريدون تفريغ الاسلام من مضمونه الحقيقي •

لتكن البداية هي هذه : اعداد الجيل المسلم •

وسوف تكون سذاجة مطلقة ان نتصور المسألة كما لو كانت دعوة الى زيادة حصص الدين في المدارس ، او مقاطعة مدارس « الكفرة » كما حدث بين مسلمي شرق افريقيا في بداية هذا القرن !

لكن اعداد جيل مسلم هدف اسمى ينبغي ان يطرح لمناقشة عميقة ومفصلة بين المختصين والداعين الى بناء المجتمع الاسلامي في البلاد الاسلامية المهتمة بهذه القضية ، او حتى في بلد اسلامي واحد ، وسيظل التعليم ميدانا رئيسيا لخوض هذه المعركة • ذلك ان ازدواجية التعليم (مدني وديني) التي ابتدعها « دنلوب » خريج مدرسة اللاهوت في انجلترا وواضع سياسة التعليم المصرية في أواخر القرن الماضي ، هذه الازدواجية التي انتشرت في العالم العربي ، يجب ان يعاد النظر فيها • وتلك المناهج التي تفرز جيلا ينتمي الى اي شيء غير عقيدته الجامعة وامته الاسلامية ، او تلك المناهج التي تحمل اسم الدين ولا تؤدي الا الى النفور من الدين وكل ما يرتبط به •• ذلك كله يحتاج ايضا الى مراجعة •

هل معنى ذلك ان نقف مكتوفي الايدي طوال عشرين او ثلاثين سنة حتى يتحقق لنا امل اعداد هذا الجيل الموعود ؟

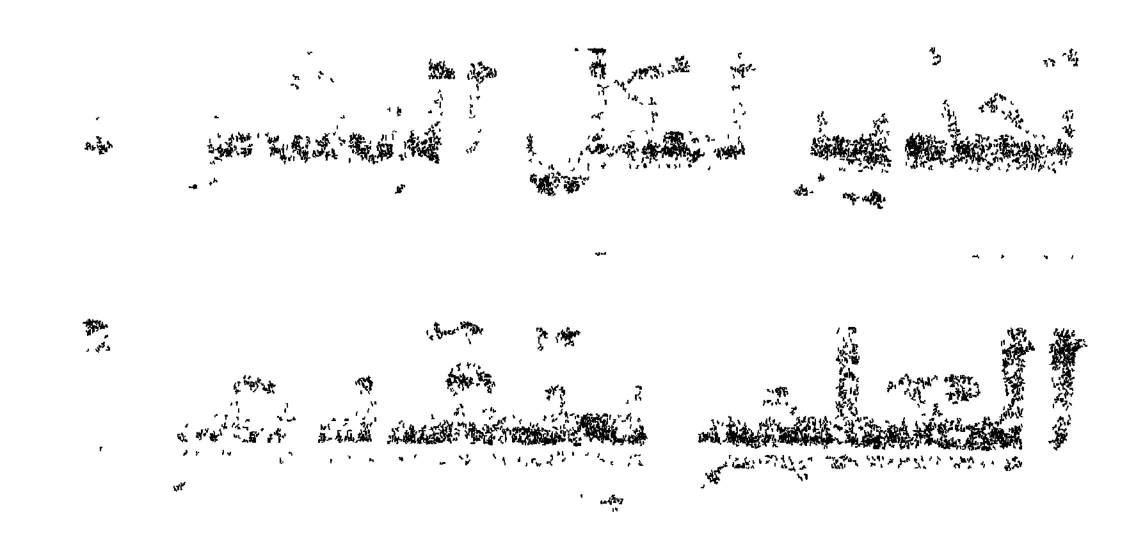
قد يرد هذا الخاطر في اذهان البعض • وهو يعكس استنتاجا متسرعا لا مفر من تصحيحه • ذلك ان مسألة اعداد الجيل المسلم لن تتم داخل مختبرات المدارس والمعاهد فقط ، لكنها ينبغي ان تمتد الى جوانب عديدة من حياة المجتمع ونشاطاته • وقد قلت ان التعليم ميدان رئيسي للمحاولة ، لكنه ليس الميدان الوحيد بكل تأكيد • اذ لا قيمة لكل ما يقال داخل قاعات الدرس اذا كان هناك ما يناقضه في الشارع والبيت او في الصحيفة وعلى شاشة التليفزيون •

اننا اذا كنا جادين فيما نقول فسنفعل الكثير ونحن نتقدم في محاولة اعداد هذا الجيل المسلم •

لنبدأ الخطوة الاولى اذن ، ونصرف طاقة الهتاف والصراخ وشق الحناجر في عمل واع ودؤوب •

حتى لا يصدم المسلمون في انفسهم ، ولا يخيب امل الآخرين فيهم • ■■

فهمي هويدي



بقلم : الدكتور حسان حتحوت

■ لم يعرف عن الولايات المتحدة الامريكية انها دولة تحجر على حرية البحث العلمي او تضع المعوقات فى سبيله ، ومع ذلك فقد اجتاحتها منذ الصيف الماضى مناقشة خطيرة عن البحث العلمى فى فرع معين من فروع العلم ، وهل تمول هذه الأبحاث أو لا تمول وهل تترك لعلمائها المتخصصين يقومون بها ويشرفون عليها أو انها يجب أن تخضع لاشراف ممثلى الشعب من السياسيين مع الاعتراف بانهم لا يفهمون الموضوع الذى هم بصدده فكيف يكون لهم الاشراف على ما يجهلون !

والغريب ان البحث موضع الاخذ والرد يندرج تحت باب « علوم الحياة » .. تلك التى لم يكن الناس حتى قريب يحسبون الا انها خير خالص لا شبهة فيه ونفع للبشرية لايمكن ان ينطوى على خطر .. وهى صورة بدأ التغيير يعتريها فى العقد الاخير ، وبعد ان كانت الكمائن الخطيرة والاسرار الرهيبة تقبع خلف جدران مختبرات علوم الطبيعة والكيمياء ، تصونها الدول وتحجبها وتحرسها من المتجسسين والمتلصصين ، اصبح الان نطاق السرية ورواق الحراسة ممدودين على مختبرات علم الحياة ....

وحين تمكن العلماء من شطر الذرة اعلن « اوبنهايمر » عالم الطبيعة المشهور وقد وعى احتمالاتها التدميرية الفادحة : « اليوم عرف علماء الطبيعة الخطيئة » .. ويتساءلون اليوم ان كان الدور قد حل على علماء الحياة فى معرفة الخطيئة والوقوع فيها .. وهو تساؤل فى موضعه على ضوء القليل الذى تكشف للناس عبر حرب فيتنام والكثير الذى يعلمون بوجوده وان لم ينكشف لهم مما يندرج تحت عنوان « الحرب البيولوجية » .

خلفية علمية

من المعروف ان الالتحام البيولوجى اى الاخصاب لا يمكن ان يقوم الا بين افراد الجنس الواحد من الخلق .. فالانسان لا يمكن ان يتزوج انثى الاسد فتلد مخلوقا له راس رجل وجسم اسد كما تخيل المصريون القدماء فصنعوا ابا الهول ، او الاغريق القدماء فصوروا فى قصصهم وفنهم ما شاء لهم الخيال من تلك المخلوقات المزجية المستولدة من



اقتـران جنسين غريبين بيولوجيـا .. وليس فى الممكن ان تحمل بويضة نعجة ومنوى صرصور على الالتحام لتكوين مخلوق جديد لم يعرف فى الطبيعة بعد .

ذلك ان الاجناس ممتازة بذاتها ، ويحمل افرادها تراثا مشتركا من الصفات الوراثية يميز جنسا عن جنس ، وشعوبا عن شعوب ، وقبائل عن قبائل ، وعائلات عن عائلات .. ولا تزال هذه الصفات الوراثية تدق وتتفصل حتى لتميز الفرد الواحد عن غيره من الافراد .

ولكن اين مناط هذا التراث ؟

تتكون اجسام الكائنات من خلايا .. وفى كل خلية نواة .. وفى كل نـواة شبكة مـن اجسام تعرف فى مجموعها بالشبكة الصباغية نظرا لتراهتها الى الاصباغ فهى تبدو اكثر الاجزاء قتامة ان تعرضت الخلية لصبغه . على ان هذه الشبكة تتالف من احاد من الاجسام يعرف كل منها بالجسم الصبغى او الكروموزوم .. وعدد هذه الكروموزومات ثابت فى كل جنس فهو فى نـواة خليـة الجنس البشرى ستة واربعون كروموزوما .

كل واحد من هذه الكروموزومات يحمل عـدد كبيرا يبلغ الآلاف من دقائق اخرى تعرف بالجينات كما تنتظم الخيط حبات المسبحة .. والجينات هى حوامل الوراثة .. وتركيبها الكيميائى متشابه فى الكائنات الحية جميعا وهو حمض النوويك اى الحمض المكون للنواة .. وجزىء هذا الحمض يتركب من الفوسفات ونوع من السكر واربعـة اصول قاعدية .. ولكن الآية بل المعجزة هى فى ترتيب تتالى هذه المكونات على طول الجزىء .. فان هذا الترتيب يحمل لغة كاملة وشفرة كامنة من التعليمات هى التى تحدد مسار الخلية ومآلها وتصرفاتها العادية او الشاذة فى المستقبل تماما كما تستعمل علامة الشرطة والنقطة باشارات مورس المستعملة فى التلغراف فتستطيع ان تلم بابجدية شاملة لا تضيق عن تعبير ..

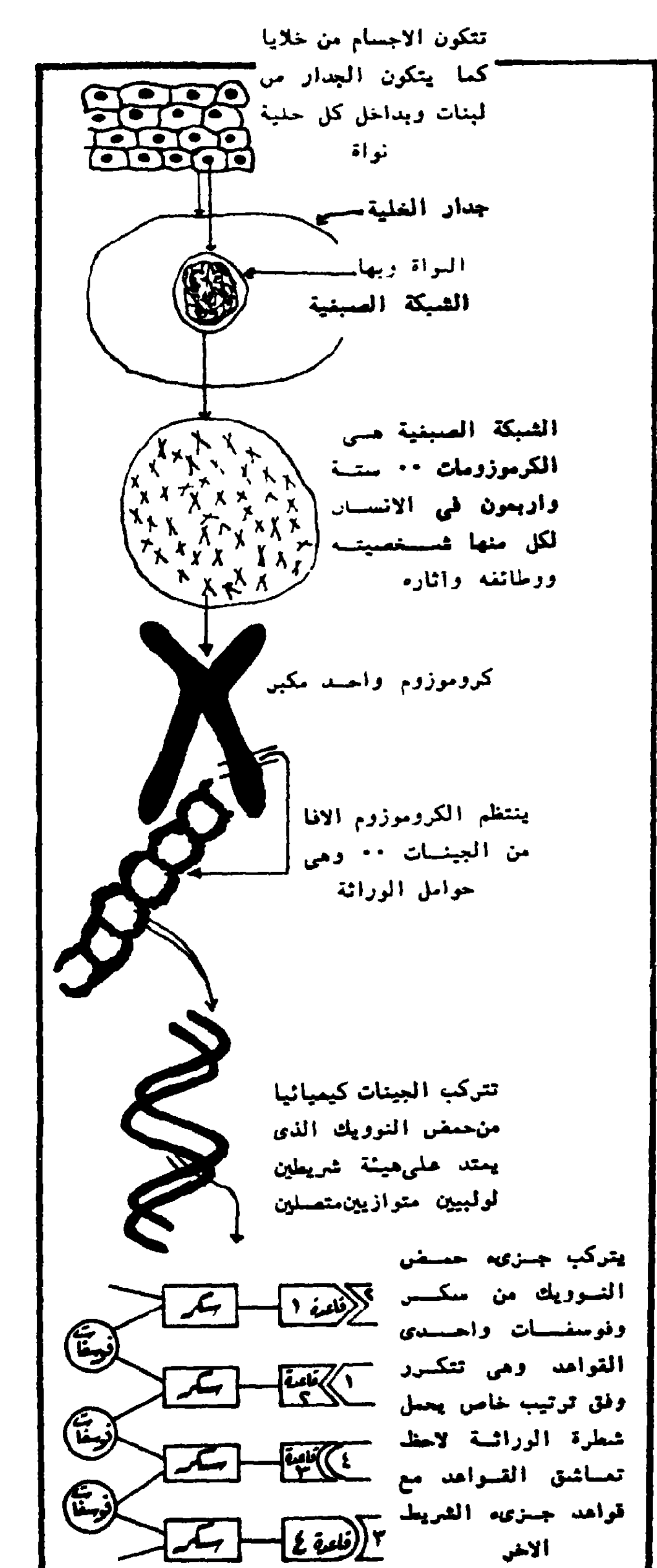
هذا الترتيب هو الذى يفضى لان يكون المال تكوين انسان .. ثم انسانا ذا ملامح عامة فهو من الجنس الاصفر او الزنجى مثـلا .. ثم ملامح القبيلة فالوالدين .. ثم ملامحه الشخصية التى تفرقه حتى عن شقيقه او توامه .

فاذا التقت البويضة الانسانية الناضجة (اى التى طرحت نصف كروموزوماتها فاستبقت ثلاثة وعشرين فحسـب بخلية المنـوى الناضج (اى الذى طرح ثلاثة وعشرين واستبقى نصفها) ،كان من موجبات تلك الشفرة الكامنة ان تطمئن كـل منهما الى ان الاخرى من نفس جنسها البشرى ،قبل ان تلتحما لتكونا خلية ذات ستة واربعين كروموزوما هى اولى مراحل تكوين الجنين البشرى .. اذ انها تشرع فى الانقسام الى ملايين من الخلايا ذات الستة والاربعين كروموزوما هى بناء جســـم الانسان .

ولقد يحدث ان يصاب انسان بالعدوى بمكروب مرض من الامراض ، وتتكاثر هذه المكروبات فى جسمه محدثة صورة المرض من حمى او قيح او ألم .. ولكن لا يمكن أن يحدث بينهما تزاوج حيوى تنتج عنه خلية كروموزوماتها خليط من كروموزومات الانسان والمكروب .

الحدث الكبير : حمض النوويك القابل للالتحام

اما الحدث الكبير الـذى قلب الموازين وفجـر النقاش فهو ان العلماء قد توصلوا ــ واسرع مما ظنـوا ــ الى التحصل على خمـائر تستطيع أن تمص جزىء حمض النوويك كما يقص المقص شريطا



من الورق، تاركاطرفى القطع ولهماقدرة كبيرةعلى الالتصاق، بحيث لو قص جزيئان من كائنينمختلفين وتلاقى مكان القطع من هذا بمكان القطع من ذاك التصقا ، وتكون جزيء من حمض النوويك مكون منهما معا ، وينقسم الجزيء الى كائن جديد لم يحدث فيالطبيعة ابدا .. فى تزاوج تاباه الطبيعة واستطاعته الصنعة ، وكان الجديد الذى تركب مستنبتا من حمض النوويك الانسانى ، وحمض النوويك الخاص بمكروبات الامعاء ..

واعلنت النتيجة فكانما قامت القيامة ..والعجيب ان الجدل لم يكن بين العلماء وبين الفلاسفة او الساسة ، وانما كان علماء الحياة المتخصصون كذلك فريقين ، واحدا يؤيد المضى فى هذا المضمار من الابحاث والاخر يحذر ويخوف ويدق نواقيس الخطر .. من جراء ابحاث « حمض النوويك القابل للالتحام » ..

المؤيدون :

يرى المؤيدون ـ وبحق ـ ان العقل البشرى لا ينبغي ان يحجر عليه وهو منطلق يكتشف ما اودع الله فيالكون من اسرار وما وضع فيهمن نواميس. ولقد تكون العبارات القرآنية مثل : « ويتفكرون فى خلق السموات والارض » .. او « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم » .. او « كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ».. او « اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض » صريحة الدلالة لاهل القرآنفى هذا الباب..ولكن الانسان من كل ملة وفي كل عصر لا شك قد آنس فى تكوينه هذا الشغف بالبحث عن المعرفة والسعى للاجابة على علامات الاستفهام التى تحيط بهمن كل جانب .. فهى فطرة فيه .. وبها كان الانسان انسانا .

ويشير المؤيدون ـ بل ويوافقهمالمعارضون ـالى طائفة من الاحتمالات التطبيقية المفيدة للبشرية من هذه الابحاث والتى تقع بالفعل فى نطاق الافق المرئى وعلى مرمى البصر الان ، عدا ما سيسفر عنه المستقبل من خير جديد .

هناك طائفة الامراض التى سببها ان جزءا من حمض النوويكفيه خلل يفضى بالضرورة فيالمستقبل الى ان تسلك الخلية سلوكا معينا غير سلوكها السوى الصحيح .. ويدخل فى ذلك انواع من السرطان او التشوهات الخلقية او الامراض الوراثية الاخرى .. وفى مجال اختصاص حديث

من اختصاصات علم الحياة يطلقون عليه اسم « الهندسة الوراثية » ، تتيح الطريقة الجديدة املا فى نزع الجزء السقيم من جزىء حمض النوويك لتحل محله رقعة مماثلة سليمة التركيب خالية من هذا الانحراف الكامن .

وهناك امراض اخرى سببها نقص فى بعض الخمائر او الهرمونات لابد من تحضيرها لتداوى بها المريض مهما كلف تحضيرها من مشقة او نفقة. وندلل على ذلك بمثال مشهور هو مرض السكر.. حيث لا يفرز بنكرياس المريض الكمية اللازمة من هرمون الانسولين فوجب ان يحضر فى المصنع حتى يحقن فى الجسم . ولو تصورنا ان فى الامكان « العبث » كما اسلفنا بتركيب مكروب من المكروبات ليكون منتجا لهرمون الانسولين ـ وهو مالا يستطيعه بتركيبه الطبيعى ـ فاننا بزراعة هذه المكروبات نحصل على مصانع هائلة للانسولين تعطينا منه مددا عظيما ولا تكاد تكلفنا شيئا .. وهذا على سبيل المثال لا الحصر .

ثم ياتى بعد ذلك ما يمكن ان يحدث فى عالم الزراعة وتربية الحيوان والطير .. ولعل فيه الامل المنشود لحل مشكلة الغذاء فى عالمنا ،التى لا تزال فى تفاقم ينذر بالهول مالم يتفتق عقل الانسان عن وسيلة علمية تزيد النبات والحيوان حجما وسرعة تكاثر او تستنبت اصنافا اخرى لم تعرفها الطبيعة بعد من النبات والحيوان .

المعارضون :

ولا ينسى المعارضون ـ خاصة العلماء ـ أبدا ما كان من أمر شطر الذرة الذى افضى بدوره الى القنبلة الذرية وضحاياها فى هيروشيما ونجازاكى ، وما تلاها من قنابل هيدروجينية واسلحة نووية يكفى مخزونها الحالى لنسف الكرة الارضية كلها عدة مرات .

ويتخوف الكثيرون من ان ولع العلماء بالعلم يجعلهم لا يعرفون حدودا يقفون عندها ، وها هم يطرقون آفاقا ومجاهل لم تكن معروفة من قبل .. ويوم يكون العلم غاية لا وسيلة لم يعد مامونا الى اين المآل .. لذلك ينادى الكثيرون أن يكون العلماء تحت اشراف الساسة ، ولكنه قول مردود عليه بان قرار القاء القنبلة الذرية لم يكن قرار العلماء بل قرار الساسة ، اما العلماء الذين صنعوها فقد اصابهم ندم كبير .

هذه المكروبات الصناعية الجديدة التى لم تكن فى الطبيعة من قبل ، والتى لا نعلم شيئا عن صفاتها الحيوية ، ماذا يحدث لو تسربت الى خارج المختبرات بسبب خطا او اهمال او اى عامل آخر غير منظور .. اليس من الجائز ان تصيب العالم بوباء مميت يقتل الملايين قبل ان نعرف له علاجا ؟

وماذا يحدث لو انضمت تلك المكروبات الجديدة الى قائمة اسلحة الحرب البيولوجية..ومن المعروف ان الترسانات العسكرية اصبحت تضم كثيرا من الاسلحة التى تستهدف حياة الانسان او صحته.. فلو انضمت اليها تلك السلالات الجديدة من الجراثيم لتكررت ماساة القنبلة الذرية على نطاق افدح . وما دامت الهندسة الوراثية قد دخلت حيز الممكن .. فما الذى يمنع فى المستقبل ان ياتى دكتاتور فيستنبت امة فيها من صفات الخنوع والخضوع ما يحول بينها وبين معارضته .. او يستنبت طائفة فيها من الشراسة والقوة والقسوة ما يؤهلها لتكون جيشه وجنده وعدته فى قهر الانسان للانسان ..

وبعد :

وبعد : فالانسان الان اضاف الى حياته منغصا جديدا هو وعيه بما يمكن أن يؤدى اليه تقدمه العلمى من كوارث ..

وينادى ناس بتقليص هذه الابحاث فيرد آخرون فماذا نصنع لو كانت روسيا او الصين قد طرقت هذا الباب وسبقتنا فيه ، تاركة امريكا مجردة من سلاح الردع البيولوجى عاجزة عن ان تقابل الشر بالشر ..

ولعل الانسان يدرك آخر الامر ان العلم وحده ليس يكفى .. وانه سلاح ذو حدين .. وانه لا امان للانسان الا ان استهدى بخالق الانسان .. فهذا هو الضمان والعصام الذى يسخر العلم للخير ويحول بينه وبين الشر .

العلم أعظم نعمة لكنه
قد يستحيل لنقمة وبلاء
والعلم ان ضل السبيل فأهله
شر على الدنيا من الجهلاء

■■

حسان حتحوت

في عدد اكتوبر الماضي نشرت العربي مقالا للاستاذ محمد فتحي عثمان بعنوان « الايمان وحده لايعصم المجتمع من المشكلات » ، وهو في هذا المقال الثاني يواصل عرض هذه القضية الدقيقة، بتقديم نماذج من المشـكلات التي واجهت المجتمع لاسلامي الاول ٠



حتى نتـجنـب أوهام التبسـيط ٢

أزمات واجهت المجتمع الاسلامي الأول

بقلم : محمد فتحي عثمان

■ لن يكون المجتمع المسلم الملتزم اليوم خلوا من المشكلات والصعوبات ، ولا بد ان يبذل المؤمنون ضريبة بشريتهم ويعيشـوا في واقع دنيـاهم ، ولا بد ان يجدوا ويجـدوا في مختلف مجـالات النشاط العقلي والعملي ، وسوف يسـتثيرهم الايمان لمزيد من الجد والكد مع طمانينة ورضا ، ويلهب حماسهم ويعينهم على الثبات حين تزل الاقدام ٠

وهكذا كان المجتمع المسلم القدوة في الالتزام، مجتمع الصحابة وسلف هذه الامة الصـالحون اجمعون ٠٠٠ لقد كابدوا وجاهدوا ، ولم تتوقف يوما متاعبهم لانهم مؤمنون ٠٠٠ وكانت لهم متاعب الضعفاء ، ثم صارت لهم مشكلات الاقوياء « ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين. ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ـ التوبة / ٢٥ ، ٢٦ » ٠

فى بيت الرسـول

لقد اصابت المتاعب والهزات عقر دار الرسول الكريم نفسه « ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم. لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم...» « اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ماليس لكم به علم ، وتحسبونه هينـا وهو عنـد الله عظيـم ـ النـور / ١١ ، ١٥ » المهم ان يواجه المجتمع الازمة ويطوقها ويحـرج منها بخبرات فى الوقاية والملاج • وقد تضمنت « سورة النور » التى عرضت لحادث الافك احكاما عقابية للزنا والقذف وحـكم اللعـــان اذا كان الزوج هو الشاهد الوحيد على خيانة زوجته ، كما تضمنت توجيهات سلوكية للمجتمع المسلم «ولولا اذ سمعتموه قلتم مـا يكون لنا ان نتكلم بهـذا سبحانك هذا بهتان عظيم ... » « ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنـوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة • والله يعلـــم وانتـم لا تعلمـــون ـ النـــور ١٦ ، ١٩ » وتشــير السورة الى حقيقة انسانية تركز عليها ، هى ان الكمال المطلق للانسان مستحيل ، وانما هو كمال نسبى تسدده هداية الله وتجبر ثغراته رحمة الله « ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ـ النور / ٢١ » كما توجه المؤمنين الى العفو والصفح حتى فيما يبدو انه اثم كبير لانه شىء فى طبيعة الانسان ، كما توجه الى ان عقاب المخطىء لا ينبغى ان يهدد رزقه وقوته « ولا ياتل اولو الفضل منكم والسعة ان يؤتـوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى ســـبيل الله ، وليعفو وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم ـ النور ٢٢ » • وهكذا تورط بعض « المهاجرين فى سبيل الله » فى مثل هذا الاثم ، لان هذه « الهجرة » لم تكن لتحيل الانسان ملكا معصوما •

ومن المتاعب والمضايقات التى لقيها رسـول الله صلى الله عليه وسلم فى عقر داره نفسها ما كان من ازواجه امهات المؤمنين « يايها النبى لم تحرم ما احل الله لك تبتغى مرضـاة ازواجك ، والله غفور رحيم .. » « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما ، وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهيرا • عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن ـ التحريم / ١ ، ٤ ، ٥ » (يايها النبى قل لازواجك أن كنتن تردن الحيـاة الدنيـا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميـلا • وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن اجرا عظيما ـ الاحزاب ٢٨، ٢٩)

فى صفوف المسلمين

والمجتمع المسلم القدوة فى التزامه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض للشدائد التى وصفها القرآن بانها كانت « زلزالا شديدا »، وقد تلقى هزائم عسكرية فى احد وحنين كما لقى انتصارات فى بدر وخيبر والفتح ، وتلت هزيمة حنين انتصار الفتح الاعظم ، وكادت ان تعصف بكل ما لقيت دولة الاسلام من تمكين لولا فضل الله • ومن قبل تحالفت عليها القبائل والتجمعات المعادية يوم الاحزاب ، وكاد المشركون والاعراب واليهود والمنافقون كيدا عظيما واحاطوا بالمسلمين وقاعدتهم المدينة من كل صوب « اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم ، واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا • هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا •واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا • واذ قالت طائفة منهم : يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستئذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا • ولـو دخلت عليهم مـن اقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها ، ومـا تلبثـوا بها الا يسيرا ـ الاحزاب / ١٠ ـ ١٤ » • وتكشف السور التى تعرضت لمختلف وقائع جهاد المسلمين ان صفوف هؤلاء المجاهدين الذين فرضوا وجودهم وكيانهم العقيدى على اعدائهم وعلى الدنيا فى عصرهم ، كانت تتخللها الوان الضعف البشرى الموجودة فى كل زمان ومكان «الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم ، وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ـ النساء / ١٤١» « وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحـق ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الامر من شىء ... يخفون فى انفسهم مـالا يبدون لـك ، يقولون : لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا ههنا ..... « يايها الذين آمنـوا لا تكونـوا كالذين كفـروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض او كانوا

غزىلو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ـ آل عمران ـ ١٥٤ ، ١٥٦ » « لايستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا باموالهم وانفسهم ••• انما يستئذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون • ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة••• لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة ، وفيكم سماعون لهم ••• ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ، الا فى الفتنة سقطوا ••• ان تصبك حسنة تسؤهم ، وان تصبك مصيبة يقولون قد اخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون ••• ويحلفون بالله انهم لمنكم ، وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون • لو يجدون ملجا او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون•ومنهم من يلمزك فى الصدقات.فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون••• ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن ، قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم ••• ولئن سالتهم ليقولون انما كنا نخوض ونلعب ، قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ـ التوبة/٤٤ ـ ٦٥ «وتتابع الايات تعرض صور الجبن والشح والانتهازية والتامر المستتر « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين • فلما آتاهم من فضله بخلوا به • • • • الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لايجدون الا جهدهم فيسخرون منهم ، سخر الله منهم •••• وقالوا : لاتنفروا فى الحر قل نار جهنم اشد حرا •••• واذا انزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين•••انما السبيل على الذين يستئذنوك وهم اغنياء ، رضوا بان يكونوا مع الخوالف •••• ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر ، عليهم دائرة السوء والله سميع عليم • ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ماينفق قربات عند الله ••• وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ••• والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون ـ التوبة / ٧٥ ـ ١٠٧ » •

صفوف من البشر

هكذا كانت صفوف المجاهدين الاولين مليئة بالثغرات لانها صفوف من البشر وان كانوا مؤمنين ••• لكنهم عرفوا كيف يغالبون ضعف الضعفاء فى مواجهة عدوهم ،وكيف يحاصرون نقاط الضعف بقدر الامكان ••• ولا يقولن احد ان الضعفاء كانوا منافقين لامؤمنين ، فالمنافقون «وصف نفسى كامن» وليس تصنيفا اجتماعيا ظاهرا،ولقد كان المنافقون يشهدون شهادة الاسلام،وكثيرمن افرادهملا يمكن القطع بنفاقهم بمقتضى الظاهر مهما بدت العلامات والقرائن ، لان عدالة الاسلام تحكم بالظاهر والله يتولى السرائر « ولونشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفهم فى لحن القول ، والله يعلم اعمالكم • ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم ـ محمد / ٣٠ ـ ٣١»•

وعلى كل حال ، فوجود المنافقين بين صفوف المؤمنين فى عهد رسول الله له دلالته فى ان الشر والخير متلاحمان لا يمكن احدهما عن الاخر ابدا • ولا يظن احد ان الاسلام كان يتشدد فى ادانة كل متخلف عن الجهاد لانه كان يلح على المثل الاعلى اوكان يجتاز فترة دقيقة لا بد فيها من التعبئة والحشد ورفض اى نغمة ضعف ، فلقد كان الاسلام انسانيا واقعيا يقبل الاعذار الصادقة ويكتفى باخلاص المؤمن فى القول والعمل « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل ، والله غفور رحيم • ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون ـ التوبة / ٩١ ـ ٩٢ » • وليس كل من ابدى ضعفا فى لحظة ما مطرودا من عقيدة الايمان وصفوف المؤمنين الى الابد ، فلا يؤلف « المنافقون » كتلة جامدة مصمتة لا تتغير ، بل يحرص الاسلام دائما على ان يفتح ذراعيه لكل من وقف فى صفوف اعدائه الصرحاء او المقنعين « لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم ، انه بهم رؤوف رحيم • وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ،ثم تاب عليهم

ليتوبوا ان الله التواب هو التواب الرحيم ـ التوبة / ١١٧ ـ ١١٨ » ولقد ارسل مسلم الى قريش ينبئهم بتحرك الرسول صلى الله عليه وسلم على رأس المسلمين الى مكة يوم الفتح ، وكانت حجة الرجل وهو حاطب بن ابي بلتعة ـحين اكتشف المسلمون الامر ـ انه ضعيف بين القوم ويخشى ان انتصر المشركون ان ينكلوا بولده •

وقد كان حاطب مجاهدا يوم بدر ، وعهد اليه الرسول بكتابه الى المقوقس بمصر يدعوه للاسلام، ولكن انتابته لحظة ضعف رق فيها لولده ، فرق له رسول الله صلى عليه وسلم وعفا عنه ، وذكر له سابق جهاده وبلائه • وقدر ضعفه وعذره •ولم يقبل فيه رأى عمر بن الخطاب الذى قال « دعنى يارسول الله فلأضرب عنقه ، فان الرجل قد نافق » ! !

في الاقتصاد والسياسة

والى جانب الازمات النفسية والصعوبات العسكرية ،عانى المسلمون اكثر من مرة من المتاعب الاقتصادية حتى بعد انتصار عقيدتهم وفتح مكة •

وحين نزلت سورة « براءة »تمنع المشركين عن البيت الحرام بعد ان صار المسلمون اولياءه وحماته اثر فتح مكة وتطهر البيت من مكاء الحجاج المشركين وتصديتهم وسائر شعائر الوثنية ، كانت توقعات الضيق الاقتصادى لائحة نتيجة تخلف هؤلاء كبائعين ومشترين ، كتجار ومستهلكين «ياأيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجدالحرام بعد عامهم هذا ، وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ـ التوبة / ٢٨ » •

وواجه المسلمون طاعون عمواس بالشام وقحط الرمادة بالحجاز في عهد خلافة عمر بن الخطاب ، وعملوا على مكافحة الوباء بتطبيق وصية الرسول صلى الله عليه وسلم في الحجر الصحى «اذا سمعتم بالطاعون في بلد فلا تدخلوه ، واذا كنتم فيه فلا تخرجوا منه » وقد مات في الوباء كثيرون منهم القائد ابو عبيدة ••• ثم عملوا على مكافحة المجاعة بتقشف الاغنياء واعانة الفقراء وتعاون سائر اقطار الدولة على دفع البلاء ، واسهمت مصر في ذلك بارسال قوافل الطعام الى الحجاز • وكان عمر يعتزم مزيدا من اجراءات التقشف والتكافل لو طالت المجاعة اكثر ـ وهى لم تكن قصيرة ، فقد قال « وربى لولا ان الله فرجها لادخلت على كل ذى سعة من المسلمين مثل عدد عياله، وما كان لولدين ان يجوعا من طعام ولد واحد » • وكان هو نفسه قدوة في تطبيق اجراءات التقشف، فلم يغص نفسه طوال مدة القحط بطعام ليس في متناول عامة الناس •

وما كاد الرسول عليه الصلاة والسلام يلحق بالرفيق الاعلى حتى اهتزت بلاد العرب باحداث الردة وهي التي ما كاد يستقر فيها الاسلام الا من قريب وتضافر على الفتنة مدعو النبوة من الذين قصدوا الا تكون في قريش وحدها او قصدوا ان يكون «لبنى حنيفة نصف الارض ولقريش نصفها » ، مع مانعى الزكاة : بدعوى « انها الاتاوة او الجزية» •واراد عمر ان يخفف العبء على دولة الاسلام الناشئة فاشار بعدم قتال مانعى الزكاة ماداموا يشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله، وخالفه ابو بكر فقال «والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة • والله لو منعونى عقالا ـ او عناقا ـ كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه » • وقد صور عبدالله بن مسعود تلك الهزة التى احدثتها الردة واحدثتها بلبلة الاختلاف في الراى بالنسبة لمواجهتها فقال «لقد قمنا بعد رسول الله مقاما كدنا نهلك فيه لولا ان الله من علينا بابى بكر ، اجتمع راينا جميعا على الا نقاتل على بنت مخاض وابن لبون ••• وان نعبد الله حتى ياتينا اليقين• وعزم الله لابى بكر على قتالهم •• » ، كما روى البلاذرى •

وما كادت تخرج دولة الاسلام وجماعة المسلمين من هذه الردة على خير بفضل عزيمة ابى بكر ، حتى ادت الفتوح الواسعة في عهد عمر الى مشكلات اجتماعية اخرى ، فقد تفرق في الامصار المتباعدة من المسلمين من كانوا من قبل مجتمعين في المدينة واقبل جماعة منهم على العمل في الموارد الاقتصادية الجديدة من زراعة اراضى الفىء او ما استطاعوا ان ينالوه من الاراضى المفتوحة اقطاعا او شراء الى جانب ما أحرزوه من غنائم منقولة فتحقق لبعضهم ثراء عريض ، ثم زاد مركز هؤلاء حرجا في امواج غير المسلمين بل غير العرب التى تلاطمت في دولة الاسلام «المركبة» بعد الفتوح وبدات زعامات متناثرة تظهر هنا وهناك بعد الزعامة الموحدة ••• وادى تغير التركيب الاجتماعى الاقتصادى العرقي السياسى الى اضطراب رهيب • وكان لابد من تغيير الاطار السياسى للدولة حتى

يتلاءم مع تغير بنيتها الاجتماعية ٠٠ وقد شكا عمر العملاق من بوادر التغيير،وحاول ان يواجهها باجراءات شديدة من طبيعتها الا تدوم ، وقد روى عنه الطبري قوله «والله لقد لنت لهم حتى تخوفت الله في ذلك ، ولقد اشتددت عليهم حتى خشيت الله في ذلك ٠ وايم الله لانا اشد منهم فرقا ، منهم مني ٠٠٠) وقال عمر لاناس من قريش :

« بلغني انكم تتخذون مجالس ، لا يجلس اثنان معا حتى يقال : من صحابة فلان ، من جلساء فلان٠٠حتى تحوميت المجالس ! وايم الله ان هذا لسريع في دينكم ، سريع في شرفكم ، سريع في ذات بينكم٠ ولكاني بمن ياتي بعدكم يقول : هذا راى فلان ، قد قسموا الاسلام اقساما !افيضوا مجالسكم بينكم، وتجالسوا معا فانه ادوم لالفتكم واهيب لكم في الناس ٠ اللهم ملوني ومللتهم ، واحسست من نفسي واحسوا مني ، ولا ادرى باينا يكون الكون، وقد اعلم ان لهم قبيلا منهم ، فاقبضني اليك غير مفتون ولا مضيع » !

هل يصدق القارىء اليوم ان هذا كلام عمر عن مجتمع عمر ؟

وقبض عمر ـ غير مفتون او مضيع ، لكنه مات مقتولا بيد مجوسي فارسي ٠٠٠ ثم مات عثمان مقتولا بأيدى من زعموا انفسهم من العرب المسلمين الغيورين على الاسلام ومثله وحرماته ٠٠ وغشيت «الفتنة الكبرى » او « الحرب الاهلية » جماعة المسلمين ، على رغم من تحذير رسول الاسلام انه « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » !! ٠٠٠ وهيهات ان نضحك على انفسنا فنلقى تبعة كلما جرى على« ابن سبا » اليهودي!!

لقد نفذ المؤرخ ابن خلدون في « المقدمة » الى صميم الحقيقة ، وانصرف عن « التاثيم » و « التجريم » لشخصيات تلك الفترة الدقيقة من تاريخ المسلمين واتجه الى« التحليل » و«التعليل»٠

لم اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمجد واستئثار الواحد به ، ولم يكن لمعاوية ان يدفع ذلك عن نفسه او قومه فهو امر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها واستشعرته بنو امية ومن لم يكن على طريقة معاوية في اقتفاء الحق من اتباعهم فاعصوصبوا عليه واستماتوا دونه ، ولو حملهم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالامر لوقع في افتراق الكلمة التي كان جمعها وتاليفها اهم عليه من امر ليس وراءه كبير مخالفة ٠

★ ★ ★

لم يكن اذن المجتمع المسلم القدوة في التزامه باحكام الاسلام ، خلوا من المشكلات والاخطاء والاهواء ٠٠٠ ولن يكون كذلك اى مجتمع مسلم لاحق يخلص في التزام احكام الاسلام ٠

ان تعاليم الاسلام لا تحوى « وصفة » جاهزة لكل داء ٠٠٠ ان تعاليم الاسلام تقدم اسسا نفسية وسلوكية وتشريعية لحل مشكلات الناس ، ويبقى اولا واخيرا على المؤمنين ان يكدوا انفسهم وعقولهم وابدانهم في الفهم والتطبيق ٠

والمسلمون اذ يتفاعلون مع اصول دينهم ،ويبنون كيانهم النفسي والسلوكي والتنظيمي على نور هديه، لا بد ان تصيبهم هموم البشر ومتاعبهم ٠٠٠ فالنفس المؤمنة لن تنسلخ من بشريتها لمجرد الايمان، وانما الفرد الصالح الذى يندرج في عداد « المتقين » ، هو من بين من قال الله فيهم « والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ـ ال عمران / ١٣٥ » ٠

والمجتمع المسلم الصالح هو الذى يزيد فيه عدد الاخيار على غيرهم ، وعدد التوابين على العاصين المقيمين على معصيتهم ، وعدد المستترين على المجاهرين بالاثم ، ولكنه ليس مجتمعا بلا اخطاء او خطايا ٠٠ انه يواجه ازمات القلق والانحراف وضغوط الخوف والجوع ، ولكن يحاول اجتيازها في ثبات ويخرج من كل تجربة ومحنة بخبرات ثمينة في العلاج والوقاية ٠ وكفاح المسلمين لاحقاق الحق يتداول فيه النصر والهزيمة ٠ والتطور والتغير من سنن الله الماضية « تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء ـ ال عمران / ٢٦ » ، « وتلك الايام نداولها بين الناس ـ ال عمران / ١٤٠ » ٠

فليوطن المجتمع المسلم الملتزم نفسه على مواجهة سنن الله ، وليستعن بالايمان والصبر على الجد في العمل والثبات في المحن ، فليس ثمة نجاح هين في هذه الحياة ولو للمؤمنين الملتزمين ٠ ■■

الرياض ـ محمد فتحي عثمان

■ واذا قيل لهم : « اتبعوا ما انزل الله» ، قالوا : بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ، اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ، ولا « يهتدون » ؟

(قرآن كريم)

■ اياكم والظن ، فان الظن اكذب الحديث ، ولاتحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله اخوانا » .

(حديث شريف)

■ الطمأنينة الى كل احد قبل الاختبار ــ عجز .

(الامام علي)

■ لتكن جميلة او قبيحة ، فهي بلادي ، وليكن قريبا او غير قريب ، فهو ابن وطني .

(مثل صيني)

■ اذا لم تجد بدا من الامر فأته رحيب الذراع، لاتضيق به صدرا

(مسكين الدرامي)

■ الافكار كثيرة ، والكلام الذي يعبر عنها قليل ، ولهذا نرغم على تصوير ما لا نقصده ولا يفهمه الآخرون .

(تكس مولر)

■ على المرء ان يتزوج في حياته مرتين : يتزوج امرأة ، وينجب منها اطفالا يخدمون البشرية .. ، ويتزوج الحقيقة ، ويعيش معها في عرس دائم .

(بوذا)

■ لا بد للعظماء من عيوب تماثلهم في العظمة .

(لاد شفوكو)

■ النساء يعانين آلاما شديدة عند الوضع ، ولهذا تحب كل امرأة طفلها .

(يوريبيدس)

■ اقول لنفسي كلما عضها الاسى
فآلها : صبرا ، ففي الصبر مكسب
اذا كان صعبا حملك الهم والاذى
فحملك هم الناس ــ لاشك ــ اصعب »

(الياس فرحات ــ من شعراء المهجر)



عاصمة المسلات المصرية القديمة

نصف المسلات أصيل ومهرب من مصر والنصف الآخر مزيف بالكامل

بقلم : فريد كامل

مدينة روما هى عاصمة المسلات المصرية ـ بها أكبر عدد من المسلات الفرعونية فى العالم• بها أيضا أكبر واصغر المسلات المصرية المعروفة حجما، واقدمها وأحدثها سنا •••• كما أن بها اكبر عدد من المسلات الفرعونية المزيفة باتقان شديد . بما عليها من كتابات هيروغليفية وخراطيش ملكية •

توجد فى مدينة روما ست عشرة مسلة «مصرية» ثمان منها اصلية وثمان مقلدة (بخلاف مسلة مسولينى أمام مبنى وزارة الخارجية الايطالية)•• وتوجد أربع مسلات فرعونية أخرى فى ايطاليا اثنتان فى مدينة فلورنسة والثالثة فى مدينة فللترى قرب روما والرابعة فى مدينة بنفنتو قرب نابولى •• كذلك توجد أربع مسلات مصرية فى فرنسا (فى ميدان الكونكورد وفونتانى بلو وغابة فنسين وفى مدينة أرل) ومسلتان فى أسطنبول بتركيا وواحدة فى كل من لندن (أمام كوبرى ووترلو) ونيويورك (فى حديقة سنترال بارك أمام نصب لينكولن) •• أما فى مصر فالمسلات الفرعونية تعد على أصابع يد واحدة !!

رغم الهزيمة

من سخرية التاريخ أن الشعوب المهزومة تغزو عادة بثقافاتها ومعتقداتها وعلومها ـ الشعوب التى هزمتها وغزتها وتغير حياتها • هكذا بعد أن غزا الرومان مصر . غزت الديانة المصرية (الاسكندرية) الامبراطورية الرومانية حتى أقيم معبدان هائلان لالهى الاسكندرية ايزيس وسيرابيس فى منطقتى كامبومازريو واسكويلينيو بروما (بخلاف معبد جيوفى هليوبوليتانو ـ آله مدينة هليوبوليس ـ الذى بناه الامبراطور ماركوادريللو فى ١٧٦ م فوق تل جيانيكولو فى روما) وحلق الامبراطور كومودو رأسه تتبها

بالفراعنة المصريين (وكان يحمل بنفسه تمثال أوزوريس فى المواكب الرسمية والدينية) وأغدق السندروسيفيرو الهدايا على كهنة الالهين المصريين حتى كاد يفلس الدولة ، وغضب تيبريو عليها فامر بهدم معبدى ازس والقاء تمثالها فى نهر تيفرى الذى يخترق مدينة روما ونقل معبد سيرابيس الى حديقة فيلته

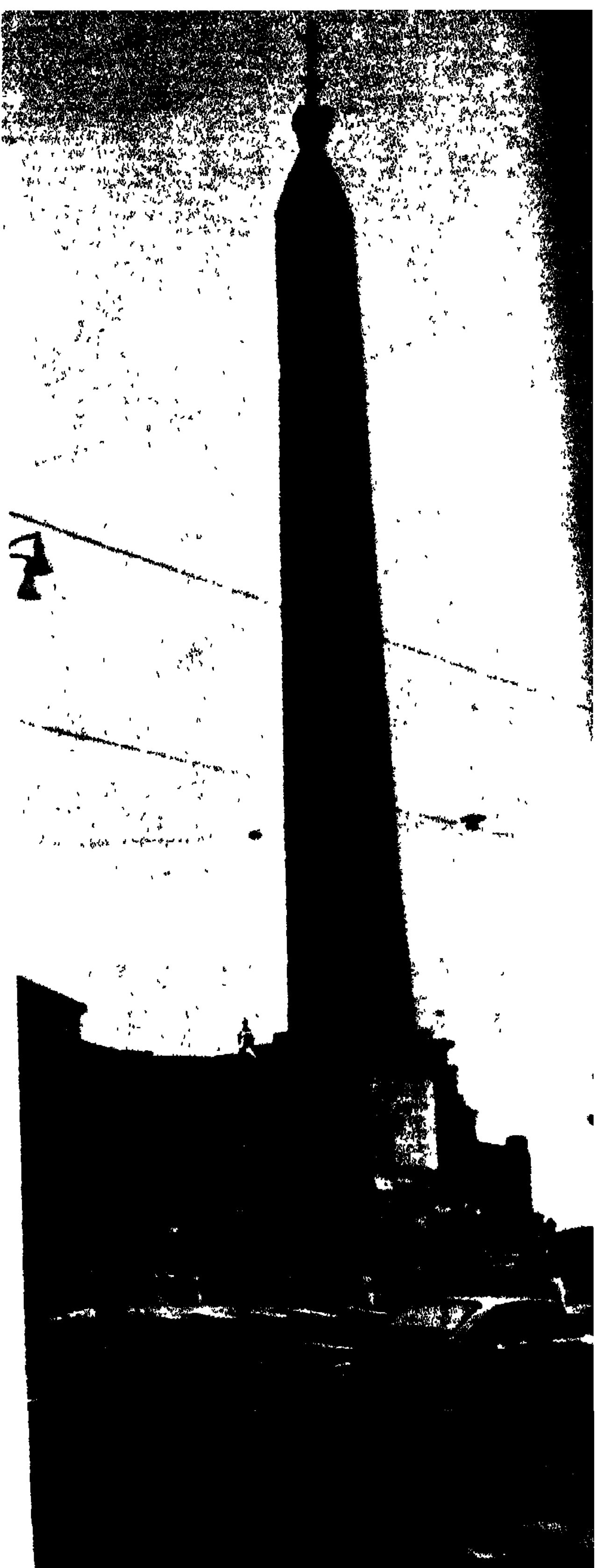
فى ضاحية تيفولى ٠٠ بينما أقام الامبراطور أدريانو فى حديقة فيلته بنفس الضاحية نماذج كبيرة لاهم الاعمال المعمارية فى عالم حينئذ ومنها معبد ـ سيرابيوم بمدينة منف المصرية وقناة ملاحة المهندس المصرى كانابو (أبو قير) ٠٠ الخ ودفن شيستيو فى هرم ما زال بوسط روما حتى اليوم ٠٠

فى سنة ٣٠ ق م هزم أوتافيانو أوجوستو الاسطول المصرى بقيادة ماركو أنطونيو واحتل الاسكندرية عاصمة البطالمة وصارت مصر مقاطعة خاصة به حتى أعلنت الامبراطورية الرومانية تحت قيادته فانتقلت مصر لتبعيتها ٠٠ وشملت الاسلاب التى عاد بها الامبراطور أوجوستو (الذى حكم من ٣٠ قم الى ١٤ م) الى روما أول مسلات أخرجت من مصر ، أربعة نقلت على مدى عدة سنوات ٠٠

وكانت آخر مسلة مصرية نقلت الى روما هى فى نفس الوقت أكبر وأقدم المسلات الفرعونية المعروفه ـ وكان الامبراطور قسطنطين (٣٢٤ ـ ٣٣٧) قد نقلها من معبد آمون بطيبة الى الاسكندريه وأكمل نقلها الى روما فى ٣٥٧ ـ ابنه كوستانزو الثانى (الذى حكم مصر والاقاليم الاسيوية التابعة للامبراطورية الرومانية من ٣٥٧ ـ ٣٦١) ٠٠

اقيمت المسلات المصرية فى روما كرمز لانتصار الرومانيين على مصر كما استعملت كشعارات دينية أو كمزاول شمسية ٠٠ ثم سقطت المسلات المصرية بفعل الزمن وبسقوط الامبراطوريه الرومانيه ، مع ما حطم وانهار من مبانيها ٠٠ وعثر عليها وأعيد اقامتها فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، رمزا لعظمة روما البابويه ٠

اقيمت للزينة وكعلامات للطريق بعد أن نفى عنها مضمونها الدينى الوثنى باضافة الصليب الى قمتها (والمسلات المصرية فى روما هى الوحيدة



مسلة ميدان جيوفانى اكبر واقدم المسلات المصرية

في العالم التي أضيف الى قمتها شيء) ـ

وكان من السهل لمن يقضي أى من ميادين روما او عند تقاطعات شوارعها في القرن السابع عشر أن يرى قمم المسلات المصرية تعلو عن باقي مباني المدينة المنخفضة ، تحدد له موقع جميع الميادين والتقاطعات الاخرى الهامة بالمدينة ...

وينسب تخطيط روما المعماري الحديث ، بما اشتمل عليه من اعادة اقامة المسلات المصرية في التقاطعات والميادين للبابا سيستو الخامس ومهندسه المعماري دومنيكو فونتانا (وقد اقام البابا احدى المسلات امام منزله في الميدان الصغير خلف كنيسة القديسة مريم الكبرى ـ سانتاريا رياماجوري ـ بدلا من وضعها في الميدان الواسع أمام الكنيسة) .. ومن الغريب حقا أن تنسب كل هذه الاعمال وعشرات من المشـ . المدنية والمعمارية في روما لهذا البابا الذي بقي بالسلطة مدة خمس سنوات فقط (١٥٨٥ ـ ١٥٩٠) وهي لا تكفي لأى من هذه الاعمال على الاخص بوسائل عمل ذلك الوقت ...

ويجدر أن نذكر هنا أن عددا من اكثر مسلات روما شهرة مزيفة وغير أصلية ومنها مثلا المسلة التي تظهر بين برجي كنسية ترينيتادي مونتي باعلى سلالم ميدان أسبانيا الشهيرة والمسلة التي تعلو النافورة الوسطى بميدان نافونا ـ أرشق ميادين روما ـ وهي نافورة الانهار الاربعة (واحدها نهر النيل) اهم أعمال مثال عصر النهضة الشهير برنيني .

عن المسلات الاصلية

وهذه كلمة وجيزة عن كل من المسلات الاصلية في مدينة روما :

★ مسلة بيازارل بوبولو (ميدان الشعب) نقلها أوجوستو من معبد الشمس بهليوبوليس قرب القاهرة الان الى روما لزخرفة الملعب الرياضي الكبير (شيركوماسيمو) واعاد سيستو الخامس اقامتها في موقعها الحالي . وهي المسلة الوحيدة الان التي توجد وسط تفرع عدة شوارع بحيث ترى عن بعد من أى منها ـ ويبلغ ارتفاعها بقاعدتها ٣٦ر٥ مترا .



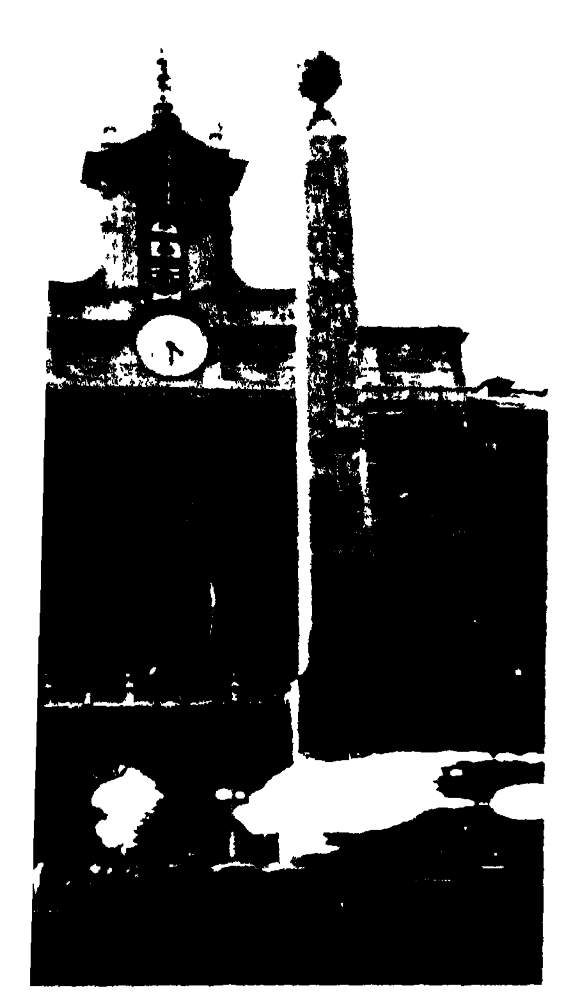
مسلة ميدان ول بوبولو

★ مسلة بيازاسان جيوفاني (ميدان القديس يوحنا) أقدم المسلات المصرية المعروفة (ترجع الى تحتمس الرابع في القرن الخامس عشر قبل الميلاد) ـ وهي أيضا أكبرها حجما ـ طولها ٤٧ مترا (مقابل أكبر مسلة في مصر ـ المسلة الناقصة بأسوان وطولها ٤٢ مترا) واخر مسلة نقلت لايطاليا ، بدأ قسطنطين بنقلها من معبد آمون بمدينة طيبة المصرية الى الاسكندرية ، ثم نقلها ابنه كوستانزو الثاني الى ايطاليا ولكنها لم تصل الى روما لان الحروب المحلية اوقفت عملية نقلها في منطقة سيرشيو حيث اهملت وردمت حتى أعاد الكشف عنها سيستو الخامس واقامها في موقعها الحالي ..

★ مسلة بيازا مونت شيتوريو (او المسلة الشمسية) ترجع الى عصر بسماتيك الاول (القرن السابع قم) نقلها من سايس الى روما



مسلة الفاتيكان



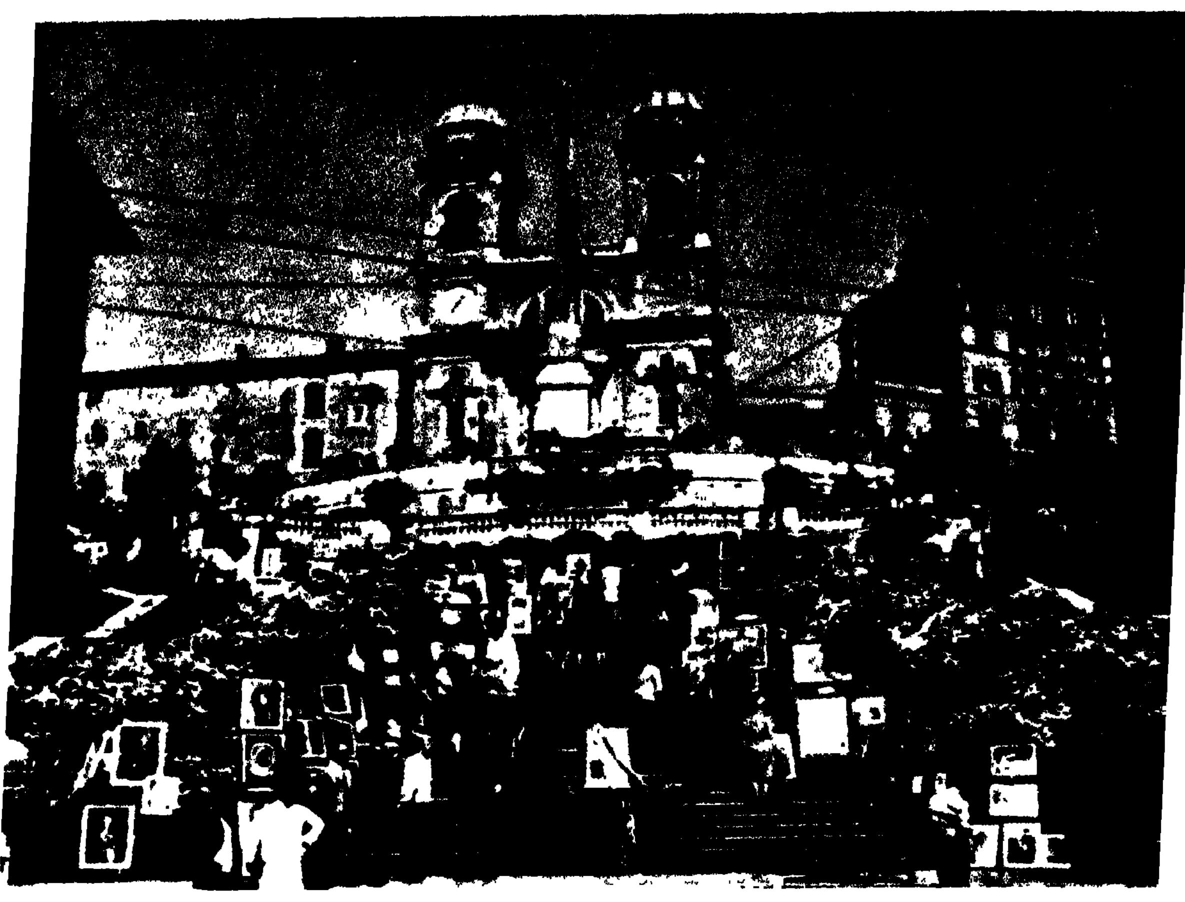


مسلة مونت شيتوريو « الشمسية »

أوجوستو حيث اقامها بميدان سان لورنزو على قاعدة من الرخام يعلوها لوح مربع من النحاس لتصبح ساعة شمسية) مزولة (وكانت « الساعة الرسمية » لمدينة روما ، ثم سقطت واهملت حتى أعاد اقامتها البابا بيوس السادس (فى ١٧٨٩) فى ميدان مونت شيتوريو ـ امام مبنى البرلمان الايطالى وقد عثر أخيرا فى حديقة كنيسة سان لورنزو على قاعدة الساعة الشمسية وقد حفر عليها « من اوجوستو قربانا للشمس ،بعد أن أخضع مصر للشعب الرومانى » .

★ مسلتى ميدانى لامينوفا وديلاروتوندا التوامتين ، وهما احدث المسلات المصرية سنا (تعودا للملك أبريس القرن السادس ق.م) واصغرها حجما نقلتا من معبد الشمس فى هليوبوليس حيث كانتا متواجهتين الى معبدى ايزيس وسرابيس بروما ، وعثر على اولاهما البابا السندرو السابع (فى ١٦٦٠) فكلف المثال ـ برنينى بعمل قاعدة لها لاقامتها فى ميدان لامينرفا ، فصنع برنينى قاعدتها على شكل فيل صغير من المرمر (يطلق عليه سكان الحى « برغوث المسلة ») ويبلغ ارتفاع المسلة بالفيل حوالى خمسة امتار ... اما المسلة الثانية فقد عثر عليها البابا كليمنت الحادى عشر (فى ١٧١١) فامر باستخدامها لزخرفة نافورة صغيرة كان قد تم انشاؤها قبل قليل بميدان ديلاريتوردا ، فاقيمت بين تمثالى وحشين بحريين يزينان النافورة ... والميدانان امام وخلف معبد البانثيون ..

★ مسلة الفاتيكان ، ثانى مسلات روما فى



مسلة ميدان ترينيتادي مونتي بقمة السلالم الاسبانية احدى اشهر المسلات في روما .. ولكنها مريعة .

الطول (٤١ مترا) ولكنها - وان كانت مصرية اصيلة - الا انها ملساء تماما بلا كتابات محفورة عليها .. نقلها الى روما الامبراطور كاليجولا في سنة ٣٩ لزخرفة ملعب نيرون ، الرياضي (شيركو نيروني) ويسمى ايضا ملعب الفاتيكان، وقيل انها اقيمت في المكان الذى أنذر فيه جوليو شيزارى (يوليوس قيصر) مرتين بانه سيقتل (في ١٥ مارس ٤٤) وان سان بيترو (القديس بطرس الرسول) صلب بجوارها - وتوجد الان كنيسة صغيرة باسم القديس امام ذلك الموقع كما توجد لوحة من الرخام تشير الى مكان المسلة الاصلي.. وقد نقلت المسلة (في ١٥٨٦) بامر البابا سيستو الخامس الى موقعها الحالي امام كاتدرائية سان بيترو في وسط ميدان الفاتيكان .. وقسم المربع الذى تقف وسطه الى اثنى عشر قسما لتستعمل المسلة كمزولة ..

★ مسلتي سانتا ماريا ماجورى والكويرينالي التوامتين (وارتفاع كل منها ١٤٫٨ مترا) احضرهما اوجوستو الى روما ليقيمهما على جانبي مدخل ضريحه ، وعثر على أولاهما مكسورة قطعتين في عصر سيستو الخامس فاقامها (كما ذكرنا من قبل) امام مدخل فيلته في الميدان الصغير خلف كنيسة القديسة مريم الكبرى ... وعثر على الثانية في عصر البابا بيوس السادس الذى اقامها في ميدان كويريتالي (القصر الجمهوري الحالي) بين تمثالين لمخلوقين اسطوريين كان قد وضعهما بالميدان قبل قرنين .. البابا سيستو الخامس ■■

روما - فريد كامل



بقلم : حسين جوزو

« الدعوة الى مواجهة عناصرالجمود فى الفكر الاسلامى ،التى اثارها الدكتوركمال ابوالمجد على صفحات « العربي » ، ونشرنا تعقيبا عليها يدعو الى « الحوار» وليس « المواجهة » فى عدد سبتمبر الماضى ـ هذ الدعوة يسهم فى مناقشتها هذه المرة واحد من اكبر علماء المسلمين اليوجوسلاف هو الاستاذ حسين جوزو ، الذى بعث بهذه الرسالة من سيراييفو » ٠

■ ربما كان من المفيد ان يطلع قراء مجلة العربى القراء على رأى مسلم اوروبى فى هذا الموضوع الذى يشكل قضية من اهم القضايا التى يواجهها المسلمون فى هذه اللحظة التاريخية ، وفى مفترق الطرق الذى وصل اليه المسلمون ، بعد استيقاظهم من نوم طويل وانتباههم من غفلة دامت قرونا عديدة٠

اقول فى البداية بانى أؤيد ما ذهب اليه الدكتور احمد كمال ابو المجد كل تاييد وبدون أى تحفظ ، وقد دعوت فى بحوثى الى ما يدعو اليه من افكار وآراء ٠فمنذ تتلمذت والتقيت بالائمة الثلاثة الكبار فضيلة الشيخ مصطفى المراغى والشيخ محمود شلتوت والشيخ رشيد رضا ، ومنذ اتصلت بكتب الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وكتب الاستاذ جمال الدين الافغانى ، اخذت افكر فى ضرورة البعث الاسلامى واحياء الفكر الاسلامى من جديد٠ وقمت بما كان فى وسعى من بذل المساعى والجهود

في هذا السبيل . ولم تزدني بحوثي وتحليلاتي في الموضوع الا ايمانا وتاكيدا بوجود فرصة عظيمة تمكن الاسلام من القيام بدوره ورسالته من جديد.

وهذه الفرصة واضحة كل الوضوح . وتتجلى في كون الانسان المعاصر الذي تصدى باسم العلم والتكنولوجيا لانكار وجود الخالق المبدع سبحانه وتعالى وانكار القيم الروحية ـ هذا الانسان اضحى اليوم يعيش في اضطراب وقلق ، يعيش خائفا على نفسه وماله واولاده ومستقبله ، يعيش يائسا تعسا شقيا في داره ، وفي مجتمعه ، وفي عمله ، وفي آماله . وما ذلك الا لان الافكار الجديدة والاراء المبتدعة والمخترعات الحديثة اشبعت الناحية المادية من نفس الانسان،ولم تشبع الناحية الروحية . انه لا يشكو من الامتلاء ، بل يشكو من الفراغ .

وزيادة على الانحلال الخلقي وانكار القيم الروحية ، فان حياة الانسان وكيانه المادي اصبحا مهددين وفي خطر الابادة التامة . ان السلاح النيتروني الجديد خير دليل على ما وصل اليه الانسان من خطر ومن تزول قيمته . ان القنبلة النيترونية تدمر سكان مدينة باسرهـا دون ان تهدم بيتا واحدا ، وتقتل شعبا بكامله دون ان تترك حفرة في شارع او تنسف جسرا على نهر ، وتقتل جنديا في دبابة دون ان تصيبها باية خسارة. فالبيت والجسر والدبابة صارت اعظم قيمة من الانسان .

ان الجيل الجديد من الشباب المسلم يرى كل ذلك ويدرك ان النظريات التي تعتمد على المادة والعلم فحسب عجزت وفشلت تماما في اسعاد البشر وتحقيق رفاهيته وطمانينته ، وحل قضاياه، واخذ هذا الجيل يتطلع الى من يقدم اليه الاسلام الصحيح وحلوله لمشاكل العصر،تلك الحلول التي تقيم التوازن بين القيم الروحية والقيم المادية ، وتاخذ بعين الاعتبار على السواء حاجات الجسم وحاجات الروح ، وتحسب حسابا لكل من العقل والشعور ، ومن العلم والفضيلة ، كل له دوره ومهمته في حياة الانسان بحيث لا يجوز اهمال احد من هذه العوامل .

عالة على السلف

ولكن مشكلة تقديم الاسلام الصحيح وحلوله ليست بامر يسير . هنالك عقبات في هذا السبيل، ذكر العديد منها الاستاذ الدكتور احمد كمال ابو المجد في مقاله . وبودي ان اتناول هنا بشيء من التعقيب على عقبة اعتبرها من اهم العقبات وهي عقبة التيار المحافظ الذي يوجب اصحابه ويحتم على المسلمين التزام ما انتهى اليه الاولون من السلف الصالح والاخذ بدون تحفظ بكل ما ورد منهم من آراء ومواقف واحكام ، لاينكر جواز الاختيار بينها،ولكنه يرى في تجاوزها تجاوزا للاسلام وابتداعا فيه ، وفتحا لابواب الهوى وتحكيما للعقول في الشريعة .

وهذا التيار قد جنى على الفكر الاسلامي واوقف حركته وتطوره ، وجمده في اشكاله الاولى. وبهذا تحجرت عقلية العلماء فلم تعد تنتج وتبدع وتبتكر شيئا جديدا ، وعاش المتاخرون من العلماء والمقلدين حوالي عشرة قرون عالة على غيرهم من علماء السلف .

وقد كررت مرارا وما زلت اكرر القول بان الفكر الاسلامي لم يطبق عمليا الا مرة واحدة ، وذلك قبل اكثر من الف سنة ، اذ قام المجتهدون الاولون واستخرجوا منه احكاما ، واستنبطوا من النصوص حلولا لمشاكل واجهها المجتمع الاسلامي الاول في ظروفه وملابساته المعينة . والذي قام به ابو حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل وغيرهم من المجتهدين من اجتهادهم في استخراج الاحكام في الاحوال الشخصية والجنائية والاقتصاديـة والاجتماعية والسياسية ، لم يكن سوى البحث عن الحلول الاسلامية لقضايا ومشاكل وجدت في حياة عصرهم ، انهم ادركوا واجبهم وقاموا به وادوه بكل امانة . جزاهم الله عنا كل خير . وكان من الواجب على كل جيل ان يؤدي مهمته ويواصل حيث انتهى اليه الجيل السابق ، ويبحث في اطار الفكر الاسلامي عن حلول لقضاياهم لان لكل جيل مشاكل تتجدد في الحياة العامة . والفكر الاسلامي بشموله يصلح لكل زمان ومكان بحيث يجد فيه كل جيل ما يستطيع ان ياخذ منه حسب مستوى تقدمه

ورقيه وحسب ما يستشعره من حاجاته ويدركه من مشاكله•وهذا ماشار اليه الرسول في حديثه الذى قال فيه «بان الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد هذا الدين» •وليس للتجديد معني غير البحث عن الحلول الاسلامية لمشاكل تتجدد •

ولكن مع الاسف الشديد ـ لم يقع شيء من هذا• فان اهل التقليد والجمود والاستكانة حالوا دون ذلك • فانهم اوقفوا تطور الفكر الاسلامي وقيدوه بقيود حديدية وحبسوه في اجتهادات المجتهدين الاولين وفي استخراجاتهم التي كانت حسب مقدرتهم وحاجات عصرهم • وهذا ما لا ينكره احد •

واذا كان اهل الجمود والركود والتقليد استطاعوا ان يحبسوا الفكر الاسلامي ويوقفوا تطوره حتى يومنا ، فان عصرنا قد فك القيود على اختلاف انواعها لان الجماهير الاسلامية تحركت ونفد صبرها وخاب املها في التواكل وانتظار ظهور المهدى الموعود ونزول عيسى اللذين سوف يعيدان مجد الاسلام ويملآن الارض عدلا كما ملئت جورا وفسادا •

صورة غير مقبولة

وانا على يقين تام بان صورتنا للاسلام التى نشات في العصور الاولى في ظروف معينة،ثم دخل فيها خلال عصور الانحطاط والتخلف ما دخل من الخرافات والانحرافات عن طرق مختلفة،وعلى وجه الخصوص عن طريق التصوف الذى يدعو على حد قول الدكتور ابوالمجد الى الايغال في العبادة والى الزهد في الدنيا كلها ، ويهون كثيرا من قيمة العقل وينقل كثيرا من اتباعه من هذا العالم الذى تحكمه السنن وتضبط حركته النواميس الى عالم غامض تختلط فيه ـ ولو بحسن نية ـ الحدود الفاصلة بين آداب السلوك واخلاقيات الايمان ، وبين المنهج الغيبي الخالص الذى يضع اقدام اصحابه على طريق لا يسلم من الخرافة وتلبيس الحقيقة بالوهم ـ ان هذه الصورة لا تصلح لتقديمها الى الجيل المعاصر ، انها صورة مشوهة لا يقبلها الشباب المعاصر ولا يطمئن اليها •

ان المسلمين اليوم ، بعد تحركهم ودخولهم في التاريخ من جديد ،امامهم طرق مختلفةونظم متعددة وفلسفات متباينة وافكارمتناقضة يقدمها اصحابها ويدعونهم اليها • ان الجيل المعاصر من المسلمين في حيرة شديدة ، انه يرغب قبل كل شيء في ان يتخلص من رواسب التاخر والجمود • وان يتحرك ويتقدم ، ولكن الى اين والى اى اتجاه • الى الشيوعية الى الوجودية الى العلمانية والى غيرها من النظم والافكار السائدة في عصرنا •

ماذا اعددناه نحن لنقدمه الي جيلنا المعاصروا كثر من ذلك ، هل المسلمون على يعي فما يجب عليهم ان يسيروا عليه في حياتهم ؟

ان في الفكر الاسلامي ـ كما لاحظ الدكتور احمد كمال ابو المجد بكل دقة وصواب ـ تيارات عديدة متداخلة احيانا ومتناقضة احيانا اخرى ، تتوزع فكر المسلمين ومشاعرهم وولاءهم وتشد كثيرين منهم الى معارك جانبيه تشتد ضراوتها احيانا اكثر مما تشتد ضراوة الصراع بين التيار الاسلامي بروافده المختلفة ، وبين تيارات اخرى تنازعه وتناقضه في اسسه الكبرى وقيمه العليا•

وبعد هذا ، ماذا نطلبه من شبابنا ، وعلى وجه الخصوص ماذا يطلبه منهم علماونا من رجال الدين ؟

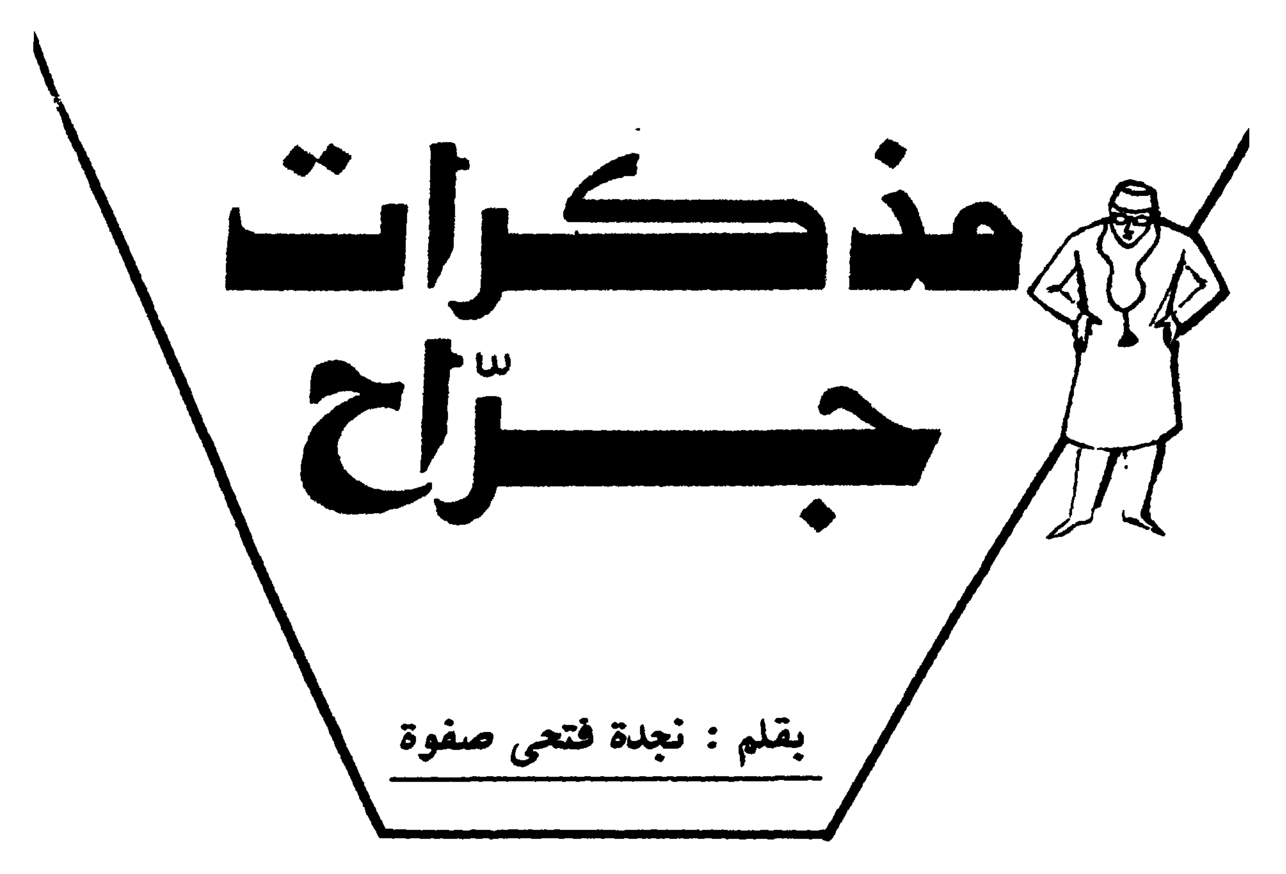
هذا سؤال له ـ في رأيي ـ اهميته وخطورته ! ومن الثابت عندى اننا نعرف جيدا ما لانريده ولا نعرف ما نريده،نعرف أن ننتقد ولا نعرف ان نعمل ونجيد العمل ، نحن كثيرو القول وقليلو العمل •

وخير ما نختتم به هذا التعليق كلمات من بحث الاستاذ الدكتور ابو المجد وقعت في نفسي موقع اعجاب شديد : ان الاسلام الذى ينبغي ان نقدمه للاجيال من شبابنا هو اسلام الحركة والقوة والصحو والاخذ بالاسباب ، الاسلام الحي الذى جسده النبي بسيرته واقواله ••• وباطل القول من قال ان الاول لم يترك للاخر شيئا •• فقد ترك له عالما كاملا غير عالمه ، ودنيا غير دنياه ، وتجربة جديدة لا تغنى عنها تجربة قديمة • ف « تلك امة خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم •• ولا تسالون عما كانوا يفعلون » •

■■

حسين جوزو

سراييفو ـ يوغوسلافيا



زاوربروخ ، طبيب هتلر الخاص ،وأشهر جراحي المانيا ، يروى ذكريات طريفة عنه وعن مرضـاه الآخرين من الشخصيات التاريخية •

■ تمتاز كتب المذكرات عادة بطرافتها وبمـا تحفل به من نواح انسانية وصور من الحياة حقيقية تجعلها مادة ممتعة للقراءة ومصدرا مهما للتاريخ• وعلى الرغم من أن الكثرة الغالبة من المذكرات هى تلك التى يكتبها السياسيون والدبلوماسيون فهنالك كثير من الكتب التى وضعها أشخاص بعيدون فى حياتهم وعملهم اليومى عن السياسة وكذلك عن الكتابة والتاليف ، بينهم المهندس والطبيب والضابط وغير أولئك من ذوى المهـن التى لا تمت الى السياسـة ولا الى الكتابـة بنسب ، ولكن مذكراتهم تحتوى على نصيب وافر مما أسماه سومرست موم « مـادة الحيـاة » ، فتجعلها من الكتب الناجحة ، وتضعها فى مصاف الآثار الخالدة •

وقد لا تكون تلك المؤلفات ، من ناحية الصياغة الفنية والاسلوب الكتابى بالغة مبلغ ما يكتبه الكتاب المحترفون ، ولكنها فى كثير من الحالات تحتوى على ناحية أو نواح لا توجد لدى غيرهم ممن اتخذوا الكتابةعملا ، أو أدركتهم حرفةالادب•

فقد كتب جندى المانى ـ لم يعرف له اهتمام ادبى سابق ـ فى أعقاب الحرب العالمية الاولى قصة استلهم مادتها من مشاهداته وذكرياته خلال تلك الحرب ، ونشرها بعنوان « كل شىء هادىء فىالميدان الغربى » ، فنالت نجاحا منقطعالنظير ، وترجمت الى معظم لغات العالم ، وطبعت منهـا ملايين النسخ ، واخرجت فى فلم سينمائى • ودر الكتاب على مؤلفه ثروة طائلة ، واصبح عنوان الكتاب من الاسماء المشهورة الخالدة • وقد حفز هذا النجاح مؤلف الكتاب « أريك ماريا ريمارك » على احتراف الكتابة ، فاصدر بعد ذلك عديدا من الكتب ، ولكنه لم يبلغ فيها ما بلغه فى كتابه الاول من نجـاح • ومع ذلك فان النـاس كانوا يشترونها بسبب اسم مؤلفها ، وما حققه لـه كتابه الاول من شهرة • والواقع انه لم ينجح من مؤلفات « اريك ماريا ريمارك » ـ منذ « كل شىء هادىء فى الميـدان الغربى » ـ سوى كتاب واحد صدر بعده باكثر من ربع قرن بعنوان « وقت للحب ووقت للموت » ، وموضوعه الحرب العالمية



لندبرغ



تشرشل



همنموزغ

الثانية • وهو كتـاب جيد ، ولكنه لا يمكن أن يقارن بكتابه الاول ، ولم ينل مثل شهرته •

نماذج من تجاربهم

وفى سنة ١٩١٦ التحق شاب انجليزى يدرس الاثار القديمة بالثورة العربية فى الحجاز ، وسار مع الجيش الشمالى حتى دخوله دمشق ، وأسهم فى عملياته الحربية • فاذا انتهت الثورة ووضعت الحرب أوزارها ، عاد الى بلاده , وكتب ذكرياته عن تلكالحملة وعن بلاد العربٍبمدنها وصحرائها، فى كتاب أسماه «أعمدة الحكمة السبعه» وسرعان ما وضعهذا الكتابمؤلفه الشاب «تي•ئي لورنس» بين الخالدين ، وأصبح كتابه من المؤلفـــات العظيمة ، لا لما فيه من حقائق تاريخية ،وحوادث حربية ، بل لما احتواه من صدق العاطفة وبراعة الوصف وروعة الاسلوب • وقد قتل لورنس بعد صدور كتابه بسنوات ، ولكنه أصبح أسطورة من الاساطير ، وتوالت عنـه الكتب والدراسـات ، وصورت حياته فى فلم سينمائى ، ولم تقم هذه الشهرة كلها ، فى الواقع ، الا على كتابه الفريد•

وفى سنة ١٩٢٧ طار طيار امريكى شاب ، عمره أربع وعشرون سنة ، من نيويورك الى باريس منفردا بطائرة اسمها « روح سنت لويس » ، وقضى ٣٣ ساعة ونصف الساعة فوق المحيط فى محاولة اقدم عليها الكثيرون قبله ، فكان نصيبهم الموت جميعا • وقد وصف « لندبرغ » محاولته هذه فى كتاب صدر سنة ١٩٥٣ عنوانه « روح سنت لويس» جاء آية فى التعبير عن المشاعر الانسانيةفى ساعات الحرج والالم والشجاعة ، فكان من أكثر الكتب نجاحا وأعيد طبعه عشرات المرات • وهو كتاب لو حاول كتابته « برناردشو » او كاتب من طبقته ، لعله ما استطاع أن يوفق فيه توفيق مؤلفه ، وهو طيار وليس كاتبا • اذ قد لا ياتى كتابه الا متـكلفا مصطنع العواطف • ولا شك أن عبارته تكون أبلغ واسلوبه أجود ، ولكن سينقصه حتما صدق التجربة فيسلبه كل حراره وحيوية •

ومن الكتب التى وضعها مؤلفون بعيدون عن الكتابة الادبية او التاريخيه فبلغوا فيها من النجاح مبلغا عظيما ، مذكرات الجراح الالمانى الشهـير « زاور بروخ » التى صدرت سنه ١٩٥١ ، ونشرت ترجمتها الانكليزية سنة ١٩٥٤ •

ومؤلف هذا الكتاب « فردیناند زاور بروخ » من أعاظم الجراحين فى التاريخ ، وكان يدعى لمعالجة الملوك والرؤساء ، وينتقل من عاصمة الى عاصمة بطائرات خاصة ترسل اليه • وقد أتيح له بحكم مهنته أن يطلع من حياة عظماء التاريخ ومشاهيره على نواح لا يمكن لغيره أن يطلع عليها قط ، وشهد من شؤونهم الخاصة وعواطفهم الحقيقية واخلاقهم الشخصية ما لا يظهرون به أمام جمهور

الناس،ولا يعرفه عنهم سوى أقرب المقربين اليهم.

ويقول مثل ايطالي :« ليس هنالك رجل عظيم امام خادمه» .والمقصود به ان الخادم يعرف من حياة سيده واحواله الخاصة ما يجعله ينظره انسانا عاديا كغيره من سواد الناس ، مهما كان عظيما في مقامه أو منصبه او شهرته . وقد يصح ان يقال على هذا القياس :« ليس هنالك رجل عظيم أمام طبيبه». فالطبيب يدخل على الرجل في مخدعه ، ويراه في مباذله ، ويقابله كانسان من لحم ودم في ساعات ضعفه ، وهو يتلوى من الالم ، ويشهد خوفه من الموت أو شجاعته أمامه ، حتى يكون السياسي الخطير ، والقائد البطل ، والدكتاتور الصارم ، وقد رفعوا عن وجوههم النقاب الرسمي واستووا امام طبيبهم كغيرهم من افراد البشر .

أسرار ليست مقدسة !

ولا شك ان من المبادىء الرئيسية في مهنة الطب وآدابها : أن اسرار المرضى مقدسة لا يجوز للطبيب أن يفشيها او يتحدث عنها . ولكن حياة العظماء والمشاهير ، ولا سيما بعد وفاتهم ، ملك للتاريخ لا لانفسهم . والاخلاص للحقيقة والتاريخ اولى من الاخلاص للافراد ودفن الحقائق التي قد تلقي اضواء مفيدة على خفايا التاريخ وسير مشاهير الرجال . وقد أثار اللورد موران ، طبيب تشرشل الخاص ، ضجة كبيرة في انكلترا وخارجها بسبب كتابه الذي نشره قبيل وفاته ووصف فيه تشرشل في حالات ضعفه ومرضه . فقد استاء كثير من البريطانيين لافشاء تلك الاسرار عن حياة الرجل الذي تعده بريطانية اعظم رجالها في القرن العشرين . وشنت الصحف حملات شعواء على اللورد موران ، ولكن الكتاب بقي مصدرا مهما لكتابة الفصل الاخير من سيرة الرجل الذي تعددت الكتب عن سيرته .

وقد دون «زاور بروخ» في كتابه « مذكراته » بابدع أسلوب وانصع بيان ، وكأنه كان يكتب بمبضع الجراح لا بقلم الاديب ، فضمن كتابه قصصا طريفة ومعلومات واوصافا للعظماء والمشاهير الذين عالجهم قلما تجدها في كتاب آخر .

فهو يتحدث ، مثلا ، عن معالجته للرئيس الالماني السابق « هندنبورغ » في سنة ١٩٣٤ حتى وفاته، ويسجل عنه قصصا وصورا هي غاية في الطرافة ، فيروى انه استدعي مرة ليحمل الرئيس المريض على توقيع مرسوم بتعيين « فون بابن » سفيرا لالمانيا في فينا ، فحمل زاور بروخ الوثيقة الى سرير الماريشال العجوز بيمينه ، والقلم بيساره، ولكن هندنبورغ هز راسه قائلا :

« أيها الاستاذ . كيف أستطيع توقيع وثيقة كهذه في السرير ؟ »

فأجابه الطبيب :

« ولكن لا يجوز لفخامتكم ان تنهضوا من السرير مهما كانت الاسباب »

فتمتم هندنبورغ :

« ولكن يجب ان اوقع الوثيقة »

ومضى يناقش ، ويلح ، حتى لم تنفع معه حيلة ، فاضطر الطبيب في النهاية الى الرضوخ لطلب الرئيس ، فالبسه ملابسه الرسمية واوسمته كاملة ، وجلس وراء منضدة صغيرة جلبت الى جوار سريره . وقال بعد ان وقع الوثيقة :

« لم يكن بمقدري ان اوقع هذه بملابس النوم».

على سرير الموت

ويروى زاوربروخ حادثة اخرى عن هندنبورغ تظهر مدى تمسكه بالتقاليد والشكليات . فقد الح على الرئيس أن يرتدى فوق قميص نومه معطفا سميكا مما يلبس في غرفة النوم (روب دي شامبر) ، فاحتج هندنبورغ قائلا :

« انني لم البس ذلك في حياتي قط . فانا جندي والجندي لا يرتدي شيئا فوق قميص النوم ، ولا يليق به مثل هذا الترف » .

فاقترحت ابنته الصغرى أن يضع على كتفيه احد معاطفه ، وحملت اليه معطفا فاخرا أهداه اليه « أمان الله خان » ملك الافغان السابق ، فرفض هندنبورغ أيضا ، وقال :

« ان هذا المعطف هدية . ولا يصح ارتداؤه في السرير »

ولم تجد مع هندنبورغ دموع ابنته ولا توسلها، فاعيد المعطف الى مكانه .

ويقدم زاوربروخ صورة مؤثرة للرئيس الالماني المتهدم وهو على سرير الموت ، اذ يروى انه سأله ، وهو جالس الى جواره :

« أيها الاستاذ ، لقد صدقتني القول دائما . فقل لي هل العجوز ذو المنجل بانتظاري ؟ » (وهو يرمز بذلك الى الموت او عزرائيل) .



هتلر

فاجابه الطبيب :

« كلا يا صاحب الفخامة ، ولكنه يحـوم حـول الدار »

★★★

وكان زاوربروخ نازيا متطرفا ، ولكنه اختلف مع هتلر فى أخـريات أيامه • لذلك جاءت فى مذكراته بعض الصور التى رسمها لدكتاتـور المانيا . وهى أشبه ما تكون بالصور الكاريكاتورية التى طالما نشرت له فى صحف بلاد الحلفاء ، أو عرضت فى الافلام السينمائية • ومنها الحادثة التى قد تكون من أكثرها طرافـة • فقـد كان زاوربروخ يقوم بجولة لتفتيش المستشفيات فى منطقة القرم فى سنة ١٩٤٢ بصفته جراحا عاما للقوات المسلحة • فاستدعى الى مقر هتلر فى فينيتسا على الفور . ولكن عطبا أصاب السيارة التى ارسلت لنقله ، فوصل متاخـرا ، وادخـل غرفة كبيرة انيقة الاثاث لم يكن فيها أحد • ولم تمض برهة حتى فتح أحد الابواب فجاة واندفع منه كلب ضخم كشر عن أنيابه وتقدم نحوه وكانه يريد أن يقفز الى رقبته • فوقف زاوربروخ بلا حراك ، وقد اخذ الخوف منـه كل ماخذ ، وفـاه

● مذكرات جراح

بكلمات لطيفة واخـذ يربت عليه برفق • فاذا بالكلب الهائج يهدأ ويستلقي الى جانبه بهدوء • فجلس زاوربروخ على كرسي ووضع الكلب الضخم ساقيه الاماميتين على ركبتيه ، وفى عينيه نظرات وادعة ، كانه يطلب منه المداعبة • وفى هذه اللحظة دخل هتلر الغرفة • ويقول زاوربروخ انه راى مشهدا من اقسى وانحس ما مر به : فقد وقف هتلر صامتا برهة من الزمن ، مشدوها لمنظر الكلب ، وعيناه تقدحان شررا ، ثم تقدم نحوه وهو يضغط على قبضته بقوة ، وقال صائحا :

« ماذا فعلت بكلبى ؟ »

فلم يحر زاوربروخ جوابا . وكان الكلب لا يزال يداعبه ويمسح وجهه بيده ، فقال هتلر فى هياج ظاهر :

« انه المخلوق الوحيد الذى يخلص لى اخلاصا ، وها أنت تسرقـه منى الان • انـنى ساقتله ، فانا الشخص الوحيد الذى يقبل عليه ويطيعه • انه المخلوق الوحيد الذى يحبنى فى العالم ، وأنت الان تسلبنى اياه »

وليس من المعقول ، بطبيعة الحال ، أن يقول هتلـر كل ذلك عـن نفسـه ، ولكنهـا صـورة كاريكاتورية رسمها زاوربروخ • وقـد أضـاف ان صوت هتلر ارتفع الى حد الصراخ ، وانه مضى فى حديثه متنقلا من موضوع الى موضوع ، ثم هدد باعتقاله ، واخيرا هدأ فجاة واخذ يبين لـه سبب استدعائه اياه ، فقال ان وزير خارجيـة تركية « منمنجى اوغلـو » مـريض ، واذ سبق لزاوربروخ أن أجرى له عملية جراحية ، فانه يريد أن يـراه فى انقـرة ليسعفه • ولـما كانت العلاقات السياسية مع تركية فى تلك الفترة بالغة الاهمية ، فانه أمر باحضار طائرته الخاصة الجديدة لتقل زاوربروخ الى انقرة حالا •

والكتاب يزخر باقاصيص مماثلة ، وكلها مليئة بالمتعة والطرافة والمعلومات النادرة عن المشاهير الذين عالجهم المؤلف ، وكانها حواش فنية لسجل طبى • والطبيب اذا تحدث ، وكان يجيد الحديث ، فلا عداد للامور الطريفة والغريبة التى يستطيع ان يكشف عنها من طبائع البشر وهوامش التاريخ •

■■

بغداد ــ نجدة فتحى صفوة

تعقيب على مقال :

الاجتهاد .. وعصا الشيخ عليش

بقلم : محمد عبد الله السمان

■ كان الشيخ عليش المغربى الاصل من أعيان المالكية فى الازهر ، ولى مشيختهم فيه ، حتى توفى عام ١٨٨٢ م ، ولم يكن مجرد عالم مقلد ، بل متعصبا اشد التعصب للتقليد ، كان يحمل فى عقله منهب الامام مالك ، ويحمل فى يده عصا غليظة يطارد بها حلقات الامام محمد عبده فى صحن الازهر ، الامام المجدد الذى حاول جهد استطاعته ان يهتك حجب الجمود الفكرى الذى تسلل الى الاسلام فى غفلة من الزمن ، واستسلم له بعض علماء الدين رهبة وتقصيرا ، كما استسلم له البعض الاخر عجزا وقصورا ..

مرت بذهنى قصة الشيخ عليش وعصاه التى كان يطارد بها فكر الامام محمد عبده المتجدد ، وانا اقرأ بامعان فكرة فهمى هويدى التى عرضها للمناقشة على صفحات «العربى» . والحق اننى اشفقت كثيرا على الكاتب وهو يعلم كما نعلم انه بالرغم من ان الشيخ عليش قد توفى الى رحمة الله منذ زهاء قرن من الزمان ، الا ان عصاه لا تزال حية تسعى ، تتوعد كل من يحاول اثارة قضية الاجتهاد بالويل والثبور .

ان ما ساقه الاستاذ هويدى من الادلة الناصعة التى تؤيد قضية الاجتهاد كضرورة فى عصرنا هذا ، لا يحتاج الى مزيد ، لكن المشكلة ليست الادلة وما كثرها ، وانما وجود العقليات التى تهضم الادلة تقبلها ، وقد كان الامام الغزالى رحمه الله يقول : ليست المشكلة فى حلها ، وانما المشكلة فى قبول الحل .. والمشكلة ايضا وجود القلوب المؤمنة الشجاعة فى علمائنا ، التى لا تتهيب الغوغائية ولا تحسب لها حسابا ..

امام مشكلة التراث

ومما لا جدال فيه ان الاجتهاد اصل من اصول الاسلام المقررة والمسلمة ، فاذا حاولنا اليوم جادين ان يحتل الفكر الاسلامى مكانه اللائق به ، وان نرد للفقه الاسلامى الاصيل اعتباره الذى اصبح فى خبر كان ، فاننا نصطدم بتساؤل يلح علينا فى الاجابة عنه : من الذى يبدأ الخطوة الاولى ؟ قد يتبادر الى الاذهان لاول وهلة : انه الازهر الشريف ، وننسى ان الازهر الشريف قد اصبح فى الآونة الاخيرة كالذى فقد ظله ، ففى الازهر لا يزال طلابه فى كلية الشريعة يدرسون المذاهب الاربعة التقليدية منقسمين عليها ، ثم ان الفتاوى لا تزال تصدر من لجنة الفتوى بالازهر متشبثة بتلك المذاهب الاربعة .. فاذا بدأ الازهر الخطوة الاولى وهو على هذه الحالة من الجمود ، انطبق عليه المثل القائل : فاقد الشىء لا يعطيه . وقبل ان نفكر جديا فى هذه المحاولة الخطيرة ، يجب ان نجسد امام اعيننا السدود التى تتربص بالمحاولة وتترصد لها بكل ما أوتيت من حصانة وقوة ، واعنى بهذه السدود مشكلة القداسة التى نضفيها على تراثنا وعلى اصحابه معا ، ولكى نبدأ من فوق أرض صلبة يجب أن نصفى اولا عقبة هذه القداسة ..

ونحن حين نطالب ـ وبالحاح شديد ـ بتصفية مشكلة التراث ، لا نفكر على الاطلاق فى ان نغمطه حقه ، ولا فى ان نسقط من الحساب الجهد الطيب الذى بذله علماء السلف وفقهاؤه ، لان هؤلاء حين دونوا ما دونوه لم يمر باذهانهم ان لما دونوه قداسة ، وقد كان الامام ابو حنيفة يقول : « كل انسان يؤخذ من كلامه ويرد ، الا صاحب الروضة الشريفة » كان يسلم بالحديث النبوى اذا صح . ويعمل الصحابة اذا ثبت ، لكنه كان يتوقف ازاء عمل التابعين واقوالهم ، ويقول : « هم رجال ونحن رجال » هذا وقد اختلف على الامام ابى حنيفة صاحباه : ابو يوسف ومحمد ، وتنوعت مذاهب

الائمة الاربعة ، بل ثبت اختلاف الصحابة والتابعين في المسائل الاجتهادية ، وكانت في العراق مدرسة الرأى وعلى رأسها صحابي جليل هو عبد الله بن مسعود ، كما كانت في المدينة مدرسة الحديث وعلى رأسها امثال الصحابي الجليل عبد الله بن عمر وبعض التابعين من امثال سعيد بن المسيب.. وكل هذا الاختلاف في الرأى ثمرة من ثمرات العقول الواعية لا العقول المتحجرة ، ولم يحدث ان سفه صاحب رأى ، رأى من يخالفه ، بل كان احترام الرأى رائد الجميع ...

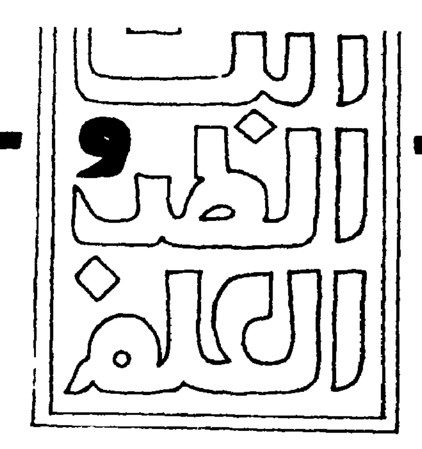
يضاف الى ذلك كله ان مدونات الفقهاء الاربعة نفسها مشحونة بآراء غيرهم واقوالهم من السابقين عليهم ، وهنا سؤال يفرض نفسه ، موجه الى هؤلاء العلماء الذين يريدون فرض القداسة على المذاهب الاربعة التقليدية :« اليس في قولكم بالتزام اقوال الائمة الاربعة لانهم سابقون ، ما يوجب عليكم ان تتركوا اقوال هؤلاء الائمة لاقوال من هم اسبق منهم كاصحاب رسول الله والتابعين ؟ » .

لقد طرح الاستاذ هويدى سؤالا ، ليس فحسب جديرا بالاجابة عنه بل بالوقوف عنده طويلا : «كيف تكون هناك ممارسة حقيقية ضمن ذلك الاطار الموضوع ؟ كيف ينتقل العقل العربي من دور الاستقبال العاجز الى دور الارسال الايجابي والفعال ؟ صحيح — كما يقول الاستاذ هويدى — ان الامر يحتاج الى رواد ، وربما شهداء ، لان هؤلاء الذين يخوضون تلك المعركة سوف يسبحون ضد التيار ، لكنى اعتقد ان الخطوة التي يجب ان يخطوها هؤلاء الرواد ، هي اجراء تصفية لتراثنا من كل ما شابه من دخل ودخن،وان يرسو في الاذهان ، ان مسألة القداسة لعالم او فقيه او كتاب محض خرافة يرفضها الاسلام الصحيح الذى رضيه الله لعباده دينا .. وهذه بداية المعركة ، ويجب ان يكون الرواد مستعدين لها ، لانه سوف يتصدى لهم اهل الجمود في كل بلد وصقع ، وقد يجدون من عواطف السذج والغوغائية ما يشد ازرهم ، بل قد يوجد من يطالب برؤوس هؤلاء الرواد ، او على الاقل بتجريدهم من مناصبهم ومؤهلاتهم العلمية ، فنحن لا نزال نشهد في الصحافة المتحجرة ، والكتب المتزمتة حملات موتورة على فكر الامام محمد عبده ، لا تقل ضراوة عن عصا الشيخ عليش ، ولعلنا لم ننس بعد ما حدث للمغفور له الشيخ محمود شلتوت حين نشر على صفحات « الرسالة » القديمة والتى انكر فيها نزول عيسى عليه السلام ، والمسيح الدجال، والمهدى المنتظر ، لقد طالب بعض علماء الازهر بتجريده من « العالمية »ولهذه القصة ماساة سمعتها باذنى من الشيخ شلتوت في منزله ، وهو الان في جوار ربه ، قال : « ان قصة هذه الفتوى اصلها ورود سؤال من الهند الى الشيخ المراغى يوم ان كان شيخا للازهر ، عن حقيقة مسالة نزول عيسى وظهور المسيح الدجال وانتظار المهدى المنتظر ، فحول الشيخ المراغى الفتوى الىّ واجبت عنها ، ورأيت نشرها على صفحات « الرسالة » اتماما للفائدة ، وما ان نشرت ، حتى قامت قائمة بعض مشايخ الازهر علىّ ، وظل هؤلاء المشايخ يردون علىّ شهورا ، ولما هدات ثورتهم قليلا كتبت ردا مجملا على ردودهم ، ثم ذكرت في نهاية المقال : ان الفتوى حولت الىّ من شيخ الازهر ، فهالنى ما رأيت وما سمعت ، رأيت هؤلاء المشايخ الذين اقاموا الدنيا واقعدوها بسبب فتواى ، يعتذرون الى شيخ الازهر ، لانهم لم يكن لديهم علم بان فضيلته قد اقر الفتوى ووافق عليها » .

يجب ان نقدر ان في مجتمعاتنا المسلمة غوغائية تتعصب للدين بلا عقل وبلا فقه ، وهى مستعدة لعمل اى شيء من اجل اثبات وجودها لانها تعيش في فراغ،هذه الغوغائية التى تلتحف بثوب شفاف من التدين العاجز ، هى التى تحافظ على مقام الوثنية والجاهلية . فبقوة الدفع من هذه الغوغائية ، تنفق من اموال الاوقاف الاسلامية الوف الجنيهات على القباب والاضرحة والمزارات ، في الوقت الذى تعيش فيه الملايين من البشر في هذه الدول الحرمان نفسه ، والعدم ذاته ، وهذه الغوغائية هى التى تتصدى لكل من يحاول نبش التراث العفن الذى الصق بالفكر الاسلامى الاصيل زورا .

ان القضية التى اثارها فهمى هويدى على صفحات « العربي » ليست قضية عادية حسبها القليل من الجهد ، وما لم يوفق لها رواد يتمتعون بالكثير من الفقه المستنير والكثير من الايمان الشجاع ، فان اخشى ما نخشاه ان تصاب الحركة بالدوار ..لا قدر الله .. ■■

القاهرة — محمد عبد الله السمان



اعداد : يوسف زعبلاوى

التسـميد ليس السبيل الوحيد لزيادة محصول النبات

● يبدو ان الفائدةالتي يجنيها النبات من سماد الفسفات .. يمكن مضـاعفتها دون الاضطرار الى اعطاء النبات مزيدا من ذلك السـماد .. ويكون ذلك بحقن جذور النبات بمادة فطرية نافعة .. ولا يخفى ان الاسراف فى استعمال سـماد الفسفات قد يزيد من احتمالات التلوث..

تلك هى نتيجة التجارب التى قام بها العالمان الدكتور ب . بلاك والدكتور ب. تنكر .. والتى ابرزاها فى تقرير نشرته لهما مجلة تنشر Nature العلمية المعروفة. وقد اختارا البطاطس موضوعا لتجاربهما تلك .. وذلك بالنظرلحاجتها الكبيرة الى الفسفات ولحسن تجاوب جذورها وقدرتها على صنع الفطور الجذرية ..

اما مصدر الفطريات الذى اعتمداه فى تلك التجارب فكان تربة حقل تكرر زرعه بالحبوب سنة بعد سنة .

وقد تبين للعالمين ان الفطور الجذرية Mycarrhizas تكونت فيجذور البطاطس وان محصولها قد زاد بنسبة ٢٠٪ هذا فى الحالات التى كانت كمية الفسفات التى سـمدت بها التربة عادية .. امـا فى الحالات التى ضوعفت فيها كمية الفسفات فان نسبة الزيادة فى المحصول قفزت حتى تجاوزت ٥٠ ٪ .

حملة واسعة فى لندن لمكافحة قمل الرأس

● نشطت دوائر الصحة فى العاصمة البريطانية وراحت تقوم بحملات مكافحة عارمة فى مطلع شهر ايلول الماضى ..ولم يكن الباعث على تلك الحمـلات التى شملت مئات الآلاف من الناس .. لاسيما طلاب المدارس .. لم يكن البـاعث على عليها وباء الكوليرا او الجدرى .. وانما القمل .. نعم قمل شعر الرأس .. وقد تفشى بين الصغار والكبار حتىزاد مجموع المصابين به على مليون نسمة ، وبلغ عدد طلاب المدارس بينهم ٢٠٠٫٠٠٠ .

وتعتبر حملة القمل هذه من اضخم ما عرف العالم حتى الآن من حملات المكافحة او الابادة .. ابادة الطفيليات . فقـد ضمت الاطباء والممرضات والمرشـدين الصحيين واسـاتذة المدارس وموظفـى الخدمات الاجتماعية ، فضـلا عن مفتشى صحة البيئة والحلاقين والصيادلة .. ولا عجب وقد اسـتهدفت اجتثاث الحشرة الخبيثة ، حشرة القمل ، التى تتخـذ من جسم الانسانومن شعر رأسه بالذاتموطنا تعيش عليه فتصبح فى عداد الطفيليات .

ولا يخفى ان السبب الرئيسى فيتفشى آفة القمل هو عدم النظافة .. ومعنىهذا ان مستوى النظافة فى لندن قد انخفض فى المدة الاخيرة .. وقد اكد ذلكمجلس التثقيف الصحى البريطانى.. ومنطريف ما يذكر هنا ان هذا المجلس حذر المواطنين من استعمال شتى مستحضرات الشامبو ، مؤكدا أنها لا تقتل القمـل ولا بيضه ، وانها قد تسبب بعضالالتهابات التىتفوق الاصابة بالقمل خطورة .

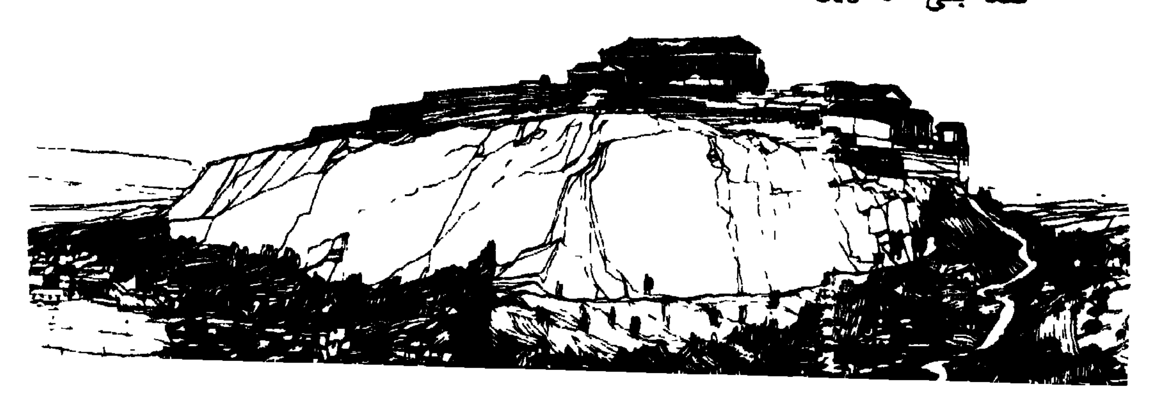
الاكروبوليس في خطـر

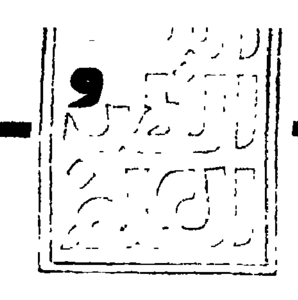
● الحضارة الصناعية الحديثة تبدو للكثيرين من العلماء مصدر نقمة على حياة الانسان بقدر ما هي مصدر نعمة ٠٠٠فهي ماضية في استنفاد مصادر الطاقة وخامات الصناعة والمياه العذبة ٠٠ وهي ماضية ايضا في تلويث البيئة ٠٠٠ والتسبب باختلال التوازن الطبيعي القائم فيها ٠٠٠ وهذا اختلال مشحون بالاخطار على شتى الاحياء وفي مقدمتها الانسان ٠٠

على ان التلوث يحدث ضررا آخر قلما يخطر بالبال ٠٠٠ فهو يفتك بتراث الانسان الفني ويهدد باتلاف التماثيل والمباني وسائر الاثار التي خلفتها الحضارت الانسانية الاغريقية والرومانية وغيرها٠٠ والتيكانت موضع فخر واعتزاز في كل زمان ومكان ٠

ويأتي الاكروبوليس في طليعة تلك الاثارة المهددة ٠٠ فهذا المجمّع الحضاري الذي يضم طائفة من خيرة الثمرات التي جادت بها فنون الاغريق ٠٠٠ هذا التل الذي يشرف على اثينا ، عاصمة اليونان ٠٠ والذي اختاره قدامي الاغريق ليكون مركزا لعباداتهم وشعائرهم ومأوىللهياكل التي يقيمون فيها هذه وتلك ٠٠ وللتماثيل التي صنعوها من رخام وجسدوا فيها اعز مقدساتهم ٠٠ هذا الاكروبوليس الذي طالما صمد لنوائب الدهر واحداث الزمن طيلة ٢٤٠٠ سنة ٠٠ عجز عن الصمود في وجه التلوث ٠٠ وبات مهددا بالفناء ٠٠٠ ويصدق هذا اكثر ما يصدق على هيكل البارثنون ٠٠ آية الاكروبوليس المعمارية ٠٠٠ فقد بنى الاغريق هذا الهيكل في القرن الخامس قبل الميلاد ٠٠ في عهد بركليس ٠ بنوه من رخام ليليق بالالهة (آتينا) ، وقد بنوه من اجلها ، وزينوه بتمثالها الذي اختفى منذ زمن بعيد لا لسبب الا لانهم صنعوه من ذهب خالص وجعلوه بحجم كبير ٠ ومما يذكر عن البارثنون ٠٠ ان الرومان حولوه في ايامهم الى ناد لملذاتهم ومجونهم ، ثم جاء المسيحيونالاوائل فحولوه الىكنيسة تنتمي للمذهب الارثوكسي ، ثم جاء الاتراك فحولوه الى مسجد ٠٠ ثم ما لبثوا ان استعملوا جانبا منه مستودعا لذخيرتهم٠٠ وبارودهم ٠٠ الذي ما لبث ان انفجر حين اصابته مدفعية البندقية سنة ١٦٨٧ ، في احدى المعارك التي نشبت بين الاتراك وبين دولة البندقية المدينة ٠٠

على ان الخراب الذي لحق البارثنون طيلة القرون الاربع والعشرين التي انقضت على بنائه ليتضاءل لو انت قارنته بالدمار الذي حل به بسبب التلوث خلال نصف القرن الاخير ٠٠ فقد امتلأ الجو بالمادة الملوثة الفتاكة **Sulfur dioxide** تلك المادة التي اطلقتها مصانع اثينا وسياراتها في المدة الاخيرة بلا حساب ٠٠ فأخذ رخام البارثنون بالتآكل والتقلص ان لم نقل بالذوبان ٠٠ وانطمست معالم التماثيل وتلاشت دقائقها ٠٠ وتشققت الحجارة هنا وهناك ٠٠ والتلوث كفيل بذلك كله ٠٠ لا سيما اذا جاءه العون من عوامل الطبيعة ٠٠ كالرطوبة والضباب بخاصة ٠٠ ومن عوامل اخرى من صنع الانسان كمحاولات الصيانة التي قاموا بها





فيما بين ١٩١٣ ــ ١٩٣١ وقد استهدفت انقاذ البارتنون والاكروبوليس··واذا بها تؤدي الى مزيد من دماره ·· ذلك انهم عمدوا الى دق قضبان حديدية داخل الحجارة ·· وغفلوا عن ان الحديد قابل للصدأ ·

والامر متروك الان لليونسكو وحكومة اليونان ··· وقد وضعت الاولى مشروعا لانقاذ ما يمكن انقاذه من ذلك التراث الضخم ، وهي تحاول الان جمع ١٥ مليون دولار ·· وتعهدت حكومة اثينا برصد ٥ ملايين دولار للاسهام في تلك العملية ، عملية الانقاذ ··لا سيما وان الاكروبوليس في طليعة المعالم السياحية العالمية وقد بلغ عدد السواح الذين يؤمونه سنويا ثلاثة ملايين سائح ···

وتستهدف عملية الانقاذ فيما تستهدف انتزاع القضبان الحديدية الصدئة واجراء عمليات تجميل للتماثيل والاستفادة في ذلك من الالياف الزجاجية Fibreglass ما امكن · وترمي تلك العملية ــ على ما يبدو ــ الى نقل منحوتات الاكروبوليس جميعا من مكانها الى داخل متحف موجود عند قاعدة التل ، تل الاكروبوليس ·

آثار ومتحجرات مثيرة اكتشفوها في تركيا

● منذ سنة ١٩٦٩ واعمال الحفريات والتنقيب عن المستحثات قائم على قدم وساق في (بارلار) في تركيا ·· حيث اتفق لعمال الطرق ان عثروا صدفة على مجموعة من المتحجرات بلغت من الكثرة ما يجعل البلدة التركية في الطليعة بين المواقع الاثرية الشهيرة في العالم اجمع ·· ولم يكن علماء الآثار والحفريات بحاجة للابتعاد كثيرا عن ذلك المكان ، ولا للحفر اكثر من بضعة امتار تحت سطح الارض ، ولا لمواصلة العمل مدة طويلة ، للحصول على الثروة الهائلة من المتحجرات التي حصلوا عليها ··

والخطورة ليست في الكثرة فحسب·· فالمتحجرات اكثرها عظام واسنان مخلوقات عاشت قبل ١٥مليون سنة ··وقد تفاوتت احجامها حتى بلغ بعضها حجم الحشرات وجاوز بعضها الآخر حجم الافيال ·· وشملت هذه البقايا فيما شملت اسنان عدد من القردة ذات الشبه الكبير بالانسان ·· ومن فصيلتين منها بالذات هما Ramapithecus, Sivapithecus

وقد نشرت مجلة نتشر Nature في عددها الصادر في ١٩٧٧/٨/٢٥ مقالا اشترك في وضعه الدكتور ب·ج· اندروز ، احد كبار المسؤولين في المتحف البريطاني (قسم التاريخ الطبيعي) والدكتور هـ· طوبين ، احد اساتذة جامعة جوهانز جوتنجن في مايتز في المانيا · ومن اهم ما تضمنه مقال هذين العالمين الملاحظات التالية :

١ ــ ان المستحثات التركية لا تحدثنا عن فصيلتي القردة اللتين ذكرنا بالذات وانما عن حلقتين بدائيتين من تينك الفصيلتين ·· اي عن Sivapithecus darwini وعن Ramapithecus wickeri وهاتان الحلقتان موغلتان في القدم وتعتبران من الحلقات المبكرة جدا في سجل النشوء والارتقاء ·

٢ ــ كان المعتقد ان افريقيا هي الموطن الاصلي للفصيلتين السالفتي الذكر وانهما انتقلتا منها الى آسيا في زمن متأخر نسبيا ·· اما الآن فالمرجح ان هجرتهما تلك قد وقعت في زمن قديم بالغ القدم وانهما عادتا الى افريقيا ثانية بعد ان قطعتا شوطا لا يستهان به على سلم التطور·

لكى تحتفظ بشبابك بعد الستين ..!

بقلم : د . عبد الرحمن حميده *

■ كثيرا ما نلاحظ وجود نوع من استسلام للهرم ، وبالتالي للموت ، قبل الاوان ، وذلك لدى الكثرة من المتقاعدين ، اى المحالين الى المعاش ، ناسين انهم لا يزالون في فترة خصيبة من عمرهم، قادرين على أن يفيدوا مجتمعهم بخبراتهم المتراكمة عبر السنين العديدة ، وهكذا نسمعهم يرددون عبارة « الكبر عبر » أو « لم يبق بالكرم سوى العطب » وسواهما من العبارات والامثال الدارجة الباعثة على القنوط ، اى كانهم يتوقعون زيارة الموت بين لحظه واخرى . وفى مثل هذه الحالة النفسية تبدو الحياة ثقيلة على صاحبها وعلى ذويه واصحابه . وربما كان فى سلوكهم هذا نوع من استدرار لعطف الاخرين ، هذا علما بانه خير للانسان الف مرة أن يكون موضع غبطة الاخرين او حتى حسدهم من أن يكون موضع شفقتهم التى لا فائدة واقعية ترجى منها .

ومجتمع اليوم هو مجتمع المتقدمين فى السن ، وذلك نظرا لارتفاع متوسط الاعمار ، اذ أصبح الاجل المرتقب للمواليد فى البلاد المتقدمة ، كالاقطار الاسكندينافية وهولندا واليابان ، فى حدود ٧٢ سنة للاناث ، و ٧١ سنة للذكور ، وفى عالمنا العربى ٥٥ سنة وسيطا ، فى حين لا يتجاوز الاربعين سنه فى معظم اقطار افريقية السوداء ، وقد يتدنى الى سبعة وثلاثين عاما فى دولة النيجر او غانا او نصف اعمار الناس فى البلاد الراقية تقريبا .

ولكن هذه الارقام المجردة هى عبارة عن متوسطات حسابية، فانخفاض متوسط العمر عندنا يعود لشدة نسبة وفيات الاطفال فى السنة الاولى من أعمارهم ، اذ تبلغ حوالى تسعة أضعاف ما هى عليه فى البلاد المتقدمة اذ يختطف الموت عندنا ١٥٠ وليدا من كل ١٠٠٠ مولود فى السنة

---

* استاذ فى كلية الدراسات الاجتماعية فى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية . رئيس قسم الجغرافية فى جامعة دمشق سابقا

الاولى مقابل ١٦ فقط في البلدان التي سبقتنا ، اذ سرعان ما تنقلب الجهود الباسمة الى قبور كالحة ، ويعود هذا لعوامل لا مجال هنا لذكرها ٠

واذا كان الواحد منا لا يعرف ما تخبئه له الايام بعد احالته على المعاش ، ويتوجس خيفة من البطالة القسرية التي سيخضع لها التي قد تجعله مصدر مضايقة في البيت ، يتدخل في كل صغيرة وكبيرة ، وقد تتوتر العلاقات بينه وبين اولاده ، وحتى مع رفيقة حياته ، ويصبح كائنا لا ضرورة له، طفيليا ، وهذا مما سيزيد في شعور العزلة لديه ، على خلاف الكهل الاوروبي او الامريكي الشمالي الذي يخطط لمستقبله بعد سن التقاعد وكانه امام حياة سعيدة اخرى ، لا تقل بهجة وروعة واشراقا عن الماضي ، فتراه يقول : « ساعمد الى زرع الملفوف » وهي عبارة يقصد بها الاعمال التي تنتظره بعد سن المعاش ٠

العمر والذكاء

اذكر انه في عام ١٩٥٦ كان يشاركني احيانا في مقعد المدرج في جامعة باريس (السوربون) محافظ مقاطعة سابق محال للمعاش بسبب بلوغه الستين ، وقد دفعني فضولي في يوم من الايام ان اطرح عليه السؤال التالي : ما هو الهدف الذي تسعى اليه من وراء التحصيل والدراسة وانت في مثل هذه السن المتقدمة ؟ فكان جوابه : لكي اشعر بانني لا ازال حيا وكي اساهم بعد تخرجي في عمل يفيد المجتمع الذي اعيش فيه قدر استطاعتي » .وكان ممتلئا حيوية ونشاطا وابتسامته لا تفارق شفتيه ، وكان مندمجا مع زملائه من الطلبة كانه واحد منهم ٠

ان دماغ الانسان ، الذي يتالف من ١٥ مليار (بليون) خلية عصبية ، يحتفظ بكل قدراته على الفهم والتفكير حتى اعمار متقدمة جدا ، كما استطاع العلماء أن يبرهنوا على ان الملكات الذهنية لدى الاشخاص الذين يتمتعون بذكاء حاد جدا تزيد مع تقدم العمر ٠

ويقول الدكتور بريل الامريكي أن المستوى الذهني لدى الانسان في سن الثمانين لا يقل عن مستواه في سن الخامسة والثلاثين ٠ واذا كانت حيوية العقل قد تصاب احيانا ببعض الوهن فان الانتباه والمحاكمة يستفيدان من تحسن ملحوظ٠

وحتى عهد قريب منا كنا نرى الكثيرين ممن تجاوزوا الثمانين يتصرفون كالرجال الذين هم في عنفوان شبابهم ٠ فقد ظل ونستون تشرشل حريصا على دعابته حتى وفاته مثلما ظل المستشار الالماني اديناور محتفظا بكل وميض نفسيته وتفكيره، كما استمر الرسام الشهير بيكاسو حتى قبيل موته يساهم في تطوير فن الرسم وقلب مفاهيمه السابقة راسا على عقب ٠ ويمكن قول نفس الشيء بالنسبة للجنرال مونتغمري بطل العلمين ، والجنرال ويغان الفرنسي ٠

ومن المعلوم ان خلايا الدماغ العصبية لا تتجدد مطلقا ، لهذا كان لا بد من تشغيلها باستمرار كي تبقى محتفظة بفعاليتها ٠ فالدماغ الذي لا يتوقف عن العمل هو مثل آلة الكترونية تزيد في عدد ارتباطاتها باستمرار ، وهكذا يكون هذا الدماغ قادرا على حل عدد اكبر من المسائل ٠

هذا وينعكس شباب الدماغ النشيط على الجسم بكامله ، فما دام الذهن نشيطا فان الجهاز العضوي بكامله يظل نشيطا ٠ وقد لاحظ الاخصائيون ان رجال الفكر هم الذين يظلون متمتعين بالشباب لاطول فترة ٠ وياتي في الطليعة الباحثون ، والعلماء ، والمهندسون ، والكيماويون ، والبيولوجيون ، ويليهم اساتذة التعليم الجامعي والمحامون ورجال السياسة والشعراء واخيرا الموسيقيون ٠

الحل : الهوايات

ولكن لا تتصور مطلقا انه قد اصبح من المحتم عليك ان تخضع لهرم ذهني وعضوي مبكر لانك موظف او مستخدم او مزارع ٠ والحقيقة فانه باستطاعتك دوما أن تقوم بتمرين ذهنك مهما كان وضعك او مهنتك ٠ حاول بعد تناول وجبة العشاء ان تقوم ببعض القراءات ، ولتكن قراءة سريعة وواعية قدر الامكان لان القراءة تحسن الانتباه ٠ او قم بحل تمارين الكلمات المتقاطعة ، او العب الشطرنج مع احد الاصدقاء ناقش اخوانك في احدث الاكتشافات العلمية ، او في الاحداث السياسية العالمية الاخيرة او الاعمال الفنية ٠ ناقش بشغف وحماس ، لان الحماس ينشط العقل٠

ابحث عن هوايات تساعد على تمرين ذهنك وتشغيله ، كهواية جمع الطوابع٠ تعلم لغة اجنبية

او تحول الى جماعة للامثال الشعبية ، او هاوية لانواع العصافير النادرة او تربية الاسماك .

واذا داهمك سن الاحالة على التقاعد فتابع اهتمامك بالشؤون المالية والعقارية ، والسياسية، او فى حساب ميزانية الاسرة .

ثابر على أن تحيا حياة عصرك،فلا تلتفت كثيرا للماضي الذى قد يتحول الى عبء يثقل كاهلك ، وكن على مستوى قضايا زمانك ، تردد مثلا على دور السينما لمشاهدة الافلام الرصينـة والعلمية والتاريخية بروح نقادة ، ففيها الكثير من البواعث على التفكير العميق ، وشاهد برامج التلفزيون ، وسترى الكثير من الاشياء التى تحرض ذهنك الذى سيبقى فتيا .

ان الاسفار لا تساعد على صيانـة الشباب الجسمي والعقلى فحسب بل تعمل على الاحتفاظ به واطالة امده . اذن سافر كلمـا سنحت لـك الفرصة . وفر بعض الدراهم كي يكون بمقدورك قضاء اسبوع او اثنين فى البلاد الاجنبية ، ولو كان السفر فى السيارات العمومية،فلا شىء كالاسفار يثير الفضول ويحرض ملكة الانتباه ويحث على التفكير مثلما يدفع على حب التغييـر ، وكلهـا طرائق ممتازة لتمرين الملكات الذهنية .

ومن المؤسف أن نقول أن الكثيرين من كهولنا ، وحتى من شبابنا ، لا يزالون يرون فى الرياضة البدنية عملا يتنافى مع الوقار والرزانة . ولكن اصبح من المؤكد الان انه اذا كانت النفس تؤثر على الجسم ، فان الجسم يؤثر بدوره ايضا على النفس ، اى هناك علاقة متبادلة وحميمة بينهما . فاذا كنت تمشى مائل الراس للامام، محنى الظهر ، وبطنك مندفع للامام ، وانت تجر ساقيك جرا ، فانك ستعجز حتما عن التفكير كشاب .

اذن دافع عن نفسك وسر منتصف القوام ، رافع الراس ، وانظر الى الناس والاشياء وجها لوجه وعندئذ ستشعر انك اصبحت رشيقا ، خفيفا ، مليئا بحرارة النشاط والبشاشة .

لا تسمح للشيخوخة بان تنشب اظفارهـا فـى فى جسمك او فى ذهنك لانك اذا ما تراجعت امامها فمن العسير عليك أن تسترد مواقعك الضائعة . حافظ اذن على اعتدال قوامك واتبع نظاما غذائيا موائما لعمرك ، وابتعد عن التدخين الذى يتلف ذاكرتك وجهازك التنفسى ، وكذلك الخمر التى تستنزف قواك العقلية . مارس الرياضة المعتدلة، ولا سيما السير على الاقدام مسافة خمسة كيلو مترات يوميا على الاقل ، دون أن تتعب جسمك لان الانهاك الفيزيولوجي يرهق الـذهن مثلمـا يتعب الجسم . حاول أن تقلد عظماء الرجال من امثال الرئيس الامريكي السابق ايزنهاور الذى ظل حتى اواخر ايامه يمارس رياضة الرجبى ، أو الوزير الفرنسى بول رينو الذى بقى حتى ما بعد الحادية والثمانين من عمره مواظبا على رياضة لعبة السيف والحركات السويدية .

وتردد على الرياضيين فصحبتهم تبعث علـى النشـاط ، وشاهد حفلات المصارعة الحـرة او الرجبى وكرة القدم وستسترد فى كل مرة حماسك الذى كنت عليه فى سن العشرين .

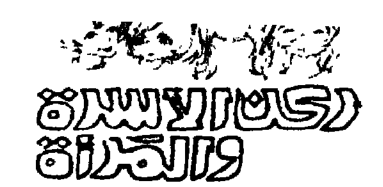
احتفظ بقلبك دافئا

لا تقل مطلقا « كان فى ايامنا » وتجنب الثرثرة النذيرة بالخرف ،ولا تكثر من ذكر خبراتك الماضية، وانس عمرك ، وفكر فى التجارب التى ستعترضك فى المستقبل . خطط مشاريع الايام المقبلة مـع النية الصادقة الجازمة على تحقيقها ، ولا تحسب الربح والخسارة الى مالا نهاية ، ولا تكن مفرطا فى الحذر واحتفظ بقدر معقول من حب المخاطرة .

واخيرا لا تسمح لقلبك بان يهرم بسهولة كان تحرم نفسك من كل العواطف التى تستشعـرها كالحنان والمحبة كالانتساب للجمعيات الخيرية التى ترعى الايتام ، او ذات النشاط الاجتماعي وساهم فى اعمالها بصورة فعالة . فهذه العواطف تعيد النشاط لجسمك كما تمنحـه لعقلك . فالحيـاة العاطفية التى تعمل على تنشيط غددنا تقوم فى نفس الوقت بشحن خلايانا الدماغية وتجدد شباب افكارنا .

والخلاصة : ان حياة الانسان ، على قصرها ، يجب أن تكون مليئة بالنشاط وقادرة على العطاء، فلا تستسلم للمرض او للهرم بسهولة ، وقد قال رسولنا الكريم : لا تتمارضوا فتمرضوا فتموتوا » بل يجب أن نظل رافعى الرأس موفورى العافية فى الروح والبدن ، اذ المؤمن القوى خير عند الله واحب من المؤمن الضعيف . ■■

الرياض ــ عبد الرحمن حميده



من أجل أبنائنا

.. حتى نحميهم من "الغـــزو" والضيـاع!

بقلم : منير نصيف

● لماذا يتزوج الشاب من فتاة غريبة عليه لا تشترك معه في دين او جنس او لغه ؟ ما السبب او الاسباب التي تدفع العديد من الشبان العرب الى الاقبال على هذه الزيجات المختلطة ؟

هل هي ظاهرة ؟ هل هي مجرد نزوه تصيب الشاب في هذا المجتمع الجديد الغريب ؟ ام انها مشكلة اجتماعية ولدت نتيجة لمجموعه من العوامل النفسية التي ما تزال تؤثر في مجتمعنا المحافظ ؟

وقبل ان نحاول ان نبحث عن اجابة للاسئلة التي طرحناها هنا ، نسوق قصة واقعية ، بطلها شاب عربي سافر لاستكمال دراساته العليا في الخارج - بعد ان تخرج في كلية الطب في جامعات بلاده ، وحصل على الماجستير ، ومضى يكمل رحلة العلم ، وهدفه ألا يعود قبل أن يصبح استاذا في الجراحة التي اختارها مجالا لتخصصه !

ثم حدثت المفاجأة، هكذاوصفها لي محدثي وهو دبلوماسي مسئول في احدى السفارات العربية في لندن ، عندما فوجيء بهذا الشاب اللامع في صباح احد الايام وهو يطرق باب مكتبه ، ولم يكن وحده ، كانت ترافقه فتاة شقراء تتعلق بذراعه ، وتتقدمه في جرأة ، واكتفى الشاب بالقاء تحية الصباح ، ثم وقف حائرا لا يدري ماذا يقول ، ولا من أين يبدأ .

نضوج .. ولكن

« وكانت مفاجأة ، كما ذكرت لك ، فانا اعرف هذا الشاب ، واعرف اسرته ،وهي اسرة كريمة ، واعرف بعد هذا انه رجل ناضج ، كرس حياته ووقته كله للدرس والتحصيل ،وكنت القاه كثيرا في شقته الصغيرة التي كان يمضي فيها معظم وقته مع الكتب ، وفي الكلية التي يدرس فيها وفي مكتبي عندما كان يجيء الي ليحدثني عن العمليات الجراحية الخطيرة التي شارك في اجرائها مع اساتذته .. ولكنني لم اره ابدا مع فتاة، حتى زميلاته في الكلية، فقد كان يحرص دائما على ان يعيش حياته وحده، لا لأنه يخشى ان يضعف امام المرأه ، ولكن لانه كان يؤمن بان وقته لن يتسع للاثنين معا .. الدراسة وهي هدفه الاول الذي لابد له ان يصل اليه،والبحث عن فتاة تشاركه حياته في هذه المرحلة الصعبة التي لم يكن فيها مكان لهذه المشاركه .. فقد كانت حياته كلها ملكا له وحده ! »

اقدم لك خطيبتي !

ويمضي الدبلوماسي يكمل القصة : « وتوقعت ان يقول صاحبي اي شيء وهو يقدم لي الفتاة التي كانت تصاحبه ، بعد وقفة تامل وتفكير طويلة، الا هذا الذي قاله... قال وهو يتفرس في وجهي، وكانه يحاول ان يقرأ رد الفعل الذي سيحدثه الخبر الذي جاء يحمله معه في صدره وفي ذراعه الممدودة وهو يشير اليها في خجل وحياء شديدين : «اقدم لك خطيبتي ! انني لا اعرف كيف ولا متى احببتها ولكنها كانت دائما معي وبجانبي ، في كل مرة ذهبت فيها الى المطعم الصغير كلما احسست بالجوع



كانت تقدم لي اشهى ما عندها من اطباق . وكانت تجلس هنالك في ركن قصي . ترقبني وانا آكل . فاذا انتهيت وحدتها تقف امامي تودعني بابتسامة رقيقة .. كانت في البداية ترفض دعوتي لها بمشاركتي الطعام .. ولكنها مالبثت ان استجابت في النهاية بعد تردد .. ولم تكن تأكل .. وانما كانت تقنع بمجرد النظر الي وتلبية طلباتي حتى اذا جاء زبون جديد ، تركت مقعدها لتودي واجبها نحوه ، ثم تعود مرة اخرى للجلوس امامي ..

– هل تريدني ان امضي في سرد بقية قصتي معها ؟

– بل انا مصمم ان اعرف كل شيء عنها .. لماذا هي ، وقد كان في وسعك مثلا ان تختار واحدة من زميلاتك في الكلية .. مضيفة في مطعم ؟ ما اظن ان اسرتك سوف ترضى عن هذا الزواج !

دائما .. نفس القصة !

وقال الشاب في عصبية ظاهرة ، عكست رد الفعل الذي احدثه كلامي في نفسه :«لا ، انت لا تعرفها ، انها ليست كبقية الفتيات .. لقد روت لي كل شيء عن نفسها وحكايتها مع الزمن ..لقد اضطرتها ظروف الحياة القاسيه الى قبول هذه الوظيفة المتواضعة .. انها ابنة محام معروف رحل دون ان يترك لاسرته شيئا . فقطعت دراستها حتى تستطيع ان تعول امها واخوتها الثلاثة الصغار.. ثم انني احبها . واريدها زوجة لي . واما لاطفالي .. لقد عرفتها ودرست طباعها واخلاقها ، قد لاتعرف ان صداقتنا بدأت منذ اكثر من عشرة اشهر . كنا نلتقي في عطلة نهاية الاسبوع ، ونقضي اليوم معا من الصباح حتى المساء ، لقد ملأت حياتي في الفترة الاخيرة بعد خمس سنوات كاملة قضيتها وحدي في الغربة بعيدا عن الاهل والوطن .. »

« وتزوجا .. وانهى الشاب دراساته العليا ، وحقق هدفه ، وحمل شهادته وعروسه وعاد بهما الى بلده !

« ومرت ثلاث سنوات ، لم اسمع خلالها شيئا عنه أو منه ثم كانت المفاجاه عندما قصدت يوما المطعم الصغير الذى كان صديقي الطبيب يتناول فيه وجباته..هنالك التقيت بها، نفس الفتاة التي تركت اهلها وبلدها وذهبت لتبدأ حياتها الجديدة مع الرجل الذى احبها واعطاها كل شيء !

وفشل الزواج !

وحيتني ، وهي تدعوني الى الجلوس امام احدى الموائد الشاغرة ، ونظرت اليها فرايت في عينيها لهفةغريبة وكأنها تنتظرمني ان ادعوها الىالجلوس وفعلت . ولم تنتظر .. كانت تعرف ماذا يدور في رأسي ، وماذا اريد ان اعرف ، وانطلقت تحكي لي كل ما كانت تحمله في صدرها منذ عادت الى بلدها وحدها بعد ان تركت طفليها اللذين رزقت بهما من زوجها في رعايته ، قالت « لقد جئت منذ ثلاثة اسابيع .. ولم يكنممكنا انافعل غير ما فعلت .. انني لا الومه ، فقد كان كريما معي ، سخيا في عطائه .. ولكنني لم اعد قادرة على الاحتمال .. لقد حاولت .. وحاولت كثيرا ان اكيف حياتي مع البيئة الجديدة التي وجدت نفسي اعيش فيها من اجله هو..ولكنني فشلت.. كان كل شيء من حولي يذكرني بانني لا انتمي لهذا المجتمع .. كل شيء في داخلي يقول لي«هذا ليس مكانك ! » كل شيء اصنعه .. كل عمل اقوم به يثير دهشة الناس واستنكارهم أحيانا ..

« تجربة لايمكن ان اصورها لك ، ولايمكن ان يتصورها الا من عاشها مثلي ! ولم اجدفي النهاية سوى حل واحد لمشكلتي .. وكان الحل بيدي .. طلبت الى زوجي ان يطلقني ! وافزعته الفكرة ، ولكنه مالبث ان اقتنع بها عندما احس بانني اتعذب ، وانه هو وحده الذى يستطيع ان يضع حدا لهذا العذاب ..

« وافترقنا كما التقينا ، كاحسن ما يكون الاصدقاء .. بعد ان وعدني بان يتيح لي فرصة

زيارة الطفلين كلما شعرت بالحنين اليهما .. ان اصغرهما لم يكمل شهره التاسع .. بالامس حمل لي البريد رسالة منه ، ومع الرسالة صورة له مع زوجته الجديدة .. الفتاة التي اختارها له والداه .. قال وهو يودعني في نهايتها : « انها تعرف كل شيء عنك .. وستكون اما لطفليك اننا نرحب بك ضيفة علينا في اي وقت .. فبيتنا مفتوح لك .. وهو بيتك ايضا فقد تركت فيه اجمل واعظم هدية تقدمها امراة لزوجها »

وقمت اودعها بعد ان انتهيت من تناول طعامي، وسالتها :

« وهل تعودين ؟ »

قالت : لا أظن انني ساعود مرة اخرى مهما بلغ بي الحنين ! »

وانتهت القصة .. وهي واحدة من عشرات القصص التي نسمعها وان اختلفت ظروف ابطالها .. لماذا يتزوجون في هذه المجتمعات الغريبة عليهم ؟

عطف ، وليس حبا !

حالة هذا الشاب ، بطل هذه القصة قد تختلف ظروفها ، كما يراها بعض الباحثين في هذه المشكلة الاجتماعية .. فقد كان واضحا من احداثها ان الشاب يعاني من الوحدة ..لمان فكرة الزواج اصلا لم تكن في ذهنه ، وهو يمضي في طريق العلم نحو هدفه المرسوم .. والذي حدث بينه وبين هذه الفتاة لم يكن حبا بقدر ما كان عطفا على فتاة فقيرة مكافحة ، استطاعت بحديثها ان تستدر شفقته ، وان تملأ جانبا من الفراغ الذي كان يحس به ، كلما جلس وحده امام مائدة الغداء أو العشاء ..

هل كان من الممكن ان ننقذ هذا الشاب من المشكلة التي عاشها وهو يعود بزوجته الاجنبية الى ذلك المجتمع الذي لا تنتمي هي اليه والذي فشلت تماما في ان تذوب فيه وتعوذ نفسها عليه ؟

رأي .. وحل !

« لو كان لي ابن في مثل ظروف هذا الشاب ،لما تركته يسافر وحده .. انني الوم والديه اللذين لم يحاولا اقناعه بالزواج بمن يختار من بنات بلده قبل ان يبدأ رحلته الى هذا العالم المجهول ..فليس في الغربة شعور اقسى وامر من الشعور بالوحدة ، والحنين الى الوطن والاهل والاصدقاء .. وعندما يجد الرجل انسانا عزيزا عليه يتحدث لغته ،وينتظر عودته ويقلق لغيبته ، يشعر انه لم يبتعد يوما واحدا عن الارض التي نبت فيها والاهل الذين احبهم واحبوه ، وعلقوا كل آمالهم به ! »

هكذا حل لنا احد كبار الاخصائيين الاجتماعيين مشكلة هذا الشاب ، وكل شاب يستعد للسفر للخارج لاتمام دراساته العليا .

ولكن هناك اسبابا اخرى تجعل بعض شبابنا يفضل الزواج من فتاة اجنبية ! ماذا يجد فيها ولا يجده في الفتاة التي نشات وتربت في بلده وبيئته؟

والجواب على هذا ببساطة أن الأولى «الغريبة» عرفها ، والثانية « القريبة » لا يعرفها ! كيف ؟

مشاعر .. واحاسيس

يقول استاذ في علم النفس : « الحب الذي ينشا بين قلبين هو شعور لا يعرف احد حتى الآن كيف يفسر أسبابه ودوافعه الكامنة ! ولكن الذي يمكن ان نقوله هو انه عندما نجد شابا وفتاة تعاهدا على الزواج ، نكتشف ان هناك اشياء كثيرة يجدان متعة في القيام بتاديتها معا .. وهناك اهداف يشتركان في رغبتهما في الوصول اليها وتحقيقها خلال رحلتهما في الحياة ..وان كلا منهما ينظر الى الاخر نظرته الى اعظم مخلوق في الدنيا .. وان اجمل اللحظات التي يقضيانها هي تلك التي يجلسان فيها ويحلمان بالمستقبل المشرق الذي ينتظرهما وما سوف يحققانه في مسيرتهما معا نحو الغد القريب والبعيد !

هذه المشاعر والاحاسيس هي الشيء الظاهر الواضح الذي يمكن ان نستند اليه في تعريفنا للحب الحلال الذي يسبق رباط الزواج ونحن نرى ابناءنا يتعاهدون على الوفاء بعد اتمام رحلتهما مع الدرس والتحصيل وبداية رحلة العمل من اجل الرزق والعيش ،فقد انتهى عهد الوالدين اللذين يختاران لابنهما شريكة حياته !

هذه المشاعر هي قمة النضج .. ولكن كم من الشباب والفتيات عندنا اتيحت لهم فرصة التعارف الذي لا بد ان يسبق رباط الزواج !

« الحرية » التي نأباها

لا نريد ان نخوض فيما يحدث عندهم خارج حدود بلادنا .. لاننا ما نزال نعيش في ظل عاداتنا

وتقاليدنا التي تفرضها علينا تعاليمنا الدينية.. ثم ،وهذا هو المهم ، اننا لا نقر ما عرفناه عنهم وعن « الحرية » التي يمنحونها لبناتهم ، والتي تصور لابنائنا انهم ما يزالون يعيشون في مجتمع متخلف ، او غير متحضر ، كما يصفه بعض الشباب العربي — للاسف التسديد — في الندوات التي تقيمها نوادي وجمعيات الصداقة بين العرب وغير العرب من شعوب اوروبا .

هذه « الحرية » هي التي اتاحت للشاب العربي فرصة التعرف على الفتاة التي غالبا ما تنتهي علاقته معها بالزواج ، ونحن نرفضها ولا نقرها . ونحمد الله على ان اخلاقنا ما تزال بخير .

دعوة للتعارف البرىء

ولكن اليس هناك من وسيلة اخرى لمنح الشباب فرصة للتعارف .. هنا في بلدهم وداخل حدود ارضهم؟ان التعارف قائم وموجود فعلا في الادارات والهيئات والمؤسسات الحكومية والاهلية على السواء بعد ان نفضت المراة عن نفسها تراب العزلة وانتزعت حقها في التعليم والعمل واثبتت وجودها كقوة مؤثرة في المجتمع .. وانها دعوة الى اتاحة الفرصة للشباب المتعلم المثقف الواعي الى معرفة الفتاة القريبة منه البعيدة عنه .. تلك التي ستصبح له زوجة واما لاطفاله ، وعونا له في بناء المجتمع وتقدمه ورفاهيته .. انها دعوة لمعرفة تتيح للطرفين على السواء دراسة بعضهما البعض وقراءة افكارهما وتصورهما للحياة ومعناها وفلسفتها .. وهي دراسة لا تتم بعيدا عن عيون الرقباء .. وانما هي تجرى تحت اشرافهم وبتشجيع من الاخصائيين الاجتماعيين من الجنسين في النوادي والجمعيات الثقافية والاجتماعية التي يمكن ان تشارك فيها الجامعات والاتحادات النسائية بصفة خاصة ..

انهار الحائط .. ولكن

ان الحائط الذي اقمناه ليفصل بين الشاب والفتاة قد تهاوى منذ زمن بعيد شئنا ام لم نشأ .. فهذا هو الواقع . والحجاب الذي طالما اخفت المرأة وجهها وراءه حتى لا يراها الرجل . قد اختفى بدوره او هو في سبيله الى الاختفاء .. فلم نر طبيبة تمارس مهنتها من وراء نقاب .. ولم نسمع عن مدرسة تلتقي بطالباتها وهي تخفي وجهها ، فكلهن سافرات .. او محامية تقف أمام القضاء تترافع عن موكلها من وراء الستار .. يقول الاخصائيون الباحثون ، ان الامر بايدينا ، ولا بد لنا ان نساعدهم .. نساعد ابناءنا على السير في الطريق الجديد .. وهو طريق يختلف تماما عن هذا الذي سار فيه آباؤنا واجدادنا من قبلنا انه الطريق الذي يمسك فيه الرجل بيد المرأة التي تشاركه حياته ويسيران فيه معا جنبا الى جنب ليضعا اسس الحياة لمستقبل افضل واكثر اشراقا .. فلنحم ابناءنا من « الغزو » الخارجي الذي يحمل معه المساوىء والمآسي (١) اننا بهذا وحده نساعد فتياتنا على استعادة ثقتهن بانفسهن ، ونرسم لهن صورة جديدة في اذهان شبابنا الواعي الناضج .. صورة لا تغيب عن اذهانهم ابدا مهما بعدت الشقة وطال غيابهم عن ارضهم وبلدهم .. صورة يبحثون عنها ويعودون اليها عندما يشعر احدهم بحاجته الى البحث عن نصفه الحلو واكمال دينه بالزواج .. تماما كما يفعل الكثيرون من ابنائنا الذين عاشوا جانبا طويلا من حياتهم في الغربة بعيدا عن اوطانهم .. وكما فعل المليونير الامريكي جولبنكيان ، وهو من اصل ارمني ، وكانت المعجبات بـه وباموالـه وثروته كثيرات .. ثم فوجئوا به يوما يستقل الطائرة الى جهة غير معروفة ويختفي تماما عن العيون والاضواء التي لم تبهره يوما !

اين ذهب ؟ لقد سافر الى سوريا ليبحث بنفسه عن زوجة من بنات جنسه ارمنية مثله تتحدث لغته وتدين بدينه .. ثم عاد اليهم حاملا عروسه التي اعطاها اسمه وثروته .. واعطته كل ما كان يحمله قلبها من حب ووفاء . ■■

منير نصيف

---

(١) القاعدة ان الزواج بين الشاب العربي من اجنبية ماله الفشل .. ولكن كم من هذه الزيجات كانت موفقة وناجحة . عاشت فيها الزوجة العربية رحلة العمر كله مع زوجها في مجتمعه بكل عاداته وتقاليده واخلاقه ومثله .

في بلاد الموريسك

المسلمون مروا من هنا

كامبيلرا وبانيترا من قرى البشرات التى تتناثر فوق الجبال كأعشاش النسور وترى على البعد



غرباء الاندلس

بقلم : فهمي هويدي
تصوير : أوسكار مترى


جبال نيفادا المغطاة بالثلوج .


من احفاد الموريسيكيين ، لم يبق من الاجداد الا الملامح والاساطير .



عاشوا ١٢٥ عاماً مسلمين في السر مسيحيين في العلن !!

■ هذه القصة تاريخ محض ، ذهب ابطاله وطويت صفحته منذ حوالي خمسة قرون . وكل ما فعلناه أننا ذهبنا الى المسرح الرئيسي لاحداث تلك الملحمة الرائعة التي سجلها مسلمو الأندلس البواسل ، الذين اضطروا الى اعلان التنصير في ظل ظروف تعسة ، وصفها أحد معاصريها ـ الكاردينال ريشيلو ـ في مذكراته بقوله: انها اكثر صفحات التاريخ الانساني فظاعة ووحشية .

لكنهم ظلوا مسلمين سرا طوال قرن وربع ، يقاومون الرعب والارهاب والموت . ظلوا قابضين على « الجمر » كما يقول الحديث الشريف ، حتى طردوا جميعا من الاندلس .

ذهبنا الى معقلهم المنيع فوق جبال البشرات الشاهقة جنوبي أسبانيا ، حيث تتناثر قراهم كاعشاش لنسور على ارتفاع ثلاثة آلاف متر فوق سطح البحر . وهناك استرجعنا احداث الملحمة وتتابع فصولها الدامية والمثيرة .

اذا اضافت القصة شيئا الى معرفة القارىء ومعلوماته ، فقد حققت بعض أهدافها . واذا استثارت فيه مشاعر الرفض لمختلف صور التعصب الاسود ، فقد حققت كل أهدافها . أما اذا حركت بأي قدر ، أي حس طائفي أو عنصري ، فقد فشلت فشلا ذريعا بكل المقاييس .. كقصة وكتاريخ وكعمل صحفي .

دخلوا التاريخ باسم الموريسيكيين ..

وكلمة « موريسيك » تعني شيئا واحدا فقط هو : المسلم . والاسبان هم اصحاب هذه التسمية منذ كان اول عبور للاسلام الى اوروبا عن طريق المغرب العربي ، الذي كان يعرف في اللغة اللاتينية القديمة باسم موتيانا تنغوانيا (موريتانيا وطنجة) . وقد ربطوا في اسبانيا بين الدين والمكان ، بين الاسلام وموريتانيا . واصبح المسلمون في نظرهم ـ اينما وجدوا ـ موروس . واصبحت اسماء المسلمين تعرف باسم « موريريا » . ومن هنا جاءت كلمة الموريسيك او الموريسكوس كما يقول البعض .

وقد حمل الاسبان هذه التسمية معهم الى الفلبين ، عندما احتلوا جزرها في القرن السادس عشر ، فاطلقوا على المسلمين وصف المورو . وعاشت التسمية الى الان . ومنها اشتقت عبارة « جبهة تحرير مورو » ، التي تحارب باسم المسلمين في الفلبين .

وعلى كثرة ما كتب عن الاندلس في العالم العربي والاسلامي ، من سرد للتاريخ ومراثي دموع سكبت على صفحاته . فان قصة الموريسيكيين ظلت بعيدا عن متناول الكثيرين . كانما كتب على هؤلاء الرجال البواسل ان يظلوا مسلمين في السر تحت حكم ملوك قشتالة ، وان يظل أمرهم سرا ايضا في سجلات التاريخ العربي !

اذ انه ليس في الكتابات التاريخية العربية القديمة غير مؤلف واحد لشخص مجهول عاصر ملحمة الموريسكيين ـ كان من اشراف غرناطة فيما يبدو ـ وسجل بعض صفحات حياتهم في كتاب يحمل اسم « اخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر » . وفي العصر الحديث لم يصدر عنهم بالعربية غير كتاب واحد فقط ـ ايضا ـ لاحد العلماء العرب

الذين كرسوا حياتهم لدراسة تاريخ المسلمين فى الاندلس ، هو الاستاذ محمد عبد الله عنان ٠وقد صدر هذا الكتاب منذ ثلاثين عاما باسم « نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين » ٠

لكن الباحثين الغربيين تنبهوا منذ القرن الثامن عشر الى هذه المرحلة المثيرة فى تاريخ مسلمى الاندلس ، فصدرت عنهم كتابات عديدة ـ وما زالت ـ باللغات الاسبانية والفرنسية والانجليزية٠

على طريق البشرات

واثناء التنقيب عن هذه التسمية الهائلة ـ كما يصفها بعض الباحثين الغربيين كانت كلمة « البشرات » تتردد باستمرار (والبشرات) هي الارض الجبلية الوعرة ، فى اللغة العربية ٠ الثورات التى لا تخمد تتوالى فى منطقة البشرات٠ المتمردون يعتصمون بها ، حملات التاديب والردع توجه اليها٠ المساعدات للمحاصرين فىغرناطه كانت تتسرب عن طريقها ٠ ابو عبد الله آخر ملوك غرناطة عندما وقع وثيقة تسليم قصور الحمراء الى فرناندو الخامس ملك قشتالة ، لم يجد غير منطقة البشرات لكى يقيم فيها ٠

على اول طريق البشرات وقفنا ٠ خرجنا من مدينة غرناطة يصحبنا مستشرق اسبانى هو الدكتور اماديو ، الذى تخصص فى دراسة تاريخ الموريسيك ويعمل استاذا فى كلية الاداب بجامعة غرناطة ٠

قال لنا الدكتور اماديو بلغة عربية سليمة كان يستحضر بعض مفرداتها بعد شرود وتفكر : قبل ان نبدا الرحلة ، ثمة اشياء تحتاج الى تصحيح وايضاح ٠ كلمة البشرات ـ مثلا ـ ليست متداولة هنا ٠ فهم فى اسبانيا يعرفون تلك المنطقة الجبلية ب «البوخاراس»٠ ولعلمكم ـ هكذا قال ـ فان الاسبانية هى اللغة الوحيدة التى ينطق فيها حرف خ كاملا ، كما هو فى العربية ٠ ايضا نحن ننطق حرف الثاء مثلكم ٠ وذلك من تاثيرات الوجود العربى والاسلامى فى اسبانيا ٠ وبالمناسبة ـ اضاف ـ فلدينا ٨ الاف كلمة اسبانية من اصل عربى ٠

والمنطقة التى نحن متجهون اليها ـ البشرات او البوخاراس ـ مليئة بالقرى والاماكن التى تحمل اسماء عربية ٠ فقرية « اتابيطى » هى فى الاصل حارة ابن البيطار الطبيب العربي الشهير ٠وميتنيا الفخار » هى مدينة الفخار٠و « تلاراب » هى قرية او تل العرب ٠وقرية « تشيت » هى الشط او الشاطئ٠ و « جبل ثغور » هو جبل الثغور ، وجبل « مولاثن » ينسب الى مولاى الحسن من مشاهير ملوك غرناطة ٠٠ وهكذا ٠

واستطرد يقول : ومما يحتاج الى ايضاح ايضا ان الموريسيكين لم يكونوا فى منطقة البشرات وحدها ٠ لقد كانوا منتشرين فى ارجون وقشتالة وبلنسيه ٠ (أسماء هذه الممالك لم يعد لها وجود الان الا فى كتب التاريخ) لكن وجودهم فى غرناطه اثار الانتباه بشكل خاص لانها تحولت الى مملكة بعد انهيار المقاطعات الاسلامية فى الاندلس ٠ بل ظلت مملكة غرناطة تحمل وحدها راية الاسلام على مدى قرنين تقريبا ٠ ولانها كانت حصن الاسلام الاخير فى الاندلس ، فقد احتمى بها كل من استطاع الوصول اليها من المسلمين ٠

داء التقاطع !

وانطلقت بنا السيارة ٠

قصور الحمراء وراء ظهورنا ، تطل على الارض الشاسعة فى جلال وكبرياء من فوق جبل اخضر ٠ وتحكى فى صمت مهيب قصة مجد غابر ، ومحنة المسلمين فى الاندلس،بل وفى كل عصر ٠ وغرناطة ذاتها تحولت الى مزار سياحى ٠ ثروته الوحيدة هى بقايا تلك الحضارة الاسلامية العظيمة٠والمشهد الاخير فى تسليم غرناطة ـ الذى لا يزال يدمى قلوب المسلمين فى كل مكان ـ تحول الى صورة فوق بطاقة ملونة يعبث بها الصغار ٠ ويشتريها السياح بدراهم قليلة ليكتبوا فوق ظهرها كلمات كسولة تتطاير فى انحاء العالم ٠فى الصورة نجد فرناندو



خريطة شبه جزيرة أيبريا (أسبانيا والبرتغال) تحدد موقع غرناطة ومنطقة البشرات ٠



لقطة من شرفة قصر الحمراء الشهير فى غرناطة ، والشرفة تطل على حى البيازين الذى تمركز فيه المسلمون حتى بعد سقوط الاندلس



تربية الدواجن في المنازل عادة منتشرة بينهم ، والدواجن تطل على المارة في الشارع .

في غرناطة يعمل اكثرهم بالتجارة ، يفترشون الميادين ويبيعون كل شيء .

الانتقام من النصارى المقيمين في غرناطة ، او الممالك الاسلامية الاخرى مثل مصر وتركيا .

لكن الكنيسة كانت تضغط بعنف للتخلص من المسلمين ، معتبرة ان مجرد وجودهم في ممالك الاندلس تحديا لها . ومنذ اوائل القرن الثالث عشر توالت اوامر البابوية وقراراتها ضد المدجنين، والحض على استرقاقهم وتنصيرهم . وقد امر البابا الفرسان الرابع في سنة ١٢٤٨ م خايمي الاول ، ملك اراجون ، بضرورة استرقاق المسلمين في الجزائر الشرقية . ولم يستجب خايمي لهذا التحريض .

لكن صمود السلطة المدنية لضغوط الكنيسة لم يستمر طويلا .

ذلك انه بمضي بعض الوقت صدرت القوانين والاجراءات التي كانت تطالب بها الكنيسة . ففي بعض المناطق منع المسلمون من الاكل او الاستحمام مع النصارى وحرم على المسيحي ان يعالج مسلما مريضا ومنع المسلمون من اداء شعائر الدين علنا(٢) .

اليانعة ، التي كان يطلق العرب عليها اسم الجنات لكثرة خيراتها .

وصلنا الى مدخل البشرات ..

اجتزنا قنطرة صغيرة وواجهتنا كتلة هائلة من الجبال الصخرية تعطي انطباعا لاول وهلة بان الطريق مسدود . وانه لا منفذ الى هذا العالم الصخري . قال الدكتور اماديو : وسط هذه الجبال كان هناك مدخل واحد ضيق لا بد ان يمر به كل عابر الى منطقة البشرات . وبوسع القابعين فوق الجبال ان يقطعوا الطريق بسهولة بالغة . وعندما يتم التحكم في المدخل تصبح جبال البشرات آمنة تماما . ومن هنا كانت البشرات انسب حصن يعتصم به المسلمون .

هذا المدخل الضيق تحول الان الى طريق ممهد يشق جبال الصخر عند منحنى تتعذر رؤيته عن بعد . قال مرافقنا : ان شق هذا الطريق تم في القرن التاسع عشر لاسباب عسكرية .

عبرنا المضيق الى منطقة البشرات ..

---

(٢) في كتاب الاستاذ محمد عبد الله عنان عرض مقارن لموقف الحكومات الاسلامية في الاندلس من النصارى وغيرهم . من ذلك مثلا انه انشىء في ظل حكومة قرطبة منذ عهد الحكم بن هشام ديوان خاص للنظر في شئون اهل الذمة «النصارى واليهود» يتولاه احد كبار الرهبان المسيحيين يطلق عليه قومس اهل الذمة .



خوسيه وخوسيفه ، كل ما يعرفانه عن العرب ان التليفزيون يربط بينهم وبين البترول !



قراهم هى صورة طبق الاصل من قرى المغرب و « الحمار » او « البغل » هو وسيلة الانتقال الوحيدة فى الجبل ٠

فوجئنا بان وراء هذا الحاجز الصخرى المتجهم، سهل منبسط على مدى الرؤية تتربع فوقه تلال وراء تلال ، تتدرج ارتفاعا حتى تكاد تلتصق بالسحاب • وبين هذه التلال تتمدد قرى البشرات ببيوتها البيضاء وسط زراعات كثيفة احيانا ومساحات جرداء فى جوانب اخرى •

كل انواع الزراعات فى البشرات • زراعات للمناطق الحارة والباردة • من قصب السكر الى الصنوبر مرورا بالزيتون والقمح واكثر انواع الفاكهة • ذلك ان كل مستويات الطقس تتوفر للمنطقة • من الجو شديد الحرارة قرب البحر الى القمم الثلجية التى تعد امتدادا لجبال سيرانيفادا الشهيرة وترتفع ٣٥٠٠ متر فوق سطح البحر •

وبسبب هذه المناطق الثلجية عند القمم فان المياه تتوفر طوال العام بل هى ثروة رئيسية ، اعتمادا عليها تقوم كل الزراعات •

الصمت يخيم على المنطقة التى تطوقها جدران عالية من الجبال فى كل اتجاه ، واى صوت يتردد صداه بسرعة • لا يمزق هذا الصمت سوى خرير المياه التى تنساب من قمم الجبال،وزقزقة العصافير ولهو الصغار وصياح النسوة بين الحين والآخر • ثم صوت حوافر البغال التى هى وسيلة الانتقال الشائعة بين سكان القرى •

الطريق الى قلب البشرات رفيع ووعر يتلوى كالثعبان • تكاد تصاب بالدوار وانت تصعد من جبل الى جبل ، ويخيل اليك ان السيارة تدور حول نفسها •

يمزح مرافقنا الدكتور اماديو مع فتاتين تحملان سلال البرتقال بينما تقودان فى الوقت ذاته بغالا تحمل الزيتون • ثم يقول : برغم كل ماترونه الان فان منطقة البشرات كانت اكثر رخاء على ايام المسلمين • كانوا يعتنون عناية فائقة بالزراعة وكانت هنا صناعة مزدهرة للحرير نشأت فى ظل اشجار التوت وبسببها • واذا كنتم قد سمعتم عن الحرير الاندلسى ، فان هذه المناطق هى مواطن ذلك الحرير •

اما الان سيمط اماديو شفتيه ليواصل الكلام، فقد اهمل الناس امر الزراعة • بعدما مدوا ابصارهم الى المدن ونزحوا اليها للعمل •

مشاهد قصة التنصير

ويحكى اماديو • • •

يشير الى القرى المتناثرة حولنا قائلا ان عددها ٦٥ قرية تحيط بها حوالى الفى مزرعة صغيرة • وسكانها الان ١٤٠ الفا • يتناقصون عاما بعدعام بسبب تزايد الهجرة الى المدن •

اشار الدكتور اماديو الى مبنى بعيد يشبه القلعة ثم قال : اسمه «لامثجيديا» اى المسجد • لقدكان فى كل قرية مسجد وبعد سقوط الدولة الاسلامية صار المبنى مسجدا فى جانب وكنيسةفى جانب اخر • وبعد عدة سنوات تحول المكان الى كنيسة فقط وظل يحمل نفس الاسم «لامثجيديا»

وتحت لافتة كتبت عليها كلمة «الاقيه» وقفنا • اكتشفنا انها تعنى « الساقية » • دخلنا الى مقهى صغير لنستريح من دوار الطريق ••

تفرست الوجوه جيدا • لم اجد شيئا مما جئت ابحث عنه • لاحظ اماديو ذلك وقال ضاحكا هؤلاء ليسوا من افاريك • لكن « الاقية » هذه واحدة من القرى الاولى التى تركزت فيها حركة التنصير وسألنى : اتعرف القصة ؟ ••

وقبل ان ارد عليه كان قد واصل الكلام • ظل يروى مشاهد قصة التنصير الدامية •

الملاينة والتريث فى البداية • الابقاء على المسلمين المقهورين لاسباب اقتصادية •

ضغوط الكنيسة للتخلص من المسلمين تتزايد • يلح الكردينال خمنيس مطران طليطلة ورأس الكنيسة الاسبانية ، والدون ديجو ديسا « المحقق العام » لمحاكم التفتيش (يعتبر الاستاذ عبدالله عنان ان التسمية الصحيحة هى ديوان التحقيق)• تفلح الجهود اخيرا ويستدعى الكردينال خمنيس الى غرناطة ليبدأ مهمة تنصير المسلمين فى شهر يوليو ١٤٩٩ (٩٠٥ هـ) • يبدأ الرجل بمن بقى من الوزراء والقادة المسلمين ، ويستخدم معهم مختلف وسائل الترغيب والترهيب •

عند أضعف الحلقات

بدأ الرجل الماكر باضعف الحلقات ، لانه يعلم كيف يتصارع هؤلاء من اجل الجاه والسلطان • كيف كان يطعن الابن اباه ، ويتآمر الصغير على الكبير ويتطاحن الاشقاء من اجل الجاه والسلطان• كيف بلغ الاستخذاء والتهالك ببعضهم حتى انهم كانوا يلجأون الى الملوك الكاثوليك يتنصرون ويبيعون دينهم ، حتى يؤيدهم هؤلاء الملوك على منافسيهم من المسلمين الاخرين • نماذج من هؤلاء

هى التى استجابت للدعوة الى التنصير فى البداية •

تنصر الاميران سعد ونصر • ولدا السلطان ابوالحسن من زوجة كاثوليكية • صار الاول الدون فرناندودى جرانادا • وصار الثانى دون خوان دى جرانادا•وتنصر سيدى يحيى الفيار قائد منطقة المرية واصبح ابنه على :« الدون الونسو (على تحولت الى الونسو) دى جرانادا فينجاس» وعميد آل الثغرى الذين اشتهروا فى الدفاع عن غرناطة اصبح اسمه «جونثالفو فرنانديه تجرى» ••وهكذا •

استمرت خطة التنصير بالاغراء والاكراه ••• حولت المساجد الى كنائس • ولم يعترف للمسلمين بحق او حتى مظهر • وامر الكاردينال خمنيس بجمع كل ما استطاع الحصول عليه من الكتب العربية والمصاحف البديعة من اهالى غرناطة ورصدت اكداسا هائلة فى ميدان باب الرملة اكبر ساحات المدينة ، واحرقت الكتب عن آخرها • ولم يستثن منها غير ٣٠٠ من كتب العلوم والطب ، حملت الى جامعة انشاها خمنيس • وترجع التقديرات انه راح ضحية هذا الحريق ، الذى قضى على خلاصة ما بقى من تراث الفكر الاسلامى بالاندلس ، حوالى ١٠٠ الف كتاب نفيس •

فى الوقت نفسه صدرت القوانين التى تعفى المسلمين الذين يتنصرونمن الضرائب والغرامات• وتغفر لهم الذنوب التى ارتكبوها قبل تسليم غرناطة !

بعد حديقة غرناطة انتقلت جهود التنصير الى بقية انحاء المملكة ، الى البشرات والمرية وبسطة ووادى آش • وارسل خمنيس مبعوثا له الى بلدة الساقية التى نجلس فيها ، جمع اهل القرى المحيطة بها ، واعلن امامهم القرارات التى تمنع المسلمين من اقامة اى شعائر،وتعطى امتيازات عديدة للمتنصرين ، بينما هدد من بقى على اسلامه بمختلف صور الوعيد •

عند هذا المشهد تروى كتب التاريخ الكثير • فهذا المقرى ينشر فى كتابه «نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب» ، انه«•• تعرفنا من غير طريق وعلى لسان غير فريق ان قطر الاندلس طرق اهله خطب لم يجد فى سالف الذكر • وذلك انهم اكرهوا بالقتل ان لم يقع منهم النطق بما



مدحل منطقة البشرات •• كتلة هائلة من الصخر كان يتعذر اجتيازها •

يقتضى فى الظاهر الكفر،ولم يقبل منهم الاسر•»

ورسالة اخرى تقول « لو رأيتم ما صنع الكفر بالاسلام بالاندلس واهليه ، لكان كل مسلم يندبه ويبكيه • فقد عبث البلاء برسومه وعفى على اقماره ونجومه • ولو حضرتم من جبر بالقتل على الاسلام ، وتوعد بالنكال والمهالك العظام • ومن كان يعذب فى الله بانواع العذاب، ويدخل به من الشدة فى باب وخرج من باب ، لانساكم مصرعه وساءكم مقطعه » •

عند خندق الدم

ونحن فى المقهى ، تقدم منا رجل ريفى يحمل تحت ابطه صحيفة مطوية ، وسالنا : ارابو ؟ •• هززنا رؤوسنا علامة الايجاب ، وقالله اماديو : نعم عرب •

قال لنا : لا بد اذن ان تذهبوا الى خندق الدم• لم نضيع وقتا • بعد دقائق كنا هناك • وقفنا عند حافة واد عميق • فى الجزء العلوى منه كان بعض الفلاحين يحرثون الارض المائلة تمهيدا لزراعتها ، وبالقرب منهم صبى صغير يلهث وراء قطيع من الغنم •

تجمع حولنا بعض عجائز (الساقية) ، ورووا لنا قصة خندق الدم •

بعد سقوط غرناطة بسنوات قليلة • وبدء اجراءات التنصير ، التى ووجهت بالمقاومة والثورة، فى المناطق الجبلية بوجه خاص ، قرر مجلس



على واجهة المحل
نقشت بحروف
عربية العبارة :
«بارك الله فى هذه
الدار» · لكن احدا
لا يفهم معناها



ثرثرة النساء كل
صباح ، يجذبن
المقاعد الى الشارع
وتتقارب الرؤوس
ويستمر الحديث ·

صورة من بقايا الماضي الذى ذهب .. الزهور تحمل مداخل البيوت ، والبهجة تشع من كل ركن والذوق الرفيع لا يحتاج الى بيان .



« وادى الدم » فى البشرات صار مرعى ترتع فيه الاغنام ويتناقل الناس قصته .

الدولة في الحكومة الاسبانية أن المسلمين أصبحوا خطرا على الدين والدولة، بعدما لجأوا الى الثورة، وتبين ان اتصالات جرت بينهم وبين اخوانهم في المغرب ومصر وقسطنطينية • ثم قضى بوجوب اعتناق المسلمين للمسيحية ، ونفي المخالفين الى خارج اسبانيا •

صعق المسلمون عندما سمعوا بالقرار • فالاجراءات التي كانت تتخذ تحايلا على معاهدات تسليم الممالك الاسلامية ، صارت الان سياسة ثابتة للدولة ، واصبح التنصير اجراء قانونيا يجب تنفيذه •

لم يملك المسلمون سوى ان يثوروا • خصوصا وان احد الحكام الجدد نسف مسجد بلدة أندرشي بالبارود في البشرات • انفجرت ثورتهم في كل مكان،وتصدوا للحاميات الاسبانية وحاولوا الفتك بها ، لكنهم كانوا عزلا ، وكان القمع اقسى مما تصوروا •

انطلق الجنود الاسبان يحصدون المسلمين الثائرين • قتلوا اكثرهم • وسبي النساء •وقضي بالموت على مناطق باكملها ، ما عدا الاطفال دون سن العاشرة عشرة ، فهؤلاء احتجزوا وحولوا الى نصارى •

وسالت دماء المسلمين غزيرة في انحاء غرناطة، وغرقت البشرات في بحر الدم ذاته • وكان هذا الخندق هو مقبرة المسلمين في تلك المنطقة •

القصة حقيقية وثابتة في كتب التاريخ • فقد كانت هناك ثورة بالفعل في ذلك الوقت ، وحدث قتل وسبي لا مثيل له ، كما تحولت أكثر مناطق المسلمين الى خنادق للدم اذا جاز التعبير • ولكن هل صحيح ان هذا المكان بالذات كان « خندق دم » البشرات ؟ ليس بعيدا لكنه ليس ثابتا ايضا •

المهم انه ازاء هذا القمع الصارم لم يجد المسلمون مفرا من اعلان التنصير • لان البديل الذى كان مطروحا امامهم هو اما النفي او الموت•

ومنذاك اختفت كلمة «المسلمين» وكلمة «المدجنين» واصبحوا يعرفون في كتب التاريخ «بالموريسيك»• ومنذاك ايضا تقدم « ديسا » المحقق العام الى الملك فرناندو يطلب انشاء ديوان للتحقيق أو « محكمة تفتيش » لمطاردة الزيغ في العقيدة • والفت لجنة ملكية للتحقيق في حوادث ثورة المسلمين في غرناطة •

وفي ٢٠ يوليو من عام ١٥٠١ بعد تسليم غرناطة بحوالي٩سنوات اصدر فرناندو وايسابيلا امرا ملكيا خلاصته :« انه لما كان الله قد اختارهما لتطهير مملكة غرناطة من الكفرة • فانه يحظر وجود المسلمين فيها • واذا وجد بعضهم ، فيمنع عليهم الاتصال فيما بينهم ، حتى لا تتأخر عملية التنصير، كما يمنع عليهم الاتصال بالذين تم تنصيرهم •

العرب = البترول

وصلنا الى قرية كابيليرا عند اعلى نقطة في جبال البشرات (٣٠٠٠ متر فوق سطح البحر)حيث يوجد مثلث يضم ثلاث قرى هي كابيليرا وبانبنيرا وبوبيون •

بيوت كابيليرا مثل كل مباني البشرات ، بيضاء اللون ، جدرانها مشيدة بطريقة غريبة • قطع الحجارة التي يسمونها هناك « لاحة » اى اللوح، ترص فوق بعضها البعض ، دون ان تكون متماثلة بالشكل الذى نعرفه • سقف البيت يغطونه بطبقة من التراب الملون الذى يسمونه الان «لونا» والسطح في لغتهم هو « الوطبيا » •

القرية صورة طبق الاصل من قرى المغرب العربي • البيوت البيضاء ذات السقوف المنخفضة والطابق الواحد • والشوارع الضيقة ، والدواجن التي يربونها مع الارانب في كل بيت ، والنسوة اللاتي يعملن في الحقول الصغيرة اغلب النهار •

طفنا بالقرية ومررنا بحقولها القريبة•استوقفنا مشهد رجل وامرأة يعملان معا في اقتلاع الكرنب من التربة • هو خوسيه (يوسف) وهي خوسيفه (يوسفه) •

عند العم خوسيه ، العرب الان يرتبطون في ذهنه بكلمة واحدة هي البترول • ومسلمو الاندلس لا يعرف من قصتهم غير خندق الدم ، وقلعة في قرية قريبة ، وعين عند السفح تنبث منها مياه غريبة، تقول الاسطورة انها«بول»المسلمين، (قال اماديو انها مياه معدنية) !

وسمعنا حكايات اخرى كثيرة من شيوخ كابيليرا• لكن احدهم تطوع ليروى لنا قصة محاكم التفتيش مع الموريسيك • الرجل اسمه انطونيوبيرى ، وهو معام متقاعد عمره ٧٠ سنة •

قال ان الجميع يعرفون الكثير من الاساليب الوحشية التي كانت تتبعها محاكم التفتيش في نزع الاعترافات ومحاكمة المتهمين ، وتوقيع العقوبة

عليهم . يكفي ان هذه الفترة كانت مرتبطة باقامة المحارق للبشر . ولما كانت مهمة المحاكم اساسا محاربة الزيغ في العقيدة . فقد وجد رجالها في الموريسيكين حقلاخصبا لممارسة التصفية والابادة.

ومنذ اكره المسلمون على التنصير في غرناطة - عام١٤٩٩ - بدأت المحاكم نشاطها الرهيب المروع. وقد نصحنا المحامي انطونيو بيري بالرجوع الى كتاب الدون لورنتي مؤرخ ديوان التحقيق الاسباني للوقوف على تفصيلات ماكان يجرى وقتئذ .

اللحم يوم الجمعة جريمة !

وهذا الجانب يحتاج الىوقفة . لان الكتبالتي تؤرخ لتلك المرحلة تسجل تفاصيل تعكس قدر البطولة الفذة الذى تميز به الموريسيكيون .

فقد نشر الاستاذ محمد عبد الله عنان فيكتابه ترجمة لوثيقة غاية في الغرابة . اصدرها ديوان التحقيق . تحدد القواعد والاصول التى رأى الديوان المقدس الذى كان بمثابة الهيئة العليا لمحاكم التفتيش ان يحاسب عليها الموريسيك . في تهمة الكفر والمروق . تقول الوثيقة :

« يعتبر الموريسيكي او العربي المتنصر قد عاد الى الاسلام ، اذا امتدح دين محمد . او قال ان يسوع المسيح ليس الها ، وليس الا رسولا . او ان صفات العذراء او اسمها لاتناسب امه ، ويجب على كل نصراني ان يبلغ عن ذلك . ويجب عليه ايضا ان يبلغ عما اذا كان قد رأى او سمع،بان احدا من الموريسيكيين يباشر بعض العادات الاسلامية ، ومنها ان ياكل اللحم في يوم الجمعة وهو يعتقد أنذلك مباح - وان يحتفليوم الجمعةبان يرتدى ثيابا انظف من ثيابه العاديه ، او يستقبل المشرق قائلا بسم الله ، او يوثق ارجل الماشيةقبل ذبحها ، او يرفض اكل تلك التى لم تذبح او ذبحتها امراة ، او يختن اولاده او يسميهم باسماء عربية ، او يعرب عن رغبته في اتباع العادة او يقول انهيجب الا يعتقد الا في الله وفيرسوله محمد ، او يقسم بايمان القرآن، او يصوم رمضان ويتصدق خلاله ، ولا ياكل ولا يشرب الا عند الغروب ، او يتناول الطعام قبلالفجر (السحور)، او يمتنع عن اكل لحم الخنزير وشرب الخمر ، او يقوم بالوضوء والصلاة ، بان يوجه وجهه نحو المشرق ويركع ويسجد ويتلو سورا من القرآن، او ان يتزوج طبقا لرسوم الشريعة الاسلامية ، او ينشد الاغاني العربية ، او يقيم حفلات الرقص والموسيقى العربيه ، او ان يستعمل النساء الخضاب في ايديهن او شعورهن ، او يتبع قواعد محمد الخمس ، او يلمس بيديه على رؤوس اولاده او غيرهم تنفيذا لهذهالقواعد او يغسل الموتىويكفنهم في اثواب جديدة ، او يدفنهم في ارض بكر ، او يغطى قبورهم بالاغصان الخضراء ، او ان يستغيث بمحمد وقت الحاجة .. الخ » .

بهذه القائمة الطويلة من الشبهات ، كان يساق الموريسكيون قسرا الى ديوان التحقيق . ولنا ان نتصور الرعب الهائل الذى كانوا يعيشون فيه ، اذ كل واحد منهم معرض في كل لحظة لان يدفع به الى المحرقة .

وهذا ما حدث بالفعل ، وتجمع كتب التاريخ على ان الوف المسلمين المتنصرين انتهت حياتهم - رجالا ونساء - في المحارق .

ومع ذلك ، فقد ظلوا متمسكين بدينهم .

ضبطوا متلبسين بالصيام

والمؤرخ الاسباني مارمول الذى عاصر فترة قريبة من هذه الصفحة الفريدة في التاريخ ، كتب يقول : « كانوا اذا ذهبوا الى القداس ايام الآحاد - يقصد الموريسيكيين - فذلك فقط من باب اتباع التقاليد . ولم يحدث ان قال احدهم الحقيقة خلال الاعتراف . وفي يوم الجمعة ، كانوا يحتجبون ويغتسلون .ويقيمون الصلاة في منازلهم المغلقة . وفي ايام الاحاد يحتجبون ويعملون ، واذا عمد اطفالهم ، عادوا فغسلوهم سرا بالماء الحار . ويطلقون على ابنائهم اسماء عربية . وفيحفلات الزواج متى عادت العروس من الكنيسة بعد تلقى البركة تنزع ثيابها النصرانية وترتدى الثياب العربية ،ويقيمون حفلاتهموفقا للتقاليدالعربية».

والمدهش انهم في ظل تلك الظروف الرهيبة كانوا يحتفلون بالعيد الصغير « الاغيث أصاغير » - كما يسمونه - والعيد الكبير « اهيف الكبير » . وعاشوراء (للاعشورة) ..

وتشير سجلات محاكم التفتيش انه في عام ١٥٣٨ قدم الموريسيكي خواى دوى بورقوص الى ديوان طليطلة لانه كان يقيم في بيته لقاءات ليلية ، تعزف أثناءها الموسيقى ويقام رقص « الزمبرا » ، ويؤكل الكسكسى - الوجبة الشهيرة في المغرب - واخذ عليه وعلى رفاقه انهم كانوا يغنون أغاني

لا نذهب الى قرية برذنار لنعيش هناك الفصل المثير من احداث ثورة الموريسيك في ذلك الوقت؟

قلت : ولماذا برذنار بالذات وكتب التاريخ تقول ان الثورة تحركت في انحاء غرناطة ، وتحصنت بالبشرات بعد ذلك .

قال : عندما اندلعت الثورة ، وطالب الموريسيون باستقلالهم ، وشرعوا في البحث عن امير لهم ، توجه الى البشرات احد الاشراف من سلالة الملوك والخلفاء من بني امية . كان اسمه القشتالي هو : الدون فرناندو دي كوردوبا وفالور (قرطبه وفالور) ، واقام هذا الشاب في برذنار ، حيث كان اهله هناك . ولما علم قادة الثورة بوجوده اتجهوا اليه ، وتوجوه ملكا عليهم في احتفال بسيط مؤثر تم في التاسع والعشرين من ديسمبر عام ١٥٦٨ . في هذا الاحتفال فرشت الارض باعلام اسلامية ذات اهلة ، فصلى عليها الامير متجها صوب مكة . وقبل احد اتباعه الارض رمزا للخضوع والطاعة . واقسم الامير ان يموت في سبيل دينه وامته . وتسمى باسم عربي هو محمد بن امية صاحب الاندلس وغرناطة . وبدأ يعمل لاستقلال الموريسيكين وعودتهم الى دينهم الحقيقي .

كان اماديو يحكي والسيارة في طريقها الى برذنار . حقول البرتقال والليمون تحيط بالبلدة فيما يشبه الحصار ، وباعة الفواكه يجلسون في صف طويل عند مدخلها ، وليس فيها ما يوحي بانها كانت يوما ما مقرا لقيادة ثورة المسلمين .

قال اماديو : تذكر ان احداث هذه الثورة مضى عليها اكثر من ٤٠٠ عام ، وان البلدة هدمت عن آخرها عندما قمعت الثورة .

وجلسنا نقلب اوراق القصة . لقد كانت النهاية معروفة ، لان الثوار المسلمين كانوا يواجهون جيش امبراطورية ما زالت تعيش نشوة انتصارها على الممالك الاسلامية . ولكن الثوار كانوا قد اختاروا الموت على هذه الحياة الذليلة .

حشدت الحشود ، واتجهت صوب البشرات ، وكسب الموريسيكيون جولات رائعة ، وانتقموا من الحاميات الاسبانية . وقتل محمد بن امية بسبب خيانة احد ضباطه . فاختار زعماء الثورة مكانه ابن عمه الموريسيكي ديجو لوبليت الذى تسمى بمولاى عبد الله محمد وقاد نضال الموريسيكين الذين واصلوا الحرب ببسالة نادرة رجالا ونساء . لكنه قتل بالخيانة ايضا في البشرات ، وحملت جثته فوق بغل الى غرناطة ، وانتقاما منه احرقت جثته بعد ان طافوا بها في شوارع المدينة ، ووضع الراس في قفص من الحديد ، ثم رفع فوق سارية باحدى ضواحي المدينة ، بحيث يطل على البشرات .. درسا وعبرة للمسلمين الثائرين !

واستمر الانتقام من الموريسيكيين عبر محاكم التفتيش ، ووسيلته هي المشانق والمحارق .

لكنهم جميعا ظلوا على اسلامهم . الذين ذهبوا الى ربهم شهداء ، والذين عاشوا بقيت الشهادة في انتظارهم .

الحل الأخير

وقفنا امام بقايا قلعة قديمة منهارة في برذنار . وليس بعيدا عنها محل تجارى يبيع احتياجات السياح ، من القبعات الاسبانية الى العباءات المغربية ، الى العلب المطعمة بالصدف والتى تكسوها صور لقصور الحمراء في غرناطة .

قال اماديو : هذا ما بقى . لان الحكم الاسبانى الجديد لم يحتمل استمرار وجود الموريسيكيين ، كانت موجة التعصب والانتقام من المسلمين قد اجتاحت اوروبا كلها وتصاعدت بعد الانتصار الذى تحقق في الاندلس . وكانت الكنيسة الكاثوليكية قد صدمت عندما سقطت القسطنطينية — بوابة اوروبا الشرقية — في ايدى المسلمين الاتراك . وكان الموريسيكيون يبعثون برسائل تستغيث وتطلب العون من حكام المغرب العربى ومصر وتركيا . وظهرت فئة من البحارة الاتراك كانوا يغيرون على الثغور الاسبانية ، وينقلون المسلمين سرا الى شواطىء المغرب ثم كان الموريسيكيون انفسهم مصدر قلق دائم للحكم الاسبانى ، خصوصا بعد ثورتهم العارمة الاخيرة ..

وكان لابد — من وجهة نظر الكنيسة — ان تعالج هؤلاء الموريسيكيين بصورة جذرية وحاسمة خصوصا وان سجلات محاكم التفتيش كانت تشير حتى القرن السادس عشر الى اصرار هؤلاء المسلمين على البقاء على التمسك بدينهم سرا .

وهذا المعنى يؤكده المطران جويرو في سنة ١٥٦٥ في قوله : انهم خضعوا للتنصير لكنهم بقوا كفرة في سرائرهم .

ازاء هذا كله برزت فكرة التخلص من الموريسيكيين جميعا . نوقش الامر في اوساط الكنيسة فكان من راى المطران ريبرا ان يقضى عليهم بالرق ، وان

يرسل من بينهم الوف كل عام للعمل فى السفن ومناجم الفحم ، حتى يتم افناؤهم عن آخرهم • وذهب راى آخر الى وجوب قتل الموريسيكين دفعة واحدة ، او قتل البالغين منهم واسترقاق الباقين وبيعهم عبيدا • ورأى بعض وزراء فيليب الثانى ان يجمع الموريسيكيون ، ويحملوا على السفن ثم يغرقوا فى عرض البحر • واقترح الدوق دى ليرما ان يعدم الموريسيكيون ، من بلغ ١٥ ــ ٦٠ سنة • اما من هم فوق الستين فينفوا الى المغرب• ومن هم دون ١٥ سنة يؤخذون ويربون فى المعاهد الدينية •

وفى عام ١٦٠١ قدم المطران ريبرا تقريرا الى الملك يقول فيه : ان الموريسكيين لا يعترفون ولا يقبلون البركة ، ولا الواجبات الدينية الاخرى ولا ياكلون لحم الخنزير ولا يشربون النبيذ ولا يفعلون شيئا مما يعمله النصارى ثم يضيف ان هذا المروق العام لا يرجع الى مسالة العقيدة ولكنه يرجع الى العزم الراسخ فى ان يبقوا مسلمين • كماكان آباؤهم واجدادهم • ويعرف المحققون العامون ان الموريسكيون بعد ان يسجنوا عامين وثلاثة ، ونشرح لهم العقيدة فى كل مناسبة يخرجون دون ان يعرفوا كلمة منها • وبعد هذه الحيثيات ، دعا المطرن ريبرا الى نفى الموريسكيين الى بلاد البربر والمغرب ، وهذا فى رايه اخف وارفق ما يجب عمله •

النفى الى الأبد

وظل الامر محل دراسة امام مجلس الدولة الاسبانى ، حتىاعلن مرسوم النفى فى ٢٢سبتمبر سنة ١٦٠٩ • وطالب القرار كل الموريسكيين بمغادرة الثغور الاسبانية خلال ثلاثة ايام على سفن اعدت لهم • وان هذا القرار سينفذ تباعا فى المدن الاسبانية الكبرى •

لقد كان قرار النفى يسمح بالابقاء على ستة فى المائة من الموريسيكيين فى كل مدينة اندلسية للانتفاع بهم كعمال وخدم وهؤلاء يختارهم السادة منبين الراحلين•ولكن زعماء الموريسيكيين وفقهاؤهم اجتمعوا فى مدينة بلنسيه ، وقرروا ان يرحل الجميع والا يبقى احد ، وان من يغى بعد ذلك يعتبر مرتدا ومارقا •

ولنا ان نتصور ما جرى لجموع الموريسكيين المعذبة والمنهكة القوى ، وهى تقتلع من وطنها بجرة قلم • ولنا ان نتصور ما عانته طوابيرهم



جالسون فى احد ميادين غرناطة •• بضاعتهم واطفالهم على الارصفة !

الذاهلة من عمليات النهب والايذاء ،بينما هم يجرجرون اقدامهم الى موانىء الاسبانية حاملين اطفالهم وامتعتهم •

بعد ثمانية قرون طرد المسلمون من اسبانيا••

كان قد بقى منهم بعد كل الذى جرى ، حوالى ٦٠٠ الف موريسيكى حملتهم السفن تباعا الى شواطىء المغرب العربى (بعضهم تسلل وعاد سرا الى جبال البشرات فيما بعد لكنهم ذابوا فى المجتمع الاسبانى) •

يقول العلامة الانجليزى سكوت لقد كان من نتائج هذه الجريمة التى ارتكبت ضد الحضارة ضربة لاسبانيا • فقد عصفت بموارد عيشها ، ودفع بها القحط الى الخراب •••

ولين بول ، باحث انجليزى آخر كتب يقول : لقد انهارت الفنون والصناعات وسحقت المعاهد وخربت المدن الكبيرة ، وذوت نضرة الوديان الخصبة • فحل البؤساء والدهماء واللصوص محل الطلاب والتجار والفرسان •

●

عندما عدت الى الفندق فى غرناطة ، سجلت هذه الملاحظة : مر المسلمون من هنا منذ خمسة قرون • طردوا وما زالوا يطاردون• فى فلسطين وزنجبار والفلبين وارتيريا • واذا قدر لجهود التبشير المكثفة التى تمضى الان فى اندونيسيا ان تنجح ، فسوف يذهب صحفى آخر بعد سنوات ليكتبايضا « المسلمون مروا من هنا»!!

■■

الاستبداد والتربية

عبد الرحمن الكواكبي

ولد في حلب عام ١٨٥٤
ومات في مصر عام ١٩٠٢

■ التربية ملكة تحصل بالتعليم والتمرين والقدوة والاقتباس ، فأهم اصولها وجود المربين واهم فروعها وجود الدين . جعلت الدين فرعا لا اصلا ، لان الدين علم لا يفيد العمل اذا لم يكن مقرونا بالتمرين . وهذا هو سبب اختلاف الاخلاق من علماء الدين عند الاسلام عن امثالهم من البراهمة والنصارى ، وهو سبب اقبال المسلمين في القرن الخامس فيما بعده ، على قبول اصول الطرائق التي كانت لنا محضا لما كانت تعليما وتمرينا اي تربية للمريدين ، ثم خالطها القشر ، ثم صارت قشرا محضا ، ثم صار اكثرها لهوا أو كفرا .

والاستبداد ريح صرصر فيه اعصار يجعل الانسان كل ساعة ذي شأن ، وهو مفسد للدين في اهم قسميه اي الاخلاق ، واما العبادات منه فلا يمسها لانها تلائمه في الاكثر . ولهذا تبقى الاديان في الامم المأسورة ، عبارة عن عبادات مجردة صارت عادات فلا تفيد في تطهير النفوس شيئا ، ولا تنهى عن فحشاء ولا منكر لفقد الاخلاص فيها تبعا لفقده في النفوس ، التي الفت ان تتلجأ وتتلوى بين يدي سطوة الاستبداد في زوايا الكذب والرياء والخداع والنفاق ، ولهذا لا يستغرب في الاسير الاليف تلك الحال ، اي الرياء ، ان يستعمله ايضا مع ربه ، ومع ابيه وامه ومع قومه وجنسه ، حتى ومع نفسه .

والحكومات المنتظمة هي تتولى ملاحظة تسهيل تربية الامة من حين تكون في ظهور الآباء ، وذلك بـأن تسن قوانين النكاح ، ثم تعتني بوجود القابلات والملقحين والاطباء ، ثم تفتح بيوت الايتـام اللقطـاء ، ثم تعد المكاتب والمدارس للتعليم من الابتدائي الجبري الى اعلى المراتب ، ثم تسهل الاجتماعات وتمهد المسارح ، وتحمي المنتديات ، وتجمع المكتبات والآثار ، وتقيم النصب المذكرات ، وتضع القوانين المحافظة على الآداب والحقوق ، وتسهر على حفظ العادات القومية ، وانماء الاحسـاسات المالية ، وتقوي الامال ، وتيسر الاعمال ، وتؤمن العاجزين فعلا عن الكسب من الموت جوعا ، وتدفع سليمي الاجسام الى الكسب ولو في اقصى الارض ، وتحمي الفضل وتقدر الفضيلة وهكذا تلاحظ كل شؤون المرء ولكن من بعيد ، كي لا تخل بحريته واستقلاله الشخصي ، فلا تقرب منه الا اذا جنى جرما لتعاقبه ، أو مات لتواريه .

اما المعيشة الفوضى في الادارات المستبدة فهي غنية عن التربية ، لانها

محض نماء يشبه نماء الاشجار الطبيعيه في الغابات والاحراش ، يسطو عليها الحرق والغرق وتحطمها العواصف والايدى القواصف ، ويتصرف في فسائلها وفروعها الفأس الاعمى ، فتعيش ما شاءت رحمة الحطابين ان تعيش .والخيار للصدفة تعوج او تستقيم ، تثمر او تعقم .

يعيش الانسان في ظل العدالة والحرية نشيطا على العمل بياض نهاره، وعلى الفكر سواد ليله ، ان طعم تلذذ ، وان تلهى تروح وتريض ، لانه هكذا رأى ابويه واقرباءه ،وهكذا يرى قومه الذين يعيش بينهم . يراهم رجالا ونساء ، اغنياء وفقراء ، ملوكا وصعاليك ، كلهم دائبين على الاعمال يفتخر منهم كاسب الدينار بكده وجده ،على مالك المليار ارثا عن ابيه وجده .

أما أسير الاستبداد ، فيعيش خاملا خامدا ضائع القصد ، حائرا لا يدرى كيف يميت ساعاته وأوقاته ويدرج ايامه واعوامه ، كانه حريص على بلوغ أجله ليستتر تحت التراب . ويخطىء والله من يظن ان اكثر الاسراء لاسيما منهم الفقراء لا يشعرون بآلام الاسر ، مستدلا بأنهم لو كانوا يشعرون لبادروا الى ازالته ، والحقيقة في ذلك أنهم يشعرون باكثر الآلام ولكنهم لا يدركون ما هو سببها ومن اين جاءتهم ، فيرى احدهم نفسه منقبضا عن العمل لانه غير امين على اختصاصه بالثمرة ، وربما ظن السلب حقا طبيعيا للاقوياء فيتمنى ان لو كان منهم . ثم يعمل تارة ولكن بدون نشاط ولا اتقان فيفشل ضرورة ، ولا يدرى ايضا ما السبب ، فيغضب على ما يسميه سعدا او حظا او طالعا او قدرا .

الاسير المعذب المنتسب الى دين يسلي نفسه بالسعادة الاخروية ،فيعدها بجنان ذات افنان ونعيم مقيم اعده له الرحمن ، ويبعد عن فكره ان الدنيا عنوان الآخرة ، وانه ربما كان خاسر الصفقتين ، بل ذلك هو الكائن غالبا ولبسطاء الاسلام مسليات اظنها خاصة بهم يعطفون مصائبهم عليها وهي نحو قولهم : الدنيا سجن المؤمن ، المؤمن مصاب ، اذا احب الله عبدا ابتلاه ، هذا شأن آخر الزمان ، حسب المرء لقيمات يقمن صلبه . ويتناسون حديث « ان الله يكره العبد البطال » والحديث المفيد معنى « اذا قامت الساعة وفي يد احدكم غرسة فليغرسها » ، ويتغافلون عن النص القاطع المؤجل قيام الساعة الى ما بعد استكمال الارض زخرفتها وزينتها . واين ذلك بعد ؟

وكل هذه المسليات المثبطات تهون عند ذلك السم القاتل ، الذى يحول الاذهان عن التماس معرفة سبب الشقاء ، فيرفع المسؤولية عن المستبدين ويلقيها على عاتق القضاء والقدر ، بل على عاتق الاسراء المساكين انفسهم . واعني بهذا السهم سوء فهم العوام ، وبله الخواص ، لما ورد في التوراة من نحو : « اخضعوا للسلطان ولا سلطة الا من الله » و « الحاكم لا يتقلد السيف جزافا ، انه مقام للانتقام من اهل الشر » ، ولما ورد في الرسائل من نحو : « فلتخضع كل نسمة للسلطة المقامة من الله » ، وقد صاغ وعاظ المسلمين ومحدثوهم من ذلك قولهم : « السلطان ظل الله في الارض » . و « الظالم سيف الله ينتقم به ثم ينتقم منه » . و « الملوك ملهمون » . هذا وكل ما ورد في هذا المعنى ان صح فهو مقيد بالعدالة او محتمل للتأويل بما يعقل ، وبما ينطبق على حكم الآية الكريمة التي فيها فصل الخطاب وهي « ألا لعنة الله على الظالمين » . وآية « ولا عدوان الا على الظالمين » . ■■

«اذا كانت الحيوانات تمقت الظلم وتحقق العدل ، فاولى بذلك الانسان .

واذا كان الولاة والزعماء تاخذهم العزة بالاثم ويستعظمون أن يصرح لهم بنصح

أو نقد ، فلا أقل من وضع النصيحة على لسان البهائم » .

عندما تكلمت الحيوانات

في التراث العربي

بقلم : يوسف الشاروني

كلمة خرافة Fable يمكن ان يكون لها معنيان: معنى واسع هو القصة الخيالية ، ومعنى اكثر تحديدا يدل على القصة القصيرة ـ شعرا كانت أو نثرا ـ ذات الطابع الدرامي ـ شخصياتها حيوانية لكن طبيعة الانسان تشف من خلف هذه الشخصيات . فالخرافة بهذا المعنى يميزها اذن طابعان خاصان :

١ ـ عالم الحيوان الذي اخذت منه شخصياتها ويجب ان يحتفظ بطبيعته ، ولا يسمح لكائن رمزي او خيالي ان يتدخل .

٢ ـ ومن جهة اخرى فان هذه الكائنات الحيوانية ـ ابطال القصة الخرافية ـ تتصف بالعقل والمنطق الانساني ، فهي من الحيوان لكنها انصاف اناس .

فالمعنى الادبي الاصطلاحي الذي يكاد يجمع عليه مؤرخو الادب والنقاد ودوائر المعارف هو ان الخرافة : قصة يتكلم الحيوان فيها ويمثل مع احتفاظه بحيوانيته ، ولها مغزى .

جاء في القاموس المحيط ان الخرافة : حديث مستملح كذب . وربما كان ماخوذا من اسم رجل من عذرة استهوته الجن ، فكان يحدث بما رأى فكذبوه .

وقد استخدم ابن النديم في كتابه الفهرست كلمة خرافة لتدل على قصة الحيوان اذ يقول ان محمد بن اسحق قال ان الفرس الاول هم « اول من صنف الخرافات وجعلوا لها كتبا واودعوها الخزائن وجعلوا بعض ذلك على السنة الحيوان » .

وبعد ان يتكلم عن ابن عبدوس الجهشياري وما حاوله من تاليف كتاب في اسمار العرب والعجم والروم قال « وكان قبل ذلك ممن يعمل الاسمار والخرافات على السنة الناس والطير والبهائم جماعة منهم عبد الله بن المقفع وسهل ابن هرون ، وعلي بن داود كاتب زبيدة ، وغيرهم » .

ويرى بعض الباحثين ان هذا النوع من القصص ينشا في عهود الظلم والاستبداد عندما يكون التصريح بالحقيقة جالبا لغضب الملوك والرؤساء ، ويستدلون على ذلك بان من اشهر كتاب الخرافات قوم من الارقاء او العبيد . والموالي ، وهؤلاء



بصفتهم هذه لم يستطيعوا ان ينصحوا سادتهم خوفا من بطشهم فآثروا الرمز لما فيه من بعد عن صفات الحقيقة ، واثارة غضب الرؤساء « فايسوب » اليونانى كان عبدا ، كذلك كان « فيدر » الرومانى ، وكان « لقمان » الحكيم عبدا حبشيا ، و « ابن المقفع » مولى فارسيا ،وهؤلاء اشهر من نسبت الخرافات اليهم •

وقد جاء فى الوسيط عن الامثال الفرضية انها تكثر « فى الايام التى يكثر فيها الجور والاستبداد والتضييق على الهداة والمرشدين ، فيضطرون اليها للوصول الى اغراضهم ، مع الامن على حياتهم ، على ما فيها من ترويح الخاطر ، ولطف المدخل ، وجمال الفكاهة المنطوية فى تضاعيفها النصيحة ، وذلت اعمل فى النفس وادعى الى الاتعاظ » •

ويقول احمد امين فى ضحى الاسلام « وتبينت الحاجة الشديدة الى هذا النوع فى عصور الاستبداد ، يوم كان الملوك والحكام يضيقون على الناس انفاسهم ، فلا يستطيع ناقد ان ينقد اعمالهم ولا واعظ ان يومىء بالموعظة الحسنة اليهم فنشأ هذا الضرب من القول والقصص ، يقصدون فيه الى نصح الحكام بالعدل ، وكانهم يقولون : اذا كانت الحيوانات تمقت الظلم وتحقق العدل فاولى بذلك الانسان • واذا كان الولاة والزعماء تاخذهم العزة بالاثم ويستعظمون ان يصرح لهم بنصح أو نقد ، فلا اقل من وضع النصيحة على لسان البهائم • واذا كان فى التصريح تعريض الحياة للخطر ، ففى التلميح نجاة من الضرر » •

ولكن بعض قصص الحيوان لا صلة له بالملوك ولا سياسة الحكم ولا ينقد ذوى السلطان ، ويظهر من تاريخ هذه القصص ومن مؤلفيها ومن انواعها عامة انها توضع اما للتسلية ، واما ان تكون شكلا من اشكال الادب يراد به التنويع فى تقديم الدروس الاخلاقية ، مع البعد عن جفاف « الموعظة الصريحة » • وهذا يحدث عادة فى قصص الحيوان المكتوبة للاطفال •

فى كليلة ودمنة

وقد تعرضت مقدمة كليلة ودمنة لشد وجذب بين انصار الرايين • فالاستاذ عبد الرازق حميده يرى فى كتابه «قصص الحيوان فى الادب العربى»

ان ما جاء فى المقدمة حجة على من يقـولون ان الرمز يراد به نصح المستبدين خوفا من بطشهم ، فالملك دبشليـم هو الذى طلب بنفسه من بيدبا قائلا: وقد احببت ان تضع لى كتابا بليغاتستفرغ فيه عملك ، يكون ظاهره سياسه العامه وتاديبها، وباطنه اخلاق الملوك وسياستها للرعية على طاعة الملك وخدمتـه • ثم قال له عن الـكتاب وليكن مشتملا على الجد والهزل ، واللهـو والحـكمة والفلسفة (مكتبة الانجلو ، ١٩٥٢ ، ص ٤١) • ثم ان ابن المقفع حدد للكتاب اربعة اغراض لم يذكر بينها نصح المستبدين بطريقة رمزية خوفا من بطشهم •

وعلى الطرف الآخر نجد فاروق خورشيد يرى فى هذه المقدمة نفسها ما يؤيد الرأى القائل بان ابن المقفع انما وضع هذا الكتاب ـ وهو يرى ان ما فيه من ترجمة يساوى ما فى مسرحيات شكسبير من ترجمة لكتاب عظماء العالم للمؤرخ الرومانى « بلوتا رخوس » ـ ووضع تفصيل أغراضه فى المقدمة لابعاد ادراك من يعنيه الا يدركوا حقيقة ما اخفى ، وفهم حقيقـة ما أبطن • (جريـدة الجمهورية، القاهرة ، ١٩٧٤/١٢/٢٦ ، ص١٢)• فهو يقول فى نهاية اغراض الكتاب « والغرض الرابع وهو الاقصى وذلك مخصوص بالفيلسوف خاصة » دون تصريح • وقد فطن الاستاذ أحمد أمين لهذا الغرض الذى ذكر انه النصح للخلفاء حتى لا يحيدوا عن طريق الصواب ، وتفتيح أعين الرعية حتى يعرفوا الظلم من العـدل •• ولم يوضحه ابن المقفع لان فى ايضاحه خطرا عليه من المنصـور • ويذهب فاروق خورشيد فى مقالـه المذكور الى أن وضع هذا الكتاب كان الدافـع الحقيقى وراء مصرع ابن المقفع •

وفى رأينا ان قصص الحيوان نشأت حين كان الانسان فى طفولته الفكرية يسقط انسانيته على الوجود فيعتقد ان الحيوان ـ وهو يسمعه يصدر أصواتا ـ لا بد وان تكون له لغة يتفاهم بها بين أفراده كما يتفاهم الانسان مع أخيه الانسان ، فلما تطور العقل الانسانى أدرك ان ما يمتلكه من قدرات ليس من الضرورى ان يمتلكها الحيوان ، ولكن الخيال الانسانى احتفظ بما سبق ان حصل عليه من أشكال التفكير واستغله لتحقيق اغراض أخرى منها المتعة الفنية ومنها الرمز فى حالة عدم القدرة على الافصاح •• الخ •

ولقد عرف العرب قصص الحيوان فى الجاهلية فروى الاعراب قصصا عن تشكل الجـن باشكال الحيوان واتخاذ الجن من الحيوان مطايا ولقائها للناس وخدمتها لهم جزاء معروفهم أو اصابتهم بالشر اذا أساء الناس •

ومن عقائدهم ان القتيل اذا قتل خرجت من رأسه هامه تقـول : « اسقونى فانى صديـة » ، وتظل كذلك حتى يؤخذ بثاره • قال بعضهم ان الهامة هى النفس ، وانها طائر ينبسط فى الجسم فاذا مات الانسـان او قتل لم يزل يطيـف به مستوحشا يصدح على قبره • ويزعمون ان هذا الطائر يكون صغيرا حتى يكبر فيصبح كضرب من البوم ، وهو ابدا مستوحش ويوجد فى الديـار المعطلة ومصارع القتلى والقبور وانها تظل عند ابن الميت أو من خلفه لتعلم ما يكون بعده فتخبره• وقيل الهامة انثى الصيدى وهو ذكر البوم • ومفهوم من أسطورة الهامة انها نشأت لتفسير أو تبرير تمسكهم بالثـار ، وأخذهم به حتى ترضى هذه الهامات عن أهل الميت وحتى يستريح وهو فى قبره •

ومن آثار اتصال العرب بالحيوان ان ربطـوا بين أحداث المستقبل والغائب، وبين ظهور الحيوان أو تعرضه لهم بشكل خاص ومن ذلك الرجز ،وهو الاستدلال باصوات الحيوانات وحركاتها وسائر أحوالها على الحوادث واستعلام الغيب •

موقف واضح للاسلام

وقد جاء الاسلام فابطل هذه الخرافات • أما ما جاء فى القرآن من ايات عن الحيوان فقد كان بعضها لبيان منافعه أو العبرة منه أو لضرب المثل ، وكانت بعضهـا أحكاما تتعلق بالحيـوان كتحريم أكله وبعضها لابطال عقائد وعادات قديمة تتعلق بالحيوان لا يقرها الاسلام كما جاء بعضها بيانا لمعجزات بعض الرسل • فمن قصص الحيوان التى وردت فى القـرآن الكريم قصة بقرة بنى اسرائيل وناقة صالح وقصة الفيل والطير الابابيل والنملة والهدهد وغراب بنى آدم • ولقد نزل القرآن بلسان عربى مبين ليبين للناس اصـول دينهم ويبصرهم بما فيـه سعادتهم فى الدنيـا والآخرة ، وكانت القصة بعض ما اشتمل عليه وقصص الحيوان بعضا من هذا البعض •

وبعـد الاسلام وردت فى كتب الادب العربى طائفة من قصص الحيوان متفرقة فى مواضـع

مختلفة بعضها مع الامثال لتفسيرها ، وبعضها مستقل وله مغزى او لا مغزى له . بعضها عربي وبعضها منقول لكنها قليلة لا يجمعها كتاب واحد مثل المجموع في « كليلة ودمنة » أو « الصادح والباغم » . من هذه القصص قصة « الذئب والشاه » و « الثعلب والعنمود » . « ومثلما يحكى عند ذكر المثل « كمجير أم عامر » ، فقد جاء في امثال الميداني ان قوما خرجوا الى الصيد في يوم حار .فانهم لكذلك اذ عرضت لهم أم عامر، وهي الضبع . فطردوها . واتعبتهم حتى الجأوها الى خباء اعرابي فاقتحمته . فخرج اليهم الاعرابي وقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صيدنا وطريدتنا . فقال : كلا . والذي نفسي بيده لا تصلون اليها ما ثبت قائم سيفي بيدي . قال ، فرجعوا وتركوه. وقام الى لقحة فحلبها ، وماء فقرب منها ، فاقبلت تلغ مرة في هذا ، ومرة في هذا ، حتى عاشت واستراحت . فبينما الاعرابي نائم في جوف بيته اذ وثبت عليهفبقرت بطنه ، وشربت دمه ،وتركته. فجاء ابن عم له يطلبه ، فاذا هو بقير في بيته . فالتفت الى موضع الضبع فلم يرها ، فقال : صاحبتي والله . فاخذ قوسه وكنانته واتبعها . فلم يزل حتى ادركها فقتلها ، وانشا يقول :

ومن يصنع المعروف في غير أهله
يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر

خرافات لقمان الحكيم

وفي امثال لقمان قصص حيوانية ذات مغزى . وقد جاءت في القرآن الكريم سورة باسم «لقمان»، وتحدث المفسرون عنه كما تحدثت كتب الامثال ايضا. وقد طبعت الامثال المنسوبة اليه في باريس في القرن الماضي باللغة العربية ، وجاء في المقدمة انها كتبت لغرض تعليمي وانه ليس لها قيمة أدبية كبيرة ، وتعد كتابا ابتدائيا لتعليم الفرنسيين لغة العرب .

وهي احدى واربعون خرافة قصيرة جدا . والمغزى في آخرها،وبعضها ضعيف . ومن قصصها قصة « أسد وثعلب » ونصها : أسد مرة ، اشتد عليه حر الشمس ، فدخل الى بعض المغاثر يتظلل ، فلما ربض أتى اليه جرذ يمشي على ظهره ، فوثب قائما . فنظر يمينا ويسارا وهو خائف مرعوب . فنظره الثعلب فضحك عليه.فقال له الاسد : ليس من الجرذ خوفي وانما كبر على احتقاري .

ومعنى هذه القصة ان الهوان على العاقل اشد من الموت .

وتعتبر خرافات لقمان الحكيم مصدرا من مصادر لافونتين صاحب الخرافات الفرنسية .

كذلك هناك نوع من الشعر القصصي يظن الكثيرون ان العرب لم يقولوا فيه هو محاورة الحيوان ومساءلته في نظم قائم بنفسه أو متضمن في قصة.مثال ذلك قصة أبي العنبس احد شعراء المتنبي التي رواها المسعودي في مروج الذهب وكان شاعرا يضحك الخليفة ورجال الدولة . وقد سأله المتوكل ذات يوم ان يخبره عن حماره ووفاته وما كان من شعره والرؤيا التي رآها . فقال : نعم يا امير المؤمنين ، كان حماري أعقل من القضاة ،ولم يكن له جريرة ولا زلة ، فاعتل على غفلة فمات، فرأيته في النوم فقلت له : يا حماري ، ألم ابرد لك الماء ، وانق لك الشعير ، واحسن اليك جهدي ؟ فلم مت على غفلة ؟ وما خبرك ؟ قال : لما كان في اليوم الذي وقفت فيه على فلان الصيدلاني تكلمه في كذا وكذا ، مرت بي أتان حسناء فرأيتها ، فاخذت بمجامع قلبي فعشقتها واشتد وجدي بها ، فمت كمدا متأسفا . فقلت له : يا حماري ، فهل قلت في ذلك شعرا ؟ قال نعم ، وانشدني :

هام قلبي بأتان
عند باب الصيدلاني
تيمتني يوم رضا
بثناياها الحسان
وبخد ذي دلال
مثل خد الشنفراني
فيها مت ولو عشـ
ـت اذا طال هواني

فقلت : يا حماري ، ما الشنفراني ؟ قال : هذا : من غريب الحمير .

فطرب المتوكل ، وامر الملهين والمغنين ان يغنوا ذلك اليوم بشعر الحمار .

ويعتبر ابن المقفع اشهر كتاب القصص الحيوانية في الشرق وقد ولد في بداية القرن الثاني الهجري بالبصرة من أسرة فارسية ، وتدلنا كتبه على انه كان حريصا على الجهر بارائه في اصلاح احوال الناس جميعا ، نجد ذلك في كتبه « الادب الصغير » و « الادب الكبير » و « رسالة

الصحابة » وكتابه « كليله ودمنة » الذى قيل انه كان سببا فى قتله وهو فى السادسة والثلاثين من عمره لما أوضحه فيمن حقوق الرعية على الحاكمين ، فراى المنصور فى هذا تنبيها للناس الى المطالبة بحقوقهم فغاظه ذلك ، كما غاظه ان يضع ابن المقفع نفسه موضع المرشد للخلفاء الى ما يجب ان يفعلوه • فلما اتهم بالزندقة وقتله عامل البصرة ، لم يعبا الخليفة بالقصاص من قاتله ، ولا بالتحقيق فى امر قتله •

شهر زاد وبيدبا

ويشترك كتابا « كليلة ودمنه » و « ألف ليلة وليلة » من حيث الشكل الفنى فى القصص المتداخلة ، اى القصة التى تروى من داخل قصة حتى يجتمع من ذلك عدد من القصص قد لا يرتبط بالعنوان منها الا القليل ، كما فى باب « الحمامة المطوقة » وهذا واضح فى الابواب الاولى من الكتاب، ثم تاخذ الابواب فى الايجاز بسبب قلة التداخل•

كذلك يشترك كتاب « كليلة ودمنة » مع « الف ليلة وليلة » فى ان كلا منهما يبدأ بما يعرف القصة الاطار ، أى القصة التى تبرر جمع ما يتلوها من قصص معا • فكما ان كتاب « الف ليلة وليلة » يبدأ بقصة الملك شهريار الذى اكتشف خيانة زوجته له فقتلها ثم جعل يتزوج كل ليلة بامراة وفى الصباح يقتلها حتى زفت له شهرزاد فجعلت تقص عليه قصصها التى استغرقت الف ليلة وليلة مما جعله يؤجل قتلها وبذلك نجت وانقذت معها بنات جنسها ، كذلك نجد فى اول كتاب « كليلة ودمنة » قصة بيدبا الفيلسوف مع دبشليم الملك الذى ما ان استقر له الملك حتى طغى وتجبر وعبث بالرعية واستصغر امرهم ، فلما راى بيدبا ذلك قصد الملك وصارحه بطغيانه وبغيه ونصحه بان يسوس الملك بالمداراة والرفق مما أوغر عليه صدر الملك فسجنه ، غير انه عاد وجعله وزير مملكته ، فلما استقر الملك لدبشليم نظر فى الكتب التى وضعتها فلاسفة الهند لآبائه واجداده ، فتمنى ان يكون له ايضا كتاب ينسب اليه وتذكر فيه ايامه ، فعهد الى بيدبا بذلك فكان هذا الكتاب الذى جعله على السنة البهائم والسباع والطير ليكون ظاهره لهوا للخواص والعوام ، وباطنه رياضة لعقول الخاصة •

وهنا لا بد من الاشارة الى ما ثار من خلاف حول ما اذا كانت هذه المقدمة حقيقة تاريخية أم انها مقدمة فنية شانها فى ذلك شان قصة شهريار الملك مع شهر زاد • فقد حاول البعض ان يعثر على اصل هندى أو فارسي لبعض قصص « كليلة ودمنة » معترفا ان بعضها الاخر من تاليف ابن المقفع وعلى رأس هؤلاء محمد غفرانى الخوسانى الذى قدم اصلا هنديا « لكليلة ودمنة » هو كتاب يسمى « بنجاتنترا » أو « خمسه اسفار » • بينما يجزم البعض الاخر ان الكتاب كله من تاليف ابن المقفع بعد أن ضمنه بعض ما سمعه من قصص حيوان هندية الاصل لا بد انها كانت شائعة فى عصره • ومن اكبر انصار هذا الراى فاروق خورشيد فى مقاله المشار اليه سابقا ،والدكتور محمود ذهنى فى بحثه القيم عن « كليلة ودمنة » والمتضمن فى كتابه « القصة فى الادب العربى القديم » (مكتبة الانجلو ، ١٩٧٣) • فقد انتهى منه الى ان ابن المقفع اراد ان يقول فى هذا الكتاب ما يريد قوله دون ان يفصح عنه ليغرى الخليفة بالصلاح والعودة الى جادة الحق • وهو يستدل على ذلك بادلة ذكية من تحليله لمقدمة الكتاب وتنبهه الى ما يبدو فيها من اخطاء هى فى حقيقتها اخطاء مقصودة لتنبه القارىء ى ان باطنها غير ظاهرها • مثال ذلك انه ينص على ان بيدبا الفيلسوف الهندى رأس البراهمة وان برزويه فارسى ومع ذلك فكل منهما ينطق بلفظ الجلالة الذى لا ينطق به الا من يدينون بديانة توحيدية • وهكذا يمضى فى حججه حتى يذهب الى اقصى الطرف الاخر حين يعلن فى نهاية دراسته قائلا « وهكذا نستطيع ان نطمئن اطمئنانا كاملا الى ان دراسة كتاب كلية ودمنة شكلا وموضوعا تثبت بما لا يدع مجالا للشك ان الكتاب من تاليف ابن المقفع ، وليس ترجمة او نقلا او حتى اقتباسا عن كتب اجنبية سابقة عليه » (المرجع السابق ، صفحة ٢٠١) •

وقد ترجم كتاب « كليلة ودمنة » الى كثير من اللغات ، كما نظمه كثير من العرب مثل سهل بن نوبخت وابان بن عبد الحميد اللاحقى وابن الهبارية وأسعد بن مماتى المصرى • بل ان ابن الهباريه الف كتابا يقلد فيه « كليلة ودمنة » وهو كتاب « الصادح والباغم » •

عندما سكن بنو آدم

بل هناك اكثر من كتاب فى ادبنا العربى الف فى نفس موضوع ما الف فيه كتاب «كليلة ودمنة»

مثل « شعلة وعفراء » لسـهل بن هارون ، « سلوان المطاع فى عدوان الاتباع » لابن ظفر . ويلاحظ الاستاذ عبد الرازق حميـده فى كتابه « قصص الحيوان فى الادب العربى » ان هـذه الكتب جميعها مهداة الى حكام كانوا يحكمون فى عهود هؤلاء المؤلفين ، الا ترجمـة عبد الله بن المقفـع « لكليلة ودمنة » . بل ان من هـؤلاء السادة من دعا الى التاليف والترجمة فى هـذا الشكل الادبى . وينتهى الى القول بان فى هذا ردا على من يقول ان قصص الحيوان تؤلف فى عهود الظلم والاستبداد فقط .

وفى القرن الرابع الهجرى ألفت جماعة اخوان الصفا رسالة عنوانها « تداعى الحيوانات على الانسان » وخلاصتها ان بنى آدم لما سكنوا الارض وامنوا فيها سخروا الحيوان لخدمتهم وحبسوه فى ديارهم ، ففر الى البرارى كثير من الحيوانات فطاردوها فيها واحتالوا لصيدها وهم يعتقدون انها عبيد لهم هربت من خدمتهم . وبعث محمد صلى الله عليه وسلم فاسلمت طائفة من الجن ، وطرحت العاصفة يوما ما مركبا على جزيرة فى مملكتهم ، فخرج ركابها واستطاعوا الحياة فيها واخذوا يتعرضون لحيوانها فهرب منهم وشـكا امرهم الى ملك الجن ، فدعا بنى الانسان الذين دافعوا عن تصرفاتهم بدلائل شرعية وحجج عقلية. ثم دعا الملك البهائم والانعام للرد فردوا على ما جاء به بنو الانسان من آيات . وقد جمع الملك مجلس القضاء اكثر من مرة تحدث فيه كل من الحيوان والناس حتى قال خطيب من الحجاز ان الناس يمتازون على غيرهم بالخلود والبقاء . وعندئذ سلم الجن والحيوان بالفضل للناس وأمر الملك ان تكون الحيوانات جميعها تحت اوامرهـم فقبلوا حكمه .

ولعل كتابى «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» و « مرزبان نامه » لمؤلفهما ابن عربشاه من ادباء القرن التاسـع الهجـرى آخر كتابين ظهرا فى الادب العربى على نمط « كليلة ودمنة » (وقد الف ابن عربشـاه الكتاب الثانى بالتركية ثم نقله الى العربية) .

وفى كتاب « الف ليلة وليلة » نجد للحيوان فيه قصصا هامـة منها ما هو شـبيه بقصص « كليلة ودمنة » ، والقصاص الشعبى لا شـك متاثر فيها بما ورد فى هذا الكتاب من قصص ، ومنها قصص يخترع فيها قصاصنا الشعبى الحيوان والطير ارضاء لخيال الانسان ورغبته فى ان يصعد الى طبقات الجو كحصـان الابنوس فى حـكاية اصحاب الطاووس والبومه والفرس وحكاية طائر الرخ فى احدى قصص السندباد ، ومنها حكايات عن عجائب المخلوقات من الحيوان ، هذا عدا ما اشتملت عليه من قصص السحر التى تحـول الانسان فيها الى حيوان .

واذا كان لافونتين الفرنسى قد اسـتفاد من قصص الحيوان المترجمة عن العربية فقـد ردت الينا بضاعتنا فى العصر الحديث حين قام محمد عثمان جلال فى القرن المـاضى بترجمة امثـال لافونتين نظما بعنوان « العيـون اليـواقظ فى الحكم والامثال والمواعظ » ثم تبعه كثيرون فى مقدمتهم امير الشعراء احمد شوقى حتى ازدحمت كتب الاطفال فى عصرنا بقصص الحيوان المقتبسة من تاريخنا الادبى حينا والمؤلفة حينـا اخـر والمترجمة عن اللغات الاجنبية حينا ثالثة .

ولعل خير ما نختم به كلماتنا أبيات مـن قصة شعرية مما نظمه أحمد شوقى ، هى قصة الثعلب الذى اراد ان يمكر بالديك لياكله :

فمضى فى الارض يهـدى
ويسـب الماكرينـا

ويقـول : الحمـد لله
اله العالميـنـا

يا عباد الله توبـوا
فهـو كهف التائبينـا

غير ان الديك قال لرسول الثعلب :

بلـغ الثعلب عـنى
عن جدودى الصالحينا

عن ذوى التيجـان ممن
دخـل البطن اللعينـا

انهم قالوا ، وخير القو
ل رأى العارفينـا

مخطىء من ظن يومـا
أن للثعلب دينا

■■

يوسف الشارونى

هذا الموقف المفاجىء

الاغماء

بقلم : الدكتور محمد محمد ابوشوك

■ ليس المقصود بالاغماء هو فقدان الوعي لفترة طويلة كما هو معروف بين الناس ـ ففقدان الوعي لفترة طويلة ربما امتدت الى شهور ـ يعرف بالغيبوبة ، ولكن المقصود بالاغماء هو فقدان الوعي لفترة قصيرة لا تزيد عن ثوان او دقائق وربما نصف ساعة • مع الشعور بدوار ، وتحرك الارض ، وتمايل كل الاشياء التي تحيط بالانسان ويختلط الحس، معالشعور بغثيان وقيء وسواد امام العينين وشحوب الوجه وعرق غزير •

والسبب المباشر لحدوث نوبة الاغماء هو نقص الدم الذاهب الى المخ ولو انه في بعض الحالات يحدث الاغماء دون ما نقص في كمية الدم الذاهب الى المخ ولكن لتغير في كيمائية الدم واثر ذلك على المخ •

والاغماء كذلك عرض لامراض عدة ، فهو في حد ذاته ليس مرضا ، لذا كان من الواجبالبحث عن السبب المباشر للاغماء وعلاجه حتى يمكن التغلب على مثل هذه النوبات •

الاسباب النفسية للاغماء :

ولعل هذه الاسباب تشكل نسبة كبيرة فيحدوث الاغماء ، فالكثير الكثير يغمى عليهم عندما يرون منظرا مثيرا ، او مؤثرا ، فهذا يفقد وعيه عندما يرى دما ينزف من انسان ، او حتى من حيوان ، وذاك يتاثر بمشاهدة حادثة • او عندما يسمع خبرا يهز كيانه سواء كان ذلك مفرحا او محزنا، يتوقف كل ذلك على مدى تحمل الشخص للصدمات والانفعالات التي تمر في حياته •

ولعل ذلك يرجع الى انه في مثل هذه الحالات النفسية تقل سرعة القلب وينخفض ضغط الدم وبالتالي تقل كمية الدم الذاهبة الى المخ فتحدث النوبة •

الاصابات البدنية :

واكثرها حدوثا عندما يصاب الانسان بالم شديد في اى عضو من اعضاء الجسم ـ كمايحدث احيانا في حالات المغص الكلوى التشديد ، او قرحة الاثنى عشرى ، او المغص المعوى او انسداد شريان تاجي القلب • وتتكرر نوبة الاغماء من آن الى آخر عندما يشتد الالم على المريض • على انه في بعض الحالات البسيطة نرى ان بعض الناس لا يتحملون الالم ويغمى عليهم .أمثال ذلك عند وخز المريض بالابرة اثناء اعطائه حقنة ، او وضع ابرة في الصدر او في العمود الفقرى ، او اجراء اية عملية بسيطة دون تخدير • ومن منا لم يسمع او يشاهد مريضا مصابا بربو مزمن او التهاب شعبي مزمن عندما تعتريه نوبات سعال شديد، وما يصحبها من اغماءات يظن الجالس بجوار المريض انه قد قضى عليه ولكنه سرعان ما يفيق ويعود الى رشده •

وفى حالات الدوار الشديد المصحوب بطنين فى الاذن مع قىء فى بعض الاحيان والمعروف بمرض « مانيير Meniere » نرى ان هؤلاء المرضى يعانون من نوبات اغماء شـديدة تعتريهم من آن الى آخـر •

وفى حالات الهزال الشديد ، والضعف العام نرى ظاهرة الاغماء كثيرة الانتشار الى ان يستعيد المريض صحته ، وقوة بنيانه • وتستعد اجهـزة الجسم المختلفة للحفـاظ على بقاء ضـغط الدم فى حالته الطبيعية ليحافظ على كمية الدم الذاهبة الى المخ •

الاغماء الناتج من تأثر الشريان فى الرقبة والنتوء الموجود عليه •

ففى بعض الحالات يكون هذا حساسا وبمجرد الضغط البسيط عليه بواسطة ياقة القميص او ربطة العنق مع حركة الرقبة ـ ربمـا ادى ذلك الى نوبات اغماء •

وهناك من الاسباب الاخرى علاوة على الضغط على الشريان ما يسبب اضطرابا فى هذا النتوء مثل وجود تليف من جرح بالرقبة بالقـرب من الشريان ، او وجود التهاب بالغدد الليمفـاوية المجاورة له ، او تورمات بسيطة او خبيثة او وجود تصلب فى الشريان •• ويمكن التاكد من ان ذلك هو السبب فى نوبات الاغماء ، وذلك بالضغطعلى شريان الرقبة خصوصا فى هذا النتوء او التوسع الموجود فيه فتحدث النوبة بمجرد الضغط •

الاغماء الناتج من تعاطى الادوية :

واهمها الادويـة التى يدخـل فى تركيبـها الكوكايين والادوية التى تساعد على هبوط ضغط الدم ـ فبعض الذين يتعاطون مثل هذه الادوية لا يذهبون لمراجعة طبيبهم ، مما يجعل كمية الدواء فى بعض الحالات زائدة عن حاجتهم فيكونالهبوط الشديد فى ضغط الدم وما يصحب ذلك من دوار شديد ونوبة اغماء يفيق بعدها المـريض بعـد استلقائه على الارض ، والتحسن فى ضغطالدم ودهاب الدم الى المخ • وهناك ادوية مختلفة ـ وخصوصا المهـدئات ، والتى تعطى للمصـابين بالحساسية ، لذا كان من الواجب الرجوع دائما الى الطبيب المعالج واطلاعه على ما يتعاطون من دواء نوعا وكما •

الاغماء الناتج من تغير وضع الجسم :

ويلاحظ ذلك عند القيام فجاة من الوضع الافقى الى الوضع الراسى، او عندما يقفالانسان لفترة طويلة دون حراك ويلاحظذلك فى بعض الاشخاص العاديين الذين تقل فيهم قدرة الجهاز العصبى الدورى على تكيف الوضع والحفاظ على ضغط الدم ، او بعد مرض طويل اضطر معه المريض الى البقاء فى الفراش فترة طويلة ، خصـوصا اذا تسبب هذا الرقاد فى ضعف عضـلات الجسم • وفى مرض البول السكرى المصحوب بالتهاب فى الاعصاب ، وفى مرض الجهاز العصبى الذى يؤثر على اعصاب الشرايين وكذلك المرضى المصـابين بدوال كبيرة فى الساقين السفليين • فى كـل هؤلاء يلاحظ ان ضـغط الدم سرعان ما يهبط عندما يهب المريض واقفا لان ذلك يؤدى الىنقص شديد فى كمية الدم الذاهبة الى المخ وبالتالى يكون الاغماء •

* والاغمـاء الذى يحدث لكبار السن عندما يستيقظون من نومهم للتبول ـ هو نوع من الاغماء الذى يحدث بسبب تغير وضع الجسم • ويعتقـد كذلك ان هناك منعكسا عصبيا ينبع من المثانة ويذهب الى العصب الحائر ـ ثم هذا بدوره يؤثر على القلب ، فيسبب نقصا فى دقاته وبالتالى تقل نسبة الدم الذاهبة الى المخ ويكون الاغماء•

الاغماء الذى يحدث لمرض فى القلب والجهاز الدورى

لقد وجد ان كمية الدم الذاهبة الى المخ تبقى فى حالتها الطبيعية اذا قلت دقـات القلب الى حوالى ٤٠ دقة فى الدقيقة او اذا زادت عن ١٢٠ ـ ١٧٥ دقة فى الدقيقة بحيث تكون عضلات القلب سليمة ويكون الجهاز الدورى سليما ولا يعانى الشخص من فقر فى الدم او مرض بصمـامات القلب •

والامراض التي تصيب القلب وتسبب الاغماء عديدة اهمها : اضطراب او تليف بالجهاز الذى يوصل التيار فى حجرات القلب ، وينتج عنذلك نقص شديد فى دقات القلب او اضطراب بسبب زيادة دقات القلب ، وكذلك مرض صمامات القلب واهمها ضيق صمام الابهر او وجود جلطة فى الشريان التاجى ، وما يسببه مرض السدة القلبية • وكذلك وجود امراض خلمية فىالقلب، او ارتفاع الضغط داخل الشريان الرئوى وما يسببه من نقص فى ضخ الدم من البطين الايمن ، ونقص فى الدم الذاهب الى الرئتين ، وبالتالى نقص فى الدم العائد الى القلب والذاهب الى المخ •

الاغماء الذى يصاحب امراض الجهاز الدورى للمخ :

وسبب هذا الاغماء هو حدوث ضيق أو انسداد فى احد شرايين المخ ـ او ضيق او انسداد فى شرايين الرقبة الذاهبة الى المخ ـ وفى هذا المجال لا بد وان نشير الى الضيق او الضغط الذى يحدث بشريان يسير فىفقرات الرقبة وحدوث الاغماء عندما تضغط غضاريف الرقبة على هذا الشريان وحدوث نوبات اغماء فى المسنين الذين يعانون من هذا المرض فالملاحظ فى هؤلاء أنهم عندما يحركون رقبتهم يصحب هذه الحركة الم ـ غثيان وقيء ـ فى بعض الاحيان ـ دوار ، ثم ظهور سواد امام العينينوبعد ذلك يفقدون وعيهم لفترة وجيزة •

الاغماء الذى يحدث لمرضى البول السكرى

عندما يتعاطون كمية من الانسيولين اكثر من اللازم ـ او انهم يتعاطون الانسيولين ولايتناولون اى طعام ـ فتقل نسبة سكر الدم الى حد لا يقوى على اداء وظائفه فيكون الاغماء ويفيق هؤلاء باعطائهم كمية من السكر سواء بالفم او بالحقن فى الوريد • وفى بعض الحالات النادرة التى تعلو فيها نسبة انسيولين الدم وبالتالى تقل نسبة السكر يكون ذلك راجعا الى وجود تورم فى الغدد التى تفرز الانسيولين الموجودة بالبنكرياس •

الاغماء الذى يحدث عند فقدان كمية كبيرة من الدم :

ويحدث ذلك فى الحوادث والاصابات الشديدة او من نزيف فى الجهاز الهضمى كما هو الحال فى نزف قرحة المعدة والاثنى عشرى • فيشحب لون المصاب ، ويغطى جسمه العرق البارد ، ويضعف النبض ويحس بدوار شديد ثم يفقد الوعى وربما يسقط على الارض ، وعندما يستلقى على ظهره يفيقبعض الوقت لذهاب بعض الدم الى المخ • وتعاوده النوبة اذا حاولالوقوف او حتى الجلوس اذا كان النزف شديدا •

الاغماء الهستيرى

وما أكثره فى أيامنا هذه ـ فما اسهل على البنت أو المراة او الشاب ـ أو حتى العجوز الذى لا يرى اهتماما ممن حوله أن يتظاهر بالاغماء وفقدان الوعى ـ فتقوم الدنيا وتقعد ويبحث عن الاطباء فى كل مكان وفى اى ساعة من ليل او نهار واذا لم يوفقوا فى ايجاد الطبيب فلينقل الى أقرب عيادة أو مستشفى ـ وتتكرر الازمات والاهل لا يقتنعون ، ومدعى أو مدعية الاغماء متماد فى غيه وفى ظلمه لنفسه ومن حوله خصوصا اذا كان من حوله ضعفاء ـ لا شخصية لهم ويرجون من مدعى الاغماء الرضاء ، الى أن يأتى الوقت فيمل الاوفياء والاصدقاء ، ويكشفون الامر ـ ويمل الاطباء فيهملون ولا يبالون لانهم يعرفون حقيقة أمر المدعى للاغماء ويدفع هؤلاء الثمن غاليا عندما يصابون بمرض ـ فى هذه المرة بحق ـ فلا يجدون من يمد لهم يد المساعدة ـ لان كل من حولهم ـ قد ايقنوا أن ما يقومون به لا يعدو سبيل الخداع • ونصيحتى لمن يدعون الاغماء أن يقلعوا عن هذا قبل أن تحين ساعة الندم ووقتها لا ينفع الندم •

العلاج :

ويتلخص العلاج فى البحث عن سبب الاغماء ، وذلك بالكشف الدقيق عنالمريض وعمل الفحوصات

المخبرية والاشعاعية وغيرها التى توصل الى هذا السبب وعلاجه حتى لا تعاود المريضهذه النوبات.

فاذا كان الشخص شاحب اللون ـ ضعيف النبض ـ ويعاني من قرحة بالمعدة مثلا وجب فحصه جيدا للتاكد مما اذا كان قد نزف داخل امعائه فيكون علاجه باسرع وقت ممكن واعطائه الدم اللازم لتعويضه ما فقد من دم .

واذا كان الشخص مسنا يجب التاكد من سلامة القلب وانه غير مصاب بجلطة فى شريان القلب ـ وهكذا ولعلني فى هذا المجال اسدى نصحا لمن يحضرون شخصا مغمى عليه فبدلا من ان يتكدسوا من حوله للتفرج ـ وبذلك لا يفيدونه بل حتى يضرونه لانهم بذلك يمنعون عنه حتى الهواء الذى يتنفسه ولا بد لاى شخص حاضر اثناء الاغماء ان يكون عنده دراية عما يفعل ـ فليعمل عملا ايجابيا يساعد به المصاب فيجب أن يوضع المصاب فى مكان هاو ـ وينام افقيا ـ او اذا كان جالسا يضع رأسه بين ركبتيه وبذلك يصل دم بكميات اكثر الى المخ فيساعد على افاقة المصاب ثم انه يجب ان يزال كل شيء ضاغط على الرقبة وكذلك توسع الملابس حول الصدر حتى لا يعوق ذلك عملية التنفس . واذا استلقى المصاب على ظهره لابد ان ان تكون رقبته على جهة : يمنه أو يسرة حتى لا يقف اللسان حائلا فى مجرى تنفسه فيختنق .

ثم يستعمل المنبهات للافاقة . فرش الوجه بماء بارد او وضع منديل مبلل بماء بارد على الوجه والرقبة ـ اوان تقرب « الكولونيا » الى انفه ـ ولا يعطى شيئا بالفم طالما يكون الشخص فاقدا لوعيه ـ وكثيرا ما يرى الانسان الناس من حول فاقد الوعي وهم يصرون على أن يقف ـ ليحسوا بانه بحالة جيدة ، وهذا من الخطورة بمكان اذ ان عضلات المصاب تكون مرتخية ولا يمكنه الوقوف. ثم انه اذا وقف عاوده الاغماء بسرعة ، لذا يجب ان يترك ذلك للمصاب حين يرى انه بامكانه الوقوف اى عندما تعود الدورة الدموية الى حالتها الطبيعية .

بل انه لا بد أن يراقب بعض الوقت اذا قام وانتصب من تلقاء نفسه لانه عرضة لان تعاوده الحالة من جديد . ومن الواضح انه فى حالة الشباب الذين يعانون من نوبات اغماء عندما يتعرضون للجوع ، أو الاضطرابات النفسية أو الارهاق أن يتفادوا مثل هذه الاوضاع التى تؤهلهم لنوبات الاغماء ، ومن الواجب كذلك ان يحترسوا عند النهوض من الفراش او الوقوف ـ فيكون ذلك ببطء ـ وليبداو بتمرين عضلات الساقين ثم الجلوس لبعض الوقت على حافة السرير ومن ثم يبداون فى النهوض ، واذا وجد الواحد منهم انه ما يزال فى حالة دوار فليسترخ قليلا ثم يبدأ فى النهوض .

ولقد وجد انه من العوامل المساعدة للحفاظ على ضغط الدم وبالتالى ذهابه الى المخ هو ان يلبس الشخص جوارب من المطاط خفيفة لتساعد على سير الدم فى الساقين ، وان يتعاطى كمية أكبر من الملح ويلبس حزاما خفيفا على البطن .

أما فى حالة المسنين ـ فيجب أن يعرف السبب فى حالة الاغماء التى تنتابهم من آن الى آخر لان الذى يهم فى هذه الحالة هو تعرضهم للوقوع على الارض وتعرضهم لكسور فى الساقين ربما ادت الى عواقب خطيرة قد تتركهم مقعدين فى الفراش وما يحمل ذلك من مخاطر على قلوبهم وصدورهم. وتفاديا لذلك لابد أن يغطى المكان الموصل بين دورة المياه والسرير بسجاد أو بمطاط يقيهم اذا تعرضوا لنوبات الاغماء ولتكن كذلك أرض دورة المياه مغطاة بطبقة سميكة من المطاط . والملاحظ كذلك أن هؤلاء المسنين يتعرضون لنوبات الاغماء اذا ما طال وقوفهم لذا كان من الواجب ان لا يتركوا كذلك لفترة طويلة ـ بل يجب حثهم على السير او الجلوس .

وفى حالات امراض القلب او الشرايين الموصلة الى المخ يجب أن يترك أمرها الى الطبيب المعالج ليقرر ما يفعل سواء بالعلاج الدوائى او التدخل الجراحى اذا لزم الامر .

من هنا يتضح جليا ان نوبات الاغماء تستدعى الكثير من العناية والحكمة لا من جانب الطبيب فحسب بل من جانب المريض كذلك ، حتى يمكن تفاديها والتوصل الى انجح السبل فى علاجها . ■■

الكويت ـ د . محمد محمد أبو شوك

هذه هى هموم

يتحدث الدكتور علي الراعي في هذا المقال عن محنة النص المسرحي العربي ،ويشير باصبعه الى اربعة هموم محددة تعكس هذه المحنة ٠

الهم الاول :

البعد عن ارث الجماهير

■ حينما كثر الحديث عن الدراما الجديدةفي بريطانيا في تسعينات القرن الماضي ، عقب تعرف المثقفين من الفنانين والنقاد المسرحيين الى مسرح هنريك ابسن ، تلفت برنارد شو حوله فلم يجد نماذج من المسرح الجديد يؤيد بها قضيته ، فقام الى قلمه واخذ يسطر به مسرحيات توافق الفكر الجديد في المسرح ٠

قال وهو يضحك كعادته :

« كنت قد اندفعت في حمق الى تاييد قضية المسرح الجديد ٠ فلكي اتجنب ان تنهار القضية من اساسها ، قررت ان اصنع بيدى الدليل »٠

اى ان برنارد شو كتب مسرحياته الفكرية المتالقة متحديا زعمـا كان يتردد آنذاك هو : ان المسرح مكان للمتعة والفرجة وحسب ، وليس مكانا للفكر والتغيير ٠ ومن ثم ، غلب الفكر والدعوة للتغيير على مسرحيات الايرلندى الكبير، تحديا لما اسماه هو : مسرح الكلام الفارغ !

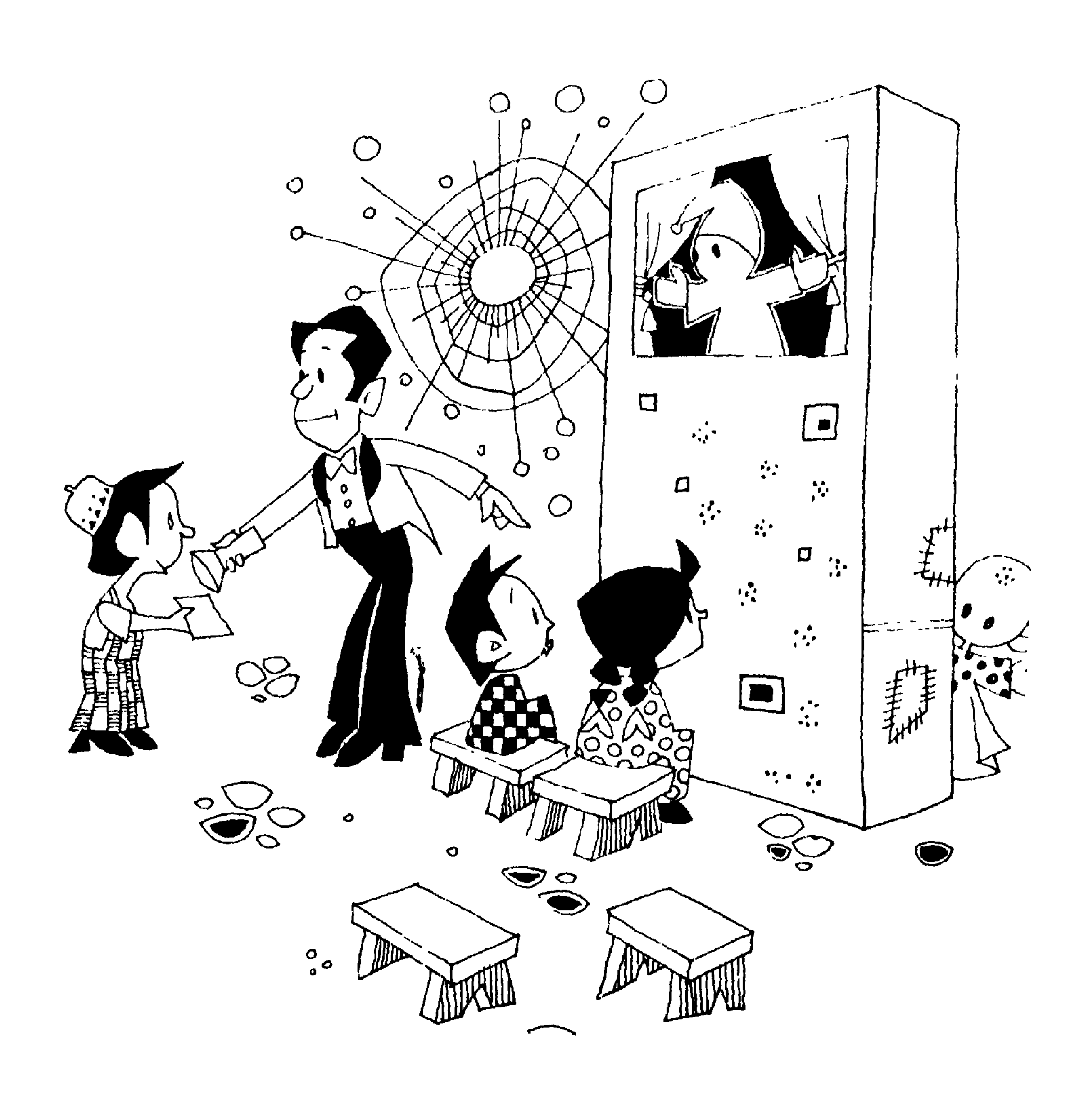
وشبيه بهذا الموقف : موقف الكتابة تحت ضغط خاص ، ماوجـد كتاب المسرح العربي الاوائل انفسهم فيه ، حين تقدموا للامة العربية بعطائهم٠

كتب مارون النقاش وابو خليل القباني ويعقوب صنوع مسرحيـاتهم تحت ضغط سكرة اذتهم وحفزتهم في وقت واحد وهي :ان العرب الاقدمين لم يعرفـوا المسرح ، عنوا بهذا المسرح الغربى الذى اعتمد الصيغة الاغريقية ٠ ومن ثم اخذ هؤلاء الابطـال الاوائل على عواتقهم سد هذا النقص الرهيب في حياة بلادهم الفنية والثقافية٠ اتجه كل من النقاش وصنوع والقباني الى فن اوروبا المسرحي واتخـذوا من كتابات موليير وجولدوني وراسين نماذج تحتذى ، ووضعوا نصب اعينهم ان ينشئوا في بلادهم صورة للمسرح تمحو من اذهان المثقفين ما علق بها من احتقار لنماذج المسرح الشعبي التي كان يتسلى بها الناس حتى ذلك التاريخ : خيـال الظـل ، والقراقوز ، ومسرحيات الشارع ٠٠ والسوق ، وعروض الموالد والمناسبات الدينية والاجتماعية المختلفة ٠

وبهذا وضعت الصيغة الغربية للمسرح موضع التضاد مع الصيغة الشعبية الموروثة والعميقة الاثر في وجدان الناس ٠ واصبح الموقف تماما كما جسده سعد الله ونوس في مسرحية : (سهرة مع ابي خليل القباني) ٠ : المسرح الجديد في مواجهة خيمة القراقوز ٠ الاول اتخذ رمزا للتقدم والثاني جعل علما على التخلف ٠ وبهذا اقام الرواد الاوائل ومن جاء بعدهم هوة كبيرة بين فنهم

النص المسرحى العربى

بقلم :
الدكتور
على الراعى



المسرحي المجلوب وبين ماتخلص للناس عبر عشرات القرون من تجربة مسرحية كان ينبغي البناء عليها، بدلا من احتقارها ولعنها ، في كل مناسبة ، من منتصف القرن الماضي حتى الان •

النظرة المتعالية للتراث

ان هذه النظرة المتعالية الى التراث مسئولة الى حد كبير عن عقم المحاولات العديدة التى بذلت لزرع المسرح في صفوف الشعب • وهي ايضا مسئولة عن رواج ما يسمى بالمسرح التجارى ، الذى ترك – وحده – يعيش ويبنى على ماترسب في وجدان الناس عبر عشرات القرون من صيغ مسرحية وشخصيات ونكات ومواقف، فضمن لنفسه النجاح المادى وكسب الى جواره الجماهير الغفيرة•

بوحى من هذه النظرة المتعالية قتل توفيق الحكيم في نفسه المهرج الشعبى ووضع مكانه المفكر البارد الفكر والحس معا • وبوحى منها يدخل نعمان عاشور في حروب خاسرة مع من يسميهم المضحكين والاراجوزات ومورديِ مواد التسلية ،ويمنع عن نفسهوعن مسرحه مدد التراث برفضه رفضا تعسفيا لفكرة وجود مسرح ، عربيا كان او فرعونيا او رومانيا او اسلاميا او تركيا، قبل مسرح النقاش المستورد من اوروبا • يفعل هذا دون تلبث ، ودون بحث او استقصاء •

والطريف ان موقفا مشابها لموقف كتاب المسرح عندنا حين اداروا ظهورهم للتراث ، يقدم في تاريخ المسرح العالمي ، ويستتبع النتائج ذاتها التى استتبعها موقف الكتاب العرب : اى ضمور الاهتمام الشعبى بالمسرح ، وتحوله من فن قومي، بالفعل او بالامكانية ، الى فن طبقي ، يصدر عن نظرة طبقية لمشاكل المجتمع •

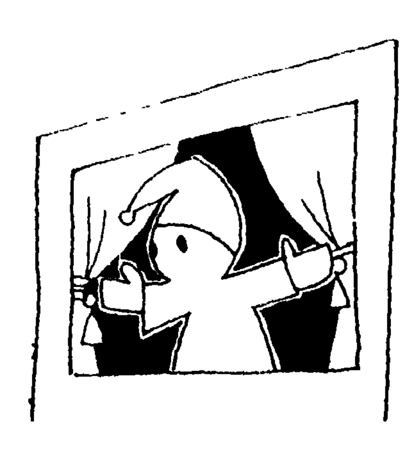
والموقف العالمى الذى اعنيه هو موقف المسرحيين الغربيين على عهد النهضة من الدور الذى كان يلعبه المهرج في مسرحيات العصور الوسطى •ففي مسرحيات الاسرار الفرنسية وفي مسرحيات الكرنفالات الالمانية ، نجد ان المهرج ليس واحدا من شخصيات المسرحية وانما هو شخصية المهرج التقليدية بدمها ولحمها ، تقف على مسافة منهذه الشخصيات ، تعلق على مجرى الاحداث ، وتقوم بدور الواسطة والرابطة بين خشبة المسرح وبين القاعة • فهو اذ ذاك قريب الشبه بافراد الكورس في الدراما الاغريقية •

وقد كان في الامكان ان يستغل دور هذا المهرج في خلق صيغة مسرحية ممتازة تبث الحيوية في نصوص عصر النهضة ، وتربط ما فيها من فكر وعاطفة بتقاليد النظارة من افراد الشعب ، على نحو ما فعل شكسبير بالفعل ، حين طور شخصية المهرج حتى انتهى به الى ان اصبح في « الملك لير » شخصية اساسية تجمع بين الدور القديم – دور المهرج – ودور الشخصية الانسانية الحية، التى يتفطر قلبها اسى لما يحدث في عالم لير من كوارث مادية وروحية •

غير ان كتاب المسرح على عهد النهضة – عدا شكسبير العظيم – قارنوا بين ما تخلص اليهم من نصوص اغريقية قديمة ، بارعة الخلق ، في الشكل والمضمون معا ، وبين بدائيات نصوص العصور الوسطى ، فاختاروا اليونان القديمة وفضلوها على تراث الشعب في المسرح •

والنتيجة هي ان شكسبير ظل علما قائما بمفرده ، فلما مات ، طال نوم المسرح البريطانى خلال القرون : السابع عشر والثامن عشر ، والتاسع عشر ، حتى ايقظه برنارد شو في الحقبة الاخيرة من القرن الماضى •

والطريف ، ان برنارد شو ، الذى دخل الى المسرح كي يخلصه من الفكر الفارغ ، قد فطن منذ البداية الى اهمية وجود العناصر الذاتيةفي مسرحه الفكرى • فنجده يقول في مقدمة مجلد : « ثلاث مسرحيات للمتطهرين » : « من وجهة نظر الصنعة المسرحية اجدنى غير قادر على ان افعل غير ما فعله من سبقونى من الكتاب ••• ان قصصى هي القصص القديمة وشخصياتى هي شخصيات المهرج والمهرجة • وحيلى المسرحية



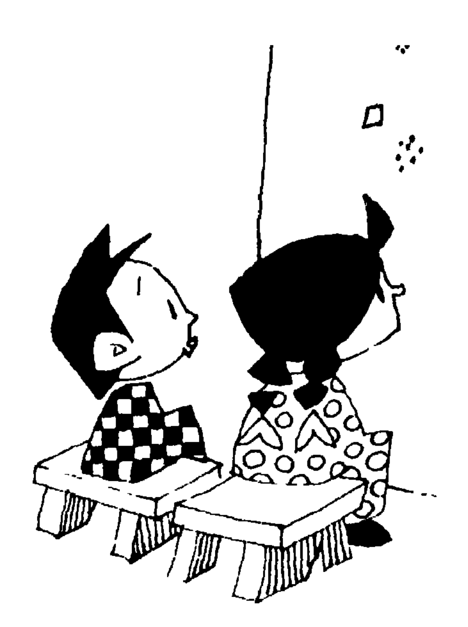
وتشويقاتي واثاراتي ونكاتي هي ذاتها التي كانت سائدة حين كنت صبيا • كل ما فعله شو هو - على حد تعبيره - انه استغنى عن الاخلاقيات التقليدية والمنطق الرومانسي لشخصياته ، ووضع مكانها نظرة التاريخ الطبيعي للاشياء ، فبدت الدمى القديمة وكانها شيء جديد حقا •• !

ذهب افرنكي زائف

اتجه كتاب المسرح العرب اذن الى المسرح الغربي ، احتضنوا صيغته اليونانية ، وفضلوها على ما كان لديهم من صيغ مسرحية متوارثة • واستتبع هذا الاتجاه اعتمادا زائدا على نصوص المسرح الغربي ، اعمل فيها الكتاب المسرحيون اقلامهم ، ترجمة ، واختصارا واقتباسا ، وتعريبا وتشويها ، وقدموا لمتفرجيهم ذهبا افرنكيا زائفا في صياغة عربية سطحية - اذا شئنا ان نعكس عبارة النقاش المشهورة : وزاد المسرح العربي بهذا ابتعادا عن نبض الجماهير •

فلما ظهر المسرح العربي الشعبي في شكل جديد ، وقدمه للناس في مصر كل من نجيب الريحاني وعلي الكسار تدفقت الجماهير بالالوف لمشاهدة مسرحيات تتحدث اليهم بلغتهم الفنية ، وتستخدم شخصيات المهرج والاراجوز البشري ، وتفيد من بعض ما تخلص الى الزمن الحديث من نوادر المهرجين الاقدمين • اذ ذاك سخر محمد تيمور من المسرح الهزلي ، فلم تقلل سخرياته من نجاح هذا المسرح ، وما لبث هو ذاته ان استخدم بعضا من مخزون الكوميديا الشعبية في مسرحياته خاصة مسرحيته : « عبد الستار افندي » • كذلك فعل الشيء ذاته ابراهيم رمزي في مسرحية «دخول الحمام » •

ولما قامت في اواسط الثلاثينات في مصر فرقة قومية ترعاها الدولة واصرت على ان تقدم روائع المسرح العالمي ، والحت على نفسها في ان تمتنع تماما عن تقديم مسرحية واحدة بالعربية الدارجة في مصر ، لم يطل بها الزمن حتى واجهت الفشل الحتمي ، بينما ظل الريحاني والكسار يقدمان مسرحهما الشعبي ، وطال عمر مسرحيات الريحاني لما طور مسرحياته الشعبية ، وبنى على اساس منها الكوميديا الانتقادية ممصرة عن اصول فرنسية •



الى بعض من هذه الحقائق فطن فريق من الكتاب المسرحيين المعاصرين ، فاخذوا منذ اوائل الستينات يلتفتون الى أهمية استخدام التراث في مسرحياتهم • تقدم يوسف ادريس بمسرحيته الهامة : «الفرافير» مستوحيا فن السيرك وقدم الفريد فرج : « حلاق بغداد » ، ومن بعد : « علي جناح » مستلهما الف ليلة ووضع محمود دياب « ليالي الحصاد » في قالب درامي لطيف هو هجين بين السامر والمرتجل ، وكتب سعد الله ونوس في قالب المرتجل : « حفلة سمر » وفي قالب الحكواتي : « مغامرة راس المملوك جابر » ، وغاص الطيب الصديقي حتى وصل الى مسرح الحلقة ، ومسرح الراوية .. المقلد في « ديوان سيدي عبد الرحمن » • واعتمد المقامات شكلا مسرحيا في : مقامات بديع الزمان • وتعددت المحاولات من بعد ، وانتشرت الى عواصم عربية اخرى : قدمت بغداد مسرحية « بغداد الازل » بين الجد والهزل وقدمت تونس مسرحيات تراثية كثيرة دفعت بعض الباحثين الى القول بان الاتجاه الاعمق والاقوى في المسرح التونسي هو اعتماد التراث •

غير ان هذه المحاولات جميعا يعوزها ان تضرب اكثر واكثر في التربة العربية المسرحية تمد فيها جذورا اقوى ، وتتقدم بمحاولات اشجع لربط ارث الجماهير القصصي والدرامي بفن المسرح • وفي اليوم الذي يتحول فيه الممثل الراوي - المقلد الى شخصية درامية قوية الاثر ، وفي اليوم الذي يصبح فيه الاراجوز أو القراقوز في سمت وعمق شخصية المهرج في مسرحية لير ، وفي اليوم الذي تتخذ كوميديا السيرك ، وحلقة الحاوي ، ومسرحية

الشارع اسسا فنية لاعمال شعبية حقا في الشكل والمضمون ، سيصل النص المسرحي العربي الى قلوب الناس وعقولهم من اوسع سبيل •

الهم الثاني :

قلة رجال المسرح بين الكتاب وحيرة النص بين اقطاب ثلاثة

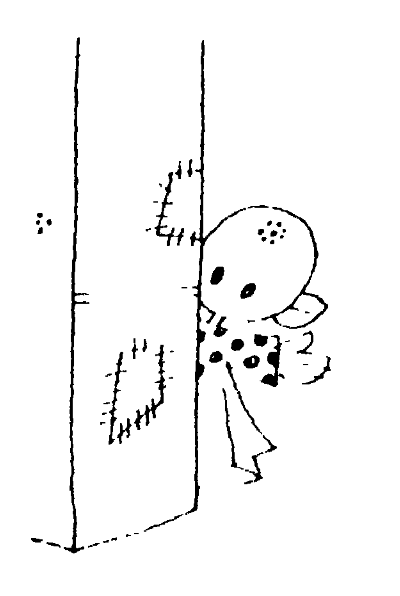
الغالبية الكبرى من كتاب المسرح العرب ، لم يتمرسوا بفن المسرح تمرسا عمليا • لم يعرفوا المسرح من جانبي الخشبة : — فنانين وجماهير — ، ومن خلفها ومن جناحيها طواقم فنية ومشاكل تنفيذ، واعباء ادارة •

وبعض هؤلاء الكتاب كتب المسرحيات لانه وجد حركة مسرحية قائمة ورائجة فغرر الاضواء تحت لوائها ، على غير استعداد منه ولا موهبة •

وفريق ثان ينظر الى المسرحية — وما يزال ينظر — على انها كتاب ، وادب ، فكتب من وحي الكتب وفي جو المكتبة ، ولم يكتب من وحي الباب الخلفي للمسرح ومن هموم العرض ، ومن الحاجة الى الفرجة • وهذا الفريق يظن المسرح يبدأ وينتهي ادبا مسرحيا • ولا يفطن الى ان المسرح يبدأ فرجة اولا ، فاذا كان مقدم الفرجة عميق الوجدان ،كبير القلب ، واسع المعرفة باحوال البشر ، استحالت الفرجة بين يديه ادبا مسرحيا ايضا •

ان الادب المسرحي هو تراكم للقيم المسرحية المختلفة ، وتكثيف لهذه القيم ياتي مع الزمن ، وابدا لا يبدأ المسرح ادبا • والذين اصروا على ان يدخلوا المسرح من باب المكتبة ، لا تزال « مسرحياتهم » قابعة على الارفف، تستعصي على الاخراج • والامثلة كثيرة • ناخذ بعضها من الغرب فقط ، تجنبا لاى حرج : هناك مسرحيتا شيللي المسميتان : « بروميثوس طليقا » و « تشينشي »• ومسرحيتا بايرون : « مانفرد » و « قابيل » • والمسرحية الملحمية الطول التي كتبها توماس هاردي : « الاسرات » ، ومسرحية المنفيون للروائي الايرلندي جيمز جويس • ومسرحيات كتبها د•هـ• لورنس ، واخرى حاول ديكنز وهنري جيمز كتابتها دون اى نجاح •

وقد كان من نتائج قلة رجال المسرح بين الكتاب المسرحيين العرب ان ندر النص الجيد ،



وكثر الاعتماد على التعريب والاقتباس ، بدرجة فاقت ما يحدث عادة من ظواهر مماثلة في المسرح الغربي ، حيث الاقتباس والاعداد وتغيير البيئة المسرحية ظواهر معروفة ايضا •

وساعد ضعف النص العربي على المبالغة في حجم مشكلة معروفة في الحياة المسرحية وهي : قضية النزاع بين المؤلف والمخرج : ايهما اهم ؟ فالمؤلف يرى انه مبتكر المسرحية وهو وحده صاحبها ، وله فيها القول الفصل • والمخرج لا يعترف بهذه الميزة للمؤلف الا في حدود شكل النص المكتوب ، ويرى ان هذا النص ما ان يصل الى الخشبة حتى يصبح المخرج هو «مؤلف» العرض المسرحي ! وقد دفع هذا النزاع المؤلف والمخرج خاصة الى اتخاذ المواقف المتصلبة بشان النص ، فهو عند المؤلف شيء مقدس لا يجوز المساس به باية طريقة كانت وهو عند المخرج مجرد اقتراح بعرض مسرحي ، يتقدم به المؤلف ، وينبغي ان يعرف مقدما ان شيئا كثيرا او قليلا من التعديل سوف يطرأ عليه ، استجابة لمقتضيات التجسيد ، واستخداما لما يراه المخرج في نفسه من طاقات ابداعية تتخذ النص اساسا لها ، سعيا وراء تحقيق الذات •

كذلك دفع ضعف النصوص المسرحية الممثلين الى التدخل في النص ، وفتح شهيتهم الى سد ما يرونه من ثغرات ، وابتكار ما من شانه كسب النظارة الى صفوفهم ، ولفت انتباههم الى فنونهم التمثيلية •

وساعد على المضي في هذا الاتجاه نشوء فريق من الممثلين الكوميديين الموهوبين — اى ذوى الرؤية

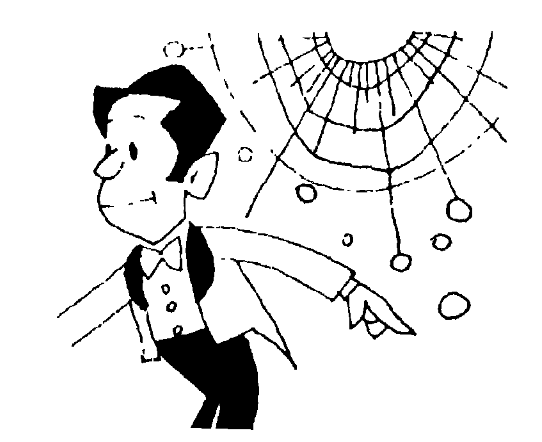
الكوميدية الواضحة ، التى تتجاوز النص الكوميدى وتضفى عليه قوة ، الى جانب تمتعهم بالقدرة على الخلق المتغير من حفل الى حفل • وهؤلاء خلقوا حاجة الى نوع من النصوص يكون مطاطا وقابلا للاضافة اليه بين الحين والحين • وقد نجح هؤلاء الفنانون فى كسب جماهير غفيرة ، وامتدوا بالعرض المسرحي الى ما يزيد عن حدود العام ، واصبحوا على مضى الزمن ، هم السادة الحقيقيون للقصص التى يقومون بالتمثيل فيها •

وهكذا اصبح النص المسرحى فى ايدى هؤلاء مجرد اقتراح تقدم به المؤلف واخرجه المخرج بصورة هى فى رايهم قابلة ، بل واجبة التعديل•

وكل هذا اضفى على النص المسرحى العربى نواحى قوة وضعف معا •

ففى جانب القوة ، اصبح النص العربى كائنا حيا بالفعل ، بدلا من ان يصبح ـ حسب تعبير فنانة الارتجال البريطانية ـ جوون ليتلوود ـ نصوصا مغمى عليها ، لا تصحوا الا اذا اجرينا لها عملية تنفس صناعي فى كل مرة نقدمها على المسرح » •

ومن جهة اخرى ، اصبح النص المسرحى مضغة فى افواه الممثلين ، يمضغونه ، ويتفلونه ثم يعيدون مضغه أو هو كرة انبعجت من طول الاستعمال ـ يتقاذفونها فيما بينهم • وانتهى به الحال فى بعض المسرحيات الى آن أصبح شيئا ممطوطا كحلوى العصا الشعبية ، التى كان البائع الشعبى يخايل بها اعيننا ونحن صغار ، فيلفها على عصاه الطويلة ، تارة ، ثم يرفعها ويمطها فى الهواء تارة اخرى ، يبيع منها قطعة ثم يعيد مطها ولفها على العصى • ونحن من حوله شهود نتلمظ !



الهم الثالث :

ازدواجية اللغة العربية وقلة انتشارها

يعانى النص العربى ايضا من مشكلته المزمنة وهى • الاضطراب بين اللغة الفصحى واللهجات الدارجة • وهذه المشكلة تزداد حدة على الايام ، وهى اليوم اكثر الحاحا مما كانت عليه يوم كتب توفيق الحكيم عن اللغة الثالثة فى اوائل الستينات •

هى اكثر الحاحا لان التزاور بين الفرق المسرحية العربية قد نشط ، واخذ يزداد كما ، ويقطع مسافات اطول • ومن ثم جعلت مشكلة لغة التعبير فى المسرحية العربية تطرح نفسها بمزيد من القوة •

ورغم ان حل هذه المشكلة قد اخذ يلوح فى الافق ، بازدياد حركة التواصل المسرحى بين اقطار الوطن العربى ، وتبادل الاعمال الفنية المختلفة عبر السينما والاذاعة والتلفزيون ، ومن خلال المشاركة فى المهرجانات والتجمعات المسرحية المختلفة ، فان بعضا من كتاب المسرح قد اضطر الى ترجمة مسرحياته الدارجة الى اللغة الفصحى ، وبعضهم كتبها بالفصحى مباشرة ، اخذا بالاحوط ، وان كان فعل هذا عن غير كبير اقتناع •

ويلحق بهذه المشكلة ان النص العربى ، سواء كان فصيحا او دارجا انما يخرج للعالم فى لغة قليلة الانتشار وياتى وليد ثقافة محدودة ، مضيق عليها داخليا وخارجيا •

ومعنى هذا ان النص العربى محكوم عليه فى الوقت الحاضر ان يقبع داخل جدران الجزء الواحد من الوطن العربى ، وان يسعى جاهدا كى يمتد الى باقى اجزاء ذلك الوطن ، دون ان يكون امامه كبير أمل فى ان ينتشر خارج حدود العرب •

وقد تترجم مسرحية لتوفيق الحكيم هنا وهناك، وقد تعرض بعض مسرحيات الفريد فرج وسعد الله ونوس عروضا محدودة فى عواصم عالمية • ولكن عصفورا واحدا لا يصنع الربيع كما يقول الانجليز • هذا بالاضافة الى اننا نحن الذين نسجن انفسنا بانفسنا ، قبل ان يفكر غيرنا فى ان يضع فى ايدينا القيود •

الحقيقة فى النص

ذلك ان النص العربى لا يقول الحقيقة • او يقولها وفمه محشو بالخرق المسكتة • او يقولها مخلوطا بماء كثير • أو يحاول قولها ويداه مكبلتان وعين السلطة ترقبه ، وقلم الرقيب لا يكتفي بالحذف بل يتجه ايضا بالاضافة ـ ربما على سبيل دفع التهمة عن الرقابة بانها تبتر ولا تخلق ••

ان الرقيب يشارك الكاتب العربى كتابة نصوصه ، يقترح لها خواتيم ويغير فيها شخصيات، ويلوى عنق الاحداث ، ويزيف من كلمات الرسالة•

وقد نتج عن استفحال امر الرقيب فى المسرح العربى ان زود بعض الكتاب انفسهم برقيب داخلى من صنع انفسهم ، وجعلوا يكتبون بوحى من هذه الرقابة الذاتية ، واتقن بعضهم هذا الفن الرقابى الذاتى ، الذى يسميه الانجليز : الكتابة للرقيب ، وامتازوا فيه •

وغيرهم قرر قطع العقدة ، واختار الطريق الاسهل وهو مماشاة السلطة وترديد الاراء المطروحة فى السوق ، ضمانا لاتصال انتاجه ، واستمرار عرض هذا الانتاج • وهذا الفريق من الكتاب المسرحيين أغدقت السلطة على انتاجه الاموال ، وفتحت له المسارح ، وضمنت له طول العرض ، بصرف النظر عن قيمة انتاجه المسرحى •

والبعض الثالث قرر أن يتحدى السلطة بنصوص يعلم مسبقا انها لن تجاز ـ فعل هذا جريا وراء اكتساب بطولات شعبية لا تؤهلها له قيمة فنه المسرحى •

وهكذا تراوحت صورة المؤلف المسرحى بازاء السلطة بين السجين المقيد ، والانتهازى المماشى والانتهازى المزايد ، ونتج عن هذا كله ضعف لا سبيل الى انكاره فى النص المسرحى العربى، خاصة النص الذى يتعرض للقضايا السياسية ، القومية والقطرية•

والى جانب موقف الاديب من السلطة الدنيوية، هناك موقفه من السلطة الدينية او بالاحرى موقف السلطة الدينية منه • وهذه تقف موقفا متصلبا من كل فن مسرحى يسعى الى استخدام الموضوعات الدينية وما تخلق حولها من قصص وبطولات ومواقف ، مادة له ، بدعوى الحفاظ على قدسية الدين ، وخشية ان تمتد اليه ايد غير مطهرة تسيء الى موضوعاته وشخصياته معا •

والنتيجة النهائية لهذا الموقف المتصلب هو حرمان الدعوة الدينية ذاتها من وسائل قوية وعصرية تطرح بها قضاياها على الناس • وحرمان الفنون جميعا ، والفن المسرحى خاصة من مصدر حيوية وقوة كان جديرا أن يمده بالازدهار ، ويدفع بجذوره الى أغوار التربة وأعماق النفس العربية معا، مما كان خليقا بان يزيد جماهير المسرحية الحالية ، ويجلب للمسرح نوعيات كثيرة مختلفة لا تتعامل الان مع هذا الفن الجميل •

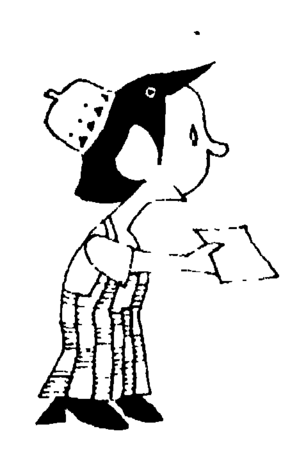
والى جوار ما تقدم من اسباب ضعف النص المسرحى العربى ، عمد بعض الكتاب الى الجرى وراء الموضوعات والاشكال المسرحية السائدة فى الغرب ، وتبنى هذه الاشكال والموضوعات تبنيا آليا ، لا يفحص مدى الحاجة الى تلك الاشكال ، ولا يحدد قدرة الموضوعات على التلاؤم مع البيئة العربية • ولعل اوضح مثل على هذا التبنى الالى ما حدث فى الستينات من اهتمام بالغ بمسرح العبث ، حيث حاول بعض الكتاب ان يستوردوا الضياع الذى يعبر عنه هذا المسرح الى بلادنا وان يقنعونا باننا ـ مثل الغرب تماما ـ ضائعون ، تائهون •

واقل من هذا تورطا فى خطأ النقل الآلى ،موقف الكاتب العربى من طريقتى بريشت وبيتر فايس فى التعبير المسرحى • لقد أعتبر فن بريشت جديدا تماما على البيئة العربية رغم ان اسسه موجودة فى كل الاشكال الشعبية للمسرح ومن بينها مسارح الشرق الاقصى . وطبعا المسرح الشعبى العربى •

فالتوجه مباشرة للجمهور ، وكسر الايهام والتبعيد ، والتمثيل على المكشوف كلها عناصر موجودة فى الاشكال الشعبية العربية كالحلقة والسامر والحاكى ـ المقلد وهى العناصر التى اهملها،واحتقرها،الكتاب العرب منذ بداية المسرح المستورد حتى الان •

أما فى حالة مسرح بيتر فايس التسجيلى فان الجديد فيه على البيئة العربية قد كان اقل عناصر ذلك المسرح جذبا للجمهور ، واعنى به الاعتماد على الاحصائيات والارقام ولوحات المؤخرة وشعارات الاحزاب وعناوين الصحف •

أما ما يبشر به هذا المسرح من مشاركة بين الجمهور وبين الممثلين فقد كان دائما عنصرا رئيسيا فى المسرح الشعبى العربى ، يتطلع اليه الناس ويحصلون عليه فى المناسبات التى كان



يقوم فيها مسرح قومي او شعبي بالمعنى الحق •

وقد عالج النص المسرحي العربي جوانب كثيرة من مشكلات المجتمع العربي وقضاياه • عالج القضايا الاجتماعية ، وتعامل مع القضايا السياسية ،وكتب عن الكفاح الوطني والتطلع القومي • عالج هذه النواحي جميعا بدرجات متفاوتة من الاجادة والاقناع •

واظن انه من الحق والعدل معا ان نسجل هنا ان نجاح الكاتب المسرحي العربي قد كان اوضح واشد اقناعا في ميدان القضايا الاجتماعية ، حيث الموضوع قريب الى نفس الكاتب ، وحيث محظورات السلطة وتدخلاتها قليلة الى درجة واضحة •

اما القضايا السياسية فان ما تقدم ذكره من تدخلات سلطوية ، وما تحفل به القضايا السياسية من تعقيدات ، وما تمتاز به من حرارة وحرق ودنو خطر من نفس الكاتب ، قد جعلت المسرحيات السياسية اقل عمقا واقناعا من نظيراتها الاجتماعية•

والشيء ذاته يمكن ان يقال عن المسرحيات القومية ، خاصة تلك التي تدعو دعوات مباشرة في هذا السبيل •

الهم الاخير ، والافدح :

الهم الاخير ، والافدح غياب الناقد المسرحي الحق ، وامتلاء ساحة الكتابة بادعياء النقد •

وليس هذا الحال ـ بالطبع ـ وقفا على المسرح، بل هو هم يمتد الى باقي الالوان الادبية • غير انه في حالة المسرح اشد تفاقما ، لسببين : اولهما ان الذين يغشون المسارح ، قلة ، وان كثرة الناس تعتمد ما يقول لها كاتب ما عن مسرحية ، وتصدقه، وتصدر حكما على العمل المسرحي بناء على راي ذلك الكاتب •

وليس هذا هو حال باقي الوان الادب ، فالرواية والقصة وديوان الشعر منشورة كلها،يستطيع من يشاء ان يقرأها ويراجع بشأنها احكام ادعياء النقد•

اما السبب الثاني والاهم ، فهو ندرة الناقد المسرحي الحق •

والناقد المسرحي الذي يستاهل هذا الاسم ينبغي ان يكون فنانا مسرحيا بالامكانية ـ ينبغي ان يكون ممثلا ، وكاتبا مسرحيا ومخرجا ، و ـ طبعا ـ متفرجا واعيا • ينبغي عليه ان يفهم المسرح ومشكلاته من كلا جانبي الخشبة ، اي من وجهة نظر الطاقم الفني المسرحي ووجهة نظر الجمهور•

وعليه ايضا ان يتسلح بثقافة واسعة تمتد في حقل تخصصه وحده ، الى اكثر من ثلاثة آلاف سنة متصلة من الانتاج المسرحي ـ دع عنك باقي فروع المعرفة البشرية •

وندرة هذا الناقد ـ بل كونه غير موجود اصلا في الحقل العربي ـ يفسح الطريق امام ادعياء النقد ليضللوا الجماهير والفنانين والكتاب معا •

وبعد •••

فقد اكون افضت في ذكر المتاعب التي يعاني منها النص المسرحي العربي ، وربما تكون هذه المقالة قد رسمت صورة قاتمة للمسرح العربي المعاصر •

غير ان من الواجب القول ، انه الى جانب السلبيات الكثيرة التي استعرضها هذا المقال ، توجد ناحية ايجابية فيها يكمن الامل في مستقبل مشرق للمسرح العربي •

اما هذه الايجابية المنيرة فهي : ان المسرح يزرع الان بنجاح في كثير من اجزاء الوطن العربي ،من خليجه الى محيطه ، وان ثمة اهتماما جماهيريا ملحوظا بالمسرح • وان كلمة « مسرح » ذاتها قد اصبحت لفظة دارجة على السنتنا واقلامنا في الجامعة والمدرسة والصحيفة والبيت والشارع •

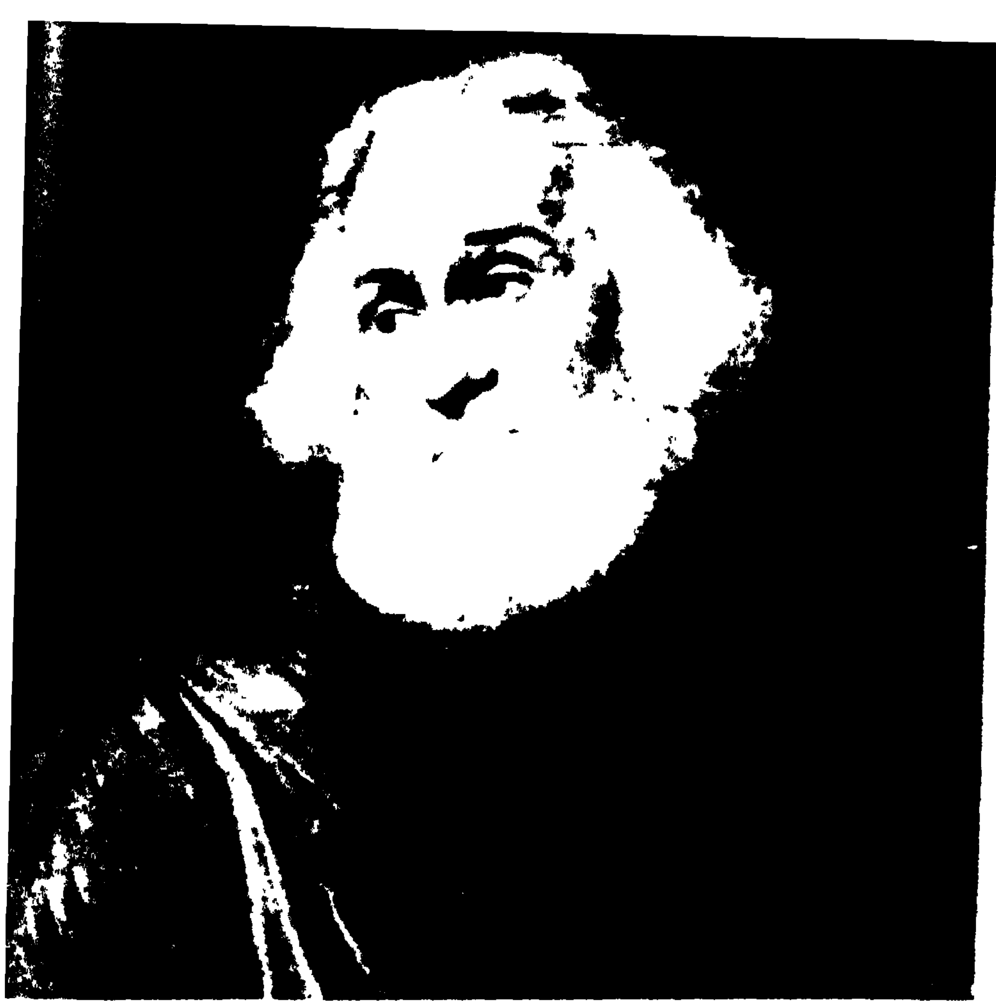
ومعنى هذا ان فكرة المسرح قد اخذت تشق لنفسها طريقا الى نفوس الناس ووجدانهم •

وفي هذا ضمان معقول للمستقبل : فليس هناك مسرح بلا ناس • وما دام الناس قد اخذوا يتوافدون ، فحتم ان يقوم بيننا مسرح ■■

د • علي الراعي

● شخصية

لها تاريخ :



ماركو بولو



بقلـم :

أمين سلامة

١٠٨

■ (فى سنة ١٢٦٨ ، عندما كان هنرى الثالث ملكا على انجلترا ، وكان سانت لويس يحكم فرنسا ، ووقت انتخاب حاكم عام جديد لمدينة البندقية وسط مظاهر الابهة والعظمة البالغة ، كان الصبى ماركوبولو Marco Polo البالغ من العمر اربعة عشر ربيعا يتطلع فى شوق زائد الى عودة والده وعمه من رحلتهما الطويلة فى بلاد الشرق. كان هذان الاخوان من تجار المجوهرات . وعابا عن وطنهما سنين طويله حتى ظن اصدقاؤهما انهما لقيا حتفهما فى تلك الاصقاع النائية • فقد غادروا مدينة البندقية قبل مولد ماركو بوقت قصير ، ومنذ ذلك الحين لم يسمع عنهما أى خبر • بيد ان ماركو كان يحس فى قرارة نفسه بانه لا بد أن ياتى يوم يعودان فيه) •

لما كان ماركو مولعا بحب الاستطلاع ورؤية البلاد الاجنبية والاقوام الغرباء كان يتجول دائما على ارصفه ميناء البندقية ويصغى الى مايقصه البحارة والتجار من حكايات عسى أن يسمع ايه انباء عن والده وعمه ••• ما من مدينة اخرى فى العالم كله كانت اكثر متعة لصبى مغامر من مدينة البندقية . اذ كانت تصل الى مينائها السفن من كل ميناء فى العالم المعروف وقتذاك ، تقريبا • فكانت السفن تدخل البحر الادرياتيكى ، آتية من القسطنطينية الواقعة على البوسفور ، ومن انطاكية ، ومن صور (Tyre) على شاطىء سوريا، ومن الاسكندرية عند مصب النيل ، ومن فرنسا واسبانيا • وحتى من انجلترا والمانيا البعيدتين• وذات يوم ، كان من المؤكد انتحمل احدى تلك السفن انباء عن والد ماركو وعمه ، اذ اقبل على ظهر كثير من هذه المراكب تجار جلبوا معهم من الشرق الاقصى متاجر لا تقوم بأموال : فاتوا بالمنسوجات الحريرية الفاخرة من الصين ، وبالطنافس الجميلة وبالمنسوجات الرقيقة (الموسلين) من فارس ، واحضروا من الهند العاج واللؤلؤ وخشب الموجانو وجوز الطيب والفلفل والزنجبيل والقرفة والمسك والياقوت والماس والخمور النادرة • كانت صفوف طويله من قوافل البغال والابل المحملة بالبضائع تنقل هذه النفائس عبر مصر وحلال الصحراء السورية ، أو عن طريق فارس وارمينيا الى طرابيزون الواقعة على البحر الاسود • ثم تنقل من طرابيزون الى البندقية بطريق البحر •

كان التجار يفدون الى البندقية من جميع البلاد الاوروبية لشراء هذه النفائس • فكان بعضهم يركب البحر من موانىء انجلترا والفلاندرز (بلجيكا القديمة) ، والمانيا بمحاذاة الشاطىء الغربى لفرنسا واسبانيا ، ثم يمرون من بوغاز جبل طارق بينما يحضر اخرون بضائعهم على ظهور الخيل عبر جبال الالب خلال ممرات سان جوتار St. Gothard وبرينر Brenner الى ايطاليا•فكانوا يجيئون بالصوف الجميل من انجلترا، وبالمعادن والاخشاب من المانيا ،وبالاقمشة والمخرمات (الدنتلا) من مدن الفلاندرز ، وبالفراء من النرويج ، وبالنبيذ من فرنسا وحوض نهر الراين• اذن • فلا غرو ان كانت البندقية اغنى واجمل مدن العالم • ولما كانت هذه المدينة مشيدة على عدة جزر صغيرة فى خلجان الشاطىء الشمالى الشرقى لايطاليا ، فقد كانت فى مامن من الهجوم البرى والبحرى ، ولم تقع قط فى يد اى عدو حتى ذلك الوقت • كما انها تمع ، كما رأينا ، على الطرق الرئيسية للتجارة بين اوروبا والشرق • لقد منحها موقعها قوة وثروة • ولم تنافسها اية مدينة اخرى غير جنوة الواقعه على شاطىء ايطاليا المقابل لها• وقد ظلت الحروب بين البندقية وجنوة طويلة وعنيفة •وفى سنتى ١٢٥٨ ، ١٢٨٤ ، دمرت قوات البندقية اسطول جنوة تدميرا تاما • وبذا كانت السيادة للبندقية فى ذلك الوقت . وقد كانت جزر كريت ورودوس وقبرص من ممتلكات البندقية • وطردت اساطيلها القراصنة السوريين والفلسطينيين من البحر المتوسط ، كما ان سلطانها امتد على القسطنطينية ، عاصمة الامبراطورية الشرقية ، وكل مابقى من الامبراطورية الرومانية العظيمة التى حكمت العالم فى وقت ما •

فى مثل هذه المدينة العظيمة ، لابد ان يكون ماركوبولو قد سمع كثيرا من القصص العجيبة عن البلاد القصية • بيد ان اكثر القصص اثارة له هى قصص التتار ، اولئك الاقوام العظام الذين بسطوا سلطانهم على آسيا كلها تقريبا • فقبل ذلك الوقت بخمسين عاما تقريبا ، أخذ الفاتح التتارى العظيم جنكيز خان يخضع قبيلة بعد قبيلة فى آسيا حتى امتدت امبراطوريته من الصين الى نهر الدانوب ، ولعدة سنين كثيرة ظل فرسان التتار

يلقون الرعب في قلوب الاوروبيين • فاجتاحوا بولنده وهنغاريا ونهبوهما،وبدا للجميع كأنما اوروبا كلها سوف تقع في ايديهم• غير ان جنكيزخان ماتفي سنة ١٢٢٧ ، فكف التتار عن تهديد اوروبا • ولم يقتصر الامر على هذا فحسب، بل اخذ سكان اوروبا يأملون في ان يصير التتار مسيحيين ويساعدوهم في استعادة الاراضي المقدسة من أيدي الاتراك • فشرع التجار واعضاء ارساليات التبشير يتوجهون الى بلاد امبراطورية التتار • وكان من بين التجار والد ماركو وعمه • وبعد موت جنكيزخان ، قسمت ممتلكاته الى اربعة اجزاء : امبراطورية « الاقوام النهبيين (Golden Horde) » وتضم ممتلكاتهم القوقاز (Caucasus) وجزءا كبيرا من روسيا وسيبيريا • كما كان خان فارس يحكم جورجيا وارمينيا وجزءا كبيرا من آسيا الصغرى• واستولى خان اسيا الوسطى على التركستان وافغانستان • اما الخان العظيم الذي كان سيد جميع التتار فاتخذ مدينة بيكين حاضرة له وامتد سلطانه على شمال الصين وكوريا ومنغوليا ومنشوريا والتبت • لم تكن هناك قط امبراطورية اقوى ولا اعظم من امبراطوريته •

واخيرا ، عاد والد ماركو وعمه الى البندقية في سنة ١٢٦٩ ، فبينما كانا يجوبان شبه جزيرة القرم حيث كان لهما مصرف مالي، رحلا على ظهور الخيل لزيارة خان الاقوام النهبيين . على شواطىء نهر الفولجا العظيم • وابان اقامتهما هناك هزم الخان في حرب نشبت بينه وبين خان فارس . فانقطع طريق العوده امام الاخوين بولو. فقررا زيارة بلاط خان اسيا الوسطى في مدينة بخارى العظيمة ، الواقعة على طريق الصين ، املا في العودة الى وطنهما بالطريق الدائري الاطول ، ولكنهما التقيا في بخارى بسفراء خان فارس ، الذين كانوا في طريقهم الى الخان العظيم ،فحثوهما على الذهاب معهم الى بيكين • وبعد ترحال سنة خلال اسيا الوسطى ، رحب بهما الخان العظيم • الذي كان يسمى كوبلاي خان (Kublai Khan) اروع ترحيب وسألهما عدة اسئلة عن ممالك اوروبا ومدنها وملوكها وامرائها وشعبها ، وكيف يحافظون على الامن والنظام في بلادهم • كما استفسر منهم عن الديانة الكاثوليكية وعن البابا الموجود في روما ،

فاعجب الخان العظيم ايما اعجاب باجاباتهما الدقيقة الرقيقة المنطوية على الادب الجم والتي تنم عن ذكاء مفرط ، لدرجة انه ارسلهما الى وطنهما كسفيرين له ليطلبا من البابا ان يبعث اليه بمائة رجل ليعلموا شعبه •

ولما عاد الاخوان بولو الى البندقية ـ ولاشك في سرور ماركو وفرحه العظيمين بعودتهما ـ وجدا ان البابا قد مات عند وصولهما • فاضطرا الى الانتظار ريثما ينتخب بابا جديد كي يسلما اليه رسالة كوبلاي خان • وبعد انتظار سنتين ،كانا على أهبة العودة الى اسيا • ولكنهما لم يستطيعا ان يصحبا معهما سوى راهبين اثنين بدلا من المائة معلم الذين طلبهم الخان العظيم • وفي هذه المرة كان بصحبتهما ماركو الصغير• فابحروا اولا الى انقرة، وزاروا اورشليم كي يحصلوا على شيء من زيت قناديل الضريح المقدس لياخذوه هدية الى الخان العظيم • ثم سافروا من اورشليم الى ارمينيا حيث افزعت اشاعة الحرب الراهبين .فهربا عائدين الى وطنهما •

اما افراد اسرة بولو الثلاثة فلم يتطرق الخوف الى قلوبهم ، بل استمروا في رحلتهم من ارمينيا حيث سمع ماركو الصغير لاول مرة ، عن بحر قزوين الداخلي العظيم •واتجهوا جنوبا الى الموصل حيث يصنع المنسوج الرفيق الموصلي المعروف باسم « الموسلين » ثم سافروا منها الى اورموز Ormuz الواقعة على الخليج الفارسي • ذلك الميناء الذي كان يلتقي فيه التجار القادمون من الهند بالتجار القادمين من اوروبا • فازمع هؤلاء الثلاثة ركوب البحر من هذا الميناء الى الصين • بيد انهم وجدوا ان السفن العربية الخفيفة لاتستطيع ان تمخر عباب المحيط ، فقرروا ان يسافروا بطريق البر •

ظل الرحالون الثلاثة في اتجاههم صوب الشمال الشرقي ، مجتازين فارس وصحراء كرمان الملحة • الا أن ماركو مرض في السهول العارة بشمال فارس حتى اضطروا الى البقاء مدة تقترب من السنة ، عندما وصلوا الى اراضي التلال الجميلة بعد نهر اوكسوس (Oxus) العظيم وراء بالخ (Balkh) حتى يتمكن الصغير من استرداد صحته،وبعد هذا اخذوا يصعدون في مرتفعات بامير Pamir القاسية البرودة

والشاهقة الارتفاع بدرجة كبيرة حتى ليطلق عليها دائما « سقف العالم » • كانوا وقتئذ فى ارض لم يزرها أحد من الاوروبيين بعد ذلك حتى القرن التاسع عشر ، أى بعدهم بحوالى ستمائة عام • ثم تركوا الجبال وساروا فى طريق كشجار Kashgar ويرقند Yarkand وخوطان Khotan الى بحيرة لوب Lob الى ان توقفوا عن المسير ليحملوا ابلهم وحميرهم بالمؤونة الجديدة قبل أن يجتازوا صحراء جوبى المخيفة • فظلوا يناضلون فى طريقهم مدة ثلاثين يوما • وكثيرا ما كانت تعزعهم الاصوات الغريبة والموسيقى التى كان يخيل اليهم انها تنبعث من طريقهم • وكثيرا ما ضللهم السراب حتى وصلوا اخيرا الى تانجوت Tangut فى اقصى شمال غرب الصين حيث التقوا برسل كوبلاى خان ، الذين جاءوا بامر منه ليرافقهم الى بلاطه فى بيكين • لقد استغرقوا فى سفرهم هذا ثلاث سنوات ونصف سنة •

استقبلهم الخان العظيم احسن استقبال ، واثنى على جهودهم البالغة فى تنفيذ طلبه • واذ راى ماركو عندئذ شابا انيقا ، سالهم عنه فاجابه والد ماركو بقوله :

« انه خادمك ياسيدى ، وابنى ! »

فقال كوبلاى خان : « اهلا به وسهلا • وانه ليسرنى ايلغ سرور ان لك ابنا بهذا الشكل » • وفى الحال عينه فى خدمته ليكون احد اتباعه الشخصيين •

قضى البنادقة الثلاثة عدة سنوات سارة فى خدمة الخان العظيم • وسرعان ما تعلم ماركو اللغة التتارية وبرهن على ذكائه وقوة ملاحظته ، حتى نال ثقة واعجاب كوبلاى خان ، الذى جعله احد عماله ، وارسله فى كثير من الشئون البالغة الاهمية • واذ علم ماركو ان الخان مولع بالوقوف على عادات واخلاق رعاياه ، كان يدون مذكرات بكل ما يراه ويسمعه خلال تجواله فى ممتلكات الخان ، ثم يكتب تقريرا بكل ذلك الى سيده ، فرغم عظمة كوبلاى خان وحكمته ، كان يعلم يقينا انه لن يستطيع ان يحكم شعبه بنجاح الا اذا كان على علم تام بطبيعة من يحكمهم •

شاهد ماركو كثيرا من الاشياء العجيبة فى الصين • وربما كان اعجبها مدينة كينساى Kinsai العظيمة ، أو كما تسمى الان هانج تشاو Hang-chow انها عاصمة اباطرة السونج Sung الذين كانوا يحكمون فى الصين الجنوبية • كانت تلك المدينة اعظم بكثير من البندقية ، واروع جمالا • كانت مبنية ، كمدينة البندقية وسط الخلجان والقنوات ، وكانت تضم اثنى عشر قسما يحوطها سور به اثنى عشر بابا • يزيد كل قسم فى اتساعه على اتساع مدينة البندقية برمتها • ويبلغ عرض الطريق الرئيسى فيها مائتى قدم • ويؤمه اعظم النبلاء ثراء ، والتجار ، واروع سيدات الصين فتنة « واغراء » • وتعلو مجارى المياه العديدة بتلك المدينة اثنا عشر الف قنطرة مبنية بالحجر • وتدخل فرضتها الواسعة كثير من كبريات السفن الاتية من الهند وبورما وسيلان البعيدة التى تحمل شحنات ضخمة من البهارات والعطور والجواهر والعقاقير الطبية ، وخشب الصندل والابنوس ، وبالطبع بالات من الحرير واردة من جميع انحاء الصين ، لم تكن كينساى ، ذات المنازل الجميلة ، والحدائق الغناء ، والبحيرات الهادئة ، والبساتين الفيحاء ، والقصور والمعابد ، والاكشاك المزخرفة ببديع الالوان ، اغنى مدينة فحسب ، بل وكانت فى نظر ماركوبولو ، اجمل مدينة فى العالم باسره • ومعهذا فلم تكن كينساى سوى واحدة من عدة مدن بهذه الصفات التى يتغنى بها ماركو بولو وهو يخبرنا عنها • فقد كانت هناك ايضا مدينة سوجاى Sugai ، التى تسمى سوتشاو Su-chow وهى مدينة يبلغ محيطها عشرين ميلا تنتج كميات عظيمة من الحرير حتى ان جميع سكانها يلبسون الديباج • كما كانت هناك مدينة يانج تشاو Yang-chow العظيمة ، التى تخضع لسلطانها اربع وعشرون مدينة اصغر منها ، ظل ماركوبولو يحكمها مدة ثلاث سنوات واليا من قبل الخان العظيم •

كان كوبلاى خان ، ذو النفوذ البالغ على تلك الامبراطورية العظيمة الآمنة ، من احكم وانبل جميع الحكام • وقد اعجب بماركو بولو اعجابا اى اعجاب • وان ماركو ليخبرنا بالشىء الكثير عن عظمة وابهة ذلك الخان •

كان كوبلاى خان على علم دائما بما يجرى فى ممتلكاته بواسطة نظام بريدى تستخدم فيه الخيول

التي تستبدل بغيرها في فترات منتظمة على طول جميع الطرق الرئيسية لامبراطوريته ، كما انه ربط بين جميع الانهار بقنوات ، واستخدم النقود الورقية كما استخدم النقود المعدنية ، كان بلاط هذا الخان في بيكين ، غير انه كان يحتفظ بقصر صيفي في شاندو Shandu ، مبني بالرخام وتحيط به الغابات الجميلة الزاهرة ،وبهذه الحدائق كشك عجيب من الخيزران،على طريقة اسرة رجال البحر فوق مائتي حبل من الحرير •

عمل ماركو في خدمة الخان العظيم ، وكان يسافر الى بلاد نائية ومناطق شاسعة ، والى جميع ارجاء العالم التي لم يزرها اى اوروبي على الاطلاق ، وعلاوة على رحلاته الى اقليمي شانسي Shansi وشينسي Shensi في كاثاي Cathay او الصين الشمالية ، كان يسافر الى مسافات بعيدة في الشمال الى منغوليا • فزار كاراكوروم Kara – Korum عاصمة التتار القديمة • وذات مرة ارتاد جبال التبت الموحشة واقليم اليون نان Yun-Nan الجنوبي ، ومن ثم دخل بورما الشمالية ثم زار الصين الكوشينية Cochin China كما سافر بطريق البحر الى الهند ، وشاهد المدن التجارية العظيمة الواقعة على ساحل مالابار •• ما من رجل سافر الى بلاد كثيرة مثلما فعل ماركو بولو •

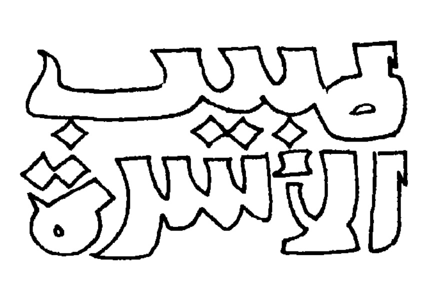
بعد ان قضى هؤلاء الثلاثة سبعة عشر عاما في الصين ، ارادوا العودة ثانية الى وطنهم • غير ان كوبلاي خان لم يرغب في ان يفقد اعزاءه ، فرفض سماع اى حديث عن رحيلهم •واخيرا ، عندما طلب منهم ، بصفتهم من الرحالين المدربين ،ان يرافقوا عروس خان فارس المنغولية من بيكين الى بلاط زوجها ، سمح لهم بالرحيل ، بعد تردد • ولكي يسلكوا طريقا اكثر امنا ، سافروا بطريق البحر فاستغرقت رحلتهم سنتين•فنزلوا في آموى Am ميناء كينساى ، وابحروا عبر بحر الصين وبوغاز ملقا • وبعد ان زاروا سيلان ، ركبوا البحر بطول ساحل مالابار الهندى ، ومنه الى الخليج الفارسي حتى بلغوا مدينة اورموز •فتركوا الاميرة فيفارس وسافروا عن طريق تبريز وطرابيزون الى القسطنطينية حيث ركبوا سفينة اقلتهم الى البندقية • لقد ظلوا غائبين عن وطنهم ، في هذه السفرة ، اكثر من عشرين سنة • وبينما هم في فارس بلغهم نبأ وفاة كوبلاى خان وهو في سن الثمانين •• اذن ، فلم يعد لهم امل في الرجوع الى هناك بعد موت ذلك الخان •

تقول احدى الاساطير انه لما عاد هؤلاء الثلاثة الى البندقية ، كان منظرهم غريبا في ملابسهم التتارية العجيبة.وقد غابوا عنها مدة طويلة حتى ان احدا لم يصدق انهم حقيقة افراد اسرة بولو الذين غادروها منذ عدة سنين • لم يعرفهم اى فرد هناك الى ان اقاموا وليمة كبرى عرضوا فيها جميع الاحجار الكريمة والملابس الفاخرة التي احضروها من الصين . وعندئذ تعرف عليهم اصدقاؤهم واقاربهم •

بعد عودتهم بثلاثة اعوام ، تسلم ماركو بولو قيادة سفينة حربية ، واشترك في معركة كبرى مع قوات جنوة ، هزم فيها البنادقه • واخذ ماركو بولو نفسه اسيرا الى جنوة حيث بقي في السجن مدة سنة • فقص على زملائه في السجن قصص رحلاته درجة بالغة ، حتى ان احدهم جمعها في كتاب • الى بلاد الصين العجيبة التي ادهشتهم جميعا الى وبهذا وصلتنا قصة واحد من اعاظم الرحالين • وعلى الرغم من انكثيرين لم يصدقوا كل ما اخبرهم به ماركو ، فانه يصر ويؤكد انه لم يخبرهم « بنصف ما رآه حقيقة » • كان صادقا في حديثه، اذ بعد ذلك بستة قرون ، عندما اخذ الناس يرتادون آسيا الوسطى والصين ، وجدوا ان كل ما قاله صحيح•واستطاعوا استخدام قصته مرشدا لهم في رحلاتهم •

عندما مات ماركو بولو في سنة ١٣٢٤ ، كان التجار وارباب المهن يجوسون الطرق الى الصين • غير انه لم يمض وقت طويل حتى انتهى حكمالتتار، فاقفل الاتراك الطرق الموصلة الى الشرق•وصارت قصة رحلات ماركو بولو اسطورة ليس غير • بيد ان هناك رجلا عظيما واحدا وجدها بالغة القيمة• فبينما كان خريستوف كولومب يقرأ عن ثراء مدن الصين العجيب ، طرأت في مخيلته فكرة امكان الوصول الى الاراضي التي زارها ماركو بولو ، عن طريق الابحار غربيا • ■■

امين سلامه





يجيب على هذه الاسئلة

نخبة من الاطباء

الحساسية الموسمية عند الاطفال

● لى قريب يعاني من مرض جلدى بدأ عندما كان عمره سنة ونصفا ،وهو الآن فى السادسة ٠ هذا المرض يظهر صيفا على هيئة بثور تمتلىء بالصديد وتتركز فى الاطراف والوجه وهى تقل ولكنها لاتختفى فى الشتاء ٠ ما تفسيركم ؟

ــ هذا النوع من الحساسية يظهر كثيرا فى الاطفال من كلا الجنسين وتزداد نسبة حدوثه اذا ما كان الوالدان من أسرة واحدة فهنالك تأثير اذ يصبح الطفل مهيأ للحساسية ، وكثيرا ما نجد الطفل الذى ولد فى مكان أو بلدة ما ــ لايعاني من هذه الحساسية واذا ما انتقل الى بلدة أخرى بدأت فى الظهور حبيبات صغيرة حمراء وخاصة فى الزراعين والساقين ــ مثيرة بذلك رغبة شديدة فى حك الجلد مما ينتج عنه حدوث خدوش وتسلخات فى هذه البثور التى سرعان ما تتقيح وتتحول الى بثور صفراء مغطاة بقشور صديدية وقد تفرز الصديد واضحا على سطحها ــ وتستمر هذه الاعراض فى الظهور حتى يعود الطفل الى المكان الذى ولد فيه ٠ وتتكرر هذه الظاهرة من عام لآخر حتى يكبر الطفل فيقل الاستعداد لذلك حتى تختفى ٠

هنالك الكثير من العوامل التى قد تسبب ظهور هذه الحالات ــ فهنالك أختلاف نوع الاتربة العالقة بالجو وكذلك حبوب اللقاح التى تنشرها الرياح من الزهور ونوعية المراعى التى تتغذى عليها الابقار التى نأخذ منها الحليب ومشتقاته واكثير الكثير ولكن وجد بالتجارب أن أهم هذه العوامل هو الباعوض والهوام المختلفة التى تختلف أنواعا وأشكالا ، فلقد وجد أنه اذا عرضنا الطفل الذى لديه الاستعداد لهذه الحساسية لهذه الحشرات فان قرصة واحدة من هذه الحشرات كافية لاثارة الحساسية وظهور هذه البثور فى مختلف أجزاء الجسم وخاصة الاطراف اذ يكون الطفل حساسا للمادة التى تفرزها هذه الحشرات فى داخل الجلد لكى تمنع تجلط الدم ويمكنها بذلك أمتصاص ما تريد من دماء الانسان ولقد أمكن احداث ذلك تجريبيا فى المختبرات٠

لذلك لايملك الطب سوى اعطاء مضادات الحساسية موضعيا وعاما سواء بالاقراص او الشراب ، وذلك لتهدئة الحالة مؤقتا فالحساسية لا تزول الا بزوال المسبب ولكن كما ذكرت سابقا تختفى هذه الحساسية عند تقدم العمر ٠



تحديد جنس الجنين

● هل يمكن تحديد جنس الجنين قبل الولادة ؟

سيدة سلوى عبد الجبار ـ طرطوس ـ سوريا

ـ التقدم العلمي اثبت ان ذلك صار ممكننا • فنحن لو رأينا خلية من الغشاء المبطن للفم تحت الميكروسكوب لامكننا ان نحدد ان كانت هذه الخلية من فم امرأة او من فم رجل• ذلك ان خلية الانثى تحتوى في طرف منها على جسم كروى صغير لايوجد في خلية الرجل ولقد اطلق عليه « جسم بار » • وبار هو اول من اكتشف هذه الخاصية فـي خلايا جدار الفم لكل انثى ثم بدأ البحث في كل الخلايا فـي الدم والكبد والقلب والامعاء وباقي الانسجة فثبتت الحقيقة ان خـلايا الانثى تتميز عن خلايا الذكر بهذا الجسـم الكـروى وأضيفت صفة اخرى للانوثة غير الصفات العضوية والوظيفية المعروفة •

وكان علماء الوراثة قبل ذلك قـد كشفوا عن وجود كروموزمين للجنس في كل الخلايا المذكرة والمؤنثة • تحتوى خلية الذكر على كروموزم X واخر Y بينما تحتوى خلية المرأة على زوج من كروموزم X • ويصبح علامة الذكر YX وعلامة الانثى XX•

ويقول بار ان الجسم الكـروى الـذى اكتشفه هو احد الكروموزومين × الموجودين في الخلية الانثوية ولقد اكد ذلك ان الذكور الذين يعانون من تشـويه خلقى وراثي يحملون كروموزمات جنسية اكثر من المعدل كان يحمل احدهم YXX أو YXXX • وخلايا فم هؤلاء المشوهين وجد انها تحـتوى على اجسام بار الكرويـة بعدد كروموزومات X الزائدة عن الاول • فمثلا في حالة الرجل المشوة YXX كانت خلية فمه تحمل جسما واحدا بينما الرجل المشوه YXXX تحمل خليته جسمين من اجسام بار رغم أنهما رجلين عضويا ووظيفيا مع بعض التشوهات الخلقية وربما الوظيفية•

وهكذا اصبح المفهوم العلمي للفـــرق بين الذكر والانثى اكثر تحديدا وتعقيدا فلن يكفى ابدا الصوت النـاعم والشـعر الطويل والوصف العضوى للجسم ولاحتى المعاملة الرقيقة حتى تتأكد أننا نتعامل مع واحدة من بنات الجنس اللطيف فكل هذه الصفات يمكن ان تتواجد في الجنس الاخر والعكس صحيح• ولكن لابد من وجود جسم بار حتى نقرر اننا نتعامل مع انثى بالمفهوم العلمي •

رقعة خالية في الرأس

● ظهرت في ولدى رقعة خالية من الشعر في رأسه الا أن بهـا بعض الشعر المتقصف مع قشور خفيفة ثم تبعتها رقعات اخرى واخبرني طبيب المدرسه بان ذلك قراع ومنع الولـد من المدرسة حتى يشفى ، فما هو ذلك المرض وهل هو معد ؟

ـ القرع أو سعفة الرأس هو مـرض فطرى يحدث نتيجة أصابة شعـر الرأس بالفطريات كمـا ان الرموش والحواجب يمكن أن تتأثر بالمرض وهو مرض معـد بدليل انتشاره في رأس الولد ولهذا منعه الطبيب عن المدرسة حتـى يشفى وحتى لايعدى بقية التلاميذ •

وهذا المرض عادة يحدث قبل سن البلوغ وينتشر في الذكور أكثر من الأناث ويشفى

ان المجهول هو ضالة الانسان دائما . وقد ظل جنس الجنين في الرحم امرا مجهولا يستقطب الاهتمام من قديم الازل . ولذلك فلقد كان التنبؤ به ميدانا فسيحا للدجالين ولايزال ممكنا ان نرى امرأة عجوزا تقف على قارعة الطريق تحمل عظمة معينة من سمكة معينة تنتظر اول قادم عليها فان كان ذكرا كان مولود من تعنى ذكرا. وان كان القادم انثى كان المولود كذلك .وتسرى خرافات اخــرى فمنهــا من يقــول ان الحــامل قد يصيبها قيء الحمــل بعنف اشد اذا كان الجنــين انثى او ان الانثى كثيرة الحــركة في بطن امهــا او تكون ولادتهــا اكثر عسرا من ولادة الولد . والحقيقة انه لا اصل علمي لهذه الاوهام ولم يستطع البحث ان يحقق صدق أي منها ويبقى للعلماء ان يستثمروا اكتشاف بار. ولكن الوصول لخلايا الجنين كان صعبا . حتى امكنهم وبدون اضرار امتصاص جزء من السائل المحيط بالجنين ولقد وجدوا فيه خلايا من جلد الجنين وأصبح البحث عن اجسام بار في هذه الخلايا امرا سهلا . بل وأمكن زرعها ومعرفة عدد ونوع الكروموزمات التي تحملها فان كان x x فهي انثى أو XX فهو ذكر وان حملت جسم بار الكروى فهي انثى والافهي ذكر.

هكذا اصبح تحديد جنس الجنين ممكنا. ولقد قدمت التكنولوجيا الحديثة وسائل عديدة جعلت الحصول على السائل المحيط بالجنين وزرعه وفحصه امرا ميسرا وعمليا. حتى انه اصبح من الطرق العديدة التي يستخدمها اطباء الولادة والوراثة ليس لمعرفة جنس الجنين في حد ذاته ولكن لما في هذه المعرفة من اهمية في تحسين نوعية النسل وتجنب كثير من الامراض .ورغم ان هذا العمل لايزال في بدايته ، الا ان الشواهد تؤكد ان المستقبل القريب سيشهد ثورة علمية في هذا الميدان .

تلقائيا بعد البلوغ نتيجة التغيرات التي تحدث نظرا لزيادة افراز الهرمونات التي تجعل الجلد يقاوم هذا الفطر .

وتحدث العدوى مباشرة من شخص لآخر باستعمال الفرش أو الامشاط المشتركة كذلك لباس الرأس والمناشف والمخدات وعدواه سريعة الانتقال .

ويبدأ نمو الفطر في الطبقة القرنية للبشرة ثم يهاجم القشرة وينمو فيها وكلما زاد نمو الشعر امتد الفطر داخلها ويظهر فوق سطح الجلد بعد أسبوعين من العدوى ، ويظهر الشعر المتقصف في الرقع المصابة في الاسبوع الثالث من الاصابة ، حيث يمكن اكتشافها وتمتد العدوى في الشعر المجاور وبهذا تزداد الرقع تدريجيا.

ويظهر المرض على الرأس على شكل رقعات بيضاوية او مستديرة رمادية اللون بها احمرار مع قشور ضعيفة والشعر المصاب يتقصف عند اتصاله بسطح الجلد.

وطبيعي أن الوقاية مهمة جدا خاصة في المدارس وفي هذه الحالة طالما اكتشفت حالة فانه يجب الكشف على جميع الطلبة بواسطة مصباح أشعة فوق البنفسجية خاص لهذا الغرض للكشف على اعداد كبيرة في وقت قصير لاكتشاف المرض في بدايته كذلك يجب فحص المخالطين في المنزل ويجب أن تكون له أدواته الخاصة به من مناشف وفرش وأمواس حلاقة وفراش وغيره .

وقد أصبح من السهل علاج هذا الفطر حاليا باستعمال أدوية الجريزفين عن طريق الفم جنبا الى جنب مع استعمال الدهانات الادوية المضادة للفطر موضعيا على الرأس مثل الاسترول والكستلاني والجاديت .

مع نهاية الصيف

أول سنة في حياة

النوادى البحرية

قارب لاحد اعضاء النادى وهو يستعد للقيام برحلة بحرية .



استطلاع الكويت :

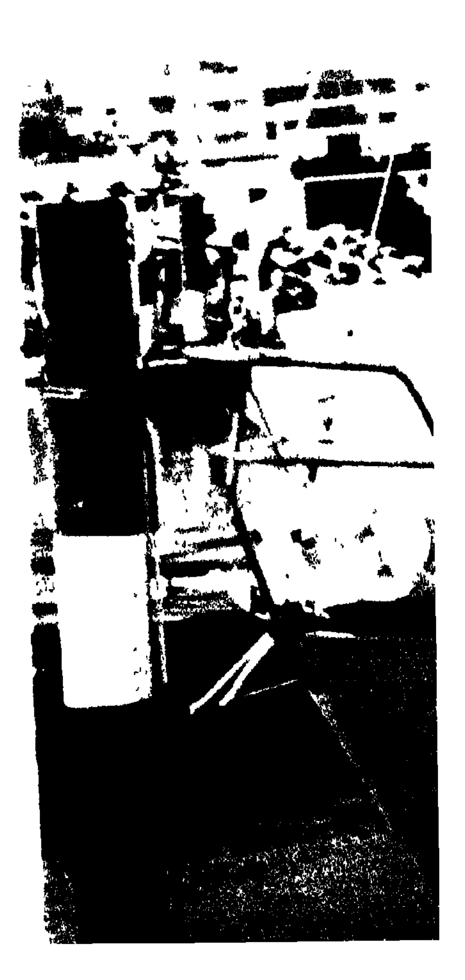
بقلم

صادق يلى

(تصوير : اوسكار مترى)



الوادى البحرية حملت من صيف الكويت ربيعا دائما





شرفة تطل على حوض السباحة فى نادى بنيد
[illegible]

مع بداية هذا الشهر تبدأ جحافل حـر الصيف في الرحيل • الا ان رياضة البحر تظل رياضة الصيف والشتاء •••فالنوادي البحرية لايقتصر عملها على فترة الصيف فقط فاستمرارية العمل هو طابـع هذه النوادي التي أخذت على عاتقها رعايـة السباحة والعاب البحر صيفا وشتاء •

شيئان في حياة اهل الكويت بقيا وسيبقيان دوما في الاعماق ••• البر والبحر ••• الى البر الذي عاشوا فوق رماله الساخنة وتحت الخيام وفي بيوت بسيطة متواضعة ••• الى هذا البر يعودون فـي ربيع كل عام يتذكرون ••• انه حنين البدوي الى الصحراء ••• والى البحر الذي غاصوا في مياهه باحثين عن رزقهم وابحروا فوق صفحته بمراكبهم الشراعية يحملون السلع الى بلاد الله القريبة والبعيدة الى البحر عادوا ويعودون ليتذكـروا وليملأوا انوفهم برائحة مياهه ، ويلقون باجسامهم على شواطئه الهادئة ، على هذه الشواطىء اقاموا النوادي والكازينوهات وعادوا الى ذلك العناق الابدي بين الشاطىء والبحر وبينهم وبين مياه البحر •• من هنا كان لا بد لنا ان نبرز صورة هـذا الجانب المشرق من جوانب مسيرتنا الحضارية ، لقد اتجه الانسان الكويتي الى استثمار هذا البحر والاستفادة من شواطئه ومياهه الزرقاء الصافية لتعود عليه بالفائدة فكانت النوادي البحرية هـي احدى انجازات شركة المشروعات السياحية التي تاسست في سنة ١٩٧٦ فهي بذلك رائدة الشركات السياحية حيث بلغ راس مال الشركة عشرة ملايين دينار كويتي ساهمت الحكومة الكويتية فيه بتسعة ملايين دينار اما باقي راس المال فقد ساهمت فيه شركة الفنادق الكويتية والشركة الكويتية للتجارة والمقاولات والشركة الكويتية للاستثمار وشركة المواصلات الكويتية •

النوادي البحرية

وقمنا بجولة سريعة لمنشات الناديين البحريين اللذين يعملان الان ، اولهما ويقع في منطقة الراس قرب السالمية ، اما الثاني فيقع بمنطقة بنيد القار امام فندق هيلتون الكويت •

وبدأنا جولة على منشات النادي فبدانا بصالة الالعاب المغلقة وتضم هذه القاعة طاولات للعبة تنس الطاولة والعاب تسلية للاطفال ثم حجرات لموظفي النادي والمستخدمين ثم صالة للاستقبال ، اما الطابق الثاني من المبنى فيحتوي على مطعم كبير يقدم الوجبات لرواد النادي وضيوفهم ثم صالة كبيرة خصصت لتكون مكتبة يقضي فيهـا اعضاء النادي وقتا للمطالعة ، وبالطبع فان نمعظم



دقت الشماسي على ساحل البحر واستعد الكل للنزول الى الماء •



موظفة الاستقبال ترد على بعض استفسارات احدى العضوات في النادي



الشيخ مبارك الجابر الاحمد نائب رئيس شركة المشروعات السياحية قال ان لدى الشركة عدة مشاريع ترفيهية سوف تكون مفاجأة للمواطنين ٠

كتب المكتبة تختص بالبحر وكتب التسلية الفكرية٠

ويضم النادى مرسى كبيرا يتسع لـ٢٠٧ من القوارب البخارية لهواة الرحلات البحرية وصيد السمك ، والمرسى مزود بمضخة بنزين ومياه لتنظيف القوارب وللاستعمال ايضا ٠

وتجولنا حول حوض السباحة وهو حوض كبير مساحته حوالى ٣٥٠ متر مربع تم شرفة واسعة تطل على الحوض وقد رصت حوله الطاولات وكراسى البحر والشماسى بالوانها الزاهية . وبالقرب من هذا الحوض الرئيسى هناك حوض اصغر منه مساحة وهو عمق يستخدم لرياضة الغطس من السلم المتحرك ، ولم ينس النادى الاطفال فقد قام بانشاء حوض دائرى قليل العمق يستخدم للاطفال دون الخامسة ، ويضم النادى بالاضافة الى ذلك ساحلا رمليا جميلا بطول كيلو متر واحد ، وقد اعد اعدادا كاملا لاستقبال الاعضاء وقضاء وقت ممتع على شاطىء الخليج والتمتع بالسباحة لمسافات طويلة ٠

وقد بدأ نشاط هذين الناديين منذ بداية شهر مايو وبلغ عدد الاعضاء المنتسبين له ما يقرب من اربعة الاف عضو ، وكل هؤلاء الاعضاء يحق لهم الدخول فى جميع الأندية البحرية التابعة لشركة المشروعات السياحية ٠ وسالنا الاستاذ فيصل القضيبى مسئول نادى بنيد القار عن شروط العضوية ، فاجابنا قائلا : ان الباب مفتوح لكل من يريد الانضمام للنادى من المواطنين وان المشترك فى احد هذه النوادى له الحق فى الدخول الى اى ناد يتبع نوادى شركة المشروعات السياحية ٠ اما عن رسوم الاشتراك للعائلة الواحدة والمكونة من الزوج والزوجة وولدين فتبلغ ٧٥ دينارا سنويا ، وكل طفل يضاف بعد ذلك عليه أن يدفع عشرة دنانير ، اما الاعزب او الفردى فانه يدفع ٥٠ دينارا رسوم الاشتراك وأما بالنسبة للطلبة فيدفع الطالب ٢٥ دينارا ٠

ومن الجدير بالذكر ان هناك ثلاث نواد اخرى لم تستكمل مبانيها بعد ، ومن المحتمل انجازها فى الاشهر القليلة القادمة احدها يقع امام مبنى وزارة الاسكان فى منطقة الشعب والاخر يقع فى الفحيحيل ٠ اما الثالث فيقع فى منطقة البدع ٠

آراء الاعضاء

ولقد قمنا بجولة بين اعضاء النادى لمعرفة آرائهم ومدى اقبالهم على الانشطة المختلفة للنادى خلال هذه الفترة القصيرة من عمر النادى فقابلنا السيد مهدى الكاظمى وهو يعمل موظفا فى احد البنوك فبادرنا قائلا : لا يخفى ان النادى لا يزال فى مرحلة التكوين ويحتاج الى بعض الوقت لاستكمال ملاعب كرة السلة والتنس الارضى، والامل كبير ان تكون هذه النوادى خطوة موفقة لجذب أكبر عدد ممكن من اهالى الكويت والمقيمين ٠

اما الانسة ريما ياسين فاجابت قائلة انى منذ طفولتى اهوى السباحة ورياضة البحر وكذلك يشترك معى اخوتى فى هذه الهواية لذلك كنت من اوائل الاعضاء الذين تقدموا للاشتراك فى النادى ٠

والنادى كبداية رائع واستعداداته لا باس بها. وبودى أن تكتمل ملاعب التنس ، كما اتمنى أن تستحدث صالات لالعاب اخرى مثل الاسكواش والبولنج وان تقام سباقات للقوارب الشراعية وفرق لرياضة التجديف ومسابقات لهواة صيد السمك ٠

ولا يفوتنا ان نذكر ان مجلس ادارة النوادى البحرية والمشروعات السياحية يتكون من السادة

تفتح الاندية البحرية ابوابها للرواد من الساعة السابعة صباحا حتى الساعة الحادية عشرة ليلا وفى الصورة بعض الاعضاء يتناولون وجبة الغداء فى مطعم النادى ٠



الى اللقاء فى جزيرة فيلكا مع مراكب شركة المشروعات السياحية ٠

يكون الزحام على أشده أيام الخميس والجمعة من كل اسبوع حيث تقوم مراكب شركة المشروعات السياحية بنقل المواطنين من ميناء الراس بالسالمية الى جزيرة فيلكا ٠



يحتوى كل ناد بحرى على حوض واسع للسباحة وفي الصورة أم وأولادها ومحاولات أولى لتعلم السباحة ٠

غازى مسعود الفليج رئيسا والشيخ مبارك الجابر الاحمد نائبا للرئيس ثم الاعضاء السيد عبد الله القطامي وسامى الابراهيم ومصطفى الشمالى وكذلك مدير شركة المشروعات السياحية السيد على الحمود ونائبه السيد فيصل القضيبى ، هذه المجموعة من الشباب الكويتى تعمل بجد ونشاط للقضاء على اية مشكلة قد تعترض هذه النوادى.

الى فيلكا بالمراكب

وكان لنا لقاء مع الاستاذ محمد الدخيل رئيس الشئون الادارية فى شركة المشروعات السياحية ليحدثنا عن المراكب التى تعمل الان بين منطقة الراس بالسالمية وجزيرة فيلكا فاجابنا بان هناك ثلاثة مراكب تستوعب كل منها ٦١ راكبا تعمل الان بنقل المواطنين من والى جزيرة فيلكا وهذه المراكب هى (العبدلى) (وورية) (وادعمى) وتستغرق الرحلة من والى جزيرة فيلكا ساعتين ونصف الساعة وجميع هذه البواخر مجهزة بجميع اسباب الراحة من مقاعد وثيرة واجهزة موسيقى بالصوت المجسم وكافتيريا صغيرة تقدم المرطبات اما اشد ايام الاسبوع ازدحاما بالمسافرين فهى ايام الخميس والجمعة من كل اسبوع ثم الاعياد والعطلات الرسمية اما قيمة التذكرة فتبلغ نصف دينار فقط ثم قال الاستاذ الدخيل : واود ان اذكر هنا ان بواخرنا لا تعمل الان بكامل طاقتها لعدم اكتمال بناء ميناء فيلكا ، فبواخرنا الآن مرتبطة بظاهرة المد والجزر وفى حالة الانتهاء من ميناء فيلكا فسوف تعمل بواخرنا بكامل طاقتها .

ماذا أعددتم لهذا الصيف

وكان لا بد لنا من لقاء مع الشيخ مبارك الجابر الاحمد نائب رئيس شركة المشروعات السياحية ليحدثنا عن مشاريع الشركة ، وما اعدته لهذا الصيف فاجابنا قائلا : لا شك ان هناك امكانية لان تكون الكويت من المراكز السياحية على المستوى الداخلى فموقع الكويت الاستراتيجى وسهولة الاتصال بها برا وبحرا وجوا ، وما وهبها الله من شاطىء رملى جميل يعتبر من اجمل الشواطىء



امرة تستمتع بالسباحة فى مياه الخليج

يؤكد لنا ان الكويت تنظر الان الى السياحة الداخلية باهتمام وجدية ثم الدور الذى سوف تقوم به شركة المشروعات السياحية فى هذا الجانب لتطوير المشاريع السياحية فى كويتنا الحبيبة .

واضاف الشيخ مبارك ان شركة المشروعات السياحية سوف تتولى ادارة المنشآت السياحية والترفيهية التى تقوم الدولة بانجازها بالاضافة الى المشروعات السياحية التى تقوم الشركة بانشائها وادارتها ، فالغرض الذى انشئت من اجله الشركة هو القيام بمثل تلك النشاطات وهو الترفيه عن سكان الكويت والمواطنين .

ونسال الشيخ مبارك ماذا اعددتم من مشروعات



باخرتان من بواخر شركة المشروعات السياحية هذه البواخر تنقل المسافرين من رأس الارض بالسالمية الى جزيرة فيلكا وتستغرق الرحلة ذهابا وايابا ساعتين ونصف الساعة .

فاجابنا هناك العديد من المشاريع سوف تسعد المواطنين وترفه عنهم وتعيد لهم الحيوية والنشاط فلدينا الآن النوادى البحرية فى بنيد القار ورأس الارض وهذان الناديان تم تجهيزهما لاستقبال المواطنين ، اما المشروع الاخر فهو مشروع ابراج الكويت والتى تعتبر بحق رمزا لحضارة ومستقبل الكويت فستتولى شركة المشروعات السياحية ادارته ولا شك ان المشروع كبير وضخم وقد احتفل فى العيد الوطنى من هذا العام بانتهاء العمل فيه ، ومنذ مدة قصيرة افتتح باب الزيارة لصالة المشاهدة فى ابراج الكويت للمواطنين وذلك ليتمكن المواطنون من مشاهدة معالم الكويت نهارا وليلا ويبدأ العمل فى ابراج الكويت من الساعة الرابعة مساء حتى العاشرة مساء . ومنذ فترة قصيرة قامت السفينة مسجان برحلات بحرية لمشاهدة معالم مدينة الكويت وواجهاتها البحرية ، وتقوم هذه السفينة والتى تتسع لـ ٢٢٤ راكبا ومجهزة بقاعة للسينما ومطعم وهى مكيفة مركزيا وقد جهز سطح الباخرة لجلوس الرواد والاستمتاع بالهواء الطلق ، وتقوم هذه السفينة بجولتين فى اليوم الاولى رحلة نهارية اما الثانية فهى رحلة ليلية .

مشاريع مرتقبة

ونسال الشيخ مبارك عن المشروعات الاخرى التى تنوى الشركة اقامتها ، فاجابنا : هناك مشروع سياحى كبير هو الان قيد التنفيذ وهو مشروع اقامة شاليهات فى جزيرة فيلكا وسوف يكون على مساحة مليون متر مربع ويتكون من ٤٥٠ شاليها مختلفة الاحجام كبيرة وصغيرة ومتوسطة وموتيل يتكون من ٢٥ غرفة وسوق مركزى وبلاج عام واماكن لتغيير الملابس ومطعم وحوض سباحة كبير ومجارى ومحطة لتنمية مياه المجارى لاستخدامها فى الزراعة ، واود ان اذكر بالنسبة لهذا المشروع اننا سوف لن نسمح بدخول السيارات الى هذه المنطقة لنوفر اكبر قدر ممكن من الراحة والهدوء للنزلاء والسياح . وسوف ينتهى العمل بهذا المشروع فى نهاية عام ١٩٧٧ .

اما المشروع الاخر والذى نحن الان بصدد دراسته فهو مشروع انشاء ثلاث مدن ملاهى صغيرة احداها يقع بالقرب من مدينة الكويت قرب الطريق الدائرى السادس والآخر بالقرب من مدينة الاحمدى اما المدينة الثالثة فسوف تكون فى جزيرة فيلكا وتقوم اكبر البيوتات الاستشارية الاوروبية والامريكية بدراسة المخططات المطلوبة لهذه المدن . هذا بالاضافة الى مدينة الملاهى الكبرى التى تنوى الحكومة القيام بها .

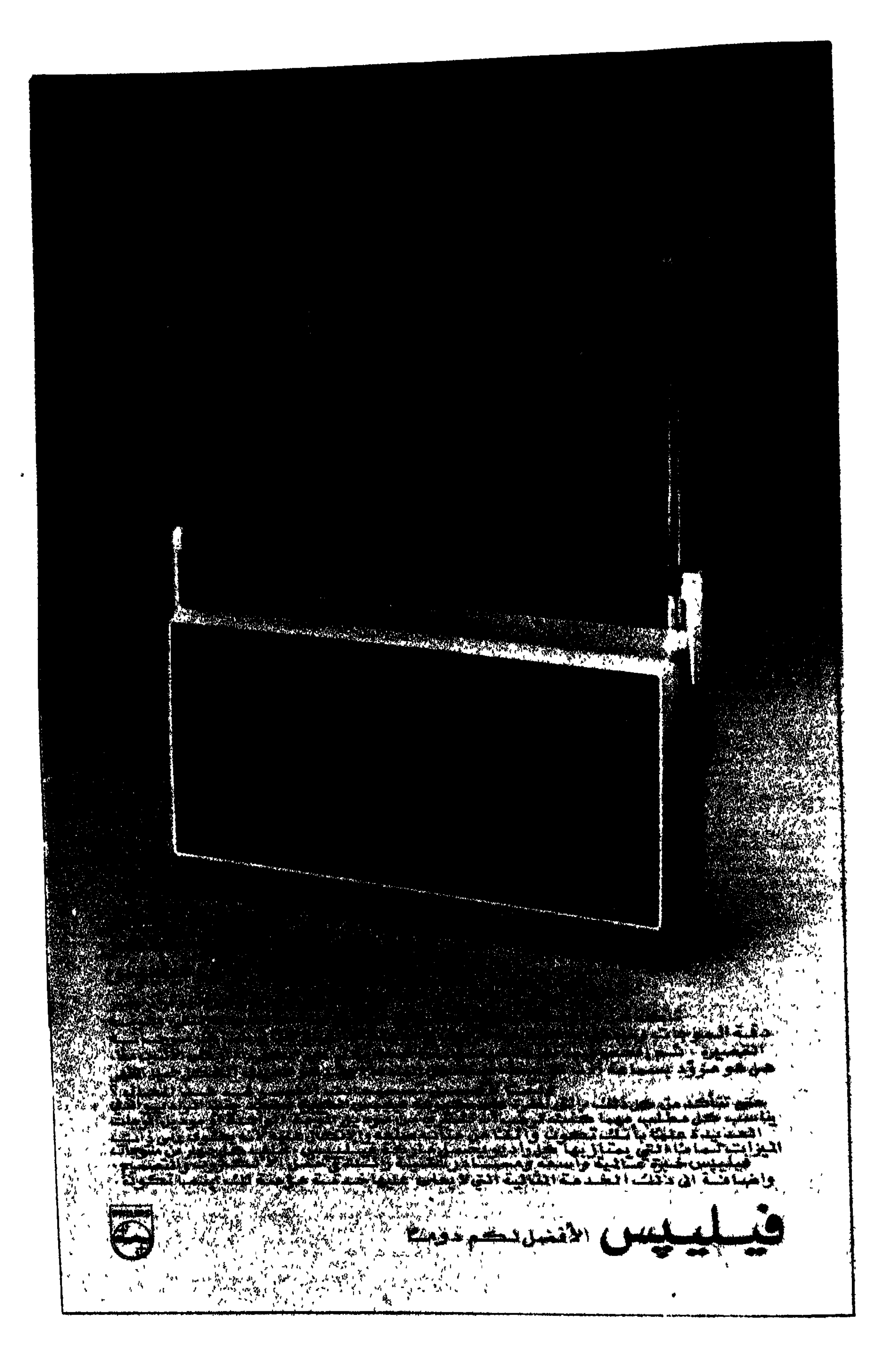
وهناك عدة مشروعات اخرى تنوى الشركة اقامتها فى السنوات القليلة القادمة منها مشروع انشاء شاليهات فى ميناء عبد الله ويعتبر هذا المشروع من اكبر المشاريع السياحية . ويبدأ المشروع من ميناء عبد الله شمالا الى قصر طروب جنوبا حيث سيكون تنفيذه على مراحل وسوف يمتد حوالى ٦ كيلومترات ويضم ٦٥٠ شاليها وبلاجا عاما يشمل على مراكز انقاذ وحوض سباحة وغطس واماكن تبديل ملابس ومرسى كبير وورشة لتصليح القوارب وحمامات ومرافق اخرى ، بالاضافة الى شبكة طرق وكازينوهات وسوق مركزى وملاعب وحدائق ومسجد ومحطة وقود للسيارات ومخازن . وسوف يتم طرح هذا المشروع فى مناقصة عالمية فى القريب العاجل .

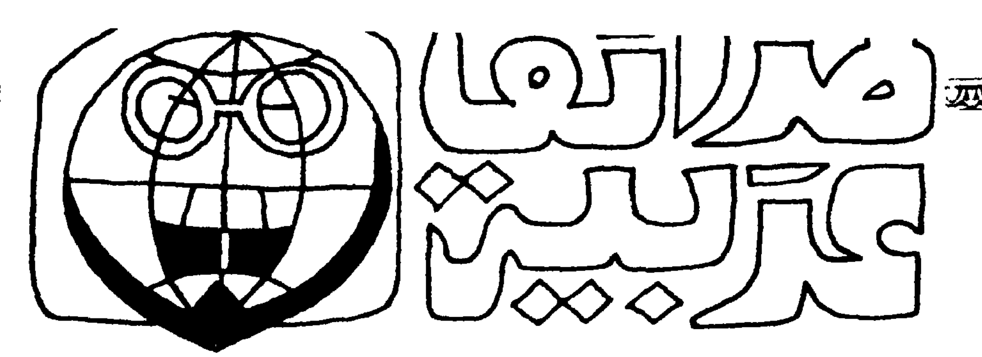
واخيرا فاننى احب ان اقول للاخوة المواطنين انهم فى القريب العاجل سوف يلمسون النتائج بانفسهم لهذه المشاريع التى سوف تقوم بها شركة المشروعات السياحية والدولة أيضا . من منطلق الاهتمام وتشجيع السياحة الداخلية فى الكويت وايجاد اماكن للترفيه والمتعة للمواطن والمقيم على السواء ، واننا سوف نجنى ثمار هذه الجهود فى القريب العاجل وسوف يحمل لنا كل عام الجديد من مشاريع سياحية تدعم تقدم نهضتنا المباركة . ■■

صادق يلى

لعبة أخرى من ألعاب التسلية فى النوادى البحرية




فيليبس
الأفضل لكم دوماً



رجل حكيم

● قدم قيس بن زهير ـ وكان منفرسان العرب واجوادها ـ قدم على النمر ابن قاسط فقال . « يا معشر النمر نزلتاليكم غريبا فانظروا الى امرأة اتزوجها، قد ادلها الفقر ، وادبها الغنى لها حسبوجمال » · فزوجوه على هيئة ما طلب ، فقال اني غيور فخور ضجور . ولكن لاأعار حتى ارى ، ولا افخر حتى افعل ولا انف حتى اظلم ·

فاقام فيهم حتى ولد له غلام ، ثم بداله ان يرتحل عنهم ، فجمعهم ، ثم قال « يا معشر النمر ، ان لكم على حقا · وانااريد ان اوصيكم ، فامركم بخصال . وانهاكم عن خصال : آمركم بالابل فانبها تنال الفرص ، وسودوا من لا تعابون بسؤدده وعليكمبالوفاء فانبه عيشالناس·واعطاء ما تريدون اعطاءه قبل المسألة ، واجارة الجار على الدهر ·

وانهاكم عن الرهان · وعن السرففيالدماء ، ولا تعطوا في الفضول فتعجزوا عن الحقوق ، ولا تردوا الاكفاء عنالنساءفتحوجوهن الى البلاء » ·

حبه لا يتجاوز معدته

● حكى ان ابا القماقم عشق قينة (مغنية) فبعث اليها : « حضر عندى البارحة صديق عزيز على ، فابعثى الى بدجاجة سمينة اكلها معه على ذكرك »، فبعثت القينة اليه ما طلب ، ولما كان من الغد بعث اليها يطلب منها ان ترسل له بطبق من اللوزينج يأكله على ذكراها ، فقالت : « جعلت فداك ذكروا ان منبع الحب من القلب ، فاذا تناهى بلغ الى الكبد وانا ارى حبك لا يتجاوز معدتك » فقال :« انمافعلت هذا لاقوى على محبتك ألم تسمعى قول الشاعر .

اذا كان فى قلبى طعام ذكرتها
وان جعتلم تخطرببالىولا فكرى
ويزداد حبى ان شبعت تجددا
وان جعتيوما لمتكونى علىذكرى

ثماني خصال

● قال لقمان لابنه : « يا بني خذ عني هذه الخصال الثماني : الاولى اذا كنت بين الصلاة فاحفظ قلبك . والثانية اذا كنت بين الناس فاحفظ لسانك . والثالثة اذا كنت بين النعمة فاحفظ خلقك .والرابعة اذا كنت في دار الغير فاحفظ عينك ·

واما الاربعة الاخيرة : فكن ذاكرا ابدا لشيئين:الخالقوالموت. وكن ناسيا ابدا لشيئين:احسانك في حق الغير ، واساءة الغير فى حقك ··

لا ازوجـه

● ســأل الخليفة هـارون الرشيد الامام موسى بن جعفـر رضى الله عنه كيف زعمتم انكم اقرب الى رســول الله منا ؟ قال : « لو ان رسول الله صلى الله عليه وسـلم نشر ، فخطب اليك كريمتك ،هل كنت تجيبه، فتزوجه؟ » فقال‌هارون الرشيد: « سبحان الله !كنت افتخر بذلك على العرب‌والعجم » فقال الامام موسى بن جعفــر : « لكنه لا يخطب الى ولا أزوجه » . (لان موسى من ســلالة النبى عليه السلام) .

جارية

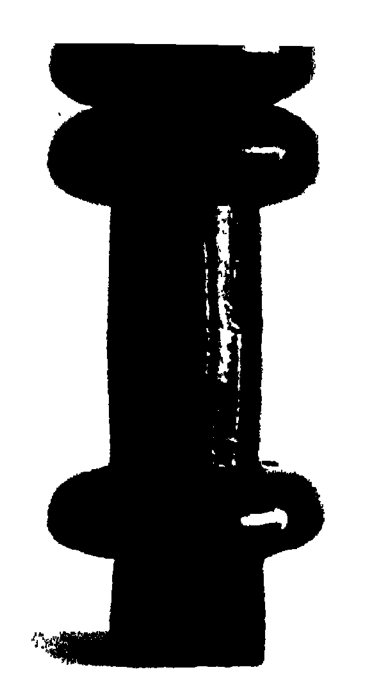
● كتب بعض الولاة الى صديق له فى بغداد ، ليشترى له جاريــة ، وكان هذا الوالى من المعروفين بالذوق الرفيــع ، فكتب الى صديقه يقول : « أحبها فرعاء فانه يقال : اذا اتخذت الجارية فاستجد شعرها فان الشـعر أحد الوجهين ، وان تكون رائقة البياض تامة القوام ، فان البياض والطول نصف الحسن ، وان تكون سليمة المضحك ، فانه اول ما يجلب المحبة ويكسب الحظوة . واننى اكره صـاحبة العجيزة العظيمة ، واريدها وسطا لان خير الامور اوسـطها ، واريدها ان يكون لها طرف ادعج ، وحاجب ازج ، وكفل مرتج وما وافق هذه الصفة وان تكون رخيمـة الكلام شهية النفحة والسلام » .

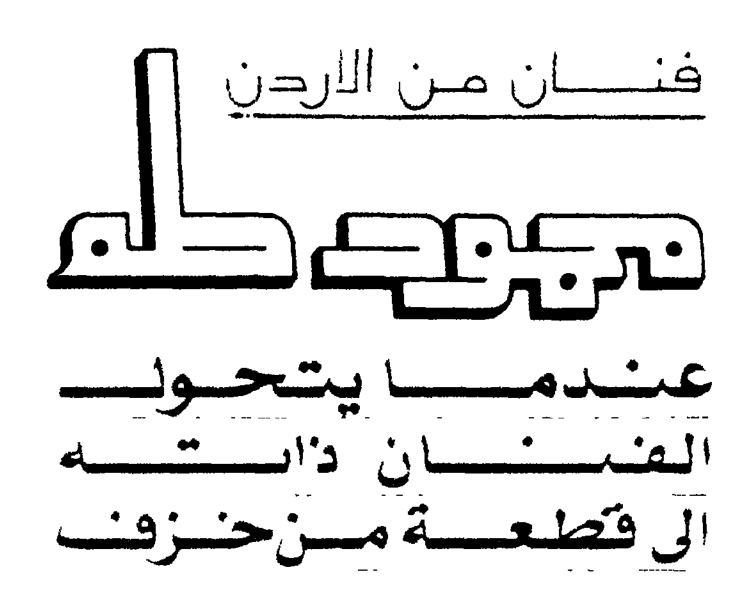
يحسده على موته

● قيل انه كان بالمدينة امرأة شديدة‌الاصابة بالعين وكانت لا تنظر الى شىء الا دمرته ، فدخلت على اشـعب تعوده ،وهو يحتضر ، ويكلم ابنته بصوت ضعيف منهوك» وهو يقول لها : « يا بنية ناشدتك‌اذا أنا مت أن لا تنوحى على ولا تندبينى والناس يسمعونك تقولين : « وأبتاه ،اندبك للصلاة والصيام ، والفقه والقرآن، وأعمال الخير ، فيكذبونك ويلعوننى » .ثم بعد ذلك التفت أشعب الى الحضـور فرأى المرأة فغطى وجهه بكمه ، وقال :« يا فلانـة ، ناشـدتك الله ان كنـت استحسنت شيئا مما انا فيه فصلى على‌النبى » فقالت المرأة : « قبحك الله وأى شىء فيك حتى اسـتحسنه ، انمـا انت‌فى آخر رمق » فقال لها أشعب : « ربمـا تكونين قد استحسنت خفة المـوت على ،وسهولة النزع فيشتد ما أنا فيه » فخرجت المرأة من عنده وهى تسبه وتشتمـه ،وضحك من كان حوله حتى نساؤه .

فيـك بـذاء

● قال الصولى حدثنى ابو العينـاء‌قال دخلت على الخليفة المتوكل .فدعوت له وكلمته فاسـتحسن كلامى ثم قال :« يا ابا العينــاء بلغنى ان فيك بذاء » فقلت يا امير المؤمنين ان يكن الشر الذى‌بلغك عنى ذكر المحسن باحسانه ، والمسىء باساءته فقد زكى الله تعـالى وذم فى‌القرآن الكريم ، فقال : « نعم العبد انه اواب » وقال : « هماز مشاء بنميم منـاع‌للخير معتد اثيم » .





فنان من الاردن

محمود طه

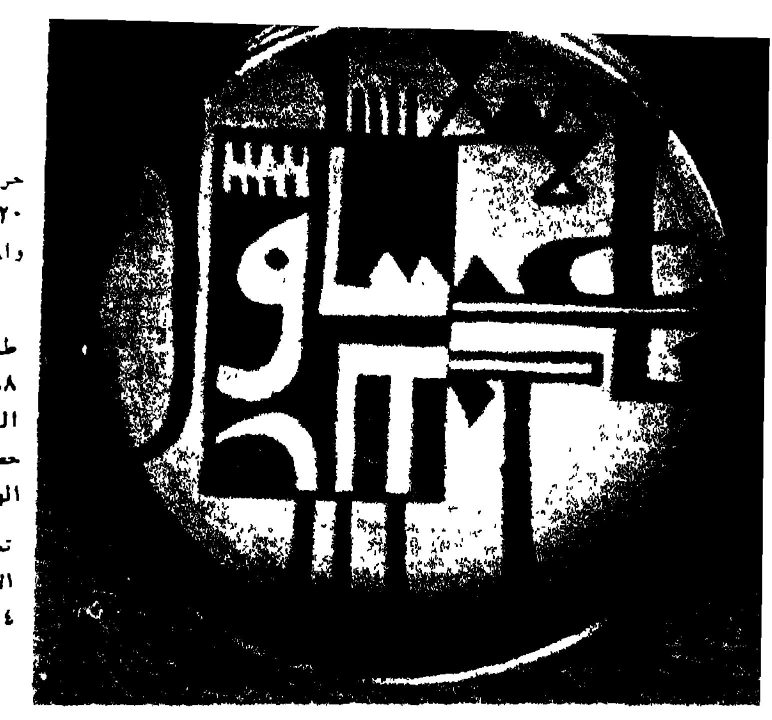
عندما يتحول الفنان ذاته الى قطعة من خزف



تشكيل فخاري ارتفاع ٢٢٠سم ، مستوحى من المآذن الاسلامية .

نحت فخاري تجريدي (ستون دير) .

حرف (ستون وير) ارتماع ١٢٠سم ، دراسة من المائر والمآذن الاسلامية (الى اقصى اليمين)



طبق (ستون وير) قطر ٤٨سم ، دراسة من حروف الخط العربي معتمدة على خط كوفي من القرن الاول الهجرى .

تجريد مأخوذ من اشكال الاقنعة الافريقية . ارتفاع ٥٤سم .

●● بدايــة التشكيل في طــين المخيمات بعد سقــوط الامطار •

●● صحبة الخزف والخط العربي على مدى تاريخ الفن الاسلامي •

●● الخــزف ٠٠ هــو الوعــاء الذى تصب فيــه كل الفنــون •

بقلم : راجي عنايت

■ على جبل اللويبده في عمان ٠٠ على قمة احد الجبال العديدة التى تقوم عليها العاصمة الاردنية ، عبرت الباب الحديدى الضيق ،لاجـد نفسي وسط المرسم الواسع للفنان محمود طه٠٠ الواسع رغم مايشغل فراغه من اوعية الطين المصفى وغير المصفى ٠٠ ودواليب الفخار ، وفرن حرق الفخار الضخم الذى يحتل جانبا كبيرا من المكان ٠٠ واخيرا رغم وجود الفنان محمود طه ، الذى رغم قامته الوسط ، يشغل اغلب فراغ المكان بحيويته، ودفقة الحماس التى لا تغيب عنه •

وانطباعي الاول عنالفنان محمود طه ،أنه منطول المعاشرة ، اصبح هو ذاته امتدادا للفخار الصلب الذى تبدعه يداه ٠٠ استواء لا يخلو من خشونة ، وصلابة لا تخلو من رقة ورنين ناعم ٠٠ وسخونة تؤجج حماسه وتنضج افكاره الفنيه بعد ان تصهر ما يلحقها من شوائب •

البداية ، طين المخيمات

ولد محمود طه في يازور ،من الريف الفلسطيني، بالقرب من يافا عام ١٩٤٢ ٠٠ وعرفت يداه الطين اول ماعرفت ، بعد هطول الامطار على المخيمات . حيث يندفع الصبى الصغير ، لتغترف يداه مـن الطين الذى صنعته الامطار ، يشكل منـه الدمى والعرائس والسيارات الصغيرة •

وعندما بلغ الصبي سن الدخول الى المدارس التحق بمدرسة ابتدائية في عمان عام ١٩٤٨ • الغريب ان ما استهوى الصبي في سنوات الدراسة الابتدائية ، ليس دروس الرسم او النحت ٠٠ولكن دروس الخط العربي ، والغريب أيضا أن مـا استهوى الصبي في الخط العربي هو الشكل ٠٠ شكل الحرف أكثر من مضمونه او وظيفته ٠٠

ينهى محمود طه دراسته الابتدائية ، ويلتحق باحدى المدارس الاعدادية ، فتتاسس هوايته للخط العربي ، يزداد كل يوم أعجابا بجماليـات المشق العربي • وبدأ محاولاته لتجويد الخط العربى فى المرحلة الثانوية ، يستغل خبرته هده في كتابة الاعلانات المدرسية ، والكلمات المناسبة للرسوم التوضيحية كل هدا بدون الاعتماد على توجيه اى ن اساتذته •

كان يتسلل الى مكتبة المدرسة كلما وجد فسحة من الوقت ، يقلب صفحات الكتب والمجلات العربية كالهلال والمقتطف ، يتامل مابها من خطوط مختلفة الطرز والاساليب •

بعد ان انتهت دراسته الثانوية ، التحق الفنان



زهرية (ستون ويـر) عليهـا نقوش مـن الاسماك • باعتبار ان السمكة مـن اوائـل العناصر الزخرفية الحية فى الفن الاسلامي •

معمود طه بمدرسة تجارية بعمان ، ثم افتتح محلا للخط والتصميم في عام ١٩٦٢ • حاول محمود طه في هذه الفترة ان يجمع بين هدفين ، الانشغال بعمل يحصل منه على قوته ، وفي نفس الوقت ممارسة هواية الخط العربي المحببة الى نفسه •

تصور محمود طه أنه قد استقر اخيرا ، على شكل النشاط الذى سيمارسه حتى نهاية حياته ، حفر اللوحات النحاسية واعداد (الكليشيهات) ، وكتابة اللافتات • وقد شجعه على هذا التصور ، نجاحه المادى في عمله ، وما كان يحققه من أرباح نتيجة الاقبال والرواج اللذين لمسهما في عمله الجديد •

الى الاكاديمية

بعد قليل ، وفي عام ١٩٦٤ ، اكتشف الفنان محمود طه ان العمل الذى اختاره لنفسه لم يعد يشبع طاقة الخلق الفنى التيتعتمل داخله •واحس ان اى ممارسة فنية يقوم بها ستكون ناقصة لانها غير مبنية على اساس من الدراسة السليمة •

وبتشجيع من الاهل والاصدقاء ، قويت لدى محمود طه فكرة السفر الىبعداد للالتحاق باكاديمية الفنون الجميلة بها • وبالفعل اغلق محل الخط والتصميم في عمان ، وسافر الى العراق ملتحقا باكاديمية الفنون الجميلة •

في السنة التحضيرية من دراسته ، تفتحت امام محمود طه كل اشكال الانتاج الفنى وانماطه •• التصوير ، النحت ، الحفر ، السراميك •• وراح محمود يعمل باجتهاد لفهم طبيعة كل فن من هذه الفنون ••والاهم من هذا ليكتشف أى فروع الفنون هذه يجد نفسه ، وتتالق موهبته •

وما ان انتهت السنة التحضيريه ، حتى كان الفنان محمود طه قد تيقن من التخصص الذى سيختاره •• انه فرع الخزف (او السيراميك) • واسال الفنان عن هذا اليقين وكيف توصل اليه • فيقول : لايمان عميق بالعلاقة بين الخزف والخط العربى على مدى تاريخ الفن الاسلامى

ومنذ ان بدا الفنان محمود طه دراسة الخزف في اكاديمية الفنون الجميلة ببغداد ، حرص ان يعرف كل شي عن هذا الفرع وما يتصل بهذا الفرع من فنون او معلومات حرفية • فواصل دراسة الخط العربى على اساس علمى ، وواصل دراسته



الفنان محمود طه
اثناء عملية تشكيل خزف على الدولاب •

وممارسته للنحت الجدارى او ما يطلق عليه (الباريليف) ، وبرع في محاولاته للتصميم الخزفي، بعد ان استوعب كيمياء الالوان المستخدمة في هذا الفن •

قبرصى في بغداد

وقد تلقى الفنان محمود طه الدفعة الاولى من التشجيع التى غرست في نفسه الثقة في موهبته، من استاذ قبرصى يونانى كان يدرس مادة الخزف في الاكاديمية ، هو الاستاذ فالتينوس كرالامبوس• وكان ذلك الاستاذ هو مؤسس قسم الخزف بالكلية•

توسم الاستاذ اليونانى موهبة واضحة عند الفنان محمود طه ، فدعاه الى التردد على محترفه، واخذ يمده بكل اسرار وحرفيات فن الخزف، واتخذه مساعدا له في تنفيذ الاعمال الخزفيه التى توكل الى الاستاذ • واحسن الفنان محمود طه استثمار هذه الفرصة المتاحة ، فكان يقضى يومه بين الاكاديمية يدرس فيها ويقوم بتجاربه ،وبين محترف الاستاذ يساعده في انجاز اعماله الفنية ••وعشق الخزف ••

يقول محمود طه لقد وجدت في الخزف كل شيء

كنت احبه في حياتي .. بل وجدته امام الفنون جميعا والوعاء الذي تصب فيه كل هذه الفنون من تصوير وزخرفة وخط . بل وجدت ان الحرف هو الجمال الفني المجرد الذي يصل بنا الى جوهر الحقيقة الفنية دون الدخول في تفاصيل او اضافات تعرف نظرنا عن القيمة المجردة للعمل الفني . كنت ادرس الاعمال الحرفية في كل حضارة من الحضارات العليا . وكنت اجد للحرف مكانة عالية في هذه الحضارات . باعتباره الشكل الفني المعبر عنها خير تعبير وابلغ تعبير .

مضت سنوات الدراسة في اكاديمية الفنون الجميلة ببغداد . يستوعب دروسه ويعمل في محترف استاذه ويستغل ما بقي له من وقت في الاتصال باساتذة الخط العربي في العاصمة العراقية . ويستفيد من الطقس الفني الذي تنتجه اكاديمية الفنون . يدخل في مناقشات لا تنتهي مع اساتذته ومع زملائه من الطلبة في اقسام الاكاديمية المختلفة . وهم الصفوة التي صنعت النهضة التشكيلية المعاصرة في العراق .

وفي عام ١٩٦٨ ينتهي الفنان محمود طه بتفوق من دراسته في الاكاديمية . ويعود الى عمان كاول متخصص في فن الخزف بالاردن .

الخزف والخط العربي

بعد عودة الفنان الى عمان . قرر ان يتفرغ للانتاج الفني . مهما كلفه هذا كله من جهد او عناء .. رفض الارتباط بوظيفة ثابتة . وصمم على ان يحترف انتاج الفن الخزفي . ورغم تخوف الكثيرين من هذا الاختيار .. رغم قلقهم على مصير فنان ينتج فنا جديدا على مجتمع الاردن . رغم هذا كله فقد نجح محمود طه في ان يلفت اليه انظار الجميع . وان يسعى الجمهور الى اقتناء اعماله الخزفية . بحيث لا تجد في موسمه عملا واحدا من الاعمال الفنية العديدة التي ينتجها .. فلا تحظى على احسن الظروف . سوى على بعض لقطات لذلك العمل .

وسر نجاح اعمال الخزف التي ينتجها الفنان محمود طه . انها لا تسعى الى تقليد الاشكال التقليدية لهذا الفن . ولكنها نمط في حد ذاتها . يستوحي عناصر الفن الاسلامي .. والمتتبع لاعمال الفنان يسهل عليه ان يقتفي آثار التراث العربي . فهنا جانب من تشكيل معماري اسلامي متميز . وهناك ترديد للمعمار الصفوي في ايران .. وهذا تطوير للقباب الاسلامية في سمرقند .. وتلك عناصر من الفن الفاطمي لمصر .. او للمعمار العباسي العراقي ..

وفي جميع الاحوال . لا ينسى محمود طه ان يمارس هوايته المفضلة .. هواية الخط العربي فيرى تمثيلا للخط العربي بشكل مباشر على هيئة زخارف من الحروف العربية . او يجد منفذا تمثيليا لاستغلال الخط العربي في نوع المنحنيات والتعاويذ التي تعكسها اوانيه الخزفية .

وهو في سبيل فهم اعمق لجماليات الخط العربي ينهمك الفنان محمود طه في دراسة تمتد على مدى اربعة اعوام للبحث عن العلاقة بين الخط الكوفي والعمارة الاسلامية . في هذه الدراسة بحث الفنان عن اصول الخط الكوفي منذ زمن الرسول . وحتى العصر الفاطمي والتركي والمملوكي .

ومنذ عام ١٩٦٨ وحتى عام ١٩٧١ . يعطي الفنان محمود طه جانبا من وقته لتدريس الخط والفن في المدارس الثانوية . والقاء المحاضرات حول نفس الموضوع في الدورات التعليمية المنظمة التي تنظمها وزارة التربية الاردنية للمعلمين .

ماذا ياخذ من بريطانيا ؟

في عام ١٩٧٥ يوفد الفنان في بعثة دراسية الى كلية الفنون الجميلة في كاردف ببريطانيا لمدة عام .

ويجدها الفنان فرصة مواتية لمزيد من الدراسة الفنية . وما ان يصل الى كاردف حتى تتيح له الكلية العمل في داخلها كفنان محترف .وليس كطالب فن . ويقرر محمود طه ان فترة وجوده في بريطانيا اقتصرت على الاستفادة من الانجازات التقنية التي وصلت اليها بريطانيا من حيث الخامات والاجهزة واساليب اعداد الخزف وتلوينه. ورغم ان الفنان محمود طه قد انشغل طوال هذه السنة في اعداد دراسة عن حركة الخزف البريطانية. قابل خلالها كبار الخزافين الانجليز .. رغم هذا، لم يتجاوز تأثر محمود طه بحياته في بريطانيا حد

الاستفادة التكنيكية الى التأثر بالشكل او المضمون الذى يتميز به الخزف الانجليزى ٠

وعاد الفنان الى عمان ليواصل نشاطه الفنى ومشاركته فى المعارض الفنية التى تقام خارج الاردن وداخله ٠ وكان محمود قد ساهم منذ عام ١٩٦٨ فى اغلب النشاطات الفنية التى جرت بالاردن ، كما قام بتنظيم عدد من المعارض الخاصة التى قدم فيها انتاجه الى الجمهور٠ اقام معرضا بعمان فى عام ١٩٦٨ ، ثم فى عام ١٩٧٠ ، ثم اقام عام ١٩٧٢ فى مرسمه ، وفى عام ١٩٧٣ أقام معرضه الرابع بالمركز الثقافى البريطانى ٠ وفى عام ١٩٧٥ خرج من عمان ليقيم معرضا خاصا فى كونتاكت جاليرى بيروت حظى باحتفاء الصحافة اللبنانية ٠ اما معرضه السادس ، فقد اقامه بالمتحف الوطنى بويلز فى بريطانيا ٠ هذا بالاضافة الى تمثيله الاردن فى بينالى الاسكندرية عام ١٩٧٠ ٠

وتنتشر اعمال الفنان الخزفية كمقتنيات فى كثير من الدول ٠٠ الاردن ولبنان والعراق وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية ٠

وعندما تم انشاء معهد الكلية العربية فى عمان ، عمل فيه الفنان محمود طه ، كمدرس للثقافة الفنية ، بالاضافة الى نشاطه الفنى ٠

خلال هذا كله ، لم ينس محمود طه هوايته المدمنة للخط العربى ، فتجول فى عدد من الاقطار الاسلامية يتصل بكبار الخطاطين ٠ التقى فى طهران بصاحب دار التعليم حسن زرين ،وفى تركيا التقى بموسى عزمى حامد الاموى ٠٠ كما سافر الى سوريا والعراق للقاء كبار البارزين فى هذا الفن ٠

ازدواج فن الخزف

يقول الفنان محمود طه ، انه ولو ان الخزف ظاهرة فنية قديمة فى حضارات الشرق ، الا انه كفن معاصر ، مازال غريبا عن مجتمعنا العربى٠ ويقول ان مرجع ذلك الى قلة عدد المتخصصين فى هذا الفن ، والى قلة الامكانيات المتاحة لهذا التخصص فى كليات الفنون الجميلة بالبلاد العربية ،الامر الذى يجعل الاقبال على هذا الفرع من فروع الانتاج الفنى محدودا ٠

وعن علاقة الفنان الخزاف بالجمهور يقول محمود طه ان الفخار يتميز عن باقى اشكال الانتاج الفنى التشكيلى بقيمته الوظيفية الى جانب قيمته الفنية ٠ وهنا يجب على الفنان ان يكون واعيا بهذه الازدواجية حتى لا ينحدر الى ارضاء الجانب النفعى الوظيفى على حساب الجانب الفنى ٠ ثم عليه ايضا ان يستثمر هذه العقيمة فى اشاعة الروح الجمالية والوجدان الفنى لدى الجماهير ، حتى لو كان طلبها للخزف على اساس وظيفى او نفعى ٠

وعندما تسال الفنان محمود طه عن مدى اقبال الجمهور على اقتناء اعماله الخزفية ، يقول انه قد باع انتاجه كله على مدى ثلاث سنوات ٠٠ كل ما انتجه باعه ٠٠ ويضحك الفنان وهو يقول، كنت اتصور فى البداية ان هذا الاقبال يرجع اولا واساسا الى المستوى الفنى ، لكننى الآن استطيع ان اعترف باسباب اخرى ، مثل عدم وجود منافس لى فى هذا النوع من التخصص فى الاردن ، ومثل حداثة وطرافة الخزف كانتاج فنى عندنا ، ومثل سهولة تصور الخزف كوسيلة لتجميل البيوت ٠

ويقول الفنان محمود طه انه ليس سعيدا بهذا التفرد كخزاف الاردن الوحيد ،وانه يفتح ابواب محترفه فى العطلة الصيفية للراغبين فى التتلمذ على يديه ، لكن فن الخزف من الفنون الصعبة التى تحتاج الى جانب الاستعداد الفنى الفطرى، الى الكثير من المهارات الحرفية والمعلومات الكيميائية ، والقدرة العضلية والكثير من الصبر والتحمل ٠

ومع الاقبال الشديد على محترفه من الطلبة الراغبين فى الدراسة ، الا ان القلة هى التى تستمر فى دراستها حتى النهاية ٠

والفنان محمود طه لا يقتصر فى محترفه على تدريس الخزف ، بل يجمع حوله عددا من هواة الخط العربى ، يدرسهم ويشرف على انتاجهم ، ويطلعهم على مكتبته الكبيرة التى تضم نماذج نادرة من الخط العربى على مدى تاريخه ٠ فما يزال الفنان محمود طه يعتقد ان الخط العربى ، هو الذى قاده الى طريق الخزف ٠ ■■

راجي عنايت



محنة الز

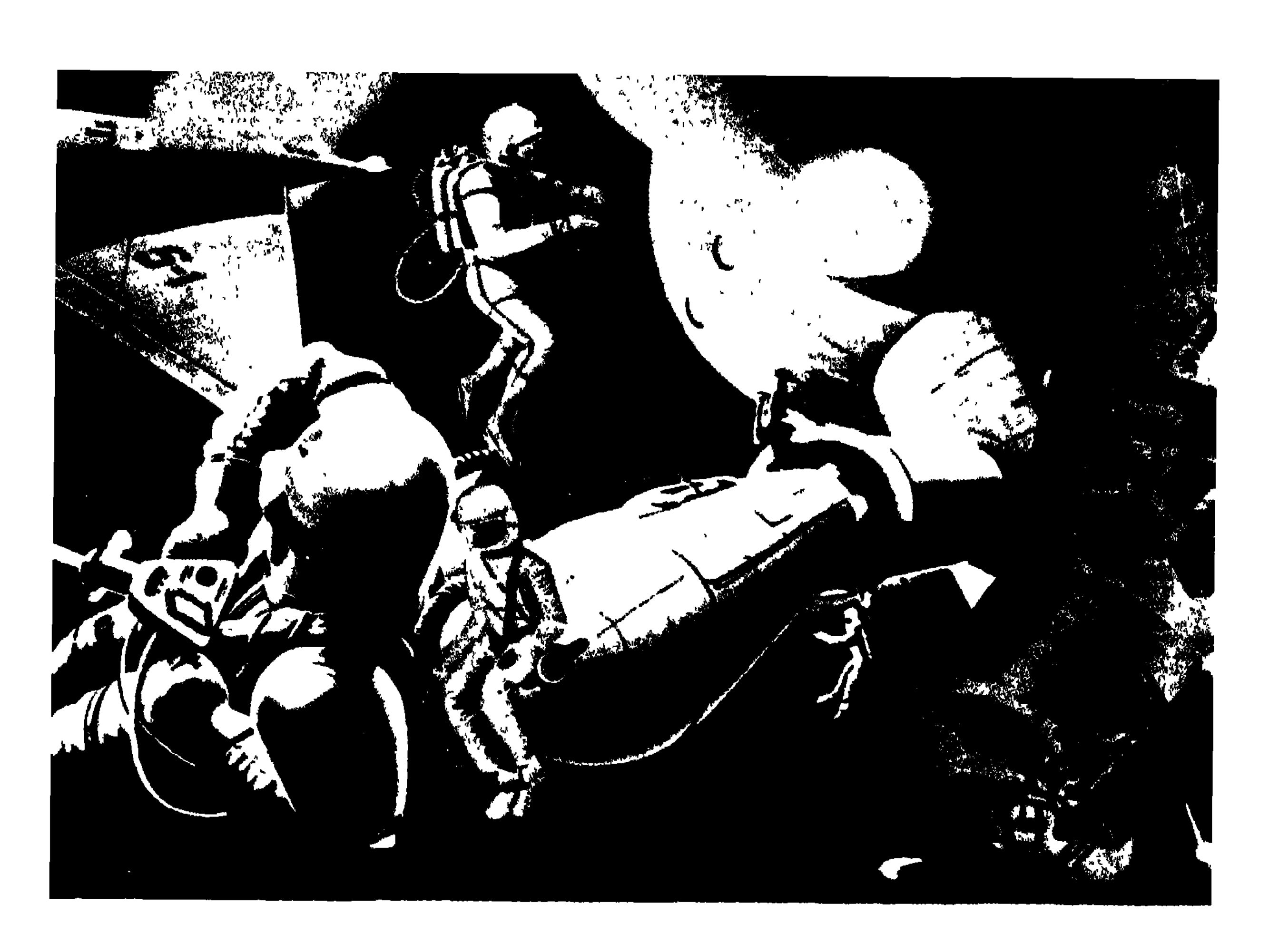
من قصص الخيال العلمي

■ سيدى الرئيس ٠٠ السادة اعضاء الوفود الفضائية ، انه لمن دواعى فخرى ، وفى نفس الوقت من اسباب احساسى العميق بالمسئولية ، ان اتوجه اليكم فى هذه اللحظات الحرجة من تاريخنا ٠٠

وانا على يقين ، من ان اغلبكم قد صدمته الاقوال التى تناثرت حول الازمة التى نجتازها هذه الايام ٠٠ بل وأجدنى متفهما لدوافع هذه الصدمة ٠ ولكننى اناشدكم جميعا ، ان تتجاوزوا كل حساسيات ما قيل او تردد ، فى هذا الوقت الذى يتعرض فيه جنسنا البشرى للفناء ٠٠ بل وتنتظر الارض التى نعيش عليها مصيرها المخيف ٠

لقد صادفتنى منذ أيام عبارة شاعت منذ قرن من الزمان ٠٠ عبارة تتحدث عن التفكير فى غير المعقول ، ايها السادة هذا هو بالضبط ما نحتاجه فى محنتنا الحالية ، علينا أن نواجه الحقائق بشجاعة وبلا مواربة ٠٠ علينا ان نمنع عواطفنا من أن تجتاح منطقتنا ٠ وفى واقع الامر علينا ان نحرص على العكس ٠٠ يجب ان نتيح للمنطق أن يزيح جانبا كل ما تسوقنا اليه عواطفنا ٠

قد يبدو الموقف باعثا على الياس ، غير ان بصيصا من الامل يتراءى لى ، والفضل فى هذا يعود الى الاكتشافات المدهشة التى وصل اليها زملائى من الباحثين فى محطة انتيجين للابحاث، تحت يدى ايها السادة مجموعة من التقارير الثابتة ، تؤكد قدرتنا على الاتصال بالحضارات العليا عند مركز مجرتنا ٠ يمكننا على الاقل ان نشعرها بوجودنا ، فاذا وصلنا الى هذا ،



نجم الأسود

عن قصة : آرثر كلارك

امكننا ان نسعى الى طلب النجدة السريعة ٠

وتاكدوا ، ايها السادة ، من عجزنا الكامل المطبق عن اتخاذ خطوات لانقاذ الموقف نعتمد فيها على انفسنا ٠ فلقد مضت عشر سنوات فقط منذ ان توصلنا الى اكتشاف مجموعة الكواكب عبر البلدتونية ، والذى اوصلنا الى تحديد موقع ومسار النجم الاسود ٠

وحساباتنا تقول أنه بعد تسعين سنة من الان ، يصل النجم الاسود الى حظيرة الشمس ، او اقرب وضع له بالنسبة للشمس ، فيدور حولها وهو فى طريقه الى اعماق الفضاء ، تاركا خلفه اشلاء نظام شمسى ! ٠٠ نظامنا الشمسى !! ٠٠٠

جميع مواردنا ، أبعد احلامنا تبعا حول قدرتنا المتحكم فى القوى الطبيعية ، لن تسمح لنا بتغيير مسار النجم الاسود لمجرد جزء من السنتيمتر ٠

ومع هذا منذ ان اكتشفنا ما يسمى بمجموعة النجوم الهادئة فى نهاية القرن العشرين ، تاكدنا من وجود حضارات تمتلك فائضا من منابع الطاقة لا يمكن ان يقارن بما لدينا ٠ ولا شك ان بعضكم يذكر تفكرك رجال الفلك ــ ومن خلفهم الجنس

البشري باكمله – عندما تم كشف المقال الاول للهندسة الكونية في السحب المجلانية ٠

عندما اكتشفت الانشاءات النجمية التي لا تخضع لاي قانون طبيعي ٠٠ والتي لم نعرف حتى الان هدفها ٠٠ لكننا ندرك جيدا ما تعنيه ٠٠ اننا ايها السادة ، نعايش في كوننا هذا ، مخلوقات قادرة على التحكم في مسار النجوم ٠ فاذا استقر رأيها على مساعدتنا ، ستكون مهمة تغيير مسار النجم الاسود بالنسبة لهم مجرد لهو اطفال وعبث صغار ! هذا مع العلم بان النجم الاسود يتجاوز حجمه الاف المرات حجم ارضنا ٠٠

واني على ثقة من انكم تذكرون ذلك الجدل الذي اثير في اعقاب اكتشاف الحضارات العليا ٠ هل يحسن ان نتصل بها ، ام انه من الافضل ان نختفي من وجهها ؟ فقد كان هناك بلا ريب احتمال انهم يعرفون كل شيء عنا بالفعل ، انهم قد تستفزهم اية خطوة من جانبنا ، او انهم قد يستجيبون بعدد من الاستجابات غير السارة بالنسبة لنا ٠ وقد توقفنا عن محاولة الاتصال بهذه الحضارات ، بالرغم من المكاسب التي لا يمكن تصورها والتي سنجنيها من ذلك الاتصال ، فالمخاطرة كانت كبيرة ومخيفة ٠ أما الان ٠٠ فلم يعد لدينا ما نخسره ٠٠ وبقيت لدينا احتمالات الكسب الواسعة ٠

وحتى الان ، كانت تواجهنا حقيقة اخرى تجعل من المسألة مجرد اهتمام فلسفي بعيد التحقيق ٠ فبالرغم من اننا نستطيع بتكاليف باهظة جدا – ان نبني جهاز ارسال لاسلكي قادر على توصيل اشاراتنا الى تلك المخلوقات ، الا ان اقرب حضارة عليا منا ، تبعد عنا بحوالي سبعة الاف سنة ضوئية ، فاذا اهتمت تلك المخلوقات بالاجابه على اشاراتنا ، فستصلنا هذه الاجابة بعد ١٤ سنة ضوئية ٠ ومن الواضح ان مثل هذه الاستجابة من المخلوقات الراقية لن تكون بعد هذا الزمن الطويل ذات نفع او ضرر لنا ٠

الا أن هذه الصورة قد تغيرت الان ٠ لقد اصبح في استطاعتنا ان نرسل اشاراتنا الى النجوم بسرعة لايمكن قياسها ، سرعة يمكن ان نصفها بانها لا نهائية ٠ ونحن نعلم بالفعل ان تلك المخلوقات الراقية تستعمل مثل هذه الاساليب في الاتصال ٠ لقد توصلنا الى استقبال نبضاتهم ، وان كنا لم نصل بعد الى طريقة التعامل مع هذه النبضات ٠

المهم في الموضوع ، ان تلك النبضات ليست ذات طبيعة كهرومغناطيسية ٠ ونحن حتى الان لم نستطع الوصول الى كنه هذه النبضات ، بل لم نصل بعد حتى الى الاتفاق على اسم نطلقه عليها ٠٠ او ربما ، على العكس ، اطلقنا العديد من الاسماء على تلك النبضات ٠

نعم ، ايها السادة ، ودعونا نعترف بهذا ٠٠ ان احاديث العجائز من النساء حول التخاطر او الاتصال المباشر بين البشر الذين لا يجمعهم مكان واحد ٠٠ هذه الاحاديث التي كنا ننظر اليها باعتبارها خرافات واباطيل ، اصبح علينا ان ننظر اليها اليوم بكل جدية واحترام ٠٠ علينا ان نفتح اعيننا على الظواهر الحسية غير العادية والتي اعتدنا ان نطلق عليها ظواهر ما وراء الطبيعة ٠

وليس غريبا ان يحظى مثل هذا الموضوع باقل اهتمام من الدارسين والباحثين على سطح ارضنا ، كما انه ليس غريبا ان نحظى باقل قدر من النتائج حول هذا الموضوع ، وسط ضجيج وصخب بلايين العقول التي تشوش على هذه الاشارات وتطمس معالمها ٠ والمعلومات الشديدة الضآلة التي امكننا ان نصل اليها قبيل عصر الفضاء حول هذه الظواهر نصل في قيمتها الى مستوى المعجزة ٠٠ تماما كما لو كنا نعمل على اكتشاف قوانين الموسيقى في ورشة لصناعة الاوعية المعدنية ! ٠٠ لم يكن ممكنا ان نأمل في الوصول الى مبادىء راسخة لعلم الباراسيكلوجي ، قبل ان نتمكن من الابتعاد عن كوكبنا بكل ما يسوده من تشويش عقلي ٠

بل اننا لم نستطع البدء في دراسة هذه الظواهر الا بعد ان تحركنا الى الجانب الاخر من مسار الارض ، حيث اختفى ضجيج الارض ، ليس فقط بحكم المسافة التي تبلغ ٨٠ مليون ميل ، ولكن بسبب حماية الشمس التي تحجب بجرمها الكبير كل ما يصل من الارض ٠ هناك فقط ، فوق كوكبنا الصناعي (انتيجوس) ، امكننا ان نقيس ونحدد اشعاعاتنا العقلية الضعيفة ، ونكتشف القوانين التي تحكم هذه الاشعاعات ٠

ومع هذا ٠٠ فما زالت هذه القوانين غامضة محيرة ، رغم اننا وصلنا الى حقائقها الاولى ٠ وأهم ما وصلنا اليه ، وهو ما كانت تقول بهالقلة

التي امنت بهذه الظواهر . ان الحالات الشعورية الخاصة هي التي تستثير تلك الظواهر وتدفع الى حدوثها . وليست قوة الارادة الخالصه . او الافكار الواعية المركزة • ولعل في هذا تفسير لما كنا نلاحظه من حدوث هذه الظواهر مرتبطة بالموت او المآسي العنيفه • الخوف . هو من اقوى مولدات هـذه الظواهر . وفي بعض الاحوال الـنادرة . استطاع صوت الخوف ان يرتفع على الضوضاء العمميه التي تسود العالم •

اذا اتفقنا على هذه الحقيقه . يمكننا ان نتقدم خطوة اخرى الى الامام • وهذا هو ما حدث فعلا . لقد توصلنا الى خلق حالة شعوريه صناعية عند بعض الافراد في بداية الامر . ثم عند مجموعه من الـبشر بعد ذلك وقد امكننا ان نقيس مدى تاثر قوة الاشارات ببعد المسافه بين عنصري الاتصال • واصبح لدينا الان نظريه كمية يمكن الاعتماد عليها في حدود المسافه بيننا وبين المريخ • كما يمكن ان نستنتج منها بعـض الحسابات التي تفيـد في اتصالنا بالنجوم •

اذا صدقت استنتاجاتنا ايها السادة . يمكننا ان نطلق .. صرخه عاليه " .. نسمع في كل مكان ان نعرفها في نفس لحظة اطلاقها .. ولا بد اننا واحدون من يجيب عليها •

والان ليس امامنا سوى طريق واحد لاطلاق الاشارة بالكثافة والقوة المطلوبة • لقد سبق ان اشرت الـى الخـوف كمولـد قـوي لمثـل هـذه الاشارات الا ان قـوة الاشارات الصادرة عن الخـوف لا تكفـي في حالتنا هذه • فعلـى فرض اننا نجحنا في اصابة البشرية كلها بلحظه رعب واحدة . فان النبض الناتج لن يصل اثره الى ابعد من مسافة الفي سنة صوتية • ونحن في حاجة الى اربعة اضعاف هذه القوة .. ولايمكننا ان نصل الى هذه القوة الا باستخدام العاطفة الوحيده التي يتجاوز اثرها في قوته . اثر الخوف•

وفي كل الاحوال . نحتاج الى تعاون مالايقل عن بليون انسان . في لحظه زمنيه واحـدة تحسب باجزاء الثانية •

وقد استطاع زملائي ان يحلوا كافه المشاكل التكنيكيه المتصله بهذه العمليه . وهي مهمة اذا قيست بغيرها من المهام التي تنتظرنا • فجهاز الاثارة الكهربائي المطلوب . جرى استخدامه بنجاح في الابحاث الطبيه منذ بدايات القرن العشرين •• واشاره توقيت النبضه يمكن ارسالها خلال اجهزة الاتصال الفضائيه وجميع وحدات الاجهزة المطلوبة لاصدار الصرخه التي تكلمت عنها يمكن تصنيعها خلال شهر واحد • اما طريقه استخدام هـذه الاجهزة فلن يتجاوز زمن التدريب عليها اكثر من عدة دقائق .. انما تكمن المشكله فـي الاعداد السيكلوجي لما يمكن ان نطلق عليه . يوم الصفر" .. فهو الذي سيقتضي الكثير من الجهد والوقت •

وهذه . ايها السادة . هي مشكلتكم .. ولاشك اننا – نحن العلماء – سنقدم كل معونه ممكنة • ونحن نعلم من الان اننا سنواجه بصيحات الاحتجاج والغضب ورفض التعاون • ولكن اذا نظرنا الى الموضوع بعين المنطق .. هل تبدو فكرتي مثيرة لمثل هذا الاعتراض ؟

ان البشريه جمعاء تواجه اليوم حاله طوارئ عظمى وفي مثل هذه المنعطفات لن يكون غريبا ان نلوذ بالغريزه التي حفظت لنا حياتنا على مدى تاريخنا•• لقد قالها احد الشعراء قديما . في مواجهة احدى المحن التي صادفتها البشرية .. قالها بطريقة لا اعتقد انني استطيع التعبير بافضل منها .. قال : علينا ان نحب بعضنا البعض ••• او نموت !

■■

■ الامس ماض . والغد احتمال . واليوم الان •

« رالف والاس »

■ الناس لا يهتمون بالعواصف والاعاصير التي واجهتك وانت تسير بقاربك في عرض البحر .. الذي يهمهم فقط ان تصل بالقارب ومن فيه الى بر الامان •

« البرت بايك »

طرائف اجنبية



التزحلق على الثلوج !

● بير منديس فرانس السياسى الفرنسى وزعيم الحزب الراديكالى ، الذى تولى رئاسة الوزارة الفرنسية مدة سنة واحدة في عام ١٩٥٤ ، اختفى فجأة من مكتبه يوما ، واثار احتفاؤه المفاجىء حيرة الصحفيين والوزراء واعضاء الجمعية الوطنية الفرنسية في الجمهورية الفرنسية الرابعة ، فقد كانوا ينتظرون ظهور رئيس الحكومة امامهم للادلاء ببيان هام عن سياسة حكومته في الجزائر ، وحرب التحرير على اشدها في الارض التى خضبتها دماء الشهداء الذين هبوا ينادون بالاستقلال والحرية ! حتى زوجته في بيتها الانيق الذى يشرف على مياه نهر السين حارت في معرفة سر اختفائه ، ولم تجد حرجا في الانضمام الى مجموعة من الاصدقاء الذين خرجوا يبحثون عن رئيس الحكومة الفرنسية المختفى في كل مكان يمكن ان يكون قد ذهب اليه !

واخيرا عثروا عليه في مكان لم يخطر على بال احد منهم ٠٠ فوق قمة جبل غطته الثلوج في سويسرا ، كان



منديس فرانس يقف مع مدربه ويمارس رياضة التزلج فوق الجليد !

قالوا له : « ان باريس كلها تبحث عنك ! »

وقال رئيس الحكومة « وأنا ايضا ابحث عن مستقبلى ٠٠ لقد اكتشفت ان افضل رياضة يجب ان يتعلمها رؤساء الحكومات الفرنسية هى « التزحلق » فوق الثلوج ، حتى اذا سقطوا ، عرفوا كيف يحمون رقابهم من الكسر ! »

ولم يكد يعود منديس فرانس الى باريس حتى كانت حكومته قد سقطت فى فبراير عام ١٩٥٥ بسبب سياستها فى الجزائر !

شكوى ٠٠ وشكوى !

● يعيش الرجل حياته يشكو ٠٠ يشكو من صعوبة الامتحانات المدرسية حتى العشرين أوما بعدها ٠٠ ويشكو من عدم توفيقه فى العثور على المرأة التى ستشاركه حياته ، حتى اذا وجدها ، بدأ يشكو من ارتفاع اجور السكن ونفقات الاطفال ٠٠ ويمضى به العمر وفجأة تأخذ الشكوى مسارا جديدا ٠٠ ان آلام الروماتزم قد أحنت ظهره والهبت مفاصله ! اما المرأة فهى تشكو حظها العاثر الذى ألقى بها فى طريق الرجل الذى اصبح زوجا لها !

درس في السياسة !

برنارد باروخ (١٨٧٠ ــ ١٩٦٥)، الرئيس الاسبق للجنة الطاقة الذرية التابعة للامم المتحدة ، كان من بين المستشارين الذين اعتمدت الولايات المتحدة الامريكية عليهم خلال الحربين العالميتين ، الاولى والثانيه ، وكان لـه رأى ثابت في القـرارات التي تتخذ لمواجهة مواقف معينـة ، وكيف تتخذ حتى تجيء سليمة او على الاقل غير مجانبة للحق . يقول : « اننـا جميعا نبنى قراراتنا على التكهنات التي يمكن ان نصل اليها .. ولكن لكى نرى المستقبل ونعرف ما سيحمله الينا ، ونعمل قبل ان يجيء ، لا بد لنا من أن نجمع كل الحقائق المتصلـة بمـوقف محـدد او بمشكلة بعينها .

اما الخطـوة الثانيـة فهى ان نبني حكما على اساس النتائج التي ستترتب على هذا الموقف ، او تلك المشكلة ثم نبدأ في التحرك والعمل بسرعة قبل فوات الاوان .

ثم يقول باروخ : « ان هذه القدرة في الحكم على الامور ووزنها بميزان سليم ، هي الاساس الـذى لا بد مـن توافره في جميع العلاقات الانسانية ، بما في ذلك اعلان الحرب او السلام ، اخطر قرار يواجه البشريـة في عالم اليوم .. ولقد كان الرئيس الراحل فرانكلين روزفلت يتمتع بهذه القدرة العجيـبة .. وكان يفكر مـع كل دورة تدفع عجلات الكرسي الذى يحمل جسده الكسيح .. فاذا توقف الكرسى انشل عقله تماما عن العمل ! »

حتى لا يقتلنا الملل !

● هل تحققت كل أحلامك ؟ ربما لا .. وربما كان في ذلك سر سعادتك على الارض ! كيف ؟

يقول أندريه مورو كاتب فرنسـا الشهير « عندما يحقق الانسان كل ما كان يتمناه في شبابه أو في شيخوخته، يحس أنه قد أصبح أتعس انسان في الدنيا ، لانه لن يجد شيئا بعد ذلك يعمل من أجل بلوغه .. ان الاسكندر الاعظم ، قتله الملل بعد أن غزا العالم بجيوشه ! »

« ان سر سعادة الانسان على الارض يكمن في استمراره في العمل من أجل بلوغ هدف معين ، أو تحقيق حلم طالما راوده ، وشعور الانسان بعدم الرضا التـام هو مفتاح التقـدم الروحى والانطلاق الى مزيد من العمل والكفاح والنجاح ! »



اللاءات العربية واللاءات الاسرائيلية

لا اعتراف ولا صلح ولا مفاوضات مباشرة مع اسرائيل ·

لاءات عربية ثلاث افرزتها قمة الخرطوم التي عقدت في أعقاب هزيمة حزيران ، هذه اللاءات العربية كانت تقابلها لاءات اسرائيلية وهي ان لاعودة الى حدود عام ١٩٦٧ بحسبان ان دولة اسرائيل يجب ان تكون من البحر الى النهر سعيا وراء تحقيق الهدف الاكبر المعلن على باب البرلمان الاسرائيلي المسمى بالكنيست والذي يقول : « من النيل الى الفرات ارضك يا اسرائيل » ·

وباختصار فان اللاءات الاسرائيلية كانت عبارة عن شروط استسلام وضعتها اسرائيل لتفرضها على العرب فرضا ·

ثم مضت السنوات . ووجدنا أن اللاءات العربية بعد حرب رمضان سقطت واحدة تلو الاخرى · لماذا انهارت اللاءات العربية وصمدت اللاءات الاسرائيلية ؟

لقد بقيت اللاءات الاسرائيلية تصفعنا كل يوم فهاهو مناحيم بيجن يعلن ان لا انسحاب من الضفة الغربية لانها ارض اسرائيلية محررة ·· وها هو شارون يقول بملء الفم ان لا انسحاب من الجولان ·· ومجلس الوزراء الاسرائيلي يقول لا اعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ·· وقوله هذا ينسجم مع ماسبق ان اعلنته جولدا مائير والصهيونية من قبلها من ان فلسطين ارض بلا شعب ·

اسرائيل تعزف على نغمة واحدة اخذت تمدو لثباتها وكانها الحق الصداح ·· اما نحن العرب فقد اخذنا نعزف نغمات متعددة حتى بدا حقنا وكانه باطل باطل تتشكك الاصدقاء فيه وبدانا نحن نتشكك فيه ·

العقل في قفص الاتهام

● تعقيبا على قضية « العقل في قفص الاتهام» التي نشرت في زاوية « للمناقشة » احب ان اضيف الملاحظات التالية :

■ ان العقل له دور كبير في الايمان بالله ، ولهذا عرف بانه « ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان » ·

■ ان الاحكام التي تتعلق بالفروع يختلف فيها دور العقل · ، فثمة قسم ليس للعقل دور فيه مثال الفرائض والعبادات · وهو القسم الذي يعنيه الحديث الشريف« دين الله لايصاب بالعقول»·

وثمة قسم اخر للعقل فيه دور اكبر ، وهذا ايضا يمكن التمييز فيه بين دائرتين ·

دائرة يطلق على محتوياتها في اصول الفقه « المستقلات العقلية » اى ان هذه الاحكام يكون العقل وحده هو الحاكم فيها ويطلق الفقهاء قاعدة في هذا الباب وهي : « ماحكم به العقل حكم به الشرع » مثل حرمة الظلم ·

والدائرة الثانية تضم القواعد العامة الكلية التي لم يفصلها المشرع الحكيم وانما ترك تحديد تفصيلاتها وتطبيقاتها الى الفقهاء ليعملوا رايهم· وهذا النوع من الاحكام تكون عادة في الاحكام الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فمثلا الاعداد العربي ، ان الله جل وعلى أعطى قاعدة كلية وهي وجوب الاعداد العربي « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ما هي نوعية هذه القوة كيفيتها كميتها ؟ ارجع كل ذلك الى الفقهاء انفسهم ليجتهدوا فيها وتكون النتيجة تغير بعض الاحكام تبعا للزمان والمكان · فان مثل هذه القواعد العامة تتكيف مع الزمان والمكان وتتطور مع تطور الزمان · والى هذا النوع من الاحكام تنظر القاعدة « تغير الاحكام بتغير الزمان والمكان»·

احمد محمد محمد — العراق بغداد

لماذا ؟

لان اسرائيل منذ المؤتمر الصهيوني الاول وحتى اليوم اعتمدت القوة سبيلا لتحقيق اهدافها فالحق والعدل والانصاف .. تعابير لا معنى لها مع الضعف .. الضعيف لا يملك الا الصراخ فيمل العالم صراخه ويعترى بباطل يجسده الواقع المدعوم بالقوة ..وتحقيقا لذلك فقد اقامت اسرائيل ٤٣ مستوطنة فى الصفه الغربية وحدها وما تزال تخطط لمزيد من المستعمرات .

فهل ان العرب ان يعرفوا طريق الخلاص ؟ هذا الطريق اصبح اليوم ـ وبعد عشر سنوات من عدوان ١٩٦٧ واضحا لا لبس فيه.. وليس أمام العرب الا رص الصفوف .. وتناسى الخلافات .. واعداد القوة واعتمادها منطلقا وحيدا لاسترجاع حقهم .

ناهى نجم محمد عبد اسماعيل

زيدوا المطبوع من العربى

● الحصول على مجله العربى كل شهر من الاسواق يكلفنى جهدا وعناء يصل حد الارهاق حاولت ان اسلك طريق الاشتراك ولكنى وجدته اكثر مشقة وعناء .. اناشدكم الله ان تجدوا لنا ـ نحن قراء العربى ـ حلا لهذه المشكلة بان تزيدوا الكميه المطبوعة من العربى فتشبعوا السوق .. وتشبع القراء .

حمص ـ سوريا سمير نحاس

المبذرون

● انه لمن المخجل حقا ان نرى اثرياء العرب يبذرون المال العربى فى انجلترا ليصب بالتالى فى شرايين الدولة الصهيونية التى نكلت بنا وما تزال .. علما بان الله سبحانه وتعالى يقول : ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » .

العراق . عبد الحكيم توفيق

تصحيح

● ورد فى الصفحة ٥٣ من عدد العربى رقم ٢٢٤ بيت شعر لابى تمام حول الاغتراب خطا والصواب هو التالى :

وطول مقام المرء فى الحى مخلق
لديباجتيه فاغترب تتجدد

لذا وجب التصحيح .

محمد فؤاد خربوطلى
نقابة المهندسين / دمشق

نعم لعودة اليهود

● اؤيد بقوة الدعوة التى طرحها احد قراء العربى فى باب حوار القراء حول عود اليهود الذين دفعوا على فلسطين المحتله من البلاد العربية والذين يعاملون فى (اسرائيل) كمواطنين من الدرجة الثانية ويتعرضون لاضطهاد اليهود الغربيين وظلمهم .

وعودة هولاء اليهود الى الدول العربية التى اتوا منها لاتشكل خطرا علينا نحن العرب .

واخيرا اود ان اذكركم أن بعض الدول العربية استجابت لهذه الدعوة وتم عودة مايزيد على ثلاثة آلاف يهودى الى المغرب عن طريق فرنسا .

عبد الكريم عويمر
فلسطين .

جمانة الحسينى

● نشر فى عدد اول سيتمبر الماضى ان الفنان جمانه الحسينى هى ابنة مفتى فلسطين الراحل الحاج امين الحسينى . وهذا خطا نشا عن لبس نعتذر عنه ، ذلك ان جمانه الحسينى هى ابنة المجاهد الفلسطينى جمال الحسينى . اطال الله فى عمره .

عالم فلكي شهير

● نشرتم في ص ١٥٣ العدد ٢٢٢ وفي باب نزهة العقل الذكي سؤالا عن النجمة والسهم بعنوان (عالم فلكي شهير) وقلتم ان العالم الذى اكتشف كوكب زحل هو (وليم هرشل)

والذى أعرفه ويعرفه الجميع ان الانسان عرف الشمس والقمر والكواكب عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل منذ امد بعيد •

وكوكب زحل هو الكوكب السادس واخر كوكب يمكن رؤيته بالعين المجرده • وقد اختلف في اصل حلقاته الثلاث التى تحيط به ، حتى أتى عالم الفيزياء الانجليزى ماكسويل فقال : أن الحلقات من جسيمات متعددة وبرهن رياضيا على ان الحلقة المتصلة الصلبة نظام غير مستمر ، اما الجسيمات التي تدور منفردة وفي افلاك مختلفة يمكن ان تكون نظام حلقات دائمة مستقرة •

اما العالم الالماني(وليم هرشل)١٧٨١ ـ ١٨٢٢ فقد طور المنظار المعرب ، وهو الذى اكتشف كوكب أورانوس URANUS سنة ١٧٨١ بعد ان تحسنت وسائل الرصد ، وتم اكتشافه هذا عندما كان رصد كوكبة التوامين « الجوزاء » ، وقد ظن هرشل في بادىء الامر ان اورانوس مذنبا ولكن .تضح للفلكيين ان ما ظنه هرشل مذنبا هو كوكب جديد اطلق عليه اسم اورانوس •

السودان

با بكر محمد حمد با بكر

عن ضرورة العربي

● أنا قارىء من تنزانيا تعذر على الحصول على نسختي من العربي شهريا فلجأت الى الاشتراك عن طريق الشركة العربية للتوزيع في بيروت فرجعت بخفي حنين وزاد الطين بلة ان الجهات المختصة عندنا منعت تحويل عملات الى الخارج •

وانا الان امام ضرورة •• ضرورة قراءة هذه المجلة التي اعتبرها من احسن المجلات الناطقة بالضاد فهل من حل لهذه المشكلة :

السيد عبد القادر الجنيد

دار السلام ـ تنزانيا

شجعوا التعليم الفني

● تنحو السياسة التعليمية فى معظم دول الوطن العربي لتخريج طوابير من الموظفين الذين يجلسون على مكاتب في وقت نحن احوج فيه الى طوابير من الفنيين حتى نستطيع ان نلحق بالركب ونساير التطور التكنولوجى الذى أصبح سمة عصرنا ••

مجدى وليم ابراهيم

مصر ـ قنا

اعتراض ليس في محله

● رغم انتقاد فهمي هويدى لرأى العلامة الهندى أبو الاعلى المودودى الذى يقول فيه ان طالب الحجة العقلية لايكون مؤمنا • رغم ذلك اقول ان رأى الاستاذ المودودى سليم لان الذى لا تراد له الحجة العقلية هو المؤمن بوصفه استسلم الى امر الله واعتقد به وملائكته وكتبه ورسله فلا حاجة للادلة له أما الذى يراد له الحجة والادلة العقلية هو الكافر وهذا صحيح لانه لايؤمن بوجود الله • فلا بد عندها من دلائل وحجج وبراهين علمية تثبت له بان لهذا الكون خالقا وصدق الله • حيث يقول هاتوا برهانكم ان كنت صادقين •

محمد عثمان عثمان — سوريا / القامشلى

S. P. E.

TRACT No. XXXVIII

ARABIC WORDS IN ENGLISH

by

WALT TAYLOR

At the Clarendon Press

(٣) مجموعة النباتات ، ومن بين ما ورد فيها الالفاظ التالية :

- الغروبة (نوع من النبات يكثر في امريكا الجنوبية) ١٨٤٥ — Algarroba
- الحلفاء (بلا تاريخ) — Alfalfa
- الحناء (بلا تاريخ) — Alhenna
- الحنظل ١٦٨٣ — Alhandal
- ارضي شوكي او الخرشوف (بالمعجن وقد ترد بالمهملة) ١٥٣١ — Artichoke
- الباذنجان او الباذنجان (بالذال المعجن او المهملة) ١٧٩٤ — Aubergine
- فستق ١٥٤٨ — Pistachio
- الكافور ١٥٧٠ — Camphor
- حشيش ١٥٩٨ — Hasheesh
- حرمل ١٠٠٠ — Harmala
- ليمون ١٦٢٢ — Lime
- ليلاق ١٦٢٥ — Lilac
- مر ٨٢٥ — Myrrh
- المن ٨٩٧ — Manna
- نارنج (واخذت في الاصل بشكل Norange فلما وضعت اداة التنكير An قبلها اضطر الانكليز الى اسقاط الحرف N من لفظة Norange فاصبحت Orange)
- سبانخ ١٥٣٠ — Spinach
- عصفر ١٥٦٢ — Safflower
- الطرفاء ١٨٥٨ — Tarfa
- سماق (حوالى ١٣٠٠) — Sumach

(٤) مجموعة علم الكيمياء :

- الانبيق ١٣٧٤ — Alembic
- الملغم ١٤٧١ — Amalgam
- المجسطي ١٣٨٦ — Almagest
- الزرنيخ ١٣٨٦ — Arsenic
- الاثمد ١٤٧٧ — Antimony
- غرد ١٧٦٩ — Jargon
- وسمة ١٦٦٨ — Bismuth
- لازوردي ١٣٩٨ — (Lapis) Lazuli
- كبريت ١٦١٠ — Kibrit
- النطرون ١٤٠٠ — Nitre
- نفط ١٣٨٢ — Naphtha
- الطلق Talc (ذكره الجاحظ سنة ٨٦٩م) ١٦٠١
- طباشير ١٥٩٨ — Tabasheer
- زرنيخ ١٦١٠ — Zarnich
- الطرطون ١٣٨٦ — Tartar

(٥) مجموعة الملابس (وعلى الاخص الشرقية)

- عباية ١٨٣٦ — Abaya
- عباء (بلا تاريخ) — Aba
- اطلس ١٦٧٣ — Atla
- عقال ١٩٢٠ — Agal
- بردة ١٧١٠ — Burdet
- بابوج ١٦٩٥ — Baboosh
- علم لمدينة هندية يلفظها العرب «قاليقوت» ١٥١٥ — Calico
- برنس ١٦٩٥ — Burnous
- فستان ١٢٠٠ — Fustian
- شف ١٨٧٦ — Chiffon
- احرام ١٧٠٤ — Ihram
- غزل ١٥٦١ — Gauze
- جبه ١٨٣٦ — Jibbat
- ازار ١٨٣٦ — Izar
- كفية ١٨١٧ — Kefia
- جبة ١٢٩٠ — Jupe
- مخير (قماش مصنوع من شعر الماعز) ١٥٧٠ — Mohair
- منديل ١٦٦٢ — Mandil
- موصل (المدينة التي كان يصنع فيها النسيج) ١٦٠٩ — Muslin
- موصلي ١٦٩٦ — Mousseline
- شروال ١٨٤٤ — Sherwal
- فوطة ١٦١٦ — Phota (Foota)
- عتابي (علم لمحلة ببغداد . تصنع فيها الانسجة العتابية على اسم احد احفاد بني امية) ١٦٣٨ — Tabby
- طربوش ١٧٠٢ — Tarboosh
- تافته ١٣٧٣ — Taffeta

(٦) مجموعة الاصباغ والتلوين :

كانت مقادير هائلة من الاصباغ تستورد من الشرق قبل ان تتطور كيمياء الالوان بالشكل الحديث . وقد ورد ذكر عدد من الفاظ الاصباغ والالوان تحت عناوين اخرى فنكتفي بها مضيفين لفظا واحدا لم ترد سابقا وهي :

- ازرق ١٣٧٤ — Azure

(٧) مجموعة الاطعمة والمشروبات والاواني :

عرق (وقد كتب اللفظ الانكليزي بتهجئات مختلفة عبر العصور) ١٦٠٢ Arrak

كباب (وقد وردت باكثر من تهجئة في الانكليزية)١٦٩٠ Cabob

(هذه لفظة حيرت المعجميين واكبر الظن انها من عبارة «كالرماد» لانه محروق السكر) ١٧٢٥ Caramel

كبب (قد تكون جمعا لكبة او شكلا آخر للفظة « كباب ») ١٣٠٠ Cubeb

جلباب (باكثر من تهجئة انكليزية)١٨٧٠ Jelaubee

حلاوة ١٦٧٣ Halawa

مرزبان (فارسية معربة) ٤٩٤ Marzipar

لبن ١٦٩٨ Leban

شربت ١٦٠٣ Sherbet

مصري ١٨١٠ Misree

شراب ١٦٦٢ Shrab

شريش (بلده عربية في الاندلس) ١٦٠٨ Sherry

(٨) مجموعه الجغرافية والرحلات :

قافلة ١٥٩٤ Cafila

بخشيش ١٦٢٥ Baksheesh

فدان ١٨١٧ Feddan

فندق ١٧٠٤ Fonduk

فلاح ١٧٤٣ Fellah

جبل (بلا تاريخ) Gebal

حكيم ١٦١٥ Hakin

هودج ١٧٧٤ Howda (·)

حمام ١٦٢٥ Hamman

كافر ١٨٠١ Kaffir

جزية ١٦٨٣ Jizia

خراج ١٨٦٠ Kharaj

خمسين ١٦٨٥ Khamseen

سرداب ١٨٤٢ Serdab

صحاري ١٨٦٢ Sahara

شادوف ١٨٣٦ Shadoof

سراي ١٦٧٢ Serai

وادي ١٨٣٩ Wadi

طوفان ١٥٨٨ Typhoon

(٩) مجموعة الرياضيات :

وقد شرحت المصطلحات العربية الرياضية ولم توحد حرفيا ، باستثناء الارقام التي اخذت كما هي ولا تزال تعرف في اوروبا بالارقام العربية وترتيبها عربي صرف حيث ان مرتبة الاحاد على اليمين وتليها العشرات فالمئات والالاف ، ولو لم تكن عربية لجاءت الاحاد على اليسار والى يمينها المراتب العليا المتدرجة الاخرى ،وقد سبق ان ذكرنا بعض المصطلحات الرياضية ونضيف واحده مهمة فاتنا ذكرها هي : تعريف لاسم الرياضي العربي « الخوارزمي » (٥) ١٢٣٠ Algorism

(١٠) مجموعة الطب والجراحة ، وتكاد اليوم تكون كلها مهملة لا تستعمل باستثناء ما سبق ان اوردناه ونضيف اليه لفظة

صداع ١٥٤٠ Soda

(١١) مجموعة الموسيقى :

قيثارة ١٦٢١ Guitar

الطبل ١٦٧٢ Atabal

سنطور ١٨٥٣ Santir

رباب ١٥٠٩ Rebeck

طنبورة ١٥٨٥ Tamboora

طنبور ١٤٨٤ Tanbour

طنبور ١٧٥٩ Tambourine

قانون ١٧١٤ Kanoon

(١٢) مجموعة اسماء البلدان والاعلام والالقاب:

تصحيف لعبارة : « بزر النيل » (نبات تستخرج منه صبغة) ١٥٥٥ Braz

الحبشه ١٥٩٨ Abyssinia

السيد ١٦٨٧ Cid

الحمراء ١٢٧٣ Alhambra

فارس الفال (بلا تاريخ) Percival

جبل طارق ١٥٩٢ Gibraltar

طرف الغار Trafalgar

صحاري (بلا تاريخ) Sierra

١٣ ـ مجموعة المصطلحات الدينية (ولا سيما الاسلامية) :

منارة ١٦٨٢ Minaret

جن ١٦٥٥ Genie

قرمطي ١٨١٩ Carmathian

صوفي ١٦٥٣ Sufi

---

(٥) اقتبس الاوروبيون الارقام المصرية بعد ترجمة كتبه في الرياضيات الى مختلف اللغات الاوربيه

١٤ ـ مجموعة الملاحة والسفن :

حبل ١٢٠٥	Cable
الركزة ١٥٧٧	Argosy
داو ١٧٩٩	Dhow
الكرخ ١٣٨٦	Carrack
فلكة ١٦٢٨	Felluca

١٥ ـ مجموعة التجارة .

دينار ١٦٣٤	Dinar
اردب ١٧٤٣	Ardeb
رطل ١٦١٥	Rotl
درهم ١٧٨٨	Dirhem
فلوس ١٥٩٩	Fluce

١٦ ـ مجموعة متنوعة

الشيخ ، و الشاه مات ١٣٤٦	Checkmate
حمالة ١٤٤٧	Amulet
مقبر ١٨٦٩	Macabre
حزر (او الزار) ١٣٠٠	Hazard
راحة اليد ١٥٠٠	Racket
اوج ١٤٢٨	Ogee
رزق ١٦٦١	Risk
رزمة ١٣٩٢	Ream

من (سرنديب) التسمية العربية لجزيرة سيلان ١٧٥٤ Serendipity

١٧ ـ مجموعة المصطلحات العربية :

قالب ١٥٦٧	Calibre
القطن (رداء محشو بالقطن ويعرف بالمقطنة) ١٣٠٠	Action
بربخ ١٣٠٠	Barbican
رزية ١٢٨١	Razzia

وباستعراض هذه المجموعات المختلفة نجد ان الالفاظ المقتبسة قبل سنة ١٦٦٠ ذات مظهر انكليزي واضح وكثيرا ما تكتب (الكاف) و (القاف) و (الغاء) بالحرف (C) في حين أن هذه الحروف الثلاثة اصبحت فيما بعد ترسم بالحرف (K) مما يدل على ان هذا الحرف الاخير دخيل على الانكليزية ويستعان به في رسم الاصوات الدخيلة . ولذلك نجد أن القسم الخاص بالحرف (K) في المعجم الانكليزي قصير وفي اكثر الفاظه دخيل . وعلى هذا الاساس عومل الحرف (K) في الانكليزية القديمة .

ومع ان العلامة تايلور قد استقصى الكثير من الالفاظ ذات الاصل العربي الا أننا نلاحظ أن قدفاته عدت غير يسير من ذلك مثلا Coal ، فهي على اكبر ظن من « الكحل » Kohl وكلمة Gossip مشتقة من لفظة « قشة » العربية ، فضلا عن أن Influenza هي من « أنف العنزة » .

وقد لاحظ أن أكثر الالفاظ العربية المستهدفة بلام التعريف قد اخذت عن طريق الفرنسية والايطالية والاسبانية واللاتينية ـ باستثناء لفظة (البراق) Alborak (١٦٣٥) التي اخذت من العربية مباشرة ومن المحتمل ان الكتاب الانكليز لاحظوها قبل ذلك في اللاتينية والفرنسية .

واليك الان نسبة اقتباس الانكليز للالفاظ العربية عبر العصور

١ ـ قبل سنة ١٠٥٠ م ١/
٢ ـ ١٠٥٠ ـ ١١٥٠ م (لا شيء اطلاقا)
٣ ـ ١١٥٠ ـ ١٢٥٠ م ٢/
٤ ـ ١٢٥٠ ـ ١٣٠٠ م ٢/
٥ ـ ١٣٠٠ ـ ١٣٥٠ م ٢/
٦ ـ ١٣٥٠ ـ ١٤٠٠ م ٨/
٧ ـ ١٤٠٠ ـ ١٤٥٠ م ٢/
٨ ـ ١٤٥٠ ـ ١٥٠٠ م ٣/
٩ ـ ١٥٠٠ ـ ١٥٥٠ م ٥/
١٠ ـ ١٥٥٠ ـ ١٦٠٠ م ١٤/
١١ ـ ١٦٠٠ ـ ١٦٥٠ م ١٣/
١٢ ـ ١٦٥٠ ـ ١٧٠٠ م ١٠/
١٣ ـ ١٧٠٠ ـ ١٧٥٠ م ٥/
١٤ ـ ١٧٥٠ ـ ١٨٠٠ م ١٠/
١٥ ـ ١٨٠٠ ـ ١٨٥٠ م ١١/
١٦ ـ ١٨٥٠ ـ ١٩٠٠ م ٩/
١٧ ـ بعد ١٩٠٠ ٣/
المجموع ١٠٠ /

وهكذا نجد ان نسبة الاقتباس في عصر الانكليزية القديمة المنتهي سنة ١٢٥٠ م (اي قبيل سقوط الدولة العباسية) هي ٣/ على اننا لا نطمئن الى هذه النسبة لسبب بسيط هو ان معظم الكتابات الانكليزية القديمة لم تكن قد دونت بعد ولا احتواها معجم او قاموس ، اما النسبة للانكليزية الوسطة (١٢٥٠ ـ ١٤٥٠ م) فهي ١٤ / وهي فترة تحتضن الحروب الصليبية و تصال الشرق بالغرب ،وترتفع النسبة للانكليزية

الحديثة . وهي الفترة التي اعقبت سنة ١٤٥٠م والى يوم الناس هذا . فتصبح ٨٣٪ وغني عن البيان ان الالفاظ جاءت بكثرة وفيرة بعد اختراع الطباعة وانتشار العلم وبلغت ذروتها ايام توسع اوروبا التجاري في العالم .

ونظرة واحدة الى النسب التي اوردناها اعلاه توضح أن الخط البياني يبلغ ذروته في عصر شكسبير (١٥٦٤ ـ ١٦١٦) فلا غرو ان نجد مسرحيات الشاعر الاليزابيثي متلالئة بالالفاظ والافكار العربية النيرة . بل ان احدى مسرحياته تتضمن اطول كلمة في الانكليزية - Honorifica-bilitudinitatibus وهي تتالف من ٢٧ حرفا وقد حير لغزها عقول كبار المختصين بالدراسات الشكسبيرية وكنا في سنة ١٩٦١ قد اقترحنا في بحث نشرناه بالانكليزية أن هذه الكلمة العجيبة الغريبة انما هي ست كلمات عربية ادمجت بعضها ببعض نتيجة اجتنبه اذ يصعب رسم الالفاظ العربية بحروف انكليزية . واقرب الكلمات العربية الى هذه اللفظة الافعوانية هي : « انظري في قلبي لتوديني (و) تعطي بوسة » وهو ينطبق على مجرى الاحداث في المسرحية تمام الانطباق .

وعلى ذلك لا يمكن للانكليز ان يدرسوا ادبهم ولا سيما ادب شكسبير من دون الاستعانة بالعربية وادابها .

اما كيف وجدت الالفاظ العربية سبيلها الى الانكليزية فان الاحصائيات تنبئنا بان المصادر المباشرة للالفاظ هي حسب الترتيب الاتي : اللاتينية والفرنسية واللغات الرومانسية الاخرى والعربية ذاتها (اي بصورة مباشرة) وكان الاقتباس بطريق اللاتينية في فترة الانكليزية القديمة وما بعدها واستمرت في مجال المصطلحات النباتية والالفاظ التقنية (ويلاحظ ان لفظة التقنية ذاتها استعارها الانكليز من العرب بصورة Technical) .

أما الاستعارة عن طريق الفرنسية فتبلغ ٢٥٪ من المجموع العام وذلك في فترة الانكليزية الوسيطة فما بعد . وقد دون الشاعر الانكليزي تشوسر Chaucer . عددا لا يستهان به من الالفاظ العربية في شعره لاول مرة عندما تحدث عن الكيمياء القديمة Alchemy او الاصطرلاب Astrolabe وعن طريق الاسبانية مباشرة أو مرورا بالفرنسية في اغلب الاحيان . وكذلك عن طريق البرتغالية والايطالية مباشرة استعارت الانكليزية كلمات عربية بنسبة ٢٢٪ من المجموع العام وذلك من القرن السادس عشر فما بعد ، بمعونة مترجمات من هذه اللغات وكنتيجة للتوسع الاستعماري والتجاري ايضا ، غير أن اوسع واخر مجموعة من الالفاظ التي تسربت الى الانكليزية هي بنسبة ٣٤٪ من العربية مباشرة ، وقد استعيرت من أواخر القرن السادس عشر فما بعد ، عندما اخذ السياح والتجار الانكليز يتصلون اتصالا شخصيا مباشرا مع الناطقين بالضاد ، وعندما غدت العربية تدرس في الجامعات البريطانية .

ويعتبر وليم بيدويل William Bedwell (١٥٦١ ـ ١٦٣٢) ابا الدراسات العربية في انكلترة . وكان معاصرا لشكسبير ولا نستبعد أن يكون هو وتلميذه ادوارد بوكوك Edward Pococke (١٦٠٤ ـ ١٦٩١) قد اثرا عليه فاسبغا طابعا عربيا على كثير من مسرحياته .وكان بوكوك اول من درس العربية في اكسفورد . وكان يلقي محاضراته في التاسعة من صباح كل اربعاء في الفصل الدراسي الثاني Lent Term وخلال العطلات.وكان الحضور الزاميا على جميع طلاب درجة الليسانس في الاداب .

ومن الغريب ان « تايلور » يزعم ان لا أساس من الصحة للرأي الشائع الذي يقول ان الكلمات العربية دخلت في الانكليزية ايام الحروب الصليبية، ويؤكد أن ليس ثمة نموذج واحد لمثل هذا التغلغل اللغوي . وعندما نجابه بعبارة Tally-Ho (تعلب هنا !) التي اعتاد صيادو الثعالب أن يتنادوا بها في اوقات الصيد . يقول : ان معجم اكسفورد يرجعها الى سنة ١٧٥٦ وهي فترة جد متاخرة عن ايام الحروب الصليبية التي زعم أن العبارة شاعت اتناءها ويذهب في مغالاته هذه حدا أبعد ليقول : « ولم تدخل كلمات عربية عديدة في اي لغة اوروبية عن هذا الطريق » ، ثم يمضي ليؤكد أنه لم تدخل الفرنسية ايام الحروب الصليبية اكثر من عشر كلمات منها Bedouin بدوي و Birde ، بردعة ، و Hazart خطر ، وهي من لفظة (حزر) العربية، وعلى رأي اخر « الزار » .

وكانت معظم الكلمات المستعارة المتداولة في اوربا مستعملة قبل ذلك التاريخ في اسبانيه

الثنائية اللغة بعد الفتح الاسلامي ، وفي صقلية ومن ثم تقلبت على أيدي العلماء . والسياح والتجار والموسيقيين المتجولين في اوروبا اللاتينية حتى جاءت الى انكلترة كجزء من المفردات الفرنسية:

ورغم ذلك كله فان « تايلور » لا يسعه أن ينكر ما أفاده الصليبيون من المسلمين في تعلم الاساليب الجديدة في بناء الحصون واقامة الاستحكامات والدروع والحلل للفرسان وافراسهم الا انهم كانوا جميعا يتكلمون لغة لاتينية مشتركة وجاءوا بمترجمين من اسبانيا وصقلية للتفاهم مع اعدائهم .

ونحن نستغرب من هذا الادعاء ولا سيما عندما يتحدث السير ولتر سكوت في روايته ايفانهو Ivanhoe عن فرسان انكليز يتكلمون بالعربية فيرد « تايلور » على ذلك قائلا بانه محض خيال!

ثم لا يتمالك المؤلف نفسه من أن يناقض ما اورده فيقول ان المعاهدات التجارية التي عقدت بين الصليبيين وخصومهم ساعدت على شيوع المصطلحات العربية التجارية فضلا عن التعابير الخاصة بالسفن والملاحة ومختلف السلع والبضائع:

ولكن دعواه أن أسبانيا كانت وطنا للاسلام مدة خمسة قرون يشوبها خطأ في الحساب فظيع لان العرب حكموا اسبانيا من ٧١١ الى ١٤٩٢ اى مدة ٧٨١ سنة وليس خمسة قرون . وتعلم علماء العرب اللاتينية ، واثروا فيها وعلى الاخص في الاسبانية التي كانت يومذاك في حداثتها في حين أن العربية لم تتاثر باللاتينية لانها كانت تمثل لغة الطبقة الحاكمة من جهة . ولغة حضارة ارقى بكثير من الحضارة الاوروبية يومذاك، ومن الطبيعي عندما تكون هناك لغة حاكمة واخرى محكومة فالاولى تبقى نقية في حين أن الثانية تختلط بلغة الحاكمين . لهذا لا نجد اللغه العربية الفصحى قد تاثرت باللاتينية في اسبانيا وحتى عندما كان العرب الاندلسيون يستعيرون الفاظا لاتينية ويتداولونها شفاها ما كانوا يدونونها في كتاباتهم .

وما ينطبق على العربية في اسبانيا ينطبق على الانكليزية ابان الغزو النورماندي . فقد تمثلت الانكليزية القديمة فرنسية النورمانديين وحضارتهم وتغلبت عليهم في النهاية .

ويتبنى « تايلور » نظرية ابن خلدون التي ايدها نيفيل باربر Neville Barber . من أن اسبانيا والمغرب شيء واحد فهما بلد العدوتين (اى الشاطئين) ويمثلان حضارة واحده . وان طرد العرب من اسبانيا لم يكن نتيجة حرب بين شعبين متعادين بل نتيجة حرب أهلية فاز بها فريق على فريق واجلاه عن مواقع الحكم سنة ١٤٩٢ م واخرجه من شاطىء الى شاطىء سنة ١٦١٠ ، وكما انتصر الحزب العربي في الجولة الاولى سنة ٧١١ م وطرد الحزب الاسباني الى جبال البيرنة فان الحزب الاسباني انتصر في الجولة الثانية وطرد العرب الى الشمال الافريقي، ولو لم يكن الامر كذلك لما استطاع العرب أن يحكموا اسبانيا اكثر من سنتين ! ... ويتصف انتصار كلا الحزبين بالسرعة الخاطفة !

ومع أن العربية لم تغير في قواعد اللغة الاسبانية فانها اغنتها بالمفردات وضاعفت من استعمال اداة التعريف ، وكانت اللغة الاسبانية هي العامل الاول في نقل التاثير العربي الى اللغات الاوروبية الاخرى ، بل وحتى الى اميركا اللاتينية والولايات المتحدة حيث نجد مائتي كلمة عربية في لغة الهنود الحمر في امريكا .

وقد بدأت الاستعارة من العربية في مستهل القرون الوسطى واستمرت لقرون بعد ذلك ، وتكاد جميع الالفاظ المستعارة في الاسبانية تكون موجودة في البرتغالية مع خصائص محلية اتسمت بها الاخيرة .

وجدير بالملاحظة ان الاسبانية والبرتغالية لم تستعيرا افعالا من العربية وانما اقتصرتا على الاسماء وبعض الصفات .

أما الايطاليون فقد أخذوا العربية من صقلية وعلى الاخص جامعة ساليرنو Salerno العربية.

وما دخل الانكليزية من الاسبانية مرورا بالفرنسية كان أكثر بقاء مما جاء عن الاسبانية أو الايطالية مباشرة فقد غدت الاخيرة نادرة او مجرد الفاظ تقنية .

ومن الضروري أن نذكر أن هناك مجموعة من الكلمات العربية معنى لا لفظا وهي على الاكثر رياضية من نحو : « جيب » العربية وفي اللاتينية Sinus = (١٥٩٣) Sine (1) .

« أصم » العربية ، كما في الجذر الاصم وفي اللاتينية Surdus = (١٥٥١) Surd (2) Causa اللاتينية وفي الايطالية Cosa وفي الفرنسية

(3) Rule of Coss (١٥٧٠) = Cosse

وهي بمعنى (الشيء) او الكمية المجهولة ، وقد عبر عنها في الاسبانية بالحرف X لانه كان اقرب الحروف الى الحرف (ش) العربي وهو الحرف الاول من لفظة (شيء) والارقام العربية هي الاخرى من هذا القبيل، وكذلك بعض التعابير الطبية من مثل :

ام رقيقة (١٤٠٠) (1) Pia Mater

ام صلبة (حوالي ١٤٠٠) (2) Dura Mater

مرض يصيب العين وتسميه العرب « ماء » في اللاتينية 3) Cataract Aqua

وليست اللفظة من الاعريمية كما كان يظن سابقاً .

ترجمة للفظة (مقولات) التي استعملها ابن سينا (١٥٥٠ (4)The Philosopher's Intention

ترجمة لعبارة (المحرك الاول) التي استعملها ابن سينا سنة ١٠٣٧ (١٢٥٦) (5)Primum Mobile

لفظة (بيت) العربية في الشعر وقد انتقلت عن طريق صقلية = (6) Stanza

ومجمل القول فيما جاءنا به (تايلور) انه فتح طريقا لبحوث جديدة في فقه اللغة المقارن وتبيان فضل حضار على اخرى وان كان ما ذكره عن الاندلس وطرف من تاريخ العرب هنا مما لا يأتلف وعنوان البحث مطلقا بل هو استطراد جاحظي طريف ، ثم انه لم يذكر في بحثه اصل الكلمات العربية التي اشتقت منها الالفاظ الانكليزيه لنرى مدى التعريف والتشويه الذي اصاب هذه الالفاظ بعد عبورها بحر المانش فاضطررنا الى ادراجها ،وثمة الفاظ كان ينبغي ان تذكر ولم تذكر فالبحث من هذه الناحية بحاجة الى توسيع ،وهناك الفاظ اخرى يصعب اعتبارها عربية او انها ذات اصل تركي او فارسي وهي جد قليلة لا يمكن أن تتخذ حجة للتقليل من شان البحث الذي هو على العموم مما يثير المزيد من التفكير عند المعجميين وارباب دراسة ظاهرة تعانق الحضارات لميلاد حضارة انسانية جديدة .

■■

اكسفورد ـ صفاء خلوصي

كتب وصلتنا

متزيني

تأليف علي ادهم

الناشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت

● هذه طبعة جديدة لهذا الكتاب في ٢٦٠ صفحة . في سيرة « متزيني » اعظم زعيم وطني انجبته ايطاليا في القرن ١٩ ، وهو كما قال المؤلف « داعية وحدتها واستقلالها ، وباعث وطنيتها الحديثة ، بل كان داعية الاستقلال الوطني الكل لشعوب في ظل الديمقراطية الحقة، والانسانية المتضامنة،والنظام العالمي العادل ».

والكتاب مقدمة وسبعة عشر فصلا ، وفي المقدمة اجمل المؤلف رأيه في مكانة « متزيني » بين عظماء العالم في عصره . فقال في تقديره له « انه بينهم جميعا انبلهم منزعا ، وانقاهم صفحة ، واسماهم مثالية ، واخلصهم نية ، واطهرهم نفسا ، وامضاهم عزما ، واصبرهم على احتمال التضحية ، وممارسة الشدائد » .

ثم انه « لم يكتف بالدفاع عن قضية بلاده وحدها بل دافع كذلك عن قضايا الامم المسلوبة الحرية مثلها ، وعن كل امة في دور استكمال استقلالها واستيفاء وحدتها . .. وكانها قضية انسانية شاملة » .

وقد تناولت بقية الفصول سيرة « متزيني » في اطار من احوال ايطاليا في عصره ،فوضح نشاته وجهاده الوطني منذ شبابه ، وما تعرض له من شدائد النفي والتشرد ، واستمداده عزما جديدا كلما اصابته خيبة ، حتى نالت ايطاليا وحدتها واستقلالها . ولم يترك المؤلف جانبا من جوانب النشاط العلمي والفكري لمتزيني الا احسن توضيحه في اجمال ، ومن ذلك نشاطه في مجال الفلسفة والشعر ، والنقد الادبي ، كما وضح علاقاته بكثير من مشاهير عصره ومشهوراته ، ومنهم توماس كارليل وزوجته . وكانا يقدرانه ويتعاطفان معه،وفي الكتاب ترجمة رسالتين ارسلهما متزيني الى زوجة كارليل من اجمل الرسائل العالمية .

■■



مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هى « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور فى اسفل الصفحة المقابلة ،فمن الضرورى أن يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التى مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا - الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة العربى صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٢٨ » واخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول يناير (كانون ٢) ١٩٧٨ .

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد فى (٨) أفقيا اسم واحد من الخلفاء الراشدين . كما ستجد فى (٨) رأسيا اسم صحابى من أقدم المؤمنين .

الكلمات الافقية :

(١) عاصمة افريقية - مصارعون من روما القديمة .
(٢) ذكرى سنوية - مسارات .
(٣) فرعون نادى بوحدة المعبود - تلين .
(٤) توفى - حرفان متشابهان - نقف فى وجهه .
(٥) عملة آسيوية - الملاذ - الكسر .
(٦) مضى فيما هو فيه - حشرة - من الاقارب .
(٧) حرف جر - حيوان - طابور - قريب .
(٨) من الخلفاء الراشدين .
(٩) خطاب - فى الجهاز الهضمى - لعب .
(١٠) قاطع - خاطرت - نصف كلمة (باقة) .
(١١) يبسط - فاسد - موسيقى عالمى شهير .
(١٢) مكدسة - ضمير - انسكب - رعب .

(١٣) صفة للصوت ـ أماشيه ـ مسار ٠

(١٤) حامية ـ من جمهوريات أمريكا الوسطى ٠

(١٥) حرف نفى ـ اسم الجلالة ـ وحدة قياس مساحات ـ من الحواس ٠

الكلمات الرأسية :

(١) من المعادن ـ شهر هجرى ٠

(٢) نصف كلمة (ثقيل) ـ من الفواكه ـ من الاحجار الكريمة ٠

(٣) مقاصد مصمرة ـ من الآثار العربية فى القدس ٠

(٤) نصف كلمة (شوكة) ـ وحدة قياس كهربا. ـ للنداء ٠

(٥) أقايض ـ فى الكف ـ أقارب ٠

(٦) طائفة من الهنود ـ عملة أوربية ـ على الباب ٠

(٧) اسلحة قديمة ـ معبود ـ قيادة ٠

(٨) صحابى من أقدم المؤمنين ٠

(٩) قضى ـ يزدردان ـ يتوقف ٠

(١٠) فوق العيون ـ من الفرائض ـ ارق٠

(١١) تتحجب به المرأة ـ حطمها ـ نصف كلمة (راية) ٠

(١٢) مقام موسيقى ـ الرشاد ـ تعتادان٠

(١٣) لقب علمى ـ انقص ـ نصف كلمة (عالج) ٠

(١٤) شهر هجرى ـ أشد جبال افغانستان ارتفاعا ٠

(١٥) حيوان ـ مقام موسيقى ـ من الاقارب ـ من الوالدين ٠



شاعر فرنسى

ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لشاعر وكاتب فرنسى من أعلام الرومانتيكية وصاحب قصة البؤساء · ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقب ذلك الشاعر ·

الكلمات الافقية :

(١) الاسم القديم لسكان شبه الجزيرة الاسكندنافية ·

(٢) مذهب اسلامى ينتشر فى الجزيرة العربية ·

(٣) قاد ـ نصف كلمة (يقول) ·

(٤) غير ناضج ـ خطر ·

(٥) التماع ·

(٦) مرفه ·

الكلمات الراسية :

(١) من المعادن ·

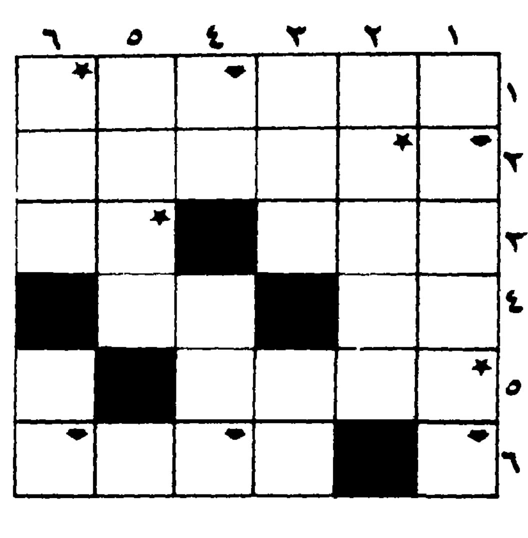
(٢) آكر ·

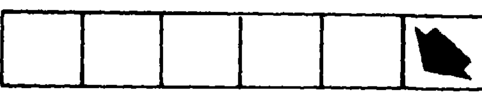
(٣) قنوط ـ بحر ·

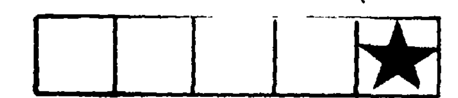
(٤) رمز كيميائى ـ قضمت ·

(٥) من الغازات ·

(٦) امية ـ لفظة ضيق ·







حلول مسابقات

استاذ نبيه يسأل :

١ ـ طالما ان تولا وهامى أجابا نفس السؤال بنفس الاجابة ، فلا بد انهما من جنس واحد ·

٢ ـ ويكون ديسو كاذبا ، عندما قال انهما ليسا من جنس واحد ، فهو من السلالة المتعبة ·

٣ ـ وطالما ان تولا وهامى قالا ان ديسو من الجنس الطيب ، فيكونا كاذبين ، ويكون الثلاثة من السلالة المتعبة ·

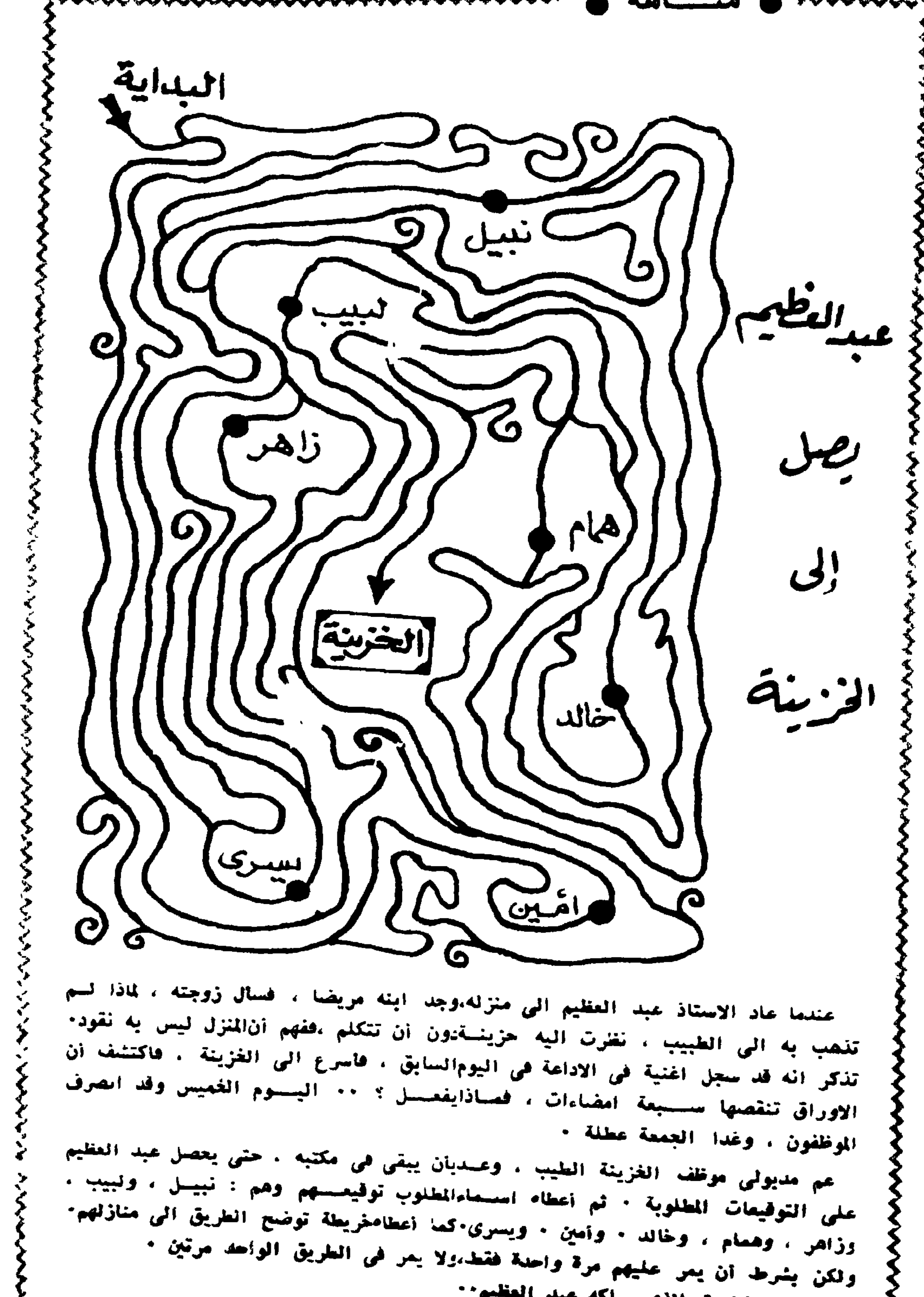
الاشارات الناقصة :

٢٢١ + ٣٢٢٣ − ٣٤٤٤ = صفر

حاول أن تعرف :

الشكل المطلوب رقم ٥ انظر صفحة ١٥٦

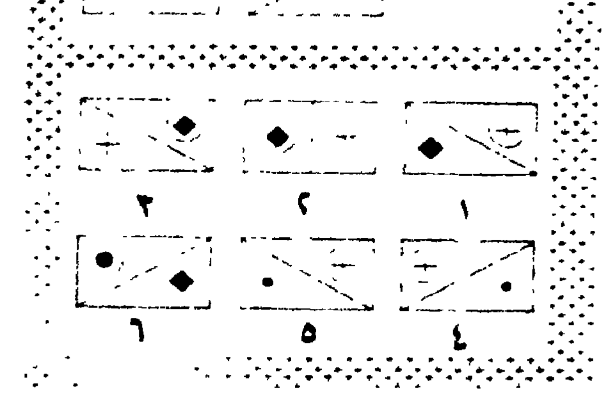
● متاهة ●



عندما عاد الاستاذ عبد العظيم الى منزله،وجد ابنه مريضا ، فسال زوجته ، لماذا لم تذهب به الى الطبيب ، نظرت اليه حزينة،دون أن تتكلم ،ففهم أن المنزل ليس به نقود. تذكر انه قد سجل اغنية فى الاداعة فى اليوم السابق ، فاسرع الى الخزينة . فاكتشف أن الاوراق تنقصها سبعة امضاءات ، فماذا يفعل ؟ .. اليوم الخميس وقد انصرف الموظفون ، وغدا الجمعة عطلة .

عم مدبولى موظف الخزينة الطيب ، وعدبان يبقى فى مكتبه . حتى يحصل عبد العظيم على التوقيعات المطلوبة . ثم أعطاه اسماء المطلوب توقيعهم وهم : نبيل ، ولبيب ، وزاهر ، وهمام ، وخالد . وأمين . ويسرى . كما أعطاه خريطة توضح الطريق الى منازلهم. ولكن بشرط أن يمر عليهم مرة واحدة فقط،ولا يمر فى الطريق الواحد مرتين .

فما هو الطريق الذى سلكه عبد العظيم..



● حاول أن تعرف ●

المستطيل المطلوب

من دراسة العلاقة بين الاشكال التى فى كل من الصفين العلويين . حاول أن تعرف اى المستطيلات ذات الارقام ، يجب ان يحل محل علامة الاستفهام .

الاشارات الناقصة

هل تستطيع ان تضع بين الارقام المختلفة اقل عدد من اشارات الجمع والطرح ، حتى يساوى الرقم فى النهاية صفرا .

١ ٢ ٢ ٣ ٢ ٢ ٣ ٤ ٤ ٤ ٣ = صفر

● بالعقــل فقط ●

استاذ نبيه يسأل :

ما جنس كل واحد منهم ؟

فى جزيرة هوكوا المعزولة فى الباسيفيكى. يتشابه أهل الجزيرة فى أشـــكالهم وازيائهم وحركاتهم . ومع هذا فهم ينقســـمون الى سلالتين . سلالة طيبة . وسلالة متعبة . ولا يمكن التفريق بينهما الا بوسيلة واحدة : اذا سالت أحد أفراد السلالة الطيبة سؤالا أجاب دائما صادقا . وعلى العكس من ذلك يجيب افراد السلالة المتعبة بالكذب دائما .

عندما هبط عالم الاجناس الى هذه الجزيرة. التقى بثلاثة من السكان . كانت اسماؤهم : تولا ، وديسو ، وهامى . اراد العـــالم ان يتعرف على سلالة كل منهم . فسال كل منهم سؤالا .

س : قل لى يا تولا . هل ديسو من السلالة الطيبة ؟

ج : نعم .

س : وأنت يا ديسو . هل ينتســب تولا وهامى الى نفس السلالة ؟

ج : لا .

س : قل لى يا هـــامى . ما رأيك . هل ديسو من السلالة الطيبة ؟

ج : نعم .

ابتسم العالم . فقد استطاع من هـذه الاسئلة أن يعرف سلالة كل منهم ... فهل تستطيع أن تتوصل الى نفس النتيجة ؟

النجمة والســهم :

فكتـــور هوجـو .

حاول أن تعرف :

الشكل المطلوب رقم ٥

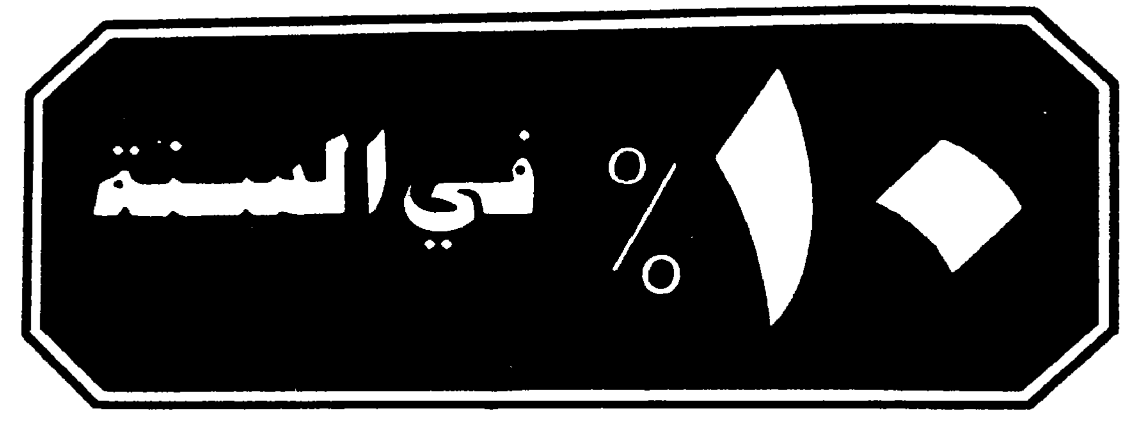
الاشارات الناقصة :

٢٢١ + ٣٢٢٣ - ٣٤٤٤ صفر

عبد العظيم يصل الى الغزينة :

الحروف الاولى من اسماء الموظفين تصنع كلمة « الغزينة » . والطــريق ـ هو الذى يتبع ترتيب الحروف فى الكلمة : امين ـ لبيب ـ خالد ـ زاهر ـ يسرى ـ نبيل ـ همام .

الأمان بالإضافة
إلى معدل جيد للفائدة



لمدّة محدّدة طولها سنتان

إن مبلغ ١٠٠٠ جنيه إسترليني أو أكثر مودع في حساب وديعة زمنية لمدة ثابتة طولها سنتان أو ثلاث أو أربع أو خمس سنوات ، يحقق ربحاً قدره ١٠ ٪ في السنة . وتدفع فائدة ٨٪ على المبلغ المودع لسنة واحدة . تدفع الفائدة كل نصف سنة بدون إقتطاع الضريبة البريطانية في المصدر .

٩ ½ ٪ في السنة ودائع الدخل الشهرى

إن مبلغ ١٠٠٠ جنيه إسترليني أو أكثر يحقق ربح ٩ ½ ٪ في السنة إذا أودع لمدة ثابتة طولها سنتان أو ثلاث أو أربع أو خمس سنوات أما وديعة الدخل الشهرى المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة فتحقق دخل ٨ ٪ في السنة وتدفع الفائدة شهرياً بدون إقتطاع الضريبة البريطانية في المصدر .

أن مصرف لومبارد نورث سنترل المحدود عضو في مجموعة بنوك ناشيونال ويستمنستر ، لذلك يمكنك فتح حساب ودائع بحيث تضمن سلامة رأسمالك كلياً . تفضل بإرسال الكوبون طلباً لتفاصيل أنواع حسابات الودائع والمعدّلات الحالية للفائدة .

Lombard North Central
Bankers

To . The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd., 17 Bruton Street, London W1A 3DH. England

الإسم : ____________________

العنوان : ____________________

____

D182

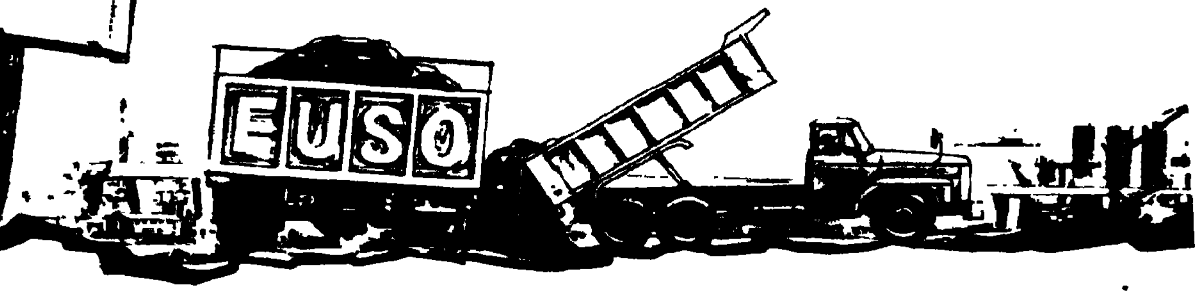
عضو في مجموعة مصارف ناشونال ويستمنستر . التي يزيد رأسمالها مع الإحتياطي عن ٩٣٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني .

Registered Office : Lombard House, Curzon Street, London W1A 1EU England

فوزو

الشاحنة رقم ١ في اليابان

هناك العديد من الشاحنات الثقيلة الممتازة في اليابان، غير أن فوزو تفوقها كلها مبيعاً. تكلموا مع موزع كرايزلر في منطقتكم وتحققوا بأنفسكم من أن فوزو لها من القوة والمتانة ما يكفي لكل مهمة. إن مؤسسة كرايزلر هي التي جاءت بفوزو إلى الشرق الأوسط. ولذلك يمكنكم أن تتحققوا من توفر قطع الغيار والخدمة التي تعقب البيع.



في جميع انحاء الشرق الأوسط

شركة الملا التجارية د م م
ص ب ٢٧٠٢
صفاة، كويت
تلفون ٤٢٣٢٣١
تلكس 2012 ALMULLA

عبد الرحمن الزياني واولاده
ص ب ٣٢، البحرين
تلفون ٥٢٦٠٧
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

الشركة الاقتصادية. ش م
١٨(ب) شارع ٢٦ يوليو. القاهرة
تلفون ٤٦٠٥٥
برقيا رايداواجون القاهرة

الشركة التجارية الاردنية المحدودة
ص ب ١٢٩
عمان، الاردن
تلفون ٥١٣٣١
تلكس TWAL JO 1311 AMMAN


وست إند
مضمونه ١٠٠ ٪
تحفظ
الوقت
بدقة
اكثر
الساعات
انتشاراً في
البلاد العربية
UNIVERSE
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا - دولة الكويت
ص. ب ٣٣٤ - تلفون ٤٣٣٥٨٥

عزيزي القارئ

الكتاب العربي يمر بمحنة حقيقية . هذا ما يؤكده معرض الكتاب العربي الثالث الذى افتتح فى الكويت منذ اسابيع قليلة. فقد كان المعرض مليئا بالكتب فى كل فرع، لكن اغلب هذه الكتب من القديم الذى اعيدت طباعته واخراجه .

ان القراءةالسريعة لعناوين الكتب تعطيانطباعا لا يخطىء بان حركة الطباعة والنشر فى العالم العربى انشط من حركة التاليف . وأن الجديد فى التاليف محدود للغاية ، الامر الذى يشير الى حالة من الفقر والجدب جديرة بالبحث والعلاج السريع.

ومع ذلك فان الاقبال شديد على الكتاب العربى . والنهم شديد لدى المواطن العربي للقراءة والمعرفة . وازدحام قاعة معرض الكتاب الثالث بصفة دائمة ولمدة عشرة ايام متصلة ،دليل على ذلك .

أى أن المعارض تقامبين الحين والاخر بغير تردد ولا تقصير، والناشر العربى متوفر برغم كل ما يقال عن الظروف التى مرت بها بيروت ، والقارىء العربي جاهز ينتظر فى كل وقت . والشىء الوحيد الذى نفتقده هو المؤلف العربى الذى يضيف جديدا .

وعند هذه النقطة تقفز علامات استفهام كثيرة حول الاسباب والمسئولية والحل . وستظل الثقافة العربية فى ازمة طالما ان الكتاب العربى فى محنة .

ان استمرار هذا الوضع يعنى أن تتزايد رقعة صحراء العقل العربى ، وأن المستقبل سيدفع الثمن باهظا !

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

سياسة واقتصاد :

عروبة :

طب وعلوم :

استطلاعات :



مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 229 December 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ - تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »
الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة - قسم الاعلانات
المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير
المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف

● غلاف هذا العدد من صورتين ، الاولى للفتاة الجميلة التي احتلت صورتها مساحة أكبر من الغلاف لحسناء من تونس .. جاءت الى الريف بعدما اصبح ملجأ للهاربين من زحام المدن وصحبها اقرأ (تونس من أجل هذا هي حصر - ص ٦٨) أما الصورة الاخرى فقد حملها الك العربي من استراليا حيث يعيش ٢٠٠ ألف مهاجر عربي . والبقلاوة الشامية من أحلى الاطباق التي يصنعونها ويقدمونها لضيوفهم اقرأ استطلاع (العرب في استراليا ص ١١٦)

تربية وعلم نفس .

ادب ولغة .

شخصيات :

فنون :

ركن الاسرة والمرأة :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني . العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ريالان سعوديان ، السودان ١٠ قروش ، ج.م.ع ١٠ قروش ، تونس ٢٥٠ مليما ، الجزائر ٢٫٥ دينار ، المغرب ٢٫٥ درهم ، اليمن ٢٫٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ - الشركة العربية للتوزيع وعنوانها ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ - مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر . للمشتركين في جمهورية مصر العربية .

لمـــاذا..*

لم تنجح سيــاسات التكامـ

.. وأين الحـوار بين .. رجالــ الدين والاقتصـــاد

هناك دائما تميز بين اصحاب المهنة الواحدة، والاقتصاديون لا يخرجون عن القاعدة العامة في هذا الخصوص . ولكني اعتقد ايضا ان هناك ما هو اكثر من هذا الميل الطبيعي لابناء المهنة الواحدة للتحاور والجدل فيما بينهم .

هناك احساس عام باننا نعيش في عالم تحكم مساراته المشاكل الاقتصادية . فـاذا كان لكـل حقبة في التاريخ مذاق خاص ، فهناك فترات غلبت عليها الروح الدينية ، واخرى سيرتها الدوافــع السياسية للتحرر . . فاننا ولا شك نعيش الان الحقبة الاقتصادية .

لقد ظل « التكامل الاقتصادي العربي » الموضوع الاثير للاقتصاديين العرب خلال الربع قرن الاخير . والتكامل الاقتصادي ليس صيغة علمية مضمونة النتائج تطبق في امريكا اللاتينية او في اوروبا فتحقق نفس الاثار ، وما علينا في الوطن العربي سوى انتقاء اخر نموذج وصلت اليه الدول الاخرى حتى تحقق التكامل الاقتصادي . تمامـا كما نفعل عندما نقتبس الاساليب الفنية للانتاج.

اقول لا .. لان التكامل الاقتصادي ليس شيئا من هذا القبيل ، انه تجربة تاريخية اصيلة ، تنجح بقدر ما تستجيب للواقع الذي نعيشه . ولذلك فلا بد من التعمق في واقعنا العربي ومواجهـــة مشكلاته وطبيعتها ، اذا اردنا للتكامل الاقتصادي العربي ان يكون حقيقة . وليس يهم بعد ذلك ان تكون بعض مشكلاتنا مما لم تعرفه الـــدول الاخرى ، او نعطي لنفس المشاكل حلولا اخـــرى مختلفة .

ولا تخلو ندوة اقتصادية عربية من الحديث عما يسمى « بالفوائض البترولية » وضرورة استغلال هذه الفوائض في الدول العربية . وانا اعتقد ان هذه الاموال ، وهي مقابل استنفاد مواردنا الناضبة والزائلة ، ويمثل بقاؤها في الحقيقة [illegible] لتستثمر في المنطقة العربية لتحويلها الى قدرات انتاجية تبقى على وجه الارض وبحيث تصبح الضمان الحقيقي لمستقبلنا . هذه قناعتنا . ولكن الاتفاق [illegible] شروطا لابد من توافرها . ولا بد من العمل بكافة الجهود على توافرها .

* [illegible] الجامعة العربية [illegible] (العربي) [illegible] كل انحاء العالم العربي

ـل الاقتصادى العربى..؟

بقلم : عبدالرحمن سالم العتيقى
وزير مالية الكويت

لقد بدا الحديث فى الخمسينات عن اهمية تحرير التجارة فيما بين الدول العربية كوسيلة لتحقيق التكامل الاقتصادى، ووقعت اتفاقية تبادل التسهيل التجارى والترانزيت • ثم اتفاقية انشاء مجلس الوحدة الاقتصادية ، والسوق العربية المشتركة التى من اهم بنودها ازلة القيود على التجارة •

ولكن سرعان ما تبين عدم كفاية اجراءات ازالة القيود على التبادل التجارى ، وان المطلوب ليس فقط تسهيل التجارة وانما « خلقها » عن طريق انشاء طاقة انتاجية عربية مشتركة • ولذلك فقد بدات فى الستينات الدعوة الى انشاء المشروعات العربية المشتركة كاسلوب اساسى للتكامل الاقتصادى العربى • وبدات تتبلور هذه الدعوة فى مشروعات عربية مشتركة وخاصة فى السبعينات •

وهنا اود ان اعلق بملاحظتين • اما الملاحظة الاولى ، فهى ان هناك دورة كاملة تمر بها الافكار قبل ان تصبح حقيقة وتتبلور فى واقع ملموس • فالافكار التى طرحت فى الخمسينات بدات فى التنفيذ فى الستينات ، وما ظهر من افكار فى الستينات تبلور عملا فى السبعينات ، وهكذا •• وهذا ما يؤكد اهمية عنصر الزمن فى الدورة التى تقطعها الفكرة من بداية ظهورها الى دراستها واكتسابها القبول العام ثم تنفيذها وبداية المشاكل العملية •

واما الملاحظة الثانية فهى انه مالم تمحص الفكرة جيدا وتدرس فى ظروف الواقع الذى نعيشه ، فان نتائج التنفيذ تكون هزيلة غير مشبعة • وظهر ذلك من تجربة تحرير التجارة وانشاء سوق عربية مشتركة • فهذه الافكار كانت هائلة فى اوروبا لتحقيق الاندماج الاقتصادى الاوروبى ، وانتقلت الى الفكر العربى الذى رددها دون دراسة تمحيصية لمعرفة اختلاف الظروف العربية عن الظروف الاوروبية • وفى غمرة الحماس للتكامل الاقتصادى العربى ، انشئت السوق العربية المشتركة قبل ان تتوافر مقوماتها الاساسية



ولذلك جاءت الى حد كبير بناء خاويا له من الشكل أكثر مما له من المضمون ، ويحاول ان يزيل عقبات التجارة العربية قبل ان ينشىء هذه التجارة .

ومن هنا ايضا نعتقد ان فكرة المشروعات المشتركة تستجيب بشكل اكبر لظروف الواقع العربي وهي ان كانت مكملة وغير متناقضة مع تحرير التجارة وانشاء السوق المشتركة ، الا انها ـ في ظروف الوطن العربي ـ تسبقها وتمهد لها ..

ومع ذلك فاننا نلاحظ ان صيغة المشروعات العربية المشتركة على اهميتها القصوى لم تحظ حتى الان بالدعم الكافي . ويكفي في هذا ان ننظر الى التراخي الشديد في تنفيذ هذه المشروعات . ففي الوقت الذي تزداد فيه المطالبات باستثمار الاموال العربية داخل الوطن العربي ، نجد اجراءات التصديق على هذه الاتفاقات وايداع الحصص يستغرق اوقاتا طويلة غير مبررة ، بالرغم مما تمثله هذه المشروعات من امكانيات ضخمة للاستثمار المكثف في الدول العربية في ميادين شديدة الحيوية مثل التعدين والثروة المعدنية ، والانتاج الزراعي والادوية ، والانتاج الحيواني ، والصناعة .

كذلك اكاد اشعر بان هناك نوعا من عدم الفهم لطبيعة هذه المشروعات فهذه مشروعات عربية مجالها الاقتصادي هو الوطن العربي ، كل منها في قطاع محدد . ومع ذلك فاننا نلاحظ ان اهتمام الدول بالشركة يتناسب مع اختيار مقرها ، فاذا اختير المقر خارجها فان هذا اشارة الى تناقص اهتمام الدولة بها . هذا على الرغم من ان هذه الشركات شركات قابضة تهدف الى تطوير الاستثمار في مجموع الدول العربية الشركاء .

كذلك يبدو لنا ان الفلسفة العامة التي قامت عليها هذه الشركات لم تستوعب بالشكل الكافي . فالمشروعات العربية المشتركة ليست فقط مشروعات مشتركة ، ولكنها في نفس الوقت مشروعات مختلطة . فالتكامل الاقتصادي العربي ليس فقط مسئولية الحكومات بل هو مسئولية الجميع . ومن غير المقبول ان يهدر في مجهودات التكامل الاقتصادي العربي عنصر اساسي وجوهري في النشاط الاقتصادي ، وهو القطاع الخاص والمبادرة الفردية . ولذلك فقد روعي في النظم الاساسية للمشروعات العربية المشتركة فتح المجال للمواطنين العرب للحصول على اسهم هذه الشركات . ومع ذلك فانه يبدو لنا حتى الان انه لم يتم استيعاب هذه الحقيقة بشكل كامل . فسلوك الحكومات في هذه المشروعات سواء من حيث اختيار ممثليها او من حيث الدعوة الاعلامية لهذه الشركات لا تنبىء بان هناك تصورا لدور القطاع الخاص .

بحثا عن قانون عربي للمعاملات

ولكن هناك جانبا هاما آخر في تشجيع القطاع الخاص ، وهو الاستقرار القانوني .

نحن لا نعتقد انه يكفي لتشجيع القطاع الخاص ان يتم الاتفاق في صدد كل شركة او مشروع مشترك على حدة على نوع المعاملة التفضيلية والمزايا والضمانات ، وانما لا بد من قيام نظام قانوني واضح المعالم يبين امكانيات النشاط الاقتصادي العربي وحدوده .

نحن نعرف ان الدول العربية المختلفة تصدر قوانين لتشجيع الاستثمارات الاجنبية والعربية في كل منها . وهذه القوانين تختلف من دولة لاخرى ، كل منها يصدر عن تصور اساسي ، وهو ان الشركة الاجنبية او العربية سوف يقتصر عملها في الدولة المضيفة . اما ان تنشأ مشروعات عربية تعمل في الوطن العربي في مجموعه في ظل نظام قانوني واحد وواضح . فهذا ما لا تستطيعه هذه القوانين المحلية لتشجيع الاستثمارات .

هناك ولا شك جهود متعددة قد بذلت في هذه الميادين . فمركز الدراسات والبحوث العربية يتضمن قسما قويا للدراسات القانونية التي قامت بدور هام في التعريف بالقوانين العربية وبمصادر الفقه الاسلامي . كذلك فان المؤسسات العربية الاقتصادية مثل المجلس الاقتصادي ومجلس الوحدة الاقتصادية قد اولت بعض جوانب هذا الموضوع اهتماما بوضع قواعد نموذجية لعقود الشركات المشتركة او وضع مشروع اتفاقية لبعض جوانب الاستثمار العربي .

ولكني اعتقد ان ما بذل في هذا الصدد غير كاف ويحتاج الى المزيد ، يحتاج الى دراسات كاملة عن بعض التصورات لنظم قانونية عربية للاستثمارات . وانطلاقا من هذه القناعة فقد اقترحت

على مجلس محافظى الصندوق العربى فى اجتماعه الاخير فى ابريل ١٩٧٧ ، النظر فى تطوير نموذج عام عربى للاستثمار يصلح اساسا لتشريعات الاستثمار فى الدول الاعضاء ويؤدى الى تيسير تدفق رؤوس الاموال العربية داخل المنطقة العربية. وقد وافق مجلس محافظى الصندوق على الاخذ بهذا الاقتراح على ان يتم تنفيذه بالتعاون مع امانة المجلس الاقتصادى العربى .

احمد بهاء الدين

منعه طارىء مرضى عن كتابة مقاله المعتاد ، ويستانف تقديم « حديثه الشهرى » من العدد القادم .

ومن المتصور ان يتم توحيد قوانين المعاملات فى الدول العربية سواء من حيث القوانين المدنية او التجارية او العقارية او التقاضى او الاجراءات.... الخ وربما مما يسهل هذه الجهود ان الاصول التى استقيت منها هذه القوانين اصول واحدة .

ولا شك ان التوحيد الكامل بين قوانين المعاملات امر قد يستغرق وقتا طويلا ، ولا بد من ثم التفكير فى وسائل بديلة ، رغم انه لا ينبغى ان نتخلى عنه كهدف بعيد الامد .

ولننظر حولنا ونرى تجارب الاخرين . ورغم انى لست من انصار التقليد ، فانى ايضا لست ضده، طالما احتفظ الانسان بقدرته على النقد والمواءمة بل والمجاوزة .

لننظر الى ما فعلته السوق الاوروبية المشتركة ـ الى جانب القانون الفرنسى والقانون الالمانى والقانون الايطالى ـ ومع المحاولات المستمرة للتوحيد (هناك محاولات لتوحيد القانونين الفرنسى والايطالى منذ عشرات السنين) الى جانب ذلك ، هناك اتجاه لبلورة قانون اوروبى يضاف الى هذه القوانين المحلية ويعلو عليها . وبذلك يتجه التفكير الى انشاء شركات اوروبية تخضع لهذا القانون الاوروبى. فلماذا لا نفكر فى ايجاد مثل هذا النظام القانونى العربى للمعاملات والذى يحكم نشاط المشروعات العربية فى كل الدول العربية . وذلك بالاضافة الى المشروعات الوطنية او المشتركة التى تنشا طبقا لاحد القوانين المحلية او حتى باتفاق مشترك .

وبطبيعة الاحوال فان المسالة الجوهرية هنا ليست البحث عن القواعد الموضوعية لمثل هذا القانون العربى للمعاملات ، وانما فى الضمانات التى تجعل تكوين المشروعات العربية وفقا لهذا النظام القانونى العربى وسيلة للتكامل الاقتصادى العربى ودعمه. وليست مجرد اسلوب للتهرب من القوانين المحلية وثغرة للخروج عليها. انا لا نريد شيئا مثل سوق العملات الاوروبية (اليوروماركت) حيث تحاول بعض الشركات الامريكية التهرب من قواعد الرقابة والضرائب الامريكية الى هذه السوق غير المنظمة.

ولعل الخيال يذهب بعيدا عندما اتصور ان تتسع دائرة هذا المجال الاقتصادى العربى العام بحيث تتداول فيه الاموال بلا قيود او عقبات من منطقة لاخرى ـ وان ظل فى تنظيم موحد تجاه العالم الخارجى . وبطبيعة الحال فان انشاء بورصة عربية موحدة تتداول فيها الاصول المالية لهذه المشروعات العربية وسوق نقدية وبنوك عربية تخصم الاوراق التجارية العربية الصادرة بمناسبة هذا النشاط العربى العام ، كل هذا يعتبر من النتائج الطبيعية لذلك .

بل ان اذهب خطوة ابعد . لماذا لا يخضع هذا النشاط الاقتصادى العربى لضريبة عربية . تخصص مثلا لدفع الامكانيات المالية للصندوق العربى للانماء الاقتصادى والاجتماعى الذى نعلم مدى حاجته المستمرة للبناء فى العالم العربى .وبذلك يشارك القطاع الخاص فى تحمل مسؤوليته فى تحقيق التكامل الاقتصادى العربى ، وفى تحمل جزء من تكاليف واعباء الحاجات العربيه المشتركة.

عن النظام الاقتصادى الاسلامى

وهناك قطاع عريض من الافراد فى عالمنا الاسلامى والعربى يشعرون ان هناك اعتبارات دينية تحول بينهم وبين استخدام بعض وسائل التمويل المتاحة فى الاقتصاد الحديث . وانا اشير بذلك الى ما يثار حول الربا والفائدة ونظام الاقراض بصفة عامة ومدى اتفاقه او تعارضه مع الشريعة الاسلامية .

ورأيى الثابت فى هذه القضية اننا نحن دول العالم الثالث .وعلى وجه الخصوص العالم العربى،

قد وقعنا من النظام العالمي موقع المتخلف وتحملنا العبء الاكبر من مساوئه . فكم حرى بنا ان نفكر من جانبنا في اساليب جديدة نسعى اليها في نهضتنا، ولا نكتفي بموقف المتفرج والمقلد . واود ان اشير هنا الى نظام ربما أهملناه بأكثر مما ينبغي وقد بهرتنا انجازات الغرب، واقصد نظامنا الاقتصادي الاسلامي.

ان من حق المسلم ان يجد وسائل متاحة امامه لاستثمار امواله بما يضعه في سكينة مع عقيدته وضميره ، ولا بد من ايجاد قنوات تحقق مصلحة الاقتصاد من ناحية ، وترضي ضمائر الافراد من ناحية اخرى . وكل عجز في الوصول الى حلول لهذه المشاكل انما هو اهدار لامكانيات كبيرة للادخار.

لقد عودنا الاقتصاديون في السنوات الاخيرة على اقامة الجسور بين التخصصات المختلفة لمناقشة المشاكل الاقتصادية . فرأينا حوارا بين الاقتصاديين والزراعيين لدراسة المشروعات الزراعية ، وكثر العمل المشترك بين الاقتصاديين والمهندسين ، وقل مثل ذلك مع رجال علم النفس والاجتماع وغيرهم من التخصصات. فهل حدث مثل ذلك بين الاقتصاديين وعلماء الدين الاجلاء لمناقشة هذا الموضوع الشائك المتعلق بالفوائد الربوية ونظم التمويل الاسلامية..؟ وهل الوصول الى رأي قاطع في هذه المسالة الخطيرة مما يؤثر على سلوك قطاع كبير من الافراد ، هل هذا يقل خطورة من الناحية الاقتصادية عن العديد من الامور التي يتعاون فيها الاقتصاديون مع غيرهم من اصحاب التخصصات الاخرى .. ؟

اعرف انه كثرت في الاونة الاخيرة الندوات للبحث في الاقتصاد الاسلامي ، وبدأت المؤتمرات تعقد لهذا الغرض . ولكني الاحظ في نفس الوقت قطيعة وانفصالا بين مؤسساتنا الاقتصادية العاملة في ميدان الاستثمار وبين هذه الجهود ، كما لو كانت هذه قضية فلسفية فكرية تهم بعض الاوساط الدينية والعلمية ولا شأن لها بالنشاط الاقتصادي اليومي. اني اقرأ واسمع عن مشروعات متعددة للدراسة من مؤسساتنا الاقتصادية تستغرق معظم اهتماماتنا اليومية . ولكني لم اسمع عن مشروع واحد لدراسة هذا الامر الحيوي لقطاع كبير من افرادامتنا . وهو جزء من واقعنا العربي ، لا بد وان نجد له الحلول .

ان حوارا حقيقيا بين رجال الاقتصاد وعلماء الدين في هذه المسائل لهو من اهم واجبات الباحثين في هذه الفترة التي نستعيد فيها مقدراتنا الاقتصادية وانه لما يؤسف له ان الهوة بين الفئتين في اتساع مستمر . فمعظم الاقتصاديين في تعال غير مبرر ودون معرفة كاملة بأحكام الشرع ومسالكه الدقيقة، يعلنون ان الفائدة امر حيوي للاقتصاد الحديث .وكأنهم بهذا الاعلان قد حلوا المشكلة وهم بذلك يتجاهلون الاسلام والمسلمين الذين ينشدون حلولا لا تتعارض مع عقيدتهم . وعلى الطرف الاخر ، نجد علماء الدين يعيشون مع النصوص ، ومع تعقد الحياة الاقتصادية وتداخل علاقاتها وصعوبة النفاذ اليها حتى على المتخصصين ، نجدهم غير قادرين على القطع بأحكام مطمئنة . وكانت النتيجة ان عددا هائلا من جمهور المسلمين وجد نفسه مزعزع الثقة لا يعرف وجه الحقيقة .

ولذلك فاني ادعو بالحاح الى ان يجتمع علماء الدين ورجال الاقتصاد ويخرجوا معا بحلول لا يستطيع اي منهم على حدة القطع فيها . وارى ان ينظم هذا الجهد عن طريق المجلس الاقتصادي حتى يأخذ طابعا رسميا على مستوى الجامعة العربية. وعندما نقول الجامعة العربية لا اعتقد انه يفهم من اسمها منسوبا الى العروبة بعدها عن الاسلام ، حيث ان العرب هم حملة رسالة الاسلام والمسئولون عن رفع رايته ورسولنا الكريم يقول « اذا ذل العرب ذل الاسلام » صلعم .

اني اذ ادعو الى البحث والدرس هنا ، فليس من حقي ان ابدي رأيا في هذا الموضوع الهام الشائك . ولكني لا اجد غضاضة في طرح بعض التساؤلات والتفكير بصوت مرتفع معكم .

تساؤلات حول سعر الفائدة

وتثور في ذهني تساؤلات ، فسعر الفائدة يستخدم في الحياة الحديثة استخدامات متعددة . فهو ثمن يدفع مقابل القرض لاجل ، ولكنه ايضا يستخدم كوسيلة فنية للحساب عند اختيار المشروعات ـ فهنا لا نكون بصدد قرض وله ثمن ، وانما بصدد اجراء مقارنات لترشيد قرارات الاستثمار . فهل الحكم على الامرين واحد لا يختلف ، ام ان هناك محلا للتمييز .؟

قرارات الاستثمار ـ كما هو معروف ـ قرارات ترتبط بالمستقبل وتتطلب اجراء اختيارات بين

بدائل تختلف من حيث التوقيت الزمني للتدفقات النقدية المتوقعة ، مما يستدعي استخدام اساليب للتفضيل الزمني • ولسنا في حاجة هنا للتاكيد بان الحاضر افضل اقتصاديا من المستقبل ، ولذلك فالعادة ان يستخدم سعر للتفضيل الزمني لترشيد قرارات الاستثمار • وفي اغلب الاحيان ـ ليس دائما ـ يكون سعر التفضيل الزمني هو سعر الفائدة السائد في السوق • ولكن من الواضح هنا اننا لسنا بصدد عملية اقراض بربا ، وانما بصدد اتخاذ قرارات استثمارية تختلف من حيث التوقيت الزمني لمنافعها وتكاليفها وبقصد اجراء المقارنة في ضوء التفضيل الزمني للحاضر ••• فهل تخضع هذه العملية الذهنية والتي لاتنطوي على اي قروض ودفع فوائد لنفس الحكم • الموضوع يحتاج الى دراسة ووضوح •

كذلك فان اي مشروع اقتصادي يتضمن قدرا من المخاطر لارتباطه بالمستقبل ، والتجارة ربح وخسارة، ولذلك فمن الطبيعي ان توزع هذه المخاطر على كافة الشركاء • ولكن ما الوضع في ظروفنا الاقتصادية المعاصرة وحيث تغطي اسعار الفائدة ـ في معظم الاحوال ـ التضخم بالكاد • فنحن هنا لسنا بصدد مخاطر تجارية ، وانما في مواجهة اتجاه عام ومستمر لظاهرة ارتفاع الاسعار • وهو امر ليس وليد صدفة او ظروف غير متوقعة وانما هو نتيجة لسياسات الدول في العصر الحديث •

ففي الماضي كانت الظروف الاقتصادية راكدة اومستقرة الى حد بعيد والتغيير محدودا ، وعلى اي الاحوال فان النقود كانت تظل محتفظة بقيمتها ثابتة من فترة لاخرى ولا تكاد تخضع لسيطرة الحكومات• فاذا شارك احد في مشروع فعليه ان يتحمل المخاطر: ربحا او خسارة • واذا فضل عدم المشاركة في اي مشروع فان قيمة نقوده تظل ثابتة وثروته مستقرة•

ونحن الان في عصر آخر تماما ، النقود لم تعد حقيقة مستقلة عن ارادة الدولة تحتفظ بقيمتها، وانما على العكس اصبحت اداة من ادوات السياسة الاقتصادية• وقد اسرفت الدول الحديثة في استغلال هذه الاداة حتى غدت النقود اسوأ الاصول المالية، فقد اصبح الحديث عن النقود نوعا من المجاز ، فهي دائما تفقد من قيمتها ومن ثم طبيعتها ، فدولار سنة ١٩٧٠ غير دولار سنة ١٩٧٧ • فهل من وسيلة يحفظ الافراد بها قيمة ثروتهم •

اننا اذا ما نظرنا الى الفوائد المصرفية التي تتقاضاها البنوك حاليا، او الفوائد التي تتقاضاها شركات الاستثمار مقابل السندات التي تصدرها لصالح بعض الحكومات او المؤسسات لوجدناها مبالغ لا تساوي في واقع الحال ما يعادل الدنانير قيمة العملة نتيجة التضخم المستمر ، ونتيجة تلاعب الدول الرأسمالية في التخفيضات المستمرة في قيمة عملاتها التي تتداولها • وعليه ، فالمكاسب التي يتحصل عليها اصحاب الاموال النقدية ما هي في الواقع الا مكاسب صورية ولا تمثل مكسبا حقيقيا ملموسا ، اذا ما قورنت بالدنانير القيمة الشرائية لهذه الاموال النقدية • ولكن ما هو البديل ••؟ هل نترك اموالنا للمؤسسات المصرفية تستفيد منها بلا مقابل ، وهذا فيه اجحاف غير مبرر بان يثرى اصحاب هذه المؤسسات وهم افراد معدودون على حساب المجموع العام •

هذه وغيرها امور جدت تحتاج الى مواجهة صريحة وشجاعة ، ولا بد من ايجاد حلول وتصورات لهذه المشاكل تتفق مع الشرع ولا تتجاهل التطورات الاقتصادية المعاصرة •

وهنا بدلا من الوقوف بلا تصرف ، فلا بد من التفكير الخلاق والبحث في انشاء قنوات جديدة صالحة لاستثمار هذه الاموال على نحو يتفق مع احكام الشريعة الاسلامية ويوفر للافراد المرونة الكافية • الى ان تستكمل الدراسات التي توضح لنا السبيل السوي •

وارجو الا يتبادر الى الاذهان انني ادعو الى تخريب نظام قائم ، على ما فيه من علل ، قبل ان يقوم نظام بديل تتوفر فيه عناصر الشرعية الى جانب التنظيم الاداري الذي يخدم العملاء ويخدم الحركة التجارية حتى لا نكون كمن يهدم بيته على رأسه •

ومن هذا المنطلق ادعو وبسرعة الى تعميم فكرة بيوت التمويل الاسلامية على مختلف البلاد العربية اولا ، ونعطيها كل الدعم لتثبيت وجودها ونتاكد من انها وقفت على قدميها واصبحت تعطي الدليل القاطع للمواطن المسلم بانه في حالة افضل في تعامله على هذه الاسس •

وقد بدأت بعض بيوت التمويل الاسلامية في المملكة العربية السعودية وفي الكويت ، وربما في

غيرهما • وهذه عبارة عن مؤسسات مالية تتمشى مع احكام الشريعة في استثمار موجودات الافراد عن طريق المشاركة ، وهي خطوة اولى على درب طريق طويل في العمل الاقتصادي •

ومن الضروري العمل على تشجيع انتشار هذه البيوت وتدعيمها وتوثيق الصلات فيما بينها بحيث تكون شبكة متكاملة للتعاون في خلق مجالات للاستثمار على اساس المشاركة في العالم العربي•

كذلك من الضروري اعطاء مزيد من التأمل لتحسين عملياتها ووضع القواعد والضمانات لسلامة امورها وبحيث ننشئ مجموعة من القواعد المالية والمصرفية الاسلامية •

واخيرا احب ان اشير الى امر غاية في الاهمية والخطورة . وهو اننا بدأنا نعتقد ان الحلول السهلة هي دائما افضل الحلول • وليس ذلك بالضرورة صحيح • فقد يرى البعض ان ما يضعه الاسلام من قيود على بعض انواع الفوائد الربوية هو من قبيل القيود التي تعرقل مسيرة الاقتصاد ويكادون يصرحون بضرورة التساهل والتجاوز عن ذلك • والحق ان هذا مسلك خطير ويمكن ان يؤدي الى اسوأ النتائج • فاختيار السهولة دائما قد يعني ان نضحي بعقائدنا لدى اول مشكلة تقابلنا، ويلفتنا لدى اول صعوبة نصادفها ، بل وبارضنا واوطاننا لدى اول معركة ندخلها • ليس هكذا تبنى الحضارات وليس كل قيد يعقبه ، وقد يكون له من الجوانب الايجابية ما يخفى على عقولنا •

ولست هنا في صدد بيان الحكمة من تحريم الربا وان كنت اعلم معنته وسببية اثاره على الدائن والمدين معا الا اني اتركه لعلمائنا الاجلاء • ولكني اتساءل احيانا اليس من الممكن ان يؤدي مزيد من المشاركة في الاستثمار ، الى اعادة اثارة اهتمام الافراد بالمشروعات في عصر غلب عليه التواكل وعدم المبالاة وترك الامر لادارة العديد من المشروعات للانحراف والبعد عن السلوك المسئول ، لانصراف المقرضين عن متابعة نشاطهم • لست ادري •••

هناك امور كثيرة في الحياة كانت القيود فيها مصدر قوتها وانطلاقها • ولنخرج عن الاقتصاد لحظة ونفكر في الادب والفن •• هل يجادل احد في ان الوزن والقافيه هما من قيود الشعر . ولكنهما ايضا مصدر قوته وثرائه •• وفي مجال اخر عندما كان المسلمون يتمسكون خلال فترة من تاريخهم بان التصوير مناف للاسلام •• ؟ ماذا كانت النتيجة ••• هل توقف الفن •• ؟ على العكس قدم الاسلام الزخارف الاسلامية اضافة جديدة للفن العالمي . كما اصبح استخدام حروف اللغة وكلمات القرآن من اجمل ما تركه الاسلام للفن الاسلامي •

اننا لسنا في حاجة للتخلي عن قيمنا وتراثنا عند كل قيد نقابله ، وانما نحن مطالبون بتحويله الى قدرة خلاقة ومصدر قوة •

وانا لا اريد ان اكون واعظا فهذه مهمة قدرها جليل ومثلي اقل من ان يتصدى لها ولكني أتمثل بالحكمة التي تقول (اذا وجدت الرغبة وجد الطريق) •

والله سبحانه وتعالى انبأنا في محكم كتابه (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز)

ولا أريد ان اضرب امثالا كثيرة من بطون التاريخ والامجاد التي عملها الرجال ولكن الموقف يحتم عليّ ان أشيد ولو بموقف واحد للعبرة ، ولادلل على انه من كان مع الله كان الله معه •• وهو القائل جل وعلا « واتقوا الله ويعلمكم الله » •

الخليفة الفذ عمر بن عبدالعزيز رحمه الله ورضي عنه وارضاه تولى امبراطورية قد ترهلت وساد ارجاءها الفساد وعمتها الفوضى ، وفي سنتين ونصف عاشها لله وفي سبيل الله على رأس هذه الدولة ، وعمل فيها باسم الله وكل ما يرضي الله ، احالها الى فردوس من العدل والرخاء يضرب به الامثال الى يومنا هذا ••وليس عمر بن عبد العزيز الا معجزة من السماء ضرب الله لنا بها مثلا لنعرف من خلاله ما يفعله الحق في دحض زيف الباطل • اليست خصال عمر بن عبدالعزيز التي هي من صميم تعاليم دينا ، الا تنبيها لنا من الله • ان نور الله الكاشف يبدد ظلمة الكفر والجهل والالحاد وذلك باقل من لمح البصر والا فما هي قيمة ثلاثين شهرا من حيث المدة الزمنية في اصلاح امبراطورية واسعة الارجاء •

اننا نريد ابطالا في الفكر الاسلامي يقودون حملة الدعوة الى الطريق السوي •

ولن يستطيع حاكم ان يتنكب عن الحق في وجود شعوب واعية ، ومصلحين لا تأخذهم بالحق لومة لائم • ■■

عبد الرحمن سالم العتيقي

حتى لا نخدع أنفسنا

المفاوضات والقوة



برنادوت قتلوه .. لانه أراد وضع حل عادل للعرب واليهود في فلسطين

بقلم : الدكتور يوسف هيكل *

كيف يمكن أن يفاوض العرب من موقع القوة ؟؟

■ انني اعود بمخيلتي الى سنين مضت عندما كنت طالبا في فرنسا . واراني جالسا بين الطلبة وامامنا البرفسور « موى » ، ذلك الاستاذ القدير الذي جاوز الخامسة والستين من عمره ، يحاضر في القانون الدولي . وكان من أبلغ الاساتذة واقدرهم على جعل الموضوع مبسطا مشوقا . وكان يضمن محاضراته غير المكتوبة ، قصصا سياسية وملاحظات شخصية له ، تجعل الطالب يتذكرها ويتذكر موضوع المحاضرة ، التي تغللتها تلك القصص والملاحظات . والاستاذ البليغ القدير هو الذي يبسط المحاضرة ولا يعقدها ، اما الاستاذ الذي يصعب محاضرته فهو الاستاذ غير الواثق من نفسه ...

واذكر ان استاذ القانون الاداري ذكر يوما في احدى محاضراته عن الاستاذ « موى » . انه الوحيد في المعاهد العلمية في العالم الذي جمع بين اربع شهادات دكتوراه الكليات الاربع الرسمية في الجامعات : كلية الطب ، وكلية العلوم ، وكلية الحقوق ، وكلية الاداب ، ثم تفرغ للقانون واجتاز امتحان الاكرنكاسون الذي يمكن مجتازه من ان يصبح استاذا في الجامعة ، وهكذا اصبح « موى » استاذ القانون الدولي .

وفي احدى محاضراته ، وكان موضوعها « المفاوضات الدولية » قال :

★ الدكتور يوسف هيكل حائز على دكتوراه الدولة في الحقوق الدولي والاقتصاد من جامعة باريس . وعلى دكتوراه الفلسفة في العلوم السياسية من جامعة لندن ، وعلى ميدالية التفوق من هذه الجامعة . وكان سفيرا للاردن في الولايات المتحدة الامريكية ثلاث مرات مدة عشر سنوات ، ورئيسا للوفد الاردني ومندوبا دائما في الامم المتحدة لمدة سنتين ، وسفيرا في بريطانيا لمدة سنتين ، وسفيرا في فرنسا وبلجيكا مرتين لمدة ثلاث سنوات ، ورئيس بلدية يافا .

اسمعوا يا ابنائي : ان منكم من سيصبح ديبلوماسيا او سياسيا يتطلب منه عمله ان يكون في مؤتمرات دولية ، وان يتفاوض باسم بلاده ٠ هناك مسالة مهمة ينبغي ان تعوها جيدا وان تضعوها نصب اعينكم ٠ ان المفاوض في المؤتمرات الدولية له مطالب ممن يتفاوض معهم من بلاد اخرى ٠ وهذا المفاوض ، مهما اوتي من سهولة في الكلام ، وبلاغة وفصاحة في الخطابة لا يمكنه ان ينال ما يريد في المؤتمر بذلك وحده ٠ والمعول الاساسي في المؤتمرات الدولية هو ما وراء المفاوض من قوة ٠ والقوة تتضمن عناصر متعددة ، منها: القوة الروحية للامة ، وقوة الارادة والنضال ، والقوة العسكرية ، والقوة الاقتصادية ، وقوة الاصدقاء او الحلفاء من دول اخرى ٠ وبعبارة ثانية ان الذي يتكلم في المؤتمرات هو ما وراء المفاوض من قوة ، تستطيع ان تنال ، ما لم يستطع المفاوض نيله بالمفاوضة ٠٠٠

دروس الماضي وتجربته

كلما جلست افكر في وضع العالم العربي تذكرت ذلك الاستاذ ونصائحه الثمينة غير المعمول بها في هذا العالم العربي القوي الضعيف ،الكبير الصغير ، الثري الفقير ٠٠٠

انني ارى ممثلي الدول العربية في الامم المتحدة خلال السنين ١٩٤٧ و ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ، عندما كانوا يقاومون التقسيموايجاد دولة اسرائيل بقرار من الامم المتحدة ، غير المشروع ، كلهم اعتمد في موقفه على البلاغة والفصاحة وادلاء الحجج القانونية في اكبر مؤتمر دولي فيه يتقرر مصير بلاد وشعب ٠ فلم يفدهم ذلك كله شيئا ٠ ولما تقدم اليهم ، من كان في امكانه انقاذ الموقف ، طالبا منهم التفاهم معه والتعاون دون معاداتهم لاصدقائهم من الغرب ، مقابل ان يستعمل حق « الفيتو » في قرار التقسيم ، وفي قرار خلق دولة اسرائيل ، تهربوا منه ولم يعيروا اقواله اى اهتمام ٠٠٠ فصوت الاتحاد السوفياتي مع قرار التقسيم ، ومع قرار ايجاد اسرائيل ٠ وكان ذلك منه لا حبا بالصهيونية والصهيونيين ، وانما ليضع العرب ، الذين تهربوا حتى من بحث ذلك الموضوع الحيوي معه ، امام احتياجهم له يوما ما ٠٠٠



رالف بانشر　　　　كرتر

وجاء مؤتمر « رودس » ٠ وقد سبقه ان قتل الارهابيون الصهيونيون الذين كان يتزعمهم يومئذ مناحيم بيجن ، رئيس وزراء اسرائيل اليوم ، الكونت برنادوت ، مندوب الامم المتحدة السويدي الجنسية ، لانه اراد وضع حل عادل للعرب واليهود في فلسطين حسب اجتهاده ، وخلفه الدكتور رالف بانش الامريكي الجنسية ومساعد السكرتير العام للامم المتحدة ٠٠٠ فقام هذا بمناورات بين الدول العربية واسرائيل ، وحمل العرب على الذهاب الى مؤتمر رودس ، كل دولة على انفراد، والتوقيع على هدنة بين الدول العربية المجاورة والدولة اليهودية ، تتضمن ما تريده اسرائيل من التوسع في فلسطين يومئذ ٠٠٠ فكافأ الصهيونيون الدكتور بانش على ذلك بالتوسط لدى مؤسسة نوبل التي منحته جائزة نوبل للسلام ٠٠٠

وقام الصهيونيون في ٥ حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ بالاعتداء على مصر والاردن وسوريا ، واحتلال سيناء والضفة العربية وقطاع غزة والجولان ٠٠٠ وكانوا يهدفون من وراء ذلك ارغام العرب على توقيع صلح معهم يؤمن لهم مطالبهم التوسعية والاقتصادية والسياسية ٠٠٠ غير ان قادة العرب يومئذ رفضوا ذلك ، وصمدت مصر كثيرا في حرب الاستنزاف ، وكانت في الوقت نفسه تعد جيشها لخوض حرب تعيد ما فقدت سنة ١٩٦٧ ٠٠٠ وادى ذلك الى أن اسرائيل كسبت الحرب تلك السنة ولكنها لم تكسب السلام الذي كانت تريد املاءه على الدول العربية ٠٠٠

حقائق مرة

ثم خاضت مصر وسوريا حرب تشرين الاول

(اكتوبر) المجيدة سنة ١٩٧٣ ، فعبرت الجيوش المصرية القناة ... واعاد الجيش السوري ، الذى عاونته قوات اردنية وعراقية وفلسطينية ، قسما من الجولان ... وهذا الانتصار العربي والانكسار الاسرائيلي غير الموازين العسكرية ، ورفع رؤوس العرب عاليا ، وازال الخرافه ، التي نشرتهـا الدعاية الاسرائيلية في الاوساط العالمية ، بان الجيش الاسرائيلي لا يقهر ...

ومضى على ذلك الان اربع سنوات ، والدول العربية تسعى بواسطه الولايات المتحدة الامريكية لايجاد سلام مع اسرائيل في مؤتمر جنيف ... واخذ الاسرائيليون يماطلون والامريكان لا يبدون الجدية في الموضوع ، والهدف من ذلك اعـادة القوة الاسرائيلية الضاربة الى اقوى مما كانت عليه بالامدادات العسكرية والمالية الامريكية ...

وجرت في اسرائيل الانتخابات البرلمانية ،ونجح فيها حزب ليكود المتعصب وزعيمه مناحيم بيجن رئيس عصابة الاركون الارهابية السابقه ، واصبح رئيسا للوزراء ، وديان وزير خارجيته .

واخذ بيجن وديان وغيرهما من المسؤولين فـي الحكومة الاسرائيلية يدلون بالتصاريح الشديدة المتعصبة وموجزها :

ان اسرائيل لن تنسحب من الضفة الغربيـة وقطاع غزة وهي ، بالنسبة لبيجن ارض اسرائيلية محررة ... ولكن للحصول على السلام في الشرق الاوسط تتنازل اسرائيل عن قسم من سيناء التي تحتلها ، وعن قسم من الجولان الذى في حوزتها ... وان اسرائيل لا تعترف مطلقا بمنظمة التحرير الفلسطينية ولا تقبل ابدا بان تكون عضوا فـي مؤتمر جنيف ... واسرائيل عينت ١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٧ موعدا لعقد مؤتمر جنيف ، وان لم يعقد فهي تريد التفاوض مع مصر والاردن وسورية ، كل على حدة ، في اجتماعات غير مؤتمر جنيف ، تؤدى الى التوقيع على معاهدة السلام... والسلام في نظر الحكومة الاسرائيلية ، حسب تاكيدات المسؤولين فيها ، هو عقد صلح دولـي يوجب تبادل التمثيل الديبلوماسي ، وفتح جميع ابواب البلاد العربية للاسرائيليين ... والتعاون الاقتصادي والمالي والثقافي على مختلف انواعه بين اسرائيل والبلاد العربية ... هذا بالاضافة الى احتفاظ اسرائيل باراض عربية واسعة ...

وقال بيجن ، واكد قوله ديان وغيره مـن المسؤولين الاسرائيليين : اننا سنذهب الى جنيف ونحن اقوى من البلاد العربية ... والاراضـي في ايدينا ... وسنقول في اى مؤتمر مـع العرب ، هذا ما نعطيه من الاراضي ، وهذا ما لا يمكن الجدل فيه ولا البحث !

وصرح الرئيس كارتر وكرر اقواله مساعدوه بان الحكومة الامريكية ، لا تضغط على اى فريق من الفريقين : اسرائيل أو العرب ، ومهمتهـا المساعدة فقط للجمع بينهما للتفاوض وللوصول الى اتفاق ، وما يتفقان عليه تؤيده امريكا ان هذا الموقف الامريكي ، موقف الحياد السلبي هو ما تطلبه اسرائيل ، وهو في صميم صالحها ... والاسرائيليون والامريكان يخططون الى مـدى طويل للوصول الى الاهداف المرسومة .

اما الدول العربية فقد تغير وضعها بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) المجيد : دب الخصام بين بعض دولها ... والروح المعنوية فيها والنضالية قد ضعفت ... والقوات العسكرية لم يستمر تقويتها ورفع مستواها مع تطور التيكنولوجيـا الحديثة ... ومصادر السلاح قد قلت لما بين بعض الدول العربية والاتحاد السوفياتي من خصام او فتور ، وكان مصدر السلاح الرئيسي الذى حاربت به القوات العربية وانتصرت فـي حرب تشرين الاول (اكتوبر) المجيدة ... وانقطع لسلاح السوفياتي بعد ذلك عن مصر ... وخف ارساله الى سوريا .. وامريكا لن تورد سلاحا الى مصر او سوريا ... وامريكا مع اسرائيل ، ولا تستطيع ان تضغط عليها لتامين حقوقالعرب . في الوضع العربي الحاضر ... هذه حقائق مرة ...

رودس ثانية ؟

اما والحالة هذه ، فهل الدول العربية مقبلة على رودس ثانية ؟ رودس الاولى لم تكن معاهدة صلح او معاهدة سلام ، بل كانت اتفاقا فيه عينت خطوط وقف اطلاقالنار ، في الاراضيالفلسطينية تفصل بين اسرائيل والبلاد العربية المجاورة ، ولم يعترف العرب فيها بدولة اسرائيل ولا بالحدود النهائية لها ، آملين ان يعيدوا اسرائيل الى حدود

التقسيم ... اى ان العرب فى رودس لم يتنازلوا شرعا عن اراض عربية فلسطينية او غير فلسطينية لاسرائيل .

وفى مؤتمر جنيف ، او اى مؤتمر آخر بديل عنه، حسب رغبة اسرائيل ، تكون نتائجه احد ثلاثة احتمالات ، بالنسبة الى الاوضاع العربية والاسرائيلية والامريكية اليوم .

١ ـ ان حالف الحظ العرب ونالوا ما يطالبون به وهو العودة الى خطوط سنة ١٩٦٧ . فانهم بذلك يعترفون اولا بشرعية اسرائيل . وثانيا يوافقون على ما منحته لها الامم المتحدة من فلسطين حسب قرار تقسيم ١٩٤٧ وقدره نحو ٥٦٪ من مساحة فلسطين . ويزيدون عليه نحو ٢٥٪ من مساحة فلسطين . وهذه المساحة تقع بين حدود التقسيم وخطوط سنة ١٩٦٧ . الشيء الذى لم تعترف به اى دولة فى العالم حتى التى وافقت على التقسيم وايجاد دولة اسرائيل ...

٢ ـ ان رضخ العرب للضغط الاسرائيلى الامريكي ووقعوا على اتفاق سلام مع اسرائيل يعطيها ما تطالب به او بعضه .وهو الضفة الغربية وقطاع غزة وقسم من سيناء ، وآخر من الجولان ، فانهم بذلك يتنازلون عن أراض فلسطينيةوعربية، ويحققون لاسرائيل شرعية وجودها والاعتراف السياسى بها وبتوسيعها ... وهذا يكون نواة اسرائيل الكبرى ... اذ سيشجعها على الاستمرار باستعمال القوة للتوسع وتحقيق خطتها الرمية الى اقامة دولة اسرائيل ما بين النيل والفرات.. واسرائيل ليس لها حدود وان عينت بمعاهدة... وحدودها الحقيقية هى الحدود التى لا تستطيع ان تخترقها . وعلى العرب ان يعينوا اين تكون تلك الحدود ...

٣ ـ وان عرقلت اسرائيل مؤتمر جنيف او افشلته برفضها قبول منظمة التحرير فيه ، او بصلفها وقحة مطالبها من الدول العربية فى المؤتمر .ورفض الدول العربية لتلك المطالب ، ينفض المؤتمر دون نتيجة ... بل لعل الدول العربية تخرج من المؤتمر بنتيجة مهمة ملموسة وهى ان لا فائدة من اى مفاوضة معاسرائيل والعرب فى موقف الضعف ، ولعلهم بعد ذلك يعملون ليصبحوا فى موقف القوة.

امور لا بد منها

ان جميع وسائل القوة متوفره لدى الدول العربية غير انها لا تستعملها فى نضالها مع اسرائيل . ولتكون الدول العربية فى موقع القوة، فهناك امور لا بد من تحقيقها :

١ ـ التهادن السياسى بين الدول العربية ، وعلى الاقل فيما يتعلق بالنضال العربى الاسرائيلى، والتعاون والتخطيط على المدى الطويل للخروج من هذا النضال منتصرين .

٢ ـ القيام بحملة دبلوماسية قوية تطلع العالم على موقف اسرائيل التوسعى الحقيقى ،ومعارضتها، بوسائل متنوعة ، تحقيق السلام العادل .

٣ ـ مصادقة جميع الدول التى لا تؤيد اسرائيل فى عدوانها ومطامعها التوسعيه ... وتوثيق العلاقات مع الاتحاد السوفياتى كاحدى الدولتين الكبريين ، المؤيد للقضايا العربية . والذى قطع علاقاته مع اسرائيل اثر عدوانها سنة ١٩٦٧ ... والاتحاد السوفياتى قوة لا يستغنى عنها فى النضال العربى الاسرائيلى .

٤ ـ اقناع الولايات المتحدة الامريكية انمصالحها هى مع الدول العربية ، وان هذه الدول لا يمكنها التفريط فى حقوقها فى اراضيها ولا فىحقوق الشعب الفلسطينى فى وطنه فلسطين ... وانها ستقوم بكل ما يتطلبه منها من اجراءات سياسية واقتصادية وعسكرية لتامين الوصول لتلك الحقوق ...

٥ ـ ايجاد قوة عسكرية موحده ، تعدادها لايقل عن مليون مقاتل ، على غرار قوة حلف الاطلنطى، تكون خاصة هيئة قيادة موحدة ، وميزانية خاصة ترصدها الدول العربية كل حسب امكاناتها.ووجود هذه القوة يؤدى الى عدم الحاجة لاستعمالها ...

ويتحقيق ذلك تستطيع الدول العربية ايجاد سلام عادل ودائم ... وعندئذ يستطيع المفاوض العربى ان يجعل كلمته مسموعة فى المؤتمرات الدولية ، وان ينال مطالبه دون استعمال القوة ... اذ القوة القادرة مستعدة وراءه . ■■

عمان ـ د . يوسف هيكل



في أعماق كل انسان .. فكر وفن وايمان



بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

■ تعودت مع اعتدال الجو في الكويت ، أن اسير بعد الغروب في شارع الخليج . ويزداد جمال الطريق ، عندما تنعكس أشعة القمر على سطح الماء كأنها حفل من الابتسامات السعيدة .

وكنت أحس صداقة ما حولي .. الرمال القريبة . النجوم البعيدة كأنها زهور مضيئة . هبات النسيم . أصوات الأطفال في جريهم المرح حول آبائهم . جلوس التامل لازواج تقدمت بهم السن . نافورة الماء عند رأس السالمية . الرابية الخضراء المجاورة .

وما كنت أضيق الا باندفاع بعض السيارات ، اندفاعا لا يستوى مع همس الطبيعة وحديث الموج للرمال .

وألفت عيني معالم الطريق الصامتة والناطقة . مناطق الضوء ومناطق العتمة . الاجزاء المتسعة بمصابيحها العالية وأضوائها القوية ، والاجزاء الضيقة وقد تزاحمت السيارات على جوانبها ، وقل الضوء ، وتقاربت خطوات السائرين .

وفي جزء هادئ من الطريق كنت ارى ، «رمضان» في محله . مربع مضيء وسط الظلمة ، جالسا يقرأ أو واقفا في وداعة وفي يده مشط ومقص ، ويصلح من شعر أحد الزبائن .

كان الكتاب لا يفارق يده عندما يخلو الى نفسه . وعن طريق الكتاب أحسست أنه قريب من نفسي .. فصرنا نتبادل التحية اذا تلاقت الاعين ..

ومضت شهور .. وزرته مرة في محله ..

وجلست أمام المرآة وتأملت ملامحه عن قرب ، وأطال النظر الي ..

دار رمضان من حولي ، كما يدور الفنان حول

تمثال . اقترب قليلا ثم ابتعد ، أمال رأسه ثم اعتدل وحدق بعينيه .. ثم قال :

ـ أقص الشعر بطريقتي أم بطريقتك ؟

قلت : ما الفرق ؟

قال : طريقتك هذه ـ واشار الى راسي ـ وطريقتي مبتكرة ـ واشار الى داخل رأسه .

قلت : فلنجرب الابتكار .

وحمدا لله فالشعر ينمو ويتحمل التجارب . ما الفرق بين الشعر والرسم ، تمحوه ثم تعيد خطوطه ؟ .

وتحسس شعري باطراف أصابعه ثم قال :

ـ فيه أثر مادة دهنية . كيف أعرف شعرك على حقيقته ؟ وكيف أتعامل معه ؟ في المرة المقبلة تغسل رأسك جيدا ثم تأتي الي مباشرة .

واستعنت بالصبر ، وذكرت الامام الاعظم أبا حنيفة النعمان عندما كان يحج بيت الله ، وتوجه الى حلاق على جبل المروة ليقص شعره ، فسأله عن الاجر ؛ فرد قائلا : لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج . وأدنى ابو حنيفة رأسه. فقال الرجل : استقبل الكعبة . فلما استقبلها قال له الرجل : ابدأ باليمين . فلما أدنى اليمين : قال الرجل : كبر . فكبر الامام .. وكان يقول بعدها: تعلمت من ذلك الحلاق اربعة من مناسك الحج ..

ويبدأ رمضان يشرح :

ـ كما خلق الله الانسان وفيه تناسب بين الرأس والرقبة وبقية الجسم . فلا بد من تناسب بين الشعر والرأس. مثلا : الرقبة الطويلة تحتاج الى غطاء من الشعر يستر طولها . الرأس اذا كان مرتفعا احتاج الى موازنة من أمام يطول بها الشعر بيعتدل التشكل . هناك ايضا العلاقة بين طول الوجه وعرضه وامتلائه ونحافته ، وبين الاطار الشعري الذي يضعه الحلاق حوله . المسألة عملية فنية وذوق واحساس . كل رأس له طبيعة خاصة. وعلى الحلاق أن يتخيل الوضع الامثل ، والصورة الافضل . بقدر ما تسمح بذلك طبيعة الشعر من خشونة أو استرسال أو ...

وتخيلت نفسي مع الجاحظ(1) رحمه الله وهو يعيص في رسائله عن الناس من اصحاب العرف.. ليتك يا رمضان عاصرت الجاحظ . أو ليت الجاحظ معنا في « رأس السالمية » اذن لوجد عندك مادة طيبة يضيفها الى روائعه عن اصحاب الحرف في بغداد ..

لقد كان رحمه الله جهاز تصوير ملون.وتسجيل حي . كان في عينيه ألف عدسة .. ولكل حرفة في ذهنه سجل خاص ، وقلمه تربطه آلاف الاسلاك غير المرئية بهذه السجلات ، وانتاجه حديقة ـ أدبية وارفة الظل وافرة الزهر والثمر .

رحم الله آباءنا : جعلوا من أبسط مشاهد الحياة فنا حيا ، وجعلونا نعيش معهم كأنما ندب بأقدامنا على أرض بغداد العباسيين ، ودمشق الامويين . ونسمع أغاني الملاحين في النيل ، وحداة الابل في الصحراء ، وأفراح الرعاة على جبال المغرب .. وأهازيج التجار في رحلاتهم عبر وسط آسيا ..

وأعادتني الى رمضان حركة المقص الرتيبة في يده . كأنها ريشة فنان تتحرك في ثقة وسعادة . وقلت لنفسي : ارسم يا رمضان . لا عليك . حتى لو حدث شيء في اللوحة. فالشعر ينبت من جديد . وأمامك تجربة أخرى وأخرى . . حد راحتك ..

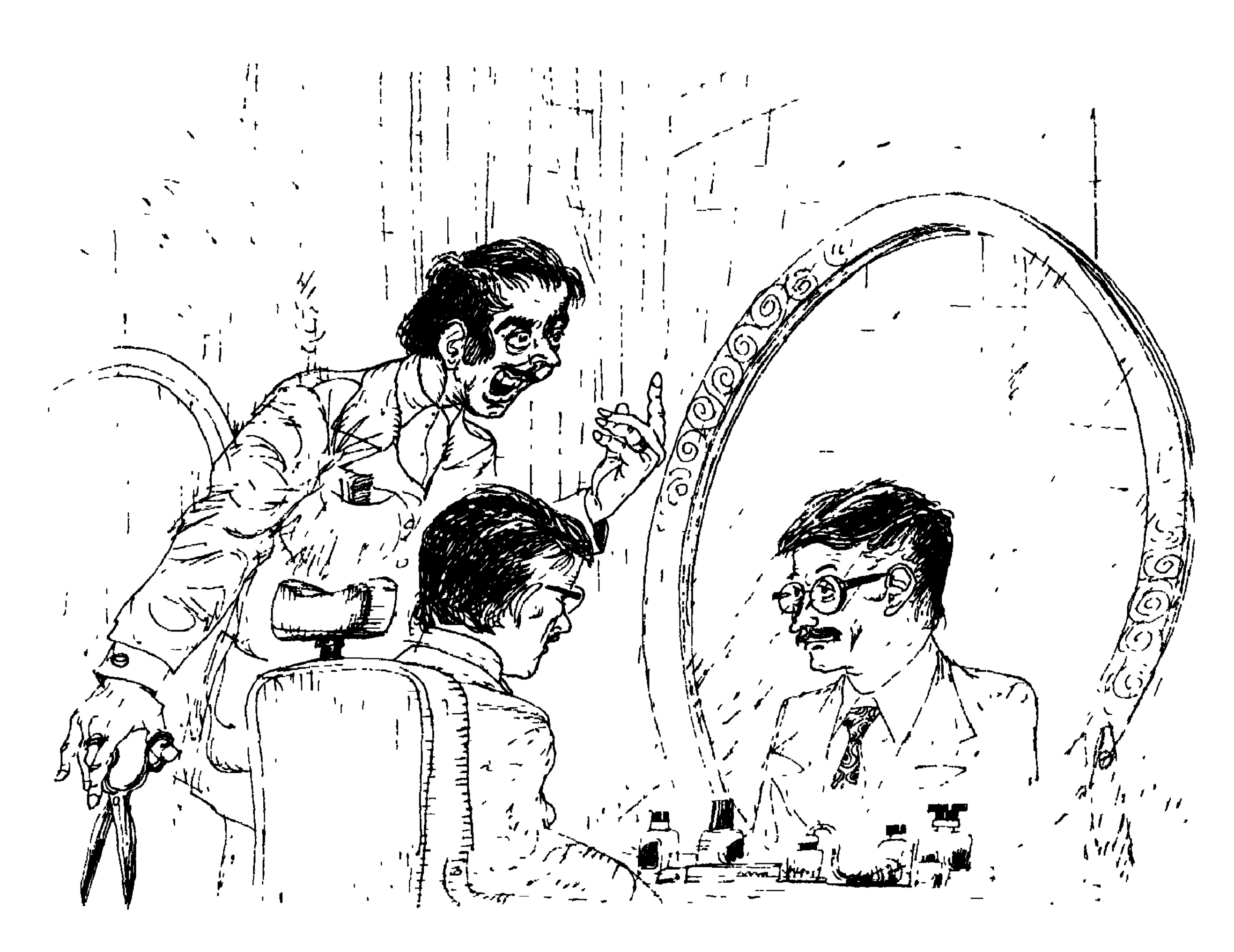
●

صمت رمضان قليلا ثم قال :

ـ أحيانا أشعر بشيء من الحزن . ولكني لا أقوله لكل من أعرف . أنا أعرفك جيدا . وأسمع عنك وأشاهد برامجك . لا أهتم كثيرا بمنصب كنت فيه أو أنت فيه . ولكن أهتم فيك بالانسان .. وكنت أود أن نتحدث يوما . هل تتصور أنني أحس أحيانا أنني سجين : سجين في بيت من زجاج . الناس كلهم يمرون أمامي . يرونني ولا أراهم . الشارع في الليل مظلم كما ترى . والمحل مضيء . كأني في صالة عرض . يأتي الزبون فأقص شعره ويخرج وأبقى مكاني . يتحدث معي ويخرج وأبقى صامتا . مهمتي أن أصلح من شكل رأسه وشعره . وأبتسم في وجهه . وأخفف عنه اذا استطعت . وأجامله . ثم يخرج . وأبقى وحدي . لا يفارقني شعوري بأني سجين في هذا المكان . رغم انه محلي . ومفتاحه معي . هل رأيت سجينا يحتفظ بمفتاح سجنه ؟

وتذكرت ما يقوله بعض أصدقائي عن رمضان : الحلاق الفيلسوف . وتذكرت صديقا طبيبا أراد

(1) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠ـ ٢٥٥ هجرية



مرة ان يقترح عليه شيئا فى أمر شعره فكان من قوله

ـ وهل تستطيع ان ادخل معك حجرة العمليات فى المستشفى واتدخل فى عملك ؟ التخصص فى الحياة اساس • الجراحة تخصصك ، والشعر تخصصى • وصمت الجراح وان كان تعامله بالمشرط . أمام الحلاق وان كان تعامله بالمشط •• هذا يجرح ومن وراء الجرح حياة وشفاء ، وهذا يحاذر أن يجرح • ولكل منهما تخصص واسعاد الناس غايتهما ••

وغشت وجه رمضان مسحة من حزن ، وانتظر صامتا يسمع اجابتى .

والتقت انظارنا عبر المرآة :

قلت : سأقص عليك قصة عن رجل صالح مر يوما على رجال يقطعون أحجارا فسألهم عما يعملون :

قال الاول : أقطع أحجارا كما ترى

وقال الثانى : أسعى على رزق أولادى

وقال الثالث : أبنى لله بيتا

وقف الاول عند حدود الجهد المبذول . وانتقل الثانى الى الهدف القريب • ونظر الثالث الى الهدف البعيد ، وعلى طريقه جهد مبذول وجزاء قريب •

وعادت انظارنا الى التلاقى عبر المرآة •• وابتسم قائلا :

ـ الحمد لله •• العمل فى ذاته عبادة • وكفالة رزق الاهل عبادة ، ولكنى اتحدث عن الحرية والحركة • قلت : هى نسبية • أنت ترى الطائر فى السماء صورة حية للحرية • ولكن لا بد له من عش يأوى اليه ، يريح أجنحته من التحليق • وترى الطائرة كذلك • ولكن تذكر أن قائد الطائرة وركابها عليهم أن يربطوا الاحزمة عند الاقلاع والهبوط • والحركة محسوبة فى داخل الطائرة • والاقمار الصناعية ـ احدث صيحة فى حرية الانسان فى التجول فى الفضاء ـ انظر فيها الى ملابس رواد الفضاء وطعامهم وشرابهم وجلوسهم ونومهم •• كلها اسلاك فى اسلاك • كبسولة الفضاء حرية وقيد • وكل انسان منا يعيش فى كبسولة ، حركته فيها بحساب مهما تخيل الحركة واسعة • حرية موزع البريد أن يمضى يوما فى بيته دون حركة بعد رحلة اليوم الطويلة • حريتك أن تقضى يوما فى السوق متجولا أو فى حديقة عامة أو على الشاطىء مع أولادك • الحرية هى القدرة على التغيير • وكل

تغير محسوب . واذا ضاع فيه الحساب أصبح أمره فرطا ..

قال : هناك سؤال آخر قد يبدو بعيدا وهذا : انني أخشى حساب الله والاخرة . واقف كثيرا عند بعض الاحاديث الشريفة في هذا الموضوع ..

وتلاقت أنظارنا عبر المرآة مرة أخرى وتابع حديثه عندما رأى تعجبي من سرعة انتقال الحوار بين حرية الدنيا وحساب الاخرة .

ـ انا من اسرة كلها من رجال الدين . أبي وجدي من العلماء . عندنا مكتبة كبيرة في بيت الاسرة في بلدنا وعندي هنا مكتبة صغيرة . اقرأ صباحا ورد القرآن الكريم . وفي وقت الفراغ اقرأ الكتب .. وهناك حديث شريف أقف عنده هو : تفترق أمتي ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحده . قيل يارسول الله : من الناجية . فقال : ما عليه وأصحابي » « وفي رواية أخرى انه قال الجماعة » (٢)

فتصور ؟! واحد ينجو من كل ثلاثة وسبعين ..ثم ماذا يحدث داخل الفرقة الناجية ، والبعض يصيب والبعض يخطيء ؟ تصبح النسبة اقل . وأين مكاني بين كل هؤلاء ؟

وطال صمتنا هذه المرة ..

وقلت لنفسي : حتى انت يا رمضان ادركتك مشكلة الفرقة الناجية ؟ وكل فرقة أو جماعة تظن لها وحدها سعادة الدنيا والاخرة ؟ لماذا يضيقون على الناس ما فتح لهم ربهم من ابواب الرحمة ؟ نعم .. لماذا ؟

هذه الآلاف المؤلفة من العاملين البسطاء في ايمانهم ، يعبدون الله بالكلمة الطيبة على السنتهم ، والامل في قلوبهم ، وبالعمل والانتاج في ايديهم ، وحب الاتقان فيما يصنعون ..

وطال صمتي وانا انظر اليه ، وافكر معه . وفي وجهه نظرة ترقب ..

وقلت له : نحن الان في رأس السالمية ، ونريد ـ مثلا ـ ان نذهب الى المباركية في قلب الكويت . فكم عدد الطرق التي نستطيع ان نسلكها ؟

قال : كثير .

قلت : وهي كلها في اتساع واحد ؟

قال : لا .

قلت : فلنفرض اننا تبعنا طريق الخليج ، واردنا ان نقارن بين عدد السيارات التي تمر فيه ، وما يمر في الطرق الفرعية .

قال : شارع الخليج اكثر .

قلت : مشكلتنا اننا ننظر الى هذه الطرق التي جاءت في الحديث الشريف نظرة حسابية .

ما داموا ثلاثا وسبعين فلنقسم المسلمين الى ثلاثة وسبعين قسما متساوية العدد ، وبهذا ينجو من كل المجموع واحد .. ورحمة الله اوسع من ذلك بكثير . ان العدد هنا للطرق ، لا للذين يسيرون فيها .. ومن الممكن ان يكون في طريق واحد كبير ، اضعاف ما في الطرق الصغيرة مجتمعة. الحق طريق مستقيم واضح . والطرق المقصودة في الحديث جانبية تصرفك عن الطريق الرئيسي وعن هدفك . وتامل في قول الله تعالى:«وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلك وصاكم به لعلكم تتقون » ـ (الانعام : ١٥٣). هو صراط مستقيم واضح هو الطريق الرئيسي .

وظهر على وجهه اشراق لحظته في المرآة . وعدنا الى الصمت وكان صمتا مشرقا . ثم قلت له :

ـ هذا المحل الجميل لماذا تراه احيانا سجنا ؟ ورحمة الله الواسعة ، لماذا تخشى الا تدركك ؟.. تذكر دائما قول الله تعالى مخاطبا نبيه : « واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم » (سورة الانعام ٥٤)

●

كانت يده لا تزال تتحرك بالمقص والمشط وادوات اخرى يدوية وكهربائية .. وتوقف وابتعد قليلا ونظر الي وقال مبتسما :

ـ ما رأيك في الشعر الان ؟

الان عدنا الى الرأس من الخارج ، بعد ان كنا فيه من الداخل ..

عدنا الى منطقة نفوذك يارمضان . كان في يده مقص مسنن يقطع به من نهايات الشعر ومن

---

١ ـ جزء من حديث ، اخرجه ابو داود والحاكم وله اكثر من رواية في بعض كتب السنن ، وبعضها يقف عند ذكر العدد دون النص على الفرقة الناجية .

اواسطه احيانا مستعينا بمشط رقيق • وهويقول:

ـ هذه طريقتى المبتكرة • ما تعلمتها من احد •
قل : انها اجتهاد • قل : انها هداية • ولكن زبائنى استراحوا اليها • جربتها فى اكثر من راس فحازت الاعجاب ، ما رايك انت ؟ •

ثم ابتعد قليلا وقال :

ـ لطفا • هذه شعرات طويلة بعض الشىء اود ان اقصرها •• وقصرت الشعرات ••

ـ الان ترى الشعر طويلا وهو قصير • المهم انه تداخل وانتظم • ولكن فى المرة المقبلة اغسله جيدا قبل حضورك مباشرة حتى اعرف طبيعته بالضبط واستطيع ان اتعامل معه بطريقة افضل • يجب ان تكون اليد حساسة وهى تقترب من الشعر • انظر •••

ونظرت فادار وجهه وقال :

ـ استطيع الان ان اتعامل مع الشعرات واتحسس طولها باللمس دون النظر • هكذا •• وتحركت يده فى خفة فوق راسى ، ووجهه فى الناحية الاخرى • واشفقت على ما فى راسى من بقية شعر ، فاسرعت قائلا :

ـ تسلم يدك يارمضان •• عظيم ••

ومرت يده بقطعة من القطن المعطر على كل مكان لمسته يده او احدى ادواته • واتى بمرآة ذات اطار معدنى براق وعلى حوافها زخرفة من زهور رقيقة • ووضعها مقابل مرآته الكبرى لارى اية فنه فى الحلاقة •• ورايت مرآتين •• او قل لوحتين :

فى الاولى الصغيرة صورة الراس بعد ان اعادت تخطيطها يد رمضان وحولها اطار معدنى تزينه ورود •

والثانية صورة رمضان نفسه فى المرآة الكبيرة باطارها الخشبى يحمل المرآة الصغيرة وقد علت وجهه بسمة سعادة •• لوحتان فى لوحة واحدة •• ابرز ما فيها ابتسامة رمضان •

وبادلته ابتساما بابتسام « واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها » (النساء ٨٦) وامتلاوجهه بابتسامة اكبر وهو يدير مرآته الصغيرة يمينا ويسارا ، ويرفعها الى اعلى ، ويخفضها ، ويشير باصبعه الى مواطن الفن فى صناعته ، سعيدا بما صنع •• واحسست لحظتها اننا تبادلنا شيئا •• من نفسى اعطيته بعض ما اعلم • ومن نفسه اعطانى بعض ما يصنع • ووضع رمضان المرآة : وهو يقول :

ـ هناك اسئلة كثيرة نحتاج الى مناقشتها •• اسئلة كثيرة • ولكن لا تنس ان تغسل رأسك جيدا فى المرة القادمة قبل الحضور مباشرة •• مع السلامة •

●

وعدت الى البيت واصداء هذا الحوار فى ذهنى ••

راجعت حديث افتراق الامة ، واستعنت ببعض الزملاء ممن تحت يدهم مراجع اوفى •• فلم تكن كلها تنص على *الفرقة الناجية* ، وانما يكتفى بعضها بالافتراق وحده • وكان يستوقفنى رهبة المسلم من افتراق امته ، كما افترقت الامم من قبل ، وضيق الامل امامه •• الا تحتاج هذه الهموم الى شىء من التوضيح لاخوة لنا يعيشون الايمان والسماحة والانتاج دون دخول فى تيه الملل والنحل؟

الا يحتاج هؤلاء العاملون الى زهرات من الامل يشمونها فيما يسمعون من الاحاديث الدينية او عندما يغشون بيت الله عابدين ؟

ولقد كان الرسول الاعظم (ص) يقف فى الطريق للطفل والمرأة والجارية والضعيف •• ويعلمنا الاسلام « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما » •(المجادلة ١)

ومن قبل كان عيسى عليه السلام يجالس الصيادين والفقراء ، ويمر بيده الآسية على المرضى فيبرئهم باذن الله ، ويمد يده للعصاة والمذنبين ليقودهم الى طريق التوبة والمحبة •

بسيطة كانت امثلتهم التى يضربونها للناس •• سمحة كانت لغتهم التى يتعاملون بها •• مشرقة بالامل كانت احاديثهم ومعاملاتهم • رحبة كانت صدورهم ، تسع هموم الناس ، وتحاول ان ترسم على الوجوه بسمة تعين على السير خطوة جديدة اكثر اشراقا واغنى بالحياة ••••

وتذكرت رمضان وهمومه واشواقه ورغبته فى اجادة العمل وصلته بالله ••

وذكرت هذه الخيوط النورانية والفكرية التى تربط بين افراد المجتمع وقلت لنفسى :

نعم •• فى اعماق كل انسان ، فكرة وفن وايمان •

■■

الكويت . د • عبد العزيز كامل

« ما دام هناك فقر ، فلن يكون هناك نظافة ،

وحيث تختــفي النظافــة تولد الكــوليرا » ٠

من أوبئــة عالم الفــقراء

الكوليرا..

بقلم : الدكتور ابراهيم عبدالحميد

■ قديما قالوا : ان شر ما يصيب البشريــة بالدمار هو الحرب والمجاعة والوباء ٠ وما زال ذكر الوباء مقترنا بالرعب والرهبة فى اعمــاق الانسان ٠ فموجات الطاعون او الموت الاســود التى فتكت بربع سكان اوروبا فى القرون الوسطى لا يمكن نسيانها على مر التاريخ ، والان لنــا ان نتساءل : هل نجح التقدم العلمى فى السنوات الاخيرة فى تخليص العالم من شرور الاوبئه ؟

صحيح ان دول العالم المختلفة قد وصــت الى صيغة مرضية للتعاون فيما بينها فى مجال الوقاية من الاوبئة ٠ وهناك أمراض مثل الكوليرا والجدرى والحمى الصفراء والطاعون يتم ابلاغ منظمة الصحة العالمية برقيا بمجرد ظهور حالة واحدة منها ، لتتخذ باقى الدول احتياطاتها ٠ وصحيح أن هنــاك خط اتصال مباشرا لتبــادل المعلومات الطبية عن الفيروسات بين الــولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وقد بدأ اول اتصال على هذا (الخط الساخن) بين البلدين فـــى سبتمبر ١٩٧٣ ٠

ورغم هذا كله فان الانجازات التى تحققــت فى مقاومة الامراض السارية لا ترضى طموح الناس ، بل ولا توقعات العلماء انفسهم ٠ ومن الملحوظ فى السنوات الاخيرة عودة انتشار كثير من الامراض التى كان يتوقع التخلص منها الى غير رجعة مثل الامراض التناسليــة والتهاب الكبد الوبائــى والحميــات المخية النزفية والكوليرا وبعض بؤر الطاعون ٠ حتى مرض الجدرى الذى حدد العلماء عام ١٩٧٥ تاريخا لخلاص العالم منه ما زال متوطنا فى شبه القارة الهندية ووسط افريقيا وقد سجلت ٩٥٣ اصابة جديدة فى غضون عام ١٩٧٦ ٠ ويسجل الجدول رقم واحد مدى انتشار

أجمع خبراء الصحة العالمية الذين اجتمعوا في الكويت خلال شهر اكتوبر الماضي على أن الكوليرا لن تختفي من العالم العربي في وقت قريب ، وكان هناك رأى متشائم يذهب الى ابعد من ذلك ويقرر أن الكوليرا سوف تتوطن في عالمنا العربي ، وبالذات في الدول التى تتخللها الانهار ، وعلى رأسها مصر وسوريا والعراق ٠

بعض الامراض الوبائية الهامة عام ١٩٧٥ حسب تقارير منظمة الصحة العالمية ٠

وجدير بالذكر هنا ان المسلمين كانوا هم أول من استعمل التلقيح كوسيله للوقاية من الامراض الوبائية ٠ وقد سجلت ذلك الليدى مونتاجا زوجة السفير البريطاني لدى الدولة العثمانية في بداية القرن الثامن عشر والتى كان الجدرى قد شوه وجهها ٠ ذلك انها بعد وصولها الى الأستانة ارسلت الى صديقاتها في لندن تقول ان السيدات المسلمات يقمن بتلقيح الاصحاء بصديد من بثور مرضى الجدرى مما يؤدى الى الاصابة بالمرض بصورة أخف وطأة تكسب الانسان المناعة دون ان تترك تشوها شديدا ٠ وكان ذلك قبل أن يكتشف « جنز » لقاح الجدرى باكثر من ثمانين عاما !

ومن بين الامراض الوبائية الشهيرة نجد ان الكوليرا وثيقة الصلة بالانسان ٠ فالحمى الصفراء تصيب حيوانات الغابة ومنها تنتقل للانسان ٠ والطاعون ينتشر بين الفئران ثم ينتقل الى الانسان عن طريق لدغه ببراغيث الفئران ٠ وفيروس الجدرى يصيب الانسان ، ولكن فيروس جدرى البقر يصيب الماشية ومنها يؤخذ اللقاح الذى يقى الانسان من الجدرى العقيقى ٠ اما الكوليرا فلا تصيب الا الانسان وليس هناك حيوان يقوم بدور الحضانة او الحامل الوسيط لهذا المرض ٠

٦ أوبئة عالمية

وقد عرفت البشرية مرض الكوليرا منذ الاف السنين ٠ وموطنه الاصلى في دلتا نهر الجانج في الهند وفي وادى اليانج تسى في الصين ٠ وكل الاوبئة التي اجتاحت العالم خرجت من هذه المناطق ٠ واول وباء للكوليرا يمكن أن نسميه عالميا في التاريخ الحديث كان في عام ١٨١٧ ، حيث انتشر في كل انحاء الهند وانتقل منها الى روسيا واوربا الغربية ٠ وعندما وصل الوباء الى بريطانيا عام ١٨٣١ أدى الى وفاة خمسين الف مواطن ٠ وقد شهدت الفترة من ١٨٧١ حتى ١٩٢٣ ستة اوبئة كوليرا عالمية منها أربعة في القرن التاسع عشر ٠

واثناء احدى الاوبئة التى اجتاحت بريطانيا عام ١٨٩٤ اعتقد الطبيب البريطاني جون سنو ان المرض ينتقل عن طريق مياه الشرب ، فعمد الى افساد المضخة اليدوية التي ترفع الماء من احدى الابار ليمنع الناس من شرب الماء الملوث ٠ وفعلا نجح في تقليل الاصابات في هذه المنطقة ٠

وفي عام ١٨٨٣ اكتشف العلامة الالماني كوخ ميكروب الكوليرا اثناء عمله في أحد مستشفيات مدينة الاسكندرية ٠ وتاكد اكتشافه عندما شاهد نفس الميكروب في الهند عام ١٨٨٤ في براز المصابين بالمرض ٠ وبذلك أضاف كوخ الى العلم حقيقة ، تقل أهمية عن اكتشافه لميكروب السل الرئوى ٠

- وبدراسة الخصائص البكتريولوجية للميكروب أمكن تمييزه الى فصيلتين أطلق عليهما « أوجاوا » و « اينابا » كما أمكن تفرقته من الميكروبات الاخرى التى تتشبه في شكله الملتوى كيد العصا ٠

وباكتشاف سبب المرض بدات الدول تتخذ جراءات الحجر الصحي للوقاية من انتشاره عن طريق المسافرين ومن اشهرها تلك الاجراءات التى كانت تتخذها مصر للحجاج ، حيث كانوا يحتجزون في محجر الطور في شبه جزيرة سيناء • حيث تجرى لهم تحليلات لضمان خلو امعائهم من المرض • واثناء تلك التحليلات تم اكتشاف فصيلة متميزة لميكروب الكوليرا عام ١٩٠٥ سميت ميكروب الطور ، ولكن اهميته الوبائيه وخطورته لم تعرفا الا فيما بعد •

ومع تكرار الاوبئة العالمية لم يستطع ميكروب الكوليرا ان يستوطن خارج المناطق التقليدية في شبه القارة الهندية وجنوب شرقي اسيا • واذا استثنينا الوباء الذى ظهر في مصر عام ١٩٤٧ واصاب ١٧٧٤٨ شخصا ، فان الفترة ما بين ١٩٢٣ ـ ١٩٦٠ لم تشهد اوبئة عالميه خطيرة •

ولكن بعد ذلك حدث تطور بالغ الاهمية في سير المرض •

كوليرا (الطـور) تزحف

ففي عام ١٩٦١ اصيبت الجزر الاندونيسية بوباء « كوليرا الطور » • ومن جزيرة جاوا وجزر الفلبين انتشر في اسيا حيث وصل ايران والاتحاد السوفيتي • واعتبرت الموجة التى حدثت منذ ١٩٦١ ـ ١٩٧٠ هي فترة الوباء العالمي السابع • وعندما وصل ميكروب الطور الى الهند عام ١٩٦٤ بدأ يحل محل الميكروب التقليدى القديم •

ومن خصائص ميكروب الطور انه اكثر صلابة واقوى على تحمل الظروف الجوية المختلفة ، واقدر على البقاء مدة أطول داخل الجسم وخارجه• ولذلك فان انتشاره يعتبر نقطة تحول في وبائية مرض الكوليرا سيظل العالم يعاني من اثرها لامد لا يمكن التنبؤ بمداه أو نهايته •

ولهذا السبب فان موجات الوباء لم تنقطع في اماكن متفرقة بعد مرحلة الوباء العالمي السابع• وبدأ حاملو ميكروب الطور ينقلونه الى اماكن لم تشهد المرض من قبل • وكانت هذه بداية العهد الجديد في سير الكوليرا •

فالمعروف ان افريقيا جنوبي الصحراء الكبرى كانت خالية من المرض ولكنه بدأ في الظهور في غينيا عام ١٩٧٠ ، ثم انتشر منها الى الاقطار المجاورة حيث قفز عدد الحالات الى سته اضعاف في العام التالي • وفي عام ١٩٧١ تاثرت بالوباء ٤٢ دولة منها اربع عشرة لم تعرف هذا المرض من قبل • وبلغ عدد الحالات ٦٩١٢٥ في السنين وعشرين بلدا أفريقيا بالاضافة الى ١٠٢٠٨٣ في اربعة عشر بلدا اسيويا • وساعدت ظروف الحرب الهندية الباكستانية على ظهور ٥١ الف اصابة بين اللاجئين • ولم تسلم اوربا من المرض فقد ظهرت ٢٧٨ حالة في ايطاليا عام ١٩٧٣ وفي البرتغال ظهرت ٢٤٦٧ حالة عام ١٩٧٤ حدثت بينها ٤٨ وفاة• حتى الولايات المتحدة التى لم تشهد الكوليرا منذ ١٩١١ ظهرت فيها حالة في تكساس عام ١٩٧٣ وكما ظهرت الكوليرا في اليابان واستراليا وبريطانيا وتشيكوسلوفاكيا ولكنها لم تستوطن نظرا لنظافة البيئة •

وفي عام ١٩٧٥ توفي من الكوليرا ٦١٤٣ شخصا وكان نصيب العالم العربى ١٧٨ حاله منها ٥٨ حالة وفاة •

وفي عام ١٩٧٦ ظهرت في افريقيا ٢٥٣٠ حالة وفي أسيا ٩٠٢٣ وفي أوروبا ١٤ حالة فقط بعد القضاء على الوباء في البرتغال • وكان نصيب العالم العربى ١٠٤٤ معظمها في الجمهورية العربية السورية •

رحلة العدوى

يقول العلامة توجاد ان كل حالة كوليرا تعني ان شخصا قد ابتلع الميكروب الناتج من براز شخص اخر • وذلك يعني على الفور أن الكوليرا اولا واخيرا مرتبطة بكل ظواهر الفقر وسوء صحة البيئة • اذن فهناك ثلاثة عناصر تدخل في طريقة العدوى :

أولها : مصدر العدوى • وثانيها : مستقبل العدوى • وثالثها : وسيلة الانتقال من المصدر الى المستقبل •

وسنناقش كلا من هذه العناصر بشيء من التفصيل •

أولا مصدر العدوى

تاتي العدوى اما من المريض أو حامل المرض • وبراز المريض يحتوى على الميكروب اثناء المرض وخلال فترة تستمر لعدة أسابيع بعد الشفاء• وفي السنوات الاخيرة التى سادت فيها كوليرا الطور تبين ان فترة افراز الميكروبات قد تستمر لثلاث

(جدول رقم ١)

عدد حالات الامراض الوبائية عام ١٩٧٥

المرض	عدد الحالات	اكثر البلاد اصابة
الجدرى	١٩٢٦٩	بنجلادش ـ اثيوبيا ـ الهند
الحمى الصفراء	٣٠٠	بوليفيا ـ سيراليون
الطاعون	٣٠٩	بورما ـ مدغشقر
التيفوس	١١٩٦٧	بوروندى ـ راوندا ـ فلسطين المحتله ـ ايطاليا
الكوليرا	٩٧٣٨١	اندونيسيا ـ الهند ـ بنجلادش ـ كينيا ـ البرتغال

سنوات • بل ان هناك حالة سجلت فى الفلبين لمريض يدعى دولارس اصيب بالمرض فى اغسطس ١٩٦٢ ثم امكن استخراج ميكروب الكوليرا من الاثنى عشر بواسطة انبوبة فى ابريل ١٩٦٨ . اى بعد ست سنوات : وهذا النوع يعتبر الحامل الناقه الذى يحمل المرض فى فترة النقاهة وبعد الشفاء . اما الحامل المخالط فهو الذى يتعرض للعدوى ، ولكن جسمه يتغلب على المرض فلا تبدو عليه اعراضه ، ويظل يخرج الميكروب من امعائه لسنوات طويله • ويرى البعض أن عدد المصابين بلا اعراض يصل الى خمسة او عشرة اضعاف عدد المرضى الذين ظهرت عليهم الاعراض• وهذا النوع هو المتسبب فى بقاء المرض وفى انتقاله من مكان الى آخر • وخلال مسح شامل للسكان فى كلكتا فى الهند تبين أن ٥ر١٪ من المواطنين يفرزون ميكروب الكوليرا •

ثانيا . مستقبل العدوى .

ليس من الضرورى ان يصاب الانسان بالكوليرا اذا ابتلع الميكروب • وفى بعض التجارب اعطيت مزارع الميكروب لاشخاص عديدين لم يتاثر معظمهم واصيب البعض باسهال بسيط ولم يظهر المرض بصورة حادة الا فى حالات قليلة • وقد يفسر ذلك بان الميكروب لم يتحمل حموضة المعدة ولا يجتازها الا اذا انخفضت الحموضة بشرب كميات كبيرة من الماء كما ان حركة الامعاء تطرده منها ، ولا يمكنه الالتصاق بجدار الامعاء الا اذا ضعفت حركتها • ويبدو ان التعرض لجرعات قليلة من الميكروب تولد مناعة ضد المرض بدليل ان الاصابة فى مناطق استيطان الوباء تتركز فى الاطفال (٤٤٪من الحالات دون العاشرة) أما فى المناطق التى يغزوها المرض لاول مره فانه ينتشر بين البالغين وخاصة فى الرجال (يشكل الاطفال ٦٪ فقط من الحالات) •

وقد وجد العالم المصرى الدكتور احمد كمال الذى كان مسئولا عن مواجهة وباء الكوليرا عام ١٩٤٧ أن ٥ر٩١٪ من الاصابات فى ذلك الوقت فى مصر ظهرت فى فرد واحد فى الاسرة علما بان متوسط الاسرة المصرية خمسة اشخاص • وفى الريف ياكلون ويشربون فى وعاء واحد فلماذا اصيب شخص واحد دون باقى الاسرة ؟ لا بد أنه أكثر قابلية للمرض من غيره • وعندما عزلت السلطات الصحية المصرية ١٤٤٧٣ شخصا من أفراد اسر المرضى لم تظهر بينهم الا ١٢٣ اصابة فقط•

ثالثا : وسيلة الانتقال .

يعتبر الماء الملوث بافرازات المرضى أو حاملى المرض هو الوسيلة الاساسية لانتشار الاوبئة • وهناك اجماع على أنه عندما تتوفر الماء النقى وتصرف الفضلات بطريقه صحيه فى المناطق الموبوءة سيختفى المرض من العالم •

ولكن لا يمكن اغفال دور الاطعمة والذباب والايدى الملوثة فى القيام بدور هام فى نقل المرض بصورة فردية • وحين ظهر الوباء فى مصر عام ١٩٤٧ كان معدل الاصابات فى القرى ١٥٣ حالة لكل مائة الف من السكان • اما محافظة الفيوم المزودة بالماء الصالح للشرب فلم تتجاوز الاصابات فيها احدى عشرة حالة لكل مائة الف •

ويستطيع ميكروب الكوليرا ان يعيش فى الماء لمدة اسبوعين • اما الماء المالح فانه يعطيه فرصة اكبر للحياة تصل الى ٧٤ يوما كما اثبت العلامة البكتريولوجى فنكاترامان •

والاسماك المملحة التي تؤكل بدون طهي (مثل السردين) تعتبر مصادر خطيرة لنقل المرض.وكذلك المحار والقشريات البحرية في المناطق التي تصرف فيها الفضلات في البحار • وقد ظهرت حالات للكوليرا في عام ١٩٧٤ في جزيرة جوام الامريكية بالمحيط الهادى .كان سببها تناول الاسماك المملحة.

كما كان للمحار البحرى دور هام في انتشار المرض في البرتغال عام ١٩٧٤ • وبنفس الطريقة فان اضافة الملح للسمك واللحم والارز المطبوخ يعطي فرصة اكثر لتكاثر الميكروب عليها ، اذا ما تلوثت هذه الاطعمة من يد حامل للمرض او عن طريق الذباب •

اما اللبن المعمض (الزبادى) فان الميكروب لا يستطيع ان يحيا فيه اكثر منعشر دقائق. ويستطيع ميكروبالكوليرا انيعيش علىالخضراوات والفواكه عدة ايام لا تتجاوز اسبوعا • ومع ان معظم العلماء يعتبرونها مصادر غير خطيرة لنقل المرض الا انها كانت سببا في ظهور بعض الحالات في فلسطين المحتلة منذ عدة سنوات •

والمياه المعدنية المعباة من العيون والينابيع قد تكون مصدرا للمرض • وقد اثبتالعلامة بيبت عام ١٩٧٦ ان الماء كان ملوثا وهو متدفق من باطن الارض، مما ساعد على انتشار الوباء في البرتغال عام ١٩٧٤ •

ويرى العلماء ان طبقات الحجر الجيرى تحدث بها فجوات تسمح بتخلل الماء المتسرب من الانهار او مجارى القرى المجاورة •

والطريف ان سائحة بريطانية زارت البرتغال عام ١٩٧٤ ، ولخوفها من العدوى بالكوليرا تجنبت مياه الشربواستعملت المياه المعدنية المعباة لشرابها وحتى في غسيل فمها • وكانت المياه المعدنية هي السبب في اصابتها بالمرض • وهكذا يؤتى الحذر من مأمنه •

بعد هذا كله ، اذا استطاع الميكروب اجتياز حموضة المعدة والوصول الى الاثنى عشر فانه يتكاثر بكميات كبيرة في وسطها القلوى ثم يسير الى باقي اجزاء الامعاء الدقيقة حيث يلتصق ويفرز سموما حول خلايا الغشاء المخاطي للامعاء • وهذه السموم تسبب افراز البيكربونات وكلوريد الصوديوم من الخلايا الى تجويف الامعاء اخذة معها كميات كبيرة من الماء. وبذلك ينتج الاسهال الشديد الذى يتجاوز العشرين لترا في اليوم الواحد ،

وعندما ترتفع حموضة الدم نتيجة لفقد البيكربونات يبدأ القيء الذى يزيد من جفاف الجسم ولكن هذا القيء سرعان مايتوقف اذا اعطى المريض كمية من البيكربونات تعادل حموضة الدم •

ويرى الاطباء ان الاسهال وسيلة وقائية يتخذها الجسم لطرد السموم . ولذا فان اى محاولة لوقف الاسهال عن طريق شل حركة الامعاء سواء من الكوليرا او غيرها من الامراض المعوية الحادة قد يؤدى الىتراكم السموم في الامعاء وامتصاصها في الدم مهددة حياة المريض • ومرض الكوليرا فريد بين كل الامراضفي مقدرته على احداث فقدان لسوائل الجسم ، مع ان جدار الامعاء سليم لايصيبه اى نزيف • ولذا فان الامعاء تستطيع ان تمتص الماء اذا شربه المريض. وبعد الشفاء تعود الاحشاء الى وظائفها الطبيعية دون ادنى اثر •

محنه البلاد الفقيرة

وحياة المريض تتوقف على مدى امكانية تعويضه عن السوائل والاملاح التى فقدها من القيء والاسهال. واكثر الوفيات التى حدثت خلال الاوبئة في البلاد الفقيرة كان سببها عجز السلطات الصحية عن توفير كميات كبيرة من السوائل الصالحة للحقن في الوريد لتكفي الاعداد الهائلة من المرضى .فاذا عرفنا ان المريض الذى يستغرق علاجه حوالى خمسة ايام يحتاج الى ثمانين لترا من السوائل المعقمة للحقن في الوريد ، لادركنا مدى العجز الذى يمكن ان يواجهه الاطباء في المناطق النائية في الريف •

ولقد حاول الاطباء تعويض هذا العجز بمحاولة اعطاء المريض السوائل عن طريق الفم الا ان امتصاصها كان ضئيلا ولا يتناسب مع الكميات المفقودة من الامعاء •

ولعل اهم تطور في علاج الكوليرا هو ما تم في بنغلاديش في السنوات الاخيرة ، حيث اكتشف الاطباء ان خلط الجلوكوز مع الاملاح يسهل امتصاصها عن طريق الامعاء • وبذلك يتسنى اعطاء المريض ما يلزمه من السوائل عن طريق الفم • ونتيجة لذلك انخفضت نسبة الوفيات بدرجة كبيرة. اذ انه بمجرد اكتشاف الحالة يبدأ شرب السوائل ويقتصر الحقن في الوريد على الحالات الشديدة التى ازداد فيها جفاف الجسم او حدثت في الدم درجة من الحموضه تسبب القيء الذىيمنع الشرب. وقد ساهمت منظمة اليونيسيف في تجهيز كميات

(جدول رقم ٢)

النسبة المئوية للمتمتعين بمصادر لماءالشرب النقي وتصريف الفضلات السائلة عام ١٩٧٥ وميزانية مشروعات مياه الشرب بملايين الدولارات في الفترة ٧١ ـ ١٩٧٥ في الوطن العربي .

الدولة	نسبة المستفيدين بماء الشرب	نسبة المستفيدين بتصريف الفضلات	تكاليف مشروعات مياه الشرب
البحرين	١٠٠	-	٦ر٧
الكويت	١٠٠	-	٥ر٢٠٩
قطر	٩٧	١٠٠	٦ر٢٨
مصر	٩٣	-	-
لبنان	٩٢	-	-
ليبيا	٨٧	٧٩	٤ر٤٠٥
الاردن	٧٧	-	-
الجزائر	٧٧	٦٧	٦٧٦
سوريا	٧١	-	-
العراق	٦٦	-	٢ر١٦٦
السعودية	٦٤	٤٧	٣ر٤٨٩
اليمن الشمالية	٥٧		-
عمان	٥٢	١٢	-
المغرب	٥١	٢٩	-
السودان	٥٠	٢٢	٣ر١٩٧
تونس	٤٩	٦٢	٧ر٨٢
الصومال	٣٨	٤٧	٢ر٣٥
موريتانيا	١٧	٧	-
اليمن الديمقراطية	٤	-	-

هذه الدول اخذت احصائيات عام ١٩٧٠ حيث انها لم تبلغ عن الوضع في ١٩٧٥ .

هائلة من الاملاح المعباة في اكياس صغيرة يذاب كل منها في لتر من الماء ويعطى للمصابين بالكوليرا او اى مرض معوى بسبب الاسهال الشديد .

ورغم ان علاج السوائل هو الوسيلة لانقاذ حياة المريض الا أنه يجب اعطاؤه مضادات حيوية عن طريق الفم . وهذه تقلل مدة المرض حيث تقتل ميكروب الكوليرا فتوقف انتاج كميات جديدة من السموم في الامعاء كما ان المريض بعد شفائه لا يصبح حاملا للميكروب، وبذلك لا يكون خطرا على الصحة العامة .

الوقاية وفاعلية التطعيم

وتوفير الماء الصالح للشرب وتصريف فضلات الانسان بطريق صحية تضمن ابعادها عن مصادر مياه الشرب . هما حجر الزاوية في الوقاية من المرض. وتهتم منظمة الصحة العالمية بدراسة هاتين المشكلتين فقامت بجمع المعلومات من اثنتين وستين من الدول النامية في عامي ١٩٧٠ و ١٩٧٥ . وتفيد هذه المعلومات أن عدد المستفيدين بمشروعات مياه الشرب عام ١٩٧٥ في تلك الدول وصل عددهم

٧٦٤ مليونا اى بنسبة ٣٨٪ من مجموع السكان . ويلاحظ ان ذلك لا يعني وجود انابيب المياه داخل البيوت وانما يشتمل هذا العدد على سكان المناطق التي اقيمت فيها مصادر جماعية لمياه الشرب . وكثيرا ما تكون هذه الصنابير بعيدة عن سكان القرى مما يدفعهم الى اخذ احتياجاتهم من الماء من مصادر غير صحية كالترع والانهار . وبالنسبة لتصريف الفضلات السائلة نجد ان المستفيدين بها لا يتجاوزون ٣٢٪ من السكان فقط . ومن المؤسف ايضا ان بعض هذه الخدمات لم يتطور مع سرعة تكاثر السكان ولذا فان النسبة المئوية للمستفيدين بتوصيلات المياه للمنازل عام ١٩٧٥ اقل منها في عام ١٩٧٠ . اما في العالم العربي فان الجدول رقم (٢) يوضح المعلومات التي ابلغتها السلطات المختصة الى منظمة الصحة العالمية . واذا افترضنا دقة البيانات التي تجمعها اجهزة الاحصاء الصحي في البلاد العربية فان هناك سلبيات كثيرة يجب التعرض لها . فرغم وجود نظام العمل المائي لصرف الفضلات السائلة من البيوت الا أن التخلص النهائي منها كثيرا ما يتم بطرق غير صحية . فقد تلقى في مياه النهر أو في ماء البحر في مناطق لا تبتعد كثيرا عن مناطق صيد الاسماك او تستعمل في ري الخضروات والفواكه ، المزروعة قريبا من المدن . وكل ذلك يتيح الفرصة لنقل الكوليرا والامراض المعوية الاخرى .

وبالنسبة للتطعيم ضد الكوليرا ، فان الكثيرين من الاخصائيين يرون ان المناعة المترتبة على عملية التطعيم لا تتجاوز خمسين بالمائة ولا تستمر اكثر من ثلاثة شهور . اما شهادة التطعيم الدولية فانها صالحة بعد ستة أيام من تعاطي الحقن وتستمر صلاحيتها لمدة ستة شهور .

وقد ثبتت فائدة التطعيم في جمهوريه مالي عندما تم تطعيم معظم سكان مدينة باماكو البالغ عددهم ٣٠٠,٠٠٠ نسمة ورغم ان الكوليرا اصابت كل المدن والقرى المطله على النهر الذى انتقل المرض عن طريقه الا أن مدينه باماكو نجت من الوباء رغم تشابه ظروفها مع باقي المدن . ويرى كينث جود تدر من فلاديلفيا أن التطعيم لا بد ان يشمل ٨٠٪ من السكان ليكون مفيدا في منع انتشار الوباء ويعتقد البعض ان المناعة المكتسبة من التطعيم تمنع ميكروب الكوليرا من الالتصاق بجدار الامعاء .

وثمة احتياطات واجبة في حالة انتشار الوباء . فيجب الوقاية من الذباب حتى لا يحمل الميكروب الى الطعام . وبعد غسيل الخضراوات والفواكه يجب غمرها عشرة دقائق في محلول البرمنجنات او الخل المخفف . وفي الاماكن التي لا تتوفر فيها المياه الصالحة للشرب يجب غلي ماء الشرب او اضافة اقراص الكلور اليه قبل شربه بنصف ساعة على الاقل .

غير ان المشكلة المعقدة في مسالة الوباء تتعلق بحاملي المرض . فهؤلاء كثيرا ما يصعب اكتشافهم حتى بالتحليل البكتريولوجي للبراز . وحامل المرض خطير عندما يوجد في بيئة غير صحيه . اما وجوده في مجتمع يتوفر فيه الماء النقي وتصرف فيه الفضلات فليس من المحتمل في ان يكون سببا في انتشار الوباء . ان دخول الكوليرا الى اى بلد عن طريق حامل للمرض لا يمكن منعه . ولكن انتشارها يمكن منعه بتحسين صحة البيئه والمراقبة الصحية الجادة وهذا يستلزم ان يكون الاطباء واعين لطبيعة المرض وطرق انتشاره . واذا نظرنا الى بعض الدول التي يتمتع كل سكانها تقريبا بالماء الصالح للشرب مثل الكويت والبحرين وقطر لتبينا أن هذه المجتمعات ليست بيئة صالحة لانتشار الكوليرا بطريقة وبائية .

ونستطيع الان ان نقول عن مستقبل الكوليرا ان المرض لن يقضى عليه في السنوات القليلة القادمة. فانتشار ميكروب كوليرا الطور يجعل المرض اقدر على البقاء في مختلف الظروف الجوية ويولد نسبة كبيرة من حاملي المرض الذين لا يسهل اكتشافهم بين المسافرين من بلد لاخر بفحص مختبري سهل وعملي . كما ان البؤر التقليدية للمرض التي استوطن فيها منذ امد طويل ما زالت تعاني من المشاكل الاقتصادية التي تقف في وجه مشروعات الخدمات الصحية مثل مياه الشرب وتصريف الفضلات . ومن هذه المناطق سيظل المرض ينتشر في اماكن متفرقة من العالم . ■■

د . ابراهيم عبد الحميد
الاستاذ المساعد بكلية طب الازهر

• نتيجة مسابقة العدد ٢٢٦ •

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
س	ا	ن	ت	ج	و	ن	■	ج	ا	م	ا	ى	ك	ا
د	د	ى	ع	هـ	■	ا	م	ى	ل	ن	و	ل	ا	■
ب	و	■	ا	ت	م	■	ا	ر	ج		ر	ق	م	ت
ر	ا	د	ى	ك	ا	ل	ى	■	ر	ا	ط	ا	ن	■
ا	ر	ق	ش	■	ر	ى	ك	ى	ا	ف	ى	ك	■	ر
ن	د	ا	هـ	ن	ك	■	ل	ن	د	ن	■	م	ح	ا
و	ل	■	■	ف	ى	ا	ف	ى	■	ا	ا	■	ا	د
■	ا	ب	ن	ح	ز	م	ا	ل	ا	ن	د	ل	س	ى
ا	ل	ح	ج	هـ	■	ب	ر	هـ	هـ	■	ى	ع	د	و
ف	و	ر	ا	■	ا	ى	ا	■	ا	ح	س	ا	■	ل
ر	■	ا	ب	و	ق	ر	د	ا	ن	■	ا	ب	ل	و
ى	ك	ر	هـ	ا	ن	■	ا	ت	هـ	ى	ب	■	ى	ج
ف	ن	ا	■	ت	ع	ن	ى	هـ	■	غ	ا	ن	د	ى
ى	د	ل	هـ	■	هـ	هـ	■	ك	ن	ى	ب	ن	ى	■
ا	ا	■	م	ث	م	ر	■	ب	ا	ب	ا		ا	ا

ابن حزم الأندلسي

•

مايكل فاراداي

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : ابن حزم الاندلسى . فيلسوف وعالم لمع فى علوم لدين والشعر والادب والتاريخ ، وكان وزيرا بالاندلس فى القرن العادى عشر الميلادى .

(٨) رأسيا مايكل فاراداى . عالم كهربائي وكيميائي انجليزى شهير ، ولد عام ١٧٩١ ، وتوصل الى اكتشاف حقائق هامة فى الكهرباء والكيمياء ، وكان معاصرا ممتازا يستمع الى محاضراته الكثير من المهتمين بالعلوم .

الفائزون بالجوائز

● الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : محمد عبده عبد الرزاق ـ عدن/اليمن الديمقراطى .

● الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : كطوى بوعزه ـ الدار البيضاء/المغرب

● الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : مجد حميدان ـ ادلب/سوريا .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ عثمان شكاك عثمان ـ شندى/السودان

٢ ـ حنان محمد مامون عصفور ـ عمان/الاردن

٣ ـ محمد فخر الدين محمد ـ طرابلس/ليبيا

٤ ـ زكى كنعان النجار ـ بغداد/العراق

٥ ـ احمد محمد عبادى حامد ـ التعميم/السعوديه

٦ ـ منار انور نسيم ـ القاهرة/مصر

٧ ـ رفيعة رياض زغلول ـ حولى/الكويت

٨ ـ سلمان عبد الوهاب ـ المنامة/البحرين

تمر ذكرى وفاة ساطع الحصري في ٢٤ ديسمبر

أبو خلدون والنضال من أجل الوحدة

« اضمنوا لي وحدة الثقافة، وانا اضمن لكم كل ما بقي من ضروب الوحدة »

ساطع الحصري (١٨٨٠ ـ ١٩٦٨)

بقلم : الدكتور نبيل احمد صبيح

■ يعد ساطع الحصري من اوائل الذين وضعوا لبنات الوحدة الثقافية العربية باعتبارها خطوة في سبيل تحقيق الوحدة العربية الشاملة بين البلاد العربية جميعا • وهو الهدف الذي سعى في سبيل تحقيقه منذ العشرينات من هذا القرن متنقلا مابين سوريا والعراق ومصر ولبنان لنشر افكاره ومعتقداته في هذا الشأن . حتى وافته المنية في ٢٤ ديسمبر عام ١٩٦٨ ••

لقد كان لساطع الحصري اكبر الفضل في دراسة ومعالجة الكثير من المشكلات والقضايا التي تتصل بامور الثقافة بمعناها العام . فضلا عن اسهامه الكبير في نشر الكثير من الابحاث والاراء والملاحظات حول بعض المواضيع القومية . حاول ان يساهم عن طريقها في خدمة قضايا الثقافة والتعليم في البلاد العربية بقصد التمهيد لتحقيق هدف القومية العربية الاكبر وهو الوحدة العربية المنشودة ••

وقد اختار الحصري طريق الدعوة للوحدة الثقافية العربية لتحقيق حلم الامة العربية . وذلك باحداث التقارب بين نظم الثقافة والتعليم في البلاد العربية المختلفة منذ وقت مبكر . وفي وقت كانت فيه البلاد العربية تعاني من التجزئة والانعزال، في ظل الاستعمار الاجنبي •

فقد كتب في عام ١٩٣٢ مقالا عن « المجتمع العالي والمجتمع القادم »(١) ذكر فيه ان الامم التي تكون قد وصلت الى درجة كافية من الرقي والتقدم والقوة تستطيع ان تجعل « استقرار النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الراهن » هدفا من اهدافها الاصلية في التعليم . فتوجه جهود

---

(١) مجلة التربية والتعليم ـ مقال « مراسي التربية » و « نزعات المربين » لساطع الحصري • المجلد/٥ حـ ٣١ و ٣٢ السنة الخامسة / سنة ١٩٣٢ (بغداد . مطبعة الاداب ، ١٩٣٢) ص ١ ـ ١٠ •



نظمها التعليمية نحو مهمة « جعل الجيل الجديد عاملا على المحافظة على النظام الراهن من حيث الاساس مع السعي وراء انمائه على قدر الامكان».

ويرى الحصرى ان الامة العربية لم تصل الى درجة كافية من الرقى والتقدم ولهذا لا يسوغ لمربيها أن يجعلوا « المحافظة على الوضع الراهن » هدفا من اهداف التربية الاسمى .

عن دروس التاريخ

والواجبات التى تترتب علينا فى هذه الظروف ان نسعى لتوحيد البلاد العربية لتكون امة قوية عصرية تستعيد مجدها الغابر وتدخل فى مصاف الامم الراقية . وسبيل الحصرى لتوحيد البلاد ياتى فى المقام الاول عن طريق الوحدة الثقافية العربية . وعن هذا الطريق وحده لا يمكن ان نستهدف فى تربيتنا « المحافظة على المجتمع الحالى، بل نسعى لجعل الجيل الجديد - فى الوطن العربى الكبير - عاملا لتكوين المجتمع الراقى الذى ننشده على الدوام .. ولهذا السبب ينادى الحصرى - منذ الثلاثينات - باننا مضطرون الى حشد جهودنا فى تربية الجيل الجديد نحو الغاية القصوى التى ننشدها وهى « توحيد الامة العربية وترقيتها » .

ولا يتردد الحصرى فى القول - فى سبيل تاكيد وحدة الثقافة العربية - بان دروس التاريخ فى البلاد العربية يجب ان تستهدف « التربية القومية قبل كل شىء .فتسعى لازالة آثار الدعايات السابقة اولا ، ولتجديد وتقوية نزعة الوحدة وامل النجاح ثانيا » .

ولا يغالى ساطع عندما يؤكد ان حركات الاستيقاظ والانبعاث القومية ومجاهدات الاستقلال والاتحاد لا تبدأ الا بتذكر الماضى واستلهام التاريخ بوجه عام. هذه حقيقة ناصعة تتجلى من بين صفحات التاريخ بوضوح تام .. فان « حب الاستقلال » يتغذى بذكريات الاستقلال المفقود ، والتوقان الى السؤدد والمجد يبدأ بالتحسر على السيادة الماضية والمجد السالف . والايمان بمستقبل الامة يستمد قوة من الاعتقاد بماضيها الباهر ، والنزوع الى الوحدة يزداد شدة وحماسة لتجدد ذكريات الوحدة المضاعة .. هذه كلها حقائق ثابتة تشهد بها جميع التواريخ وخاصة تاريخ ثورة العرب ..

الادب قومى لا اقليمى

ومن ناحية اخرى ، نجد ساطعا الحصرى وهو يسعى الى تحقيق الوحدة الثقافية العربية قد ساهم بشكل جدى فى احياء التفكير الادبى واللغوى فى مختلف الاقطار العربية . وسجل مساهماته هذه فى مجموعة من الابحاث والمقالات نشرها فى اوقات مختلفة .. وكان نتيجة هذه البحوث والاراء

والملاحظات كتابا هاما هو « اللغة والادب وعلاقتهما بالقومية » • ففي بحث منه « حول الادب العربي وتاريخه » تصدى العصرى لمناقشة من نادوا بمذهب الاقليمية في الادب العربي وتاريخه ،محاولا بالرد والاقناع مناقشة آرائهم التي تدعو الى التمسك باهداف اقليمية في أدب كل دولة عربية ، مستنكرا الدعوة اليها ، معبدا التنويع والابتكار، داعيا الى الذاتية والاصالة في كل ما يصدر عن قرائح الشعراء والادباء الناطقين بالضاد فيمختلف الاقطار العربية • وقد انتهى الى القول بان معالم الوحدة في الادب العربي ليست اقل ولا اضعف ـ ان لم تكن اكثر واقوى ـ من معالم الوحدة في الاداب الغربية والشرقية ، من فرنسيه وايطالية وتركية وفارسية ، وغيرها من الآداب المعروفه •• ولهذا كان تحقيق وحدة الادب العربي خطوة في سبيل تحقيق الوحدة الثقافية العربيه ، وان كان هذ يستلزم التنويع في هذا الادب داخل اطار هذه الوحدة • وفي بحث اخر « حول الفصحى والعامية» تناول فيه العصرى هذه القضية مقارنا في هذا الصدد بين اللغة العربية واللغة اللاتينية مقارنة تاريخية •• وقد بين ان قضية الفصحى والعامية من اهم المشاكل التي تثير الجدل والمناقشة بين رجال الفكر والثقافة والعلم في مختلف البلاد العربية منذ مدة غير يسيرة • اذ ان عرب اليوم موزعون بين لغة فصحى يتفاهم بها بعض الناس في جميع البلاد العربية . وبين لغات عامية عديدة يتفاهم بكل منها جماعة من الناس في بعض المناطق المحدودة منبعض البلاد العربية •

واستكمالا لهذه النقطة لابد ان نشير الى موقف ساطع العصرى من المعاجم اللغوية التي خصها بالهجوم لتخلفها. والتزامها بنمط المعاجم القديمة. لانها ترتب الكلماتبحسب موادها الاصلية ولاتراعي ترتيب الحروف الهجائية الا في تلك المواد ••ويرى العصرى ان المعجم انما يقصد منه ترتيب الكلمات ترتيبا معقولا يضمن الوصول الى ايجاد الكلمة المطلوبة باعظم ما يمكن من السرعة والسهولة . ولا شك ان هذه السرعة والسهولة لا يحصلان الا بترتيب الكلمات بحسب حروفها الهجائية . ومن البديهي ان هذه ليست من الامور التي تختلف بين لغة واخرى بوجه من الوجوه •

ولذلك رأى العصرى أن يلفت أنظار علماء العربية ومعلميها الى ضرورة ظهور معجم للغة العربية يكونعصريا بالمعنى الذييفهم منكلمةالمعجم في جميع لغات العالم، ويصنف على اساس الالفباء بوجه عام كي يستطيع كل فرد ان يجد اية كلمة من الكلمات فيه بمجرد تذكر ترتيب الحروف الهجائيه في الالفباء . بدلا من تلك المعاجم الحالية التي تصنف الكلمات تصنيفا مفعما بالالتواء والتعقيد بحيث لا يستطيع احد ان يجد كلمة من الكلمات الا اذا عرف ـ مقدما ـ مادتها الاصلية وكيفية اشتقاقها من تلك المادة بصورة تفصيلية (امثلة على ذلك من ص ٢٠٦ ـ ص ٢١٠) ••

حوليات الثقافة العربية

وهناك ميادين اخرى تصدى لها ساطع بالدراسة والتحليل لتحقيق هذا الهدف الذى وضعه نصب عينيه منذ وقت مبكر . نعرض لها بعد ذلك ولا يسعنا ـ في هذا المقام ـ الا أن نعرض لها باختصار واف للغرض المرسوم •

فقد الف العصرى سلسلة من حوليات الثقافة العربية التي نشرتها الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية مستعرضا فيها شئون الثقافة العربية في البلاد العربية سنويا . من حيث وصف نظم التعليم فيها ومناهجه . واتجاهه ، وغير ذلك مما يتصل بامور التربية والتعليم واتجاهات الثقافة بوجه عام •• وقد بلغ عدد هذه السلسلة من الحوليات ستة مجلدات بدات الاولى عام ١٩٥٠ واختتمها بالسادسة عام ١٩٦٣ • ويذكر العصرى في مقدمة الحوليه الاولى أنه من المعروف أن الحوليات تولف ـ من حيث الاساس ـ لاستعراض ما يستجد من الامور الثقافية بصفة عامة ـ ومن بينها امور التربية والتعليم بالطبع ، خلال العام الواحد•• غير انه لما كان فهم الامور المستجدة حق الفهم يتوقف على معرفة الاحوال السابقة معرفة وافية . فان مؤلفي الحوليات يضطرون الى افتتاح مباحثها بمعلومات عامة عن الاحوال الراهنة وعن العوامل التي شكلتهاعلى النحو الذى توجد عليه ••

ولذلك اصدر العصرى حولياته بنظرات تاريخية ثاقبة على نظم التعليم القائمة في البلاد العربية والاتجاهات الثقافية السائدة. والتي تفسر الفروق العظيمة التي تلاحظ عليها والتيتميز تلك الاقطار بعضها عن بعض من هذه الوجوه • وقد حاول ساطع من خلال هذه النظرات الاجابة على التساؤلاتالتي

يثيرها ادراك هذه الفروق والاختلافات بين البلاد العربية . وتحديد العوامل السياسية التاريخية التى ادت الى احداث هذه الفروق والاختلافات ، وتحديد عمق جذور هذه العوامل ، ومدى تاثيرها فى الاحوال الحاضرة ، عن طريق الالتفات الى الماضى والقاء نظرات عامة على تطور الاحوال السياسية فى مختلف الاقطار العربية .

فهو يؤكد بانه لم يبد رايا شخصيا الا فى موضوع واحد ، وهذا الموضوع هو خاتمة النظرات التاريخية وقال فيها بالحرف الواحد : « يظهر من هذه النظرات السريعة التى القيناها على تاريخ المعارف فى مختلف الاقطار العربية ان الفروق التى تشاهد بين هذه الاقطار من حيث نظم التعليم واتجاهات الثقافة لم تكن نتاج طبيعة البلاد الاصلية وحاجاتها الحقيقية ، انما كانت من نتائج السياسات الاجنبية التى سيطرت على مقدراتها عن طريق الانتداب او الاحتلال .. فلا مجال للشك فى ان هذه الفروق ستتضاءل كلما تخلصت الدول العربية من النظم التى ورثتها عن عهود الاحتلال والانتداب وكلما عدلت النظم والاوضاع القائمة فى بلادها ، وفق ما تقتضيه مصالحها الحقيقية ، بنظرات شاخصة نحو المستقبل البعيد ، والمثل الاعلى الذى تنطوى عليه فكرة العروبة الخالدة »

ولا حاجة الى القول بان انقسام البلاد العربية بهذه الصورة الى دول عديدة تتميز كل واحدة منها عن غيرها بعلم خاص ، وحكومة خاصة ، ونقد خاص ، وانظمة خاصة ، أوجد بعض النزعات الاقليمية ، وهذه النزعات انضمت الى العوامل التى عاقت تقدمنا فى ميدان « الوعى القومى » وجعلتنا نتاخر فى الشعور باننا امة واحدة بالرغم

من اختلاف اوضاعنا السياسية وتعدد دولنا القائمة .

لهذا السبب كان من الطبيعى ، ان تسترعى هذه الفروق انظار المهتمين بشئون الثقافة والتربية والتعليم فى مختلف الاقطار العربية كلما توافرت أسباب التعارف بين مفكرى هذه الاقطار وكلما تكاملت فيها معالم الاستقلال ، وكان من الطبيعى ان ينبرى هؤلاء المفكرون الى البحث عن الوسائل التى تضمن توثيق الصلات الثقافية بين مختلف الاقطار العربية ، وكان من الطبيعى ان تتولد فى نفوسهم رغبة قوية لازالة الفروق بصورة تدريجية وذلك بغية الوصول الى نظم تعليمية متقاربة ومتماثلة فى جميع الاقطار العربية والانتهاء من ذلك الى تكوين ثقافة عربية موحدة .

المعاهدات الثقافية العربية

وفى راى الحصرى ان « المعاهدة الثقافية » التى اقرها « مجلس جامعة الدول العربية » سنة ١٩٤٥ انما وضعت تحت تاثير هذه الرغبة القوية بغية تحقيق هذه الغاية السامية بل يرى انه لا يجوز ان يظن ان المعاهدة الثقافية قد خرجت الى عالم الوجود بغتة ، بل يجب ان يعلم علم اليقين ان هذه المعاهدة كانت نتيجة طبيعية لسلسلة طويلة من العوامل والمقدمات التى مهدت لها السبيل ووجهت اليها النفوس . وهو يؤكد ان التفكير فى امر « تكوين ثقافة عربية موحدة » كان قد بدا مع بدء النهضة العربية الواعية بعد الحرب العالمية الاولى . وكانت سورية أسبق الاقطار العربية الى هذا التفكير لانها كانت أسبقها الى « الشعور بالعروبة » شعورا واضحا ، والى التنعم بنعمة « الاستقلال التام » ولو لمدة قصيرة من الزمن . غير ان انقراض الدولة العربية السورية بعد ضربة «ميسلون » أدى الى وأد هذه الحركة فى مهد نشوئها .. ومع ذلك فان الفكرة الباعثة على تلك الحركة لم تتلاش بانقراض الدولة المذكورة ، بل انها حافظت على حيويتها الى ان وجدت فى العراق ظروفا ملائمة لترعرعها فاخذت تنمو هناك وتنتشر شيئا فشيئا .

غير ان الحصرى كان يدرك رغم ذلك ان العلاقات الثقافية بين البلاد العربية لا تزال فى اول طور من اطوار التنظيم والتنسيق . فهى لا تزال بعيدة عن بلوغ حد النضج والاثمار ، ولا تزال فى حاجة الى الشىء الكثير من العمل المنسق والنشاط الواعى والتدابير الحازمة والجهود المتواصلة .. وهو يقول انه لا يكون من المغالين اذا قال ان ما تم عمله فى هذا المضمار لا يعدو كثيرا حدود التمهيد والتحضير ، ولا يكون من المخطئين اذا جزم بأن العمل فى هذا السبيل سيستمر طويلا ، وبان هذه العلاقات ستتوسع وستتوطد بسرعة متزايدة بعد ان تجتاز هذا الطور التمهيدى العام .

وهو يتساءل هل ستتعاون جميع الاقطار العربية على تكوين ثقافة موحدة بكل معنى الكلمة امستبقى هذه الاقطار مختلفة بعض الاختلاف من الوجهة الثقافية ؟

جدل في الرسالة

وعندما نشر في مجلة « الرسالة » المصرية سنة ١٩٣٨ الخطاب المفتوح الذى وجهه الى الدكتور طه حسين تحت عنوان « بين مصر والعروبة » ردا على مقال نشر فى مجلة المكشوف البيروتية للدكتور طه حسين « ذكر فيه انه من المنادين بتوحيد برامج التعليم فى جميع الاقطار العربية وتسهيل التبادل الثقافى بينها على ان يكون من المفيد ان يكون التعاون بينها تعاونا اقتصاديا ، وحتى تحالفا عسكريا ٠٠ بينما يرفض الدكتور طه حسين فى الوقت نفسه ان يكون هناك وحدة سياسية بين هذه الاقطار سواء أكانت تشكل امبراطورية جامعة ام على طراز اتحاد مشابه للاتحاد الامريكي او السويسرى ٠ وعلل الدكتور طه حسين اراءه هذه بقوله ان الفرعونية متاصلة فى نفوس المصريين وانها ستبقى كذلك ، بل يجب أن تبقى وتقوى»٠

وقد رد الحصرى على هذه الاقوال فى خطابه فقال ان مناداة الدكتور طه حسين بتوحيد برامج التعليم فى جميع الاقطار العربية وتسهيل التبادل الثقافى بينها دليل قاطع على انه لم يقصد منها الثقافة الفرعونية او اللغة الفرعونية ايضا » ٠٠

وفى ختام مقال الحصرى ـ لاثبات صلة مصر بالعروبة وضرورة قيام الوحدة العربية وعلىرأسها مصر ـ وجه كلمة شكر الى الدكتور طه حسين من صميم فؤاده لمناداته بتوحيد الثقافة بين البلاد العربية لانه يعتقد ان توحيد الثقافة من اهم العوامل التى تهيىء سائر انواع التوحيد ، ولذلك يقول فىآخر هذا المقال « اضمنوا لى وحدة الثقافة، وانا أضمن لكم كل ما بقى من ضروب الوحدة ٠

وفى هذه النقطة الهامة بالذات لا بد ان نذكر موقف الحصرى مندعاة الانفصال السياسىومعارضى الوحدة التى تمت بين مصر وسورية سنة ١٩٥٨٠٠ ففى محاولة للرد على بعض الذين كانوا بعيدين عن تحبيذ الوحدة المصرية السورية ناقشهم الامر من وجوه عديدة فكان منبينها اعتراض وجهه اليهم قائلا بان هناك مشاكل اساسية منها مثلا الفرق الكبير بينمستوى الثقافة فى كل منمصر وسورية٠٠

وقد فند الحصرى ملاحظته هذه بالقول بانه لا يود مناقشته على مقدار هذا الفرق ونوعه ، ولكنه يرى ان يسال ، ماذا يهم ذلك ؟ هل يتساوى مستوى الثقافة فى المدن المختلفة ، داخل مصر نفسها ؟ مثلا الا توجد فروق كبيرة بين مستويات الثقافة فى القاهرة واسوان ودمياط ؟ وهل يخطر على بال احد ان يقول ان هذه المدن لا يمكن ان تؤلف دولة واحدة ، أن مستويات الثقافة فيها غير متساوية ؟ ثم يمضى الحصرى فيسال :هل تستطيع ان تدعى ـ مثلا ـ ان الفرق بين مستوى الثقافة فى كل من القاهرة ودمشق اكبر من الفرق بين مستوىالثقافة فى كل من الاسكندرية واسوان ، ان اهالى سورية ومصر أبناء لغة واحدة وثقافة واحدة ٠

وكان فى هذا الرد ما افحم معارضى الحصرى تماما وجعلهم يحاولون تقديم ادلة اخرى على بطلان الوحدة ، انه أفحمهم جميعا كذلك مما يضيق المقام هنا لسرده تفصيليا ٠

نعود مرة اخرى الى توضيح رأى الحصرىالحاسم فى موضوع الوحدة الثقافية العربية الذى اكده فى كتابه « حول الوحدة الثقافية العربية » والذى يعلق فيه على اراء الاستاذ اسماعيل القبانى وملاحظاته التى ضمنها محاضراته فى معهد الدراسات العربية العالية فى « الوحدة الثقافية العربية » التى نشرها المعهد سنة ١٩٥٨ ٠

وتفصيل ذلك ان القبانى فى هذه المحاضرات فند اراء القائلين بوجوب « توحيد نظم التعليم ومناهج الدراسة الاساسية فى البلاد العربية »اذ يقول : « ان ذلك ليسضروريا فضلا عن انه ذو مخاطر عظيمة ، ٠

ولما كان الحصرى من دعاة « التوحيد » منذ امد بعيد ـ كما يذكر فى كتابه ـ فقد رأى من واجبه انيعلق على اراء القبانى فىذلك الكتاب لاستقصاء واستجلاء الحقائق فى هذه القضايا الهامة ٠٠وبعد عرض واف لهذا الموضوع ختم الحصرى كتابه بالقول بانه اذا كان الاستاذ القبانى فى ختام محاضراته قال :« ينبغى ان يكون شعارنا التنوعفى اطار من الوحدة » فان الحصرى يقول : « اننا الان امام تنوع كبير جدا لا مبرر له ولا فائدة منه ابدا، فعلى جهودنا يجب ان توجه نحو « التوحيد » مع التفكير فيما نحتاج اليه من « التنويع المثمر والمفيد » على اسس جديدة غير اقليمية ٠ ولذلك يقول:ان شعارنا يجب ان يكون « الوحدة فىالاساس والتنوع فى الفروع » ٠ ثم انه يعتقد ان « الوحدة الثقافية » تفقد مكانتها الاصلية اذا اعتبرناها بمنزلة « الاطار » الذى يحيط بلوحة اعمالنا من خارجها ، ويرى من الضرورى ان نعتبرها بمنزلة الضوء الذى ينير اللوحة من جميع الجهات او

« الفكرة الوحية » التى تكسبها المعنى والحياة ٠ والواقع ان جهود الحصرى فى سبيل الوحدة الثقافية العربية لم تقتصر على كتابة الابحاث ونشر المقالات وانما تعداها الى العمل والمبادأة فى تحقيق هذا الهدف ٠ فهو خلال توليه الوظائف العامة فى وزارات التربية السورية والعراقية منذ العشرينات من هذا القرن ــ كما يقول بنفسه فى مذكراته عن عمله فى العراق ــ لم ينقطع عن القيام باعمال تستهدف غايات اخرى الا وهى « بث الايمان بوحدة الامة العربية ، مع اشاعة الشعور بامجادها الماضية » ٠٠ وهو فى ذلك يهدف الى تحقيق الوحدة الثقافية العربية تارة بصورة مباشرة وطورا بصورة غير مباشرة ــ كما يذكر بنفسه ايضا ــ داخل نطاق الوظائف وخارج نطاق الوظائف ٠٠ داخل نطاق الوظائف الرسمية بالمناهج التى وضعها، والتعليمات والبلاغات العامة التى اصدرها ، والمعارف التى نظمها ، ومتحف الاثار العربية الذى انشاه فى بغداد ، والدروس التى القاها ٠٠ وخارج نطاق الوظائف الرسمية بالمحاضرات التى القاها فى النوادى المختلفة مثل المعهد العلمى ، ونادى المعلمين ، ونادى التضامن ، ونادى المثنى فى سورية والعراق ٠ وبذلك ، فانه انتهز كل الفرص ، وتوسل بكل الوسائل للعمل فى سبيل تحقيق الوحدة الثقافية العربية للتمهيد للوحدة العربية المنشودة٠

ابو خلدون فى مصر

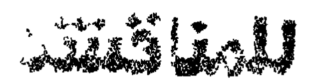
من ذلك انه عندما تولى امور التعليم فى سورية فى عهد الحكومة العربية السورية سنة ١٩١٩ قدر ضرورة الاستفادة من نظام التعليم فى مصر «بسبب كون مصر سبقت كثيرا ــ فى ذلك الوقت ــ سائر البلاد العربية فى ميدان التعليم باللغة العربية (وهى النواة التى يقوم من حولها امكانية تحقيق الوحدة الثقافية العربية)فكان لا بد لكل بلد عربى آخر يسعى فى هذا الميدان ان يطلع على تفاصيل ما تم فى مصر فى هذا المضمار ٠٠ وقد سافر من دمشق الى القاهرة بالفعل لهذا الغرض سنة ١٩١٩، غير ان « سفريته تلك صادفت ايام احتدام الثورة فى مصر » ٠٠ ولهذا السبب لم يستطع الحصول على الشىء الكثير من الفوائد التى كان يتوخاها من وراء هذه السفرة ، وان كان جنى منها فوائد معنوية اخرى ــ على حد قوله ــ « فقد شاهد اروع احداث الثورة المصرية » (٢) ٠

الى جانب هذه الزيارة قام الحصرى بزيارة مصر للمرة الثانية سنة ١٩٣٦ موفدا من الحكومة العراقية ٠ وقد عمل خلال هذه الزيارة على تنظيم العلاقات الثقافية بين البلدين ، وعلى مبادلة الاثار العربية بين متاحفها ، كما زار ابرز النماذج من مختلف مؤسساتها التعليمية ، ودرس نظمها الاداريةومناهجها بقصد الاستفادة منها لتحقيق التقارب بين نظم التعليم واتجاهات الثقافة بين البلدين ٠

وعندما عاد الى بغداد القى محاضرة وصف فيها حالة التعليم فى مصر على اساس المقارنة بين ما كان قد لاحظ خلال زيارته الاولى سنة ١٩١٩ وزيارته هذه سنة ١٩٣٦ ، ولفت الانظار الى التقدم الذى حصل خلال هذه المدة٠ ومع ذلك انصافا منه للواقع ــ لم يرد ان يكتم ما لاحظه فى تلك النظم والمناهج من نقائص جوهرية ، وكتب لذلك مقالا فى «نقد نظام التعليم فى مصر » نشره الاستاذ احمد حسن الزيات فى مجلة الرسالة فى عددها ١٨٧ الصادر فى سنة ١٩٣٧ ٠ ولا يعنينا ان نشير الى الملاحظات التى ابداها الحصرى فى هذا الموضوع وانما يعنينا ان نقول ان الحصرى وهو يبسط هذه الملاحظات التى تتعلق باسس نظام التعليم فى مصر امام الرأى العام المستنير ، يستدرك فيقول : « انه يرجو الا يعتبره احد متطفلا على مصر بهذه الملاحظات ، فهو عربى صميم يدين بدين العروبة بكل جوانبه ، ويهتم بمصر بقدر اهتمامه بسورية والعراق ٠٠ ولا يغالى اذا قال بانه يهتم بمصر اكثر من اهتمامه بسورية والعراق ، لانه يعرف ان مصر ــ بحسب اوضاعها العامة ــ اصبحت « القدوة المؤثرة » على العالم العربى باجمعه ٠٠ وهو بذلك يعتقد ان كل تقدم يحصل فى مصر لا يخلو من النفع لسائر البلاد العربية ، كما ان كل نقص يعيش ويستمر فى مصر لا يخلو من ضرر العدوى تنتقل منها الى سائر البلاد العربية » ٠٠ ■■

نبيل أحمد صبيح
كلية التربية / جامعة عين شمس

(٢) ساطع الحصرى ابحاث مختارة فى القومية العربية (القاهرة ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٦٤) ص ٢٢ ــ ٢٣ ٠



هل ندرج فكرهم

« كل سلطان يدخل نظامات الافرنج وعوائدهم، ويجبر الرعية على اتباعها ، لا يكون صالحا للملك » .

المفتى المشماى عطاء الله اسدى

الحل : أن نعلن الجهاد المقدس ضد الفكر المستورد .

هكذا يردد البعض أحيانا . وبهذا المعنىعقب بعض الدين تابعوا ما كتبته فى هذا المكان ، خصوصا مناقشة الشهر الماضي التىقلت فيها أن اعداء الاسلام شرعوا منذ بداية هذا القرن فى « فك » العقل المسلم وأعادوا تركيبه وصياغته مرة اخرى ، وفق هواهم .

هل مصادرة فكر الاخرين ، وادراجه فى قوائم المقاطعة ، هو الحل فعلا ؟

قبل ان نجيب على السؤال ، سوف يفيدناان نقرأ بعض صفحات تاريخنا العربى .

●

لم تكن القضية مثارة فى العصر الاسلامي الاول ، رغم المواجهة التى كانت قائمة بين الحضارة الاسلامية الصاعدة ، وحضارات الفرس فى الشرق ، والروم واليونان فى الغرب . وقد كانت بعض فنون الحرب هى اول ما اقتبسه المسلمون الاوائل عنالحضارات الاخرى . اذ ان الرسول عليه السلام طلب من اتباعه ان يحفروا « الخندق » ، وهو نمط فارسي ، أثناء معركته مع المشركين فىغزوة « الاحزاب » . وكان الصحابى سلمان الفارسيهو الذى اقترح الفكرة .

وبعد ان تخطى المسلمون حدود الجزيرة العربية ، وانتصروا على الفرس والروم فى عهد عمر بن الخطاب ، كان المجتمع الاسلامى لا يزال على ثقته بنفسه ، ويعامل الحضارتين معاملة الغالب للمغلوب او الند للند . وابقى الخليفة عمر على كل النظم والدواوين التى انشاها الفرس والروم فى العراق والشام ومصر ، ونقل بعضا منها الى الجزيرة العربية .

لكن التفاعل الفكرى الحقيقى حدث فىالعصر العباسى (اواخر القرنالثانى الهجرى او الثامن الميلادى) ، عندما امر الرشيد ان يلحق بكل مسجد مدرسة لتعليم العلوم بانواعها . ثم جاء المامون فانشا « بيت الحكمة » فى بغداد ، وفيه بدات اول واكبر حركة لاستيراد الفكر ، بترجمة كتب الفرس والروم واليونان الى العربية . وكان من شروط صلح المامون مع « ميشيل الثالث » ان يعطيه احدى مكتبات القسطنطينية ، وفيها عثر على كتاب بطليموس فى الرياضة السماوية الذى ترجم على الفور الى العربية باسم « المجسطى » .

فى بيت الحكمة هذا حظيت علوم اليونان باكبر قسط من الاهتمام ، ومنه خرجت ترجمات مؤلفات جالينوس ، وابقراط ، وامكيدس ، وارسطو وغيرهم . (لاحظ ان علماء السنة هم الذين اطلقوا على ارسطو المعلم الاول ، واعتبر ابو نصر الفارابى المعلم الثانى) وقتئذ تسلح العقل العربى بعلوم الفلسفة والمنطق وهما ابرز « الافكار المستوردة » من اليونان . وكان المتكلمون ـ والمعتزلة بوجه خاص ـ هم اول من استخدم هذا السلاح فى الدفاع عن الاسلام وقيمه وعقائده وشرائعه ، فى مواجهة

فى قوائم المقاطعة ؟

التيارات التى حاولت خلال العصر العباسى ان تشد عقول المسلمين الى ما قبل الاسلام، الى معتقدات زرادشت ومانى ومزدك وغيرهم .

●

لكن هذا الوضع لم يدم طويلا . فظهر ـ أيضا ـ من يعارض «الافكار المستوردة» ★ . قالوا عنها انها حكمة مشوبة بالكفر ! . واخرجها المتطرفون من اهل السنة من نطاق العلوم . قائلين ان « العلم » كلمة لا تنصرف الا الى معنى واحد ، هو العلم الموروث عن النبى عليه السلام . وما عدا ذلك اما خارج عن مجال العلم اطلاقا ، ، واما معرفة لا تنفع ولا تستحق التحصيل . واعتبروا « المنطق » نوعا من الضلال والزندقة .وشاع تعبير « من تمنطق تزندق » ! وفرقوا بين علوم العرب . وعلوم الاوائل أو القدماء (التى كانت تشمل علوم الرياضة والفلك والفلسفة والطب والالهيات) .

وسئل أبو صلاح الشهرزورى عن رأى الدين فى الاشتغال بالمنطق والفلسفة ، فقال فى فتوى شهيرة « ان الفلسفة أس السفه والانحلال ، ومادة الحيرة والضلال ومثار الزيغ والزندقة ..... واما المنطق فهو مدخل الفلسفة ، ومدخل الشر شر ، وليس الاشتغال بتعليمه مما اباحه الشارع » ـ وهاجم الامام الغزالى حجج الفلاسفة فى كتابه « تهافت الفلاسفة » ، ورد عليه ابن رشد مفندا حججه فى كتابه « تهافت التهافت » .

لكن هذا الجدل الفكرى لم يؤثر على المسيرة ، وظل العقل العربى على حصانته ، وظل المفكر العربى ثابت الاقدام ، لم يهتز فى اعماقه شىء . ويصف الاستاذ عباس العقاد فى كتابه « التفكير فريضة اسلامية » موقف الفلاسفة المسلمين فى تلك المرحلة بقوله انهم : خاضوا غمار الافكار الاجنبية بين يونانية وهندية وفارسية ، وعرضوا لكل مشكلة من مشاكل العقل والايمان . وتكلموا عن وجود الله ووجود العالم ووجود النفس ، وخرجوا من سبحاتهم الطويلة فى هذه المعالم والمجاهل فلاسفة مسلمين ايضا دون ان يعنتوا اذهانهم فى التخريج والتأويل .

وقتئذ ـ يضيف العلامة الهندى أبو الحسن الندوى فى كتابه « الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية » ـ لم يكن المجتمع الاسلامى يعانى من مركب النقص ، فاخذ ما اخذ ، والذى رآه غير جدير به صاغه فى قالبه أولا ، ثم وضعه فى مكانه .

حقق تفاعل الحضارات أهدافه . وكان المسلمون يتقدمون بثقة ، مدركين ان « الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو احق الناس بها » ـ كما يقول الحديث الشريف .

★ انظر كتاب الدكتور زكى نجيب محمود « تجديد الفكر العربى » ، فصل بعنوان . صراع ثقافى قديم

وانهم مدعوون للسعى وراء العلم « من المهدالى اللحد » . وكان شعارهم هو قولهم المأثور « خذ ما صفا ودع ما كدر » .

●

حدث ذلك قبل ان يلقي المسلمون اسلحتهم واحدا تلو الآخر . وقبل ان يتحولوا من غالبين الى مغلوبين ، ومن انداد الى تابعين. ومن اصحاب حضارة متميزة الى مقلدين.
حتى كان المشهد المحزن والتعس ابتداء من اواخر القرن الثامن عشر (الثانى عشر الهجرى) والامبراطورية العثمانية اصبحت جسدا ينخر فيه السوس ، وتسرى فيه عوامل الاندثار.
وهى مفارقة تثير الانتباه ، ان تكون بعض فنون الحرب (الخندق) هى اول ما نقله المسلمون عن غيرهم وهم فى ذروة ايمانهم بالدين على عهد رسول الله ، وان تكون هذه الفنون ذاتها هى ما حاول المسلمون نقلها عن الغرب وهم فى قمة الضعف والوهن ، بعد ذلك باثنى عشر قرنا .

ولكن شتان ما بين المواجهتين . فبينما كانت الصيغة فى العصر الاسلامى الاول هى نقل الخبرة العسكرية فى البداية ، ثم التفاعل الفكرى والحضارى بعد ذلك ، بدأت المواجهة فى القرن التاسع عشر بنقل فنون الحرب وانتهت بالتخطيط الفكرى الذى ما زلنا نعانى من آثاره .

فى البدء حاول السلطان العثمانى سليم الثالث أن يعيد تنظيم جيشه ويدخل فيه الاسلحة الحديثة ، فتصدى له دعاة رفض « الافكار المستوردة » ، واصدر المفتى العثمانى عطاء الله افندى فتوى بأن « كل سلطان يدخل نظامات الافرنج وعوائدهم ، ويجبر الرعية على اتباعها ، لا يكون صالحا للملك » ، على اعتبار ان ثياب الجندى الحديثة تعد فى حكم التشبه بالنصارى ، كما ان استعمال البنادق ذات الحراب من قبيل استعمال اسلحة الكفار ، وهذا اثم عظيم . وقد عزل السلطان سليم بالفعل بسبب محاولته هذه عام ١٨٠٧ م !!

توقفت جهود السلطان سليم بعد ان استقدم خبراء من أنحاء أوروبا لبناء جيشه وانشاء بعض الصناعات الحربية ، وبعد ان كون اول فرقة نظامية فى الجيش التركى عام ١٧٩٦م . ولم تستانف هذه الجهود الا بعد أن نجح خلفه السلطان محمود الثانى فى القضاء على الانكشارية عام ١٨٢٦ .

كان التوجه الى الغرب هو سمة بارزة فى العالم الاسلامى ، باعتباره المخرج الضرورى للنهوض من الكبوة★ .وبينما كان السلطان محمود يواصل جهوده لبناء جيش حديث فى تركيا ، نصب محمد على باشا حاكما على مصر (١٨٠٥ م) وبدأ محاولة مماثلة .وانشات تونس جيشا نظاميا .وافتتح احمد باشا باى الاول مدرسة للعلوم الحربية لتخريج ضباط وطنيين بهذا الجيش ، كان يديرها احد الايطاليين . وادخلت اسرة القاجار التى حكمت ايران فى القرن التاسع عشر النظم العسكرية والاوروبية على جيشها، وفتحت لذلك كلية للعلوم والفنون سنة ١٨٥٢ ، كان اساتذتها من الاوروبيين .

واستلزمت الاصلاحات العسكرية الجديدة اصلاحا فى نظم التعليم وبرامجه ، وتطلب الامر ترجمة كثير من الكتب الاوروبية فى مختلف العلوم والفنون ، واستقدام المدرسين الاجانب وايفاد البعثات الى اوروبا . وكانت هذه التجربة هى القنطرة التى عبر فوقها الفكر الغربى الى العالم العربى والاسلامى .

★ انظر كتاب الدكتور محمد محمد حسين (الاسلام والحضارة الغربية) .

وكان العالم الاسلامي ـ وهذا هو الاهم ـ في حالة افلاس حضاري مفجع • اوقفته مبهورا امام مختلف مظاهر الحضارة الغربية • وبدا كما لو كان المسلمون ـ كما يقول الاستاذ العقاد ـ يعيشون في سجن مغلق ، يخشون أن يمدوا اصبعا الى أى شيء فيه ، فينطلق منه شيطان متربص او مارد محبوس •

في ذلك الوقت ، كان المسلمون يسألون رجال الدين ، وزحف الحضارة الحديثة يدير رؤوسهم : هل يجوز قدح الكبريت ؟ وهل يجوزاستخدام غاز الاستصباح في انارة المساجد ؟ وهل يجوز وضع التلفون في المعاهد الدينية ؟ وهل يجوز تعليم الجغرافيا وعلوم الطبيعة في المدارس ؟ وهل يقبل شرعا استخدام المطبعة ؟ وهل يجوز لبس القبعة ؟ •• وهكذا !

وازاء حالة الافلاس هذه تفاوتت مواقف المفكرين والفقهاء والمسلمين • بين والرافضين لكل ما هو غربي ، كما حدث في محاولة تنظيم الجيش التركي • او داعين الى الاستسلام للغرب والارتماء في احضانه ، ومن هؤلاء « السير » احمد خان مؤسس جامعة عليكرة، واحد ابرز زعماء مسلمي الهند في القرن الماضي • وكان مما قاله « لا بد ان يتجه المسلمون الى قبول هذه الحضارة (الغربية) بكمالها ، حتى لا تعود الامم المتحضرة الى ازدرائهم ! (لاحظ ان تركيا اتجهت الى الارتماء على الغرب بعد الغاء الخلافة الاسلامية سنة ١٩٢٤)

وكان الموقف الثالث يدعو الى الاستفادةمن الغرب دون الاستسلام له • ومن اعلامهذا الاتجاه محمد اقبال في الهند وجمـال الديـنالافغاني ومحمد عبـده في مصر • وقـد عبر اقبال عن موقفه في ديوانه « ارمغان حجاز » ،بعد عودته من رحلة الدراسة العليا فيانجلترا والمانيا ، فقال :

ها انذا كسرت طلسم العصر وابطلت مكره ،
التقطت الحبة وافلت من شبكة الصياد ،
ويشهد الله انني كنت في ذلك مقلدا للنبي ابراهيم ،
فقد خضت النار مطمئنا وخرجت منها محتفظا بهويتي •

●

ونعود الى السؤال : هل نصادر فكر الاخرين ونعلن الجهاد المقدس ضده ؟

اننا نرتكب جرما فادحا في حق امتنا عندما نقسم الفكر الى محلي ومستورد ، ونطرح القضية كما لو كانت مفاضلة بين سلعة محليةوسلعة اخرى اجنبية • بين ما صنعته أيدي المسلمين وما صنعته ايدي الكفار • ولكن حقيقة الامر ان هناك فكرا نافعا وفكرا ضارا ، وان الفكر الانساني ملك للجميع ، بصرفالنظر عن اختلاف اديانهم ومذاهبهم السياسية والاجتماعية • ولنذكر ان المسلمين والعربمن الذين تنطلق بينهم اليوم دعوات مصادرة فكر الاخرين ، هم كانوا اول من ساهموا فيتنوير اوروبـا • وهـذا فيلسوفهم جوستاف لوبون يقول : ان اوروبا لم تعرف المدنية الا بعد ان مرت على لسان اتباع محمد •

الفكر الانساني ليس حكرا على احد •وكل طرف ينهل من هذا الفكر ويستخـدمه لصالح اهدافه وفلسفته • هكذا يفعل الراسماليون والشيوعيونوالاشتراكيون والفوضويون•

لماذا لا نتعامل مع فكر الاخرين بثقة وبغيراحساس بالنقص • لماذا لا نسعى الى التقاط الحبة دون ان نسقط في شبكة الصياد ، كما يقول اقبال •

ان المهم هو ماذا ناخذ وماذا نترك ، وماهو الهدف الذى نسعى اليه في النهاية ؟•

المهم اننا اذا غيرنا ثيابنا ، لا نغير جلودناوعقولنا واحلامنا •

المهم ان ناخذ اثمن ما عندهم ، ولا نفقد اعز ما نملك !

والمناقشة مستمرة ••

فهمي هويـــدى



مثل « الشرق الاوسط »
و « الدول المتخلفة » ؟؟

بقلم : الدكتور جلال احمد امـين

هذه وجهة نظر « حادة »جاء بها الكاتب من مؤتمـر « للشرق الاوسط » في رودس ٠٠ وهي بالتالي تحتمل الجدل والنقاش ، لانها تمس قضايا اساسية للعرب في هذه المرحلة ٠

■ من بين ماأصاب العرب من بلايا ، وهي كثيرة، اجبارهم عن وعي منهم أو عن غير وعي ، على قبول مصنفات عقلية ، لا هي من اختراعهم ، ولا هي اكثر المصنفات تعبيرا عن أمالهم ومطامحهم او عن فكرتهم عن انفسهم ٠

لقد اجبر العرب،مثلا، على قبول اصطلاح«الشرق الاوسط » كتعبير عن منطقة جغرافية يتكون معظمها حقا من بلاد عربية ، ولكنها لا تشمل كل البلاد العربية ، وتشمل بعض البلاد الاسلامية ، ولكن ليس كلها ، كما تشمل بلادا لا هي بالعربية ولا بالاسلامية . ولا يجمعها كلها الا أنها بلاد ذات مغزى جغرافي او استراتيجي او سياسي في نظر الدول الغربية وحدها ٠ فاذا كان من المفهوم ان يشير الغربيون الى بلادنا على أنها من الشرق الاوسط ، فان من غير المقبول ان نصف مشكلتنا مع اسرائيل بانها « ازمه الشرق الاوسط » او ندرس لطلبتنا مقررات تحمل عناوين مثل « اقتصاديات الشرق الاوسط » ٠٠ الخ ٠

وقد يكون من المناسب هنا ان اعيد تذكير القارىء بقبولنا ببساطة وصف أنفسنا بذلك الوصف المهين « البلاد المتخلفة » لمجرد ان متوسط الدخل عندنا يقـل كثـيرا عنه في الولايات المتحـدة ، ناسين انه من خلال تكرار استعمال مثل هـذه الافكار والمصطلحات ترسخ بالتدريج فكرة العربي عـن نفسه وعـن بلاده ، ويصبح التخلص مما قبلناه في البداية من باب الحياء او الاستسهال ، عسيرا حتى ليحتاج الى ما لا يقل عن الثورة النفسية او السياسية ٠

وكم يحن المرء احيانا الى ايام في بداية الخمسينات في مصر ، قام فيها الشباب بمحو الكلمات الاجنبية من واجهات المحلات التجارية تعبيرا عن سخطهم على الاحتلال ٠ قد يبتسم المراقبون الاجانب وبعض العقلاء منا اشفاقا وسخرية من سذاجة مثل هذا التصرف، فالاحتلال شيء ولغته شيء آخر . ولكن لا يمكن ان نتجاهل ما كانت تعبر عنه هذه التصرفات من شحنـات عاطفية ثمينة يكفي لادراك أهميتها ان نتذكر ان التجار كانوا في نفس الفترة ، واستجابة لنفس العاطفة ، يقومون بمحو عبارة « صنع في بريطانيا » او في غيرها من الدول الاجنبية ،واضعين مكانها عبارة « صنع في مصر » لضمان تصريف السلع ٠

مشهد من « رودس »

ومنذ اسابيع قليلة حضرت مؤتمرا عقد فـي جزيرة رودس تدشينا لمركز جديد انشاته الحكومة اليونانية « لدراسات الشرق الاوسط والبحـر المتوسط » ، ودعت اليه مجموعه مـن الاساتـذة المشتغلين بالشئون الاقتصادية والسياسية والثقافية للمنطقة في الجامعات العربيـة وجامعات اوروبا



وامريكا ٠ وليست هناك غضاضة بطبيعة الحال فيان ينشا مركز او يعقد مؤتمر لمناقشة موضوعات تتعلق باية منطقة جغرافية حتى وان ضمت شعوبا وأمما غير متجانسة ، ما دام الباحثون على ادراك تام بما بين دول هذه المنطقة من تفاوت واختلاف. ونحن لا نطرح جانبا كتابا يتناول العالم ككل كوحدة ، لمجرد ان العالم يتكون من امم غير متجانسة ومتفاوتة الظروف والاحوال . ولكننا نكون على حق اذا اهملنا كتابا يحاول ان يوهمنا باننا نعيش في عالم يسوده الانسجام ، ويدعو الى التضامن بين شعوب تتضارب مصالحها . ويتكلم وكان الهدف واحد والامال واحدة ٠

لهذا راعني ان المتحدثين في هذا المؤتمر سواء كان الموضوع هو الاقتصاد او السياسة او الثقافة، اخذوا يتفننون واحدا بعد الاخر ، بما بين دول البحر المتوسط من تشابه وصداقات ٠ فالمؤرخ يعود بنا الى ما قبل الميلاد ليتكلم عن العلاقات الوطيدة بين اليونان ودول شمالي افريقيا وشرقي البحر المتوسط ، واستاذ الفلسفة يتكلم عن اوجه الالتقاء واوجه الشبه بين الفلسفتين اليونانية والاسلامية ، بل وصل بعض المتحدثين الى حد الكلام عن وجود ثقافة واحدة لدول البحر المتوسط ٠ وساد المؤتمر اتفاق ضمني على عدم تعكير جو الاجتماع بذكر النزاع بين العرب واسرائيل ، مع انه نزاع اساسي بين دول البحر المتوسط ، او بذكر تاريخ العلاقات الفرنسية او الايطالية مع دول المغرب العربي او بسوريا ولبنان ، مع انه اقرب الينا بكثير من تاريخ اليونان القديم ، ولا تزال اثاره ظاهرة على سطح الحياة الاجتماعية لهذه الدول وعلى لسان سكانها.

ولا يمكن لمن يحضر مثل هذه المؤتمرات الا أن تثور بذهنه شكوك قوية حول الدور الذي يلعبه هذه الايام مثقف العالم الثالث ٠ فهو رجل ينتسب في العادة الى الصفوة الاجتماعية في الدولة التي ينتمي اسما اليها وينتمي فكريا وروحيا الى غيرها. يدعى الى مؤتمر في فندق فاخر في جزيرة جميلة فيسرع بالقبول ٠ فاذا كان الموضوع هو العلاقات الوثيقة بين دول البحر المتوسط اخرج من جعبته ما يناسب المقام ولا يغضب صاحب المادبة ٠ فاذا كان مشتغلا بالفلسفة فلا بد انه واجد في تاريخ الفلسفة ما يؤكد هذه العلاقات الوثيقة ، واذا كان اقتصاديا لم تعزه الاحصاءات عن ازدياد حجم التجارة والاستثمارات المتبادلة بين شمال البحر المتوسط وجنوبه ٠ وليس هناك مبرر للمبالغة في القلق حول وجود بعض الصراعات هنا وهناك ، فالسكوت هنا من ذهب ، ولن يفسر هذا السكوت على اية حال على انه قبول للوجود الاسرائيلي ، ولن يريد سكوته من سحق الثقافة الفرنسية لثقافة اهل المغرب العربي ٠ وهكذا يتحول مثقف العالم الثالث الى عامل أجير لدى صانعي السياسة ،يبيع المعرفة لمن يريدها بصرف النظر عما تستخدم فيه، كما يبيع صمته ، بشرط ان يتثبت من حين لآخر ، ولو بعبارات لا معنى لها ، انه قادر على الكلام ٠

ازمة مثقفي العالم الثالث

ومثقفو العالم الثالث ، اذ تنتمي تخصصاتهم في الغالب الى العلوم الاجتماعية والانسانية ، يجدون من السهل ان يجاروا النغمة السائدة او المطلوبة اذا شاءوا،بسبب ما تعانيه هذه التخصصات من قلة حظها من الدقه والاحكام ٠ ففي كل قضية هناك الرأي وعكسه ، وحجة هذا الرأي لا تقل قوة عن حجة الرأي المعاكس ، فيصبح المجال واسعا امام صاحب الهوى لان يختار من الاراء المطروحة ما يلائم هواه ويناسب مقتضى الحال ٠

على ان من الظلم ان نرد ميل المثقف غير الملتزم الى اتخاذ موقف مهادن في المحافل الدولية الى مجرد

الرغبة في التمتع بمزايا مادية او في رؤية بلاد العالم • فمثقفو العالم الثالث ليسوا مجرد افراد طبقة محظوظة اجتماعيا اصابتهم الميول الاستهلاكية لهذه الطبقة ، بل هم ايضا اصحاب حرفة يشوقهم من حين لاخر ممارستها طبقا للاصول المعترف بها في اكثر البلاد تقدما فيها• وهم فيبلادهم محرومون الى حد كبير من هذه الممارسة بسبب حداثة عهد بلادهم بها ، او لعدم تاصل تقاليد هذه الحرفة وطقوسها فيها ، او لقلة الطلب على خدماتهم اصلا • والمثقف يتوق الى الكلام في علمه باللغة التي تعلم بها هذا العلم، وهي عادة غير لغة بلاده، والى انيحظى بالاعتراف بمكانته ممنيحترم شهادته• فهو يخشى اذا جاهر علماء الغرب برفضه ان يحرم من مجالستهم ، ويختفي اسمه من دورياتهم ، والا يدعى بعد الان الى ما يعقدون من مؤتمرات • ويزيد من صعوبة المقاومة ان كثيرا من اهل بلاده قد انضموا نفسيا هم انفسهم الى معسكر الاعداء فاصبح حكمهم على علماء بلادهم مستمدا من حكم الغربيين عليهم ، فمن رفعه هؤلاء رفعوه ومن حقره الغربيون حقروه • فاذا باستمرار المثقف العربي في بلده ، يكتب بلغتها ويتحدث عن مشكلاتها هي لا عن مشكلات الدول الصناعية ، بلغة تخلو من التعالي وحب الظهور ، ويفهمها الطالب البسيط والقارىء العادي ، وعينه على ما ينفع اهله لا على ما يرضى عنه الاجنبي ، اذا بذلك يصبح ضربا من البطولة ، بينما قد لا يكون هذافي خارج هذه البلاد اكثر من الممارسة اليومية الطبيعية للكاتب او الاستاذ الجامعي العادي •

كذلك قد يبرر المثقف غير الملتزم موقفه المتهادن بقوله ان من الخطا الانعزال وترك الحلبة يصول فيها العدو ويجول ، لا بد من التصدي له واظهار خطئه ومحاولة كسب الراى العام العالمي الى صفنا، وهذا يتطلب بعض الكياسة والمهادنة • من ذلك ما رايناهفي الشهور الاخيرة من قبول بعض مثقفينا الدخول في حوار مع بعض المثقفين الاسرائيليين على صفحات الجرائد والكتب ، او في الندوات التلفزيونية ، حيث يدير الحوار اشخاص يتظاهرون بالحياد وبالرغبة في انيسود السلام اطراف النزاع دون تفضيل لاحد على الاخر • ولكن الذى يحدث هو ان يتورط الطرف العربي في اجابة علىاسئلة اختيرت كلها منوجهة النظر الاخرى،فلا تثارالنقاط القاسمة لان الطرف الاخر ومدير الحوار لا يرغبان في اثارتها • ويترك الحوار لدى المستمع المحايد حقا انطباعا بان السلام ممكن لو ترك الامر للمثقفين » والعقلاء « ، وبان عودة العلاقات الطبيعية ممكنة لولا عناد المتاجرين بعواطف الناس ومشاعر الغوغاء • والحقيقة ان مشاعر »الغوغاء« في مثل قضية العرب واسرائيل ، هي اقرب الى ادراك الخطر الحقيقي من السلام ، وهو خطر غزو جديد اكثر فعالية مما سبقه لثقافة العرب وقيمهم من جانب ثقافة وقيم مغايرة .وهو خطر العامة اقدر على ادراكه من الصفوة المستغربة •

هم أحوج الينا

وقد يقال وما ضر اهل البلاد المتقدمة من مقاطعتنا لمؤتمراتهم ورفضنا الحوار معهم وانغلاقنا على انفسنا ؟ ان الضرر لن يعود الا علينا نحن ، فنحنالاحوج اليهم وما هم بحاجة الينا •

وليس هناك ما هو ابعد عن الحقيقة من هذا القول • فدول العالم الصناعي لا تستطيع انتستمر الى مالا نهاية في تبادل سلعها مع بعضها البعض. وقد كادت اسواقهم تتشبع بالسلع تافهة القيمة التي يحاولون بشق الانفس تصريفها • واكبر احتياطي للاستهلاك هو في بلاد العالم الثالث التي لم يتم تدريبها بعد على استهلاك آلاف من السلع الجديدة • فحجم استهلاكها من السيارات مثلا ما زال منخفضا انخفاضا مزعجا ومبشرا ، في نفس الوقت، بمستقبل باهر لصناعة السيارات •وابناؤها لم يتعلموا بعد ضرورة تنظيف الاسنان بالفرشاة قبلالنوم وبعده ، ومن ثم لا يزال هناك مجال فسيح لتصريف كميات هائلة من مختلف اصناف معجون الاسنان ••• الخ • انهم هم المحتاجون الى حوار مهما تظاهروا بعكس ذلك • ولا عجب في ان اقسى الضربات التي وجهت الى قوى المعارضة في دول العالم الثالث كانت هي الموجهة الى القوى التي ترفض الحوار اصلا •

ان ما يسمى بالحوار العربي الاوروبي مثلا ،

ليس اختراعا عربيا ، بل هو فكرة اوروبيه ، والطرف العربى فيه لا ياخذه ماخذ الجد كما ياخذه الاوروبى . ولا يجب ان نعود هنا فنصب اللوم على العربى ونتهمه بقلة الكفاءة وقلة الجدية ، ونقارن بين موقفه من الحوار وموقف الاوربى ، كما تعودنا ان نقرأ ونسمع لسنوات طويلة . فاذا كان جزء من هذا يرجع الى بعض التهاون ، فان التهاون والاستهتار كثيرا ما يكونان اخر ما فى جعبة المستضعف من وسائل المقاومة . والاوربى مصمم بعناد على الاستمرار فى الحوار ،شيمة البائع العنيد فى مواجهة مشتر لا يرى بالضبط اين منفعته من الصفقة . فالاوربى يريد اكبر قدر ممكن من فوائض اموال النفط العربية ، واكبر قدر ممكن من الامتيازات لاستثماراته فى الدول العربية ، ومن التبادل التجارى غير المتكافىء معها. والعربى لا يعرف بالضبط ماذا يطلب ، فالذى يحتاجه حقيقة ليس فى حوزة الاجنبى ، وان كان فى حوزته لا يقبل التخلى عنه .

تحت شعار التنمية

ومن أكثر وسائل الغزو الثقافى لبلاد العالم الثالث فعالية، وان اتخذت صورة غاية فى البراءة ، اصابة مثقفى هذه البلاد بالشلل عن طريق استغراقهم فى اعمال لا تساهم اية مساهمة فى التطور الفكرى المستقل لهذه البلاد ، وتربط مثقفيها بعجلة الفكر الغربى تحت شعار التنمية.

وتقوم المؤسسات الدولية فى هذا المجال باكبر دور ، وانضم اليها فى السنوات الاخيرة ، وبنشاط ملحوظ ، مكاتب الاستشارة والخبرة الاجنبية وبعض الجامعات والمؤسسات الامريكية والاوروبية . اذ تشترى هذه المؤسسات خدمات اخصائى العالم الثالث ، خاصة فى العلوم الاجتماعية ، بمرتبات خيالية . ويمنحون من المزايا المادية والعينية مايزيد من انفصالهم النفسى عن شعوبهم ، ويستدرجون الى رحلات حول العالم يحوطها الكثير من وسائل الراحة والاغراء المادى . ويكلفون خلال ذلك باعمال محترمة فى ظاهرها ، بل وكثيرا ما يكلفون بدراسات تبدو وثيقة الصلة بمشاكل شعوبهم ، وذات اثر فى تنميتها . ولكن الاطار الفكرى الذى يحدد ابتداء لهذه الدراسات ليس من اختيارهم .

وينسى الاخصائى ، فى غمار جمعه للمعلومات والبيانات وتصنيفها والتعليق عليها ، التساؤل عن الجدوى الحقيقية لما يقوم به ، وعما اذا كانت اهم مشكلات بلاده قد سقطت سهوا من الحساب . ويسيطر عليه الوهم بان أى عمل علمى ، ما دام يؤديه بكفاءة ، لا بد أن يكون ذا نفع فى النهاية وان طال الانتظار . فاذا ساورته الشكوك احيانا عن جدوى ما يقوم به. سرعان ما يطمئنه مايستقبل به من احترام فى المؤتمرات الدوليه وفى الفنادق الفاخرة على السواء ، واقبال دور النشر العالمية على نشر دراساته ما دامت تحمل اسم المنظمة الدولية او المؤسسة الامريكية ذائعة الصيت ، بل واحترام اهل بلده انفسهم لدى رؤيتهم له يحظى باحترام هذه المؤسسات .

وكم رأينا من مثقفى العالم الثالث الذين بدت منهم مظاهر النبوغ والالمعية ، او بوادر المعارضة والسخط على ما يجرى فى بلادهم ، تتلقفهم المؤسسات الدولية والاجنبية بترحيب بالغ، وتعرض عليهم ليس فقط أعلى المرتبات بل واحيانا اختيار نوع العمل الذى يحبون القيام به . فيصيب المثقف التمزق بين الاستسلام لعطف الاجنبى وكرمه وما يبدو من حكومة بلده من جحود (وهى اعجز من ان تكرم او تبعد) . وما اسهل ان يبرر تفضيله للهجرة امام نفسه ومعارفه : فما هو الدور الذى ينتظره فى بلده وقنوات التعبير الحر مغلقة ، والاعمال التى يطلب منه القيام بها اقل من قدره، فضلا عما يقدم له من مرتب هزيل ؟ وهجرته على كل حال مؤقتة اذ سوف يقيم فى الخارج فقط ريثما تنصلح الاحوال ، وحتى تكتسب بلاده القدرة على التمييز بين المجد والمهمل ، والعالم والجاهل . ولكن السنوات تمر والاحوال لا تنصلح ، ليس بالضبط لان مثقفينا قد هاجروا ، فامثالهم ومن هم افضل منهم لم يهاجروا ، ولكن لان الذى أفسد من هاجر أفسد ايضا من لم يهاجر . ■■

جلال احمد امين

ايمان بالله قوى

● عن أبي عبيدة قال . أتى الحجاج بقوم كانوا قد خرجوا عليه ، فأمر بقتلهم وبقي منهم واحد . فأقيمت الصلاة . فقال الحجاج لقتيبة بن مسلم : « ليكن عندك وتغدو به علينا » . قال قتيبة : فخرجت والرجل معي ، فلما كنا في بعض الطريق قال لي الرجل « هل لك في خير ياقتيبة ؟ فقلت . « ما هو ؟ » قال : « عندى ودائع للناس وان صاحبك الحجاج لقاتلي لا محالة . فهل لك أن تخلي سبيلي لاودع أهلي وأعطي كل ذي حق حقه ، وأوصي بما علي ولي والله تعالى كفيلي بأن أعود اليك غدا » . فتعجبت من قوله وتضاحكت منه ثم أنه أعاد على القول مرة أخرى وقال « يا هذا لله علي أن أعود اليك وما زال يلح الى ان قلت . « اذهب » فلما توارى عني انتبهت الى نفسي فقلت :« ماذا صنعت بنفسك يا قتيبة ؟ » ثم أتيت الى أهلي فباتوا بأطول ليلة، فلما أصبحنا اذا برجل يقرع الباب ، فخرجت واذا بالرجل فقلت. « رجعت ؟ » قال . « جعلت الله كفيلا ولا أرجع ؟ » .

فانطلقت به فلما أبصرني الحجاج قال « أين الاسير يا قتيبة ؟ قلت . « انه بالباب أصلح الله الامير » فأحضرته وقصصت عليه القصة ، فجعل الحجاج يردد نظره فيه . ثم قال « وهبته لك » فانصرفت به فلما خرجت من الدار قلت له : اذهب أين شئت فرفع الاسير رأسه الى السماء وقال : « اللهم لك الحمد ، ثم انه لم يرد لي أية كلمة أخرى وانصرف. فلما كان في اليوم الثاني جاءني فقال : « يا هذا جزاك الله عني أفضل الجزاء . والله ما ذهب هذا عني أمس وما صنعت ولكني كرهت ان أشرك في حمد الله تعالى أحدا » .

مامعـى نفقة

● حكى انه كان في زمـن الخليفة العباسي المهدى رجل ادعى النبوة . فأحضروه الى بلاط المهدى. فلما مثل بين يديه قال له المهدى : « ما انت ؟ » قال : « نبى » قال . « والى من بعثت ؟ » فقال له . « ما اكثر فضـولك . ايش عليك ؟ » قال : « قل . والا امرت بقتـلك الآن » قال : « بعثت الى اهل خراسان » فقال المهدى: « ولم لم تسافر اليهم حتى الآن ؟ قال : « ما معى نفقه السفر يا امير المؤمنين » فضحك منه وأمر له بنفقه وقال : « سافر الى خراسان صحبتك السلامة » .

من الحب ما يؤذى

● قال رجل لسيدنا يوسف عليه السلام : « انى لاحبك » . فقال :« وهل اوذيت الا من المحبة ؟ احبنى ابى ، فالقيت فى الجب . واستعبدت واحبتنى امراة العزيز فلبثت فى السجن بضع سنين » .

بين القوة والضعف

● قال الامام على رضى الله عنه : « احذر ان يراك الله عند معصيته ، ويفقدك عند طاعته ، فتكون من الخاسرين ، فاذا قويت فاقو على طاعة الله ، واذا ضعفت فاضعف عن معصية الله . »

أى قطار اركب ؟

● سأل احدهم رجلا واقفا بمحطة سكة الحديد فقال له . « أى قطار اركب ليوصلني الى دمشق ؟ » فقال له الرجل: « اركب قطار ٣٥ » وعند المساء عاد الرجل ليجد السائل ما يزال فى مكانه يترقب القطار . فسأله مستغربا : « هل عدلت عن السفر يا اخى ؟ » فأجاب قائلا. « لا والله انى مصمم على السفر ولكن الى الآن لم يمر بهذه المحطة الا ٣٤ قطارا واسى بانتظار الخامس والثلاثين الذى ذكرته » .

احاديث الطعام

● قيل ان احد الاعراب كان يلازم سفيان بن عيينة مدة طويلة ، يستمع الى ما يرويه من الاحاديث ، فلما اراد الاعرابى السفر الى بلاده سأله سفيان . « ما اعجبك من حديثي يا اعرابى ؟ »فقال الاعرابى . « ثلاثة احاديث فقط اولها حديث السيدة عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم . انه كان صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل . وثانيها حديثه عليه الصلاة والسلام اذا وقع العشاء وحضرت الصلاة فابدأوا بالعشاء ، وثالثهما حديث عائشة ليس من البر الصيام فى السفر » .

شهيد الحب

● حكى الاصمعى قال . بينما كنت اسير فى بادية الحجاز اذ مررت بحجر كتب عليه هذا البيت :

ايا معشر العشاق بالله خبروا — اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتب الاصمعى تحت ذلك البيت

يدارى هواه ، ثم يكتم سره — ويخشع فى كل الامور ويخضع

ثم عاد فى اليوم التالى الى المكان نفسه فوجد تحت البيت الذى كتبه هذا البيت

وكيف يدارى والهوى قاتل الفتى — وفى كل يوم قلبه يتقطع

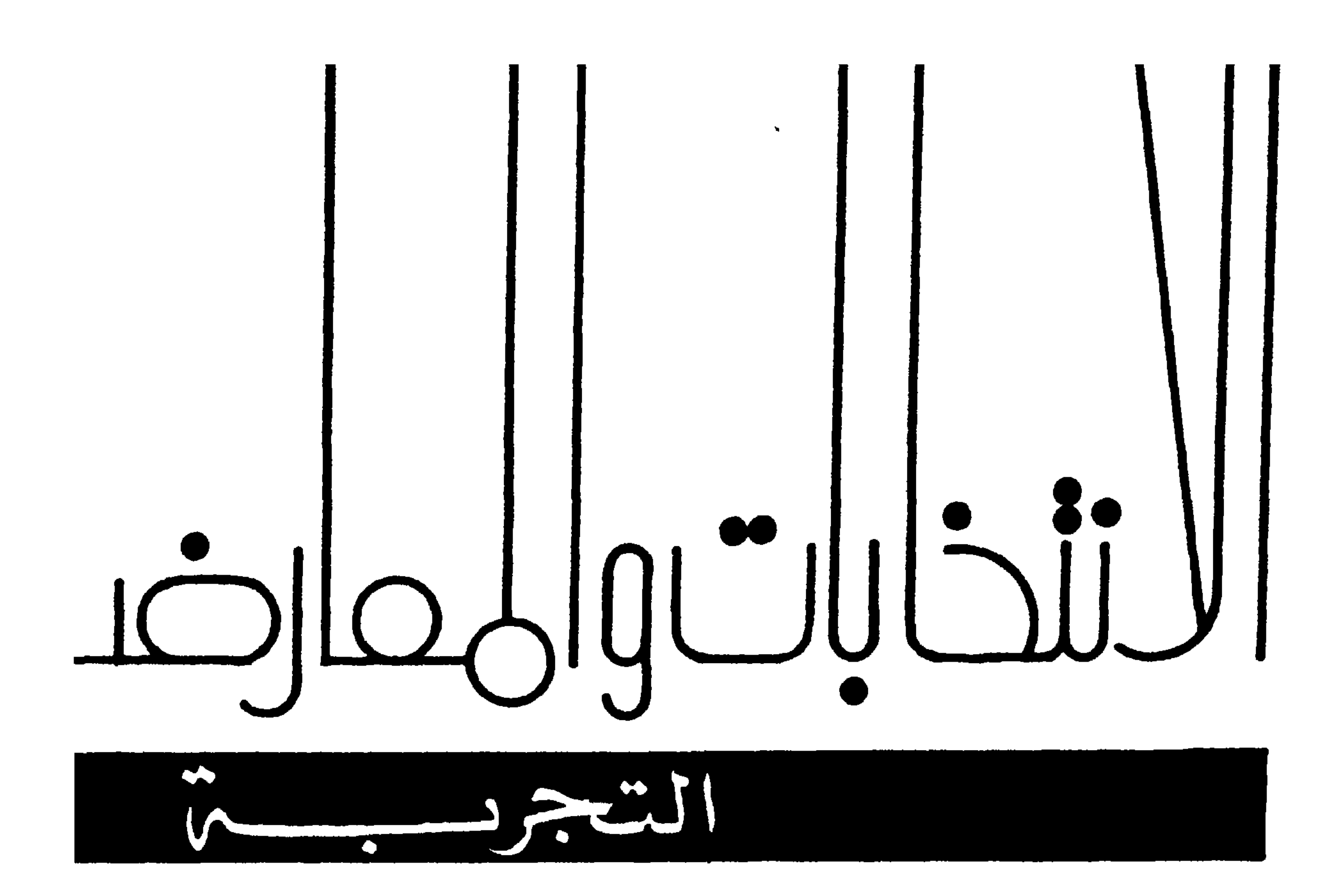
فكتب الاصمعى تحت ذلك البيت .

اذا لم يجد صبرا لكتمان سره — فليس له شىء سوى الموت ينفع

قال الاصمعى . فعدت فى اليوم الثالث الى الصخرة فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ، وقد فارق الحياة ، وقد كتب فى رقعة من الجلد هذين البيتين

سمعنا اطعنا ثم متنا فبلغوا — سلامى الى من كان للوصل يمنع

هنيئا لارباب النعيم نعيمهم — وللعاشق المسكين ما يتجرع »



بقلم : الدكتور عماد الدين خليل

اذا استطعنا ان نتجاوز التفاصيل والجزئيات، وفككنا انفسنا من أسر مئات الاخبار (الموضوعة) بعد الواقعة التاريخية بقرن او قرنين ، في زمن الهوى والميل والتحزب .. اذا تمكنا من الارتداد الموضوعي صوب (البيئة التاريخية)التي تخلقت فيها تجارب الانتخاب فيالعصر الراشدي الاسلامي الاول ، زمانا ومكانا وعقيدة وانسانا ... فاننا سنلتقي ، ومن خلال موقف اكثر شمولية وعلمية في الوقت نفسه ، مع تجربة سياسية تستحق التقدير والاعجاب .

التجربة الاولى

بعد وفاة الرسول عليه السلام مباشرة ، ورغم هول الحادثة التي هزت كبار الصحابة انفسهم ، يجتمع المسلمون ، انصارا ثم مهاجرين ، في سقيفة بني ساعدة ، ويمارسون لاول مرة في تاريخهم ، حوارا مفتوحا يقوم على الكلمة والاقناع ، لاختيار مرشحهم الذي سيخلف رسول الله في قيادة الامة وسياسة دولتها الناشئة ... ما استل سيف ، ولا اريقت قطرة واحدة من دماء .

يطرح الانصارمرشحهم معتقدين انهم الاحقبان يكون الخليفة منهم وهم الذين آووا الرسول (ص) ونصروه،وبارادتهم اتيح للحركة الاسلامية ان تجتاز مرحلة الدعوة التي استهدفت تكوين الانسان المسلم والجماعة المسلمة ، الى مرحلة الدولة التي تملك برنامج عمل سياسي وتشريعي لتغيير العالم بدأ من جزيرة العرب أنفسهم.ويهرع المهاجرون لاقناع الانصار بانهم الاحق بذلك ، فهم طليعة الاسلام الاولى وعلى اكتافهم شقت الدعوة طريقها في ظروف بلغت الغاية في عنفها وقسوتها..يعود بعض الانصار فيطرح فكرة القيادة الثنائية المشتركة ، فيصر المهاجرون على ضرورة وحدة القيادة وان بمقدور رفاقهم الانصار ان يعملوا من خلالها ويعبروا عن طاقاتهم ومطامحهم في اطارها (منا الامراء ومنكم الوزراء ..) .

الصديق خليفة

ومن اجل الا يطول النقاش وتنفتح ثغرة قد تتسلل منها المشاكل وتنفذ منها الحساسيات . في وقت كانت وحدة الجماعة فيه تمثل المهمة الاكثر



« الحمد لله الذي جعل في قومي من يقومني اذا اعوججت »

عمر بن الخطاب

العاجا ، تقدم عمر بن الخطاب (رضي) لكي يشير الى المرشح الذي لا بد من تحديده في مناقشات كهذه وكان ابا بكر (رضي) ولا ريب ٠٠ فثمة ماضيه العريق في خدمة الدعوة ، وصحبته لرسول الله (ص) في اشد اللحظات خطورة ، وثمة مواقفه الحاسمة في تاريخ الكفاح وشهادات الرسول القائد (ص) في رفيقه وصديقه ٠٠ وثمة – كذلك – تعاطف المسلمين انفسهم مع اول رجل في الاسلام بعد رسول الله (ص) ٠٠

تمت البيعة الاولى (الخاصة) في السقيفة نفسها ، لكن ما تلبث جموع المسلمين ان تنهال على مسجد الرسول (ص) مبايعة خليفتها الاول البيعة العامة ٠٠ وفي الاوضاع والبينات الحرة لانكاد نلتقي بتجربة انتخابية يجمع فيها الناس كافة على مرشح واحد ٠٠ لانلتقي بحركة ارقام صماء تتجمع بارادة مسلوبة ، او قسرا واكراها لكي ترسم نسبة المائة بالمائة ٠٠ لابد ان تكون هنالك معارضة ، ولابد ان تتضمن هذه المعارضة قدرا من الرفض لهذا السبب او ذاك ٠٠ ولكن الاكثرية الساحقة هي التي اختارت ابا بكر (رضي) فليتسلم الرجل – اذن – المهمة الصعبة وليتحمل المسئوليةبالامانة التي عرف عنها اصحاب الرسول (ص) ٠٠

برنامج عمل

في المسجد طرح ابو بكر (رضي) برنامج عمله السياسي وتصوره العقيدي بكلمات قلائل قال (ايها الناس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم٠ ان احسنت فاعينوني وان اسات فقوموني٠الصدق امانة والكذب خيانة ٠ والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله ٠ لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط الا عمهم الله بالبلاء ، اطيعوني ما اطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ٠٠) ٠

ان الخليفة الاول يؤكد هنا على الحقائق الاساسية التي يتوجب اعلانها والالتزام بها ، اذا ما اريد للقيادة الجديدة ان تواصل السير على الطريق التي بدأها الرسول (ص) ٠

فالخليفة رجل من الناس ، واحد من جماهير الامة ، منحته باختيارها الولاية عليها ، وهو ، بسبب من ماضيه ومن تقييم النبي (ص) له ومن كفاءاته الخاصة ، قد نال هذا الشرف ، لكن هذا لا يعني انه رجل فوق سائر الناس ، من طينة اخرى غير طينتهم ، كما تصور الناس ، أو صور لهم ، في عصور الصنميات والوثنيات وظلال

الالهة في الارض .. ان النبي (ص) نفسه كان يريد ان ينتزع ايما ظل لهذه الشبهة في نفوس اصحابه . كان يقول : (ايها الناس . انما انا ابن امرأة كانت تاكل القديد وتمشي في الاسواق) وكانت كلمات الله تؤكد هذه الحقيقة مرارا (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي..) (وان ادري القريب ام بعيد ما توعدون ؟) (قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب) (ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ..) .. من يدري فلعل في الامة التي اختارت ابا بكر (رضي) لقيادتها رجلا هو خير من ابي بكر في امور كثيرة . لكنه اقل قدرة على تحمل المسئولية (اني قد وليت عليكم ولست بخيركم) .. ومن ثم خلال اول تجربة انتخابية في تاريخنا السياسي ، يحضر الخليفة الاول في اذهان الامة هذه الحقيقة الخطيرة التي تمتد انعكاساتها الى سائر مساحات الحياة وفاعلياتها ..ان الرجل المنتخب هو واحد من الناس . وليس فوق الناس..وانه ليس ثمة ظل لله في العالم !!

المعادلة المتكافئة

وهو يطلب من امته ان تعينه اذا احسن الاجتهاد والعمل ، وان تقومه اذا اساء .. وهي ضربة اخرى على نفس الطريق الذي اكده في عبارته الاولى .. فهو مجرد انسان قد يخطىء وقد يصيب، وليست معطياته جميعا قدرا منزها عن الانحراف . وهو يريد ان يكون الحكم معادلة متكافئة بين الحاكم والمحكوم .. الطرفان يتحملان مسئوليتها ويشاركان فيها بالفعل والاجتهاد والنقد والرقابة الدائمة .. وهو بالتالي يريد ان ينمي الحس النقدي ومسؤولية الرقابة في نفوس ابناء امته . فليس الا في فترات الاستلاب السياسي والطغيان امة لا تنقد حكامها او تراقبهم ولا تقول (لا) حيث يجب ان تقال .. ان الخليفة ها هنا يستبق الاحداث ويطلب من امته ان تمارس حقها من اجل ان تظل على حيويتها الحركية التي علمها اياها الرسول (ص) ورباها عليها ..

وهو (رضي) يؤكد مفهوم العدل الذي جاء به الاسلام ويعلن انه سيحميه من الانتقاص والعدوان .. العدل بمفهومه الشامل الواسع .. ابتداء من مسالة الحاجات الضرورية وانتهاء بموقف الانسان في العالم .. سيقف خليفة رسول الله بكل ما يحمل من قوة لكي يحفظ التوازن المطلوب: فلا الاقوياء يرفعون ايديهم باكثر مما يجب ولا ضعفاء يرتجفون خوفا وجوعا .. انه سيجعل القوي يرتجف اذا ما حدثته نفسه بظلم .. ويامن عنده الجوعى والخائفون ..

وفي عبارتين اخريين يشير الخليفة الى الاهمية القصوى للالتزامات الاخلاقية في المجتمع الجديد.. الالتزامات التي تميزه عن سائر المجتمعات الجاهلية وترفعه عنها ، وهو بدونها يفقد هويته ، وسوف يتنازل باختياره عن الميزة التي منحها اياه انتماؤه للدين الجديد (الصدق امانة والكذب خيانة) و (انه لا تشيع الفاحشة في قوم قط الا عمهم الله بالبلاء) .. ان العفن والفساد اذا تسربا الى مجتمع من المجتمعات دون ان تكون هناك ارادة جادة لوقفه واستئصاله ، فسوف يتحولان الى بلاء جارف يكنس في طريقه كل شيء ، وهو سوف لن يعرف حينذاك الصالح من الطالح ، لان (البلاء) ليس عقلا يعمل في التاريخ بل عذابا ينصب على التاريخ .

الحركة الجهادية

ولم ينس ابو بكر (رضي) ان يشير الى الجهاد كالتزام اساسي للامة المسلمة ، ويحذر من تجميده لان معنى هذا ان يضربهم الله بالذل .

ان الجهاد ـ كما ورد في عدد كبير من الايات لا نجد ضرورة للاشارة اليها ـ هو حركة المسلمين الدائمة في العالم لاسقاط القيادات الجاهلية الضالة ، واتاحة حرية الاعتقاد للانسان حيثما كان هذا الانسان ، بغض النظر عن الزمن والمكان والجنس واللون واللغة والثقافة والانتماء . انه ـ في الحقيقة ـ مبرر وجود الجماعة الاسلامية في كل زمان ومكان ، ومفتاح دورها في الارض ، وهدفها العقيدي ، ومعامل توحدها ، وضامن ديمومتها وتطورها .. وبدون هذه الحركة الجهادية يسقط هذا المبرر ويضيع المفتاح ، وتفقد الجماعة المسلمة قدرتها على الوحدة والتماسك والاستمرارية والبقاء .

ان الجهاد كهدف ايماني حركي دائم ، اشبه بمعامل عقائدي ـ اجتماعي يشد افراد المجتمع الواحد بعضهم الى بعض ، ويوجههم صوب بؤرة

واحدة ، ويدفعهم الى تجاوز السكون والتحرك الدائم الى أهداف بعد فابعد • وهذا ـ بطبيعة الحال ـ يجيء بمثابة ضمان اكبر لوحدة الجماعة المسلمة وتماسكهاواستمرارها وصيرورتها التحريرية المبدعة •

وعلى العكس ، ما ان تفتر روح الجهاد فى نفوس المسلمين ، افرادا وجماعات ، قيادات وقواعد حتى تتفكك عرى وحدتهم ، وتتعدد اهدافهم ، وتميل تجربتهم الاجتماعية الى التباطو فالسكون، وتتساقط مواقعهم الامامية ، وبدلا من ان يسددوا ضرباتهم الى القواتالجاهلية ، ويمتلكوا زمام المبادرة الاستراتيجية فى العالم ، اذا بهم يتلقون الضربات من هذه القوى ، ويتراجعون صوب المواقع الدفاعية فى الخطوط الخلفية ،فهى الهزيمة اذن على كل المستويات السياسية والعسكرية والعقائدية . والحضارية فى نهاية المطاف •• واننا لنظر الى تاريخنا فنرى فى هذا الالترام الكبير معادلة رياضية واضحة ،فحيثما سادت روح الجهاد مجتمعا اسلاميا ما ، تمكن من حماية وجوده وتعزيز وحدته وضمان ديمومته العقائدية وابداعه الحضارى واتساع ميادين نشاطه فى العالم • وحيثما افتقدت هذه الروح الجهادية وطمس عليها فى مجتمع آخر ، فقد مبرر وجوده وتمزقت وحدته ونباطات اندفاعيته العقائدية واضمحلت منجزاته الحضارية ،وتقلص دوره فى العالم،وال امره الى التدهوروالسقوط• وان تاريخنا المعاصر ليقدم لنا عشرات الامثلة التطبيقية على صدق هذه المعادلة •

لقد كان ابوبكر (رضى) واضح الرؤية عندما قال مخاطبا منتجبيه (انه لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله الا ضربهم الله بالذل) (١) ، وواضح الرؤية ـ ايضا ـ عندما جعل سنىخلافته جهادا دائما فى الداخل والخارج ، وعلى كل المستويات ••

ويختم (رضى) خطابه بتاكيده على ان الطاعة التى يتوجب على الامة ان تمارسها ازاءه انما هى مستمدة من طاعته هو شخصيا لله ولرسوله ، وانها تسقطبمجرد انيخالف هو عن هذه الطاعة•• فالجميع ، فى نهاية الامر ، قيادات وقواعد ،سواء امام الله ورسوله . ولن يكسب فعلهم التاريخى قيمته الا بمدى استمداده من شريعة الله ومعطيات رسوله الكريم •

حق الانتخاب

لما الح المرض على ابى بكر ، فى وقت كانت زهرة قوات المسلمين تشق طريقها فى جبهتى العراق والشام، والدولتان الكبيرتان : الساسانية والبيزنطية تحشدان جل طاقاتهما لسحق هذا التحرك الفتى ، والمجتمع المسلم لم يتجاوزبالكلية مواقع عصبياته بعد وضغوطها القاهرة • ادرك (رضى) ان مجمل الظروف التاريخية هذه يحتم عليه ان يحسم امر الخلافة لصالح وحدةالمسلمين واهدافهم التاريخية • وكان بمقدوره ، وهو الذى منحته الامة ثقتها المستمدة من صدقه العميق ومن شهادة الرسول (ص) له ، ومن دوره التاريخى قبل الخلافة وبعدها ، ان يرشح الرجل الذى يطمئن اليه •• لكنه لم يشا ان يصل الى هدفه من هذا الطريق القريب وان يوسع ـ بدلا من ذلك ـ نطاق مشاوراته الى اقصى مدى مستطاع ، فبين للصحابة الكبار (رضى) انه ميت لا ريب ، ودعاهم الى ان يتشاوروا ويتخذوا قرارهمالنهائى قبل وفاته من اجل حماية وحدتهم واستمرارهمفى مهماتهم الاساسية . واوضح لهم انهم فى مشاوراتهم هذه احرار من اى التزام تجاه الخليفة السابق ، حتى من بيعته • قال لهم (انه قد نزل بى ما ترون• ولا اظننى الا ميت لمابى • وقد اطلق الله ايمانكم من بيعتى وحل عنكم عقدتى ورد عليكم امركم ••) ، وكان رأى كبار الصحابة ان يتولى الصديق بنفسه مهمة الاختيار ، فكانهم خولوه حق الترشيح نيابة عن الامة بما انهم ممثلوها المعتمدون •

اعتمد الصديق (رضى) وهو يتحرك لاختيار الرجل المناسب قواعد وميزات اساسية كان ابرزها ـ ولا ريب ـ ان يكون المرشح رجلا حازما فى غير عنف لينا فى غير ضعف ،وكان يجد فى عمر بنالخطاب (رضى) ، بعد لأى البحث والمشاورة، ذلك الرجل •• الا انه رغم ذلك كله لم يشا أن

١ـ (فى العدد ٢٢٣ من مجلة العربى) تحليللجهاد فى ابعاده التاريخية خلال العصر الراشدى بعنوان (حقيقة الجهاد فى التاريخ الاسلامى)وهنا عرض موجز للبعد النظرى لمفهوم الجهاد •

يعلن كلمته النهائية قبل ان يجرى مزيدا مـن المشاورات ، وقبل ان يطلع على رأيه المسلمين المتواجدين في المدينة في الخليفة الجديد ٠ ومن ثم خاطبهم قائلا (اترضون بمن استخلف عليكم؟ فاني ـ والله ـ ما الوت من جهد الراى ولا وليت ذا قرابة ، واني قد وليت عمر بن الخطاب فاسمعوا واطيعوا) وكان جواب الناس ـ بما فيهم كبار الصحابة ـ (سمعنا واطعنا) ٠٠ وكان بمقدورهم ان يردوه . فما اكثر ما قالها المسلمون : لا سمع ولا طاعة ٠ وعمر نفسه بعد ان تولى الخلافة ، كان يدفعهم ـ كما سنرى ـ الى قولها دفعا ٠ ولو قالوها فانه ليس ثمة ما يمنع ابا بكـر (رضي) من ان يعود الى المشاورة وتقليب الراى من جديد للبحث عن رجـل اخـر يسمعون لـه ويطيعون ٠

الصدق في اللحظات الاخيرة

رفع ابو بكر (رضي) يديه الى السماء وقال (اللهم انى لم ارد ـ بذلك ـ الا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة ، فعملت فيهم ما انت به اعلم، فوليت عليهم خيرهم واتقاهم واحرصهم٠٠)٠

وفي كتاب عهده لعمر (رضي) نقرا هـــذه الكلمات التى تنبض تقوى وصدقا واحساســا بالمسئولية : (بسم الله الرحمن الرحيم ٠ هذا ما عهد به ابو بكر خليفة رسول الله (ص) عند آخر عهده بالدنيا واول عهده بالاخرة ، الحال التي يؤمنفيها الكافر ويتقي الفاجر،انى استعملت عليكم عمر بن الخطاب ، فان بر وعدل فذلــك علمي به ورايي فيه ، وان جار وبدل فلا علــم لى بالغيب ، والخير اردت ، ولكل امرى مــا اكتسب ، وسيعلم الذين ظلموا اى منقلـــب ينقلبون !!) ٠

ولا اعتقد ، ولا يعتقد مسلم جاد ، ان الصديق الذى مارس الصدق مع ربه ونبيه ونفسه فـى اشد الظروف حلكة وعسرا وفي اكثرها اضاءة وسهولة ويسرا ، يمكن ان يتنازل عن صدقه في اخطر مسالة في حياة المسلمين ، وهو ذاهب ـ بعد لحظات او ساعات او ايام ـ للقاء الله الذى لا يغرب عنه مثقال ذرة في السماوات والارض٠٠ يتنازل عن صدقه (عند آخر عهده بالدنيا واول عهده بالاخرة ، الحال التي يؤمن فيها الكافر ويتقي الفاجر ٠٠) ٠

الحس الشورى

واننا لنلمح الحس (الشورى) فيكافة الخطوات التى قطعها الرجل من اجل اختيار الخليفة الجديد: وهو يطلب من كبار الصحابة ان يتشاوروا فيالامر مطلقا ايمانهم من بيعته ، رادا عليهم امرهم ، وهم يخولونه الاختيار ، وهو يدرس وينقب ، واضعا اشد المقاييس عدلا وموضوعية في المرشح الذى سيتولى الخلافة ، وهو يعرض اختياره على جمهور المسلمين وكبار الصحابة ويتلقى منهم الموافقة ٠٠ ثم وهو يؤكد حرصه وخشيته واحساسه بالمسؤولية خلال اختياره عمر بن الخطاب (رضي) طارحا تحفظه عما يمكن ان يحدث في المستقبل مما هو في طيات الغيب الذى لا يعلمه الا الله ٠٠٠ منددا ـ بصراحة بالغة ـ بهذا الذى يمكن ان يحدث ٠٠ واخيرا فان الرجل الذى رشحه لا يمت اليه بقرابة ولا عصبية ٠٠وفضلا عن هذا وذاك فان عمر (رضي) لم يكن بالرجل العادى الذى يكون امر اختياره مسالة غير متوقعة بالنسبة للمسلمين ٠٠ على العكس فان اختياره جاء مصداقا لمتطلبات اللحظات الراهنة ، وكانه والتاريخ كانا على ميعاد ، الامر الذى يفسر لنا ترحيب المسلمين بمجيئه الذى كان متوقعا ، بل محسوبا٠٠ويفسر لنا في الوقت نفسه، الانجاز التاريخي الذى حققه ٠٠فان امة تطحنها الخلافات لا تستطيع أن تفعل شيئا !

كانت هنالك ـ ايضا ـ بيعتان خاصة وعامة ، وكانت هنالك ـ ايضا ـ خطب وكلمات هى اشبه بمؤشرات عمل عبر سني المسؤولية ٠٠ قال (انما مثل العربيمثلجمل أنف ـ ايحديث عهد الولادة ـ فلينظر قائده حيث يقوده ٠ اما انا فورب الكعبة لاحملنهم على الطريق) وقال (ولست ادع احدا حتى اضع خده على الارض واضع قدمي على الخد الاخر ،حتى يذعن للحق ٠ ثم اني ـ بعد شدتي تلك ـ اضع خدى على الارض لاهل العفاف واهل الكفاف) !

حرية المعارضة

والحديث عن مواقف عمـر (رضي) وبرامجه

الفذة يطول، ولكنا نقف هاهنا قليلا ، ونحن نتحدث عن المسالة الانتخابية . عند موقفه من (حرية المعارضة) التي سهر على توفير مناخها الملائم . وبينما قطعتها الكثير من الجماعات (الديمقراطية) خطوة واحدة قطع فيها خطوتين ، اذ انه لم يكتف باتاحة المجال العريض لابناء امته ان يعترضوا ، وانما حثهم ودفعهم دفعا الى الاعتراض . وكان يهمه ويشغل باله ان تفقد امته احساسها العميق بالحرية ،والا تتشرب دماؤها مواقف النقد والرفض، حيث يتوجب ان ينقد عمل ما او يرفض اذا اقتضى الامر .

خطب يوما على منبر مسجد الرسول (ص) في المدينة فقال (يامعشر المسلمين ماذا تقولون لو ملت براسي الى الدنيا كذا ؟) — وامال براسه — فقام اليه رجل من المسلمين وقال (اجل كنا نقول بالسيف كذا) واشار الى القطع — فقال عمر (اياي تعني بقولك ؟) قال الرجل (نعم اياك اعني بقولي) ! فقال عمر (الحمد لله الذي جعل في رعيتي من يقومني اذا اعوججت) . وقال حذيفة (رضي) (دخلت على عمر يوما فرايته مهموما حزينا ، فقلت له : مايهمك ياامير المؤمنين ؟ قال : اني اخاف ان اقع في منكر فلا ينهاني احد منكم تعظيما . فقلت : والله لو رأيناك خرجت عن الحق لنهيناك . فسر عمر وقال : الحمد لله الذي جعل لي اصحابا يقومونني اذا اعوججت) !

وعن الحسن بن علي (رضي) قال (كان بين عمر (رضي) وبين رجل كلام في شيء . فقال الرجل : اتق الله . فقال احد الجالسين : اتقول لامير المؤمنين اتق الله ، فرد عمر : دعه فليقلها لي ، فلا خير فيكم اذا لم تقولوها ، ولا خير فينا اذا لم نقبلها) !

المطاردة الصعبة

اكثر من هذا انه كان يريد — كما فعل الرسول (ص) والخليفة الاول (رضي) من قبله — ان يقول للناس انه سيظل واحدا منهم .. سيظل معهم .. وسوف لن يفصله عنهم منصب الخلافة مهما عظم واتسع سلطانه . انه يدرك كما ادرك الرسول وابو بكر من قبل ، ان فتنة الناس بزعمائها خطيئة كبيرة . خطيئة قاتلة ، تجردهم من اكثر الاسلحة اهمية في قدرة الامم على مواصلة نموها التاريخي وحيويتها ورشدها .. سلاح النظـرة المتكافئة ، والاختيار ، والنقد والا فان الفتنة تحيلهم ادوات عمياء .. هذا هو واحد من الاسباب التي دفعت عمر (رضي) الى عزل خالد والمثنى معا وهما في قمة انتصاراتهما .. وهذا هو الذي يدفعه — وهو في قمة السلطة الى ان ينادي يوما : الصلاة جماعة..

فلما اجتمع الناس صعد المنبر وقال (ايها الناس ، لقد رايتني ارعى لخالات لي من بني مخزوم ، فكنت استعذب لهن الماء فيقبضنني القبضة من التمر او الزبيب) ثم نزل . فقال له عبد الرحمن بن عوف : ما اردت بهذا ياامير المؤمنين ، اجاب الخليفة (ويحك ياابن عوف .. لقد خلوت الى نفسي فقالت لي : انت امير المؤمنين ، وليس بينك وبين الله احد فمنذا افضل منك ؟ فاردت ان اعرفها قدرها !) .

انه يطارد شبح (الفتنة) في نفسه ، وهو الخليفة القمة ، امام جماهير الناس ، لكي تعرف من هو ابن الخطاب فلا تفتتن به .. ولكي يتعرد الطرفان ، الحاكم والمحكوم ، من كل ما من شانه ان يقيم بينهما سدا او جدارا ! ■■

الموصل — عماد الدين خليل

■ « يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ، وما يذكر الا اولو الالباب » ·

(قرآن كريم)

■ « اياكم والظلم . فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واياكم والفحش ، فانه لا يحب الفاحش ولا المتفحش ، واياكم والشح ، فانما اهلك من كان قبلكم : امرهم بالكذب فكذبوا ، وامرهم بالظلم فظلموا ، وامرهم بالقطيعة فقطعوا » ·

(حديث شريف)

■ لا خير فى ود امرىء متقلب
حلو اللسان ، وقلبه يتلهف
يعطيك من طرف اللسان حلاوة
ويروغ منك كما يروغ الثعلب

(صالح بن عبد القدوس)

■ لا تعدن وعدا لا تثق من نفسك بانجازه ، ولا يغرنك المرتقى السهل اذا كان المنحدر وعرا ، واعلم ان للاعمال جزاء . فاتق العواقب ، وان للامور بغتات فكن على حذر ·

(الامام على)

■ لو كان ابغض قلبه فيما مضى
احد لكنت اذن لقلبى مبغضا

(ابو تمام)

■ لا تسلم بشيء لمجرد انك سمعته . ولا للتقاليد لمجرد انها انتهت اليك من عصور بعيدة ، ولا تصدق بأى شيء لمجرد ان كثيرين يكررونه ويذيعونه. او لانك وجدته فى كتبك ، او لمجرد الاستسلام لنفوذ معلميك ومن هم اكبر منك . ولكن عليك ان تبحث وتحلل . فاذا وجدت الشيء مطابقا للعقل والمنطق ، ومتفقا مع مصلحة الفرد والجماعة فاعتصم به . وعش من اجله ·

(بوذا)

■ للذهب ثمن . ولا ثمن للحكمة ·

(مثل صينى)

■ اذا تغلب المرء على اهوائه . فالاغلب ان ذلك لضعفها ، لالقوته ·

(لارشفوكو)



الحب والمرأة

ترجع صلتي بشعر ابراهيم ناجى الى بواكير الشباب ، بين سن الخامسة عشرة والسابعة عشرة • كان قد أصدر ديوانه الاول « وراء الغمام » فكلت من كثرة ترديدى لقصائده احفظها جميعا عن ظهر قلب • على أن ديوانه الثاني « ليالي القاهرة » ، الذى ظهر بعد الاول بسبع سنوات ، صادفنى وقد شغلت بقراءات أخرى ، فلم افكر فى أن اقرأه الا بعد سنين طويلة ، عندما رايت ان استكمل قراءتى لناجي، بوصفه شاعرا من شعراء مدرسة أبولو التى كانت آخر ازهار والمع ازهار للرومنسية العربية •

اين هذه القراءات الحديثة ، التى لم تحل من جهامة الدرس ، ووقار الاكاديمية ، من فتنتى الاولى بناجى ، عندما كان ترديد مقطع واحد من قصيدة له ، يبعث الرعدة فى أوصالى ويكاد يستقطر الدموع من عينى ؟ ماذا أقول ؟ اننى لا ازال كلما انشدت لطلابى هذه الابيات •

أيها النـــور سلاما وخشـــوعا
أيهـا المعبـد صمتـا وركوعـــا

ملكـت قلـبى ولـبى رهبـــة
عصفت بالقلب واللـب جميعـــا

رب قـول كنـت قـد اعـددتـه
لك اذ القـاك يابى ان يطيعـــا

وحبيـس من عتـــاب فى فمـى
قد عصـانى فتفجـرت دموعـــا

احس شيئا كدبيب النمال فى اعضائى • حقا ان شيئا من عالم الصبى سيظل مطويا فى جوانحنا



الى ان نموت ، وسيظل شعر ناجي قادرا على ان يبعث شيئا من الوهج في الجذوة التي علاها الرماد ، ولكن ناجي يبقى دائما الشاعر المفضل لدى الشباب ذوي العاطفة الجياشة التي تعصف بالقصب والند ، وتحيل الكلمات دموعا ، والدموع كلمات ·

من تجربة حقيقية

وعندما اخذت اتتبع صور الحب والمراة عند ابراهيم ناجي ، في تفحص الدارس استوقف نظري هذا البيت :

او ليس لي في ظل حبك موضع
احبو اليه وارتمي مستنصرا ؟

فالحبو والارتماء واللجوء الى حب آمل كالطفل الطميل صور لا اذكر اني وقعت عليها مجتمعة في شعر من شعر الحب غير هذا البيت ، وهي على اية حال صور متكاملة ، صور فردية متميزة لا يمكن ان يكون ناجي قد استقاها من محفوظه ، فهي ادنى نابعة من تجربة حقيقية ، افصحت عنها كلمات الشاعر حين عمل رقيب الوعي كما يغفل عادة عند قول الشعر · ودلالة هذا البيت واضحة كل الوضوح ، فهو يحب صاحبته كما يحب الطفل الرضيع امه ، يطلب عندها الامن والحنان ، ويتوسل اليها باظهار ضعفه ·

كان هذا البيت مفتاحي الى فهم شعر ابراهيم ناجي كله ، لا اقول شعر الحب والغزل فقط ، بل شعر المدح أيضا ـ وقد نظم منه عدة قصائد في اخريات حياته ـ ولا اكاد استثني سوى أربع قصائد من شعر الوطنية قالها في مناسبات مختلفة · وان شاعرا سريع التاثر مثل ابراهيم ناجي ، لقمين في مثل هذه المناسبات ان يذوب وجدانه الفردي في الوجدان الجماعي ·

وتتفاوت صورة العاشق الطفل في شعر ابراهيم ناجي من حيث درجة وعيه بها ، ولكنها تأتي منسجمة مع سياقها في وحدة عضوية نابعة من اعماق شعوره ، شأن الصور الشعرية عند جميع الرومنسيين الاصلاء ·

في قصائده الاولى تأتي الصورة عفوية لا تثير تساؤلا .

ادركت عندك يومي الموعودا
ولقيت فيك مثالي المنشودا
وافرحتي بك فرحة الطفل الذي
يلهو ويخلق كل يوم عيدا
وافرحتي بك فرحة الطير الذي
ملأ الروابي الصفيات نشيدا
طربت لصدحته وصفق ظافرا
جذلان في عرض الفضاء سعيدا
في موكب من قلبه وحبيبه
من راح تعسبه العيون وحيدا

ويتمنى ان يظل طفلا حتى لا تصدمه تجربة الواقع ، فهو يرتاب في الرقة التي يبديها له الحبيب ، وكأنه يشعر ان حبيبه يعامله معاملة الأطفال ، ويتمنى فعلا ان يعود طفلا :

لم يا هاجر اصبحت رحيما
والحنان الجم والرقة فيما ؟
لم تسقيني من شهد الرضا
وتلاقيني عطوفا وكريما ؟
كل شيء صار مرا في فمي
بعدما اصبحت بالدنيا عليما
آه من ياخذ عمري كله
ويعيد الطفل والجهل القديما !

طفل يتصنع الرجولة !

وربما ابتسمنا لهذه الصورة التي يرسمها لنفسه ، طفلا يتصنع الرجولة ، كما ترى الطفل الحقيقي حين يمثل شخصية الاب .

عوذتها من شر امسية
تعيا بها وتضل ابصار
وكواكب ليست بمجدية
فظلم مكدسة واحجار
عثرت بها فرفعتها بيدي
جسما يكاد يشف في الظلم
ويرف مثل الزهر وهو ندي
ويغف مثل عرائس الحلم

وكانني ممـا يسـوء خلـقى
وحيـاتى انجـابت حوالكهـا
ارمى الطـريق بناظرى رجـل
وانها لهـا طفل يضـاحكها

ولكنه اذ يتقدم به العمر يشعر ان حبه كان ضلالا ، لانه كان حبا طفوليا .

كيف صدقنـا اضاليل الهـوى
بنهى طفل واحساس صـبى ؟

والعجيب ان القب ظل طفلا ، ولكن الكبرياء « عشاء الاما العبا » ، كانت كبرياء رجل .

كنت تـدعونى طفـلا كلمـا
لـار حبـى وتندت مقلـتى
ولك الحق ، لقد عاش الهـوى
فـىّ طفلا ومـا لـم يعقـل
وارى الطعنـة اذ صوبتـها
همشت مجـنونة للمقتـل ،
رمت الطفـل فادمت قلبـه
واصـابت كبرياء الرجـل !

هذا مقطع من مطولة ناجى « الاطلال » ، وقد سماها ملحمة . وما كان ناجى شاعر ملاحم ولا مطولات . وما كانت موهبته بقادرة على ان تبنى كما قال « صرحا من خيال فهوى » . لقد راى مدينة احلام ، كمدن الف ليلة وليلة ، فلما افاق تبخرت كالضباب

ضحكت لعينى المصابيح التى
تعلو رؤوس الليل كالتيجـان
ورأيت انوار المدينة بعـد مـا
طال المسـير وكلت القـدمان
وحسبت ان طاب القـرار لمتعب
فى ظل تحنـان وركن امـان
فاذا المدينـة كالضباب تبخرت
وتكشـفت لى عن كذوب امان
قدر جرى لم يجر فى الحسبان
لا انت ظـالمة ولا انا جـان

ان ناجى يحيل خيبته فى الحب على القدر او الحظ ، ولا يجسر على ان يتهم محبوبته ، فهو دائما اضعف من المحبوبة ، يدور فى فلـكها ، ويقفو خطاها ، ويستمد النور منها

وليـلة فاضت بوسـواسها
تعجب من الضـين بين البـشر

ذلك يعـدو خلف انفاسـها
وهـذه تتبع ضـوء القمـر
تتبعه بين الربى والشـعاب
تتبعـه يسرى خـلال السحـاب
كـم هللت وهـو يضىء الرحـاب
والتفتت محسـورة حين غـاب
وذلـك الطفـل اللهيف الغيـور
فى فلك من ضـوء ليـلى يدور
يقفو خطاها وهـى بين الطيـور
لها جناحـان ضـراح ونـور

بل انه ليتقبل قسوة المحبوب فى استسلام يكاد يكون ماروكيا .

متى يـرق العـطف يـا قاسـى
ويلتقـى المنسى والنـاسى !
متى ! وهل من حيـلة فى متى
وفى خيـالات واحـداس !
هـذا قرارى جريهـا فى دمى
وهمسـها فـى كـر انفاسـى
وانت مثل النجـم فى المنتـأى
وفى السـنا الخاطف كالمـاس .
يرنـو لـه النـاس ويبغـونـه
ومـا يبالى النجـم بالنـاس
وانت كاس الحسـن لكننا
مثـل حباب حام بالـكاس
طفا وقد قبـل انوارهـا
ورفّ مثـل الطائـر الحاسى
وجـف او ذاب على نـورها
كمـا يذوب الطـل بالآسِ

ومن هنا تاتى صورة الطائر الجريح

واىا الطائر الذى تصطبى نفـ
ـسى السموات والذرى الشماء
راشنى صـائد رمانى فادمـا
ـنى وولـى الجاسـى وعاش الداء
مرحبا بالهوى الكبير فان يبـ
ـق وان تسلمى يطب لى البقاء

★ ★ ★

اخفى جراحك واسـتعز بفتكها
غريدك الشادى المعلق فى الذرى

كما تاتى صورة الفراش :

وانت فراش ليـل ، كل نـور
تبعت وكل برق قد اضـاء



كنت في برج من النـــور على
قمة شـــاهقة تغزو السحـــابا
وانـــا منـــك فـــراش ذائب
في لجين من رقيق الضـوء ذابا
فرح بالنور والنـــار معـــا
طار للقمة محمـوما وآبـــا
اب مـن رحلتـه محترقـا
وهو لا يالوك حبا وعتـــابا !

عندما تتشابك الرموز

وربما استوقفتنا مقطوعة تبدو عجيبة في هذا السياق، وعنوانها « الفراشة » . تقول المقطوعة

أجل ! يعلم الحب اني لظـــاه
وتدري الفراشـــة اني اللهب
واني بدوت لهـا في الظـــلام
فـــرفت باجنحـة تضطـــرب
وبـــين نواعي سر الحيـــــاة
وفي ناظـــري بريق الشـــهب
دنت خطـــوة ثم عـــادت الى
مجاهلـــها من خفـــى العجب
وشتان بين السنى والظـــلام
لعـــائدة للســـنا عن كثب
وفي صدرها لهفة للعنـــــاق
وفي قلبها جنـــة المقتـــرب
يلـوح لها شبح للعـــذاب
ويبـــدو لها الابد المقتـــرب
كأن اللظى قدح من ســـلاف
لهـــا فـوقـه وثبـات العبب
فراشة روحي تعـــالي ولـــوبا
ســـتلقين قلبا اليـــك يثب

اذا ما امتزجنـا احترقنا معـــا
ونلنا الخلـــود بهذا العطب !

هنا نرى الرموز تتشابك وتتعقد . فقد انعكس الوضع فيما يبدو، فاصبح الشاعر لهبا واصبحت محبوبته فراشة . ويمكن ان يفسر ذلك بعمليتين نفسيتين : عملية الاسقاط ، فالشاعر يسقط شعوره على المحبوب او ينسبه اليه ، وعملية الادماج او التمثل ، فالشاعر يمثل في نفسه صورة المحبوب ـ اللهب . وان ارتبت فيما ازعمه من انعكاس الوضع فقارن هذا البيت :

كأن اللظـــى قـــدح من ســـلاف
لها فـــوقه وثبــــات الحب

ببيت مر بنا في نص سابق :

وانت كاس الحســـن لـــكننا
مثل حبـــاب حـــام بالـكاس

وعمليتا الاسقاط والادماج صورتان لمحاولة اللاوعي ان يتعايش مع الواقع ، ويتخلص من ضغط الانفعال . وهما اذ تتحدان هذه الصورة الرمزية لدى الشاعر تمهدان له السبيل كي يستنبط من اعماق لاوعيه رؤيا تحيل هزيمة الحب الى انتصار . فثمة حلم الخلود وراء معاناة الشاعر الاليمة المحدنة ثمة هذا الشعر الذي يخلده هو والمحبوب معا . على ان هناك تفسيرا آخر اعمق من هذا . وسبيلنا الى هذا التفسير هو الاضافة التي في قوله « فراشة روحي » .

فالاضافة ، كما يقول النحاة ، تدل على معنى اللام (الملكية) او في أو من . فاقرب فهم للفراشة هنا هو انها جزء من روحه . فالشاعر هو الفراشة كما انه هو اللهب . بمعنى أن الحب ليس نابعا من شيء خارج عنه ، بل من نزعاته الاصيلة . وهذه النزعات تتمثل في غريزتين غريزة الحياة ، ويرمز لها اللهب ، وغريزة الموت ، ويرمز لها الفراشة . اللهب هو « سر الحيـاة » . وهو قوى ثاقب كالشهب ، والفراشة هي ساكنة الاعماق ، أخت المـوت ، وعاشقة العذاب . يمكننا أن نقول ، مع فرويد ، ان غريزة الحياة غريزة ذكرية ، وغريزة الموت غريزة انثوية . الحب ، عند غريزة الحياة ، غزو واخضاع وسيطرة ، والحب ، عند غريزة الموت . خضوع واستسلام وفناء والشاعر واقع في مأزق ، فغريزته الذكرية لا تزال تستدعى

الحياة ، يحوم حوله دائما شوقه للموت ، باب الحياة الابدية • ولا خلاص للشاعر من هذا المأزق الا بأن تتعانق الغريزتان وتفني احداهما في الاخرى ، اي بأن يتجاوز حالة طلب المحبوب وحالة الخضوع للمحبوب الى حالة أسمى •

ان الشاعر يجرب الدواء الذي جربه المحزون قبله :

حان الشفاء فودع الالما
واستقبل الايام مبتسما

ضيف من السلوان حل بنا
خدب اليدين مبارك قدما

او ما ترى الضيف الذي قدما
يطوي الغيوب ويذرع الظلما

في كفه كأس يقدمها
تمحو العذاب وتغسل الندما

ولكن اي شيء في هذه الكأس ؟ انه ظمأ يمضي الى عدم :

فاشرب ولا ترحم ثمالتها
لهفي عليك شربت اي ظما

فيض من النسيان يغمرني
اني لاحمد سيله العرما

مستسلما للموج يغمرني
فرحان حين اعانق العدما

أين يجد الخلود ؟

ليس النسيان اذن هو الخلاص • فالنسيان عدم، والشاعر لا يطلب العدم بل يطلب الخلود •

فأين يجد هذا الخلود ؟ انه يجده حين يغوص في أعماق لاوعيه الجماعي فيستخرج صورا شتى للمرأة ، المرأة كما يمثلها الانسان منذ الاف السنين او ملايينها ، والتي ستبقى في وعي الانسان ابدا ، سر الحياة وصانعة السعادة والشقاء :

كل له ليلى ومن لم يلقها
فحياته عبث ومحض هباء

كل له ليلى يرى في حبها
سر الدني وحقيقة الاشياء

ويرى الاماني في سعير غرامها
ويرى السعادة في اتم شقاء

الكون في احسانها والعمر عنـ
ـد حنانها والخلد يوم لقاء

ايزيس التي جمعت اشلاء زوجها اوزيريس بعدما مزقه اعداؤه •

روحي ممزقة وانت تركتها
لمخالب الدنيا وانياب الورى

روحي ممزقة ولو ادركتها
جمعت من اشلائها ما بعثرا

ايزيس الثانية التي صنعت من ولدها حوريس بطلا يهزم الشر ويعيد السلام والرخاء :

لولاك ما قلت لشي
ء في الوجود مرحبا

ولم اجد ركننا غنيـ
ـا بالحنان طيبا

انت التي اقمت صر
ح البناء من هبا

وانني الصخر الذي
اردت الا يغلبا

ويضرب البحر عليـ
ـه موجه منتحبا

معاناته وعواطفه

في هذه الصورة الخالدة للمرأة يجد الشاعر خلاصا من تجارب حبه الخائبة • وان صورة المرأة عنده لتشف حتى تبدو طيفا الهيا لا كائنا بشريا من لحم ودم :

اين من عيني حبيب ساحر
فيه نبل وجلال وحياء



واثق الخطوة يمشي ملكـا
ظالم الحسن شهي الكبريـاء

عبق السحر كانفاس الربـى
ساهم الطرف كاحلام المسـاء

مشرق الطلعـة في منطقـه
لغة النور وتعبير السمـاء

لك حسن نـوار الخميـ
ـلة طل صبحـا فابتسم

لك نضرة الفجر الجميـ
ـل على الذوائب والقمم

لك طلعـة البره والمرجـ
ـى بعد مستعصى السقم

لكل ما اوفـى علـى
قدر النهـاية واستتم

فبـاى قلـب اتقـى
وبـاى حصـن اعتصم ؟

وانه ليعطي حبه ابعادا كونية حين يقول :

بى الجرح جرح الكون من قبل آدم
تغلغل في الارواح ينمي ويستشري
تولتـه بالاحسان كف كريمـة
مقدسة الحسنى مباركـة السر

لا عجب اذا حمل الشاعر حبه نوعا من العبادة :

غـرامك لي معبد طاهـر
دعائمه شيدت من ولوعـى

تعهدت محرابـه بالوفـاء
واوقدت فيه الهوى من شموعى

جوانبـه من دموعـى قامـت
واضـلعه بنيت من ضـلوعى

ومن ذا راى هيكلا فى الوجود
يقوم على عمد من دمـوع ؟

لقد كان عناء ناجي بعواطفه عناء طويلا وبيلا . ولكنه استطاع ان يستقطر من معاناته العصبية الخاصة معاني انسانية خالدة . ويصوغها صياغة تهز قلوب قارئيه . ولعلي لا احتاج ان اشير الى انه قد يلتقي في بعض هذه المعاني مع شعراء آخرين قدامى او محدثين . ولا انسى ان جوانب المعاناة العصبية التي تضمنها خلال صور الحب والمراة في شعره لا تمثل ادوارا متدرجة في حياته او فنه . بل يمكن ان تتجاور كلها او معظمها في القصيدة الواحدة او المقطوعة الواحدة . كما تتجاور في هذه المقطوعة القصيرة التي يمكنني ان اجعلها تلخيصا لكل ما سبق : مقطوعة من تسعة ابيات تجمع لك اصالة ناجي وانسانيته في سلم من المشاعر يمتد من لوعة الحرمان الى قناعة التصوف :

انـت

انـت ان تؤمني يعبى كفانـى
لا غرامـى ولا جمـالك فـان

اجدب الهجر خاطـرى وخيالـى
واجف النـوى دمى ولسـانى

فتعالى روى الظما فى عيونـى
واجنونى لقطـرة من حنـان !

طـال والله فى تنائيك ذلـى
ووقـوفى على ديـار الهـوان

اى روح احسـه ؟ اى سـر
فـى جناحيك كلما ظللانـى ؟

اى روح احسـه ؟ اى سحـر
سـكبت فى فؤادى العينان ؟

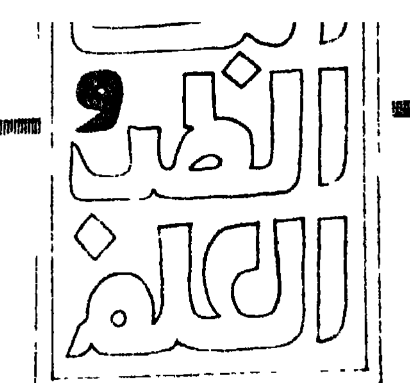
لـكان الرميم مـا تبعثـان !
وكان النشور مـا تسكبـان !

وكانـى معلـق فى سمـاء
ومطل منهـا على الاكـوان

مستعز بمـا منحـت ، قـوى
اجمع الكـون كله فى هنانـى

■■

شكري محمد عياد



اعداد : يوسف زعبلاوى

الاسراف فى المهدئات

● نشرت المجلة الطبية المعروفة British medical Journal مقالا حول الاثار المترتبة على تعاطى المهدئات Tranquilizers كالفاليوم والليبريوم .. وما اليهما من عقاقير مثل موجادون Mogadon ودالمن Dalmane .. وقد اشترك في كتابة المقال ، بل قل وضع التقرير ، عالمان هما الدكتور اندرو سميث والدكتور البروفسور وولنز . وكانت النتيجة الخطيرة التى توصلا اليها هى ان استعمال هذه المستحضرات المتزايد قد يؤدى الى الاصابة بالسرطان ..

وهذه نتيجة خطيرة حقا .. فقد اشتهرت هذه العقاقير حتى الآن بانها آمنة الى حد كبير ولاتهدد من يتعاطاهابسرطان او خلافه .. واشتهرت ايضا بانها غير ادمانية Non-addictive ، ومن ثم كان رواجها واقبال الكثيرين على استعمالها بقصد التغلب على الارق فضلا عن تهدئة الاعصاب ..

ونجمل فيمايلى بعض ما تضمنه المقال:

١ ـ يؤخذ على المهدئات انها تبعث على الاكتئاب ، وتسبب النعاس Drowsiness والتشويش Confusion .. وهى لاتصلح للمتقدمين فى السن، لا سيما الذين حرموا صفاء الذهن . ويذكر هنا ان المهدئات تزيد اثر الخمر تفاقما ..

٢ ـ المهدئات عقاقير لا ادمانية ، كما سبقت الاشارة .. الا انها كذلك بالمفهوم الفسيولوجى .. فحسب..ولكنها ادمانية بالمعنى السيكولوجى .. فهى تولد فيمن يتعاطاها الشعور بالحاجة اليها وعدم القدرة على الاستغناء عنها .. ولطالما عانى المرضى من القلق لدى التوقف عن استعمالها .. بالرغم من ان المدة التى تعاطوها فيها لم تزد فى بعض الاحيان على اسبوعين ...

٣ ـ ومن الاثار السيكولوجية الاخرى التى تسببها المهدئات احيانا الجنوح الى السلوك العدوانى Aggressive behaviour والميل الى الاحتلاس .. وقد دلت البحوث على ان ٩٠٪ من الحالات التى يضرب فيها الاباء ابناءهم يكون فيها الاباء خاضعين لأثر المهدئات .

وينصح الكاتبان فى ختام المقال بتجنب المهدئات فى حالتين اثنتين بالذات ، حالة الحزن بسبب الثكل grief from bereavement وحالة القلق المرضى .. فقد يؤدى استعمالها فى الحالة الاولى الى كآبة آجلة .. ولعل التحدث الى صديق أنفع واجدى فى الحالة الثانية .

بشرى لهواة التنس

● من المعروف ان كرة التنس تفقد شيئا من ضغطها بالاستعمال ، وتفقد بالتالي شيئا من مرونتها وتجاوبها ... لذا كان حرص هواة هذه الرياضة ومحترفيها على اللعب بكرات جديدة . ما أمكن ...

ولكن الفارق بالضغط ليس دائما في مصلحة الكرات الجديدة .. فكثيرا ما تكون الكرة القديمة اعلى ضغطا واصلح للعب من الجديدة ... ولو وجد جهاز لقياس ضغط كرات التنس لامكن التأكد من ذلك في الوقت المناسب .

والظاهر ان الجهاز المذكور قد أصبح في متناول اليد . في بريطانيا على الاقل .. فقد نجحت احدى الشركات البريطانية في تصميمه وتطويره ، في المدة الاخيرة .. وهو يعمل ببساطة .. اذ توضع كرة التنس تحت الجهاز ثم يضغط عليها به ، فيتحرك المؤشر ثم يقف عند رقم معين .. هو مقدار ضغط تلك الكرة .



حتى المصانع ..

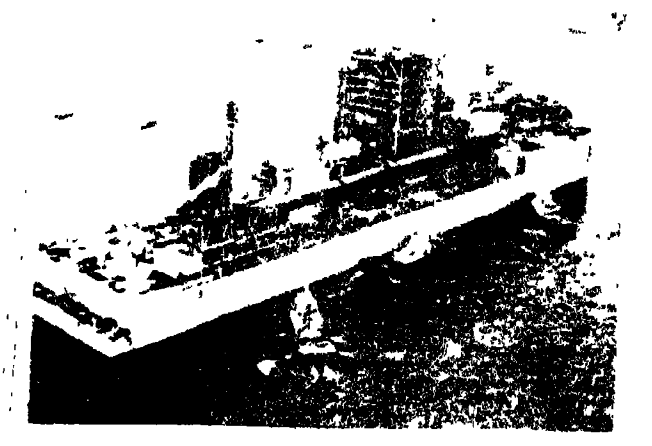
● ما زالت اليابان تسجل انتصار تلو الانتصار في ميدان الصناعة والتكنولوجيا .. وكان آخر مصنع لها المصنع العائم الذي انشأته احدى شركاتها — Ishikawajima Harima والمصنع المذكور معد لانتاج عجينة الخشب او الورق .. وهو عبارة عن سفينة على سطحين . تكمل احداهما الاخرى وتبلغ زنة الواحدة منهما ٠٠٠ر١٥ طن تقريبا . وقد بلغت قيمة هذا المصنع بشقيه ٢٣٠ مليون دولار .

اما الجهة التي صمم المصنع العائم وانشىء بناء على طلبها فشركة برازيلية .. وهي تنوي استثماره في غابات البرازيل . بالتحديد في حوض نهر

فكرة لتجميع الحرارة الشمسية

● تفيد اخر انباء الارض المحتلة ان العلماء الاسرائيليين قطعوا قفزة كبيرة في مجال استغلال الطاقة الشمسية . فقد نجحوا . على حد زعمهم ، في تطوير طريقة جديدة لتجميع حرارة الشمس ، تضمن الحصول على قدر كبير من هذه الحرارة بواسطة مجمعات او سطوح ضيقة المساحة نسبيا . ويقول هؤلاء العلماء ان مقادير الطاقة الكهربائية التي امكنهم الحصول عليها بطريقتهم تلك بلغت ٣٠٠٠ ميغاواط بالمتوسط سنويا ، اي ما يعادل نحو ٢٨ مليون برميل من البترول . وهذه مقادير كبيرة جدا تزيد قيمتها على ٥٥٠

صارت عائمة



جاري ، احد روافد نهر الامزون العظيم.

ولا يخفى ان فكرة المصانع العائمة هذه تبشر بحل بعض المشاكل التى كانت تعترض سبيل مشاريع التنمية والتصنيع .. من تلك المشاكل صعوبة بناء المصانع المتطورة فى مناطق نائية مختلفة ،كحوض الامزون .. ومنها صعوبة العثور على الايدى العاملة اللائقة فى مثل تلك المناطق .. اضف الى ذلك مشاكل الطقس ...

والظاهر ان الاسواق العالمية اقتنعت بجدوى المصانع العائمة مسبقا وقبل مضى الوقت الكافى لتقييمها .. فقد كثرت التوصيات التى تلقتها الشركة التى ذكرنا وشركات يابانية اخرى والتى تطلب انشاء عدد من المصانع العائمة ، تشمل فيما تشمل ، مصنعا للاسمنت ، واخر لتسييل الغاز وثالثا لازالة ملوحة ماء البحر .

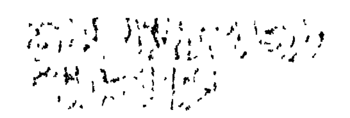
مليون دولار ، وتقدر باكثر من ضعفى الطاقة التى يستطيع توليدها المفاعلان الذريان اللذان سبق لاسرائيل ان سعت للحصول عليهما من الولايات المتحدة .

اما طريقة التجميع الجديدة فقوامها ظاهرة علمية بسيطة ، وان كانت خافية على الكثيرين . فالمعروف ان درجة حرارة مياه السطح فى البحيرات والاحواض تزيد على درجة حرارة المياه التى تلى السطح مباشرة .. هذا اذا كانت المياه عذبة ... اما اذا كانت مالحة .. فتنعكس القاعدة، كما اكتشف العلماء اليهود ، وتصبح المياه العميقة هى الاكثر من مياه السطح .

وترتفع حرارة المياه العميقة بتأثير الشمس ولكنها تبقى حيث هى ، فلا تتحرك وتصعد الى فوق لتحل محلها مياه السطح، كما هو منتظر ، وذلك لانها مثقلة بالاملاح ... وهكذا تصبح مياه السطح بمثابة طبقة عازلة تحول دون تبخر مياه الاعماق الساخنة .. وتصبح هذه المياه بمثابة مستودع لتجميع حرارة الشمس.. تتزايد فيه هذه الحرارة دون ان تتناقص. لا عجب اذن اذا أمكن الوصول بهذه الحرارة الشمسية المجمعة الى ١١٧ درجة مئوية ! كما يؤكد علماء العدو .

وتجدر الاشارة الى ان هذه التجارب اجريت فى مياه البحر الميت ، البالغ الملوحة ، والذى تقدر ملوحته بنحو ٧ اضعاف ملوحة المحيطات..وتبلغ مساحته حوالى ٤٠٠ ميل مربع . أما الغرض من اجرائها فغرض تجارى .. ذلك ان العلماء الذين يقومون بهذه التجارب انما يقومون بها لصالح شركة تجارية التزمت لدى الحكومة بتكييف وتدفئة فندق جديد كبير (١٠٠ غرفة) بواسطة الطاقة الشمسية .

■■



إمّا أن نحبّ ..
وإمّا أن نهلك

بقلم : منير نصيف

● انه لحن اجمل واشهى فاكهة ٠ والذ غذاء للعقل والروح والجسد ٠٠ انـه الحب ٠٠ لانه الدواء لكل داء ٠٠ وهو اكسير الحياة ٠٠ قال عنه احد فلاسفة الهند ٠٠ انه الحياة ذاتها !

اما عنوان هذا الكلام ، فهو اسم الكتاب يتحدث فيه كاتبه عن الحب ومعناه وتاثيره في حياة الناس ٠٠وهو ينتهي من كتابه بان الهـلاك هو المصير الحتمي لكل قلب لم يعد يخفق بالحب !

ولكن ما لون هذا الحب الذى عناه المؤلف في كتابه كثيرون هم هؤلاء الذين يفهمون الحب ؟ على انه فقط تلك العاطفة التي تربط بين الجنسين بين الرجل والمراة ! وهم لم يخطئوا ٠ ولكنهم ايضا لم يفهموا الحب بمعناه الكبير ٠٠

فالحب هو الحياة ٠٠ وفي التعريف العميق لهذه العاطفة التي نعيش بها ومعها ومن اجلها يقول ايمرسون: « انه تلك القدرة الغريزية التي تولد مع الطفل وتبقى معه حتى نهاية رحلة الحياة٠٠وهو القوة الخفية حينا والظاهرة حينا ، التي تدفعنا الى المضي في الحياة والاستمرار فيها ٠٠ وهي قوة تعبر عن نفسها بنفسها بفضل تلك الطاقة الهائلة التي تتجدد في القلوب والنفوس ٠٠ الحب يملا قلب الطفل وهو مازال رضيعة بين ذراعي أمه ٠٠ ومع دقات قلبها يخفق قلبه هو بالحب لهذه البذور التي غرستها الام في قلب صغيرها ، ينمو الحب وتتسع دائرته فيشمل افراد الاسرة كلها ، لم لا يلبث ان يخرج من هذا القلب الصغير مع خطوات الطفل الى العالم الواسع من حوله ، فتراه يحب اصدقاءه في المدرسة ٠٠ ويحب الارض التي انجبته ٠٠ وكل شيء يراه ويعرفه حتى لو كان جمادا بلا روح ، او حتى حيوانا طالما انه لايؤذيه٠٠الحب بين الطيور والحيوانات وكل المخلوقات على الارض ! » ٠

ابحث عن الحب !

يقول الدكتور سمايلي بلانتون عالم النفس Love or perish يقول :

« على مدى اربعين عاما التقيت خلالها بنماذج كثيرة من الناس ٠٠ ناس من كل الاعمار ٠٠ ومن كل الطبقات ، ممن جاءوا الي يحكون لي الامهم وآمالهم ٠٠ افراحهم واحزانهم ٠٠ ويكشفون لي عما في داخل نفوسهم ، وما في العالم الصغير من حولهم من مساوىء ومحاسن٠٠وخير وشر.استطعت ان اخرج بنتيجة واحدة ، او حقيقة ثابتة لم تتغير مع خاتمة كل قصة جلست انصت اليها ، وارقب انفعالات صاحبها وهو يروى لي فصولها ودقائقها انهم جميعا يبحثون عن الحب ٠٠ والعالم كله يتعطش للحب ٠٠ قد تكون كلمات هؤلاء الذين ساقتهم الامهم ومتاعبهم قد قالت اشياء كثيرة لا تمت الى النتيجة التي وصلت اليها بصلة ٠٠ ولكن رحلتي معهم داخل قلوبهم ورءوسهم كانت

تؤكد لي دائما هذه الرغبة التي يحملونها وان لم يحدثوني عنها .. كان السؤال الحائر في عيونهم وفي صدورهم هو هو لا يتغير : « لماذا لا نجد من يحبنا . لماذا طال بحثنا عمن نستطيع ان نعطيه حبنا ؟ » .

« وكنت اقول ان هذا الحب الذي يبحثون عنه. لم يفتقدوه كما تصوروا ، او صورت لهم اذهانهم .. فهو بينهم ، ومعهم ، وفي قلوبهم .. ولكن بسبب او لآخر لا يشعرون به ، أو لا يجدون من يشعرهم به .. أو لانهم لا يريدون أن يتركوه يتحرك وينطلق » .

كيف حدث هذا ؟ ولماذا افتقدوا الحب الذي جاءوا يبحثون عنه ، وكيف يجدونه ، وكيف يكون الحب ؟

كلها معان للحب !

والحب الذي حدثنا عنه الانبياء والشعراء والفلاسفة منذ مئات السنين هو نفس الحب الذي يحدثنا عنه علماء النفس المعاصرون .. نفس التعريف وان اختلفت الكلمات والمعاني .. فالحب كلمة حلوة .. أو هو ايماءة . أو هو عمل طيب .. او هو مال نقدمه لمحتاج ، او هو بسمة في يوم عاصف ، أو ذراع قوية تساند المظلوم والضعيف أو شمعة تضيء الظلام .. كل هذه معان للحب . وغيرها كثير ..

ولكن المهم ان نعرف كيف ومتى نتحدث بها ؟ روى سمايلي بلانتون قصة الشاب الذي جاءه يوما يشكو آلامه ومتاعبه مع الحياة .. وجلس الفتى أمامه يتحدث في صوت خفيض وكأنه يهمس به لنفسه . كان حائرا لا يعرف ماذا يقول . ولا من اين يبدأ..كانت ابتسامته التي يحاول ان يصطنعها في بعض الاحيان تخفي وراءها شعورا دفينا بالحزن لم يشأ ان يفصح عنه في هذه المرحلة على الاقل من لقائه مع الرجل الذي اختاره وجاء اليه حاملا معه متاعبه وآلامه .. ويقول الدكتور بلانتون : « وجلست استمع اليه على مدى ساعة كاملة .. وعندما توقف الشاب عن الحديث ، لم يستطع ان يقاوم الامه . فقد وجدته يخرج منديله من جيبه ليمسح به آثار الالم الذي امتلأ به صدره ..



يكره والده .. لماذا ؟

« وسادت فترة صمت بيننا ، ما لبثت ان قطعتها عندما احسست بانها قد طالت اكثر مما يجب ، ولكنني ما كدت ابدا حديثي معه حتى كانت المفاجأة التي لم اكن اتوقعها .. لقد صرخ الشاب في وجهي بصوت هستيري :

« انني اكرهك .. نعم اكرهك ولا اريد ان استمع الى كلمة واحدة مما تريد ان تقول ! !»

وادهشتني المفاجأة .. ولكنني تمالكت نفسي وعدت اسأله في هدوء : « انني لا الومك ، ولكن الا ترى ان من حقي ان اسالك عن سر كراهيتك لي ، وانت بالكاد تعرفني ؟ » .

وقال الشاب بلا تردد : « لانك تشبه والدي .. انني لم افطن لهذا الشبه الغريب بينكما ، الا عندما رفعت عيني وبدأت اتأمل وجهك وانت تبدأ حديثك معي ! » .

ـ انت اذن تكره والدك !

وانفجر الابن يبكي ويبكي : «اكرهه ، كما لم يكره ابن والده من قبل .. اكرهه ، ولكنني لا اعرف بالضبط لماذا اكرهه .. كل الذي اعرفه ، انني لا اكاد اشعر بعودته الى البيت ، حتى اسرع الى غرفتي واغلق بابها علي ، واغرق في كتبي :

ـ كنت تهرب من والدك اذن ؟ :

ـ نعم .. كنت اتحاشاه !!

ثم يكمل بلانتون القصة يقول : « ولم يكن من العسر بعد هذا ان ادرك اسباب هذه الكراهية التي يحملها الشاب لوالده .. فقد حكى لي جانبا من حياته في هذا البيت الذي يضم والديه وثلاثة

ابناء . تزوج اكبرهم وذهب ليعيش مع اسرته الصغيرة الجديدة .. وبقي هو وشقيقته الصغرى في البيت الكبير .. غريبين لا يشعر بوجودهما احد .. وربما كانت اخته اكثر حظا منه لقربها من من الام التى تتحدث لغتها وتفهم متاعبها .. اما هو .. مسكين هو . كان أشبه ما يكون بمن تاه في الصحراء واستبد به الجوع والعطش .. ولم يعد يرى الا سرابا بعد سراب ! قال انه لايشعر بان له ابا..له أم نعم . ولو انها هي ايضا قد ابتعدت .. منذ خمس أو ست سنوات مضت كانت تعتنى به وترعاه ويحس بشفتيها وهما تلثمان جبهته. وهي تتمنى له ليلة سعيدة .. اما الان فقد كبر .واصبح رجلا . وهو يستطيع ان يعتمد على نفسه .. هكذا تغيرت الصورة .. اما الاب فلم يكن يشعر به ابدا في اى مرحلة من مراحل حياته .. حتى في طفولته .. كان دائما مشغولا عنه بعمله .. كانت لقاءاته به في نهاية كل عام دراسي عندما تظهر نتيجة الامتحان .. وكان يعود الى البيت فورا . وهو يحمل ثمرة جده وتعبه .. ولكنه ابدا لم يفز باكثر من ابتسامة باهتة تظهر فجاة على وجه الاب لم لا تلبث ان تختفي .. بعد ان يلقى نظرة سريعة على الشهادة التى تسجل نجاحه وتفوقه ! !

كان الشاب المسكين يبحث عن الحب الذى حرمه منه والداه .. فقد كان يشعر انه يفتقد شيئا كبيرا .. شيئا هاما .. يفتقد الشعور بالرابطة القوية التى تربطه بالاسرة التى ينتمى اليها .. يفتقد الحب !

صورة الحياة وطعمها

يقول مؤلف الكتاب : « مثل هذا الاب لم يعرف الحب .. او ربما كان قلبه يمتلىء بهذه العاطفة ولكنه ابدا لم يترك لها منفذا تخرج منه . او انه لم يعرف كيف يعبر عن مشاعره تجاه احب واقرب الناس اليه .. ان الكلمة البسيطة الحلوة في الوقت المناسب . في المكان المناسب . يمكن ان تغير صورة الحياة وطعمها في رأس وفم اى انسان وتغير صورة العالم كله من حوله ! » .

وقد يحرم القدر الانسان من الحب : ولكنه يسوق اليه في الوقت نفسه قلوبا كثيرة امتلأت بالحب ... قلوبا على استعداد لان تعطى وتعطى وهي لا تنتظر اجرا على عطائها !

ويقوم بلانتون في كتابه برحلة داخل هذه القلوب .. القلوب التى حرمها القدر من الحب .. والقلوب التى عوضت هذا الحرمان ! وقد نجد في قصته مع الصبي الصغير الذى التقى به في احد ملاجىء الايتام حيث انتقل ليعيش فيه بعد ان مات والداه في الحرب . المعنى الذى يستهدفه من هذه القصة:.

ولكن لماذا هذا الصبي بالذات دون غيره وقد امتلأ الملجأ بعشرات غيره من الاطفال اليتامى ؟

لقد كان الصبي الصغير مصابا بشلل الاطفال.. وكان هو وحده دون غيره الذى وقع عليه اختيار السيدة التى جاءت الى الملجأ تبحث عن طفل تتبناه وتعطيه حبها ورعايتها .. ورق قلب السيدة . التى كانت تربطها بالطبيب العالم علاقة صداقة. للصبي المشلول . فهو الوحيد الذى لم يترك فراشه . ولم يتقدم ولم يطلب اليها ان تختاره . كما فعل باقى الاطفال في الملجأ الذين التفوا حولها !

وشدتها كبرياؤه ولكنها عندما اقتربت منه اكتشفت انها لم تكن كبرياء كما تصورت . وانما كان عجزا .. كان الصبي مشلولا !

مع الصبي المشلول !

وامسكت بيده ومدت له ذراعها يستند اليه وقصدا معا الى بيتها .. الى البيت الجديد الذى سوف يجد فيه الحب !

« كان هو في الثانية عشرة من عمره . وكانت امه قد جاوزت الخمسين ! وانقضت عشر سنوات على هذا اللقاء بين الام التى حرمت من الزوج والاطفال وبين الصبي الذى حرمته الاقدار من الحب . وتركته كسيحا في ملجأ .. وبيني !

« وانتهت القصة فصولا عندما لقيتها .. وكانت المفاجأة .. الام التى تقدم بها العمر تجلس على كرسي متحرك .. وشاب انيق يدفع الكرسي امامه وسط الحديقة الواسعة الجميلة التى تتوسط البلدة . « والام وابنها » يبتسمان للحياة الحلوة من حولهما .. وحيتني . فقد كانت صداقتنا طويلة قديمة !

— ماذا اصابك . من هذا الشاب ؟

— انه ابني الذى وجدته منذ عشر سنوات .. هل تذكر ؟

معجزة صنعها الحب

ثم نظرت الى ابنها فى حنان وطلبت اليه ان يجمع لها بعض الزهور من الحديقه . وكان واضحا انها تريد ان تبعده حتى لا يسمع ما سيدور من حديث بينها وبين صديقها الطبيب !

قالت : « لقد اصيبت بالفالج منذ عامين .. وليس هذا هو ما اريد ان اقوله .. ولكننى اريد ان احكى لك قصتى مع الصبى المشلول الذى اصبح اليوم رجلا ! لقد احببته كما تحب كل ام طفلها وصغيرها .. اعطيته عطفى وحنانى .. ولكننى لم انس ايضا ان اجعله يشعر انه رجل، واننى اعتمد عليه . لقد حدثت المعجزة فى يوم عاصف ممطر .. لقد عصفت الريح بالبيت . وحطمت النافذة الصغيرة المطلة على الحديقه .. واحس الصبى بالجرح الذى اصابنى . وكانت الام المرض قد اشتدت بى واصبحت عاجزة عن الحركة .. واشتد زئير الريح بعد ان وجدت لها منفذا داخل البيت .. والتقت عيوننا فى فزع .. ماذا نصنع ؟ وفجاة وجدته يزحف على ساقيه ، ثم يحاول ان ينتصب قامته ويعتمد على المقاعد ثم يندفع بكل ثقله الى النافذة الصغيرة ويحكم اغلاقها !

ومددت ذراعى احتضنه .. وعندما ذهب الى المستشفى التى كان يعالج فيها وحده بعد ان هدأت العاصفة .. قال له الطبيب المعالج .. لقد شفيت يا بنى ! »

وكان الابن قد عاد فى هذه اللحظة ، وهو يحمل فوق صدره باقة من الزهور قدمها لامه » . واسرعنى يلثم يدها بكل الحب الذى امتلأ به قلبه !

زوجتى الجميلة !

وفى لقائه مع الزوجة الرقيقة التى جاءته يوما الى عيادته ، تروى له حكايتها مع الزمن.. يقول بلانتون : « لقد احسست بعد ان انهت حديثها معى اننى اريد ان اترك عيادتى وانطلق لابحث عن هذا الزوج الذى شاركته حياته لاشد على يده مهنئا .. واقول له انت اعظم من عرفت من الرجال !

قالت ودموع السعادة تملا عينيها .. كنت اجلس امام مرآتى الصغيرة فى ذلك اليوم الذى كنت احتفل فيه بعيد ميلادى الخامس والاربعين.. ولاول مرة ، طالعتنى تلك الاثار القديمة التى يتركها الزمن .. لقد ولى الشباب ولن يعود .. وهل هناك اقسى من هذا الشعور الذى ينتاب المراة ، عندما ترى بعينيها انها لم تعد الفتاة الجميلة الشابة التى احبها زوجها واختارها دون سائر النساء لتصبح زوجة له !

« وودعت زوجى وهو يستعد لمغادرة البيت الى عمله فى الصباح .. ولم ينس ، فقد طبع على وجهى قبلة وهو يقول : « كل سنة وانت طيبة!»

وعاد اليهــا الشباب

وفى المساء كنت اقف وسط ابنائى حــول الكعكة التى اعدوها لى ، فى انتظار عودة والدهم من عمله ... وجاء اخيرا .. ولم يكن يحمل معه. او مع غيره شيئا كما توقعت ! كان يعرف اننى فى حاجة الى ثلاجة جديدة بدلا من الثلاجة القديمة التى مضى عليها اكثر من عشرين عاما !وانتابنى شعور بخيبة الامل !

ولكننى نسيت كل شىء عن الهدية التى كنت اتوقعها ، وانا استمع اليه والى ابنائنا وهــم يتمنون لى عيد ميلاد سعيدا !

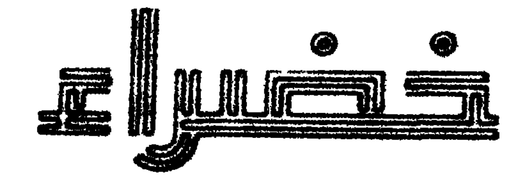
واقترب منى زوجى ، واخرج من جيبه لفافة صغيرة ، وقال : « هذه هديتك يا حبيبتى ! »

« وفضضت اللفافة ، وكانت المفاجاة .. علبة انيقة بداخلها عقد جميل من الذهب المرصـــع بالماس ! واسرعت الى مراتى ، وقد امسك هو بطرفى العقد يحاول تثبيته حول عنقى .. ونظرت الى وجهى فى المراة .. نفس الوجه الذى طالعنى هذا الصباح وافزعنى ما رأيت فيه .. لقد اختفت التجاعيد .. وامتلأ وجهى الذى كان يقترب من الشيخوخة بالحب والحياة ، وعدت شابه مــن جديد !

ماذا حدث ؟ لقد قالت لها الهدية الصغيرة ما كانت تتوق الى سماعه .. قالت لها : « انت ما زلت شابة ما زلت جميلة .. ما زلت فتاتى الصغيرة الحلوة التى عرفتها منذ اكثر من ربع قرن من الزمان . ! » ■■

اعرف وطنك
ايها العربي

تونس
من اجل هذا هي
خضراء

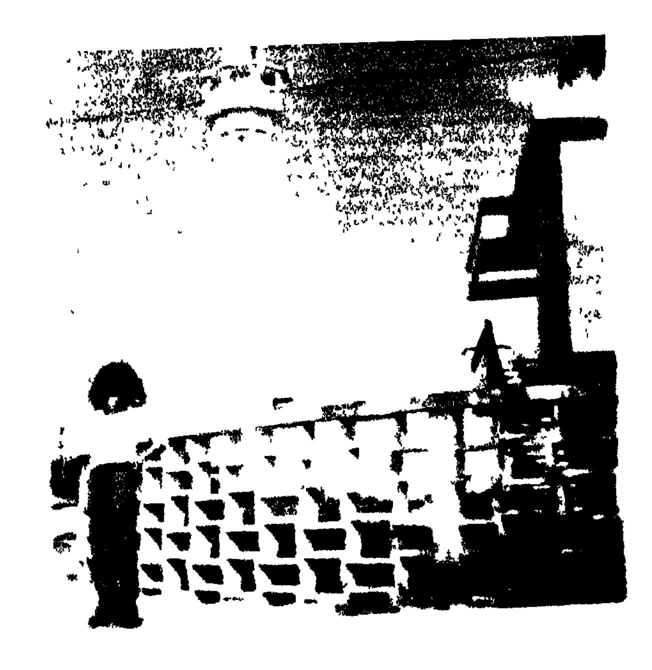


استطلاع بقلم :
منير نصيف

تصوير :
حسن الصفار

(تحت) الفلاحة التونسية مع الفأس في وادي مجردة .. في الارض الواقعة على جانبي النهر الذي يحمل الوادي اسمه ، وهو ينبع من منطقة جبال اوراس في الجزائر ويجري في سهول تونس

مسجد الجبية فى قلب احدى قرى الوادى .. وبجوار المسجد مركز للارشاد الفلاحى ومحل تجارى وقاعة لاجتماعات الفلاحين ومستوصف وجمعية تعاونية لامداد الفلاح بالبذور والاسمدة واخيرا وحدة بيطرية علاجية .







(فوق) المحطة الجديدة لسحب المياه وضخها في وادى مجردة ، وقد اقيمت منذ عامين بعد حصول تونس على قرض من صندوق التنمية الكويتي .. المضخات تسحب المياه وتدفع بها الى حوض كبير يرتفع عن سطح الارض بحوالى خمسين مترا ، ومنه الى الارض المستصلحة ..

● العون الاقتصادي : ومستقبل اخضر اسرات

■ ما الذى يثير اهتمامنا ببلد معين ٠٠ بقطر بذاته ٠٠ ببقعة من الارض دون غيرها ؟ الاقتصاديون عندهم اجابة محددة على هذا السؤال ٠٠ العمل ٠٠ والعمل الجاد المثمر من اجل مستقبل افضل ٠٠ فنحن عندما نرى السواعد تتحرك والايدى تعمل والجباه تعرق ، نتذكر على الفور ما قاله روسو : « الشعب الكادح لا يموت ٠٠ ! »

وما دام الانسان يعمل ، وما دام الانسان يسعى ، فسوف يجد دائما يدا تعاونه ، ويدا تساندة وتشد من ازره ٠٠ وفى العمل الجماعي يكتشف العامل دائما معنى الحياة ٠٠ فما الحياة ؟ انها تعاون ومشاركة من اجل غاية وهدف ٠٠ اذا بلغناهما ، حققنا معهما رسالتنا فى الحياة٠

الذى يشدنا اذن الى قطر معين ، هو العمل ، وهو العزم والتصميم على استكمال هذا العمل مهما كان حجمه ، ومهما كان الجهد الذى يتطلبه، ومهما كان الثمن ٠٠

وفى الاقطار العربية اليوم عمل كبير وكثير٠٠ وهو عمل ما كان ليبدا ويخرج الى النور ، الا بعد ان عادت الارض الى ابنائها ، وبدات الشعوب العربية تجد نفسها ، وتحدد معالم طريقها نحو غد اكثر رفاهية واشراقا ٠٠

والى تونس حيث يجرى العمل منذ سنوات ما بعد الاستقلال ، وبلا توقف ، من اجل اعادة بناء هذا القطر العربى الشقيق ، ذهبنا لنرى ماذا صنعوا ويصنعون لبلادهم ٠٠ وعندما يكون الحديث عن تونس ، فلا بد ان تضع وراء اسمها مباشرة تلك الصفة المميزة ٠٠ تونس « الخضراء » ٠

لماذا هى خضراء ؟ وهل هى وحدها التى تنفرد بهذه الصفة ؟ سؤال خطر لنا ونحن نقترب بالطائرة من اجوائها ٠٠ ولكننا لم نتوقف عنده طويلا ، فقد كانت ارض تونس تقترب من تحتنا ونحن نحلق فوقها ٠٠ وعرفنا لماذا هى خضراء ؟ فقد كانت الارض مكسوة على امتداد البصر بهذا اللون الاخضر الجميل ٠٠ لون الزرع ٠٠ لون الحياة ٠٠ مشهد تراه فى العديد من بلاد الدنيا ٠٠ بل قل فى معظمها ٠٠ فالعالم كله يتجه اليوم الى الارض ٠٠ الى كل شبر فيها يفلحه ويزرعه ٠٠ ففى ترابها قوت اليوم والغد المجهول ٠

وفى تونس العاصمة ، بدات رحلتنا مع العمل الذى سمعنا وقرانا عنه ، فجئنا نسجله ونستمع الى قصته ٠٠ ما هى ، وكيف بدات ؟

الاسرة ٠٠ والبناء

قال لنا حسان بلخوجة وزير الفلاحة التونسي: كل عمل له بداية وله قصة ٠٠ وقد كان العمل هدفنا بعد ان تحررنا ، وبعد ان نفضنا عن انفسنا تراب الاستعمار الذى ظل جاثما فوق صدورنا عشرات السنين ٠٠ بدانا وحدنا فى بناء تونس من جديد ٠٠ وكانت البداية صعبة ٠٠ كنا اشبه ما نكون باسرة صغيرة راحت تشيد بيتا ٠٠ ثلاثة او اربعة من الابناء ، وقد انهمك كل واحد منهم بعمل معين ، وراح يعمل فى هدوء وحماس وفى حدود الامكانيات المتاحة لهم مضوا يعملون ٠٠ ولكنهم ما لبثوا ان احسوا فى مرحلة او فى اخرى انهم فى حاجة الى مساعدة حتى يتمكنوا من انجاز الذى بداوه ٠٠ ولم تطل وقفتهم ٠٠فقد جاء الاشقاء العرب والاصدقاء من غير العرب ، وراوا باعينهم حجم العمل الذى يضطلع به افراد الاسرة الصغيرة من اجل حياة افضل ، فسارعوا يمدون اليهم يد العون ٠٠ فى بعض الاحيان كانوا هم يجيئون وفى احيان اخرى كنا ننقل اليهم الصورة بكل تفاصيلها ودقائقها ، وفى الحالتين ، كانوا دائما عونا لنا وسندا لجهودنا فى عملية البناء التى بدات صغيرة ، ثم اخذت تكبر وتكبر مع الايام ٠٠



المنصف المقتصرى المسئول عن التنسيق بديوان الفلاحة ٠٠ الزراعة ايضا هى المستقبل لا الصناعة وحدها ، وفى تونس اليوم ستة ملايين ونصف مليون هكتار صالحة للزراعة، اى بمعدل هكتار لكل فرد ٠٠



الارض .. والزرع .. والريف .. كلها في هذه الصورة.. مجموعة من راقصات الفولكلور ، الفن الشعبي التونسي .. الملابس ، الحركات الايقاعية ، والموسيقى مستوحاة من حياة المرأة في الريف .

أليست هذه هي قصة العلاقة التي تربط الانسان بالمجتمع الصغير والمجتمع الكبير من حوله ؟

زراعة وصناعة وسياحة

وقد تعددت ، كما رأينا ، الاتجاهات التي سار فيها العمل البناء في تونس .. زراعة وصناعة وسياحة .. ولكن بقيت الزراعة دائما ، وسوف تبقى الاصل الذى تقوم عليه عملية تطوير المجتمع ، وتوفير المقومات الهيكلية لهذا المجتمع .. يكفى أن نعلم أن ٧٣ ٪ من الذكور يشكلون أكثر من نصف سكان تونس ، فالاناث عندهم أقل ، يعملون في الزراعة .. وان نصف أراضي تونس التي تبلغ مساحتها الاجمالية ١٦٤ الف كيلومتر مربع ، هي أرض منتجة ، يعيش فيها ما يقرب من ستة ملايين نسمة ، هم كل سكان هذه البلاد وفقا لآخر احصاء اجرى في عام ١٩٧٦ .. وهذه المساحة المنتجة أو المزروعة بمقاييس اخرى تساوى ستة ملايين ونصف مليون هكتار .. اى بمعدل هكتار لكل فرد تقريبا ..

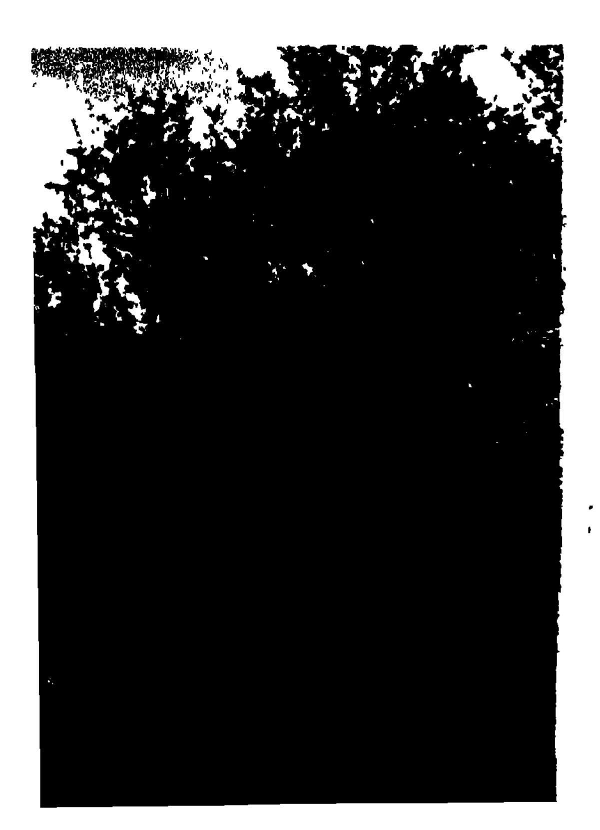
احياء وادى مجردة

ونترك الاحصائيات والارقام ، ونبحث عن المشروعات الزراعية في تونس .. ويحدثوننا عن عشرات بل مئات المشاريع التي قامت في طول البلاد وعرضها .. ولكننا ، كما يحدث دائما وجدنا انفسنا قد توقفنا عند احدثها .. فليس من الممكن عمليا ان نغطي في جولتنا القصيرة هذه كل مشروع زراعي في تونس الدولة ..

والمشروع الذى تخيرناه ، هو مشروع احياء وادى مجردة في تونس العاصمة .. وانطلقنا الى الريف القريب ، الذى لا يبعد عن العاصمة باكثر من أربعين كيلومترا .. ووادى مجردة ، هو الارض الواقعة على جانبي النهر الصغير الذى يحمل الوادى اسمه ، وينبع من منطقة جبال أوراس في الجزائر ، ويجرى في الاراضي التونسية حتى يصب في البحر المتوسط .. وتبلغ مساحة الوادى حوالى ٣٠٠ كيلومتر طولى ، ومساحة الارض التي تم احياؤها ٣٢ الفا و ٥٣٧ هكتارا .. وقد تمثلت عملية الاحياء في تطبيق قانون الاصلاح الزراعي الذى يسمح للفلاح بامتلاك الارض بعد أدنى أربعة هكتارات ، حتى خمسين هكتارا ، وهو الحد الاقصى للملكية الزراعية ، على ان يقوم بتسديد قيمتها على اقساط لمدة عشرين عاما .

وشملت عملية احياء الوادى بطبيعة الحال

٠٠ لقد بلغت مساحة الارض التى تم احيازها اكثر من ٣٢ الف هكتار ٠٠ وتمثلت عملية الاحياء فى تطبيق قانون الاصلاح الزراعى الذى يسمح للفلاح بامتلاك الارض بحد ادنى اربعة هكتارات ، وتزيد هذه المساحة حتى تصل الى خمسين هكتارا وهو الحد الاقصى للملكية الزراعية ٠





نهر مجردة وهو يقع على بعد اربعين كيلو مترا من تونس العاصمة .. وهو نهر صغير ، ولكنهم استطاعوا ان يستغلوا كل قطرة مياه يحملها النهر الى الارض الطيبة .

اشجار الزيتون في الوادى .. وتشتهر تونس بزراعة الزيتون وتبلغ مساحة الارض المزروعة اشجارا مثمرة في مجردة حوالى ٤ الاف هكتار زيتونا ،والباقى خوخ ومشمش وتفاح وكمثرى.

بناء السدود على نهر مجردة وفروعه الصغيرة ، واقامة خزانات المياه للاستفادة من كل قطرة ماء زائدة ، وشق الترع والقنوات لتوصيل مياه الري الى الارض الطيبة عن طريق الانحدار الطبيعي للارض حينا ، والمضخات الكهربائية احيانا ، ثم اقامة المصارف لتخليصها من المياه الزائدة والراكدة ..

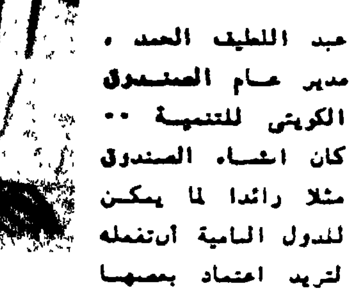
ومع الزراعة وعليها ، قامت مزارع تربية المواشي والدواجن، والصناعات التي تعتمد اساسا على الزراعة .. وقبل هذا كله وبعده شيدت الوحدات السكنية الحديثة في قلب الريف ، حيث يعيش الفلاحون الذين احبوا الارض وارتبطوا بها وقضوا حياتهم ينثرون الحب والعب في ارضها ، ويجنون ثمار كدهم وعملهم .

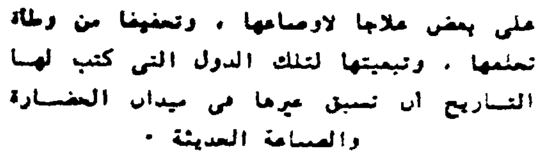
القصة .. وكيف بدات

راينا العمل الان وقد بدأ صغيرا وهو يكبر ويكبر في الوادي الذي اهتمت الدولة باحيائه منذ فجر الاستقلال .. فانشات « ديوانا » في عام ١٩٥٨ يتمتع بالذاتية القانونية والاستقلال المالي، مهمته تنفيذ هذا المشروع ، وهو يتبع وزارة الفلاحة التونسية .. وامتدت صلاحيات « الديوان » فشملت الاراضي التي تم استرجاعها من المزارعين الاجانب طبقا للقانون الصادر في ١٢ مايو من عام ١٩٦٤، والذي خلص البلاد من آثار الاستعمار في الميدان الزراعي ، وكذلك الاراضي الخاصة التي ادمجت في المشروع وتم تجهيزها بنفس الطريقة التي جهزت بها الاراضي المسترجعة مع تعديل في مساحاتها وحدودها ، قبل ان تعاد الى اصحابها مرة اخرى لاستزراعها والافادة منها بعد مشاركتهم في نفقات التجهيز والاعداد .. اما الاراضي التي استرجعتها الدولة من المزارعين الاجانب ، فقد تم تقسيمها وتمليكها لصغار الفلاحين ..

ثم ماذا ؟

مع الجهود التي بدات من اجل اتمام هذا المشروع ، احس أبناء تونس بالحاجة الى المساعدة .. وكان طبيعيا ان يتجهوا الى اشقائهم العرب .. وفي دولة الكويت ، ومع الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ، بدات المباحثات على ضوء الآثار الاقتصادية المترتبة على تنفيذ





عبد اللطيف الحمد ، مدير عام الصندوق الكويتي للتنمية .. كان انشاء الصندوق مثلا رائدا لما يمكن للدول النامية أن تفعله لتزيد اعتماد بعضها على بعض علاجا لاوضاعها ، وتخفيفا من وطأة تخلفها ، وتبعيتها لتلك الدول التي كتب لها التاريخ أن تسبق غيرها في ميدان الحضارة والصناعة الحديثة .

هذا المشروع من زيادة في مستوى الدخل القومي ، وتاثير هذا على ميزان المدفوعات وحسابات الدولة، وكذلك الآثار الاجتماعية ومن بينها زيادة العمالة ورفع مستويات المعيشة .. وهي بعض الشروط التي يجب ان تتوفر في اي مشروع يموله الصندوق الكويتي للتنمية الذي احتفل في نهاية هذا العام ١٩٧٧ بمرور خمسة عشر عاما على تاسيسه .

وليس المجال هنا ، مجال حديث عن الصندوق وعن المساعدات التي قدمها ويقدمها للدول العربية وغير العربية الآخذة باسباب التقدم والنمو ، فرسالته معروفة محمودة ، وقد حملها بامانة خلال سني عمره التي ارتبطت بالكويت المستقلة .. فهو قد قام في نفس اليوم الذي اعلنت فيه دولة الكويت استقلالها ، يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٦١ وكان قيامه اعلانا آخر بمولد « الدولة الخيرة ».

١٥ سنة من العمل المثمر

ولعلنا نجد في بعض ما قاله مدير عام الصندوق الكويتي للتنمية ، عبد اللطيف الحمد بمناسبة الاحتفال بمرور ١٥ سنة على انشائه ، هذا المعنى الذي ذهبنا اليه : « لقد كان للصندوق خلال سنوات عمله دور ملموس .. فقد كان انشاؤه مثلا رائدا لما يمكن للدول النامية ان تفعله لتزيد اعتماد بعضها على بعض علاجا لاوضاعها وتخفيفا من وطأة تخلفها وتبعيتها الاقتصادية لتلك الدول التي كتب لها التاريخ ان تسبق غيرها في ميدان الحضارة والصناعة الحديثة .. لقد كان الصندوق عند تاسيسه ، النموذج الوحيد لجهاز تمويل اسسته دولة نامية غير صناعية للاسهام

فى الجهود الانمائية المبذولة فى دول غير صناعية اخرى ، ان تاسيس الصندوق ، ثم التوسع المطرد فى موارده ونشاطه ، مظهر من المظاهر العديدة التى صاحبت حلول عهد النفط فى شبه الجزيرة العربية .. ذلك العهد الذى بدا بتغيير واضح فى المعالم المميزة للمنطقة ثم انتهى كما هو معروف بتغيير كبير فى ميزان القوى الاقتصادية منذ عام ١٩٧٤ .

« ان الاقتصاديين يتحدثون اليوم عما يسمونه » بالاعتماد الجماعى على النفس ، والمقصود به تعاون اكبر عدد ممكن من البلاد النامية فى تحقيق التنمية الاقتصادية أو الاجتماعية فيها باقل قدر من الاعتمادعلى موارد اخرىخارج نطاق هذه المجموعة ... وانشاء الصندوق الكويتى للتنمية منذ خمسة عشر عاما ، هو تطبيق حقيقى لهذا المبدا الذى لم يتحدثعنه الاقتصاديون الا فىالآونة الاخيرة .. فالكويت صاحبة الصندوق ، دولة نامية ،وهدفها من خلالهذا الصندوق ، هو تقديم العون الاقتصادى للبلاد النامية الاخرى .

بين الاشـــقاء

ونعود الى موضوعنا ، قلنا : « واتجهت تونس الى شقيقتها الكويت ، وبدات المحادثات ، واتخذت كل الخطوات والاجراءات التى تسبق عادة تقديم المساعدات للدول التى تطلبها من اجل المضى فى مشروعاتها الحيوية واتمامها.وكان مشروع احياء وادى مجردة على مرحلتين .. وتم توقيع الاتفاقية الخاصة بالمرحلة الاولى فى يوم ٦٤/٣/٢٦ ، وقدم الصندوق بمقتضاه قرضا لتونس قيمتـه مليونا دينار كويتى بفائدة قدرها ٣٪ لمدة ٢٥ سنة .. وتم توقيع الاتفاقية الخاصة بها فى ٧١/٦/١٩ ، ومضى العمل قدما ، الى ان بدات المرحلةالثانية، وقدم الصندوق قرضا ثانيا لتونس ، قيمته ثلاثة ملايين و٢٠٠ الف دينـار كـويتى ، بنفس سعـر الفائدة الاول ولمدة ٢٦ سنة .

وفى نفس الوقت الذى حصلت فيه تونس على هذين القرضين من الصندوق الكويتى للتنمية ، لانجاز هذا المشروع الزراعى الكبير ، قدم البنك الافريقى للتنمية ، وكذلك البنك الدولى ، قرضين آخرين مساهمة منهما فى استكمال المشروع الذى دخل مرحلة الانتاج . وستبلغ تكاليفهعند الانتهاء منه ١٢ مليونا ونصف مليون دينار تونسي (حوالى سبعة ملايين دينار كويتى) ..

مثل«للاعتماد الجماعىعلى النفس» «الامتداد.للتنمية»

الزراعة ... الزراعة

والحديث عن الزراعة والمشروعات الزراعية فى تونس ، حديث طويل متشعب ، لا يلبث المرء ان يجد نفسه عند الخوض فيه ، وقد حمله فى كل الاتجاهات فى شتى مجالات العمل ... فكل مشروع فى تونس ، يهدف فى النهاية الى خدمة الارض والعاملـين فوقها .. الى مـزيد مـن استصلاح الاراضى واستزراعها وتطوير وسـائل العمـل والانتاج فيها ...

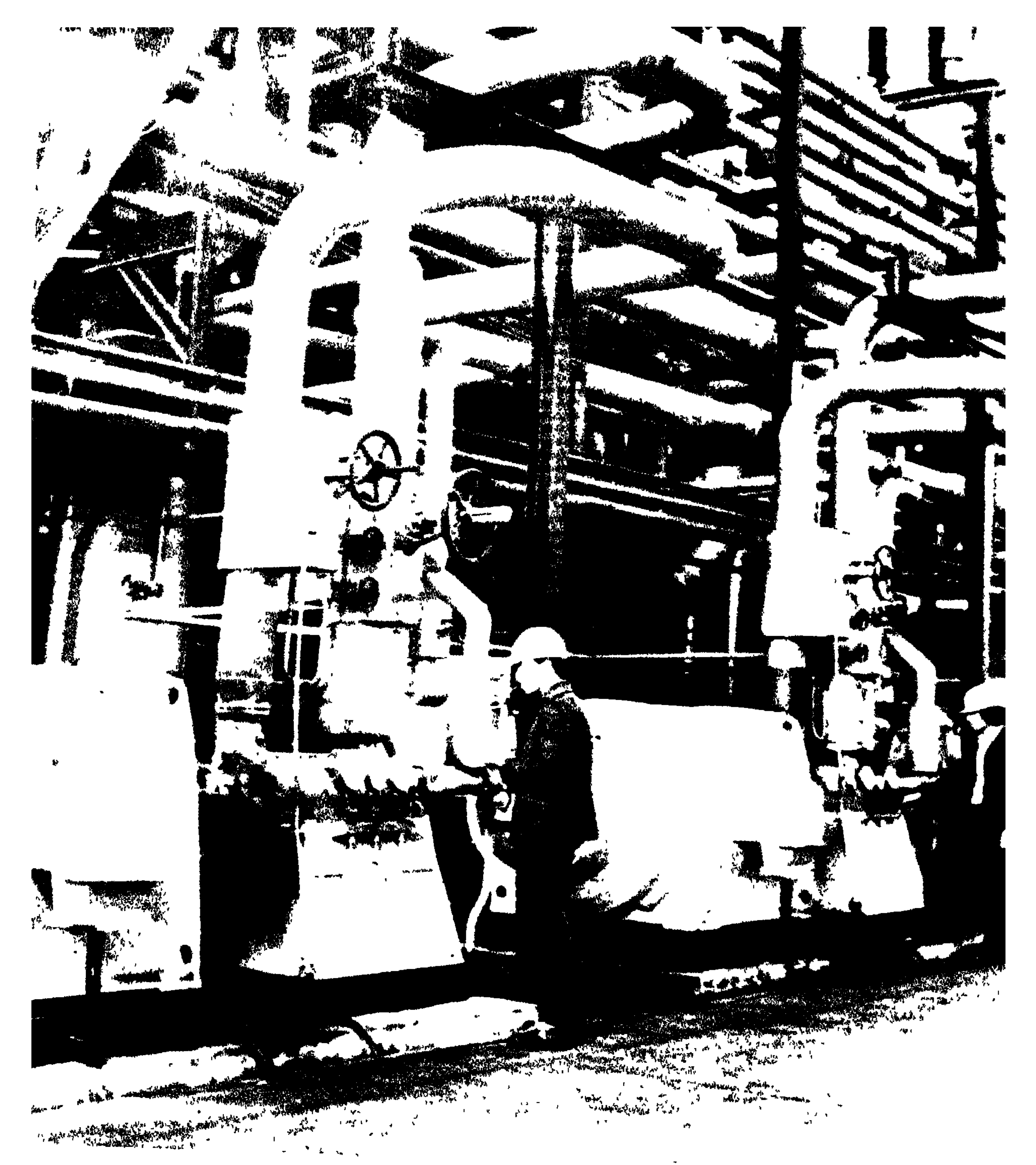
وعندما سالنا السيد محمد العـريبى الرجـل المسئول عن وكالةتطوير التمويلاتاو الاستثمارات عن اهم ما يشغل تونس اليوم وهى ماضية فى طريقها نحو النمو الاقتصادى والاجتماعى . قال: « الزراعة .. ومزيـد مـن الزراعـة . وليس صحيحا ان الصناعة قامتفى تونسونمتعلىحساب الزراعة ، كما حدث ويحدث فى بعض البلدان النامية .. فالعكس هو الصحيح .. ان الصناعة عندنا قد ساعدت على ميكنة الزراعة والانتقال بها الى مجال التطور الحديث ، وخاصة بعد ان هجر الارض العديد من الفلاحين الذين انتقلوا الى المدن للعمـل فى مصانعـها ، وهى ظاهـرة طبيعية عانت منها كل الدول الناميـة المتقدمة على السواء ، لا لان الصناعة تدر ربحا اوفر ،



المهندس الصادق بحرون .. مدير عـام شركـة الكهـرباء والغـاز فى تونس.. هدفنا توصيل الكهـرباء الى جميـع قـرى تونس الصغيـرة والكبيرة .



فلاحة تونسية بالملابس الحديثة تطعم دجاجاتها فى بيتها الريفى بوادى مجردة .. لقد دخلت الكهرباء الريف ، وأنارت القرى القريبة والبعيدة بفضل محطات توليد الكهرباء الحديثة ..



▶ شبكة نقل وتوزيع الكهرباء من مولد حلق الوادى الذى يعد ثانى اقوى المولدات الكهربائية فى مختلف انحاء تونس .وتبلغ قوة التوربينات الاربعة فى المحطة ١١٠ ميجاوات ، وانتاجها السنوى ٧٠٠ مليون كيلو وات فى الساعة ، وهو ما يوازى نصف استهلاك تونس من الكهرباء .

▲ احد المولدات الاربعة التى تعمل بالبخار فى المحطة الكهربائية بحلق الوادى ، وقدرة كل منها ١١٢ طنا فى الساعة فى درجة حرارة ٥٠٠ درجة مئوية ، و ٦٥ جرام ضغط فى كل سنتيمتر مربع . ويعمل فى صيانة وادارة المولدات ١٥٠ عاملا وثلاثة مهندسين فى الموقع، كما ان هناك مائتى مهندس ومهندس

ولكن لانها توفر دخلا ثابتا وسريعا ٠٠ بينما يمضي الفلاح عمره كله ينتظر ٠٠

٢٠٪ فقط من الدخل القومي

ثم يقول السيد العريبي : « ان تونس بلد زراعي في المقام الاول ، وبالرغم من ان اكثر من ٥٠٪ من الايدي العاملة ما زالت تعمل في الزراعة ، حتى بعد قيام حركة تصنيع ، الا ان دخل البلاد من الحاصلات الزراعية لا يشكل اكثر من ٢٠٪ من مجموع الدخل القومي ٠ ونحن لن نستطيع ان نحقق نتائج افضل الا عن طريق تصنيع الزراعة ٠٠ ونحن نقوم الان باجراء اتصالات مع بعض الدول المتقدمة لانجاز المشاريع الصناعية في الميدان الزراعي ٠٠ ان هناك ما يزيد على المائتي مشروع تقوم بها شركات اوربية وامريكية في تونس ٠٠ ولكن هل تعلمون اين يذهب انتاج هذه الشركات النابع من ارضنا العربية ؟ ان هذه الشركات تقوم بتصديره الى الدول العربية الشقيقة ٠٠ تستطيعون وحدكم ان تستخلصوا النتيجة ! كم تمنينا لو ان الاشقاء العرب هم الذين نفذوا هذه المشروعات في ارضهم وبلدهم٠٠

هل معنى هذا ان الدول العربية الغنية لم تسهم في اى مشروع صناعي في تونس ؟

١٣ مليون دينار كويتي

والجواب بالارقام في تونس يقول ان دولة الكويت وحدها ممثلةفي الصندوق الكويتيللتنمية الاقتصادية العربية قد ساهمت بمبلغ ثلاثة عشر مليونا منالدنانير الكويتيةفيمجالالصناعةوالكهرباء وحدهما منذ ان تأسس الصندوق قبل ١٥ عاما ٠٠ وكانت المساهمة في صورة قروض طويلة بفائدة لا تزيد على ٤٪ سنويا ٠

في مجال الكهرباء وحده ، قدم الصندوق ثمانية ملايين ونصف مليون دينار لتنفيذ مشروع كهرباء حلق الوادى الذى يقع على بعد بضعة كيلومترات من تونس العاصمة ، قال لنا السيد الصادق بعرون المدير العام لشركة الكهرباء والغاز : « ان هذا المولد الكهربائي ، يعتبر ثاني اقوى المولدات الكهربائية العشرة المنتشرة في مختلف انحاء تونس ٠٠وهو يحوى اربعة توربينات استوردناها من فرنسا والمانيا الغربية ، وتبلغ قوتها مجتمعة ١١٠ ميجاوات وانتاج المحطة



المهندسة ربيدة ، اول امراة عملت في مشروع كهرباء حلق الوادى الذى بدأ العمل فيه عام ١٩٦٣ ٠٠وهي الان مديرة توزيع الطاقة الكهربائية في تونس ٠٠ المرأة التونسية اثبتت وجودها في شتى مجالات الحياة العامة ٠

الكهربائية السنوى ٧٠٠ مليون كيلو وات في الساعة ، او ما يقارب نصف استهلاك تونس من الكهرباء ٠٠ »

حكاية حلق الوادى

ويمضي السيد بعرون يروى لنا قصة هذا المولد الكهربائي : « لقد بدات المرحلة الاولى لبناء المحطة في عام ١٩٦٢ وانتهت في عام ١٩٦٥ اى بعد ثلاث سنوات من بدء العمل فيها ٠٠ وبلغت تكاليفها سبعة ملايين « دينار تونسي » وساهم الصندوق الكويتي للتنمية خلال هذه المرحلة بمبلغ اربعة ملايين « دينار كويتي » ، قدمها لنا قرضا يسدد بعد ١٥ سنة بفائدة قدرها ٤ ٪ ٠

وبدات بعد ذلكالمرحلة الثانية في عام ١٩٦٥، وانتهت في عام ١٩٦٨ وتكلفت ثمانية ملايين « دينار تونسي » ، وساهم فيها الصندوق الكويتي مرة اخرى بمبلغاربعة ملايين ونصف مليون دينار وبنفس شروط القرض الاول ٠٠

ثم يقول : « انني اعتقد ان محطة توليد الكهرباء في حلق الوادى من اهم المنجزات التي حققناها ، يكفي ان تعلموا ان الطلب علىالطاقة الكهربائية يتزايد بنسبة ١٢٪ كل عام ، لتغطية استهلاك المصانع والمباني الجديدة للاسكان في الحضر ٠٠ ولكن هناك جانب اهم ٠٠ هناك الريف ٠٠ اننا نولي الريف اهتماما خاصا في هذه المرحلة من مراحل البناء والتنمية في بلادنا ٠٠ او في نطاق الخطة الخمسيةالتي بدات هذا العام ١٩٧٧ وتنتهي في عام ١٩٨١ ٠٠

وتستهدف الخطة اول ما تستهدف توصيل الكهرباء الى جميع القرى التونسية الصغيرة والكبيرة ، وبذلك يتحقق مشروع انارة الريف التونسى كله .. »

كل مشروع جديد فى النهاية يتصل ـ كما ذكرنا ـ بالزراعة من قريب او من بعيد .

هل انتهى الحديث عن تونس ، وعن المشروعات العديدة التى نفذت او التى ما زالت تحت التنفيذ ، ودور الاشقاء العرب بصفة عامة والكويت بصفة خاصة فى تمويلها ومساندتها ؟

من اجل الشعب

والحديث عن هذه المشروعات لا يمكن ان ينتهى فى هذه الكلمات القصيرة السريعة .. ولكن الذى يمكن ان يقال ان تونس ماضية فى العمل الكبير الذى بدأته .. وهى تلقى كل تشجيع ومؤازرة من اشقائها العرب واصدقائها من غير العرب ، لان هناك عملا جادا يجرى فوق الارض التونسية من اجل خير ورفاهية شعبها .. ومن اجل الامة العربية كلها ..

هناك فوق الارض الخضراء ، تسير المشروعات الزراعية والمشروعات الصناعية والمشروعات السياحية جنبا الى جنب وفى وقت واحد ... ونتوقف قليلا عند السياحة .. وما شهدناه من جهود فى هذا الميدان ، يؤكد ما سمعناه من ان هذا البلد العربى الشقيق قد اصبح اليوم اكثر المناطق التى تجلب السائحين اليها .. وبالتالى تشجع الاستثمارات التى من شانها ان تساهم فى تطوير المناطق السياحية والنهوض بها وتنميتها..

محمد العربى مدير تطوير التمويلات .. ليس صحيحا ان الصناعة نمت فى تونس وتطورت على حساب الزراعة ، ولكن ما حدث ان الصناعة ساعدت على ميكنة الزراعة .

تذكر حديثا للسيد احمد الدعيج رئيس مجلس ادارة المجموعة الاستثمارية العقارية فى الكويت قبل ان نبدأ رحلتنا الى تونس ، قال : « اننا لا نتردد لحظة واحدة فى تمويل اى مشروع سياحى فى الشقيقة تونس .. ونحن نقوم الآن على سبيل المثال ببناء مدينة سياحية كاملة متكاملة فى ميناء سوسة .. ان تونس بلد سياحى مائة فى المائة » .

فكرة تستحق الدراسة

وبعد .. لقد بقيت كلمة تستحق التسجيل ، بعد هذه الرحلة القصيرة ..وصاحبها هو السيد محمد العربى المسئول عن وكالة تطوير التمويلات .. ماذا قال ؟ : « كنت اتمنى ان ارى مكاتب عربية للدراسات .. دراسات لاى مشروع عربى فى اى بقعة عربية .. فوجود مثل هذه المكاتب يوفر على الهيئة المستثمرة وعلى البلد صاحب المشروع الكثير من الجهد والمال .

ثم يمضى فى حديثه : « ان العالم العربى كله من اقصاه الى اقصاه ، وهو ارض شاسعة كما نعلم ، لديه امكانيات هائلة .. البعض منها تم استغلاله بالفعل ، والبعض الآخر ، وهو اكثر ، لم يستغل بعد .. واكتفى بذكر مجال واحد ، هو مجال الزراعة ، فهو الاصل ، وعندما يكون الحديث عن الزراعة نجد انفسنا نربط بينها وبين الآلة مباشرة ، وخاصة فى هذا العصر الذى نعيشه اليوم والذى دخلت فيه الآلة كل جوانب حياتنا ..ذلك ان المعجزة الحقيقية التى ننتظرها من الارض الطيبة لن تتحقق الا بالآلة .. او بمعنى آخر بتصنيع الزراعة .. وسوف اختار آلة واحدة ، هى الجرار الزراعى ، وليس هناك ارض زراعية يمكن ان تستغنى عن الجرار ،ونحن هنا فوق ارضنا العربية نحتاج الى عشرات الالوف من هذه الجرارات الزراعية التى نستوردها من الخارج ، وندفع الملايين ثمنا لها .. هل فكرنا فى اقامة مصنع واحد فى اى بلد عربى ، لانتاج هذه الجرارات ؟

مشروع تقترحه تونس ..وهو لا شك يستحق الدراسة . ونحن نطرحه امام المهتمين بتحقيق امل الامة العربية فى التكامل الاقتصادى العربى» ■■

منير نصيف



نذير نبعة

فنان من سوريا

بقلم : راجي عنايت



صورتان من اعمال الفنان نذير فى مرحلة متأخرة(عام ١٩٧٦) وبعد عودته من تجربة باريس • النضـج واضح فـى الالـوان واختيـار الموضوعيعبر عن التصاق شديد بالتربة والبيئة السورية

• • منذ طفولته ادرك معنى ان يكون الرسم احتياجا •
• • استطاع ان ياخذ من باريس ما يثرى اصالته•

■ منذ البداية المبكرة ، تعرف على حقيقة ، بقيت على قوتها كلما مرت به الاعوام ، وكان لها اكبر الاثر فى اختياره لطريقه كفنان • عرف منذ الصغر •• حلاوة ان يكون الرسم احد الاحتياجات التى يسعى الناس الى اقتنائها ، ويدفعون فيها نقودا ••

قد تكون هذه بداية غريبة للحديث عن فنان اصيل ، كالفنان السورى نذير نبعة •• لكنها لم تكن بداية غريبة فى حياته • اخته الكبرى تحيك الملابس ، للجيران والاصدقاء ، وتكسب من هذا العمل ما يساعد فى الانفاق على العائلة الصغيرة •• والصبى الصغير نذير ، الذى عرف بين العائلة بحبه الشديد للرسم ، وانشغاله معظم الوقت فى تخطيط الرسوم والزخارف على ما يقع تحت يده من اوراق ، تطلب منه الاخت الكبرى ان يضع رسومه على الملابس حتى تطرزها وتكسب مزيدا من المال • فيتفنن فى رسم الورود والازهار والاشكال الهندسية التى كانت تحظى باعجاب الزبائن •• ويقول عن هذا احسست ساعتها ، حلاوة ان يكون الرسم عملا ممتعا لذيذا ، لم يشكل احتياجا فى نفس الوقت عند الناس •

ونذير نبعة ، الفنان السورى الاصيل ، يجنى هذه الايام ثمار تلك الحقيقة التى ادركها فى وقت مبكر جدا ، عندما يتخاطف الجمهور لوحاته ويسعى الى اقتنائها •• وعندما تحتل هذه اللوحات مكان الصدارة فى البيت السورى ، تنبىء باعتزاز من اقتنوها بها ، واستمتاعهم بما تحمله اليهم من فن وجمال •

محنة (البوية)

ولد نذير نبعة بدمشق عام ١٩٣٨ • ومنذ صغره كان يتطلع الى التعبير باللون •• لم يكن يعرف الطريق الى اشباع ذلك التطلع •• لكنه كان يعرف جيدا ان هذا هو طريقه الحتمى •• التعبير بالالوان •

واذا كان قد حقق بعض النجاح فى هذا السبيل • عندما كان يرسم زخارفه على القماش، حتى تطرزها اخته وفقا لتوزيع الالوان الذى اختاره واذا كان لحسن حظه قد بدأ ممارسة تجربة الابداع متصلاً بجمهور ، ومن خلال سلعة يجرى فيها تقييم انتاجه • فان هذه التجربة استنفدت اغراضها بعد قليل • فسعى الى ان يخرج منها الى عالم اوسع فى التعبير بالالوان ، كان يرى اللوحات الزيتية المبهرة التى يرسمها الفنانون •• بما فيها من مهرجانات الالوان ، وتمنى ان يجرب حظه فى هذا المجال •

تشجع يوما ، وسال احد هؤلاء الرسامين عن المادة التى يستعملها فى انجاز هذه اللوحات الملونة الجميلة •• نظر الرسام باندهاش الى هذا الصبى الصغير الذى يريد ان يصل الى سر هذه المهنة هكذا •• وفى كلمات ، وقبل ان ينصرف عنه قال له باقتضاب « تستخدم البوية »• ومع سعادة الصبى الصغير بهذا الاكتشاف ، ما لبثت ان عادت اليه حيرته من جديد •• بوية • اى بوية انه لا يعرف بوية سوى تلك المادة التى تستخدم فى تلميع الاحذية •• فلا بد ان ذلك الرسام كان يقصد الى هذا ••

لم يضيع صبينا وقتا •• واستعان بالقروش القليلة التى كان يدخرها فى شراء علبة ورنيش من كل لون متاح ! وهى الوان معدودة يغلب عليها الاسود والبنى •• ليكن •• فلنحاول ••

وكانت النتيجة المؤسفة التى جعلته يتناسى ذلك العلم مؤقتا •

فترة النضوج الشامل

لم يتح لنذير ان يتعرف على اسرار حرفة الرسم الا فى المرحلة الثانوية ، فقد لاحظ مدرسه الفنان ناظم الجعفرى الموهبة المبكرة التى يكشف عنها هذا الصبى خلال دروس الرسم المدرسية ، فقرر ان يضمه الى باقى الطلبة المتفوقين الذين يدرسون فى مرسمه الخاص •

• • اللوحة فى نظره ، مجال خلق متواصل لاينتهى •

• • البحث عن نبض الجماهير فى وعاء اللاشعور الجماعى •



عازفة الناى من الاعمال الحديثة

فى مرسم الفنان ناظم الجعفرى ، تعلم نذير اساليب الرسم بالرصاص والفحم والالــوان الزيتية • اندفع يرسم ويرسم فرحا بكل هــذه الامكانيات التى اتيحت له ، وفرحا بتوجيه استاذه، وبما يلقاه منه من تشجيع مستمر •

وما ان تنتهى مرحلة الدراسة الثانوية ، حتى يكون مستقبل الفتى قد تحدد ، وباى حال مــن الاحوال ليس خارج نطاق الانتاج الفنى التشكيلى •• فالى اين •• الى القاهرة حيث كلية الفنون الجميلة بما فيها من تخصصات متنوعة • ذلــك ان سوريا فى ذلك الوقت لم تكن بعد قد انشات معهدها الخاص بالفنون الجميلة •

فى القاهرة يختار نذير الانضمام الــى قسم التصوير • فبعد ان انهى السنة الاعدادية بكلية الفنون الجميلة ، ومارس اشكال الانتاج الفنــى المختلفة من تصوير الى نحت الى حفر الــى زخرفة •• زاد تصميم نذير على التخصص فى التصوير الزيتى •• ولعل قصته فى طفولته مــع البوية كانت ما تزال تلح عليه !

كانت فترة الدراسة فى كلية الفنون الجميلة، فترة نضوج من كافة النواحى ، من الناحية الحرفية حيث عــرف كيف يستفيد من اساتذته ، كبــار الفنانين المصريين ، ومن الناحية الفنية حيث اتيحت له فرصة التعرف على اعمال الفنانــين من خلال المعارض الفردية والجماعية ، ومــن الناحية الثقافية حيث اتيح له الاحتكاك بعــدد من المثقفين مــن الفنانين التشكيليين ومن غيرهــم من الادباء والفنانين •

وكــان لقــاء الفنان نذير بعدد مــن شبــاب الشعراء •• وبخاصة شعراء العامية مثــل عبدالرحمن الابنودى وسيد حجاب ، بكل حماسهم للوصول الى جوهر فن الشعب شكلا ومضمونا •• كان ذلك اللقــاء مثارا للتساؤل الدائــم فى نفس الفنان •• الا يمكن الوصول الى طريق جديد فى الفن التشكيلى ووجهة نظر جديدة ،

تولزى حركة هؤلاء الادباء الشبان بكل صدقهم وحماسهم !

وقبل ان ينتهى الفنان نذير نبعة دراستـــه بالقاهرة ، كان قد شارك فى بعض المعارضـــ العامة بانتاجه ، عارضا محاولاته للرد على ذلك التساؤل الذى كان يلح عليه •

مرحلة التحديات

فى عام ١٩٦٤ • انتهت دراسته فى مصر ، فعاد الى سوريا للعمل كمدرس رسم بالتعليم الثانوى فى مختلف المحافظات • وكانت فترة عمله فى محافظة دير الزور فرصة سعيدة بالنسبة له• فقد سعى طوال اقامته الى دراسة وتامل العديد من الاثار الاشورية والكلدانية المتوفرة فى المنطقة•

وتميز انتاجه الفنى فى تلك المرحلة ، بانعكاس واضح لهذه الدراسة . فكان يعتمد فى حلـــول الشكل (الفورم) على الحلول الشائعة فى النحت الاشورى والتدمرى • وكان هذا التاثر يمتـــزج بتاثيرات اخرى استمدها من متابعته للانتاج الفنى التشكيلى العالمى ، وتامله لاعمال كبار الفنانين العالميين •

انتهت مرحلة التدريس بالمدارس الثانوية فى عام ١٩٦٨ ، حيث بدأ الفنان نذير نبعة عملـــه كمدرس فى كلية الفنون الجميلة بدمشق • وهكذا بوجوده فى العاصمة دمشق ، اصبح اكثر احتكاكا بالدوامة الفنية النامـيـة ، واكثر اتصـالا بغيره من الفنانين التشكيليين السوريين •

وكانت سنوات اقامته بدمشق ، سنوات انتاج فنى غزير ، ومحاولات وتجارب لا تنتهى •• وكان حماسه يدفعه الى سلسلة من التحديات ، تحديات فى الاسلوب ، وتحديات فى الشكل ، وتحديات فى الحرفة الفنية ذاتها وفى خوض تجارب عديدة فى نوع الخامات التى يستخدمها فى اعماله •• بل وتحديات فى حجم هذه الاعمال •

وفى عام ١٩٧١ اختير الفنان نذير نبعة لبعثة دراسية فى مدرسة البوزار بباريس (كليـة الفنون الجميلة الفرنسية) • واستمرت دراسته فى بوزار حتى عام ١٩٧٤ •

تلميذ من جديد

عندما وصل نذير الى باريس ، اخذ قـــرارا بان ينسى كل انجازاته السابقة ، وان يتحول الى تلميذ حقيقى •• انه فى باريس للدراسة ، فلا بد ان يتخذ سمة التلميذ او الطالب الكاملة فاقبل على كل ما يخصص له من دراسات •وواظب على المراسم والفنانين الذين عينتهم له المدرسة• لم يتمرد عندما مر بدراسات كان سبق له ان مر بها فى القاهرة ، وكان يحاول ان يصل الـــى مذاق خاص للتعليم وهو فى هذه السن ، وبعد ان مر بكل تجارب الانتاج الفنى التى مر بها •

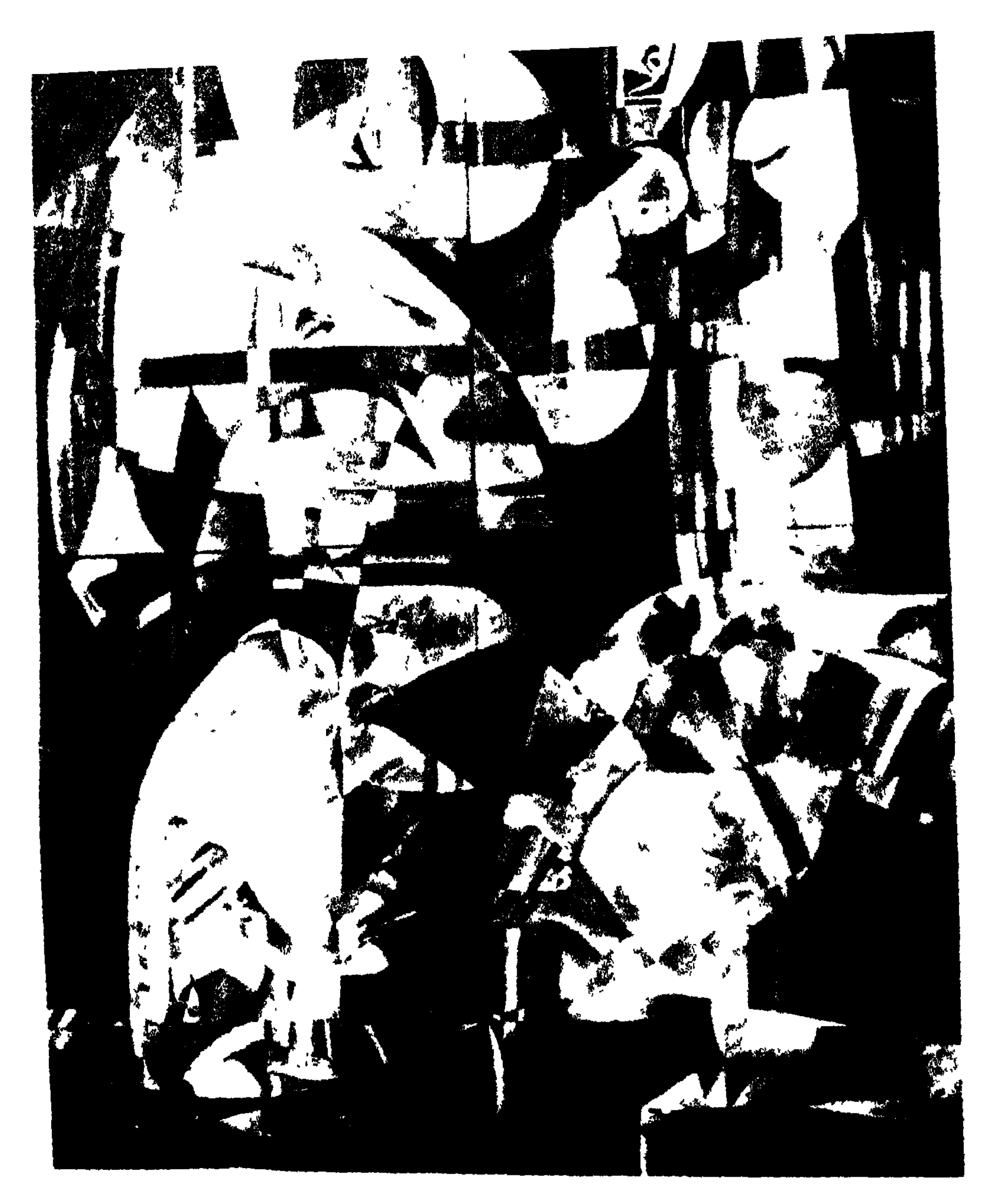
تخصص لمدة عام فى فن الحفر (الليتوجراف)• واستفاد خلال هذه المدة من تردده على (اتيليه التكنيك) المرسم الخاص الذى تجرى فيه دراسة حرفيات العمل فى فن الحفر••او تكنولوجيا الحفر•

كما استفاد من دراسته فى التصوير ، التـى كانت تقتضى تنفيذ نسخ من الاعمال الكلاسيكية لكبار قدامى الفنانين • وكانت عملية نسخ هذه اللوحات تجرى فى البداية وحتى النهاية على هدى نفس الخطوات التى كان الاستاذ القديـــم يخطوها • ابتداء من تحضير الالوان التى ستستخدم فى الرسم ، فكان على الطالب ان يدرس الطريقة التى كان يلجا اليها صاحب اللوحة القديمة . ثم يقوم باعداد الوانه بنفس الطريقة •• كذلك تحضير وتجهيز القماش الذى سينقل عليه العمل القديـــم •• وبالطبـع كانت عمليـة نقل اللوحة القديمة ، تتضمن دراسة دقيقة لاسلوب الفنـــان الكبير ، وطريقة تلوينه ، وطريقة استخدامـــه للفرشاة •

بعدها ، مر الفنان نذير نبعة بالعديد مـــن الدراسات على ايدى نخبة من اساتذة مدرسـة البوزار • كان استاذه فى مادة التصوير يعلـــن دائما شعار •• « الفن لا يعيش الا فى الحرية »، وهكذا طلب من نذير نبعة ان يختار المرسم الذى يتفق مع رؤيته الفنية والاستاذ الذى يستجيب له • واثر نذير نبعـة ان ينفتح على مختـلف الاتجاهات وان يتعلم على يد اكبر عدد مـــن الاساتذة •

استطاع الفنان نذير ان يصل بانتاجه ، الى تمثيل مدرسة البوزار بباريس فى المعرض الاسيوى لعام ١٩٧٤ ، ذلك المعرض الذى يضم اللوحات المنتقاة من انتاج الطلبة والذى يقام سنويا ، وقد حصل نذير على جائزة ذلك المعرض •

وانتاج الفنان فى مرحلة الدراسة بباريس



لوحة من مرحلة الدراسة في باريس تظهر فيهاغلبة الاتجاه التجريدى

يختلف كل الاختلاف عن انتاجه السابق ، وعن انتاجه الحالي . كان مزيجا من الدراسةوالتجريب والانتاج وقد غلب الطابع التجريدى علو ذلك الانتاج . والتجريد هنا ـ فى رايي ـ لم يكن يقصد اليه كاتجاه ، بل كان وسيلة للتجريب المركز المباشر ، واداة للتعرف والبحث .

ومن تجارب الانتاج التى مارسها الفنان نذير نبعة فى باريس ، تجربة التعبير عن اغراض التصوير المتباينة من خلال عنصر محدد . فهو يركز على زهرة معينة ، يدرسها ويتاملها ثم يحاول ان يرى فيها ما يسمح له بتقديم ما يشبه فن الصورة الشخصية (بورتريه) ، او الطبيعة الصامتة او المشهد الطبيعى (بييزاج) او غير ذلك من اغراض التصوير .

مبدأ التجريب

بعد العودة من باريس فى عام ١٩٧٤ ، عاش الفنان فترة تامل واجترار لكل التجارب والخواطر،

والاحلام الفنية القديمة والجديدة .. عمد الى تقليب ارشيف خبراته وتجاربه قبل ان يقدم على انتاجه الجديد .

وقد اسفرت عملية التامل هذه ، عن مرحلة جديدة تماما في انتاج الفنان ، المرحلة المعاصرة التي تجد قبولا عند النقاد والجمهور في آن واحد .

كان سعيه الاساسي للوصول الى وجدان الجمهور السوري خاصة والجماهير العربية عامة ، عن طريق وعاء اللاشعور الجماعي الذي يختزن المعالم الحضارية المتراكمة على مدى الاف السنين .هذا اللاشعور الجماعي الذي يؤثر في ذوقنا وفي معظم اختياراتنا دون وعي منا في اغلب الاحيان .. وهو ما يخلق لدى الجماعة ذلك الاتفاق في الذوق والمشارب ، ويحقق السمات المشتركة في المزاج العام .

وبنوع من التامل الخالص ، تمثل الفنان نذير نبعه افكار لوحاته ، فجاءت هذه اللوحات حاملة لمعالم الفن الاشوري والتدمري . نابضة باحلام الف ليلة وليلة ، مختلطة بخلاصة الانجازات التي حققها في باريس ، مستفيدة من تجاربه الفنية والتكنيكية التي مارسها قبل سفره الى باريس ،

وفي هذه المرحلة الحالية ، يلتزم الفنان نذير نبعه بعدة اسس ضرورية ، لايحيد عنها . اول هذه الاسس ان اللوحة في انتاجه الجديد كائن ديناميكي يتفاعل بصفة دائمة مع وجدانه . اللوحات العديدة التي تشغل حوائط مرسم الفنان وجوانب بيته لايمكن ان تجزم بانها لوحات مكتملة او منتهية ، كما لا يمكنك في نفس الوقت ان تكتشف فيها ما يجعلها ناقصة او تحتاج الى اضافة . ذلك ان العلاقة بين الفنان نذير ولوحاته علاقة مستمرة متصلة .. ليست لديه لوحة منتهية .. كل عمل من الاعمال يحتمل بعد زمن نوعا من الاضافة . فالفنان يؤمن بمبدأ الخلق المتواصل .

وقد ذكرني هذا باحد المبادىء الاساسية في مسرح بريخت .. التجريب او ما يطلقون عليه (فاو برتسيب) . فالمسرحية ، اي مسرحية ،وبعد عرضها على الجمهور لاتعتبر من وجهة نظر بريخت منتهية .. بعد فترة من العرض يعود بريخت الى حذف مشاهد ، واضافة مشاهد وتقديم وتاخير مشاهد اخرى ، ثم يعرضها مرة ثانية على الجمهور . واذكر انني حضرت العرض الاول لاحدى مسرحياته « كوريولانوس » ، ثم عدت بعد سنتين وحضرت عرضا لنفس المسرحية،فلمست قدرا واسعا من التغيير والتبديل .

نفس الشيء يلتزمه الفنان نذير نبعة ، ينتهي من عمله في لوحة من اللوحات ، ويعلقها على حائط من حوائط مرسمه ، ثم يبدا في لوحة جديدة .. ما ان ينتهي منها ، حتى تراه يعود الى اللوحة القديمة يضيف اليها بعد ان تكون رؤيته لها قد زادت نضوجا ووضوحا .

صدق الوجدان

وهذا الاساس من اسس الانتاج في المرحلة الجديدة للفنان نذير نبعة ، يرتبط ارتباطا وثيقا بالاساس الثاني ، وهو مبدا الصدق . والصدق هنا ، ليس هو الصدق العقلاني المتفق عليه .. لكنه نوع من الصدق الوجداني الذي يساعد في الوصول الى لحظة الكشف ، القريبة من لحظة الكشف الصوفي المعروفة .

صدق يسعى به الى استجـ. مكونات وعاء اللاشعور الجماعي ، واقتناص مكوناته لطرحها على صفحة اللوحة . وكلما توصل الفنان عن طريق التامل الصادق الى درجة اكمل من الصدق انعكس هذا على لوحته وراح يترجم وعيه الجديد، في شكل اضافات الى العمل القديم .

كان من نتيجة التزامه بهذه الاسس ان اقبل الجمهور على اعماله في حماس ، يسعى الى اقتنائها ويعتز بحوزتها ، فتتضاعف سعادته بذلك..ويحقق رؤيته القديمة التي ادركها في بداية حياته عندما كان يبدع الرسوم والزخارف على الازياء التي كانت تحيكها اخته .. « حلاوة ان يكون الرسم احتياجا لدى الناس يسعون اليه .. ويدفعون فيه مايطيقون من مال » .

وهكذا ينجح الفنان نذير نبعة في ان يقدم فنا اصيلا صادقا ، يستجيب له الجمهور ويسعى الى اقتنائه ولايسمح لنزوة فنية ان تقف حائلا بينه وبين الجماهير الواسعة . ■■

حتى لا نتحسر على أيام زمان
ونلغي جيل هذا الزمان

نحو سلام دائم بين الشباب الشيوخ

للدكتور علي أحمد علي

■ كثرت الشكوى هذه الايام من الاتجاهات السالبة غير المرغوب فيها التي تسود الشباب نحو الشيوخ وجيل كبار السن ، وكذلك السخط الذى يسود الكثير من كبار السن ممن وصلوا الى مرحلة الشيخوخة نحو جيل الشباب وعدم رضاهم عن غالبية الافعال والتصرفات الصادرة عن هذا الشباب •

ولا شك ان هذه الاتجاهات السالبة غير المرغوب فيها والتى تسود كل جيل نحو الجيل الآخر تعرض العلاقات الاجتماعية فى المجتمع للتوتر والقلق • فالمجتمع عادة ما يتكون من جيل الاطفال والشباب والراشدين والشيوخ • فاذا توترت العلاقة بين الشباب وكبار السن وهم يكونون قطاعا هاما من اية أمة ، اضطربت العلاقات الاجتماعية فى هذه الامة وسادت فيها الصراعات والمنازعات والتوتر والقلق •

ولا شك أن الاتجاهات السالبة غير المرغوب فيها اذا سادت قطاعا من الافراد مثل كبار السن اثر ذلك على كل تصرفاتهم وعلاقاتهم بالشباب . نضرب مثالا لذلك « أحد المديرين الذى قارب عمره الستين عاما اذا ساده اتجاه سالب نحو جيل الشباب فعادة ما يؤثر ذلك على تصرفاته فى العمل بما يضر العمل والعاملين •فتؤدى بهذه الاتجاهات السالبة الى حرمان الشباب من فرص العمل المثمر والمنتج ، والى عدم اتاحة الفرصة لهذا الشباب لتحمل المسئولية فى مجال العمل• وتؤدى الاتجاهات السالبة غير المرغوب فيها التى تسود هذا المدير الى عدم رغبته فى تقبل رأى أو فكر الشباب الذى يعمل فى ادارته •

وقد تؤدى تصرفات المدير كبير السن هذه الى فقدان المنشاة لجهد وفكر شباب كان من الممكن ان يسهم اسهاما فعالا فى تقدم وترقى المنشاة التى عمل فيها •

وبالمثل اذا سادت بعض الشباب اتجاهات سالبة نحو العاملين كبار السن بالمنشاة . كان يتهموهم بالتخلف والرجعية والجمود وعدم التطور فاغلب الظن أن هذا سيوتر العلاقة بين العاملين الشبان والعاملين كبار السن • وفي هذه الحالة يخسر هؤلاء الشبان توجيه وخبرة وبصيرة هؤلاء العاملين الذين سبقوهم في العمل سنوات طويلة ، ويسود العمل نتيجة لذلك جو من عدم التعاون والمنازعات والصراعات •

ونضرب مثالا اخر لتوتر العلاقة بين الشباب والشيوخ والاتجاهات السالبة غير المرغوب فيها التي قد تسود كل فئة نحو الفئة الاخرى « الاب الذي يرفض دائما سلوك ابنه الشاب ، يرفض سلوكه الملبسي فنراه يسخط ويغضب اذا لبس ابنه الشاب ملابس ذات ألوان زاهيه لم يعتد الاب لبسها في شبابه ، ونراه يسخط ويغضب أيضا اذا أطال ابنه الشاب شعر رأسه ، أو ناقشه في قضية مناقشة الند للند ، لان الاب قد اعتاد في شبابه ألا يرد قولا لابيه • وهكذا نجد أن هذه الاتجاهات السالبة التي تسود الاب نحو ابنه وغيره من شباب هذه الايام يؤدي الى توتر العلاقة دائما بينه وبين ابنه ويسبب الكثير من الصراعات والمنازعات بينهما » •

والابن الشاب قد يكون رافضا لابيه لا يعجبه من تصرفات أبيه شيئا • فهو دائم النقد لابيه « لما يلبسه وما يقوله وما يفعله » • وحجة الشاب المتوهمة في ذلك أن أباه رجعي متخلف السلوك لا يتمشى مع مقتضيات ومتطلبات العصر ، ونتيجة هذه الاتجاهات السالبة غير المرغوب فيها والتي تسود هذا الابن نحو أبيه نجده يرفض كل تصرف وسلوك صادر عن هذا الاب ، حتى ولو كان معقولا ومقبولا ونجده لا يستمع الى أي نصح أو ارشاد صادر عن هذا الاب • وكثيرا ما نطلق على هذا الابن « الابن العاق » غير البار بوالديه • وهذا يؤدي الى سيادة الاضطراب والقلق والمنازعات جو الاسرة ويحرم هذا الاسرة من الحياة الهادئة السعيدة التي تسودها المحبة والتعاون والفهم المشترك •

واذا أردنا ان نستمر في سرد امثلة لما يمكن ان يعانيه مجتمع الاسرة او مجتمع العمل او المجتمع الكبير الذي نعيش فيه اذا توترت وساءت العلاقة بين الشباب وكبار السن ، فسنجد آلافا من الامثلة العملية التي توضح مدى خسارة الافراد والجماعات والمجتمع من جراء ذلك •

لماذا حدثت الازمة ؟

قد يتساءل البعض عن العوامل التي خلقت وسببت الاتجاهات السالبة غير المرغوب فيها والتي تسود الشيوخ وكبار السن نحو الشباب في أيامنا العاضرة • وفيما يلي سرد لبعض هذه العوامل :

١ ـ تنمية الاعتقاد في بعض الدول بين الشباب بأنهم وحدهم صانعو المستقبل ، واغفال الدور الذي قام به كبار السن والشيوخ في صناعة هذا المستقبل • وقد أدى تجسيم دور الشباب الى غرور بعضهم واعتقادهم الخاطىء في أهميتهم دون سواهم • والحقيقة تقول أن كل تقدم حديث يسود العالم في عهدنا الحاضر كان لجيل الشيوخ وكبار السن الفضل الاول في صنعه والوصول اليه • وعلى هؤلاء الشباب أن يدركوا أن كل تعلم وصلوا اليه كان من جهد وصنع وخبرة كبار السن .والمثل العربي الشائع يقول « من علمني حرفا صرت له عبدا » •

٢ ـ التغيير الذي يشمل كل شيء في العالم الذي نعيش فيه • فمعدلات التغيير في عصرنا الحديث فاقت كل تصور • وهذا التغيير شمل كل شيء « القيم والاتجاهات والالات وطرق ووسائل الانتاج ونظم الحياة » • وهذا التغيير الذي أصبح يشمل كل شيء جعل الشباب ينظر ويتطلع لكل حديث ويرفض كل قديم . وكان ذلك من دواعي رفضهم لجيل من الناس عاشوا في الماضي •

٣ ـ جمود بعض الاباء ، وعدم تطورهم وعدم المامهم بظروف جيل الابناء من الشباب ، اسهم في زيادة شعور جيل الشباب بان جيل الاباء جيل يسوده الجمود والتخلف ، وكان أحرى بالآباء أن يدركوا أن ابناءهم قد خلقوا لزمان غير زمانهم ، وظروف جيل الابناء تختلف عن ظروف جيلهم • وقد اسهم في خلق هذه الفجوة في اسلوب التفكير وفي النظرة للحياة ، اضطرار الافراد نتيجة للظروف الاقتصادية الصعبة وزيادة المطالب المادية للزواج وللاسرة الى تاجيل الزواج الى ما بعد سن الثلاثين ، وكان من نتيجه ذلك ان فارق السن اصبح كبيرا بين الآباء والابناء ـ فكثيرا ما نرى الابن في سن العشرين في حين نجد الاب مثلا قد جاوز الستين من عمره ، ولم يعد

لديه من الجهد أو الصبر أو الصحة أو المرونة ما يسمح له بالتمشي مع افكار ومطالب واحتياجات هذا الابن الذى ما يزال يعيش سن الشباب ـ ففارق السن الكبير بين الابناء والاباء يجعلهم ينتمون الى أجيال مختلفة الفكر مختلفة التقدير لمواقف وقضايا الحياة ٠

٤ ـ اختلاط القيم بالنسبة للشباب ٠ ففى ظل هذا العصر المتغير ، تغير الكثير من القيم فى الكثير من بلاد العالم ولم يعد الشباب القيم البديلة المناسبة ٠ ففى منطقتنا العربية سادت قيم احترام الصغير للكبير لازمنة طويلة . ولكن مع رياح التغيير التي شملت الكثير من المناطق العربية اختفت هذه القيمة او كادت تختفى . وحلت محلها قيم ليست أصيلة وليست متأصلة فى حضارتنا وتراثنا الثقافى ٠ وكان من المفروض أن ندعم ونرسخ فى نفس الشباب القيم الطيبة فى تاريخنا وتراثنا الثقافى ٠

٥ ـ [illegible]

[illegible]

والعوامل المؤثرة فيهم ، ادت الى عدم تقدير الاباء والكبار فى المجتمع لظروف المراهقين والشباب وعدم قدرتهم على فهم سلوكهم وعلى حسن التعامل معهم فى مختلف مواقف الحياة ٠

وعند كبار السن

هناك عوامل كثيرة تسهم فى خلق وتنمية اتجاهات كبار السن السالبة وغير المرغوب فيها نحو جيل الشباب المحيط بهم ومن بين هذه العوامل ما يأتى :

١ ـ تبنى الشباب لافكار واتجاهات وقيم معينة لا يرضى عنها الكبار . لانها تختلف عما يتبنونه من افكار واتجاهات وقيم ٠ فالكثير من الشباب الآن يرون مثلا ان مظهرهم الخارجي وملبسهم يعتبر من الامور الخاصة بهم ، وليس لاحد أن يتدخل فيه أو فرض ارادته عليهم بالنسبة لهذه المسائل ٠ فى حين نجد ان كبار السن فى المجتمع ـ حسب قيمهم ومعاييرهم القديمة ـ يرون ان الشباب عليه ان يخضع نفسه للمعايير والقيم بالنسبة لملبسه ومظهره الخارجي ولسلوكه الظاهر ٠

ومن الامثلة الاخرى الكثيرة على النواحى التى تزعج كبار السن والشيوخ بالنسبة لسلوك الشباب ، عدم اظهار الشباب فى يومنا الحاضر الاحترام [illegible] ... تعامله معه [illegible] ... بما كان [illegible] من تقبيل الصغير [illegible] الكبير ووقوفه [illegible] وعدم التكلم [illegible] ... الشباب الان يرى ان احترام كبار السن لا يكون بمظاهر وشكليات الاحترام . ولكن بجوهر هذا الاحترام ولبه ٠ وهذا ما لا يرضى عنه كبار السن والشيوخ فى وقتنا الحاضر ويرونه خروجا على المعتاد من السلوك من جانب هذا الشباب ٠ وتمثل هذه المسالة ناحية ازعاج للكثير من الشيوخ وكبار السن فى وقتنا الحاضر وموضوعا للشكوى الدائمة من جانبهم ٠

٢ ـ عدم تدريب الشباب وتوعيتهم بسيكولوجية كبار السن والشيوخ واسلوب التعامل معهم ٠ فالسن الكبيرة لها ظروفها حيث يضعف الانسان ، ويفقد الكثير من قدراته وتسوده الامراض والاوجاع وتصبح غير قادر على المواجهة الانفعالية لمشكلات ومصاعب الحياة ٠ وفى هذه السن يتوقع كبير السن بعد أن وهن العظم منه واشتعل رأسه شيبا أن يجد من يرحم شيخوخته وشيبته ويأخذ بيده ٠ ولعل الله سبحانه وتعالى تكريما لدور الوالدين العظيم ورعاية وتقديرا لظروفهم الخاصة فى شيخوختهم أوصى بهم الابناء خيرا « اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » ٠

والواقع أن تعريف الشباب باحوال وظروف الشيوخ الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية الصعبة يجعل الشباب اكثر قدرة على التعامل معهم ، مما يؤدى بالتالى الى تغيير اتجاهات كبار السن والشيوخ السالبة نحو جيل الشباب فى المجتمع الواحد ٠

٣ ـ النكوص Regression الذى يصيب بعض الشيوخ وكبار السن وتمسكهم بكل قديم .يؤدى أحيانا الى رفضهم لكل حديث وجديد والى رفضهم للشباب الذين يمثلون هذا الحديث وهذا الجديد والى رفضهم كل ما يصدر عن هذا الشباب من سلوك ٠ فكثيرا ما نسمع كبار السن يرددون عبارات مثل « الله يرحم أيام زمان » وفى المجتمعات الناطقة باللغة الانجليزية هناك عبارة معدلة للعبارة العربية السابقة The good

old days أى الايام الماضيه الجميلة السعيدة التى يتمسك بها جيل كبار السن هناك • ويظهر ان حنين الانسان للماضي ـ حيث طفولته وشبابه ـ كبير عند الكثير من الافراد من مختلف البلاد • ولا شك أن حنين كبار الســن الى الماضي يزيد كلما ساءت ظـــروف حاضرهم وصعبت معيشتهم واضطربت أحوالهم •

٤ ـ التعميم الخاطىء من جانب بعض الشيوخ• فقد يصادف أحد كبار السن سلوكا شاذا او غير انسانى صادرا من أحد الشباب ، فسرعان ما يعمم ما يراه على جميع الشباب . ولعل هذا التعميم الخاطىء من جانب بعض الشيوخ مرجعه ما اصابهم بعد أن بلغوا ارذل العمر من جمود فى السلوك والتفكير ، خاصه بعد ما يكون قد اصاب المخ من وهن نتيجة لتصلب الشرايين وقلة ما يصل الى المخ من دم وغذاء فى هذه السن المتأخرة من عمر الانسان •وكثيرا ما يقع الشيوخ فى اخطاء التعميم حتى قبل ان يصلوا الى ارذل العمر • نضرب مثلا لذلك « مدير العمل الذى قارب سنه الستين قد يصادف فى العمل واحدا من العاملين الشبان لا يتحمل المسئولية ، فترى هذا المدير يسرع فى الحكم ويعمم حكمه الخاطىء على جميع العاملين من الشبان بأن يرميهــم ويتهمهم بعدم تحمــل المسئوليه • وهو بذلك يوقع ظلما كبيرا على جيل باكمله ويتهمه بما ليس فيه •

الطريق الى السلام

لا شك انه هدف قومي وانساني عظيم أن يسعى كل مجتمع لاقامة سلام دائم بين جيل الشباب وجيل الشيوخ مما ينعكس أثره الموجب على الأسرة وعلى العمل وعلى المجتمع ككل • وفيما يلي عدد مــن النصائح والمقترحات التى تعمل على تدعيم هذا السلام والمحبة بين الجيلين وهى مذكـورة بشيء من الايجاز :

١ ـ يجب ان يدرك الشباب ان الشيوخ وكبار السن فى المجتمع هم الخير والبركة وانه لولا اسهامهم وجهدهم وعرقهم ودموعهم وكفاحهم لما تمتع الشباب بما يتمتع به فى أيامه الحاضرة من طيبات الحياة • كمــا يجب ان يدرك الشباب ان خبرتهم وكل تعلم وصلوا اليه صنع الكثير منه جيل الشيوخ وكبار السن • وليس اقل من أنيكون الاعتراف بفضل هؤلاء الشيـــوخ فى شكل رعاية وتكريم وتبجيل لهم فى ايامهم الباقية • « فمن علمني حرفا صرت له عبدا » •

٢ ـ تزويد الشباب من خلال المناهج الدراسية والنشاط المدرسي بالمعلومات والخبرات التى تزيد من فهمهم للظروف النفسية والعقلية والجسمية المتدهورة التى يعيشها كبار السن والشيوخ فى المجتمع وندع الشباب يعلم ان هذه سنة الحياة • ونعرض عليهم وصف القران الكريم لما يكون عليه حال الانسان بعد ان يصل الى أرذل العمـــر : « ومنكم من يرد الى اردل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئا » •

واذا ادرك الشباب أن الشيخوخه مرحلة حتميه يصل اليها كل انسان ، وان تقديره للشيخوخة ورعايته لها سيرتد اليه فى يــوم من الايـــام ، وسنت الايام داولها بين الناس، فان ذلك سيدفعه الى رعاية كبار السن والشيوخ فيمجتمعه •وعلينا ان نعرض على الشباب الصورة البديعة التى رسمها القران الكريم لدورة حياة الانسان على هـــذه الارض

« الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير » •

وعلينا ان ندرب الشباب على فن التعامل مع الشيوخ وكبار السن فيحسنون لهم القول والتعامل حتى نمكنهم ان يقضوا بقيه ايام حياتهم فى رضا واستقرار بعيدين عن المشكلات والمنازعات والصراعات •

٣ ـ تاكيد روح التواضع فى نفس الشباب • فالكثير من اجهزة الاعلام تعمل على تدعيم روح الصراع بين الشباب والشيوخ فى المجتمع الواحد حين تغالى هذه الاجهزة فى ابراز دور الشباب فى بناء الاوطان وتجسيم هذا الدور بحيث يعتقد الشباب خطأ بانه وحده القادر على صنع الحياة، وهو وحده خالق التقدم على ارض وطنه• وهذا الاعتقاد الخاطىء يدعمه وينميه قلة خبرة وبصيرة بعض الشباب • وينسى هذا الشباب الدور الذى قام به الرواد الاوائل من الشيوخ فى صنع الحياة والتقدم على ارض وطنهم ويتهمونهم باطلا وظلما بالتخلف والرجعية والجمود •

وفى هذا المجال علينا وعلى اجهزة الاعلام ان نبرز الدور الكبير الذى قام به جيل الشيوخ فى

العمل الوطني . وان نبرز لهؤلاء الشباب فضل هؤلاء الشيوخ وكبار السن عليهم وآثارهم الباقية في كل مجال . وعلينا ان ندعم في نفس الشباب فكرة ان الوطن يسعد ويتقدم بكل ابنائه وان تقدم الوطن لا يقوم على اكتاف الشباب وحدهم بل ان لكل فرد دورا او ادوارا هامة يؤديها في مختلف مراحل العمر .

وتوصيات للشيوخ

هناك بعض الاتجاهات السالبة التي يتبناها بعض كبار السن نحو الشباب التي عادة ما يكون مرجعها ما وصل اليه هؤلاء الكبار من وهن وضعف بدني وجسدي وعقلي وارهاق نفسي،وما وصل اليه هؤلاء الكبار من سوء التكيف والتوافق مع مجتمعهم المتغير وبعيدا عن هذه العوامل الفسيولوجية والنفسية المتدهورة التي يفرضها وصول الانسان الى سن متاخرة،نسوق بعض النصائح والتوصيات التي تساعد على تحسين وتغيير اتجاهات بعض كبار السن السالبة نحو جيل الشباب :

١ ـ تاكيد فكرة التقبل Acceptance بالنسبة لكبار السن . فعلينا ان نوضح لهم ان عليهم تقبل الشباب بما فيه من نواح جيدة ونواح رديئة وبما فيه من نواح ترضيهم ونواح لا ترضيهم وعلينا أن نؤكد لآبائنا من كبار السن أنه أمر مقرر ان نجد اختلافا بين سلوك جيل الشباب وبين جيلهم . فقد خلق هؤلاء الشباب لزمان غير زمانهم والحياة تتغير وتتطور ومعها يتغير ويتطور الانسان الذي يعيش هذه الحياة .

٢ ـ احاطة كبار السن والشيوخ بالظروف البيئية التي تناسبهم .فقد لوحظ في معظم بلاد العالم قيام الصراع والصدام بين سلوك وافكار الشباب وبين سلوك وافكار الشيوخ وكبار السن الذين يعيشون معهم في مكان واحد . لذلك كان الاتجاه قويا في الدول المتقدمة نحو انشاء دور للضيافة يحيا فيها كبار السن والشيوخ حيث يجدون فيها الرعاية الاجتماعية والصحية والنفسية . وقد شاهد كاتب هذا المقال بنفسه كيف انه في بلاد كالولايات المتحدة وغيرها من البلاد الاوروبية يفضل بعض كبار السن والشيوخ الميسورين ماديا ان يعيشوا في هذه الدور على الاقامة مع اسر ابنائهم . ففي هذه الدور يتعامل كبار السن مع افراد يتفقون معهم في الظروف وفي الميول وفي الاتجاهات . ويمارسون النشاط الذي يتفق مع احوالهم الصحية المتدهورة ويعبرون عن مشاكلهم المشتركة ويسعدون بالحديث الطويل عن « ايام زمان » . وفي دور الضيافة يقل اصطدام كبار السن والشيوخ بسلوك وافكار الشباب ، وهم بذلك يرتعون ويستريحون .

٣ ـ تقديم كافة صور العلاج والارشاد النفسي لكبار السن والشيوخ .ولعل من اهم صور المساعدة النفسية ان نشعر كبار السن بان مكانتهم محفوظة في المجتمع وان اي مجتمع لا يستغني عن رأيهم وفكرهم وجهدهم . وان نؤكد لهم ان اي مجتمع ينكر فضلهم مجتمع متخلف ناكر للفضل والجميل، وان نؤكد لهم بالافعال لا الاقوال انهم بحق « الخير والبركة » وعلينا ان نستعين بجهد وفكر وخبرة القادرين منهم في مختلف مجالات الحياة حتى نخلصهم من الفراغ القاتل والوحدة المدمرة ومن الاحساس بقلة القيمة .

٤ ـ مساعدة كبار السن على التخلص من التعميمات الخاطئة . فعندما يقابل كبير السن واحدا او اكثر من الشباب يتصرف باسلوب خاطىء او يسلك سلوكا غير مناسب او يظهر بمظهر غير لائق، فسرعان مايقومون بتعميم احكامهم على كل الشباب . وفي هذا ظلم كبير للشباب . ومن الممكن ان نبرز لكبار السن آلافا من صور الشباب المتحمل للمسئولية المكافح الكادح المفكر المهذب ، وان نعرض على هؤلاء الكبار حالات من الشباب تستحق تقدير ابناء الوطن صغيره وكبيره .

كلمة أخيرة

اذا ادرك كل فرد في المجتمع بان الشيخوخة هي نهاية مطافه على هذه الارض لقدم شبابنا كل صور الرعاية لمن يعيشون مرحلة الشيخوخة ، ولو وضع كبار السن فينا انفسهم محل شبابنا لكانوا اكثر قدرة على فهم سلوك الشباب وتقدير ظروفه .

والسعادة التي يجنيها المجتمع كبيرة اذا قام فهم مشترك وسلام بين الجيلين :

جيل الشباب لذي يتسم بالاقدام والقوة والحيوية وجيل الشيوخ الذي يتسم بالخبرة والحكمة والبصيرة .

●●

القاهرة ـ د . علي أحمد علي

خلافاً لما تقوله المصادر الغربية

علم التخدير أصله عربي

بقلم : الدكتور محمد طه الجاسر

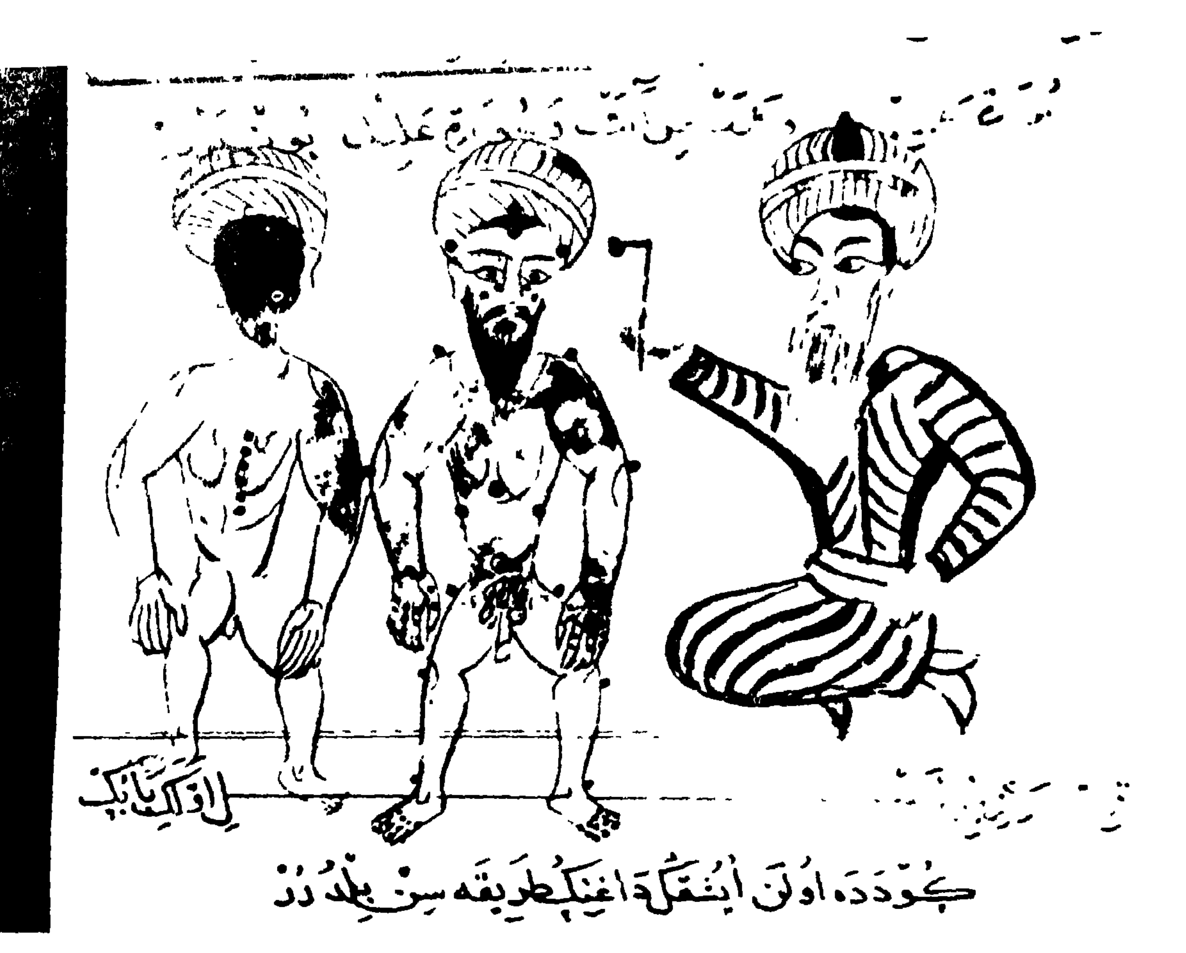
كان العرب هم اولمن استخدم التخديرعن طريق الاستنشاق ، وهم اول من اكتشف الكحول العنصر الرئيسي فيكل مواد التخدير المستخدمة اليوم ، وكانوا يسمونه « الغول » !

اما الانعاش فقد عرفوا وسائلهايضا ، لكن المصادر الغربية تتجاهل هذا كله وتسقطه من الحسبان ، حتىكاد العرب انفسهم ان ينسوا هذه الصفحة المشرقة من تاريخيهم ..

هذه القضية يعرضها في هذا المقالالدكتور محمد طه الجاسر مدرس علم التخدير والانعاش بكلية الطب بجامعةحلب ، وزميل كلية المخدرين للمجمع الملكى للجراحين فى انجلترا .

من المؤسف ان المصادر الغربية تكاد تتفق على تجاهل ما اضافه الشرق بصورة عامة والعرب بصورة خاصة اليمختلف فروع العلم عامة والعلوم الطبية خاصة من افكار ونظريات وقواعد وقوانين ومكتشفات ، ساهمت فى تقدم العلم وتطور التقنية التى ما قامت الا على اساس من التقدم فى مختلف مجالات العلوم الاساسية ، ويكفى ان نذكر هنا بعالمين جليلين هما : ابن الهيثم واضع اسس علم البصريات والخوارزمى واضع علم الجبر ، لناخذ فكرة سريعة عن مدى مساهمة العرب فى التقدم الحضارى الذى وصل اليه البشر .

والان اين يقف العرب بالنسبة لتاريخ علم التخدير والانعاش ؟



ان ما فى ايدينا من مصادر يشير الى ان التخدير العام الاستنشاق انما بدا عام ١٨٤٤ ، حينما حاول (هوراس ويلز) استعمال غاز اول اوكسيد الازوت فى تخدير شخص لخلع سنه دونما الم . وتاكدت المحاولة وبدات حقبة جديدة للتخدير العام ب (ويليام مورتون) عام ١٨٤٦ حينما تمكن ويليام مورثون من تخدير مريض بمادة الايتر واعقبه سمبسون عام ١٨٤٧ باستعمال كلوروفورم وتوالت الاكتشافات حتى اصبحنا اليوم نملك العديد من مواد التخدير الاستنشاقية كال (هالوتان ، ايترين، فورين ، ميتوكسى فلورين) .

وتؤكد هذه المصادر ان التخدير الاستنشاق او بالحقن الوريدى لم يكن معروفا قبل ذلك ، وانما كانت هناك محاولات من عهد الرومان واليونان لا تتعدى واحدة من ثلاث طرق : السحر والشعوذة ، التبريد ، استعمال مزيج مخفف للالم عن طريق الفم .

وان الاعتقاد بان الالم ضرورى وحس يتعلق بما وراء الطبيعة وانه الثمن الذى يجب ان يدفعه الانسان ليكفر عن خطاياه اضر كثيرا بتطور التخدير .

ولقد عرف العرب الجراحة التى كانت معروفة ذلك الوقت ومارسوها كما تدل على ذلك الكتب التى بين ايدينا ، من بتر واستئصال اللوزتين والاورام كالسرطان ، الذى وصفه ابن سينا بانه الورم الصلب الذى ينتقل من عضو الى عضو وانه يصيب الاحشاء ، ووصف سرطان الكبد بانه نوعان : نوع يحدث عن ورم تقدم ونوع يحدث ابتداء .

ابن سينا يحكى

ويعطينا ابن سينا بعض التفاصيل القيمة فى كيفية استئصال اللوزتين وبعض الاورام كسرطان الثدى والخنازير وهى التى تشمل اورام العقد اللنفية فى العنق كداء هوجكين او السل وقد سمى بداء الخنازير لشبهه بمرض يصيب الخنازير او ان العنق يتضخم بحيث يصبح المرء قريب الشبه بالخنزير او اشارة الى خبث المرض ، وليس

من المعقول ان تجرى مثل هذه الجراحات بدون تخدير . وساعد على ولوج العرب حقل التخدير والعمل على تطويره ان قصة الالم كنوع من انواع الجزاء الالهي لااصل لها في تقاليدهم ومعتقداتهم.

ولقد جربوا اعطاء المريض المقبل على عمل جراحي بعض الادوية المخدرة او المزيلة للالم . فقد ورد عن ابن سينا قوله : ومن اراد ان يقطع له عضو يسقى من اليبروج في شراب مسبت .

الا ان هنالك قرائن تدل على ان العرب كانوا اول من استعمل التخدير عن طريق الاستنشاق ، وذلك بواسطة الاسفنج المخدر او الاسفنجة المنومة، فقد ذكرت زيغريد هونكه في كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » مايلي :

« وللعرب على علم الطب فضل آخر كبير في غاية الاهمية . ونعني به استخدام المرقد (المخدر) العام في العمليات الجراحية وكم كان التخدير العربي فريدا في نوعه . صادقا في مفعوله . رحيما بمن يتناولونه ، وهو يختلف كل الاختلاف عن المشروبات المسكرة التي كان الهنود واليونان والرومان يجبرون مرضاهم على تناولها ، كلما ارادوا تخفيف آلامهم . وليس لوضع الام العمليات عنهم . وينسب هذا الكشف العلمي مرة اخرى الى طبيب ايطالي اولا والى بعض الاسكندريين ثانيا، في حين ان الحقيقة تقول والتاريخ يشهد ان فن استعمال الاسفنجة المخدرة فن عربي بحت لم يعرف من قبلهم . وكانت توضع هذه الاسفنجة المخدرة في مزيج من الحشيش والافيون والزؤان وست الحسن ثم تجفف في الشمس . ولدى الاستعمال ترطب ثانية وتوضع على انف المريض فتمتص الانسجة المخاطية المواد المخدرة ويركض المريض الى نوم عميق يحرره من اوجاع العملية الجراحية » .

اول مخدر

ومادة الايتر كانت اول مخدر من نوع السائل الطيار ادخل الى حقل التخدير وظل يستعمل عن طريق الاستنشاق منذ عام ١٨٤٦ وما زال ، ثم انه المادة الرئيسية لمجموعة المخدرات التي تحتوى على علاقة الايتركاد (ميتوكسى فلورين وايترين وفوران)

ويختلف الباحثون حول العالم الذي ركبه . بعض المصادر ترده الى فاليروس كوردوس لانه وصف كيمية صنعه في احد كتبه الذي طبع عام ١٥٦١ وسماه زيت الزاج الحلو في حين يرد البعض الاخر اكتشافه الى باراسلوس الذي توفي عام ١٥٤١ ووصف تركيب الايتر في كتاب له اعيد طبعه لاول مرة عام ١٦٠٥ . وهذا المولف يذكر بعض تجاربه على هذه المادة بقوله :

العرب هم الذين اكتشفوا مادة الكحول (الغول).

العرب هم الذين اكتشفوا مادة زيت الزاج (حمض الكبريت) .

هناك قرائن تدل ان العرب اجروا تفاعلا وعملية تقطير بين هاتين المادتين .

واذا علمنا ان الايتر ينتج عن تعامل الكحول بحمض الكبريت لتقطير واستخلاص قدر من الماء اذن لادركنا انه من المحتمل جدا ان يكون العرب هم اول من اكتشف هذه المادة الرئيسيه في التخدير مع انه يكفيهم فضلا انهم مكتشفو مادة الكحول التي هي المادة الرئيسية لكل مواد التخدير السائلة الطيارة التي تستعمل في حقل التخدير اليوم .

انعشوه امام الرشيد

وفيما يتعلق بالانعاش ، فمنذ القديم تنبه الانسان الى ان الهواء ضرورى لاستمرار الحياة وان الانسان يصاب بحالات يفقد فيها القدرة على تداركه . فتفنن البشر في اللجوء الى مختلف الطرق لادخال الهواء الى الجسم ، سواء بالطريقة المباشرة والتي تدعى اليوم تنفس الفم للفم او باستعمال بعض الوسائل الاخرى البسيطة كالمنفاخ او ما شابهه . وهنالك شبه اجماع في المصادر الغربية على ان اول وصف لتنفس الفم للفم ورد في بعض الكتب المقدسة على انها احدى معجزات الانبياء .

فقد جاء في الفصل الرابع من الكتاب الثاني من سفر الملوك في العهد القديم وصف يسترعي الانتباه لنبي الله (اليشع) وهو يحاول انقاذ

الصبي (شوناميت) وقد بدت عليه علائم الموت (ثم تقدم وانحنى على الصبي ووضع فمه على فمه وعينيه فوق عينيه ويديه على يديه وبسط نفسه من فوق الولد فانبعث الدفء في جسد الصبي وعطس سبع مرات وفتح عينيه) .

كما ان هنالك شبه اتفاق على ان جمعية انعاش الاشخاص الغرقى التي قامت في (امستردام ـ هولندا) عام ١٧٦٩ كانت اول من استعمل المنفاخ لدفع الهواء الى الجسم و عممها في انجلترا (الجمعية الملكية الانسانية) عام ١٧٧١ وموسسها (جون هنتر) عام ١٧٧٦ . وهذه المدرسة الثانية هي التي تبنت فكرة المنفاخ في انجلترا ، فصمم (هنتر) منفاخا ذا مجريين . واحدا للرفير والآخر للشهيق .

الا ان هنالك قرائن تثبت ان العرب قد عرفوا مبدا الانعاش التنفسي عن طريق دفع كميات من الهواء عبر الرئتين بالضغط المتناوب وانهم في طليعة من استعمل المنفاخ لهذا الغرض ، كما تشير الى ذلك القصة الطريفة التالية وهي ماخوذه من مصادر موثوقة :

(جاء في سيرة صالح بن بهلة أن الرشيد كان لا ياكل الا بحضور جبرائيل بن بختيشوع وقد قدمت يوما الموائد بين يديه وجبرائيل غائب فبحث عنه فلم يعثر له على اثر ، مما أثار غضب الرشيد على جبرائيل ، وبينما كان الامر كذلك حضر وقال للرشيد معتذرا بانه كان يعالج ابن عمه ابراهيم وبه رمق ينقضي وقت صلاة العتمه . وهنا تدخل جعفر بن يحيى وقال : ياامير المؤمنين ان صالح بن بهلة عالم بطريقة اهل الهند في الطب ويحسن احضاره ، فامر الرشيد باحضار صالح وتوجيهه والمصير به اليه ورده بعد منصرفه من عند ابن عمه، ففعل ذلك جعفر وقد التمس صالح بن بهله ان يقابل الرشيد بالذات ليخبره عن حال ابن عمه ابراهيم . فقال صالح للرشيد :

انا اشهدك ياامير المؤمنين ، واشهد على نفسي من حضرك ان ابراهيم بن صالح ان توفي في هذه الليلة فان ... ... وكل ... ... المدد ... ... الا بعتق . ولما كان وقت صلاة العتمة ... ... ابراهيم ابن عم الرشيد فاخذ يكي ... لقصاء ابن بهله فيه ... ... الى ... ... فصاح عند ذلك صالح الله الله ... المؤمنين ان تدفن ابن عمك حيا فوالله ... فاطلق لي الدخول عليه وحدي ثانية ، فاذن له بذلك . قال ابو سلمه فاسمعنا سمع صوت ضرب بدن يكف ثم سمعنا تكبيرا فخرج الينا صالح وقال : قم ياامير المؤمنين حتى اريك عجبا ، فاخرج صالح ابرة كانت معه فادخلها بين ظفر ابهام اليد اليسرى ولحم ابراهيم فجذب يده وردها الى بدنه ، فقال صالح : ياامير المؤمنين ، هل يحس الميت بالوجع ؟ فقال الرشيد . لا . فقال صالح : لو شئت ان يكلم امير المؤمنين الساعة لفعلت ، ولكن ياامير المؤمنين اخاف ان عافيته وافاق وهو في كفن فيه رائحة الحنوط ان ينصدع عليه فيموت موتا حقيقيا ،ولكن ياامير المؤمنين تامر بتجريده من الكفن والباسه ثيابه ووضعه في فراشه . قال ابو سلمه فوكلني الرشيد بذلك ففعلت،وأتى صالح بكندس ومنفخة من الخزانة ونفخ في انف ابراهيم مقدار ثلث ساعة ، اضطرب بعدها بدنه وعطس وجلس امام الرشيد ، فساله عن قصته فذكر انه كان نائما ورأى في منامه كلبا قد اهوى عليه فتوقاه بيده فعض ابهام يده اليسرى عضة يحس وجعها واراه ابهامه التي كان صالح ادخل فيها الابرة ، وعاش ابراهيم بعد ذلك دهرا ، ثم تزوج العباسة بنت المهدي وولي مصر وفلسطين.

وبعد فان العلم لا موطن له ، ولكل انسان الحق في طلبه ، واذا توافرت المؤهلات والظروف لامرىء فتح عليه ، والعرب في طليعة تلك الامم التي حملت مشعل العلم دهرا وساهمت بقسط وافر في ارساء دعائم العلوم التي قامت عليها النهضة الحديثة وانهم اليوم مدعوون الى ان يضيفوا اليها المزيد وانهم لقادرون .

حلب ـ محمد طه الجاسر

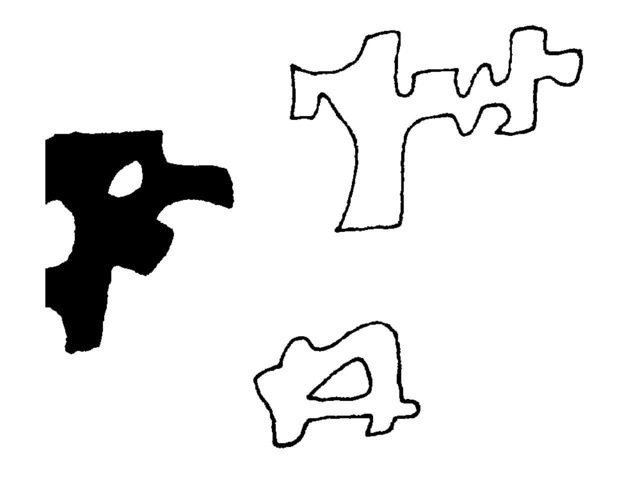
لمن الاطلال ؟

عن قصة : هـ ٠ ب ٠ فيف ٠

■ كانت الحرارة العالية للنجم الاصفر تلفح اجساد المجموعة التى احتشدت فوق الكوكب « توراشح » . تستعرض من اعلى السد ما تم انجازه من عمل ٠ قال جيف اوتيس « صدقنى يافنشلى ٠٠ هذا عمل عظيم ، ٠ هز فنشلى راسه دون أن يتكلم . فعاد اوتيس ليقول « لقد انجزت عملا رائعا فى كل ما يتصل بالمحطة الهيدروكهربية ٠٠ فمتى تصحبنى الى العاصمة التى يجرى تشييدها ؟ » ٠ قال فنشلى « بامكاننا أن نطير اليها الان ٠٠ ٠٠ لقد انتهينا من انشاء حدودها المؤقتة ، قريبا من اطلال المدينة القديمة التى شاهدناها من الطائرة العمودية » ٠

قال اوتيس « عندما طرنا فوقها . بدت شبيهة بالاطلال التىرأيتها على بعضالكواكبالاخرى » ، ضغط فنشلى شفتيه فى صبر ، فلاحظ اوتيس هذه الحركة . وادرك أنه يحاول أن يكون مجاملا واسع الصدر مع المشرف العام الذى جاء من الارض ، والذى سيتولى كتابة التقرير الشامل عن سير العمل ٠٠ لقد كان واضحا ان فنشلى يود أن تنتهى هذه الزيارة باسرع ما يمكن حتى يتفرغ للاعمال العديدة التى يقتضيها انشاء المستعمرة الارضية على هذا الكوكب ٠

لم يستطع اوتيس بينه وبين نفسه أن يلوم فنشلى على هذا الشعور . فهذا هو الكوكب الخامس الذى يصل اليه أهل الارض فىاكتشافهم الدائب لاغوار الفضاء ، وهناك المزيد من المسئوليات . تنتظر رجلا مثل فنشلى ، نال على اعماله السابقة اعلىتقدير من المسئولين٠قالاوتيس وهو يعود الى الموضوع « يمكنك أن ترى معى هذا الشبه . عندما اعرض عليك بعض الصور







التي التقطت لاطلال الكواكب الاخرى ٠٠ ولكن ٠٠ ما هذه الاصوات ؟ ! » اجاب احد المهندسين العاملين معفنشلي« اصطياد القرود علىالاغلب »٠ سال اوتيس مندهشا « قرود ؟ ٠٠ » ، فتدارك فنشلي قائلا « ليس بالضبط ٠٠ انها التسمية التي نطلقها على التورانجيين ، الذين يعيشون على هذا الكوكب ٠٠ انهم اشبه بالقرود الضخمة الرمادية » ٠ وسمع اوتيس ثلاث طلقات ثم ساد السكون ٠

★★★

صعد اوتيس مع فنشلي الى الطائرة العمودية التي كانت في انتظارهما ، وعندما حلقت الطائرة فوق الموقع المختار للعاصمة الجديدة للكوكب ، شاهد اوتيس هيكل تخطيط المدينة ، وقد تميزت طرقها بعد أن مهدتها الجرافات الضخمة ، فابدى اعجابه باختيار الموقع على امتداد الخليج العربي يطل على البحر ، حيث تصب مياه النهر الذى يجرى بناء السد لتخزين مياهه ٠

قال فنشلي « يتفق معي علماء الجيولوجيا في أن هذه الصخور المنحوتة ، ترجع الى ايامالحضارة التي قامت على هذا الكوكب يوما ما ٠٠ اما الان فيمكننا أن ننحرف بالطائرة الى هذا الاتجاه ، حتى نرى كيف قامت المدينة القديمة على شاطىء الخليج » ٠

اتجه قائد الطائرة الى ناحية الصخور ، ولاحظ اوتيس انها تشكل نهاية هضبة ، تنتهى عند طرفها الاخر بهوه عميقه ، اشار اليها فنشلي وهو يقول « هنا كان يجرى النهر منذ الاف السنين » ٠ ادركوا في طيرانهم حدود المدينة القديمة ، فسال اوتيس : « الم تتوصلوا بعد الى جنس المخلوقات التي شيدت مثل هذه المدينة الضخمة » ٠ اجاب فنشلي « ليس بعد ٠٠ ولو ان بعض افراد بعثة التنقيب قاموا بدراسات ترجح انها من صنع التوارنجيين » ٠

سال أوتيس مندهشا « هذه الحيوانات التي كنتم تصيدونها منذ قليل ؟ ! » ٠ اجاب فنشلي « هذا مجرد احتمال ٠٠ لقد عثرت بعثة التنقيب على بعض الادلة التي تفيد ان المدينة لم تدمر نتيجة هزة ارضية او زلزال ٠ لقد عثروا على آثار حرائق ، وبقايا صورايخ متفجرة ٠٠ نظريتهم تقول ان التورانجي الحالي هو من سلالة منحطة لحضارة متطورة قامت على هذا الكوكب » ٠

غرق اوتيس في تفكير عميق ، ثم قال « عليكم ان تتاكدوا من سلامة هذه النظرية ٠٠ فلو انها صحيحة ، يصبح عليكم ان تتوقفوا عن قتل هذه المخلوقات ٠٠ فايا كان مستوى تطورهم الحالي ، فقانون بعثات استعمار الكواكب به نصوصواضحة حول التصرف مع سكانها » ٠

تمالك فنشلي نفسه بصعوبة وهو يقول مستنكرا « هؤلاء القرود ؟ ! ٠٠ » هز اوتيس راسه مؤمنا وهو يقول « نعم ٠٠ ولى ان تتاكدوا من أنهم لا يزيدون عن كونهم مجرد حيوانات » ، ثم استطرد بعد أن القى نظره من نافذة الطائرة « بودى لو هبطنا هنا ، لالقى نظره على هذه الاطلال » ٠

نظر فنشلي الى ساعته في ضيق ، غير انه استسلم واعطى امره لقائد الطائرة بالهبوط ٠

★★★

أخذ اوتيس يتطلع الى المواقع التي كانت بعثة التنقيب تعمل بها ، وقد ظهرت أدواتهم واجهزتهم مبعثرة في انحاء المكان ٠ ترك اوتيس المهندس فنشلي مع قائد الطائرة ، وابتعد ملتفا حول كوم القاذورات التي كانت اخرجت من مدخل احد البيوت القديمة ٠ ولاحظ اوتيس الاحجار التي بنى منها البيت ، وقطع الصلب المستخدمة في البناء ، غير أن المكان باكمله بدا كما لو كان قد تدمر نتيجة لانفجار شديد ٠

تقدم اوتيس عدة خطوات الى داخل المبنى ، ولاحظ ارتفاع حوائطه الداخلية ، وقد ظهرت فيها بعض العقود التي كانت بلا ريب نهاية نوافده ، فقال متمتما « هذه بلا شك بقايا حضارة متطورة قديمة » ٠ أخذ يتطلع حوله في فضول ، عندما لمح فجاة حركة خلف فتحة مظلمة الىيمينه٠ كان متاكدا من أن فنشلي لم يتبعه ، فلا بد أنه احد المنقبين ، فرفع صوته قائلا « الا توافقني على ذلك ؟ ٠٠ » واداو راسه منتظرا ، فلم يحصل على اجابة او يلمح اى حركة ٠٠ بل وصل اليه الحديث الدائر بين فنشلي وقائد الطائرة على مسافة كبيرة منه ٠٠ تمتم اوتيس حائرا ماذا جرى ؟ ٠٠ هل بدات اتخيل الاشياء ؟٠٠ » وحتى يستعيد ثقته بنفسه واصل مسيرته داخل البيت غير ان غريزته دفعته الى التوقف فجاة في مكانه، فقال لنفسه « ماذا جرى ياجيف ؟ لا تكن غبيا ٠٠ ما الذى سيكون بالداخل ، اشباح ؟ ! »

تقدم اوتيس متشجعا الى الفتحة التي تصدر حركة ما خلفها ، انحنى قليلا حتى يدخل راسه

فيها . ونظر ناحية اليمين فلم ير شيئا ٠٠ و دار وجهه ناحية اليسار فالتقت عيناه مباشرة بعينين سوداوين واسعتين ٠

كان المخلوق التورانجي الواقف امامه . فيمثل طوله . ذراعاه اشبه بذراعي القرد . وجسده مغطى بفراء رمادى قصير مجعد ٠ وظهر فم المخلوق بلا اسنان ، وكانه مخصص للمص لا للمضغ ٠ وقد استقرت عيناه على جانبي جمجمته الضيقة اشبه بكرتي رفع الاثقال الحديديتين ، وفي المكان المفترض للاذنين ، تتحرك مقلتاهما بسرعه مقلقة ومع مزيد من التامل لاحظ اوتيس فتحتي الاذن في موضع تحت العينين ، تكادان تختفيان تحت فراء الرقبة ٠

احس اوتيس بظهره يؤلمه من طول انحنائه ، فاعتدل قليلا وهو يقول « هاللو ٠٠ » ، ثم شعر بسخافة قوله كوسيلة للتفاهم مع هذا المخلوق ٠

كان رد فعل المخلوق أن تحرك بسرعة شديدة، مادا ذراعه الطويل الى الارض ، فتراجع اوتيس قليلا مخرجا رأسه من داخل ثغرة الجدار ، في الوقت الذى اندفعت فيه قطعة من الحجر تصفر امام انفه ٠ صاح اوتيس محتجا « هيه !! ٠٠ »٠ فلم يسمع سوى حركة المخلوق التورانجي السريعة وهو ينتقل بين الاطلال ٠

عندما افاق اوتيس من الصدمة ، انصرف في تثاقل متجها الى الطائرة ٠

★★★

بعد عدة دقائق . قال أوتيس لفنشلي وهما داخل الطائرة « لو أنى بقيت في مكاني لهشم الحجر رأسى » ، علق فنشلي بلا كبير اهتمام « انهم شديدو السرعة ٠٠ فمنذ أن قدمنا الى هنا لم يستطع رجالي أن يصطادوا أكثر من ستة »٠

في صباح اليوم التالى توجه أوتيس للقاء فنشلي بمكتبه في المبنى الوحيد المقام من الاسمنت والزجاج ٠ والذى يستخدم كقيادة عليا للمستعمرة٠ جلس اوتيس في المقعد المواجه لمكتب فنشلي ، واخذ يطرح عليه ما وصل من استخلاص فيما يتصل بمخلوقات تورانج ٠ اتسعت عينا فنشلي دهشة من كلمات اوتيس . وقال بعصبية « انا لا افهم هذا ٠٠ لماذا تصل الى هذه النتائج الكبيرة من مجرد الملاحظات المتفرقة التى عرضت لك ؟٠٠ » ، قال اوتيس باصرار من اين لنا ان نجزم بانهم ليسوا من بين المخلوقات الذكية ٠٠ »

لاحظ اوتيس عدم الارتياح الذى ظهر على فنشلي فقد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ٠ بعد كل [illegible] التى [illegible] [illegible] الاستعمارية على [illegible] ، تسعى [illegible] [illegible] تلك الاخطاء العديدة في ادارتنا [illegible] الفضائية ٠٠ واحتمال عثورنا على حضارات متطورة ومخلوقات ذكية فوق سطح احد الكواكب التى نرتادها ، أمر وارد ومحتمل ٠٠٠ الم تقرأ النصوص المتصلة بهذا الموضوع في القانون الذى نشر أخيرا ؟ » ٠ اجاب فنشلي محتدا لحظة من فضلك ٠٠ لن اسمح بان تصورني في شكل البربرى الهمجي الذى يسعى الى ابادة كل شيء يتحرك فوق هذا الكوكب ٠٠ اننا لانخرج في رحلات خاصه لاصطياد التورانجيين فقط نصدهم عندما يقتربون من مواقع مشاريعنا ٠٠ » نظر اليه اوتيس في تعاطف . وقد احس انه أثقل عليه بهذا الموضوع ، وسط انشغالاته العديدة في انجاز المشروعات التعميرية المسنده اليه ، فقال بصوت هادئ « كل ما اطلبه . ان تصدر امرا بالتوقف عن قتل هذه المخلوقات ٠٠ على الاقل الى أن نتثبت من مستوى تطورهم » ٠

★★★

اتجه اوتيس مباشرة من مكتب فنشلي الى مركز الاتصال بالارض ، حيث املى تقريرا طويلا حول الموضوع بناء على الاتفاق الذى انتهى اليه مع فنشلي ، ومضت عدة ساعات قبل أن يصل رد الارض الى تورانج ٠

عند مشروع مصنع التعليب المقام عند الشاطئ عثر اوتيس على فنشلي ، فاطلعه على الرد ، واخذ يقرأ له بعض فقرات التقرير « ٠٠ وابتداء من اليوم يجرى اعتبار المخلوقات الشبيهة القرود على الكوكب تورانج رقم كذا ٠٠ وكذا ٠٠ من المخلوقات النادرة ، وبناء على التعليمات ٠٠ الى آخره ٠٠ الى آخره » ٠

عقب فنشلي قائلا « اترك لى هذه التعليمات حتى اذيعها على العاملين فوق هذا الكوكب ، وانشرها في النشرة اليومية » ٠

عاد اوتيس سعيدا الى الطائرة التى نقلته الى الموقع ٠ ساله قائد الطائرة « الى حيث كنا يا سيدى ؟» قال اوتيس «نعم» ، ثم استدرك «لا ٠٠ اذهب بى على سبيل التسلية ، الى اطلال المدينة القديمة التى زرناها من قبل ، حتى القى عليها نظرة أخيرة قبل أن أغادر كوكبكم » ٠

عندما هبطت الطائرة ، لاحظ اوتيس وجود

رجلين من الجيولوجيين ينقبان في المنطقة ، فقال لقائد الطائرة « ساتجول قليلا ثم اعود اليك » ، وهبط من الطائرة متجها الى الرجلين .

تبادل معهما التحيات ، وسالهما عن مدى تقدم العمل في التنقيب ، فقال احدهما « اننا نحاول أن نصل الى اسلوبهم في البناء » ، فسال اوتيس « وما هو آخر ما وصلتم اليه » . اجاب الرجل « من الواضح انهم لم يكونوا يختلفون عنا كثيرا في اساليبهم وعاداتهم .. سواء بالنسبة للحجرات او ارتفاع الابواب ، او نوع الدرج المستخدم .. وهذا يفيد انهم كانوا ايضا يقاربوننا طولا » ، ثم استدرك « بالطبع هذه تقديرات تقريبية » ..

تمعن اوتيس في كلام الرجل ، ثم سال « هل من المحتمل انهم كانوا اسلاف التورانجيين الحاليين ؟ » قال الرجل « محتمل جدا ياسيدى .. ولو اننا لم نحفر بما فيه الكفاية حتى نصل الى معالم الحضارة التى اندثرت .. حتى نعرف أشياء اساسية عن ثقافتهم .. سيكلوجيتهم .. عاداتهم الاجتماعية » .

★★★

بعد قليل كان اوتيس في نفس المكان الذى تلقى فيه القذيفة الحجرية ، وبعد أن تاكد من أن احدا لا يراه وهو يعود الى نفس المكان الذى حدثت له فيه المغامرة الصغيرة . وتقدم في المكان عدة خطوات .. ثم تجمد في مكانه .

« لى الشرف أن اتعرف عليك » قالها المخلوق التورانجى بصوت رقيق، ثم استطرد « لقد توقعنا عودتك الى نفس المكان » .

قفز اوتيس في مكانه اندهاشا ، وهو يتامل ذلك المخلوق الذى عاد ليقول « انا اعرف هنا باسم جال جاينر . وما لم تكن معلوماتى قاصرة . فانت تدعى جيف اوتيس .. اليس كذلك ؟ » أخذ اوتيس نفسا طويلا . وقد اكتشف انه ما يزال يكتم انفاسه منذ أن فوجىء بوجود هذا المخلوق ، وقال « لم اكن اعلم .. نعم هذا هو .. لم اكن اعلم ان أهل تورانج يتكلمون لغة الارض .. ولكن .. كيف ؟ .. » .

هرش جال جاينر فراء صدره ، باصابع كفه الثلاثة ، وقال بصوت كالصفير « انا لست من تورانج .. انا من كوكب مايريى .. » سال اوتيس بانفعال وفضول « قبل أن نمضى قدما في الحديث .. يهمنى أن اعرف اولا .. كيف تعلمت لغتنا ؟ » قال المخلوق في هدوء « ربما اكون قد تعلمتها قبل أن تتعلمها انت .. لقد راقبناكم لزمن طويل ، لا يمكن ان تتصور مدى ذلك الزمن .. »

قاطعه اوتيس قائلا « ولكن .. لماذا تعيشون وسط هذه الاطلال ؟ .. وما الذى جعلكم تنتظرون حتى الآن ؟ .. اذا كانت لديكم القدرة على الاتصال .. كان بامكانكم ان تطلبوا نجدتنا ومساعدتنا في اعادة بناء مدينتكم » .

ارسل جال نظره في الاطلال التى حوله يتاملها وعلى وجهه ما يشبه الابتسامة ثم قال وكانه لم يسمع السؤال « لقد التقطنا الرسالة التى بعثت بها الى رؤسائك على الارض ، فقررنا أن الوقت قد حان للاتصال بواحد من جنسكم .. » ، ثم تذكر السؤال الذى طرحه اوتيس ، فقال « ليست لنا مصلحة في اعادة بناء هذه الاطلال .. ان لنا هنا مساكننا الخاصة التى اقمناها لانفسنا » .

اكتشف اوتيس جفاف شفتيه نتيجة لفمه المفتوح دهشة ، فرطبهما بلسانه ، واستند الى الحائط وهو يقول « هل تشير الى سعيى الى استصدار قانون يحرم قتلكم ؟! .. هل لديكم من الاجهزة ما يتيح التصنت على رسائلنا الفضائية ؟! » .

اجاب جال بهدوء « نعم .. عندنا .. لقد قررنا انكم قد اوغلتم في الفضاء الى الحد الذى يقتضى الاتصال بكم » . قال اوتيس وقد ظهرت عليه الحيرة « حقا .. لقد كنا نتوقع دائما أن نصادف على احد الكواكب حضارة متطورة .. ولكن .. لماذا وقع اختياركم على شخصى بالذات؟ » . اجاب جال « رسالتك .. لقد سعيت بجهدك البسيط، الى ما نكرس له انفسنا ونرصد له أعلى امكانياتنا .. لقد اكتشفنا انك الانسان الذى يستطيع أن يفهم اعتذارنا ، وخجلنا مما حدث بين جنسينا قديما .. قديما جدا .. »

صاح اوتيس مندهشا « بيننا ؟! .. » قال جال « نعم .. منذ زمن بعيد .. لقد تصورنا ساعتها انكم قد ذهبتم الى غير رجعة .. ونحن اليوم سعداء اذ نراكم تعودون الى واحد من كواكبكم القديمة » .

وقف اوتيس متجمدا في مكانه .. واحس جال بحيرته ، فقال « قد اكون نسيت أن افسر لك امر هذه الاطلال انها ليست لنا .. انها اطلالكم ..»

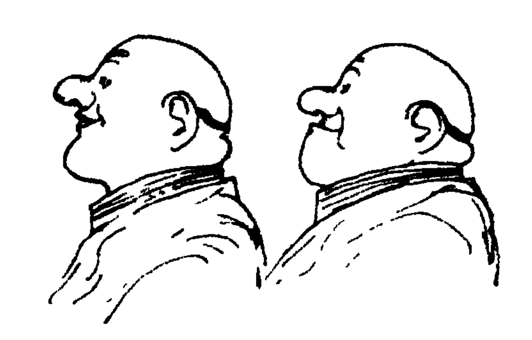
■■



هذه مجموعة من التوجيهات والنصائح ، موجهة الى الذين شاءت الظروف ان يخلعوا كل اسنانهم الطبيعية ، ويستبدلوا بها اسنانا صناعية ،تعينهم على تناول الطعام، وتصحح بعض ما افسده الزمن !

بقلم: الدكتور ظافر أحمد العطار

■ لا تترك فمك فارغا لمدة طويلة حتى تضمر اماكن القلع فانك ـ ان فعلت ذلك ـ ستعانى التجعد المبكر ونسيان عادات المضغ وستحرك فكك تحريكا خاطئا لان تحريك الفك السفلى بدون اسنان يختلف عن تحريكه عند وجود الاسنان وعلامات التجعد قد تصبح عندك دائمة اذا تركت فمك فارغا لمدة طويلة لذلك باشر بتركيب طقم الاسنان (الجهاز السنى الكامل) مباشرة بعد الانتهاء من القلع لتخرج الى المجتمع بكامل هيئتك وتسرع بالائتلاف على الوضع الجديد ٠ وصحيح ان الجهاز المباشر هو مؤقت وتحتاج الى جهاز آخر عند الانتهاء من مرحلة ضمور اللثة وانغلاق امكنة القلع وستدفع مقابل ذلك اجرا اضافيا ولكن المكاسب التى ستحقق بواسطته تفوق



قبل وضع الجهاز — بعد وضع الجهاز

ما ستتفق عليه كما انه لا داعي للخوف من الالم فهنالك مستحضرات طبية على شكل مراهم تزيل الالم الذى ليس من المؤكد حدوثه بشكل شديد .

دع الطبيب ينتقي لك

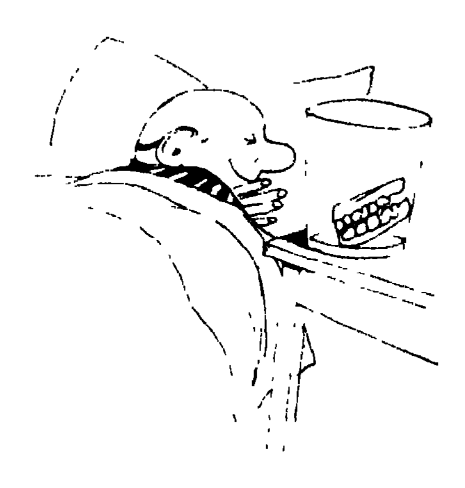
كلما تقدم الشخص بالعمر غمقت لون اسنانه فاذا كان المريض متقدما بالعمر فليطلب اسنانا غامقة لا بيضاء شديدة البياض . فمجاراة الطبيعة تجعل الاسنان مالوفة للناظرين.وكذلك دع اختيار حجم اسنانك لطبيبك الذى سيعطيك اسناناتلائم وجهك وطول قامتك لان الشخص الطويل تلائمه الاسنان الطويلة والعكس بالعكس ولكل شخص شكل معين يستطيع الطبيب ان ينتقي له مايناسبه هو لا مايناسب غيره من الناس فقد يكون ذلك لا يناسبه هو بالذات .

وبعض الناس يعتقد ان تقصير الجهاز اوتغير شكله قابل (كجعله بدون سقف حلق مثلا) والحقيقة ان كل فم يختلف تركيبه عن الاخر كبصمة الاصبع (الابهام) وما يصلح لشخص ما قد لا يصلح لك فاترك ايضا الطبيب يقرر ذلك اذا كان التقصير ممكنا لك .

النظافة وقضية النوم بالجهاز او رفعه

ان الذى ادى بك الى اللجوء للجهاز هو عادة اهمال تنظيف الاسنان ، الامر الذى يسبب نخرها ومن ثم قلعها او عدم تنظيف اللثة ودلكها (او مساجها Massage) وذلك يسبب تراجع اللثة واهتزاز الاسنان ومن ثم قلعها . فهل يعني ذلك ان الجهاز لا يحتاج الى التنظيف ؟ ــ الجواب طبعا كلا لان الجهاز يحتاج الى تنظيف بعد كل وجبة لازالة كل مايعلق به من الفضلات التى قد تتراكم كما كانت تتراكم حول الاسنان وخصوصا فى قطعة الجهاز السفلية على شكل طبقة بيضاء كلسية تدعى بالقلح (الطاقور) واذا كنت من الذين ينظفون الجهاز بالفرشاة بصورة دائمة ومنتظمة فانه على الاغلب لا يترسب . واذا حدث ترسب فيكون غير قاس ويمكنك ازالته (بنكاشة اسنان خشبية) ، ولا تستعمل الة حادة كالسكين وما شابه لئلا تتلف اطراف الجهاز وعلى كل حال يمكنك ان تراجع طبيب الاسنان لازالة هذه الطبقة القلحية لئلا تؤذى لثتك وتخدشها ويستحسن عدم تنظيف الجهاز قبل الطعام لئلا يقلل من ثباته اثناء الطعام لان الجهاز يرتكز على اللثة ويلتصق بواسطة اللعاب (الريق) فازالة اللعاب من ضمن الجهاز لا تساعد على الالتصاق، بل ان وجوده هو الضروري .

واحذر اثناء تنظيف الجهاز ان ينزلق من يدك ويقع على الارض وينكسر . لذلك نظفه ضمن المغسلة بعد وضع قطعة قماش فى اسفل المغسلة حتى اذا انزلق من يدك لم ينكسر فى اسفل المغسلة . وقبل النوم اترك الجهاز فى كاس ماء (ويستحسن ان يكون فاترا واياك ان يمس الماء الساخن الجهاز فانه يشوهه ولا تعود





نستطيع استعماله) وهذا الماء العابر يحتوى على محلول صابون خفيف وذلك من رغوة الصابون (اثناء صوبنة اليدين) او قليل من الملح لان الملح مطهر خفيف .

والعادة ان يترك الجهاز خارج الفم اثناء النوم أو الراحة اما اذا كان الشخص (يطحن) او يصر على أسنانه اثناء النوم فعليه ان يخلعه . ولكن الاشخاص الذين يكون البعد بين الفك الاسفل والاعلى كثيرا اى تكون اللثة ضامرة كثيرا ، فعليهم ان يتركوه اثناء النوم ايضا . ويضاف اليهم الاشخاص الذين بالتجربة يجدون ان خلع الجهاز اثناء النوم يسبب لهم ألما فى عضلات الوجه والاذن ووضع الجهاز اثناء النوم يزيل هذا الالم عندهم .

الشعور بامتلاء الفم والقيء والعطاس :

ما ان تضع الجهاز بفمك حتى تشعر بامتلاء الفم وانتفاخه وخصوصا فى اول الامر ، بالرغم من انك لو نظرت لنفسك بالمرآة لرأيت وجهك طبيعيا ، بل اكثر من هذا ان التجاعيد الناتجة عن عدم وجوده من قبل قد زالت .

فنظرا لوجود الجهاز فى فمك وهو جسم غريب لم تتعود عليه بعد ، فانك ستشعر بان لعابك يكثر وتشعر برغبة فى البصاق فى كل وقت لذلك يستحسن ان تمص حبات السكاكر ذات النكهة المنعشة (كما فى سكاكر النعناع) وذلك فى الايام الاولى .

[illegible]

[illegible] الاكثر . والاسر [illegible] على [illegible] لطفل ([illegible]) [illegible] فيظهر لك ثمان وعشرون [illegible] واحدة فهل تتأمل ان يكون الامر [illegible] وسهلا ولطيفا ؟ ..

واعلم ان الذين فى عمر العشرين الى الثلاثين يعتادون على الجهاز فى عشرة ايام . اما بين الثلاثين الى الاربعين فيحتاجون الى ثلاثة اسابيع وبين الاربعين والخمسين فيحتاجون الى شهرين او ثلاثة اما متخطو الستين فيحتاجون لسنة . والمعروف ايضا ان الاسبوع الثانى احسن من الاول لجميع الاعمار . وكثير من الناس يحسبون ان الجهاز سيسبب لهم القيء والحقيقة ان هذا الشعور سيزول بعد التعود . اما اذا كان الشعور بالقيء اتى بعد التعود على الجهاز بعد سنة مثلا فيدل على ان الجهاز بحاجة الى تعديل او تبطين او تبديل فيجب مراجعة الطبيب لاجراء اللازم عوضا عن تبطينه بالقطن كما يفعل البعض . والحقيقة ان الجهاز لا يصغر ولا يكبر بل ان اللثة هى التى تقلصت وتبدل حجمها فيشعر المريض ان الجهاز هو الذى تبدل ومثل ذلك مثل النظارة فالنظارة لا تكبر ولا تصغر ولكن العين تحتاج عادة لنظارة جديدة بقياس جديد .

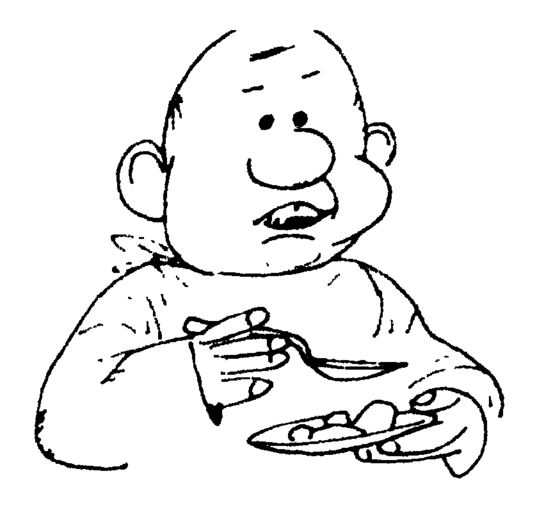
وقد تشعر ان الجهاز كبير عند الظهر بينما كان صغيرا فى الصباح او بالعكس وهذا الامر منشاه حسب الرأى العلمى اختلاف الضغط الدموى .

كما انك قد تشعر اثناء الكلام ان الجهاز يكاد ينفلت من فمك فما عليك الا ان تصمت هنيهة وتبلع لعابك وتعض على الاسنان فتعود الى طبيعتك ثانية .

وكما تعودت ان تحمد الله بعد العطاس ، فعليك الان التعود على وضع يدك على فمك اثناء العطاس . فقد ينفلت من فمك وخصوصا اذا كنت قد ابتليت بعادة التدخين فان العطاس والرشح يكثر عند المدخنين ولا تنس ايضا ان تنظف الجهاز من الاسوداد الحادث من التدخين .

ما يلائمك من الطعام

لا تنس ان تاكل الطعام المغذى حتى تقوم جميع الاعضاء بوظائفها على احسن وجه ومن بينها (لثتك وفمك) والطعام الجيد ليس من الضرورى ان يكون غالى الثمن (فائدة البندورة قريبة من فائدة البرتقال والتفاح) ولكن من الضرورى ان يحتوى الطعام على كل ما يحتاجه الجسم كالحليب ومشتقاته (زبد ، جبن ، لبن) واللحوم والخضراوات والفواكه.ولا تلجا للمعجنات والنشويات كثيرا لطراوتها ، بل اجعل الطعام الجيد طريا لانك تستطيع ان تهرس اللحم وتجعله طريا حسب الرغبة وكذلك الخضراوات والفواكه. ولا تبتلعه الا بعد مدة من بقائه في الفم لان اللعاب الممزوج بالطعام له اثر حسن في سرعة الهضم .



امضغ على الطرفين
بوقت واحد

النطق والكلام

ان نطق الكلام وكيفية تلفظه يتاثران بعض الشيء عند تركيب الجهاز ، وذلك بسبب عدم تعود الشفتين واللسان ، ولكن الامر يصبح عاديا بعد حين ، اما اذا كنت من الاشخاص (العجولين) وتريد ان تخرج الحروف كما كانت عند وجود اسنانك الطبيعية ، وخصوصا الفروق بين السين والصاد والشين والكاف والقاف فما عليك الا القراءة بصوت عال في غرفة لوحدك ، وان تحاول مرات عديدة اخراج الحروف صحيحة . والتمرين امام المرآة ذو فائدة اكبر كما ان بعض التمارين اليومية للشفتين تعطى حيوية لمنظر الوجه كان تقول كل يوم عدة مرات امام المرآة (او ـ او) (OO—OO) او (اى ـ اى) (EE—EE) وبطبيعة الحال يكون الجهاز بفمك .

والمرتلون لكتاب الله يجتازون هذه المرحلة بسهولة .

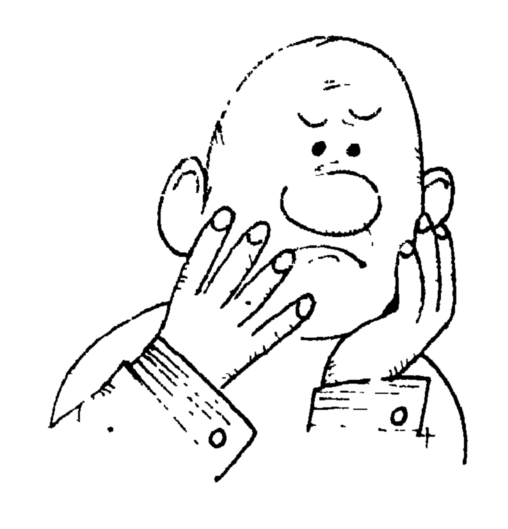
كيف تعض بصورة صحيحة ؟

ان سرعة تعلمك الاكل بجهازك متوقفة على سرعة تالفك مع الاشياء الجديدة ، لان الجهاز يشبه اليد الصناعية التى وضعت عوضا عن اليد المفقودة وتستطيع ان تعلم طبيعة تعودك على الاشياء الجديدة من تعودك على القميص الجديد او الحذاء الجديد.فهل تشعر انك تتعود على الملبوسات الجديدة أم لا ؟ بالنسبة لذلك تستطيع ان تقدر مدى تعودك على الجهاز مسبقا وبسهولة ، ولايجوز ان تقول ان فلانا تعود بسهولة وخرج من عند الطبيب وهو ياكل الموالح او اى نوع آخر من الماكولات ، فالاجسام تختلف وكذلك العقليات ولكن الصبر والتمرين يذللان اكثر الصعاب ان لم يكن كلها . وعندما تبدا بالتدريب على الطعام ضع كمية بسيطة ذات حجم بسيط فى فمك وتدرب على ذلك شيئا فشيئا . واول خطوة فى هذا التدرب ان تضع نصف اللقمة فى طرف والنصف الاخر فى الطرف الاخر ، لتوزيع الضغط على الطرفين. ولا تنس ان الاسنان الصناعية ترتكز على اللثة ولذلك تختلف عن الاسنان الطبيعية التى تكون جذورها ضمن العظم .

واعلم ان التدرب على الطعام يجب ان لا يكون على طعام ذى حجم كبير . او طعام لزج ولصوق (مدبق) لانه ينقلب فى الفم ما يشبه اللبان (العلكة) وكثير من الناس يظنون ان الخبز هو احسن ما يمكن للتدريب عليه . والحقيقة ان الخبز لا يقوم بهذا الغرض لانه يصبح لزجا بعد اختلاطه بلعاب الفم . وبهذه المناسبة عليك بالامتناع عن مضغ اللبان اذا كنت من المتعودين عليه من قبل . وان لا تاكل الماكولات التى قد

تنزلق الى ما بين الجهاز واللثة كالتين ، وجرب ان تأكل لوحدك في بداية الامر وتتمرن لوحدك حتى لا تصاب بالخجل من الحاضرين كما انه لا داعي للخجل فالمرض ليس عيبا (ليس على المريض من حرج) وعندما تعض على اسنانك الصناعية فعليك ان تدفع (التفاحة مثلا) الى داخل الفم حتى يتوازن الجهاز • وهذا يختلف عن العض بالاسنان الطبيعية لاننا نسحب التفاحة الى خارج الفم . كما عليك ان تعلم ان استعمال الانياب في الجهاز خير من بقية الاسنان الامامية لان منطقة الانياب اقوى منطقة في الجهاز •

كما ان قطعة الجهاز السفلية اقل ثباتا من العلوية في الفم والسبب اولا : لانها تستند على ساحة اقل من العلوية • وثانيا نظرا لكون اللسان يحرك السفلية فقط دون العلوية لذلك ارفع القطعة السفلية من فمك بيدك لا بواسطة اللسان لئلا تتعلم تلك العادة الضارة وتواظب عليها بصورة اعتيادية ويتعلم اللسان على رفعها بدون مبرر • وثالثا يجب ان تستفيد من اللسان بتثبيت الصحيفة او القطعة السفلية من داخلها اثناء الطعام بعد ان تغلق الشفتين فلا يجد الطعام الا مجالا واحدا هو بين الاسنان السفلية والعلوية فيطحن بسهولة •



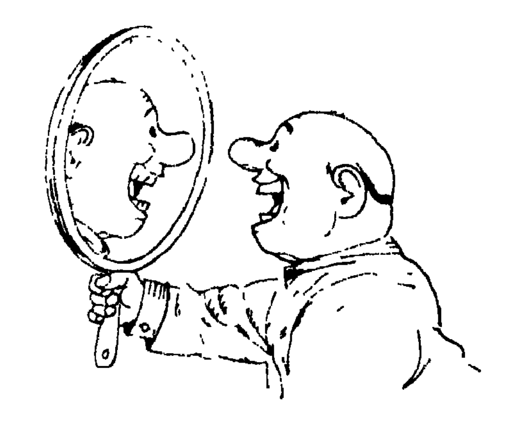
تعال وانت متألم !!

مناطق الالـــم

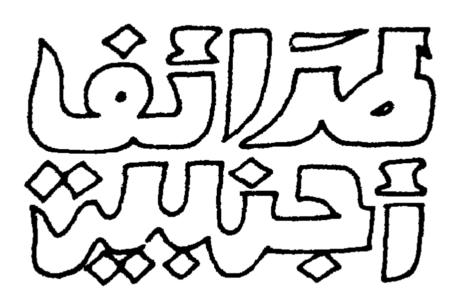
لا تتوقع جهازا بدون مناطق مؤلمة • ولكن هذه النقاط المؤلمة يزيلها الطبيب وذلك بان يبرد ما يقابل هذه النقاط المؤلمة على الجهـاز فيذهب الضغط الذى يسبب الالم والجهاز الذى لا يؤلم ابدا نادر والنادر كما تعلم لاحكم له • لذلك عليك ان تذهب الى طبيب الاسنان لبرد الاسنان التى تعاني من الالم • وانت واضع الجهاز في فمك لمدة يوم او خمس ساعات على الاقل قبل زيارتك حتى يرى الطبيب المناطق المؤلمة فيعرف تماما اين يجب ان يكون البرد والنحت ولا يكفي ان تعرف انت منطقة الالم فقد تخطىء عدة ملمترات الى احد جوانب منطقة الالم فلا تستفيد من البرد شيئا ، وذلك عليك ان تكابر على الالم وتاتي وانت متالم ليعرف الطبيب بالضبط اين يؤلمك ولا يكون ابدا مجال للغلط •

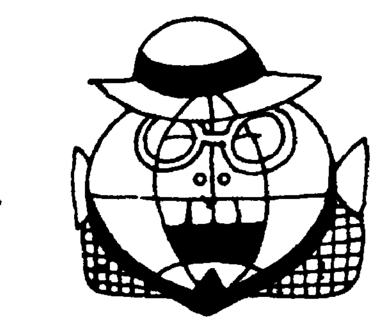
اخيرا ، فان الهدف من هذه النصائـح كلهـا تستهدف حسن استفادتك من الجهاز • واحمـد الله انك لم تخلق قبل مئة عام لانك تستطيع الان ان تتمتع بوسائل المدنية المعاصرة التى تساعـد الناس من حيث الهيئة ومضغ الطعام ولى نصيحة احب ان اذكرك بها هى انك بالصبر وحدة ستتمرن على استعمال الجهاز بسهولة • ■■

دمشق — ظافر احمد العطار



التمرين أمام المرآة
ذو فائدة أكبر





قائد عظيم

● الرئيس الامريكي الاسبق ايزنهاور كان يتمتع بشعبية كبيرة داخل الولايات المتحدة الامريكية وخارج حدود بلاده ‥ وكانت سياسته القائمة على احترام المبادىء قبل ارضاء الاصدقاء هي السر وراء النجاح الكبير الذى حققه كرئيس لامريكا، وقائد أعلى لقوات الحلفاء في الحرب الثانية العالمية ‥ فقد كان يختلف عن كل القادة العسكريين الذين عملوا معه تحت امرته ‥ حتى أنه استطاع أن يكسب حب ضباطه وجنوده واحترامهم له وتفانيهم في تنفيذ تعليماته وأوامره ·

جاءه أحد الضباط يوما يشكو جنديا من جنوده صمم على اقتحام مركز لقوات النازى في فرنسا بعد نزول الامريكيين لتحريرها ، رغم الاوامر المشددة التى صدرت اليه بالعدول عن هذه المحاولة ·

فقال ايزنهاور : « هذا الجندى يثق في نفسه وفي قدرته ‥ دعه يفعل ما يراه مناسبا ! »

وذهل الضابط ‥ وقال ايزنهاور يكمل حديثه : « أرجو ألا تغضب ، وأنا أريدك فقط أن تعلم أن القائد العادى هو الذى ينجح في أن يكسب ثقة جنوده فيه ، أما القائد العظيم ، فهو الذى ينجح في أن يعيد الثقة لجنوده في أنفسهم ، بعد أن يثقوا فيه » ·



ضحكات الشيخوخة

● روى مارك توين قصته مع المرأة التي كان يفزعها منظر التجاعيد التي كان وجهها يمتلىء بها كلما مضت السنون ‥ الى ان لقيها يوما تجلس وحدها تبكي في حديقة بيتها وكانت قد اشرفت على عامها الستين ، فقال يسألها: « وما الذى يبكيك ؟ » .

قالت : « الشباب الذى ولى ‥ الا ترى هذه التجاعيد في وجهي ؟ »

قال وهو يبتسم : « انها اجمل تذكار يحمله المرء معه ، وهو يقترب من نهاية رحلته ‥ فهي تذكره دائما بأنها مجرد آثار لابتسامات وضحكات حلوة ، لا يجب ان ننساها ابدا ! »

لا تظلموا المرأة !

● هل صحيح ان المرأة لا تستطيع ان تمسك لسانها عن سر . وانك كما يقولون « اذا اردت ان تذيع سرا فاروه لامرأة ! »

يقول الدكتور سبوك الذي تحدث في كتبه العديدة الى الامهات ، وعاش حياة الاطفال « ان ما يقال عن ثرثرة المرأة خرافة ! فهي لا تختلف عن الرجل في شيء عندما يكون الحديث عن الناس واسرارهم .. وتبقى بعد هذا الحقيقة الثابتة علميا ، وهي ان افشاء الاسرار عادة تكبر مع الطفل سواء كان انثى ام ذكرا .. ولكن الثابت ايضا ان الثرثرة ليست من طباع الطفل الاكبر في الاسرة ، فهي دائما عند شقيقه الاصغر ، لانه يبحث عن شخص ينقل اليه ما راه وما سمعه .. وهو لا يجد غير شقيقه الذي يكبره أو شقيقته ، لانه يخاف اباه وأمه في هذه السن المبكرة ، ويخشى ان يجدا فيما يقوله لهما او لاحدهما شيئا يستحق العقاب .. لا تظلموا المرأة ، فكم من نساء حملن اسرارهن في صدورهن حتى القبور ! »

★★ ——— ★★

تفاحة نيوتن !



● ما الفرق بين الرجل العادي والرجل المفكر .. الاول يعمل ليعيش ويرتزق وينظر الى الحياة من حوله كي يتفرج .. والثاني يقف ويفكر ويتأمل ، ثم ينقل لنا تاملاته في الصور التي استوقفته وشغلت فكره .

ويقول سمايلي بلانتون في كتابه « فن الحياة » .

« ان ننظر الى الصور التي تمر بنا شيء .. وان نرى ما ننظر اليه شيء آخر .. وان نفهم ما نرى شيء ثالث .. وان نتعلم مما فهمناه شيء مختلف تماما عن المواقف الثلاثة الاولى ..

« ولكن ان نعمل بعد ذلك وفقا لما استخلصناه من دروس وعبر بعد كل الذي رأيناه وادركناه وتعلمناه هو سر نجاحنا في الحياة ! ترى كم منا شاهد التفاحة وهي تسقط من الشجرة على الارض ، قبل ان يراها نيوتن ويكتشف مع سقوطها « قانون الجاذبية » . لقد كنا جميعا متفرجين ثم جاء نيوتن وعرفنا لماذا يعود كل شيء الى الارض ! »

الواقدى وكتاب فتوح الشام

علامات استفهام وشبهة النسب المجهول

بقلم : احمد عادل كمال

■ ان المصادر الاساسية عن الفتح الاسلامى للشام ، بل لجميع الفتوح الاسلامية هي مصادر عربية ، ولا نكادنجد مصادر اساسية غير عربية في الموضوع،فارسية أو رومية مثلا باعتبارأن الغزو قد شمل الدولتين الفارسية والرومية • فاذا ذهبنا نستقصى تلك المصادر العربية فيما نحن بسبيله من فتوح الشام وجدناها معلومة محصورة •

فبين ايدينا تاريخ الامم والملوك اعتمد فيه ابن جرير الطبرى فيما يتعلق بفتح الشام على مرويات سيف بن عمر الكوفى ومحمد بن اسحق وقليل عن المدائنى • ولدينا فتوح البلدان لاحمد بن يحيى البلاذرى، وتاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر جمع فيه مرويات الوليد بن مسلم ومحمد بن اسحق وسيف بن عمر ويعقوب بن سفيان والواقدى وغيرهم ، ثم لدينا تاريخ فتوح الشام لمحمد بن عبد الله الازدى ، ثم هذا الكتاب الذى نحن بسبيله « فتوح الشام » المنسوب للواقدى ، وهو اغزر هذه المصادر جميعا مادة حتى غدا منهلا يلتهم منه الجميع من دارسى التاريخ الى كتاب القصص والتمثيليات فان فيه ما يغدى هذا الصنف الاخير أكثر من اى مصدر اخر •

الواقدى من هو ؟

هو احد الاعلام وقاضى العراق وبغداد ، محمد ابن عمر بن واقد الاسلمى ، روى عن ابن عجلان وابن جريج ومالك وكثير غيرهم • كما سمع من مالك بن انس وسفيان الثورى وكان عارفا بفقههما حتى قيل لم يكن افقه منه به ، وسمع من معمر بن راشد وغيرهم • وروى عنه كاتبه محمد بن سعد الزهرى صاحب « الطبقات الكبرى » وجماعة من اعيان الرواة • وقد ولد الواقدى سنة ١٣٠ هـ وتوفى عام ٢٠٧ هـ ودفن بمدافن الخيزران ببغداد•

وقد وثق بالواقدى كثيرون ٠ وثق به الامام مالك ابن انس ومحمد بن الحسن وابو عبيد القاسم بن سلام ٠ وقال ياقوت الرومى الحموى : « الواقدى المدنى مولى الاسلميين احد اوعية العلم وصاحب التصانيف الكثيرة » ٠ ونقل عن الامام الثقة ابراهيم بن اسحق الحربى قوله « الواقدى امين الناس على الاسلام » وقول محمد بن اسحق « والله لولا انه عندى ثقة ما حدثت عنه » وقول مصعب بن الزبير « والله ما رأينا مثل الواقدى ٠٠ الواقدى ثقة مامون » وقول الحافظ الدراوردى « الواقدى امير المؤمنين فى الحديث » وقول محمد ابن سلام الجمحى « الواقدى عالم دهره » وقول يزيد بن هارون « الواقدى ثقة » ٠ يقول ياقوت « اما فى أخبار الناس والسير والفقه وسائر الفنون فهو ثقة باجماع » ٠

وقال الخطيب فى تاريخ بغداد قدم الواقدى بغداد وولى قضاء الجانب الشرقى منها . وهو من طبق الارض شرقها وغربها ذكره . ولم يخف على احد عرف الاخبار امره . وسارت الركبان بكتبه فى فنون العلم من المغازى والسير والطبقات واخبار النبى صلى الله عليه وسلم والاحداث الكائنة فى وقته وبعد وفاته . وكتب الفقه واختلاف الناس فى الحديث وغير ذلك ٠ وكان جوادا مشهورا بالسخاء » ٠ وبعد قضاء شرقى بغداد ولاه المأمون القضاء بعسكر المهدى ٠ ويقال انه حمل كتبه على مائة وعشرين بعيرا وكان له ستمائة قمطر كتب ٠

ثقة أم كذاب ؟

ومع ذلك فقد طعن عليه المدينى وقال « كان الواقدى يروى ثلاثين الف حديث غريب » وطعن عليه يحيى بن معين واحمد بن حنبل وابن عدى والدارقطنى ٠ وذهب بعضهم الى اسعد من ذلك من الطعن الشديد . قال الحافظ ابن حجر العسقلانى « الواقدى متروك مع سعة علمه » وقال زكريا بن يحيى الساجى « الواقدى متهم » وقال البخارى « الواقدى متروك الحديث » وقال معمر « ليس بثقة » وقال النسائى « الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة : ابن ابى يحيى بالمدينة والواقدى ببغداد ومقاتل بن سليمان بخراسان ومحمد بن السعيد بالشام » ٠

وقال ابن راهويه « هو عندى ممن يضع » وقال الشافعى « كان بالمدينة سبعة رجال يضعون الاسانيد احدهم الواقدى » ٠

ائمة اجلاء كثيرون يجرحون الواقدى ، وائمة اجلاء كثيرون يعدلونه ويوثقونه ! وقد لاحظنا ملاحظات عديدة تجعلنا من أمر الواقدى فى أشد الحيرة ، فان بعض اولئك الذين يجرحونه او



يعدلونه وان كانوا يسبقونه زمنيا ومنهم من مات قبله ٠ فقد توفي الشافعي عام ٢٠٤هـ قبل وفاة الواقدي بسنوات ثلاث ، وتوفي الامام مالك ١٧٩ قبل وفاة الواقدي بثمانية وعشرين عاما ،اما مصعب ابن الزبير فقد توفي عام ٧٢هـ قبل مولد الواقدي بثمان وخمسين عاما : ومع ما نقل الينا عن ابن حجر انه قال « الواقدي متروك مع سعة علمه » نجده لا يتركه بل ياخذ عنه في كتبه ٠ من هنا نرى أن جميع ما نقل الينا عن الواقدي يحتاج الى دراسة وفحص اسانيده بهدف تعديله او تجريحه٠ والحق نقول ، ان في النفس شيئا مما نعرف عن الواقدي جرحا وتعديلا ٠

كتاب فتوح الشام

وذهبنا ننظر في كتاب « فتوح الشام » المنسوب للواقدي فوجدناه مليئا بالمبالغات الظاهرة والعبارات المسجوعة على السنة ابطال الفتوح خلافا لاسلوب عصرهم ٠ ولكن الواقدي فيما نسب اليه في هذا الكتاب يدافع عنه بقوله ، ٠٠٠والله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ما اعتمدت في حصر هذه الفتوح الا الصدق وما اخذته الا عن قدوة الصدق لاثبت فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأرغم انف الرفض والخارجين عن السنة والرفض ، اذ لولاهم بمشيئة الله عز وجل لم تكن البلاد للمسلمين ولا انتشر علم هذا الدين ، فلله درهم لقد جاهدوا وصابروا وثبتوا للقاء العدو وبذلوا جهدهم وما قصروا حتى زحزحوا الكفر عن سريره وتهيا لمسيره وازالوا كسرى وقيصر والجلند بن كركي حتى علا الاسلام وظهر ، وذل الكفر وتقهقر ، لا جرم قال الله فيهم « فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » ٠

ولقد اطلعنا على ثلاث طبعات من كتاب « فتوح الشام » ،الاولى لدار الجيل ببيروت،غير مثبت عليها سنة نشرها ، والثانية للحلبي بمصر وبهامشها كتاب تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ، نشر عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦ م ٠ وبمضاهاة الطبعتين وجدناهما متطابقتين تماما فهما من اصل واحد لم يبن عنه اى من الناشرين ولم يقدم احد منهما منشورة باى تقديم ولا ذكر شيئا عن مصدره او انه قام بتحقيقه ٠

طبعات غير محققة

ثم اطلعنا على نسخة من طبع كلكتا عام ١٨٥٤م تحقيق المستشرق الايرلندي وليم ناسوليس ، جاء في تقديمه باللغة الانجليزية انه اعتمد على نسختين تختلف احداهما عن الاخرى بفروق كبيرة جدا وتمنى لو كانتا اكثر صحة مما هما عليه ولو انهما كانتا كتبتا بعناية اكبر ٠ وذكر ان الاصول الخطية للكتاب قليلة وان المكتبات الشرقية في اوروبا تضم عشر نسخ،حررت خمس منها في السنوات ٧٧٣ و ٨٢٧ و ٨٦٣ و ٩٩٤ و ١٠٠٩ هـ ٠ كما ذكر ان النسختين اللتين اعتمد عليهما احداهما تخص العقيد رولنسون حررت عام ٨١٥هـ ووصفها بانها نسخة دمشق،اما الثانية فهي تخص مواطنا من كانبور يدعى مولدي محمد حسن وقد حررت عام ٩٥٢هـ ٠ ولم تحرر اى من النسختين بعناية وان بهما من الاخطاء الهجائية والنحوية والصرفية والخلط بين التذكير والتانيث كثيرا كما ان بهما من التناقضات ما جعله يفترض انه كان هناك اصداران للكتاب ٠ واضاف انه كان احيانا لا يجد قطاعات باكملها من صفحة او اكثر في احدى النسختين وان نسخة كانبور كانت اكثر امتلاء في قسمها الاول بينما كانت نسخة دمشق تزيد في قسمها الاخير ،وان محرر نسخة العقيد رولنسون عمد الى اجراء بعض التصحيحات بها حتى تبدو غير مقلدة ولكنه لم يوفق في دقة النقل ٠

ويضيف المستشرق ناسوليس انه لم يستطع الترجيح بين اختلافات مؤرخي الفتوح وانه ما لم يقم احد بهذا العمل فسوف يكون من المحال الوصول الى اى نتيجة تستحق التصديق ٠ كما ذكر ان ما يعلمه الاوروبيون بصفة عامة عن حروب المسلمين في الشام انما يستند الى هذا الكتاب ٠ وان صح هذا فاننا نشعر تجاهه باشد الاسف اذ ان اسلوب الكتاب تعصبي استفزازي للمسيحيين خاصة ، فهو ـ على سبيل المثال ـ يكثر من ذكر استنصار الروم بالصلبان ثم تقع هذه الصلبان على الارض ويحطمها المسلمون ، كما يكثر من ذكر استعاذة

القساوسة الروم بالمسيح وبامه لم يعرض في شماتة على بيان أن ذلك لم يغن هؤلاء المشركين الكفرة شيئا امام المسلمين المؤمنين بالله .. بهج من شانه أن يعجب سماحة الاسلام والمسلمين التي اشتهروا بها وفرضها عليهم دينهم . ويفيض الكتاب في مثل تلك التعديات بين المسلمين والروم بصورة لا نجدها في اى مصدر اخر سواء السابقة او اللاحقة حتى تلك التي كتبت اثناء الحروب الصليبية . حتى اننا نرى أن هذا الكتاب من الاسرائيليات المدسوسة على المسلمين . وفي طبعة كلكتا هذه وجدنا فقرات باكملها لم نجدها في طبعة دار الجيل او طبعة الحلبي .

أصحاب المصادر والواقدى

وفي كتاب « فتوح الشام » روايات وفيرة عن هذه الفتوح اوفر مما رواه اى مصدر اخر . بل لعلها اوفر مما روته المصادر الاخرى مجتمعة .

اما محمد بن عبدالله الازدى فقد توفى بعد وفاة الواقدى باربعة وعشرين عاما . وكان كتابه في نفس الموضوع ومع ذلك فلم يتضمن كتابه « تاريخ فتوح الشام » شيئا على الاطلاق عن الواقدى . لا بالرواية والاسناد ولا نقلا عن الكتاب . واما الطبرى فقد اقتصر ما اخذه عن الواقدى فيما يتعلق بفتوح الشام على اربعة اسطر قال « واما الواقدى فانه زعم ان فتح دمشق كان في سنة اربع عشرة كما قال ابن اسحق . وزعم ان حصار المسلمين لها كان ستة اشهر . وزعم ان وقعة اليرموك كانت في سنة خمس عشرة. وزعم ان هرقل جلا في هذه السنة بعد وقعة اليرموك في شعبان من انطاكية الى قسطنطينية وانه لم يكن بعد اليرموك وقعة » .

واخذ البلاذرى عن الواقدى روايات معدودة ومقتضبة عن توزيع فتح الشام على امراء جيوش المسلمين ، وعن عبور خالد بن الوليد صحراء السماوة من العراق الى الشام وعن فتح دمشق وحمص وقيسارية والثغور الشامية .

واما الحافظ ابن عساكر – هو شافعي المذهب فبالرغم مما قاله الشافعي في الواقدى وهو مثل ما قال مالك في الخمر – ان صح عنه – فاننا نجده ياخذ بعض مرويات الواقدى في كتابه تاريخ مدينة دمشق ، الا ان ما اخذه قد اقتصر على البعوث [illegible] في تخوم [illegible] بعد النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] كالاح وموتة وتبوك وبعث اسامة . ثم [illegible] الامراء الى الشام . وهي جميع اخبار ثابتة من مصادر اخرى . كما ذكر له بعض تواريخ الفتح وتوقيتاته . ولكن ابن عساكر لم ياخذ عن كتاب فتوح الشام المنسوب الى الواقدى شيئا من القصص الكثيرة التي ازدحم بها هذا الكتاب . ولكنه اذ ياخذ عنه ما ياخذ انما يورده عن طريق الرواية المسلسلة وليس نقلا عن كتبه .

هل الكتاب للواقدى

كنا بصدد دراسة عن الصحابي البطل ضرار بن الازور الاسدى ، فعادتنا هذه الدراسة الى امر حد خطير جدير بالتسجيل حيث لم يلحظه احد قبلنا علمناه ، وذلك فيما نتعلق بتحديد تاريخ وفاة هذا الصحابي الجليل .

وليس هذا التاريخ وما لابسه من خلاف بين الرواة هو ما يعنينا هنا .. ولكن ما يقودنا اليه بشان الواقدى وهذا الكتاب المنسوب اليه . ولعل اقرب الرواة الى الواقدى واوثقهم صلة به هو كاتبه محمد بن سعد ، قال في « الطبقات الكبرى » في ترجمته لضرار « قال عبد الله بن جعفر : مكث ضرار بن الازور باليمامه مجروحا قبل أن يرحل خالد بيوم فمات .. قال محمد بن عمر (يعني الواقدى) وهذا اثبت عندنا من غيره » . كما ذكر البلاذرى في فتوح البلدان عن الواقدى قوله « المجمع عليه عند اصحابنا ان ضرارا قتل باليمامة » .

وقال الفقيه الحافظ المحدث ابو عمر يوسف بن عبد البر القرطبى في الاستيعاب « وذكر الواقدى قال : قاتل ضرار بن الازور يوم اليمامة قتالا شديدا حتى قطعت ساقاه جميعا فجعل يحبو على ركبتيه ويقاتل وتطؤه الخيل حتى غلبه الموت، وقيل مكث ضرار باليمامة مجروحا ثم مات قبل ان يرتحل خالد بيوم . قال وهذا اثبت عندى من غيره » .

وقال عز الدين بن الاثير في اسد الغابة «... وشهد قتال مسيلمة باليمامة وابلى فيه بلاء عظيما حتى قطعت ساقاه جميعا فجعل يحبو على ركبتيه ويقاتل وتطؤه الخيل حتى غلبه الموت ، قاله الواقدى »

كذلك قال الامام الحافظ ابن حجر العسقلاني في الاصابة عن ضرار « واختلف في وفاته فقال الواقدى استشهد باليمامة » ·

ابن سعد المتوفى ٢٣٠ هـ . والبلاذرى المتوفى ٢٧٩هـ وابو عمر المتوفى ٤٦٣ هـ وابن الاثير المتوفى ٦٣٠ هـ وابن حجر العسقلانى المتوفى ٨٥٢ هـ ·· خمسة مصادر تنسب الى الواقدى تاكيده ان ضرارا استشهد باليمامة ·

وقد كانت معركة اليمامة من حروب الردة ضد مسيلمة بن حبيب الكذاب وشهدها ضرار مع خامد بن الوليد عام ١١ هـ · هذا فى حين امتلأت صفحات كتاب «فتوح الشام » المنسوب الى الواقدى ببطولات اسطورية لضرار بن الازور الاسدى فى كل معركة من معارك فتح الشام ، بل وذهب الى ابعد من ذلك فجعل له ذكرا فى معركة القادسية وفى فتح مصر وفتح الجزيره ، وقد كانت هذه بعد حروب الردة بسنوات باجماع الرواة بما فيهم الواقدى · ولم ينسب الى الواقدى احد من هؤلاء الخمسة ولا من غيرهم ما نراه الان فى فى ذلك الكتاب عن ضرار · فكيف نعلل هذا التناقض فيما ينسب الى الواقدى

ان هذا يسوقنا ليس فقط الى الشك بل الى القطع ان كتاب فتوح الشام المنسوب الى الواقدى ـ بصرف النظر عن توثيق الواقدى او تجريحه ـ لايمت الى الواقدى بصلة · وان الامر يحتاج الى بحث شامل وراء النسخ الخطية لذلك المصدر حيث كانت والتحرى عن تاريخها والبحث فيما بينها عن فروق وما اشتملت عليه من مرويات تتناقض او تتفق مع المنقول عن الواقدى فى المصادر الاخرى ، وعن مدى توثيق هذه او تلك·كما يحتاج الامر الى بحث صحة نسبة هذه المصنفات الى الواقدى ·· انه بحث يضيق مقال ان يحتويه وانما ندعو جامعاتنا وباحثينا الى القيام به ·

يقول فتحى عثمان فى كتابه «اضواء على التاريخ الاسلامى » حين عرض للواقدى « ·· له كتاب التاريخ الكبير وكتاب الطبقات ، ولم يبق لنا مما يصح من كتبه الا كتاب المغازى ··· » لقد بحثنا فيما رجعنا اليه من مصادر عن ذكر لكتاب فتوح الشام للواقدى ، فوجدنا أن محمد بن سعد « كاتب الواقدى » فى الطبقات وابن حجر فى لسان الميزان وابن قتيبة الدينورى فى المعارف قد ترجم له كل منهم ترجمة مختصرة دون أن يشيروا الى الكتاب ولا الى أى من مصنفاته · كذلك لم نعثر فى الاصابة على اشارة للكتاب ·ولقد ذكر ابن الاثير المتوفى ٦٣٠ هـ فى مقدمته لكتاب أسد الغابة المصادر التى أخذ عنها ولم يذكر كتاب فتوح الشام ولا أى كتاب للواقدى . وقد ذكر فى كتابه اشياء نسبها الى الواقدى دون أن يبين عن مصدرها · وذكر صاحب الاستيعاب المتوفى ٤٦٣هـ أن تاريخ الواقدى أخبره به خلف بن القاسم عن على بن العباس عن ·· الخ ولم يذكر فتوح الشام أيضا ·

اما اول ذكر عثرنا عليه لكتاب فتوح الشام للواقدى فهو ماذكره ياقوت الحموى فى معجم الادباء فى معرض تعداده لمصنفات الواقدى · ثم يجىء شمس الدين الذهبى المتوفى ٧٤٨ هـ فيذكر فى كتابه . دول الاسلام فيمن مات ٢٠٧ هـ . ·· وقاضى بغداد محمد بن عمر الواقدى صاحب المغازى ولم يذكر فتوح الشام ·

ما معنى أن نعثر على أول اشارة الى هذا الكتاب فيما كتب ياقوت المتوفى ٦٢٦ هـ ثم يختفى هذا الذكر من عند ابن الاثير المتوفى ٦٣٠هـ والذهبى المتوفى ٧٤٨هـ ؟نذهب الى انهذا الكتاب ظهر قبيل ياقوت بفترة مناسبة ولا يعقل أن يكون امره قد خفى على ابن الاثير وعلى الذهبى ولكن الاقرب الى العقل انهما لم يثقا فى نسبة الكتاب الى الواقدى · وجدير بالذكر هنا أن أقدم نسخة أشار اليها ناسوليس هى تلك المحررة فى ٧٧٣هـ·

وقصارى القول اننا نرى فى هذا الكتاب كتابا « لقيطا » مجهول النسب حتى الان . ينتسب ادعاء الى غير كاتبه ، نعذر الباحثين فى تاريخ الفتح الاسلامى والمؤرخين من الاخذ عنه ·

اما كتاب القصص والروايات الذين يجدون فى هذا الكتاب مادة كما فى ألف ليلة وليلة فهذا شانهم ، ولكن على القارىء والمشاهد الا ياخذ هذه المادة على انها حقائق · والله ولى التوفيق·

■■

أحمد عادل كمال



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

الصداع النصفى

● اشكو من صداع نصفى ينتابنى منذ مدة قصيرة .. فهل من علاج لحالتى هذه ؟

ـ الصداع النصفى نوعان . النوع الاول هو الذى يحدث مبكرا منذ الصغر ، أى منذ سن العاشرة ، وهذا يتميز بوجود اعراض عصبية قبل حدوث الصداع النصفى ، كالشعور بتنميل وخدر فى نصف الجسم واحيانا عدم القدرة على الكلام . او ضعف فى نصف الجسم .. ويستمر هذا لفترة قصيرة جدا، ثم تتلاشى هذه الاعراض كلية، فيحس المريض بالصداع يزداد قوة تدريجيا الى ان يصل الى حد يسبب له الغثيان والقيء . بعد ذلك تتحسن حالة الصداع ويذهب تدريجيا ليعود المريض بعدها الى حالته الطبيعية ، او ينام بعض الوقت ليصحو وقد اختفى الصداع نهائيا .. فى هذه الحالة التى تبدأ فى سن مبكرة ، ويكون هذا الصداع النصفى وراثيا .. وتكون نسبة عامل الوراثة فيه حوالى ٨٠٪ من الحالات .. و ٢٠٪ الباقية يمكن ان تكون بسبب آخر مثل مرض خلقى بشرايين المخ .. لذا يجب البحث عن السبب ، لانه يمكن فى بعض الحالات معرفة السبب ومعالجته .. وهذا النوع من الصداع النصفى يعالج بمركبات الارجوتامين Ergotamine .

اما النوع الثانى فهو الذى يحدث بعد سن العشرين ، فعامل الوراثة فيه لا يمثل نسبة كبيرة ، بل ان الاعراض فى بعض الاحيان تكون مختلفة .. فنراه يكون على هيئة صداع نصفى يسببه اضطراب فى الابصار ويبقى الالم فى نصف الرأس، وفى حالات اخرى ينتقل بسرعة الى النصف الآخر من الرأس ، او يعم الرأس جميعها. او يكمن الالم خلف الرأس .. ويمكن تمييز ذلك بأخذ تفاصيل المرض من المريض، وكيف يبدأ ... ومما يزيد الحالة تعقيدا انه فى بعض الحالات تبدأ الاعراض من اعلى البطن مع غثيان وقيء دون حدوث صداع ، ويكون هذا على فترات متفاوتة .. وهذا النوع لا يستجيب لمركبات الارجوتامين بسرعة ، كذلك لا يفيد استعمالها اذا كان الصداع قد بدأ فعلا . وتلعب الحساسية دورا كبيرا فى حدوث مثل هذا النوع من الصداع ، لذا كان من الواجب اعطاء الادوية ضد الحساسية، وتعطى كذلك المهدئات حتى لا يكون التوتر العصبى سببا فى حدوث النوبات على فترات قصيرة .

والعلاج يختلف من مريض الى آخر ، وربما استجاب مريض الى علاج لا يستجيب له مريض اخر ، لذا تترك كل حالة للطبيب ليقرر العلاج اللازم بعد عمل الفحوصات اللازمة ، واستبعاد اى مرض عضوى ظاهر يسبب هذا الصداع النصفى .

اصابات العــين

● هل نجحت محاولات تصـنيع العين

ـ ننصحك أولا : ان تذهب الـــى الطبيب لتشخيص الحالة جيدا وذلك ان وظيفة العين هي تصوير الاشياء التـــى أمامها على شبكية العين وتحويلهـا الـى اشارات خاصة يستطيع بواسطتها المخ معرفة ما هو أمام العين ، وقد لا تستطيع العــين تكوين مثل هذه الصور لعدة اسباب منها

ـ اصابة العين بعتمة على القرنيـــة (الجزء الامامي الشفـاف من العـين) وعلاج مثل هذه الحالة يمكن بواسـطة زرع قرنية سليمة « ترقيع القرنية » مكان القرنية المعتمة وتعتبر من أنجح عمليات الزرع في جسم الانسان لان القرنيـــة خالية من الاوعية الدموية التي تعمـــل غالبا على طرد الجسم المزروع بما تحمله من مضادات ، ويمكن اجراء مثـل هـــده العملية في بـلاد عدة ، منهـا الكويت ، وبنجاح تام اذا ما توفرت العيون المتبرع بها ٠

ـ اذا كانت العين لا تستطيع الرؤية بسبب عتمة العين التي تسمى بأسماء مختلفة «الكاتركتا ، الماء الابيض الساد » يمكن استخراجها بعملية جراحية بسيطة ٠

ـ أما اذا كانت العين لاتستطيع تكوين صور الاشياء التي أمامها على شبكية العين لتلفها كما يحدث في بعض حالات مرض السكر أو الضغط أو الانفصال الشبكي الكامل ولم يعالج لمدة طويلة أو التهاب داخل العين أو بسبب ارتفاع ضغط العين الجلوكوما «الماء الازرق » ٠

أو ان الشبكية لاتقدر على تحويل الصور المتكونة عليها الى الاشارات الخاصة التي يفهمها المخ كما هو الحال في العين الكسلانة المصابة بحول منذ الطفولة ولم تعالج حتى الكبر ٠

فعلاج مثل هذه الحالات يتطلب زرع العين كلها مكان العين التالفة ، ولقد حاول الاطباء ذلك منذ وقت طويل ولكنهم لم يتمكنوا من احراز أى تقدم في هذا المجال لعدة اسباب منها :

١ ـ أن الشبكية ـ وهي الجزء الذي تتكون عليه الصور ـ تفقد حيويتها اذا ما انقطع عنها الدم مدة بين ٢٠ و ٣٠ دقيقة ومعنى هذا ان أى تفكير في مثل هذه العملية يوجب الحصول على عيون سليمة من اشخاص أحياء وهذه مشكلة في حد ذاتها فأين تجد من يتبرع بعينه وهو حي ؟

٢ ـ يجب توصيل الدم الى العـين المزروعة في مدة أقل من نصف ساعة وهذا غير مضـمون لأن الشريان الذي يقـوم بتغذية العين صغير جدا ولايمكن خياطته كما هو الحال عند زرع القلب والكلى التي لها أوعية دموية كبيرة يمكن خياطتها ٠

٣ ـ الخلايا العصبية بالشبكية لها الياف عصبية مرتبة ترتيبا خاصا داخل العصب البصري وتسلك مسارا معقدا حتى تصل الى المركز البصري داخل المخ فعند عملية الزرع يجب توصيل هذه الألياف العصبية من العين المزروعة بالالياف نفسها وبالنظام نفسه داخل العصب البصري للشخص الذي سوف تزرع له العـين حتى تستطيـع ان ترسل الاشارات نفسها التي يستطيع المخ بواسطتها تفسير الصور المتكونة على شبكية العين وهذا غير ممكن من الناحية العملية اذ يوجد مئات الالوف من الخلايا واليافها العصبية ٠

ولكن العلم والطب لم يستسلما لكـل هذه الصعاب بل اتجها الى تصنيع البصر والبحث جار على النحو التالي :

وظيفة العين هي تكوين صور للاشياء التي أمامها ثم تحويل هذه الصور الى اشارات خاصة يستطيع المخ عن طريقها معرفـــة

هذه الاشياء . فيمكن استقبال الصـ[illegible] التي أمام العين بجهاز تليفزيوني صغير وهذا ممكن وسهل . واذا ما عرف[illegible] خاصية ونوع الاشارات التي ترسلها العين الى المخ ففي هذه الحالة يمكن التقاط الصور بواسطة هذا التليفزيون الصغير الذى سوف يعمل على تحويلها الى اشارات مماثلة لاشارات العين

[illegible] في عدة دول من [illegible] منها [illegible] والولايات المتحدة لمعرفة نوع الاشارات التي ترسلها العين . [illegible] لم يتوصل الاطباء الى معرفة تامة لهذه الاشارات ونأمل أن يتم ذلك في القريب العاجل حتى يسترد كل كفيف بصره .

هــذا العــرق

● **ما هو العرق الذى يتصبب من اجسامنا بين الحين والاخر ؟**

ــ العرق عبارة عن افراز تفرزه الغدد العرقية المنتشرة في الجلد والتي يبلغ متوسط عددها حوالى ٢٠٠ ــ ٣٠٠ غدة في السنتيمتر المربع من الجلد . ويزداد هذا العدد في اماكن خاصة من الجلد كالجبهة والكفين ، وباطن القدمين . وللعرق وظيفة يقوم بها ، فهو يساعد على افراز الفضلات من الجسم كالبولينا مثلا .

ومن اهم وظائف العرق تنظيم حرارة الجسم ، فنجده يزداد اذا تعرض الشخص لجو حار ، حتى اذا تغير انخفضت حرارة الجسم وبقيت عند المستوى الطبيعي ، على انه اذا فقد الجسم كمية كبيرة من العرق ، فأنه في نفس الوقت يفقد ملحا هاما من الجسم وهو كلوريد الصوديوم والذى يلعب دورا هاما في وظائف الاجهزة المختلفة ، لذا يجب ان يعطى ملح الطعام بكميات كبيرة ليسترد الجسم مافقده من ملح كلوريد الصوديوم .

ويزداد افراز العرق من الجبهة واليدين وفي اجزاء اخرى من الجسم عندما ينشط جهاز العصب السمبثاوى الذى يغذى الغدة العرقية ويلاحظ ذلك في حالات الالم الشديد والخوف والغضب وغيرها من الاضطرابات النفسية . وتعالج مثل هذه الحالات بعلاج السبب مع أخذ المهدئات التي تساعد على عدم التوتر العصبي .

ويشكو البعض من كثرة العرق بالابطين وفي الحالات الشديدة يمكن التغلب على ذلك باجراء عملية بسيطة ، يزال جزء بسيط من الجلد تحت الابطين فيقل بذلك افراز العرق .

اما الذين يعانون من كثرة العرق في اليدين والقدمين مما يسبب لهم ازعاجا شديدا فهناك علاج خاص هو Ultrasonic وعند الاضطرار تعمل عملية قطع العصب السمبثاوى الذاهب الى اليدين والقدمين .

وفي الحالات التي يشكو منها بعض الناس من كثرة العرق في باطن القدمين مع حدوث رائحة كريهة وتسلخ بالجلد يمكن لهؤلاء ان يلبسوا احذية لها كعب مطاط سميك ، ويستحسن لبس الاحذية المكشوفة ، الصندل ، خصوصا اذا كان الجو حارا وانصح بوضع القدمين في محلول ٣٪ فورمالين كل ليلة لمده ٥ ــ ١٠ دقائق وعلى الجانب الاخر يقل العرق بسبب مرض خلقى بأن تكون الغدد العرقية بالجلد قليلة العدد فيكون الجلد جافا واذا تعرض [illegible] مصاب بهذه العلة لجو [illegible] حرارة الجسم بسرعة [illegible] شمس اخرى ومايتبع [illegible] تكون خطرة في بعض [illegible] الواجب ان لايتعرض مثل [illegible] الى جو حار .



الاستراليون متشوقون الى معرفة كل شيء عن العرب .. والجمال القليلة الموجودة عندهم ، الى الكبه والمقانق والكفتة اللبنانية المخلوطة بالبقدونس والبصل الاخضر التي يبيعها لهم

العرب في بلاد بعيدة

٢١٠٠٠٠ عربي في

• نقلوا اليها عاداتهم وتقاليدهم .. وخلافاتهم !

• ١٢ صحيفة ومجلة عربية تصدر في استراليا !

مصطفى الدباس القادم من شمال لبنان ، الى ضاحية كمسى باستراليا ..
يدللونها ويحافظون عليها .. ومطعمهم الذي كان اساسه السمك المقلى والبطاطس بدأ يتحول

استراليا

استطلاع :

سليم زبال



تعليم العربية .. محاولات فردية ضعيفة لمواجهة مشكلة ضياع كبيرة ! !

★ مساجد فى كل المدن الرئيسية باستراليا .

★ لماذا يمنح الاميون العرب تاشيرات الدخول لاستراليا ؟

★ وزير البحرية ورئيس بلدية سدنى من اصول لبنانية !

■ الى استراليا هاجروا .. مخلفين البلادوالارزاق ، والاهل والاحباب .. قلنا : لماذا ؟ فاختلفوا فى الاجابة :

- اريد ان احقق هناك ما عجزت عن تحقيقهفى بلدى ..
- اسعى وراء الكسب بعد ان شحت الاعمالفى البلاد ..
- اهرب من مجتمعات الكراهية التى نعيشها..
- ابحث عن بلد يعيش فيها اولادى بعيدا عنوجع الراس .

هجرات وراء هجرات .. كلها جاءت منمشرقناالعربى المضطرب ، حيث اللا حرب واللا سلم . لقد نقلوا معهم الـى استراليا اكثـر عاداتهـموتقاليدهم وماكولاتهم وصحفهم ، لقد نقلوا اليها خلافاتهم وحزازاتهم !!

سـعادة .. ولكن !

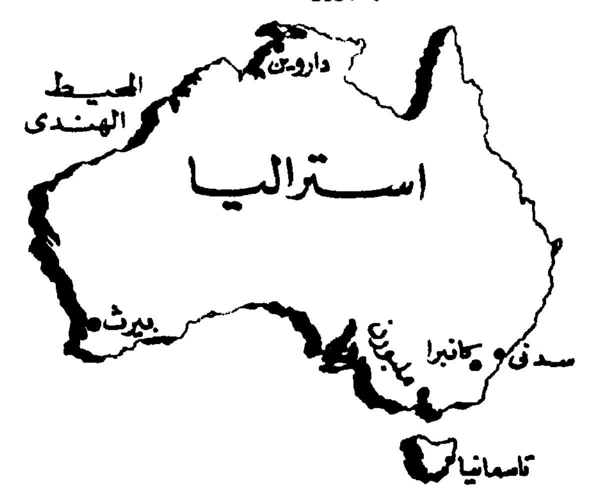
وعشنا بينهم فى غربتهم .. انهم سعداء فى حياتهم او هكذا يتخيلون ، انه شعور بالراحـة المصطنعة ، التى ما تكاد تزيح عنها بعض الرمال حتى تراهـــا على حقيقتها .. كل شىء يملكه الواحد منهم جميل .. منزل تحيطـــه حديقة ، سيارة ، تليفون ، غسالة كهربائية ، تليفزيون .. ولكنه لم يمتلكها بعد .. انه يشـــتريها بالتقسيط الطويل الذى يمتد لمدة ٢٠ سنة فى بعض الاحيان ، مع فوائد فاحشة مركبة ..ولكنك تجده رغم هذا سعيدا بشوشا لانه يمتلكها اليوم فى منزله ويتمتع بها مع اسرته .. وهذا هـو المهم عنده .. لقد تعود العيش على الاسـلوب الاسترالى ، يفكر ليومه ولعائلته وكيفية صيانة منزله ... همومه تنحصر فى كيفية دفع الاقساط وتعبئة استمارات ضرائب الدخل ، وجمع اقرارات الكسب ، وارسالها بالبريد الى مكتب الضرائب!

حياة جديدة غريبة يعيشها المغترب العربى فى بلاد لا يعرف اهلها اى شىء عن العـرب ، حتى اسماء الدول العربية لا يعرفونها فى استراليا .. وحاولنا العثور فى المكتبات على كتاب واحد من اى بلد عربى ففشلنا ! .

ان استراليا ليست معزولة جغرافيا فقط ، وانما اعلاميا كذلك .. فمحطات التليفـــزيون الثمانية والعشرون المتفرقة فى ارجاء استراليا، لا تبث الا المسلسلات البوليسية العنيفة ، والافلام الراقصة ، والمصارعة الدامية ، ومباريات الكرة .. كذلك صحافتهم تضخم اخبار الجرائم والاخبار الرياضية .. اما اخبار العالم الواسـع الكبير فليس لها الا بضعة سطور قليلة مختصرة .

ان استراليا لمتستيقظ الا علىدوى انفجارات حرب فيتنام ، فبدات تقيم الاتصالات والاتفاقات مع دول اسيا بعد ان كانت علاقاتها مقصورة على انجلترا واوروبا وامريكا .. !

فى عام ١٧٨٨ نزلت ارض استراليا اول مجموعة من المهاجرين الانجليز .. كانوا كلهم من المجرمين العتاة المنفيين من بلادهم .. اما اليـوم فاستراليا هى ارض الاحـلام لملايـين المهاجرين ..





اسرة عربية تتسلم اوراق الجنسية الاسترالية بعد ان قضت ثلاث سنوات فى البلاد .. انها سوف تكتسب جميع الحقوق التى يتمتع بها الاسترالى الاصيل .

لماذا ١٤ مليونا فقط ؟

وحتى نتعرف على وضع العرب فى استراليا يجب ان نعرف استراليا نفسها .. انها الدولة القارة يمر بها ٣٠ خط طول ، عرضها ٤٠٠٠ كيلو متر من الشرق الى الغرب .. فارق التوقيت ساعتان بين مدينتى سيدنى فى الشرق وبيرث فى الغرب !

مساحتها ثمانية ملايين كيلو متر مربع ، اى ما يوازى مجموع مساحات المغرب والجزائر وليبيا ومصر والسودان .. بينما عدد سكانها ١٤ مليون نسمة ، اى ما يزيد قليلا على سكان القاهرة !!

ان استراليا يمكنها ان تستوعب اكثر من ١٠٠ مليون نسمة ، فلماذا لا يعيش فيها سوى ١٤ مليونا فقط ؟ !

• اننا نبحث عن النوعية ، وليس الكمية .. نرغب فى ان تكون غالبيتهم من اصول انجلو ساكسونية حتى يكون هناك انسجام بين افراد الشعب .. ولكننا لم نستطع المحافظة على هذه النظرية فأتت الينا هجرات من كل انحاء العالم ..

هذا ما همس به فى اذاننا احد المسئولين الاستراليين الكبار .

اخر هجرة عربية

وحاولنا ان نجد بين الاحصائيات ، وفى ملفات ادارة الهجرة الاسترالية ، موقع الهجرة العربية وسط هذه الهجرات ، فلم نجد لها تفصيلا ، اذ انها تدخل تحت بند ، هجرات من بلاد اخرى " .

والواقع ان الهجرة العربية ما زالت قليلة العدد نسبيا .. فعدد العرب فى استراليا لا يتجاوز ٢١٠ الاف نسمة ، منهم ١٦٠ الف لبنانى و ٣٥الف مصرى و ٧ آلاف سورى و ٥ آلاف عراقى و ٣ آلاف اردنى ..

كل منهم يتجمع فى منطقة معينة .. ولكن غالبيتهم يعيشون حول سدنى وملبورن ..

وآخر مجموعة من المهاجرين العرب كان عددهم ٧ آلاف مهاجر لبنانى ، فتحت لهم استراليا ابوابها استجابة لمطالب ابناء الجالية اللبنانية .. حقيقة انها لم تفرض عليهم اية قيود ولكنها اعلنت انها لن تقدم لهم اية مساعدة مادية .. ونتيجة لهذه الهجرة العربية الجديدة أصيب اقاربهم من المهاجرين بأزمات مالية حادة اذ استدان معظمهم اموالا بفائدة ٢٠٪ لمواجهة مصاريف القادمين الجدد !!

أهم مشاكلنا ..

واردنا معرفة وضع الجاليات العربية فى استراليا ، فجلسنا نستمع الى مديرة شئون الجاليات الاجنبية بمجلس الوزراء الاسترالى السيدة نادية لوتزى (استرالية البانية الاصل) وهى تقول لنا :

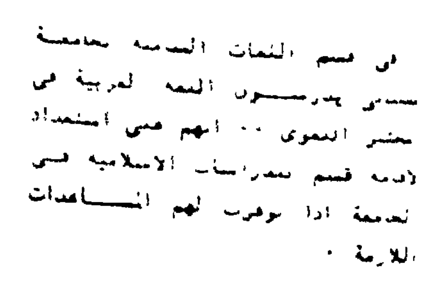
• بصراحة اعتقد ان اهم مشكلة يواجهها العرب فى كل مكان ، هى الصورة السيئة المرتسمة فى اذهان الاوربيين عنهم ، ان تبديل هذه الصورة هو الخطوة الاولى التى يتحتم عليكم ان تعملوها قبل اى شىء آخر ..

• ولقد لاحظت ان العربى فى استراليا ينجح عندما يدير عملا بمفرده .. اما العمل الجماعى العربى فيتعثر دائما ..

• خذ مثلا لماذا لا يعمل العرب صندوقا مشتركا لمساعدة المهاجرين العرب الجدد .. ؟ الايطاليون والالمان والفرنسيون واليهود ، كلهم عندهم مثل هذه الصناديق التى تحفظ ماء الوجه ، بقروضها السهلة التى تقدمها لمساعدة القادمين الجدد من اجل ... شراء منزل او اثاث أو غيره .. ... هذه الصناديق ما عدا العرب .. ... ، ولكن ينقصهم التنظيم ... واذا كانت هناك نصيحة ... للمهاجر العربى فهى ، تعلم الانجليزية واتقن



· وسعدي في الناصية الالتصاقية
المرجعة ، شبيه بالمرقة ، مما يعني
الشكل منها في مسمعة .. ولكن
حول [illegible] مقوم عقراب العسواعر
السلفية [illegible] العبيلات العميلة ·
يعيش فيه العرب [illegible] .. عدد
[illegible]
[illegible]
[illegible] التي تقدم
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ٢٠ [illegible]
(الصورة اليمنى) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (الصورة السفلى) ·



في قسم اللغات الحديثة بجامعة سدني يدرسون اللغة العربية في مختبر اللغوي .. انهم على استعداد لاقامة قسم للدراسات الاسلامية في الجامعة اذا توفرت لهم المساعدات اللازمة .



الى اليسار : قصة اول جريدة عربية في استراليا هي قصة عناد وتحد للمستحيل .. لقد ولدت في جو كله عداء .. وعندما القوا على مكاتبها جالونين من البترول المشتعل لاحراقها، سارع صاحبها حنا سمعان الذي كان في المبنى الى اطفاء الحريق ، كل هذا لان الصحيفة انتقدت الحظر الذي فرض على زيارة وفد منظمة التحرير لاستراليا عام ١٩٧٥ وفي الصورة الاخوان سمعان مع عدد جديد من صحيفتهم « صوت المغترب » .

نرجوك ... خذ الجنسية !!

وفى عام ١٩٧٣ حصل ٢٤٠٥ من العرب على الجنسية الاسترالية من اصل ٤٤٥٣٦ اجنبيا حصلوا على الجنسية فى نفس السنة .. والذين حصلوا على الجنسية فى هذه السنة كانوا ١٥٤٣ لبنانيا و ١٣٤٥ مصريا و ٢٥٨ عراقيا . و ١٣٨ سوريا و ١٢٠ اردنيا ..

(وعملية منح الجنسية الاسترالية للمهاجر تتم باسلوب رقيق . فما يكاد يمر عامان ونصف على وجود العربى فى استراليا ، حتى ياتيه خطاب من ادارة الهجرة الاسترالية تقول له فيه :

« اصبح من حقك بعد ان قضيت هذه المدة فى البلاد، ان تحصل على الجنسية الاسترالية . فهل فكرت فى هذا !؟ تعال الينا وقدم طلبك . واذا كان عندك اصدقاء مهتمون بالحصول على الجنسية الاسترالية . فنرجوك ان تحضرهم معك .. » .

وبعدها يأتيه خطاب موقع من وزير الهجرة شخصيا يقول له فيه . « يسعدنى جدا ابلاغك بأن طلبك للحصول على الجنسية الاسترالية قد ووفق عليه .. ويسعدنى بهذه المناسبة ان اهنئك بحرارة باسم الحكومة الاسترالية والشعب الاسترالى . وادعوك الى حضور الحفل الذى سيقام فى المبنى البلدى لتقديم شهادة راجيا لك كل سعادة وازدهار فى السنوات القادمة ... » .

وفى المرحلة الثالثة يقف المواطن العربى مع عائلته امام رئيس المجلس البلدى فى المنطقة يستمع اليه وهو يقول له : « انكم افضل منا فنحن حصلنا على الجنسية الاسترالية بالولادة ، وهذا شىء لا دخل لنا به . اما انتم فقد اخترتم الجنسية الاسترالية باختياركم ورضاكم . فنشكركم ونهنئكم ونتمنى لكم السعادة فى بلدكم الجديد... » .

وفى كانبيرة العاصمة جلسنا الى سفير اكبر الجاليات العربية فى استراليا . السيد / انطوان يزبك سفير لبنان ، وعميد السلك الدبلوماسى العربى المكون من ثلاثة سفراء : لبنان ومصر والاردن ، الى جانب سفيرين معتمدين لطوكيو واستراليا هما : سفيرا العراق والكويت ..

قال السفير اللبنانى : « كان السانيون اول من هاجر الى استراليا من العرب فسموا اليها حوالى عام ١٨٥٤ لم تكن هجرة جماعية بل هجرة افراد ..

« وفى جاليتنا اليوم ما نسميه بالجيل الخامس المولود فى استراليا، وهذا الجيل أصبح استراليا صميما ، ولقد ظهرت منه شخصيات لامعة بارزة مثل روبير كيوور،وزير البحرية الاسترالية سابقا، ونائب ولاية كوينز لاند ، وهو لبنانى اصله من بشرى .. ونيقولا شحاده رئيس بلدية سدنى واصله لبنانى كذلك..وهناك العديد من اللبنانيين الاستراليين الذين اندمجوا فى المجتمع الاسترالى واصبح منهم المحامون والاطباء واساتذة الجامعة .. ومع ذلك ما زالت عواطفهم جياشة نحو لبنان رغم عدم معرفتهم للعربية » .

وينتقل الحديث عن الجنسية الاسترالية فيقول السفير يزبك : « هنا عندهم ما يسمى بقانون الارض ، فكل شخص يولد فوق ارض استراليا يصبح فى الحال استراليا هو وابواه . اما بالنسبة لرعايانا فعندنا فى لبنان ما اصطلح على تسميته بقانون الدم ، وهذا يعنى ان المولود من اب لبنانى يظل لبنانيا . ولا يفقد او تسقط عنه جنسيته الا بمرسوم من رئيس الجمهورية اللبنانية .. .. لهذا ترانا لا نعترف رسميا بحمله لأية جنسية اخرى ،ما لم يصدر مرسوم من رئيس الجمهورية بذلك ! » .

★ نقل العرب صورة من بلادهم الى استراليا..فى شوارع فرينفل شاهدت لبنان..ورأيت



وفى لقائنا مع قنصل مصر العام فى سيدنى السيد محمد زغلول عبد الفتاح قال : « هجرة المصريين الى استراليا هجرة حديثة جدا .. ومصر اليوم تشجع ابناءها على الهجرة الى استراليا .. والمصرى الذى يحصل على الجنسية الاسترالية تسمح له قوانيننا بالاحتفاظ بالجنسية المصرية كذلك ..

« وهناك اعداد كبيرة من المصريين المؤهلين جامعيا ومن اصحاب الحرف ينتظرون منحهم تأشيرة الهجرة لاستراليا .. » .

« واعتقد ان اهم المشاكل التى تصادف العربى فى هذه البلاد هى اصطدامه بتقاليد وعادات تختلف تماما عن العادات المتبعة فى بلاده .. فحرية المرأة هنا مطلقة وهذا شىء لم نتعوده فى وطننا .. لهذا ارى ان القادم الى هنا يجب ان يعرف كل شىء عن استراليا حتى لا يتعرض لهزات عصبية مؤلمة » ..

طريقا السلامة والمغامرة !

ان المغتربين اللبنانيين والمصريين يكونان نحو ٩٣٪ من مجموع المغتربين العرب ولكل من افراد الجاليتين اسلوبه فى الحياة .. المصرى يسعى جاهدا الى اتباع طريق السلامة والامان فى حياته .. يعمل موظفا فى البنوك والدوائر الحكومية . او طبيبا او صيدليا او استاذا فى الجامعة او المعاهد الاخرى .. وهذا يعكس طباع المواطن اللبنانى الذى يعشق المغامرة وينطلق فى مبادرات فردية صعبة تكاد تكون مستحيلة النجاح، ومع ذلك يقدم عليها بثقة وايمان ..

يفتح مطعما متواضعا وتعمل معه كل اسرته — الام تطبخ التبولة وورق العنب والمتبل والحمص بطحينه ، والاب والاولاد يخدمون الزبائن .. وقد صار لنا ... واكثر عليها ولا يتعجبون ... كثير من العرب ..

ومن المغامرات العربية اللبنانية فى استراليا، كانت فكرة اصدار صحيفة عربية .. الفكرة فى حد ذاتها مستحيلة فلا توجد ماكينات جمع ولا صف ، ولا جمهور قارىء متجمع فى مكان واحد .. ولكن نكسة ١٩٦٧ ترتب عليها حملة دعائية صهيونية مسعورة ضد العرب تطعن وتجرح فيهم، دون ان يدرى اى عربى حقيقة الوضع فى بلاده، واجتمع مجموعة من الشباب اللبنانى وقرروا اصدار اول جريدة عربية لربط المهاجر العربى باخبار وطنه ، والرد على الحملات الاسرائيلية المسعورة ..

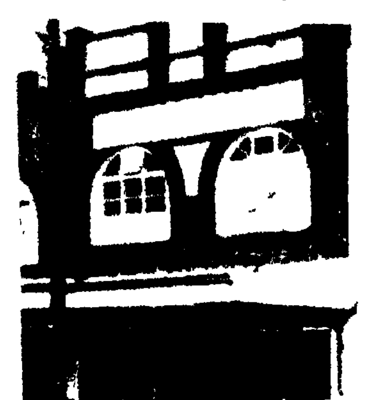
وروى لنا حنا سمعان قصة اول جريدة عربية بقوله : « كان معى ١٢ ليرة عندما بدأت فى طبع ونشر « صوت المغترب » فى سيدنى .. كل شىء كان ينقصنى وتغلبت على عدم وجود حروف طباعة باستعمال الآلة الكاتبة العادية ، والتصوير بالاوفست ، ومرت الجريدة بمرحلة صعبة يائسة، كنت اطبع ٢٠٠ نسخة واحملها وادور بها على على البقالات العربية لتوزيعها .. وشح المال وانسحب الشباب واضطررت للعمل فى احد المعامل لتامين المال اللازم للجريدة .. كنت مقتنعا ان الفكرة لا بد ان تنجح ، كنت احررها واكتب عناوينها بيدى واشارك فى طبعها واحملها الى المتاجر لتوزيعها .. والحمد لله تكللت الجهود بالنجاح فقد اقبل المغتربون عليها حتى ارتفع توزيعها اليوم الى ٦٥٠٠ نسخة اسبوعيا » .

السم فى الدسم !

لقد حملت « صوت المغترب » مشعل الصحافة العربية فى استراليا .. وتتالت بعدها الصحف العربية حتى اصبح عددها اليوم ١٢ صحيفة :

مصر فى بلاك تاون .. والعراق فى فرفيلد .. وسوريا فى [illegible] . لافتات عربية فى كل مكان ..






مستجلات - راديو فيليبس
الكمال رفيقك
اينما كنت
PHILIPS
فيليبس الأفضل لكم دوماً

التلغراف .. الوطن .. الشرق الاوسط .. لوس التايم .. صدى لبنان .. الرسالة .. الثقافة .. الدعوة .. صدى العروبة .

وهذا السيل من الصحف يفوق حاجة الجالية العربية الصغيرة الموجودة فى استراليا .. قد يكون فى هذا ربط محمود باخبار الوطن الام ، ولكن بعض هذه الصحف يخلط السم بالدسم،حتى اصبحت كل جريدة تنطق باسم حزب لبناني وغير لبناني .

والمؤسف بين بعض عرب استراليا ان محبتهم لاحزابهم ، اصبحت تفوق محبتهم لاوطانهم !

انكماش الجمعيات

وللعرب فى استراليا ٤٤ جمعية ونادياً .. عدد ضخم ولكنه لايعنى شيئا .. فهى جمعيات تعمل على مستويات طائفية عائلية وعشائرية وحزبية ـ كل ضيعة لها جمعيتها .. جمعية كفر زعاب .. جمعية كهف الملول .. جمعية ابناء الشمال ..

كل منها ترفض الانفتاح على غيرها ..فتحول العرب عنها الى الاندية الاسترالية .. وما ادراك ماهذه الاندية .. يقولون انها رياضية اجتماعية ثقافية .. ولكن الواقع غير ذلك فهى اندية قمار بالدرجة الاولى ، كل ناد يضم المئات من ماكنات البوكر ، وكانك فى لاس فيجاس، وليس فى مجتمع يفترض انه عربى .

وهكذا ضاعت وحدة العرب فى غربتهم وتقاذفتهم شتى التيارات الباردة والساخنة والمدمرة .. ووسط هذا الضياع ترفع الجمعية الاسلامية الشيعية صوتها قائلة « اننا نهيب بجميع المسلمين ونناشدهم العودة الى اسلامهم وكل من يعانى من مشكلة ويريد الايضاح والمعرفة فليكتب الينا .. » .

المسلمون فى استراليا

وقصة دخول الاسلام الى استراليا ترجع الى حوالى عام ١٨٦٠ عندما وصلها اول مسلم هندى من كشمير ، جاء ومعه ٢٤ جملا استخدمت فى اكتشاف المناطق الصحراوية القاحلة ..وبعد ٦ اعوام جاء ١٢ جمالا مع ١٢٠ جملا من كراتشي لعبوا دورا كبيرا فى نقل البضائع وتوزيع الرسائل ، واقامه شبكة مواصلات محدودة..

وحافظ القادمون الجدد على عقيدتهم فاقاموا المساجد الصغيرة فى كل مكان وتدفق المسلمون على استراليا من كل صوب : من تركيا والباكستان ومصر ، وسوريا ولبنان واندونيسيا ويوغسلافيا وماليزيا وسنغافوره حتى اصبح عددهم اليوم نحو ربع مليون مسلم ، يقيمون فى مدن متفرقة ويشيدون المساجد الجميلة الكبيرة ، وقد تبرع الملك فيصل قبل وفاته بمبلغ مليون و ٢٠٠ الف دولار لبناء مساجد فى استراليا .. وكل جالية تبنى لها مسجدا : الالبان والاتراك والقبارصة اقاموا المساجد فى ملبورن .. واندونيسيا وماليزيا والباكستان اقاموا مسجدا فى كانبرا العاصمة وفى مدينة برث اقاموا مسجدا فى داخل منزل كبير افتتحوه عام ١٩٧٦ بعد ان ضاق المسجد القديم بالمصلين .. وفى مدينة داروين التى هدمها تقريبا الاعصار الهائل فى عام ١٩٧٤ يجرى بناء مسجد جديد لاول مرة .. كذلك يجرى بناء مسجد آخر فى منطقة «اليس سينيك» السياحية ..

نريد الوفاء بالوعد

وفى مدينة سيدنى توجد ثلاثة مساجد ،واحد منها كبير ضخم ، افتتح قبل ان يستكمل بناؤه ، انه مسجد لاكنبه ، اسم المنطقة ، وبعد صلاة الجمعة فى هذا المسجد ، اجتمعنا الى المصلين مع امامهم الشيخ خالد زيدان الذى قال لنا : « مسجد لاكنبه يعتبر من اكبر المشاريع الاسلامية فى استراليا .. وهذا الجامع سيتسع لنحو ١٥٠٠ مصل و ٥٠٠ مصلية فى شرفة خاصة ، وسيضم مكتبة عربية كبيرة .. وقد تبرعت لنا المملكة العربية السعودية بمبلغ ٣٠٠ الف دولار ، وجمعنا له ٤٥ الف دولار من الاهالى هنا ، و ١٠ الاف دينار تبرع بها تجار الكويت ، ومع كل هذا ما زال المشروع فى حاجة الى ربع مليون دولار لاستكمال البناء والاثاث ..

« ان الوضع المادى لابناء الجمعية الاسلامية اللبنانية سيىء بسبب احداث لبنان الاليمة ، لهذا نرجو من الدول العربية ان تساعد فى استكمال هذا العمل الذى يحفظ لابناء الجالية لغتهم ودينهم الحنيف .. انا نريدكم ان تكونوا رسولنا الى ابناء الوطن الام ، وهذا اكبر خدمة تؤديها المجلة لنا ـ نريد كتبا .. نريد سجادا .. نريد ثريات



استطلعنا ان نحصي ١٢ جريدة ومجلة عربيـة تصدر في استراليا .. انها بمثابة همزة الوصل الرئيسية بين البلاد العربية واستراليا .. الا ان الخلافات العربية بدأت تنعكس اكثر واكثر على اتجاهات هذه الصحف وميولها،مما زاد البلبلة في اوساط الجاليات العربية هناك ..

نريد من الذين وعدونا بالاعانات والمساعدات ان يفوا بوعودهم .. » .

حقوق المغترب على وطنه

اما المسيحيون العرب في استراليا فقد اقاموا ٧ كنائس عربية ، قابلنا المطران عبده خليفه نسأله عن وضع ابناء الجالية والعرب في استراليا فقال:

« امراض العرب هي فرديتهم وعدم تضامنهم .. عندما كانوا قلة كانوا يشرفون بلادهم في استراليا وزاد عددهم فزادت انقساماتهم بما جلبوه معهم من سياسات وحزبيات مختلفة ..

« وبحبوحة العيش هنا تجعل العرب ينسون الوطن الام الذي قاسوا به الامرين ، اما بسبب الاقطاع او الفقر ويزيد من هذا النسيان عدم اهتمام الوطن الاصلي بابنائه المغتربين ، الا في ايام المحن ، عندما يدعوهم ليمدوا له يد المساعدة ..

« ولكن المغتربين اليوم ، مع تطور العالم ، يفهمون ان لهم دورا غير دور مد يد المساعدة .. عليهم واجبات ولهم حقوق ، وهم يطالبون :

ـ بان يكون لهم وزير اصيل للمغتربين يعنى بامورهم .

٢ ـ بان يكون لهم تمثيل صحيح في المجلس النيابي بالوطن الام .

٣ ـ ان يكون لهم سفراء وسفارات يعنون بامورهم على الصعيد الوطني والاجتماعي والعائلي .

« اننا ننادي باعلى صوتنا بضرورة خلق وحدة المغتربين العرب في ديار الاغتراب ، حتى يؤدي دور المغتربين ويؤدي كل منهم دوره الايجابي لصالح وطنه العربي الكبير .. » .

الذوبان اللغوي

ان تمسك العربي القادم حديثا ، بلغته العربية امر عادي ، وهو يريد لابنه ان يتعلم هذه اللغة.. ولكن الجيل الثالث الذي يولد هنا يبدأ في التحول ليصبح مشتتا بين استراليا والشرق .. اما الجيل الرابع فيذوب كليا في المجتمع الاسترالي وينسى لغته العربية ..

ويسعى العرب الى فتح المدارس العربية هنا وهناك .. وتوجد حاليا ثلاث مدارس عربية تديرها اربع راهبات لبنانيات ، يتعلم فيها ٤٢٠ طفلا ، من المسلمين والمسيحيين ، اللغة العربية والانجليزية والفرنسية ، وفي كل عام ترفض ادارة المدرسة اكثر من مائة تلميذ جديد لعدم توفر الاماكن ..

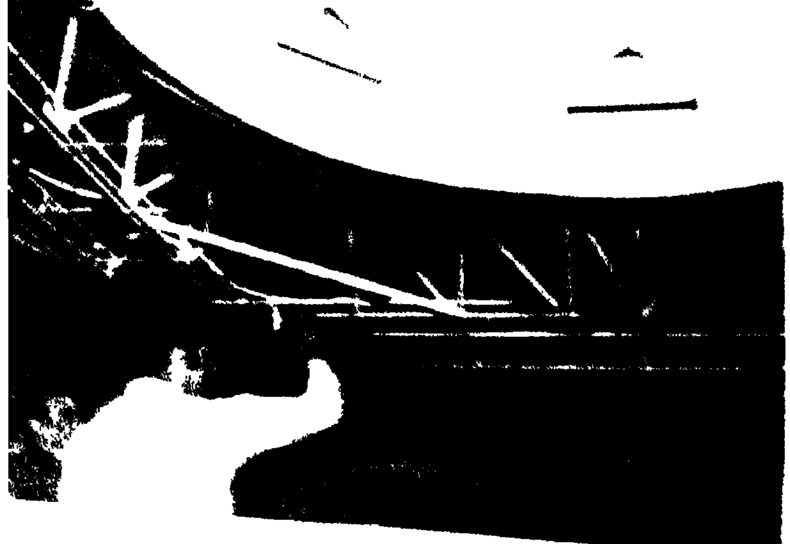
وفي مسجد لاكنبه بدا تعليم العربية في فصول مكشوفة حتى يتم بناء المسجد ..

ربع مليون مسلم في استراليا .. هذا العدد الضخم في امس الحاجة الى مرشدين دينين مؤهلين للحفاظ على مبادىء الدين الحنيف والتراث القومي .. واكبر مشروع اسلامي في استراليا ، هو المركز الاسلامي الكبير في منطقة « لاكنبه » ويضم مسجدا يسمى « مسجد الامام علي » يتسع لنحو ١٥٠٠ مصل و ٥٠٠ مصلية .. وتشرف الجمعية الاسلامية اللبنانية على بنائه .. لقد افتتح هذا المشروع قبل ان يتم البناء .. ويقوم بعض ابناء الجمعية بالعمل التطوعي لاستكمال البناء .. والصورة اليمنى تمثل رئيس اللجنة المالية بالجمعية السيد «حسين جمال » وهو يقوم بخلط الاسمنت والرمال يعاونه نجله هيثم في نقل الاحجار .. انهما يساعدان العاملين منذ سنة كاملة ..



الى اليسار : الامام « خالد زيدان » .. امام مسجد لاكنبه .. مع بعض ابناء الجمعية المتطوعين للتدريس في مدرسة المسجد التي تضم ٢٥٠ تلميذا .. يأتونها مرة في الاسبوع لتعلم مبادىء الدين واللغة.





بعـد صـلاة الجمعة فـى « مسجد الامام على » ·· وقف بعض المصلين عند مدخل المسجد الذى ما زال فى حاجة الى مبلغ ربع مليون دولارتقريبا لتستكمل اعمال البناء فيه ·· « لقد حصلنا على وعود كثيرة بالتبرع من الدول العربية ·· وكل ما نرجوه هو سرعة الوفاء بهذه الوعود » ·· هـذا ما قاله لنا الشيخ خالد زيدان امـام الجامع ·

(تصوير ا· باشا ـ سدنى)

ترى هل يمكن المحافظة على تعليم اللغة العربية بصفة مستديمة ومستمرة فى استراليا ؟

انها امنية الجميع ولكن الواقع شيء آخر ، فالذوبان اللغوى امر يصعب تداركه الا بافتتاح مدارس خاصة عربية استرالية رسمية معترف بها، لان مقررات المدارس النظامية الاسترالية العالية وواجباتها ترهق الطفل ارهاقا كبيرا ، فما بالك لو اضفنا له لغة جديدة ، عليه ان يدرسها فى اجازاته وعطلاته ٠٠ انه ارهاق كبير ٠٠

ويقول قنصل لبنان العام السيد سهيل الفريحى:

ان الموضوع يحتاج الى دراسات مطولة ، فبلاد الاغتراب عموما ، بما فيها استراليا فى حاجة الى مجلة عربية راقية ملونة باللغة الانجليزية تبتعد عن الخلافات العربيــة ، وتتخصص فى التعريف بالوطن العربى ٠٠ لان الاسترالى متشوق جدا الى معرفة كل شيء عن العرب فهو يجهلهم تماما ٠٠

مخترع اللغة العربية !!

وفى جامعة سيدنى رايناهم يدرسون اللغــة العربية باسلوب يحتاج الى تدارك سريع حتى لا يكره الدراسون لغتنا الحلوة ٠٠

وتحدثنا الى الدكتور جورج كارتر مدير قسم اللغات السامية بالجامعة الذى قال لنا : « فى العام الماضى قدمت لنا المملكة السعودية منحة فى صورة استاذين محاضرين من جامعة الرياض لتعليم طلبة القسم اللغة العربية ٠٠ وهذا اعطانا قوة دفع قوية لتنظيمه ودعمه . ولكن للاسف رجع الاساتذة بعد سنة من عملهم هنا وتركونا معلقين بالهواء ٠٠

وكتبنا مطالبين بارسالهما من جديد .ولكن ما من مجيب ٠٠ اننا نحتاج الى ستــة اساتذة لنقــدم تعليما عربيا جادا للطلبة ، ونحن على استعداد لفتح قسم خاص للدراسات الاسلامية اذا تقدمت اى دولة عربية لمساعدتنا . لان ميزانية الجامعة لا تسمح بفتح مثل هذا القسم حاليا ٠٠

« ان الطلبة الذين ادرس لهم وعددهم ٣٣ طالبا يعتقدون انى اخترع لغة جديدة عندما اعلمهــم العربية ، ان ابن المنطقة العربية هو خير من يستطيع تعليم لغة بلاده ٠٠ ولكن اين هو ؟ ٠٠ » ٠

ومن ناحية اخرى ، فقد بدأ الانفتاح الرسمى العربى على استراليا يلوح فــى الافق ، فالملك حسين زارها فى مارس ١٩٧٦ ومن بعده تقاطرت الوفود العربية مــن السعودية ودولــة الامارات والعراق ٠٠ الى جانب زيارات فردية بعضها له مردود ايجابى وبعضها له مردود سلبى ٠٠

ولا ينسى عرب استراليا حالة الذهول التى اعترتهم عندما راوا زائرا عربيا بزيه العربى يظهر على شاشة التلفزيون معقتابن استراليتين ويتحدث عن حبه للاحجار الكريمة الاسترالية وكيف انــه جاء الى استراليا ليشترى منها باربعة ملايين دولار هدايا لاسرته ٠

وعندما ساله المذيع كم عدد زوجاتك ؟ ٠٠ ضحك طويلا وقال له : واحدة فقط ٠٠

لقد اثرت هذه المقابلة فــى معنويات المغتربين تاثيرا كبيرا ٠٠ انهم يعانون من ازمات اقتصادية خانقة ، واخوهم فى العروبة جاء يتباهى بشراء احجار كريمة باربعة ملايين دولار لاسرته !

نرحب باستثمارات العرب

وجلسنا الى المستر رون دين السكرتير الاول فى ادارة الاستثمار بوزارة المــالية الاستراليــة

« نعتقد انه يجب دراسة شعب لا لغة ٠٠ لهذا ندرس اللغة العربية لطلبة الجامعة حتى يستطيعوا التعرف على الشعب العربى » ٠ هذا ما قاله لنا الدكتور ميشيل كارتر مدير قسم اللغات السامية فى جامعة سيدنى ، وهو الذى تراه يكتب على الصورة ٠



نسأله عن امكانية الاستثمار العربي في استراليا، فقال : « الحكومة الاسترالية ترحب جدا بالاستثمارات الخارجية .. ونكون سعداء برؤية استثمارات تأتينا من كل مكان .. نرحب برأس المال العربي مثلما نرحب بأي رأسمال آخر وخاصة الذي يشترك مع الاسترالي ..

• نحن مرحبون في مفاوضات ونحب ان نرى مشاركة ٥٠ ٪ في القطاعات المحلية والسمكية والمعادن .. اما اليورانيوم فنطلب ٧٥ ٪ لاستراليا .

• ويستطيع رأس المال الاجنبي ، عربيا او غير عربي ، ان يجد النفع مضمونا في حقل الاستثمار المحلي حين يعثر على الشريك الاسترالي ..

• والتسهيلات للاستثمارات المحلية والسياحية في استراليا كثيرة جدا وسهلة وسريعة .. واخراج الارباح من البلاد يخضع لمعاملات مراقبة النقد .. وهي معاملات سهلة سريعة لا نعرف لها أي تعقيدات ..

والعلاقات الاقتصادية مع استراليا في توسع مستمر . وفي العام الماضي كانت مصر في طليعة الدول المستوردة بما قيمته ١٦٣ مليون دولار ، تليها العراق ٥٥ مليونا والسعودية ٤٠ مليونا ، والكويت ٣٥ مليونا ، والامارات المتحدة ٣٠ مليونا ..

واهم المشاكل في العلاقات الاقتصادية التي يشكو منها المسئولون الاستراليون هي : تأخر تصريح السفن في الموانيء العربية .. ونقص عدد السفن التجارية . وهذه المشكلة قضي عليها بعد ان قررت شركتنا تسيير خطوط بحرية مباشرة بين استراليا والشرق الاوسط .

والاغنام هي ثروة استراليا الحيوانية الرئيسية، وقال لنا مستر نيفل تومسون مدير قسم اللحوم بوزارة الصناعة : في العام الماضي صدرنا للبلاد العربية مليونا و ٣٥٠ الف رأس غنم حي ، كان نصيب الكويت منها اكثر من مليون رأس .. وقد يهمكم ان تعرفوا ان الافراد والشركات في استراليا يربون في مزارعهم اكثر من ١٥٣ مليون رأس غنم، و ٣٣ مليون بقرة وثور .ومجلس اللحوم الاسترالي هو المسئول عن تصدير اللحوم ..

لقد تنوع الاقتصاد الاسترالي وتغير ولم يعد « يتقدم راكبا على ظهر غنم » كما كانوا يقولون ، فقد اكتشفت في استراليا كميات هائلة من خام الحديد قدروا كمياتها بنحو ١٠٠ الف مليون طن..

وعثروا على البترول عام ١٩٦١ بكميات تكفي نصف استهلاك البلاد .. واكتشفوا الغاز بكميات اكثر من حاجتهم .. والبوكسيت او الصخر الذي يستخرج منه الالمنيوم اصبحت استراليا اكبر دولة مصدرة له .. والنيكل اكتشفوه بكميات هائلة عام ١٩٦٨ اما اليورانيوم فقد اعلنوا عام ١٩٧٠ ان استراليا هي أغنى بلاد العالم بمخزونها منه ، وهو لم يستغل حتى الان الا بكميات ضئيلة جدا.. واذا تابعنا الثرواتالمعدنية وجدنا النحاس والفحم والمجنيز والتيتانيوم بكميات ضخمة ..

كل هذه الثروات تجعل من استراليا تملك اغنى مخزون منالخامات والمعادن فيالعالم غير الشيوعي.

وقف الهجرة

ان استراليا تحتاج الى ملايين وملايين من الناس لتستخرج ثرواتها ، ولكن انعدام وجود سياسة طويلة الاجل للهجرة يجعل عملية زيادة السكان تمر بمرحلة صعبة .. ففي عام ١٩٦٩ بلغ عدد المهاجرين الى استراليا ١١٨ الف نسمة انخفضوا الى ٤٠ الفا في عام ١٩٧٣ واليوم اغلقوا الباب في وجه الهجرة لوجود حوالى ٤٠٠ الف عاطل عن العمل ..

والواقع ان التعطل عن العمل مسألة نسبية في استراليا ، فالعاملون يتمتعون بحرية العمل في الوقت والمكان الذي يرغبون فيه ، ويغيرون وظائفهم حسب هواهم ! !

ويمر العمال العرب القادمون حديثا بازمة نفسية فهم يشاهدون العامل الاسترالي الشاب يجلس في منزله ويتقاضى من الحكومة « اعانة تعطل » تكاد توازي المرتب الذي يتقاضاه في المصنع المرهق .. وفي يوم الاحد يشترى هذا الاسترالي المتعطل الجريدة ليطالع فيها الوف الاعلانات عن الوظائف الشاغرة ، ولكنه لايتقدم باي طلب .. فهي لا تناسب مزاجه !:

ويصرخ اصحاب العمل ويعلن احدهم انه قد مضى عليهاكثر من عام دون ان يعثر على عامل فني بمرتب ٢٠٠ دولار في الاسبوع !

ومع كل هذا يقولون ان في استراليا حالة

حتى يجدوا الذريعة الكافية لاغلاق ابواب اليا امام اى هجرة جديدة ..

٣٠ دولارا بدلا من دولارين

ويتوقع المراقبون ان تشهد استراليا في الثمانينات ـما هائلا في اليد الفنية ستكون نتيجته عجزا ـيا في تنفيذ عمليات البناء بما فيها المدارس المستشفيات ..

ان شعار «النوعية وليس الكمية» في مجال الهجرة خلق لاستراليا مشاكل عويصة ، لان الفنى المتعلم يعرف حقوقه جيدا ، من هنا نجد مسلسل الاضرابات لايتوقف على مدار السنة في استراليا واجور العمال ارتفعت بشكل خيالي بحيث ان ميكانيكى السيارات اصبح يتقاضى ١٨ دولارا في الساعة عن عمله .. وعامل النسيج يتقاضى ١٨ دولارا يوميا ويعمل ٣٥ ساعه في الاسبوع وهذا سبب كسادا في انتاج النسيج ، اذ ان عامل النسيج في الفلبين مثلا يتقاضى دولارين في اليوم ويعمل ٦٠ ساعة في الاسبوع ! ؟

ونتيجة لهذا الوضع هدد اصحاب مصانع النسيج الحكومة انهم سوف يغلقون مصانعهم بعد ١٣ شهرا ، فاضطرت الى وعدهم بدفع ٨٥٪ من خسارتهم ، وضمان قروضهم وفرض الضرائب الباهظة على النسيج المستورد !

ان استراليا تقف اليوم امام مفترق الطرق : زيادة السكان .. او الغرق والضياع ؟ !

ومن خلف الحدود تتطلع عشرات الملايين من العيون الصفراء بشراهة ونهم الى الشمال الاسترالي الفنى الخالي من السكان تقريبا ..

والاسترالي يخاف من الشمال دائما .. وعقدته هي موقعه النائي في اقصى الجنوب .. وقد وجد احد اساتذة المدارس الحل ، ففي اثناء الدرس اخذ الخريطة وقلبها ، فاصبحت استراليا في الشمال وآسيا في الجنوب ، فارتاح التلاميذ !!

احذروا يا عرب

والعجيب في الاستراليين انهم يخلقون المشكلة بايديهم وبعدها يصرخون من الاعباء الكبيرة التي تتحملها الدولة نتيجة لهذه المشكلة ! !

انهم يصرخون من الوف المهاجرين العرب والاتراك والاسبان واليوغسلاف الذين يحملون الدولة اكثر من الف مليون دولار كل ٥ سنوات لتعليمهم الانجليزية وتدريبهم وتاهيلهم ، ويقولون ان وجود هؤلاء المهاجرين الاميين لم يساعد على تعمير واسكان المناطق النائية الخالية ، فكلهم استقروا حول سيدني وملبورن ..

وهذا المنطق الغريب يجعل المرء يتساءل : الحل والربط في يدكم فلماذا لا تضعون شروطا اساسية في قوانين الهجرة تمنع دخول اى شخص لايجيد الانجليزية ولا يتقن مهنة او لا يمتلك رأس مال ؟

ان السر في سماحهم للاميين العرب والاتراك والاسبان واليوجوسلاف بالدخول الى استراليا يعود لاسباب اقتصادية محضة .. انهم يريدونهم ليزاولوا الاعمال الشاقة التي لايقبل عليها الاسترالي ، وخاصة في مناجم الحديد ..

ان هذا العامل الامي سيكون طيعا ولن يطالب بحقوقه ومصالحه لان جهله بالانجليزية سيعوقه عن قراءة قوانين العمل المتشابكة .

ظلال فوق السعادة

قد تكون الصورة التي اعطيناها عن استراليا فيها الكثير من الظلال وهي لا يكترث لها المواطن العادي .. انه يعيش سعيدا ليومه لايفكر كثيرا .. ولا يتعب كثيرا .. يتقاضى اعانات حكومية مختلفة .. اعانات اسبوعية للاطفال الذين هم اقل من ١٨ سنة .. تامين صحي .. تامين اجتماعي .. وعندما يصل مع زوجته الى سن التقاعد يتقاضى كل منهما معاشا سخيا ويتمتعان باعفاءات كثيرة في جميع مجالات الحياة تسمح لهما بالتجول ومشاهدة روعة الطبيعة في استراليا ..

ولا يعود الواحد منهم يابه كثيرا للصراع القائم بين الحزبين الرئيسيين في البلاد : الاحرار والعمال .. صراع قديم مستمر لايتوقف ، مع تعريضات على الاضرابات التي تشل حركة البلاد ..

ان التهديدات المتبادلة بين هذين الحزبين ، هي اشبه بتهديد القلب للمخ ، بانه سيقطع الشريان عنه لوقف تدفق الدم اليه !

انهما ينتحران .. بينما العالم كله يحسدهما على روعة بلادهم وجمالها الذى لا يقدرونه ولا يشعرون به ! ! .

سليم زبال

تاه ، يتيه .. ويتوه أيضاً

بقلم : محمد خليفة التونسى

١ ـ التيه : الضلال والضياع

■ تاه المسافر فى الصحراء .. او تاه الغريب فى المدينة » اى ضل عن الطريق التى توصله الى غايته . ومثل ذلك تاه الطفل فى الزحام ، اى ضل خلاله وضاع فلم يهتد اليه طالبه ، واسم الفاعل « تائه » .

ومن المجاز « سئل الطالب فى الامتحان فتاه فى الاجابة . او تاه عنها اى ضل فلم يعرف الجواب. ومنه أيضا : تاه الباحث بين الاراء » اى ضل خلالها فلم يميز صوابا من خطا ، وتاه الكاتب بين افكاره، اى حار فى ترتيبها حتى تستقيم على نظام منطقى، « وتاه بين الكتب » اى لم يعرف ما ياخذ منها وما يترك ، فكانه « خراش » كما وصفه شاعرنا القديم اذ قال :

تكاثرت الظباء على خراش
فما يدرى خراش ما يصيد

ومن المجاز ايضا « هو تائه » اى زائغ النظر او الفكر ، او ذاهل لا يعى نفسه أو ما حوله . وحين نصوغ الفعل المضارع من « تاه » لا نستعمل فى الفصيحة الا الفعل « يتيه » كما فى قوله تعالى ـ مبينا عقاب قوم موسى عليه السلام حين خرج بهم من مصر الى سيناء ، وطلب منهم قتال اعدائهم فابوا ذلك جبنا وعنادا ، فقضى الله عليهم بالتيه فترة يموت خلالها الجيل القديم الذليل وياتى جيل اخر عزيز شجاع ـ «انها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض.فلا تاس على القوم الفاسقين».

وكذلك لا نستعمل من المصادر الا « التيه » .

ونحن فى الدارجة لا نستعمل غالبا الا المضارع « يتوه » ولا نستعمل من المصادر الا « التوهان » وكلاهما فصيح .

يقال : تاه يتيه ، والمصدر « تيه » بفتح التاء او كسرها كما يقال تاه يتوه ، والمصدر « توه » (مثل يقول قولا) ، كما يكون المصدر تيهان وتوهان (على وزن غليان) لانه يدل على اضطراب حسى او معنوى .

وتاه ويتيه ويتوه افعال لازمة ، فاذا اردنا تعدية الفعل قلنا « توهت الصحراء المسافر » أو تيهته » فالصحراء متيهة ومتوهة(بضم الميم وتشديد الياء والواو مع كسرهما) والمسافر متيه ومتوه (بتشديد الياء والواو مع فتحهما) كما نقول : أتاهته الصحراء « فهى متيهة ، وهو « متاه » » (بضم الميم فى اسم الفاعل واسم المفعول من هذه الافعال الثلاثة المتعدية : تيه ، وتوه ، وأتاه، لانها رباعية) .

واسم الفاعل تائه .وهو فى المبالغة تياه وتواه، وكذلك تيهان ، وتوهان (بسكون الياء ، والواو فيهما) .

واما مصدر « تاه » فهو « تيه » ، وكذلك تيهان وتوهان (بفتح الياء والواو فيهما ، لان فعله يدل على اضطراب مثل سيلان).

والتيه ايضا الصحراء ، لان المسافر فيها عرضة

للضلال ، ومثلها كل ارض يتعرض السائر فيها لذلك ، فهي تيه وتيهان ، ومتساه ، ومتاهة ، ومتيه ، ومتيهة .

وجمع التيه اتياه ، واتاوه ، واتاوهه .

وكل كلمة من هذه الكلمات الدالة على المكان يمكن استعمالها مجازا او تجوزا في الدلالة على المسائل الذهنية العويصة، فيقال مثلا :الرياضيات العليا تيه ، او تيهاء او متاه ، أو متاهة ... « والطالب يضرب من الفلسفة في تيه او تيهاء، أو ... » و « كل المعارف العليا عند من ليسوا من اهلها أتياه ، أو أتاويه ، او اتاوهة » .

٢ ـ التيه : العجب أو التكبر أو الدلال

وياتي التيه بمعنى العجب ، أو التكبر او الدلال : نقول : تاه الطالب بنجاحه فهو يتيه ويتوه به تيها ، اى معجب معتز به ، وكذلك نقول : تاه الرجل على الناس بثرائه او سلطانه او جاهه » اى تكبر وتصلف ، كما نقول : تاهت المرأة على زوجها ، أو تاه الصبي على أهله » اى تدلل وتعزز ، وهذه الاحاسيس لا تخلو من تداخل بعضها في بعض خلال السرائر .

واسم الفاعل هنا : تائه وتياه ، وتيهان ، توهان ، (مثل : غضبان) ثم تيهان (بتشديد الياء وفتحها) وهي صيغة عجيبة ، والعرب تسمى بها اولادها ، ومن ذلك والد ابى الهيثم مالك ابن التيهان احد صحابة النبي عليه السلام .

والمصدر هنا أيضا : تيه، وجمعه اتياه، واتاويه، واتاوهة .

يسوى (يساوى)

نقول في الفصيحة : « كتابك يساوى نصف دينار » اى أن هذا ثمنه المعادل له او هذا ما يستحقه ثمنا ، وكذلك نقول : « هذا المكتب يساوى مكتب زميلك » اى يماثله او يعادله قدرا .

ونقول في الدارجة بالمعنى نفسه : كتابك يسوى نصف دينار » وهذا المكتب يسوى مكتب زميلك » فهل كلمة « يسوى » (على وزن يلقى) عربية فصيحة مثل « يساوى » ؟

بعض اللغويين القدماء ومقلديهم المحدثين ينكرونها بغير مسوغ ، وبعضهم يقولون انها قليلة ، او نادرة .

ونلاحظ أولا أن الفعل الرباعي « ساوى ، يساوى » يقوم على أساس الفعل الثلاثي «سوى، يسوى » ـ على وزن : « لقى ، يلقى » بزيادة الف مد بعد حرفه الاول ـ وليس هو في ذلك الا ككل فعل رباعي على وزن « فاعل ، يفاعل » المأخوذ من الثلاثي « فعل ، يفعل » .

ونلاحظ ثانيا أن الثلاثي هنا « سوى ، يسوى » كالرباعي « ساوى ، يساوى » في دلالته على شيئين ، ونظيره في ذلك ـ وعلى وزنه أيضا ماضيا ومضارعا ـ « لقيه يلقاه » و « صحبه ، يصحبه » و « شركه ، يشركه » ونظيره ـ على خلاف وزنه في الماضي ـ « عدله ، يعدله » و «مثله،يمثله» فانها تدل عليه الافعال الرباعية: « لاقاه ، يلاقيه » و « صاحبه ، يصاحبه » و « شاركه ، يشاركه » و « عادله ، يعادله » و « ماثله ، يماثله » .

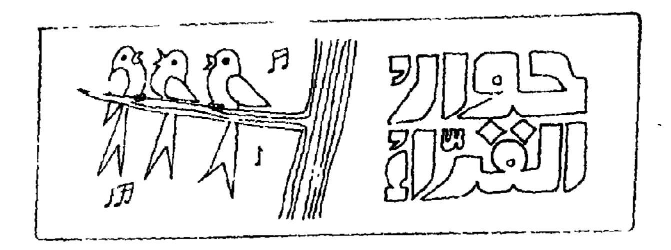
ثم ان بعض اللغويين قالوا : أن « سوى ، يسوى » لغة أهل الحجاز .

وهكذا استعملها محمد بن حازم الباهلي (شاعر زاهد معاصر للمأمون العباسي حوالى نهاية القرن الثاني الهجري) ، فقال :

« طب عن الامرة نفسا
وارض بالوحشة انسا
ما عليها احد يسـ
ـوى على الخبرة فلسا »

اى : « ازهد في السلطة ، وانس بوحدتك فليس على الارض أحد ـ اذا اختبرته ـ يساوى اهون شيء » وقد ورد الفعل الثلاثي ماضيا ومضارعا في كثير من المعاجم ، وان أشار بعضها الى قلته او ندرته ، ولكن يلاحظ انه كثير الاستعمال في الدارجة ، بل هو فيها أكثر استعمالا من الفعل الرباعي . وشيوع استعمال كلمة او قلته او ندرته حظوظ ، ولكن لا وجه لمصادرتها ما دامت عربية فصيحة . ■■

محمد خليفة التونسي



هل الحكم التركى نكبة للعرب ؟

● فى دراسة الدكتور على الراعى حول المسرح عند العرب . قرات قوله «..وامتد الخيال التركى من تركيا الى البلاد العربية التى نكبت بحكم الاتراك . مثل سوريا . » .

لفتت نظرى هذه العبارة . وتمنيت لو ان الدكتور الراعى لم يتسرع فى اطلاق حكم كهذا ، وقرأ التاريخ العثمانى بعين منصفة . وليسمح لى الدكتور الراعى ان اسأل :

ماذا كان يكون مصير الاسلام ولغة القرآن لو لم يسارع العثمانيون لتلبية صرخات الاستغاثة ، ولو لم يهبوا لنصرة اخوانهم فى الدين وعملوا معهم يدا بيد لتحرير ثغور ليبيا وتونس والجزائر من الاستعمار الاسبانى الاستيطانى الذى زحف اليها ودام عدة عقود فى القرن السادس عشر . ولو لم يفعلوا نفس الشىء فى اريتريا والبلدان الواقعة على البحر الاحمر التى تمركز فيها البرتغاليون . ولو لم يفعلوا نفس الشىء فى اقطار الجنوب العربى . حتى عاد العالم الاسلامى الى الظهور مرة ثانية فى شكل وحدة متماسكة ، بعد سياق توحدى استغرق العهدين الاسلاميين الزاهرين الايوبى والمملوكى ، وتقف كالبنيان المرصوص فى مواجهة الاستعمار الاوربى الذى لم ينجح من ثم فى ان ينزل بالعالم الاسلامى (وهو الاقرب والاكثر اثارة للمخاوف والعقد) ما انزله بالهنود الحمر وقبائل الانكا ، الى ان حل القرن التاسع عشر ورجحت كفة الاستعمار الغربى رجحانا كبيرا لاسباب موضوعية هيكلية تتعلق بتواجد الحديد والفحم الحجرى لديهم . فتساقطت تباعا الجزائر وتونس ومصر وليبيا والمغرب..ثم بلدان المشرق . ودخل اللنبى القدس مرددا : « الآن انتهت الحروب الصليبية .. ودخل غورو دمشق وخاطب قبر محرر القدس وبطل الاسلام الاغر قائلا : « لقد عدنا يا صلاح الدين » .

هل الحكم التركى نكبة على العرب والاسلام فعلا ؟

جاسم وزان
سوريا قاره

● حين قرأت فى العدد ٢٢٦ فى باب حوار القراء نص « دراكيولا ليس بطلا قوميا » تعجبت عجبا كبيرا . فقد وصف السيد فريد حمدان فى الفقرة الاخيرة الجيوش الوطنية التى تدافع عن ارض بلادها ضد غزاة أتوا ليستعمروها كما استعمروا بلادنا العربية بانها استبدادية ، وينحاز الى جانب العثمانيين لمجرد كونهم مسلمين . فانا لا ارى مبررا لهذا الانحياز الذى يغمض العين عن مظالم الاتراك وبطشهم فينا مع ان اغلبيتنا من المسلمين .

هل نسى السيد حمدان استبداد الاتراك العثمانيين فى سوريا ؟

هل نسى اللقب الذى كانوا ينادوننا به « بيس عرب » اى الكلب العربى ؟

هل نسى الشهداء الذين شنقوا فى ٦ أيار ؟

هل نسى ثورة الشريف حسين الوطنية ؟

باسم محمد المصرى
بيروت لبنان

الالمانيـة لغة النمسـا

● ذكر الاستاذ على ادهم فى مقاله عن شاتوبريان والذى نشر فى عدد سبتمبر م «العربى» ان رواية اتالا ترجمت الى اللغة النمساوية « والحقيقة انه لا توجد لغة نمساوية .. بل ان الالمانية هى لغة اهل النمسا » .

جورج خورى
الرياض السعودية

الى جيبوتـــى

● استجابة لنداء مجلة العربى فى استطلاعها عن جمهورية جيبوتى الذى نشر فى عدد سبتمبر ٧٧ عن حاجة هذه الجمهورية الفتية الى المساعدة فى مجالات التنمية فيها يسرنى ان اضع نفسى فى خدمة هذه الجمهوريةوالمشاركة فى مجال « استخدام الطاقة الحرارية الارضية Geothermal Energy اذ انى حاصل على درجة الدكتوراه فى العلوم الجيولوجية ودبلوم فى استخدامات الطاقة الحرارية الارضية مع خبرة لا تقل عن ثلاثة عشر عاما فى العربية او اى جهة عربية ٠

خبرتى هذه اضعها تحت تصرف جامعة الدول العربية او اى جهة عربية ٠

الدكتور محمود سمير المنهداوى

[illegible]

● سجلوا اسمى مع الراغبين فى التطوع للعمل بجمهورية جيبوتى ٠

عماد الحسنى ـ مهندس معمارى متخصص فى [illegible] ـ مدينة اليرموك ـ ص ٠ ب ١٥٠٤٨

الشاى وليس القهوة !

● فى مقال « ازمة البن العالمية » الذى نشر فى العدد ٢٢٢ ، ذكرتم ان البن صار مشروب الضيافة الاول عند العرب اجمعين ٠ وهذه حقيقة نسبية ، ذلك ان الشاى وليس البن هو مشروب الضيافة الاول عندنا فى دول المغرب ، ولعلمكم فان الشاى يقدم عندنا مع اطباق الحلوى او الجوز اللوز ٠

وتبقى القهوة مشروب ما بعد النوم فقط ويمكن تكون مشروب الضيافة لكن حسب الظرف الزمانى الذى تقع فيه الضيافة ٠ فنحن نشرب الشاى بعد الغداء خصوصا فى فصل الشتاء ، كما نشربه بعد القيلولة والقهوة بعد العصر ٠

اما الفطور فيمكن ان يكون بالشاى او بالقهوة بالحليب او القهوة بالحليب فى الغالب ٠

شطار ميمون

فاس المغرب

قرة العين

● كتب احد القراء فى باب حوار القراء لعدد اغسطس لعدد ٧٧/ يقول ان موضوعى عن (قرة العين) المنشور فى عدد مايو ٧٧/ منقول عن كتاب (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث) للدكتور على الوردى ٠

والحقيقة انى لم انقل الموضوع كما ذكر الاخ القارئ ولكنى اعتمدت على الكتاب كمصدر للمقالى عن قرة العين اذ ان الحقيقة التاريخية لا يمكن ان يستحوذ عليها احد او ان يدعيها لنفسه دون غيره ٠

حسين على [illegible]

قضـــية الـــزى

● فى العالم العربى يرتدى الناس الزى التقليدى لم تعد تلائم ضرورات العمل اليومى ٠ ونحس هذا الفرق بيننا وبين العالم المتقدم عندما نقضى وقتا طويلا فى بلاد الغرب ثم نعود الى مسقط الراس فيصدمنا الواقع ٠

قد يقال ان التقدم والحضارة ليسا فى الزى ، هذا صحيح ، ولكن يجب الا ننسى ان الزى هو احد مظاهر او رموز هذا التطور ٠

نعم يمكن استعمال اللباس التقليدى فى المنزل او فى مناسبات قومية او رسمية احتراما للتقاليد. لكن العمل اليومى وعلاقتنا مع الخارج يقتضيان ان نتكيف مع زماننا حتى فى المظهر ٠ فلننظر الى اليابانيين مثلا ٠ انهم فى الشارع والعمل يرتدون الزى العصرى ٠ اما فى منازلهم وحفلاتهم فان زيهم التقليدى كما هو ٠ انها ليست قضية سطحية٠ بل هى مشكلة حقيقية ينظرون من خلالها الينا باستخفاف ويقولون « هؤلاء ليسوا قادرين على الاندماج فى الحضارة » ٠

محمد البوزيدى

وجدة (المغرب الاقصى)

اموالنا فـي البنوك الامريكية

● جاء في تقرير لمجلس الشيوخ الامريكي نشر موخرا ان البنوك الامريكية يمكن ان تصاب بهزة عنيفة لو فكر العرب في سحب ودائعهم منها ..

اصابتني الدهشة عند قراءة هذا الخبر .. وارتسمت امام عيني اسئلة كثيرة .. لماذا لا يستعمل العرب اموالهم هذه اداة ضغط على امريكا لا كي تنحاز الى جانبنا في صراعنا مع اسرائيل .. بل من اجل اقامة توازن مع ما يسمى « اللوبي » الصهيوني الذي بدا يثقل كاهل الرئيس الامريكي كارتر . وسحب هذه الودائع لا يقتصر على كونها تشكل اداة ضغط تستطيع تمكين الرئيس الامريكي من مواجهة اداة الضغط الصهيونية ولكنها تعطي فوائد جمة لو استثمرت في البلاد العربية لتجعلها من دول العالم الثاني او الاول بدلا من الثالث .

وما احوجنا نحن العرب الى هذا المال العربي كي ننهض بالارض والانسان بعد ان اصبح المال عصب الحياة المعاصرة .

صلاح عبداللطيف/الكويت

وزارة للنظـافة

● من المعروف ان كل دولة توزع مسؤولياتها على وزارات تتولى كل واحدة منها ميدانا من ميادين النشاط الذي تتطلبه الحياة للافراد .. فالامن الداخلي منوط بوزارة الداخلية . والمواصلات منوطة بوزارة المواصلات وهكذا ..

فلماذا لا نستحدث في العالم العربي وزارة تناط بها شؤون نظافة البلاد .. وتكون من مهام هذه الوزارة بث برامج تغرس في الشعب حب النظافة وفوائدها وتتولى استحداث مادة النظافة في المدارس كما تتولى ايضا تنظيف المدن ..وذلك بتشجيرها وبناء الارصفة واظهارها بمظهر نظيف جميل يتعوده الفرد منذ نعومة اظافره .

وجدير بالذكر ان وزارة الصحة تتولى علاج المرضى في مشافيها وهناك مثل شائع معروف يقول « الوقاية خير من العلاج » .. وهنا تتجلى حقيقة وظيفة وزارة النظافة .. اذ ان الاوبئة والامراض تجلبها القاذورات والاوساخ .. وعندما تختفي هذه كلها يخف العبء عن كاهل وزارة الصحة .. وعندما تصبح النظافة عادة يتعودها الحاكم والمحكوم يمكن الغاء هذه الوزارة .. لذا ارجو ان يلاقي اقتراحي هذا مباركة السلطات الحاكمة في العالم العربي ليطبق علينا المثل الذي يقول : النظافة من الايمان .

يعقوب الناصر/الاردن

ام تابط شـــرا

● نشر في العدد ٢٢٦ من مجلة العربي بيت الشعر التالي

والمنـايـا رصـد
للفتـى حيث سلك

ونسبتموه خطأ الى ام تابط شرا تسلكه . والصحيح ان هذا البيت من جملة ابيات قالتها ام تابط شرا » .

وقد وردت هذه الابيات بكاملها في كتاب « شرح الحماسة للخطيب التبريزي . وفي كتاب المرأة العربية (جـ ١) لعبد الله عفيفي .

شكيب ناجي ثابت
بغداد / العراق

اهلا بكل مستثمر عربـــي

● ردا على رسالة السيد التي تضمنت حوار قراء مجلة العربي ٧٧ حول الاقتصاد العربي اود القول . بان الجمهورية العربية اليمنية ترحب بكل مستثمر عربي وقد نضعت قوانين و نظمه في صالح المستثمر في كل المجالات .. لتشجيع استثمار رؤوس الاموال العربية في البلاد العربية .

اهلا برؤوس الاموال العربية فـي الجمهورية العربية اليمنية .

علي حسن عثمان
صنعاء - اليمن



مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » ٠٠ والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ٠٠ ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ٠٠ اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ،فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفـوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ٠

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت «مسابقة العدد ٢٢٩» ، وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول فبراير (شباط) ١٩٧٨ ٠

اثنان في واحدة

■ اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ،ستجد في (٨) افقيا اسم اعظم اعلام الفكر الديني . كما ستجد في (٨) راسيا اسم فقيه ومؤرخ ونحوي واديب عربي شهير ٠

الكلمات الافقية :

(١) دولة في القارة الامريكية ـ دولة من دول وض البحر الابيض المتوسط ٠
(٢) مجرى مائي عراقي ـ نفاق
(٣) نصف كلمة (تاخذ) ـ تلاعبهم ـ وحدة س طولية ٠
(٤) يفرح ـ امبراطور من اباطرة الرومان بماء ٠
(٥) مدينة ايطالية معروفة ـ حرفان متشابهان ـ ـ كلمة (بانس) ـ اجابة ٠
(٦) نصف كلمة (هكاظ) ـ العف ـ انثنت ٠
(٧) نظير ـ عبودية ـ يطيع ـ رفد ٠
(٨) أعظم اعلام الفكر الديني ٠
(٩) لا يملك مالا ـ دولة افريقية ـ قاطع ٠
(١٠) عاصمتها لواندا ـ شلالات شهيرة ٠
(١١) من طرق انضاج الطعام ـ امعن النظر والفحص ـ متموج ٠
(١٢) امبراطور اليابان ـ من المدارس الفنية الحديثة ٠
(١٣) حول مجرى النهر ـ من الحبوب ـ تجاوز ٠
(١٤) حرفان متشابهـان ـ كسر ـ من اكبـر المعارك البحرية بين الاتراك والاوربيين ـ للتمني ٠
(١٥) اللقاء ـ من المذاهب الاسلامية ٠

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥

الكلمات الراسية :

(١) من العناصر ـ حرف استفهام ـ ميناء •

(٢) ينتسب الى منهب اسلامى يسيع فى الجزيرة العربية ـ فنان شهير من عصر النهضة الايطالى ـ من الزهور •

(٣) حرفان متشابهان ـ فزع ـ دولة اوربية •

(٤) مفكر فرنسى شهير وصاحب العقد الاجتماعى ـ القطع •

(٥) فى احدى مراحل العمر ـ خالص ـ اكبر بحيرات اوروبا •

(٦) انتفعوا ـ احسنوا •

(٧) يتكفل بالامر ـ عاصمة بيرو ـ برهن •

(٨) فقيه ومؤرخ ونحوى واديب عربى شهير •

(٩) اسفر ـ [illegible] •

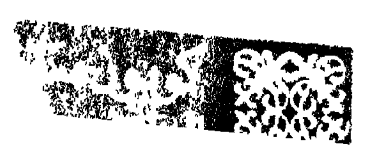
(١٠) سئم ـ قام مقامنا ـ [illegible] •

(١١) حرف استفهام ـ [illegible] لواقح ـ [illegible] عالمى شهير •

(١٢) العراك ـ من [illegible] الكريمة ـ نصف كلمة (وعيد) •

(١٤) كسد ـ للاستثناء ـ قارب •

(١٥) دولة آسيوية ـ نوع من الطائر [illegible] العربية ـ باس •



رئيس الحزب

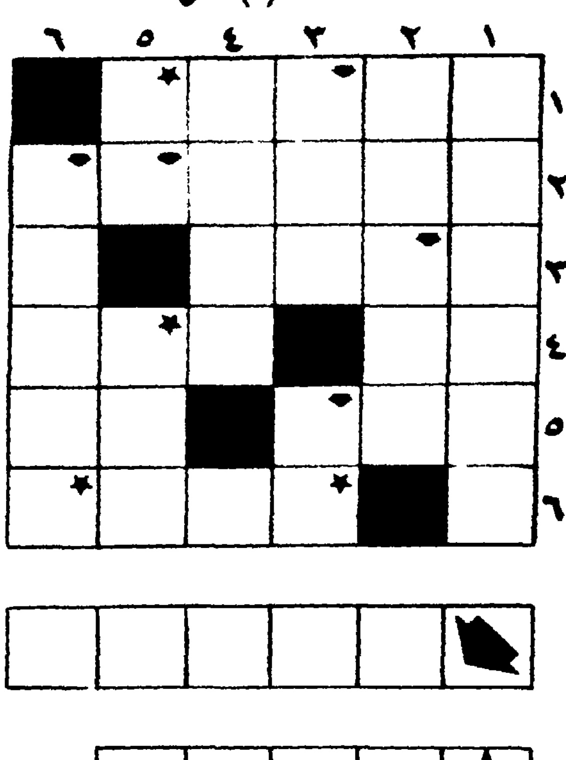
● ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة . بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ،ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لرئيس الحزب الوطنى الاشتراكى بألمانيا الذى مات منتحرا . ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقب ذلك الشخص .

الكلمات الافقية :

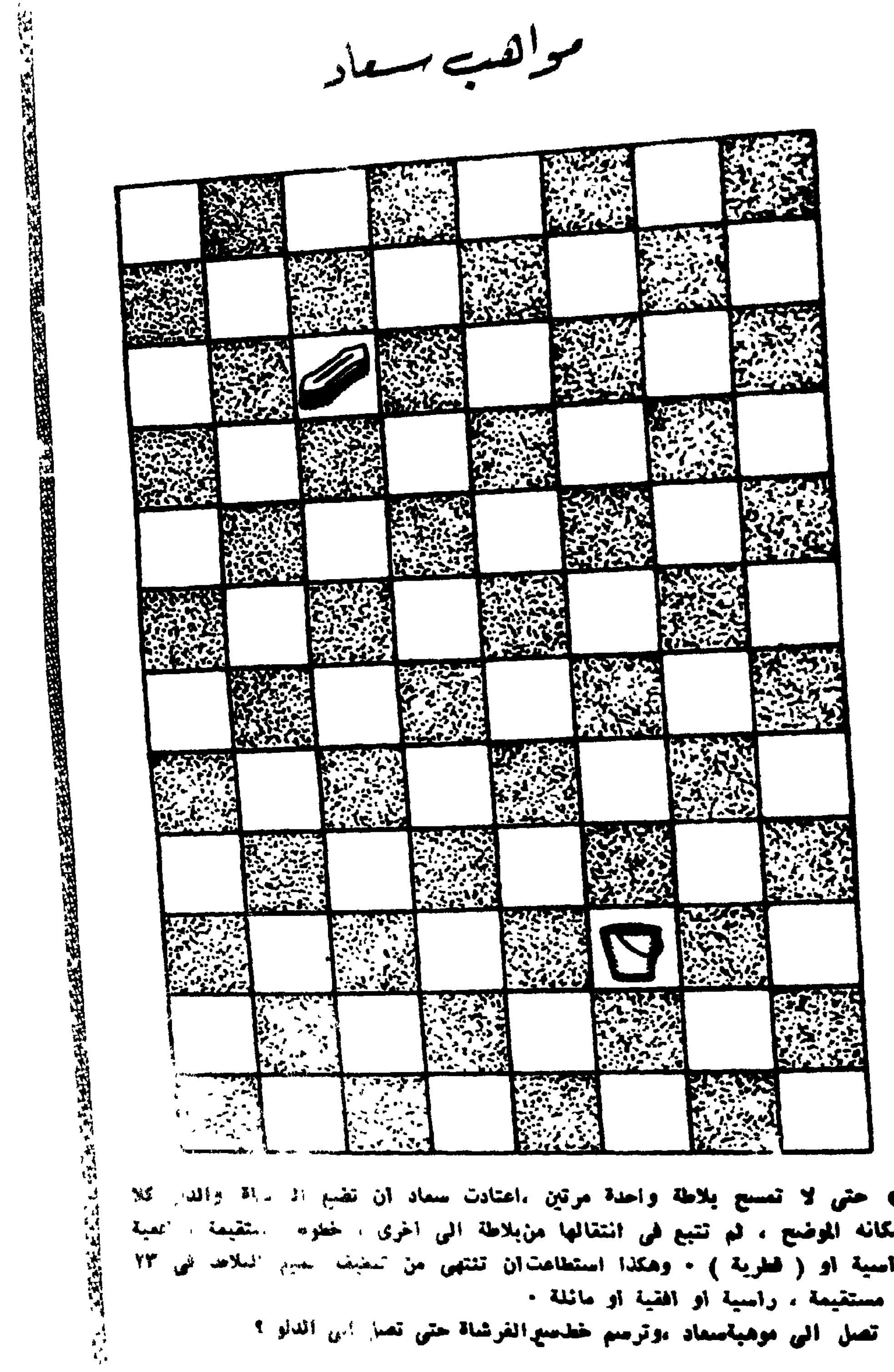
(١) من الاحياء المائية .
(٢) اله الفنون عند الرومانيين القدماء .
(٣) فقر شديد .
(٤) نصف كلمة (نبيل) ـ حرف استفهام .
(٥) عسل ـ فات .
(٦) ابصرته .

الكلمات الراسية :

(١) فنان من عصر النهضة الايطالية .
(٢) الة موسيقية .
(٣) الى اعلى ـ جواهر .
(٤) يوحى .
(٥) حرفان متشابهان ـ اكتملت .
(٦) نسق .



مواهب سعاد



● حتى لا تمسح بلاطة واحدة مرتين ،اعتادت سعاد ان تضع [illegible] والدلو كلا فى مكانه الموضح ، لم تتبع فى انتقالها من بلاطة الى اخرى ، خطوة [illegible] مستقيمة [illegible] او راسية او (قطرية) • وهكذا استطاعت ان تنتهى من تنظيف [illegible] البلاط فى ٢٣ حركة مستقيمة ، راسية او افقية او مائلة •

هل تصل الى موهبة سعاد ،وترسم خط سير الفرشاة حتى تصل الى الدلو ؟

● بالعقل فقط ●

استاذ نبيه يسال :

ما هو لون طرطور أحمد ؟

● فى امتحان آخر العام ، كانت درجات احمد وعلى ومصطفى اعلى الدرجات ، الا انها كانت متساوية ، واحتار ناظر المدرسة الى من يسلم جائزة التفوق هذا العام فجمعهم فى مكتبه وقال لهم :

ساجرى اختبارا لذكائكم ، والفائز هو الذى سيحصل على الجائزة • ساضع عمامة على عيونكم لن تسمح لكم بالرؤية ، وعلى راس كل واحد منكم ساضع طرطورا • الطراطير التى عندى حمراء وزرقاء • عندما اعطيكم اشارة البدء ، عليكم ان ترفعوا غطاء عيونكم • فاذا راى أحدكم طرطورا احمر على راس اى من زميليه ، عليه ان ينقر على المائدة نقرة واحدة ، ثم فكروا بعد ذلك ، وبمجرد ان يستنتج اى منكم لون طرطوره ، عليه ان ينقر على المائدة نقرة اخرى •

عندما تاكد الناظر من فهمهم لشروطه ، غطى عيونهم ، ثم وضع على راس كل منهم طرطورا احمر • اعطى اشارة البدء ،فرفعوا غطاء عيونهم وحدث التالى :

اولا : مباشرة وفى نفس الوقت ، نقر الثلاثة على المائدة •

ثانيا : دق احمد على المائدة وصاح « طرطورى احمر •• » •

كيف عرف احمد لون طرطوره ؟

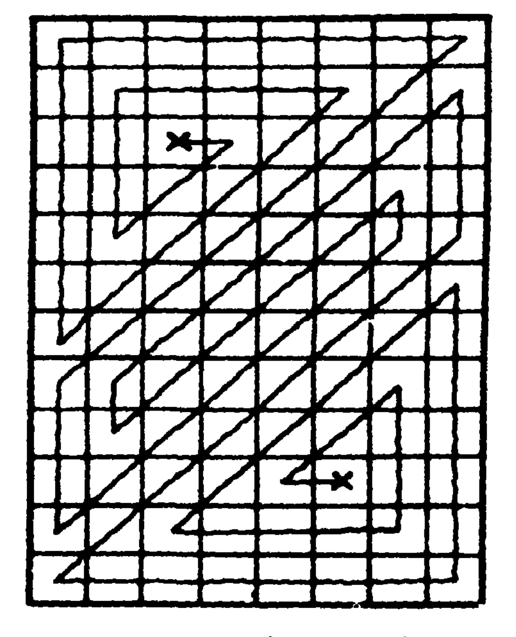
الحلول

النجمة والسهم :

ادولف هتلر •

استاذ نبيه يسال :

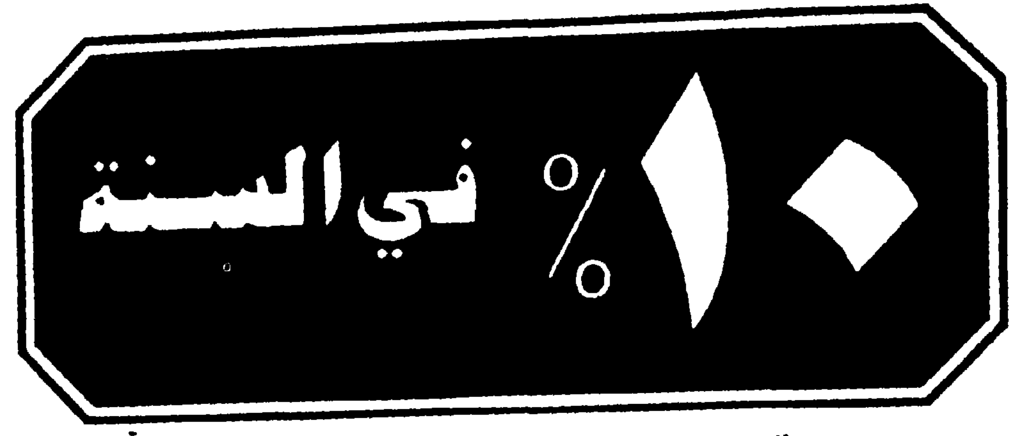
حيث ان الثلاثة قد نقروا النقرة الاولى معا ، فقد استنتج احمد ان جميعهم قد عرف ان طرطورين من الطراطير لونهما احمر ، فلو كان هناك طرطوران ازرقان لامتنع واحد عن النقر • قال احمد « على ومصطفى يعلمان هذه الحقيقة مثلى ، فلو كان طرطورى ازرق ، لتاكدا من ان طرطور كل منهم احمر • لهذا استنتجت ان طرطورى احمر » •



مواهب سعاد :

الحل كما فى الرسم •

الأمان بالإضافة
إلى معدل جيد للفائدة



لمدّة محددّة طولها سنتان

إن مبلغ ١٠٠٠ جنيه إسترليني أو أكثر مودع في حساب وديعة زمنية لمدة ثابتة طولها سنتان أو ثلاث أو أربع أو خمس سنوات ، يحقق ربحاً قدره ١٠ ٪ في السنة . وتدفع فائدة ٩ ٪ على المبلغ المودع لسنة واحدة . تدفع الفائدة كل نصف سنة بدون إقتطاع الضريبة البريطانية في المصدر .

٩ ١/٢ ٪ في السنة ودائع الدخل الشهرى إن مبلغ ١٠٠٠ جنيه إسترليني أو أكثر يحقق ربح ٩ ١/٢ ٪ في السنة إذا أودع لمدة ثابتة طولها سنتان أو ثلاث أو أربع أو خمس سنوات أما وديعة الدخل الشهرى المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة فتحقق دخل ٨ ١/٢ ٪ في السنة وتدفع الفائدة شهرياً بدون إقتطاع الضريبة البريطانية في المصدر .

أن مصرف لومبارد نورث سنترل المحدود عضو في مجموعة بنوك ناشيونال ويستمنستر ، لذلك يمكنك فتح حساب ودائع بحيث نضمن سلامة رأسمالك كلياً تفضل بإرسال الكوبون طلباً لتفاصيل أنواع حسابات الودائع والمعدّلات الحالية للفائدة .

Lombard North Central

Bankers

To The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd., 17 Bruton Street, London W1A 3DH England.

الإسم : ____________

العنوان : ____________

____

R182


كنتر
مجموعة الشاحنات
الخفيفة المتينة من اليابان -
للشرق الأوسط
في جميع انحاء الشرق الأوسط
الزبير للسيارات
ص ب ١٢٧، مسقط، عمان
تلفون ٢٨٢١/٢/٣/٤
تلكس ٢٥٨ مستراد
المعرض ومركز الصيانة
وقطع الغيار مطرح.
تلفون ٧٠١٣٣٩ / ٧٠١٣٤٣
شركة النصاص الزراعية
صنعاء، اليمن تلفون ٢٧٨٠
شركة النصاص الزراعية
ص ب ١١٠٥
صنعاء، الجمهورية العربية اليمنية
تلفون ٢٧٨٠
تلكس
260 ADHBAN YE
شركة الملا التجارية ذ م م
ص ب ٢٧٠٢
صفاه، كويت
تلفون ٤٢٣٢٣١
تلكس 2012 ALMULLA
عبد الرحمن الزياني واولاده
ص ب ٣٢، البحرين
تلفون ٥٢٦٠٧
تلكس GJ8305 A A ZAYANI
الشركة الاقتصادية، ش م
١٨(ب) شارع ٢٦ يوليو، القاهرة
تلفون ٤٦٠٥٥
برقي زيداواحود القاهرة
الشركة التجارية الاردنية المحدودة
ص ب ١٢٩
عمان، الاردن
تلفون ٥١٣٣١
تلكس TWAL JO 1311 AMMAN
عبد الرحمن الزياني واولاده
ص ب ٢٨١
ابو ظبي، الامارات العربية المتحدة
تلفون ٢٢٣٦٨
تلكس GJ8305 A A ZAYANI
عبد الرحمن الزياني واولاده
ص ب ١٦٧
دبي، الامارات العربية المتحدة
تلفون ٦٩٩٤٠
تلكس GJ8305 A A ZAYANI
شركة قطر للسيارات
ص ب ١٢٩٠
الدوحة، قطر
تلفون ٢٦٩٠٧
تلكس 4203 WIBECO DOHA
مؤسسة العيساي للتجارة
ص ب ١٣٤٢
جدة، المملكة العربية السعودية
تلفون ٢٨٤٤٤
تلكس 40063 ESAYICO SJ

تصنع شاحنات ميتسو بيشي كنتر الخفيفة لاحتمال الخدمات الشاقة.
انها تختبر وتجرب لملاءمة أحوال العمل في الشرق الأوسط. مع خدمة
ممتازة بعد الشراء يقدمها لكم موزع كرايزلر في منطقتكم.
شاحنات كنتر سهلة القيادة، ذات مقصورة ومعدات شبيهة بما تجدونه في
السيارات العادية.

إنها سهلة التحميل، ويوجد أنواع مختلفة من الأجساد يمكنكم
الاختيار منها. كما يمكن تقديمها على هيئة شاسي ومقصورة فقط.
تتوفر بإطارات مفردة أو مزدوجة في الخلف.
وبمحركات بنزين أو ديزل.
شاهدوا وجربوا مجموعة كنتر في محلات موزعي كرايزلر في جميع
أنحاء الشرق الأوسط.



